

الدكتورة: فاطمة محجوب

الموسوعة الطبية

للعالم الإسلامية



الناشر
دار الفيد العربي
٣ شارع دانش - العاصمة
ت ٢٨٣٢٣٩ القاهرة

حقوق الطبع والنشر محفوظة
لِلناشر

الناشر



دار الفكر العربي

للطباعة والنشر والتوزيع

٣ ش دانث - العباسية - عبده باشا - القاهرة

الإدارة: ٢٨٥٦١٢٢ / ٨٢٤٣٢٩ / ٢٨٤٣١١٥

فاكس: ٤٨٢٤٣٢٩

جمهورية مصر العربية

الموسم النفوس للعلوم الإسلامية

تابع جسر وفه الحاء

* حسن أغا الأوزقطلی (سبیل-) :

قال عنه علی مبارک :

هو بشارع تحت الربع علی یسار اللهاب من باب الخرق
طالباً باب زویلة . أنشأه حسن أغا الأوزقطلی وأنشأ فوقه
مکتباً لتعلیم أیشام المسلمین القرآن المجید ، وذلك فی سنة
ست وأربعین ومائتین وألف وثمانیتهما مقامة من ریع وفقهما
بنظر بنت الواقف .

(الخطط التوفیقیة المجلدة لعلی باشا مبارک / ۶ ، ۱۷۰ ، ۱۷۱) .

* حسن أغا كوكلیان (سبیل وكتاب-) (۱۱۰۶ هـ / ۱۶۹۴ م) اثر

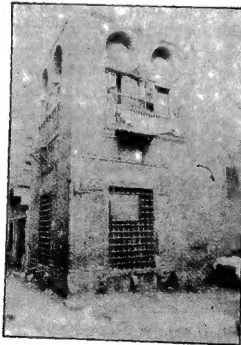
۲۴۳

یقع بسویقة العزى بشارع سوق السلاح بالقرب من مدرسة

سودن من زادة . وهو سبیل مستقل ، یعلوه کتاب ، وفو
شباکین للتسبیل .

أنشأه حسن أغا كوكلیان فی عام ۱۱۰۶ هـ حسبما ورد
باللوحة التأمیمیة بالواجهة الجنوبية والقی قرأها (Van Ber-
chem) كالآتی :-

« أنشأه هلا السبیل الخلیل وفوقه المکتب الجمیل حسبة
له تعالى الأمير الکبیر حسن أغا كوكلیان ، ووافق تاریخه
اسمه الخلیل (الأصح أنها « الجلیل ») ظاهر سنة ۱۱۰۶ هـ
والسبیل ذو واجهتین حرتین علی الشارع ینهما عمود
ناصیة ملدج وهما متشابهتان ، إحداهما هی الواجهة
الجنوبیة (الوحة ۶۷) التي یسویطها شباك للتسبیل ذو
مصیعات نحاسیة یقدمها لوح رخامی لوضع الکیزان ...



لوحة (۶۷)

واجهة سبیل حسن أغا كوكلیان الجنوبية
والواجهة بشارع سوق السلاح ، اثر ۲۴۳ .

والتكوين العام
للسبيل : عبارة عن
دهليز يلى باب
الدخول المائل
الذكر، يؤدي يمينا
إلى سلم صاعد
للكتاب ويساراً إلى
حجرة ملحقة تتقدم
حجرة التيسيل ، بها
فوهة الصهريج ،
يليه حجرة التيسيل
التي تأخذ الشكل
المربع ، بضلعها
الجنوبي ، والغربي
دخلتان لشبكي
التيسيل ، بأرضية كل
منهما حوض مربع
رخامي مخصص



لوحة (٦٨)

الواجهة الجنوبية لسبل حسن أغا كوكليان
بموقع سوق السلاح . أثر ٢٤٣ . ويظهر
فيها لوحة تزويد الصهريج بالماء .

للشرب ويصدر الحجرة يوجد دخلة الشاذروان التي تحتوي
على لوح السبيل الرخامي ذات الزخرفة التقليدية البارزة .
أما عن أرضية الحجرة فمفروشة بالألواح الرخامية التي
تكون في وسطها دوائر متماسة ، تحصر فيما بينها أشكال
هندسية ونجوم منفذة بالرخام الخردة المختلف الألوان .
أما عن جدران هذه الحجرة فقد كانت مغطاة بوزرة رخامية
في جزئها السفلي ما زالت بعض أجزائها باقية . والذي يؤكد
أنها من عصر الإنشاء وليست مستحدثة ما ورد بالوثيقة حيث
تذكر « ... المكمل الصهريج المذكور بالرخام الملون
والوزرة ... » .

فضلا عن ذلك فسقف حجرة التيسيل ، عبارة عن براطيم
خشبية تحصر فيما بينها مربعات ومستطيلات ، كما أنه
مُلَمَّع بأنواع الدهانات، ويجمع في زخرفته بين الطابع
المحلي والعثماني (سبقة في ذلك سبيل يوسف أغا الحبشي)
معا، حيث الأطباق النجمية وأشكال النجوم وأنصافها

على يسار هذا الشباك وإلى أسفل نجد فتحة معقودة -
مسدودة حالياً - مخصصة لتزويد الصهريج بالماء (لوحة ٦٨)
كما يعلو الشباك نفيس عليه بلاطات خزفية (قاشاني) ،
وعقد عاتق ، يعلوه لوحة تأسيسية - سبق ذكرها - هذا ويوجد
على جانبي تلك اللوحة والعقد العاتق مناطق مربعة ومستطيلة
بها زخارف هندسية عبارة عن أطباق نجمية ونجوم وأشكال
سلمسية معقودة في الحجر .

تنتهي هذه الواجهة من أعلى بواجهة الكتاب وهي عبارة
عن بائكة من عقدين على شكل حلوة القوس يرتكزان على
عمود أوسط مشتم .

غير أن هذه الواجهة كان يتوجها رفرف خشبي - انشتر
حاليا - ما زالت بقايا كوابيله تدل عليه .

بالإضافة إلى ذلك يوجد على يسار الواجهة الجنوبية باب
الدخول للسبيل والكتاب وهو مستطيل الشكل يعلوه عتب
عائق ومحاط بجصوت لاجبة .

وأنشأ الأمير حسن كتبنا عزبان بن المرحوم الأمير خليل جوريجي عزبان في عام ١١١٣ هـ حسبا ورد بالنص التأسيسي على الواجهة الجنوبية الشرقية للسبيل والذي يقرأ كالآتي :-

« أنشأ هذا السبيل المبارك الفقير إلى رحمة ربي العلي حسن أفندي كاتب عزبان سنة ١١١٣ هـ » .

والسبيل ذو واجهة واحدة تفتح على شارع درب الحصر بشباك للتسبيل مغشى بمصعبات نحاسية ، ضاع الجزء السفلي منها ، وسد الآن بالحجارة خوفا من ضياع باقى التنشئة . يعلو واجهة السبيل اللوحة التأسيسية السالفة الذكر، هذا ونجد على يسار شباك التسبيل كتلة الدخول للسبيل والكتاب .

أما عن التكوين العام للسبيل : عبارة عن مدخل مستطيل يؤدي إلى دهليز يأخذ في الضيق كلما أتجه إلى الداخل ، ويفتح يسارا بباب على حجرة التسبيل ، ثم يستمر في الامتداد ليؤدي يسارا خلف حجرة التسبيل إلى ملاحق خلفية ، ويمينا إلى باب الصعود للكتاب . (هذه الملاحق تفتح بباب أيضا على حجرة التسبيل ، ومن المرجح أنها كانت تحتوى على فوهة الصهريج وحاصل الماء ، إلا أنها الآن لا تحتوى على شئ) .

أما عن حجرة التسبيل فهي مستطيلة الشكل ضلعتها الأصغر يطل على الشارع بدخلة شباك التسبيل ، يقابله دخلة الشاذرون التي تمتد إلى أسفل السقف مباشرة وإلى اليسار منها دخلة أخرى أقل في الارتفاع ، كما يوجد إلى اليمين باب يصل الملاحق بحجرة التسبيل . والسبيل ، هنا في تكوينه يتركنا بتخطيط سبيل على أغا دار السعادة .

وأرضيته حاليا من البلاط الحديث ، إلا أن الوثيقة تذكر أنها كانت من الرخام الملون .

أما السقف فهو خشبي مسطح محمول على ثلاثة فلوق خشبية خالية من الزخرفة ولكن الوثيقة تذكر أن السبيل كان «مسقفا نفا» .

بالإضافة إلى عناصر ذات طابع عثمانى متمثلة في الأفرع النباتية التي تخرج منها زهور القرنفل والرمضان وذلك في البراطيم الخشبية ، أما في المربوعات فتوجد أشكال دائرية من أربعة فصوص بداخلها ويحيط بها ألحاف نباتية تخرج منها زهور الورد المحورة .

أما عن الكتاب : فيأخذ شكل حجرة التسبيل ولكنه حاليا مجدود تماما نظرا لانشغاله بالسكان .

(الأسلة العثمانية بمدينة القاهرة - د. محمود حامد الحسيني / ١٩٢ ، ١٩٣) .

• حسن أفندي (بن عبد الله) (١٢٠٥ هـ) :

من الخطاطين . ذكره الجبرتي في وفيات سنة ١٢٠٥ وقال عنه : ومات الجانب المكرم المبجل المعظم جامع الممارف وحارو اللطائف الأمير حسن أفندي بن عبد الله ، الملقب بالرشيدى ، الرومى الأصل ، مولى على أغا بشير دار السعادة ، المكتب المصرى ، أشتره سيده صغيرا ، وهذبه ودربه وشغله بالخط فاجتهد فيه ، ووجوده على عبد الله الأنيس ، وكان ليوم إجازته محفل نفيس ، جمع فيه المرويس والرئيس ، ثم زوجة ابنته وجعله خليفة ولم يزل في حال حياة سيده معتكفا على العشق والتسويد ، معتنيا بالتحريير والتجويد إلى أن فاق أهل عصره في الجودة في الفن ، وجمع كل مستحسن ولما تولى شيخ المكبين المرحوم إسماعيل الوهيب جعل المُرَكَّم شيئا باففاق منهم ... وألف من أجله شيخنا السيد محمد مرتضى كتاب حكمة الإشراف إلى كتاب الأفاق جمع فيه ما يتعلق بفنهم مع ذكر أسانيدهم وهو غريب في بابه ... ولم يزل شيئا ومتكلمًا على جماعة الخطاطين والكتاب ، وهمدهم الذى يشار إليه عند الأرباب ، نسخ بيده عدة مصاحف وأحزاب . وأما نسخ الدلائل فذكرتها لا تدخل تحت الحساب ، إلى أن طافت به المنية طواف الوداع ، ونثرت عقد ذلك الاجتماع . وبعموته انقرض نظام هذا الفن .

(تاريخ حجاب الآثار في القراجم والأخبار للشيخ عبد الرحمن الجبرتي ١١٦ ، ١١٧) .

• حسن أفندي كاتب عزبان (سبيل وكتاب) (١١١٣ هـ / ١٧٠١ م) أثر ٤٠٥ :

يقع بشارع درب الحصر ، وهو مستقل غير ملحق بأبنية أخرى ويعلموه كتاب ، كما أنه ذو شباك واحد للتسبيل .

وجبر ماوقع فيما سبقه من تقصير وإلا فبالعكس، وربما أنسى
المحاسب الموردة فيما سبق، مثاله قوله :

ورأى جديراً إذ بلغتك بالمنى
وأنت بمسا أملت فيك جديراً
فلئن تمولتى منك الجميل فأهله

ولا غنى عـاذا وشكـور
وأحسن الانتهاء ما أذن بانتهاه الكلام حتى لا يبقى للنفس
تشوف أئبة كقوله :

بقيت بقاء الدهر يا كهف أهله
وهذا دعاء للبـرية فـاسـل
* * *

ومرور القرآن فى ابتسائها
وفى خلوصها وفى انتهائها
واردة أبلغ وجـهـه وأجل
وكيف لا وهو كلام الله جل
ومن لهـا أـمـن فى التأمل
بأن لـه كل غنى وجلى
(شعر عبد الجمان / ١٧٥) .

ومما ذكره صاحب مختصر تلخيص المفتاح ولم يرد فى
نظم السيوطي قوله : وقول أبى تمام فى خاتمة قصيدة فتح
عمورية :

إن كان بين صفوف الدهر من رحم
موصولة أو ذمام غير مقتضب
فبين أيامك اللاتى نصبرت بها
وبين أيام يدر أقرب النسب
أبقت بنى الأصغر الممرض كاسهم
صفر الوجوه وجئت أوجه العرب
وأحسن الانتهاء ما أذن بانتهاه الكلام كقوله :

فلا حطت لك الهيجاء سرچا
ولا ذاقك لك اللذات لـراقا
(قواعد اللغة العربية - حتى ناصف وزملته / ١٣٧ ، وشرح عقود

وإذا كان السبيل بهذه الحالة ، فالكتاب فى حالة أسوأ
حيث نجد سلم الصعود إليه متهدماً ، ويتم الوصول له من
منزل مجاور للواجهة الجنوبية الشرقية ، كما أنه مجرد تماماً ،
وذلك لانشغاله حالياً بسكنى بعض الأسر (الألبسة العثمانية /
١٩٧ ، ١٩٨) .

وقد ذكره على مبارك تحت عنوان « سبيل حسن كتبنا »
وجعل تاريخ الإنشاء سنة ١١١٢ هـ ، وقال عنه :
هو بدرب الحصر أنشأه حسن كتبنا حزبان ، وأنشأ فوقه
مكتبا فى سنة اثنتى عشرة ومائة وألف ، وبهذا السبيل شبك
من النحاس بأعلاه لوح رخام فيه تاريخ الإنشاء ، وبالمكتب
عمود رخام وشباكان وشعاره معطلة ونظرة لمحمد القنيلى
(الخطوط / ١٧١) .

(الألبسة العثمانية بمدينة القاهرة - د . محمود حامد الحسينى /
١٩٨ ، ١٩٩ ، والخط الترفيحية الجديدة لملى باشا مبارك / ١٧١ / ٦) .
* حسن الانتهاء ،

حسن الانتهاء هو أن يجعل آخر الكلام عذب اللفظ
حسن السبك صحيح المعنى فإن اشتمل على ما يشعر
بالانتهاء معنى براعة المقطع كقوله :

بقيت بقاء الدهر يا كهف أهله
وهذا دعاء للبـرية فـاسـل
(قواعد اللغة العربية / ١٣٧) .

ويذكر صاحب مختصر تلخيص المفتاح « حسن
الانتهاء » آخر المواضع الثلاثة التى ينبغى على المتكلم أن
يتأنق فيها (انظر مادة « التأنق أو التأنق م ٨ / ٣٩٩ ، ٤٠٠)
وصاغه نظماً الحافظ جلال الدين السيوطي فى منظومته على
مختصر تلخيص المفتاح ، الموسومة بشرح عقود الجمان
فقال :

ولن يجىء فى الانتهاء مـؤن
ينغمسه فهو البليغ الأحسن
هذا آخر المواضع التى يجب التأنق فيها لأنه آخر ما يعيه
السامع ويرسم فى الذهن فإن كان حسناً تلقاه السمع واستلذه

حصول لأشياء السديت كأنه
سراج السجى قد قارنتها سمودها
وحينما مات بكى عليه الناس كثيرا ورثاه الشعراء ومن ذلك
قول قدامة بن موسى الجمحي :

فإن يك زيد غابا الأرض شخصه
فقد كان معسوف هناك وجسود
وإن يك أمسى رهن رسم فقد نسوى
بسه وهو محمود الأعمال حميد
جاء في نور الإبرار أن «أبا جعفر المنصور» ولي «حسن
الأنور» المدينة وقرية وأكرمه ، وكان قد انتهت إليه رئاسة بني
«الحسن» ومدحه الشعراء . جاءه شاعر يوما فمدحه بقصيدة
أولها :

«الله فرد وابن زيد فرد»

فغضب «الحسن» وقال له : هلا قلت : الله فرد وابن زيد
عبد ؟ ونزل عن سريره وألقى خده بالأرض . وهذا يدل على
تواضعه .

ومن الشعر الذى امتلح به الحسن ما يرويه زهر الآداب :
كان «أبو حاتم الأسلمي» قد هجا «الحسن بن زيد» فلما
ولى المدينة أنه متنكرا فى زى الأعراب ، فقال :

ستأنى ملحقى الحسن بن زيد

وتشبهوا لى بهفين القيسور

فيسور لم تزل منك غاب عنهما

أبو الحسن تماديهما السهور

فيسور لسو بأحمد أبو على

يلوذ مجيرهما حوى المجير

مما أبولك من وضعها فضعه

وأنت برفع من رقصا جدير

فقال «الحسن» : من أنت ؟ قال : أنا الأسلمي قال :

أذن حياك الله ويسط له رداه وأجلسه عليه وأمر له بعشرة آلاف

درهم .

الجمان للحافظ جلال الدين السيوطي / ١٧٥ ، والإيضاح فى علوم
البلغة . مختصر تلخيص المفتاح للخليل القزويني / ٢٤٤ .

«أبو الحسن الأندلسي» :

قال عنه الإمام الداودي :

محمد بن أبى بكر أحمد الإفرائينى أبو الحسن الأندلسي
الصفوى . تولى قزوين ، وأعقب بها ، وكان له قول عند
الأكابر والموافق ، وحظ من التفسير والحديث والفقه
والخلاق ، وكتب بخطه الكثير من كل فن لحرصه على
الجمع ، وروى «صحيح البخارى» كما روى «غريب
الحديث» لأبى عبيد الكاتب ، وروى «تنبيه السافلين» و
«مسند الشهاب» للقضاة ، وسمع بقزوين «صحيح مسلم»
من الأستاذ إبراهيم الشحاذى سنة ست وعشرين وخمسمائة .
له ترجمة فى : تاريخ قزوين ١ / ٧٥ .

(طبقات المفسرين للداودي بتحقيق على محمد عمر ٢ / ٩٠) .

«حسن الأنور (سیدی -)» (١٦٨ هـ) :

ابن السيد زيد الأبلج بن الحسن السبط بن على بن أبى
طالب كرم الله وجهه ، ويوجد مشهده على يمين الداخل إلى
مصر القديمة من جهة سور القاهرة فى الطريق إلى مسجد
عمرو بن العاص . أمه أم ولد ، حدثوا عنه أنه كان تقياً ورعاً
مجتاب الدعوة ، وكان إماماً عظيماً عالماً من كبار أهل البيت
معدوداً من التابعين .

وكان أبوه «زيد الأبلج» - رضى الله عنه - جليل القدر
كريم الطبع يتولى صدقات رسول الله ﷺ ، وكان يقصده الناس
فيبرهم ويكرمهم ، ويقصد إليه الشعراء فيمدحونه وينالون
عطاءه ، فكان ذلك سبباً فى كتابة «سليمان بن عبد الملك»
إلى عامله بالمدينة : أما بعد ، فإذا جاءك كتابى هذا فاعزل
«زيد بن الحسن» من صدقات رسول الله ﷺ - وادفعها إلى
رجل سماه من ذوى قرابته ، ولكن «عمر بن عبد العزيز»
حينما تولى الخلافة رده عليها . ومن الشعر الذى امتلح به
قول محمد بن بشر الخارجى :

وزيد ربيع الناس فى كل شتوة

إذا اختلفت أبسراتها ورمودها

يقول « الشبلنجی » فی نور الأبصار نقلا عن کتاب :
« مرشد الزوار إلى قبر الأبرار » أن الإمام حسن الأنور قدم إلى
مصر ومعه ابنته السيدة نفيسة ، ومن المعروف أن دخول
السيدة نفيسة مصر كان حوالي سنة ١٩٣ هـ . وكان ذلك فی
ولاية الأمير « جاثم حسن بن البجيج » أو الأمير جاثم بن هرثة
ابن أعين وهما السويانيان على مصر بالتعاقد فی نحو هذا
التاريخ المشار إليه نقلا عن ابن إياس .

ويذكر ابن إياس فی تاريخه أن السيدة نفيسة دخلت مصر
مع أبيها الأمير حسن فی بعض الأقوال . وفي مختصر التذكرة
للشعراني يقول بعد حديثه عن مشهد «على زين العابدين »
والسيد « زين » : « وبالقرب منهما مسايلي جامع القرافة قبر
الإمام « حسن » أخى زين العابدين والد السيدة نفيسة . كما
هو مكتوب فی عمود رخام موضوع على رأس القبر . وقوله :
آخر زين العابدين . لعله يقصد الأخوة الروحية وإلا فهما
ابناهم .

ويقال : إن الإمام « زيد الأبلج » والد الإمام « حسن
الأنوار » كان يأخذ بيد ولده « الحسن » ويدخل إلى قبر النبي -
ﷺ . ويقول : يا سیدی یا رسول الله ، هذا ولدى الحسن أنا
عنه راض ، ثم يرجع وينصرف ، فلما كان فی بعض الليالي نام
فرأى المصطفى - ﷺ . يقول له : يا زيد ، إني راض عن
ولدى الحسن برضاك عنه ، والحق راض عنه برضاي عنه .

ويقال أيضا : إن الإمام « حسن الأنور » حينما ولدت له
السيدة نفيسة - رضی الله عنها - كان يأخذ بيدها إلى قبر النبي -
ﷺ . ويقول : يا سیدی یا رسول الله أنا راض عن ابنتك
نفيسة ، فرأى فی المنام أن النبي - ﷺ . يقول له يا حسن أنا
راض عن ابنتك نفيسة والحق سبحانه وتعالى راض عنها
برضاي .

وفي الطريق إلى مسجد السيدة سكرية - رضی الله عنها -
بعد مسجد ابن طولون يوجد على يمين السالك زاوية يقال :
إنها تضم رفات الإمام محمد الأنور شقيق الإمام حسن الأنور
ومكتوب على بابها هذا البيت :

وكان لكرمه يطعم فيه الطامعون . حدث الحصري قال :
أنى « الغاضرى » المتفضل يوما « الحسن بن زيد » فقال :
جعلت فداك ، إني عصيت الله ورسوله ، قال : بئس ما
صنعت ، وكيف ذلك ؟ قال : لأن رسول الله ﷺ قال : لا
يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة ، وأنا أطعت امرأتى فاشترت غلاما
فهرب قال « الحسن » : فاختر واحدة من ثلاث : أن شئت
فثمن الغلام . قال : بأى أنت قف عند هذه ولا تتجاوزها .
قال : أعرض عليك الخصلتين . قال : لا . حسبي هذه .

وفي أثناء ولايته على المدينة أحسن إلى رجل فقير وقريه
يقال له : ابن أبى ذئب حتى كثر ماله ، وقدمه إلى « المنصور »
ولكن هذا الرجل قابل الإحسان بالإساءة ، فتحدث فی شأن
« الحسن » أمام « المنصور » حتى خيسره عليه فتكره له
« المنصور » وعزله ، ثم بعد فترة تبين للمنصور كذب ما أخبره
به ابن أبى ذئب فرد « الحسن » إلى عمله وأحسن صلته ودفع
إليه أمواله التي كان قد صادرها . وأبى « الحسن » بعد ذلك أن
يعاقب الرجل ، بل أمده بمال عظيم وكافاه بهدية عظيمة .
وتلك شحنة أهل البيت وعادتهم دائما فی مقابلة الإساءة
بالإحسان . ويقال إن الذى رد إلى « الحسن » اعتبراره
« المهدي » وليس « المنصور » وكان ذلك فی اعتذار طويل
قدمه إليه .

وقد أعقب « الحسن » من الذرية الكثير من الأبناء البررة ،
وهم كما يسميهم الأستاذ صلاح عزام : أبو القاسم ومحمد
وعلى وإبراهيم وزيير وعبد الله ويحيى وإسماعيل وأسماء وأم
كلثوم ونفيسة وكلهم من أم سلمة ، وهى زينب ابنة الحسن
عنه ابن الحسن بن على بن أبى طالب . وقد تزوجت « نفيسة »
من إسحاق المؤمن بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن
على زين العابدين - رضی الله عنهم جميعا .

وكان « الحسن » شغوفا بنفيسة جدا إلى حد أنها كانت
شغله الشاغل فی أيام معتقله على عهد « المنصور » فكان
يسأل عنها ويوصى بها ويتابع ما حفظت من كتاب الله وعلم
دينها .

مسجد حل فيه نجل لسزيد

ذلك الأنور الأجل محمد

ويذكر « الشيلنجي » أن والدهما مدفون بجوار مدفن ابنه حسن الأنور، ويستدل على ذلك بوجود حجر عتيق شرقي مقام السيد حسن الأنور مرقوم عليه نسب زيد، ثم يقول ومن شك في ذلك فليذهب إلى هناك ليعلم ذلك بالمعاينة .

وعلى ساحل النيل في مصر القديمة تجاه جزيرة الروضة يحدث « السخاوي » عن قبر يوجد يحمل اسم الشريف « أبي عبد الله محمد بن الحسن بن حمزة بن عبد الله بن الحسين بن علي بن أبي طالب » - رضى الله عنهم - وقد توفي سنة ثلاثين وثلاثمائة ، وقد انفرد عن أولاد الشريف الميمون بن حمزة بالدفن . أما بقيتهم ففى قرافة مصر في أماكن متفرقة .

ويعرف هذا الشريف بكنيته التى اشتهر بها « أبي الشفقة » وسبب هذه الكنية أن النيل كان قد توقف في بعض السنين ، فشق ذلك عليه وعلى أهل مصر، فأخذ يسعى على الشاطئ ويكي ويدعو الله بالفيضان ، وأهتم بهذا الأمر اهتماما زائدا فصار يسأل أهل العلم ومن له معرفة بالتاريخ عن الكتاب الذى أرسله عمر بن الخطاب مع حاطب بن أبى بلعة بن أسعد إلى المقوقس ، فدلوه عليه ، فأخذ يوضعه إلى جانبته ، فرأى في ليلة الإمام عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - يقول له : يا أبا الشفقة قم وألق الكتاب في النيل فقام وألقاه ، فكانت أخصب سنة على أهل مصر . فلما مات دفن قريبا من البحر، واشتهر عند المصريين بساى البحر . وربما يرجع سبب اهتمامه بكتاب عمر بن الخطاب إلى أن النيل كان قد توقف بعد فتح مصر - وكان من عاداتهم أن يلقوا به جارية كل عام فأبطل عمرو هذه العادة - فكتب إلى أمير المؤمنين عمر يخبره بتوقف النيل حتى ضج المصريون فأرسل إليه عمر بطاقة أمره بأن يلقها في النيل كتب فيها : من عبد الله أمير المؤمنين إلى نيل مصر، أما بعد، فإن كنت تجري من قبلك فلا تجر، وإن كان الله الواحد القهار هو الذى يجريك فسنال الله الواحد

القهار أن يجريك . فألقى عمرو البطاقة في النيل فجرى بإذن الله تعالى (عطط المقرئى / ١٠٦) .

فأراد الشريف أبو الشفقة أن يلتصق آثار عمر ليستأس بها في دعائه إلى الله بفيضان النيل فحقق الله ظنه .

(نور الإبرار في مناقب آل بيت النبى المختار للشيخ سيد الشيلنجي / ١٩٤ ، ١٩٥ ، ولعل البيت في مصر - الشيخ عبد الحفيظ فرغلى / ٨٠ - ٨٦) .

انظر : حسن الأنور (مسجد سيدي) .

• حسن الأنور (مسجد سيدي) :

قال عنه زكى مبارك : مسجد سيدي حسن الأنور .

هذا المسجد بقرب العيون التى فوقها مجرى الماء السلطانى الواصل إلى القلعة فيما بينها وبين جامع عمرو ، وقريب من فم الخليج في وسط منازل صغيرة مسكونة بالفقراء وقبور كثيرة . وهو مقام الشعائر ، وله مذبأة ومراسق وبنو، وكان مهجورا متخربا فجدد وعمر في سنة ثمانين ومائتين وألف على يد ناطره الشيخ أبى زيد إسماعيل كما هو مرقوم بأعلى بابيه الغربى ، وبه ضريح والد السيدة نفيسة رضى الله عنها سيدي حسن المذكور، عليه قبة جديدة ، وتحت تابوته حجر من الرخام مكتوب فيه اسم سيدي حسن الأنور رضى الله عنه ، ويجوار هذا الضريح ضريحان : أحدهما لسيدى زيد الألبج واسمه منقوش على قطعة حجر تحت تابوته، والآخر لسيدى جعفر، وليس له إيراد وإنما يصرف عليه من الأوقاف العمومية ، ويجوار مذبأة شجرتان من اللبخ ونخلات . ويقال : إن هذا الجامع في طرف من محل الجامع الجديد الناصرى الذى قال المقرئى في خطه أنه بشاطئ النيل من ساحل مصر الجديد، عمره القافى فخر الدين محمد بن فضل الله ناظر الجيش باسم الملك الناصر محمد بن قلاوون، وانتهت عمارته سنة اثنتى عشرة وسبعمائة، وأقيمت فيه الجمعة حيثئذ . وله أربعة أبواب ، وفيه مائة وسبعة وثلاثون عمودا، وقصره أحد عشر ألف ذراع وخمسمائة ذراع بلذراع

خمس وثمانين سنة ، وصلى عليه على بن المهدي . والحاجر على خمسة أعيال من المدينة انتهى .

وفي إسماعيل الراغبين للشيوخ الصبان قال الشعراني في متنه : أخيراً سيدي على الخواص رضى الله عنه أن الإمام الحسن والد السيدة نفيسة في التربة المشهورة قريباً من جامع القراء ، بين مجرة القلعة وجامع عمرو ، وقد أشهر هذه التربة وبني عليها قبة جليلة حضرة عبد الرحمن كتحداً - أحسن الله إليه وأسبل سرادقات لطفه عليه انتهى .

(الخط لتزيين الجنبه لعل باشا مبارك ٤ / ١٨٢ ، ١٨٣) .

• حسن باشا طاهر (مسجد) (١٢٢٤ هـ / ١٨٠٩ م) أفر ٢١٠

بعد وفاة محمد باشا طاهر الذي كان قائم مقام لوالى مصر، عني حسن باشا طاهر وأخوه عابدين بك - وكانا من الشخصيات البارزة في عصر محمد علي الكبير - ببناء القبة التي دفن فيها ، وأنشأ بجوارها مسجداً أحفاً به سبيلاً وكتاباً .

وكان الفراغ من بناء هذه المجموعة في سنة ١٢٢٤ هـ (١٨٠٩ م) . ويعد هذا المسجد من المساجد القيمة بالنسبة لمساجد عصره إذا استثنينا مسجد المغفور له محمد علي باشا المنشأ بعده . فالوجهة القبليّة تشتمل على القبة والباب الرئيسي والمنارة والسبيل والكتّاب ، والقبة بنيت بالحجر إلى نهاية الرقبة المنقوشة وأركانها مدرجة ، ثم بالطوب وبها تضييع بسيط ، ومكتوب على عتب شبابكها : لا إله إلا الله محمد رسول الله ١٢٢٤ هـ ؛ يعلموه نفيس من القاشاني ثم نقوش ومقرنصات ، ويكتنف الشباك مربعات حليا بجفوت يتوسط أحدهما مفروقة ودائرة مفرقة .

وباب المسجد عقده مدائني مخوص يسترعى النظر فيه العمدة الصغيرة المفردة المكتنفة لشباك الصنير ، والمعروفة عند المعماريين « بثلاثة ولية » ومكتوب على عتبته : « أنشأ هذا المسجد المبارك من فضل الله سبحانه وتعالى أفندنا حسن باشا طاهر والأخير عابدين بك طاهر غفر الله لهم في سنة أربع وعشرين ومائتين وألف . ويعلموه نفيس من القاشاني ونقوش موزقة .

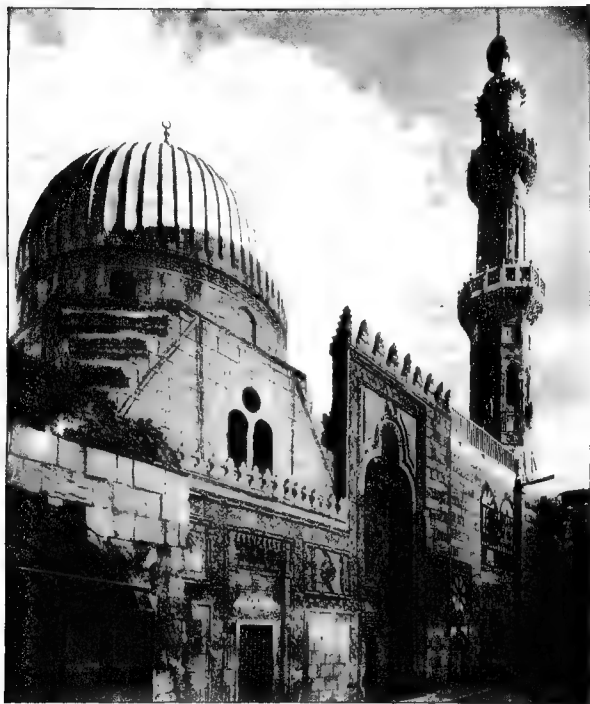
وعلى يمين الباب سبيل بصنوبرين مكتوب عليه « وسقاهم ربه شراباً طهوراً » [الإنسان : ٢١] يعلموه مربع بلخاله مشعن كسيت أغبلاعه بالقاشاني ، يجاوره سبيل

العمل ، وما يرح من أحسن المتزهات إلى أن خرب ما حوله انتهى .

ثم زالت آثاره بالكلية ، وقيل إنه كان في محل السبع السواقي ذات البناء الضخم بجوار فم الخليج التي تنقل الماء من النيل إلى مجسرة القلعة . ويعدّ للآل ما اشتهر أن الفرنسيّات زمن دخولهم مصر وجعلوا هناك كثيراً من العمدة الرخام الضخمة وأحجاراً ونحو ذلك .

وفي خطط المعريزي أن سيدي حسن والد السيدة نفيسة هو الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، كان له من الأولاد : القاسم ، ومحمد ، وعلي ، وإبراهيم ، وزيد ، وعبيد الله ، ويحيى ، وإسماعيل ، وإسماعيل ، وأم كلثوم ، ونفيسة . وكان سيدي حسن والى المدينة النبوية من قبل أبي جعفر عبد الله بن محمد المنصور ، وكان فاضلاً أدبياً عالماً ، وأمه أم ولد ، تولى أبوه وهو غلام وترك عليه ديناً وهو أربعة آلاف ديناً ؛ فخلع الحسن ولده أن لا يظل رأسه سقفاً إلا سقف مسجد رسول الله ﷺ أو بيت رجل يكلمه في حاجة حتى يقضى دين أبيه ، فوفاه بعد ذلك . ويقال : إنه كان محبوب الدعوة مدحوا ، وإن شخصا وشى به إلى أبي جعفر المنصور أنه يريد الخلافة لنفسه ، فإنه كان قد انتهت إليه رياسة بني حسن فأحضره من المدينة وسلبه ماله . ثم ظهر له كذب الناقل عنه فمن عليه ورده إلى المدينة مكرماً ، فلما قدمها بعث إلى الذي وشى به بهدية ولم يعاتبه على ما كان منه انتهى .

وذكر ابن خلكان خلافاً في قبر سيدي حسن هذا ، فقيل : إنه بمصر لكنه غير مشهور . وقيل : إنه توفي ببغداد ودفن في مقبرة الخيزران . والصحيح أنه مات بالحاجر ، وكان والياً على المدينة من قبل أبي جعفر المنصور ، وأقام بالولاية خمس سنين ثم غضب عليه فعزله واستصفى كل شيء له وجسه ببغداد ، فلم يزل محبوباً حتى مات المنصور ، وبلى المهدي فأخرجه من محبته ورد عليه كل شيء ذهب له . ولم يزل معه ، فلما حج المهدي كان في حملته ، فلما انتهى إلى الحاجر مات هناك ، وذلك في سنة ثمان وستين ومائة وهو ابن



مسجد حسن پاشا ظاهر
(۱۷۷۴ هـ / ۱۸۰۹ م)

وكتاب، وفي الطرف الشرقي المنارة، وهي مكونة من دورتين ومبنية بالحجر، ولها مقرنصات متقنة الصنعة متنوعة الأشكال وشفق درابزين الدوة الأولى مفرغة بأشكال زخرفية متنوعة وتنتهي من أعلى بترس أسفل الخوذة.

وامتياز هذه المنارة غير مقصور على رشاقتها فحسب بل لأنها خالفت طرز المنارات العثمانية الأسطوانية ذات المسلة التي شاع إنشاؤها في هذه الحقبة، وأنشئت على طرز منارات مصر المملوكية.

وقد حليت الوجهة بإفريز منقوش بزخارف مورقة كما نقش وجه حوض السيل.

وتمتدح القبة على يسار الداخل من الباب، وقد حلى وجوها بالنقوش والقاشاني والمقرنصات، ومكتوب على عتب بابها ما نصه: «هذا مقام الأريمين والنازل بجوارهم أفندينا باشا طاهر، والأخير يوسف بيك رحمهم الله تعالى أجمعين سنة ١٢٢٤».

ويوسف بيك مدفون مع طاهر باشا في قبر واحد بداخل هذه القبة ومكتوب عليه:

وزير مصر للاله لقد مضى

لا اعتراض لحكم مولانا طاهر عليه رضا الرحمن قلت مؤرخا

في جنة القسردوس محمد طاهر

١٢١٨

وعلى شاهد آخر: «هذا قبر المرحوم يوسف بيك طاهر توفى إلى رحمة الله تعالى يوم الخميس... شعبان سنة ١٢٢٣»

كما توجد مقبرة أخرى مكتوب عليها: «هذا قبر المرحوم إبراهيم بيك ابن أمير اللواء طالب بيك توفى إلى رحمة الله تعالى يوم الأحد ٢ شهر جماد آخر سنة ١٢٢٩» وبها تابوت خشبي باسم الأريمين.

وأمام القبة وعلى يمين الداخل باب المسجد، يصعد إليه بضع درجات على يمينه باب السيل، وقد فرشت أرضيته برخام دقيق، وبه حوض رخامي مستدير من قطعة واحدة وسقفه محلى برسوم وزهور ملونة، ومكتوب على باب

وقد أنشأ حسن باشا طاهر تجاه الجامع عمارة وقفها للصرف على المسجد بقية بعض دورها وهدم مدخلها وتخلف منه لوحة تاريخية مثبتة بالقبة ونصها:

«وكان الفراغ من العمارة الكائنة بخط بركة الفيل تجديد أفندينا المرحوم حسن باشا طاهر، حذر ذلك في يوم الجمعة المبارك ٢٩ خلت من شهر رجب القرد سنة ١٢٣٨».

وكذلك نقل إلى دار الآثار العربية لوحة تاريخية كانت تعلم ريع شيخو بشارع الركية رقم ٥٣ ونصها:

«وكان الفراغ من تجديد هذا المكان المبارك تجديد أفندينا المرحوم الحاج حسن باشا طاهر يوم الجمعة المبارك في ٢٩ خلت من شهر رجب سنة ١٢٣٨ من هجرة من له العز والشرف».

(تاريخ المساجد الأثرية - حسن عبد الوهاب - ٣٥٧ - ٣٥٩، ومساجد مصر، وزارة الأوقاف ٢ / ١٧٨).

• الحسن البصري (٢١ - ١١٠ هـ):

هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن بن يسار البصري، من سادات التابعين وكبرائهم، كان إمام أهل البصرة وحبر الأمة في زمانه. قال ابن سعد في طبقاته: كان جامعاً عالماً رفيقاً فقيهاً، حجة، مأموناً، عابداً، ناسكاً، كثير العلم، فصيحاً، جميلاً، وسيماً، ولد بالمدينة لستين بقية من

في الخير فانفسهم فيه ، وإذا رأيتهم في الشر فلا تبغضهم فيه ،
الثراء ههنا قليل ، والبقاء هناك طويل . أمتكم آخر الأمم ،
وأنتم آخر أممكم ، وقد أسعد بختياركم فماذا تنظرون ؟ المعاناة
؟ فكان قد . هيهات هيهات ذهبت الدنيا بحال بالها ،
وبقيت الأعمال قلائد في أعتاق بني آدم فيها لها موعظة لو
وافقت من القلوب حياة أما إنه والله لا أمة بعد أمتكم ، ولا نبي
بعد نبيكم ، ولا كتاب بعد كتابكم . أنتم تسوقون للناس
والساعة تسوقكم ، وإنما ينتظر بأولكم أن يلحقه آخركم . من
رأى محمدا ﷺ فقد رآه غاديا ورائعا ، لم يضع لينة على لبته ،
ولا قصبة على قصبة ، رفع له علم فشر إليه . فالوحاء الوحاء
والنجاه النجاه ، علام ترجون ، أثبتم ورب الكعبة . قد أسرع
بختياركم وأنتم كل يوم تزدلون ، فماذا تنظرون ؟ إن الله تبارك
وتعالى بعث محمدا ﷺ على علم منه ، اختاره لنفسه ، وبعثه
برسلته ، وأزل عليه كتابه ، وكان مغفوة من خلقه ورسوله
وأتاه منها قوتها وبلغه ، ثم قال : لقد كان لكم في رسول الله
أسوة حسنة ﴿ [الأحزاب : ٢١] فرغب أقوام من عيشه ،
وسخطوا ما رضى له ربه ، فلبسهم الله وسخطهم .

يا ابن آدم طأ الأرض بقدمك فلانها عن قليل قبرك ؟ وأعلم
أنك لم تزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك . رحم
الله رجلا نظر ففكر ، وتفكر فاعتبر ، وأبصر ففهم ، فقد أبصر
أقوام ولم يصيروا ؟ فهذب الجزع بقلوبهم ، ولم يدركوا ما
طلبوا ، ولم يرجعوا إلى ما فارقوا . يا ابن آدم ، أذكر قوله تعالى
﴿ وكل إنسان ألؤمه طائفة في عتقه وتخرج له يوم القيامة
كتابا يلقاه منشورا ﴾ اقرأ كتابك فحق بنفسك اليوم عليك
حسبياً ﴿ [الإسراء : ١٣ ، ١٤] عدل والله عليك من جعلك
حسب نفسك ، خلوا صفاء الدنيا وذرؤا كدرها ، فليس
الصفو ما عاد كدرا ، ولا الكثر ما عاد صفوا . دعوا ما يريكم
إلى ما لا يريكم ، ظهر الجفاف ، وقلت العلماء وعفت السنة ،
وشاعت البدعة ، لقد أصبحت أقواما ما كانت صحتهم إلا قوة
العين ، وجلاء الصدور ، ولقد رأيت أقواما كانوا لحسناتهم
أشفق من أن ترد عليهم منكم من سيئاتكم أن تعملوا عليها ،

خلافة عمر بن الخطاب (٢١ هـ) ونشأ في وادي القرى
وأسكنه الربيع بن زياد وإلى خراسان في عهد معاوية ، ثم
استقر في البصرة . ولما مثل نفر من المشهود لهم بالفضل ،
أمثال ابن سيرين والشعبي عن استخلاف يزيد ، لم يجرو
واحد منهم على الإذلال برأيه ، أما الحسن فقد جهر بمخالفته
لذلك . وقد عظمت هيئته في القلوب فكان يدخل على الولاة
فيأمرهم وينهاهم ، لا يخاف في الحق لومة لائم . وله مع
الحجاج بن يوسف مواقف ، وقد سلم من أناه . قال أبو عمرو
ابن العلاء : ما رأيت أفصح من الحسن البصري ومن الحجاج
ابن يوسف الثقفي ، فليل له : فأيهما كان أفصح ؟ قال :
الحسن ، وقال الإمام الغزالي : « كان الحسن البصري أشبه
الناس كلاما بكلام الأنبياء ، وأقربهم هديا من الصحابة ،
وكان غاية في الفصاحة ، تنصب الحكمة من فيه » . أخباره
كثيرة ، وله كلمات سائرة . توفي بالبصرة في مستهل رجب
سنة ١١٠ هـ .

(كتاب الوفاة : ١٠٩ ، ١١٠) .

قرأ على حطان بن عبد الله الرقاشي ، عن أبي موسى
الأشعري ، وعلى أبي المالية ، عن أبي بن كعب ، وزيد بن
ثابت وعمر بن الخطاب . وروى عنه أبو عمرو بن العلاء ،
وسلام الطويل ، وعاصم الجحدري ، وعيسى الثقفي
وغيرهم . قال فيه الإمام الشافعي : لو أشاء أقول إن القرآن نزل
بلغه الحسن لقلت لفصاحته ، ومنافيه في الزهد والورع أكثر
من أن تحصر (القرامت الشافعية : ١٣ ، ١٤) .

ونقل لك فيما يلي عظة بالغة للإمام حسن البصري
هسى الشاهد على فصاحته التي وصف بها كل من أبي
عمرو بن العلاء ، والإمام الغزالي ، والإمام الشافعي ، وهو ما
أوردناه آنفا ، كما أنها شاهد على زهده وورعه ، والله تعالى
يقول : ﴿ وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ﴾ [المذريات :
٥٥] .

قال الإمام الحسن البصري :

يا ابن آدم ، مع ذنبك بأخوتك تريهما جميعا ، ولا تبع
أخوتك بلذاتك فتفسرهما جميعا . يا ابن آدم ، إذا رأيت الناس

بإصلاح ذلك من نفسه فإنه إذا فعل ذلك لم يصلح عبداً إلا وجد في نفسه عبداً آخر ينبغي له أن يصلحه . فإذا فعل ذلك شغل بخاصة نفسه عن عيب غيره . وإنك ناظر إلى عملك بوزن خيره وشره ، فلا تحقر شيئا من الشر وإن صغر ، فإنك إذا رأيته ساءك مكانه .

وكان يقول : رحم الله عبداً كسب طيباً ، وأتفق قصداً ، وقدم فضلاً ، وجهوا هذا الفضل حيث وجهها الله ، وضموها حيث أمر الله ، فإن من كان قبلكم كانوا يأخذون من الدنيا بلاغهم ، ويأخذون بالفضل ، ألا إن هذا الصوت قد أضر بالدنيا فقصمها ، فلا والله ما وجد ذو لب فيها فرحاً ، فإذا كان به السبل المتفرقة التي جماعها الضلالة ، ومبداها النار أدركت من صدر هذه الأمة قوماً كانوا إذا جنهم الليل ، فقيام على أطرافهم ، يفتشون خدودهم ، تجري دموعهم على خدودهم يتاجرون مولاهم في فكك رقابهم ، إذا عملوا الحسنة سررتهم ، وسألو الله أن يتقبلها منهم ، وإذا عملوا سيئة ساءتهم ، وسألو الله أن يفرها لهم . يا ابن آدم ، إن كان لا يفتيك ما يفتيك فليس ها هنا شيء يفتيك ، وإن كان يفتيك ما يفتيك فالقليل من الدنيا يفتيك . يا ابن آدم ، لا تعمل شيئا من الحق رياء ، ولا تركه حياء .

وكان يقول : إن العلماء كانوا قد استغنوا بعلمهم عن أهل الدنيا ، وكانوا يقضون بعلمهم على أهل الدنيا ما لا يقضى أهل الدنيا بديانهم فيها . وكان أهل الدنيا يملكون بديانهم لأهل العلم رغبة في علمهم ، فأصبح اليوم أهل العلم يملكون بديانهم لأهل الدنيا رغبة في بديانهم ، فغرب أهل الدنيا بديانهم عنهم ، وهزلوا في علمهم لما رأوا من سوء موضعه عندهم .

وكان يقول : لا أذهب إلى من يوارى عني غناه ، ويبدى لي فقره ، ويفتق دوني بابه ، ويمتنع ما عنده ، وأدع من يفتح لي بابه ويبدى لي غناه ويدعوني إلى ما عنده .

وكان يقول : يا ابن آدم ، لا غنى بك عن نصيبك من الدنيا ، وأنت إلى نصيبك من الآخرة أفقر ، مؤمن مهمم ، وعلج أغمم ، وأعرابي لا فقه له ، ومناق مكذب ، ودنياوي

وكانوا فيما أحل الله لهم من الدنيا أزهد منكم فيما حرم الله عليكم منها ، مالي أسمع حسيسا ، ولا أرى أتيسا ؟ ذهب الناس وبقي التناس ، لو تكاثفت ما تداثمت ، تهدأتم الأطباق ، ولم تهدأوا التصاح . قال ابن الخطاب : رحم الله امرأ أهدى إلينا مساوينا . أهدوا الجواب فإنكم مستولون . المؤمن لم يأخذ دينه عن رآيه ، ولكنه أخذ من قبل ربه ، إن هذا الحق قد جهد أهله وحال بينهم وبين شهواتهم ، وما يصبر عليه إلا من عرف فضله ، ورجا عاقبته فمن حمد الدنيا ذم الآخرة ، وليس يكره لقاء الله إلا مقيم على مسخطه . يا ابن آدم ، الإيمان ليس بالتخلي ولا بالتعني ، ولكنه ما وقر في القلب وصدقه العمل .

وكان إذا قرأ ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ قال : هم ألهاكم ؟ عن دار الخلود ، وجنة لا تبيد ، هنا ، والله فضح القوم ، وهتك السر وأبدى العوار ، تنفق مثل دينك في شهواتك سرفا ، وتمنع في حق الله درهماً ؟ متعلم بالكم . الناس ثلاثة : مؤمن وكافر ومنافق . فأما المؤمن فقد لججه الخوف ، وقومه ذكر العرض وأما الكافر فقد قمعه السيف ، وشرده الخوف ، فأذهن بالجزية ، وسمح بالفريسة وأما المنافق ففي الحجرات والطرق ، يسرون غير ما يملنون ، ويضمرون غير ما يظهرون . فاعتبروا إنكارهم ربهم بأعمالهم الخبيثة . ويليكم ، قتلت وليه ثم تمنى عليه جنته ؟

وكان يقول : رحم الله رجلا خلا بكتاب الله فسرّض عليه نفسه ، فإن وافقه حمد ربه وسأله الزيادة من فضله ، وإن خالفه أعتب وأناب ، وراجع من قريب ، رحم الله رجلا واعظ أخاه وأهله فقال : يا أهلك ، صلاتكم صلاتكم ، زكاتكم زكاتكم ، جيرانكم جيرانكم ، إخوانكم إخوانكم ، مساكينكم مساكينكم لعل الله يرحمكم . فإن الله تبارك وتعالى أتى على عبد من عباده فقال : ﴿ وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا ﴾ [مريم : ٥٥] يا ابن آدم ، كيف تكون مسلما ولم يسلم منك جارك ؟ وكيف تكون مؤمنا ولم يأمنك الناس ؟

وكان يقول : لا يستحق أحد حقيقة الإيمان حتى لا يعيب الناس يعيب هو فيه ، ولا يأمر بإصلاح عيوبهم حتى يبدأ

مدخلها في الضلع الشرقي ، ويتكون من باب مستطيل يتوسط الضلع يتقدمه بروز بناي يمرض الضلع يتألف من عقد مدبب مطول موطر بنطاق أو حافة شكلها مستطيل تبرز قليلا عن مستوى العقد . والبناء كله مشيد بالطابوق والجص ويعلو هذه الخرفة رقية شمنة تؤثر مرحلة تحويل المربع إلى دائرة لتجلس عليها القبة . وتتابع صفوف من المقرنصات من الداخل والخارج وخالية من الزخارف سواء كانت جصية أم منقوشة على الطابوق . وتنتهي صفوف المقرنصات أو الحنايا ذات العقود المدببة بشكل نجمة ثمانية تربيع عليها قاعدة رقية طويلة نسبيا تنتهي برأس مقبب نصف كروي مدبب قليلا .



لوحة ٦٢ : مرقده الحسن البصري

وقبة هذا البناء من الخارج ذات طابع مميز فهي تتألف من ستة صفوف من مقرنصات ذوات عقود مدببة ويطوق مسطحة وتبرز العقود هنا إلى الإمام بميلان [بميل] واضح نراه ولأول مرة في تشكيلة المقرنصات التي تختلف هنا عن نظائرها في قبة محمد الدري وقبة زمرد خاتون ففي هاتين الترتيبين جعلت الرؤوس المدببة المائلة إلى الإمام للجدران الفاصلة بين

متصرف . نعتق بهم ناعق فاتبهوه ، فمراس ناز ، وذبان طمع . والذي نفس الحسن بيده ما أصبح في هذه القرية مؤمن إلا أصبح مهموما رزينا ، وليس لمؤمن راحة دون لقاء الله . الناس ما داموا في صافية مستورين ، فإذا نزل بهم بلاه صاروا إلى حقائقهم : فصار المؤمن إلى إيمانه ، والمتأفق إلى تفاته . أى قوم ، إن نعمة الله عليكم أفضل من أعمالكم ، فسارعوا إلى ربكم فإنه ليس لمؤمن راحة دون الجنة ، ولا يزال العبد يخير ما كان له واعظ من نفسه ، وكانت المحاسبة من همه . وقال الحسن في يوم فطر ، وقد رأى الناس وهيأتهم : إن الله تبارك وتعالى جعل رمضان مضمارا لخلقه ، يستيقنون فيه

بطاعته إلى مرضاته ، فسبق أقوام ففازوا ، وتخلف آخرون فخابوا ، فالعجب من الضاحك اللاعب في اليوم الذي يفوز فيه المحسنون ، ويخسر فيه المبطلون . أما والله لو إن كشف الغطاء لشغل محسن بإحسانه ومسيء بإساءته ، هن ترجيل شعر ، أو تجديد ثوب (البيان والتبيين ٣ / ٤٥٠ - ٤٥٤) .

وقد توفي الإمام الحسن البصري بمدينة البصرة كما سبق القول ، وفيما يلي الوصف المعماري لمقبرته التي دفن بها والتي دعت باسمه . وما تزال هذه المقبرة مستخدمة للدفن :

يقوم مرقده الحسن البصري بمقبرة بلدة الزبير في محافظة البصرة .

يتألف الضريح من أكثر من غرفة يظهر أنها شيدت في أوقات مختلفة وأهمها تلك التي تضم القبر وتمثل طراز المشاهد العراقية في النصف الثاني من القرن السابع الهجري ، والنصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي . والغرفة مربعة الشكل طول ضلعها ٣ أمتار من الداخل ويقع

المفسر المحدث الصوفي كان عظيم الشأن وأضح البرهان أخذ العلوم عن جمع من الأعيان منهم شيخ الإسلام زكريا ويرهان الدين بن أبي شريف ودرس بالجامع الأزهر في التفسير والتصوف . وله تصانيف كثيرة منها : تفاسير ثلاثة أصغر وأوسط وأكبر ، وشروح على المنهاج ثلاثة كذلك ، وشروح على الإرشاد ثلاثة كذلك ، وعدة متون في الفقه ، وعدة رسائل في التصوف وغير ذلك . توفي سنة نيف وعشرين وتسعمائة ذكره المنأوي في الطبقات . (الخطط الترياقية ٥ / ٧٠)

وقال عنه الزركلي : مفسر ، متصوف ، مصري ، من علماء الشافعية . مولده ووفاته بالقاهرة . كان يقيم عاما بمصر وهاما بمكة . من كتبه «تسهيل السبيل» في تفسير القرآن ، ويسمى «تفسير البكري» و«شرح العباب» للمزجد ، فقه ، و«شرح منهاج النووي» و«تحفة واهب المواهب في بيان المقامات والمراتب» مخطوط في المكتبة العباسية بالبصرة ، تصوف ، و«الدرة المكللة في فتح مكة المبجلة» نظم ، و«عقد الجواهر البهية» في الصلاة على خير البرية ، و«إرشاد الزائرين لحبيب رب العالمين» وغيرها (الأعلام ٧ / ٥٧) .

وقد ذكره الإمام الشعراني في طبقاته من بين من أدرتهم وحظي بصحبته من غير أن يقرأ لهم شيئا وقال عنه :

الشيخ الفقيه الصوفي المحدث ، نادرة الزمان الشيخ أبو الحسن البكري رضي الله عنه ، أخذ العلوم من جماعة من مشايخ الإسلام ، والتصوف عن الشيخ رضي الدين الغزي ، وتبحر في علوم الشريعة من تفسير وحديث ، وغير ذلك .

وكان رضي الله عنه إذا تكلم في علم ما كانه بحر زاخر ، لا يكاد السامع يتحصل من كلامه على شيء ينقله عنه لوسعه إلا إن كتبه في قرطاس وأصبرني بلفظه ونحن بالمطاف أنه بلغ درجة الاجتهاد المطلق ، وقال : أنا أكتم ذلك عن الأقران خوفا من الفتنة ، وسبب ذلك كما وقع للجلال السيوطي رحمه الله تعالى ، هذا لفظه .

وكانت مدة اشتغاله على الأشياخ مدة ستين ، ثم جاءه الفتح من الله تعالى واشتغل بالتأليف ، ولم يزل على ذلك إلى

مقرضات كل صف من الصفوف لا للحنائيا نفسها ، كما جعلت بطون مقرضات القبتين منتخبة بخلاف مقرضات قبة مرقد البصري فهي شبه مستوية تقريبا (لوح ٦٢) ومرقد الحسن البصري خال من الكتابات التذكارية التي قد تساعد في تأشير تاريخ العمارة . وليس هناك إشارات تاريخية إلى من قام ببنائه وتاريخ ذلك اللهم إلا إشارة واحدة تفيد أن المرقد تهدم وأعيد بناؤه بعد أن دالت دولة العباسيين . وليس أمانا من سبيل سوى فحص هيكله وعناصره المعمارية مما يرجع للولة الأولى أنه يرجع إلى الربع الثالث من القرن السابع الهجري (الربع الثالث من القرن الثالث عشر الميلادي) (العمارات العربية الإسلامية ١١١ / ١١٤) .

له ترجمة في : «وليات الأعيان» ١ / ٣٥٤ - ٣٥٦ ، و«شذرات الذهب» ١ / ١٣٨ - ١٣٩ ، و«دائرة المعارف الإسلامية» ٧ / ٣٨١ - ٣٨٢ ، و«حياة الأئمة» ٢ / ١٣١ - ١٦٠ ، و«الفهرست» ١ / ١٨٣ ، و«الحسن البصري» لإحسان عباس ، و«ميزان الاعتدال» ١ / ٢٥٤ وما بعدها ، والأعلام ٢ / ٢٢٦ ، ٢٢٧) .

(كتاب الوفيات لابن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطيني - تحقيق عادل نويهيض / ١٠٩ ، ١١٠ وهامش ١ للمحقق ، والقرارات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب - الشيخ عبد الفتاح القفاي / ١٣ ، ١٤ ، والبيان والتبيين للجاحظ - حققه وقدم له المحامي فوزي عطوي / ٣ / ٤٥٠ - ٤٥٤ ، والعمارات العربية الإسلامية في العراق - د. عيسى سلسان وزبيلات / ٢ / ١١١ - ١١٤ . انظر أيضا .

«الإمام الحسن البصري ونهجه في النسخ والقرارات القرآنية» - د. محمد علي الحسن . مجلة منار الإسلام . العدد الرابع ، السنة الرابعة عشرة فرار ربيع الآخر ١٤٠٩ - ١١ نوفمبر ١٩٨٨ م / ٦ - ١٣) .

• أبو الحسن البكري (٨٩٩-٩٥٢ هـ / ١٤٩٢-١٥٤٥ م) :

محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عوض بن عبد الخالق ، أبو الحسن البكري الصديقي (الأعلام ٧ / ٥٧) قال عنه على مبارك :

في جانب يمين الداخل إلى دهليز قبة الشافعي مكان دفن فيه الشيخ أبو الحسن تاج العارفين البكري شيخ الإسلام الفقيه

له مما أحلى قلوبهم حسبيكم
 ذاك الذي هو للقلوب حيازة
 تحيي قلوب العارفين بذكركم
 والجهالون قلوبهم أموات
 غنى الزمان بذكركم منهلا
 فرحا لكل جهاته نعمات
 طرب الوجود على ليليد سماكم
 فكأنما نسائته نايبات
 رقت معانيكم فحار أولو النهى
 واستجمعت بمرزومها الكلمات
 ويدا مناء حبياكم فقلوبنا
 كزجاجة وصلورنا المشكاة
 وكع التلله لنا ألت بريك
 قلنا بلى وأجسابت اللغات
 شهد الشهود وأثبت للقاضي على
 إشهدادكم وتبجل الإبيات
 وعلى قلوبهم العهد نحن إلى اللقا
 هيئات أن تتمموا العائلات
 جعل التماسون بيننا من ذلك المـ
 معهد القلوبم وضمننا المقات
 ما في العمى إلا محب جمالكم
 حتى حمام الأيك والأفلات
 إن كان لسلايلام أعياد الهنا
 أنتم لنا الأبياد والجسمات
 فكلامكم من معادن الوحي الذي
 ظهرت على إنباتيه الآيات
 وانما على أحوال قوم أعرضوا
 عن بابكم كم فانهم غيبرات
 وحياتكم من فائته من أنكم
 وقت لكل الفسر منه فوات

أن مات ، وهو أول من حج في محبة ثم تبعه الناس ، وقد
 عاشرته من حين كان بلا لحية ، فما رأيت عليه شيئا يشبه في
 دينه ، بل ترى في نزله وعفة وطاعة وعزة نفس على أهل
 الدنيا ، لم يزل قط في تحصيل معاشه لغيره ، بل كانت الدنيا
 تأتيه وهي راغمة ، وذلك كمال على كمال .
 وصحبت معه مرة فما رأيت أوسع أخلاقا منه ، ولا أكثر
 صدقة في السر والعلانية ، فكان لا يعطى أحدا شيئا نهارا إلا
 نادرا ، وأكثر صدقته ليلا ، وكان له الإقبال العظيم عند
 الخاص والعام في مصر والحجاز وشاع ذكره في أقطار الأرض
 كالشام والروم واليمن والكرور والمغرب مع صغر سنه رضى
 الله تعالى عنه .
 وكانت له كرامات كثيرة وخوارق وكشفات فما قاله أو
 زعمه لا يخفى وترجمه الناس بالقطبية العظمى .
 وكان له النظم الشائع في علم التوحيد ، وأعلن مرة على
 تائية عملها نحو خمسة آلاف بيت أوائل دخوله في طريق القوم
 ، ثم فسّلها وقال : إن أهل زماننا لا يحتملون سماعها ، فقلّة
 صدقهم في طلب الطريق ، وأوصافه المصنعة تفريق عنها
 الدفاتر (الطبقات الصغرى / ٧٨ ، ٧٩) .
 ومن شعر الشيخ أبي الحسن ، وهي قصيدة مشهورة :
 بسجودكم تتجمل الأوقات
 وبجودكم تتزل الأكتسات
 ويسركم تطوى السركائب سيرها
 ونشركم تنطوّر النسمات
 وبلدكم تطوى أحاديث العلى
 ويفضلكم تتلى لنا الأيات
 ويشركم تحدث السركبان والبيـ
 سلدان والمعمران والفلات
 ويرسمكم ينشأ الحساب ويسامكم
 يمحى العقباب وتفسر السنزلات
 أنتم معاني الكائنات فأيها
 أنتم حللتكم حلت البسركسات

قرأت بخط الشيخ المحدث العلامة نجم الدين الغيطي المصري وأخبرنا عنه شيخنا العلامة نور الدين محمود البيهقي الحلبي بإجازة أن الشيخ أبا الحسن البكري توفي في سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة وكانت جنازته مشهورة ودفن بجوار الإمام الشافعي (الكواكب السائرة ٢/ ١٩٦، ١٩٧).

(الأعلام للزكي ٧/ ٥٧، والخطط التوفيقية الجديدة - إمداد متولي خليل عرض الله ٥/ ٧٠، والطبقات العصرية للإمام أبي المصعب عبد الوهاب الشمراني - تحقيق عبد القادر أحمد صبا / ٧٨، ٧٩، والكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة للشيخ نجم الدين الغزي - حققه وضبطه د. جبرائيل سليمان جبر ٢/ ١٩٦، ١٩٧).

٥. الحسن بن الحسن (٩٧ هـ):

هو الإمام الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنه وعنهم وهو المثنى كان جليلا مهابا فاضلا ورعا زاهدا وكان يلي صدقات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بالمدينة. يحكى أنه سائر الحجاج بالمدينة والحجاج إذ ذاك أميرها فقال له الحجاج: يا حسن أدخل معك عمك في النظر على صدقات أبيه فإنه عمك وبقية أهلك. فقال له الحسن: لا أغير شرطاً شرطه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ولا أدخل في صدقاته من لم يدخله. فقال الحجاج أنا أدخله معك قهراً. فأمسك الحسن عنه ثم ما كان إلا أن فارقه وتوجه من المدينة إلى الشام قاصداً عبد الملك بن مروان. فلما أتى الشام وقف بباب عبد الملك يطلب الإذن عليه فوافاه يحيى ابن أم الحكم وهو على الباب فسلم عليه وقال له: ما جاء بك فأخبره بخبره مع الحجاج فقال له أسبقك بالدخول على عبد الملك ثم أدخل أنت وتكلم واذكر قصتك فسترى ما أفل معك ويتعففك الله به عنه. فدخل يحيى ابن أم الحكم ثم دخل الحسن بن الحسن فلما جلس رحب به عبد الملك وأحسن مسأله وكان الحسن قد أسرع إليه المشيب. فقال له ابن مروان قد أسرع بك المشيب يا أبا محمد فبدر يحيى بن أم الحكم وقال وما يمنعه يا أمير المؤمنين شيئا أمانى أهل العراق يقود إليه الركب بعد الركب في كل سنة يمنونه الخلافة، فقال له الحسن يش الله الرشد وفدت وليس الأمر كما قلت

ومن احتسب يسوسا بفير حسامكم
حلت به الأقباس والهلكات
لفقدكم تجري الكنوز من الثرى
ويعبدكم تنصبامن السادات
يا نائلين تفظسوا من نومكم
لم يبق من كسرب الحبيب سبات
يا معرضين عن الكسريم تعرضوا
فلمركم في دهركم نجات
خلسوا الضرور لكل شيء هالك
لا شك إلا الله والطاسات
أين الجبابرة للفراعة التي
ضائق لعظم جيوشها الفلوات
أين الملوك السالفون ومدتهم
أين البنود السود والبرايات
بل أين نو القبرتين من دانت له
الأفاق والبلدان والظلمات
أين المعمران أين إخوان الصفا
والأخوة الأنساب والأخوات
جسز في ديارهم وسائل عنهم
ينبرك أنهم جميعا مائتوا
له كم تحت الثرى من أمة
راحت وملء قوادحها حسرات
كانوا وكانت في المعى أوكائهم
مائتوا ومائت معهم الأوقات
يبكى الزمان عليهم متأسفا
وتفيض من أحضانها العبرات
بالأمس كانتوا في المنازل كلهم
واليوم هم تحت التراب وغفات
ثم الصلاة على النبي وآله
ما دامت الأزمان والساعات
قال الشيخ نجم الدين الغزي:



وقال الشيخ سيد الشبلنجي رحمه الله : وأعقب الحسن ابن الحسن خمسة رجال : عبد الله المحض ، وإبراهيم القمير ، والحسن المثلث وأهمهم فاطمة بنت الحسين بن علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه ، وداود ، وجعفر وأمهما أم ولد تدعى حبيبة ، كذا في بحر الأنساب (نور الأبرار / ١٢٥) .

(نور الأبرار للشيخ سيد الشبلنجي / ١٢٤ ، ١٢٥ ومنهل الصفا - السيد محمود أبو القريش المتوفى / ٨٠٧٨ ، والرياض المستطابة للإمام يحيى بن أبي بكر العامري البغدي / ٢٩٠) .

ملاحظة : صورة التشخير المصاحبة لهذه المادة مأخوذة من كتاب « قلائد الذهب في جهرمة أنساب العرب » لابن حزم - تقديم وتعليق وتشجير كامل سلمان الجبوري / ٣٧ .

• الحسين بن حن :

انظر : ابن حن .

• الحسين بن الخطير (٥٩٨ هـ) :

ذكره الحافظ السيوطي فيمن كان مبصر من الأئمة المجتهدين وقال عنه :

الحسن بن الخطير أبو علي النعماني الفارسي . كان فقيها حنفيا عالما بالتفسير والحساب والهيئة والطب ، مبرزا في النحو واللغة والمروض والأدب والتاريخ ، ألف تفسيراً ، وشرح الجمع بين الصحيحين للمحمدي ، وكتاباً في اختلاف المصاحبة والمتابعين وفقهاء الأمصار . أقام بالقاهرة مدة يدرس إلى أن مات بها سنة ثمان وتسعين وخمسمائة . وكان يقول : قد انتحللت مذهب أبي حنيفة ، وأنتصر له فيما وافق اجتهادي .

(حسن المحاضرة للمحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي -

بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم / ١ / ٣١٤) .

• الحسين بن زيد :

انظر : اللؤلؤي .

• الحسين بن زيد (٨٣-١٦٨ هـ / ٧٠٢-٧٨٤) :

الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، أبو محمد ، أمير المدينة ووالد السيدة نفيسة . كان من الأشراف الناهيين ، شيخ بني هاشم في زمانه . استعمله المنصور على

ولكننا أهل بيت يسرع إلينا المشيب وعبد الملك يسمع كلامه فأقبل عبد الملك على الحسن وقال له : لا عليك هلم حاجتك يا أبا محمد . فأخبره بقول الحجاج له فقال عبد الملك ليس ذلك له وكتب للحجاج كتاباً يهدده فيه ويمتنعه من ذلك ، ويوصل الحسن بأحسن صلة وأجازه بأحسن جائزة وقابله بأحسن مقابلة وجهزه راجعاً إلى المدينة على أحسن حال . وبعد أن خرج الحسن من عنده قصد يحيى بن أم الحكم إلى منزله فقال له كيف رأيت ما فعلت معك . قال والله إني عائب عليك فيما فعلت ... فقال إنها لك والله ما ألوئك نقما ولا ذخرت عنك جهداً . ولولا كلمتي هذه ما هابك ولا قضى لك حاجة واحدة فأعرف لي ذلك .

ويروي أن الحسين بن الحسن خطب إلى عمه الحسين إحدى بتيه فاطمة وسكتة فقال اختر يا بني إحدهما فتردد فقال له الحسين رضي الله عنه قد اخترت لك ابنتي فاطمة فهي أكثرهم شبهاً بأبي فاطمة بنت رسول الله ﷺ فتزوجها منه ، وحضر الحسن بن الحسن مع عمه رضي الله عنه بطف بكر بلاء فلما قتل عمه الحسين رضي الله عنه وأسر الباقر من أهله وأسر من جعلتهم الحسن بن الحسن جاء أسماء بن خارجة فانتزع الحسن من بين الأيدي وقال والله لا يوصل إليه أذى ، مات الحسن بن الحسن رضي الله عنه وله خمس وثمانون سنة وأخوه زيد بن أبي أوفى إلى أخيه من أمه إبراهيم ابن محمد . ولما مات الحسن رضي الله عنه فسررت زوجته فاطمة بنت الحسين فسطاطاً على قبره وكانت تقوم الليل وتصوم النهار وكانت رضي الله عنها تشبه حور العين لجمالها فلما انتهى العام قالت لمواليها إذا أظلم الليل فقوضوا هذا الفسطاط فلما أظلم الليل وقوضوه سمعت قائلاً يقول هل وجدوا ما فعلوا فأجابته الآخر بل يشأوا من وجوده فأنصرفوا . وقبض الحسن بن الحسن رضي الله عنهما ولم يلغ الإمامة ولا ادعاهما له مدع (منهل الصفا / ٨٠٧٨ - ونور الأبرار / ١٢٤ ، ١٢٥)

قال صاحب البرياض المستطابة : مات العشي (وهو الحسين بن الحسن) سنة سبع وتسعين وله بضع وخمسون سنة ، وله من الولد ستة محمد وعبد الله وإبراهيم وحسن وجعفر وداود ، ومن الإناث خمس زينب وأم كلثوم وفاطمة وليكة وأم القاسم (الرياض المستطابة / ٢٩٠) .

لأن أبا نصر القارايي مات قبل ولادة أبي علي بثلاثين سنة .
وقد أفرد السلطان محمود للحكيم أبي الخير ناحية يقال
ناحية خمار ، ونسب أبو الخير إلى تلك الناحية . ، وقيل له
أبو الخير خمار ، تمييزاً بينه وبين أبي الخير صاحب البريد
يقصدار (ناحية مشهورة قرب غزنة وقد وردت كثيراً في تاريخ
العتبي) وقد سماها من قال هو أبو الخير الخمار .

وله تصانيف كثيرة في أجزاء العلوم الحكيمية ورويت له
(رسالة) إلى الوزير الأمين أبي سعيد فيها كلمات نافعة
شافية .

وقيل لأبي الخير بقرامط الثاني وحتى له ذلك فإن النبي عليه
السلام سماه في منامه عالماً .

وستل أبو الخير حين كان نصرانياً عما يأكل ويشرب كل
يوم فقال : المعلقة والمرققة والملبة والمروقة .

وله تصانيف لطيفة في تدبير المشايخ عجيب جداً .

ومما نقل عنه : أحسن القول ما وافق الحق .

من طلب ما في أيدي الناس حقروه ومن صنع خيراً أو شراً
فبنفسه ابتداء .

التمسك بالفرز كالمقتبس من ضوء البرق الخافض .

(تاريخ حكماء الإسلام لتظهر الدين البيهقي - عن بتطيفه ونشره
محمد كرد علي / ٢٦ - ٢٨) .

• أبو الحسن بن الصائغ الدينوري (٣٣٠ هـ) :

من الطبقة الثالثة للصوفية وهو أبو الحسن علي بن محمد
ابن سهل بن الصائغ الدينوري ، كان من كبار المشايخ ، أقام
بمصر ومات بها .

قال السلمي :

سمعت أبا عثمان المغربي يقول : « لم أر فيمن رأيت من
المشايخ أنور من أبي يعقوب النهرجوري ، ولا أكبر همة من
أبي الحسن بن الصائغ الدينوري .

سألت الشيخ أبا عثمان : هل كان أبو الحسن من
السالكين ؟ فقال : « كان من العاملين المخلصين في
المعاملة » .

المدينة خمس سنين ، ثم عزله . وخافه على نفسه فحبسه
ببغداد . فلما ولي المهدي أخرجه ، وأستبقاه معه . مولده في
المدينة ووفاته بالحاجر (على خمسة أميال منها) في طريقه
إلى الحج مع المهدي .
(الأعلام ٢ / ١٩١) .

• الحسن بن سوار :

أدرجه ظهر الدين البيهقي في الحكماء .

وفي طبقات الأطباء : الحسن بن سوار بن بابا بن يهنام ،
وفي تاريخ الحكماء : الحسن بن سوار بن بابا بهرام ،
وكذلك ورد نسبة في ابن نديم . وأوردته ظهر الدين البيهقي
تحت عنوان « الحكيم أبو الخير الحسن بن بابا بن سوار بن
يهنام وقال عنه :

كان بغدادى المولد وقد حمل إلى خوارزم ثم لما استولى
السلطان محمود بن سبكتكين على خوارزم حمله إلى غزنة ،
وعرض عليه الإسلام فأبى ، وعصره جازز الملاء .

فمر يوماً بمكتب فيه معلم حسن الصوت يقرأ سورة ﴿الم﴾
أحسب الناس ﴿﴾ المنكوت : ١ ، ٢ [لوقفت وبكى ساعة
ومر ، فرأى في هذه الليلة في منامه النبي عليه السلام وهو
يقول له : يا أبا الخير مثلك مع كمال حلمك يقبح أن تنكر
نبوئى . فأسلم أبو الخير في منامه على يد رسول الله ﷺ .

فلما انتبه من منامه أظهر الإسلام ، وتعلم الفقه على كبر
سنه ، وحفظ القرآن ، وحسن إسلامه .

وقد حكم له أبو الريحان المنجم بكنية قاطعة ، فدعاه
السلطان محمود يوماً ، لعارض عرض له ، وبعث إليه
مركبه ، فمر على سوق المخافين فنشرت دابته ، وأملكت أبا
الخير . وتمام قصته وقصة ابنه أبي علي بن أبي الخير المذكور
في تاريخ آل سبكتكين . وقد صنف ذلك التاريخ أبو الفضل
محمد بن الحسن البيهقي الكاتب .

وقال أبو علي بن سينا في بعض كتبه : فأما أبو الخير
فليس من عداد هؤلاء ولعل الله يرزقنا لقائه فيكون إما إفادة وإما
استفادة .

وبعض الناسخين يكتب فأما أبو نصر وهذا غلط عظيم ،

توفي بمصر سنة ثلاثين وثلاثمائة .

ومن كلامه :

مثل من صفة المريد ، فقال : صفته ما قال الله عز وجل : ﴿ ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ﴾ [التوبة : ١١٨] . من تواتر عليه هموم الدنيا فليذكرهما لا يزل ، ليستريح منها .

ومثل : ما الذي يجب على الإخوان إذا اجتمعوا ؟ فقال : التواصي بالحق ، والتواصي بالصبر . قال الله تعالى : ﴿ وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ [المصر : ٣] .

ينبغي للمريد أن يترك الدنيا مرتين : يتركها مرة بنضارتها ونعيمها ، وأركان مطامعها ومشاريها ، وجميع ما فيها . ثم إذا عرف بترك الدنيا ويهمل ويكرم بها ، فينبغي أن يستر إذا ذاك حاله بالإقبال على أهلها ، لتلا يكون ذكره في ترك الدنيا ذنباً هو أعظم من الإقبال على الدنيا وطلبها ، أو فتنه أعظم منها . من فساد الطبع التمنى والأمل .

كان بعض مشايخنا يقول من تعرض لمحبة جاءته المحن والبلاء بالأوقار (أي الأحمال الثقيلة) . محبتك لنفسك هي التي تهلكها .

وه نل : ما المعرفة ؟ فقال : رؤية المنة في كل الأحوال ، والمجزع من أداء شكر النعم من كل الوجوه ، والتبصر من الحول والقوة في كل شيء .

الأحوال كالبرق ، فإذا ثبت فهو حديث النفس وملاءمة الطبع .

ويستل عن الاستدلال بالشاهد على الغالب ، فقال : كيف يستدل بصفات من يشاهد ويعاين ، وهو ذو مثل ، على صفات من لا يشاهد الدنيا ، ولا يعاين ، ولا مثل له ولا نظير ؟! (طبقات الصوفية / ٧٥ ، ٧٦) .

وقد ذكره السيوطي فيمن كان بمصر من الصالحاء والزهاد والصوفية وذكر أن وفاته كانت سنة ٣٣١ هـ وقال عنه :

أبو الحسن علي بن محمد بن سهل الدينوري الصائغ الزاهد .

قال في المعبر : (٢ / ٢٢٧) أحد المشايخ الكبار ، توفي بمصر في رجب سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة ، ومن كلامه : من أيقن أنه لفترة فما له يخل بنفسه .

قال ابن كثير : ومن كراماته أن رثى يصلي بالصحرَاء في شدة الحر ، ونسر قد نشر جناحيه يظله من الحر .

وحكى صاحب المرأة أنه أنكر على تكين أمير مصر شيئا - وكان تكين ظالما - فسيره تكين إلى القدس ، فلما وصل القدس ، قال : كائى بالبالس - يعنى تكين - وقد جىء به فى تابوت إلى هنا ، فإذا حق من الباب عثر البطل ووقع التابوت ، فيال عليه البطل . فلم نلبث إلا مدة يسيرة ، وإذا بقائل يقول : قد وصل تكين ، وهو ميت فى تابوت ، فلما وصل إلى الباب عثر البطل فى المكان الذى أشار إليه الدينورى ، فوقع التابوت وفغل عنه المكارى ، فيال عليه البطل ، وخرج الدينورى ، فقال للتابوت : جئت بالبالس إلى المكان الذى نفاثا إليه ! ثم ركب الدينورى ، وعاد إلى مصر ، فمات بها ، ودفن بالرافقة (حسن المحاضرة / ١ ، ٥١٣ ، ٩٤) .

(طبقات الصوفية لأبى عبد الرحمن السلمى - يسره وزيره أحمد الشرباصى / ٧٥ ، ٧٦ ، وحسن المحاضرة للحافظ جلال الدين السيوطى - بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم / ١ ، ٥١٣ ، ٥١٤) .

• الحسن بن الصباح (٤٢٨-٥١٨ هـ / ١٠٣٧-١١٢٤ م) ،

أدرجه الزركلى تحت عنوان « ابن الصباح الإسماعيلي » وقال عنه :

الحسن بن الصباح بن علي الإسماعيلي : داهية شجاع ، عالم بالهندسة والحساب والنجوم . قيل إنه يمانى الأصل ، من حمير مولده بن مرو . تتلمذ لأحمد بن عطاش (من أعيان الباطنية في عهد ملكشاه السلجوقي) ثم كان مقدم الإسماعيلية بأصبهان ، ورحل منها ، وطاف البلاد فدخل مصر وأكرمه المستنصر الفاطمي وأعطاه مالا وأمره بأن يدعو الناس إلى إمامته . فعاد إلى الشام والجزيرة وديار بكر والروم ، ورجع إلى خراسان ، ودخل كاشغر وما وراء النهر ، داعيا إلى المستنصر . ثم استولى على قلعة الموت (Alamout) من نواحى قزوین (وطرد صاحبها) سنة ٤٨٣ هـ وضم إليها عدة

محمد بن أبي عامر وغيره من أهلها ، وأخذ عن أشيائها . وأصله من رية . من العرب الشاميين ، النازلين بها عند الفتح . واختص سلفه منهم بسكنى مالقة ؛ وهي إحدى مدائن الكورة ؛ وحدها عماليق في القديم ، من جهة الشرق ، الحمة ، حيث الماء السخن الحبيب الغريب ؛ ومن ناحية الغرب ، حصن اللورد ، المعروف الآن بمنى ميور ، القريب من مريلة ؛ ومن جهة الجوف ، وادي شنيل ، حيث حصن بنى بشير ، والرئيسول ، ثم الأرض المعروفة بالخنوس ، إلى قرية جلسيانة القريبة من استبة إلى حوز مورور قال القاضي أبو عبد الله بن عسكر ، صدر كتابه الذي وصف فيه مالقة : أما الاسم المنطوق على جميع الكورة قرية ؛ وأظنها اسما جميعا . «والرى» عندهم الملك ونحوه ؛ وبهذا الاسم توجد في كتب الأعاجم . وكان ابن الحسن المتقدم للكر من أصحاب المنصور ، الملازمين له في أسفاره ، لم يختلف عنه في غزواته إلى بلد ، مدة حياته ، معقولا له على جند بلده ، معظما في قطره ، مرجوعا إلى نظره ؛ وكان كثير البدار إلى ملاقة العدو بنفسه . وكان هجيرا عند القتال . قول رسول الله ﷺ : « لا يجتمع كافر وقائله في النار أبدا »

قالت المؤلفة : هذا الحديث الشريف أخرجه الإمام السيوطي في الجامع الصغير من رواية مسلم وأبي داود عن أبي هريرة وقال عنه : حديث صحيح .

وامتشهد - رحمه الله - في غزوة جريسة المشهورة ، في جملة من استشهد من المسلمين ؛ وكانوا نحو ثمانمائة فارس : قتل فيهم رؤساء المسكر ، مثل يحيى بن مطرف ، وقاسم بن منصور ، والكثير من رجوة الناس . ثم نصر الله جنده وعسكره ؛ فحسن الفتن وحقق الرجاء ، ومنع عباده الظفر ، بعد اليأس منه ، قال أحمد بن سعيد : وذلك برأى رآه المنصور بن أبي عامر . وهو أن عهد وشهد في نقل المحلة إلى ريو مشقة ، أشرف منها على جميع النصارى ؛ فلما رأى الناس شخصه في أعلاها ، وطلموا مكانه ، رجصوا ظنهم ، مع ما ألقى الله تعالى في قلوب الروم من الرعب ، وأن المسلمين في قوة ، والممدد يأتيهم ، والأجناد تتكافل عليهم ؛

قلاح ، واستقر إلى أن توفي فيها . قال الذهبي فيه : «صاحب الدعوة النزارية ، وجد أصحاب قلعة الموت . كان من كبار الزنادقة ومن دعة العالم » وفي تاريخ العراق : الإسماعيلية أصحاب حسن الصباح تدعى نحلهم بالنزارية ، ومن بقاياهم اليوم - في عصرنا الحاضر - الأخاخانية في الهند ، ومن كتبهم المعروفة «روضة التسليم» و«مطلع المؤمنين» و«الهداية الأمرية» و«حقيقة الدين» و«الملك الدوار» أقول : يسمى الأوروبيون أصحاب «الحسن» هذا «أساسان» Assassins ويلذكرون أنهم فرقة من الإسماعيلية برزت في الحروب الصليبية ، بقيادة الحسن بن الصباح ، في أواخر القرن الحادي عشر للميلاد (أواخر الخامس للهجرة) وأن كلمة «أساسان» أصلها «حشاشون» وفي كتابهم من يطلق هذا الاسم على الإسماعيليين جميعا . (الأعلام / ١٩٣ ، ١٩٤) .

قيل إن الحسن أراد أن يكون أتباعه له طوع أسره فأقراهم بتدخين الحشيش ، ولما أوطوا في ذلك عرفوا بالحشاشين كما عرفوا بالفدائيين لاستهانتهم بالخطر في سبيل تنفيذ ما يعتمرون (تاريخ الفرق الإسلامية / ٥٨) .

(الأعلام / ١٩٣ ، ١٩٤ عن الكامل لابن الأثير حوادث ٤٩٤ وما بعدها وتاريخ الملوك / ٢٧٣ وبيان الاعتصام / ١ / ٣٢٢ وابن الروي / ٢ / ١٣ ، وصبح الأعي / ١ / ١٢١ ، وتاريخ العراق / ٣ الملحق الثاني / ٦ ، وتاريخ الفرق الإسلامية - أحمد مجاهد مصباح ومحمود محمد زيادة / ٥٨ .

انظر مادة الإسماعيلية في م / ٤ / ٦٠١ .

• الحسن بن عبد الله الجندابي ؛

من قضاة الأندلس . قال عنه النباهي :

وأما الحسن بن عبد الله الجندابي المالقي ، فهو أول قضاة الدولة العاصرية بكورة رية ، حسيما حكمة ابن أبي الفياض ونقله غيره - وكان - رحمه الله - أ - فقيها ، نبها فطنا ، مفتتا ، بصيرا بمذاهب العلماء ، نفاعا للفقهاء ، شليدا على أهل الأهواء ، رفيقا بالضعفاء ، سكن برقبة مع أبيه ، إذ كان له بها مال وأصهار ، وتردد إليها . وصحب فيها ، أيام قرادته

أخوه أحمد بن عبد الله بن الحسن . قال عياض ، وقد ذكره في « مدارك » : - مع من قاسم من أصبغ وغيره . واستقصى بكورة رية إلى أن توفي . وكان مشاورا . وكتب عنه فيما قيل . توفي في آخر سنة ٣٩٢ .

(تاريخ قضاة الأندلس للشيخ أبي الحسن بن عبد الله بن أبي الحسن النباهي المالقي الأندلسي / ٨٢ - ٨٤) .

✽ الحسن بن عثمان الزياتي (١٦٠-٢٤٢ هـ / ٧٧٦-٨٥٨ م) :

أجمل الكلام عليه صاحب الفهرست وذكر وفاته سنة ٢٤٣ هـ فقال : هو أبو حسان الحسن بن عثمان الزياتي ، يروي عن الهيثم بن عدي وغيره ، وكان قاضيا فاضلا أديبا ناسبا جوادا كريما يعمل الكتب وتعمل له . وكانت له خزانة حسنة كبيرة ، وأخذ عنه الناس ، ومات هو والحسن بن علي ابن أبي الجعد في وقت واحد سنة ثلاث وأربعين ومائتين وله سبع وثلاثون سنة وأشهر . وله من الكتب كتاب معاني عروة ابن الزبير ، كتاب طبقات الشعراء ، كتاب ألقاب الشعراء ، كتاب الآباء والأهيات (الفهرست / ١٦٠) .

وللدكتور المشهداني بحث عن الحسن بن عثمان الزياتي ، حياته ومكانته العلمية ، نقل لك بعضا منه فيما يلي .

موارد دراسة الحسن الزياتي .

لقد ترجم للحسن بن عثمان الزياتي عدد من المؤرخين ، وعلماء الجرح والتعديل ، ويتبين حجم تلك المعلومات التي تتحدث عن ترجمته بين الإسهاب والإطناب ، كما يتبين من ناحية نوعيتها خاصة وأنها وردت في مصادر متنوعة متباينة ، في زمن تدوينها أيضا .

ومن أقدم الذين ترجموا له ، ابن أبي حاتم الرازي (ت / ٣٢٧ هـ) وابن النديم (ت / ٣٧٧ هـ) ، والتنوخري (ت ، ٣٨٤ هـ) والخطيب البغدادي (ت ، ٤٦٣ هـ) والسمعاني (ت ، ٥٦٢ هـ) وابن هسaker (ت ، ٥٧١ هـ) والحموي (ت ، ٦٢٦ هـ) وابن الأثير (ت ، ٦٣٠ هـ) وشمس الدين الذهبي (ت ، ٧٤٨ هـ) وابن كثير (ت ، ٧٧٤ هـ) وابن العماد الحنبلي (ت ، ١٠٨٩) وكتب عنه من المحققين ، الأستاذ الدكتور فؤاد مزيكين .

فانهزموا وتفرقوا ؛ وبيتهم المسلمون نحو عشرة أميال واستولوا على محلتهم . وعند ذلك كتب المنصور كتابه المشهور إلى من قر عنه من جنود ، يربو بهم .

ومن فصوله ما نصه : « وكثيرا ما فرط من قولكم ، وسبق من عزيمهم ، أنكم تجهلون قتال المعاقيل والحصون ، وتشتاقون ملاقة الرجال على العجول . فحين جاءكم شأنجه بالأمنية ، وقابلكم بالشرطية ، وظهرت لكم رعدة الطائفة النصرانية ، أنكرتم ما عرفتم ، وتفرتم ما ألقتم ، حتى فررت فرار العافير من أساد الغيل ، وأجفلتم إجلال الرئال عن المقتضين ؛ فالحقتم العار بأنفسكم ، بعد اختيارى لكم ؛ وطرقت الشر على أعتاقكم ، وضيعتم حرمانكم ، وأحضرت ذمتكم ؛ فسلنا نعتى رعيتم ، ولا تزيينى حقيقتكم ، ولا وجوهكم أبقيتم ، ولا غضب الله ورسوله اتقيتم ؛ فقد قال الله عز وجل : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ﴾ [الأنفال : ٤٥] وقال : ﴿ ومن يؤلمهم يومئذ دبيرة إلا متخرفا لقتال أو متحييا إلى فئة فقد ياء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير ﴾ [الأنفال : ١٦] فقيم ولم كان انحيازكم ؟ أشكا في وعد ربكم ؟ أم خورا في أصل طبعكم ؟ أم عجزا عن دفع باطلهم بحقكم ؟ ما كان إلا لسفه أحلامكم وسوء نظركم في عاقبة أموركم ؛ يا أحلام الأطفال ، وأخلاق الرجال ؛ أنجوسم إلى دار الفناء ، التي لا تنقطع همومها ولا ترتفع غمومها ؟ وتركتم النزوع إلى دار البقاء ، التي لا ينصرم نعيمها لولا رجال من الله صلحوا ، فرفضوا عنكم العار بجلادهم وحرروا رقابكم من الذل بجهادهم ، وبللوا في الله ما بللوه بحكم القرآن ، والرعاية لدم الدين والسلطان ، لبرئت من جماعتكم ، وأوجبوا المؤاخلة على كافتكم ، وخرجت الإساءة والأمة عن عهدتكم ، ونصحت المسلمين في الاستبدال منكم بغيركم ؛ وإن أحد من الله العلي العظيم عاجل نصر وحسن عقى لعباده المخلصين ، وأوليائه المتقين ؛ فلا بد أن ينصر دينه بما شاء ﴿ ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾ [التوبة : ٣٣ ، الصف : ٩] .

وخلف القاضي بن الحسن بعد وفاته ، في مكان يتراة ،

- ٨- حماد بن زيد بن درهم الأزدى البصرى (ت، ١٧٩) وهو ثقة ثبت وأكّد الحموى، وابن العماد الحنبلى سماعه عنه.
- ٩- إسماعيل بن جعفر بن أبى كثير الأنصارى الزرقى (ت، ١٨٠) وهو ثقة ثبت، وأكّد الخطيب البغدادي، والذهبي سماعه عنه.
- ١٠- الوليد بن محمد المورقى البلقاوى الشامى (ت، ١٨٢) وهو ضعيف، وأكّد الحموى روايته عنه.
- ١١- هشيم بن بشير الواسطى (ت، ١٨٣) وهو ثقة ثبت، وأكّد الخطيب البغدادي، والحموى، والذهبي سماعه عنه.
- ١٢- إبراهيم بن سعد بن إبراهيم الزهرى الملقب بنزىل بفساد (ت، ١٨٥) وهو ثقة حجة، وأكّد الخطيب البغدادي، والذهبي سماعه عنه.
- ١٣- عباد بن العوام بن عمر الواسطى (ت، ١٨٥) وهو ثقة وأكّد الخطيب روايته عنه.
- ١٤- جرير بن عبد الحميد الضبي الكوفى (ت ١٨٨) وهو ثقة صحيح الكتاب، وأكّد الخطيب البغدادي، والحموى، والذهبي سماعه عنه.
- ١٥- إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم البصرى المعروف بابن علكة (ت، ١٩٣) وهو ثقة حافظ، وأكّد الخطيب البغدادي سماعه عنه.
- ١٦- الوليد بن مسلم الدمشقى (ت، ١٩٥) وهو ثقة، وأكّد الخطيب البغدادي، والذهبي، وابن كثير روايته عنه، فى حين أكّد الحموى سماعه عنه بدمشق.
- ١٧- سفيان بن عيينة الهلالى الكوفى (ت، ١٩٨) وهو ثقة، حافظ فقيه إمام حجة، وأكّد الحموى سماعه عنه.
- ١٨- عمر بن عبد الواحد السلمى الدمشقى (ت، ٢٠٠) وهو ثقة، وأكّد الحموى روايته عنه.
- ١٩- سعيد بن زكريا القرشى المدائنى (ت، ٢٠٠ هـ) وهو صلوق، وأكّد الخطيب البغدادي روايته عنه.
- ٢٠- سليمان بن داود، أبو داود الطيالسى البصرى (ت

- اسمه ونسبه، ولادته ووفاته :
- هو أبو حسان الحسن بن عثمان بن حماد بن حسان البغدادي، القاضى وعرف بالزياتى لكونه تزوج أم ولد كانت لزياد ابن أبيه وقال ابن عساکر : « وليس هو من سلالة زياد ابن أبيه ... » .
- ولد أبو حسان الزياتى سنة ١٦٠ هـ / ٧٧٦ م ، وتوفى فى شهر رجب سنة ٢٤٢ هـ / ٨٥٨ م ، ويذكر عاش ٨٩ سنة وأشهرها (فى القهرست ٨٧) .
- شيوخه وتلاميذه :
- روى الحسن بن عثمان الزياتى عن عدد من الشيوخ وبالأخص من الكوفة والبصرة ، ويبدو أنه زار الشام وذلك من خلال روايته عن عدد من المشايخ هناك وبالأخص فى مدينة (دمشق) .
- ولقد أكّد الحموى روايته بالشام عن عدد من المشايخ ، عندما قال : « سمع بدمشق عدة من شيوخه » .
- أما أبرز شيوخه الذين روى عنهم فى الكوفة ، والبصرة ، وواسط ، والشام ، فيمكن عرضهم كما يأتى :
- ١- أبوه عثمان الزياتى :
 - أكّد ابن أبى حاتم روايته عنه .
 - ٢- أبو بكر بن أبى الدنيا .
 - أكّد ابن أبى حاتم روايته عنه ، فى حين روى هو عن الحسن بن حماد الزياتى ، كما أكّد ذلك الحموى ، والذهبي ، وابن كثير .
 - ٣- شعيب بن صفوان بن الربيع الثقفى الكوفى الكاتب ، وهو مقبول ، وأكّد الخطيب البغدادي ، والحموى ، والذهبي ، سماعه عنه .
 - ٤- هارون بن عمر الدمشقى ، أكّد باقوت الحموى روايته عنه .
 - ٥- محمد بن إسحاق بن بلال بن أبى الدرداء، أكّد الحموى روايته عنه .
 - ٦- همر بن سعيد الكوفى (ت، بعد ١٠٠) وهو ثقة ، وأكّد الحموى روايته عنه .
 - ٧- معروف بن عبد الله الخياط أبو الخطاب البغدادي (ت، بعد ١٣٠) وهو ضعيف ، وأكّد الحموى روايته عنه .

٢٠٤) وهو ثقة حافظ، وأكّد الخطيب البغدادي، والحموي روايته عنه .

٢١- محمد بن عمر الواقدي المدني نزلي ببغداد (ت)، وهو ثقة في التاريخ، متروك في الحديث مع سعة علمه . وأكّد الخطيب البغدادي، والذهبي، وابن كثير سماعه عنه، وقال الحموي عن الحسن بن عثمان الزياتي: « كان من أعيان أصحاب الواقدي » .

٢٢- الهيثم بن عدي الطائي الكوفي (ت، ٢٠٩) وهو ضعيف، وأكّد ابن النديم، والحموي روايته عنه .

٢٣- يحيى بن أبي زائدة الكوفي (ت، ٢٨٣) وهو ثقة متقن، وأكّد الخطيب البغدادي، والذهبي، سماعه عنه .

٢٤- محمّد بن سليمان التيمي البصري (ت، ٢٨٧) وهو ثقة، وأكّد الخطيب البغدادي روايته عنه .

٢٥- شعيب بن إسحاق الدمشقي (ت، ٢٨٩) وهو ثقة، وأكّد الخطيب والحموي روايته عنه .

٢٦- وكيع بن الجراح الرّاسي الكوفي (ت، ٢٩٧) وهو ثقة حافظ هاد، وأكّد الخطيب البغدادي، والحموي، وابن كثير، روايته عنه .

أما فيما يتعلق بتلاميذه، فلقد روى عنه عدد كبير من الرواة لعل من أبرزهم :

إسحاق بن الحسن الحريري، حيث أكّد الخطيب، والذهبي، والحموي روايته عنه، ومحمد بن محمد الباقندي، والذي أكّد الخطيب البغدادي، والحموي، والذهبي روايته عنه . ومن تلاميذه أحمد بن الحسين الصوفي الصغير، والذي أكّد الخطيب، والذهبي روايته عنه، وكذلك أبو محمد سليمان بن داود بن كثير، الذي أكّد الخطيب والذهبي روايته عنه، وكذلك محمد بن يونس أبو العباس الكليني، وأكّد الخطيب، والحموي، والذهبي، روايته عنه، وكذلك علي بن عبد الله الفرجاني الحافظ، والذي أكّد ابن كثير روايته عنه .

توثيقه :

لقد أشاد المؤرخون والعلماء بالحسن بن عثمان الزياتي، ولعل من أبرزهم التنوخي (ت، ٣٨٤ هـ) الذي أشاد به، وبفقهه، وعلمه بالحديث، وقال عنه ابن النديم

(ت، ٣٨٥ هـ): « كان قاضيا فاضلا ... جوادا كريما ... » ويعد الخطيب البغدادي (ت، ٤٦٣ هـ) من أبرز السنين أشادوا بالحسن الزياتي، حيث قال عنه: « كان أحد العلماء الأفاضل، ومن أهل المعرفة والثقة والأمانة ... وكان صالحا دينيا فهما، وكانت له معرفة جيدة بأيام الناس ... وكان كريما واسعا فاضلا نسابا إخباريا جوادا كريما سمحا، وأشاد بعلمه الذهبي (ت، ٧٤٨ هـ) . فقال: « الإمام العلامة الحافظ مؤرخ العصر » وقال أيضا: « وكان رئيسا محتشما جوادا مملحا كبير الشأن، وأضاف: « ... وكان ثقة إخباريا مصنفًا كثير الاطلاع » وقال المؤرخ ابن كثير (ت، ٧٧٤ هـ): « كان صالحا دينًا ... » وأشاد به ابن العماد الحنبلي (ت، ١٠٨٩ هـ) فقال: « وكان إماما ثقة إخباريا مصنفًا كثير الاطلاع » وأكّد ابن العماد منزله ومكانته العلمية عندما أشار إلى أنّ الإمام الشافعي نزل عليه ببغداد عند زيارته لها .

وبذلك يتبين لنا صدق الحسن بن عثمان الزياتي وثقته في ميدان الرواية التاريخية، وهذا مما يؤكد قيمة وأهمية الروايات التاريخية التي أوردها، ويؤكد كونه مصدرا مهما لعدد كبير من المؤرخين الذين اعتمدوا عليه في رواياتهم .

مؤلفاته :

كان الحسن بن عثمان الزياتي من بين المؤرخين الذين صنفوا عدة كتب، وبالأخص في حقل اختصاصهم، ولذلك قال عنه ابن النديم، والحموي: « وكان الزياتي يصنف الكتب، ... وكانت له خزانة كتب حسنة كثيرة، وله عدة كتب ... » وقال الخطيب البغدادي، وابن كثير: « ... قد عمل الكتب »، أما الذهبي وابن العماد الحنبلي فقالا: « وكان ... مصنفًا كثير الاطلاع » .

إن أبرز مؤلفاته كانت في ميدان التاريخ، حيث كان له منهج خاص به، قال الخطيب البغدادي: « ... وكانت له معرفة بأيام الناس » وكان أبو حسان الزياتي يردد ما قاله حسان بن زيد ما نفسه: « لم يستعن على الكتابيين بمثل التاريخ، تقول للشخص سنة كم ولدت؟ فإذا أقر بمولده عرفنا

هو أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي المدني سبط رسول الله ﷺ وريحته بنت رسول الله ﷺ سيدة نساء العالمين عليها السلام . ولد في المدينة المنورة في نصف رمضان سنة ثلاث من الهجرة روى عن النبي صل الله عليه وآله وسلم أحاديث ورويت عنه عائشة رضي الله عنها . وروى عنه جماعات من التابعين منهم ابنه الحسن بن الحسن وأبو الحواري البهاء المهمله ربيعة بن سنان والشعبي وأبو واثل وابن سيرين وآخرين . توفي بالمدينة مسموماً سنة تسع وأربعين وقيل سنة خمسين وقيل إحدى وخمسين . ودفن بالبقيع وقرره فيه مشهور صلى عليه سعيد بن العاصي .

وكان الحسن رضي الله عنه شبيهاً بالنبي ﷺ سماه النبي ﷺ الحسن وعق عنه يوم سابعه وحلق شعره وأمر أن يتصدق بزنة شعرة فضة وهو خامس أهل الكساء قال أبو أحمد العسكري سماه النبي ﷺ الحسن وكناه أبا محمد قال ولم يكن هذا الاسم يعرف في الجاهلية ثم روى عن ابن الأعرابي عن الفضل قال إن الله تعالى حجب اسم الحسن والحسين حتى صمى بهما النبي ﷺ إبنيه الحسن والحسين . قال قلت له فالذين ياليعن ؟ قال ذلك حسن بإسكان السين وحسن يفتح الحاء وكسر السين .

أرضته أم الفضل امرأة العباس مع ابنها ثم بن العباس وقتلوا أن الحسن رضي الله عنه حج حجات ماشياً وقال إني أستحي من الله تعالى أن ألقاه ولم أمش إلى بيته . وقاسم الله تعالى ماله ثلاث مرات فتصدق بنصفه حتى كان يتصدق بنعل ويمسك نعلاً ويخرج من ماله كله مرتين وكان حليماً كريماً ورعاً دعاه ورعه وحمله إلى أن ترك الدنيا والخلافة لله تعالى وكان من المبادرين إلى نصرة عثمان بن عفان رضي الله عنه (تهذيب الأسماء واللغات / ١ / ١٥٨) .

أخرج ابن سعد عن عمران بن سليمان ، قال : الحسن والحسين اسمان من أسماء أهل الجنة ، ما سميت العرب بهما في الجاهلية .

ولد الحسن رضي الله عنه في نصف رمضان سنة ثلاث من

صده من كلبه ١ قال أبو حسان : فأخذت في التاريخ فأنأ أعلمه من ستين سنة .

ومن أبرز كتبه :

١ - « تاريخ حسن » ذكره الخطيب البغدادي ، وابن عساكر .

٢ - « التاريخ على السنين » ذكره الخطيب البغدادي ، والسمعاني وابن كثير .

٣ - « المغازي » ذكره ابن النديم ، ولعله رواه عن شيخه الوليد بن مسلم اللشمقي (ت ، ١٩٥ هـ) والذي تتلمذه عليه وسمع منه ، والذي كان له كتاب « المغازي » أيضا .

قالت المؤلفة : في نسختي من كتاب القهرست ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، د . ت . لم يرد ذكر كتاب « المغازي » المشار إليه أعلاه .

٤ - « عروة بن الزبير » ذكره ابن النديم ، والحموي .

٥ - « الأبناء والأهواء » ذكره ابن النديم ، والحموي .

٦ - « طبقات الشعراء » ذكره ابن النديم ، والحموي .

٧ - « ألقاب الشعراء » ذكره ابن النديم ، والحموي .

وبذلك يكون الحسن بن عثمان الزبدي قد ساهم من خلال كتبه بتقديم معلومات تاريخية من خلال اطلاعه على مروياته في المصادر التاريخية العربية ، وبذلك قدم خدمة جليلة لمدرسة التاريخ العربي ، ولمحتواها الفكرية والتاريخية .

(الحسن بن عثمان ١٩٦٥ - ١٩٩٠) .

(القهرست لابن النديم / ١٦٠ ، و الحسن بن عثمان الزبدي -)

د . محمد جاسم حمادي المشهلي . مجلة المشرق العربي . تصدر عن الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب / ١٩٦٦ - ١٩٩٠ .

• الحسن بن علي رضي الله عنه (٥٠٣ هـ / ٦٢٤ - ٦٧٠ م) :

الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي ، أبو محمد ، خامس الخلفاء الراشدين ، وآخرهم ، وثاني الأئمة الاثني عشر عند الإمامية (الأعلام / ٢ / ١٩٩) .

الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما تكرر ذكره

وأخرج الحاكم عن ابن عباس قال : أقبل النبي ﷺ وقد حمل الحسن على رقبته ، فلقبه رجل فقال : نعم المركب ركبنا يا غلام ! فقال رسول الله ﷺ : « ونعم الأراكب هو » .

وأخرج ابن سعد عن عبد الله بن الزبير قال : أشبه أهل النبي ﷺ به وأحبهم إليه الحسن بن علي ، رأيته يجرى وهو ساجد فيركب رقبته . أو قال : ظهره . فما ينزله حتى يكون هو الذي ينزل ، وإلقد رأيته وهو راكع فيفرج له بين رجليه حتى يخرج من الجانب الآخر .

وأخرج ابن سعد عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال : كان رسول الله ﷺ يمدح لسانه للحسن بن علي ، فإذا رأى الصبي حمرة اللسان يهش إليه .

وأخرج الحاكم عن زهير بن الأرقم قال : قام الحسن بن علي يخطب ، فقام رجل من أزد شنوءة فقال : أشهد لقد رأيت رسول الله ﷺ واضعه في جوفه وهو يقول : « من أحبني فليحبه ، وليبلغ الشاهد الغائب » ولسوا كرامة رسول الله ﷺ ما حدثت به أحدا (تاريخ الخلفاء / ١٨٨ ، ١٨٩) .

وقال معاوية يوما وعنده أشرف الناس من قريش وغيرهم : أخبروني بأكرم الناس أبا وأما وصما وعمما وخالا وخالة وجدا وجملة ، فقال مالك بن عجلان : وأوما إلى الحسن بن علي عليهما السلام ، فقال ما هو ذا ، أبوه علي بن أبي طالب وأمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، وجدته خديجة بنت خويلد وجده رسول الله ﷺ ، وعمه جعفر الطيار في الجنة وعمت أم هانئ بنت أبي طالب ، فسكت القوم ونهض الحسن ، فقام رجل من بني سهم وقال : أنت أمرت ابن عجلان على مقالته ، فقال ابن عجلان : ما قلت إلا حقا وما أحد من الناس يطلب مرضة مخلوق بمصيبة الخالق إلا لم يعط أمنيته في دينه وختم له بالشقاء في آخرته ، بنو هاشم أنشركم عودا وأوراكم زنادا كذلك يا معاوية ؟ فقال معاوية : اللهم نعم (مناصرة الأبرار / ١ / ٣٩٠) .

وولى الخلافة بعد قتل أبيه علي رضي الله عنه وكان قتل علي ثلاث عشرة بقيت من شهر رمضان سنة أربعين وبإيame أكثر من أربعين ألفا كانوا بإيماؤه أباه وبقي نحو سبعة أشهر

الهجرة ، وروى له عن النبي ﷺ أحاديث ، ورويت عنه عائشة رضي الله عنها وخلائق من التابعين : منهم ابنه الحسن ، وأبو الحوراء ربيعة بن منان ، وأشعبي ، وأبو واقل ، وابن سيرين .

وكان شبيها بالنبي ﷺ ، سماه النبي ﷺ الحسن ، وعق عنه يوم سابعه ، وحلق شعره ، وأمر أن يتصدق بزنة شعره فضة ، وهو خامس أهل الكساء .

قال أبو أحمد العسكري : لم يكن هذا الاسم يعرف في الجاهلية .

وقال المفضل : إن الله حجب اسم الحسن والحسين حتى سمى بهما النبي ﷺ ابنيه الحسن والحسين .

وأخرج البخاري عن أنس قال : لم يكن أحد أشبه بالنبي ﷺ من الحسن بن علي .

وأخرج الشيخان عن البراء قال : رأيته رسول الله ﷺ والحسن بن علي علي عاتقه وهو يقول : « اللهم إني أحبه فأحبه » .

وأخرج البخاري عن أبي بكرة قال : سمعت النبي ﷺ على المنبر والحسن إلى جنبه ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة يقول : « إن ابني هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين » .

وأخرج البخاري عن ابن عمر قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « هما ريحانتان من الدنيا ، يعني الحسن والحسين » .

وأخرج الترمذي والحاكم عن أبي سعيد الخدري : قال : قال رسول الله ﷺ : « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة » .

وأخرج الترمذي عن أسامة بن زيد ، قال : رأيته النبي صلى الله عليه وآله وسلم والحسن والحسين علي وركبه فقال : « هذان ابناي وابنا ابنتي ، اللهم إني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما » .

وأخرج عن أنس قال : مثل رسول الله ﷺ : أي أهل بيتك أحب إليك ؟ قال : « الحسن والحسين » .

يأتي « وعن أسامة بن زيد قال « طرقت النسي ﷺ ذات ليلة فخرج وهو مشتمل على شيء قلت ما هذا فكشفه فإذا حسن وحسين علي وركبه فقال هذان ابناي وابنا ابنتي اللهم إني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما » رواه الترمذي وقال حديث حسن ومناقبه رضي الله عنه كثيرة مشهورة (تهذيب الأسماء واللغات / ١ / ١٥٩) .

كان الحسن رضي الله عنه سيلا حليفا ذا سكينه ووقار وحشمة ، جوادا مملوحا ، يكره الفتن والسيوف ، وكان يهجر الرجال الواحد بمائة ألف (تاريخ الخلفاء / ١٩٠) ، وكان نصيبا من أحسن الناس متقا وبديهة (الأعلام / ٢ / ١٩٩) .

أخرج ابن سعد على علي بن زيد بن جدعان قال : خرج الحسن من ماله لله مزين ، وقامم الله ماله ثلاث مرات ، حتى إنه كان يعطى نملًا ويمسك نملًا ، ويعطى خفا ويمسك خفا .

وأخرج ابن عسكرك عن المبرد قال : قيل للحسن بن علي : إن أبا ذر يقول : الفقير أحب إلي من الغني ، والسقم أحب إلي من الصحة ، فقال : رحم الله أبا ذر ! أما أنا فأقول : من اتكل على حسن اختيار الله له لم يمتن أنه في غير الحالة التي اختارها الله له ، وهذا حد الوقوف على الرضا بما تصرف به القضاء (تاريخ الخلفاء / ١٩٠ ، ١٩١) .

ومن كلام الإمام الحسن رضي الله عنه أنه سئل رضي الله عنه عن الصمت فقال ستر للمي وزين للعقل وصيانة للعرض وفاعله في راحة وجلسه في أمن ولا أدب لمن لا عقل له ولا شقة لمن لا همة له ولا حياة لمن لا دين له . وقال رضي الله عنه هلاك الناس من ثلاث الكبير والحرص والبعد فالكبير هلاك الدين وبه لمن إيليس والحرص هلاك النفس وبه أخرج آدم من الجنة والحسد رائد الشر وبه قتل قاتيل أخاه هابيل . وقال رضي الله عنه دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو يجود بنفسه فجذعت عليه فقال لي يا حسن لا تجزع فقلت يا بني كيف لا أجزع وأنا أراك على هذه الحالة فقال يا بني : احفظ عني خصالا أربعا إن حفظتهن نلت بهن النجاة : « لا شئ أكثر من العقل ، ولا فقر مثل

خليفة بالمحجاز واليمن والعراق وخراسان وغير ذلك ثم صار إليه معاوية من الشام وسار هو إلى معاوية ولما تقاربا (في موضع يقال له « مسكن » بناحية من الأنبار ، علم أنه لن تغلب إحدى الطائفتين حتى يذهب أكثر الأخرى فأرسل إلى معاوية يبذل له تسليم الأمر إليه على أن تكون له الخلافة بعده وعلى أن لا يطالب أحدا من أهل المدينة والمحجاز والعراق بشيء مما كان أيام أبيه وغير ذلك من القواعد فأجابها معاوية إلى ما طلب فاصطالحا على ذلك وظهرت المعجزة النبوية في قوله ﷺ للحسن « أن ابني هذا سيد يصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » قبل كان صلحهما لخمس بقين من شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين . وقيل في شهر ربيع الآخر وقيل في نصف جمادى الأول من السنة المذكورة وكان وصى إلى أخيه الحسين رضي الله عنهما (تهذيب الأسماء واللغات / ١٥٨ ، ١٥٩ ، والأعلام / ٢ / ٢٠٠) وصى هذا العام « عام الجماعة » لإجماع كلمة المسلمين فيه (الأعلام / ١ / ٢٠٠) .

روى في صحيح البخاري ومسلم عن البراء قال « رأيت النبي ﷺ والحسن علي حاتفه وهو يقول : اللهم إني أحبه فأحبه » وفي صحيح البخاري عن أسامة « قال كان النبي ﷺ يأخذني فيقعدني على فخذه ويقعد الحسن علي فخذه الأخرى ثم يضمهما ثم يقول اللهم إني أرحمهما فأرحمهما » وفي صحيح البخاري عن أبي بكر قال « سمعت النبي ﷺ على المنبر والحسن إلى جنبه ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة يقول إن ابني هذا سيد ولعل الله يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » وفي البخاري عن أنس رضي الله عنه قال « لم يكن أحد أشبه بالنبي ﷺ من الحسن بن علي رضي الله عنهما » وفي البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال النبي ﷺ « هما ريحانتي من الدنيا » يعني الحسن والحسين رضي الله عنهما . وفي البخاري عن ابن عمر رضي الله عنه قال قال أبو بكر رضي الله عنه « أوتيتا محمدا في أهل بيته » وفي صحيح مسلم عن زيد بن أرقم قال قال رسول الله ﷺ « وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به » فحث على كتاب الله ورغب ثم قال « وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل

ومما يذكر أنه كان ﷺ حين يلعبهما يطأطأ لهما فيركبان على ظهره، وفي ذلك يقول السيد الحميري في قصيدة طويلة مشهورة:

أتى حسناً وحسيناً السرسوق
وقد هرزا ضحوةً يلعبان
وضمهما ثم كلفهما
وكانا لديه بملك المكان
وطأطأ تحتهما عساتيقه
فنعم المطيعة والسراكبان
(رابع طبقات الشعراء / ٣٥) .

يقول الزركلي : مدة خلافته ستة أشهر وخمسة أيام . وولد له أحد عشر ابناً . وبنو واحدة (يأتي الكلام على أولاده فيما بعد) وإليه نسبة الحسينيين كافة ، وكان نقش خاتمه : « الله أكبر وبه استعين » (الأعلام / ٢ / ٢١٠) ، وفي محاضرة الأبرار (١ / ١٣٤) : كان نقش خاتمة العزة لله عز وجل وحده .
قالت المؤلفة : أوردنا في مادة « الاحتشام الإسلامية » م ٣ / ٩٥ هذين النقيشين ونقشا ثالثاً هو « لا إله إلا الله الملك الحق المبين » .

كانه عبد الله بن أبي رافع (محاضرة الأبرار / ١ / ١٣٤) .
أما عن خلافة الحسن رضي الله عنه فقد جاء هذان البيتان في قصيدة الإمام السيرطي الجامعة في أسماء الخلفاء وفيياتهم ، فقال بعد ذكر مقتل علي كرم الله وجهه :

ثم ابنه السبط نصف العمام ثم أتى
بنو أمية يفسون السوقي زمسرا
فسلم الأمر في إحدى ، لرشبته
عن دار دنيا بسلام ضهير ولا ضميرا
(تاريخ الخلفاء / ٥١٧) .

وأما عن أبناء الحسن رضي الله عنه فقد أحصاهم النسابة ابن عتبة ويوضحهم التشجير التالي لكامل سلمان الجبوري :

الجهل ، ولا وحشة أشد من العجب ، ولا عيش ألد من حسن الخلق . وأعلم أن مروءة القناعة والرضا أكثر من مروءة الإحشاء وتأمال البيعة خير من ابتذالها .

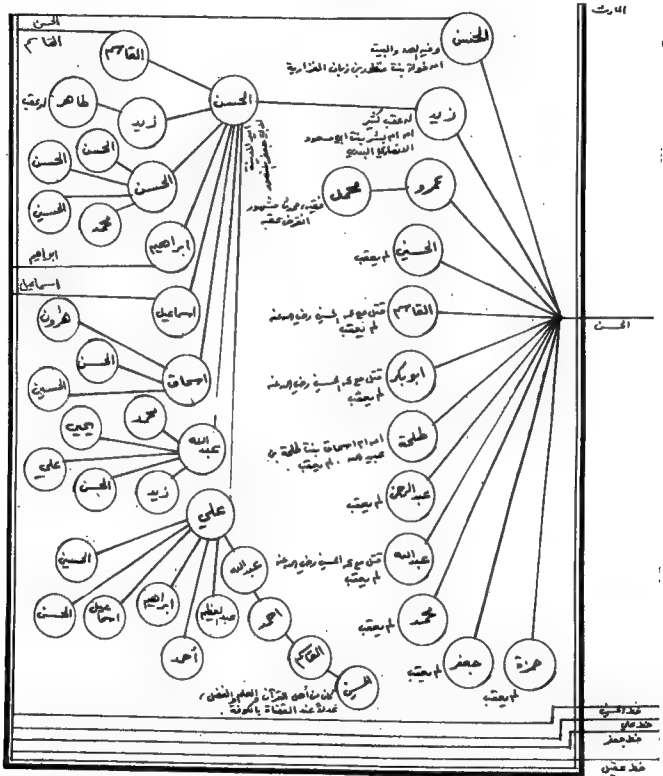
ومن مكارمه رضي الله عنه :

أنه لما مات الحسن مسموماً سأله أخوه الحسين ليخبره عن من فعل به هذا فلم يخبره وقال إن كان الذي أظن قاله أشد بأساً وأشد تنكيلاً وإن كان غير ذلك فلا يؤخذ بي يريء وتولى بالمدينة خامس ربيع الأول سنة خمسين ودفن بالقيع ولما توفي رضي الله عنه ارتجت المدينة صباحاً فلا تلقى إلا باكياً وقام أبو هريرة في مسجد المصطفى ﷺ ويكي ونادي بأعلى صوته يا أيها الناس مات اليوم حب رسول الله ﷺ وابنه فابكوه وعن أنس بن مالك قال شهدنا يوم مات الحسن ودفناه بالقيع ولو طرحت إبرة ما وقعت إلا على إنسان .

ولما حضرته الوفاة قال أخرجوا فراشي إلى الصحن فأخرجوه فقال اللهم إني أحسب نفسي عندك فإنها أعز الأنفس علي ثم قال للحسين ادفنوني عند أبي يعنى المصطفى ﷺ ولكن الناس سراع إلى الفتنة فإن خفت فتنة فلا تسفكوا دماً فادفوني في مقابر المسلمين . ثم قال للحسين : يا أباي إن أبائك استشفوا لهذا الأثر (الخلافة) فصرفه الله عنهم ووليها أبو بكر عمره كله ، فلما مات استشف إليها فصرفت عنه إلى عمر ، ثم لم يشك وقت الشورى لا تعدوه فصرفت عنه فوليها عثمان ، ثم لما قتل بوقع أبيك ثم توزع الأثر حتى جرد السيف فما صفت له . وإني والله ما أرى أن يجمع الله فينا آل البيت بين النبوة والخلافة فلا يستخفك سفهاء الكوفة .

فلما توفي انتهى الحسين إلى قبر النبي ﷺ وقال احضروا ههنا فتمعه سعيد بن العاص فجعل عبد الله بن جعفر يقول للحسين يا ابن عم أُم تسمع إلى عهد أخيك أذكرك بالله أن لا تسفك الدماء وادفن أخاك إلى جنب أمه فإنه عهد إليك بذلك فأخذ الحسين بذلك وفعل وهو مجتهد مثاب وإلى الله المآب (منهل الصفا / ٦٢ - ٦٤) .

رحب رسول الله ﷺ للحسن والحسين معروف مشهور



قال ابن عتبة :

وولد أبو محمد الحسن - في رواية شيخ الشرف العيلى -
سنة عشر ولدا منهم خمس بنات وأحد عشر ذكرا ، هم زيد
والحسن المثنى والحسين وطلحة وإسماعيل وعبد الله وحزمة
ويعقوب وعبد الرحمن وأبو بكر وعمر . وقال الموضع
النسابة : عبد الله هو أبو بكر . وزاد (القاسم) وهي زيادة
صحيحة .

وأما البنات فهن أم الحسين (الخير) رمله ، وأم الحسن
وفاطمة وأم سلمة وأم عبد الله [كذا] وزاد « الموضع » رقية
فهن في روايته ست بنات ، وجملة أولاده في روايته سبعة عشر
وقال أبو نصر البخاري : أولاد الحسن بن علي ثلاثة عشر ذكرا
وست بنات . أمقب من ولد الحسن أربعة زيد ، والحسن ،
والحسين الأكرم ، وعمر إلا أن الحسين الأكرم وعمر انقرضا
سريعا وبقي عقب الحسن من رجلين لا غير زيد والحسن
المثنى فعقب الحسين الثنا عشر سبطا ستة من ولد الحسن
رضي الله عنه وستة من ولد الحسين رضي الله عنه وقد روى عن
رسوله الله صلوات الله عليه أنه قال : « سيكون من ولدي عدد
نقابة بني إسرائيل » ونظم ذلك بعض الشعراء فقال :

لموسى بلا عقب وأحمد مقب

ونصايك بسالعقب الأكرام الأعظم

لستة أسباط الحسين ، وستة

من الحسن الهادي ، وكل لفاطم

(عدة الطالع / ٦٨ ، ٦٩) .

وقال الشيخ سيد الشبلنجي عن وفاته وأولاده :

توفي لخمس خلون من شهر ربيع الأول سنة خمسين وقيل
تسع وأربعين وقيل غير ذلك من الهجرة وصلى عليه سعيد بن
العباس فإنه كان واليا يومئذ بالمدينة من جهة معاوية ودفن
بالبقع عند جدته فاطمة بنت أمد وكان عمره سبعا وأربعين
سنة وكانت مدة خلافته منهم ستة أشهر وخمسة أيام وأما
أولاده فقال ابن الخشاب أحد عشر ابنا وبنت واحدة وهم عبد
الله والقاسم والحسن وزيد وعمر وعبد الله وعبد الرحمن
وأحمد وإسماعيل والحسين وعقيل والبت اسمها فاطمة

وكنيتها أم الحسن وهي أم محمد الباقر بن علي وقال الشيخ
أبو عبد الله محمد بن النعمان في الإرشاد أولاد الحسن بن
علي رضي الله عنهم خمسة عشر ولدا ما بين ذكر وأنثى وهم
زيد وأختاه أم الحسن وأم الحسين أمهم أم بشر بنت أبي
مسعود عقبة بن عمرو بن ثعلبة الخزرجية والحسن وأمه خولة
بنت منصور الفزارية وعمر وأخوه القاسم وعبد الله أمهم أم ولد
وأمشهدوا ثلاثتهم بين يدي عمهم الحسين بن علي بطف
كربلاء وعبد الرحمن أمه أم ولد والحسين الملقب بالأكرم
وأخوه طلحة وأخته فاطمة أمهم أم إسحاق بنت طلحة بن عبد
الله وأم عبد الله وفاطمة وأم سلمة ورقية بنات الحسن لأمهات
أولاد شتى : قال الشيخ كمال الدين بن طلحة لم يكن لأحد
من أولاد الحسن عقب غير اثنين وهما الحسن وزيد .

ويقول الشيخ الشبلنجي رحمه الله عن أخلاق الحسن
رضي الله عنه وكلامه ومروياته وكتابه ومناقبه بادئا بتبهيي :
الأول : قيل للحسن رضي الله عنه : لأي شيء تراك لا ترد

سائلا وإن كنت على فاقة فقال إني لله سائل وفيه رغب وأنا
أستحي أن أكون سائلا وأرد سائلا وإن الله تعالى عودني عادة
عودني أن يفيض نعمه على وعودته أن أفيض نعمه على الناس
فأخشى إن قطعت العادة بمنعني المادة وأنشد يقول :

إذا ما أتاني مسائل قلت مرحبا

بمن فضله فسرر على معجل

ومن فضله فضل على كل فاضل

والفضل أرسام الفتى حين يشل

الثاني : كان ذات يوم جالسا فأتاه رجل وسأله أن يعطيه
شيئا من الصدقة ولم يكن عنده ما يسد به رمقه فاستحيا أن
يرده فقال ألا أدلك على شيء يحصل لك منه البر فقال ماذا
تلتي عليه فقال اذهب إلى الخليفة فإن ابنته توفيت وانقطع
عليها وما سمع من أحد تعزية فانهز بهذه التعزية يحصل لك
بها الخير فقال حفظني إياها قال قل له الحمد لله الذي سترها
بجلوسك على قبرها ولا تنهكها بجلوسها على قبرك فذهب إلى
الخليفة وعزاه بهذه التعزية فسمعها فذهب عنه الحزن فأمر له
بجائزة وقال له بالله عليك أكلامك هذا قال لا بل كلام فلان

١٧٢٧ وخلصوا طاعته وانصرفوا
عن الميصر ممسه ووقفوا
١٧٢٨ جينا عن القبراب والطمان
والضيم لا يسلطع بالجبان
١٧٢٩ فبلغ الأمر إلى ابن حرب
وكان من ميسره في كسرب
١٧٣٠ فأرسل الرسل إليه يعلمه
بأنه يحفظه ويكرمه
١٧٣١ ويتنهي من حقه ما يحمله
لخونه من أمره يستعطفه
١٧٣٢ فحمد الله على الأمان
لما تمسك القوم في العصبان
١٧٣٣ وصار للأمر السلي قد ينكره
إذ لم يجده من قومه من ينصره
١٧٣٤ وسلموا إلى ابن هند أمرهم
وسرهم من أمره ما ضرهم
١٧٣٥ فأنفرد الحسن مع أصحابه
وكلهم من أمره لمأبسه
١٧٣٦ فاجتمعوا بأسرهم إليه
وعرضوا أنفسهم عليه
١٧٣٧ وهم لليل في كثير الجبل
فلم يسر اعتصمهم للقتل
١٧٣٨ وسار سيرة الوصي الفاضل
أيبه في أصحابه القلائل
١٧٣٩ وصادت الطاعة في استار
منهم له خوفنا من الأشرار
١٧٤٠ فلم يبزل وهو لهم إمام
لو أظهر القيام فيهم قاموا
١٧٤١ قد نصبوه في استار رأسا
يدعون في السر إليه النسا

فقال صدقت فإنه معدن الكلام القصيح وأمر له بجائزة أخرى
كذا في الكنز المدفون ...

ومروياته من الأحاديث ثلاثة عشر حديثا، هكذا في
المسامرات، وكاتبه عبد الله بن أبي رافع .

وقد أورد القاضي النعمان في أرجوزته الموسومة بالأرجوزة
المختارة، قصة تولي الحسن بن علي رضي الله عنه الخلافة،
ثم خلع نفسه، ثم وفاته مسموما (كما ذكرت معظم
المصادر)، ونقل لك هذا الجزء من الأرجوزة فيما يلي، مع
ملاحظة أننا قد احتفظنا بأرقام الآيات كما وردت في النص .
يقول الناظم :

١٧١٧ وكنان قد أوصى على إذ ظعن
بالناس فيما روى إلى الحسن
١٧١٨ فقام بالأمر على التقدّم
من بمسسه، وقتل ابن ملجم
١٧١٩ ويبيع الناس له بالكوفة
فصل فيهم ملة ممروروه
١٧٢٠ ثم دعى الناس إلى الميصر
إلى ابن هند وإلى التميمير
١٧٢١ لحريه وقلّم ابن سعد
قيسا قسار نحسوه في جند
١٧٢٢ حتى إذا ولي ابن سعد تبعه
بنفسه قبل ومن كنان معه
١٧٢٣ حتى إذا انتهى إلى المملاك
قام عليه كل غاو غائن
١٧٢٤ من جمع أهل الكوفة الأراذل
فتك القوم بسبه عن عاجل
١٧٢٥ وطعنوه قبل في وركيه
واتنزعوا البرداه عن كفيه
١٧٢٦ وجلبوا باطه من تحته
وأظهروا عصينائه في وقته

١٧٤٢ وكان قد أوصى إلى أخيه

دون بنينه وينى أبيه

١٧٤٣ أعتى للحسين وهو وإلى عهد

وهو إمام قومه من بعده

١٧٤٤ صرف فاك كل من قد تابعه

وكل من شايه وشايه

١٧٤٥ فلم يزل وأمره معنى

حتى إذا انتهى إليه سببا

١٧٤٦ فمات صلي منزل الأيات

عليه في المحيا وفي الممات

(الأعلام للزركلي ٢ / ١٩٩ ، ٢٠٠ ، تهذيب الأسماء واللغات

للإمام النووي ١ / ١٥٨ - ١٦٠ ، وتاريخ الخلفاء للإمام الحافظ جلال

الدين عبد الرحمن السيوطي - تحقيق محمد محي الدين عبد الجيد /

١٨٨ - ١٩١ ، ٥١٧ ، ومناظر الأبرار للشيخ الأكبر محي الدين بن

عربي ١ / ٣٩٠ ، ١٠٢ ، وتهيل الصفا في تحقيق الروا والرد لأبي

المصطفى - السيد محمود أبو الفتح المنوفي / ٦٢ - ٦٤ ، وصدة

الطالب في أنساب آل أبي طالب للنسابة الشهر السيد جمال الدين أحمد

ابن علي الحسني المعروف بابن عتبة / ٦٨ ، ٦٩ ، ونور الأبرار للشيخ

سيد الشبلنجي / ١٢٣ ، ١٢٤ ، والأجزاء المختارة للقاضي التتيمان -

تحقيق وتعليق إسماعيل فريان حسين يونانوالا / ١٧٨ - ١٨٠) .

انظر أيضا الرياض المستطابة للإمام يحيى بن أبي بكر العامري

اليمنى / ٢٩٠ - ٣٠٥) .

• الحسن بن محمد ابن الصنفية (— ١٠٠ أو ٩٩ هـ) :

الحسن بن محمد ابن الصنفية مذكور في المختصر في

المتعة هو أبو محمد الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب

رضي الله عنهم القرشي الهاشمي المدني التابعي مسم سلمة

ابن الأكوع وجابر بن عبد الله الصالحين وسمع أبيه وغيره من

التابعين روى عنه عمرو بن دينار والزهرى وآخرون واتفقوا على

توثيقه روى له البخارى ومسلم . توفى سنة مائة أو تسع

وتسعين رحمه الله .

(تهذيب الأسماء واللغات للإمام محي الدين بن شرف النووي ١ / ١٦٠) .

• الحسن بن مسعود اليوسى (— ١١١١ هـ / ١٧٠٠ م) :

نسبه وشيوخه وتلاميذه :

الحسن بن مسعود اليوسى الملقب بنور الدين المكنى

بأبي علي الفقيه المتأدب صدر مشايخ المغرب على الإطلاق

أخذ عن الشيخ محمد بن ناصر وعبد الملك التجميعوني

وعبد القادر الفاسى وجماعة وأخذ عنه ما لا يحصى كثرة منهم

أحمد بن مبارك وأبو سالم العياشى وأبو الحسن النورى وأبو

عبد الله التازى تولى التدريس بفاس .

مصنفاته ووفاته :

ألف تآليف كثيرة منها زهر الأكم في الأشكال والحكم ،

وحاشية على شرح السنوسى ، وقانون أحكام العلم

والمحاضرات وله في الأصول الكوكب الساطع في شرح جمع

الجوامع لم يتمه ، وله تقييد رد فيه على القرافي في تقسيم كلام

الله إلى قديم وحادث .

توفى بفاس سنة ١١١١ هـ واليوسى نسبة إلى بنى يوس من

قبائل البربر .

(فتح المبين في طبقات الأضرابين - الشيخ عبد الله مصطفي

المراعى ٣ / ١١٨) .

• الحسن بن مسلم :

الحسن بن مسلم مذكور في المختصر في عدة الرجعة هو

الحسن بن مسلم بن يثاق بمثقة تحت مفتوحة ثم نون مشددة

ثم ألف ثم قاف المكى سمع طاووسا ومجاهدا وسعيد بن

جبير وغيرهم . وروى عنه حميد الطويل وعمر بن مرة

والحكم وسليمان التيمي وهؤلاء تابعيون وليس هو تابعيا وهذا

من رواية الكبار عن الصغار وروى عنه أيضا ابن جريج وغيره

من المتأخرين واتفقوا على توثيقه روى له البخارى ومسلم

توفى قبل أبيه مسلم وقبل طاووس .

(تهذيب الأسماء واللغات للإمام محي الدين بن شرف النووي ١ /

١٦١) .

• حسن البنا (١٣٢٤ - ١٣٦٨ هـ / ١٩٠٦ - ١٩٤٩ م) :

هو حسن بن أحمد بن عبد الرحمن البنا ، مؤسس جمعية

« الإخوان المسلمون » بمصر وصاحب دعوتهم ، ومنظم

جماعتهم (الأعلام ٢ / ١٨٣) .

أنفسهم باسم المسلمين ، فقالوا نحن « إخوان مسلمون » .
(الموسوعة الحركية م ١ / ٥٣ ، ٥٤) وكان ذلك في
شهر ذي القعدة سنة ١٣٢٧ هـ / إبريل ١٩٢٨ م (الموسوعة
الميسرة / ٢٣) واختار لنفسه لقب « المرشد العام » .
(الأعلام / ٢ / ١٨٤) .

و « الإخوان المسلمون » هي كبرى الحركات الإسلامية
المعاصرة ، نالت بالرجوع إلى الإسلام كما هو في الكتاب
والسنة ، داعية إلى تطبيق الشريعة الإسلامية في واقع الحياة ،
وقد وقفت متصدية لمواجهة المد العلماني في المنطقة العربية
والإسلامية (الموسوعة الميسرة / ٢٣) .

وقد بدأت الدعوة في الإسماعيلية فأقاموا بها أول دار
للإخوان « وبأديرا إلى إعلان الدعوة » بـ « بالندرس
والمحاضرات والنشرات ، وانفردوا بزيارة المدن الأخرى .
ثم كان يوجه بعض ثقافته في رحلات . فلما عزم أن أصبح له
في كل بلد سمي إليه دار ، و « دار الإسماعيلية » مركز قيادة
الدعوة . ولم يقتصر على دعوة الرجال ، فأنشأ في
الإسماعيلية « معهد أمهات المسلمين » لتربية البنات تربية
دينية صالحة ، ونقل « مدرسا » إلى القاهرة في عام ١٩٣٢
فانتقل معه « المركز العام ومقر القيادة » ولقي فيها إقبالا على
دعوته وعظم أمر « الإخوان » ونماز عدد منهم نصف مليون .

وكان الأستاذ حسن البنا يعرف الإسلام في إحدى خطبه
الكثيرة ، بأنه « عقيدة وعبادة ووطن وجنسية وسماحة وقوة
وخلق ومادة وثقافة وقانون » وأنشأ بالقاهرة جريدة « الإخوان
المسلمين » يومية فكانت منبره الكتابي إلى جانب منابر
الخطابية (الأعلام / ٢ / ١٨٤) .

ففي عام ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٣ م تم إصدار جريدة « الإخوان
المسلمون » الأسبوعية واعتبر الأستاذ محب الدين الخطيب
(١٣٠٣ - ١٣٨٩ هـ) (١٨٨٦ - ١٩٦٩ م) مديرا لها ثم
صدرت التنوير في ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م ، ثم الشهاب ١٣٦٧ هـ
١٩٤٧ م ... وتنازل المجلات والمجلات الإخوانية .

ثم تكونت أول هيئة تأسيسية للحركة عام ١٩٤١ م من مائة
عضو اختارهم الأستاذ البنا بنفسه .

ولد حسن البنا في المحمودية بمصر في ١٧ تشرين الأول
سنة ١٩٠٦ ميلادية ١٣٢٤ هجرية ، ونشأ في بيت عريق في
العلم والدين . كان والده عالما في الحديث ، وله مصنفات
كثيرة في هذا الباب (أوردنا له مادة بعنوان « أحمد عبد الرحمن
البنا » في م ٢ / ٦٧٤ - ٦٧٨ فانظرها في موضعها) وكان منذ
الصغر يداوم على قيام الليل وصيام الاثنين والخميس ،
وحفظ نصف القرآن صغيرا ، ثم أتته عندما بلغ الحلم . وقد
ألف وهو طالب جمعية في المدرسة أسماها جمعية محاربة
المنكرات .

وتخرج من الثانوية ، وكان ترتيبه الخامس بين جميع
طلبة مصر . ودخل دار العلوم . وتقدم لامتحانها النهائي
يحفظ ١٨ ألف بيت شعر ومثلها من الأثر . وتخرج من دار
العلوم عام ١٩٢٧ بتفوق لا نظير له ، إذ كان الأول في دار
العلوم .

تمين البنا مدرسا في إحدى مدارس الإسماعيلية حيث
تجشم القوات البريطانية ولا يبدو على الإسماعيلية سوى الطراز
الأوروبي . فكانت هي من أحياء لندن . ومعظم أهلها عمال
مع شركة السويس البريطانية .

كان البنا يرى الإنجليز وقد أخذوا الشعب المصري .
ويشاهد العمال كأنهم حبيد لهم .

ويرى الإباحية والفساد والتحلل يستشري في العالم
الإسلامي وبخاصة بعد إسقاط الخلافة على يد أتاتورك سنة
١٩٢٤ ويرى الغربيين جادين في اجتثاث الإسلام من جلوه
وإقصائه من الوجود والشهود . يرى هذا كله فتمزق أحشائه
كمدا . ويلوب قلبه أسى ، ويحدث البنا عن هذه الفترة
فيقول :

(يعلم الله كم من الليالي كنا نقضيها : نستعرض حال
الأمم ، وما وصلت إليه في مختلف مظاهر حياتها ، وتحلل
العلل والأدواء ، ونفكر في العلاج وحسم الداء ، ويفيض بنا
التأثر لما وصلنا إليه إلى حد البكاء) واتصل البنا ببعض من
توسم فيهم الخير . وتعاهد هو وخمسة منهم على تكوين نواة
العمل الإسلامي . وحتى لا يخرجوا باسم جديد فقد صموا

حسن البنا في عام ١٩٥٠ م اختير الأستاذ حسن الهضيبي (١٣٠٦ أو ١٣٠٨ - ١٣٩٣ هـ) (١٨٩١ - ١٩٧٣ م)، مرشدا للإخوان، وهو واحد من كبار رجال القضاء المصري، وقد اعتقل عددا من المرات، وصدر ضده عام ١٩٥٤ م حكم بالإعدام ثم خفف إلى المؤبد، وأفرج عنه آخر مرة سنة ١٩٧١ م.

ويعد وفاة الأستاذ الهضيبي اختير عمر التلمساني (١٩٠٤ - ١٩٨٦ م) مرشدا عاما، وسلك بالإخوان طريقا ينجبهم المصادمات مع الحكومات، وكرر دائما أن الدعوة ينبغي أن تعمل بالحكمة وأن تبتذ العنف والتطرف.

ويعد وفاة الأستاذ التلمساني اختير محمد حامد أبو النصر مرشدا عاما، وسار على طريقة الأستاذ التلمساني وأسلوبه. وهناك عدد من الشخصيات الإخوانية التي ظهرت خارج مصر نذكر منها:

١ - الشيخ محمد محمود الصواف والذي كان مؤسسا ومراقبا عاما للإخوان المسلمين في العراق، له عدد من المؤلفات، وقد كان له دور نشط في نشر الإسلام في إفريقيا بعد هجرته من العراق سنة ١٩٥٩ م واستقراره في مكة المكرمة.

٢ - الدكتور مصطفى السباعي (١٣٣٤ - ١٣٨٤ هـ) (١٩١٥ - ١٩٦٤ م) أول مراقب عام للإخوان المسلمين في سوريا، تال درجة الدكتوراه من كلية الشريعة بالأزهر عام ١٩٤٩ م، قاد كتاب الإخوان إلى فلسطين سنة ١٩٤٨ م كما رشع نفسه نابا عن دمشق عام ١٩٤٩ م، كان خطيبا مفوها لا يبارى، أسس كلية الشريعة بدمشق عام ١٩٥٤ م وكان أول عميد لها، له العديد من المؤلفات منها «السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي»، «المرأة بين الفقه والقانون»، «قانون الأحوال الشخصية».

٣ - تأسست جماعة الإخوان المسلمين في الأردن بتاريخ ١٣ رمضان ١٣٦٤ هـ الموافق ١٩٤٥/١١/١٩ م وكان أول رئيس لها الشيخ عبد اللطيف أبو قرة الذي قاد كتبية الإخوان في الأردن إلى فلسطين سنة ١٩٤٨ م.

وقد شارك الإخوان في حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ حيث دخلوا بقوات خاصة بهم وشاهدت ربي فلسطين وجبالها نماذج فريدة مما شاهدتها من قبل - أناسا يحيون الموت على الحياة، ولقنا اليهود دروسا قاسية، وذاقوا منهم الولايات، (الموسوعة الميسرة / ٢٤، والموسوعة الحركية / ٥٤).

وقد سجل ذلك بالتفصيل الأستاذ كامل الشريف في كتابه «الإخوان المسلمون في حرب فلسطين».

وفي ٨ نوفمبر ١٩٤٨ م أصغر محمود فهمي النقراشي رئيس الوزراء المصري آنذاك قراره بحل جماعة الإخوان المسلمين ومصادرة أموالها واعتقال أبرز قياداتها.

وفي ديسمبر ١٩٤٨ م أختيل النقراشي وأتهم الإخوان بقتله (الموسوعة الميسرة / ٢٤).

ولم يمض وقت طويل حتى تصدى له ثلاثة أشخاص وهو أمام مركز «جمعية الشبان المسلمين» في القاهرة، ليلا، في ١٢ فبراير ١٩٤٩ م (١٣٦٨ هـ).

فاطلقوا عليه رصاصهم وفروا فجرح البنا ونقل إلى المستشفى لإسعافه ولم يجد من يضمد جراحه، فتوفي بعد ساعات (الألام / ٢ / ١٨٤).

لقد كان الشيخ حسن البنا رحمه الله خطيبا فياضا، ينحو منحي الوعظ والإرشاد في خطبه، وتلدور آيات القرآن الكريم على لسانه، منظما، يعلم في هدوء، ويبنى في اطمئنان. له مذكرات نشرت بعد وفاته باسم «مذكرات الدعوة والداعية» (الألام / ٢ / ١٨٤) ومن آثاره أيضا: أحاديث الجمعة، المأثورات، مجموعة الرسائل وهي: دعوتنا إلى أي شيء ندعو الناس، نحو النور، المؤتمر الخامس، إلى الشباب، الإخوان تحت راية القرآن، دعوتنا في طور جديد، بين الأسس واليوم، رسالة الجهاد رسالة التلاميذ، نظام الأسر، العقائد، نظام الحكم، النظام الاقتصادي (الموسوعة الحركية / ٥٧) وكتب في سيرته «روح وريحان من حيلة داع ودعوة»، مطبوع، لأحمد أنس المهاجى (الألام / ٢ / ١٨٤).

أما عن جمعية «الإخوان المسلمون» بعد استشهاد الشيخ

- في ٢٦ / ١١ / ١٩٥٣ م انتخب الأستاذ محمد عبد الرحمن خليفة المولود عام ١٩١٩ م مراقبا عاما للإخوان بالأردن وهو يحمل ثلاث شهادات علمية .
- الأفكار والمعتقدات :
- يتصف فهم الإخوان للإسلام بالشمولية وعلم التصاره على جانب دون جانب آخر .
- حرص الإخوان على توسيع دائرة عملهم حتى تكون حركتهم عالمية .
- يقول حسن البنا عن هذه الدعوة « إن الإخوان المسلمين دعوة سلفية ، وطريقة سنية ، وحقيقة صوفية ، وهيشة سياسية ، وجماعة رياضية ، ورابطة علمية وثقافية ، وشركة اقتصادية ، وفكرة اجتماعية » .
- يؤكد البنا بأن سمات حركة الإخوان هي :
- ١ - البعد عن مواطن الخلاف .
 - ٢ - البعد عن هيمنة الأعيان والكبراء .
 - ٣ - البعد عن الأحزاب والهيئات .
 - ٤ - العناية بالتكوين والتدرج في الخطوات .
 - ٥ - إظهار الناحية العملية الاجتماعية على الدعاية والإعلانات .
 - ٦ - شدة الإقبال من الشباب .
 - ٧ - سرعة الانتشار في القرى والبلاد .
- ويذكر أن أخص خصائص الإخوان هي :
- أنها ريانية : لأن الأساس الذي تدور عليه أهدافنا أن يتقرب الناس إلى ربهم .
 - وأنها عالمية : لأنها موجهة إلى الناس كافة لأن الناس في حكمها إخوة أسلمهم واحد وأبوهم واحد ونسبهم واحد ، لا يتفاضلون إلا بالتقوى وبما يقدم أحدهم للمجموع من غير سابع وفضل شامل .
 - وأنها إسلامية : لأنها تنتسب إلى الإسلام .
- ويقرر الأستاذ البنا أن مراتب العمل المطلوبة من الأخ الصادق هي :
- ١ - إصلاح نفسه حتى يكون قوى الجسم ، متين الخلق ،
- متقف الفكر ، قادرا على الكسب ، سليم العقيدة ، صحيح العبادة .
- ٢ - وتكوين البيت المسلم بأن يحمل أهله على احترام فكرته والمحافظة على آداب الإسلام في كل مظاهر الحياة المنزلية .
- ٣ - إرشاد المجتمع بنشر دعوة الخير فيه ومحاربة الرذائل والمنكرات .
- ٤ - تحرير الوطن بتخليصه من كل سلطان أجنبي غير إسلامي ، سياسي أو اقتصادي أو روحى ...
- يقسم الأستاذ البنا مراحل الدعوة إلى ثلاث :
- ١ - التعريف .
 - ٢ - التكوين .
 - ٣ - التنفيذ .
- يقول الأستاذ البنا في رسالة التعاليم : « أركان بعثتنا عشر فاحفظوها : الفهم ، والإخلاص ، والعمل ، والجهاد ، والتضحية ، والبات ، والتجرد ، والأخوة ، والثقة » ثم يأخذ في شرح كل ركن من هذه الأركان ثم يقول بعدها :
- « أيها الأخ الصادق : هذا مجمل لدعوتك وبيان موجز لفكرتك ، وتستطيع أن تجمع هذه المبادئ في خمس كلمات : الله غايتنا ، والرسول قدوتنا ، والقرآن شرعنا ، والجهاد سبلنا ، والشهادة أمانتنا . وأن تجمع مظاهرها في خمس كلمات أخرى : البساطة ، والتلاوة ، والصلاة ، والجندي ، والخلق » .
- شعار الإخوان : سيفان متقاطعان يحيطان بمصهف شريف ، واللفظة القرآنية ﴿ وأعدوا ﴾ وثلاث كلمات هي : حق ، قوة ، حرية .
- المجذور الفكرية والعقائدية :
- أخذ الإخوان عن الدعوة السلفية التأكيد على ضرورة البحث عن السبيل وأهمية العودة إلى المنبعين الرئيسيين الكتاب والسنة والتحرز من كل نوع من أنواع الشرك وصولا إلى كمال التوحيد .

• حسن البيان :

من أنواع البديع المعنوي . يقول السيوطي :
حسن البيان زاده المصباح وذكره أصحاب البديعيات تبعاً
له قال : وهو كشف المعنى وإيصاله إلى النفس بسهولة قال :
ويكون مع الإيجاز والإطناب . قال في الإيضاح : وهذا
تخليط لأنه وظيفة علم البيان محسن ذاتي والبديع وظيفته
البحث عن المحسن الخارجي .
(شرح عقود الجمان / ١٤٠) .

(أفاد منه ابن أبي الإصيص وأوردته بين أبواب البديع في
كتابه « بدائع القرآن » معتمداً فيما يبدو على ما قاله الروائي في
النكت) .

قال ابن أبي الإصيص (بدائع القرآن ٧٤ - ب) :

« حسن البيان إما أن يكون بالأسماء والصفات المفردة
وإما بهما مؤتلفة ، ودلالة الأولى متناهية ودلالة الثانية غير
متناهية ... غير أن البيان فيه الأتبع والأحسن ، والوسائط بين
هذين الطرفين ، فالأصح كبيان « باقل » وقد سئل عن ثمن
ظلي كان معه ، فأراد أن يقول أحد عشر ، فأدركه العي ففرق
أصابع يديه وأطلع لسانه ، فأفلت الظلي . وهذا أتبع بيان مع
أنه قد بالغ في الإفهام ، لكونه أخرج تعريف العدد من السماع
إلى العيان ، لكنه بيان ناقص لتخصيص البصر دون السمع ،
وصناعة البيان يجب أن يكون المستحسن منها ما يختص
بالسمع فلأنها مختصة بالكلام والعبارة دون الإشارة ... وبيان
الكتاب العزيز وكل بيان بليغ فصيح من الأحسن دون الأتبع
ودون الوسائط البعيدة من البلاغة والقرينة ، وكل طبقة من
هذه الطبقات الثلاث ينقسم أيضاً ثلاثة أقسام : أحسن وأتبع
وأوسط بالنسبة .

حقيقة حسن البيان إخراج المعنى في أحسن الصور
الموضحة له ، وإيصاله إلى فهم المخاطب بأقرب الطرق
وأسهلها . فإنه عين البلاغة . وقد تأتى العبارة عنه عن طريق
الإيجاز ، وقد تأتى عن طريق الإطناب بحسب ما يقتضيه
الحال ، والإطناب بلاغة والإسهاب عي ... وقد أتى بيان
الكتاب العزيز من الطرفين ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ كم

تأثرت دعوتهم ببصيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب
والدعوة السنوية ودعوة السيد رشيد رضا وأغلب هذه
الدعوات امتداد لمدرسة ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ هـ -
١٣٢٨ م والمستمدة من مدرسة أحمد بن حنبل رحمه الله
تعالى .

— أخذ الإخوان عن المتصوف ما فيه من دعوة إلى تربية
النفس وتهذيبها والرقى بها على ما كان عليه أوائل المتصوفة
من صحة في العقيدة وترك ونبد للبدع والشطحات والاستكانة
والسلبية .

— لقد جمع البنا المفاهيم السابقة في دعوته وأضاف إليها
ما فرضته عليه ظروف العصر والبيئة من وقوف أمام التيارات
التي أخذت تسرى في مصر بخاصة وفي المنطقة بعمامة .

الانتشار ومواقع النفوذ :

— بدأت الحركة في الإسماعيلية ثم انتقلت إلى القاهرة
ومنها إلى معظم بلاد وقرى مصر ، وقد بلغ عدد شعب
الإخوان في أواخر الأربعينات في مصر (٣٠٠٠) شعبة
ضمت أعداداً كبيرة من الأعضاء .

— انتقلت الحركة إلى الأقطار العربية وصار لها وجود قوي
في سوريا وفلسطين والأردن ولبنان والعراق واليمن والسودان
وغربها ... كما أن لها أتباعاً في معظم أنحاء العالم اليم .

(الموسوعة الميسرة / ٢٣-٢٩) .

(الإسلام للسزكي ٢ / ١٨٤ وجاء في هاشم (٤١) : عن روح
وريحان وتقوم دار العلوم ٤٧٠ ، والصفحة المصرية ٨ / ١١ / ١٩٤٩ ،
ونظر بها أسماء قاتليه وما عرقبوا به ، ولا سيما جريدة القاهرة ٢ أغسطس
١٩٥٤ وملكرات المؤلف . وفي مصادر الدوا ٢ / ٢٠٩-٢١٧ مراجع
أخرى ترجمته ولما كتب عنه انتهى ما جاء بهامش الإسلام ، والموسوعة
الحركية . تراجم إسلامية من القرن الرابع عشر الهجري - إهداء وجمع
وتحقيق مؤسسة البحوث والدراسات الإسلامية بإشراف صهي يكن .
موسسة الرسالة - بيروت . الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م / ٥٣ -
٥٧ ، والموسوعة الميسرة في الأديان والملاب للمعامرة . التبعة العالمية
للشباب الإسلامي . الرياض ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م / ٢٣-٢٩) .

وسماه الرازي «حسن التعليل» وقال: «هو أن يذكر وصفًا أحدهما لعله الآخر ويكون الغرض ذكرهما جميعاً» (نهاية الإيجاز/ ١١٦) كقول الفاضل:

فإن غدا الفاسدان في صحن وجنتي

فلا غرو منه لم يزل وابلاً يهيم
وقال الحلبي والنويري: «هو أن يدعى لوصف علة مناسبة له باعتبار لطيف وهو أربعة أضرب، لأن الصفة إما ثابتة قصد بيان علته أو غير ثابتة أريد إثباتها» (حسن التوسل/ ٢٢٢، نهاية الأرب/ ٧/ ١١٥).

فالأولى: أن لا يظهر لها في العادة علة كقول المتنبي:

لم يحك قاتلك الحساب وإنما
حمت به فصبيها السرحدات
أو تظهر لها علة كقول المتنبي:

ما به قتل أعصابيه ولكن
يتقى إغلاف ما ترجو السائب
فإن قتل الأعداء في العادة لدفع مضرتهم لا لما ذكره.
الثانية: إما ممكنة كقول مسلم بن الوليد:

يا واثيقا حسنت فينا إسماؤه
نجى حمارك إنساني من الفسوق
فإن استحسان إسائة الواسي ممكن لكن لما خالف الناس فيه جبهه بما ذكر. أو غير ممكنة كقول الشاعر:
لو لم تكن نية الجوزاء خلعت
لما رأيت عليها عقد منطلق

والحق به ما بنى على الشك كقول أبي تمام:
ربما شفت ربح الصبا سرهاضها
إلى المُرزن حتى جادها وهو هاسع
كان الحساب الفرس غيبن تحتها
حيثما فدا ترقى لهم مدافع
وذهب إلى ذلك القزويني في التعريف والتقسيم وإلحاق ما بنى على الشك به (الإيضاح/ ٣١٧، والتلخيص/ ٣٧٥) وتجه شرح تلخيصه والسيوطي والمغني.

تركوا من جنات وعيون * وزروع ومقام كريم * ونعمة كانوا
فيها فاكهين * [الدخان: ٢٥ - ٢٧] وكقوله تعالى: وقد أريد
أن يبين عن السوء: «إن المتبين في مقام أمين» [الدخان: ٥١] وكقوله عز وجل: وقد أريد أن يبين الوعيد: «إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين» [الدخان: ٤٠] وكقوله في الاحتجاج القاطع للمفهم: «وشرب لنا مثلاً ونبيّ خلقه، قال من يحيى العظام وهي رميم قل يُحييها الذي أنشأها أول مرة، وهو بكل خلق عليم» [يس: ٧٨، ٧٩] وكقوله تبارك وتعالى وقد أريد أن يبين عن التحسير: «ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنفسكم في الملك ما تُفتركون» [الزخرف: ٣٩] وكقوله تعالى: «وقد أريد أن يبين عن العدل: «ولو كُذِّبوا لعادوا لِمَا نُفُسُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ» [الأنعام: ٢٨] وأمثال هذه المواضع كثيرة.

«شرح عقود الجمان للمافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي/ ١٤٠، وثلاث رسائل في إحصاء القرآن للرماني والخطابي وهدى القاهر الجرجاني - حققها وعلق عليها الأستاذ محمد خلف أحمد، ود. محمد زغلزل سلام/ ١٩٤).

حسن الترجمان (مكتبة):

من مكاتبات الأمر المقدسية في القلم الشريف أعاده الله ديار إسلام. أمس هذه المكتبة حسن الترجمان الصالح فغنى بجمع كل ما وقع تحت يده من مخطوط ومطبوع حتى بلغ ما جمعه ثلاثة آلاف مجلد بينها تسعمائة مخطوط.

(معاود العلم في بيت المقدس - د. كامل جميل العلي/ ٣٩١)

حسن التعليل:

التعليل: علله بطعام وحديث ونحوهما: شغله بهما، يقال: فلان يُعمل نفسه بتعلة، وتعلل به أي تلهى به.

التعليل هو حسن التعليل، وقد ذكر ابن سنان الاستدلال بالتعليل ولم يفرقه (سر القصاصة/ ٤٣٧). وتحدث عبد القاهر عن التشبيل، ويفهم من كلامه أنه يريد به حسن التعليل فقد قال: «وجملة الحديث الذي أريد بالتخييل ههنا ما ثبت فيه الشاعر أمرًا هو غير ثابت أصلاً ويدهى دعوة لا طريق إلى تحصيلها ويقول قولاً يخدع فيه نفسه» (أسرار البلاغة/ ٢٥٣).

طيبة مسجداً وطهوراً » لأحمد في مستدركه والفضاء عن أنس وقال عنه : حديث صحيح .

الثاني : أن لا يكون التعليل صريحا في اللفظ وإنما يؤخذ من جهة السياق والنظم والمعنى كقول بعض الشعراء ، ولعله مسلم بن الوليد :

يا وليها حسنت من إسماعله

نحس حمارك إنساني من الغسوق

فلقد أبدع فيما قاله وأراد أن الواشي مذموم لا محالة لما يقوله من القبيح لكن العلة في حسن إسماعله وهو أنه يخاف على محبوبته من وشائته فامتنع دمع عينه من أجل الخوف فسلم إنسان عينه من أن يفرق بدموعه لما كان خائفا مذمورا من الوشاية ، فلا وجه لتعليل حسن الوشاة إلا هذا .

وقال الزركشي إن ذكر الشيء معللا أبلغ من ذكره بلا علة لوجهين :

أحدهما : أن العلة المنصوصة قاضية بعموم المعلوم .

الثاني : أن النفوس تنبثق إلى نقل الأحكام المعللة بخلاف غيرها .

وغالب التعليل في القرآن الكريم هو على تقدير جواب سؤال اقتضته الجملة الأولى وهو سؤال عن العلة .

وتختلف نظرة الزركشي عن الآخرين في التعليل فهو يربد التعليل الحقيقي ولذلك يتحدث عن الطرق الدالة على العلة كالتصريح بلفظ الحكم أو الإتيان بـ « كي » أو ذكر المفعول له ، أو الإتيان بـ « أن » وغير ذلك . ويريد البلاغيون به حسن التعليل الذي لا يقوم على علة حقيقية في أغلب الأحيان ، ويبدو أن اتجاه الزركشي لم يؤثر في البلاغيين كثيرا ، فالحموي عاد إلى ما قاله المصري وابن مالك (خزانة الأدب / ٤١٦) غير أن السيوطي أوجز ما قاله الزركشي إيجازا لا يوضح المسألة (متركة ١ / ٣٧٢ ، الإيضاح ٢ / ٧٥) ولعل سبب عودته إلى ذلك اتصال موضوعه بالقرآن الكريم (المعجم ٢ / ٢٩٨ - ٣٠١) .

وهن حسن التعليل جاءت هذه الأبيات في منظومة الشيخ معروف النودهي الموسومة بنهج الربيع في علم البديع وقد

وعقد بعض البلاغيين فصلا باسم « التعليل » ، وقد قال المصري : « هو أن يريد المتكلم ذكر حكم واقع أو متوقع فيقدم قبل ذكره علة وقوعه لكون رتبة العلة أن تقدم على المعلوم » (تحرير التفسير ٣٠٩ وبيع القرآن / ١٠٩) كقوله تعالى : ﴿ لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أعظم عذاب عظيم ﴾ [الأنفال : ٦٨] فسبق الكتاب من الله علة في النجاة من العذاب . ومنه قول الجحزي :

ولسولم تكن ساعطفا لم أكن

أثم الزمان وأشكرو الخطوبيا

فوجود سخط المعلوم هو العلة في شكوى الشاعر الزمان ونقل ابن الأثير الحلبي تعريف المصري والآية الكريمة ، وقال ابن مالك : « التعليل أن تقصد إلى حكم فتراه مستعبدا لكونه قريبا أو عصبيا أو لطيفا أو نحو ذلك فتأتي على سبيل التعطف بصفة مناسبة للتعليل فتدعي كونها علة للحكم لتوهم تحقيقه . فإن إثبات الحكم بذكر علته أروج في العقل من إثباته بمجرد دعواه » (المصباح / ١١٠) .

وذكر العلوي تعريف ابن مالك وقسمه إلى نوعين (الطراز ٣ / ١٣٨) .

الأول : أن يأتي التعليل صريحا إما باللام كقول ابن رشيق يحلل قوله ﷺ : « جعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً » .

فقال في معنى ذلك :

سألت الأرض لسم جعلت مصلى

ولسم كانت لنا طهورا وطيبا

فقلت غير ناطقة لأنى

حسوت لكل إنسان حبيبا

ولقد أحسن في الاستخراج والطف في التعليل ، فلاحظ ما قاله كان ذلك علة في كونها طهورا ومسجدا .

قال المؤلف : الحديث الشريف المذكور أعلاه أخرجه الإمام السيوطي في الجامع الصغير عن أبي هريرة لفلود عن أبي ذر وقال عنه : حديث ضعيف . بيد أن الإمام السيوطي أخرج حديثا آخر يزيد في ألفاظه وهو « جعلت لى كل أرض

رقمنا الآيات لكى يسهل الرجوع إليها وأتبعناها بالشرح .
يقول الناظم :

١ ما يسرقت سحابة وأسبلت

إلا بأن قسدت فرحت إذ ظلمت

٢ من قبل بعث سيد الأنعام

لكللك أسبلت حسن الايتنام

٣ لو لم يفض من كفه الماء غدا

من ورده الشيم رى للصمدا

٤ يستحسن الفساقه صاحب الفنى

لينفى نسواله فيأمننا

٥ ففرا بما قسدت نال من نواله

وكسان يخشى من نهاب ماله

٦ فالفسر إذ أوصله إلى غنى

يعدم لا يفتى غدا مستحنا

٧ للبدن فى مسرته لأعلام

بالاشفاق أنسر انكلام

وإليك شرح الآيات :

البيت ١ : الغريب يورقت : أى لمعت . أسبلت : أى

أمطرت . ظلمت : أى صنعت له ظلا تحميه من الشمس .

المعنى : لم تلمح السحابة وما أمطرت إلا فرحا بكونها فى

يوم من الأيام قد ظلمت الرسول (ﷺ) أى أن سبب البرق

والمطر هو ذلك الفرح .

الشاهد : وجود حسن التعليل القسم الأول منه وهو الذى

يكون الوصف فيه ثابتا خفى العلة وموضع الشاهد قوله (ما

برقت إلا بأن فرحت) ومعلوم أن وصف البريق للسحب ثابت

والعلة فيه خفية حيث لم يعرف فى ذلك الوقت سبب البرق

لذلك علله الناظم بعلة مناسبة غير حقيقية حصل بها تقوية

للمقصود من الممدح وحدث بسببها معنى لطيف وذلك أنه

جعل علة لمعان السحابة بالبرق كونها فرحت بأنها ظلمت

النبي (ﷺ) فأظهرت علامات السرور والفرحة فثبتت

ومعلوم أن هذه العلة ليست هى العلة فى الواقع .

وفيه اقتباس : من قصة ٥ ميسرة ٤ عبد خديجة عندما

ذهب الرسول قبل البعثة إلى الشام وما شاهدته ميسرة من

علامات ومنها تظليل السحابة للرسول فى يوم قافط ، وإلى

هذا أشار الناظم قدام سره فى البيت اللاحق بقوله : من قبل

بعث إلخ .

وهذا زيادة من الناظم على الأصل إذ عبارته لم تحو على

هذا فهو قال : لم تبرق السحب إلا أنها فرحت إذ ظلمته

فأبدت حسن مبتم .

البيت ٣ : الغريب : ورده : الورد بكسر الواو النصيب من

الماء .

الشيم : يفتح الشين وكسر الباء البارد . رى : الرى ضد

المعش . الصدى : المعش الشديد .

المعنى : يقول : لولا أن الماء نبع من بين أصابعه (ﷺ)

ما روى بشربه الأنعام فببركة نبعه من تلك البنان حصل به رى

الظمان .

الشاهد : فيه حسن التعليل النوع الثانى وهو الوصف

الثابت الظاهر العلة وذلك أن العلة الظاهرة فى أن الماء يروى

المعشأن هى ما جعل الله فيه من الرطوبة والبودة المقابلتين

لما فى المعش من اليوسة والحرارة والناظم علل ذلك بعلة

مناسبة غير حقيقية وهى أن ذلك لكون الماء نبع من أصابعه

(ﷺ) وأنت ترى ما فى هذه العلة من اللطف وكثرة الممدح .

البيت ٤ : وفيه اقتباس من حديث نبع الماء من أصابعه

(ﷺ) وهو مشهور .

الغريب : يستحسن : أى يمدح حسنا . الفاقة : الفقر

والحاجة نواله : النوال العطاء . الإعراب : مفعول به

مقدم .

صاحب : فاعل مؤخر . فيأمننا : فاعله مستر لصاحب

الغنى .

البيت ٥ : الإعراب : فقرا : مفعول به ليأمننا فى البيت

السابق .

البيت ٦ : الإعراب : فالفقر : مبتدأ . يدم : الجملة فى

موضع التمت لغنى . غدا : خبر المبتدأ .

المعنى العام للآليات الثلاثة (٦-٤) :

يقول كان الحال في زمن الرسول (ﷺ) أن أي فقير كان يأتي للرسول ويطلب منه عطاءه يصبح غنيا طول حياته ويأمن الفقر طول زمانه فكان الأخفاء الذين كانوا يحرسون على مالهم يتمنون الفقر ليذهبوا للرسول ويطلبوا منه العطاء ليأمنوا الفقر طول حياتهم فعلة استحسناتهم للفقر هي أن الفقر الموصّل إلى الغنى الدائم الغير الفاني يستحسنه كل إنسان .

الشاهد : حسن التعليل من القسم الثالث وهو الوصف الغير الثابت الممكن وموضع الشاهد) يستحسن الفاقة صاحب الغنى (لأن استحسن الفقر ليس صفة ثابتة مع إمكانه وقد علل الناظم استحسن الفقر بأن الغنى خائف على ذهاب ماله فيمتن أن يحصل له الفقر ليسأل النبي (ﷺ) فينال من إحسانه ما يأمن به من الفقر فإذا كان الفقر موصّلا إلى الغنى الذي لا يفنى كان مستحسنا .

البيت ٧ : الغريب : لليدر : اليدر : القمر الممتلئ نورا . في مرآة : أي في منظره يقال امرأة حسنة المرأ والمرأة كما يقال حسنة المنظر والمنظرة . للإصلاح : أي الاختيار ، أثر : يعني به الأثر الذي باليدر وهو السوار الذي يرى فيه . انتلام : الانتلام : مصدر انتلم الشيء إذا انكسر حرفه أي جانبه .

الإعراب : لليدر : خير للمبتدأ مقدم . أثر : مبتدأ مؤخر وهو مضاف وأصل الجملة هكذا لليدر أثر انتلام في مرآة . ليعلمنا بالانشقاق الذي جرى له في زمن الرسول (ﷺ) (الأعمال الكاملة ق ٤ / ٤٢٩-٤٤١) .

(معجم المعطلحات البلاغية وطورها - د. أحمد مطلوب / ٢ / ٢٩٨ - ٣٠١ ، وتلخيص المفتاح لمحمد بن عبد الرحمن قنزي . المطبع في مجسم مهمات المترن ط مصطفى الباني الحلبي / ١٩٧ ، ١٩٨ ، وشرح عقود الجمان للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي / ١٢٥ ، والأعمال الكاملة للنسخ معروف النوردي - دراسة وتحقيق السيد محمود أحمد زملالة . المجموعة البلاغية ق ٤ / ٤٢٩-٤٤١) .

قالت المؤلفة : أوردنا لك التعليل كما جاء في القرآن الكريم وذلك في مادة « التعليل » في م ١٠ / ٢٢ - ٢٦ فانظرها في موضعها .

• حسن التنبه في التشبه :

من مصنفات التراث الإسلامي في التصوف . مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (بمكتبة الأسد (الآن) .

الرقم ٩٠٣٠ .

كتاب كبير في قسمين الأول : فيمن يجب التشبه بهم وفي اكتساب مكارم الأخلاق وذكر فيه جميع الأخلاق الحسنة والثاني : فيما ورد من النهي عن التشبه بهم وذكر مساوئ الأخلاق بحيث لم يدع موضوعا إلا طرقه وذكر محامنه ومساوئه وهو أجمع كتاب في هذا الموضوع .

المؤلف : أبو المكارم نجم الدين محمد بن محمد الغزالي العامري الدمشقي الشافعي المتوفى سنة ١٠٦١ هـ / ١٦٥١ م .

الجزء الأول أوله : الحمد لله الذي يحمده يحسن الابتداء ... أما بعد فيقول العبد ... هذا كتاب كريم تطلعن إليه قلوب الأقياء ...

آخره : باب النهي عن التشبه بفرعون وهو أول من خضب بالسواد . روى الدلمي وابن النجار ... الخط نسخ معتاده الحبير : أسود وبعض كلماته بالأحمر .

اسم الناسخ : المؤلف .

ملاحظات : نسخة قيمة بخط المؤلف مراجعة ومعلّنة عليها ، وعليها تملكات كثيرة .

نسخة ثانية الجزء الأول فقط .

الرقم ٤٥٥٤

أولها : كالسابقة .

آخرها : فائدة ينبغي لمن طلب من الدنيا شيئا من الله تعالى من ولد أو زوجة أو مالا ...

الخط نسخ معتاد الحبير : أسود وبعض كلماته بالأحمر .

ملاحظات : نسخة مراجعة ومقابلة على المؤلف من وقت أسعد باشا والي سورية .

نسخة ثانية الجزء الأول فقط قطعة منه .

الرقم ٨٥٨٥ .

أوله : مخروم عن الإمام الشافعي الرضى قوله لا تقل ...
وروى ابن أبي الدنيا في المصارفة عن أيوب السختياني قال لا
يقبل الرجل حتى تكون فيه خصيلتان العفة عما في أيدي
الناس ...

آخره : نقل ابن عطاء الله في اللطائف عن بعض العارفين
أنه قال : إن لله عبدا كلما اشتبه بظله الوقت كلما قويت أنوار
قلوبهم ...

الخط نسخ معتاد : الحبر : أسود وبعض كلماته
بالأحمر .

ملاحظات : نسخة قيمة بخط المؤلف .

الجزء الثاني فقط :

الرقم ٣٨٩٠ .

يتتبع رسالة بمعارف قائمة لمن طلب من الدنيا شيئا .
آخره : شعر أوله .

رب إن اجتهدي

على كمال الناس

آخر الشعر :

رب حقق رجائي

واجمل بكرك إنسي

الخط نسخ معتاد ، الحبر : أسود وبعض كلماته
بالأحمر .

تاريخ النسخ : ١٠٤١ هـ

نسخة ثالثة تكون الجزء الثاني فقط :

الرقم ٨٥٨٦ .

أوله : أخرج ابن أبي الدنيا في كتاب الإخلاص عن بلال
ابن سعد قال لا تكن وليا لله في الملازمة وعدوا له في السيرة
ومعناه لا تلبس بأوصاف الأولياء ظاهرا ...

آخره : كالسابقة .

الخط نسخ معتاد ، الحبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر .

ملاحظات : نسخة قيمة بخط المؤلف مراجعة

ومصححة .

نسخة رابعة تكون الجزء الثالث .

الرقم ٣٢٧٧ ، أدب ١٠٧ .

أوله : باب التشبه بالنبين صلوات الله وسلامه عليهم
أجمعين .

آخره : شعر أوله :

رب إن اجتهدي

على كمال الناس

آخر السطر :

والحمد لله رب

منازلان طرسي بنفسي

هذا تمام القسم الأول .

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

الجزء الرابع من الكتاب نفسه .

الرقم ٣٢٧٨ ، أدب ١٠٨ .

القسم الثاني من الكتاب في النهي عن التشبه بمن ورد
النهي عن التشبه بهم ... قال تعالى ﴿ وأمرت أن أكون من
المؤمنين ﴾ وأن أقم وجهك للمدين ... ﴿ [يونس : ١٠٤ ،
١٠٥] .

آخره : وقد روى الذهبي في المجالسة عن القاسم بن
محمد ... أنه سمع رجلا يقول : ما أجرا فلان على الله فقال
القاسم : إن ابن آدم أهون وأخف من أن يكون جريتا على
الله ولكن قل ما أقل معرفته بالله وكللك الاحتراز ... أصله
الجهل بالله والجهل بعلمه .

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

الجزء الخامس النسخة نفسها :

الرقم ٣٢٧٩ ، أدب ١٠٩ .

أوله : النهي عن التشبه بفرعون ...

آخره : أخرج الإمام مالك في الموطأ عن عائشة رضى الله

ومراجعة عليه ، وعليها خطه ، ومن رقم ٦١٦ - ٦٢٠ المتقدم تكون نسخة كاملة يقتضها الجزء الأول والثاني ويجب أن تكون من سبعة أجزاء .

مصادر عن الكتاب : المنتخب من فهرس الحديث ص ٣٦٨ ، الأعلام ٧ / ٢٩٢ .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ١١ / ٢٨٨ .

قال واضح الفهرس الأستاذ محمد رياض المالح : بعض نسخ الكتاب : رأيت نسخة كاملة بمجلدين بخط المؤلف مبيته وعليها تعليقات نفيسة وهذه النسخة في مكتبة الأستاذ الفاضل فخر الدين الحسنى حفيد المحدث الأكبر الشيخ بدر الدين الحسنى .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصريف - وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٤١ - ٤٤٧) .

• حسن التوصل إلى صناعة التبرسل :

أحد مخطوطات الأدب في المتحف العراقي وجاء بيسانه كما يلي :
الرقم ٣٢٦٥٦ .

لأبي الشتاء محمود بن سلمان بن فهد بن محمود الحلبي الدمشقي المتوفى سنة ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م .

الأول : (الحمد لله جاعل الإنسان مخبوءاً تحت اللسان ...) .

وضعه المؤلف لمن يرغب تعلم كتابة الإنشاء ، ويشتمل على فن البديع والمكائبات ووصف الحصون والحروب .

نسخة نفيسة ، كتبت بخط النسخ الجيد سنة ٨٩٨ هـ / ١٤٩٢ م .

٣٠٧ ص ١٨،٥ × ١٣،٥ سم ١٧ سم

معجم المؤلفين ١٢ / ١٦٧ ، الأعلام ٧ / ١٧٢ ، فهرس دار الكتب ٣ / ٨٤ (ذكرت وفاة المؤلف في فهرس دار الكتب سنة ٧٧٥ هـ / ١٣٧٣ م) .

طبع أكثر من مرة ، آخرها بتحقيق د. أكرم عثمان ببغداد سنة ١٩٨٠ م .

عنما أن النبي ﷺ قال « أردت أن أنهي عن الغيلة ثم ذكرت أن الروم وفارسا يفعلونه فلا يضرهم » ليس فيه أنه من النبي ﷺ ترك النهي عنها ...

الخط نسخ معتاد ، الحبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر .

الجزء السادس من النسخة نفسها :

الرقم ٣٢٨٠ ، أدب ١١٠ .

يتنبدى : النهي عن التشبه بأهل الجاهلية .

آخره : فإن قلت : ما معنى قوله ﷺ « من سعادة المرأة أن يشبه أباه » أخرجه الحاكم في مناقب الشافعي رضي الله عنه عن أس . قلت : على وجهه الأول أن معناه أن يشبه في الصورة والخلق لثلاث طعن في نسبه ...

والثاني أن يشبه أباه فيما به السعادة من الإيمان ...

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .
اسم النسخ : عبد الرحمن بن محمد بن عماد الدين الغزولي الكاتب .

تاريخ النسخ : سنة ١٠٤١ هـ .

ملاحظات : عليه خط المؤلف وتصحيحه .

الجزء السابع من النسخة نفسها :

الرقم ٣٢٨١ ، أدب ١١١ .

يتنبدى ب : النهي عن التشبه بالبهائم والسباع والطير ...

آخره : وروى سعيد بن منصور في الصلاة وأبو يعلى عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا أراد أن يسلم من صلاته قال : « سبحان ربك رب العزة عما يصفون » الآية ورواه الخطيب في حديثه .

قال مؤلفه : هذا آخر كتاب حسن التتبع .

الخط نسخ معتاد الحبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر .
اسم النسخ : عبد الرحمن بن محمد بن عماد الدين الغزولي الكاتب .

تاريخ النسخ : الخميس ١٤ ربيع الثاني سنة ١٠٤٢ هـ

ملاحظات : نسخة قيمة مقابلة على نسخة المؤلف

من شعب الإيمان حَسَنُ الْخَلْقِ ويدخل فيه كظم الغيظ
ولين الجانب والتواضع لقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خَلْقٍ
عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] وقوله تعالى : ﴿ وَالْكَافِرِينَ الْغَيْظُ
وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران :
١٣٤] .

ولحديث عبد الله بن عمرو في الصحيحين أن رسول الله
ﷺ لم يكن فاحشا ولا متفحشا ؛ وقال : « إن من خياركم
أحسنكم أخلاقا » وفي رواية : « إن من أحكمكم إلى أحسنكم
أخلاقا » .

ولحديث عائشة رضى الله عنها في الصحيحين أيضا أنها
قالت : « ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما
لم يكن إثما فإن كان إثما كان أبعد الناس منه وما انتقم رسول
الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها » .

وبه أنبأنا أبو بكر البيهقي قال : ومعنى حسن الخلق
سلامة النفس نحو الأرق الأحمَد من الأعمال . وقد يكون ذلك
في ذات الله تعالى وقد يكون فيما بين الناس وهو في ذات الله
عز وجل أن يكون العبد منشراح الصدر بأوامر الله تعالى
ونواهيه يفعل ما فرض عليه طيب النفس به سلسا نحوه ويتتهى
صما حُرِّم عليه وأغنيا به غير متفجع منه ويرغب في نوافل
الخير ويترك كثيرا من المباح لوجهه تعالى وتقدم ، إذا رأى
أن تركه أقرب إلى العبودية من فعله مستبشرا لذلك غير فحجر
فنه ولا متمسك به وهو في المعاملات بين الناس أن يكون
سمحا لحقوقه لا يطالب غيره بها ويوفى ما يجب لغيره عليه
منها فإن مرضى ولم يعد أو قدم من مقرر فلم يزد أو سلم فلم
يرد عليه أو ضايف فلم يكرم أو شفع فلم يجب أو أحسن فلم
يشكر أو دخل على قوم فلم يمكن أو تكلم فلم ينصت له أو
استأذن على صديق فلم يردن له أو خطب فلم يزوج أو
استعمل الدين فلم يمهل أو استقص منه فلم ينقص وما
أشبه ذلك ولم يقضب ولم يعاقب ولم يتنكر من حاله حال ،
ولم يستشعر في نفسه أنه قد جفى وأوحش وأنه لا يقابل كل
ذلك إذا وجد السبيل إليه بمثل بل يضمن أنه لا يعتد بشيء من
ذلك ويقابل كلا منه بما هو أحسن وأفضل وأقرب إلى البر

(مخطوطات الأدب في المتحف العراقي - أسامة ناصر القشبي
وتعليقه محمد عباس / ١٤٤ ، ١٤٥ .

انظر أيضا كشف الظنون ١ / ٦٦ وله في العنوان : في صناعة ؛ بلا
من : إلى صناعة ؟ .

توجد منه نسخة في مكتبة الحرم المكي وأخرى في دار
الكتب الوطنية - طهران (مجلة معهد المخطوطات العربية ١ ج ١ ،
ربيعان ١٣٧٤ هـ - مايو ١٩٥٥ / ١٥٥ ، م ٤ ج ١ / ٢٠) .

• حسن جليبي (٨٤٠-٨٨٦ هـ / ١٢٣٩-١٤٨١ م) :

نسبه وشيوخه وتلاميذه :

حسن جليبي بن محمد شاه شمس الدين الفناري الفقيه
الحنفي الأصولي النحوي الباني المفسر ولد سنة ٨٤٠ هـ
ببلاد الروم ونشأ بها واشتغل على ملا فخر الدين وملا طوسي
وملا خسرو حتى برع واشتهر أمره فكان عالما فاضلا جامعا
محققا مدققا نحويا بصيرا بالمعاني والبيان وإقفا على الفروع
والأصول وتفسير القرآن صالحا متدينا وقد حج سنة ٨٧٠ هـ
وقدم القاهرة سنة ٨٨٠ هـ فقرأ معنى اليب في النحو على
رجل مغربي كان خبيراً بنحائها هذا الكتاب وقرأ صحيح
البخاري على بعض تلامذة ابن حجر العسقلاني وعاد إلى
بلاده فنشر العلم وقد تولى التدريس بالمدرسة الحلبية بأدرنة
كما تولى التدريس بمدرسة أنزيق وغيرها .

مصنفاته ووفاته :

من مصنفاته حواشيه على التلويح في الأصول وحواشيه
على شرح التلخيص والمطلوب في علوم البلاغة وحواشيه على
شرح المواقف وحواشيه على تفسير البيهقاري وكلها مملوءة
بالتحقيقات والتدقيقات .

توفي رحمه الله ببروسا سنة ٨٨٦ هـ .

(الفتح المبين في طبقات الأصوليين - الشيخ عبد الله مطلق
المراغي ٣ / ٥٥) .

• الحسن الخالص :

انظر : الحسن العسكري .

• حَسَنُ الْخَلْقِ :

الشعبة السابعة والخمسون من شعب الإيمان التي

أحصاها الإمام البيهقي فقال :

ما ضرب رسول الله ﷺ شيئا قط بيده ولا امرأة ولا خادما إلا أن يجاهد في سبيل الله وما نزل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتقم شيء من محارم الله تعالى فينتقم لله تعالى .

وروى الشيخان عن أنس رضي الله عنه قال كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجبله برداه جيلة شديدة فنظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ وقد أثرت به حاشية البرد من شدة جبلته ثم قال يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعباءة .

وروى الشيخان عن ابن مسعود رضي الله عنه قال كاني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبيا من الأنبياء فحسبه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون .

وروى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب (مختصر رياض الصالحين / ٢٥٠-٢٥٣) .

ويصف الحكيم الترمذي صاحب الخلق ، ويتكلم على أصول الأخلاق ، وعلى مكارم الأخلاق ، وكله مما يندرج تحت « حسن الخلق » وينقله لك فيما يلي وقد وضعنا تعليقات المحقق بين أقواس في ثنايا النص . قال الحكيم الترمذي :

مثل صاحب الأخلاق مثل ملك له خزانة وقواد ومملكة ، فإن كانت الخزانة قليلة كنوزها ، وكنوزته صغيرة (الكورة : المدينة والصقع) شاق به هؤلاء القواد ، وقال بعضهم لبعض : هذا ملك له اسم الخزانة والكنوز ، وليس لكنوزه مادة يجرى علينا وينبنا حتى نتخذ عدة للعدو الذي هو بمرصد منا ومن مملكتنا هذا ، وليست له مملكة فسحة تنتشر فيها ، فيأخذ كل قائد منا ناحية من المملكة ، فيملك على أهل ناحيته ، وقرة الملوك في الخزائن الجمّة ، والكنوز والجواهر والقواد ، وحسن التدبير في هذين ، فيدبر أمره وأمورنا بحسن ما عنده من الكياسة ، فيدبر علينا كنوزه وقتنا وقتا ، وشهرا شهرا ، ويعد جواهره للزناجب العظام ، فلا نرى

والفقير وأشباههما يحمى ويرضى ثم يكون في إيشاء ما يكون عليه كهر في حفظ ما يكون له فإذا مرض أخوه المسلم عاده وإن جاء في شفاعته شفّعه ، وإن استمهله في قضاء دين أمهله وإن احتاج منه إلى معونته أعانه وإن استسمحه في بيع سمح له ولا ينظر إلى أن الذي يعامله كيف كانت معاملته إياه فيما خلا وكيف يعامل الناس إنما يتخذ الأحسن إماما لنفسه فينحو نحوه ولا يخالفه والخلق الحسن قد يكون غريزة وقد يكون مكتسبا .

وإنما يصعب اكتسابه ممن كان في غريزته أمثل منه فهو يضم باكتسابه إليه ما يحميه ومعلوم في المصادات أن ذا الرأي يزداد بمجالسة أولى الأحلام والنهى رأيا وأن العالم يزداد بمخالطة العلماء علما ، وكذلك الصالح والعاقِل بمجالسة الصالحين والعقلاء فلا ينكر أن يكون ذو الخلق الجميل يزداد حسن الخلق بمجالسة أولى الأخلاق الحسنة وبالله التوفيق (شعب الإيمان / ٩٢-٩٥) .

قال الله تعالى ﴿ عُدَّ الْعَفْوُ وَأَسْرَ بِالْعَرَفِ وَأَهْرَضَ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف : ١٩٩] وقال تعالى ﴿ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ وما يلقاها إلا اللين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم ﴿ [فصلت : ٣٤ ، ٣٥] روى الشيخان عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال لم يكن رسول الله ﷺ فاحشا ولا متفحشا وكان يقول إن من خياركم أحسنكم أخلاقا .

وروى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ « إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله » .

وروى الشيخان عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال « يسروا ولا تمسروا ويسروا ولا تنفروا » وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا قال للنبي ﷺ أوصني قال « لا تغضب فردد مرارا قال لا تغضب » .

وروى مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « لأشجع عبد القيس إن فبك خصلتين يحبهما الله المعلم والأناة » . وروى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت

الصدر ؛ ففي هذا الوقت للنفس منازعة مع القلب وللهوى مع العقل .

في هذه الخاطرة النفس تشتبه ، والهوى يزعج النفس ويشجعها ، والصدور يزين بمنى وبغوى ، فإذا جاء مدد الأخلاق بطلت زينة العدو وأمانته ، وانكشف غروره ، وأردت الهوى فهقرى إلى معدن مهته ، وجاء مدد الكنوز : كنوز المعرفة ، ومدد الملك يده إلى جواهر الخزانة فانمحت (أى اتمحت) الخاطرة وأسبابها ، ومعتملها ، وجنودها وطلعيمة الخاطرة النفس العدو إذا كانت خاطرة غي ، وإن كان رشدا كانت طليعته الخاطرة الحق ، فمز هذا الملك ومنعته وقوام مملكته بهذه الكنوز والفوائد ، وكذلك عز القلب ، ومنعته بكنوز المعرفة بالله تعالى ، وجواهر العلم بالله تعالى ، وبهذه الأخلاق التى أحدت بالقلب بين عيني الفؤاد .

أصول الأخلاق :

فالأخلاق أصولها فى الطبع ، ومادتها من المعرفة والعلم بالله تعالى ، ومعتملها فى الصدر .

فالمحسولون هذه صفتهم ، والكفار أخلاقهم أصولها فى الطبع ، ومعتملها فى الصدر ، ومادتها فى الفصح بمدح الناس ، وطلب الملو والشرف والذكر ؛ قال الله تعالى : ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين ﴾ [القصص : ٨٢] .

فالمؤمنون تخلقوا بخلق الله تعالى ، وتواضعوا به لله تعالى ، وأرادوا به وجه الله ، وتقربوا به إلى الله تعالى ، وتحببوا به إلى الله .

والكفار تخلقوا بذلك الخلق ؛ فتكبروا على الله تعالى ، فجاوزهوا بها الحدود ، ولم يضعوها مواضعها بحقه ، وتقربوا إلى الخلق ، وتحببوا به إلى أهل العالقات ، وتغنموا به ، واتخذوا جانا .

والأخلاق لها سلطان ، فإذا وجد الخلق تسعها سباح فى فسحته ، فجاوزه الحدود فى أمره ، فصار مسرفا مضيقا للحق ، وقد استمر به الهوى والنفس .

ها هنا عدة ولا فسحة ؛ فتعالوا نتقل عن هنا إلى ملك لمملكته فسحة ومتشتر ، تنسج فى نواحيها ، ونعمل للقيادة ، فيعود الجند إلى ملك له كنوز جمّة ، وكنوزه مادة من غلات المملكة ، فله كنوز وأمصبار (الأمصبار : جمع مصر ، والمصر كل كورة يتقسم فيها الغنى والمصنقات) وقرى وبر ويحر ، كملك الهند والروم والعرب ، ما تمنع بهذا الضعيف المأجر؟ يطلبون ملكا بتلك الصفة ، ولا يثبتون مع هذا ، فالملك هو القلب ، وخزائنه فى جوف القلب ، فيه كنوز المعرفة ، وجواهر العلم بالله ، والعقل وزيره ، والصدر فسحة ، وساحته ومملكته ؛ والأخلاق قواده ، والأركان رعيته ، وهى الجواهر السبع ؛ فهؤلاء القواد قد أحسوا بالقلب فى هذا الصدر ، وأطافوا بباب القلب بين عيني القواد فإن القواد هو ما ظهر من القلب ، والقلب ما بطن ، والقلب بعض فى بعض ، والعين على القواد ، وذلك قوله تعالى : ﴿ ما كذب القواد ما رأى ﴾ [النجم : ١١] (أى لم يكذب قلب محمد ﷺ ليلة المعراج ، وذلك أن الله تعالى جعل بصره فى فؤاده حتى رأى ربه تعالى ، وجعل الله تلك رؤية (القربى / ١٧ - ١٢) وقال الزمخشري فى الكشف (٢ / ٤١٦) : ما كذب فؤاد محمد ﷺ ما رآه ببصره من صورة جبريل عليه السلام ؛ أى ما قال فؤاده لما رآه : لم أهرق ، ولو قال ذلك كاذبا ؛ لأنه عرفه ، يعنى أنه رآه بعينه ، وعرفه بقلبه ولم يشك فى أن ما رآه حق) .

وقول رسول الله ﷺ : أناكم أهل اليمن ألين قلوبا ، وأرق أفئدة فوفى القلب باليمن ، والقواد بالرق (صحيح مسلم / ٧٧ ، وفى النهاية : أرق قلوبا ، أى ألين وأقبل للمروعة ، والمراد بالارقة ضد القسوة) .

فالأخلاق فى الصدر قواد الملك ، قيام بين عيني الفؤاد ، والمقل شماعه ، يشرق بين عيني الفؤاد ، ويلجأ أمر القلب ، والنفس فى الجوف رابضة فى مكان مظانها ، والهوى بباب النفس يثلب ويطلب ويتلطف بين يدي بصيرة النفس ، فإذا خطرت الخاطرة فى الصدر بين عيني الفؤاد نظر العقل ؛ فإن رآها حسنة وأمرأ رشيدا قدر ودبر ماذا يراد ؟ وكىم يراد ؟ ومتى يراد ؟ وإلى متى يراد ؟ وإن رآها سيئة رثا فهاها (أى أبعداها) عن

والمؤمن يتخلق بذلك الخلق ، فإذا تفسح الخلق عقله (أي منعه) العقل عن المجاوزة ، ومنعه عن التمدد ؛ ولهذا سمي عقلا ؛ لأنه عقله عن الجهل ، وورده إلى العلم الذي علمه الله تعالى ، وكان الله تعالى أعلم بذلك الأمر ، كم يراد ؟ وإلى متى يراد ؟ وبأي مقدار ؟ وإلى متى ؟ فوكل به العقل حتى يهديه لذلك .

ألا ترى إلى قول الله عز وجل ، حيث سألكوا رسول الله ﷺ : كم تنفق من هذا المال الذي حث الله تعالى على إنفاقه ، وعظم فيه الثواب ؟ فنزلت قول الله تعالى : ﴿ يسألونك ماذا ينفقون قل العفو ﴾ [البقرة : ٢١٩] .

والعفو : هو الفضل ، أي ما فضل من نفسك وعيالك الذين تعلمهم .

وقال رسول الله ﷺ : « أبدا بمن تحول ، وخير الصدقة ما كان من ظهر غنى » (أي ما كان عفوا قد فضل عن غنى ، وقيل : أراد ما فضل عن العيال) .

وقال رجل : يا رسول الله ، عندى دينار ، ما أصنع به ؟ قال : أنفقه على نفسك . قال : عندى آخر . قال : أنفقه على عيالك ووالدك . قال : عندى آخر . قال : أنفقه فى سبيل الله تعالى ؛ وذلك أدناهم .

فمن تخلق بالسخاوة ، فاستمر به طبعه ، وأهلت نفسه ، وملك به هواه ، وزين له عدوه ، وذهب فأنفق على أباعده ، وترك أقاربه . ، وعال من لم تزره عياله ، وضيق عياله ، فهذا فعل من أراد بذلك الخلق عدوا فى الأرض ، وتصدعا عند الخلق .

فالعقل يكشف عن هذا الغيب ، وما هو أدق من هذا .
الأسخياء والأجواد :

روى سليمان بن الحارث البصري : عن أبي هلال الراسبي عن حميد بن هلال ، قال : تفاخر رجلان : رجل من بنى هاشم ورجل من بنى أمية ، فقال هذا : قومي أسخى من قومك . وقال ذاك : بل قومي أسخى من قومك . فقال : سل فى قومك ، وأسأل فى قومي ؟ فافترقا على ذلك ؛ فسأل الأموي عشرة من قومه ، فأعطوه عشرة آلاف ، وجاء الهاشمي

إلى عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ، فسأله فأعطاه مائة ألف ، ثم أتى الحسن بن على رضى الله عنهما فسأله ، فقال : هل أتيت أحدا قبلى ؟ قال : نعم عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ، وأعطاني مائة ألف ، فأعطاه الحسن رضى الله عنه مائة ألف وثلاثين ألفا ، ثم أتى الحسين رضى الله عنه فسأله ، فقال : هل أتيت أحدا قبلى ؟ قال : أخاك الحسن بن على رضى الله عنهما فأعطاني مائة ألف وثلاثين ألفا ، فقال : لو أتيتني قبل أن تأتيه لأعطيتك أكثر من ذلك ، ولكن لم أكن لأزيد على سبيل ؛ فأعطاه مائة ألف وثلاثين ألفا .

فهذه سخاوة مستمرة فى الطبع والنفس ، قد منعها العقل ، فزين هذا العقل من الحسين بن على رضى الله عنهم . فالكفار كانوا يتفاخرون ، ويباهى أحدهم صاحبه بالأخلاق وأفعاله ، ويمارى حتى يتعادوا من أجله .
مكارم الأخلاق :

وروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : لما أتانا سبأيا طين تكلمت فيه جارية جميلة نسيت جمالها لما رأيت من فصاحتها ، فقالت : يا محمد ، إن رأيت أن تخلى عنى ولا تشمت بى أحياء العرب ، فلأن ابنة سرة قومي ، كان أبى يفك العاني (أى الأسير) ويحمي الذمار (الذمار : ما يلزمه حفظه ورعايته) ويقرى الضيف ويشبع الجائع ، ويفرّج عن المكروب ، ويطعم الطعام ، ويفشى السلام ، ولم يرد طالب حاجة قط ، وأنا ابنة حاتم الطائي .

فقال رسول الله ﷺ : يا جارية ، هذه صفة المؤمن حقا ، لو كان أبوك إسلاميا لترجمنا عليه ، خلوا عنها ؛ فإن أباهما كان يحب مكارم الأخلاق ، والله يحب مكارم الأخلاق .

فقام أبو بردة رضى الله عنه ، فقال : يا رسول الله ، الله يحب مكارم الأخلاق ؟ فقال : يا أبا بردة ، لا يدخل الجنة أحد إلا بحسن الخلق .

حدثنا الجارود ، أنخربنا بن هارون ، عن المسعودي ، عن القاسم ، قال : قال عبد الله : تبتد الرجل فظا (أى سيء الخلق) فإذا بحتته وجدت سريرهته الإيمان ، وتجدته حلو الخلاق ، فإذا بحتته لم تجد فيه من الإيمان شيئا ، ومن شاء الله جمع له حلوة الدين وحلاوة الخلق .

الفظاظة ضد الكرم :

والفظاظة : ضد الكرم ، فمن كانت له فظاظة غلظ قلبه والكرم لين القلب وانقياده بمنزلة شجر الكرم أينما اقتاد فذلك سمي جنة العنب كرما .

وكذلك ما روى عن أبي هريرة رضى الله عنه ، عن رسول الله ﷺ ، أنه قال « لا تقولوا للعنب كرما ، إنما الكرم قلب المؤمن » (فى الفائق ٤٠٧ / ٢) : « لا تسموا العنب الكرم ، فإنما الكرم الرجل المسلم » قال الزمخشري : أراد أن يقرر ويشدد ما فى قوله عز وجل : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » بطريقة أنيقة ومسلكت لطيفة ورمز غلوبي : فبصر أن هذا النوع من غير الأناسى المسمى بالاسم المشتق من الكرم أنتم أحقاء بالأتوهلموه لهذه التسمية ولا تطلقوها عليه ، ولا تسلموها له ، غيرة للمسلم التقي ورأى به أن يشارك فيما سماه الله به ، واختصه بأن جعله صفته ، فضلا أن تسموا بالكريم من ليس بمسلم ؟ وتعتفروا له بذلك ، وليس الغرض حقيقة النهى عن تسمية العنب كرما ، ولكن الرمز إلى هذا المعنى) .

وذلك لأنه لأن ويطب بالرحمة التى حلت به من الله تعالى . وانتقاد لجوديته ، والكافر كز (أى متقبض بخيل) قاسى القلب ، يابس كالصخر ، لأن رحمة الله لم تله قبيسته حرارة النفس وشهواتها . وقواه التجبر والكبر ، فليس وكز ؛ فإن كان فيه بعض هذه الأخلاق المحمودة فاستعملها ، فبجوديته استعمل ، لا بمعرفة الله تعالى ، فبجاوز الحدود حتى أفرط وفسح ، وشان (أى عاب) ما حسن منه (الأفعال من الكتاب والسنة ٧٣ - ٨٢) .

وفى تناوله لموضوع أدب النفس يتكلم الإمام الماورى على حسن الخلق فيقول :

روى عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الله تعالى اختار لكم الإسلام ديناً فأكرموه بحسن الخلق والسخاء فإنه لا يكمل إلا بهما » وقال الأحنف بن قيس : ألا أخبركم بأدور الداء ؟ قالوا بلى قال : الخلق البنى واللسان البلى . قال بعض الحكماء : من ساء خلقه ضائق رزقه ، وعلة هذا القول ظاهرة .

وقال بعض البلغاء : الحسن الخلق من نفسه فى راحة والناس منه فى سلامة ، والسوء الخلق الناس منه فى بلاء وهو من نفسه فى عناء . وقال بعض الحكماء : عاشر أهلك بأحسن أخلاقك فإن الثراء فيهم قليل . وقال بعض الشعراء :

إذا لم تتسع أخلاقك فـ

تضيق بهم نسيجات البـ

إذا ما الميسر لم يخلق ليبيـ

فليس اللب عن قسـ

فلذا حسنت أخلاق الإنسان كثر مصافيه وقل معادوه فسهلت عليه الأمور الصعاب ، ولانت له القلوب الغضاب . وقد روى عن النبي ﷺ أنه قال : « حسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان فى الأعمار » . وقال بعض الحكماء : من سعة الأخلاق كنوز الأرزاق . وسبب ذلك ما ذكرنا من كثرة الأضياف المسعدين وقلة الأصدقاء المجفين ولذلك قال النبي ﷺ : « أحبكم إلى أحسنكم أخلاقا الموطون أكتافا الذين يلقون ويلقون » وحسن الخلق أن يكون مهل العريكة لين الجانب طلق الوجه قليل التفور طيب الكلمة . وقد بين رسول الله ﷺ هذه الأوصاف فقال : « أهل الجنة كل حين لين مهل طلق » ولما ذكرنا من هذه الأوصاف حدود مقدرة ومواضع مستحقة كما قال الشاعر :

أصفـ وأكـر أحيـنا لمـتـبـرى

وليس مستحسنا صفـ بلا كـر

وليس يريد بالكدر البذاء وشراسة الخلق فإن ذلك ذم لا يستحسن وعيب لا يرتضى وإنما يريد الكف والانتقاض فى موضع يلام فيه المساعد ويذم فيه الموافق فلذا كانت لمحاسن الأخلاق حدود مقدرة ومواضع مستحقة فإن تجاوز بها الحد صارت ملقا وإن عدل بها عن مواضعها صارت نفاقا والمثل ذلك والنتفاق لؤم وليس لمن وسم بهما ود مبرور ولا أثر مشكور . وقد روى حكيم من جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « شر الناس ذو الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه » . وروى مكحول عن أبي هريرة قال : قال

(الورق : يكسر الرأه : القضة مضروبة أو غير مضروبة ،
وفتح الرأه : المال من دراهم وإيل وغير ذلك) .

وقال بعض الشعراء :

لئن تكن الدنيا أنساك ثروة

فأصبحت ذا يسر وقد كنت ذا عسر

لقد كشف الأشرار منك خيالاتها

من اللوم كانت تحت لسوب من الفقر

وبحسب ما أقسده الغنى كذلك يصلحه الفقر ، وكتب

قتيبة بن مسلم إلى الحجاج إن أهل الشام قد التأثروا عليه

فكتب إليه أن اقطع عنهم الأرزاق ففعل ففسدت حالهم

فاجتمعوا إليه فقالوا : ألقنا فكتب إلى الحجاج فيهم فكتب

إليه إن كنت آتست منهم رشدا فأجر عليهم ما كنت تجرى .

واعلم أن الفقر جند الله الأكبر يدل به كل جبار عنيد تنكبر .

وقد روى عن النبي ﷺ أنه قال : « لولا أن الله تعالى أذل ابن

آدم بثلاث ما طأطأ رأسه لشيء الفقر والمرض والموت » .

ومنها الفقر فقد يتغير به الخلق إما أنفة من ذل الاستكانة

أو أسفا على فات الغنى . ولذلك قال النبي ﷺ : « كاد الفقر

أن يكون كفرا وكاد الحسد أن يغلب القدر » .

وقال أبو تمام الطائي :

وأعجب حاسلات ابن آدم عكافه

يفضل إذا تكررت في كنهه الفكر

فيفسح بالشيء القليل بقاؤه

ويجزع مما صار وهو له ذخر

وربما تسلى من هذه الحالة بالأماني وإن قل صدقها فقد

قيل : قلما تصدق الأمانة ولكن قد يتعاض بها سلوة من هم أو

مسرة بربها وقد قال أبو العتاهية :

حمر كُ منسك إذا اغتممت

ست فترهن مـــــراوح

وقال آخر

إذا تمنيت بمت الليل مغتبطا

إن المعنى رأس أسسوال المغفـــــاليس

رسول الله ﷺ : « لا ينبغي لأذى الوجهين أن يكون وجها عند
الله تعالى » وقال سعيد بن عروة : لأن يكون لى نصف وجه
ونصف لسان على ما فيهما من قبح المنظر وعجز المعنير
أحب إلى من أن أكسوا ذا وجهين وذا لسانين وذا قولين
مختلفين . وقال الشاعر :

غسل النفس ساق لأهلها

وعليك لتاتمس الطريقا

وارغب بنفسك أن تـــــرى

إلا مـــــدا أو مـــــدا

وقال إبراهيم بن محمد

وكم من مـــــديق وده مـــــداته

خـــــون بظهور الغيب لا يــــلم

بضاحكنى صجبا إذا مـــــا لقيه

وقبـــــلنى منه إذا غبت أسهم

كـــــلك فو السوجهين يرضيك شـــــاهدا

ولى غيبه إن غـــــاب صـــــاب وعلم

وربما تغير حسن الخلق والوطاء إلى الشراسة والبذاء

لأسباب عارضة وأمور طارئة تجعل اللين خشونة والوطاء غلظة

(الوطاء : السهولة واللين) والطلاقة عيوسا . فمن أسباب

ذلك الولاية التى تحدث فى الأخلاق تغيرا وعلى المخلطاء تنكروا

إما من لوم طبع وإما من هيق صدر . وقد قيل : من تاه فى

ولايته ذل فى عزله وقيل : ذل العزل يضحك من تيه الولاية .

ومنها العزل فقد يسوء منه المخلق ويضيق به الصدر إما لشدة

أسف أو لقلعة صبر . حكى حميد الطويل : أن عمار بن ياسر

عزل عن ولاية فاشتد ذلك عليه وقال : إني وجدتها حلوة

الرضاع مرة الغمام .

ومنها الغنى فقد تتغير به أخلاق اللثم وتسوء طرائقه أشرا .

وقد قيل : من نال استطال وأنشد الرياشي .

غضبـــــبان يعلم أن المال مـــــساق له

مـــــما لم يــــقـــــه له ولا خلق

فمن يكن عن كـــــرام النـــــاس يــــأــــلنى

فأكـــــرم النـــــاس من كـــــاتب له ورق

أصبحت لم تطعمنى نكحل الشباب ولم
تسجى لقصته فالمنزل لا يقع
ما كان أقصر أيام الشباب وما
أبقى حلاوة ذكره التى تدع
ما واجبه الشيب من عين وإن رقت
إلا لها نبوة عنه وسر تلمع
قد كنت تقضى على فوت الشباب أسمى
لولا يعزبك أن الممر منقطع

فهذه سبعة أسباب أحدثت سوء خلق كان عاما . وهى
سبب خاص يحدث سوء خلق خاص وهو البغض الذى تنفر
منه النفس فتحدث نفورا عن المبغض فيؤثر إلى سوء خلق
يخصه دون غيره فإذا كان سوء الخلق حادثا بسبب كان زواله
مقرونا بزوال ذلك السبب ثم بالهدى .

(أدب الدنيا والدين / ٢١٦ - ٢٢٠ ، ٢٩٢ - ٢٩٧) .

ونختتم بما أورده الإمام ابن قدامة فى فضيلة حسن الخلق
وذم سوء الخلق . قال رحمه الله :

واعلم : أن الناس قد تكلموا فى حسن الخلق متفرعين
لثمرته لا لحقيقته ، ولم يتوجسوا جميع ثمراته ، بل ذكر كل
منهم ما حضر فى ذهنه ، وكشف الحقيقة فى ذلك أن يقال :
كثيرا ما يستعمل حسن الخلق مع الخلق ، فيقال : فلان
حسن بالخلق والخلق ، أى حسن الظاهر والباطن ، فالمراد
بالخلق : الصورة الظاهرة ، والمراد بالخلق : الصورة الباطنة ،
وذلك أن الإنسان مركب من جسد ونفس .

فالجسد مدرك بالبصر ، والنفس مدركة بالبصيرة ، ولكل
واحدة منهما نعمة وصورة إما جيلة أو قبيحة ، والنفس
المركبة بالبصيرة أعظم قدرا من الجسد المدرك بالبصر ،
ولذلك عظم الله سبحانه وتعالى أمره فقال : ﴿ إلى خالق يشرأ
من طين ﴾ فإذا سمعته ونفخت فيه من روحي ﴿ ص : ٧١ ،
٧٢ ﴾ فبه على أن الجسد منسوب إلى الطين ، والروح منسوب
إليه سبحانه وتعالى ، فالخلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة
تصل عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر

ومنها الهموم التى تلهل اللب وتشغل القلب فلا يتبع
الاحتمال . ولا تقوى على صبر . وقد قيل : الهم كالسم .
وقال بعض الأدياء : الحزن كالداء المخزون فى فؤاد المحزون
وقال بعض الشعراء :

همومك بالعيش مقسونة
فمنها تقطع العيش إلا بهم
إذا تم أمر بسبب نقصه
تسررب زوالا إذا قيل بسم
إذا كنت فى نعمة فاصرها

فإن المصطفى تسرر بالنعمة
وحام عليها بشكر الإله
فإن الإله سريع النعم
حلاوة ذبيك مسسومة

فمنها تأكل الشهادة إلا بسم
فكم قدر فى رب مهللة
فلم يعلم النعماس حتى هجم
ومنها الأمراض التى يتغير بها الطبع كما يتغير بها الجسم
فلا تبقى الأخلاق على اعتدال ولا يقدر معها على احتمال .
وقد قال المتنبى :

كلية العيش صالحة وبسباب
فإذا وليا عن المصرة ولى
إذا تسترد ما تهب اللسان

سواء فباليت جودها كان بخلا
ومنها علو السن وحدوث الهم لتأثيره فى الجسد كذلك
يكون تأثيره فى أخلاق النفس فكما يضعف الجسد من
احتمال ما كان يطيقه من أثقال فكذلك تعجز النفس عن
أثقال ما كنت تصبر عليه من مخالفة الوفاق ومضيق الشقاق
وكذلك ما ضاهاه . وقال منصور الحميرى :

ما كنت أوفى شبابى كنه صرته
حتى مضى فإذا النفس لك تبع

خلق الجود، فليتكلف فعل الجود من البذل ليصير ذلك طبعاً له .

وكذلك من أراد التواضع تكلف أفعال المتواضعين ، وكذلك جميع الأخلاق المحمودة فإن للعادة أثراً في ذلك ، كما أن من أراد أن يكون كاتباً تعاطى فعل الكتابة ، أو فقيهاً تعاطى فعل الفقهاء من التكرار، حتى ينعطف على قلبه صفة الفقه ، إلا أنه لا ينبغي أن يطلب تأثير ذلك في يومين أو ثلاثة ، وإنما يؤثر مع الدوام ، كما لا يطلب في النمو علو القامة في يومين أو ثلاثة . والدوام تأثير عظيم .

وكما لا ينبغي أن يستهان بقبول الطاعات ، فإن دوامها يؤثر، وكذلك لا يستهان بقبول الذنوب .

وكما أن تعاطى أسباب الفضائل يؤثر في النفس ويغير طبعها ، فكذلك مساكنة الكسب أيضاً يصير عادة ، فيحرم بسببه كل خير .

وقد تكتسب الأخلاق الحسنة بمصاحبة أهل الخير ، فإن الطبع لص يسرق الخير والشر .

قلت : ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل » (مختصر منهاج القاصدين / ١٥٢ ، ١٥٣) .

(مختصر شعب الإيمان لليهيى - اختصار الفريزى / ٩٢-٩٥ ، ومختصر كتاب رياض الصالحين للإمام يحيى بن شرف الدين النوى / ٢٥٠-٢٥٣ ، والأشغال من الكتاب والسنة لأبي عبد الله محمد بن على الحكيم الترمذى - تحقيق على محمد الجباجى . دار التراث . القاهرة د.ت / ٧٣-٨٢ ، وأدب الدنيا والدين ط المطبعة الأميرية / ٢١٦-٢٢٠ ، وط الدار المصرية اللبنانية - حقق وعان عليه ورشح نهاره محمد فتحي أبو بكر / ٢٩٢-٢٩٧ ، ومختصر منهاج القاصدين لابن قدامة - قدم له الأستاذ محمد أحمد دهمان ، علق عليه شعيب الأرنؤوط ومجد القادر الأرنؤوط / ١٥٢ ، ١٥٣ . انظر أيضاً المنتخب من السنة . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية م / ٣٩٢ ، ومنهاج المسلم - أبو بكر جابر الجزائري / ١٥٢ ، ١٥٣) .

• حسن رضا (١٣٦٥-١٣٣٨ هـ / ١٨٤٩-١٩٢٠ م)

من الخطاطين . حسن رضا بن أحمد نظيف أفندى ولد

وروية ، فإن كانت الأعمال جميلة سميت خلقاً حسناً ، وإن كانت قبيحة سميت خلقاً سيئاً .

وقد زعم بعض من غلبت عليه البطالة فاستقل الرياضة ، أن الأخلاق لا يتصور تغييرها ، كما لا يتصور تغيير صورة الظاهر .

والجواب : أنه لو كانت الأخلاق لا تقبل التغير لم يكن للمواظ والوصايا معنى ، وكيف تنكر تغيير الأخلاق ونحن نرى الصيد الوحشى يستأنس ، والكلب يعلم ترك الأكل ، والفرس تعلم حسن المشى وجودة الاتقياد ، إلا أن بعض الطباع سريعة القبول للصالح ، وبعضها مستصعبة .

وأما خيال من اعتقد أن ما فى الجبلة لا يتغير ، فاعلم أنه ليس المقصود قمع هذه الصفات بالكلية ، وإنما المطلوب من الرياضة رد الشهوة إلى الاعتدال الذى هو وسط بين الإفراط والضرط ، وأما قمعها بالكلية فلا ، كيف والشهوة إنما خلقت لفائدة ضرورية فى الجبلة ، ولو انقطعت شهوة الطعام لهلك الإنسان . أو شهوة الوفاق لقطع النسل ، ولو انعدم الغضب بالكلية ، لم يدفع الإنسان عن نفسه ما يهلكه . وقد قال الله تعالى : ﴿ أشداه على الكفار ﴾ [الفتح : ٢٩] ولا تصدر الشدة إلا عن الغضب ، ولو بطل الغضب لامتنع جهاد الكفار، وقال تعالى : ﴿ والكافظمين الغيظ ﴾ [آل عمران : ١٣٤] ، ولم يقل : الفاقدين الغيظ .

وكذلك المطلوب فى شهوة الطعام الاعتدال دون الشره والتقل ، قال الله تعالى : ﴿ وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ﴾ [الأعراف : ٣١] إلا أن الشيخ المرشد للمريد إذا رأى له ميلاً إلى الغضب والشهوة ، حسن أن يسالغ سفى ذمهما على الإطلاق ليرده إلى التوسط ، ومما يدل على أن المراد من الرياضة الاعتدال أن السخاء خلق مطلوب شرها ، وهو وسط بين طرفى التفتير والتبذير وقد أثنى الله عليه بقوله : ﴿ والذين إذا انفخوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قولا ﴾ [الفرقان : ٦٧] .

وأعلم أن هلبا الاعتدال . تارة يحصل بكمال الفطوة منحة من الخلق ، فكم من صبى يخلق صادقاً سخيماً حليماً ، وتارة يحصل بالاكساب ، وذلك بالرياضة ، وهى حمل النفس على الأعمال الجالبة للخلق المطلوب ، فمن أراد تحصيل



سنة ١٢٦٥ هـ / ١٨٤٩ م في جهة أسكلر نال تعليمه في مدرسة قبطان باشا ثم مدرسة حافظ مغيب أفندي . وكانت بدايته في الخط في هاتين المدرستين ، ثم أخذ دروسا على يد صوحى حسين أفندي ويحيى أفندي .

بعد وفاة والده انتمى إلى فريق الموسيقى الهمايوني (السلطانية) وتعلم فيها حسن الخط على يد شفيق بك (الثلاث والنسخ) وبعد ذلك أخذ فنون الخط من قاضي عسكو (عزت أفندي) .

عمل إماما في نفس المدرسة المذكورة بعد تخرجه ثم معلما لحسن الخط ، وعند افتتاح مدرسة الخطاطين في استانبول في ٣١ مارس سنة ١٩١٤ عين فيها معلما لخطوط النسخ والثلاث والرياحي .

انفصل عن العمل لمعرض أصاب حينه وفي ٢ مارس سنة ١٩٢٠ م (١٣٣٨ هـ) انتقل إلى رحمة الله تعالى (ذكر أن وفاته سنة ١٣١٧ و ١٣٣٦ . انظر مصور الخط ص ٣٥٣ . ناجي المصرف) .

إن عدد ما كتبه الشيخ حسن رضا من المصاحف الشريفة ثمانية عشر مصحفا بمختلف الحجوم ، وبصورة أجزاء متفرقة (مجلة الرسالة الإسلامية - العدد ١٣٤ و ١٣٥ السنة ١٣ ، مقالة عبد الله عبد المجيد السفوي : المخططات حسن رضا والمصاحف التي كتبها) .

ومن تلاميذه الخطاط مصطفى حليم وعبد القادر توفيق .

(نفاذ الخط العربي - حسن قاسم حيش / ٢٧٢ ، ٢٧٣) .

ملاحظة الصورة المصاحبة لهذه المادة أخذت من كتاب بدائع الخط العربي لتاجي زين الدين المصرف ، شكل ٢٩٧ ص ٣٣١ وجاء عنوانها كما يلي : صفحة نموذجية لتسويد حروف مفردة ومركبة بخط ثلث مؤنونة بمعيار النقط كتبها الحاج حسن رضا سنة ١٣١٨ هـ .

● أبو الحسن السجلماسي (١٠٥٧ هـ / ١٢٤٧ م) :

على بن عبد الواحد بن محمد بن سراج المكنى بأبي الحسن الجزائري الأنصاري يرتفع في نسبه إلى سعد بن عباد نشأ بسجلماسة وأقام بمصر مدة واستقر بفاس أخذ عن أئمة

أهل فاس منهم أبو محمد غنief الدين عبد الله بن علي بن طاهر الحسني ، وأبو عبد الله محمد بن أبي بكر الدلائي ، والشهاب المقرئ وغيرهم وكان إماما حافظا محدثا متقنا نصب مفتيا في الجبل الأخضر بفاس وأخذ عنه أبو مهدي عيسى الثعالبي وأبو عبد الله الموهوب وأحمد بن عبد الواحد وغيرهم .

له مؤلفات عدة منها : شرح التحفة ، ونظم السيرة النبوية ، وعقد الجواهر في نظم النظار ، والبراقات الثمينة في الفقه ، ومسالك الوصول في مدارك الأصول . وله نظم في علوم عدة .

توفي بالجزائر سنة ١٠٥٧ هـ .

(الفتح المبين في طبقات الأصوليين - الشيخ عبد الله مصطفى المرافي ٣ / ٩٥) .

● أبو الحسن الشاذلي (٦٥٨ هـ / ١١٩٥ - ١٢٥٨ م) :

قطب صوفي كبير ، أسس الطريقة الشاذلية ، التي تفرعت منها نحو ١٥ طريقة صوفية ، كالرفائية ، والجزولية . تتلمذ في التصوف على أصحاب الجريد ، وعلى عبد السلام بن مشيش .

جاء نسبه في طبقات الأولياء لابن العلقن بأنه على بن عبد الله بن عبد الجبار بن يوسف أبو الحسن الهذلي الشاذلي ، نسبة إلى شاذلة قرية بإفريقية ، الضرب الزاهد ، نزيل الإسكندرية ، وشيخ الطائفة الشاذلية . وقد انتسب في بعض مصنفاته - إلى الحسن بن علي بن أبي طالب فقال بعد يوسف المذكور - بن يوسف بن برد بن بطال بن أحمد بن محمد ابن عيسى بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب . وتوقف فيه اهـ .

وجاء نسبه في نور الأبصار للشيخ سيد الشبلنجي على النحو التالي ، وقد ذكر ولادته كانت سنة ٥٥١ هـ :

نقل ابن عباد نسبه من كتاب اللطيفة المرضية في شرح دعاء الشاذلية للشيخ شرف الدين أبي سليمان داود السكندري بقوله هو الشريف الحبيب ذو النسبتين الطاهرتين الجسدانية والروحية المحمدي العلوي الحسن الفاطمي أبو الحسن على الشاذلي بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز بن

مصنفاته إلى علي بن أبي طالب ، قال الحافظ الذهبي : « هذا نسب مجهول لا يصح ولا يثبت ، وكان الأولى تركه » . وكان صريحا ، ورجل إلى المشرق ففتح ودخل العراق ، ثم سكن الإسكندرية توفي بصحره عذاب ، قاصدا الحج ، فدفن هناك (كتاب الوفيات / ٢٢٢ رماش ١) .

ويضيف الزركلي قوله : نشأ في بني زرويل (قرب شفشاون) ... وطلب « الكيمياء » في ابتداء أمره ، ثم تركها ثم إلى بسلاد المشرق ففتح ودخل العراق ، ثم سكن الإسكندرية (الأعلام / ٤ / ٢٠٥) .

كما ذكره السيوطي فيمن كان بمصر من الصلحاء والزهاد والصوفية وقال عنه :

الشيخ أبو الحسن الشاذلي شيخ الطائفة الشاذلية هو الشريف تقي الدين علي بن عبد الله بن عبد الجبار قال الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد : ما وليت أعرف بالله من الشاذلي . وقال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله : منشؤه بالعرب الأقصى ، ومبدأ ظهوره بشاذلة ، وله السياحات الكثيرة والمنازلات الجلية ، والعلوم الكثيرة ، لم يدخل في طريق الله حتى كان بعد المناظرة في العلوم الظاهرة ، وعلوم جمّة ، جاء في هذا الطريق بالمعجب العجيب ، وشرح من علم الحقيقة الأطناب ، ووسع للمسالكين الركاب . وكان الشيخ عز الدين ابن عبد السلام يحضر مجلسه ، ويسمع كلامه . قال الشيخ تاج الدين : أعجبني والذي قال : دخلت على الشيخ أبي الحسن الشاذلي ، فسمعت يقول : والله لقد يسألوني عن المسألة لا يكون لها عندي جواب ، فأرى الجواب مسطرا في الدواة والحصير والحائط مات في ذي القعدة سنة ست وخمسين وستمئة بصحره عذاب متوجها إلى مكة (حسن المحاضرة / ١ / ٥٢٠) .

قال ابن الملقن : كان أبو الحسن الشاذلي كبير المقدار ، عالي المقام ، له نظم ونثر وتشابهات ، وعبارات فيها رموز ، صاحب الشيخ نجم الدين بن الأصفهاني زيل الحرم . ومن أصحابه الشيخ أبو العباس العمري . حج مرات ، ومات بصحره عذاب ، فدفن هناك ، في أول ذي القعدة سنة ٦٥٦ هـ .

حاتم بن قصي بن يوسف بن يوشع بن ورد بن بطال بن أحمد ابن محمد بن عيسى بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم اهد وفيه أنه لم يكن من أولاد الحسن بن علي من اسمه محمد له عقب وإن الذي أعقب من أولاد الحسن السبط زيد الأبلج وحسن المثنى كما نص عليه غير واحد قال الشيخ كمال الدين بن طلحة لم يكن لأحد من أولاد الحسن عقب غير اثنين منهم وهما الحسن وزيد اهد فصوليه محمد بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب اللهم إلا أن يقال أن ولد الأبن ابن قال بعضهم علي أبو الحسن السيد الشريف زعيم الشاذلية نسبة إلى شاذلة قرية بإفريقية قرب تونس .

وقد ذكره البدر العيني في وفيات سنة ٦٥٦ هـ وقال عنه :

الشيخ العارف أبو الحسن علي بن عبد الله ، من ولد الحسن بن علي بن أبي طالب ، الشاذلي الغرير .

مات بصحره عذاب وهو قاصد الحجاز ، ودفن بمكنة حيث توفي .

وكان أحد المشايخ المشهورين بمعرفة الطريق ، وله في ذلك كلام كثير ، وتصانيف معروفة (انظر هدية العارفين / ١ / ٧٠٩) ، ونسبته إلى شاذلة قرية بإفريقية ورد منها إلى الإسكندرية وسكنها ، وحج مرارا ، وصحبته جماعة فانتفعوا بصحبته ، وله حزب يقرأه الناس مشتمل على أدعية مباركة ولطائف حسنة يترك بقراءته (عقد الجمان / ١ / ١٩٢ - ١٩٣) .

كما ذكره ابن الخطيب الشهير بابن قنفذ في وفيات سنة ٦٥٦ .

وجاءت ترجمته على النحو التالي :

وهو أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم ابن هرمز الشاذلي المغربي : رأس الطريقة الشاذلية ، من المتصوفة قال الصفي : وهو رجل كبير القدر ، كثير الكلام ، عالي المقام ، له نظم ونثر ، فيه تشابهات وعبارات ، يتكلف له في الاعتذار عنها . ولد سنة ٥٩١ هـ في قرية غمارة من قرى الجمهورية التونسية ، وتلقه وتوصف بتونس ، وسكن شاذلة فنسب إليها . وقد انتسب في بعض

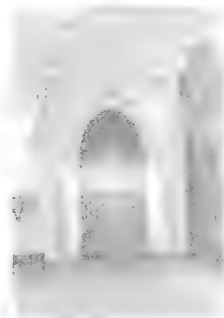
لوحة (١١٢) قريح سيدي أبي الحسن
الهدم بمركزى قرب عيالك



لوحة (١١٣) باب قريح سيدي أبي الحسن القادى كذا



لوحة (١١٤) عراب مسجد سيدي أبي الحسن القادى الجدي



الحديث أبهى من مجلس عبد العظيم المنذرى وما على وجه الأرض مجلس فى علم الحقائق أبهى من مجلسك وكان رضى الله عنه يحضر مجلسه أكابر العلماء كابن الحاجب وابن عبد السلام عز الدين وابن دقيق العيد وعبد العظيم المنذرى وابن الصلاح وابن عصفور فكانوا يحضرون ميعاده بالمدرسة الكاملية من القاهرة ويقرأ ابن عطية والشافى ويمشون بين يديه إذا خرج ...



وحج مرارا . قال ابن دقيق العيد ، ما رأيت أحرف بالله منه ومع ذلك آذوه وأخرجوه وجماعته من المغرب وكتبوا إلى نائب الإسكندرية أنه يقدم عليكم مغربى زنديق وقد أخرجناه من ديارنا فأخذوه لدخل الإسكندرية فأذوه فظهرت كرامات أوجب اعتقاده رضى الله عنه قال الشعرانى فى خاتمة المنحى حكى الشيخ تاج الدين بن عطاء الله أن سيدى الشيخ أبا الحسن الشاذلى رضى الله عنه كان يقول لا يكمل عالم فى مقام العلم حتى يبتلى بأربع :

شتمائة الأعداء وسلامة الأصدقاء وطعن الجهال وحسد العلماء ، فإن صبر على ذلك جعله الله إماما يقتدى به .

ثم يذكر صاحب نور الأبصار وصية الشاذلى الجامعة فارجع إلى المصدر إن شئت الاستزادة فى طبعة دار الفند العربى ٤٣٧ - ٤٤٠ .

وقد ذكره الأستاذ عبد الله التليدى فى تراجمه لبعض مشاهير أولياء المغرب وقال عنه : ذلك القطب الكبير والغوث الشهير شيخ الطريقة الشاذلية وإمامها أبو الحسن سيدى على ابن عبد الله بن الجبار ، ينتمى نسبه إلى سيدى عمر بن مولاي إدريس المثنى بن مولاي إدريس الأكبر دفين زرهون وفتاح المغرب (أوردنا ترجمته تحت عنوان « إدريس عبد الله » فى ٣ / ٣٧٠ - ٣٧٣ من هذه الموسوعة فانظروا فى موضعهما) .

وتكلم فيه القبارى ، وقد انتصب بعض الحنابلة إلى حربه ، فرد عليهم ، وما هو من حربه اهـ (طبقات الأولياء / ٥٩) وكتب عنه صاحب نور الأبصار يقول :

نشأ ببلده واشتغل بالعلوم الشرعية حتى أفتها وصار يناظر عليها مع كونه ضريرا ثم انتهج التصوف وجد واجتهد حتى ظهر صلاحه وخبره وطوار فى الفضائل طوره وحمد فى الطريق سره وسيره نظم فرفق ولطف وتكلم على الناس فخرط الأذان وشنف وطاف وجمال ولقى الرجال وقدم الإسكندرية من المغرب وصار يلازم نفرها من القجر إلى الغريب وينفع الناس بحديثه الحسن وكلامه المعرب وكان إذا ركب تمشى أكابر الفقراء والدنيا حوله وتنشر الأعلام على رأسه وتضرب الكاسات بين يديه ويأمر النقيب أن ينادى أمامه من أراد القطب الغوث فعليه بالشاذلى رضى الله عنه ثم تحول إلى الديار المصرية وأظهر فيها طريقته المرضية وسيرته النبوية وكان يقرأ ابن عطية والشافى وأخذ عنه العز ابن عبد السلام وله أجزاء محفوظة وأحوال بعين العناية ملحوظة وقيل له من شيخك فقال : أما فيما مضى فعبد السلام بن مشيش وأما الآن فأنتى استقى من عشرة أباحر خمسة سماوية وخمسة أرضية انتهى فقال أبو الحسن صاحب الترجمة سألت الله أن يجعل القطب من بيتي فإذا النداء يا على قد استجبت لك وكان يقول قيل لى ما على وجه الأرض مجلس فى الفقه أبهى من مجلس الشيخ عز الدين بن عبد السلام وما على وجه الأرض مجلس فى علم

والحافظ عبد العظيم المنذرى ، والقرطبي المفسر ، وغيرهم من الأكابر .

ترجمه كثير من المؤرخين (كما سيأتي بعد) وأفرده جماعة بالتأليف ومن أجمع ما وضع في حياته وأخباره كتاب أبي الحسن الشاذلي لشيخ الأزهر عبد الحليم محمود (رحمه الله) ، وقد ذكر ابن عطاء الله في « لطائف المنن » كثيرًا من أخباره وكلامه ومناقبه وكراماته وأثنى عليه جماعة من الأكابر ، وحلوه بأوسمه وافقة ، ووصفوه بالقطبانية الكبرى فلذكر ابن عطاء في اللطائف أن الشيخ العراف مكي بن الدين الأسمر أخبره فقال : حضرت بالمقصورة في خيمة فيها الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، والشيخ محيي الدين بن سراقه ، والشيخ محيي الدين الأحمسي ، والشيخ أبو الحسن الشاذلي ورسالة القشيري تقرأ عليهم وهم يتكلمون والشيخ أبو الحسن صامت إلى أن فرغ كلامهم فقال الأسمر : يا سيدي تريد أن نسمع منك . فقال : أنتم سادات الوقت وكبراء وقد تكلمتم .

فقالوا : لا بد أن نسمع منك . قال : فسكت الشيخ ساعة ثم تكلم بالأسرار المجبية ، والعلوم الجلية ، فقام الشيخ عز الدين وعرج من صدر الخيمة وفارق موضعه وقال : اسمعوا هذا الكلام الغريب الغريب المهدي من الله هـ .

وبالجملة فأبو الحسن الشاذلي رضى الله تعالى عنه من أفراد هذه الأمة وأكابر أقطابها ، ويعتبر المحور الذي تدور عليه الطرق الشاذلية المنتشرة في العالم الإسلامي ، وبعد المجدد لطريق التصوف في القرن السابع الهجري والناشر لها والداعي إليها ، وقد ترك بعده وخلف وراءه أمة كبارا للتصوف والصوفية لو لم يكن منهم إلا سيدي أبو العباس المرسى لكان كافيا ، فكيف بغيره من المبارة والأعلام (المطرب / ١٢٦ - ١٢٨) .

ومن كرامات الشيخ أبي الحسن الشاذلي ما نقله ابن بطوطة في رحلته قال : أخبرني الشيخ ياقوت العرشي عن شيخه أبي العباس المرسى : أن أبا الحسن كان يحج في كل سنة ، ويجعل طريقه على صعيد مصر ، ويجاور بمكة شهر رجب وما بعده إلى انقضاء الحج ، ويؤزق القبر الشريف

ولد أبو الحسن بقبيلة الأخماس الغمارية بقرية بني زويل بقرية اشتوناغل ، ولا يزال البيت الذي ولد فيه محفوظا متبركا به إلى الآن (وقد أنجبت هذه القبيلة عدة شخصيات كبيرة كالإمام علي بن عبد الحق أبي الحسن الصغير صاحب التقييد على المدونة والعارف بالله سيدي محمد بن سعادة ، والعارف سيدي عبد الوارث اليفسولوي ، والعارف بالله سيدي أحمد أنطران ، والعارف سيدي عبد الله الهبطي ، والعارف سيدي يوسف التليدي وغيرهم من الأكابر . والأخماس : من عمالة شفشاون تكتنفها عدة قبائل : فشرقا بنو خالد الغمارية ، وشمالا بنو سجيل ، وغربا بنو يوسف ، وجنوبا اغزاوة . وهذه القبيلة تمتاز بكجاراتها بأشجار الزيتون والتين وكثرة المعز) .

نشأ ببلدته وحفظ القرآن ، وطلب العلم ، ورحل إلى فاس فقرأ على كبار علماء وقته حتى أصبح من كبار علماء الظاهر بحيث كان يعد للمناظرة في العلوم الظاهرة ، ثم تأقت نفسه لعبادة الله عز وجل فتزهد وتنسك ويجاهد نفسه وراضها صياما وقيامًا وتلاوة وتكبرا ، وساح رحالا ، ولزم الخلوة والانعطاع عن الناس . أخذ أولا طريقة القوم على وجه التبرك بفاس عن الشيخ ولي الله سيدي محمد بن حراز ابن الشيخ سيدي علي ابن حراز ، ثم جعل يطلب القطب فبلغ به المطاف إلى العراق ، فاجتمع بالعارف أبي الفتح الواسطي فقال له : تطلب القطب بالعراق وهو في بلادك ارجع إلى بلادك تجده فرجع إلى المغرب فاجتمع بمولانا عبد السلام ، وعندما أراد مفادته أوصاه بوصايا نافعة : ... وأخبره بما سيقع له وأنه سيكون مصر ، وحين له بعض من يأخذ عنه ، ثم انصرف متوجها للديار الشرقية فمر في طريقه على تونس وأقام بها مدة بشاذلة ، ثم أوثق من طرف بعض أمرائها فرحل إلى مصر ، وسكن الإسكندرية ، وحج مرارا .

وأخذ عنه أكابر أئمة الإسلام ، ومن أبرزهم وأشهرهم وارث سره العارف الكبير سيدي أبو العباس المرسى ، والعارف مكي بن الدين الأسمر ، وسلطان العلماء العز بن عبد السلام رضى الله تعالى عنهم ، وكان معاصرا لأبن العربي الحاتمي وأبي الحسن الششتري وابن سبعين وعلب الدين القسطلاني

انتشرت عيذاب منذ القرن العاشر الهجري وتلاشى طريقها ، وتحوّل عنها الحجاج والقوافل التي كانت تسير بين عيذاب وقوص إلى طريق السويس ، فالعقبة ، فالناسحل الشرقي للبحر الأحمر إلى جدة .

ويصف ابن جبير طريق الحج من قوص إلى عيذاب فيقول : المقصد عن قوص إلى عيذاب على طريقين : أحدهما يصرف بطريق العبدین وهو أقصر ، أما الطريق الآخر فيعرف بالحميرى ، وهو الطريق الذى سلكه شيخنا أبو الحسن في رحلته الأخيرة إلى البلاد الحجازية حيث وافته المنية سنة ٦٥٦ ودفن بمزلة حميرى .

ويتكون فريخ سيلنا أبى الحسن الشاذلي القديم من مبنى مثنى الشكل بكل ضلع من أضلاعه السبعة نافذة ، واحدة مستطيلة والثانية على شكل قمارى (أى فتحة من مقعدتان تعلوها دائرة أو معين) وهكذا بالتناوب ، أما الضلع الثامن فيوجد به مدخل الفريخ . ويتوسط الفريخ ثمانية أصعدة تقوم فوقها قبة مرتفعة تعلوها قبة مدنية . وقد ضعى الجزء المحصور بين القبة والمثنى الخارجى سقف مسطح ، كما زخرف أعلى جدران المثنى بشرافات مستنة . وفى جنوب الفريخ أقامت وزارة الأوقاف الآن مسجداً ووصلت بينه وبين مدخل الفريخ بمرسوف . وقد زودت المسجد بمبضأة ودورة للمياه كما أقامت فى الجهة الجنوبية والغربية من المسجد مدرسة لحفظ القرآن وسكننا شيخ المسجد والقائم بالتدريس فى المدرسة (مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ٢ / ٢٦٥-٢٦٧) .

له ترجمة فى : هدية العارفين ١ / ٧٠٩ ، الوافى بالولايات ١٤ / ٩٢ ، ٩٣ ، طبقات المشركين ٢ / ٥٠-١٥ ، جامع الكرامات العلية ١٥ / ٥٨ ، مناقب أبى الحسن الشاذلي للقياسى ؛ على سالم عمار : أبو الحسن الشاذلي دائرة المعارف الإسلامية : الشاذلي ؛ كشف الظنون / ٤٠٤ ، ٦٦١ ، ٦٦٢ ، إيضاح المكنون ١ / ٥٥٩ ، ٩٧ / ٢ ، ٦٦٤ ، مجلة العالم الإسلامى (بالإنجليزية) السنة الثانية عشرة / ٢٥٧-٢٧٩ ، معجم المؤلفين ٧ / ١٣٧ ، شذرات

ويعود على الدرب الكبير إلى بلدته ؛ فلما كان فى بعض السنين (وهى آخر سنة خرج فيها) قال لغلامه : استصحب فأماً وقفة وحنوطاً (الحنوط طيب يخلط للتميت خاصة) وما يجهز به الميت ، فقال له الخادم : ولماذا يا سيدى ؟ فقال له : فى حميرى مسوف ترى ؛ وحميرى فى صعيد مصر فى صحراء عيذاب ؛ وبها عين ماء زعاق (الزعاق : الماء المر الغليظ لا يطاق شربه) وهى كثيرة الضباب . فلما بلغنا حميرى ، اغتسل الشيخ أبو الحسن وصى ركعتين ، وثبّسه الله عز وجل فى آخر سجدة من صلاته ، ودفن هناك . وقد زوت قبره ، رضى الله عنه (هـ) مهذب رحلة ابن بطوطة ١ / ١٧ ونذر الأبحار / (٤٤١) .

ولأبى الحسن الشاذلي الأوراد المسماة « حزب الشاذلي » ، وللشيخ تقي الدين بن تيمية مصنف فى الرد على ما قاله فى حزيه ، و « الأمين » رسالة فى آداب التصوف وتبها على أبواب ، و « السر الجليل فى خواص حسنة الله ونعم الوكيل » (كتاب الوفيات ٣٣٣) ونزعة القلوب .

وبغية المظلون ، مخطوط فى شسترى (١ / ٦٩) ولأحمد بن محمد بن عياد كتاب « المفارح العلية فى الآثار الشاذلية » مطبوع ، فى سيرته (الأعلام) / ٣٠٥ .

توفى سيدى أبو الحسن الشاذلي بصحراء عيذاب بمصر فى طريقه للحج سنة ست وخمسين وستمائة كما سبق القول ، ولا يزال ضريحه موجوداً إلى الآن ، وقد جدد بناؤه مع غرف للزوار فى هذا العصر على يد بعض المصريين (المطرب / ١٣٠ ، ١٣١) .

وقد ورد فى رحلتى ابن جبير وابن بطوطة وفى المخطط المعقريّة ، أن عيذاب كان فرضة (ميناء) على بحر القلزم ، وأنه لا حمارة فيها ، ولكنها كانت من أشهر المراسى فى البحار ، تأتى إليها سفن اليمن والحيشة والهند ، وكانت طريق الحج المصرى ، يسير إليها الحجاج . عن طريق قوص ، ثم يركبون منها إلى جدة . وقد أقام حجاج مصر والمغرب أكثر من مائتى سنة يتوجهون إلى الحجاز عن طريق عيذاب ، ثم أبطل استعمال هذا الطريق فى سنة ٧٦٦ هـ وقد

توفى رحمه الله سنة ١٢٧٤ هـ .

(الفتح المبين فى طبقات الأوسليين - الشيخ عبد الله مصطفى المرازى ٣ / ١٥٣) .

• حسن صدقة (المدرسة السعدية ، مدرسة وقبة سنقر السعدى) (٧١٥ هـ / ١٣١٥ م) : آخر ٣١٢ .

تقع هذه القبة بشارع السيوفية وكانت ضمن المدرسة السعدية التى أنشأها الأمير شمس الدين سنقر السعدى أحد أمراء الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١٥ هـ (١٣١٥ م) وقد سميت بقبة حسن صدقة بالنسبة إلى الشيخ حسن صدقة المدفون بها .

ولم يبق من هذه المدرسة سوى المدخل والقبة والمئذنة . فالمدخل يقع فى طرف وجهة القبة بغطيه مقرنص من ثلاث حطات فوقه طاقية المقعد وأسفله شبك على كل من جانبيه ثلاثة أعمدة زخامية صغيرة وتغطيه مقرنصات جميلة . وأسفل الشباك إطار زخرفى يحيط بعتب الباب الملبس بالرخام الأحمر والأبيض . وهذا ويعلو المقعد زخارف جصية مفرغة غاية فى الدقة والجمال شأنها شأن الزخارف الجصية التى تعلو رقة القبة وقاعدتها ، وهى أهم ما امتاز به هذا الأثر .

ووجهة القبة من أسفل بها صفتان تتهيان بمقرنصات بكل منهما شبك يعلوه عتب يزدان بزخارف هندسية ذات أطباق نجمية يعلوه عقد مزور ، وبكل وجهة من وجهات منطقة الانتقال من المربع إلى الدائرة صفة معقودة بزخارف جميلة وعلى جانبيها عمودان حليا بزخارف دقيقة وبها ثلاثة شبايك اثنان منها بقعد مثلث يعلوهما شبك مسدس كانت جميعها مملوءة بزخارف جصية مفرغة وإلى جانبي الصفة طابقان زخرفيان مستديران ، وهذا ويحيط بدائر القبة أعلى هذه المنطقة نطاق زخرفى جميل يشتمل على طراز مكتوب به بالخط المعمولكى المزهر أيات قرآنية أسفله شبايك جصية مفرغة يحيط بها زخارف جصية .

وتقوم المئذنة على يسار المدخل وقد أنشئت على طراز المآذن التى شيدت فى هذه الحقبة من الزمن (أواخر القرن السابع وأوائل الثامن - أواخر القرن الثالث عشر وأوائل الرابع

الذهب ٥ / ٢٧٨) لطائف المنن فى مناقب الشيخ أبسى العباس المرسى وشيخه الشاذلى أبى الحسن ، لأبن عطاء السكتري : نقحات الأسى ٥٦٧ - ٥٧٠ : الكواكب الدرية : جامع كرامات الأولياء ٢ / ١٧٥ - ١٧٧ : أسو الحسن الشاذلى للدكتور عبد الحليم محمود : المقاهر العلمية فى المآثر الشاذلية لأحمد بن محمد بن عياد : نكت الهيمان ٢١٣ ، المبرج ٥ وفيات منه ٦٥٦ هـ (كتاب الوفيات / ٣٣٣) .

(نور الإصار فى مناقب آل بيت النبى المختار للشيخ سيد الشبلجى ط مكتبة الجمهورية القاهرة / ٢٤٣ - ٢٤٨ ، وط دار الفد العربى . القاهرة الطبعة الأولى ١٩٨٨ / ٤٣٤ - ٤٣٦ ، وعقد الجمان ليدار الدين محمود العيسى - حقه وضع حواشيه . د. محمد محمد أمين ١ / ١٩٢ ، ١٩٣ ، وكتاب الوفيات لابن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسطنطينى - تحقيق عادل تويجى / ٣٣٣ ودماش ١ للمحقق ، والأعلام للزركلى ٤ / ٣٠٥ ، وحسن المحاضرة للحافظ جلال الدين السيوطى - تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ١ / ٥٢٠ ، وطبقات الأولياء لابن الملقن - حقه وخرجه نور الدين شربة / ٤٥٩ ، والمطرب بلكر بعض مشاهير أولياء المغرب - عبد الله التليدى ١٦٦ - ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣١ ومهلب رحلة ابن بطوطة - أحمد الموارى ومحمد أحمد جاد المولى . المطبعة الأميرية ببولاق ١٩٣٤ / ١ / ١٧ ، وساجد مصر وأولياؤها الصالحون - د. سماد ماهر محمد ٢ / ٢٦٥ - ٢٦٧) .

انظر : حزب البر ، الشاذلية (الطريقة) .

• حسن الشطبي (١٢٠٥-١٣٧٤ هـ / ١٧٩٠-١٨٥٨ م) :

نسبه ونشأته :

حسن بن عمر بن معروف الشطبي الفقيه الحنبلى القرشى الهندسى وُلِدَ سنة ١٢٠٥ هـ بدمشق وأصله من بغداد ورحل أهله إلى الشام ونزلوا بدمشق وهناك نشأ المترجم له فتعلم القرآن والعلوم ولازم العلماء وتخرج بهم ولم يزل يستزيد حتى عرف بين الناس بالتفوق والتبحر فقصده لأخذ العلم عنه ولم يشغله التدريس عن التصنيف .

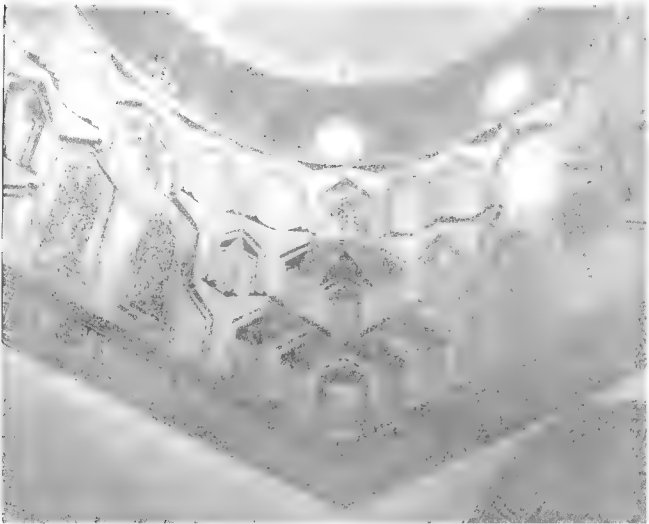
مؤلفاته ووفاته :

من مؤلفاته شرح زوائد الغاية وشرح عقيدة السفارنى ، وبسط الراحة فى مسائل المساحة ، ورسائل فى البسملة الشريفة وفسخ النكاح والتقليد والتلفيق فى الأصول .



قبة حسن صدقة
(١٧١٥ هـ / ١٧١٥ م)

القبة من الخارج



شيخ حسن صدق (٧١٥ هـ / ١٣١٥ م)

القبة من الداخل

الإشارة إليها وأسفل هذا المقر نصات طراز مكتوب يحيط بالمربع .
ويقع المحراب في منتصف الجناح الشرقي للقبة .
ويحيط به طراز مكتوب به أدعية وبهايته تاريخ القبة مكتوباً
بالأرقام (٧٢١ هـ) وبالقبة تابوت مكتوب به اسم منشيء
المدرسة وتاريخ الإنشاء (٧١٥ هـ) كما تضم القبة وفات
الشيخ حسن صدقة .

(مساجد مصر . وزارة الأوقاف / ١ / ٥٦ ، ٥٥) .

عشر) وهي تتكون من بلذ مربع تحلى وجهاه صف معقودة
ويتهى بدورة المؤذن التي يعلوها مشمن به ثمانى فتحات ذات
عقود موزعة داخل صف تغطيها عقود مخوصة ويعلو المشمن
طبقتان من المقرنص المتعدد الحطات يعلوها قبة مضلعة .
والقبة من الداخل محمولة في الأركان على مقرنصات
مكونة من ثلاث حطات بمنتصف الحطة الأولى من كل منها
شباك ذو عقد مثلث مثل الشبايك المجاورة له والسابق

فيها اتصال بالشيخ التالبي وسبب اختياره هذه الفصيلة
ثم أورد في مقدمته ثلثاً بأسماء الكتب
التي اعتمدتها مصادر ومراجع في شرحه كخراتة الأدب
للبناني . وقد حفل شرحه هذا بألفاظ كثيرة من النحو
وطرائف أدبية كثيرة ، وضم فيه أشعاراً وأخباراً وقضايا بلاغية
وسائل عروضية وغير ذلك مما يحتاج إليه ترحبه شرحه .

والثاني : يقع في ٣٧٨ ورقة .

وترجع قيمة هذا الكتاب إلى ما اشتمل عليه من أخبار كثيرة وتراجم لأبناء ونحالة وشعراء ، وما فيه من شعر ونصوص جمعها من مصادر متعددة ربما ضاع كثير منها .

آخره : « تمت الجملة الأولى من القسم الثاني من الكتاب المسمى ... وتتلوها الجملة الثانية وبها يتم الكتاب » .

(٥٠٣) ق (٥, ٢١, ٥ × ١٥ سم) (١٤ × ٩ سم)
المسطرة (٢٧ س).

(فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في المكتبة الشعبية بصوفية
في بلغاريا - وضعه د. عدنان درويش / ٢٣٧ ، ٢٣٨) .

للشيخ تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي المتوفي سنة ٧٥٦ مت وخمسين وسعمائة (كشف ١ / ٦٦٧) .

كتاب كبير تناول فيه الغزى شرح القصيدة المسماة « مليح
البديع في مدح الشفيح » للشيخ عبد الغنى النابلسي المتوفى
سنة ١١٤٣ للهجرة ، وجعله شرحا ميسوطا . يبدأ بمقدمة ذكر

* حسن الصوت في التلاوة *

أفرد الإمام النوري فصلاً في كتابه « التبيان » في استحباب طلب القراءة الطيبة من حسن الصوت جاء فيه ما يلي :

اعلم أن جماعات من السلف كانوا يطلبون من أصحاب القراءة بالأصوات الحسنة أن يقرءوا وهم يستمعون ، وهذا متفق على استحبابه ، وهو عادة الأخيار والمتعبدين وعباد الله الصالحين ، وهو سنة ثابتة عن رسول الله ﷺ ، فقد صبح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله ﷺ « اقرأ على القرآن قلت : يا رسول الله اقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال إني أحب أن أسمعه من غيري ، فقرأت عليه سورة النساء حتى إذا جئت إلى هذه الآية ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً ﴾ [النساء : ٤١] قال حسبك الآن فالتفت إليه فإذا عنده تلوذان « رواه البخاري ومسلم . وروى السديري وغيره بأسانيدهم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أنه كان يقول لأبي موسى الأشعري : ذكرنا ربنا ، فيقرأ هذه القرآن ، والآثار في هذا كثيرة معروفة ، وقد مات جماعات من الصالحين بسبب قراءة ما سألوه القراءة ، والله أعلم ، وقد استحباب العلماء أن يستفتح مجلس حديث النبي ﷺ ويختتم بقراءة قارئ حسن الصوت ما تيسر من القرآن . ثم إنه ينبغي للقارئ في هذه المواطن أن يقرأ ما يليق بالمجلس ويناسبه ، وأن تكون قراءته في آيات الرجاء والخوف والمواظع والتزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة والتأهب لها وقصر الأمل ومكارم الأخلاق .

(التبيان في علوم القرآن للإمام النوري / ٧٨ ، ٧٩) .

* حسن الطويل (١٢٥١ ، ١٣١٧ هـ)

حسن بن أحمد بن علي ، أبو محمد الطويل ، فاضل مصري مالكي (الأعلام ١٨٣ / ٢) . ممن نهضوا بالصحيح من رجال الأزهر الشريف (الأثر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة ١ / ١٣٤) ترجم له ترجمة مستفيضة لتلميذه العلامة أحمد تيمور باشا (انظر ترجمته تحت عنوان « تيمور باشا (أحمد) » في ١١ / ١٩٩ - ٢٠٤) ذاكراً صلته به ، وما يدين له به من فضل فقال عنه : الإمام العلامة ، شيخ الشيوخ ، وأستاذ الأئمة ، وأحد

من تفرد في مصر بالبراعة في المعقول والمعتقل ، وأتقن العلوم الحليدية مع الزهد الصحيح والورع وعلم النفس ، والتأديب بأداب الشرع والتمسك بالكمالات .

وهو حسن الطويل بن أحمد الطويل بن علي ، أبو محمد ولد بمدينة شهالة إحدى قرى المنوفية ، حوالي سنة ١٢٥٠ كما سمعته من تلميذه الخاص العلامة الشيخ أحمد أبي خطوة . وذكر الشيخ بشير الظافر في كتابه البواقيت الثمينة في أعيان مله عالم المدينة ، أنه ولد سنة ١٢٥٦ ، وتربى بهذه القرية فقرأ القرآن الكريم وحفظه بها ، ثم انتقل إلى طنطا [طنطا] وهو صبي ، فاشتغل بتجويد القرآن وحفظ المتن بالمسجد الأحمدي نحو ستين أو ثلاث ، ثم حضر للقاهرة واشتغل بطلب العلم بالجامع الأزهر ، قرأ على شيخ العصر ، مثل الشيخ محمد عlish المالكي في الفقه والحساب وغيرهما وعلى الشيخ حسن العدوي الحمزاوي ، والشيخ إبراهيم السقاء ، والشيخ محمد الأسنوني ، والشيخ محمد الأنباي ، والشيخ أحمد شرف الدين المرصفي ، فظهرت عليه النجابة ، وأبنا في حضور السعد ، وكان من دأبه في أول أمره معاكسة المشايخ في الدروس بكثرة الأسئلة والمناقشات ، حتى حدث ما اضطره إلى الانقطاع عن الأزهر ، وسبب ذلك أن أبناء العمدة وأقاربهم طلبوا للدخول في الجندية بقاتون وضع لذلك أمر به سعيد باشا وإلى مصر ، ولما كان المترجم من أقارب بعض مشايخ قريته طلب معهم .

تجنيد به بأمر سعيد باشا :

وجئت مع من جند فصار واحداً منهم ، إلا أنه لم يسلك مسلك أكثرهم في التفریط في الفروض ، فكان يواظب على الصلوات والأوراد ، وكان الولي يكره من الجند من يسلي ، وحدث أن المترجم جاءه من شيعته الشيخ أحمد شرف الدين المرصفي كتاب فيه استغاثة بأمره بتلاوتها عقب كل صلاة ، رجاء أن تفرج كربه وتخلصه من الجندية ، فوقع الكتاب في أيديهم ، وعادوا لذلك ملئياً ، وكان عقاب الملتزمين عندهم إهمال تعليمهم الفنون العسكرية وتشغيلهم في السلك الحليدية وما أشبهها من الأعمال الشاقة ، فكان المترجم

به ، مع القيام بالتصحيح بالديوان ، حتى شهد له شيوخه بالتأهل للتدريس فدرس بالأزهر ، وكان أول درس قرأه في شوال سنة ١٢٨٣ وإبتدأ به بالقراءة في الأثرية . ولم يقتصر رحمه الله على العلوم المتداولة بالأزهر ، بل بحث وكتب واجتمع بالشيخ محمد أكرم الأفغانى تلقى عنه العلوم الحكيمية ، وربع فيها ، وتلقى عن تلميذه خلاصة الحساب لبهاء الدين العاملى ، ونظر فى الهندسة والجبر وسائر العلوم الرياضية ، وقرأ التاريخ قراءة إمعان وتدبر ، وطالع كتب اللغة والأدب ، ونظم الشعر السهل ، وكتب التمرسل البديع ، وكان لا يسمع عن أحد يعرف علما إلا ويسمى إليه ويتلقاه عنه كاتنا من كان ، حتى صار نسج وحده ، وقرع دهره ، فى سائر العلوم مع بعد النظر فى السياسة ، وسعة العقل ، وسلامة العقيدة ، وشدة الإنكار على البدع والمستحدثات فى الدين .

مشاهير تلاميذه :

وقد قرأ عليه فى الأزهر كثيرون من علمائه المشهورين ، فكان الشيخ الأجل أحمد أبو خطوة ، والشيخ محمد عبده ، والسيد أحمد الشريف ، وإبراهيم بك اللقانى ، والشيخ محمد راضى البوليتى ، ممن قرأ عليه فى الطبقة الأولى من تلاميذه . ثم قرأت عليه طبقة ثانية منها الشيخ عبد الرحمن فوده ، والشيخ محمد الغزوى ، والشيخ عبد الرحمن قراعه ، وقرأ عليه أيضا الشيخ محمد بختيت ، والشيخ دافر ، والشيخ محمد المغزى ، والشيخ أحمد الزرقانى ، وغيرهم ممن لا يحصى ، واختص به الشيخ أحمد أبو خطوة ، والشيخ راضى البوليتى ، والشيخ عبد الرحمن فوده ، والشيخ عبد الرحمن قراعه ، فكانوا يقرأون عليه فى داره دروسا غير الدروس الأزهرية ، وصحبوه ولزوه فانتفعوا به فى دينهم وأخلاقهم فوق انتفاعهم بعلمه .

ثم نقل إلى نظارة المعارف وعين للتفتيش فيها ، ولما مات الشيخ زين المرفصى مفتشها الأول سنة ١٣٠٠ ، وأقيم بدلله الشيخ حمزة فتح الله المفتش الثانى جعل المترجم مفتشا ثانيا . ثم نقل لموسى بطرس دار العلوم ، فعم الانتفاع به ، وتخرج عليه أحسن من نراهم الآن من الأساتذة المتخرجين

يشغل فى هذه الأعمال بهمة رائدة تأديا لنفسه ، لأنه ظن ما وقع له عقابا على جراحته على مشايخه ، وكان سعيد باشا يلقب العظيمين من الجند بالفراسة ، والعاصمين المنعنين بالنمادة ، فغضب مرة على النمادة وأمر بطردهم من الجيش ، فخرجوا منه إلا أنهم بقوا تابعين له ، وهم ما كانوا يسمونهم بالعساكر الأمدادية ، وخرج المترجم معهم ، فأقام بقرية مدة ، وكان قبل ذلك يجتمع على الشيخ خالد أحد مشايخ الطريق فرأى أن يسافر إليه فسافر إلى بلدته المسماة بالسريية من أعمال منية ابن الخصيب ولزمه بعض أشهر عكف فيها على الاشتغال بالعلم والطريق .

فراة :

ثم طلب إلى الجندية مرة ثانية فذهب إليه أبوه ليحضره وأزاد الشيخ خالد منعه فلم يرض هو بل عاد مع أبيه إلى قريته فوجدتهم أهلوا طلبه ، فحمد الله وأراد والده إيقاضه معه فى القرية خوفا من أن يعود إلى الصعيد ، فطابق المترجم بهذا الأمر وخرج من غير علم أبيه من القرية وهو لا يملك شيئا فمشى على قدميه بيت بيت فى كل بلدة تصادفه حتى وصل إلى القاهرة ، ودخلها من جهة باب الحديد فاشتري بها معه شيئا أكله ، وذهب إلى الأزهر فصادف الشيخ محمد السقارى فى طريقه ، فلما رأى المترجم أسرع إليه وهش له ، وأخبره أنه يطلبه من مدة . ثم أنزله بداره وحلف أن يبقى بها شهرا لا يتكلف شيئا من عنده ، وكان مراد السقارى نظم قصيدة يمدح بها أحد الأمراء ، فنظمها له وأخذ السقارى عليها أربعين دينارا جائزة . ولما انقضى الشهر حلف الله المترجم بمنائه ، فطلبه الشيخ حسن العدوى لتصحيح البخارى ، وكان شرع فى طبعه فانتفع بأجر التصحيح . ثم طلب إلى ديوان الجهادية لتصحيح ما يطبع به ، فقابل هناك أحمد عبيد بك رئيس الترجمة ، وامتنحه فأعجب به ، وكاد يطير فرحا وقال عنه هذا جوهر خفيث عنا ، واستخلمه فى الحال لتصحيح بهذا الديوان ، وسعى له حتى محوا اسمه من الجيش حتى لا يعاد طلبه .

ثقافة شاملة :

وكان المترجم فى هذه المدة عاد لطلب العلم والاشتغال

المدرسة إلا أنى كنت مولعاً من الصغر بالإسلام ومحاسنه ، والمطالعة في السيرة النبوية ، ومناقب الأصحاب والخلفاء الراشدين ، فكان ينشر صدرى لأشياء ، ويتقبض من أشياء تعرض لى فيها شبهات . ثم كنت أعرض ما يظهر لى من مكارم الشريعة ومقاصدها على ما عليه الناس من البدع والمحدثات التى تمسكوا بها ، وجعلوها من الأصول الدينية ، فأجد التناقض والتصادم ، فصررت أتردد على كثير من العلماء وغيرهم ، لعلى أجد عندهم مفرجاً فأزاهم أحرص من العامة على هذه الخزعبلات ، حتى كدت أحكم بأنها من الدين ، وأن الأمر دائر بين شيئين ، فإما أن يكون الدين دين خرافات وخزعبلات تغر منها الطباع السليمة ، وإما أن يكون ما نراه حقاً ، ولكن بمنعنا من قبله إلحاد تأصل فى النفس . حتى أُرشدنى بعض الأصحاب للمترجم ، فأخذت فى السؤال عنه من أهل العلم ، فكانوا يغروننى حتى بالغ بعضهم عامله الله بما يستحق وزمه بالزندقة ، فقلت إذا كنت لم أجد طبعى عند من تسموهم بالصلاح والورع ، فعلى أصيبيها عند الزنادقة . ثم سمعت فى الاجتماع به ، وسألته القراءة عليه ، والاعتناء بهديه ، فقرأت عليه العلوم العربية والمنطق ، وأهدت عليه الصرف بتوسع وعلوم البلاغة . ثم قرأت طرفاً من الحكمة فى شرح السلوانى على هياكل النور للسهورردى ، وشرح رسالة الزوزار وغير ذلك . ولما رأيت مجسداً فى التحصيل ، قررت لى درساً ثانياً بعد المشاء كنا نقرأ فيه كتب الأدب ونحوها ، وأنا فى كل هذه العدة أستوضح منه ما أشكل على فيحله لى ، فكان اجتماعى به ومصاحبى إياه من أكبر نعم الله على لى دينى ، وكثيراً ما كان يغضب منى ويؤنبى إذا رأى منى تهاوناً فى الصلاة .

وكان من عادته الخروج إلى الريف كل خميس ترويحاً للنفس فكان يذهب إلى الأميرية من ضواحي القاهرة عند تلميذه الشيخ عبد الرحمن فودة فيقضى عنده الخميس والجمعة ويعود يوم السبت فلما عرفته صار يذهب للأميرية بعض الأخمسة ويسافر لى بعضها إلى ضيعته التى بقويسنا أو إلى حلوان حينما نسكن بها شاء ، فكانت أفضى معه هذين اليومين فى مطالعة واشتغال حتى فى حالة المشى والتزهد كنت

فى هذه المدرسة كالشيخ الفاضل حسن منصور ، والشيخ محمد المهدي ، والشيخ محمد المخضرى ، والشيخ عبد الوهاب النجار وغيرهم من أفاضل الوقت . وفاته :

وبقى فى هذه المدرسة إلى سنة ١٣١٧ ، وكانوا شرعوا فى الامتحان قبل الأجازة المدرسية كالعادة ، فلما كانت ليلة السبت ١٧ صفر سهر كعادته . ثم ذهب للامره معافى ليس به شىء ، واستيقظ فتوضأ وصلى الصبح . ثم طلب الإفطار والقهوة ، وأخلته غفوة كان فيها القضاة المحتوم ، فلم تشرق شمس ذلك اليوم إلا والنعامة يتحنون والمؤذنون يؤذنون على المآذن كالعادة فى موت كبار العلماء ، وأم داره شيخ الأزهر الشريف الشيخ عبد الرحمن الشربى ، والشيخ محمد عبده المفتى ، وجميع العلماء والفضلاء ، وكبار نظارة المعارف ، وتلاميذه من الأزهر ودار العلوم ، وشيعت جنازته تشييعاً سنياً ، فصولاً عليه فى الأزهر ودفنوه بمقابر المجاورين رحمه الله وغفر له عدد حسناته ويضيف أحمد تيمور قاتلاً : ومن غريب المصادفات أنه زارنى قبل وفاته بيومين فى ليلة مقمرة ، فجلسنا فى صحن الدار تلعب الشطرنج ، وكان مولعاً به مع قلة إجادته فيه ، فقال لى عند ما أريد الذهاب : نحن الآن فى الامتحان ، وقد قربت الأجازة ، وصدرى ضيق فى هذه الأيام من الناس ، ونفسى تتجنع للجزلة ، فهل تعرف لى مكاناً أفضى فيه بعض أيام بعيداً عنهم ؟ فقلت يا سيدى إذا انتهى الامتحان فالأوفق أن نساfer مما إلى ضيعتنا التى بقويسنا فنخلوا فيها بكتاب نقرؤه ، فقال نعم الرأى هذا ، وسأستصحب معى ولدى حسناً ليشترك معنا فى القراءة . ثم لم يمض يومان حتى نقله الله إلى جواره ويسر له العزلة ، ولكن فى دار قراره ، فأصبت فيه مصيبة لم أصبها فى بعيد ولا قريب ، لما كان له على من الفضل ولو لم يكن له على سوى تصحيح العقيدة وتأييد آداب الحنيفية السمحاء لكفى .

الأستاذ يرشد :

أما سبب اجتماعى به وقرأته عليه ، فلأنى كنت خرجت من المدارس بعد تلقى ما يتلقى بها من العلوم المعروفة وأنا فى سن العشرين ، وقد علق بالعقيدة شىء من آثار التربية بهذه

أحمل الكتاب معي وأسمعه فيه فيقرر لي المسائل ونحو
سائران .

كان متصوفا :

وكان رحمه الله سني العقيدة ، صوفي المذهب ، لا يخذ
عن الشريعة قيد أصبع ، أخذاً بمذهب الإمام ابن تيمية في
مسألة الاستغانة بالقبور والاستشفاء بالموتى ، منكراً على
المتبذعة أشد إنكار ، آية من آيات الله في معرفة التفسير وحل
مشكلات الكتاب المبين ، متضلعا من الحديث ، متحصنا
بالشريعة في كل علم يقرره من كلام أو حكمة أو تصوف أو
رياضيات أو طبيعيات ، وخص باستحضار الآيات القرآنية
والأحاديث النبوية في الاستشهاد بها على حل المشكلات
الدنيوية ، فكان أمره في ذلك عجباً وشأنه فيه مستغنيا ، وذلك
فضل الله بؤتيه من يشاء ومع انحراف العلماء عنه لإنكاره
عليهم بدعهم وما درجوا عليه ، فإنهم كانوا مقرين بفضله ،
وكثيرا ما كانوا يحتاجون إليه في معرفة أسرار الشريعة ، وحل
مشكلاتها والرد على الطاعنين عليها من أرباب النحل الأخرى
أو المرتدين .

أخلاقه ومسامحه :

أما أخلاقه فزهذ غريب ، وهلو نفس عن الدنيا ، وبعد
عن الرياء ، وتواضع مع كل إنسان ، وصلابة في المظلم
والملبس والمسكن ، لا يفتق على نفسه من مرتبه إلا القليل
ويتصدق بالباقي في الخفاء ؛ فلما مات قام الصراخ في دور
كثيرة يسكنها فقراء وأراذل ، كان يعلمهم في كل شهر بما فضل
من نفقته ، وما علم بهم أحد حتى من أقرب الناس إليه
وأخصهم به إلا بعد موته .

وكان كثير الاشتغال بأمر المسلمين ، دائم الهموم لما
أصابهم من التآمر في مشارق الأرض ومغاريها ، منتظرا فرجا
يأتيهم ، ولطفا من الله يصفهم ، فتقدم فيهم دولة شعارها
الدين ، تقوى على جمع شاملهم ، ولذلك لما قام المهدي
بالسودان وانتصر انتصاراته المشهورة واستولى على البلاد
السودانية ، أحسن المترجم فيه الظن وقام بتصرته بقلبه ولسانه ،
حتى اضطر الإنكليز أن يسيروا وراءه عينا يخبرهم بحركاته
وسكناته ، وكاد يقع فيما لا تحمد عقباه لولا أن سلمه الله .

ولمداومة اشتغاله بالآراء وتربية النفوس لم يؤلف تأليفا ،
غير أن نظارة المعارف لما كلفت كل مدرس بجمع ما يلقيه من
الدروس ، وكان يدرس التفسير بمدرسة دار العلوم ، شرع في
جمع ذلك في كتاب سماه « عنوان البيان » لم يطبع منه غير
المقدمة سنة ١٣١٦ ، أي قبل وفاته بسنة . (أعيان القرن الرابع
عشر / ١٠٣ - ١١٣) .

(الأعلام للزركلي / ٢ / ١٨٣ ، والأثر والأثر في النهضة الأدبية
الحديثة - د. محمد كامل النقي / ١ / ١٢٤ ، وأعيان القرن الرابع عشر
للعلمة أحمد تيمور / ١٠٣ - ١١٣) .

• حسن الظن بالله سبحانه وتعالى :

حسن الظن بالله سبحانه وتعالى : للشيخ أبي بكر عبد الله
ابن محمد بن عبيد القرشي الشافعي المعروف بابن أبي الدنيا
المتوفى سنة ٢٨١ إحدى وعشرين ومائتين وهو مختصر
محول الأسانيد أوله الحمد لله وسلام على عباده ... إلخ .
(كشف / ١ / ٦٦٧) .

يوجد مخطوطه بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة
الأسد) وقد أدرج تحت عنوان « حسن الظن بالله من وجز »
وجاء بيانه كما يلي :

الرقم ٩٥٩٥ .

كتاب في حسن الظن بالله وما ورد في ذلك من الأخبار
والقصص رواية أبي الحسن علي بن بشر المجلد عنه .

المؤلف : أبو بكر عبد الله بن محمد بن قيس القرشي
الأمرى المعروف بابن أبي الدنيا المتوفى سنة ٢٨١ هـ / ٨٩٤ م
أوله : أثنان أبو الفضل جعفر بن أبي البركات الهمداني
المقري رحمه الله إجازة ... سند المؤلف إلى حكيم بن جعفر
قال : مات لمضر ابن كاتب فيه خلال تكبر ، فحزن عليه
مضر حزنا شديدا فقلت : هذا من مثلك كثير تحزن على ولد
أرجو أن يكون ذلك ذخرا ...

آخره : حدثنا عبد الله عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال :
« مائة رحمة وإنما أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس
والبهائم والبهائم فيها يتماطفون ويهازحون » .

كشفا وتأليفا وتصويبا مما نقله لك فيما يلي : ... بعد أن عين حسن عبد الوهاب كبيرا لمفتشى الآثار الإسلامية في القاهرة ، ظل حتى وفاته في سنة ١٩٦٧ مخلصا لعمله ، الذي أوقف عليه حياته ، فتعددت مؤلفاته ومكتشفاته الأثرية وكان منها :

محراب المعز لدين الله بالجامع الأزهر وكشف شرفاته الفاطمية .

تابوت المشهد الحسيني .

اسم مهندس مدرسة السلطان حسن « محمد بن بيليك المصنعي » .

فيسفاه مذهبية في قبة الصالح نجم الدين الأيوبي .

مشكواتين من الزجاج المكتوب والمنقوش بالعيناء ترجمان إلى العصر المملوكي في قبة مسجد أبو النجا بغوه .

شباك من النحاس مكنت بالذهب والفضة عليه اسم الملك المنصور في مسجد شيخو .

قطع كثيرة من مشكوات زجاجية مشغولة ومكتوبة بالعيناء في مسجد برقوق بالنحاسين .

مصحف شريف مكتوب في القرن السادس الهجري وعليه اسم كاتبه ومذهبه .

قبة لبي تراب الفاطمية بالعباسية .

قبة جمال الدين (القرن السادس عشر الميلادي) .

المساهمة في كشف باب التوفيق الفاطمي .

تصويب عدد من تواريخ الأماكن الأثرية وأهمها :

قبة بدر الجمالي الفاطمية ، وقاعة الدريد الفاطمية ، وقبة يونس الدواير المملوكية .

وقد أصدر العديد من الكتب الهامة منها :

بين الآثار الإسلامية ، نشر باللغات العربية والفرنسية والإنجليزية .

الآثار الإسلامية بمصر . نشر باللغات العربية والفرنسية والإنجليزية .

العمارة في عصر محمد علي .

الخط نسخ معتاد الجهر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

تاريخ النسخ : سنة ٧٩١ هـ .

ملاحظات : نسخة قيمة ومراجعة ومقابلة عليها تملكات تختلف ترتيبها عن المطبوعة .

مصادر عن الكتاب : بروكلمان الترجمة العربية ٣ /

١٣٢٢ ، د . صلاح الدين المنجد معجم مصنفات ابن أبي الدنيا ٨ رقم ٥٨ .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٦ / ١٣١ ، تاريخ بغداد ١٠ / ٨٩ .

طبعة الكتاب : طبع ضمن مجموعة رسائل ابن أبي الدنيا سنة ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٥ م وهو ثالث الرسائل ٣٩ طبع جمعية النشر والتأليف الأزهرية .

بعض نسخ الكتاب : الأحمدية بحلب - مجلة المجمع العلمي بدمشق ١٠ / ٥٧٧ ، المحمودية بالمدينة المنورة ١٢٤ مجاميع (لورس المخطوطات ١ / ٤٤٧ ، ٤٤٨) .

(كشف الظنون ١ / ٦٦٧ ، واهرس مخطوطات دار الكتب القاهرة التصرف - وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٤٧ ، ٤٤٨) .

• حسن عبد الوهاب (١٣١٧-١٣٨٦ هـ / ١٨٩٩-١٩٦٧ م) :

قال عنه صاحب الأحلام : حسن عبد الوهاب المصري ، عالم بالآثار الإسلامية ، عمل في ابتلائه مصورا في لجنة حفظ الآثار الإسلامية بالقاهرة . وسافر إلى البلدان العربية ودرس عماثها الأثرية . وعين مفتشا للآثار العربية . وأنشأ مكتبة خاصة احتوت على نواذر في موضوعها . واختير عضوا في المجمع العلمي المصري ، والجمعية التاريخية المصرية والمجلس الأعلى للآداب والفنون . له عدة اكتشافات وأبحاث ومؤلفات ، أهمها « مساجد القاهرة » جزءان ، و « ميلان صلاح الدين وما حوله من الآثار » و « تخطيط القاهرة » وبين الآثار الإسلامية « رسالة ، وكلها مطبوعة (الأحلام ٢ / ١٩٨) .

وله أيضا كتاب « تاريخ المساجد الأثرية » و « سياتي الكلام عليه فيما بعد .

وفي تصديره المستفيض لهذا الكتاب يعد الأستاذ أحمد صليحة متأثر حسن عبد الوهاب في مجال الآثار الإسلامية

- تاريخ الشرطة في العصر الإسلامي .
 دليل الطالب لأثار القاهرة .
 العمارة الإسلامية في مصر .
 إدارة حفظ الآثار العربية رسائلها في رعاية الآثار الإسلامية .
 رمضان ... عناية المسلمين بهذا الشهر وتقاليدهم فيه .
 اشتراكه في كتابة تاريخ ووصف جامع الزيتون [الزيتونة]
 بتونس . (نشر في الجزء الأول من كتاب العمارة الإسلامية
 للدكتور كريويل) .
 مسجد السلطان حسن وما حوله من الآثار بيمين صلاح
 الدين والقلعة .
 هذا فضلا عن الكثير من المحاضرات والبحوث القيمة
 ومنها :
 مميزات العمارة الإسلامية . محاضرة ألقى في مؤتمر
 الآثار ببنغازي سنة ١٩٤٧ .
 الرسومات الهندسية للعمارة الإسلامية .
 محاضرة ألقى في مؤتمر الآثار ببغداد سنة ١٩٥٧ .
 خاتمة فرج بن برقوق وما حوله من آثار صحراء قابلي .
 محاضرة ألقى في مؤتمر الآثار بالرباط سنة ١٩٥٩ .
 العمارة العثمانية في مصر . بحث ألقى في مؤتمر
 المستشرقين بتركيا سنة ١٩٥١ .
 بين خيال الظل والسينما . بحث ألقى في مؤتمر السينما
 والثقافة في بيروت سنة ١٩٦٢ .
 توقيعات الصانع على الآثار الإسلامية . ألقى بالمجمع
 العلمي المصري .
 تخطيط القاهرة وتنظيمها منذ نشأتها . ألقى بالمجمع
 العلمي المصري .
 طراز العمارة في الرفيف . ألقى بالمجمع العلمي
 المصري .
 الآثار المنقولة والمتحركة . ألقى بالمجمع العلمي
 المصري .
 وحدة الفن في العمارة الإسلامية والقبطية . ألقى في
 المعهد اليوسابي .
- التأثيرات المعمارية بين آثار سورية ومصر . ألقى في
 الحلقة الدراسية الأولى للتاريخ والآثار التي نظمتها المجلس
 الأعلى لرعاية الفنون والآداب .
 ومن مقالاته :
 سلسلة عن أثر المرأة في العمارة الإسلامية . نشرت في
 مجلة الهندسة .
 القشاني في الآثار الإسلامية بمصر . نشرت في مجلة
 الهندسة .
 سلسلة عن بعض الآثار المنبوتة مثل رباط أحمد بن
 سليمان ومدرسة أبو بكر مزهر ومسجد أمام السلحدار وفي
 التصوير عند العرب .
 اشترك في كتابة تاريخ ووصف قصر الحمراء بقرطبة .
 سلسلة عن العمارة الإسلامية (البناء بالطوب في العصر
 الإسلامي) وأثر الفنون في الحياة الإسلامية . نشرت في مجلة
 العمارة .
 بحثان عن علاقة مصر بالسودان في العصر الإسلامي
 والإسكندرية في العصر الإسلامي . نشر في مجلة الكتاب .
 فتوح الخوق في الفنون (خصائص العمارة الإسلامية)
 نشر في عدد خاص من مجلة الأزهر .
 الأميرة فاطمة إسمايل واضعة دعامة الجامعة المصرية .
 نشر في مجلة الشهر .
 الأفرح المشهورة في العصر الإسلامي . حقوق المرأة في
 الإسلام .
 الآثار المصرية على أوراق النقد . نشر في مجلة الإيمان .
 في دراسات التاريخ الفرنسية . دار ابن لقمان بالمنصورة
 جامع عمرو بن العاص .
 القاهرة : نشأتها وتطورها من العصر الفاطمي إلى العصر
 الحديث . نشر في المجلة التاريخية المصرية . المساجد
 وأثرها في التربية والتعليم . مكافحة المتكرات في تاريخ مصر
 أمة المرأة في الإسلام . تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي بدور
 الفرنسية في العصر الإسلامي . أبحاث نشرت في مجلة لواء

جاءت في صورة محاضرات ومقالات أكثر منها في شكل الكتاب ، الأمر الذي قد يعرض هذا التراث إلى فقدان والضياع مثلما ضاعت مكتبة العلمية الثمينة التي وجدت طريقها إلى إحدى البلدان العربية البعيدة وأصبح من العسير على الباحثين الاطلاع على ذخائرها وتكرزها ، والأمر يتطلب منا السعى إلى جمع هذه الدراسات القيمة وإعادة إصدارها في مجلد أو سلسلة من الكتب تتيح للباحث المعاصر الاستفادة منها .

وعلى رأس مؤلفاته يأتي هذا الكتاب الهام « تاريخ المساجد الأثرية » الذي لعبت الأوهام السياسية دورها في حجبها عن الظهور لفترة طويلة ، رغم قلة المراجع العربية الهامة عن التراث المعماري الفني للحضارة الإسلامية .

(تاريخ المساجد الأثرية / ١-٤) .

قالت المؤلفة : كتاب تاريخ المساجد الأثرية هذا هو السلي عند طبع الهيئة المصرية العامة ، الطبعة الثانية ١٩٩٤ .

(الأعلام للزركلي ٢ / ١٩٨ ، وتاريخ المساجد الأثرية - حسن عبد الوهاب / ١-٤) .

• الحسن العسكري (٢٣٢-٢٦٠ هـ / ٨٤٦-٨٧٣ م) ،

ترجم له صاحب الأعلام تحت عنوان « الحسن الخالص » فقال عنه : الحسن بن علي الهادي بن محمد الجواد الحسيني الهاشمي ، أبو محمد ، الإمام الحادي عشر عند الإمامية (انظر الرسم للمصاحب لمادة « الإمامية » في ٦ / ٥١ من هذه الموسوعة) . ولد سنة ٢٣٢ في المدينة ، وانتقل مع أبيه « الهادي » إلى سامراء (في العراق) وكان اسمها « مدينة العسكر » فقتل له العسكري - كأي - نسبة لها . ويومع بالإمامة بعد وفاة أبيه . وكان على سنن سلفه الصالح تقي ونسكا وعبادة .

وتوفي بسامراء (الأعلام ٢ / ٢٠٠) .

ونسبه صاحب نور الأبصار فقال : الحسن الخالص بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى

الإسلام - الجامع الأموي بدمشق . بغداد وآثارها الإسلامية . الآثار الإسلامية بالعراق . التأثيرات العثمانية على العمارة الإسلامية بمصر . المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية . أبحاث نشرت في مجلة القاهرة .

تاريخ وشرح العصر العربي بالمتحف . موجود بدليل الحضارة .

تاريخ البريد في العصر الإسلامي . تاريخ الصيد ومواسمه في مصر .

تونس الخضراء . عبر الجبتي . مصايف القاهرة . الأزيكية .

الفنون والصناعات الإسلامية في مصر . العيد الأثني للقاهرة .

قلعة قايتاباي بالإسكندرية . الإسكندرية تاريخها وآثارها .

الإسكندرية ونهضتها العلمية . قلعة صلاح الدين بالقاهرة .

التراث الأندلسي المجيد والروابط الثقافية بين مصر والأندلس .

رشيد : ماضيها وحاضرها . مقبرة رشيد في جلاء الإنجليز عنها .

تاريخ الأزمن في مصر ومنشأتهم المعمارية . حوانيت الأزهار في العصر الإسلامي .

دار ابن لقمان وموقعة المنصورة . مسجد النبي دانيال والبحث عن قبر الإسكندر . تاريخ ثلاثين مسجدا . نشرت تباعا في شهر رمضان سنة ١٣٧٤ هـ / سنة ١٩٥٥ م .

اشترك في إخراج عدد الأهرام في ٧٥ سنة من ١٨٧٦ حتى سنة ١٩٥٠ .

كذلك اشترك في إخراج العدد الخاص بالقاهرة في ألف سنة .

ومن هنا نرى أن معظم إسهامات ذلك العالم المبكرى الفذ

الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم . ثم بعدد مناقبه وكراماته : مما نقل بعضه فيما يلي :

أمه له ولد يقال لها حديث وقيل سوسن (وكنيته) أبو محمد وألقابه الخالص والسراج والعسكري (صفته) بين السمرة والبياض (شاعره) ابن الرومي (بوابه) عثمان بن سعد (نقش خاتمه) سبحانه من له بقاليد السموات والأرض (مصاصره) المعتمر والمهتدي والمتمم . ولد أبو محمد الخالص بالمدينة لثمان خلون من شهر ربيع الآخر سنة الثنتين وثلاثين ومائتين من الهجرة .

(ومناقبه) رضي الله عنه كثيرة ففي درر الأصداف وقع للبهلول معه أنه رآه وهو صبي يلبيك والصبيان يلعبون فظن أنه يتحسر على ما بأيديهم فقال له أشتري لك ما تلعب به فقال يا قليل العقل ما للعب خلقنا فقال له فلماذا خلقنا قال للعلم والعبادة فقال له من أين لك ذلك فقال من قوله تعالى ﴿ أَنفَحْنَمُ آبْنَا خَلْقْنَاكُمْ عَشَا وَآتَكُمْ إِنْنَا لَنَرْجُمَنَّ ﴾ [المؤمنون : ١١٥] ثم ماله أن يعظه فوعظه بأبيات ثم خر الحسن رضي الله عنه مغشيا عليه فلما أفاق قال له ما نزل بك وأنت صغير ولا ذنب لك فقال إليك عني يا بهلول إني رأيت ووالدي تنوّد النار بالحطب الكبار فلا تتعد إلا بالصغار وإني أخشى أن أكون من صغار حطب جهنم .

كراماته : الأولى : وهي جامعة لكرامات حدث أبو هاشم داود بن قاسم الجعفي قال كنت في المجلس السلي في الجوسق أنا والحسن بن محمد ومحمد بن إبراهيم العمري وفلان وفلان خمسة إذ دخل علينا أبو محمد الحسن ابن علي العسكري وأخوه جعفر فحفظنا بأبي محمد وكان المشولي المجلس صالح بن يوسف الحاجب وكان معنا في المجلس رجل أعجمي فالتفت إلينا أبو محمد وقال لنا سرا لولا أن هذا الرجل فيكم لأخبرتكم متى يفرج الله عنكم وهذا الرجل قد كتب فيكم قصة إلى الخليفة يخبر فيها بما تقولون فيه وهي معه في ثيابه يريد الحيلة في إيصالها إلى الخليفة من حيث لا تعلمون فاحذروا شره قال أبو هاشم فما تمالكنا أن تحاملنا

جميعا على الرجل ففتشناه فوجدنا القصة مبدوسة معه في ثيابه وهو يلكرنا فيها بكل سوء فأخجلنا منه وحذرناه وكان الحسن يصوم في السجن فإذا أظفر أكلنا معه من طعامه قال أبو هاشم فكنت أصوم معه فلما كان ذات يوم ضعفت عن الصوم فأمرت غلامي فجاء لي بكمك فذهبت إلى مكان خال في المجلس فأكلت وشربت ثم عدت إلى مجلسي مع الجماعة ولم يشعر بي أحد فلما رأني تبسم وقال أظفرت فحجلت فقال لا عليك يا أبا هاشم إذا رأيت أنك قد ضعفت وأردت القوة فكل اللحم فإن الكمل لا قوة فيه وقال عزمت عليك أن تطهر ثلاثا فإن البنية إذا أنهكتها الصوم لا تنقوى إلا بعد ثلاث ...

الثانية : عن علي بن إبراهيم بن هشام عن أبيه عن عيسى ابن الفتوح قال لما دخل علينا أبو محمد الحسن المجلس قال لي يا عيسى لك من العمر خمس وستون سنة وشهر ويومان قال وكان معي كتاب فيه تاريخ ولادتي فنظرت فيه فكان كما قال ثم قال : هل رزقت ولدا قلت لا فقال اللهم ارزقه ولدا يكون له عضدا فعم العضد الولد ثم أشد :

من كان ذا عضد يسارك علامته

إن السليل السلي ليس له عضد
فقلت يا سبي وأنت لك ولد فقال إني والله سيكون لي ولد يملأ الأرض قسطا وعدلا وأما الآن فلا .

الثالثة : عن إسماعيل بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس رضي الله عنهم قال قدمت لأبي محمد الحسن على باب داره حتى خرج فقمعت في وجهه وشكرت إليه الحاجة والضرورة وأقسمت أني لا أملك الدرهم الواحد فما فوقه فقال تقسم وقد دفنت مائتي دينار وليس قبولى هذا فضلا لك من العطية أعطه يا غلام ما معك فأعطاني مائة دينار فشكرت له ووليت فقال ما أخوفني أن تفقد المائتي دينار أخوحي ما تكون إليها فلهجت إليها فاقضيتها فإذا هي في مكانها فقلتني إلى موضع آخر ودفنتها ولم يطلع عليها أحد ثم قعدت مدة طويلة فاضطرت إليها فبحثت أطليها في مكانها فلم أجدها فحزنت وشق ذلك علي فوجدت ابنا لي قد عرف مكانها وقد أخذها وأنفدها ولم أحصل منها على شيء وكان كما قال الرابعة

عيسى ابن المتوكل ليصلى عليه فصلى عليه ودفن في البيت الذي دفن فيه أبوه من دارهما بسر من رأى وكانت وفاة أبي محمد الحسن بن علي في يوم الجمعة لثمان خالون من شهر ربيع الأول سنة ستين ومائتين وخلف من الولد ابنه محمدا (نور الأنصار / ٢٩٤-٢٩٧) .

وفيما يلي الوصف المعمسارى لضريح الإمام الحسين العسكري في سامراء بالعراق ، ويسمونه « الروضة العسكرية » :

تضم هذه الروضة ضريح الإمامين علي الهادي والحسن العسكري ، والمعروف أن الإمام علي الهادي قد توفي عام ٢٥٤ هـ ٨٦٨ م ودفن داره في قرية عسكره وعندما تنولى ابنه الحسن العسكري عام ٢٦٠ هـ ٨٧٣ م دفن إلى جواره ، وبعد أن هجرت مدينة سر من رأى ، أخذ البناء يتسع حول مدفن الإمامين وزاد البناء باستمرار بحيث أصبحت قرية العسكر نواة لمدينة سامراء الجديدة ، وتذكر كتب التاريخ أن أول من اهتم بمرقد العسكريين الأمير ناصر الدولة الحمداني الذي أمر بإقامة بناء عام ٥٣٥ هـ / ٩٤٤ م ويستشف من أختبار البناء هذا أنه كان يتألف من غرفة ذات جدران ضخمة عليها قبة ، ومصادف أن احترقت أبنية الحضرة العسكرية فأمر الخليفة

عن محمد بن حمزة الدوردي قال كتبت على يدي أبي هاشم داود بن القاسم وكان موافقيا لأبي محمد الحسن أسأله أن يدعو الله لي بالغنى وكنت قد أملت وخفت الفضيحة فخرج الجواب على يده أبشر فقد أنك الغنى من الله تعالى مات ابن عمك يحيى بن حمزة وخلف مائة ألف درهم ولم يترك وارثا سواك وهي واردة عليك عن قريب فاشكر الله وعليك بالاعتقاد وإياك والإصراف لورد على المال والخير بموت ابن عمي كما قال عن أيام قلائل وزال عنى الفقر وأدبت حق الله تعالى فيه ويررت إخواني وتماسكت بعد ذلك وكنت قبل مينا (فائدة) عن أبي هاشم قال سمعت أبا محمد الحسن يقول إن في الجنة بابا يقال له المعروف لا يدخل منه إلا أهل المعروف فحمدت الله في نفسي وخرجت بما أتكلف من حوائج الناس فنظر إلى وقال يا أبا هاشم دم على ما أتت عليه فإن أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة وعنه أيضا قال سمعت أبا محمد يقول بسم الله الرحمن الرحيم أقرب إلى اسم الله الأعظم من سواد العين إلى يابضها .

في الكلام على وفاته وولده رضى الله عنه : في الفصول المهمة : ولما ذاع خبر وفاته ارتجت سر من رأى وقامت صبيحة واحدة وغطت الأسواق وغلقت الدكاكين وركب بنو هاشم والقواد والكتاب والفضة والمعدلون وسافر الناس إلى

جنازته

فكانت

سر من

رأى

يوهش

شبهة

بالقيامه

فلمسا

فرغوا من

تجهيزه

بعث

الخليفة

إلى أبي



لوح ١٢٠ : الروضة العسكرية وجامع المهدي

التاريخ إن
الخلافة
العباسي
المشهور
الناصر لدين
الله قد أمر
ببناء هذا
الجامع
وتمعبر
سرداب الغيبة
عام ٦٠٦ هـ
(١٢٠٩ م)
ومسا زال
مشبك
سرداب الغيبة
يحمل تاريخ
التعمير إلى
يومنا هذا ،
وأمر الخليفة
المستنصر
بالله العباسي
أيضا بتجديد
الجامع ،
والسرداب ،

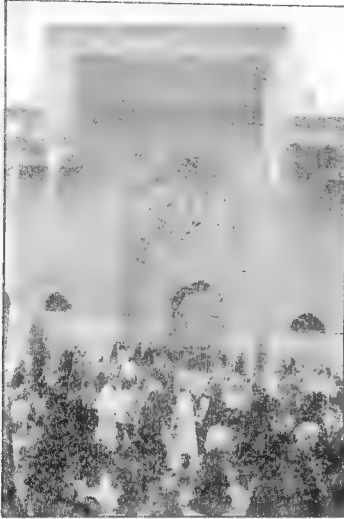


ولكننا لا نعرف حصرا نوع التجديدات أو أماكنها في الجامع
وبالإضافة إلى ذلك رُمم الجامع وجرّد عدة مرات في فترات
لاحقة كما يكشف البناء الحالي عن ذلك ، والمعروف أن
الباب أو المدخل الرئيسي قد بنى في عام ١٢٠٠ هـ إلى
المصلى الشتوي في هذا الجامع (لوح ١٢٠) تتوسط الروضة
المسكينة ببلدة سامراء الآن ، وتشغل مساحة أرض مربعة
الشكل طول ضلعها ١١٥ م وتتألف من حضرة ضخمة تتلصق
بالجدار الشمالي للروضة ، ويحيط بها صحن فسيح من
جهات ثلاث ويسور هذا الصحن جدار ضخم يتألف من
أولوين ومداخل ويفصل بين الصحن والطرق والأسواق والدور
المجاورة للروضة . تخطيط الروضة المسكينة يشبه وإلى حد

لوح ١٢١ : قبة الحضرة العسكرية

العباسي المشهور المستنصر بالله بتجديدها واعتم بسرداب
الغيبة أيضا ومثل بقية أبنية الروضات والمشاهد تعرضت
الروضة العسكرية إلى ترميمات وتجديدات وإضافات
وتوسيعات متعددة ومتتالية ، وقد أثرت هذه العمليات على
طابع معالمها الأصلية ومظهرها الأول وتم إدخال عناصر
معمارية وزخرفية تعكس ماساد وازدهر في كل مرحلة من
مراحل التطوير .

شيد بناء الروضة الحالي عام ١٢٢٥ هـ (١٨١٠ م) وتم
فيما بعد تلمهيب القبة عام ١٢٨٥ هـ (١٨٦٨ م) بجوار
الروضة هذه جامع المهدي . ويقوم الجامع فوق سرداب
الغيبة الذي يزعم أن الإمام المهدي قد غاب فيه . وتلكر كتب



لوح ١٢٢: إيوان الذهب في الحضرة العسكرية

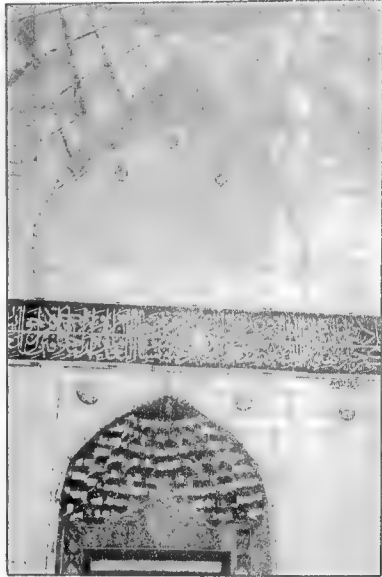
رواق مستطيل بعرض أربعة أمتار وترتفع جدرانه بارتفاع جدران غرفة الضريح ، وعرض جدران الرواق هذا أربعة أمتار أيضا وتفتتح فيه حنايا وأواوين تطل على الداخل ، وكما ذكرنا إماما من الخارج فتتألف جدران الرواق من حنايا بطابقين تخشع في الصف الأسفل منها نوافذ وأبواب ، ويتألف سقفه من أقبية وعقود وقياب صغيرة ذات نوافذ .

كبير تخطيط الروضة الحديدية ، ولا يقتصر التشابه على التخطيط حسب [فحسب] بل يمتد إلى التكوين المعماري والعناصر المعمارية والزخرفية أيضا . والحضرة العسكرية مستطيلة الشكل وتواجه جدرانها الجهات الأربع - يبلغ طول ضلعها ٤٣ مترا من الشمال إلى الجنوب و٣٨ مترا من الشرق إلى الغرب ومن الخارج وتتكون الحضرة من غرفة مربعة تضم قبري الإمام علي الهادي والإمام الحسن العسكري وتوسط الحضرة ، وهذه الغرفة مربعة الشكل طول ضلعها ١٥ مترا من الخارج وتتم جدرانها الضخمة المتينة والتي ترتفع بحدود عشرة أمتار عن مستوى أرضية الغرفة ، وتبع المعمار أو المهندس عين الطريقة المستخدمة في تشييد جدران الحضرة الحديدية والكلاسيكية وهي استغلال سمك الجدران لفتح حنايا وأواوين فيها غرضها الأساسي الاقتصاد في المواد البنائية ، ويموجب ذلك هناك عدد من الحنايا والأواوين في جدران غرفة الضريح تفتتح على السرواق فقط وبأعداد متناسبة مع تلك التي تطل على الرواق من الجهات المقابلة ، وتحمل جدران غرفة الضريح هذه قبة

بصلبة ضخمة ذات رقبية أسطوانية طويلة نسبيا وتدخلها عدة نوافذ ذات عقود مدببة منفرجة مثل معظم عقود الروضة العسكرية ، وقبة الحضرة العسكرية غير مزدوجة ويبلغ قطرها ١٥ مترا ، وهي مثل قبة الروضة الحديدية مطلية بالذهب (لوح ١٢١) وتتصل غرفة الضريح بالرواق الذي يدور حولها بأربعة أبواب ونوافذ توسط الجدران فيها ، ويدور حول الغرفة هذه

السابقة ، يختلف عن بقية الجدران حيث يتوسطه إيوان ضخم مرتفع يدعى بإيوان الذهب ، وقد طليت أجواء واسعة منه ومقرنصاته المنقودية بالوواح مطلية بالذهب ، ويشبه هذا الإيوان إيوان الذهب في الحاضرة الحيدرية (لوح ١٢٢) ويتوسط هذا الإيوان الباب الرئيسى الذى يقع على الخط المحورى للروضة والسدى يربط بين المدخل الخارجى ومدخل المحضرة ، وتقدم فى ركنى الجدار الجنوبي هذا مثلثتان أسطوانيتان رشيقتان نسيبا ، ولكل منهما حوض يستند على أكثر من صف من المقرنصات ، وكسيت أبدانها بطابوق مزجج وقراميد قاشانية مصفولة بطريقة فنية نتجت عنها تشكيلات زخرفية جميلة وتطرق الأبدان عند قاعدتيهما ونهايتيها أنطقة ذات تشكيلات زخرفية رائعة ، وكانت الرقاب مغطاة أيضا بقراميد قاشانية وطابوق مزجج (لوح ١٢٣) ولكن وقبل سنوات أزيلت هذه الكسوة وأبدلت بالوواح معدنية مطلية بالذهب ، وتتقدم جدار إيوان الذهب مبقية شبيهة بسقيفة الحاضرة العباسية

والحسينية ويبلغ عرضها مع الحاضرة العسكرية عشرة أمتار ، وغطيت وجوه جدران الحاضرة من الخارج علما الحنايا والنوافذ بقراميد قاشانية تنصف بجمال تشكيلاتها وتنوع ورقة ألوانها وتتناسق أشكالها الزخرفية فهي تتألف من تشكيلات نباتية



لوح ١٢٥: تشكيلات زخرفية تزين المحضرة من الداخل:

والدخول إلى الحاضرة يكون عن طريق خمسة أبواب ، يتوسط الرئيسى منها جدار القبة أو الجدار الجنوبي ، ويقع اثنان منها فى كل من الجدارين الشرقى والغربى ، وتصميم جدار الحاضرة الجنوبي ، وكما هو الأمر فى أغلب المشاهد

ويطابق
واحد
يلغ
عدها
٦٢ إيوانا
وتطل
على
الصحن
بعقود
مدبية
منفرجة،
ويتوسط
الجدار
الجنوبية
في هذا
الصور



لوح ١٢٧: مدخل الروضة الجنوبي

مدخل ضخم مرتفع مغطى بقراميد قاشانية ذات تشكيلات زخرفية جميلة (لوح ١٢٧) ويتوسط إيوان هذا البناء الباب الرئيسي الذي يقابل باب إيوان الذهب، وقد تم قبيل سنوات وبعد تحرير الجدار الغربي من الأبنية الملتصقة به فتح باب فيه يتوسط إيوانا ضخما يشبه إيوان المدخل الرئيسي، وكسيت واجهات جدران أووين السور وأجزاء واسعة منه بقراميد قاشانية جميلة.

(الأعلام للزركلي ٢ / ٢٠٠ وما جاء بهامش ٢ من مراجع، وقد أوردته تحت عنوان «الحسن الخالص»، ونور الأبصار في مناقب آل النبي المختار للشيباني، ط دار الفد العربي / ٢٩٤ - ٢٩٧، والمعالمات العربية الإسلامية في العراق - د. حسي سلمان وزميلاته ٢ / ١٩٦ - ٢٠٥. انظر أيضا.

منهل لصفاء السيد محمود أبو الفيض المنوفي (١١١).

• حسن العطار (١٩٠ - ١٢٥٠ هـ / ١٧٧٦ - ١٨٣٥ م)

الشيخ السادس عشر من شيوخ الأزهر الشريف، تولى مشيخة الأزهر عام ١٢٤٥ هـ / ١٨٣٠ م (الأزهر في ألف عام / ١١٩) في الأعلام ٢ / ٢٢٠ تولى سنة ١٢٤٦ هـ (في الأعلام أصله مغربي ولكنه ولد بالقاهرة سنة ١١٨٢ هـ (في الأعلام

وزهرية وهندسية وكتابات، ويتوج الجدران هذه نطاق من كتابات لأيات قرآنية رسمت حروفها بلون أبيض على أرضية زرقاء داكنة.

شغلت أغلب حنايها أووين المحضرة من السداخل بمقرنصات عنقودية وكسيت جدرانها بأروع التشكيلات الزخرفية ويسور المرقدين الشريفين صندوق مشبك ضخم معمول من الفضة بأدق صنعة وأجمل مظهر وأرضية المحضرة وجدرانها مكسوة إلى ارتفاع مترين بمرمر إيطالي أخضر مجنق، ويؤطر هذه الكسوة من أعلى شريط من كتابات جميلة يدور مع العقود والإووين، وكسيت بقية الواجهات وزخارفها وباطن القبة وزينتها بقطع المرابا والقراميد القاشانية الرائعة والأواح الذهب ويطوق ربة القبة عند قاعدتها ونهايتها نطاق من كتابات جميلة لأيات قرآنية (لوح ١٢٥) والأبواب في هذه المحضرة مغشاة أيضا بالذهب والمينا وأروعها إيوان الذهب.

وصحن الروضة العسكرية فسيح يحيط بالمحضرة من جهات ثلاث، وطول ضلع الصحن ٧٧ مترا وعرضه ٨٥ / ٤٠ مترا ويحيط بهذا الصحن جدار مرتفع يتألف من جملة أووين

۱۱۹۰، وفی

عام / ١١٩ سنة

أبوه عطارا

والله اعلم

— 116 —

أبو بكر بن خلدون

1. 2. 3.

منه

1989

1. 1. 1.

أول

all

١٠٠

آیت ۱۰۱

المسألة

والدروس المنهجية

وكان يك

البصير يفر

أدى الخطوط

[illegible]

فبأي من شئتكم
 يا أمي غنة حلت
 فخذتكم فاضلت
 نزعوا نسا في
 واسم ودم العبيد
 عاكسها إلى أساسه
 سبل الحيا عند الجاسه
 فهدى الزعم اما نوحه
 ابتاتلا باقاسه
 وانزلوا ليشك كاسه
 فحق الزمان وشهد العبد والدار
 عن أسسه ديارش العبد والدار
 الزهر اسفه شجر جسد الزمان
 المصعد وهو الزمان دونه

[illegible]

ورغم طغيان محمد على فقد كان يحله ويستشيريه وأطلق يده في النهضة العلمية ففتح الأبواب للعلوم الحديثة وأشرف على إنشاء المدارس المتعددة (ثم ولاه مشيخة الأزهر) سنة ١٢٤٦ هـ . وجدد في الشعر العربي وفتح الطريق أمام شعراء النهضة (كالبارودي وشوقي وحافظ) وأراد الرجوع إلى مكة ولكن طلابه تعلقوا به وهددوا بترك الدراسة حتى رضخ لهم وبقي في مصر .
من مصنفاته :

— حاشية المطار على الجواهر المنتظمت في عقود المقولات .

— حاشية المطار على التهذيب للإمام الخبيصي (شرح على تهذيب المنطق والكلام) .

— حاشية المطار على شرح إيساغوجي في المنطق (وكان من أهم الكتب) .

— حاشية المطار على شرح العصام على الرسالة الغضلية .

— حاشية المطار على كتاب نيل السعادات في علم المقولات .

— حاشية المطار على جمع الجوامع في أصول الفقه .

— رسالة في علم الكلام .

— حاشية المطار على شرح الكتاب المسمى « بموصل الطلاب إلى قواعد الإعراب » .

— حاشية المطار على جمع الجوامع في أصول الفقه .

— حاشية في علم الكلام .

— حاشية المطار على شرح الألفية للشيخ خالد .

— حاشية (في النحو) .

— شرح السمركندية في (علم البيان) .

— منظومة المطار في علم النحو .

— إنشاء المطار في المراسلات والمخاطبات والتوثيقات .

— ديوان المطار (ويجمع مئات القصائد) .

— مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيين .

— رسالة في كيفية العمل بالاسطرلاب والربعين المقنطر والمجيب والبساطط وهو علم الرصد .

— جمع وترتيب وشرح ديوان ابن سهل الأندلسي .

في ضوء القمر أو الشموع الضعيفة ولا يترك الكتاب حتى يستوعبه وكان كثير الاستعارة وبذلك استوعب علوم عصره وامتحده رفاعة الطهطاوي واعتبره سابقا لعصره .

وله هوامش على كتب الطب غاية في الروعة وأتقن الرصد للنجوم ودرس التفسير فكان موسوعة علمية واتصل بعلماء الحملة الفرنسية وأتقن الفرنسية ودرس علومهم الحديثة رغم أنه فر عند مجيء الحملة إلى أمسيوط وعانى من الفقر والاضطراب ومرض الطاعون الذي اجتاح أمسيوط .

وكتب في ذلك إلى (العلامة الجبرتي) رسالة غاية في الأهمية ووصف الطاعون وأعراضه وآراه في مقاومته .

وعاد للقاهرة بعد أن استقر الأمن وكان يرى في مجيء الحملة الفرنسية إلى مصر مكسبا علميا وبركة لأنها فتحت أعين العلماء على حقائق خفية وبهذا جمع الشيخ بين الثقافة العربية والثقافة الغربية ودخل كثيرا إلى الخارج وأجاد عدة لغات منها التركية والفرنسية والألبانية وزار كثيرا من أوطان العرب وكان في كل بلد يلتقي محاضراته ويقبل عليه العلماء وكان شاعرا مجيدا وكاتباً عميقاً ولهذا أسندت إليه (جريدة الوقائع المصرية) فرأس تحريرها وأعلن آراءه ودعا إلى إدخال العلوم الحديثة وجلاء التراث العربي ، وحث على الرجوع إلى أمهات الكتب وعدم الاكتفاء بالحواشي والمتمون (ومنه تلقى رفاعة الطهطاوي) الذي أسهم في نقل مصر من عصر التخلف إلى عصر النهضة والاحتكاك بالثقافات العالمية وكان شعار الشيخ المطار (إن بلادنا يجب أن تتغير أحوالها وتتجدد بها المعارف) وهو الذي وجه تلميذه « رفاعة الطهطاوي » لتسجيل كل ما تقع عليه عينه في فرنسا وأن يستجلب معه كل ما تقع عليه يده من ذخائر الكتب وهو الذي شجعه على الترجمة وتأسيس مدرسة الآلسن .

وعالج علم الجغرافيا معالجة جديدة واهتم بالخرائط واستفاد من خبرة علماء الحملة وأكب على عيون الكتب المهجورة وبسطها لطلاب وبدأ أول خطوة في « فن القهورة » بحيث يعود الطلاب إلى المراجع القديمة بسهولة .

وكان خلية دابة يدرس ويصنف المؤلفات ويشرح الكتب ودفع طلابه إلى الخروج من التراكيب اللغوية المعقمة وتحرير الكتابة من قيود الصنعة التي شاعت في عصر الانحطاط ،

- شرح كتاب الكامل للمبرد .

- نبذة في علم الجراحة .

ولقي ربه سنة ١٢٥٠ هـ (شيخ الأثر / ٢٣ ، ٢٤ والتفتح

السين / ١٤٦ ، والأعلام / ٢ / ٢٢٠) .

والشيخ العطار يعتبر مصباحاً في مصاف جمال الدين الأفغاني ، والشيخ محمد عبده ، وكان ثاثراً لتطور الأثر لدرجة أثرت في تلاميذه من بعده ، فلقد سبق الكثيرين من المصلحين للأثر ، ووضع بلرة الإصلاح التقافي في عهده لتلقفها الأجيال من بعده ، ولقد كان من تلاميذه وفاعة الطهطاوي .

ونرى من تهافتة على المعرفة وتعلقه بها أن كتب في حاشيته على «شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع» : «أن من تأمل ما مطرناه وما ذكر من التصدي لتراجم الأئمة الأعلام ، علم أنهم كانوا مع رسوخ قدمهم في العلوم الشرعية والأحكام الدينية ، لهم اطلاع عظيم على غيرها من العلوم ، وإحاطة تامة بكلياتها وجزئياتها حتى في كتب المخالفين والمقالات والفتاوى يدل على ذلك الثقل منهم في كتبهم ، والتصدي لدفع شبههم ، وأعجب من ذلك تجاوزهم إلى النظر في كتب غير أهل الإسلام» .

والشيخ العطار - لا شك - كانت لديه نزعة إلى التعلم ، والاطلاع على العلوم المصرية التي كانت في عصره ، فلقد ذكر لنا في كتاب له تجربة أجراها عندما وضع قانوناً مقولاً فوق سطح الماء ، وشاهد تأثير الضغط الهوائي على سطحه وتأثيره في عملية الترتز السطحي ولقد عبر عن هذه التجربة بأنها «مقلبات لا برهانيات» .

والشيخ حسن العطار كان يهوى مع الموسيقى عدة فنون (الأثر في ألف عام / ١٢٠ ، ١٢١) .

وكان يحسن عمل الحزائل الليلية والنهارية (الأعلام / ٢ / ٢٢٠) .

وكان له هوامش على كتاب «تقديم البلدان لإسماعيل أبي الفداء سلطان حماة» ولقد كان الشيخ العطار كما يقول عنه تلميذه وفاعة الطهطاوي : يطلع على الكتب المعربة من

تواريخ وغيرها ، وكان له ولع بسائر المعارف البشرية ، مع غاية الدقة والصيانة ، وله بعض تأليف في الطب وغيره زيادة على تأليفه المشهورة ، فلقد تشبث من الآن فصاعداً نجباه أهل العلم الأثريين بالعلوم المصرية ففاضوا بدرجة الكمال . (شيخ الأثر لمحات عن نظام المعاصر / ٢٣ ، ٢٤ ، والأعلام للزركلي / ٢ / ٢٢٠ وقد أوردته تحت اسم «المطار» والأثر في ألف عام د. أحمد محمد عوف / ١٢٠ ، ١٢١) .

انظر كتاب «حسن المطار» لمحمد عبد الغني حسن في سلسلة نواحي الفكر العربي . دار المعارف . مصر سنة ١٩٦٨ (التراجم والسير - محمد عبد الغني حسن / ٥٣) .

• أبو الحسن علي بن إبراهيم الحصري (٢٧١ هـ) :

من الطبقة الخامسة للصوفية قال عنه عبد الرحمن السلمي : هو أبو الحسن علي بن إبراهيم الحصري ، بصري الأصل . سكن بغداد ، وكان شيخ العراق ولسانها ، لم نر فيما رأينا من المشايخ أتم حالاً منه ، ولا أحسن لساناً منه ، ولا أعلى كلاماً .

كان أوجد المشايخ ولسان الوقت ، وكان أوجد في طريقته ، من أجل المشايخ وأطرفهم وأطرفهم له لسان في التوحيد يختص هو به ، ومقام في التفريد والتجريد مسلم له ، لم يشركه فيه أحد بعده .

وهو أستاذ العراقيين ، وبه تأدب من تأدب منهم صاحب أبا بكر الشبلي ، وغيره من المشايخ مات ببغداد في يوم الجمعة في ذي الحجة سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة .

ومن كلامه :

- الصوفي لا يهتج في انزعاجه ، ولا يقر في قراره .

- آدم في محله كان محلاً للعلل ، فغوب على حسب العلل . «إن لك ألا تجوع فيها ولا تعمرى» [طه : ١١٨] وإلا فما مقام المجاورة مما يؤثر في الجوع والعمرى ! .

- علمنا الذي نحن فيه يوجب إتيار كل معلوم مرسوم ،

ومحو كل معلوم ملول .

- لا أحد أقل قدراً ممن يشتغل بالفضائل فيقدم ذا ويؤخر ذا . في الدنيا يكون ناماً بناس مع ناس ، وفي الآخرة : «ولكم

ذلّ به ، بل هو أظهر الجميع ، ووسم بأنهم عزوا وذلوا ،
وذلك هو العز الذي لا يرام .

— ضاقت على أوقاتي وأنفاسي ، فليست أمستروح إلا أن
تذكر أنفاس جرت مني بأنس البسط بمفقاء الود ، مصونة عن
شوب الأكدار ، وأنشد هذا البيت :

إن دهرنا يسلف يسلف شملنا يسلمنا

لـمـزـمـان يهـم بـالـإحـسان

(طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي — يسره ورتبه أحمد
الشرابي / ١٢٠ - ١٢١) .

✽ أبو الحسن علي بن بندار الصيرفي (٣٥٩ هـ) :

من الطبقة الخامسة للصوفية ، وهو أبو الحسن علي بن
بندار بن الحسين الصيرفي . من جلة مشايخ نيسابور . وورق
من رؤية المشايخ وصحبهم ما لم يسرّز غيره . صحب
بنيسابور أبا عثمان ومحفوظا ، ويسمرقند محمد بن الفضل ،
وبيلج محمد بن حامد ، ويجوزجان أبا علي ، وبالري يوسف
ابن الحسين ، وببغداد الجعيد بن محمد ورويسا وسمنون ،
وأبا العباس بن عطاء ، وأبا محمد الحريري ، وبالشام طاهرا
المقدسي ، وأبا عبد الله بن الجلاء ، وأبا عمرو الدمشقي ،
وبمصر أبا بكر المصري والزقاق ، وأبا علي الروذباري . وكتب
الحديث الكثير ، ورواه ، وكان ثقة .

مات سنة تسع وخمسين وثلاثمائة .

أُسند الحديث :

عن عائشة أن النبي ﷺ قال : « نعم الإدام الخل » .

ومن كلامه :

— سئل : ما التصوف ؟ فقال : إسقاط رؤية الخالق ظاهرا
وباطنا .

— فساد القلوب على حسب فساد الزمان وأهله .

— دار أسست على البلوى بلا بلوى محال .

— يا بني ، إياك والخلاف على الخلق ، فمن رضى الله به
عبدا فارض به أيضا .

— إياك والاشتغال بالخلق ، فقد عدم عليهم الريح اليوم .

ليها ما تشتهي أنفسكم » [فصلت : ٣١] مع المطامع
والمشارب والمناكح ، ليت الجنة على قفأ أهلها ، لعنا إذا
نجونا منها وطلبها نفرغنا إلى مشاهدة من أكرمنا بمعرفته ،
وبدلنا بأنواع مباره ، بل لو عرفناه ما شاهدنا سواه .

— دعوني ويلائي ، هاتوا ما لكم ، أستم من أولاد آدم
الذي خلقه الله بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له
ملائكته ، ثم أمره بأمر فخالفه ؟ إذا كان أول الدن درديا كيف
يكون آخره ؟ .

— من ادعى في شيء من للحقيقة كذبته شواهد كشف

البراهين .

— نظرت في ذل كل ذي ذل فزاد ذلي على ذلهم ، ونظرت
في عز كل ذي عز فزاد عزّي على عزهم . ثم قرأ : ﴿ من كان
يريد العزة فله العزة جميعا ﴾ [فاطر : ١٠] .

— الصوفي الذي لا يوجد بعد عدمه ، ولا يعدم بعد
وجوده .

— الصوفي وجدته وجوده ، وصفاته حجابيه .

— الصوفي إن وجد جحد ، وإن تجلى كشف .

— الخوف من الله علة وحجاب ، لأنه إذا كان خوفا منه لا
يزيل مراده في ، ورجائي لا يوصلني إلى مرادى منه ، فقد
تعطل عندي حكم الخوف والرجاء للمتقين . وأما أرباب
الرسم والعلوم فعليهم واجب التزام الأدب .

— ربط الكل بالحدود ، وقطع طريق الحق عن الكل ، فلا
ترى إلا واقفا مع نفسه أو مع رسمه ، لينتونه القدم أن لم
يلحقه شيء من الحوادث ، إذا زفرت جهنم زفرة فإن الكل
يقول : نفسي نفسي ! . والأجل الأدنى يرجع إلى حد الشفقة ،
فيقول : أمّي أمّي ! . فلا يبقى في أحد نفس بلا علة ،
فيقول : ربّي ربّي ! ليعلم أن محل الحوادث لا يخلو عن
العلل .

— هو أعز من أن يعز على سواه ، وأعز من أن ينذل له غيره ،
وأعز من أن ينذل لغيره ، بل هو أذل ماله لماله ، وعز ماله ،
على ماله ، وليس لمن أعز معنى عز به ، ولا لمن أذل معنى

- ورأى مرة في يد ابنه كتابا فقال له : ما هذا ؟

فقال : كتاب « المعرفة » . فقال : ألم تكن المعمرة في القلوب ؟ فقد صارت في الكتب ! .

- ليس الفقير من يظهر فقره ، إنما الفقير من يكتم فقره ، ويأنس به ويفرح .

- زمان يذكر فيه بالصلاح ، زمان لا يرجى فيه صلاح .

- كنت يوما أمشى أبا عبد الله محمد بن خفيف فقال لى : تقدم يا أبا الحسن . فقلت : بأى صذر ؟ قال : بأنك لقيت الجنيد وما لقيته .

- ثوب أستجيز فيه الصلاة أكره أن أبدله لقاء الناس بخير منه .

- وقال لبعض اصحابه : إلى أين ؟ فقال : أخرج إلى النزهة . فقال : من عدم الأُس من حاله لم يزد تنزهه إلا وحشة .

- الحق أمر عظيم يطلبه الخلق ، إنما الحق يطرح الدنيا والأخرة .

(طبقات الصوفية لأبى عبد الرحمن السلى - يسه وزيه أحمد الشرباصى / ١٣٣-١٣٤) .

• حسن فتحى (١٣١٧-١٤١٠ هـ / ١٩٠٠-١٩٨٩ م) :

شيخ المعماريين العالميين كما يسمونه ، المهندس المصرى المبقري حسن فتحى ، مؤلف كتاب « الهندسة للفقير » وصاحب نظرية هندسية نفى بالحاجات الأساسية لأكثر من ثمانمائة مليون من سكان العالم اللذين لا يجدون المسكن المناسب ، وبالمواد المناسبة (المجلد / ٢٢) وهو من مواليد الإسكندرية . ولد فى ٢١ ذى القعدة سنة ١٣١٧ هـ / ٢٣ مارس ١٩٠٠ م .

قالت المؤلفة : التاريخ الهجرى لمولده المذكور أعلاه وهو ١٣١٧ ، حصلت عليه من مركز المعلومات بمؤسسة الأهرام ، ولكن بالرجوع إلى مادة « التوزيع الهجرى » فى ١٠ م / ٢٩٥ من هذه الموسوعة وجدت أن ما يقابل ١٩٠٠ م هو ١٣١٨ هـ ولعل سبب ذلك اختلاف الشهور .

أتم دراسته بمدرسة الهندسة عام ١٩٢٦ ، ثم عين أستاذا

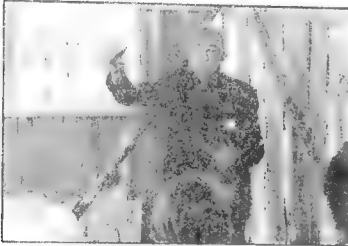
لتقسم العمارة بكلية الفنون الجميلة عام ١٩٣٠ ثم رئيسا لقسم العمارة قبل إحالته إلى المعاش (الشرق الأوسط ١٤ وفى عالم البناء العدد ٥٣ ، يناير ١٩٨٥ ص ١١ : حصل على شهادة التعليم المعمارى مؤسس على قواعد وأسس مدرسة الفنون الجميلة) .

تعرفه الأوساط العلمية المتقدمة فى أنحاء العالم من خلال تجرته الأصلية فى قرية القرنة بمنطقة البر الغربى ، فى مواجهة الأقصر ، التى وصفها فى كتابه الفريد « العمارة للفقراء » كنموذج لسياسة الإنشاء والتعمير ، التى يمكن للعالم الثالث أن يطبقها وينتخب بها على كثير من العيوب والمصائب التى تواجه الإسكان الحديث .

وخلاصة هذه السياسة أن الفقراء ، وهم الغالبية العظمى من سكان العالم الثالث ، أن يستطيعوا الحصول على مساكن صحية ملائمة إلا إذا شيدت من مواد البيئة الطبيعية نفسها ، لا من المواد المصنعة الباهظة التكاليف ، وإلا إذا روعيت فيها أيضا ، فى المرحل الأولى ، الظروف الطبيعية لهذه البيئة ، والحاجات الاجتماعية والاقتصادية لأهلها ، التى لا معدى عنها فضلا عن ضرورة الاهتمام بعناصر الجمال .

ترفض هذه النظرية استعارة العمارة الغربية ، لأنها تتنافر مع تراثنا الحضارى وحياتنا المعاصرة ، وتتمسك بتلك العمارة التى صاغتها البيئة فى تاريخها الطويل ، لسلامة مبانيها الهندسية ، وتنمية اتجاهاتها التى تجاوزت مع الحاجات الأساسية للإنسان ، ومضت بها فى طريق الحياة . ولم يتوصل حسن فتحى إلى وضع هذه النظرية إلا بعد تفهم الخلفية الفكرية للمنطقة العربية التى يقيم فيها أبنته ، ويفضل حبه الدقيق بالوضع الاجتماعى والاقتصادى للسكان ، وأهدافه القرية والبعيدة (العمارة الإنسانية / ٢٦ ، ٢٧) وكانت قرية « باريس » بالولايات المصرية أول منشآت حسن فتحى (الشرق الأوسط / ١٤) .

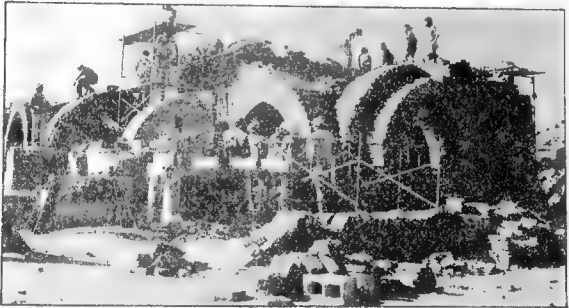
كثبت عنه صحيفة « دى سمبسونيان أسوشيت » تقول : هو مهندس ذو شهرة عالمية ، مؤثر فى جميع أنحاء العالم . وهو مشهور . بكتابه : « الهندسة للفقير » الذى يعالج تجربة ضخمة قام بها ، وفى قرية القرنة ، قرب الأقصر ...



حسن فتحي يتحدث حول العمارة الإسلامية

ونظريات الدكتور فتحي،
التي يدرسها طلاب العلم
بعناية في كل مكان ،
تركز على الاقتراب من
الطبيعة ، واستخدام مواد
البيئة الطبيعية . وهو
يشدد على أن هندسة أمة
ما هي إلا انعكاس
لثقافتها وبيئتها ، « فكل
الظروف لها هندستها »
(المجلد / ٢٥) .

لقد ابتدع المهندس
حسن فتحي للغة البناء



مخطط طموح فتحي القديم بكاليفورنيا
طوبى فتحي

يضمه فنجده يبحث عن الطوب الرملي لبناء مساكن في
البيئة الصحراوية ويزودها بالمشروبات لكسر حدة الضوء

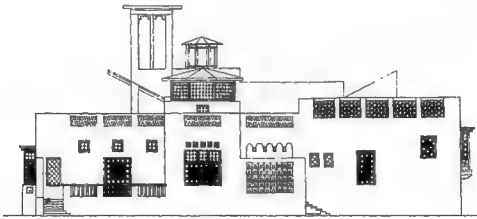
مفردات جديدة وبسيطة ، مستغلًا خامات البيئة ومستفيدًا من
الخصائص الإيرو ديناميكية للعمارة في تهوية مناخ المبنى الذي

باريس بالساحات
والتي قام بينها لم
تتعد ١١ ألف جنيه ،
لنقف على قلعة
التكلفة والتي تتيح
لكل مواطن أن يكون
له مسكن .
(الشرق الأوسط /
١٤) .

وهو فنان وشاعر ،
نالت محاولاته في
تكمال أساليب البناء
المحلية مع التصميم
الحديث ، شهرة
عالمية . ومن أقراله



الداخل - زواي اعطسوا امام الساعة في
البيوت بوزارة خورمكسوي
يوم تدهينه بالبرق
١٤ يونيو (حزيران) ١٩٨١ .
ولمسة نهار جاري المشهود .
المصروع باليد .
حول الساعة القديمة بالمثل
عندما شاعها جميعا .



قيلار نصيف في جرة ، ١٩٢٣

المشهورة : « لا يمكننا العودة إلى الوراء ، يجب علينا أن
نستعيد الهندسة القديمة ، ثم نتحرك إلى الأمام . علينا أن

والقباب الدائرة لخلق مناخ رائع داخل المبني ، ونجعله يتي
منازل من الطوب اللبن (الطوب الطيني) في الريف حيث
امكانات البيئة توفر هذا ويكفي أن نعرف أيضا أن تكلفة قرية

والواقع أن أي مسافر من الشرق الأوسط يزور المنطقة ، لا يشعر بالغربة في نيومكسيكو ، ومعظم المشتركين في العمل من أبناء الشرق الأوسط لاحظوا أن المكان يشبه المغرب ومصر والحجاز وأفغانستان . العصر الوحيد الناقص كان منظر القباب والعقود التقليدية الموجودة في الشرق .

وجاء الدكتور فتحي ليفرس هذا « النبات » الجديد كجزء من عملية التهجين التي تميز الكثير مما يجري في الولايات المتحدة ، حيث تلتقي عدة حضارات وتختلط . وقال الدكتور فتحي : « خط الواجب مستقيم وخط الجمال منحني » وهي ملاحظة شاعرية تحوي مفتاح واحدة من أعنى مشاكل هندسة وبناء منازل الفقراء . فاليات العصري يستلزم ما قيمته تسعة آلاف دولار من الخشب ، وفي عام ١٩٩٠ سوف ترتفع هذه التكلفة إلى ٣٦ ألف دولار . وفي بيئة تمكن من الحصول من الأرض نفسها على مواد البناء (مثل الطوب اللبن ، والطين ، والرمل ، والحصى) ليس من الصعب على الإنسان أن يقيم جدران بيته . والصعوبة الحقيقية والتكاليف الكبيرة ، تحدث عندما يبدأ في بناء السقف ، عندئذ عليه أن يشتري الأخشاب أو الأسمنت والحديد ، أو العوارض الخشبية أو الحديدية حتى يكمل البناء .

لكن استخدام الأسلوب الذي طوره الدكتور فتحي من أسلوب البنائين النوبيين في صعيد مصر ، يمكن من إقامة السقف باستخدام العقود والقباب بنفس الطوب اللبن الذي استخدم في بناء الجدران وهذه القباب والعقود لا تحتاج إلى قوالب خشبية . ومن ثم يمكن توفير تكاليفها ، فضلا عن توفير الوقت اللازم لإقامة وتحريك هذه القوالب . ويقول الدكتور فتحي « كلما كان البناء رخيصا كلما زادت الحاجة إلى الفن لماذا نظن أن الفقراء لا يعيشون عيشة أفضل من الأثرياء إلا إذا عاشوا في صناديق من الأسمنت المسلح ؟ والمسألة ليست مسألة بناء أربعة جدران فوقها قبة ، بل عليك أن تعالج الهندسية الداخلية » .

والمفارقة أن زيارة الدكتور فتحي جاءت في وقت كادت الدول العربية والإسلامية فيه أن تهمل تماما استخدام هندسة

نطق العلم الحديث في تقييم هندستنا . بعد استبعاد الطارئ في الأسلوب ، والأحداث الزمنية التي لا علاقة لها بالثقافة » (المجلد / ٢٥) .

وقد فهمته وقلترته دول العالم وعلى رأسها أمريكا التي دعته لبناء قرى كاملة في ولايتي أريزونا ونيومكسيكو ، ودرست أربع وأربعون جامعة في أمريكا منهجه المعماري وطريقته المتطورة في البناء المصري الأصيل ، فضلا عن جامعات الدول الإسكندنافية التي تقوم بتدريس منهجه حتى الآن (الشرق الأوسط / ١٤) .

وهو مصمم القرية المسلمة « دار الإسلام » في نيومكسيكو بالولايات المتحدة . وقصة بناء هذه القرية بدأت بطرح فكرة تأسيس مركز إسلامي في الولايات المتحدة أدت إلى إنشاء مؤسسة مسيحية لا تبني الريح سميت « دار الإسلام » هدفها الإشراف على بناء قرية مسلمة ، وجمع الأموال اللازمة لذلك وقد اختير لها موقع في سهل مرتفع مشرف على نهر شاما ، وعلى بعد أربعين ميلا شمال غربي مدينة « سانتافي » بولاية نيومكسيكو ، فتم شراء ألف فدان قيمتها ١٣ مليون دولار .

والموقع يقع على خط عرض ٣٦ شمالا ، مما يجعله مشابها لكثير من الدول الإسلامية من حيث تضاريس الأرض والمناخ ، ولسكان هذه المنطقة تاريخ طويل من البناء بالطوب اللبن ، ولا يزالون يفعلون حتى اليوم . ومدينة «سانتافي » نفسها مشهورة في العالم أجمع بهندسة مبانيها التي تعتمد على الأشكال الوطنية المستوحاة من الهندو الأميركيين ، ومن المستوطنين الأسيان ، اللذين استوحوها بدورهم من مصادر عربية وإسلامية في عهد الأندلس .

وهذه المؤسسة إلى الدكتور حسن فتحي مؤلف «الهندسة للفقير » كما سبق القول - لتحقيق هذا الحلم .

وخطة الدكتور فتحي القرية ، وزار الولايات المتحدة صعبة اثنين من البنائين الإسبانين . وكانت أول خطوة هي بناء قلب القرية ، وهو المسجد ، وبني المسجد بطريقته الخاصة التي تعتمد على مواد البيئة وهي الطين ، وأسلوب البناء الذي يعتمد على القباب والعقود .

يعملون في تخطيط وبناء هذه القرية المسلمة في الولايات المتحدة . وأحد الأسباب الرئيسية لزيارة الدكتور فتحي ، بالإضافة إلى التندوة العلمية والورشة ، هو دراسة المنطقة حتى يمكنه البدء في عمل تخطيط للقرية . ومعروف أنه سبق أن خطط بعض القرى ، غالباً على المستوى الحكومي . ولديه خبرة وتجربة واسمين ، ليس فقط بالإسكان ، بل أيضاً بالمدارس الداخلية منها والخارجية ، وبيوت الضيافة ، ودور المؤتمرات والشدات ، ومناطق الصناعة الخفيفة ، والبيوت الريفية ، وجور الترفيه والإدارة .

ويجري تخطيط القرية على مراحل ، المرحلة الأولى لإيواء خمسين أسرة تزايد حتى تصل إلى مئة أسرة خلال عشر سنوات ، وأكثر من ثلث الأرض الواقعة على ضفتي نهر شاما مخصص للزراعة التي يرجى أن توفر معظم الغذاء اللازم للقرية . وسيوفر الغذاء أيضاً من منتجات الألبان . وذلك بترية المواشي والأغنام والدواجن والنحل ، ويستأن للفاكهة والكروم ، ويرجو المؤسسون أن ينشأ في المكان مجتمع إسلامي يمد جذوره في المنطقة ويبقى ويتكاثر على مر السنين .

والنظرة الرئيسية في اتجاه الدكتور فتحي في البناء هي أن « الهندسة فن اجتماعي لا فني » .

وتبعاً لذلك . سيكون أول عمل لمؤسسة دار الإسلام هو إقامة مصنع للطوب سيكون أول صناعة تقام في القرية وتوفر العمل لعدة أسر ، وتوفر مخزوناً يستعمل محلياً ويصدر للبيع . ثم تبدأ الهندسة « الاجتماعية » كما يصفها الدكتور فتحي في كتاب « الهندسة للفقر » في خطين متكاملين .

الخط الأول : هو الخط التعاوني ، حيث يتبادل الناس العمل بفرس الإسكان لأن كل جار حين يساعد في بناء بيت ، يكون له الحق في أن يساعده الآخرون ، وهو بذلك يفتح حساباً في « بنك العمل » فالتبني أساساً إنتاج اجتماعي فرجل واحد لا يمكنه أن يبني بيتاً واحداً لكن مائة رجل يستطيعون بسهولة بناء مائة بيت » .

والخط الثاني هو « التدريب أثناء العمل » لأنه « إذا كان

البناء بالطوب معتبرين ذلك من مخلفات الماضي أو أنها مخصصة لاستخدام القرويين الفقراء . وأصبحت هندسة الشرق الأوسط الحديثة خليطاً من الأشكال معظمها نسخ متكررة من الهندسة الغربية المعاصرة مع بعض عقود لإعطائها اللمسة الإسلامية أو العربية . يحدث هذا في نفس الوقت الذي تشهد فيه المنطقة الواقعة في جنوب غرب الولايات المتحدة ازدهار في أسلوب البناء بالطوب اللبن . وقانون المباني في ستافلي يشترط أن تتشابه كل المباني مع هذا الطراز المحلي ، وألا يتعدى ارتفاع أي مبنى ثلاثة طوابق . والفواحي النموذجية حول مدن الجوزيك ، ونيسوكيكو ، وتوسكان ، وفونيكس بولاية إيريذونا . ويالم سبرنغز بولاية كاليفورنيا ، بنيت كلها من الطوب اللبن .

ويشارك علماء التربة ، وهندسة الطاقة الشمسية ، والمهندسون المصممون ، في بحوث مستفيضة لتطوير واستخدام هندسة الطوب اللبن ، وألف عدد متزايد من الكتب عن الموضوع ، فضلاً عن صحيفة تسمى « اللبن اليوم » مخصصة كلها لعمليات البناء بالطوب اللبن .

وفي موقع الإسلام ، أقام المهندس حسن فتحي ورشة جعلها تجربة عملية لهذا النوع من البناء . وأحاط عدد من جليلهم حب الاستطلاع بالمهندس المصري وعامله ، من بينهم مظلوم ومسؤولون من مصلحة الإسكان والتطوير الحضري بالحكومة الفيدرالية الأمريكية ، وهم حازمون على التعلم . ليس بالمشاهدة فقط ، بل أيضاً بممارسة العمل في بناء المسجد بأيديهم ، وتنافست فرق من البنائين للاستفادة من مدة بقاء البنائين التوبيين ، لمعرفة طريقة بناء الطوب الذي يبدو أنه يتحدى الجاذبية ، وشهد الدكتور فتحي بأنه لم يزد مكاناً زاد الحماس فيه لقبول أفكاره وأساليبه كهذا المكان وريما بعد انتشار هذه المباني في جنوب الغرب الأمريكي ، يصبح الأثني مرسماً بالخطوط الرشيقة للقباب والعقود ، ومن ثم يدخل عصر جديد في مفردات لغة المهندسين المحليين والبنائين .

ودار الإسلام مجموعة معظمها من المسلمين الأيركيين

العربي تتلاقى الفراغات المختلفة كنغم موسيقى . والنغمات الموسيقية يبنى أن تتناسق حتى تصبح موسيقى لا مجرد أصوات وضوضاء والهندسة الإسلامية مستمدة من منطق الفراغات لا الجدران . المباني العالية فكرة بسيطة للسذج أى نوع من الحيلة يمكن أن يوجد تكديس ألف شخص الواحد فوق الآخر ؟ اعتقد أنه توجد شروط مادية تشجع على المواجهة الإنسانية ليست المضاعف واحدا منها : المباني المرتفعة تؤدي إلى الخوف لا الصداقة . وبعد ارتفاع معين . تفقد إنسانيتك .

أحد الطرق التي يأمل الدكتور فتحي أن تحل مشكل التفاوت بين قيم التقاليد والأساليب . والنظريات الحديثة ، وهو من خلال رعاية مؤسسة أقامها مع آخرين باسم « المعهد الدولي للتكنولوجيا المناسبة » أحد فروع هذه المؤسسة سيكون في دار الإسلام بالولايات المتحدة . وفي مقدمة أهداف المؤسسة أنه « منذ العصور السحيقة ، تفاعل الإنسان مع البيئة ، مستخدما ملكاته لتطوير أساليب وتكنولوجيا ، سواء لصنع الخبز أو صنع الطوب ، في توازن مع الطبيعة وانسجام مع البيئة وكان ما خلقه طبيعيا ، وجاء من نفس المواد التي توفرها البيئة التي يعيش فيها الناس . ونحن تعلم الناس أن يعالجوا الطمي ، والحجر ، والمعادن ، والخشب ، خصوصا في خصائصها الذاتية التي خلقها الله ، وأدت هذه الأساليب إلى التعبير عن آمالهم نحو التناغم مع الخالق .

» ومع تقدم الثورة الصناعية ، انمحت الأساليب الموروثة والمهارات اليدوية المكتسبة ، وفقدت في عالم النسيان . وقللت الآلات الميكانيكية العالية الطاقة من إسهام الإنسان الشخصي في صنع الأشياء . وبناء الهياكل ، وزراعة الغذاء ونحن نشاهد حولنا الآن مظاهر الاضطراب الاقتصادي والسياسي الناتج عن ذلك . وكان يمكن تحاشي الكثير من المعاناة ، لو لم يحرم الناس من فرصة سد حاجاتهم من واقع مهاراتهم اليدوية وإنتاج الجمال ، الذي امتازت به الملايين حل محله التصنيع - حتى للمخبز والخبز لقد أفسدت الثورة

سكان القرية هم الذين سوف يبنونها فلا بد إذا من منحهم المهارات اللازمة ، ومهما كان الحماس الذي يولده النظام التعاوني فإنه سوف يكون قليل الفاعلة إذا لم يعرف الناس كيف يبنون وعدد العمال المهرة الذين يحتاج إليهم بناء قرية . كبير لدرجة أن استخدام عمال من الخارج سوف يرفع التكلفة ارتفاعا كبيرا . ونحن في حاجة إلى وسيلة لتعليم مبادئ البناء العملي ، حتى يستطيع ابن القرية أن يساهم في بناء بيته وقريته .

وأحد أهداف مشروع دار الإسلام هو خلق بيئة تحافظ وترعى الأشكال التقليدية للحياة الإسلامية ومعنى هذا ليس تعليم القرآن والسنة فقط ، بل أيضا أسلوب وشكل حياة المسلمين خلال الأربعة عشر قرنا منذ ظهور الإسلام . هذه التقاليد هي التي طورت شكل ونمط البيوت التي يعيش فيها الناس ، وفرت علاقات بينهم ببعض ، وبعد كل بيت من المسجد والسوق ، والأضواء والظلال وكيف تتكون الجيرة ، والعلاقة بين الأسكن العامة والخاصة ، وأسلوب تجميل المباني ، وتحركات الرجال والنساء ، وجميع كل الشروط التي توفر التكامل بين القيم الروحية والحاجات العملية ، وهي مميزات وهجيرة الهندسة الإسلامية الأصلية ونحن تدخل في الحساب قيم مثل الخصوصية ، خاصة خصوصية رؤية أعضائه من النساء ، والجمال بلا غسرة ، وهو الجمال الذي يؤدي إلى بساطة المظهر الخارجي ، وجمال وزخرفة الداخل ، والتكامل الناشئ عن الجدران المشتركة واتصال المجموعات السكنية والممرات التي تميز تكاثف المباني ، تتكون أشكال تحترم القيم الإنسانية . وهذا مختلف تماما عن الأنماط الحالية التي تجري على أساس ميكانيكي ، وهي الأنماط التي تبعد الإنسان عن معادلة الحيلة والعيش . والنتيجة أن معظم مشروعات التخطيط المعاصرة مثالية بالنسبة للآلات ، ولكنها أقل من مثالية بالنسبة للإنسان . وكما يقول الدكتور فتحي في مقارنته الأشكال التقليدية بالأشكال المعاصرة . « الهندسة الإسلامية تبدأ بالداخل . ثم تتحرك إلى الخارج ووظيفة الفراغ أساسية . والشكل الخارجي يجب أن يعبر عن القوى العاملة في الداخل . في المنزل

الصناعية الفطرة الإلهية للإنسانية ونحن في حاجة عميقة لإجداد تقيم العلاقة بين الإنسان وما خلقه الله .

في مقال نشره مؤرخا العالم المسلم المشهور الدكتور سيد حسين نصر بعنوان « الإنسان والعالم » ، وضع الانقسام بين الاتجاهات التقليدية والحديثة قائلا « الإنسان التقليدي عرف على وجه اليقين من أين جاء ، ولماذا يعيش ، وإلى أين يذهب ويوضح القرآن هذا اليقين في قوله تعالى ﴿ إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ [البقرة : ١٥٦] وعموما فإن الإنسان الحديث لا يعرف من أين جاء ، وإلى أين يذهب ، ومن ثم لا يعرف لماذا يعيش » .

والإجابة على هذا السؤال . ومفتاح تقييم علاقة الإنسان بما خلقه الله ، موجود في القرآن ، حيث الآية ٣٠ من سورة البقرة تقول : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ هذا الخليفة خلق من طين : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني خلق بشرًا من صلصال من حمأ مسنون ﴾ [الحجر : ٢٨] هذه إذا هي العلاقة بين الطين والخليفة . وحينما يبدأ الإنسان في تقييم موقفه باختياره خليفة الله على الأرض فقط ، تنضح العلاقة الحيوية بمصالح الكائنات جميعا ، ويصبح التوازن الذي يمثله المجتمع التقليدي ممكنا مرة أخرى .

هذه هي الأفكار التي يلمح إليها الدكتور فتحي عندما يقول إن المبدأ الأساسي لعمله هو : « المحبة والبناء ، لا الكراهية والتدمير » وهو في النهاية جوهر التعليم الإسلامي للتوحيد ، الذي يوفر الفهم الحيوي لحالة محتملة من الكيان ، يكتسب فيها كل نشاط إنساني بُدءه الأسمى ، ومن ثم يصبح كل شيء مقبوصا ﴿ سيح له ما في السموات والأرض ﴾ [الحديد : ١] .

من الطين خلق الإنسان يروح من الله ، ويرفع إلى أسمى مراتب المسئولية بالنسبة لحياته ووجه الأرض . هذه إذا هي الآية التي نسترشد بها في بناء بيوتنا وملاجئنا أيضا من الأرض ، لنجعلها تتسجم مع الكون الإلهي الذي نعيش فيه . ﴿ وفي الأرض آيات لمن آمن ﴾ وفي أنفسكم أسفلات تصعرون ﴿ [الذاريات : ٢٠ ، ٢١] .

وقد تم تدشين المرحلة الأولى من القرية [عام ١٩٨١] في احتفال أقيم بمناسبة الانتهاء من بناء المسجد ووقع حجر الأساس لعينى المدرسة الإسلامية ، التي ستدرس العلوم الإسلامية باللغتين العربية والإنكليزية .

وكان المهندس حسن فتحي الذي وضع حجر الأساس للمسجد وأشرف على التدريب على بنائه من الطوب اللبن ، حاضرا (المجال : ٢٢-٢٥) .

وقد نال حسن فتحي أرفع الأوسمة في عهد جمال عبد الناصر ، فقد حاز جائزة الدولة التشجيعية في مصر سنة ١٩٥٩ ، والجائزة التقديرية سنة ١٩٦٩ ، كما حصل على جائزة بول هوفمان . للتمنية حيث يعد من القلائد الذين اهتموا بالفقراء في العالم فصمموا لهم أحدث المنازل وأجعلها بأقل التكاليف وهذا هو محور برنامج التنمية الذي يمنح الجائزة والتأهيل لأمم المتحدة ... كما نال الجائزة العالمية للسلام من الأمم المتحدة للفقراء أيضا .

وفي ديسمبر ١٩٨٠ نال الجائزة الأولى لمؤسسة أفغانا ، وقالت اللجنة التي منحت الجائزة : إن أعمال حسن فتحي وتعاليمه المبكرة ، كشفت عن الترة التي ازدهرت منها أعماله اللاحقة ، إن التزامه بالعمل لمصالح الفقير ، وذوقه الجمالي الذي يسترضي النظر قاطا محاولاته في شبايه لتحسين مساكن العمال في مزرعة أبيه ، وأدت فيما بعد إلى نضج تعبيره عن أفكاره كما تجسدت في قرية القرنه الجنييدة . وكقويد لأسلوب البناء البلدي ، أثبت أن الهياكل الرشيقه المشيدة من الطوب اللبن ، يمكن أن يكون بناؤها اقتصاديا ، ومتقنا بشكل يدعو إلى الإعجاب مع المناخ ، لقد علمنا حسن فتحي قيمة اليقظة الوطنية وجعلنا نرى أن الدروس التي يتبنى تعلمها هي دروس حيوية ، لقد كان تأثيره عالميا . (المجال : ٢٥) .

كما حصل على جوائز من جامعة للزان ، وأكاديمية الفنون البلجيكية ، وجائزة بلزان ، وهو أول من حصل على الميدالية الذهبية للاتحاد الدولي للمعماريين على مستوى العالم سنة ١٩٨٤ (الشرق الأوسط : ١٤) .

وقد جاء عن جائزة حسن فتحي العالمية لعمارة الفقراء ما يلي :

عندما كرس حسن فتحي حياته لتعميق مفهوم عمارة الفقراء ... ببذلها المعماري والإنساني ... وعندما أسبغ جهوده على البحث والتطبيق حتى استطاع تكوين مادة علمية تطبيقية تدرس في المناهج المعمارية بالعيد من جامعات العالم ... إنما كان يهدف إلى إرساء القواعد ... ووضع اللبنة الأولى في بناء باب واسع عسى أن يلج منه الملايين من فقراء العالم ... ليسلكوا طريقهم إلى الراحة ... والأمان ... وهما أدنى متطلبات العمارة في جميع أنحاء العالم ... وفي جميع العصور .

ومن هذا المضمون ... خصصت جمعية إحياء التراث التخطيطي والمعماري جائزة ... تحمل اسم المعماري الراحل حسن فتحي ... سعياً إلى تجسير الطاقات الفكرية والفنية لدى المخططين والمعماريين والحرفيين والمؤسسات العلمية والفنية والأفراد المهتمين بهذه الرسالة في كل أرجاء العالم ... لتقديم أفضل إنتاجهم لخدمة هذه الفئة المهمومة من فقراء العالم ... يبيها وعماليا ... كما تهدف الجائزة إلى زيادة الوعي لدى المسؤولين عن أعمال الإنشاء والتعمير والتعليم المعماري والتخطيطي والأنشطة العملية والمهنية والأفراد والجمعيات الخيرية بهذه الدعوة الإنسانية وبذلك تأخذ الجائزة اتجاهها إنسانياً خاصاً يحتاج إلى الإذراك بالمسؤولية الاجتماعية والحضارية قبل فقراء العالم . وهذا ما كان يدعوه إليه المعماري الراحل حسن فتحي ويعمل في سبيله إلى آخر لحظات حياته .

وعندما خصصت هذه الجائزة بقر منحتها لأحسن الأعمال أو البحوث أو المشروعات المعمارية أو التخطيطية التي تصمم بهدف الارتقاء بالبيئة العمرانية للفتات محدودة الدخل وتقرر منح هذه الجائزة مرة كل عامين في شهر مارس وهو الشهر الذي ولد فيه المعماري الراحل حسن فتحي .

(عالم البناء ، العدد (١٣٠ / ٢٤) حسن فتحي العالمية / ٢٤) .

والمهندس حسن فتحي كان يرأس المعهد السلولي

للتكنولوجيا المناسبة بالقاهرة ، كما كان عضواً فخرياً بالمعهد الأمريكي للمهندسين (١٩٧٦) (المجلد / ٢٥) .

وكانت منظمة اليونسكو قد قررت إنتاج فيلم وثائقي قصير عن المهندس حسن فتحي رحمه الله ، يقوم بإخراجه المخرج اللبناني برهان علوية ، الذي حضر إلى القاهرة ، والتقى بالمهندس المعماري في بيت الفنانين بالقلعة (يأتي الكلام عليه فيما بعد) تمهيداً للبدء في إعداد الفيلم .

وكل هذا التقدير يرجع إلى أنه صاحب نظرية في العمارة الإنسانية ، طبقها في قرية القرنة جنوب وادي النيل - كما سبق القول - وصاغها باللغة الفرنسية في كتاب « قرية القرنة - العمارة للفقراء » الذي ترجم إلى أكثر من لغة ليس بينها العربية ، وتدرس في الجامعات الأوروبية كنموذج متقدم للعمارة الريفية في دول العالم الثالث (العمارة الإنسانية / ٥٠ ، ٣٥) .

ولتفانيه في حب العمارة الإسلامية جعل حسن فتحي منزله بحارة اللبنة بحي القلعة العتيق مثلاً حياً لطموحاته محافظاً في كل ركن من أركانه على روح التراث فتجد الموقد من العصر المملوكي والمدفأة بالخشب ونافخ الكير والأرض مغطاة بسجاد يدوي عربي متناثر عليها رسائل والموبيليا قليلة ذات طراز إسلامي من الخشب الأسود اللون ...

والشيء نفسه في منزله (رحاب) في طريق مقارة والمعنى من المطوب الرملى وذو القباب الدائرية والمشربيات ... (للشرق الأوسط / ١٤) .

قالت المؤلفة : هذا الذي أشير إليه بأنه منزل حسن فتحي هو في الواقع منزل على لبيب (آخر القرن ١٢ هـ / آخر القرن ١٨ م . أثر رقم ٤٩٧) ويصرف أيضاً بسلر الفنانين ، حيث استأجر الفنانون ، ومنهم المهندس حسن فتحي غرفها وأدولها واتخذوها مراسم لهم . وهو يقع بدرب اللبنة إلى الشمال من مسجد قانيبى الراجح (أمير أخور) بمنطقة القلعة وقد قمت بزيارته يوم الأحد ٢٠ مايو ١٩٨٤ ، والطريق الذي سلكته بدلاً من مسجد قانيبى الراجح المواجه للمسجد الرفاعي ، وعند نهايته اتحرفت يساراً لأجد المنزل على اليسار

اسكس ، و « العمارة العربية بالشرق الأوسط » وهي محاضرة بجامعة بيروت العربية ، ٢٩ نيسان ١٩٧١ (القيم الجمالية / ٣٤٣) وقد ذكر له الدكتور ثروت عكاشة في ثبت الهوامش رقم ٥١ « القاعة العربية في المنازل القاهرية » من أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة مارس - إبريل ١٩٦٩ . ألقى القاهرة . وزارة الثقافة . مطبعة دار الكتب ١٩٧٠ .

توفى رحمه الله في ٢ جمادى الأولى ١٤١٠ هـ / ٣١ نوفمبر ١٩٨٩ م .

(قرية مسلمة في نيو مكسو - عبد الله نور الدين دوكي . المجال العدد (٢٩) صفر ١٤٠٢ هـ - ديسمبر (كانون الأول) ١٩٨١ / ٢٢ - ٢٥ ، والشرق الأوسط . السنة الحادية عشرة ، العدد ٣٥٥٠ الأبعاد صرح ١٤٠٩ هـ - ١٧ أغسطس ١٩٨٨ م / ١٤ ، وعالم البناء العدد (٥٣) ١٤٠٥ هـ - يناير ١٩٨٥ / ١١ ، والعمارة الإنسانية للمهندس . حسن فتحي - نيل فرج مكتبة الأنجلو المصرية د. ت. / ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٥ ، وعالم البناء . العدد (١٣٠) ١٤١٢ هـ - مايو ١٩٩٢ م / ٢٤ ، والقيم الجمالية في العمارة الإسلامية د. ثروت عكاشة / ٣٤٣ ، ٣٤٤ .

• حسن قاضي بابا السراي :

أدرجه الخانجي بين شعراء البوسنة حمهاها الله ، وقال عنه :

حسن قاضي بابا السراي البوسني : ولد في بلدة فمراي وأرتحل في صغره إلى مدينة صوفيا فلانم الشيخ مصلع الدين من بلدة « أوزيج » وكان شيخ الطريقة الخلاوتية وبمكث عنده حتى أجازته للإرشاد ، ثم رجع إلى بلد ولادته ، ولكنه تصادم مع أهل العلم فانكروا عليه كلامه فذهب إلى بلدة « أزورنيق » فبمكث بها إلى أن توفي سنة إحدى وتسعين وألف وبني الناس على قبره ثرية ، وكان ممن أولع بعلم الجفر . (علم الجفر : علم يبحث فيه عن الحروف من حيث دلالتها على أحداث العالم ...

وقد أوردناه لك تحت عنوان « الجفر والجامعة » (علم) في ١٢ / ٢٢٥ ، ٢٢٦ فأنظره في موضعه .
وألف كتابا منظوما سله « بالورديات » ملاه بالأخبار عما يأتي من فتكسار دولة وقيام أخرى ، وغلبة جيش وإهزله آخر ،

وقد كانت تجرى فيه أعمال الترميم آنذاك فلم أستطع الصعود إلى طابقاته ، واكتفيت بدخول الفناء الأول للاستطلاع ، وشاهدت بعض الفنانين عاكفين على أعمالهم بجوار النوافذ المطلة على هذا الفناء ، وسفرد لهذا المنزل مادة خاصة بعنوان « على ليب (منزل) » في حرف العين إن شاء الله تعالى .

لقد عاش حسن فتحي رحمه الله واشتغل في فترة تزايد سكاني مفرط ، وتطور تكنولوجيا محدود . تأمل وتخصص طوال حياته العملية المشاكل التي يسببها تعدد المصالح والاستخدامات نتيجة للتكنولوجيا الجديدة ، واقتضاد التجديد في المهارات التقليدية ، وكذلك تواجد الفقر والرخاء في تصميم المأوى للإنسان . ومن قلب هذه المشاكل بحث الجذور الثقافية للبناء ، وحث الممارسين والفنانين والجمعيات على الاشتراك معا في بناء مساكنهم . وهذا الجهد في البحث عن مدلول ثقافي لا يوضع الدروس المستفادة من التكنولوجيا القديمة والتقليدية فحسب ، ولكن يوضح أيضا الصفات الروحية التي أضافت أهمية كبرى للإنسان في منشأته الثقافية والاجتماعية .

وتتعدد الدروس المستفادة من حسن فتحي ، ولكن أهمها هو تفانيه في مهنة العمارة بكل جوانبها . وكلما استخدم الممارسون التكنولوجيا الحديثة وطوروها مستقبلا كلما توصلوا إلى الأسس والمبادئ الأساسية التي طبقها حسن فتحي خلال حياة عملية مثالية (عالم البناء ، العدد ٥٣ / ١١) .

له مؤلفات ومقالات ومحاضرات عديدة في بلاده وفي الخارج ، عن أسلوبه الذي يهدف إلى إحياء الهندسة الإسلامية التقليدية وتطويرها ، ومن محاضراته « العمارة العربية بالشرق الأوسط » ألقاها في جامعة بيروت العربية ٢٩ نيسان ١٨٧١ .

قالت المؤلفة : من بين مؤلفاته كتاب عندي بعنوان « المنزل العربي في الوسط الحضري » وهو محاضرة عربية ألقاها في جامعه اسكس في ٣ نوفمبر ١٩٧٠ وهي المحاضرة العربية الرابعة لشركة كارييراس ، طبع لونيجمانز لجامعة

يكتب خطأ جيداً بديعاً ، يشبه خط شيخه أبي منصور الجواليقي . وقد كتب نسخة من كتاب الحماسة بخطه البديع في غاية الإتقان والنفاسة .

وكان مشهوداً له بالفضل والمعرفة بين العلماء ، وكان أدبياً كاملاً ، وله شعر حسن ، ومنه قوله وقد كتبه على باب أحد أصدقائه :

حضر الكندي فعنكم فلم
يسركم من بعد كند وعب
لسو راكم لتجلى هـ

وانتفى عنكم بحسن المتقلب
توفي أبو الحسن في دمشق سنة خمس وستين وخمسمائة
ودفن هناك .

(جمهرة المخططين البندادين - وليد الأعظمي / ٢٥٦ ، ٢٥٧) .

• حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ،

من مؤلفات الحافظ جلال الدين السيوطي ، في جزأين ، وهو تاريخ للبلاد المصرية والقاهرة عاصمتها ، مع بعض فصول إضافية في النظم المملوكية وأساليبها وطبقات العلماء والأصلاء والصوفية في مصر (صفحات من تاريخ مصر / ٢١٤) .

والكتاب يضم أخبار مصر منذ القدم حتى عصر المؤلف فيذكر المواضيع والأحداث التي وقع فيها ذكر مصر ثم ما أورده المؤلفون من أخبار مصر بقصد الكشف عن حياة مصر العلمية والأدبية .

ويصف السيوطي في الجزء الأول من كتابه إقليم مصر ومن نزل بها من أولاد آدم ، ومن ملكها قبل الطوفان وبعده ، ومن دخلها من الأنبياء وأخبار الصديقين والسحرة الذين آمنوا بموسى .

ويذكر بعد ذلك عجائبها وخاصة الأهرام ومنارة الإسكندرية وعجائبها . ثم دخول العرب مصر في خلافة عمر وبناء المسجد الجامع والدور والحمامات ، ومن دخلها من الصحابة بعد ذلك ، ويأخذ بعد ذلك في الترجمة لشاهير من كان بمصر من الأئمة المجتهدين وحفاظ الحديث ونقاده

وفتح بلبله وهيباع آخر [أخرى] وغير ذلك ، وكل ذلك يستخرج بحسب حساب مخصوص . وقد كان بعض بسطاء الناس أقبلوا على كتابه يستخرجون منه الأخبار الغريبة فإذا رأوها كذبت قالوا : غلطنا في الحساب . وللمترجم أيضاً أشعار باللغة البوسنوية .

(ذكر محمد طاهر البروسوي أن له ديوان شعر مرتباً قال ويفهم منه أنه كان قادرى الطريقة هنا وقد عرفت أن شيخه خلوتى) .

(المختار من الجوهر الأسنى في تراجم علماء وشعراء بوسنة للخاتجي ، مدينة مجلة الأهر . ذوالحجة ١٤١٢ هـ / ١٠٤ ، ١٠٥) .

• حسن كافي الأقصاري :

انظر : الأقصاري .

• حسن المال في عد مناقب الأئ :

انظر : وسيلة المال في عد مناقب الأئ .

• الحسن المثنى :

انظر : الحسن بن الحسن .

• حسن المجاز بضمط علاقات المجاز :

انظر : المجاز .

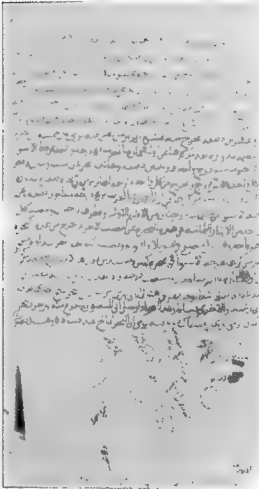
• أبو الحسن الكندي (٥٠٠ - ٥٦٥ هـ / ١١٠٦ - ١١٦٩ م) :

من المخططين . وهو أبو الحسن علي بن ثروان بن زيد بن الحسن الكندي ، وهو ابن عم تاج الدين أبي اليمن الكندي . أصله من الخابور .

ولد ببغداد ونشأ بها ، وقرأ الأدب على الشيخ أبي منصور الجواليقي وعلى غيره من كبار علماء الأدب واللغة .

وسمع الحديث الشريف من أبي البركات هبة الله البخاري ، وأبي القاسم السمرقندي . وهو الذي أقاد ابن عمه تاج الدين وأحضره مجالس مشايخ الأدب ورغبه في ذلك وحثه عليه من صغره .

انتقل أبو الحسن من بغداد إلى دمشق ، وسكنها ، واستفاد منه الناس ، وتقدم عند الأهرام ، واتصل بالملك العادل نور الدين محمود بن زنكي وصار من أخصائه . وكان



٥ - صفحة من كتاب حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة .

للكمال الأندلسي - سجع الهليل في أخبار النيل لأحمد بن يوسف التيفاشي - ثمار الأوراق لابن حجة ، وغيرها الملاحظ على السيوطي دقة وأمانته في نسبة المنقول إلى قائله وفي الاعتراف بجهد السابقين . هذا وقد طبع الكتاب طبعة سنة ١٢٩٩ هـ ، وطبعة أخرى سنة ١٣٢١ هـ وإن كانت الطبعتان في حاجة إلى إعادة تحقيق لطبعة جديدة سليمة (في مصادر التراث العربي / ٢٣٥) .

وفقهاء الشافعية و المالكية والحنفية والحنابلة ، وكذلك أئمة القراءات والنحو واللغة والحكماء والأطباء والمنجمين والوعاظ والقصاص والمؤرخين والشعراء والأدباء ، ويترجم لنفسه مع هؤلاء .

أما الجزء الثاني فيتناول فيه جلال الدين السيوطي أمراء مصر منذ أن فتحت إلى أن ملكها بنو عبيد ، ثم بنو أيوب ، ثم من قام بها من الخلفاء العباسيين .

ويذكر قضية مصر ووزرائها وكتاب السمر ، ويتحدث عن مساجد مصر ، وأمهات المدارس .

ثم يتحدث عن أمور متفرقة ، فيذكر الحوادث الغربية بمصر ، وحمام الرسائل ، والزى والكتابة على التقاليد والمعاملة ولطائف مصر ، والنيل وجيزة الروضة والمقابر والخليج وبركة الحبيس .

ويختتم الكتاب بالحديث عن الأزهار والفلوكة الموجودة بمصر ، وما جاء فيها من أشعار .

فكتاب حسن المحاضرة كتاب في تاريخ وجغرافية مصر إلى جانب ما فيه من دراسات اجتماعية (في مصادر التراث العربي / ٢٣٣ - ٢٣٥) .

وقد كتبه السيوطي في عصر السلطان قايتباي ، واعتمد في تأليفه على ثمانية وعشرين مؤلفاً عُدّها في مقدمته ، وقد لخص ذلك عن آثار المتقدمين ، ولا سيما ابن عبد الحكم والكندي والقضاة (صفحات من تاريخ مصر / ٢١٤ ، ٢١٥) ومن هذه التآليف المتنوعة في التاريخ وعلوم الهيئة وكتب التراجم وكتب الأدب واللغة والفقّه التي ذكرها :

فتوح مصر لابن عبد الحكم - فضائل مصر للكندي - تاريخ مصر لابن ميسر - الخطط للمقريزي - المسالك لابن فضل الله العمري - مباحج الفكر ومناهج العبر لمحمد بن عبد الله الأنصاري - تاريخ الصحابة الذين نزلوا مصر لمحمد بن الربيع الجيزي - الإصابات في معرفة الصحابة لابن حجر - طبقات الحفاظ للذهبي طبقات الشعراء للذهبي - طبقات الشافعية للسيكي - تاريخ الإسلام للذهبي - البداية والنهاية لابن كثير - الطالع السعيد في أخبار الصعيد

خلقه على بعض حتى في الأمكنة والبلاد والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفصح من نطق بالضاد ... » .

وهو كتاب في تاريخ مصر لخصه المؤلف من ثمانية وعشرين كتابا ذكر فيه أخبار الأنبياء والملوك والحكام الذين دخلوا مصر ثم ذكر الأهرام والإسكندرية وفتح المسلمين لمصر ومن دخلها من الصحابة والتابعين . بعد ذلك ذكر مبانها من مدروس وجوامع وغيرها .

نسخة نفيسة ترقى للقرن العاشر الهجري / القرن السادس عشر الميلادي ولعلها كتبت في حياة المؤلف الوقتان الأولى والأخيرة كتبتا بخط أحادث من الأصل . وفي الصفحة ٢٤٢ من هذه النسخة رسمت خارطة للبحيرات والأنهار أحدث من أصل المخطوط .

القياس ٥٤٠ × ١٧, ٥ × ٢٦ سم ٢٧ م
معجم المؤلفين ١٢٨/٥

نسخة أخرى .

الرقم ١٨٤٨ .

جيدة الخط كتبها بقلم النسخ يوسف بن محمد الركيل الماوي في ٨ ذي الحجة سنة ١٠٩٢ هـ / ١٦٨١ م تملكها على الترجمان .

القياس ٥٨٠ × ٢٧, ٥ × ١٧ سم ٢٣ م

نسخة أخرى

الرقم ٧٣٩٨

كتبت بقلم النسخ المجيد بالمداين الأسود والأحمر ترقى للقرن الحادي عشر الهجري القرن السابع عشر الميلادي ناقصة قليلا من الأول والاخر .

القياس ٥٠٢ × ٣٠, ٥ × ٢٠ سم ٢٣ م

نسخة أخرى

الرقم ٩٨٠٩

كتبها بخط النسخ محمد بن محمد الزيد القرشي سنة ١٠٠٧ هـ / ١٥٩٨ م عليها حواش وشروح في آخرها فائدة

قالت المؤلفة : النسخة التي عندي بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم طبع دار إحياء الكتب العربية . عيسى البابي الحلبي وشركاه ، الطبعة الأولى ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨ م ، وقد عدد المحقق طبعات الكتاب في مقدمته ص ٥ ، ٦ .

وهو من أفضل كتب السيوطي . وبدءه بذكر المواضع التي وقع فيها ذكر مصر في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة .

كما أنه من أهم مراجع تاريخ مصر وأعلامها .

أما غرضه من تأليف هذا الكتاب فقد ذكره في مقدمته حيث قال :

هذا كتاب : سميت حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة .

أوردت فيه فوائد سنية ، وفرائب مستعربة مرضية ، تصلح لمسامرة المجلس وتكون للوحيد نعم الأئیس ... (صفحات من تاريخ مصر / ٢١٥) .

يوجد مخطوطه بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة وجاء بيانه كما يلي :

لجلال الدين السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ، المتوفى سنة ٩١١ هـ (يتركلمن ٢ / ١٥٧ وملحق ٢ / ١٩٦) .

أوله : الحمد لله رب العالمين الذي فاوت بين العباد ، وفصل بعض خلقه على بعض حتى في الأمكنة والبلاد » . وآخره :

كانه بعض دجاج وقد

لطنها الكتاب بالزعفران
نسخة كتبت بقلم معتمد في ٢٢٢ ورقة ومسطرتها ٢٩ سطرا تمت كتابة سنة ٩٧٤ هـ على يد أحمد المعلى .

[الزاوية الحمزاوية ٧٠] UNESCO

(فهرست المخطوطات المصرية ج ٢ ق ٤ / ١٥٢ ، ١٥٣) .

كما توجد خمس نسخة مخطوطة في مكتبة المتحف العراقي وجاء بيانه كما يلي :

النسخة الأولى : الرقم ٩٨٧٠

الأول : الحمد لله الذي فاوت بين العباد وقفل بعض

قليلة ، إذ لم يزل كتاب الإنشاء ينشئون في ذلك الرسائل البليغة . فمن إنشاء القاضي الفاضل في وفاء النيل عن السلطان صلاح الدين بن أيوب :

نعم الله .. سبحانه وتعالى .. من أضوأها بزؤفا ، وأفضأها سيؤفا ، وأصفأها بنبؤفا ، وأملأها بحر مواب ، وأضعنأا حسن عواقب . النعمة بالنيل المصري الذي يسط الأمال ويفيضها مملؤه ويجزؤه ، ويؤري الثبات غمره ، ويحيى مطلقه الحيوان ، وثمرات الأرض صنوان وغير صنوان .

وكان وفاء النيل المبارك تاريخ كذا ، فأسفر وجه الأرض وإن كان لتتعب ، وأمن يوم بشره من كان خافا يتربق . ورأينا الإبانة عن لطائف الله التي حققت الظنون ، ووفت بالرزق المضمون ﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴾ [النحل : ٧٩] و [النمل : ٨٦] و [المنكبوت : ٢٤] و [السرور : ٣٧] و [الزمر : ٥٢] .

(٢) في ذكر جزيرة الروضة :

ذكر جزيرة مصر ، وهي المسماة الآن بالروضة ، قال المقرئ : أعلم أن الروضة تطلق في زماننا على الجزيرة التي بين مدينة مصر وبين مدينة الجيزة ، وعرفت في أول الإسلام بالجزيرة ، وجزيرة مصر ، ثم قيل لها : جزيرة الحصن . وعرفت الروضة من زمن الأفضل ابن أمير الجيوش ، إلى اليوم انتهى .

وقال ابن المتوج في كتابه « إيقاظ المتغفل » ، واتعاط المتأمل : إنما سميت جزيرة مصر بالروضة لأنه لم يكن بالديار المصرية مطلقا . ويحر النيل حاذق لها ودائر عليها . وكانت حصينة وفيها من البساتين والشجر ما لم يكن في غيرها ولما فتح عمرو بن العاص مصر تحصن الروم بها مدة فلما طال حصارها وهرب الروم منها ضرب عمرو بن العاص بعض أبراجها وأمرأها وكانت مستديرة عليها .

واستمرت إلى أن عمر حصنها أحمد بن طولون في سنة ثلاثمائة وستين ولم يزل هذا الحصن حتى غربه النيل .

وقال المقرئ : أعلم أن الجزيرة التي هي الآن في بحر النيل كلها حادثة في الإسلام ما عدا الجزيرة التي تعرف اليوم

عن زيارة محمد بن مراد خان لمصر سنة ١٠٢٠ هـ / ١٦١١ م ناقصة قليلا من الأول .

القياس ٣٧٨ ص ٢١ × ١٦ سم ٢٥ م نسخة أخرى .

الرقم ٨٩٥١ / ٤

تتضمن قسما من الكتاب تنتهي بفتح مصر ترفى للقرن العاشر / الهجري السادس عشر الميلادي عليها قراءة لعبد المعبود بن عثمان بن عبد الرحمن سنة ٩٩٩ هـ / ١٥٩٠ م القياس ٥٩ ص ٥ × ٢٠ سم ٢٧ م (مخطوطات التاريخ والتراجم والسير / ١٥٨ - ١٦٠) .

وله ترجمة بالتركية في مخطوط بلار الكتب القومية بعنوان « ترجمه حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة » ترجمه أحمد بن سليمان الحنفي .

وترجمه المترجم إلى التركية لوالى مصر عبد الرحمن باشا .

أول الترجمة - حمد وشكر أولسون سكا خالق كون ومكان ... أما بعد ، سبب ترجمة كتاب بتناية الملك الوهاب يعنى أول وزير عاليشان ... محافظ مصر عبد الرحمن باشا ... إلخ .

— نسخة مخطوطة في مجلد ، بقلم فارسي عادي ، بدون تاريخ ، في ٥٦ ورقة ، مسطرتها ٢٧ سطرا ، في ٢٧ × ١٦ ، ٥ سم .

بآخرها ورقة الكاتب .

(١٢٨ - م تاريخ تركي)

وقد قام بترجمة هذا الكتاب إلى التركية أيضا يوسف بن محمد ميلوي (وكيل زاده) (لورس المخطوطات التركية الثمانيات ١ / ١٩٦) .

وإليك نماذج من كتاب حسن المحاضرة :

(١) في ذكر البشارة بوفاء النيل :

جرت العادة كل سنة إذا أوفى النيل أن يرسل السلطان بشيرا بملك إلى البلاد لتطمعن قلوب العباد ، وهذه عادة

١٨٧٠ حتى نهاية ١٩٨٠ ، ١ / ١٩٦ . انظر أيضا كشف القنادل لحاجي خليفة / ١ (٦٦٧) .

• حسن (مدرسة السلطان) (٧٥٧-٧٦٤ هـ / ١٣٥٦-١٣٦٣ م) آخر ١٣٣٠ :

مدرسة السلطان حسن يمينان صلاح الدين تجاه قلعة الجبل ، ويطلق عليها أيضا اسم «مسجد ومدرسة السلطان حسن» .

السلطان حسن - السلطان الملك الناصر حسن بن محمد ابن قلاوون ولد في سنة ٧٣٥ هـ (١٣٣٤ م) . وسمى أولا قماري ، ولما ولي ملك مصر اختار اسم حسن فحرف به ، ولي الملك في ١٤ رمضان سنة ٧٤٨ هـ (ديسمبر سنة ١٣٤٧ م) . وعمره ثلاث عشرة سنة . ولصغره نأب عنه في إدارة شؤون الدولة الأمير بييغا روس نائب السلطنة ، وأئتم على الأمير منج اليوسفي وصين في الوزارة والأستادارية .

وفي سنة ٧٥١ هـ (١٣٥٠ م) . أثبت القضاة أنه بلغ سن الرشد وقبض على الأميرين منجك وبييغا روس ، مما دعا الأمراء إلى التأمر عليه وإقصائه عن الملك في ١٧ جمادى الآخرة سنة ٧٥٢ هـ (١٣٥١ م) . واعتصم به في الدور السلطانية وتعيين أخيه الملك الصالح صالح (تاريخ المساجد الأميرية ١٦٥ ، والخطط الترفيقية ٤ / ١٧٤) وظل في معتقله مشغولا بالعلم حتى أعيد إلى السلطنة مرة أخرى في سنة ٧٥٥ هـ (١٣٥٤ م) وظل متريعا في دست الحكم إلى أن قتل سنة ٧٦٢ هـ (١٣٦١ م) (مساجد مصر ١ / ٦٨) .

وفي الثاني من شهر شوال سنة ٧٥٥ هـ (أكتوبر سنة ١٣٥٤ م) أعيد الناصر حسن إلى ملك مصر فاستبد بالمملكة وصفت له الدنيا ولم يشاركه أحد في الحكم ، فبالغ في أسباب الطمع إلى سنة ٧٦٢ هـ (١٣٦٠ م) حيث تزايد سلطانه وكثرت مماليكه . وأهدى إليه بعض ملوك اليمن شيمة غريبة الشكل تتكون من قاعة وحمام محلاة بالقنوش .

ومن أجل تغير الجو في مصر خرج مع حاشيته إلى ضواحي البحيرة فأقام بها ثلاثة أشهر . وفي هذه الفترة اشتدت الفتنة بينه وبين الأمير بلباها الخاصكي ، وحاول السلطان حسن الفتك به قلم يوفق ، فهاجمه بلباها في القلعة فهرب السلطان حسن ، ثم قبض عليه وعلى من معه جهة المطرية ،

بالروضة تجاه مدينة مصر ، فإن العرب لما دخلوا مع عمرو بن العاص إلى أرض مصر وحاصروا الحصن الذي يحفر اليوم بقصر الشمع في مصر حتى فتحه الله عنوة على المسلمين ، كانت هذه الجزيرة حيث جد تجاه القصر ، لم يلبث إلى الآن متى حدثت ، وأما غيرها من الجزائر كلها فقد تجددت بعد فتح مصر .

وإلى هذه الجزيرة التجأ المقوقس لما فتح الله على المسلمين النصر ، وصار بها هو ومن معه من جميع الروم والقط .

(٣) في ذكر من كان بمصر من المؤرخين :

... أبو الحسن علي بن موسى بن عبد الملك بن سعيد الترنطاي الأديب الإخباري الشهير ، صاحب التصانيف الأدبية ، ولد بخراسنة سنة عشر وستمئة ، وأخذ عن الشلوين وغيره ، وجال في الأقطار ، ودخل مصر والشام وبغداد ، وألف : المغريب في حلى المغرب ، والمشرق في حلى المشرق ، والطالع السعيد في تاريخ بلده ، مات بتونس سنة خمسة ولماين وستمئة .

- الأمير ركن الدين بيبرس المنصورى الدوادار ، صاحب التاريخ المسمى بزيعة الفكرة ، من أحد عشر مجلدا ، والتفسير . مات سنة خمس وخمسين وسبعمئة .

- ابن المتوج تاج الدين محمد بن عبد الوهاب بن المتوج ابن صالح الزبيرى ، أحد العلل بمصر ولد بها في ربيع الأول سنة تسع وثلاثين وستمئة وسمع وحلث ، وألف تاريخ مصر ، سماه : إيقاظ المتغفل واتعاط المتأمل . روى عنه البدر بن جماعة ، مات بمصر في المحرم سنة ثلاثين وسبعمئة (في مصادر التراث العربى / ٣٣٧-٣٣٩) .

(صفحات من تاريخ مصر في عصر السيوطي - عبد الوهاب حمودة)

/ ٢١٤ ، ٢١٥ ، وفي مصادر التراث العربى - د. السيد الدرق / ٢٣٣ - ٢٣٩ ، وفهرست المخطوطات المصورة ، معهد المخطوطات العربية ، التاريخ ، ج ٢ في القاهرة ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م / ١٥٢ ، ١٥٣ ، ومخطوطات التاريخ والتراجم والسير في مكتبة المتحف العراقي - أسامة ناصر القشندى وظمياء محمد عباس / ١٥٨ - ١٦٠ ، وفهرس المخطوطات التركية العشانية التي انتخبها دار الكتب القومية متح عام



مسجد السلطان حسن
(١٣٦٢-١٣٥٦ هـ)

القبّة والمدورتين . والبحرى : إلى « اسطبل منجك » ويتصل منه إلى البئر المعروفة بالبخالة . والشرقى : إلى الطريق المسلوكة منها إلى سوق الخيل وغير ذلك ، وفيه البراية والسلم والشبابيك . والغرى : إلى الطريق المسلوكة منها إلى حدره البقر ، وهو شارع السيوف وسوق الخيل ، وهو المعروف بالرميلة سابقا ، ويعرف الآن ببلدان محمد على وغير ذلك ، ويعضه إلى المجصرى التى يصل منها الماء إلى الاصطبل السلطانى (الخطط التبريدية الجديدة ٤ / ١٧٥) .

ففى سنة ٧٥٧ هـ (١٣٥٦ م) بدأ هذا السلطان فى بنائها وعنى بها عناية شديدة واستمرت العمارة جارية فيها مدة حياته ، وكان يصرف عليها بسخاء عظيم .

ونسب الطوائف قبل الشامى إلى السلطان حسن أنه قال : « لولا أن يقال إن ملك مصر حجب عن إمام بناء بناءه لتركت بناء هذا الجامع من كثرة ما صرف عليه » وليس بمستبعد أن يقول هذا : فالبناء شامخ يدل على العظمة والجبروت وعلى المقدرة الفنية ، كما ينم عن كثرة النفقات . وقد ابتكر مهندسه فى هذا البناء الضخم زخارف دقيقة وكتابات وتقوشا ونعاسا مكنتا آية فى الحسن والبهاء .

وذلك فى جمادى الأولى سنة ٧٦٢ هـ (١٣٦١ م) وهنا يقول أغلب المؤرخين : كان هذا آخر العهد به ، وقيل : إنه ختق وألقى فى البحر ولم يعرف له قبر .

ويقول المقرئى : إنه دفن فى مصطبة كان يركب عليها من داره بقلعة الكيش . كما قيل : إنه دفن بكيمان مصر وأخفى قبره . وتبعه فى الأخذ برواية دفنه فى مصطبة داره ابن أبى الفلاح المؤرخ .

كان رحمه الله ملكا حازما شجاعا منزها عن كثير من نقائص المماليك . وكان يفر عنهم ويقرب غيرهم من أبناء الأسر ويمينهم فى حاشيته .

مدرسة السلطان حسن يصفها الأستاذ حسن عبد الوهاب رحمه الله فيقول : إن حق لمصر الفرعونية أن تفخر بأهرامها فإن لمصر الإسلامية أن تبه عجايبا بمدرسة السلطان حسن التى لا يصادفها بناء آخر فى الشرق بأجمعه ؛ فقد جُمعت شتى الفنون فيها .

ويعرف موقعها قديما بسوق الخيل ، وكان به قصر من أجل القصور، أمر بإنشائه الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٣٨ هـ (١٣٣٧ م) لسكنى الأمير يلبغا اليحياوى . وقد بقى هذا القصر حتى هدمه الملك الناصر حسن وبني محله هذه المدرسة (تاريخ المساجد الأخرى / ١٦٦) وقيل إن المدرسة أقيمت مكان قصرين للأميرين يلبغا اليحياوى ، والطنبغا الماردانى بعد هدمهما وابتدأ العمل بها عام ٧٥٧ هـ / ١٣٥٦ م ، واستمر لمدة ثلاث سنوات دون توقف (القاهرة الإسلامية / ٧) .

وفى كتاب وقفته المحفوظة فى خزانة الدفاتر المصرية الموضوعة فى رجب الحرام سنة ستين وبعمامة المحفوظة بالدخترخانة المصرية ما ملخصه : أن هذا الجامع أصله مكان كان بسوق الخيل على يمينه السالك من سوقة الحمزى طالبا سوق الخيل ، وعلى يسرة السالك من سوق الخيل طالبا سوقة الحمزى . وخلط به قطعة بجواره بها بئر مائية ، ويحيط بذلك المكان وبالقطة الأرض وبالساقية حلود أربعة ، القبلى : إلى الطريق المسلوكة إلى سوق الخيل ، وفيه شبابيك

كما تفعل في شواهد الجبال . وفي أحد أبوابه سارية رخامية لطيفة يقال إنها من إيران كسرى ؛ وفيها نقوش عجيبة « الرحلة الوريثانية / ٢٦٥ » .

ويصفه عبد الغنى النابلسي - وقد زاره سنة ١١٠٥ هـ (١٦٩٣ م) فيقول - : « إن هذا الجامع من أعظم الجوامع على شكل القاعة العظيمة ، ونظرا إلى إيوانه القبلي الذي فيه المنبر والمحراب فإذا هو إيوان كبير عظيم » (الحقيقة والمجاز / ١٠٣) .

وقد أحصى هرتس باشا أقوال الرحالة والمؤرخين الأجانب في هذا المسجد فتتطغ منها ما يأتي : يبترو دى لافالليه سنة ١٦١٦ م : « وتجاه القلعة جامع لم أر أجمل منه منظرا ، ولا أبعد منه شكلا . وأحسن ما رأيته منه قبته وشكلها الغريب التي لم أشاهد مثلها ، فإنك بينما تراها ضيقة من الأسفل تتسع في عينك كلما تملو ثم تأخذ في الضيق على هيئة بيضة الدجاج » (تاريخ جامع السلطان حسن / ١٥ ، ١٦) .

مسيو تيشنو - وقد جاء مصر سنة ١٦٥٧ م ووصفه في رحلته ببلاد الشرق ص ٢٦٦ :

« هذا الجامع متفن البناء عظيم الارتفاع وكله مبنى بحجر الآلة » .

كتاب وصف مصر للحملة الفرنسية : « إنه جامع جميل بل من أجمل مباني القاهرة بل الدولة المصرية بأسرها » . وقد بالغ واضح هذا الفصل في ضخامة قبته وارتفاع منارته ، وذكر الكتابات المنقوشة على جدرانه فقال : « إنها ملونة بألوان شتى . وأشار إلى المصاييح الجميلة المعلقة في عقود إيوانه وفي قبة التربة ... » .

وقد عني حضرة الأستاذ الجليل مسيو جاستون فييت مدير دار الآثار العربية بجمع طائفة كثيرة من تلك الآراء في بحثه الذي نشره تحت عنوان جامع السلطان حسن ، وأبدا بفقرات من وصفه له : « وقد يكون في وصف الجامع وصفا مسهيا ما يدعو إلى السآمة والملل وبالرغم من أن الجزئيات تشترك في إبراز الكليات . ولكن هذا الأثر بحاجة إلى قلم بليغ وأسلوب شاعري حتى يمكن إبراز دقائقه وجزئياته حتى لا يكون ما يراه

ويصفه المقرئ المورخ بقوله : « فلا يعرف في بلاد الإسلام معبد من معابد المسلمين يحاكي هذا الجامع وقبته التي لم يبن بديار مصر والشام والعراق والمغرب واليمن مثلها » (المقرئ / ٢١٦ ، وتاريخ المساجد الأخيرة / ١٦٦) .

ويصفه على مبارك بقوله :

وفي هذا الجامع عجائب من البنيان ، منها أن ذراع إيوانه الكبير خمسة وستون ذراعا في مثلها . ويقال إنه أكبر من إيوان كسرى الذي بالمدائن من العراق بخمسة أذرع (تنظر مادة إيوان كسرى وصورتي الإيوان في م ٣٠٢-٣٠٤) ومنها القبة العظيمة التي لم يبن بديار مصر والشام والعراق والمغرب واليمن مثلها ، ومنها المنبر الرخام الذي لا نظير له ، ومنها البوابة العظيمة ، ومنها المدراس الأربعة التي بدو قاعة الجامع ، إلى غير ذلك (الخطط التوفيقية الجديدة / ١٧٤) .

وقد أجمع على هذا الرأي جميع المؤرخين والرحالة الذين زاروها ، فيقول عنها ابن قسري بردي « إن هذه المدرسة ومثلثتها وقبتها من عجائب الدنيا ، وهي أحسن بناء بنى في الإسلام » (منتخبات من حوادث الدهور ، الفصل الثاني ص ٢١٩) .

ويقول عنها غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري المتوفى سنة ٨٧٣ هـ (١٤٦٨ م) ما ملخصه : « ليس لها نظير في الدنيا ؛ فقد حكى أن الملك الناصر حسن لما أمر بمعمارها طلب مهتمين من أقطار الأرض وأمرهم بممارسة مدرسته - ولم يعمر أعلى منها - فعمرت وفتت بها أربع منارات وقيل : ثلاث في ارتفاع المدرسة أيضا ؛ ثم هدم بعض المنارات واستمرت الآن على اثنتين ، وهي عجيبة من عجائب الدنيا » (زينة الممالك / ٣١) .

ووصفها السلطان سليم وقد زارها سنة ٩٢٣ هـ (١٥١٧ م) بقوله : هذا حصار عظيم .

ويقول الوريثاني الرحالة المغربي - وقد زار مصر في القرن الثاني عشر الهجري ، (الثامن عشر الميلادي) - : « إنه مسجد لا ثاني له في مصر ولا في غيرها من البلاد في فخامة البناء ونبائه ، وارتفاعه وأحكامه ، واتساع حناياه وسعة أبوابه كأنه جبال منحوتة ، تصفق الرياح في أيام الشتاء بأبوابه



مدرسة السلطان حسن
(٧٥٧-٧٦٤هـ / ١٣٥٦-١٣٦٣م)

تصميم المدرسة - وقد وضع تصميمها على طريقة التعامد (Cruciform) التي تشتمل على أربعة إيوانات يتوسطها صحن مكشوف وكان المقر في مشروع بنائها أربع منارات فيخ من بناء ثلاث : منها اثنان تكتفان القبة بالوجهة الشرقية ، والثالثة كانت على الكف الأيمن للباب العمومي ، وقد سقطت يوم السبت ٦ ربيع الآخر سنة ٧٦٢ هـ (١٣٦١ م) (المفريزى ٢ / ٣١٦) فأبطل السلطان حسن بناء البناية الرابعة التي كان مقرها لها الكف الأيسر للباب المذكور ، واكتفى بالمنازلتين .

(تاريخ المساجد الأثرية / ١٦٦ - ١٦٨) .

وتعتبر مثقلة السلطان حسن القديمة أجمل الأبنية للمأذن التي أنشئت في عهد دولة المماليك البحرية وقد تمت طريقة تحويل مربع القاعة إلى المثلث الأوسط بطريقة المثلثات بوضع قواعدها إلى أعلى وروبوها إلى أسفل - وبكل واجهة تجويف مقود به فتحة مستطيلة يكتنفها عمودان متصلان صغيران . والشرقة الجميلة التي تفصل هذا الدور المثلث القطع عن المثلث العلوي محمولة على صفوف من المقرنصات - والمثلث الثاني العلو أقل ارتفاعاً وقطاعاً أصغر

القارئ قاصراً على هذه الجزئيات فحصب ، وإن كانت بعض هذه الجزئيات غاية في الطرافة والابتكار وكأنها بيوت شعر من قصيدة عصماء . والفنان في هذا الجامع لم يوجه همه إلى الزخرفة كعامل جوهري في العمارة بل اقتصد فيها وسيطر عليها وأخضعها للكل فأدت أغراضها . وقد يكون هذا الجامع هو الوحيد بين جوامع القاهرة الذي يجمع بين قوة البناء وعظمته ورقة الزخرفة وجمالها . وأثره قوى في نفوسنا إذ له خصائصه التي لا يشترك مع غيرها . إن جامع السلطان حسن هو العمل العظيم في الإسلام الذي روى في تشييده متانة البناء ، فهو كالمعابد القديمة يتحدى الزمن وينطبق عليه ما تخيله شاعر عربي من أن الزمن هو الذي يقاوم قوة هذه المعاني الضخمة . ولا ريب في أن البناء العالمي الشهرة والعظيم القيمة رمز لمجد الإسلام وقوته وعظمته مقرة معترف بها .

وقال إيبس : « إن كل ما نراه في الجامع مركب في مكانه تركيباً هادئاً منسجماً » فإذا أمعنت النظر في زخارف إيوان القبة وقاعة القبر جزأ جزأ أحسست إحساس الرضا . فهناك ثروة فنية وأشكال رفيقة بأرعة .

وكتب جومار في كتاب وصف مصر : « إنه من أجل مباني القاهرة والإسلام ، ويستحق أن يكون في الرتبة الأولى من مراتب العمارة العربية بفضل قبة العالية ، وارتفاع مثلثتيه وعظم اتساعه وفخامته وكثرة زخارفه التي تكسو الأرضية والمحيطان في أوضاع بسيطة خاصة بهذه العمارة ، كما أن حشوات الخشب والبزوز التي تكسو الأبواب المخشبة والنحاسية محفورة حقاً فنياً .

وكتب عنه العصور لنيوار : « أن جامع السلطان حسن المملوكي يشرف على القاهرة كلها ، وأسلوب بنائه من أرقى الأساليب المعمارية ، ومساحته عظيمة ؛ ولذا يعد أجمل جامع في الشرق كله بلا نزاع .

وقال آرثور روبيه : « إن العبقري هي التي أتاحت لصاحبها السيطرة على الأشكال التقليدية أو الهندسية فبث فيها روحاً من عنده ؛ فلكل زخرفة في جامع السلطان حسن طابع خاص تمتاز به عن سواها من زخارف الأبنية الأخرى .

أعدت لحملها، بل أقامها من الخشب وغطاها بالآجر من الرصاص. وعلى ذلك تكون هذه رابع قبة خشبية كبيرة في مصر؛ إذ الأولى قبة الإمام الشافعي، ثم قبة مسجد الظاهر بيبرس البندقداري، فقبة الناصر محمد بن قلاوون بالتحسين.

هذه هي أعمال بشير الجميل - أما الزخارف وبقية أعمال الرخام بالوجاهت فقد تركها دون أن يتمها كما تركها السلطان حسن.

غير أن وفاة السلطان حسن قبل إجرها باقى الأعمال التكميلية ليس معناه أن المدرسة لم تفتح في حياته، فقد احتفل السلطان حسن بافتتاحها وصلى بها الجمعة وأنعم على البنائين والمهندسين، وأقيمت بها الدروس في حياته أيضاً. كما حوّل لها وقفه مؤرخة في شهر رجب سنة ٧٦٠ هـ (١٣٥٩ م)، ورصد عليها وعلى غيرها عقارات وأراضى تثل للصرف عليها، وعين بها الموظفين والقراء، وفرشها وعلق بها الثريات والمشكولات الجميلة، وعين لها إماماً.

وصف المدرسة - إن المطلع على رسم هذه المدرسة يرى في وضعها بعض أزرار، بل يصعب عليه تحديد شكلها. وغاية ما انتهى إليه الوصف أنه شكل كثير الأضلاع. وتبلغ مساحتها ٧٩٠٦ متر مربع، إذ امتداد أكبر طول ١٥٠ متراً، وأطول عرض ٦٨،٠ متراً، ولها أربع وجهات: شرقية وبها القبة ومنارتان أقدمهما القبلية ١٠٠٠ وبلغ ارتفاعها عن صحن الجامع ٨١،٦٠، وبحرية وقد سقطت سنة ١٧٠٠ هـ (١٦٥٩ م) وجعلت في عمارة إبراهيم باشا سنة ١٨٠٢ هـ.

وقد حليت أعتاب شبابيك القبة بمقرنصات وعقود غربية، كما طمعت بأشرطة من القاشاني. وحليت نواصيبها بعدد من الحجر ظريفة بها كتابات كوفية. ويتجلى منظرها من ميدان صلاح الدين ومن أعلى القلعة.

وأخرى قبلية بها شبابيك مدرستى الحنابلة والحنفية، وغربية وتحته دورة المياه، وأمامها الساقية التي كانت توصل المياه إلى الملبوس وإلى المسجد بواسطة مجرة على كوابيل بالرجحة القبلية. وبحرية وبلغ ارتفاعها عند الباب ٣٧،٧٠

من السفلى وتزخرف أضلاعها الصماء أشرطة أفقية من الرخام الملون - وينتهي هذا الثمن الأخير أيضاً بشرفة محمولة على المقرنصات ويعمل الأخيرة سقيفة شتمة محمولة على أعمدة رفيعة من الرخام ويتوجها كورنيش بارز من المقرنصات بقمته نهاية متسفة (العمارة الإسلامية في مصر / ٩٠، ٩١).

وفي شهر جمادى سنة ٧٦٢ هـ (١٣٦١ م) قتل السلطان حسن، وكانت المدرسة كاملة هذا بعض أعمال تكميلية أتمها من بعده الطواشي بشير الجميل.

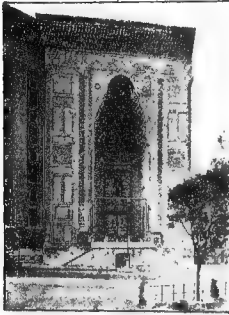
أعمال بشير الجميل - قد قام الطواشي بشير بأعمال تكميلية كثيرة بهذه المدرسة دون أن يتمها أيضاً. منها أعمال الرخام بالزوايا والأضلاع، ولذلك نراها بسيطة ويدخل فيها الكسوة الرخامية لأبواب المدارس بالصحن، ولذلك يقرأ على كل منها ما نصه :

«بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة مولانا السلطان الشهيد المرحوم الملك الناصر حسن ابن مولانا السلطان الشهيد المرحوم الملك الناصر محمد بن قلاوون وذلك في شهر سنة أربع وستين وسبعماية». (مع ذكر المذهب المخصصة له المدرسة : المذهب الشافعي أو المذهب الحنفي الخ) ويستعرض النظر فيها مؤرثاتها وتطعيم القاشاني والنفس المكتوب فيه لفظ الجلالة.

كما أتم قبة الفسقية بالصحن سنة ٧٦٦ هـ (١٣٦٤ م)، وهي قبة خشبية أقيمت على ثمانية عمد رخامية وكتب بداورها آية الكرسي وتاريخ الفراغ منها سنة ست وستين وسبعماية.

وعمل المصراعان النحاس للباب الكبير الموجود الآن في جامع المؤيد ؛ إذ يقرأ عليهما ما نصه : «أمر بإنشاء هذا الباب المبارك العيد الفقير إلى الله تعالى مولانا السلطان الشهيد أبو المعالي حسن ابن مولانا السلطان الشهيد الملك الناصر محمد بن قلاوون وذلك في سنة أربع وستين وسبعماية».

كما أتم بناء القبة الكبيرة وكتب بإفريتها آية الكرسي، ثم : «وكان الفراغ من هذه القبة، المباركة في شهر سنة أربع وستين وسبعماية». والمرجح أنه لم يتم بناء القبة، كما كان مقرراً لها، ببناء عظيم يتناسب مع الجدران الضخمة التي



مسجد السلطان حسن
(١٢٦٣-١٢٧١ هـ / ١٢٦٧-١٢٧٤ م)

سنة ١٠٨٨ هـ (١٦٧٧ م) ، (تاريخ المساجد الأثرية / ١٦٦ - ١٧٢) . وفي كل ركن من أركان الصحن الأربعة ، يؤدي باب إلى إحدى المداخل الأربع ، والتي كانت كل واحدة منها مخصصة لتدريس أحد المذاهب . وأكبر هذه المدارس هي المدرسة الحنفية ، التي تقع في الجهة الجنوبية ، وتبلغ مساحتها ٨٩٨ متراً مربعاً ، أما المدارس الثلاث الأخرى الشافعية والمالكية والحنبلية ، فهي في الثلاثة أركان الباقية من الصحن (القاهرة الإسلامية / ٨) .

وحول الصحن إيوانات أكبرها إيوان القبلة ، وهو إيوان كبير لا نظير له في مسعته وارتفاعه ، إذ تبلغ فتحته ١٩ ، ٢٠ ، يحيط به إفرنجي نادر من الجص مكتوب عليه بالخط الكوفي المزهر ما نصه : «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾ إلى قوله تعالى : ﴿فوزاً عظيماً﴾ [الفتح : ١ - ٥] ، وتختل الكتابة بزخارف دقيقة ، ويتوسطه دكة من الرخام بلغت النظر فيها تليس عماد الرخام الملون في نواصيها ، ويصدره المحراب المشعشع بالرخام الملون والمحلّى بزخارف موزقة تتخللها عنقيد العنقب ويجاور المحراب منبر من الرخام له باب من النحاس

وهي الوجهة العمومية ، ويطرفها الغربى الباب العمومي ، وهذا الباب طرفه أثرية ، فقد حلى من جانبيه بالزخارف المتنوعة الممتدة إلى أعلى . وأكثرها لم يتم إلى الآن . كما أن أجزاء كثيرة في الباب والوجهات كان مزجماً تليسيا بالرخام ولم يتم . ويكتنف هذا المدخل حنيتان برأسيهما مقرنصات ليستا بالرخام الأخضر بأشكال هندسية وكتب أعلاهما بالخط الكوفي المزهر قوله تعالى : ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾ ليغفر لك الله ﴿[الفتح : ١ ، ٢] ، يعلوهما تزيينتان كتب على إحداهما بالكوفي السريع ﴿لا إله إلا الله محمد رسول الله﴾ وبالأخرى : ﴿أبو بكر - عمر - عثمان - علي﴾ وقد كان لهذا الباب مصراعان من الخشب مغشيان بالنحاس من أنفاس الأبواب النحاسية ، نقلهما السلطان المؤيد شيخ إلى مسجده بالسكرية سنة ٨١٩ هـ (١٤١٦ م) . وينطى هذا الباب مجموعة كبيرة من المقرنصات رأينا هرتس باشا يأخذ على مهندسها بعض الهفوات في وضعها . ويحلى نهاية الوجهات مقرنصات بأزناقيع ستة مملوك ، وبرزت بمقلد ١٠ ، ٤٠ أضيفت إليها شرفة موزقة في وقت ما قامت إدارة حفظ الآثار العربية بإزالتها من الوجهة البحرية .

ويقر هرتس باشا أن زخارف هذا الباب الكثيرة لا نظير لها في الديار المصرية ، وأن أمثالها كثيرة الوجد في آثار آل سلجوق التي تمتاز الأبواب فيها عن باقي البناء بكثرة زخارفها .

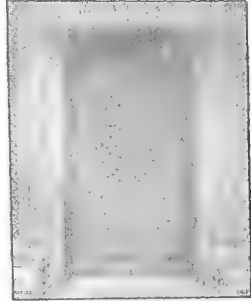
وهذا الباب يؤدي إلى مدخل مربع الشكل مكون من ثلاثة إيوانات مغطاة بمقرنصات يتوسطها قبة ملبسة بالحجر الأحمر ، ويصدر هذا المدخل مسطبة حلى صدرها بالرخام الملون الملبس في الرخام الأبيض ، وشباك من الجص وذوائر ومستطيلات زخرفية دقت في الحجر لا تقل دقة عن الأوبئة في الخشب أو الجص ، ومن هذا المدخل يتوصل إلى سلم ذى خمس درجات يؤدي إلى دهليز مقود ينثنى دفعة واحدة إلى اليسار وينتهي إلى صحن كبير مقروش بالرخام الملون مساحته ٣٤ ، ٦٠ متر في ٣٢ ، ٠٠ متر ، يتوسطه فسقية تعلوها قبة محمولة على ثمانية أعمدة مكتوب بدائرهما آية الكرسي وتاريخ الفراغ منها ، وبها تاريخ عمارة أجريت بها

وستين وسبعائة وصلى الله على محمد . يعلو ذلك شبايك ودوائر جصية ومقرنصات خشبية محلاة بزخارف ملونة ومذهبة وغطاء القبة الحالي ليس هو القديم ، فقد كانت القبة خشبية مكسوة بالرصاص .

وقد زار مصر السائح بيترودي لاقائليه وكتب رحلته سنة ١٠٧٥ هـ (١٦٦٦ م) . ومن وصفه للقبة يعتبر طرازها كطرار القباب المرقندية ؛ كذلك ذكر بريس دفين أن القبة سقطت سنة ١٠٧١ هـ (١٦٦١ م) ، وكانت أعظم ارتفاعا ، وباطنها حافل بالنقوش . وقد جدها إبراهيم باشا سنة ١٠٨٢ هـ (١٦٧١ م) ، وهي محاطة من الخارج بدعامات أسطوانية الشكل ، ويتوسط القبة ترقية من الرخام صنعت لتكون قبزا للسلطان حسن ، كتب عليها أنها أنشئت سنة ٧٨٦ هـ (١٣٨٤ م) برسم تربة السلطان السعيد الشهيد الملك الناصر حسن وذريته . ولكن السلطان حسنا لم يبدف فيها كما شرعها في ترجمته ودفن فيها ابنه الشهاب أحمد المتوفى في ١٤ جمادى الآخرة سنة ٧٨٨ هـ (١٣٨٦ م) . وابنه إسماعيل وقد أودع بهله القبة كرسى المصحف المكون من حشوات سن وأبنوس وخشب دقت بالأويمة الدقيقة وهو يعد أقدم كرسى مصحف عشر عليه بمصر (تاريخ الآثار الإسلامية / ١٧٢ ، ١٧٣ ، والقاهرة الإسلامية / ٩) .

ووضع القبة خارجا عن سمت جدار المحراب وخارجا عن المسجد يعتبر وضعا شاذًا سبقه فيه المشهد الحسيني ، ونسج على منواله فيما بعد في مساجد أمير حسين والمحمودية والتي يروق بمصر وبعض مساجد الوجه البحري . ويتنلى من عقود الإيوانات مجموعة من السلاسل النحاسية كانت معدة لمحل مشكاوات زجاجية مشغولة بالميثا وعليها اسم السلطان حسن ، وقد حفظ ما تبقى منها وعددها ٣٤ مصباحا مع ثريتين من النحاس يدار الآثار العربية إحداهما باسم الأمير قوصون .

وبمناسبة الثريات النحاسية (التنانير) الخاصة بالمسجد أذكر أن الملك المؤيد شيخ . كان نقل إحدهما إلى مسجده مع الباب النحاسي .



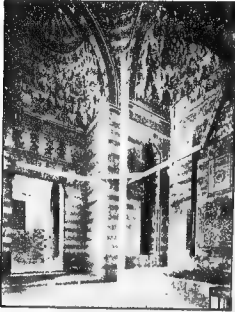
مسجد السلطان حسن
(٧٥٧-٧٦٤ هـ / ١٣٦٣-١٣٦٣ م)

المفرغ ، (تاريخ المساجد الأثرية / ١٧٢) يعتبر من النماذج الفريدة للمناير الرخامية (القاهرة الإسلامية / ٩) ويكتنف المحراب بابان يوصلان إلى قبة الضريح خلف المحراب أحدهما قبلى مغشى بالنحاس المكثف بالذهب وعليه اسم السلطان حسن ، والأخر فُقدت كسوته . وعلى جانبي المحراب لوحتان مكتوب عليهما : « جدد هذا المكان المبارك لحسن آغا خزيندار - الوزير إبراهيم باشا بيد الفقير محمد سنة ٤١٠٨٢ (تاريخ المساجد الأثرية / ١٧٢) .

وجدران الضريح مكسوة بالرخام الملون ، بارتفاع ثمانية أمتار ، يعلوه إطار من الخشب ، يبلغ عرضه ثلاثة أمتار ، محلى بكتابات نسجية يأتي بيانها بعد (القاهرة الإسلامية / ٩) .

والقبة مربعة طول كل ضلع من أضلاعها ٢١ ، ٠٠ مترًا ، وارتفاعها إلى ذروتها ٤٨ ، ٠٠ مترًا ، وبها محراب من الرخام محلى بزخارف دقيقة ، ووزرة مرتفعة نحو ثمانية أمتار ، يعلوها إفريز خشبي به كتابة بارزة نصها : « بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ [البقرة : ٢٥٥] الآية .

وكان الفراغ من هذه القبة المباركة في شهر سنة أربع



مدرسة السلطان حسن

(١٣٦٣-١٣٥٦ هـ / ١٣٦٣-١٣٥٦ م)

من كل فرقة خمسة وعشرون متقدمون وثلاثة معيدون ، وعين مدرسا لتفسير القرآن ، وعين معه ثلاثين طالبا عهد إلى بعضهم أن يقوموا بعمل الملاحظة ، وعين مدرسا للحديث النبوي ، ومقررا لقراءة الحديث ، وثلاثين طالبا يحضرون يوميا عهد إلى بعضهم أن يقوموا بوظيفة التقيب والبعض الآخر يقوم بوظيفة داع للسلطان عقب الحزب . ثم عين بالإيوان القبلي بالجامع شيخا عالما مفتيا ، ورتب معه مقررا مجيدا للقراءة على أن يحضر أربعة أيام من كل أسبوع ، منها يوم الجمعة فيقرأ المقرئ ما تيسر من القرآن وما تيسر من الحديث الشريف ، وعين مدرسا حافظا لكتاب الله عالما بالقرارات السبع ليجلس كل يوم ما بين صلاة الفصح والزوال بالإيوان القبلي ، وقاروا آخر يجلس معه ليلقن القرآن لمن يحضر عنده ، ثم عين اثنين لسراية الحضور والغياب ، أحدهما بالليل والآخر بالنهار . وأعد مكتبة عين لها أمينا ، والحق بالمدرسة مكتبين يمدسهما لتعليم الأيتام القرآن والخط ، وقرر لهم الكسوة والطعام ، فكان إذا أتم اليتيم القرآن حفظا يعطى خمسين درهما ويمنح مؤدبة خمسين درهما مكافأة له .

ويحيط بالصحن أربع مدارس للمناهب الأربعة تعتبر من تصميمها مساجد صغيرة محدقة بالجامع الكبير ، أكبرها المدرسة الحنفية التي تقع في الجهة الجنوبية ، إذ تبلغ مساحتها ٨٩٨ مترا ، ويبلغ عمق إيوانها ١٩,٢٠ مترا ، وتشتمل على العديد من روافع الفن الإسلامي . فجدرانها مكسوة بالرخام والأحجار الملونة . وأعلىها إطار من الزخارف الحفصية ، بداخله كتابة بالخط الكوفي المزهر ، عبارة عن آيات من القرآن الكريم ، تتخللها زخارف نباتية دقيقة ، أما المدراس الثلاث الأخرى الشافعية والمالكية والحنبلية ، فهي في الثلاثة أركان الباقية من الصحن . ويتكون كل منها من إيوان وصحن تتوسطه فسقية ، ثم طبقات بعضها فوق بعض تشرف على صحن المدرسة وعلى الوجهات (تاريخ المساجد الأثرية / ١٧٢ ، ١٧٣ ، والقاهرة الإسلامية / ٨ ، ٩) .

وقد نقش على كل باب من أبواب المدارس الأربع النص التالي : « بسم الله الرحمن الرحيم . أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة مولانا السلطان الشهيد المرحوم الملك الناصر حسن ابن مولانا السلطان الشهيد المرحوم الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وذلك في شهر سنة أربع وستين وسبع مائة » ، ثم ذكر المذهب الذي خصصت له المدرسة بعد ذلك (القاهرة الإسلامية / ٩) .

وباقى في اثنتين منها طراز حصي مكتوب بالخط الكوفي على مشال الإيوان الشرقي ، أحدهما في مدرسة المالكية . ومكتوب فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ الذين لأن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور ﴾ [الحج : ٤١] اللهم أكثر الخير وأتبع العطا نسألك وأنت خير مشول دوام دولة من أسس هذا الخير وأصله مولانا السلطان الأعظم الما ... والمساكين ... يته ... في عقبه ... » .

نظام المدارس : وقد قرر السلطان حسن لهذه المدارس مدرسين ومراقبين وعين لهم مرتبات ثنتها فيما يلي : (الخطط الجديدة / ٤ ، ٨٥) .

قرر لكل مذهب من المناهب الأربعة شيخا ومائة طالب ،

حسن فأصاب المدفع شباك المدرسة فقتل ثلاثة من المماليك . ونهيت بسط المدرسة وقناديلها وورخامها .

وفى سنة ٩٠٣ هـ (١٤٩٧ م) جدد الأمير طومانباى الدوادار الثانى جدران المدرسة وأصلح ما تلف منها ، وأقيمت الخطبة بها بعد أن كانت معطلة نحو عشرة أشهر .

وفى سنة ٩٠٦ هـ (١٥٠٠ م) هدم الأشرف جان بلاط جزءا بسيطا خلف محراب القبة بصعوبة ثم أوقف الهدم .

ولما ولي ملك مصر الملك العادل طومانباى أمر بترميم جميع ما قسد من جدران مدرسة السلطان حسن فى مدة محاصرة القلعة .

ولما زار مصر الرحالة المغربى الپورتىلى سنة ١١٧٩ هـ (١٧٦٥ م) وجد جدارا كبيرا مهدوما من المسجد وكان العمل جاريا فى رفع أنقاضه . وبعودته من الحج بعد سنة ونصف سنة وجدهم قد فرغوا من ترميمه . ولعل هذه العمارة لإصلاح ما هدمه جان بلاط ، أو من أثر المعركة التى قتل فيها أحد عشر أميرا فى بيت محمد بك الخندقدار سنة ١١٤٩ هـ (١٧٣٦ م) وتسبب عنها سد الباب الكبير مرة ثانية لمدة ٥١ سنة ؛ إلى سنة ١٢٠٠ هـ (١٧٨٥ م) حيث أصلح المسجد سليم أغا وفتح بابه وأزال الدكاكين التى أحدثت بأسفله ؛ وبنى له سلالا ومصطبة جديدة .

ومن هذه الحوادث نرى كيف كالمحت هذه المدرسة وصمدت أمام تلك التقلبات وبقيت محتفظة بكيانها أكثر من القلعة .

ملحقات الجامع - وقد اتخذت خلف الدركاة والإبران الغربى أبنية فرعية ؛ الدور الأرضى منها يشتمل على دورة مياه فسيحة مساحتها ٤١٢ مترا وتركت الجهة الوسطى من هذا المكان مكشوفة لتجديد الهواء ودخول الضوء .

وتتخفف أرضية هذه الجهة عن أرضية الجامع بسة أمتار ونصف متر . ويتوصل إليها من باب فى غاية الجمال ، وفى وسطها ميضأة من الرخام الأبيض ، وعلى امتداد جدران هذا المكان مرافق ومنازع متنوعة ، ومن ملحقات الجامع أيضا الساقية ، وهى فى الزاوية القبلى الغربية .

وعين طيبين مسلمين أحدهما باطنى والآخر للميون ، يحضر كل منهما كل يوم بالمسجد ليدلوا من يحتاج علاج من الموظفين والطلبة ، ورطب طبيبا ثالثا جراحا . وقد أرصد فى وقتيه مرثبات الأساتذة والطلبة والموظفين . وقيمة ما يصرف لهم من المأكول كل ليلة جمعة وما يصرف لهم فى الأعياد .

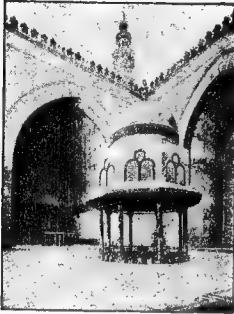
المدرسة كقلعة - لتوقع هذه المدرسة أمام قلعة الجبل اتخذها المماليك حصنا لهم يدافعون به عن أنفسهم أمامها ؛ فحينما تقع فتنة بينهم يصعد الأشرار وغيرهم إلى أعلى مدرسة السلطان حسن ويشربون القلعة . ففى سنة ٧٩١ هـ (١٣٨٩ م) نصبت مكحلة (أى مدفع) أعلى المدرسة روى بها على باب السلسلة فهرب المماليك . ولما تكررت هذه الحوادث أمر السلطان الظاهر بقوق فى ٨ صفر سنة ٧٩٣ هـ (١٣٩١ م) يهدم السلم الموصل إلى سطح المدرسة وسد ما وراء الباب النحاسى الكبير ، ثم فتح شباك من شبايك المدرسة يوصل إلى داخلها .

وفى شهر رمضان سنة ٨٢٥ هـ (١٤٢٢ م) صرح بالأذان فى المنارتين وأعيد بناء الدرع والبسطة وركب باب بدل الذى أخذه المولى شيخ .

ولما عاد الأشرار إلى مهاجمة القلعة من منارة المدرسة أمر السلطان أبو سعيد جقمق يهدم السلالا الموصلة إلى المنارات ، وذلك فى سنة ٨٤٢ هـ (١٤٣٨ م) .

وفى ٢٩ ذى الحجة سنة ٨٥٨ هـ (١٤٥٤ م) عهد السلطان أبو النصر إينال إلى المهندسين بفحص المنارة القبلى للمدرسة خوفا من حدوث خلل بها . وبفحصها تبين لهم سلامتها ، ولكن تبين أن رصاص القبة به ثغرات من كثرة إصابتها بالمكاحل فى أيام الحروب ، وأعرجاج هلالها فرفع وبقيت القبة بدونها .

وفى سنة ٩٠٢ هـ (١٤٩٧ م) كانت موقعة اقبردى ؛ فحاصر القلعة وضربها من أعلى المدرسة بمكحلة أصاب أول حجر منها باب السلسلة ، فقبول الاعتداء بمنتهى وصوت المكحلة المعروفة بالمجنونة إلى من فى مدرسة السلطان



مدرسة السلطان حسن
(١٣٦٤-١٣٥٦ هـ)

واستخلص من هذا الوصف مستتباً أن المهندس وضع هذه الدقائق في الرسم ليكشف بها عن جنسيته ، ويضع أن المهندس بيزنطي تلقى أصول الطرز الإسلامي في أحد البلاد السلجوقية ، مما مكّنه من تصميم بناء فائق في بابه مثل جامع السلطان حسن . وهو رأى يلبسه ما كان من الروابط والعلاقات المستمرة بين بيزنطة وملوك بني سلجوق .

وإن الغموض الذي أحاط بالفنان الذي أبدع هذه المدرسة أحاط غيره من بقية المنشآت المعمارية في مصر . ولكن عبقرية هذا الفنان كانت حاضرة دائماً لمعرفته ؛ لأنه شاد بناء عظيماً لم يسبق ولم يلحق .

ولم هذا الصلدة كتب الأستاذ الجليل مسير جاستون فيت عند بحثه لهذه المدرسة : أن جامع السلطان حسن عمل عظيم خالد ، ولكن شخصية الفنان المبصر الذي أبدعها يكتنفها الغلام .

يقول الأستاذ حسن عبد الوهاب رحمه الله : وفي يوم ١٤ نوفمبر سنة ١٩٤٤ - أثناء اشتغالي بمراجعة كتابات الجامع لنشرها مع أساذي الجليل ميسو فيت ضمن مجموعة الكتابات التاريخية الجاري نشرها - عثرت في المدرسة

المهندس - وأخذ المرحوم « هرتس باشا » على مهندس السلطان حسن اتخاذه مقروصات مقلوبة لتحلية قواعد الأعمدة . ومنها استنتج أن المهندس أجنبى عن هذه البلاد ، وعلق على ذلك بقوله : « ولكن أنى لنا العلم ببلده وهو لم يشرك لنا اسمه ولا أثره ؛ ولذلك جعلنا جميعاً منشورين لمعرفته » .

واستطرد فقال : « ولم يذكر أحد من المؤرخين - حتى ولا المقريزى الذى يكثر الكلام على الآثار - اسم هذا المهندس ، كما أننا لم نعرش على شيء يتضمنه في الكتابات الكثيرة المنقوشة على جدران الجامع ؛ ولذلك تضطربنا الحال إلى معاودة البحث في عمله عن أثر يدلنا عليه ، أو إشارة تهدينا إليه بالتأمل في كيفية تصميم دقائق البناء وكيفية تزيينها . وللوصول إلى هذه الغاية جعلنا الدعامة الصغرى المركبة على أحد وجوه كنف الباب محل نظرنا فدللتنا على أن المهندس - لعدم استطاعته تدوين اسمه في عمله - اكتفى بنسبة الفخر إلى وطنه فأشار إليه إشارة لبيب في ركن صغير . وهي إشارة تخفى على العامة ، ولكنها كافية لأن يهتدى بها من كان يسر الأحجار عليهما .

وبيان ذلك أن هذه الدعامة ترى عليها ستة سطوح بعضها فوق بعض متعاقبة بين صغير وكبير ، وكلها محلاة برسوم بارزة أما الكبار فرسومها متشابهة أو تكاد تكون كذلك ؛ فإن في جميعها أقواساً سنينية مرتكزة على زوج من العمد الصغيرة . وهذه الأقواس - وإن لم يكن فيها ما يستوقف النظر خلاف كون الرسومات الزهرية النباتية التي في السطح الباطن جلية البيان - فإن العمد تسترعى النظر بأبدانها المهندمة الدالة على أنها من طراز قديم عن الطراز العرسى . أما الرسومات المنقوشة في السطوح الصغرى فأغرب من ذلك ؛ إذ قد مثل في الأسفل منها بيت صغيرة ذو طبتين سطحه على شكل جملون وبجانبه بناءان أعلى منه ، ومن الباطن بناء آخر له باب وعرة نوافذ ، وفي السطح الذى يليه كنيسة ، وطبقة أرضية عالية لها باب ينتهى عاليه بشكل جملون ، وعليها طبقة أخرى أقل منها في الأهمية ومتخللة قاعلة لقبة يزيد حجمها عن نصف كرة ، وهي ترتكز على قاعدة مخروطية .

بنفسه قصر الأمير ببلغا البحايوى وقد كان قصرا عظيما ، وأن الملك الصالح صالح بن الناصر محمد بن قلاوون كان مغرما بالصناعات وأجاد صناعة الزجاج وغيرها ، وأن الأمير قطلوبك ابن قرا سقتر أحد أمراء الطليخاناه كان مهندسا للرى . فقد عمر قناة بالقدس واستقدمه الناصر محمد بن قلاوون إلى مصر ليعهد إليه بمشروع عمل قناة للماء من بركة الجيش .

وأن العلامة أحمد بن على بن إبراهيم الغسانى الأسوانى المصرى كان عالما كاتبا شاعرا مؤرخا مهندسا ، وأن الأمير سنجر بن عبد الله الشجاعى المنصورى وزير الديار المصرية كان خبيرا بالسياسة والعمارة . وهو الذى نفذ منشآت المنصور قلاوون .

هذا علما الكثير من الملوك والوزراء والأمراء الذين اشتغلوا بكثير من العلوم ونبغوا فيها .

ولدينا مسألة طريفة تنزى أن ابن بيليك هو المهندس . ذلك أن كلمة بيليك التركية معناها بالبرية سعد .

وقد كتب المؤرخون أن السلطان حسنا لما صلى صلاة الجمعة فى المسجد لانتساحه أنعم على البنائين والمهندسين ، كما كافأ القملة لكل واحد عشرة دنانير ، فأشند الشاعر ابن نباتة المصرى مقطوعة فى المعنى ضمنها اسم المهندس فقال :

ملك التقى هُئيت بالجوامع السلى

وجدت إلى منباه سعدا مسوانقا

وشعراء هذا العصر من دأبهم تضمين الأسماء فى شعرهم ؟ فنجد أن هذا الشاعر قد هنا الملك الكامل شعبان بملك مصر بأبيات منها :

طلعة سلطاننا تبتأت

بكامل السمى فى الطلوع

فأعجب لها كيف منه أبادت

هلال شعبان فى ربيع

وإذا لم يكن محمد بن بيليك هذا مهندسا فلما استطاع بناء هذه المدونة وما أذن له بوضع اسمه بجانب اسم السلطان ، ولا لهج الشعراء باسمه مع اسم السلطان .

الحفية على اسم المهندس مكتوبا فى طرازها الجصى بما نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إن المتقين فى جنات وحيون ﴾ ادخلوها بسلام آمين ﴾ ونزعا ما فى صدورهم ﴿ إلى قوله تعالى : ﴿وما هم منها بمخرجين ﴾ [الحجر : ٤٥ - ٤٨] اللهم يا دائم لا يفنى [يقنى] يا من نعمه لا تحصى [تحصى] آدم العز والتمكين والنصر والفتح المبين بقاء من أبدت به الإسلام والمسلمين وأحييت ... حسن ابن مولانا السلطان الـ ... عنه على ما وليته وغلبد فى خروثه كته تحمو [تحمى] دولته . وشاد عمارته محمد ابن [بن] بيليك المحسنى .

وركتبه تحمو (أى أن هذه الأدعية مكتوبة لحماية دولته) وقد كتب تحمو بدلا من تحمى - ومثل هذا الخطأ وقع فى نفس الكتابة ؛ فقد كتب : « يا دائم لا يفنى يا من نعمه لا تحصى » بالألف بدل الياء .

والمعروف أن السلطان حسنا - حينما شرع فى عمارة مدرسته ، أشرف عليها مهندسين ومشيدين (ملاحظى عمارة) فإذا وجدنا اسم ابن بيليك بجانب اسم السلطان حسن فلا شك أنه لأكبر مهندس فيهم ، خصوصا إذا عرفنا أنه من البيونات الكبيرة الذين اصطفاهم السلطان حسن وقربهم ، منه ، وكان من أمراء الألو .

ومن تتبع تراجم أسرة ابن بيليك - وقد نشأت هذه الأسرة فى عصر المنصور قلاوون ، وتقلب أفراد أسرتها فى وظائف الدولة فى عهد هذه الأسرة ، وكثير منهم تسمى بمحمد - وجدنا المؤرخين يخلطون فيهم . وآخرهم محمد بن بيليك الذين خلطوا ترجمته بترجمة أبيه . وكل ما عرفناه عنه أنه كان من أسراء الألو ومن أولاد الناس ، وأنه وقف بجانب السلطان حسن فى محنته مع بيلبا . ولم نقف على بقية ترجمته ولا سنة وفاته .

ولا ضير علينا فى عدم العثور على نعته بالمهندس فى الفقرات الصغيرة التى بين أيدينا من ترجمته ؛ لأن كثيرا من المهندسين لم يكونوا محترفين للمهنة ، بل اشتغل بها ملوك وأمراء وعلماء ، كما اشتغلوا بغيرها من الفنون والصناعات . والشواهد كثيرة . فقد ثبت أن الناصر محمد بن قلاوون هتمس

وقد قبض الله لهذه المدرسة لجنة حفظ الآثار قبلت في إصلاحها مجهودا جبارا فأتمت بناء منارتها وأصلحت جذراتها ورخامها ونجارتها وأرضيتها حتى أعادت إليها رونقها، بعد أن صرفت عليها ٤٠ ألف جنيه .

وانتهت هذه الأعمال في منتصف سنة ١٩١٥ تحت إشراف المهندس الكبير هرنس باشا كبير مهلمسيها ، وصاحب الفضل في تعمير الكثير من الآثار الإسلامية بمصر اهـ . (تاريخ المساجد الأثرية / ١٧٣-١٨١) .

هذا وقد قامت هيئة الآثار المصرية التابعة لوزارة الثقافة بترميم شامل لهذا الأثر الجليل في ١٤٠٥ - ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ - ١٩٨٦ م ، وقد شمل الترميمي ما يأتي :

أولا : الترميم المعماري .

أ-دركة المدخل .

ب- صحن المسجد .

ج- المئذنة .

د- إيوان القبلة .

هـ- الشريخ .

و- الأخشاب والنحاس والرخام .

ثالثا : أعمال الكهرباء

رابعا : خدمات سياحية :

أقيمت حديقة متحفية في الجهة الشمالية الغربية للمسجد، وزينت بعدد من القطع الأثرية ، ووضعت نافورة في وسطها ومقاعد لاستراحة الزوار ، مع عمل دورات مياه سياحية لخدمتهم . كما تم إنشاء بيت للهدايا وغرفة للتذكائر- انظر تفاصيل هذا كله في المرجع (القاموس الإسلامي . مساجد ميدان صلاح الدين / ٧-١٦) .

(تاريخ المساجد الأثرية- حسن عبد الوهاب / ١٦٥-١٨١ ، والقاموس الإسلامي ، مساجد ميدان صلاح الدين وزارة الثقافة هيئة الآثار المصرية / ٧-١٦ ، والتخطيط التوثيقية الجديدة لمبنى باشا مبارك / ٤ / ١٧٤ ، ١٧٥ ، ومساجد مصر . وزارة الأوقاف / ٦ / ٦٨ ، والمعارة الإسلامية في مصر د. كمال الدين سامح / ٩٠ ، ٩١ ، .

انظر أيضا الفن الإسلامي- أبو صالح الألفي / ١٩٦-١٩٩ ، ودبل مرجز لاشهر الآثار العربية بالقاهرة- محمود أحمد / ١٣٥-١٤٢ .

• الحسن المراكشي (القرن ١٢ م) :

أدرجه الأستاذ قدرى حافظ طوقان رحمه الله في « عصر الطوسي » وهو الذي يشتمل على علماء القرن الثالث عشر للميلاد وقال عنه :

هو « أبو علي الحسن بن علي بن عمر المراكشي » من علماء المغرب الذين ظهرُوا في مراكش في منتصف القرن الثالث عشر للميلاد، واشتهروا في الفلك ، والرياضيات ، والجغرافيا ، وعمل الساعات الشمسية .

له : « رسالة تلخيص العمل في رؤية الهلال » .

« كتاب جامع المبادئ والغايات في علم الميقات » يقول عنه صاحب « كشف الظنون » : « ... وهو أعظم ما صنف في هذا الفن ؛ أولا : أما بعد حمد الله والصلوة على محمد : ... رتبته على أربعة فئتين :

الأول : في الحساب ، وهو يشتمل على سبعة ومئتين فصلا .

الثاني : في وضع الآلات . وهو يشتمل على سبعة أقسام .

الثالث : في العمل بالآلات وهو يشتمل على خمسة عشر بابا .

الرابع : في مطارحات يحصل بها الدبرة والقوة على الاستنباط . وهو يشتمل على أربعة أبواب في كل منها مسائل على طريق الجبر والمقابلة ... » (كشف / ١ / ٣٨٤ في نسخة المؤلف) .

ويظهر من كتابه هذا ؛ أنه اعتمد على مؤلفات « الخوارزمي » و « البتاني » و « الفرغاني » و « أبي الوفاء » و « البيروني » و « ابن سينا » و « الزرقالي » و « جابر بن الأفلح » ، في الفلك والرياضيات .

وفي الكتاب بحثون في المثلثات ، وأدخل فيها الجيب ، والجيب تمام ، و السهم Versed Sine

وين أن : حا (٩٠ - م) = جتا م.

وأن : حا (٩٠ - م) = جتا م.

وعمل أيضا الجداول للمجيب (لكل نصف درجة) . وكذلك جداول للسهم . وأورد تفصيلات عن أكثر من ٢٤٠ نجما لسنة ٦٢٢ هـ . وفيه أيضا حلول (بطريق الرسم والتخطيط) لبعض المسائل الفلكية .

ويقول « سارطون » : إن « كتاب الجامع » من أحسن الكتب ، وفيه بحوث نفيسة في المثلثات ، والساعة الشمسية المتووعة (مقدمة لتاريخ العلم ٢ / ٦٢٣) ويعتبر « سيدو » بفضل « المراكشي » في تصحيحات العرب الجغرافية . فيقول : « ... وأما طول البحر المتوسط الذي جعله « بطليموس » ٦٢ درجة ، ثم جعله العرب في كتاب رسم الأرض ٥٤ درجة ، فقد قدر بعد ذلك بـ ٤٢ درجة ، غير أننا لم نستند من ذلك الرصد بخلاف ما عمله « أبو علي الحسن المراكشي » المشهور سنة ١٢٣٠ م ، من التصحيح المهم الذي كان به كتابه من أجل الآثار العلمية فيما عليه العرب من علم الجغرافيا ... » (علامة تاريخ العرب / ٢٢٣ ، ٢٣٠) .

وكذلك جلد « المراكشي » في خارطة المغرب التي رسمت في الزمن الأول ، بخلاف غيره من الذين نقلوا الخارطة على ما هي عليه من الغلط .

ويقول « سيدو » أيضا : -

« ... وأبو علي الحسن المهندسي الفلكي له كتاب - أي الجامع - به أول استعمال المخطوط الدالة على الساعات المتساوية ، فإن اليونان لم يستعملوها قط . وقط فصل صناعة المخطوط الدالة على الساعات الزمنية المسماة أيضا بالساعات القديمة ، والمتفاضلة ، واليهودية . واستعمل خواص القطر المخروطية في وصف أقواس البروج الفلكية ، وحسب خطوط المعادلة ، ومحاو تلك المنحنيات لمعرفة عرض محل الشمس وإنجرافها ، وارتفاع الربيع الميقاتي » خلاصة تاريخ العرب / ٢٢٣ ، ٢٣٠ .

وترجم « إمانويل سيليو » : « كتاب الجامع » الذي سبق

ذكره ، ونشر ابنه « لويس أميلي سيدو » الترجمة المذكورة فيما بعد ١٨٣٤ هـ - ١٨٣٦ م .

كما نشر « كارادي قو Carra De Vaux » ، فضلا من « كتاب الجامع » يفصل فيه الأسطرلاب .

(تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك - قدرى حافظ طوقان / ٤١٦ ، ٤١٧ . انظر أيضا معجم العلماء العرب - باقر أمين الورد المحامي ، واجه الأستاذ كوركيس عواد / ١ / ١٢٣) .

قالت المؤلفة : أفردنا مادة كتاب أبي الحسن المراكشي « جامع المبادئ والغايات في علم الميقات » المذكور أعلاه ، وذلك في ١١ / ٥٧٨ - ٥٨٢ مصحوبة بصورتى مخطوطتين ص ٥٧٩ و ٥٨٠ فانظرها في موضعها .

« أبو الحسن المزين (٢٢٨هـ) :

من الطبقة الرابعة للصوفية ، وهو أبو الحسن علي بن محمد المزين ، من أهل بغداد ، صاحب الجند ، وسهل بن عبد الله ومن في طبقتهم من البشناديين ، وأقام بمكة مجاورا ، ومات بها . قال عنه الإمام عبد الرحمن السلمي : وكان من أروع المشايخ وأحسنهم حالا ، توفي سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة .

ومن كلامه :

- اللذب بعد اللذب عقوبة اللذب ، والحسنة بعد الحسنة ثواب الحسنة .

- ويستل عن المعرفة ، فقال : أنت تعرف الله تعالى بكمال الربوبية ، وتعرف نفسك بالعبودية . وتعلم أن الله تعالى أول كل شيء ، وبه يقوم كل شيء ، وإليه مصير كل شيء ، وعليه رزق كل شيء .

- الطرق إلى الله تعالى تعالى بعدد النجوم ، وأنا مفتقر إلى طريق واحد فلا أجده .

- من طلب الطريق إليه بنفسه تاه في أول قدم ، ومن أريد به الخير دل على الطريق ، وأعني على بلوغ المقصد ، فطوبى لمن كان قصده إلى ربه ، دون عرض من أعراض الأكوان .

وكان ابن عبد الدائم دائم التلاوة للقرآن الكريم . وأقعد في آخر عمره . وتوفي شهيدا على أيدي التتار في شهر ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وستمائة .
(جمهرة الخطاطين البغداديين - وليد الأنطلي ٢ / ٤٦٣ ، ٤٦٤ ،
عن المبر للذهبي ٥ / ٤٠١ ، ونيل طبقات الحنبلة ٢ / ٢٨٠ ، وشذرات
الذهب ٥ / ٤٥١ ، والفتاوى الجهرية ٢ / ٢٨٨) منتخب المختار ص
١٣٤ .

• حسن المقصد في عمل المولد :

قال عنه حاجي خليفة :

حسن المقصد في عمل المولد : للجلال السيوطي أوردته في حوايه وذكر فيه اجتماع الناس في مبدأ أمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وما وقع في مولده (كشف / ٦٦٧) .
وفيما يلي ما جاء بهذه الرسالة . يقول المحافظ جلال الدين السيوطي بعد البسملة :

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، وبعد فقد وقع السؤال عن عمل المولد النبوي في شهر ربيع الأول ما حكمه من حيث الشريعة ؟ وهل هو محمود أو مذموم ؟ وهل يثاب فاعله أو لا ؟

والجواب عندي أن أصل عمل المولد الذي هو اجتماع الناس وقراءة ما تيسر من القرآن ورواية الأخبار الواردة في مبدأ أمر النبي ﷺ وما وقع في مولده من الآيات ثم يمد لهم سماء يأكلونه وينصرفون من غير زيادة على ذلك هو من البدع الحسنة التي يثاب عليها صاحبها لما فيه من تعظيم قدر النبي ﷺ وإظهار الفرح والاستبشار بمولده الشريف ، وأول من أحدث قبل ذلك صاحب إربل الملك المظفر أبو سعيد كوكبيري بن زين الدين علي بن بكتكين أحد الملوك الأمجاد والكبراء الأجياد وكان له آثار حسنة وهو الذي عثر الجامع المظفرى بسفح قاسيون ، قال ابن كثير في تاريخه : كان يعمل المولد الشريف في ربيع الأول ويحتفل به احتفالا هائلا وكان شهما شجاعا بطلا عاقلا عالما عادلا رحمه الله وأكرم مشواه ، قال : وقد صنف له الشيخ أبو الخطاطب بن دحية مجلدا في المولد النبوي سماه التتوير في مولد البشير النذير

١ - الفتاوى .

٢ - دراسات وأبحاث فقهية متنوعة نشرها أو راجعها .

٣ - السيرة المطهرة .

٤ - المجاهد في الإسلام .

٥ - تفسير لقصار السور .

(شيوخ الأزهري لمحات من نظامه المعاصر / ٤٥) .

• أبو الحسن المقدسي (٦١٧-٦٩٩ هـ / ١٢٢٠ - ١٢٩٩ م) ،

ذكر في الخطاطين البغداديين .

وهو أبو الحسن علي ابن العباس أحمد بن عبد الدائم بن نعمة بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد بن بكير المقدسي النابلسي الصالح الحنبلي . ولد سنة ٦١٧ هـ . وقيل قبل ذلك . وسمع من إسماعيل بن إبراهيم المقدسي والحسين بن المبارك ابن الزبيدي ، وعلم الدين علي بن محمود ، وسمع من أبي المنجا عبد الله بن التلي جزء أبي الجهم .

وسمع من المحافظ فضاء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي ومن أبي صادق الحسن بن صباح ومكرم بن محمد ابن أبي الصقر ومحمد بن غسان وأبي موسى عبد الله بن عبد الغني ، وأبي حمزة أحمد بن عمر ابن أبي عمر بن قدامة والقفر محمد بن إبراهيم الأريلي وجعفر بن علي الهمداني وأبي الحسن علي بن هبة الله بن الحميري .

وقدم يشدد لسمع بها من أبي إسحاق إبراهيم بن عثمان الكاشغري والمؤتمن يحيى بن أبي السعود نصر بن القميرة .
وحدث ببغداد وسمع منه أبو العلاء محمود بن أبي بكر الفريسي .

وكان ابن عبد الدائم شيخا ثقة جليلا زاهدا . وقد حرر القرآن الكريم بخطه البليغ الحسن ونسخ بخطه كثيرا . وكان قليل الرواية .

ثم رحل إلى بعلبك ، ومكن فيها وصحب الشيخ الفقيه محمد بن أحمد البونيني وتعلمه . ثم قصد البصرة وعاد بعدها إلى الشام . وحلّت عنه المحدث نجم الدين إسماعيل ابن الخباز في حياة والده .

المرسلين وليدنا بالهداية إلى دعائم الدين ويسر لنا اقتفاء آثار السلف الصالحين حتى امتلأت قلوبنا بأنوار علم الشرع وقواطع الحق المبين وظهر سرافقنا من حدث الحوادث والابتداع في الدين ، أحمد على ما تَرَّ به من أنوار اليقين وأشكره على ما أمده من التمسك بالحلل المتين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه الطهارات أمهات المؤمنين صلاة دائمة إلى يوم الدين .

أما بعد فإنه تكرر سؤال جماعة من المباركين عن الاجتماع الذي يعمله بعض الناس في شهر ربيع الأول ويسمونه المولد هل له أصل في الشرع أو هو بدعة وحلت في الدين ؟ وقد دروا الجواب عن ذلك مبينا والإيضاح عنه مبينا فقلت وبالله التوفيق : لا أعلم لهذا المولد أصلا في كتاب ولا سنة ولا نقل عمله عن أحد من علماء الأمة الذين هم القلتوة في الدين ، المتمسكون بآثار المتقدمين بل هو بدعة أحدثها البطالون وشهوة نفس اعتنى بها الأكاويل بدليل أنا إذا أدركنا عليه الأحكام الخمسة قلنا إما أن يكون واجبا أو مندوبا أو مباحا أو مكروها أو محرما وليس بواجب إجماعا ولا مندوبا لأن حقيقة المندوب ما طلبه الشرع من غير ذم على تركه وهذا لم يأذن فيه الشرع ولا فعله الصحابة ولا التابعون ولا العلماء المتشددين فيما علمت وهذا جوابي عنه بين يدي الله تعالى إن عنه سئلت ولا جائز أن يكون مباحا لأن الابتداع في الدين ليس مباحا بإجماع المسلمين فلم يبق إلا أن يكون مكروها أو حراما وحديثك يكون الكلام فيه في فصلين والتفرقة بين حالين .

أحدهما أن يعمله رجل من حين ماله لأمله وأصحابه وحياله لا يجاوزون في ذلك الاجتماع على أكل الطعام ولا يفترون شيئا من الآثام وهذا الذي وصفناه بأنه بدعة مكروهة وشاعة إذ لم يفعله أحد من متقدمي أهل الطاعة الذين هم فقهاء الإسلام وعلماء الأئمة سرح الأئمة ووزين الأمكنة .

والثاني أن تدخله الجنائفة وتقوى به العناية حتى يعطى أحدهم الشيء ونفسه تتبعه وقلبه يؤلمه ويرجع له بعدا من ألم الحيف وقد قال العلماء أخذ المال بالحياة كأخذه

فأجازه على ذلك بألف دينار ، وقد طالت مدته في الملك إلى أن مات وهو محاصر للمفرنج بمدينة عكا سنة ثلاثين وستمئة محمود السيرة والسرية .

وقال سبط ابن الجوزي في سيرة الزمان : حكى بعض من حضر سماعا المظفر في بعض المولد أنه عد في ذلك السماع خمسة آلاف رأس غنم مشوي وعشرة آلاف دجاجة ومائة فرس ومائة ألف زبدية وثلاثين ألف صحن حلوى ، قال وكان يحضر عنده في المولد أعيان العلماء والصوفية فيخلع عليهم ويطلق لهم ويعمل للصوفية سماعا من الظهر إلى الفجر ويرقص بنفسه معهم وكان يصرف على المولد في كل سنة للتمائة ألف دينار وكانت له دار ضيافة للوافدين من أي جهة على أي صفة فكان يصرف على هذه الدار في كل سنة مائة ألف دينار وكان يستفك من القرنج في كل سنة أسارى يمانتي ألف دينار وكان يصرف على الحرمين واليهاب بدرج الحجاز في كل سنة ثلاثين ألف دينار هذا كله سوى صدقات السر، وحسكت زوجته ربيعة خاتون بنت أيوب أخت الملك الناصر صلاح الدين أن قميصه كان من كريمة غليظ لا يساوي خمسة دراهم قالت فعاتبته في ذلك فقال لبسي ثوبا بخمسة وأتصدق بالباقي غير من أن البس ثوبا ثمنا وأدع الفقير والمسكين .

وقال ابن خلكان في ترجمة الحافظ أبي الخطاب بن دحية : كان من أعيان العلماء وشاهير الفضلاء قدم من المغرب فدخل الشام والعراق واجتاز بإربل سنة أربع وستمئة فوجد ملكها المعظم مظفر الدين بن زين الدين يحتفي بالمولد النبوي فعمل له كتاب التنبؤ في مولد البشير النذير وقرأه عليه بنفسه فاجاز بألف دينار قال : وقد سمعته على السلطان في ستة مجالس في سنة خمس وعشرين وستمئة انتهى .

وقد ادعى الشيخ تاج الدين عمر بن علي اللخمي السكندري المشهور بالفاكهاني من متأخري المالكية أن عمل المولد مذمومة وألف في ذلك كتابا سماه المورد في الكلام على عمل المولد وأنا أسوقه هنا برتمه وأتكلم عليه حرفا حرفا . قال رحمه الله : الحمد لله الذي هدانا لهذا لا كنا لنجده

بل هو بدعة أحدثها البطالون إلى قوله ولا العلماء المتدينون يقال عليه قد تقدم أنه أحدثه ملك عادل عالم وقصد به التقرب إلى الله تعالى وحضر عنده فيه العلماء والصلحاء من غير نكير منهم وارتضاه ابن دحية وصنف له من أجله كتاباً فهو أول علماء متدينون رضوه وأقروه ولم ينكروه ، وقوله ولا مندوباً لأن حقيقة المندوب ما طلبه الشرع يقال عليه : إن الطلب في المندوب تارة يكون بالنص وتارة يكون بالقياس وهذا وإن لم يرد فيه نص ففيه القياس على الأصلين الآتي ذكرهما ، وقوله ولا جائز أن يكون مباحاً لأن الابتداع في الدين ليس مباحاً بإجماع المسلمين كلام غير مسلم لأن البدعة لم تنحصر في الحرام والمكروه بل قد تكون أيضاً مباحة ومندوبة وواجبة قال النووي في تهذيب الأسماء واللغات البدعة في الشرع هي إحداث ما لم يكن في عهد رسول الله ﷺ وهي منقسمة إلى حسنة وقييمة ، وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام في القواعد البدعة منقسمة إلى واجبة ومحرومة ومندوبة ومكروهة ومباحة قال : والطريق في ذلك أن نعرض البدعة على قواعد الشريعة فإذا دخلت في قواعد الإيجاب فهي واجبة أو في قواعد التحريم فهي محرومة أو التذب فمندوبة أو المكروهة فمكروهة أو المباح فمباحة ، وذكر لكل قسم من هذه الخمسة أمثلة إلى أن قال : وللبدع المندوبة أمثلة ، منها إحداث الربط والمدارس وكل إحسان لم يعهد في العصر الأول ، ومنها التراويح والكلام في دقائق التصوف وفي الجدل ، ومنها المحافل للاستدلال في المسائل إن قصد بذلك وجه الله تعالى (جاء في هامش (١) التعليق التالي :

هذا التقييم لم يسبق إليه العز بن عبد السلام لأنه أول من قسم البدعة وهو عرق للإجماع قبله وفي إيراده إحداث الربط والمدارس من البدع المملوكة غير مسلم لأن هذا من الشرع انظر (الاعتصام) .

وروي البيهقي بإسناده في مناقب الشافعي عن الشافعي قال : المحملات من الأمور ضريان ، أحدهما ما أحدث مما يخالف كتاباً أو سنة أو أثراً أو إجماعاً فهذه البدعة الضلالة ، والثاني ما أحدث من الخير لا خلاف فيه لواحد من هذا ، وهذه محدثة غير مأمومة ، وقد قال عمر رضي الله عنه في

بالسيف لا سيما إن انضاف إلى ذلك شيء من الغناء مع البطون الملاي بالآلات الباطل من المدحوف والشبايات واجتماع الرجال مع الشباب المرد والنساء الفائنات إما مختلطات بهن أو مشرفات والرقص والتطريب في الإنشاد والخروج في التلاوة والذكر عن المشروع والأمر المعتاد خافلات عن قوله تعالى ﴿إِنَّ رِبْكَ لِلْعَرَصَادِ﴾ [الفجر : ١٤] وهذا الذي لا يختلف في تحريمه اثنان ولا يستحسنه ذوو المروءة الفتيان وإنما يحلو ذلك لنفوس موتى القلوب وغير المستقلين من الأثام والذنوب وأزبدك أنهم يروونه من العبادات لا من الأمور المنكرات المحرمات فإنا لله وإنا إليه راجعون بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ ، والله در شيخنا القشيري حيث يقول فيما أجازناه :

قد صرّف المتكسر واستكسر المـ

مـ معروف في أيامنا الصـ

وصار أهل العلم في وـ

وصار أهل الجهل في رتبـ

حسادوا عن الحق فما للـ

ساروا به فيمما مضى نسبـ

قلت للأبـرار أهل التقـ

والدين لما اشتهت الكـ

لا تنكسروا أحوالكم قد أنـ

سوتكم في زمن الفـ

ولقد أحسن الإمام أبو عمرو بن العلاء حيث يقول : لا

يزال الناس بخير ما تعجب من العجب ، هذا مع أن الشهر الذي ولد فيه ﷺ - وهو ربيع الأول - هو بعينه الشهر الذي توفي فيه فليس الترح في بأولى من الحزن فيه ، وهذا ما علينا أن نقول ومن الله تعالى نرجو حسن القبول .

هذا جميع ما أورده الفاكهاني في كتابه المذكور ، وأقول : أما قوله لا أعلم لهذا المولد أصلاً في كتاب ولا سنة فيقال عليه نقى العلم لا يلزم منه نفي الوجود ، وقد استخرج له إمام الحفاظ أبو الفضل أحمد بن حجر أصلاً من السنة واستخرجت له أنا أصلاً ثانياً وسياً ذكرها بعد هذا ، وقوله :

قيام شهر رمضان نعمت البديعة هذه يعنى أنها محبلة لم تكن وإذا كانت فليس فيها رد لما مضى... هذا آخر كلام الشافعى ، فعرف بذلك منع قول الشيخ تاج الدين ولا جائز أن تكون مباحا إلى قوله : وهذا الذى وصفناه بأنه بدعة مكروهة إلى آخره لأن هذا القسم مما أحدث وليس فيه مخالفة لكتاب ولا سنة ولا أثر ولا إجماع فهى غير مذمومة كما فى عبارة الشافعى وهو من الإحسان الذى لم يمهّد فى العصر الأول فإن إلهام الطعام الخالى عن اقتصراف الأثام إحسان فهو من البدع المندوبة كما فى عبارة ابن عبد السلام ، وقوله : والثانى إلى آخره هو كلام صحيح فى نفسه غير أن التحريم فيه إنما جاء من قبل هذه الأشياء المحرمة التى ضمت إليه لا من حيث الاجتماع لإظهار شعار المولد بل لو وقع مثل هذه الأمور فى الاجتماع لصلاة الجمعة مثلا لكانت قبيحة شنيعة ولا يلزم من ذلك ذم أصل الاجتماع لصلاة الجمعة كما هو واضح ، وقد رأينا بعض هذه الأمور يقع فى ليال من رمضان عند اجتماع الناس لصلاة التراويح فهل يتصور ذم الاجتماع لصلاة التراويح لأجل هذه الأمور التى قرنت بها ؟ كلا بل نقول أصل الاجتماع لصلاة التراويح مشنة وقربة وما ضم إليها من هذه الأمور قبيح وشنيع وكذلك نقول أصل الاجتماع لإظهار شعار المولد مندوب وقربة وما ضم إليه من هذه الأمور مذموم وممنوع ، وقوله مع أن الشهر الذى ولد فيه إلى آخر جوابه أن يقال أولا : أن ولادته ﷺ أعظم النعم علينا ووفاته أعظم المصائب لنا والشرعة حثت على إظهار شكر النعم والصبر والسكون والكتم عند المصائب ، وقد أمر الشرع بالحقيقة عند الولادة وهى إظهار شكر وفرح بالمولود ولم يأمر عند الموت بدين ولا بغيره بل نهى عن النياحة وإظهار الحزن فقلت قواعد الشريعة على أنه يحسن فى هذا الشهر إظهار الفرح بولادته ﷺ دون إظهار الحزن فيه بوفاته وقد قال ابن رجب فى كتاب اللطائف فى ذم الرافضة حيث اتخلوا يوم عاشوراء مأتما لأجل قتل الحسين لم يأمر الله ولا رسوله باتخاذ أيام مصائب الأنبياء وموتهم مأتما فكيف ممن هو دونهم .

وقد تكلم الإمام أبو عبد الله بن الحاج فى كتابه المدخل على عمل المولد فأتى الكلام فيه جذا ، وحاصله مدح ما كان

فيه من إظهار شعار وشكر ، وذم ما احتوى عليه من محرمات ومتكررات ، وأما أسوق كلامه فضلا فضلا قال :

فصل فى المولد : ومن جملة ما أحدثوه من البدع مع اعتقادهم أن ذلك من أكبر العبادات وإظهار الشعائر ما يفعلونه فى شهر ربيع الأول من المولد وقد احتذى ذلك على بدع ومحرمات جملة فمن ذلك استعمالهم المغانى ومعهم آلات الطرب من الطار المصبرر والشبابة وغير ذلك مما جعلوه آلة للسمع ومضوا فى ذلك على العوائد الذميمة فى كونهم يشتغلون فى أكثر الأزمات التى فضلها الله تعالى وعظمها ببدع ومحرمات ولا شك أن السماع فى غير هذه الليلة فيه ما فيه فكيف به إذا انضم إلى فضيلة هذا الشهر العظيم الذى فضل الله تعالى وفضلنا فيه بهذا النبى الكريم فألّة الطرب والسماع أى نسبة بينهما وبين تعظيم هذا الشهر الكريم الذى من الله علينا فيه بسيد الأولين والآخرين فكان يجب أن يزداد فيه من العبادات والخير شكرا للمولى على ما أولانا به من هذه النعم العظيمة وإن كان النبى ﷺ لم يزد فيه على غيره من الشهور شيئا من العبادات وما ذاك إلا لرحمته ﷺ بأمة ورفقه بهم لأنه عليه الصلاة والسلام كان يترك العمل غشية أن يفرض على أمة رحمة منه بهم لكن أشار عليه السلام إلى فضيلة هذا الشهر العظيم بقوله للسائل الذى سأله عن صوم يوم الاثنين : « ذاك يوم ولدت فيه » فتشريف هذا اليوم متضمن لتشريف هذا الشهر الذى ولد فيه فينبى أن نحرمه بحق الاحترام ونفضله بما فضل الله به الأشهر الفاضلة ، وهذا منها لقوله عليه السلام : « أنا سيد ولد آدم ولا فخر » آدم فمن دونه تحت لوائى ، وفضيلة الأئمة والأئمة بما خصها الله به من العبادات التى تفعل فيها لما قد علم أن الأئمة والأئمة لا تشرف لبلداتها وإنما يحصل لها التشريف بما خصت به من المعانى فانتظر إلى ما خص الله به هذا الشهر الشريف ويوم الاثنين ألا ترى أن صوم هذا اليوم فيه فضل عظيم لأنه ﷺ ولد فيه ؟ فعلى هذا ينبغي إذا دخل هذا الشهر الكريم أن يكرم ويعظم ويحترم الاحترام اللائق به ابتاعا له ﷺ فى كونه كان يخص الأوقات الفاضلة بزيادة فعل البر فيها وكثرة الخيرات ألا ترى إلى قول بن عباس : « كان رسول الله ﷺ أجود الناس

وذلك خير وير وقربة ، وأما قوله آخر إنه بدعة فلما أن يكون متافصلا لما تقدم أو يحمل على أنه بدعة حسنة كما تقدم تقريره في صدر الكتاب أو يحمل على أن فعل ذلك خير والبدعة منه نية المولد كما أشار إليه بقوله فهو بدعة بنفس نيته فقط ويقول ولم يتقل عن أحد منهم أنه نوى المولد فظاهر هذا الكلام أنه كره أن ينوي به المولد فقط ولم يكره عمل الطعام ودعاء الإخوان إليه وهذا إذا حقق النظر لا يجتمع مع أول كلامه لأنه حث فيه على زيادة فعل البر وما ذكر على وجه الشكر لله تعالى إذ أوجده هذا الشهر الشريف سيد المرسلين ﷺ وهذا هو معنى نية المولد فكيف يذم هذا القدر مع الحث عليه أولا وأما مجرد فعل البر وما ذكر معه من غير نية أصلا فإنه لا يكاد يتصور ولو تصور لم يكن عبادة ولا ثواب فيه إذ لا عمل إلا بنية ولا نية هنا إلا الشكر لله تعالى على ولادة هذا النبي الكريم في هذا الشهر الشريف وهذا معنى نية المولد فهي نية مستحسنة بلا شك فتأمل :

ثم قال ابن الحاج : ومنهم من يفعل المولد لا لمجرد التعظيم ولكن له فضة عند الناس متفرقة كان قد أعطاهما في بعض الأفراس أو المواسم ويريد أن يستردها ويستحي أن يطلبها بذاته فيعمل المولد حتى يكون ذلك سببا لأخذ ما اجتمع له عند الناس وهذا فيه وجوه من المفاسد ، منها أنه يتصف بصفة التفاق وهو أنه يظهر خلاف ما يظن إذ ظاهر حاله أنه عمل المولد يتبني به الدار الآخرة وباطنه أنه يجمع به فضة ، ومنهم من يعمل المولد لأجل جمع الدراهم أو طلب ثناء الناس عليه ومساعدتهم له وهذا أيضا فيه من المفاسد ما لا يخفى انتهى ، وهذا أيضا من نمط ما تقدم ذكره وهو أن الذم فيه إنما حصل من عدم النية الصالحة لا من أصل عمل المولد .

وقد سئل شيخ الإسلام حافظ العصر أبو الفضل أحمد بن حجر عن عمل المولد فأجاب بما نصه : أصل عمل المولد بدعة لم تنقل عن أحد من السلف الصالحين من القرون الثلاثة ولكنها مع ذلك قد اشتملت على محاسن وضدها فمن تحرر في عملها المحاسن وتجنب ضدها كان بدعة حسنة وإلا فلا قال : وقد ظهر لي تحريجها على أصل ثابت وهو ماثب في

بالخير وكان أجود ما يكون في رمضان « فتمثل تعظيم الأوقات الفاضلة بما امتله على قدر استطاعتنا فإن قال قائل : قد التزم عليه الصلاة والسلام في الأوقات الفاضلة ما التزمه مما قد علم ولم يلتزم في هذا الشهر ما التزمه في غيره فالجواب أن ذلك لما علم من عادته الكريمة أنه يريد التخفيف عن أمته سيما فيما كان يخصه ألا ترى إلى أنه عليه السلام حرم المدينة مثل ما حرم إبراهيم مكة ومع ذلك لم يشرع في قتل صيده ولا في قطع شجرة الجزاء تخفيفا على أمته ورحمة بهم فكان ينظر إلى ما هو من جهته ، وإن كان فاضلا في نفسه فيتركه للتخفيف عنهم فعلى هذا فتعظيم هذا الشهر الشريف إنما يكون بزيادة الأعمال الزاكيات فيه والصدقات إلى غير ذلك من القربات فمن عجز عن ذلك فأقل أحواله أن يجتنب ما يحرم عليه ويكره له تعظيما لهذا الشهر الشريف وإن كان ذلك مطلوباً في غيره إلا أنه في هذا الشهر أكثر احتراما كما يتأكد في شهر رمضان وفي الأشهر الحرم فيترك الحدث في الدين ويجتنب مواضع البدع ولا ينيى ويبدى ارتكب بعضهم في هذا الزمان ضد هذا المعنى وهو أنه إذا دخل هذا الشهر العظيم تسارعوا فيه إلى اللهو واللعب بالدف والشبابة وغيرهما وباليتهيم عملوا المغاني ليس إلا بل يزعم بعضهم أنه يتأبد فيبدأ المولد بقراءة الكتاب العزيز وينظرون إلى من هو أكثر معرفة بالتهوك والطرق المهيجة لطرب النفوس وهذا فيه وجوه من المفاسد ...

وهذه المفاسد مركبة على فعل المولد إذا عمل بالسماع فإن خلا منه وعمل طعاما فقط ونوى به المولد ودعا إليه الإخوان وسلم من كل ما تقدم ذكره فهو بدعة بنفس نيته فقط لأن ذلك زيادة في الدين وليس من عمل السلف الماضين واتباع السلف أولى ولم يقل عن أحد منهم أنه نوى المولد ونحن تبع فيسمنا ما وسعهم انتهى .

وحاصل ما ذكره أنه لم يلم المولد بل ذم ما يحتوي عليه من المحرمات والمنكرات وأول كلامه صريح في أنه ينيى أن يخص هذا الشهر بزيادة فعل البر وكثرة الخيرات والصدقات وغير ذلك من وجوه القربات وهذا هو حمل المولد الذي استحسناه فإنه ليس فيه شيء سوى قراءة القرآن وإطعام الطعام

بمولده ويولد ما تقبل إليه قدرته في محبته ﷺ لعمري إنما يكون جزاؤه من الله الكريم أن يدخله بفضل جنت التيمم .

وقال الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين النمشقي في كتابه المسمى مود الصادي في مولد الهادي : قد صبح أن أبا لهب يخفف عنه عذاب النار في مثل يوم الإثنين لإعتاقه ثوبية سرورا بميلاد النبي ﷺ ثم أتشد :

إذا كان ههنا كاسفرا جاء دمه

وتبت يسفاه في الجميع مفسدا

أنتي أنسه في يوم الإثنين ذاكما

يخفف عنه للسرور بأحمد

فما للظن بالمعد الذي طول عمره

بأحمد سرورا ومسات مرسدا

قال الكمال الأفرقي في الطالع السعيد : حكى لنا

صاحبنا العلك ناصر الدين محمود بن العماد أن أبا العلي

محمد بن إبراهيم السبي المالكى نزيل قوص أحد العلماء

العامين كان يجوز بالمكتب في اليوم الذي فيه ولد النبي ﷺ

فيقول يا فتية هذا يوم سرور أصرف الصبيان فيصرفنا ، وهذا

منه دليل على تقريره وعدم إنكاره وهذا الرجل كان فقيها مالكا

مفتيا في علوم متورها أخذ عنه أبو حيان وغيره ومات سنة

خمس وتسعين وستمائة .

فائدة : قال ابن الحاج : فإن قيل : ما الحكمة في كونه

عليه الصلاة والسلام خص مولده الكريم بشهر ربيع الأول

ويوم الاثنين ولم يكن في شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن

وفيه ليلة القدر ولا في الأشهر الحرم ولا في ليلة النصف من

شعبان ولا في يوم الجمعة وليلتها ؟ فالجواب من أربعة أوجه :

الأول ما ورد في الحديث من أن الله خلق الشهر يوم

الاثنين وفي ذلك تبييه عظيم وهو أن خلق الأقوات والأرزاق

والفواكه والخيرات التي يمتد به بنو آدم ويحيون وتطيب بها

نفوسهم :

الثاني أن في لفظة ربيع إشارة وتقالا حسنا بالنسبة إلى

اشتقاقه وقد قال أبو عبد الرحمن الصفي لكل إنسان من اسمه

نصيب .

الصحيحين من أن النبي ﷺ قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم فقالوا هو يوم أقرق الله فيه فرعون ونجى موسى فنحن نصومه شكرا لله تعالى فيستغاد منه فعل الشكر لله على ما من به في يوم معين من إسماء نعمة أو دفع نقمة ويعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كل سنة ، والشكر لله يحصل بأنواع العبادة كالسجود والصيام والصدقة والتلاوة ورأى نعمة أعظم من النعمة ببروز هذا النبي نبي الرحمة في ذلك اليوم وعلى هذا فينبغي أن يتحرى اليوم بعينه حتى يطابق قصة موسى في يوم عاشوراء ومن لم يلاحظ ذلك لا يزال يعمل المولد في أي يوم من الشهر بل توسع قوم فنقلوه إلى يوم من السنة وفيه ما فيه ، فهذا ما يتعلق بأصل عمله .

وأما ما يعمل فيه فينبغي أن يقتصر فيه على ما يفهم الشكر لله تعالى من نحو ما تقدم ذكره من التلاوة والإطعام والصدقة وإنشاء شيء من المدايع النبوية والزهدية المحركة للقلوب إلى فعل الخير والعمل للأخرة ، وأما ما يتبع ذلك من السماع واللبو وغير ذلك فينبغي أن يقال ما كان من ذلك مباحا بحيث يقتضى السرور بذلك اليوم لا بأس بالمحابة به وما كان حراما أو مكروها فيمنع وكذا ما كان خلاف الأولى انتهى .

قلت : وقد ظهر لي تخريجه على أصل آخر وهو ما أخرجه البيهقي عن أنس أن النبي ﷺ حق عن نفسه بعد النبوة مع أنه قد ورد أن جده عبد المطلب حق عنه في سابع ولادته والعقيقة لا تعاد مرة ثانية فيحمل ذلك على أن الذي فعله النبي ﷺ إظهار للشكر على إيجاد الله إياه رحمة للعالمين وتشريع لأمة كما كان يصلى على نفسه لذلك فيستحب لنا أيضا إظهار الشكر بمولده بالاجتماع وإطعام الطعام ونحو ذلك من رجوه القربات وإظهار المرات ، ثم رأيت إسماء القراءة الحافظ شمس الدين بن الجزري قال في كتابه المسمى عرف التعريف بالمولد الشريف ما نصه : قد روى أبو لهب بعد موته في النوم فقيل له ما حالك ؟ فقال : في النار إلا أنه يخفف عني كل ليلة اثنين وأمس من بين أصبعي ماء بقلدر هذا — وأشار لرأس أصبعه — وأن ذلك بإعتاق ثوبية عند ما بشرتني بولادة النبي ﷺ وبارزها بها له ، فإذا كان أبو لهب الكافر الذي نزل القرآن بلحمه جوزي في النار بفرحه ليلة مولد النبي ﷺ به فما حال المسلم الموحد من أمة النبي ﷺ يسر

مرسل ثقة، وروى كلاهما من غير وجه وسلم من شذوذ وعلة .
- ابن حجر : الصحيح ما نقله عدل تام الضبط متصل
السند غير محل ولا شاذ ؛ فإن خف الضبط فهو الحسن
لذاته .

- السخاوي : هو الذي اتصل سنده بالصدوق الضابط
المتقن غير تامهما ، أو بالضعيف بما عدا الكذاب إذا اعتضد
مع خلوها عن الشذوذ والعلّة .

- الجرجاني (في رسالته) : الحسن هو مسند من قرب
من درجة الثقة أو مرسل ثقة وروى كلاهما من وجه وسلم من
شذوذ وعلة .

- الكافي : هو الذي يكون راويه مشهورا بالصدق
والأمانة مع قصور في حفظه وإتقانه ، أو مستور الحال ، مع
ألا يكون كثير الخطأ ولا متهما بالكذب بحيث لا يكون فيه
علة قاذحة ولا إنكار وشذوذ يضر .

- تقي الدين الشمني : الحسن خبر متصل قل ضبط راويه
العدل وارتفع عن حال من يعدل تفرده منكرا ، وليس بشاذ ولا
معلل .

حسن الحديث : من ألفاظ التمدل . انظر : (الجرح
والتعديل) (معجم مصطلحات تزيين الحديث - د . علي زوين / ٣١ ،
٣٢) .

وإليك تفصيل ذلك . قال صاحب كشف اصطلاحات
الفنون :

الحسن يقتضين نعت من الحسن فمعانيه كمعانيه وأما
المحدثون فقد اختلفوا في تفسيره فقال الخطابي الحسن ما
عرف مخرجه واشتهر رجاله أي الموضع الذي يخرج منه
الحديث وهو كونه شاميا أو عربيا أو عراقيا أو مكيًا أو كوفيا أو
نحو ذلك وكان الحديث من رواية روى قد اشتهر برواية أهل
بلدة كقتادة في البصريين فإن حديث البصريين إذا جاء عن
قتادة كان مخرجه معروفا بخلافه عن غيرهم وذلك كناية عن
الاتصال إذا المرسل والمتقطع والمفضل لعدم ظهور رجالها
لا يعلم مخرج الحديث منها . والمراد بالشهرة الشهرة
بالعدالة والضبط قال ابن دقيق العيد : ليس عبارة الخطابي

الثالث : أن فصل الربيع أعدل الفصول وأحسنها وشريعته
أعدل الشرائع وأسمحها .

الرابع : أن المحكم مباحانه أراد أن يشرف به الزمان الذي
ولد فيه قلوب ولد في الأوقات المتقدم ذكرها لكان قد يتوهم أنه
يشرف بها تم الكتاب والله الحمد والمنة : (البحار / ١ / ١٨٩ -
١٩٧) .

(كشف الظنون لحاجي خليفة / ١ / ٦٦٧ ، والبحار للفتاوى للإمام
الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي / ١ / ١٨٩ - ١٩٧) .

● الحسن (من الحديث) :

إليك أولا هذه التعاريف الموجزة عن الحديث الحسن
كما وردت في المعجم :
الترمذي : هو ما لا يكون في إسناده متهم ولا يكون شاذا
ويروى من غير وجه نحوه .

- الخطابي : هو ما عرف مخرجه واشتهر رجاله .
- أبو الفرج ابن الجوزي : الحسن ما به ضعف قريب
يحتمل .

- ابن دقيق العيد : الحسن كل حديث خال عن العلل ،
وفى مسنده المتصل مستور له به شاهد أو مشهور قاصر عن
درجة الإتيان .

- ابن الصلاح : هو قسمان :

أحدهما : ما لا يخلو إسناده من مستور لم تتحقق
أهليته ، وليس مغفلا كثير الخطأ ، ولا ظهر منه سبب مُفسد ،
ويكون متن الحديث معروفا برواية مثله أو نحوه من وجه آخر .

الثاني : أن يكون راويه مشهورا بالصدق والأمانة ولم يبلغ
درجة الصحيح لتقصيره في الحفظ والإتيان ، هو مرتفع عن
حال من يعدل تفرده منكرا .

الجرجاني (في التعريفات) ، والأحمد نكري : الحسن
من الحديث أن يكون راويه مشهورا بالصدق والأمانة غير أنه لم
يبلغ درجة الحديث الصحيح لكونه قاصرا في الحفظ
والوروق ، وهو مع ذلك يرتفع عن حال من دونه .

- الطيبي : الحسن مسند من قرب من درجة الثقة ، أو

المروى عن غير الثقة عن الضعيف إذا لم يتجبر بمجردها ضعفه وخروج الشاذ والعليل بما خرج من الصحيح وما يرد على التعريف شيئ إلا الحسن الفرد .

والحسن حجة كالصحيح ولكن دونه لأن شرائط الصحيح معتبرة فيه إلا أن العدالة في الصحيح يجب أن تكون ظاهرة والإتقان بإسناده كاملا وليس ذلك شرطا في الحسن وأما إذا روى من وجهه يلحق في القوة إلى الصحيح لاعتضاده بالجهتين بخلاف الضعيف فإنه لم يكن حجة ولم يتجبر بتعدد الطرق ضعفه لكذب روايه أو فسقه انتهى وفي شرح النخبة وشرحه خبر الواحد ينقل عدل خفيف الضبط متصل السند غير ملل ولا شاذ هو الحسن لذاته أى لا بشئ خارج والحسن بشئ خارج ويسمى بالحسن لغيره هو الذى يكون حسنه بسبب الاعتضاد نحوه حديث الراوى المستور إذا تعددت طرقه وكذلك كل ما كان ضعفه يسره حفظ روايه كعاصم بن عدي الله العلوى فإنه مع صدقه كان مسيء الحفظ كثير الوم فالحسن الخطأ بحيث ضعفه الأئمة فلذا توبع ارتقى حديثه إلى الحسن والمعاد بخلاف الضبط في تعريف الحسن لذاته أن يكون الراوى متأخرا عن درجة الحافظ الضابط متأخرا يسيرا غير فاحش لم يبلغ إلى مرتبة الراوى الضعيف الفاحش الخطأ وفوائد القيد تعلم في لفظة الصحة في فصل الهاء من باب الصاد والحسن لذاته مشارك للصحيح في الاحتجاج به ولذا أدرجه طائفة منهم في الصحيح وإن كان دونه في القوة انتهى . وظاهر هذا يدل على أن إطلاق الحسن على الحسن لذاته والحسن لا لذاته بطريق الاشتراك اللفظي غائلة لو قيل هذا حديث حسن الإسناد أو صحيحه فهو دون قولهم حديث صحيح أو حديث حسن لأنه قد يصح ويحسن الإسناد لاتصاله وثقة روايته وضمه فهو دون المتن لشذوذه أو علة وأما قولهم حسن صحيح فالتعدد الحاصل من المجتهد في الناقل أى حسن قوم باعتبار وصفه صحيح عند قوم باعتبار وضعه فهذا دون ما قيل فيه صحيح فقط لعدم التردد هناك وهذا حديث يحصل من الناقل الضرد بتلك الرواية بأن لا يكون الحديث ذا متلئين وإن لم يحصل الضرد فباعتبار إسنادين أحدهما صحيح والأخر حسن فهو فوق ما قيل فيه صحيح فقط إذا كان فردا لأن كثرة الطرق تقوى .

كثير تلخيص وأيضا فالصحيح ما عرف مخرجه فيدخل الصحيح في حد الحسن قبل المراء شهرة رجاله بالعدالة والضبط المنعطف عن الصحيح . وقال ابن الجوزى الحسن ما فيه ضعف قريب محتمل واعتز ابن دقيق العيد على هذا الحد أيضا بأنه ليس مضبوطا يتميز به القدر المحتمل عن غيره وإذا اضطرب هذا الوصف لم يحصل التعريف المميز عن الحقيقة وقال الترمذى : الحسن : الحديث الذى يروى من غير وجه نحوه ولا يكون فى إسناده راء منهم بالكذب ولا يكون شاذا وهو يشتمل على ما إذا كان بعض روايه مسيء الحفظ ممن وصف بالغلط والخطأ غير الفاحش أو مستورا لم ينقل فيه جرح ولا تعديل وكذا إذا نقل فيه ولم يرجع أحدهما على الآخر أو مبدلسا بالثقة لعدم منافاتها نفي اشتراط الكذب وأيضا يشتمل الصحيح فإن أكثره كذلك وأيضا يرد على قوله ويروى من غير وجه نحوه الغريب الحسن فإنه لم يرو من وجه آخر قيل أراد الترمذى بقوله غير منهم أنه بلغ في العدالة إلى غاية لا يتم فيها بكذب بخلاف الصحيح فإنه لا يكفى فيه ذلك بل لا بد من الضبط وأراد بقوله ويروى من غيره وجه نحوه أنه لا يكون منكرا بخلاف رواية الثقات فلذلك قال ونحوه ولم يقل ويروى هو أو مثله ولذلك يقول في أحاديث كثيرة حسن غريب ، وقيل إن الترمذى يقول في بعض الأحاديث حسن وفى بعضها صحيح وفى بعضها غريب وفى بعضها حسن صحيح وفى بعضها حسن صحيح غريب وتعرفه هذا إنما وقع على الأول فقط . وقيل في خلاصة الخلاصة : الحسن على الأصح حديث رواه القريب من الثقة بسند متصل إلى المنتهى أو رواه ثقة بسند غير متصل وكلاهما مروى بغیر هذا السند وسالم من الشذوذ والعللة فخرج الصحيح من النوع الأول بالقرب من الثقة ومن النوع الثانى بعدم الاتصال إذ يشترط في الصحيح ثبوت الوثوق واتصال الإسناد وخروج الضعيف منهما بقوله وكلاهما مروى فإن خرج تكسر الرواية يخرجها من الضعيف إلى الحسن ؟ وأما التيقيد بالاتصال في الأول وبالوثوق في الثانى فلا يخرج ما لم يتصل عن الأول وما لم يكن مرويا من الثقة عن الثانى وإن كانا مرويين من غير وجه فإن كثرة الرواة لا تخرج غير المتصل

ذكره وإن وجد في متفرقات من كلام بعض مشايخه والطبقة التي قبله .

وقال الإمام تقي الدين بن تيمية قدس سره في بعض فتاويه : « أول من عرف أنه قسم الحديث إلى صحيح وحسن وضعيف ، أبو عيسى الترمذی ، ولم تعرف هذه القسمة عن أحد قبله ، وقد بين أبو عيسى مراده بذلك ، فذكر أن الحسن ما تعددت طرقه ولم يكن فيهم متهم بالكذب ، ولم يكن شاذاً . وهو دون الصحيح الذي عرف عدالة ناقله وضبطهم » وقال : « الضعيف الذي عرف أن ناقله متهم بالكذب ، ردىء الحفظ ، فإنه إذا رواه المجهرول ، خيف أن يكون كاذباً ، أو سيء الحفظ ، فإذا وافقه آخر لم يأخذ عنه ، عرف أنه لم يعتمد كتبه واتفاق الاثنين على لفظ واحد طويل قد يكون ممتناً ، وقد يكون بعيداً ؛ ولما كان تجويز اتفاقهما في ذلك ممكناً ، نزل من درجة الصحيح » . ثم قال تقي الدين قدس سره : « وأما من قبل الترمذی من العلماء فما عرف عنهم هذا التقسيم الثلاثي ، لكن كانوا يقسمونه إلى صحيح وضعيف والضعيف كان عندهم نومان : ضعيف ضعفاً لا يمنع العمل به ، وهو يشبه الحسن في اصطلاح الترمذی ، وضعيف ضعفاً يوجب تركه ؛ وهو الرواهي .

معنى قول الترمذی « حسن صحيح » .

للمعلماء في ملخص الترمذی بهذه العبارة وجوه نقلها السيوطي في التلخيص (٥٢ ، ٥٣) قالوا : « العبارة المذكورة مما استشكل ، لأن الحسن قاصر عن الصحيح ، فكيف يجتمع إثبات القصور ونفيه في حديث واحد ؟ وأجاب ابن دقيق العيد : بأن الحسن لا يشترط فيه القصور عن الصحة إلا حيث انفرد الحسن ، أما إذا ارتفع إلى درجة الصحة فالحسن حاصل لا محالة تبعاً للصحة ، لأن وجود الدرجة العليا وهي الحفظ والإتقان ، لا ينافي بوجود الدنيا كالصدق ، فيصح أن يقال : حسن ، باعتبار الصفة الدنيا ، صحيح باعتبار العليا ويلزم على هذا أن كل صحيح حسن . وقد سبقه إلى نحو ذلك ابن المواق ، قال الحافظ ابن حجر : وشبه ذلك قولهم في الرواهي صدوق فقط ، وصدوق ضابط ، فإن الأول قاصر

(كشف اصطلاحات الفنون / ١ / ٣٨٦ - ٣٨٨) .

وقال الإمام المقدسي :

بيان الحديث الحسن

ذكر ماهيته

قال العلامة الطيبي : « الحسن مستند من قريب من درجة الثقة ، أو مرسل ثقة ، وروى كلاهما من غير وجه ، وسلم من شلوذ وعلة » وهذا الحد أجمع الحدود التي نقلت في الحسن وأضبطها ، وإنما سمي حسناً لحسن الظن برأويه .

بيان الحسن لذاته وبغيره

اعلم : أن ما عرفناه أولاً هو الحسن لذاته : قال ابن الصلاح : « الحسن لذاته أن تشتهر روايته بالصدق ، ولم يصلوا في الحفظ رتبة رجال الصحيح ؛ والحسن لغيره أن يكون في الإسناد مستور لم يتحقق أصليته ، غير مُعْتَمَل ، ولا كثير الخطأ في روايته ، ولا متهم بتعمد الكذب فيها ، ولا ينسب إلى مفسد آخر ، واعتضد بمتابع أو شاهد ؛ فأصله ضعيف ، وإنما طرأ عليه الحسن بالعاضد الذي عضده فاحتمل لوجود العاضد ، ولولاه لاستمرت صفة الضعف فيه ، ولاستمر على عدم الاحتجاج به » كذا في فتح المغيث (السخاوي شرح ألفية العراقي في الحديث / ١١ ، الهندي ، طبع ، حيدر) .

ترقى الحسن لذاته إلى الصحيح بتعدد طرقه

اعلم : أن الحسن إذا روى من وجه آخر ، ترقى من الحسن إلى الصحيح ، لقوته من الجهتين ، فيعتضد أحدهما بالآخر ؛ وذلك لأن الراوي في الحسن متأخر من درجة الحافظ الضابط مع كونه مشهوراً بالصدق والشر ، فإذا روى حديثه من غير وجه ولو وجهاً واحداً قوياً بالمتابعة وزال ما كان يخشى عليه من جهة سوء حفظ رأويه ، فارتفع حديثه من درجة الحسن إلى الصحيح . قال السيد الشريف : « ونعني بالترقى أنه ملحق في القوة بالصحيح ، لا أنه عينه » .

بيان أول من شهر الحسن

قال الإمام النووي في الترتيب وشارحه السيوطي : « كتاب الترمذی أصل في معرفة الحسن وهو الذي شهروه ، وأكثر من

وإن كان المتن صحيحاً معروفاً . فالتزمى إذا قال : حسن . غريب ، قد يعنى به أنه غريب من ذلك الطريق ، لكن المتن له شواهد صار بها من جملة الحسن . انتهى (انظر ما ورد في آنية السويلى من ذلك ، وبأنى فيما بعد) .

مناقشة الترمذى فى بعض ما يصححه أو يحسنه

قال شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية : « بعض ما يصححه الترمذى ، ينازعه غيره فيه ، كما قد ينازعونه فى بعض ما يضعفه ويحسنه ، فقد يضعف حديثاً ويصححه البخارى ، كحديث ابن مسعود لما قال له النبى ﷺ : « ابنى أحجاراً أستنفذ بهن » قال : فأنتيه بحجرين وروية » قال : فأخذ الحجريين وترك الروية وقال : إنها رص » (فى البخارى هى من حديث أبى هريرة فى كتاب الرضوخ) فإن هذا اختلف فيه على أبى إسحاق السيسى ، فجعل الترمذى هذا الاختلاف علة ، ورجع روايته له عن أبى حنيفة عن أبيه ، وهو لم يسمع من أبيه ؟ وأما البخارى فصححه من طريق أخرى ، لأن أبى إسحاق ، كان الحديث يكون عنده من جماعة ، يرويه عن هذا تارة ، وعن هذا تارة ، كما كان الزهري يروى الحديث تارة عن سعيد بن المسيب ، وتارة عن أبى سلمة ، وتارة يجمعهما ؛ فمن لا يعرفه ، فيحسب به تارة عن هذا ، وتارة عن هذا ، يقلن بعض الناس أن ذلك غلط ، وكلامهما صحيح ، وهذا باب يطول وصفه » .

بيان أن الحسن على مراتب

نبه الأئمة على أن الحديث الحسن على مراتب كالصحيح . قال الحافظ الذهبى : « فاعلى مراتبه : بهز بن حكيم عن أبيه عن جده ، وصمير بن شعيب عن أبيه عن جده ، وابن إسحاق عن التيمي ، وأمثال ذلك مما قيل فيه إنه صحيح » وهو أدنى مراتب الصحيح ثم بعد ذلك ما اختلف فى تحصيله وضعفه ، كحديث الحارث بن عبد الله ، وعاصم ابن ضمرة وحجاج بن أرطاة ونحوهم » .

بيان كون الحسن حجة فى الأحكام

قال الأئمة : « الحسن كالصحيح فى الاحتجاج به ، وإن كان دونه فى القوة ، ولهذا أخرجه طائفة من نزع الصحيح ، كالحاكم ، وابن حبان ، وابن خزيمة ، مع قولهم بأنه دون الصحيح المبين أولاً » .

عن درجة رجال الصحيح ، والثانى منهم فكما أن الجمع بينهما لا يفسر ولا يشكل ، فكذلك الجمع بين الصحة والحسن . انتهى .

الجواب عن جمع الترمذى بين الحسن والغريبة على اصطلاحه

قد أنكر بعض الناس على الإمام الترمذى تحليله للحسن بما حُدِّ به من كونه يروى من غير وجه ، لقوله فى بعض الأحاديث : حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه . والغريب الذى انفرد به الواحد . وأجاب الحافظ ابن حجر فى شرح النخبة : « بأن الترمذى لم يعرف الحسن مطلقاً ، وإنما عرفه بنوع خاص منه وقع فى كتابه ، وهو ما يقول فيه : حسن من غير صفة أخرى . وذلك أنه يقول فى بعض الأحاديث : حسن ، وفى بعضها : صحيح ، وفى بعضها : غريب ، وفى بعضها : حسن صحيح ، وفى بعضها : حسن غريب ، وفى بعضها : صحيح غريب ، وفى بعضها حسن صحيح غريب وتعرفه إنما وقع على الأول فقط ؛ وعبارته ترشد إلى ذلك حيث قال فى آخر كتابه : « وما قلنا فى كتابنا : حديث حسن ، وإنما أردنا به حسن إسناده عندنا ، إذ كل حديث يروى ، لا يكون راويه منهما بكذب ويروى من غير وجه نحو ذلك ، ولا يكون شاذاً ، فهو عندنا : حديث حسن » ؟ فعرف بهذا أنه إنما عرف الذى يقول فيه : حسن فقط . أما ما يقول فيه : حسن صحيح ، أو حسن غريب ، أو حسن صحيح غريب ، فلم يرجع على تعريف ما يقول فيه : صحيح فقط ، أو : غريب فقط وكأنه ترك ذلك ، استغناء لشهرته عند أهل الفن . واقتصر على تعريف ما يقول فيه فى كتابه : حسن فقط ، إما لغموضه وإما لأنه اصطلاح جديد وللملك قيده بقوله : « عندنا » ولم ينسب إلى أهل الحديث كما فعل الخطائى . انتهى .

وقال شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية فى فتاوى له : « الذين طعنوا على الترمذى لم يفهموا مراده فى كثير مما قاله . فإن أهل الحديث قد يقولون : « هذا الحديث غريب » أى : من هذا الوجه . وقد يصححون بذلك فيقولون : غريب من هذا الوجه ؛ فيكون الحديث عندهم صحيحاً معروفاً من طريق واحد . فإذا روى من طريق آخر ؛ كان غريباً من ذلك الوجه ،

بيان ألقاب للحديث تشمل الصحيح والحسن
وهي الجيد والقرى والمصالح والمعروف
والمحفوظ والمجود والثابت والمقبول
هذه الألفاظ مستعملة عند أهل الحديث في الخبر
المقبول ، والفرق بينهما أن الجودة قد يعبر بها عن الصحة ،
فيتساوى حيثئذ الجيد والصحيح ، إلا أن المحقق منهم ، لا
يعمل عن الصحيح إلى جيد إلا لتكنه كأن يرتقى الحديث
عنده عن الحسن لذاته ويتردد في بلوغه الصحيح ، فالوصف
به حيثئذ أنزل رتبة من الوصف بصحيح وكذا القوى . وأما
المصالح فيشمئذ الصحيح والحسن ، لصلاحيتهما
للاحتجاج ، ويستعمل أليهما في ضعيف يصلح للاعتبار .
وأما المعروف ، فهو مقابل المنكر ، والمحفوظ مقابل
الشاف .

والمجود والثابت ، يشملان الصحيح والحسن « كذا في
«التدريب» (تدريب الروي شرح الترتيب للزوري / ٥٨) وقد عرف
الحافظ ابن حجر المقبول في شرح النخبة بالذي يجب العمل
به عند الجمهور ، والمراد بالذي لم يرجح صدق المخبر به
(قواعد الحديث / ١٠٥-١١١) .

وقد صاغ هذا كله نظما الحافظ زين الدين العراقي في
ألفيته فقال عن الحديث الحسن باعتباره النوع الثاني من أنواع
الأحاديث :

والحسن المعروف مخبرجاً وقد
اشتهرت رجالة بذلك حسد
حمد وقال الترمذي : ما سلم
من الشيوخ مع راو ما اهتم
بكلاب ، ولم يكن فيسرنا ورد
قلت : وقد حسن بعض ما انفرد
وتقبل : ما ضعف قريب محتمل
فيه ، وما بكل ذا حسد حصل
قد بان لي فيه بامعان النظر
أن ليسه قسامين كل قد ذكر

وقال السخاوي في «الفتح» (أي في كتابه «فتح
المغيث») : «منهم من يسدج الحسن في الصحيح
لاشتراكهما في الاحتجاج ، بل نقل ابن تيمية إجماعهم إلا
الترمذي خاصة عليه .

قال الخطابي : «على الحسن مدار أكثر الحديث ، لأن
غالب الأحاديث لا تبلغ رتبة الصحيح ، وعمل به عامة
الفقهاء ، وقبله أكثر العلماء ، وشدد بعض أهل الحديث ،
فرد بكل علة ، فادحة كانت أم لا ، كما روى عن ابن أبي
حاتم أنه قال : سألت أبي عن حديث فقال : «إسناده حسن»
فقلت : «يحتج به ؟ فقال : «لا ! انتهى .

والصواب مع الجمهور لما يشه الخطابي ؛ هذا في
الحسن لذاته وأما الحسن لغيره فيلحق بذلك في الاحتجاج
لكن فيما طرقه عند قوم .

قبول زيادة راوي الصحيح والحسن
قال الحافظ ابن حجر في «النخبة» وشرحها : «وزيادة
راويهما أي الصحيح والحسن - مقبولة ما لم تقع متافية
لرواية من هو أوثق ممن لم يذكر تلك الزيادة ؛ لأن الزيادة إما
أن تكون لا تنافي بينها وبين رواية من لم يذكرها ، فهذه تقبل
مطلقاً ، لأنها في حكم الحديث المستقل ، الذي يفرد به
الثقة ، ولا يرويه عن شيخه غيره ؛ وإما أن تكون متافية ،
بحيث يلزم من قبولها رد الرواية الأخرى ، فهذه التي يقع
الترجيح بينها وبين معارضتها ، فيقبل الرجاء ، ويورد
المرجوح ، واشتهر عن جميع من العلماء القول بقبول الزيادة
مطلقاً من غير تفصيل ، ولا يتأني ذلك على طريق المحدثين
الذين يشترطون في الصحيح أن لا يكون شاذاً ، ثم يقررون
الشذوذ بمخالفة الثقة من هو أوثق منه ، والمجب من أغفل
ذلك ، مع اعتراقه باشتراط انتقاء الشذوذ في حد الحديث
الصحيح وكذا الحسن ، والمنقول عن أئمة الحديث
المتقدمين ، كعبد الرحمن بن مهدي ، ويحيى القطان ،
وأحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين ، وعلي بن المدني ،
والبخاري ، وأبي زرعة ، وأبي حاتم ، والنسائي ،
والدارقطني ، وغيرهم ، اعتبار الترجيح فيما يتعلق بالزيادة
وغيرها ، ولا يعرف عن أحد منهم إطلاق قبول الزيادة » انتهى

قسمها ، وزاد كونه ما عسلا
 ولا يكثر أو قلود فملا
 والفقهاء كلهم يستعمله
 والمعلماء الجبل منهم يقبله
 وهو بأقسام الصحيح ملحق
 حجة ، وإن يكن لا يلحق
 فإن قيل : يحتج بالضعيف
 قلل : إذا كان من الموصوف
 روايته بسوء حفظ يجبر
 بكونه من غير وجه يُذكر
 وإن يكن لكسب أو شغل
 أو قسوى الضعف فلم يجبر
 ألا ترى المرسل حيث أسند
 أو أرسلوا كما يجيء اعتضدا
 والحسن : المشهور بالمعاليه
 والصدق راويه ، إذا أتى له
 طرق أخرى نحوها من الطرق
 صححه كمثل ولو أن ألق
 إذ تباينوا محمد بن عمرو
 عليه فصار نقل الصحيح يجزى
 قال : ومن مظنة الحسن
 جمع أبي داود ، أي في المتن
 لذاته قال : ذكرت فيه
 ما صح أو تارب أو يحكيه
 وما به ومن شئيد قلته
 وحيث لا ، فصالح غير حجة
 فما به ولم يصح وسكت
 عليه عنده له الحسن ثبت
 وابن رشيد قال وهو متجه
 قد يبلغ العبوة عند مخرجه
 والإمام الهمسرى إنما
 قول أبي داود يحكى مسلما
 حيث يقول : جملة الصحيح لا
 توجد عند مالك والنبلا
 فاحتاج أن ينزل في الإسناد
 إلى يزيد بن أبي زياد
 ونحوه ، وإن يكن ذو السبق
 قد فاته أدرك باسمه الملق
 مالا قضى على كتاب مسلم
 بما قضى عليه بساالحكم
 والبغوى إذ تسم المصباحا
 إلى المصباح والحسان جالعا
 أن الحسان ما روه في المتن
 رد عليه إذ بهما فيسر الحسن
 كان أبو داود أقوى ما وجد
 يرويه والضعيف حيث لا يجد
 في الباب غيره ، فملاك عنده
 من رأى أقسوى قاله ابن منه
 والنكالي يخرج من لم يجمعوا
 عليه تركها مذهب متبع
 ومن عليه أطلق الصحيح
 فقد أتى تاهلا صريحا
 ودونها في رتبة ما جملا
 على المصنفين فيلهى الجفلا
 كمنه الطيباني وأحمد
 ومعه للسند أرمي انتقلا
 والحكم للإسناد بالضعفة أو
 بالحسن دون الحكم للمتن أو
 وإليه إن أطلقه من يحمده
 ولم يفتكه بضعف يتقده

- ٨٢ - والكتب الأربع ثُبِتَ السُّنَنُ
للإمام قطنى من مظان الحسن
- ٨٣ - قال أبو داود من كتابه
ذكرت ما صبح وما شباهه
- ٨٤ - وما به ومن أثل وحيث لا
فصالح ، فساين الصلاح جملا
- ٨٥ - ما لم يصفه ولا صبح حسن
لبيه (مع جواز أنه ومن)
- ٨٦ - فإن يقل : قد يبلغ الصحة له
(قلنا : احتياطاً حسناً قد جعله)
- ٨٧ - فإن يقل : فسلم يقول : لا
يجمع جملة الصحيح النبلا
- ٨٨ - فاحاج أن ينزل للصالح
وإن يكن فى حفظه لا يمرتقى
- ٨٩ - هلا قضى فى الطبقات الثانية
بالحسن مثل ما قضى فى المصاحبة ؟
- ٩٠ - أجب بأن مسلماً فيه شرط
ما صبح فامنع أن لدى الحسن يخط
- ٩١ - فإن يقل : فى السنن الصحيح مع
ضميها ، والبشرى قد جمع
- ٩٢ - مصابحاً وجعل الحسان ما
فى سنن (قلنا : اصطلاح ينتمى)
- ٩٣ - يروى أبو داود أقوى ما وجد
ثم الضعيف حيث غيرته فقص
- ٩٤ - والنسائي من لم يكونوا اتفقوا
تركاه (والآخرون الحقوا)
- ٩٥ - بالخسة ابن مساجه ، قيل : ومن
مما بهم فإن فهم ومن
- ٩٦ - تساهل السلي عليها أطلقا
صحيحته (والسلمى والمنقى)
- وامتثل الحسن مع الصحبة فى
من ، فإن لفظاً يرد فقل صف
به الضعيف ، أو يرد ما يختلف
سنده ، فكيف إن فمرد وصف
ولأبى الفتى فى الاقتراح
أن انفراد الحسن ذو اصطلاح
وإن يكن صبح فليس يلتبس
كل صحيح حسن لا ينكس
وأوردوا ما صبح من انفراد
حيث اشتهرنا غير ما إسناد
(نقاس / ١٧٢ - ١٧٤) .
- كما نظمه الحافظ جلال الدين السيوطى فى ألفيته ، مع
ملاحظة أن ما جاء بين قوسين فهو من زيادات السيوطى على
ألفية العراقي .
- وقد احتفظنا بأرقام الآيات كما وردت فى النص . قال
الحافظ السيوطى :
- ٧٥ - المرتقى فى حله ما اتصل
بقيل صلب كل ضبطه ولا
- ٧٦ - شد ولا حلل (وليرتب
مراتبها) والاحتجاج يجنبى
- ٧٧ - ألفها وجعل أهل العلم
فإن أتى من طسرق أخسرى ينمى
- ٧٨ - إلى الصحيح ، أى لغيره ، كما
يرقى إلى الحسن السلي قد وسما
- ٧٩ - ضعفا لسوء الحفظ (أو إرمال أو
تسلي أو جهالة) إذا رأوا
- ٨٠ - مجيئه من جهة أخسرى ، وما
كان لفسق أو بصرى منهما
- ٨١ - (يرمى عن الإنكار بالاعتدال
بل ربما يصير كالسلي بلى

١١١ - وهل يخص بالصحيح الثقات
أو يشمل الحسن؟ نسازم ثابت
وإليك شرح العلامة الشيخ أحمد محمد شاكر رحمه الله
على بعض الآيات :

البيت ٨١ : أما إذا كان ضعف الحديث لسوء حفظ
الراوي أو نحو ذلك فإنه يرقى إلى درجة الحسن أو الصحة
بتعدد طرقه إن كانت كذلك . وأما إذا كان ضعف الحديث
لفسق الراوي أو اتهامه بالكذب ثم جاء من طرق أخرى من
هذا النوع ، فإنه لا يرقى إلى الحسن ، بل يزداد ضعفاً إلى
ضعف ، إذ أن تردد المتهمين بالكذب أو المجروحين في عد
التهم بحديث لا يزيده غيرهم يرجع عند الباحث المحقق
التهمة ، ويؤيد ضعف روايتهم . وبذلك يتبين خطأ المؤلف
هنا وخطؤه في كثير من كتبه في الحكم على أحاديث ضعاف
بالترقى إلى الحسن مع هذه العلة القوية .

البيت ٨٤ : انحصر الحفاظ عبد العظيم المنذرى سنن
أبي داود ، وتكلم على أحاديثها وأبان عن ضعف المقيعف
منها مما لم يثبت أبو داود ، ولذلك قال كثير من العلماء
بالحديث : إن ما سكت عنه أبو داود والمنذرى فهو صالح
للاحتجاج ، وهذا لا بأس به ، ومع ذلك فقد فاتهما بعض
الأحاديث لم يذكرا عنها ضعفاً ، فعلى المنصف أن يدقق
النظر ويحتاط في تصحيح الأحاديث . والتوفيق من الله
سبحانه .

البيت ٩٢ : ألف البيهقي كتاب « مصابيح السنة » وجعل
كل باب منه قسمين : الصحيح والحسان ، وأراد بالصحيح ما
في الصحيحين أو أحدهما ، وبالحسان ما في أحد السنن
الأربعة ، وقد اعترضوا عليه في صتيه هذا ، لأنه اصطلاح لا
يعرف عند أهل الحديث ، فإن في السنن الصحيح والحسن
والضعيف . وأجاب عنه المؤلف هنا بأن هذا اصطلاح خاص
له ولكن ضعف الجواب ظاهر ، لأن هذا الاصطلاح يورم
الناظر في كتابه بأن ما سماه من الحسان ينطبق عليه تعريف
الحسن عند المحدثين .

البيت ٩٦ : أما الدارمي فإنه يريد به كتاب السنن للإمام

٩٧ - ودونها مسانيد (والمعنى
منها السلي لأحمد والخطلي)
ثم يورد السيوطي تحت عنوان « مسألة » أجوبة عن قول
الترمذي : « حسن صحيح » فيقول :

٩٨ - الحكم بالصحة والحسن على
متن رواه الترمذي واستشكلا

٩٩ - فقيس : يعني اللغوي ، وليسزم
وصف للضعيف ، وهو نكسر لهم

١٠٠ - وقيل : باعتبار تعدد السند
وفيه شيء ، حيث وصف ما انفرد

١٠١ - وقيل : ما تلقاه يحوى العلياً
لسنالك حساو أبداً للسانيا

١٠٢ - كل صحيح حسن لا ينكس
(وقيل : ههنا حيث رأى يتبس

١٠٣ - وصاحب النخبة : فإن انفرد
إسناده ، والثان حيث نو عدد

١٠٤ - وقد بدا لي فيه معنيان
لم يوجد لأهل هذا الشأن :

١٠٥ - أي حسن لسنالك صحيح
لفيهره ؛ لما بدا التجميع

١٠٦ - أو حسن على السلي به يحد
وهو أصح ما هنالك فقد ورد

١٠٧ - والحكم بالصحة للإسناد
والحسن دون المتن للنقاد

١٠٨ - (لملة أو لسنلوة) واحكم
للمتن إن أطلق نو حفظ نعى

١٠٩ - (وللقبول يطلقون جيداً
والثابت الصالح والمجوداً

١١٠ - وههنا بين الصحيح والحسن
وقسروا مشهورات من حسن

اصطلاحات القرن للتهانوي ١ / ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، وقواعد التحديث من قرن مصطلح الحديث للشيخ محمد جمال الدين القاسمي - تطبيق محمد بهجة البيطار ، تقدم محمد رشيد رضا / ١٠٥ - ١١١ ، ونفاس - بتحقيق وتعليق محمد حامد الفقي ، و ألفية مصطلح الحديث للحافظ زين الدين عبد الرحيم العراقي / ١٧٢ - ١٧٤ ، وألفية السيوطي في علم الحديث - بتصحيح وشرح فضيلة الأستاذ أحمد محمد شاكر / ١٥ - ١٩ ، والتعليقات الأثرية على المنظومة البيقونية لعل بن محمد البيقوني - قدم لها وعلق عليها على حسن علي عبد الحميد / ١١ تنظر أيضا الباعث الحديث شرح اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير - أحمد محمد شاكر / ٣٧ - ٤٤ ، وغرالب القرن ودرغالب القرآن لنظام الدين القمي النيسابوري - تحقيق إبراهيم علي سالم / ٢٢ ، والمختصر في أصول الحديث للإمام أبي الحسن الجرجاني - تحقيق المستشار د. فؤاد عبد المنعم أحمد / ٤٢ - ٤٧ .

• حسن النجفي (١٣١٢ هـ / ١٨٤٦ م)

حسن بن جعفر النجفي من فقهاء الشيعة الإمامية . ولد بالحلة بالعراق ونشأ بها ثم سكن النجف وفيها كان نشاطه العلمي واشتهاره ونبوغه وإنتاجه . وكان تشييعه واعتناقه مذهب الإمامية (انظر مادة «الإمامية» في م / ٥٠ - ٥٢) ناشئا عن بيته التي عاش فيها والوسط الذي درج فيه ، فإن النجف مكان يظهر الكوفة ، والقرب منه قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، والمترجم له من أئمة الشيعة الذين جدوا في ترويعها بالدعوة والتأليف .

من مؤلفاته كتاب في الفقه كبير الحجم جمع فيه الأحكام التي أداه إليها بحثه واجتهاده وجده ، وكتاب العمل ، وكتاب شرح به أصول كشف الغطاء .

توفي رحمه الله في الوفاء الذي انتشر في تلك الربوع سنة ١٢٦٢ هـ بالنجف ودفن بها .

(الفتح المبين في طبقات الأصوليين - الشيخ عبد الله مصطفی المرافعي / ٣ / ١٥٠ . انظر أيضا الأعلام للزركلي / ١٨٦ / ٢ وقد أدرجه تحت اسم « النجفي ») .

• حسن نظمي دده البوسنوي (١١٢٥ هـ) :

من علماء البوسنة حماها الله . ولد حسن نظمي دده

أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، وقد اشتهر باسم « مسند الدارمي » وأظن ذلك خطأ ، وأن المسند كتاب آخر له لم يوجد . ومن الدارمي كتاب جيد ، طبع في الهند مرارا ، قال المحافظ ابن حجر : « ليس دون السنن في الرتبة ، بل لو ضم إلى الخمسة لكان أولى من ابن ماجه ، فإنه أمثل منه بكثير » .

وأما المتتقى فهو للإمام أبي محمد عبد الله بن علي بن الجارود النيسابوري ، وهو كتاب جيد أيضا ، وقد طبع في الهند سنة ١٣٠٩ هـ ، ولو جعل سادس الكتب الستة ، بدلا من ابن ماجه - لكان أقرب إلى الصواب .

البيت ٩٧ : يورد مسند الإمام أحمد بن حنبل ومسند الإمام إسحاق بن إبراهيم ابن راهويه ، والثاني منهما لم يطبع ، ويوجد منه قطعة محفوظة أوراقها ٣٠٦ في دار الكتب المصرية . وأما مسند الإمام أحمد فإنه مطبوع .

البيت ١٠٦ : يعلق الشيخ أحمد محمد شاكر على هذه المسألة برمتها فيقول رحمه الله :

الذي أراه أن كل هذه الأجوبة عن قول الترمذي : « حسن صحيح » عقب أحاديث كثيرة في منته - فيها تكلف ظاهر قيد له باصطلاح لعله لم يتقيد به ، وما أظنه يريد بهذا إلا تأكيد صحة الحديث : بالترقي به من الحسن إلى الصحة . والله أعلم بالصواب (ألفية للسيوطي في علم الحديث / ١٥ - ١٩) .

ومن النظم أيضا ما أورده الإمام البيهقي في منظومته الموسومة بالبيقونية ، حيث يقول عن الحديث الحسن ، البيت الخامس :

والحسن الممسروق طسركا وغسلت

رجاله لا كالصحيح اشتهرت

واستدرك الشيخ عبد الستار على لناظم هذا فقال :

والحسن الخفيف ضبطا إذا غسلت

رجاله لا كالصحيح اشتهرت

(التعليقات الأثرية / ١١) .

(مصطلحات توثيق الحديث - د. علي زوين / ٣١ ، ٣٢ ، وكشاف

تدرج في مناصب القضاء ، فكان مدير إدارة النيابات ،
فريس التفتيش القضائي ، فمستشاراً بمحكمة النقض
(الموسوعة الحرة / ٢٨٩) .

ويؤثر عنه أنه عندما حلف اليمين القانونية أمام ملك
مصر، لم ينحن كما كان العرف واقتدى به آخرون ، ولما اغتيل
زعيم الإخوان الشيخ حسن البنا رحمه الله عام ١٩٤٩ اتجهت
الأنظار إلى الهضيبي واختير خلفاً له سنة ١٩٥١ (الأعلام / ٢
٢٢٥) .

اعتقل للمرة الأولى مع إخوانه في ١٣ يناير ١٩٥٣ ، وأُفرج
عنه في شهر مارس من نفس العام .

اعتقل للمرة الثانية أواخر عام ١٩٥٤ حيث حوكم وصدر
عليه الحكم بالإعدام ثم خفف إلى المؤبد .

نقل بعد عام من السجن إلى الإقامة الجبرية لإصابته
بالنذبة ولكبر سنه .

رفعت عنه الإقامة الجبرية عام ١٩٦١ .

أعيد اعتقاله يوم ٢٣-٨-١٩٦٥ في الإسكندرية وحوكم
بإحياء التنظيم ، وصدر عليه الحكم بالسجن ثلاث سنوات
على الرغم من أنه قد جاوز السبعين ، أُخرج لمدة خمسة
عشر يوماً إلى المستشفى ثم إلى داره ، ثم أعيد لإتمام مدة
سجنه .

مُددت مدة السجن بعد انتهاء المدة حتى تاريخ ١٥
أكتوبر ١٩٧١ حيث تم الإفراج عنه (الموسوعة الحرة / ٢٩٠)
فأقام منزلياً في داره بالقاهرة إلى أن توفى (الأعلام / ٢
٢٢٥) .

انتقل إلى رحمة ربه تعالى في الساعة السابعة صباح يوم
الخميس ١٤ شوال ١٣٩٣ الموافق ١١ نوفمبر ٢ تشرين الثاني
١٩٧٣ .

من آثاره :

- دعاة لا قضاة .

- الإسلام واللغة (مجموعة كتابات جمعها أسعد سيد
أحمد) (الموسوعة الحرة / ٢٩٠-٢٩٥) .

البومستوى في مدينة « سراي » وأخذ العلم والتصوف عن
« تركلي دده » وحضر دروسه في « المنشوي » ثم رحل إلى
استانبول فأخذ إجازة الإرشاد ثم سافر إلى « قونية » وزار قبر
جلال الدين الرومي ، ثم توجه إلى مصر ، فلما وصلها عيّن
بها شيخاً للطريقة المولوية ففوض بقية عمره في تدريس
المنشوي ، ووعظ الناس ، ثم رجع إلى استانبول لشغل ظهر
له ، فأدركه الوفاة بها سنة خمس وعشرين ومائة وألف وله
أشعار باللغة التركية ذكر أمثلة منها شيخى زاده في ذيله .

(المخارن من الجوهر الأسنى في تراجم علماء شعره بوسنة
للخاني / ١٠٧ ، ١٠٨) .

• حسن الهضيبي (١٢٠٨-١٢٩٣ هـ / ١٨٩١-١٩٧٣ م) :

ولد حسن الهضيبي في عرب الصوالحة مركز شبين القناطر
سنة ١٣٠٩ هجرية الموافق لشهر ديسمبر ١٨٩١ ميلادية .
قرأ القرآن في كتاب القرية .

التحق بعدها بالأزهر لما كان يلوح فيه من روح دينية وتقى
مبكر .

ثم تحول إلى المدرسة العلمية حيث حصل على الشهادة
الابتدائية عام ١٩٠٧ .

التحق بالمدرسة الخديوية الثانوية حصل على شهادة
البكالوريا عام ١٩١١ .

التحق بمدرسة الحقوق وتخرج منها عام ١٩١٥ .

قضى فترة التمرين بالمحاماة في القاهرة حيث تدرج
محامياً .

عمل في حقل المحاماة في مركز « شبين القناطر » لفترة
قصيرة ، ورحل منها إلى سوهاج لأول مرة في حياته دون سابق
علم بها ودون أن يعرفه فيها أحد ، وبقي فيها حتى عام ١٩٢٤
حيث التحق بسلك القضاء .

كان أول عمله بالقضاء في « قنا » وانتقل إلى « نجع
حمادى » عام ١٩٢٥ ثم إلى « المنصورة » عام ١٩٣٠ ، وبقي
في « المنيا » سنة واحدة ، ثم انتقل إلى أسيوط فالزقازيق
فالجيزة عام ١٩٣٣ حيث استقر سكنه بعدها بالقاهرة .

الترمذي وصححه (تيسر الوصول ٣ / ٢٤١) .
قال الحافظ السيوطي : حديث « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة » .
أخرجه أحمد، والترمذي عن أبي سعيد .
والترمذي عن حذيفة بن اليمان .



والطبراني عن عمر بن الخطاب وعلى وجابر بن عبد الله
والحسين بن علي وأسماء بن زيد والبراء بن عازب وقرة بن
إياد ومالك بن الحويرث وأبي هريرة .
وابن عدي عن ابن عمر وابن مسعود وأنس .
وابن عساكر عن يريدة وابن عباس (الأعلام المتأخرة / ٢٧١) .
٧ - وعن عبد الله بن شداد عن أبيه رضي الله عنه قال

(الموسوعة الحركية - بإشراف فتحي يكن / ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩٥ ،
والأعلام للزركلي ٢ / ٢٢٥) وقد أدرجه تحت اسم « الهضيبي » .

« الحسن والحسين رضي الله عنهما »

١ - عن البراء رضي الله عنه قال : « رأيت رسول الله
ﷺ ، والحسن على عاتقه ، يقول : اللهم إني أحبه فأحبه »
أخرجه الشيخان والترمذي .

٢ - وفي رواية للترمذي : « أن
النبي ﷺ أبصر حسنا وحسينا فقال :
اللهم إني أحبهما فأحبهما » .

٣ - وعن عتبة بن الحارث رضي
الله عنه قال : « صلى أبو بكر رضي
الله عنه صلاة العصر ثم خرج يمشي
ومعه علي ، فرأى الحسن يلبس مع
الصبيان ، فحملة على عاتقه وقال :
يا بني ، شبيه بالنبي ليس شبيهاً بعلي .
وعلى رضي الله عنه يضحك » أخرجه
البخاري .

٤ - وعن أنس رضي الله عنه قال :
« سئل النبي ﷺ ، أي أهل بيتك أحب
إليك ؟ قال : الحسن والحسين ،
وكان يقول لفاطمة : ادعي لي ابني
فيضمهما ويضمهما إليهما رضي الله
عنهما » أخرجه الترمذي .

٥ - وعن علي بن مرة قال : « قال
رسول الله ﷺ : حسين مني وأنا من
حسين ، أحب الله تعالى من أحب حسينا ، حسين مبطل من
الأسباط » أخرجه الترمذي .

(البطل) ولد الولد ، وأسباط بنو إسرائيل أولاد يعقوب
وهم فيهم كالتبائن في العرب ، وقد جعل النبي ﷺ : حسينا
واحداً من أولاد الأنبياء .

٦ - وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال : « قال رسول الله
ﷺ : الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة » أخرجه

ليلة ، ولم يكن بينهما إلا طهر واحد (الاولى المكتون / ٦٠) .
ملاحظة : الصورة المصاحبة لهذه المادة أخذت من
كتاب « بلائع المخط العربي » - ناجي زين الدين المصرف /
٢٠٨ .

(تيسير الوصول إلى جامع الأصول للإمام ابن القيم الشيباني / ٣
٢٤١ ، ٢٤٢ ، والأثرار المتناثرة في الأخبار المتواترة للإمام الحافظ جلال
الدين السيوطي - قدم له وأتمه الشيخ أحمد حسن جابر رجب . مجلة
مجلة الأزهر . صفر ١٤٠٩ هـ / ٧١ ، و ١ الذيل المكتون من بحر
العلامة سيدي محمد كنون - الحاج أحمد بن شقرون . مجلة الإحياء
التي تصدرها رابطة علماء المغرب . م ٢ - محرم - جمادى الثانية
١٤٠٧ هـ - نوفمبر - إبريل ١٩٨٧ م / ٦٠ .

انظر أيضا المحشون في مصر والأزهر ، د . الحسين هاشم ، و ١ .
د أحمد عمر هاشم / ٢٢٥ ، وفصائل الصحابة للإمام الحافظ أحمد بن
شمس المعروف بالنسائي / ١٩ - ٢١ .

انظر : الحسن بن علي رضي الله عنه ، الحسين بن علي
رضي الله عنه .

« الحسن والفتح »

الحسن بالهمس وسكون السين يطلق في صرف العلماء
على ثلاثة معان لا أزيد وكلها فسد الحسن وهو الفتح :
الأول : كون الشيء ملاماً للطبع وفسده القبح بمعنى كونه
منافراً له فما كان ملاماً للطبع حسن كالحلو ، وما كان منافراً
قبيح كالمر وما ليس شيئاً منهما فليس بحسن ولا قبيح كأمثال
الله تعالى لتزوجه عن الغرض وفسرها البعض بموافقة الغرض
ومخالفته فما وافق الغرض حسن وما خالفه قبيح وما ليس
كذلك فليس حسناً ولا قبيحاً وقد يعبر عنهما باشتماله على
المصلحة والمفسدة فما فيه مصلحة حسن وما فيه مفسدة
قبيح وما ليس كذلك فليس حسناً ولا قبيحاً ومآل العبارات
الثلاث واحد فإن الموافق للغرض فيه مصلحة لصاحبه وملائم
لطبيعته لميله إليه بسبب اعتقاد النعم والمخالف له مفسدة له
غير ملائم لطبيعته وليس المراد بالطبع المزاج حتى يرد أن
الموافق للغرض قد يكون منافراً للطبع كالدرء الكرية للمرغض
بل الطبيعة الإنسانية الجالبة للمنافع والدافعة للمضار :

« خرج علينا رسول الله ﷺ في إحدى صلاتي العشاء وهو
حامل حسناً أو حسينا ، فقدم التي ﷺ فوضعه ثم كبر
للصلاة لمسجد بين ظهراني صلته مسجدة أطالها قال أبي
فرفعت رأسي فإذا الصبي على ظهر رسول الله ﷺ وهو ساجد
فرجعت إلى سجودي . فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قيل
يا رسول الله : إنك سجدت بين ظهراني صلاتك مسجدة
أطالها حتى قلنا أنه قد حدث أمر أو أنه يوحى إليك . قال :
كل ذلك لم يكن ، ولكن ابني ارتحلني فكوهت أن أصجله
حتى يقضى حاجته » أخرجه النسائي .

٨ - وعن سلمى امرأة من الأنصار قالت : « دخلت على
أم سلمة رضي الله عنها وهي تبكي فقلت : ما يبكيك .
قالت : رأيت الآن رسول الله ﷺ في المنام وعلى رأسه ولحيته
التراب . فقلت : ما لك يا رسول الله ؟ قال : شهدت قتل
الحسين أنفا » أخرجه الترمذي .

٩ - وعن عمارة بن عمار قال : « لما جرى برأس عبيد الله
ابن زياد وأصحابه نُفِدت رؤوسهم في المسجد في الرحبة
فانتبهت إليهم وهم يقولون : قد جاءت قد جاءت فلأخذه قد
جاءت ، فجعلت تخلل الرؤوس حتى دخلت في منخر عبيد
الله بن زياد فمكنت هنيئة ثم خرعت فلبعت ثم عادت
فدخلت فيه ، ففعلت ذلك مرتين أو ثلاثاً . أخرجه الترمذي
وصححه .

نضلت : أي جعل بعضها فوق بعض مرتباً (تيسير الوصول
٣ / ٢٤١ ، ٢٤٢) .

ومن المقتطفات التي أوردها الأستاذ الحاج أحمد بن
شقرون من كتاب العلامة سيدي محمد كنون (بالجم
المغربية) قوله :

قد اشتهر على الألسنة أن الحسين رضي الله عنهما توأمان
، وليس الأمر كذلك ، فإن سيدنا الحسن ، ولد في نصف
رمضان ، سنة ثلاث من الهجرة ، على الأصح ومات سنة
خمس ، على ما عليه الأكثر ، وسيدنا الحسين ، ولد
لخمس خلون من شعبان ، سنة أربع على الأصح ، علفت
به مولاتنا فاطمة رضي الله عنها بعد ولادة الحسن بخمسين

تمالى حسنا بعد ورود الشرع وقبله إذا لا خرج فيه مطلقا وإما على تفسير من قال الحسن ما أمر الشارع بالثناء على فاعله والقبح ما أمر بدم فاعله فإنما يكون حسنا بعد ورود الشرع لأنه تمالى أمر بالثناء على فاعله لا قبله إذ لا أمر حيثل اللهم إلا أن يقال الأمر قديم ورد أو لم يرد وهذا التفسير راجع إلى تفسير الأشعري أيضا كما لا يخفى .

اعلم أن فعل العبد قبل ورود الشرع حسن بمعنى ما لا خرج فيه وواسطة بينهما على تفسير الأشعري وهذا التفسير الأخير، وأما بعد ورود الشرع فهو إما حسن أو قبيح أو واسطة على جميع التقامير وبعض المعتزلة عرف الحسن بما يمدح على فعله شرعا أو عقلا والقبح بما يذم عليه فاعله ولا شك أنه مساو للتعريف الأول إلا أن بيني التعريف الأول على مذهب الأشعري .

وبعضهم عرّف الحسن بما يكون للقادر العالم بحاله أن يفعله والقبح بما ليس للقادر العالم بحاله أن يفعله . القادر استرزا عن فعل العاجز والمضطّر فإنه لا يوصف بحسن ولا قبيح وقيد العالم لينفخ عنه فعل المجنون والمحرمات الصادرة عن لم يبلغه دعوة نبي أو عمن هو قريب العهد بالإسلام والمراد بقوله أن يفعله أن يكون الإقدام عليه ملائما للمقل وقس عليه القبيح فالحسن على هذا يشتمل الواجب والمندوب والمباح والقبيح يشتمل المحرم والمكروه وهو أيضا راجع إلى الأول وبالعجالة فمرجع الجميع إلى أمر واحد وهو أن القبيح ما يتعلق به الذم والحسن ما ليس كذلك أو ما يتعلق به الممدح فليسير ولا تكن ممن يتوهم من اختلاف العبارات اختلاف المعبروات من أن المعاني للحسن والقبح أزيد من الثلاثة .

اعلم أن الحسن والقبح بالمعنيين الأولين يشبان بالمقل اتفاقا من الأشاعرة والمعتزلة وأما بالمعنى الثالث فقد اختلفوا فيه وحاصل الاختلاف أن الأشعرية وبعض الحنفية يقولون إنه ما أمر به فحسن وما نهى عنه فقبيح فالحسن والقبح من آثار الأمر والنهي وبالضرورة لا يمكن إدراكه قبل الشرع أصلا وغيرهم يقولون إن حسن فأمر به وقبيح فنهى عنه

والثاني كون الشيء صفة كمال وضده القبح وهو كونه صفة نقصان فما يكون صفة كمال كالمعلم حسن وما يكون صفة نقصان كالجهل قبيح . وبالنظر إلى هذا فسر الصوفية بجمعية الكمالات في ذات واحدة وهذا لا يكون إلا في ذات الحق سبحانه كما وقع في بعض الرسائل .

والثالث : كون الشيء متعلق الممدح وضده القبح بمعنى كونه متعلق الذم فما يتعلق به الممدح يسمى حسنا وما يتعلق به الذم يسمى قبيحا وما لا يتعلق به شيء منهما فهو خارج عنهما وهذا يشتمل أفعال الله تعالى أيضا ولو أريد تخصيصه بأفعال العباد قيل الحسن كون الشيء متعلق الممدح عاجلا والثواب آجلا أى في الآخرة والقبح كونه متعلق الذم عاجلا والعقاب آجلا فالطاعة حسنة والمعصية قبيحة و المباح والمكروه وأفعال بعض غير المكلفين مثل المجنون والبهائم واسطة بينهما . وأما فعل الصبي فقد يكون حسنا كالأواجب والمندوب وقد يكون واسطة هذا وكذا الحاصل عند من فسر الحسن بما أمر به والقبح بما نهى عنه فإنه أيضا مختص بأفعال العباد راجع إلى الأول لأن هذا تفسير الأشعري المذهب إلى كون الحسن والقبح شرعيين إلا أن الحسن على هذا هو الواجب والمندوب والقبح هو الحرام وأما المباح والمكروه وفعل غير المكلف كالصبيان والمجانين والبهائم فواسطة بينهما إذ لا أمر ولا نهى هناك .

وقال صدر الشريعة : الأمر أهم من أن يكون للإيجاب أو للإباحة أو للندب فالإباحة حسن وفيه أن المباح ليس بأمور به عنده فكيف يدخل في الحسن وقيل الحسن ما لا خرج في فعله والقبح ما فيه خرج فعلى هذا المباح وفعل غير المكلف حسن إذ لا خرج في الفعل والقبح هو المحرم لا غير وأما المكروه فلا خرج في فعله فينبغي أن يكون حسنا اللهم إلا أن يقال عدم لحوق الممدح الذمى في الترتك خرج في الفعل فيكون قبيحا والخرج إن فسر باستحقاق الذم يكون هذا التفسير راجعا إلى الأول إلا أنه لا تتصور الوسطة بينهما حيثل وإن فسر باستحقاق الذم شرعا يكون راجعا إلى تفسير الأشعري إلا أنه لا تتصور الوسطة حيثل أيضا ويكون فعل الله

فالحسن والقيح ثابتان للمأمور به والمنهى عنه في - أنفسهما قبل ورود الشرع والأمر والنهي يدلان عليه دلالة المقتضى على المقتضى .

ثم المعتزلة يقولون إن جميع المأمورات بها حسنة والمنهيات عنها قبيحة في أنفسهما والعقل يحكم بالحسن والقيح لإجمالا وقد يطلع على تفصيل ذلك إما بالضرورة أو بالنظر وقد لا يطلع . وكثير من الحنفية يقولون بالتفصيل فبعض المأمورات والمنهيات حسنها وقبحها في أنفسهما وبعضها بالأمر والنهي هذا هو الملكور في أكثر الكتب . وفي الكشف نقلا عن القواطع أن أكثر الحنفية والمعتزلة متفقون على القول بالتفصيل هذا كله خلاصة ما في شرح المواقف والمعضدي وحواشيه والتلويح وحاشيته للمولوي عبد الحكيم

فاذلة : قال المعتزلة ما تدرك جهة حسنة أو قبيحة بالعقل من الأفعال الغير الاصطلاحية ينقسم إلى الأقسام الخمسة لأنه إن اشتمل تركه على منفعة فواجب وإن اشتمل فعله على مفسدة فحرام وإلا فإن اشتمل فعله على مصلحة فمستحب وإن اشتمل تركه على مصلحة فمكروه وإلا أي وإن لم يشتمل شيئا من طرفيه على مفسدة ولا مصلحة فمباح وأما ما لا تدرك جهة حسنة أو قبيحة بالعقل فلا يحكم فيه قبل ورود الشرع بحكم خاص تفصيلي في فعل وإما على سبيل الإجمال في جميع تلك الأفعال فليل بالحظر أي الحرمة والإباحة والتوقف وبالجمله فإذا لوحظت خصوصيات تلك الأفعال لم يحكم فيها بحكم خاص وأما إذا لوحظت بهذا العنوان أي بكونها مما لا يدرك العقل جهة حسنها وقبحها فيحكم فيها بالاختلاف الملكور وهذا الحكم كالحكم بأن كل مؤمن في الجنة وكل كافر في النار مع التوقف في المعين منهما فاندفع ما قيل عدم إدراك الجهة يقتضى التوقف فكيف قيل بالحظر والإباحة .

وأما الأشاعرة فلما حكموا بأن الحاكم بالحسن والقيح هو الشرع لا العقل فلا تثبت الأحكام الخمسة المذكورة عندهم للأفعال قبل ورود الشرع كذا في شرح المواقف .

فاذلة : المأمور به في صفة الحسن نوعان حسن لمعنى في نفسه ويسمى حسنا لمعنه أيضا وحسن لمعنى في غيره ويسمى حسنا لغيره ومن الحسن لغيره نوع يسمى بالجامع وهو

ما يكون حسنا لحسن في شرطه بعد ما كان حسنا لمعنى في نفسه أو لغيره وهي القدرة التي بها يتمكن العبد من أداء ما لزمه فإن وجوب أداء العبادة يتوقف على القدرة كتوقف وجوب السعي على وجوب الجمعة فصار حسنا لغيره مع كونه حسنا لذاته (كشف اصطلاحات الفنون ١ / ٣٨٤-٣٨٦) .

وفي مناقشته للعقيدة عند ابن القيم ، وهو محور كتابه النفيس ، يتناول الأستاذ الدكتور عبد العظيم عبد السلام شرف الدين موضوع الحسن والقيح ، أو الحسن والقيح ، فيلكر مواقف علماء الكلام ، ثم موقف ابن القيم ، مما نقله لك فيما يلي يقول المؤلف :

سادسا : ابن القيم والحسن والقيح :

ما الحسن وما القبيح ؟ الاصطلاحات في الحسن والقيح ثلاثة :

موقف علماء الكلام من الحسن والقيح : موقف المعتزلة . موقف الأشاعرة موقف الماتريدية . موقف ابن القيم ومواقفه الماتريدية أدلة ابن القيم على ملهه ، تعقيب . ما الحسن وما القبيح :

الحسن من أفعال العباد ما يكون متعلق الملاح في العاجل والثواب في الآجل ويقع برضاء الله تعالى .

والقيح ما يكون متعلق السلم في العاجل والعقاب في الآجل ، ولا يرضى عنه الله كالكفر ، قال تعالى ﴿ ولا يرضى لعباده الكفر ﴾ [الزمر : ٧] .

الاصطلاحات في الحسن والقيح ثلاثة :

وهناك اصطلاحات ثلاثة في إطلاق لفظ الحسن والقيح :-

الاصطلاح الأول : الأفعال تنقسم إلى ما يوافق غرض الفاعل ، وإلى ما يخالفه وإلى ما لا يوافق ولا يخالف ، فالموافق يسمى حسنا ، والمخالف يسمى قبيحا ، والثالث يسمى عيشا ، ولم يرض الغزالي عن هذا الاصطلاح وقال : ودعني هذا الاصطلاح إذا كان الفعل موافقا لشخص مخالفنا لأخر فهو حسن في حق من وافقه قبيح في حق من مخالفه ؛ حتى أن قتل الملك الكبير يكون حسنا في حق أعدائه قبيحا في حق أوليائه ، فأطلاق اسم الحسن والقيح على الأفعال

«المعارف كلها مقبولة بالمقل وأجبة بنظر العقل ، وشكر المنعم واجب قبل ورود السمح ، والحسن والقبح صفتان ذاتيتان للحسن والقبيح .

(الملل والنحل ١ / ٥٣ والمراد بأهل العدل : المعتزلة ومذهبهم قائم على أصول خمسة : « التوحيد ، والعدل ، والوعد والوعيد ، والمعتزلة بين المعتزتين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وقد بناوا على التوحيد استحالة رؤية الله لأنها تقتضي الجسمية والجهة وأن الصفات ليست شيئا غير الذات . وإلا تعدد القدماء ، وأن القرآن مخلوق ؛ لأنهم نفوا صفة الكلام عن الله . والمراد بالعدل أن الله لا يحب الفساد ، ولا يخلق أفعال العباد بل العباد يخلقون أفعالهم بقدره أودعها الله فيهم ليتم التكليف ، وأن الله لا يأمر إلا بما أراد ، ولا ينهى إلا عما كره . وأما الوعد والوعيد فهو مجازاة المحسن على إحسانه والمسيء على إساءته ، وأما المعتزلة بين المعتزتين فهي للفاسق فهو مؤمن لأنه لم يجمع غصائل الخير ، وليس كافرا لأنه يشهد بالله ، ويقوم بأعمال الخير ، وإذا خرج من الدنيا على كبيرة من غير توبة فهو من أهل النار ، وتكون درجته فوق دركة الكفار . وأما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهما واجبان على المؤمنين نشرنا لدعوة الإسلام . انظر الانتصار لأبي الحسين الخياط ، ومقالات الإسلاميين للأشعري ، والملل والنحل للشهرستاني ١ / ٥٥ ، ٥٦ ومروج الذهب للمسعودي ٢ / ١٩٠ ، ١٩١) .

ومن نادى بهذه النظرية من المعتزلة أبو الهذيل العلاف ، فقد أوجب على العقل معرفة الله والإقدام على الحسن والقبيح ولو لم يرد بهما شرع قال الشهرستاني معددا القواعد التي أخذ بها أبو الهذيل : « السابعة قوله في الفكر قبل ورود السمح إنه يجب عليه أن يعرف الله تعالى بالدليل من غير خباطر ، وإن قصر في المعرفة استوجب العقوبة أبدا ، ويعلم أيضا حسن الحسن وقبح القبيح فيجب عليه الإقدام على الحسن كالصدق والعدل والأعراض عن القبيح كالكذب والجور » (الملل والنحل ١ / ٦٥) .

وقال ابن القيم : « والمعتزلة تقول : قبحها والمقاب عليها ثابتان بالعقل » (مدخل السالكين ١ / ١٢٧) . وأقوى ما تمسك به المعتزلة من الأدلة على هذه النظرية أن الناس قبل الشرع كانت

عند هؤلاء كإطلاقه على الصور ، فمن مال طبعه إلى صورة أو صوت شخص قضى بحسنه ، ومن نفر طبعه عن شخص استقبحه ، فالحسن والقبح عند هؤلاء عبارة عن الموافقة والمنافرة ، وهما أمران إضافيان ، لا كالسواد والبياض ، إذ لا يتصور أن يكون الشيء أسود في حق زيد ، وأبيض في حق عمرو » (المستصفى للنزائي ١ / ٥٦) .

الاصطلاح الثاني : إطلاق الحسن على ما حسنه الشرع بالثناء على فاعله ، فيكون فعل الله تعالى حسنا في كل حال خالف الغرض ، أو وافقه ، يكون المأمور به شرعا ندبا كان أو إيجابا حسنا ، والمباح لا يكون حسنا .

الاصطلاح الثالث : إطلاق الحسن على كل ما لفاعله أن يفعله ، فيكون المباح حسنا مع المأمورات ، وفعل الله يكون حسنا على كل حال (المستصفى للنزائي ١ / ٥٦) . موقف علماء الكلام من الحسن والقبح :

من المسائل التي شغلت الأذهان ، ودرست في علم الكلام مسألة الحسن والقبح ، وقد أثارها المعتزلة ، وجروا فيها شوطا بعيدا ، ومن المحتمل قبل بيان موقف ابن القيم منها أن نشير إلى رأى المعتزلة ثم الأشعرية ، ثم الماتريدية ثم نعلق عليها برأى ابن القيم مع مقارنته بكل من هذه الآراء : موقف المعتزلة :

أما المعتزلة فيرون أن الحسن والقبح ذاتيان في الأفعال ، فالصدق والشجاعة والكرم ، والعفة الحسن فيها ذاتي ، والكذب ، والجبن ، والبخل القبح فيها ذاتي بمعنى أن حسنهما يرجع إلى صفة فيها وقبحها يرجع إلى صفة فيها ، والشرع يأمر بالفعل لما فيه من حسن ، وينهى عنه لما فيه من قبح ، فأمره بالمحافظة على الأتفس والأعراض والأسواق لما في كل منها من حسن ، ونهيه عن القتل والسرقة لما في كل منها من قبح ، فصفة الحسن ثابتة في الفعل ، والعقل يستحسن الفعل لصفة الحسن التي فيه ، والشرع يأمر به لهذه الصفة ، وصفة القبح ثابتة في الفعل القبيح ، والعقل يدرك هذه الصفة ، فيستقبحه ، والشرع ينهى عنه لهذه الصفة ، وقد رتب المعتزلة على هذا أن الإنسان مكلف قبل الشرع بما دل عليه العقل كشكر المنعم ، ومكلف بمكارم الأخلاق ، ولو لم يصل إليه شرع . قال الشهرستاني : وقال أهل العدل :

موقف الماتريدية :

أما الماتريدية فيرون أن الحسن والقبح عقليان أى يدرك العقل حسن الحسن وقبح القبح ، وهم فى هذا يفتقون مع المعتزلة ، ويخالفون الأشعرية الثلاثة للحسن والقبح اللذتين ، ويخالفون المعتزلة فى قولهم بتوقف الثواب والعقاب على الشرع ، إذ المعتزلة يقولون : « إن الثواب والعقاب عقليان يجبان بالعقل قبل ورود الشرع » .

قال صاحب فوائد الرحمت : « وعندنا معشر الماتريدية والمصوفية ، الكرام من أهل السنة معظم والجماعة وعند المعتزلة عقلى أى لا يتوقف على الشرع ، لكن عندنا من متأخري الماتريدية لا يستلزم هذا الحسن والقبح حكما من الله سبحانه فى العبد ، بل يصير موجبا لاستحقاق الحكم من الحكيم الذى لا يرجع المرجوح ، فالحاكم هو الله تعالى ، والكاشف هو الشرع فما لم يحكم الله تعالى بإرسال الرسل وإنزال المخطاب ليس هناك حكم أصلا ، فلا يعاقب بترك الأحكام فى زمان الفترة ومن هاهنا اشتراطنا بلوغ الدعوة فى تعلق التكليف فالكافر الذى لم تبلغه الدعوة غير مكلف بالإيمان أيضا ، ولا يؤخذ بكفره فى الآخرة » (فوائد لرحمت على مسلم القيوت ١ / ٢٥ ، الطبعة الأولى بمطبعة الأميرية سنة ١٣٢٢هـ) .

فهذا يثبذ أن الحسن والقبح عندهم عقليان ، وأن الثواب والعقاب شرعيان ، وهذا ما يراه ابن القيم كما يظهر فيما يأتى :

موقف ابن القيم :

أما ابن القيم فلم يرض عن مسلك المعتزلة ، لأنهم رتبوا الثواب والعقاب على الحسن والقبح عقلا ، ولم يرتبوه على أمر الشرع ، ونفيه ، ولم يرض عن مسلك الأشعرية النازئين للحسن والقبح العقليين ، فلم يمجبه ترتب الثواب والعقاب على الحسن والقبح العقليين ، كما لم يمجبه نفي الحسن والقبح عن طريق العقل ، وهو ما ذهب إليه الأشعرية ، وقد أبطل هذا الاتجاه فى كتبه « مفتاح دار السعادة » و « مدارج السالكين » و « شفاء العليل » و « تحفة النازئين بجوار رب العالمين » . وقد تحاشى انتقص الذى وجد فى كل من الاتجاهين وكان رأيه يعتمد على أمرين :

تتحاكم إلى العقل ، وكانوا يستعينون فى أحكامهم بما فى الأشياء من حسن وقبح ذاتيين ، فإنقاذ الغرقى ، وتخليص الهلكى حسن ولو لم يرد به شرع ، والقلم والبخل قبيحان ولو لم يرد بهما شرع (ضى الإسلام ٣ / ٤٨) .

موقف الأشاعرة :

أما الأشاعرة فيرون أن الحسن ما ورد الشرع بالثناء على فاعله ، والقبح ما ورد الشرع بدم فاعله ، فالحسن يتبع أمر الشرع والقبح يتبع نهيه ، فهم يغنون الحسن والقبح اللذتين ، والأفعال حسنة لأمر الله بها وقبيحة لنهيها عنها ، وهذا الأمر والنهى يثبتان الحسن والقبح فى الأفعال أما المعتزلة فيرون أن الأمر والنهى يغير عن الحسن والقبح ولا يثبت واحدة منهما (ضى الإسلام ٣ / ٤٩) .

قال صاحب فوائد الرحمت فى شرحه مسلم الثبوت : « فعند الأشاعرة الثنايين للشيخ أبى الحسن الأشعرى المعدودين من جملة أهل السنة أيضا شرعى ، أى يجعله إياه متصفا بهما فقط لا غير من غير حكمة وصلاح للفعل فما أمر به الشارع حسن ، وما نهى عنه قبيح ، ولو انعكس الأمر أى أمر الشارع لانعكس الأمر أى أمر الحسن والقبح فيصير ما كان حسنا قبيحا وبالعكس » (فوائد الرحمت ١ / ٢٥ ، والبراد يجعله إياه أى يجعل الله العمل متصفا بالحسن والقبح) .

قال ابن القيم : « فالثلاثة يقولون : ليست فى ذاتها قبيحة وقبيحا والعقاب عليهما إنما ينشأ بالشرع » (مدارج السالكين ١ / ١٢٧ ، الطبعة الأولى بمطبعة المنارة سنة ١٣٣١) .

وقد أبطل الأشعرية ما تمسك به المعتزلة من استحسان واستقبح قبل الشرع بأن كلا من الاستحسان والاستقبح يرجع إلى شرائع سابقة أو عادات مألوفة ، فلو خلق إنسان كامل العقل تام الفطرة دون أن يتخلق بأخلاق قوم ويتأبد بأداب الأيوين ، ولا ترى تربية الشرع ، ولا تعلم من معلم ، ثم عرض عليه أمران : أحدهما : أن الاثنين أكبر من الواحد ، والثانى : أن الكلب قبيح لم يتوقف فى الأول ، وتوقف فى الثانى ، وهذا يدل على أن الاستحسان والاستقبح يرجعان إلى عادات الناس من تسمية ما ينضمهم حسنا وما يضرهم قبيحا » (ضى الإسلام ٣ / ٤٩ ، ٥٠) .

أولاً : الحسن والقيح في الأفعال عقليان يتزكهما العقل ، والله فطر عباده على استحسان الصدق ، والمعدل ، والعفة ، والإحسان ، ومقاومة التعمم بالشكر وفطرهم على استنباح أصدادها ، وبلا سلم من الطعن الذي وجهه إلى الأشعرية .
ثانياً : الثواب والعقاب شرعيان يتوقفان على أمر الشارع ، ونهيه ، ولا يجبان عن طريق العقل كما ذهب المعتزلة .

قال ابن القيم : « والحق السدى لا يجد التناقض إليه السبيل أن الأفعال على نفسها حسنة وقيحة كما أنها نافعة وضارة ، ولكن لا يترتب عليها ثواب ولا عقاب إلا بالأمر والنهي ، وقبل ورود الأمر والنهي لا يكون العمل القبيح موجبا للعقاب مع قبحه في نفسه ، بل هو في غاية القبح ، والله لا يعاقب عليه إلا بعد إرسال الرسل ، فالسجود للشيطان والأوثان ، والكذب ، والزنى ، والظلم والفاخش كلها قبيحة في ذاتها ، والعقاب عليها مشروط بالشرع » [مدارج السالكين ١ / ١٢٧] .

وقال : « فإن الله سبحانه إنما أقام المحجة على العباد برسله قال تعالى : ﴿ رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ فهذا صريح بأن المحجة إنما قامت بالرسل وأنه بعد مجيئهم لا يكون للناس على الله حجة ، وهذا يدل على أنه لا يعاقبهم قبل مجيء الرسل إليهم ، لأن المحجة حينئذ لم تقدم عليهم ، فالصواب في المسألة إثبات الحسن والقيح عقلا ونفى التعذيب على ذلك إلا بعد بعثة الرسل ، فالحسن العقلي لا يستلزم الثواب وإنما يستلزمه اتباع المرسلين ، والقيح العقلي لا يستلزم التعذيب وإنما تستلزمه مخالفة المرسلين » [مفتاح السعادة ٢ / ٤٢] .

من هذا ترى أن ابن القيم يتفق مع الماتريدية فالثواب والعقاب عندهم شرعي كما هما عند ابن القيم .
أدلته على مذهبه :

ولم يفت ابن القيم أن يستدل على مذهبه في مسألة الحسن والقيح ، وقد اتخذ من القرآن مادة للتدليل على شطرنى دعواه قال : « وقد دل القرآن على أنه لا يعاقب إلا بإرسال الرسل ، وأن الفعل في نفسه حسن وقيح ، ونحن نبين دلالته على الأمرين : أما الأول ففي قوله تعالى : ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ [الإسراء : ١٥] وفي قوله تعالى

﴿ رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ [النساء : ١٦٥] وفي قوله تعالى : ﴿ كلما ألغى فيهما فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير ﴾ قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ﴾ [المك : ٨ ، ٩] فلن يسألهم عن مخالفتهم للعقل ، بل للشر ، وبذلك دخلوا النار ، وقال تعالى : ﴿ يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا ﴾ [الأنعام : ١٣٠] ثم قال في الأنعام بعدها : ﴿ ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم أهلها غافلون ﴾ [الأنعام : ١٣١] وعلى أحد القولين وهو أن يكون المعنى لم يهلكهم بظلمهم قبل إرسال الرسل ، فتكون الآية دالة على الأصلين : أن أفعالهم وشركهم ظلم قبيح قبل البعثة ، وأنه لا يعاقبهم عليه إلا بعد الإرسال ، وتكون هذه الآية في دلالتها على الأمرين نظير الآية التي في القصص : ﴿ ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم يقولوا ربنا لولا أرسلنا رسولا ففتنح آياتك وتكون من المؤمنين ﴾ [القصص : ٤٧] فهذا يدل على أن ما قدمت أيديهم سبب لنزول المصيبة بهم ، ولولا قبحه لم يكن سببا ، لكن امتنع إصابة المصيبة لانتفاء شرطها وهو عدم مجيء الرسل إليهم ، فمذ جاء الرسول انتقد السبب ، ووجد الشرط ، فأصابهم ميثاق ما عملوا ، وأما الأمر الثاني وهو دلالة على أن الفعل في نفسه حسن وقيح فكثير جدا كقوله تعالى : ﴿ وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء اتقولون على الله ما لا تعلمون ﴾ قل أمر ربي بالقسط ... ﴿ إلى قوله تعالى : ﴿ قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق وأن تشرکوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾ [الأعراف : ٢٨] - ٢٣ ﴾ فأخبر سبحانه أن فعلهم فاحشة قبل نهي عنه وأمره بأخذ الزينة .

وقال تعالى : ﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ﴾ [الأعراف : ٣٢] دل على أنه طيب قبل التحريم وأن وصف الطيب فيه ممانع من تحريمه ، فتحريمه منافع للحكمة ... فالظلم ظلم في نفسه قبل النهي ويعد ، والقيح قبيح في نفسه قبل النهي ويعد ، والفاحشة كذلك ، وكذلك الشرك ، لا أن هذه الحقائق صارت بالشرع

كذلك ، نعم الشارع كسما بنهي عنها قبحا إلى قبحها فكان قبحها في ذاتها ، وإزدادت قبحا عند العقل بنهي الرب تعالى عنها ، وذمه لها ، وإخراجه ببغضها وبغض فاعلها ، كما أن العدل ، والصدق والتوحيد ومقابلة نعم الممتع بالثناء والشكر حسن في نفسه ، وإزداد حسنا إلى حسنه بأمر الرب به ، وثناؤه على فاعله ، وإخراجه بمحبة ذلك ومحبة فاعله ، بل من أعلام نبوة محمد ﷺ أنه يأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ؛ ولهذا قيل لبعض الأعراب وقد أسلم لما عرف دعوتهم ﷺ : «عن أي شيء أسلمت ؟ وما رأيت منه مما ذلك على أنه رسول الله ؟ قال : ما أمر بشيء فقال العقل : ليته نهى عنه ، ولا نهى عن شيء فقال العقل : ليته أمر به ، ولا أحل شيئا فقال العقل : ليته حرمه ، ولا حرم شيئا فقال العقل : ليته أباحه » .

فانظر إلى هذا الأعرابي ، وصحة عقله ، وفطرته ، وقوة إيمانه ، واستدلاله على صحة دعوتهم بمطابقة أمره لكل ما هو حسن في العقل ، ومطابقة نهيه لما هو قبيح في العقل ، وكذلك مطابقة تحليله وتحريمه ، ولو كانت جهة الحسن والقيس والطيب والخير مجرد تعلق الأمر والنهي والإباحة والتحريم به لم يحسن منه هذا الجواب ، ولكن بمنزلة أن يقول : «وجلدته بأمر ، ونهيتي ويبيح ، ويحرم وأي دليل في هذا ؟ » .

كذلك قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ ، ونهيتي عن الفحشاء والمنكر والبغى ﴿[النحل : ٩٠] .

تعقيب :

يلو مما تقدم أن ما ذهب إليه ابن القيم يوافق تماما ما ذهب إليه الماتريدية فهو ليس بدعا في هذا الرأي كما يبدو ، وأنه قد سلم مما يمكن أن يتوجه إلى المعتزلة والأشعرية من طعن لمذهبه جمع بين الحسن من كل منهما فكان ملجأ وسطا يخرج من بين فريث ودم لبنا كما قال هو عنه ، ويبان ذلك أن المعتزلة أعطوا العقل سلطة واسعة النطاق بقولهم بتوقيف الثواب والعقاب عقلا على الحسن والقبح العقليين غافلين عن الحدود التي يجب أن يقف العقل عندها ، فإذا جاز له أن يحكم بالحسن والقبح فلا يجوز له أن يتجاوز هذه

الدائرة ، فيحكم بالثواب والعقاب لقائمه جزء من الله للعباد على عمله ، وما كان بين الله والعباد لا يجوز للعقل التدخل فيه ، وإن وقع المعتزلة في هذا الخطأ فقد وقع الأشعرية فيما لا يقل عنه ، وذلك أنهم اعتبروا الحسن والقبح والثواب والعقاب شرعيين فأصابوا في الشرط الثاني ، وأخطأوا في الشرط الأول ، وذلك أنهم بهذا أعملوا العقل إعمالا تاما إذ حرموه من الحكم على الأشياء بالحسن والقبح ، وهذا يخالف ما نحسه في نفوسنا من التفرقة بين الحسن والقبح دون توقف على أحكام الشرع ، ومن يرجع إلى تاريخ الأمة العربية يجد أنهم كانوا يستحسنون الشجاعة ، والكرم ، وحماية المستجير ، والدفاع عن المشيرة بمحض عقولهم قبل أن يأتي الرسول إليهم .

ويعد هذا العرض الموجز نرى أن مذهب ابن القيم - دون تمييز - قد سلم من الطعن فقد أعطى العقل حقه ، ولكنه أوقف عند حله ، إذ لم يعتبره أملا للحكم بالثواب والعقاب ، وإتاما مرد ذلك إلى الشرع (ابن قيم الجوزية / ٣٨١-٣٩١) .

(كشف اصطلاحات الفوائد للتهانري / ١ / ٣٨٤-٣٨٦ ، وابن قيم الجوزية ، عصره ونهجه وأراؤه في الفقه والفتاوى والتصرف - د. عبد العظيم عبد السلام شرف الدين / ٣٨١-٣٩١) .

• أبو الحسن اليزيدي (٥٧١-٥٠٥ هـ) :

أحد الذين تولوا مشيخة مدرسة الإمام أبي حنيفة ببغداد . وهو أبو الحسن مسعود بن الحسين بن سعد القاسمي اليزيدي .

ولد سنة ٥٠٥ هـ . وكان من الفقهاء المعلومين الكبار على مذهب الإمام أبي حنيفة ، كما أنه من المدرسين الثقات واشتغل بالقضاء والإفتاء ، وذاع صيته وانتشر فضله وقد ولي التدريس بمدرسة الإمام أبي حنيفة بالشهد سنة ٥٦٥ هـ وعين مدرسا في مدرسة السلطان ، ثم سافر إلى الموصل ، فأقام فيها يدرس هناك ، ويتوب في القضاء .

وتوفي بالموصل في جمادى الآخرة سنة ٥٧١ هـ .

(مدرسة الإمام أبي حنيفة - ولید الأضلي / ٥٥) .

• أبو الحسنات الكنتوي (١٣٦٤-١٣٠٤ هـ / ١٨٤٧-١٨٨٦ م) :

محمد عبد الحى ابن الشيخ الحافظ محمد عبد الحليم

* الحسنة والسيئة :

قال الإمام ابن الجوزي : وهما في القرآن على ستة أوجه : أحدها : الحسنة التوحيد والسيئة الشرك ، ومنه في النمل : ﴿ من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ﴾ ومن جاء بالسيئة فكُتِبَ وجوبهم في النار ﴿ [النمل : ٨٩ ، ٩٠] وفي القصص : ﴿ من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزي الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون ﴾ [القصص : ٨٤] .

والثاني : الحسنة النصر والغنيمة ، والسيئة القتل والهزيمة ، ومنه في آل عمران ﴿ إن تمسكم حسنة تسومهم وإن تصيبكم سيئة يفرحوا بها ﴾ [آل عمران : ١٢٠] وفي النساء ﴿ ما أصابكم من حسنة فمن الله وما أصابكم من سيئة فمن نفسك ﴾ [النساء : ٧٩] .

والثالث : الحسنة المطر والخصب ، والسيئة قحط المطر والجذب ، ومنه في الأعراف ﴿ فإذا جاءتكم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطغروا بموسى ومن معه ﴾ [الأعراف : ١٣١] وفيها ﴿ ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة ﴾ [الأعراف : ٩٩] وفيها ﴿ وبلوهم بالحسنات والسيئات ﴾ [الأعراف : ١٦٨] .

والرابع : الحسنة العافية والسيئة البلاء والعذاب ، ومنه في الرعد ﴿ ويستمجلونك بالسيئة قبل الحسنة ﴾ [الرعد : ٦] والخامس : الحسنة قول المعروف والسيئة قول المنكر ، ومنه في القصص ﴿ ويدعون بالحسنة السيئة ﴾ [القصص : ٤٥] وفي حم السجدة (أو فصلت) ﴿ ادفع بآتي هي أحسن ﴾ [فصلت : ٣٤] .

والسادس : الحسنة فعل نوع من الخير والسيئة فعل نوع من الشر ، ومنه في الأنعام ﴿ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزي إلا مثلها ﴾ [الأنعام : ١٦٠] .

(منتخب قرة العين النواظر في الرجوع والنظر في القرآن الكريم للإمام ابن الجوزي - تحقيق ودراسة محمد السيد الصفطاري . رد . فؤاد عبد المنعم أحمد / ٩٧ ، ٩٨ . انظر أيضا الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ط دار الفکر العربي م ٢١١ / ٤) .

* العنسى :

قال ابن القاسم : الحسنى كلمة مستغنى عن وصفها

ابن محمد أمين المكتوب الفقيه الحنفى الأصولى ويكنى المترجم له بأبى الحسنات ولد رحمه الله فى بلدة يانلة فى أواخر ذى القعدة سنة ١٢٦٤ هـ وكان والده مدرسا بها وشرع فى حفظ القرآن وهو ابن خمس سنين وانتهى من حفظه فى العاشرة من عمره وتعلم الخط أثناء حفظ القرآن وقرأ بعض كتب الفارسية وشرع فى تعلم العلم وهو فى الحادية عشرة ولما بلغ السابعة عشرة كان ملما بكثير من العلوم الدينية والعربية وكان لوالده فضل كبير فى تنقيحه وتعليمه كما تلقى على الأستاذ محمد نعمة الله من علماء الهند المعروفين ومنذ ذلك الحين أخذ يدرس ويصنف وقد حج بيت الله الحرام وزار المدينة المنورة مرتين مرة مع والده سنة ١٢٧٩ ومرة أخرى سنة ١٢٩٢ هـ .

كان رحمه الله معنيا بالتأليف وقد بلغت مؤلفاته أربعمئة وأربعين كتابا منها آكام النفاثات فى أداء الأذكار بلسان فارس فى الأصول ، والأثار المرفوعة فى الأخبار المرفوعة فى الحديث ، وإمام الكلام فيما يتعلق بالقرأة خلف الإمام ، فى الفقه ، وتحفة الأخبار فى إحياء سنة سيد الأبرار ، فى الحديث ، والتعليق العجيب على متن التهذيب فى المنطق ، والفوائد البهية فى تراجم الحنفية . تولى رحمه الله سنة ١٣٠٤ هـ [الفتح المبين ٣ / ١٥٨] .

وقد ذكره الكتانى فيمن ألفوا كتابا فى علم المصطلح وذكر شرحه لمختصر الجرجاني فى علوم الحديث الذى سماه فظفر الأمانى فى مختصر الجرجاني (الرسالة المستطرفة / ١٦٢) .

(الفتح المبين فى طبقات الأصوليين - الشيخ عبد الله مصطفى المراضى / ٣ / ١٥٨ ، والرسالة المستطرفة للإمام السيد محمد بن جعفر الكتانى / ١٦٢) .

* حسنة الأيام :

من ألقاب أكابر أرباب الأفلام من الوزراء والقضاة ومن فى معناهم . والحسنة خلاف السيئة ، والمراد أن الأيام أحسن بالاهتمام به ويصلح اللقب لكل من له ماض فى الكتابة وهو بعيد المأخذ . ورد اللقب فى بعض المقامير عن نائب الشام فى ألقاب بعض كتاب السر العلماء .

(التعرف بمصطلحات صبح الأعشى - محمد قنديل البقلى /

١٠٦ ، عن صبح الأعشى للقلندرى / ٦ / ٤٦ ، ١٤٧ ، ١٦٢) .

(نفايس الخط العربى - حسن قاسم حبش / ٢٧٣) .
وهذه اللوحات نماذج من خطه :



ونعتها ، لأن العرب توقعها الخلة المجبوبة ، والخضلة
المعرضب فيها ، فكان الذى يعلمه العرب من علمها أمرها
يعنى عن نعتها .

والحسنى فى القرآن على ستة أوجه :

أحدها : الجنة ، ومنه فى يونس ﴿ للذين أحسنوا
الحسنى ﴾ [يونس : ٢٦] ، وفى الأنبياء ﴿ سبقت لهم منا
الحسنى ﴾ [الأنبياء : ١٠١] وفى النجم ﴿ ويعجزى الذين
أحسنوا بالحسنى ﴾ [النجم : ٣١] .

والثانى : البنون ، ومنه فى النحل ﴿ أن لهم الحسنى ﴾
[النحل : ٦٢] .

والثالث : الخير ، ومنه فى براءة ﴿ إن أردنا إلا الحسنى ﴾
[التوبة : ١٠٧] .

والرابع : العليا ، ومنه فى الأعراف ﴿ والله الأسماء
الحسنى ﴾ [الأعراف : ١٨٠] .

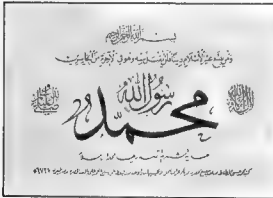
والخامس : الخلف ، ومنه فى الليل ﴿ وصدق
بالحسنى ﴾ [الليل : ٦] .

والسادس : البر ، ومنه فى الأحقاف ﴿ ووصينا الإنسان
بوالديه إحسانا ﴾ [الأحقاف : ١٥] .

(منتخب قرة العين الناظر فى الوجوه والنظائر للإمام ابن الجوزى -
تحقيق ودراسة محمد السيد الصفطاوى ، ود . فؤاد عبد المتعم أحمد /
٩٦-٧٩) .

• حسنى الخطاط (١٣١٩ هـ) :

محمد حسنى الخطاط دمشقى ، سوزى الأهل ، تلقى
الخط من المرحوم يوسف رسا . وحضر إلى مصر واستوطنها
منذ سنة ١٩١٢ م . اشتغل حسنى بالخط اشتغالا تاما إلى أن
نبح فيه ونال شهرة واسعة ، كما اشترك فى التدريس بمدرسة
تحسين الخطوط بالقاهرة فى يده إنشائها سنة ١٩٢١ ، كما
اشتهر حسنى من الكتابة الخطية فى الصحف إلى جانب
معاصريه مثل سيد إبراهيم ، ونجيب هواوينى ، ومحمد على
معمار زاده . . يمكن اعتباره نهاية سلسلة عباقرة الخط فى مصر
ملاحظة : الصورتان المصاحبتان لهذه المادة كنماذج
لأعمال حسنى الخطاط أخذتا من كتاب «بدائع الخط
العربى» - ناجى زين الدين المصرى ص ٢٠٥ ، ٢٧١ .



* حسّنين محمد مخلوف (١٤١٠ هـ / ١٨٩٠ - ١٩٩٠) :

فضيلة الإمام الشيخ حسّنين محمد حسّنين مخلوف العدوى مفتى مصر الأسبق وابن وكيل الأزهر سابقاً : أسرته من « بنى عدى » - مركز منفلوط بمحافظة أسيوط من صعيد مصر (فضيلة الشيخ حسّنين محمد حسّنين مخلوف / ٥٦٦) .

ولد في يوم السبت ٦ من مايو ١٨٩٠ م بباب الفتوح بالقاهرة وحفظ القرآن الكريم بصحن الأزهر الشريف ثم جود قراءته على شيخ القراء في عهده الشيخ محمد على خلف الحسينى .

ولمّا تولى الحادية عشرة من عمره التحق بالأزهر طالباً ، وتلقى عن كبار الشيخ وكان منهم المغفور له والده المرحوم العلامة الجليل الشيخ « محمد حسّنين مخلوف » العدوى المالكي وكيل الأزهر الشريف ومدير المعاهد الدينية المتوفى سنة ١٩٣٥ م - والشيخ عبد الله دراز والشيخ عبد الهادى مخلوف والشيخ على إدريس العدوى والشيخ عبد الفتاح المكواى والشيخ محمد الطرشى والشيخ يوسف الدجوى والشيخ عبيد الحكم عطا والشيخ محمد راضى البحرراوى والشيخ محمد بغيت المطيعى والشيخ أحمد نصر الفدى والشيخ محمد البيجرسى والشيخ عبد المعطى الشريشى وغيرهم من مشاهير علماء الأزهر الشريف .

ولمّا أتم دراسة العلوم الأزهرية وتلقى علم الحساب والجبر بمسجد المؤيد وأكمل دراسته بجهد واجتهاد التحق بالقسم العالى بمدرسة القضاء الشرعى ، وكانت فى ذلك الوقت تابعة للأزهر ، ودرس فيها العلوم الشرعية ومختلف العلوم الحديثة لمدة أربع سنوات نال بعدها « الشهادة العالمية » وقد أدى الامتحان أمام اللجنة العالمية الكبرى المؤلفة برئاسة المغفور له الإمام الشيخ سليم البشرى شيخ الجامع الأزهر وعضوية المغفور لهم السيد بكري الصلدى مفتى الديار المصرية سابقاً والشيخ عبد الكريم سلمان عضو المحكمة العليا الشرعية ونال شهادة العالمية بتفوق عظيم فى يونيو سنة ١٩١٤ م ولم يتجاوز عمره الرابعة والعشرين .

وأخذ يلقى دروسه العلمية فى الأزهر متربعا فقرأ شرح العدوى على السلم فى علم المنطق وكتاب البوليدى فى آداب البحث وكتاب المقولات الحكيمة فى علم الفلسفة بحاشية



والده عليها وكتاب ابن مسكويه فى علم الأخلاق . واستمر فى ذلك إلى أن عين قاضياً شرعياً فى شهر يونيو سنة ١٩١٦ م وما زال يرقى فى القضاء من درجة إلى درجة حتى عين رئيساً لمحكمة الإسكندرية الشرعية سنة ١٩٤١ م ثم رئيساً للفتيش الشرعى بوزارة العدل « الحقانية » آنذا وقد سبق إختياره سنة ١٩٢٨ م مفتشاً للمحاكم الشرعية بوزارة الحقانية وتولت الصلة بينه وبين وزيرها « على ما هر باشا » ونهض بأعباء الفتيش والمشاركة فى المشروعات الإصلاحية الهامة بالوزارة ومنها إصلاح « قانون المحاكم الشرعية » وقوانين « المجالس الحسينية » ونذب فى ذلك الوقت لتدريس الشريعة الإسلامية فى قسم التخصص بمدرسة القضاء الشرعى لمدة ثلاث سنوات . وفى أكتوبر سنة ١٩٤٤ عين نائباً للمحكمة العليا الشرعية وهو المنصب الذى كان يجب أن يشغله من وقت طویل (المحذون فى مصر والأزهر / ٤٤٣ ، ٤٤٤) .

وعين عضواً بجامعة كبار العلماء بالأزهر ١٩٤٨ م ، ثم

- عضواً بمجمع البحوث الإسلامية منذ إنشائه بالقانون ١٠٣ لسنة ١٩٦٦ م .
- كما كان عضواً مؤسساً برابطة العالم الإسلامي ...
- وكان عمل الشيخ حسين محمد حسين مخلوف بالإفتاء أوضح ما يميز به تاريخه العلمي ، فقد تصدى للإفتاء العام عندما خلا هذا المنصب بانتهاؤه مدة الشيخ عبد المجيد سليم ، فصدر قرار ملكي بتعيين الشيخ حسين محمد حسين مخلوف مفتياً للديار المصرية ، وكان ذلك في الثالث من شهر ربيع الأول ١٣٦٥ هـ الموافق ٥ من يناير ١٩٤٦ م وظل بالمنصب حتى ٢٠ من رجب ١٣٦٩ هـ الموافق ٧ من مايو ١٩٥٠ م تاريخ انتهاء خدمته القانونية ، فاشترك باللقاء الدروس بالمشهد الحسيني إلى أن أعيد مفتياً للديار المصرية مرة ثانية في مارس ١٩٥٢ م وحتى ١٩ من ديسمبر ١٩٥٤ م .
- وبعدما عمل رئيساً للجنة الفتوى بالأزهر الشريف لفترة طويلة (٥ منى مصر الأسبوع / ٥٦٧) .
- وأخذ بعد ذلك في متابعة مجهوده العلمي بإلقاء الدروس العلمية الشرعية بالمشهد الحسيني يومياً - كما سبق القول - ويصدر الفتاوى في جريدة منبر الشرق في باب الإفتاء الذي أنشأه خصيصاً لهذا الغرض صاحب الجريدة المرحوم الشيخ علي الغياثي فكان في ذلك نفع كبير للمسلمين في صائر البلاد الإسلامية وتم طبعها في جزئين « فتاوى شرعية ويعوضت إسلامية » .
- كما اختير عضواً تأسيسياً برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة وكان من مؤسسي الجامعة الإسلامية بالمنية المنورة واشترك في إصدار الكثير من البحوث والاجتماعات بها (المحدثون في مصر والأثر / ٤٤٤) .
- يقول فضيلة الشيخ محمد حسان الدين في ترجمته له :
- ولقد كرم هذا الشيخ ففتح كسوة التشرية العلمية مرتين : الأولى وهو رئيس لمحكمة طنطا ، والثانية وهو مفتى الديار المصرية .
- ولقد أصدر الشيخ حسين محمد حسين مخلوف مؤلفات عديدة أغلبها رسائل لطيفة : ومن أهمها :
- كتاب « كلمات القرآن تفسير وبيان » .
- صفوة البيان لمعاني القرآن .
- آداب تلاوة القرآن وسماعه .
- شرح عدة المحسنين الحسنيين للإمام ابن الجزري .
- شرح نصيحة الإخوان للإمام ابن طاهر الحضرمي .
- شرح الحكم للإمام عبد الله بن علوي الحداد الحضرمي .
- رسالة الفرق بالحيوان في الشريعة الإسلامية .
- رسالة : التفسير والمفسرون .
- أحكام الشريعة الإسلامية في بدع المأثم وما ينفع الموتى من أعمال الأحياء .
- رسالة في أحكام الميراث .
- مجموعة الفتاوى .
- رسالة الأخلاق الإسلامية .
- شفاء الصدور المحرقة شرح قصيدة المنفردة . ومنها :
- شرح جالية الكندر بنظم أسماء أهل بدر .
- شرح الملححة النبوية للأستاذ أبو الوفا (الشيخ أحمد أبو الوفا الشرقاوي) .
- رسالة عقيدة الإسلام للإمام الحداد .
- رسالة في تعاليم الشيعة الإسماعيلية .
- شرح لمعة الإسرار للإمام الشيخ أحمد أبو الوفا الشرقاوي .
- رسالة في أخطار المعاصي والآثام ووجوب التوبة منها .
- رسالة في فضل تلاوة القرآن العظيم .
- رسالة في شرح أسماء الله الحسنى .
- رسالة في تفسير سورة القدر .
- أدعية من وحى القرآن الكريم والسنة النبوية .
- نفحات زكية من السيرة النبوية .
- شرح تشطير البردة للشيخ الشرقاوي .
- شرح مشكاة الأنوار في أوصاف المختار .
- شرح البيهقي في مصطلح الحديث .
- ومما بلغت النظر أن أهم مؤلفات هذا العالم الجليل صدرت بعد الإحالة إلى العماش ، ولم يخلص منها للفقه ، وعلم الفروع إلا رسالة : « أحكام الشريعة الإسلامية في بدع المأثم » ...

أربعة عشر قرناً على نزول القرآن الكريم ، ثم طبعته وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت سنة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م . وجعلته للإهداء مجاناً ومنحة للمسلمين .

وقد جاء في كلمة الوزارة مقدمة للكتاب / (الطبعة الأولى) « ولما كان من أهداف الوزارة نشر علم كتاب الله بين الناس ليتفقهوا في دينهم ، ولتستير بهماثرهم ، فقد رأت إعادة طبع هذا الكتاب النافع ، فاستأذنت الشيخ الفاضل - حفظه الله « فأذن - جزاءه خيراً - بذلك مجاناً ابتغاء وجه الله تعالى ، وطلباً للأجر والثمرة ... آهـ .

وقد جعل الشيخ رحمه الله كتابه الأول أساساً للتفسير في كتابه الثاني : قال : « بدأت بشرح مفردات القرآن شرحاً وإلياً على ترتيب النظم الكريم ، لا على ترتيب المعاجم اللغوية ، يوقف منه على المعنى بسهولة أثناء التلاوة ، أو السماع ، مع بيان معنى بعض الآيات التي انتظمت هذه المفردات .

ولدى إعادة النظر فيه ، وجدت الحاجة ماسة إلى تفسير آيات أخرى على النحو الذي قصدت ، وإن لم تشتمل على غريب القرآن ، فضممت تفسيرها إلى ما بدأت به ، واكتمل من الجميع هذا التفسير الذي سميت : « صفوة البيان لمعاني القرآن » ...

هذا : وقد بدت ثقافة الشيخ واضحة بهذا الكتاب فقد التزم في بيان مقاصد الآيات في مسائل العقيدة بما عليه السلف والأشاعرة عموماً وفي إيجاز مقبول . لكنه كان يتوسع في بيان الأحكام الفقهية بما تتجلى به مواهبه وملكانته العظيمة في هذا العلم .

ومثلاً : لو استعرضنا شيئاً مما كتبه الشيخ في جانب العقائد في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا يَرْضَىٰ ﴾ [البقرة : ٢٦] .

ألفيانه يقول : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا ﴾ أي ليس الحياء بمنع الله تعالى من ضرب الأمثال بهذه المخلوقات الخفية الصغيرة في نظركم . كالبعوض والذباب ، والمعنكوت ، فإن فيها من دلائل القدرة ، وبدائع الصنعة ما تحار فيه المقول ، ويشهد بحكمة الخالق ...

وفي الآية إشعار بصحة نسبة الحياة إليه تعالى ولمذهب السلف : إمرار هذا وأمثاله على ما ورد ، وتقويض علم كنهه

ورسالة في الميراث ، ومجموعة الفتاوى . وفيما عدا هذه الرسائل فإن جملة مؤلفاته ، تتعلق بالقرآن الكريم ، أو بالتصوف ، والمذاهب النبوية ، والأخلاق ، ثم العقائد ، ومصطلح الحديث .

وكانت كتبه في تفسير القرآن الكريم أشهر كتبه على الإطلاق . وأوضح هذه المؤلفات كتابان : الأول : « كلمات القرآن : تفسير وبيان » .

وقد صدرت طبعته الأولى في سنة ١٩٥٦ م بالقاهرة ، ثم أعاد الشيخ مراجعته وطبعه ثلاث مرات - إحداها بمكة المكرمة ، وكانت المراجعة والطبعة الأخيرة لهذا الكتاب في يناير سنة ١٩٦٥ م بالقاهرة .

قالت المؤلفة : النسخة التي عندي طرط المعارف بمصر سنة ١٩٧٦ وقد ذكر المؤلف - رحمه الله - في نهاية الكتاب ص ٤٤٣ أنها الطبعة الثامنة وأنة تمت مراجعتها في شهر المحرم سنة ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م .

وقد كتب في مقدمته : « أما بعد ! فهذا تفسير لما يحتاج إلى التفسير والبيان من كلمات القرآن ، يوضح معانيها ، ويعين على فهم الآيات التي هي فيها ، وضعت فيها الكلمات على ترتيب الآيات في السورة وعن يمين كل كلمة رقم آيتها ، وعن يسارها تفسيرها في دقة وإيجاز .

ثم شرح الشيخ مقصده بالتفسير في هذا الكتاب فقال : « فسرنا كلمات القرآن بالمعاني المرادة منها في الآيات ، وقد تكون المعاني حقيقية ، وقد تكون مجازية أو كناية » ..

ومعنى هذا أن الشيخ - رحمه الله - أراد بالكتاب تجلية المقاصد في التعبير القرآني ، سواء كانت هذه المقاصد مستفادة بدلالة المفرد في ذاته ، أو بدلالته في نظمه في سياق الآية ، أو بدلالة قرينة خارجية لم يشملها النظم القرآني .

وفي هذا ترتيب لمعاني القرآن الكريم من جمهرة قراء عصرنا المتعجل ، وإيراد لها في معانيها الشرعية ، لا معانيها الوضعية اللغوية ، التي لا تقصد شرحاً في الكثير الغالب من الدلالات القرآنية .

وأما الكتاب الثاني فهو : « صفوة البيان لمعاني القرآن » وقد طبع هذا الكتاب لأول مرة بالملكة العربية السعودية ، ثم طبعته دولة الإمارات العربية المتحدة في احتفالها بمرور

وكتبه إلى الله تعالى ، مع وجوب تنزيهه عما لا يليق بجلاله من صفات المحدثات . واختاره الأوسى .

وذهب جمع من المفسرين إلى تأويله بإزادة لازمه ، وهو ترك ضرب الأمثال بها ، لأن الاستحياء من الحياء ، وهو انكسار يعتري الإنسان من تخوف ما يعاب ، ويدم به ، أو هو انقباض النفس عن القبالح ، وهذا المعنى محال في حقه تعالى . فيصرف اللفظ إلى لازم معناه . وهو الترك ... ا. هـ . ومن الواضح أن الشيخ - رحمه الله - في تفسير هذه الآية - أخذ أولاً بمذهب السلف بإسراء نسبة الحياء إلى الله تعالى على ما ورد عليه النهج ، مع تفويض علم ذلك إلى الله تعالى ...

ثم أورد بعد ذلك رأى من يتجه إلى التأويل في مثل هذه الصفات من خلف الأشارة بصرف اللفظ من ظاهر معناه ، وإزادة لازمه - فيكون المراد بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا مَوْضِعُهُمَا فَمَا فَوْقَهَا ﴾ « أن الله لا يترك ضرب الأمثال بمثل هذه المخلوقات » .

وشرح الشيخ أسباب الميل إلى هذا التأويل بقوله : لأن الاستحياء من الحياء وهو تغير وانكسار يعتري الإنسان من تخوف ما يعاب ويدم إلى آخر ما نقلناه عنه آنفاً . ثم قال : « وهذا محال في حقه تعالى ، فيصرف اللفظ إلى لازم معناه » ومعلوم أن التفويض لمذهب السلف وأن الأشعرى - رحمه الله - لزم في كتابه « الإبانة » مذهب التفويض . وأنه في كتابه « اللمع » مال إلى إعمال العقل في غير شغلط ، لكنه لم يتناول مسألة الصفات في هذا الكتاب إلا من طرف بعيد .

وهذا لا ينفي أن كثيرا من تلاميذ الأشعرى ، من أمثال أبى المعالى الجوينى ، وأبى بكر الباقلانى ، وغيرهما ثم من بعدهم من الخلف . من مثل ابن دقيق العيد وغيره مالوا أحيانا إلى تغليب جانب التأويل في غير إسراف ، وشبهة منهم في كمال التنزيه له سبحانه وتعالى .

وفى الحق أن الأشعرى كان أقرب إلى تفويض السلف منه إلى منحى التأويل ، وهذا واضح من جداله مع المعتزلة والجهمية ، ورفضه تأويل آيات الاستواء على العرش ، واحتجاجه في كتاب « الإبانة » لمبدأ التفويض ، واستشهاده

لهذا المذهب بكثير من الآيات التى تتحدث عن الجهة ، كقوله سبحانه : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾ [فاطر : ١٠] ﴿ يَنْزِلُ الْأَمْرُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ﴾ [السجدة : ٥] ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ السَّمَاءَ أَنَّ يَخْضِبُ بِكُمْ الْأَرْضِ ﴾ [الملك : ١٦] ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ [النحل : ٥٠] إلى غير هذه الآيات .

وهكذا نجد شيخنا الشيخ مخلوف ملتزما في تفسيره بمذهب السلف في التفويض غير تارك لمنحى الخلف من الأشارة في التنزيه والتأويل . بل وإنه ليتابع أيضا مذهب الأشارة في غير هذا الجانب من المسائل العقيدية .

ففى مثل ما كتبه تفسيرا لقوله تعالى : ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾ [البقرة : ٢٦] قال : الفسق الخروج من الطاعة ، ويقع بالقليل والكثير من الذنوب . ولكن تعرف فيما كان كثيرا . وهو أعم من الكفر . فيقال للعاصي : فاسق ، وللكافر فاسق لخروجه عما أزمه العقل واقتضاه الفطرة ، والإضلال خلق فعل الضلال في العبد ، كما أن الإعتناء خلق الإعتناء فيه ... انتهى ...

فقد فسر الفسق هنا بأنه : « الخروج من الطاعة » وأنه « يقع بالقليل والكثير من الذنوب » .

ولم يفسره بأنه منزلة بين الإيمان والكفر - على ما قالت به المعتزلة في مرتكب الكبيرة . قال الأشعرى في « اللمع » : « كان الناس قبل واصل بن عطاء رئيس المعتزلة على مقاتلين منهم عوارج يكفرون مرتكبي الكبائر ، ومنهم أهل استقامة يقولون هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ، ولم يقل منهم قائل : إنه ليس بمؤمن ولا كافر قبل حدوث واصل بن عطاء .

وأياضا فإن الشيخ أى فضيلة الشيخ مخلوف عندما فسر قوله تعالى : ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾ قال : الإضلال خلق فعل الضلال في العبد كما أن الهداية خلق الإعتناء فيه . انتهى ... وهكذا يتابع الشيخ مذهب الأشارة في خلق أفعال العباد ... (مفتى مصر السابق / ٥٦٨ - ٥٧١) .

وفى التمثيل لمنحى التفويض ، ومنحى التأويل في الصفات ، وقد أخذ بهما الشيخ معا ، نذكر تفسيره لقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ﴾ [البقرة : ٢٩] .

المؤمنین ﴿النور: ۳﴾ - خلص الشيخ إلى فهم في غاية الدقة وبجمل الاستنباط ، لقد خلص في تفسير الآية إلى آراء مقنعة ، وخروج بها عن الحشد الكبير من الآراء التي تمتلئ بها كتب التفسير توجيهها لأحكام هذه الآية ، وبخاصة ما يستفاد من قوله تعالى : ﴿ وحرم ذلك على المؤمنين ﴾ قال الشيخ رحمه الله : ﴿ الزاني لا ينكح إلا زانية ﴾ نزلت لزجر المؤمنين عن نكاح الزانيات ، بعد زجرهم عن الزنا ، أي أن الفاسق الخبيث الذي شأنه الزنا لا يرغب غالباً في نكاح الصالح من النساء اللاتي على خلاف صفته ، وإنما يرغب في نكاح فاسقة خبيثة مثله أو مشركة والفاسقة الخبيثة المسافحة كذلك لا ترغب غالباً في نكاح الصالحين من الرجال بل تنفر منهم ، وإنما ترغب فيمن هو من شكلها من الفسقة والمشركين : لأن المشكلة علة الآفة ، والمخالفة سبب للنفرة ، وهو كقولهم : لا يفعل الخير إلا تقي ، فإنه جار مجرى الغالب ، وقد يفعله من ليس بتقي ، و ﴿ حرم ذلك على المؤمنين ﴾ تحريم تنزيه وبعبارة بالتحريم مبالغة في الزجر ، أو حرم عليهم ما في ضمن عقده من المفاسد كالعرض للنميمة والتسبب لسوء القالة ، والطعن في النسب وغير ذلك ، فلا تكون الحرمة راجعة إلى نفس العقد ليكون عقد نكاح الزواني والزانيات باطلاً للإجماع على صحته . وأما نكاح المشرك والمشركة ، فإن كانت الآية نزلت قبل تحريمه - وقد حرم بعد المحللية - فالأمر ظاهر ، وإن كانت نزلت بعده فتكون حرمة مستندة إلى أدلة أخرى ... أ.هـ .

هذا السمت العام للتفسير في كتاب « صفوة البيان لمعاني القرآن » يجعل له شأنًا ومقامًا حسنًا بين كتب التفسير بعامة ، ويفتح له باب السبق بين المؤلفات المنشأة في عصرنا بصفة خاصة .

فتياه :

أما فتيا الشيخ فكانت أبرز أهماله ، وكان عمله بالقضاء مجالاً من مجالات الفتيا والرأي ، بيد أن القضاء يتميز بأن له قوة النفاذ والإلزام . على ما هو مقرر ...

والسمت العام لفتيا الشيخ سمت بارز فقد جمعت فتياه سعة الفقه والإحاطة بوجوه الرأي ، مع دقة استخراج الحكم ، ولطيف الملمح ، وحسن الاستدلال .

قال الشيخ : ﴿ ثم استوى إلى السماء ﴾ علا إليها وارتفع من غير تكيف ، ولا تحديد ولا تشبيه ، مع كمال التنزيه عن سمات المحدثات وقد مثل مالك رضي الله عنه - عن الاستواء على العرش فقال : « الاستواء غير معقول ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة » . ثم قال الشيخ : أو المعنى : أقبل وعمد إلى خلقها بإرادته انتهى .

هذه فقرات مما كتبه الشيخ رحمه الله في تفسيره ، تكشف عن منهجه في تناول المسائل العقليّة على مذهب الأسايرة ، وتوضيح ما يحلّه بخطة التأويل التنزيهي ، إلى جانب التوفيق الروع في الصفات .

وأما إيضاح الشيخ للأحكام الشرعية المستنبطة من الآيات القرآنية ، فقد بدت فيه ملكته الفقهية بارعة متمكنة ، وهو ملتزم دائماً برأي جمهور الفقهاء ، لا يميل إلى رأي ضعيف ، فإذا اختلف آراء الفقهاء ذكر كل رأي منها ونسب إلى صاحبه .

هذا : مع الإيجاز وسهولة التعبير ، والصمم بالرأي في الموضوع ، وعلى سبيل المثال ما ورد في تفسير قوله تعالى : ﴿ ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام ﴾ [البقرة: ١٩٦] قال : حاضري المسجد الحرام : هم أهل مكة ، وأهل الجبل الذين منازلهم داخل المواقيت ، أو هم أهل مكة خاصة . أو هم أهل مكة ومن كان بينه وبين مكة مسافة لا تقصر فيها الصلاة .

والإلى الأول ذهب الحنفية ، وإلى الثاني المالكية ، وإلى الثالث أحمد والشافعي - رحمهما الله - وتفصيل الأدلة في الفروع . انتهى .

وفي تفسير قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة ﴾ [آل عمران : ١٣٠] .

قال : ﴿ لا تأكلوا الربا ... ﴾ نهى عن تعاطي الربا ، مع تفرعهم لما كانوا عليه من تضعيف الفائدة الربوية ، فقله : ﴿ أضعافاً مضاعفة ﴾ ليس لتقييد النهي به بل هو بيان لما كانوا عليه في الجاهلية من التعامل الفاسد المؤدى إلى استئصال المال . وقد حرم الله أصل الربا ومضاعفته ... انتهى وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على

(الفتوى مسجلة برقم ٦٨ - ص ٦٨ في ١٢٩ في ٣٠ يوليو سنة ١٩٥٣ بدار الإفتاء .

فأجاب :

إن الصهرين وما وقف على ملته وصمارته ومروته وقف خيرى صحيح ، وإن لم يصرح فى الإشهاد بجهة البر النائمة التى يصرق إليها ربه مالا ، إذ قد جرى العرف على أن من وقف وقفا كهذا يريد تأييده كما فى الوقف على المسجد المعين - وأما المنزل فلا شبهة فى أنه وقف أهلى ، وإقرار الوقف فى حجة بأن الملاليع (يقصد الملاحات) المملوكة وقف عليه وعلى الصهرين إقرار معتبر شرعا ، فتكون هذه الملاليع موقوفة عليهما بالسوية ، ويتهدم الصهرين واستثناء الناس عنه بمد موت الوقف يبقى مكانه وقفا إلى الأبد على قول أبى يوسف الذى اختزنه للفتوى فى هذه الحادثة ، وهو أولى من قول محمد بعودته إلى ملك الوقف إن كان حيا وورثته إن كان ميتا .

وبناء على ذلك يصرق ما وقف على الصهرين إلى أقرب جهة بر إليه عند أبى يوسف كالمساجد أو المستشفيات أو نحوها ولكن بعد صدور القانون رقم ٤٨ لسنة ١٩٤٦ تطبيق عليه المادة ١٩ منه التى تقضى بصرقه بإذن المحكمة على من يكون محتاجا من ذرية الوقف والذية بقدر كفايته ، ثم إلى المحتاج من أقاربه كذلك . ثم إلى الأولى من جهات البر حتى صدور القانون رقم ٢٤٧ لسنة ١٩٥٣ بتعديل المصارف الخيرية التى نشر بالوقائع المصرية بتاريخ ٢١ مايو سنة ١٩٥٣ ، ومن حين العمل به تطبق أحكامه ، ويجوز بإذن المحكمة استبدال أرض هذا الصهرين بما هو أنفع للخيرات انتهى .

وهكذا أخذ الشيخ بقول أبى يوسف ميقيا وقف الصهرين خيريا إلى الأبد ، ووجهه على قول محمد بعودته إلى ملك الوقف أو ورثته بعد أن تهدم ، أخذ الشيخ بقول أبى يوسف فى الفترة التى سبقت صدور القانون رقم ٤٨ لسنة ١٩٤٦ بأحكام الوقف ولما الفترة التى تلت صدور هذا القانون فقد أحصل فيها ما تقضى به نصبروصه أخلا بقول محمد بن الحسن ... (من مصر السابق) / ٤ - ٦٨٢ - ٦٨٥ .

وهناك فتوى أخرى ... فقد ورد سؤال من السيد المحترم

لكننا نلمح فى فتواه مع هذا كله أنه كان شديد الاحتياط ، قوى الحس لا يميل إلى تبرير مستحذات الأمور ، أو مستوريات الوقائع والسلوك .

وقد اخترت له بعضا من الفتاوى - على ضخامة تراثه الفقهى - منها ما يتعلق بالوقف . ومن سمت هذا النوع من الفتوى أنه ينبىء عن عمق الرأى لديه ، وحسن التحليل ، ووجاهة الترجيح ، وحرته ، ما لم تستطع الواقعة بقانون ، فإذا استطلعت بقانون أحمل الشيخ فيها نصصرص هذا القانون ووقف عن الترجيح بين الأراء .

ولقد كان التصرف فى بعض المال بالوقف شائعا معبرا عن اتجاه اجتماعى إسلامى وبخاصة فى العهد العثمانى .

وعلى حد تعبير فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر فى مقدمته لمجموعات فتاوى الوقف الصادرة عن دار الإفتاء . قال : لو كان الوقف وجهها من أوجه التعاون على البر ، وتحسين الثروات العقارية ، ولما تماقبت القوانين بعد صدور القانون رقم ١٨٠ لسنة ١٩٥٢ بإلغاء الوقف على غير الخيرات انكمشت سبل البر فلم نعد نسمع أن أحدا قد أوقف وقفا على المساجد أو المستشفيات أو الملاهي أو المدارس أو تحفيظ القرآن ، بل ولقد تبدلت وقوف كثيرة كانت مددا للخدمة الإسلامية ، وهوتا لطلاب العلم بالأزهر ومعاهده ، وغير هذا من طرق البر أ . هـ .

ولقد كانت الفتاوى فى مواد الوقف غزيرة . وبخاصة فيما يتصل ببعض شروط الواقفين ، وفيما يتعلق بالتصرف فى الأعيان التى تخربت أو تعلم ربهما .

وكانت الفتوى محكمة بأرجح الأقوال فى مذهب الإمام أبى حنيفة ، ثم خضعت لأحكام القوانين بداية بالقانون الصادر برقم ٤٨ لسنة ١٩٤٦ لأحكام الوقف .

وقد مثل الشيخ - رحمه الله - عن مال وقف على مله صهرين مدل لخزن للماء العذب ، لسقى الناس ، وعلى صمارته ومروته ، وعلى منزل موقوف على ذرية الوقف ، فإذا انقرضت الذرية كان ريع الوقف مصرفا للخيرات ، وتبين من السؤال أن هذا الوقف ليس له حجة ، وأن الصهرين قد اندثر واستغنى عنه ، وأن المنزل قد هدم وبيعت أبقاضه .

ثم يقول فضيلة الشيخ محمد حسام الدين : إن في ثراث الشيخ كثيرا من المفاسخر والمآثر ينبغي أن يلتفت إليها الدارسون ...

وحسب الشيخ فضلا ونعمة أن يسر الله حياته : طفولة ، وبقاعة وشبابا ، وكهولة مباركة مثمرة لخدمة الإسلام .

وتقديرًا لهذا منح جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام لعام ١٤٠٣ هـ .

وكذلك منحه مصر وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى عام ١٩٨٢ م .

والشيخ في فضله وذخائر تراثه العلمي ، وإنابته إلى الله جدير بالتكريم والإجلال .

ثم مضى الشيخ إلى رحمة ربه في يوم الأحد التاسع عشر من شهر رمضان المبارك سنة ١٤١٠ هـ - الموافق للخامس عشر من شهر إبريل سنة ١٩٩٠ م .

يجزّل الله مشيخته ، ويتقبل جهاده وعمله وينعم به المسلمين ، ويجزيه عما خدم به القرآن والإسلام خيرًا ، آمين اهـ . (« من مصر الأسبق » / ٧٦٦-٧٦٨) .

(« من مصر الأسبق فضيلة الشيخ حسّين محمد حسّين مخلوف » - فضيلة الشيخ محمد حسام الدين . مجلة الأزهر . الجزء الخاص ، السنة الثالثة والسّتون ، جمادى الأولى ١٤١١ هـ - نوفمبر - ديسمبر ١٩٩٠ / ٥٦٦-٥٧١ ، والجزء السادس ، السنة الثالثة والسّتون ، جمادى الآخرة ١٤١١ هـ - ديسمبر - يناير ١٩٩١ م / ٦٨٢-٦٨٥ ، والجزء السابع ، السنة الثالثة والسّتون ، رجب ١٤١١ هـ - يناير - فبراير ١٩٩١ م / ٧٦٦-٧٦٨ ، والمختصر في مصر والأزهر - د. الحسين هاشم وأ.د. أحمد صبر هاشم / ٤٤٣ ، ٤٤٤ . انظر أيضًا « رحم الله شيخنا فضيلة الأستاذ حسّين محمد مخلوف - د. علي أحمد الخطيب . مجلة الأزهر . الجزء العاشر ، السنة الثانية والسّتون ، شوال ١٤١٠ هـ - مايو ١٩٩٠ م / ٩٨١-٩٨٥ ، ١٠٧٠) .

● الحسنية (مدرسة-) (قبل ٧٦٢ هـ) :

إحدى مدارس القدس الشريف أعاده الله ديار إسلام . وتقع بباب الأسباط في الجهة الشمالية من المسجد الأقصى . تنسب المدرسة الحسنية إلى واقفها شاهين الحسني الطواشي المتوفي سنة ٨١٥ هـ ، كما يذكر السخاوي وأما ما ذكره مجير الدين المحتبلي حيث قال : « والظاهر أن واقفها توفي قبل انبرام أمرها ، والله أعلم » فثمة غير صحيح .

مدير عام قسم التشريع لوزارة الشؤون البلدية والقروية بكتاب سري خاص طلبا لبيان حكم الشريعة في إحراق جثث الموتى من المسلمين في حالة الأوبئة ، وفي حالة الوصية بذلك .

(فتوى مسجلة برقم - س ٧٠ - م ٤٤١ - ٢٩ يولية سنة ١٩٥٣ م) .

ومما يلاحظ أن صاحب هذا الاستفتاء تلذّع له بحال الأوبئة أو الوصية . وربما كان هذا من باب الاستدراج للفتوى للانتقال من الإلف الإسلامي ولو لمسافة خطوة واحدة ، فقد درج الكثير على محاولة نقل المجتمع عن ثوابته واجتهودوا لتغيير تقاليده ، وما يقف عنده من حدود .

ولقد أجاب الشيخ على هذه الفتوى في ثبات حاسم قطع السبيل على كل تطلع لإحداث تغيير في المفاهيم الاجتماعية التي تساندتها أحكام الإسلام . قال الشيخ رحمه الله :

أنه لا خلاف بين المسلمين في أن للإنسان حرمة وكرامة حيا وميتا كما يشير إليه قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ [الأنعام : ٧٠] ومن كرامته بعد موته دفنه في اللحد أو القبر بالكيفية الممنونة التي يبينها النبي ﷺ - فيما ورد عنه من السنن الصحيحة ودرج عليها أصحابه والتابعون وسائر المسلمين إلى الآن - فلا يجوز بحال إحراق جثث موتى المسلمين ، ولو أوصى إنسان بذلك فوصيته باطلة لا نفاذ لها ، ولم يعرف الإحراق للجثث إلا في تقاليد المجوس ، وقد أمرنا بمخالفتهم فيما يصنعون مما لا يوافق شريعتنا الغراء والله تعالى أعلم .

ولعل الشيخ يريد ما جاء بمخالفة المشركين فيما يصنعون وقوله ﷺ فيما رواه الشيخان : (خالفوا المشركين : أحفوا الشوارب ، وأوفروا اللحى) .

ولقد تلذّع السائل في هذه المسألة بافتراض وجود الوياء ، والافتراض وجود الوصية رغبة منه في استدراج الفتوى للإباحة على طرائق الفلسفة المادية .

لكن الشيخ - رحمه الله - سد عليه منافذه ، وأفاد بأن « أمر المسلمين على ما سنّه النبي ﷺ من سنن صحيحة ، وعلى ما درج عليه أصحابه والتابعون ، وسائر المسلمين إلى الآن . فلو أوصى إنسان بغير هذه السنن كانت وصيته باطلة لا نفاذ لها » اهـ .

يشرلى نظر الحرمین الشریفین ، ونبابة السلطنة بالقلمس الشریف .

ذكر السخاوى أنه « لما بنى الأمير حسن الكشكلى مدرسة بالمسجد الأقصى بعد سنة خمس وثلاثين وثمانمائة » قرر ابن أبى الوفاء شيخنا لمدرسته هذه ، فشرى مشيختها ، والتدريس فيها ، وسكن فيها كذلك (الفهره الرابع ١١ / ٨٥) وقد قرره فيها فى سنة ٨٣٨ هـ ، أو بعد ذلك فى أغلب الظن .

وأما شيخنا هذا ، فهو الشيخ تقي الدين أبو بكر بن محمد بن على بن أحمد ... الحسينى المقدسى الشافعى السوفائى المعروف بابن أبى الوفاء ، وهو مقدسى المولد والنشأة ، فقد ولد فى بيت المقدس فى سنة سبع وتسعين وسبعائة وقيل ٧٩٣ هـ ونشأ ، وتلقى تعليمه فيه ، فقرأ القرآن ، وتلا تجويدا ، ومن قرأ عليهم شمس الدين الجزرى شيخ الصلاحية آنذاك . وسمع الحديث على عدد من العلماء من أمثال شمس الدين الجزرى ، وشمس الدين القلقشندى ، وشمس الدين السيرى ، وغيرهم . ومما سمعه صحيح مسلم ، وغيره من كتب الحديث .

ودرس الفقه ، فحفظ كتابا فيه ، مثل كتاب « المنهاج » للإمام محبى الدين النوى ، وكتاب « التنبية » فى فروع الشافعية للشيخ أبى إسحاق الشيرازى . ثم بحث فى الكتابين

وأما تاريخه وفقها فكان حوالى سنة ٧٦٢ هـ ، فقد ذكر مجير الدين الحنبلى أن واقفها « من دولة الملك الناصر حسن ، المتوفى فى سنة اثنتين وستين وسبعائة » وقد بنيت المدرسة فى عهده ، وبهذا تكون هذه المدرسة قد بنيت قبل سنة ٧٦٢ هـ . وأضاف مجير الدين « أنه لم يطلع على كتاب وقف لها ، ولم يتحقق من أمرها ، ولكنه أخبر بوقفها » (الألس الجليل ٢ / ٤٠) .

ولا شك أن هذه المدرسة قد قامت بدورها فى الحركة الفكرية فى بيت المقدس . ولعل واقفها رتب الوظائف فيها . وقد ذكر أنه كان يشترى نظير الخاقان البيروسي . فهل صنع بالحسنة مثل ما كان عليه الأمر بالبيروسي ؟

ذكر مجير الدين الحنبلى أنه « لم يكن له حكم المدارس فى النظام والشعائر ، وإنما صارت منزلا تتخذ للسكن » (الألس الجليل ٢ / ٤٠ ، ٤١) وهذا لا يعنى أنها كانت كذلك منذ إنشائها فلعلها أصبحت كما تحدث عنها مجير الدين فى عهده (٨٦٠ - ٩٢٨ هـ) ومن المرجح أنها كانت تقوم بدورها قبل ذلك . وهى دارسة الآن .

(المدارس فى بيت المقدس - عبد الجليل حسن عبد المهدي ٢ / ٧٢ ، ٧٣) .

• الحسينية (مدرسة - ٨٢٧ هـ) :

إحدى مدارس القدس الشريف أحاده الله ديار إسلام . وقد سبق الكلام على مدرسة تحمل نفس الاسم وتقع بباب الأسباط وقد أنشئت سنة ٧٦٢ هـ . أما هذه المدرسة التى نحن بصددها فبعض بباب الناظر ، غربى الحرم ، فوق رباط علاء الدين البصير ، وهى واقعة بجوار المدرسة المنجية ، وقد أنشئت سنة ٨٣٧ هـ .

يقول عنها الدكتور عبد الجليل حسن عبد المهدي ، وعن دورها فى الحركة الفكرية فى بيت المقدس :

تنسب المدرسة الحسينية إلى واقفها الأمير حسام الدين أبى محمد الحسن بن محمد بن عبد الله الشهير بالكشكلى الحنفى المتوفى سنة ٨٤٢ هـ ، وقد عمرها فى سنة ٨٣٧ هـ ووقف عليها أوقافا ، ورتب فيها وظائف من التصرف وغيره . وكان تاريخه وفقها فى الأول من شهر رجب سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة ومن الجدير بالإشارة أن الأمير حسام الدين كان



بوابة المدرسة الحسينية

وكتاب «اللباب»، وهو لباب إحياء علوم الدين للشيخ أحمد بن محمد الغزالي المتوفى سنة ٥٢٠ هـ، وغيرها. وقد قرأ هذه الكتب كلها على الشيخ يوسف الصفدي، في بيت المقدس. وذكر ابن أبي الوفاء أراد قراءة كتب ابن عربي، فاستشار شيخه يوسف الصفدي فأشار عليه بعدم قراءتها، ثم استشار شيخه زين الدين الحافى، فوافق الحافى ما ذهب إليه الصفدي... وصار ابن أبي الوفاء شيخ الصوفية في بيت المقدس، ووصف بأنه «أمثل المتصوفة» في زمانه وقد «انتهت إليه رياضة الفقراء بالقدس الشريف»، وكان شيخ الوفاة فيها.

ورحل ابن أبي الوفاء إلى بلاد صعيدة، طالباً العلم، فقد توجه إلى الخليل، والشام، وحلب، وبعلبك، والقاهرة، وسمع في كل منها.

هكذا كان ابن أبي الوفاء من كبار العلماء في بيت المقدس عندما تولى مشيخة المدرسة الحسنية هذه، ولا شك أنه أقرأ فيها في العلوم الشرعية، وعلوم اللغة العربية، والتصوف وقد عنى بالفتوة، والحديث، والتصوف عنابة كبيرة، ودرس كتباً في كل موضوع من هذه الموضوعات، ولعله درس الكتب التي كان معناها بها في دراسته، وأخذ عنه العديدون من طالبى العلم، فقد ذكر السخاوى أنه قد «أخذ عنه جماعة من أهل بلده، والقادسين إليها». وقد اجتمع به السخاوى نفسه، وأخذ عنه جزءاً، وأملى عليه نسبة وكان ابن أبي الوفاء صاحب قدرة على إبداء ما في نفسه بعبارة حسنة، غالباً سجع.

وقد استمر ابن أبي الوفاء مشغولاً بالتدريس والتصوف، في بيت المقدس، إلى أن توفي في سنة ٨٥٩ هـ.

ومن الجدير بالإشارة أن ابن أبي الوفاء، لم يقتصر دوره على المجال الفكرى، فقد كان المرجع إليه في الأمور المعضلة في القدس وبلادها، وقد عمل على «تخليص العظام من الزنوب وسائر الظلمة»، وكان يحظى بمكانة كبيرة عند السلوك وغيرهم. واشتهر ابن أبي الوفاء، فكان «شيخ القدس، ومقصد زواره، وملجأ ذوي الضرورات فيه، وصار له أتباع ومریدون، وزوايا، وخلفاء في كل بلد».

ثم خلفه في مشيخة هذه المدرسة تاج الدين أبو الوفاء محمد، فقد ذكر السخاوى أن تاج الدين «خلف أباه في

الملكوذين على زين الدين عبد المؤمن الحلبي، وشهاب الدين بن الهائم»، فقد بحث في المنهاج على أولهما، ويبحث في التنبيه على ثانيهما.

ودرس العربية، فقد حفظ كتباً فيها مثل كتاب «ملحة الإعراب» للحصري. ويعض أئمة النحو لابن مالك. وبحث في النحو على شهاب الدين بن الهائم في هذين الكتابين، كما بحث عليه كتاب «السماء» في النحو. وهو كتاب صنه ابن الهائم نفسه.

وسلك طريق التصوف، وأخذ من عدد من المتصوفة من أمثال والده. وزين الدين الحافى الحنفى، وعبد الهادي بن عبد الله البسطامي، (وهو تقي الدين أو زين الدين عبد الهادي بن عبد الله بن خليل الأسد أبى أبادي الأصل، المقدسى، نزيل القاهرة، ويعرف كآية البسطامي).

نشأ في بيت المقدس، وأخذ من عدد من العلماء فيها، فقد سمع الحديث ورحل، ووافق ابن حجر العسقلاني في السماع. قدم القاهرة، واجتمع عليه فيها أتباع آية. استوطن القاهرة.

وذكر السخاوى أنه سمع من نظم البسطامي هذا في بيت المقدس، وأنه رافقه في بعض السماع على بعض المشايخ، توفي في سنة ٨٣٩ هـ، ولم يبلغ الثلاثين من عمره.

انظر: الفصول اللاحقة ٩١/ ٩٢، كما درس طريق التصوف أيضاً على يوسف الصفدي (وهو الشيخ يوسف بن إبراهيم بن أحمد الصفدي. ذكر السخاوى أنه كان شيخاً حسناً معتقداً، وله كلام على طريقة الصوفية) وعلى غيرهم.

وقرأ كتباً في التصوف، فقد قرأ كتاب «آداب المريدين» للشيخ عبد القاهر بن عبد الله السهروردي، على زين الدين الحافى، وقرأ في كتاب «إحياء علوم الدين» للغزالي، على برهان الدين المزني، وباحث فيه. وقرأ خالته ثانياً على يوسف الصفدي. وقرأ كتباً أخرى مثل كتاب «حرف المعارف» لشهاب الدين عمر بن عبد الله السهروردي، وكتاب «شمس المعارف» للشيخ أحمد البوني المتوفى سنة ٦٢٢ هـ.

(وهو تقي الدين أحمد بن علي بن يوسف البوني القرشي، متصوف، مغربي الأصل، وينسب إلى بونة بالمغرب. توفي بالقاهرة. وله مصنفات كثيرة).

الشروط بعد العمارة :

الشيخ وشروطه الإمامة بالمدرسة ... لتلقين كتاب الله . له خبز كل يوم بالرحل القديس رطل ومن الدبس في كل شهر رطل ونصف وعليه أن يحضر بعد صلاة العصر وظيفته التصوف وصحبته الفقراء القاطنون بالخلوى وغيرهم عشر ففراه أفاقية لكل واحد منهم باليوم ربع رطل خبز وثلاث درهم وعشر [عشرة] أنصار صوفية لكل واحد منهم خبز في اليوم نصف رطل أحدهم خادم وهو القراش له في الشهر ثلاثون درهم والأخر بواب له في الشهر ثلاثون درهما والثالث [فقيه] للأيتام له في الشهر ثلاثون درهما وعدة الأيتام عشرة من أيتام المسلمين [يقرأون] في القبّة في الجدار القبلي لكل منهم ربع رطل خبز وفي كل شهر سبع [سبعة] دراهم ونصف يلقن القاطنين والقاصرين ما ييسر له تلقينهم من كتاب الله تعالى في اليوم خبز نصف رطل في الشهر ثلاثون درهما ، للمشاة في الشهر ثلاثون درهما ...

الناظر علوقه في الشهر مائة درهم وهو شيخ المدرسة المذكورة بمشاركة شيخ الصلاحية . وعلى شيخ المدرسة المذكورة ومن معه من الفقراء الأفاقية والصوفية والشايل والعامل وكاتب الغنية والأيتام ومؤدبهم والمعيدين مجتمعون صبح كل جمعة من كل أسبوع بالمدرسة المذكورة ويقراون سورة الكهف ويسّ والواقعة وتبارك ويختتمون قراءتهم بالدعاء ...

ويهلون ذلك للواقف ثم شروط الواقف أربعة من حفاظ كتاب الله تعالى يقرأون في كل ليلة بعد صلاة المغرب برواق باب الناظر ويهلون ثواب ذلك للواقف وزوجاته وأخيه . ويصرف لرئيس القراء في كل شهر تسع [تسعة] دراهم ولثلاثة البائين أحد وعشرون درهما ويصرف أيضا لكل نفر من الأفاقية في كل يوم أوقية واحدة من الخبز ويؤاد على ما عين له في كل شهر عشرين درهما ، وشروط على البواب الاستقاء على الصهرج بالمدرسة و ... المسقة منها وتنظيفها وتوزيع القناديل بباب المدرسة والدكاة والمستوصف بما له من المعلوم المقرر له وشروط أن يقبض من معلوم المصدر شيخ

المشيخة بيت المقدس ، فصار شيخ الزواوية السوفائية ، والمدرسة الحسينية .

وكان تاج الدين قد أقام بالقاهرة ، وأخذ فيها عن المنأوى ، وحصل على إذن منه .

وذكر السخاوي أن تاج الدين سمع معه ومع غيره في بيت المقدس ، على عدد من العلماء ، ومنهم والده . وتقى الدين القلقشندي ، وغيرهما . وأضاف السخاوي أنه اجتمع وتاج الدين بالقاهرة .

وقد أصبح إماما عالما ، وقد صنف في التصوف ، ونظم شعرا .

ولا شك أن تاج الدين دُرِسَ الفقه ، والتصوف ، وغيرهما بالمدرسة الحسينية . واستمر كذلك إلى أن توفي في سنة ٨٩١ هـ عن عمر يبلغ خمسين عاما (المخلص في بيت المقدس / ١٢٤ - ١٢٧) .

نلاحظ من هذا أن المدرسة الحسينية عاشت فترة طويلة ربما قاربت أربعة قرون . لكنها بعد ذلك دوست كثيرها وتحولت إلى دار سكن (يقطعها جماعة من آل البليدي) وفي هذا القرن الأخير ضم قسم من مبناها إلى المدرسة المنجية لتصبح المدرستان مقرا للمجلس الإسلامي الأعلى ثم من بعده مقرا لرئيس الهيئة العلمية الإسلامية ودفاعة الأوقاف في القدس ومفتي القدس أما القسم الأكبر فهو دار سكن (معلمد العلم في بيت المقدس / ٢١٥ والمخلص في بيت المقدس / ١٢٩) .

واستمرت المدرسة الحسينية تقوم بدورها في الحركة الفكرية حتى أواخر العصر المملوكي ، بل استمرت تقوم به بعد ذلك ، فقد ذكر أنه تولى مشيختها بعض العلماء في القرن الثاني الهجري (المخلص في بيت المقدس / ١٢٩) .

ويورد المذكور كامل جميل العسلي نص وثيقة المدرسة فيقول :

وفيما يلي نص وثيقة المدرسة ما وجدناها في سجل الأراضي باستانبول رقم ٥٢٢ ص ١٨ :

وقف مدرسة حسام الدين محمد الحسين بن ناصري محمد بالقدس الشريف .

الأفاقية في كل شهر خمسة عشر درهماً ويصرف له بقية المعلوم وهو خمسة عشر درهماً مع ما له من ... المقرر فإن تعذر الصرف المذكور أولاً وأخيراً قدم المماثلة ثم جارية المستحقين ... التور ومعلوم مؤدب الأيتام والفقراء الأفاقية واليواف ...

فإن فضل بعد ذلك شيء صرف من الناظر في موسمي رجب وشعبان في كل سنة ثمن حلوا لفرقة بالمدرسة وفي عيلى الفطر والأضحية وطعام يفرق بالمدرسة في كل سنة مائتا درهم ، فإن تعذر الصرف إلى من عينه أولاً وأخيراً يصرف على الفقراء والمساكين بالقدس الشريف على ما يراه الناظر . تاريخ الوقية ٩٣٨ ؟

قرية	قرية	قرية
دير ديوان تابع	كفر طوى تابع	عنت تابع
قدس	قدس	قدس شريف
١٢ ط (= قيراط)	٨ ط	١٦ ط
قرية	مزرعة	قرية ؟
... تابع	مالحة الكبرى	تابع خليل
قدس	تابع القدس	١٢ ط
٦ ط	تماما	

(معاهد العلم في بيت المقدس / ٢١٥ ، ٢١٦) .

(المناسك في بيت المقدس في العصور الأولى والملوك - د . عبد الجليل حسن عبد المهدي / ١٢٤ - ١٢٩ ، ومعاهد العلم في بيت المقدس - د . كامل جميل العلي / ٢١٥ ، ٢١٦) .

• حسونة النواوي (١٢٥٥-١٢٤٢) هـ:

فضيلة الشيخ حسونة بن عبد الله النواوي الشيخ الثالث والعشرون من شيوخ الأثر الشريف .

ولد بقرية (نواي) من أعمال ملوى محافظة أسيوط سنة ١٢٥٥ هـ وحفظ القرآن ووفد إلى الأثر وحضر دروسه على العلماء الكبار كالتشيخ الانبياي والشيخ البحري والتشيخ الأسيوطي وعمل أستاذاً بدار العلوم ومدرسة الحقوق ثم ألف كتاباً هاماً هو سلم المسترشدين في أحكام الفقه والدين أوضح فيه المشكلات الفقهية وتقرر تدريس بكل المدارس

ولما مرض الشيخ الانبياي انتدب للقيام بشئون الأثر سنة ١٣١١ هـ وعين في لجنة خماسية كان من أعضائها الشيخ محمد عبده والشيخ سليمان العبد والشيخ أبو الفضل الجيزاوي للبحث في إصلاح الأثر سنة ١٣١٢ هـ ثم عين شيخاً للأثر سنة ١٣١٣ هـ ثم أخذ الإفتاء أيضاً سنة ١٣١٥ هـ وانتخب عضواً في المجلس العالي بالمحكمة الشرعية إلى أن عزل من مشيخة الأثر سنة ١٣١٧ هـ وتولاه ابن عمه (الشيخ عبد الرحمن النواوي) لأنه عارض إصلاح المحاكم الشرعية ... وعرض على مجلس شورى القوانين اقتراح بنبذ قاضيين ملثمين من محكمة الاستئناف الأهلية ليشتركا قضاء المحكمة الشرعية العليا في الحكم فوقف ضد هذا الاقتراح وأشيع أن الحكومة تريد هدم الشرعية وحاول الخديوي أن يقنع الشيخ بقبول هذا الاقتراح فرفض فتم عزله وبعد محاولة تعيين نحو ستة في منصب المشيخة لم يستقروا في المنصب عاد الشيخ حسونة إلى مشيخة الأثر سنة ١٣٢٤ هـ لكنه أثار ترك المنصب بعد قليل لاختلاف الأحوال واستقال سنة ١٣٢٧ هـ حتى لقي ربه سنة ١٣٤٢ هـ .

وفي عهده صدر قانون شامل بإصلاح الأثر نظمت بمقتضاه إدارته وأجهزته ، وفي عهده أيضاً تم جمع مكبات الأثر والمساجد الأخرى في مكتبة واحدة وساعده الشيخ محمد عبده في كل محاولات الإصلاح .

من مصنفاته :

- غير كتاب « سلم المسترشدين » الذي سبق الإشارة إليه .

- قانون تنظيم الأثر .

(شيخ الأثر ولمحات عن نظامه المعاصر / ٢٨ ، ٢٩ انظر أيضاً أحيان القرن الرابع عشر الهجري لأحمد تيمور / ٤٣ - ٤٩) .

• الحسب :

الحسب من أسماء الله الحسنى (انظر هذه العادة في م ٤ / ٤٧١ - ٤٨١) ويشرح حجة الإسلام الغزالي فيقول : هو الكافي ، وهو الذي من كان له كان حسبه ، والله تعالى حبيب كل أحد وكافيه . وهذا وصف لا يتصور حقيقته لغيره ؛ فإن الكفاية إنما يحتاج إليها المكفى لوجوده ولدوام وجوده ولكمال وجوده .

إلى محل قابل لفعله وكفايته . هذا أقل الأمور . فالحظ الذي هو محل العلم لا بد منه أولاً ليكون هو كافيًا في التعليم . والمعدة التي هي مستقر الطعام لا بد منها ليكون هو كافيًا بإيصال الطعام إلى بدنه . هنا مع ما يحتاج إليه من أمور كثيرة لا يحصيه ولا يدخل شيء منها في اختياره . وأقل درجات الفعل حاجته إلى فاعل وقابل ، فالفاعل لا يكون دون القابل أصلاً ، وإنما صبح هذا في حق الله تعالى لأنه خالق الفعل وخالق المحل القابل وخالق شرائط قبوله وما يكتنفه .

ولكن يبادى الرأى ربما سبق إلى الفاعل ويخطر بالبال غيره فينظر أن الفاعل حسبه وحده وليس كذلك .

نعم الحظ الذي منه للعبد أن يكون الله وحده حسبه بالإضافة إلى همته وإرادته وهو أنه لا يريد إلا الله ولا يريد الجنة ولا يشغل قلبه بالثار ليحدر منها ، بل يكون مستغرق الهم بالله وحده . وإذا كاشفه بهلاله قال : ذلك حسبي فليست أريد غيره ولا أبالي فإني غيره أو لم يفت (المقصد الأسنى / ١٠٢ ، ١٠٣) .

أما الإمام الفخر الرازي فيقول في تفسير اسمه تعالى « المحسوب » :

قال تعالى : ﴿ وكفى بالله حسيباً ﴾ [النساء : ٦] وفي تفسيره وجوه .

الأول : أنه الكافي فيعمل بمعنى فاعل ، كقولك أليم بمعنى مؤلم ، تقوله العرب زلت بفلان فأكرمني ، وأحسبني أي أعطاني ما كفتني ، حتى قلت حسبي ومنه قوله تعالى ﴿ يا أيها النبي حسبك الله ﴾ [الأفقال : ٦٤] .

واعلم أن هذا الوصف لا يليق إلا بالله ، فإنه ليس في الوجود إلا هو ومخلوقاته ، فكل كفاية حصلت وإنما حصلت إما به أو بشيء من مخلوقاته ، وكل كفاية حصلت بمخلوقاته فهي في الحقيقة إنما حصلت به . لأنه لو لا أنه سبحانه وتعالى خلقها وأعدّها لجهات الحاجات وإلا لما حصلت تلك الكفاية ، وكان الكافي في الحقيقة هو الله .

فإن قيل : فإذا كان الكافي هو الله سبحانه وتعالى . فلم قال : ﴿ يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين ﴾

وليس في الوجود شيء هو وحده كافٍ لشيء إلا الله تعالى ؛ فإنه وحده كافٍ لكل شيء لا لبعض الأشياء ... أي هو وحده كافٍ يتحصل به وجود الأشياء ، ويدوم به وجودها ، ويكمل به وجودها .

ولا تظن أنك إذا احتجت إلى طعام وشراب وأرض وسماه وشمس وغير ذلك - فقد احتجت إلى غيره ولم يكن هو حسبك ؛ فإنه هو الذي كفاك بخلق الطعام والشراب والأرض والسماه ... فهو حسبك .

ولا تظن أن الطفل الذي يحتاج إلى أمه ترضعه وتمهده - فليس الله حسبه وكفايه ؛ بل الله فضل إذ خلق أمه ، وخلق اللبن في ثديها ، وخلق له الهداية إلى التمام ، وخلق الشفقة والمودة في قلب الأم حتى مكنته من الاتكتم ودعته إليه وسملت عليه . فالكفاية إنما حصلت بهذه الأسباب ، والله وحده هو المقدر بخلقها لأجله .

ولو قيل لك : إن الأم وحدها كافية للطفل وهي حسبه - لصدقت به ولم تقل : إنها لا تكفيه لأنه يحتاج إلى اللبن ، فمن أين تكفيه الأم إذا لم يكن لبن ؟ ولكنك تقول : نعم يحتاج إلى اللبن ولكن اللبن أيضاً من الأم فليس محتاجاً إلى غير الأم . فاعلم أن اللبن ليس من الأم ، بل هو والأم من الله ومن فضله وجوده .

فهو وحده حسب كل أحد ، وليس في الوجود شيء وحده هو حسب شيء سواه ؛ بل الأشياء تتعلق بعضها ببعض وكلها تتعلق بقدرة الله تعالى .

تنبيه : ليس للعبد مدخل في هذا الوصف إلا بنوع من المجاز بعيد وبالإضافة إلى بادئ الرأي وسابق الظن العامي .

أما كونه مجازاً : فهو أنه إن كان كافياً لطفله في القيام بتمهده أو لتلميذه في تعليمه حتى لم يقتر إلى الاستعانة بغيره - كان واسطة في الكفاية ولم يكن كافياً ؛ لأن الله تعالى هو الكافي ؛ إذ لا قوام له بنفسه ، ولا كفاية له بنفسه ... فكيف يكون هو كفاية غيره ؟

وأما كونه بالإضافة إلى سابق الظن : فهو أنه وإن قدر أنه مستقل بالكفاية وليس بواسطة فهو وحده لا يكفي إذ يحتاج

وقيل : هو الذي إذا رفعت إليه الحوائج فضاها . وإذا حكم بقضية أبرمها وأماها (شرح أسماء الله الحسنى / ٢٦٨ - ٢٧٠) .

والحسب من الحسب ، والحسب : الكرم والشرف الثابت في الأبناء وقيل هو الشرف في الفعل وهو ما يعده الإنسان من مفاخر آبائه على ما ذكره جماعة من أهل اللغة . ولو أن البعض يقر أن الحسب قد يكون في الرجل وإن لم يكن له أبناء لهم شرف . وهذا اللقب فخري يطلق على الشرفاء من ولد علي بن أبي طالب كرم الله وجهه من فاطمة رضى الله عنها والحسيني نسبة إليه للمبالغة (التعريف بمصطلحات صبح الأئمة / ١٠٦) .

(المقصد الأئمة في شرح أسماء الله الحسنى لأبي حامد الغزالي .. دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشت / ١٠٢ ، ١٠٣ ، وشرح أسماء الله الحسنى للرازي ، وهو الكتاب المسمى « لواعج البيان شرح أسماء الله تعالى والمصنفات للإمام فخر الدين الرازي - راجعه وقدم له وعلق عليه الأستاذ طه عبد الرؤوف سعد / ٢٦٨ - ٢٧٠ ، والتعريف بمصطلحات صبح الأئمة - محمد فتنبيل البالي / ١٠٦ من صبح الأئمة للفتشدي ١٣ / ١٣ ولسان العرب مادة « ح ب ») .

• ابن الحسين :

من علماء المسلمين في الرياضيات وهو « أبو جعفر محمد بن الحسين » ظهر في القرن الحادى عشر للميلاد ، اشتغل بالرياضيات وكان له فيها ولع خاص . كتب بعض رسائل في : « خواص المثلث القائم الزاوية » .

وفي « كيفية إيجاد الوسط التناسبى بين خطين معلومين بطرق هندسية » .

وكذلك حل المعادلة الآتية :

$$x^2 = 2x - 3$$

(تراث العرب العلمى فى الرياضيات والملك - قدرى حافظ طوقان / ٣٤٠) .

• حسين الأجميري (الأمير) (٦٠٧-هـ) :

الأمير حسين الأجميري ، عربى من السادة الحسينية ، أحد أمراء العرب في الهند .

[الأضال : ٦٤] ؟ فإذا كان هو كافيا فأى حاجة إلى من اتبعه من المؤمنين .

قلنا : نقل عن ابن عباس أنه قال : معنى الآية الله حسيك وحسب من اتبعك من المؤمنين : وهو تفسير حسن .

الوجه الثانى : أن الحسب بمعنى المحاسب كالنديم بمعنى المتادم . والجليل بمعنى المجالس . قال تعالى : « كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا » [الإسراء : ١٤] أى محاسباً . فإن الله تعالى يحاسب خلقه يوم القيامة قال عليه الصلاة والسلام : « إن الله تعالى يدخل الجنة سبعين ألفاً من هذه الأمة بغير حساب وإن عكاشة منهم ، وإن كل واحد يشفع في سبعين ألفاً » .

ومنهم من يحاسبه حساباً يسيراً وهم المؤمنون الصالحون ومصيرهم إلى نعيم أبدي لا يزول . ومنهم من يحاسبه حساباً شديداً على التقير والتظلمير وهم الكفار المجرمون ؛ فيكون مرجعهم إلى الجحيم .

واعلم أن محاسبة الله للعبيد تذكيرهم بما عملوا في الدنيا من الحسنات والسيئات وتعريف جزاء أعمالهم من الثواب والعقاب . فيرجع ذلك أيها إلى صفات الفعل .

الوجه الثالث : أن الحسب بمعنى الشريف . والحسب الشرف . والحسب الشريف الذى له خصال الشرف ، فعلى هذا الحسب لله بمعنى أن صفات المجد والشرف ونعوت الكمال والجلال ليست إلا له (يأتى الكلام على لقب الحسب فيما بعد)

وأما حظ العبد : فإن فسرناه بالكافى فهو أن يجهت العبد في أن يصير سبياً في الظاهر لكفاية حاجات المحتاجين . وإن فسرناه بالمحاسب فتصيب العبد منه ما قاله عليه الصلاة والسلام : « حاسبوا أنفسكم قبل أن تموتوا » وإن فسرناه بالشرف فشر العبد ليس إلا في معرفة الله وطاعته .

وأما المشايخ فقالوا : الحسب من يعد عليك أنفسك . ويصرف فضله عنك بأسك .

وقيل الحسب الذى يرجى خيره ، ويؤمن شره . وقيل : هو الذى يكفى فضله ، ويصرف الآفات بطوئه .

وخرج منها إلى بيت الله الحرام ، ثم رجع إلى البلاد الرومية ، وعاد إلى مصر ثانياً وأقام بها ، وكان والده من موالى السلطان سليمان ، ثم إنه لم يزل يتنقل فى الولايات حتى صار أمير الأشراف بـ « طمشوار » و « بودين » وكانت وفاته بها .
وأما والدته فهي بنت إياس باشا الذى كان رأس الوزراء فى دولة السلطان سليم ، وكان من موالى السلطان بايزيد بن محمد ، وأخذ صاحب الترجمة من جماعة من الموالى العقظام بالديار الرومية منهم :

المولى يحيى الذى كان متقاعداً عن [حدى المدارس الثمان ، وكان أخاً للسلطان سليمان من الرضاع ، وكان السلطان المذكور يعظمه ويزوره أحياناً ، ويقبل شفاعته ، ومنهم :

المولى عبد الغنى ، ومنهم :
المولى محمد بن بستان المفتى ، ومنهم :
المولى فضيل بن المفتى علاء الدين الجمالى ، ومنهم :
المولى محمد بن أنسى ، ومنهم :
المولى أبو السعود المفتى العمادى صاحب التفسير .

وصار ملازماً بمدرسة السلطان سليم الأولى بقسطنطينية ، ثم ترك ذلك وعزم على الإقامة بمصر ، وطلب من السلطان أن يعين له من بيت المال ما يكفيه هو ومن معه من العيال ، من الدراهم والضلال ، فعين له ذلك ، ثم قدم إلى مصر ، وأقام بها بالمرعة والاحترام مع الإحسان والشفاعات فى العلوفات والجريبات للخاص والعام ، وأنشأ بيتاً تسموا مطلاً على « بركة الفيل » (مكان بالقاهرة لا زال يحمل هذا الاسم قريب من حى السيدة زينب) ، جعله محلاً للجلوس فيه للوزراء عليه .

قال صاحب الخلاصة : ورايت له ترجمة فى بعض المجاميع وأظنها من إنشاء بعض المصريين قال فيه - بعد ذكر اسمه وشهرته : غرة جبهة الزمان ، وواسطة عقد الفضائل المزدى يعقود الجمعان ، جر على هامة المجرة ذيله ، وأثار بقر فضله ليله ، فأصبح وهو عزيز مصره ، والفاجر ذو التاج المحجب فى قصره ، أجرى بمصر نيله ، فأعجل نيلها وما زال مانح الفضائل والمواصل ومثليها .

الأخير السيد الشريف حسين بن أبى عبد الله الحسينى المشهدى - أحد الرجال المعروفين بالفضل والصلاح ، ولله السلطان شهاب الدين الفورى أميراً على بلدة (أجمير) حين ملكها فلم يزل بها إلى أن مات ، وأسلم على يده خلق كثير من الوثنيين فسخط عليه عباد الأصنام وقتلوه ، وكان يحب العلماء والصلحاء وخاصة الشيخ معين الدين حسن السجزي ، وكان صاحبه مدة حياته بتلك المدينة وكان يلقب (جنك سوار) معناه وراكب القرس .

قتل فى عاشر رجب سنة سبع وستمئة كما فى كتاب أخبار الأصفياء .

(ملوك وأمراء العرب فى شبه القارة الهندية - يرسى الشيخ إبراهيم السامرائى / ٥١) .

✽ أبو الحسين أحمد بن سعد الكاتب (٣٥٠ هـ) :

من أهل أصرهان وفضلائها ، ومن أصحاب الرسائل ، وكان معاصراً لحزمة بن الحسن الأصبهاني ، وله من الكتب : كتاب الاختيار من الرسائل ، لم يسبق إلى مثله ، كتاب فقر البلغاء ، كتاب الحلى والثياب ، كتاب المنطق ، كتاب الهجاء ، وتوفى سنة ٣٥٠ هـ ، وكان بين حمزة وبينه محادثات شفووية . (راجع مقدمة ديوان أبى نواس / ١٧ واثنيته على حدوث التصنيف / ١٦٨) .

(اللذة الفاغرة فى الأثال السائرة للإمام حمزة بن الحسن الأصبهاني - حققه وقدم له ووضع حواشيه وفهارسه عبد المجيد قطناش / ١ / ١٦) .

✽ حسين باشا البغدادى (٩٥٨-١٠٣٢ هـ) :

من شعراء اليوسنة حماها الله . قال عنه الخاتجى :
(حسين باشا البغدادى) ترجمه صاحب (خلاصة الأثر) فقال : حسين باشا بن رستم المعروف بـ (باشا زاده الرومى) نزيل مصر ، وأحد الدهر على الإطلاق المحقق الفهامة ، وراس الفضلاء فى وقته ، رأيت خبره فى كثير من التحريات والمجاميع وذكره الشيخ مدين القزوصى ، وقال - فى ترجمته : مولده ببغداد فى يوم الأربعاء ثمانى عشر شوال وكان ذلك فى أوائل فصل الخريف من سنة ثمان وخمسين وتسعمائة وقدم إلى مصر فى سنة سبع وسبعين وتسعمائة

كتب بها إلى « المفتي سعد الدين » يمدحها بها ومطلعها :
أراك تسروم المجد ثم تساهل
وزامله العمر اليسير تناسل
ونفسك زادت زعمها لا تسزوعها
وتغفل عمسا خلفك الأوائل
 (المختار من الجواهر الأسنى في تراجم علماء وشعراء بوسنة
 للخاتنجي هدية مجلة الأثر . ذو الحجة ١٤١٢ هـ / ١٠٨ - ١١٢ -
 رئيس التحرير د . علي أحمد الخطيب وقد وضعنا تعليقاته بين أقواس في
 تنها النص) .

• **حسن باشا (جامع) (١٢٨٨ هـ) :**

قال عنه علي مبارك :

هذا المسجد داخل حارة شق الثعالب بين مسجد الخلوقة
 ومسجد رجة عابدين ، وكان يعرف أولا بمسجد القمري . .
 ولما وهي جده الأمير حسن باشا أبو أصبح فنسب إليه ،
 وجاء في غاية الحسن والبهجة ، وبه أربعة أعمدة من الرخام ،
 وبه منبر جميل وذكية ، وأرضه مبلطة بالحجر ، وسقفه
 بالخشب النقي ، وبأصلا قبة من الزجاج العلون ، ومكتوب
 على بابها تاريخ إنشائه سنة ثمان وثمانين ومائتين وألف .
 ومنافعه تامة وشعائره مقامة من أوقافه اهـ .

(الخطط الترفيحية الجديدة لملي باشا مبارك / ٤ / ٢٠٣ ، ٢٠٤) .

• **أبو الحسين البصري (٤٣٦ هـ / ١٠٤٤ م) :**

محمد بن علي الطيب ، أبو الحسين ، البصري ، أحد
 أئمة المعتزلة ولد في البصرة وسكن بغداد وتوفي بها . قال
 الخطيب البغدادي : « له تصانيف وشهرة بالذكاء والديانة
 على يدعته » من كتبه « المعتمد في أصول الفقه » جزآن ،
 « تصحيح الأدلة » ، و « غرر الأدلة » و « شرح الأصول
 الخمسة » كلها في الأصول ، وكتاب في « الإمامة » و « شرح
 أسماء الطبيعي » .

(الأعلام للزركلي / ٦ / ٢٧٥ ، وانظر مصادره في هامش ٣) .

• **حسين بك آلي بكى زاده (١١٠٢-٩٥٨ هـ) :**

من شعراء البوسنة حماها الله . قال عنه الخاتنجي :

حسين بك آلي بكى زاده المتخلص بـ « ميري » وسماه
 محمد طاهر باسم حسين . أصله من بوسنة ، وولد في بلدة

وأما أدبه : فمادة البراعة والإحسان ، القاصر عن نظمه
 ونثره سبحانه ، وما برحت كراكب فضله مشرقة لافحة ،
 وسواكب أفضاله غادية ورائحة ، حتى وافته بأجله وفاته ،
 وصفت آثاره وبكت عليه عفاة .

قال المحيي : وأثبت له من شعره ما كتب به إلى القاضي
 محمد بن دراز المكي قوله :

على العمى شياقني بخيالـه
سلام يحاكى منه طيب غصـاله
عشت وما أبهرتـه غير أنـي
سمعت من الحكاكين وصف كـاله
 وكتب إلى الشيخ عبد الرحمن المرشدي :

عندي لسوكـه فاعلمـه فـاكـمـه
وللتعلمي بمسـرائـي منك أشـواقـ
ولللحلول بأرضي أنت مـاكـنـها

قلبي بعمادي الشوقى ينساق
 وقال المحيي : وظفرت له بقصيدة أثبت بها له في ترجمته في
 كتاب « النضحة » (اسمه نضحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة)
 زيل بها على « ربحانة الألباب » للشهاب الخفاجي ، ومطلعها :

أراك تسروم المجد ثم تساهل
وزامله العمر اليسير تناسل
 وهي قصيدة لا بأس بها ، فارجع إليها في الكتاب
 المذكور ، وكانت وفاته بمصر في آخر يوم الجمعة ثالث
 رجب سنة ثلاث وعشرين وألف ودفن يوم السبت بالقرب من
 قبر القاضي بكار رحمه الله تعالى اهـ .

وقال المحيي - في النضحة (ونقلناه من نسخة مخطوطة
 منها) : حسين بن رستم المعروف بـ « باشا زاده » نزيل مصر
 صندي بطل . ومطابق غير ذي خطأ أو غلط ، نهجه مستقيم
 والدهر يمثله عقيم ، يشتم اقتضاها جله وأورثه أياها أبوه
 وجده ، ومفخرة يتوشع برحلتها ، ومأثرة يترشع لأبتلائها إلى
 أخلاق الطلف من نعمة الوصال ، وأرق من نسمة الشمال
 تهديها البكور والأصـال ... إلخ .

وله أخبار نشرت أعلام أفادتها في كل نادي ، وأشعار لها
 لفصاحتها عند قس الإيادي أيادي ، فمنها قوله من قصيدة

ناحية ميلدان ومسيب ، أنشئ عام ١٢٨٦ هـ / ١٨٦٩ م ،
وبعد لم يقع فى القاهرة سبيل آخر .

كما أورد فى قائمة أسبلة القاهرة كما هى اليوم وقال عنه
إنه يقع بالقرب من ميدان رمسيس (أولاد عنان) وإنه يمتاز من
الأسبلة الأخرى برشاقة عمله واتساعها مع الكتاب الذى
يعلمه ويجمال نقشه .

(قاهرات - جمال النيطاني / ٢٨ ، ٢٧) .

• **حسين البكرامى [الأمير] (١٣٦٠ - ١٣٤٤ هـ) :**

عربى من السادة الحسينية فى شبه القارة الهندية .

الأمير الفاضل السيد حسين بن كرامة حسين الحسينى
الراسطى البكرامى أحد مشاهير الهند .

ولد بمدينة « كيا » بفتح الكاف سنة ١٢٦٠ هـ وطلب من
صغر سنه وقرأ العلوم العربية مدة ثم دخل المدرسة الإنكليزية
بمدينة (بهاكلور) ثم فى المدرسة الإنكليزية بمدينة (عظيم
آباد) وحصل على شهادتها بامتياز سنة ١٢٨٠ هـ فأراد والده
أن يوظفه فى الوظائف الحكومية ولم يرض بها لاشتغاله بالعلم
فتولى التدريس فى « المدرسة الكلية » بمدينة « كهنتر » مع
إكبابه على مطالعة الكتب وحفظ نواذرها . وتعلم العلوم
العربية ، ولم يزل مجتهدا فى ذلك حتى اشتهر فضله فى العلم
مع معرفته اللغتين العربية والإنكليزية . وطار صيته فى الآفاق
فاستقدمه ، نواب متخار الملك الوزير الكبير إلى حيدر آباد
وقربه إلى نفسه ورفقه درجة بعد درجة حتى صار سكرتيرا
لصاحب النكن وناظرا على المدارس كلها ، وفى سنة ١٣٠١
هـ لقيه بـ « عماد الدولة » وفى سنة ١٣٠٤ هـ لقيه بـ « عماد
الملك » حتى أحيل على التقاعد .

وسافر إلى لندن وصار عضوا خاصا فى مجلس وزير الهند
فأقام بها مدة ثم رجع إلى حيدر آباد وسكن بها ، ولما ولى
الوزارة بحيدر آباد « يوسف على بن لائق على بن مختار
الملك » جعله مستشارا للوزير وبقي بهذا المنصب نحو
ستين ثم اعتزل عنها .

وتفرغ لترجمة القرآن الكريم إلى الإنكليزية ، وخلال ذلك
ضعف بصره وانعزلت صحته فلم يكمل منها إلا ستة عشر
جزءا ، تولى لثمان بقين من ذى القعدة سنة ١٣٤٤ هـ .

كان السيد حسين نادرة عصره فى معرفة اللغات العربية

« يودين » وسلك طريق التعلم ، فأخذ عن علماء استانبول
وجد واجتهد إلى أن صار مدرسا ، فدرس فى مدارس عديدة
وكان مدرسا فى مدينة « مسراى » وبها توفي سنة اثنين ومائة
وآلاف ، وكان معلمه وحسن سيرته محترما بين الأكابر
والأصاغر ، وكان شاعرا ماهرا باللغة التركية له أشعار كثيرة
مدونة فى ديوان مستقل ، وذكر « شيعى زاده » منها مثالا .

(المختار من الجواهر الأسنى فى تراجم علماء وشعراء برسته
للخانجى . هدية مجلة الأثر . ذو الحجة ١٤١٦ هـ - رئيس التحرير
د . على أحمد الخطيب / ١١٤) .

• **أم حسين بك (سبيل) - (١٢٧٠ هـ / ١٨٥٣ م) :**

قال عنه على مبارك كما كان فى زمانه :

هو بشارع جامع البنات بين نطرة الموسيقى وقنطرة الأمير
حسين . أنشأته المرحومة والدة حسين بك نجل الحزير
محمد على فى سنة سبعين ومائتين وألف ، وهو فى غاية
الحسن أرضه مفروشة بالرخام وواجهته من الرخام أبيض وبه
ثلاث مزملات بشايك نحاس أصفر وعلى باب هذه الأليات :

لأم حسين شهيرة بـ

من الأخير ذكرها علوم على الشعر

لقد أنفقت فيها احتسابا وأعلفت

فيارب نسولها الكثير من البر

على باب خير جاء تاريخه سنا

بها حسنات أجراها سمرقبرى

وهو عامر إلى الآن ويعرف عليه من ريع وقفه بمعرفة

ديوان الأوقاف اهـ . (الخطط الترتيبية الجديدة ٣ / ٧٦ / ١٦٩)

وقد أورد الأستاذ جمال النيطاني فى قائمة أسبلة القاهرة
كما هى اليوم فقال إنه يقع بشارع بين النهدين أمام مسجد عبد
الغنى الفخرى (قاهرات / ٣٦) .

(الخطط الترتيبية الجديدة لعمى باشا مبارك ٣ / ٧٦ / ١٦٩)

وقاهرات - جمال النيطاني . مكتبة مابولى . القاهرة ١٩٨٤ / ٣٦) .

• **أم حسين بك (سبيل) - (١٢٨٦ هـ / ١٨٦٩ م) :**

يقول الأستاذ جمال النيطاني إن هذا السبيل وسبيل أم
عباس الذى يقع بشارع الصليبية هما آخر سبيلين تم بناؤهما
فى القاهرة وإنه يقع فى نهاية شارع الجمهورية قرب نهايته من

• أبو الحسين بن بنان :

من الطبقة الرابعة للصوفية ، وهو أبو الحسين بن بنان ، وهو من جلة مشايخ مصر . صاحب أبا سعيد الخراز ، وإليه يتنمى ، وكان يتواجد وأبو سعيد الخراز يصفق له ، مات في التيه (شبه جزيرة سياء) .

ومن كلامه :

— الناس يعطشون في البرلى ، وأنا عطشان على شط النيل .

— كل صوفى يكون هم الرزق قائما في قلبه ، فلزوم العمل أقرب له إلى الله ، وعلاصة ركون القلب والسكون إلى الله أن يكون قويا عند زوال الدنيا وإدبارها عنه وفقده إياها ، ويكون بما في يد الله أقوى وأوثق وأوثق منه بما في يده .

— اجتنبوا دناءة الأخلاق كما تجتنبون الحرام .

— الحرية أن يكون السر حرا إلا من عبودية سيده ، يصح له بملك العبودية للحق ، والحرية عن الخلق .

— ذكر الله باللسان يورث الدرجات ، وذكره بالقلب يورث القربات .

— الوحدة مجلس الصديقين .

— آثار المحبة إذا بدت ، ورياحها إذا هاجت ، أماتت قوما وأحييت قوما ، وأفتت أسرا وأبقت أسرا ، تؤثر آثارا مختلفة ، وتبدى سرائر مكتوبة ، وتكشف عن أحوال مستورة .

— لا يعظم أقدار الأولياء إلا من كان عظيم القدر عند الله تعالى .

(طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمى — سره روتبه أحمد انشراعى / ٩٥) .

• أبو الحسين بن السراج (٥٦٠-٦٥٧ هـ) :

ذكره ابن تفتل القسطنطينى فى وفيات سنة ٦٥٧ هـ . وأن عمره كان يقرب من مائة سنة ، كما ذكره باسم أبى الحسن .

وهو أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن قاسم الأنصارى ، أبو الحسين بن السراج . فقيه مالكي ، محدث ، من أهل إشبيلية ، ولد سنة ٥٦٠ هـ ، وأخذ عنه كبار العلماء فى بلده ، وأجاز له غيرهم . خرج من إشبيلية بخروج أهلها عند تغلب الإفرنج عليها فى رمضان سنة ٦٤٦ هـ ، وأجاز

والإنكليزية والفرتسية مطلقا على الأدب العربى والشعر الجاهلى ويحفظ الكثير منه عاكفا على المطالعة شغفا يجمع الكتب الشاذة مولعا بالبحوث العلمية ، يحب العلم والعلماء .

(ملوك وأمراء العرب فى شبه القارة الهندية — يونس الشيخ إبراهيم السامرائى / ٤٦ ، ٤٧) .

• حسين بن أحمد الأشعري :

عربى من ذرية الصحابى أبى موسى الأشعري فى شبه القارة الهندية .

الأمر الكبير عين الملك فخر الدين الحسين بن شرف الملك رضى الدين أبى بكر أحمد الأشعري ، أحد أجواد الدنيا . من ذرية الصحابى أبى موسى الأشعري .

استوزره السلطان ناصر الدين قباچه ملك السند فخدمه من سنة اثنين وستمائة إلى سنة خمس وعشرين وستمائة . ولما هلك ناصر الدين وملك بلاده شمس الدين الأيتمش الدهلوى اتفق به فاستوزره فولده ركن الدين فيروز شاه .

وكان فاضلا كبيرا محبا لأهل العلم محسنا إليهم صنف له نور الدين محمد بن محمد العرفى كتابه « لباب الألياب » سنة سبع عشرة وستمائة (ملوك وأمراء العرب فى شبه القارة الهندية — يونس الشيخ إبراهيم السامرائى / ٥٠) .

• أبو الحسين بن بشران (٣٢٨-٤١٥ هـ / ٩٤٠-١٠٢٤ م) :

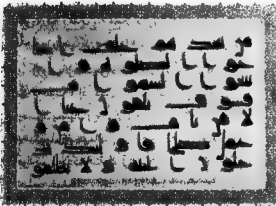
على بن محمد بن عبد الله بن بشران الأموى أبو الحسين البغدady المعدل ، من رجال الحديث . مولده ووفاته ببغداد من آثاره « الفوائد » مخطوط ، جزء منه ، فى دار الكتب بـ مصر (الأعلام / ٤ / ٣٢٧) .

ذكره صاحب الرسالة المستطرفة لـهمن ألف أجزاء حديثية فقال :

وجزه أبى الحسين على بن محمد بن عبد الله بن بشران السكرى البغدady المعدل الثقة أحد شيوخ البيهقى المتوفى سنة خمس عشرة وأربعمائة عن سبع وثمانين سنة (الرسالة المستطرفة / ٦٦) .

(الأعلام للزركلى / ٤ / ٣٢٧ وقد أدرجه تحت اسم « ابن بشران » ، والرسالة المستطرفة للإمام محمد بن جعفر الكتانى / ٦٦) .

شعبان سنة أربع من الهجرة وكانت أمه حلفت به بعد أن ولدت أخاه الحسن رضي الله عنه بخمسين ليلة وهكذا أصبح النقل في ذلك رحلكم ﷺ بريقه وأذن في أذنه وتقل في قمه ودعا له ومعه حسينا يوم السامع وعن عنه بكشي وقال لأمه احلق رأسه وتصدقني بزنة شعره فضة كما فعلت بأخيه الحسن وكنيته أبو عبد الله لا غير وألقابه الرشيد والطيب والزكي والنوفى والسيد والمبارك والتابع لمرضاته الله والسيط وأشهرها الزكي وأصلها رتبة ما لقبه به ﷺ في قوله عنه وعن أخيه أنهما سيذا شباب أهل الجنة وكذلك السبط فإنه صبح عن رسول الله ﷺ أنه قال حسين سبط من الأسباط وكان الحسين رضي الله عنه أشبه الخلق بالنبي ﷺ من ستره إلى كعبه وشاعره يحيى بن الحكم وجماعة غيره ويوابه أسعد الهجري ونقش خاتمه لكل أجل كتاب (في الأعلام ٢ / ٢٤٣ : نقش خاتمه ﷺ بالغ امره) ومعاصره يزيد بن معاوية وعبيد الله بن زياد ومروياته من الأحاديث ثمانية .



صفحة من المصحف المشوي خطه إلى الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه المستشهد سنة ٦١ هـ / ٦٨٠ م ، تتضمن الآيتين ٥٩ ، ٦٠ من سورة مريم . الأصل محفوظ في المشهد الرضوي .

البحر إلى سبته وأقام بها قليلا ، ثم انتقل إلى بجاية سنة ٦٤٧ هـ واستوطنها إلى أن توفي يوم الأحد لسبع مغبين من صفر سنة ٦٥٧ هـ . قال المراكشي : « وكان سرا فاضلا من بيت خير ودين وتباهة » رواية مستندة فيما يحدث به ، صحيح السماع صدوقا ، عمر طويلا وأمن حتى كان آخر الرواة بالسماع عن أكثر الأكابر من شيوخته .

(كتاب الزينات لابن الخطيب الشهير بابن تغذ القسطنطيني - تحقيق عادل نويهي / ٣٢٣ - ٣٢٤ وعاش ٣ للمحقق) .

• الحسين بن علي رضي الله عنه (٦١٠ هـ / ٦٢٥ - ٦٨٠ م) :

سليمان الحسين ، أبو الشهداء ، الذي ورد في فضله من الأحاديث الشريفة والأثر الكريمة ما يجعل من الحصر . وهو الحسين بن علي بن عبد مناف أبي طالب بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف أبو عبد الله بن أبي الحسن الهاشمي القرشي ، وأمّه فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، سبط رسول الله ﷺ ووريثاته ، وأحد سيدي شباب أهل الجنة ، ولد في شعبان سنة أربع من الهجرة ، وقيل ولد ستين وأربعة أشهر من الهجرة ، وشهد صفين مع أبيه علي عليه السلام وكان أميرا على القلب يومئذ ، وهم همدان .

وغزا القسطنطينية في الجيش الذي كان يزيد بن معاوية أميره ، فقد اجتاز بحلب في طريقه من دمشق إليه .

حدثت عن جده رسول الله ﷺ ، وعن أبيه علي بن أبي طالب وأمّه فاطمة عليهما السلام .

روى عنه ابنه علي بن الحسين زين العابدين وابنه عبد الله ابن الحسين وابنته فاطمة وسكينة وابن أخيه زيد بن الحسن ابن علي ، وأبو هريرة ، وطلحة بن عبيد الله العفلي ، وهامر الشعبي وعكرمة مولى ابن عباس وعبيد بن حسين ، وشعيب ابن خالد ويوسف الصليح ، وزيد بن شاهر ، وحسين بن سلم ، وسنان بن أبي سنان الخثلي ، ومحمد بن الصائغ ، وهمام بن غالب الفرزدق ، وعبد الله بن سليمان بن نافع مولى بني هاشم ، والعزيز بن حريش ، وأبو سعد العيشي وأبو هشام وأبو خازم الأحمسي ، والمطلب بن عبد الله بن حنطب وعبيد الله بن أبي يزيد وبشير بن غالب (الحسين بن علي / ٦١)

يقول الشيخ الشبلنجي في موجز آخر :

ولد الحسين رضي الله عنه بالمدينة لخمس خلون من

عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » قالت أم سلمة وأنا معهم يا رسول الله ؟ قال : أنت على مكانك ، أنت إلى خير (الحسين ابن علي / ٧٦) .
فضائله :

وفضائله رضي الله عنه وفضائل أمه وأبيه وأخيه الحسن وأخيه وزريته رضي الله عنهم أشهر من أن تذكر ، والأثار الواردة فيهم لا تحصى ، وقد ورد أن الحسين رضي الله عنه كان أشبه الناس برسول الله ﷺ ، وروى أيضا أن أخاه الحسن كان أشبه الناس برسول الله ﷺ ، وجمع بعضهم بين الروايتين بأن الحسن رضي الله عنه أشبه الناس بالنبي ﷺ من جهة أعلامه ، والحسين أشبه الناس به ﷺ من جهة أسفله ، وهو أول من مسمى بالحسين ، وكذا أخوه أول من مسمى بالحسن ، وأما أمهما السيدة فاطمة الزهراء - رضي الله عنها - فكانت أشبه الناس برسول الله ﷺ في السمات والهيئ - كما في رواية حسنها الترمذي - ما رأيت أحدا أشبه سمها ولا هديا ولا حديثا برسول الله ﷺ من فاطمة وفي قيامها وقعودها رضي الله عنها .

كان شجاعا مقداما من حين كان طفلا ، ووردت في حقه آثار كثيرة تدل على مزينة فضله ، منها قول النبي ﷺ : «حسين مني وأنا من حسين ، اللهم أحب من أحب حسينا ، حسين سبط من الأنبياء » وقوله ﷺ : « من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى الحسين بن علي » وقوله ﷺ : « اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه » .

ورأى ابن عمر الحسين مقبلا فقال : هذا أحب أهل الأرض إلى أهل السماء اليوم .

وجاء رجل إلى الحسن يستعين به فوجده معتكفا في خلوة فاعتذر إليه فذهب إلى الحسين فاستعان به فقبض حاجته ، وقال : قضاه حاجتي في الله عز وجل أحب إلى من اعتكافي شهرا (الخطب الترويقية الجديدة : ١٩٨ ، ١٩٩ ، ١٩٤) .

قال الإمام أحمد : حدثنا تليد بن سليمان كوفي ثنا أبو الحجاج عن أبي حازم عن أبي هريرة قال : « نظر النبي ﷺ إلى علي والحسن والحسين وفاطمة فقال : أنا حرب لمن حاربكم ، سلم لمن مالكم » تفرد بهما الإمام أحمد .
وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو نعيم ثنا صفيان عن يزيد

وهذه نبذة من الأحاديث الواردة في حقه : أخرج الحاكم وصححه عن يعلى العامري أن النبي ﷺ قال « حسين مني وأنا من حسين اللهم أحب من أحب حسينا ، حسين سبط من الأنبياء » وروى ابن حبان وابن سعد وأبو يعلى وابن عساکر عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة وفي لفظ إلى سيد شباب أهل الجنة فلينظر إلى الحسين بن علي وروى خيشمة ابن سليمان عن أبي هريرة أن النبي ﷺ جلس في المسجد فقال أين لكع فجاء الحسين يمشي حتى سقط في حجره فجعل أصابعه في لحية رسول الله ﷺ ففتح رسول الله ﷺ فمه أي الحسين فأدخل فيه في ثم قال اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه وروى أبو الحسن بن الضمحاك عن أبي هريرة قال رأيت رسول الله ﷺ يمتص لعاب الحسن كما يمتص الرجل الثمرة (نور الأبصار / ٢٢٠ ، ٢٢١) .

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال : طرقت النبي ﷺ ذات ليلة في بعض الحاجة ، فخرج النبي ﷺ وهو مشتمل على شيء لا أدري ما هو ، فلما فرغت من حاجتي قلت : ما هذا الذي أنت مشتمل عليه ؟ فكشفه ؟ فإذا الحسن والحسين على وركيه ! فقال : « هذان ابناي وابنا ابنتي اللهم إني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما » .

وروى بالإسناد عن بريدة رضي الله عنه أنه قال : كان النبي ﷺ يخطبنا ، إذ جاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويمشران ، فنزل رسول الله ﷺ من المنبر ، فحملهما ووضعهما بين يديه ، ثم قال : « صدق الله ﴿ إنما أموالكم وأولادكم فتنة ﴾ [التوبة : ١٥] نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويمشران فلم أعبر حتى قطعت حديثي وورعتهما » .

وروى بالإسناد إلى عمر بن أبي سلمة وريب النبي ﷺ قال : نزلت هذه الآية على النبي ﷺ : ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ﴾ في بيت أم سلمة . فدعا النبي ﷺ فاطمة وحسنا وحسينا فجلبهم بكساء وعلف خلف ظهره . ثم قال : « هؤلاء أهل بيتي ، فأذهب

فقال المقنع مقنع الأنصاري يكي حسينا حين قتل :
كسان لقا شرب لسه نهاره

يسرقهم بالسند المائل

كيما يرها قبايس مرسل

أو فرد قوم ليس بالأهل

مفارغ الشيزي على باب

مثل حياض النعم الناهل

لا تسري شغرا على مثله

في الناس من حواف ولا ناهل

ابن التبي المرسى المصطفى

وابن ابن عم المصطفى الناهل

(مكارم الأخلاق / ١٢٨ ، ١٣٩) .

وقال محمد بن سعد : أخبرني يعلى بن عبيد ثنا عبد الله
ابن الوليد الرضا بن عبد الله بن عبد الله بن عبيدة : قال :
حج الحسين بن علي خمساً وعشرين حجة ماشياً ونجاشيه
تقادي بن يله (استشهد الحسين / ١٣٧ - ١٣٩ ، ١٤٢ ، ١٤٣) .

قالوا : وكان الحسين رضي الله عنه فاضلاً كثير الصلاة
والمعروف بالحج والصدقة وأفعال الخير جميعها (تهذيب الأسماء
والفلسات / ١ / ١٦٣) . وينسب إليه رضي الله عنه كثير من
الحسينيين ، وله عدة أحاديث في كتب السنة ، وله فضائل
كثيرة ، وصنفت في سيرته ومنابعه عدة كتب (مرجع العلوم
الإسلامية / ٥٥) .

كلامه :

ومن كلامه رضي الله عنه : اعلما أن حوائج الناس إليكم
من نعم الله عليكم ، فلا تملاؤا من تلك النعم فتعود نقماً ،
واعلموا أن المعروف يكسب حبلاً ويعقب أجراً فلو رأيتم
المعروف رجلاً رأيتموه رجلاً جميلاً يسر الناظرين ، ولو رأيتم
اللوم رجلاً رأيتموه رجلاً قبيح المنظر تفر منه القلوب وتنفذ
دونه الأبصار . ومن كلامه رضي الله عنه : من جاد ساد ، ومن
بخل رذل ، ومن تعجل لأخيه غيراً وجده إذا قدم على ربه
غداً .

والترم يوماً ركن الكعبة وقال : إلهي نعمتي فلم تجلني
شاكراً ، وإيتيتي فلم تجلني صابراً ، فلا أنت سلبت النعمة

ابن أبي زياد عن أبي نعم عن أبي سعيد الخدري قال : قال
رسول الله ﷺ : « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة »
رواه الترمذي من حديث سفيان الثوري وغيره عن يزيد بن أبي
زياد ، وقال : حسن صحيح .

قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ثنا معاذ بن معاذ ثنا قيس
ابن الربيع عن أبي المقدام عبد الرحمن الأزرق عن علي قال :
« دخل رسول الله ﷺ وأنا نائم ، فاستقى الحسن أو
الحسين ، فقام رسول الله ﷺ إلى شاة لنا كي يحملها فدرت
فجاءه الآخر فنحله ، فقالت فاطمة : يا رسول الله كأنه أحبهما
إليك ؟ قال : لا ، ولكنه استقى قبله ، ثم قال : إني وإياك
وهذين وهذا الراقد في مكان واحد يوم القيامة » رواه أحمد .

قال أبو عبد الله السجلى أنا يونس بن بكير نا ابن إسحاق
حدثني والدي إسحاق بن يسار أخبرني شيخ من بني سعد بن
بكر قال : قدم علي ابن عم لي من أهل البادية فقال : إن ابن
أخ لي أصاب دماً عمداً فخلت في أهل الدماء أن يقيروا مني
العقل ففعلوا فأسلمتني عشرين وأبوا أن يحملوا معي وقالوا :
إنما نحمل الخطأ فأما الممد فلا . فقد قدمت أتمس المعونة
من هذا الحي من قريش . فأمرت لي بخزيرة فصنعت ففتنته
منها . ثم قلت له : انطلق بنا إلى غير القوم وسيلهم ابن بنت
رسول الله ﷺ . الحسين بن علي - رضي الله عنه - فخرجنا
نلتصمه في بيته لم نجد له فخرجنا فللقيناه بالبلاط فقلت :
عندك الرجل . فاستوقفناه فوقف واستند إلى الجدار فقلت :
يا ابن بنت رسول الله ، إن ابن أخ لي أصاب دماً - قصص
قصته - وقدمت أستعين هذا الحي من قريش على دية فرائت
أن أبداً بك . فقال : والله الذي نفس حسين بيده ، ما أصبح
في بيتي دينار ولا درهم وما غلوت إلى السوق إلا لأتمس
العينة في بعض ثقتنا وما لا بد منه ولكني أراك رجلاً جلداً
وقد حان حصاد مالي بلدى المروة عين يمشى فخرج إليها قم
عليها بعملها ثم احصد وبق وبع فإنها موحية عنك ولا تسأل
أحدًا شيئاً ، فقال : أعمل ، بأبي وأمي . وكتب إلى قومه :
انظر فلان ابن فلان فخل بينه وبين عشرين ألف درهم
أعطيتها إياه فخرج ليحصلها فباع منها بمشرين ألف درهم
فأدى اثني عشر ألفاً واستفضل ثمانية آلاف .

ترك الشكر ، ولا أدعت الشدة بترك الصبر ، إلى ما يكون من الكرم إلا الكرم (الخطب التوفيقية / ٤ / ١٩٤) .

ومن كلامه الذي يبين منهجه في الحيلة ما يرويه العقاد عنه في أثناء توديعه لأبي ذر - وقد نقاه عثمان من المدينة إلى الريلة : - يا حماد ، إن الله قادر أن يغير ما قدرتي ، والله كل يوم في شأن ، وقد منعك القوم دنياهم ومنعهم دينك ، وما أغناك عما منعوك وأخرجهم إلى ما منعهم ، فاسأل الله الصبر والنصر ، واستعذ به من الجشع والجزع ، فإن الصبر من الدين والكرم ، وإن الجشع لا يقدم رزقا والجزع لا يؤخر أجلا (أهل البيت في مصر / ٤١ ، ٤٢) .

شعره :

من الأسماء التي رويت عنه ما أنشده أبو بكر بن كامل عن عبد الله بن إبراهيم وذكر أنه للحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما :

لغن من المخلوق بالخالق

تسدد على الكاذب والمصدق

واسترزق المرحمن من فضلته

فليس غيـــــر الله من رازق

من ظن أن الناس يهنئونــــه

فليس بالرحمن بالوائق

أبو ظن أن المال من كسبه

زلت به الزللان من حسالق

وعن الأحمش أن الحسين بن علي قال :

كلما زيد صاحب المال مالا

زيد في همه وفي الاشتغال

قد عرفناك يا منغصة اليد

شس ويا دار كل فان ويالى

ليس يصفو لزاهد طلب للزهـ

سد إذا كان مقبلا بالمعال

وعن إسحاق بن إبراهيم قال : بلغني أن الحسين زار مقابر الشهداء بالقيع فقال :

ناديت سكان القبور فأسكتوا

وأجابني من صمتهم تُسرب الحصا

قالت أتعري ما فعلت بسانتي

مزقت لحمهم وعسرت الكسا

وحشوت أعينهم ترابا بعمدا

كانت تأذي باليسير من القدا

أما المظالم فأنزى مزقتها

حتى تباينت المفاسل والشوا

قطعت ذا زاد من هـلا كـلا

فتركتها رمما يطوف بها البـلا

(استشهاد الحسين / ١٦٦) ، وفي الحسين بن علي / ٥٥

ورد صدر البيت الأخير هكذا :

● قطعت ذا من ذا ومن هـلا كـلا ●

كما ورد في البيت الحدي قبله لفظ « فرقتها » موضع « مزقتها » .

وأنشد بعضهم للحسين رضي الله عنه :

لئن كانت الدنيا تعد نفيــــة

فلنار ثواب الله أعلى وأنبل

ولن كانت الأبدان للموت أنشئت

فلقتل في سبيل الله أفضل

ولن كانت الأزراق شيئا مقسرا

فقلعة صبي الممره في الكب أجمل

ولن كانت الأموال للترك جمعت

فما بال متسروك به الممره يبخل

(الحسين بن علي / ٥٤ ، وقد وردت الأبيات بتغيير طفيف في

استشهاد الحسين / ١٤٧) .

ولما التقى الجيشان في كربلاء وفر عنه أكثر أصحابه أنشد

يقول :

أنا ابن علي الخير من آل هاشم

كفائنا بهذا مفخرا حين أنفخر

وجسدي رسول الله أكرم من مشى
ونحن سراج الله في الأرض يزهر
وقاطمة أمي سلالة أحمد
وعمي يدعي ذا الجناحين جعفر
وفينسا كتاب الله ينزل صادقاً
وفينسا الهدي والوحى والخير يذكر
ومن شعره أيضاً قوله :

إذا استنصر المرء امرأً لئلا يسه
فناصبره والخائفون سواء
أنا ابن الذي قد تعلمون مكانه
وليس على الحق الميّن جفاء
أليس رسول الله جسدي ووالدي
أنا البدران غلي النجوم غفاء
ألم ينزل القرآن حول يسوتنا
صباحاً ومن بعد الصباح مساء
(نهج الصدا / ٦٥ ، ٦٦) .

أولاده :

جاء في المخطط الترفيقي :

ورزق الحسين من الأولاد خمسة وهم : علي الأكبر ،
وعلي الأصغر وله العقب ، وجعفر ، وقاطمة ، وسكينة
المدفونة بالمرافة بقرب السيلة نفيسة رضي الله عنها ، كذا قال
المتأوى والشعرائي ، وزاد الشعرائي أن علياً الأصغر هو زين
العابدين . وقال كثيرون : أولاده ستة ، وزادوا عبد الله . فأما
علي الأكبر فقاتل بين يدي أبي حنيفة حتى قتل ، وأما زين العابدين
فكان مريضاً بكرة يلاه ، وأما جعفر فمات في حياة أبيه دارجاً ،
وأما عبد الله فعجازه سهم وهو طفل فقتله بكر يلاه ، وقيل :
كان له من اللكؤور ستة ، ومن الإناث ثلاث ، فأما اللكؤور
فعلّي الأكبر ، وعلي الأوسط وهو زين العابدين ، وعلي
الأصغر ، ومحمد ، وعبد الله ، وجعفر ثم ذكر أن المقتول
طفلاً بكر يلاه وهو علي الأصغر ، وأن عبد الله قتل مع أبيه
شهيداً (المخطط الترفيقي الجديدة ٤ / ١٩٨) .
وقال صاحب الرياض المستطابة :

وغلف الحسين رضي الله عنه ستة بنين وثلاث بنات . أما
البنون فعلي الأكبر واستشهد مع أبيه ، وعلي الأصغر زين
العابدين - ومنهم من يزعم أنه الأكبر - والعقب من ولد
الحسين في ذريته . وعبد الله استشهد مع أبيه أيضاً ، ومحمد
وجعفر . وأما البنات فزينب وسكينة وقاطمة ... رضي الله
عنهم .

ثم قال في موضع آخر :

وأما أولاد الحسين فقد قلنا أنهم تسعة إلا أن العقب
منهم في زين العابدين علي بن الحسين ، وكان رضي الله عنه
نهاية في العلم غاية في العبادة . وكان له في اليوم والليلة أورد
لا يطيق القيام بها جماعة من الناس ، وله في ذلك أخبار
واسعة ... قال الزهري : ما رأيت قرشياً أفضل منه ، مات ستة
ثلاث وتسعين . ولم يبق على وجه الأرض حسنى إلا من
نسله ، وكان أولاده يندون من المشرة ، يبرع بالفضل منهم
خمسة ، منهم محمد الباقر وهو أكبرهم ، وكان له فضل
واسع ، ومات بالمدينة سنة سبع عشرة ومائة . ومنهم زيد بن
علي صاحب المذهب ، وله مناقب عديدة وتصانيف مفيدة ،
وكان قد قام بالخلافة فقتله جند هشام بن عبد الملك ستة
إحدى وعشرين ومائة . وكان مولده سنة ثمانين وقبره
بخراسان . ثم قام بعده ولده يحيى بن زيد فقتله أيضاً جند
هشام وقبره بالجورجان من بلاد المعجم . ولم يعقب . ومن
أولاد زيد عيسى ومحمد والحسن ، ولم يلد أحد منهم
بالخلافة . وعقب قتل زائلة دولة الأمويين على يد أبي مسلم
الخراساني داعية العباسيين . واستقبل أهل البيت أيضاً محنة
أخرى على يد العباسيين . ومنهم عبد الله وعمر والحسين لم
يلد أحد منهم بالخلافة إلا ما سبق من غير زيد وابنه رضي الله
عنهم . وأما أولاد الباقر فعلة ، ويرى في الفضل منهم الرواية
والحفظ والدرية جعفر الصادق مرة بالمدينة ومرة بال عراق .
ودعاه الناس الزكية إلى الشريعة معه فاعتز بكر السن وجهز
معه ولديه عبد الله وموسى . ومات الصادق وعبد الله ، وكانا
من حفاظ الحديث . ومات الصادق سنة ثمان وأربعين بعد
المائة رضي الله عنه ورحمه ، وغلف تسعة من الولد أنجب
منهم خمسة : إسماعيل ومات قبل أبيه ، وإليه ينسب
الإسماعيلية وزعمت أن منتظرها بعده ولده محمد . وعبد الله

عتبة بن أبي سفيان عامله على المدينة فلم يبايعه وخرج إلى مكة (عمدة الطالب / ١٩١) .

وينتشر التاريخ بعد ذلك عن مأساة كربلاء التي هزت قلوب المسلمين ، ولا يزال الحزن عليها حتى اليوم (انظر مادة أدب بكاء آل البيت) وقيل أن يسرد صاحب الفخرى وصفا موجزا لهذه المأساة يسوق هذه المقدمة فيقول :

هذه قضية لا أحب بسط القول فيها استغناسا لها واستغناها . فإنها قضية لم يجر في الإسلام أعظم فحشا منها ولعمري إن قتل أمير المؤمنين رضي الله عنه هو الطامة الكبرى ولكن هذه القضية جرى فيها من القتل الشنيع والسبي أو التمثيل ما تقشعر له الجلود . واكتفيت أيضا عن بسط القول فيها بشهرتها فإنها أشهر الطامات . فلن الله كل من باشرها وأمر بها ورضى بشئ منها ولا تقتل الله منه صرفا ولا عدلا وجعله من الأشرار ﴿ أعمالا ﴾ الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ﴿ [الكهف : ١٠٣ ، ١٠٤] ونص الآية ١٠٣ : ﴿ قل هل ننبئكم بالأشدرين أعمالا ﴾ وجعله ما جرى في ذلك أن يزيد لعنه الله (يأتي الكلام على مسألة لمن يزيد) لما بروع لم يكن له هم إلا تحصيل بيعة الحسين رضي الله عنه والفخر الذي حدره أبوه منهم . فأرسل إلى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وهو يومئذ أمير المدينة يأمره بأخذ البيعة عليهم فاستدعاهم فحضر الحسين عنده . فأخبره بموت معاوية رضي الله عنه ، ودعاه إلى البيعة فقال له الحسين رضي الله عنه « مثلي لا يبايع سرا

ولكن إذا اجتمع الناس نظروا ونظرت » ثم خرج الحسين من عنده وجمع أصحابه وخرج من المدينة قاصدا مكة متأبيا من بيعة يزيد أنفا من الانحراف في زمره وبعيته . فلما استقر بمكة اتصل بأهل الكوفة تأبيه من بيعة يزيد وكانوا يكبرون بني أمية خصوصا يزيد لقبح سيرته ومجاورته بالمعاصي واشتغاله بالقبايح . فرأسوا الحسين وكثروا إليه الكتب يدعونه إلى قديم الكوفة ويبللون له النصرة على بني أمية . واجتمعوا وتحالفوا على ذلك وتبايعوا الكتب إليه في هذا المعنى . فأرسل إليهم ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه . فلما وصل إلى الكوفة فشا الخبر إلى عبيد الله بن زياد ،

ومحمد وموسى وإسحاق ... وكان هؤلاء أهل فضل ودراية ، وقام منهم بالخلافة محمد بن جعفر . يوقع له بالحجاز ، وكان يصوم يوما ويفطر يوما ، وله علم واسع وكرامات ظاهرة قبض عليه المؤمنون فلم يزل عنده حتى توفي ، وبقيته ببلاد المعجم . وأما موسى بن جعفر ويعرف بالكاظم فلم يقم بالإمامة ولا ادعاهما مع تأهله لها . ولما رآه الرشيد العباسي قد استجمع الخصال مع كثرة المال سجنه حتى مات سنة ثلاث وثمانين بعد المائة ، ويقال مات بالسقم . وزعمت فرقة من الإسماعيلية وهي الرافضة أنه حي ؛ وخلف من الولد نحو ثلاثين ما بين ذكر وأُنثى أنجب منهم أحمد وعلي ، وكان علي أفضلهما ، وهو المسمى بالرضا . ولما ظهر فضله كلفه المؤمنون أن يبايع له فبايع ثم نفاه إلى بلاد المعجم ومات سنة ثلاث وثمانين ولم يستكمل الخمسين ، ولم يعلم أحد من أولاد الرضا كان له شأن ودعا الناس إلى طاعته ، والله أعلم .

(الرياض المستطابة / ٢٨٩ ، ٢٩٢ - ٢٩٤) .

أخواته :

وأخواته رضي الله عنه ثمانية وثلاثون ، منهم المذكور عشرون ، والإناث ثمان عشرة على خلاف في ذلك ، منهم أشقاهن خمسة : الحسن ، والمحسن بضم الميم وفتح الحاء وتشديد السين مكسورة ، وزينب ، وأم كلثوم ، ورقية . والذين أعقبوا من المذكور خمسة : هو ، والحسن ، ومحمد ابن الحنفية ، والعباس ابن الكاكية ، وعمر بن التغلبية .

(الخطط التوفيقية الجديدة / ١٩٩) .

خروجه إلى العراق واستشهاده .

كانت إقامة الحسين رضي الله عنه بالمدينة إلى أن خرج مع أبيه إلى الكوفة فشهد معه مشاهدته وبقي معه إلى أن قُتل ، ثم مع أخيه إلى أن انفصل ، فرجع إلى المدينة ، واستمر بها إلى أن مات معاوية (الخطط التوفيقية الجديدة / ١٩٤) . وكان معاوية قد نقض شرط الحسن بن علي (انظر ترجمته) بعد موته وبايع لابنه يزيد . واستنح الحسين من بيعته ، وأعمل معاوية الحيلة حتى أوهم الناس أنه يبايعه وبقي على ذلك حتى مات . وأراده يزيد على البيعة وكتب بطلبك إلى الوليد بن

(الفتوى / ١٠٦ ، ١٠٧) وهو العاشر من المحرم ، والذي يعتبر يوم حزن وكتابة عند المسلمين جميعا الذين تألموا لاستشهاده ، ويسمى عام الحزن ، وقتل معه اثنان وشاكوت رجلا من أصحابه مبارزة فيهم الحسين بن يزيد لأنه بارز وقتل مع الحسين ثم قتل جميع بنيه إلا عليا المسمى بزين العابدين فإنه كان مريضاً فأخذ أسيراً بعد قتل أبيه وقتل أكثر إخوة الحسين وبني أعمامه .

يا هين أبكى ببصرة وهو
وانسحب إلى تسليب آل السرمول
مبصرة كلهم لصلب على
قد أصيبوا ونسمة لمعيل
(التلوة للقرطبي / ٦١٦) .

قالت المؤلفة : أورد ابن الأبار البيهقي بلفظ « عني أبكى » في البيت الأول ، كما أورد البيت الثاني كما يلي (در السط / ١٠٥)

منسمة كلهم لصلب على
قد أصيبوا ونسمة لمعيل
وروي أنه لما قدم برأس الحسين وأصحابه إلى الشام فقد عاهد بن عفران وكان أحد الزهاد العباد أيا ما قُتل من ذلك فقال : أما ترون ما نزل بنا ثم أنشأ يقول :

جالوا برأسك يا بن بنت محمد
منزلاً بدمائه تزميلاً
وكنتم بك يا بن بنت محمد
قتلوا جهاراً حامدين رسولاً
قتلوك عطفاتياً ولم يترقبوا
في قتلك التزميلاً والتأويل
ويكبسون بأن قتلت وإنما
قتلوا بك التكبير والتهاويل
(الرياض السطابة / ٢٨٩) .

قال الإمام جعفر الصادق وجد الحسين ثلاث وثلاثون طعنة وأربع وثلاثون خربة واختلوا فيمن قتل فقال يحيى بن معين أهل الكوفة يقولون إن الذي قتل الحسين عمر بن سعد

لعه الله وأحله دار الخزي ، وكان يزيد قد أمره على الكوفة حين بلغه مراسلة أهلها الحسين عليه السلام . وكان مسلم قد التجأ إلى دار هاني بن عروة رضي الله عنه وكان من أشرف أهل الكوفة ، فاستدعاه عبيد الله بن زياد وطلبه منه فأبى ، فضرب وجهه بالفضيب فهشمه ، ثم أحضر مسلم بن عقيل رضي الله عنهما ففصرت عنقه فوق القصر فهوى رأسه واتبع جثته رأسه . وأما هاني فأخرج إلى السوق ففصرت عنقه ، وفي ذلك يقول الفرزدق :

(طويل)

ورن كنت لا تسدين ما الموت لانتظري
إلى هاني إلى السوق وابن عقيل
إلى بطل قتل هشم السيف وجهه
وأعمر يهوى من طمار قتيل
(الطمر : الثوب الخلق البالي ، الجمع : أطمار . المعجم للرجيز / ٣٩٤) .

ثم إن الحسين رضي الله عنه خرج من مكة متوجهاً إلى الكوفة ، وهو لا يعلم بحال مسلم ، فلما قرب من الكوفة علم بالحال ولقيه ناس فأخبروه الخبر وحلروه فلم يرجع ، وصمم على الوصول إلى الكوفة لأمر هو أعلم به من الناس ، فأرسل ابن زياد إليه حُكماً أميره عمر بن سعد بن أبي وقاص ، فقاتل الحسين وأصحابه حين التقى الجمعان قتالاً لم يشاهد أحد مثله ، حتى فنى أصحابه وبقي هو وخاصته ، فقاتلوا أشد قتال رآه الناس ، ثم قتل الحسين قتلة شنيعة ، ولقد ظهر منه من الصبر والاحتساب والشجاعة والورع والخبرة التامة بأدب الحرب والبلاغة ، ومن أهله وأصحابه رضي الله عنهم من انصهر له والمواساة بالنفس وكراهية الحياة بعده والمقاتلة بين يديه عن بصيرة ما لم يشاهد مثله ، ووقع النهب والسبي في عسكره وذريته رضي الله عنهم ، ثم حمل النساء ورأسه صلوات الله عليه إلى يزيد بن معاوية بمشقة ، فجعل ينكت ثنايا الحسين بالفضيب ، ثم رد نساءه إلى المدينة .

وكان قتل الحسين في يوم عاشوراء من سنة إحدى وستين هـ .

الأرض منذ اليوم قال عمار بن ياسر فحفظنا ذلك اليوم فوجدنا الحسين قد قتل ذلك اليوم .

قال الإمام القرطبي وهذا سند صحيح لا مطعن فيه قال ابن عباس وساق القوم حرم رسول الله ﷺ في ذلك اليوم كما تساق الأسارى حتى إذا بلغوهم إلى الكوفة خرج الناس وجعلوا ينظرون إليهم وكان في الأسارى يومئذ علي بن الحسين رضي الله عنهما وكان شديد المرض قد جمعت يده إلى عنقه وزينب بنت علي من فاطمة الزهراء وأختها أم كلثوم وفاطمة وسكينة بنتا الحسين وساق النسفة معهم رموس القتلى وكان محمد ابن الحنفية رضي الله عنه يقول قتل مع الحسين بن علي ستة عشر رجلا كلهم من ولد فاطمة الزهراء رضي الله عنها وكان الحسن البصري رضي الله عنه يقول قتل مع الحسين بن علي ستة عشر رجلا وأهل بيته ثلاثة وعشرون رجلا (التذكرة للقرطبي / ٦٥٦ - ٦٥٨) .

وكان للحسين يوم قتل ثمان وخمسون سنة ، وقضى الله تعالى أن قتل عبيد الله بن زياد وأصحابه يوم عاشوراء سنة سبع وستين ، قتله إبراهيم بن الأشتر في الحرب وبعث برأسه إلى المختار بن أبي عبيد ، وبعث به المختار إلى ابن الزبير فبعثه ابن الزبير إلى علي بن الحسين ، ونصب في المسجد بدل نصب رأس الحسين .

وقد روى أن جبريل أخبر النبي ﷺ بأن الحسين يقتل ، وأراه الأرض التي يقتل بها . وفي رواية أنها كربلاء ، وفي أخرى أنها أرض الطف ، وفي بعض الروايات أنه يقتل بشاطئ الفرات . ولا تناقض بينها لأن الفرات يخرج من آخر حدود الروم ثم يمر بأرض الطف وهي من بلاد كربلاء .

وورد من طريق آراه عن علي رضي الله عنه عن المصطفى ﷺ أنه قال : قاتل الحسين في تابوت من نار عليه نصف حذاب أهل الدنيا . وروى : أول من يبذل ستي رجل من بني أمية يقال له يزيد . وروى أيضا : لا يزال أمر أمي قائما بالسطح حتى يكون أول من يثلمه رجل من بني أمية يقال له يزيد .

وقد أجمعوا على فسقه ، وقال الإمام أحمد بكفره ، وأجاز قوم من العلماء لعنه بخصوص اسمه ، وذهب آخرون إلى أنه لا يجوز إذ حقيقة اللعن الطبرد من رحمة الله ، ولا يكون

ابن أبي وقاص قال يحيى وكان إبراهيم بن سعيد يروى فيه حديثا أنه لم يقتله عمر بن سعد وقال ابن عبد البر إنما نسب قتل الحسين إلى عمر بن سعد لأنه كان الأمير على الخيل التي أخرجهما عبيد الله بن زياد إلى قتال الحسين وأمر عليهم عمر بن سعد ووجد أنه يوليه الري إن ظفر بالحسين وقتله وكان في تلك الخيل والله أعلم قوم من مصر ومن اليمن وكان سليمان بن قنق يقول إن دم الحسين اشترك فيه جماعة ولعلمهم من ذكرنا من أهل مصر واليمن وقيل قتله سنان بن أويس النخعي وقال مصعب النسابة قتل الحسين بن علي سنان ابن أبي سنان النخعي وهو جد شريك القاضي ويصدق ذلك قول الشاعر :

وأي رزية هملت حسينا

فبدا تبيسه كفا سنان

وقال خليفة بن خياط الذي ولي قتل الحسين هو شمر بن ذي الجوشن وأمير الجيش عمر بن سعد وكان شمر أبرص وأجهز عليه غولي بن يزيد الأميحي من حمير فمز رأسه وأتى به إلى عبيد الله بن زياد وقال :

أو قمر ركباني فضة وفهبا

إنني قتلت الملك المحجبا

قتلت عيسر الناس أمسا وأبسا

وغيرهم إذ ينسبوه نسبنا

أهـ . ذكره ابن عبد البر .

(في الخطط الترفيقية ٤ / ١٩٧ : إذ يذكرون نسا) .

وقال غيره تولى حمل الرأس بشر بن مالك ودخل به على ابن زياد وهو يقول هذا الشعر فغضب ابن زياد من قوله وقال فإذا علمت أنه كذلك فلم تقتله والله لا تلت متى غيرا أبدا ولا لحقتك به ثم قدمه ف ضرب عنقه وقال بعضهم إن يزيد بن معاوية هو الذي قتل قاتل الحسين .

وروى الإمام أحمد بن حنبل عن ابن عباس رضي الله عنهما قال رأيت رسول الله ﷺ نصف النهر أشعت أخير ومعه قارورة فيها دم يتبته من الأرض ويلتقطه فيها فقلت يا رسول الله ما هذا فقال هذا دم الحسين أو أصحابه لم أزل ألتقطه من

إغضب رسول الله ﷺ لكان في ذلك كناية ثم إنه رضي الله عنه يحلف ويقول والله لو أنه كان لي في دم الحسين يدخل وخيرت بين دخول الجنة والنار لاخترت النار خوفاً من أن يراني رسول الله ﷺ في الجنة فينظر إلى نظرة غضب له .

وروي الترمذي عن عمارة بن عمر قال لما جيء برأس عبيد الله بن زياد وألقيت تلك الرؤوس في راحة المسجد صار كل من دخل يقول غاب عبيد الله وأصحابه وخسروا دنياهم وأخزتهم ثم تبأى الناس حتى انتخبوا من البكاء على الحسين وأولاده وأصحابه فيبئنا الناس كذلك إذ جاءت حية سوداء فدخلت فسي منخري عبيد الله بن زياد فمكثت هنيهة ثم خرجت فغابت ثم جاءت فدخلت منخريه ثانياً حتى فعلت ذلك ثلاث مرات من بين تلك الرؤوس يقولون قد غاب عبيد الله وأصحابه وخسروا .

(قال العلماء) وكان ذلك مكافأة له على ما فعل برأس الحسين وهي من علامات المذاب الطاهر الذي حل به فضلاً عن العذاب الباطن ثم إن الله تعالى سلط المختار على أصحاب عبيد الله كلهم قتلهم شر قتلة حتى أوردهم النار / تذكرة القرطبي ٦٦٥ ، ٦٦٦ واستقيم المسلمون في قتل الحسين وشيعته استقبامه عظيمة حتى كأنهم لم يصوبهم مصيبة قبلها وسمى ذلك العام عام الحزن .

(الرباعي المستطال / ٢٨٧) .

وكان اليوم الذي قتل فيه الحسين رضي الله عنه يوم الجمعة عاشر محرم سنة إحدى وستين من الهجرة وكان عمره إذ ذاك خمساً وخمسين سنة وقيل غير ذلك ووجد به ثلاث وثلاثون طعنة وثلاث وثلاثون ضربة قال ابن الصباغ ودفن بأرض كربلاء بالعراق ومشهده رضي الله عنه بها معروف يزار من جميع الآفاق (بأنى الكلام عليه في مادة «الحسين» (المشهد» بكرلاء» فانظرو في موضعه) . وكانت حلة القتلى التي حملت رؤوسها إلى عبيد الله بن زياد صلبة رأس الحسين رضي الله عنه سبعين ودفن أهل العامرية وهم قوم من بني عامر من بني أسد الحسين وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين بعد قتلهم يوم (نور الأبرار / ٢٣٣) وقد حزن الناس على الحسين كثيراً ، رضي الله عنه ، وأكثروا فيه المراثي (تهذيب الأسماء واللغات / ١ / ١٦٤) ونورد لك بعضاً منها فيما بعد .

إلا لمن علم موته على الكفر كأبي جهل وأضرابه ، ولما لعن من قتل الحسين أو أمر بقتله أو أجزأه أو رضي به من غير تسمية لمعتق على جوارحه . وعن إبراهيم النخعي أنه قال : لو كنت ممن قاتل الحسين رضي الله عنه ثم أدخلت الجنة لاستحييت أن أنظر إلى وجه المصطفى ﷺ . وعن الزهري : لم يبق أحد ممن حضر قتل الحسين إلا عرقب في الدنيا قبل الآخرة ، أما بالقتل أو سواد الوجه أو تغير الخلقة أو زوال الملك في مدة يسيرة . وذكر ابن الأثير أن السيدة زينب بنت الإمام علي رضي الله عنهما لما قتل أخوها الحسين رضي الله عنه أخرجت رأسها من الغطاء وأشدت رافعة صوتهما :

سأذا تقولون إن قال النبي لكم

سأذا قلتم وأنتم آخر الأمم

بعتنني وبأهلي بمنذر قتلكم

منهم أمأري ومنهم غضبوا بمن

ما كان هذا جزألي إذ نصحت لكم

أن تخلفوني بسوء في فؤي رحسي

(الخط التوليبي الجديدة ٤ / ١٩٧ ، ١٩٨) .

قالت المؤلفة : ذكر الإمام الشعماني أنها السيدة سكينة أخت الحسين رضي الله عنهما (مختصر تذكرة القرطبي / ٢٤٢) وورد البيت الثاني بلفظ «مقتدى» بدلاً من «فرقتكم» ، وبلغف «ضرجوا» بدلاً من «غضبوا» .

وروي أنه قتل بسبب زكريا عليه الصلاة والسلام لما قتل سبعون ألفاً وقتل بسبب الحسين سبعمئة ألف أو كما قال له (مختصر تذكرة القرطبي / ٢٤٢) .

وعن انتقام من قتل الحسين رضي الله عنه يقول الإمام القرطبي :

وقد قتل الله تعالى قاتل الحسين المسمى شمر أشد قلة وقامى حزناً طويلاً وألقى رأسه الملموم في الموضع الذي كان ألقى فيه رأس الحسين رضي الله عنه وذلك بعد قتل الحسين بستة أعوام وبعث المختار به إلى المدينة فوضع بين يدي بني الحسين رضي الله عنهم وكذلك ضربت أعناق عمر بن سعد وأصحابه وماتوا شر قتلة وقد كان الحسن البصري رضي الله عنه يقول لو لم يكن علي قاتل الحسين من الإثم والمقت إلا

دار بها ، وعمر المشهد ، فلما تكامل حمل الرأس الشريف على صدره وصلى ماثيا إلى أن أحله في مقبره ، وكان ذلك سنة إحدى وتسعين وأربعمائة . وقيل : إن مشهد عسقلان بناه أمير الجيوش وكمله ابنه الأفضل ، ثم حمل الرأس الشريف من عسقلان إلى القاهرة ، وكان وصوله إليها يوم الأحد ثامن جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ، والذي وصل به من عسقلان الأمير سيف المملكة تعجب وبها ، والقاضي المؤمن بن مسكين مشارفها ، وحل في القصر في العاشر من جمادى المذكورة .

ويذكر أن الرأس الشريف لما أخرج من مشهد عسقلان وجد دمه لم يجف ، وله ريح كريح المسك ، فقدم به الأستاذ مكتوب في عشاري من عشاريات الخدمة وأُنزل إلى الكافوري ثم حمل في السرداب إلى قصر الزمرد ، ثم دفن عند قبة الديلم بباب دهليز الخدمة ، وكانوا ينحرون يوم عاشوراء عند القبر الإيل والعنم ، ويكثرون النوح ، ويمسبون من قتل الحسين ، ولم يزالوا على ذلك حتى زالت دولتهم .

ويقول العالم الأثرى حسن عبد الوهاب رحمه الله : وهنا تضاربت الأقوال : فمن قال بل بأمر تجهيز الرأس إلى المدينة ودفنه بها . وقيل : إنه أعيد إلى الجسد بعد أربعين يوما ودفن معه بكربلاء . ومن قائل إنه دفن عند باب الفرايس بدمشق . وهناك رواية أخرى أن الرأس وضع بخزانة السلاح بدمشق وبقى بها حتى ولي سليمان بن عبد الملك سنة ٩٦ هـ (٧١٤ م) فحمل الرأس في ثوب وعطسه ، ثم صلى عليه ودفنه في مقابر المسلمين . وقيل : إن القبر نبش بعد ذلك وأخذ منه الرأس . والله أعلم ما صنع به . ويروى أن الرأس نقل في وقت ما إلى عسقلان . وبقى بها غير مشهور إلى أن زارها بدر الجمالي وزير الخليفة المستنصر بالله سنة ٤٨٤ هـ (١٠٩١ م) ، فأرشد إلى مكانه فأخرجه وأنشأ عليه مشهدا كبيرا . وزعم بعضهم أن أبا مسلم الخراساني : لما استولى على دمشق نقل الرأس منها إلى مرو ، فدفن بها في دار الإمارة ثم بنى عليه رباطا .

وبجانب هذه الروايات المتضاربة وجدت في الأقطار الإسلامية مشاهد متعددة باسم الإمام الحسين أذكر منها :

قال الحافظ ابن كثير عن قبر الحسين رضي الله عنه : وأما قبر الحسين رضي الله عنه ، فقد اشتهر عند كثير من المتأخرين أنه في مشهد على بمكان من الطيف عند نهر كربلاء ، فيقال : إن ذلك المشهد مبنى على قبره . قاله أعلم .

وقد ذكر ابن جرير وغيره أن موضع قتله عفى أثره حتى لم يطلع أحد على تعيينه بخير ، وقد كان أبو نعيم ، الفضل بن دكين ، ينكر على من يزعم أنه يعرف قبر الحسين .

وذكر هشام بن الكلبي أن الماء أجري على قبر الحسين ليصلى أثره ، فنصب الماء بعد أربعين يوما . فجاء أعرابي من بني أسد فيجعل يأخذ قبضة قبضة ويشمها حتى وقع على قبر الحسين فبكى ؛ وقال بأبي أنت وأمي ما كان أطيبك وأطيب تربتك !! ثم أنشأ يقول :

أرادوا لينفثوا قبره عن عسلوه

فطيط تشراب القبر دل على القبر

(استشهاد الحسين / ١٣٤) .

قال عنه ابن الأثير : تناولته الأيمان وتناقلته الركبان ، تسير به تسيل ، فحشمانه حيث الفرات ، وجمجمته حيث النيل (يعني كربلاء والقاهرة) :

يا بعد مصرع جنة من رأسها

رأس بمصر وجنة بالمرجج

المرجج : قرية قرب بغداد (دير السمط / ١١٢) .

تحقيق مقر الرأس الشريف .

يقول على مبارك في خطبه :

ثم إن التواريخ مشحونة بذكر سيرة الحسين بن علي رضي الله عنهما وسبب نقل الرأس الشريف إلى القاهرة وكيف كان ذلك ، لكل ذلك مشهور غني عن البيان ، لكن حيث كان هذا المشهد القاهرى إنما هو لرأس الشريف متفصلا عن الجثة ، ناسب أن نذكر طرفا ملخصا مما ذكره في ذلك فنقول : قال المقرئ في خطبه - نقلا عن الفاضل بن ميسر : إن الأفضل بن أمير الجيوش لما ملك القدس دخل عسقلان ، وكان بها مكان دارس فيه رأس الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، فأخرجه وعطره وحمله في سبط إلى أجل

مشهد مرو - على فرسخين من مرو يوجد رباط ، قالوا : إن فيه رأس الحسين بن علي رضي الله عنه .

مشهد حلب - وفي حلب مشهد الحسين ، وهو في وسط جبل جوشن ، بنى في أيام الملك الصالح ابن الملك العادل نور الدين .

مشهد دمشق - المشهد الحسيني بدمشق يصحن المسجد الأموي ، وكتب عنه كثير من المؤرخين ، وصاينه خليل الظاهري لما دخل دمشق سنة ٨٣١ هـ (١٤٢٧ م) . وكتب عنه ابن فضل الله العمري ما نصه « وله بدمشق مشهد معروف داخل باب الفراديس وفي خارجه مكان الرأس على ما ذكروا . وقد جاء في أخبار الدولة العباسية أنهم حملوا أعظم الحسين ورأسه إلى المدينة النبوية حتى دفنوه بقر أعيه الحسن » .

قالت المؤلفة : قمتا بزيارته مرتين في دمشق : الأولى في ٣ صفر ١٤١٢ هـ / ٣ أغسطس ١٩٩١ م ، والثانية في ١٣ ربيع الأول ١٤١٤ هـ / ٣١ أغسطس ١٩٩٣ م .

مشهد عسقلان - ذكره أيضا ابن فضل الله بقوله : « كان رأسه بها ، فلما أخلصها الفرنج نقل المسلمون الرأس إلى القاهرة ، ودفن بها في المشهد المعروف بها على رضم من قال ذلك . والأغرب أنه لم يتجاوز دمشق ، والمسلم يعبد بين مقتل الحسين ومبنى مشهد عسقلان » .

هذا جزء من تضارب أقوال المؤرخين . وفي الوقت نفسه توجد لهم أقوال تناقض بعض هذه الروايات فترى المسموعة ينقض عن غير قصد رواية دفن الرأس بالبيع . إذ يقول بمناسبة دفن الحسن بن علي ببيع الغرق مع أمه - وهناك إلى هذا الوقت رخصة مكتوب عليها : « الحمد لله مبدد الأمم ومحبي الرمم هذا قبر فاطمة بنت رسول الله ﷺ سيدة النساء والعالمين والحسن بن علي بن أبي طالب وعلى بن الحسين بن علي ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وضوان الله عليهم أجمعين » .

فلو كان الإمام الحسين معهم لذكر اسمه بينهم .

وقد أورد هذه الأقوال أيضا ابن كثير المؤرخ ، وناقش رواية إحضار الرأس إلى مصر ولم يأخذ بها .

وناقش هذه الأقوال عمر بن أبي المعالي أسعد بن عمار ابن سعد بن عمار رحمه الله في كتابه « الفاصل بين الصلح

المبين في مقر رأس الحسين » ووهنها وضعفها ورجح أنه بالمدينة حتى كاد يبلغ به مبلغ القطع فقال ما معناه : أما قولهم : إنه كان في خزان بنى أمية إلى أن ظهرت الخلافة العباسية ، وإن أبا مسلم نقله إلى خراسان ، فهذا بعيد جدا . لأن أبا مسلم لما فتح الشام كان بخراسان . والذي فتح دمشق هو عبد الله بن علي بن عباس . فكيف يتصور أن ينقله ؟ أو يمكن من ينقله إلى مولايم بخراسان ؟ ولو أنه غفر به في خزان بنى أمية لأظهره للناس ، ليزدادوا لبنى أمية بغضا .

ولمّا فقد ولي العهد الصالح عمر بن عبد العزيز الخلافة ، ويعبد أنه كان يترك رأس ابن بنت رسول الله ﷺ في خزان السلاح ولم يواره .

وقولهم إنه كان بالمدينة عند أمه - قاله محمد بن سعد في طبقاته ، وابن أبي الدنيا وأبو الموليد الخوارزمي خطيب خوارزم .

وأما قولهم إنه كان بعسقلان ، فلا يوجد في تاريخ من التواريخ أنه نقل إلى عسقلان ، ولا إلى مصر . ويقوى ذلك أن الشام ومصر لم تكن بها الشيعة علوية .

أوردت هذه الأقوال على سبيل المثال لا المعصر . ولما كانت عسقلان هي قنطرة وصول الرأس إلى القاهرة ، فإني أورد أقوال من أخذ بها من المؤرخين .

فمن أخذ بها ابن المؤرخ ، وخلط بين بلد الجمالي وابنه الأفضل شاهنشاه في بناء مشهد عسقلان ، ولكنه قال : وكان حمل الرأس إلى القاهرة ووصله إليها يوم الأحد ٨ جمادى الآخرة سنة ٥٤٨ هـ (١١٥٣ م) .

أما القلقشندي فإنه يقرر نقل الرأس من عسقلان إلى القاهرة سنة ٥٤٩ هـ (١١٥٤ م) .

وأيضا إبراهيم بن وصف شله ، وسبط بن الجوزي - فقد ذكر الأول أن الرأس نقل من عسقلان إلى مصر سنة ٥٤٩ هـ . وذكر الثاني أنه نقل سنة ٥٤٨ هـ (١١٥٣ م) .

واعترف بمشهد الرأس ابن المأمون الصوري - فذكر في حوادث سنة ٥١٦ هـ (١١٢٢ م) أن الأمر بأحكام الله أمر بإهداء قنديل من ذهب وآخر من فضة إلى مشهد الحسين بعسقلان وأهدى إليه الوزير المأمون قنديلا ذهبيا له سلسلة فضية .

وأخذ ابن رياس برواية مشهد عسقلان ونقل الرأس إلى

مصر سنة ٥٤٩ هـ (١١٥٤ م) ، وزاد عليها أنه نقل إلى ثلاث أماكن قبل أن يحضر إلى القاهرة .

أما المقرئ عبيد مؤذن مصر . فقد كان لباقا كيسا أمام هذا التضارب ، وعبر تعبيراً جميلاً يعث على الارتياح إذ يقول :

« ولحفلة الآثار ، وأصحاب الحديث ونقله الأخبار ، ما إذا طول وقف منه على المسطور ، وعلم منه ما هو غير المشهور ، وإنما هذه البركات مشاهدة مرئية ، وهي بصحة الدعوى ملية ، والعمل بالنية » .

ثم ذكر رواية وجرد الرأس بسفلاق نقلها عن ابن عبد الظاهر . وأن المشهد هناك بناء أمير الجيوش بدر الجمالي ، وأتمه ابنه الأفضل شاهنشاه . وأنه لما غيف من سقوط سفلاق في أيدي الفرنج نقل الرأس إلى القاهرة .

ورواية وجود الرأس في سفلاق معززة بنص تاريخي مقشور على المنبر الذي كان موجوداً في مشهد الرأس بسفلاق .

(سفلاق مدينة فلسطين في التوراة عسقلون . استولى الفرنج عليها سنة ٥٤٨ هـ (١١٥٣ م) . ومكثوا بها ٣٥ سنة ، واستخلصها منهم السلطان صلاح الدين ، ثم خربها في سنة ٥٨٧ هـ (١١٩١ م) مخافة استيلائهم عليها مرة أخرى) .

ولما غيف من سقوطها في أيدي الفرنج نقل الرأس الشريف إلى مصر ، فنقل المنبر إلى المشهد الخليلى بالقدس ، وهو باقٍ به إلى الآن .

وهو منبر فخم ، جميع حشواته الخشبية مدقوقة بالألوية الدقيقة وهو غاية في الدقة والجمال ومكتوب على قواعده :

« الحمد لله وحده لا شريك له محمد رسول الله على ولى الله صلى الله عليه وعلى ذريتهما الطاهرة [الطاهرة] سبحان من أقام لمواليها الأئمة نسيهما مجدا ورفع راية وأظهر معجزا كل وقت وآية بين ... ربهما فضلاً عظيماً وعنايته . وكان من معجزه تعالى إظهاره رأس مولانا الإمام الشهيد أبى عبد الله الحسين بن على بن أبى طالب صلى الله عليه وعلى جنه وأبيه وأهل بيته بموضع بسفلاق كان الظالمون لعنهم الله ستروه

فيه إعفاء لنوره الذى وعد تعالى آية لإظهاره لعنة الله على الظالمين وإباد الله تجاذبه به عن دور المخالفين وإظهاره الآن شرقاً لأوليائه الميامين وانتشار صدور شيعته المؤمنين (به عن دور المخالفين وإظهاره الآن شرقاً لأوليائه الميامين وانتشار صدور شيعته المؤمنين) الذين علم صفاء ضمائرهم فى الولاء والدين وإنجاز الحجة على العالمين ورزق الله على فنى مولانا وسيدنا محمد أبى تميم الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلى الله عليه وعلى آياته وأبنائه الطاهرين السيد الأجل أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام كافل قضية المسلمين وهادى دعاة المؤمنين أبا النجم بدر المستنصرى إظهاره فى أيامه فاستخرجهم من مكانه وخصه بإجلاله وتكريمه مقامه وتقدم بإنشاء هذا المنبر بزم المشهد الشريف الذى أنشأه ودفن فيه هذا الرأس فى أشرف محلة قبله الأمير وصلاة المتقبلين وشيع المستشفيين والزائرين وبناء من أسه إلى علوه وإتباع له الأسلاك وحبس منافعها على عمارته وسدنته وجماله لليوم وما يمدد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين وأنفق على جميع ذلك من فضل ما آتاه الله من حل ماله وخالص ما ملكه ابتغاء وجه الله وطلب ثوابه وإتباع رضوانه وإعلان شرف هذا الإمام ونشر أعلامه بقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَغْشَى إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ [التوبة : ١٨] وقال النبى ﷺ : « خلقت فيكم التقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض كهاتين » ويجب على من يؤمن بالله واليوم الآخر تعظيمه وتشريفه والنظر فى مصالحه وعمارة ما يحتاجه فى أوانه وتطهيره . وكان إنشاء هذا المنبر فى سنة أربع وثمانين وأرب مائة .

ومكتوب على باب المنبر ما نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم نصر من الله وفتح قريب لعبد الله ووليه محمد أبى تميم الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آياته الطاهرين وإبنائه البهرة الأكرمين صلاة باقية إلى يوم الدين مما أمر بعمل هذا المنبر فنه السيد الأجل أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام كافل قضية

خارج مصر حافيا مكشوف الرأس هو وعسكره والرأس في يزنس حرير أخضر في القبر الذي هو في المشهد موضوعة على كرسى من خشب الأبنوس ومفروش هناك نحو نصف أذنب من الطيب كما أخبرني بذلك خادم المشهد .

ومما وقع لي أني قلت لسيدى الشيخ شهاب الدين بن الشلي الحنفي مفتي المسلمين رضي الله عنه أتري أن تزور معنا رأس الحسين في المشهد بخان الخليلى فقال إنه لم يثبت كون الرأس هناك فقلت له تزوره بالنية على تقدير صحة ذلك فقال نعم فلما دخلنا مقصورتبه بالمشهد قلت للشيخ اجلس مراقبا بقلبك الرأس فجلس منتحيا لها في ذهنه فحصل له نقل رأس فنام فأرى تنيبا مشدود الوسط قد خرج من القبر فما زال يصوره يتبعه حتى دخل مقصورة رسول الله ﷺ وقال له : يا رسول الله إن الشيخ شهاب الدين بن الشلي وعبد الوهاب الشعراني يزوران رأس ولده الحسين فقال ﷺ قبل منهما اهـ .

فاستيقظ الشيخ شهاب الدين وتواجد حتى وقعت صماته من فوق رأسه وقال أمنت وصدقت بأن الرأس هنا وحكى الواقعة ولم يزل يزوره حتى مات فزى يا أخى هذا المشهد بالنية الصالحة إن لم يكن عندك كشف بقول الإمام القرطبي رحمه الله تعالى إن دفن الرأس في مصر باطل صحيح في أيام القرطبي فإن الرأس إنما نقلها طلائع بن رزيك بعد موت القرطبي فافهم والله تعالى أعلم (مختصر تلذذة القرطبي / ٢٣٨ ، ٢٣٩) .

ثم إنه جاء في كتاب « العدل الشاهد في تحقيق المشاهد » أن المرحوم عبد الرحمن كتبنا لما أراد توسيع المسجد المجاور للمشهد الحسيني قيل له : إن هذا المشهد لم يثبت فيه دفن ، فأراد تحقيق ذلك فكتشف المشهد الشريف بمحض من الناس ، ونزل الأستاذ الجوهري الشافعي والأستاذ الشيخ الطلوي المالكي وكانا من كبار العلماء العاملين ، وشاهدنا ما يخلل البرزخ ثم ظهورا وأخيرا بما شاهدناه ، وهو كرسى من الخشب الساج عليه طشت من ذهب فوقه ستار من الحرير الأخضر تحته كرسى من الحرير الأخضر الرقيق داخله

المسلمين وهاذى دعة المؤمنين أبو النجم بدر المستصرى عصفد الله به الدين وأبغ بطول بقاءه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته للمشهد الشريف بشعر عسقلان مسجد مولانا أمير المؤمنين أبي عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهما في شهر سنة أربع وثلاثين وأربع مائة .

ولما زار الإمام الهروي الرحالة ثغر عسقلان سنة ٥٧٠ هـ (١١٧٤ م) قال : وبمسقلان مشهد الحسين كان رأسه به . فلما أخذتها الفرنج نقله المسلمون إلى مدينة القاهرة ، وذلك سنة ٥٤٨ هـ (١١٥٣ م) وذكره القزويني أيضا ووصفه بأنه مشهد عظيم . وقامه ابن الطولوني الحنفي المتوفى سنة ٩٥٢ هـ (١٥٤٥ م) بقوله : فوبمسقلان مشهد الحسين كان به رأسه ، فلما أخذها الفرنج نقله المسلمون إلى القاهرة سنة ٥٤٩ هـ (تاريخ المساجد الأثرية / ٨٣٧٩)

ورن الرأس الشريف يقول الإمام القرطبي :

واختلف الناس في موضع الرأس المكرم وإن حمل من البلاد فروى الحافظ أبو العلاء الهمداني أن يزيد حين قدم عليه رأس الحسين بعث به إلى المدينة مع أقوام من موالى بنى هاشم وضم إليهم جماعة من موالى أبي سفيان وبعث بنقل الحسين ومن بقي من أهله معهم ولم يلع لهم حاجة بالمدينة إلا وقد أمر لهم بها وكان الذي تلقى رأس الحسين بالمدينة حين قدموا بها عمر بن سعيد وهو إذ ذاك حامل على المدينة ليزيد فقال عمر : وددت أنه لم يبعث به إلئ ثم أمر عمر بن سعيد برأس الحسين فكفن ودفن بالقيع عند قبر أمه فاطمة الزهراء رضي الله عنها . قال الإمام القرطبي وهذا أصبح ما قيل فيه وبه قال الزبير بن بكار الذي هو أعلم بالأنساب .

وقال الإمامية إن الرأس أصيد إلى الجثة بكريلاه بعد أربعين يوما قال القرطبي رحمه الله تعالى وما ذكر من أنه دفن بمسقلان في المشهد المعروف بها أو بالقاهرة فهو شيء باطل لا يصح اهـ .

ويعلق الإمام الشعراني على قول الإمام القرطبي هذا فيقول :

قلت قد ثبت أن طلائع بن رزيك السلي بنى المشهد بالقاهرة نقل الرأس إلى هذا المشهد بعد أن بذل في نقلها [نقله] نحو أربعين ألف دينار وخرج هو وعسكره فخلعه من

.. وقد نص غير واحد من أئمة أهل العلم على أنه لا أصل لذلك ، وإنما أرادوا أن يروجوا بذلك ما ادعوه من النسب الشريف ، وهم في ذلك كذبة خونة ، وقد نص على ذلك القاضي الباقلاني وغير واحد من أئمة العلماء ، في دولتهم في حدود سنة أربع مائة .

.. قلت : والناس أكثرهم يروج عليهم مثل هذا ، فإنهم جاءوا برأس فوضموه في مكان هذا المسجد المذكور ، وقالوا : هذا رأس الحسين ، فراج ذلك عليهم ، واعتقدوا ذلك ، والله أعلم (استهاد الحسين / ١٣٥ ، ١٣٦) .

ومن أنكرنا وجود الرأس الشريف في مصر أو في الشام شيخ الإسلام ابن تيمية في جوابه على عدد من الأسئلة وردت إليه وهي :

ما تقول السادة العلماء أئمة الدين ، وهداة المسلمين ، رضي الله عنهم أجمعين ، وأعانهم على تحقيق الحق المبين وإخماد شغب المبطلين : في المشهد المنسوب إلى الحسين رضي الله عنه بمدينة القاهرة : هل هو صحيح أم لا ؟

وهل حمل رأس الحسين إلى دمشق ، ثم إلى مصر ، أم حمل إلى المدينة من جهة العراق ؟ وهل لما يلكره بعض الناس من جهة المشهد الذي كان بمسقلان من صحة أم لا ؟

ومن ذكر أمر رأس الحسين ، ونقله إلى المدينة النبوية دون الشام ومصر ؟

ومن جزم من العلماء المتقدمين والمتأخرين بأن مشهد مسقلان ومشهد القاهرة مكلوب ، وليس بصحيح ؟

وليبيطوا القول في ذلك ، لأجل مسيس الضرورة والحاجة إليه ، مثابين ما جؤرون إن شاء الله تعالى (رأس الحسين / ١٥٣) المراتي :

وقد أكثر الناس في سيدنا الحسين المراثي حزنا عليه ، وأوردنا ثلاثة نماذج منها في مادة « أدب بكاء آل البيت » م ٣ / ٢٩٠ ، ٢٩١ . ونبدأ المراثي هنا بقول منصور النعمري من قصيدة له :

تقتل فرسية النبي و.....

جؤون خلود الجنات للقاتل

الرأس الشريف ، فأنثى على إخبارهما تحقيق هذا المشهد ، وبنى المسجد والمشهد ، وأوقف عليه أوقافا يصرف المسجد من ريعها (أهل البيت في مصر / ٤٧ ، ٤٨)

وعن الرأس الشريف يقول الحافظ ابن كثير ، وهو ممن أنكرنا وجوده في المشهد الحسيني كما سبق القول :

.. وأما رأس الحسين رضي الله عنه ، فالمشهور عند أهل التاريخ وأهل السير ، أنه بحث به ابن زياد إلى يزيد بن معاوية ، ومن الناس من أنكر ذلك . وعلمنى أن الأول أشهر فالحق أعلم .

.. ثم اختلفوا بعد ذلك في المكان الذي دفن فيه الرأس ، فروى محمد بن سعد أن يزيد بحث برأس الحسين إلى عمرو ابن سعيد نائب المدينة فلنقه عند أمه بالقيح .

.. وذكر ابن أبي الدنيا من طريق عثمان بن عبد الرحمن عن محمد بن عمر بن صالح - وهما ضعيفان - أن الرأس لم يزل في خزائنه يزيد بن معاوية حتى توفي فأخذ من خزائنه فكفن ودفن داخل باب الفراءيس من مدينة دمشق . قلت : ويعرف مكانه بمسجد الرأس اليوم داخل باب الفراءيس الثاني .

.. وذكر ابن عساکر في تاريخه في ترجمة ربا حاضنة يزيد ابن معاوية ، أن يزيد حين وضع رأس الحسين بين يديه ، تمثل بشعر ابن الزبيرى يعنى قوله :

ليت أقيساعى يبصر شهيدا

جزم الخمر من وقع الأسفل

قال : ثم نصبه بدمشق ثلاثة أيام ، ثم وضع في خزائن السلام ، حتى كان زمن سليمان بن عبد الملك جىء به إليه ، وقد بقى عظما أبيض فكفنه وطيبه وصلى عليه ودفنه في مقبرة المسلمين ، فلما جاءت المسودة - يعنى بنى العباس - نبشوه وأخذوه معهم .

.. وذكر ابن عساکر أن هذه المرأة بقيت بعد دولة بنى أمية ، وقد جاوزت المائة سنة . والله أعلم .

.. وادعت الطائفة المسمون بالفاطميين الذين ملكوا الديار المصرية قبل سنة أربع مائة إلى ما بعد سنة ستين ومستماتة ، أن رأس الحسين وصل إلى الديار المصرية ودفنوه بها وبنوا عليه المشهد المشهور به بمصر ، الذى يقال له تاج الحسين ، بعد سنة خمسمائة .

ويلخص ابن الأثير مأساة كربلاء وأشارها على المسلمين فيقول : لية فتنة عمية وهاية دهياء ، لا تقوم بها النوادي ، ولا تبلغ مشارها النواذب ، طاشت لها للنهي وطاشت ، وأفلت شهب النجا وغارت . لولاهما ما دخل ذل على العرب ، ولا ألف صيد الصقر بالخرب (الخرب : طائر الحباري ، والمعنى أن الوضع قهر الشريف) وقصف النبع بالغرب ، فانظر إلى ذوى الاستبصار ، خضع الرقاب نواكس الأبحار (درالسمط / ١١٤) .

عن ابن عائشة قال : وقف سليمان بن قبة بمصرع الحسين وأصحابه بكربلاء فاتكأ على قومه وجعل يبكي ويقول :

إن قتيل اللطف من آل هــاشـم
أذل رقاباً من قريش فـلـمـت
مررت على أبيات آل محمد
فلم أرهما أمثالهما يوم حلت
فلا يمد الله اليديار وأهلها
وإن أصبحت منهم بـسرهمى تخلت
ألم تـر أن الأرض أمتت مـريضة
لفقد حسين والبلاد اقـسمـت
وكانوا رجاء لم حادوا رزيـة
لقد عظمت تلك الرزايـا وجلت
أخبرنا أبو هاشم عبد المطلب بن الفضل قال : أخبرنا أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني قال : أنشدنا محمد بن محمد الدحقان الإمام بجامع بلخ ، قال : أنشدت لسليمان بن قبة :

مررت إلى أبيات آل محمد
فلم أرهما أمثالهما يوم حلت
فلا يمد الله اليديار وأهلها
وإن أصبحت منهم بـسرهمى تخلت
ألا إن قتلى اللطف من آل هـاشـم
أذلت رقاب المسلمين فـلـمـت

ويلك يا قاتل الحسين لقد
بـسـوت بعمل ينوء بهـالـهـامـل
أي جـبـاء جبوت أحمد في
حضرته من حرارة الشاكر
بـسـاي وجهه تلقى النبي وقد
دخلت في قلبه مع اللـهـامـل
هلم فاطلب غدا شفاعة
أو لا فرد حوضه مع الناهـل
ما الشك عندى في حال قاتله
لكننى قد أشك في الخـفـامـل
نفسى فـلـمـت الحسين يوم غدا
إلى المنايا غدا لا قاتل
ذلك يوم أخنى بشفرته
على سنم الإسلام والكاهـل
حتى متى أنت تمجدين : ألا
تنزل بالقوم نعمة العاجـل
لا يجعل الله إن جعلت ومـهـا
ربك عما ترين بالناهـل
ومـهـا زلى أننى أحب بنى
أحمد لأتـرب في فـم العـامـل
قد دنت ما ديتكم عليه فـهـا
وصلت من ديتكم إلى طـهـامـل
ديتكم جفوة للنبي ومـهـا لـم
جفاني لأل النبي كـالـمـواصـل
وفى درر السمط يبدأ عجز البيت الثانى بلفظ « ننت »
موضع « يؤت » كما ورد البيت الخامس على النحو التالى :
تـمـال غـدا واطلب شفاعة
وانهض فرد حوضه مع الناهـل
كما ورد عجز البيت السادس بلفظ « قد » (درالسمط
/ ١١٥ ، من الأغاني ، دار الفكر ١٢ / ٢٤) .

وكانوا غيائسا ثم أصبحوا رزية
لقد عظمت تلك السرزايا وجلت

(الحسين بن علي / ١٢٧ ، ١٢٨) .

وقال قبلها كما يروي ابن الأثير في أسد الغابة :

الم تسم أن الأرض أضحت مريضه
لقد حسن حسين والبسلا لقمسرت

وقد أحسولت تبكى السماء لفقسه
وانجمها ناحت عليه وصلت

(أهل البيت في مصر / ٤٨) .

أخبرنا أبو هاشم عبد الغطاب بن الفضل قال : أخبرنا أبو سعد السمعي قال : سمعت أبا السعادات المبارك بن الحسين بن عبد الوهاب الواسطي بالنعمانية ، مذاكرة من حفظه - يقول : سمعت القاضي أبا يوسف عبد السلام بن محمد القزويني يقول - اجتمعت - يعني - بأبي العلاء أحمد ابن عبد الله ابن سليمان العمري .

فجئني بيتا كلام ، فقال أبو العلاء : ما سمعت في مرثي الحسين بن علي رضي الله عنهما مرثية تكذب ، قال : فقلت له : قد قال رجل من فلاحي بلدنا أبياتا يعجز عنها شيخ تنوخ فقال لي : أنشدنيها ، فأنشدته :

رأس ابن بنت محمد ووصيه

للمسلمين على قنطرة يرفع

والمسلمون بمنظر ويرفع

لا جازع فيهم ولا مضجع

كحلت بمنظر كالعنبر عماية

وأحسهم زؤك كسل أذن تسمع

أيقظت أجفائنا وكنت أنتمها

وانمت حينئذ لم تكن بك تهجع

ما روضة إلا نمت أنتمها لك

تسريه ولخط قبرك مضجع

فقال أبو العلاء : والله ما سمعت أرق من هذا .

قال ابن العديم : قد رثى الحسين رضوان الله عليه بأشعار كثيرة لو بسطت يدي إلى إيراد جملة منها لطال ذكرها ، وامتدح حصرها (الحسين بن علي / ١٢٩ ، ١٣٠) .

ولشاعر دعبل الخزاعي مرثية بليغة أوردنا لك بعضا من أبياتها في مادة « أدب بكاء آل البيت » م ٣ / ٢٨٩ ، ٢٩٠ فانظرها في موضعها .

ويسجل القاضي النعمان أحداث مأساة كربلاء في أرجوزته الجامعة المعروفة بالأرجوزة المختارة ، ونقل هنا الجزء الخاص بالإمام الحسين رضي الله عنه ، كما تتبعها بشرح بعض الألفاظ ، وقد أبقينا على أرقام الأبيات كما وردت في النص ، قال الناظم :

١٧٤٧ - وقسم بمسد الحسن الحسين

فلم تبرز لهم عليه حين

١٧٤٨ - ترمى لهم أحواله وتنظره

في كل ما يسره ويجهره

١٧٤٩ - وشردوا شينته من بابيه

وأظهروا الطلب في أصحابيه

١٧٥٠ - لينموا كل ما يسريه

وكسان قسده ولهم يزبد

١٧٥١ - فأظهر الفسوق والمعاصي

وكان بالحجاز عنه قاصي

١٧٥٢ - ومكبره يبلغه ويلحقه

وعينه بما يخاف ترمقه

١٧٥٣ - ولم يكن هناك من قد يلحقه

عنه إذا هم به أو يمنعه

١٧٥٤ - وكان بالمراق من أتباعه

أكثر ما يسر جوه من أشباعه

١٧٥٥ - فسار ليمن معه إليهم

فقطموا بكسر رلا عليهم

١٧٥٦ - في عسكر ليس لهم تساهي

أرسله للثاوي عبيد الله

١٧٥٧ - يقلعه في البيض والدلاص

عمرو بن مسعود بن أبي وقاص

- ١٧٥٨ - فجاء مثل السيل حين يأتي
فحال بين القوم والقصرات
- ١٧٥٩ - وإذا رأى الحسين ما قد رابه
نساهاهم بالله والقرباه
- ١٧٦٠ - وجده وأمه الصديق
ويعلها أن يملوا طريقه
- ١٧٦١ - وجاء في الوصف وفي التحدير
لهم بقول جملع كثير
- ١٧٦٢ - فلم يزدكم ذاك إلا حنقا
ومنعوا الماء وسدوا الطرقات
- ١٧٦٣ - حتى إذا أجهده حر العطش
وقد نطق بالهجير والتجربش
- ١٧٦٤ - حرارة الرمضاء ، ناذى : وليكم
أرى الكلاب في القصرات حولكم
- ١٧٦٥ - تلخ في الماء وتمنونوا
وقد لغينا ، وليكم فامنونوا
- ١٧٦٦ - قالوا : له : لست نال الماء
حتى نسال كفاك الماء
- ١٧٦٧ - قال : فما ترون في الأطفال
ومائر النساء والميال
- ١٧٦٨ - بنى على وينبات فاطمه
هيونهم لئلا تهمى ساجمه
- ١٧٦٩ - فهل لكم أن تتركوا الماء لهم
ليأكلكم فقد تعلمون فضيلهم
- ١٧٧٠ - فإن تروني عندكم مملوك
فقتلوه في وليكم نيكم
- ١٧٧١ - فلم يروا جوابه وشدوا
عليه ، فاستمعدوا
- ١٧٧٢ - فثبوا أصحابه كثرما
من يند أن قد علموا وعلموا
- ١٧٧٣ - بأنهم في صدد الأموات
لما رأوا من كثرة الملائكة
- ١٧٧٤ - فلم ينالوا منهم قتيل
حتى شفى من المصدى الغليل
- ١٧٧٥ - واستشهدوا كلهم من بعد ما
قد تلوأ أضعافهم ترحموا
- ١٧٧٦ - واستشهد الحسين صلى ربه
عليه لما أن تسولى صحبه
- ١٧٧٧ - مع مئة كانوا أصيبوا فيه
بالقتل أيضا من بنى أبيه
- ١٧٧٨ - وتممة لعنه العقيل
لهي لئلا يك الدم المظلول
- ١٧٧٩ - وأقبلوا برأسه مع نسوته
ومع بنه ونساء إخوانه
- ١٧٨٠ - حواسرا يكتبه سبابا
على جمال فوقها السلايا
- ١٧٨١ - ووجهوا بهم على البريد
حتى أتوا بهم إلى يزيد
- ١٧٨٢ - فكيف لم يمت على المكمنان
من كان في شيء من الإيمان
- ١٧٨٣ - أم كيف لا تهمى العيون بالدم
ولم يسلب فردا كل مسلم
- ١٧٨٤ - وقد يكتفه أفق السماء
فأطمرت قطرها من السماء
- ١٧٨٥ - وحزن البشر له فأنكفا
وناحت الجن عليه أسفا
- ١٧٨٦ - فيا لكتاب مصوع هني
إذا ذكرت مصارع الحسين

(الأجزاء المختارة / ١٨٠ - ١٨٤) .

أهله ، وظل دمه فهدر مظلوم .

البيت ١٧٨٠ : حواسرا : الحاسر من لا يغفر له ولا درع ولا بجنة له .

البيت ١٧٨٦ : فيا لتسكاب دموع عيني : سكبت الماء سكبا أي صيته . وماء مسكوب أي يجري على وجه الأرض من غير حفر . ومكب الماء بنفسه سكوبا وتسكبا (الأجرزة المختارة / ٣٠٨ ، ٣٠٩) .

(الحسين بن علي سيد شباب أهل الجنة لأين العليم - حقه وقدم له د. سهيل زكار / ٢١ ، ٧٦ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ١٢٧ ، ١٣٠ ، ونور الأبرار في مناقب آل بيت النبي المختار للشيخ سيد الشبلنجي . ط دار الفد العري / ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٣٣ ، والخطب الترفيحية الجديدة لعلي باشا مبارك / ٤ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ١٩٤ ، ١٩٠ ، واستشهاد الحسين للإمام الحافظ ابن كثير / ١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٣٦ ، ١٤٦ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، وتهذيب الأسماء واللغات للإمام الشري / ١ ، ١٦٣ ، ومرجع المراجع الإسلامي - د. محمد الزحيلي / ٥٥ ، وأهل البيت في مصر - الشيخ عبد الحفيظ غزالي / ٤١ ، ٤٢ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ومكارم الأخلاق للحافظ ابن أبي الدنيا - تحقيق وتعليق مجدي السيد إبراهيم / ١٣٨ ، ١٣٩ ، منهل الصفا في تحقيق المروا والود لأل بيت المصطفى - السيد محمود أبو الفيض المنطوي / ٦٥ ، ٦٦ ، والرياض المستطابة للإمام يحيى بن أبي بكر الصامري اليمني ٢٨٩ - ٢٩٢ ، ٢٩٤ ، ٢٨٧ ، وعمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب لأين عنة / ١٩١ ، وللخري في الأكلاب السلطانية والخطب الإسلامية لمحمد بن طياطين المعروف بابن الطفاطي - راجعها وتقدمها محمد عوض بك إبراهيم والأستاذ الشيخ علي النجار / ١٠٦ ، ١٠٧ ، والفتاوى في أحوال الموتى وأمر الأكره للإمام القرطبي - حقه وعلق عليه وضبطه الأستاذ حمدان جعفر / ٦٥٦ - ٦٥٨ ، ٦٦٠ ، ومختصر تكملة القرطبي للفظب العمداني للإمام الشمراني / ٢٤٢ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ودرر السط في خبر السي لأل عده لله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القفاضي المعروف بابن الأبار - تحقيق د. عز الدين موسى / ١٠٥ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ١١٥ ، وتاريخ المساجد الأثرية حسن عبد الوهاب / ٧٩ - ٨٣ ، وأهل الحسين لشيخ الإسلام ابن تيمية ، المطبع في كتابه استشهاد الحسين للإمام الحافظ ابن كثير - تقديم د. محمد جميل خازني / ١٥٣ ، والأجرزة المختارة للقاضي النعمان -

وفما يلي شرح بعض الألفاظ

البيت ١٧٥١ : قاصي : قصا المكان يقصر قُصُورًا : بعد فهدر قصي .

البيت ١٧٥٢ : ترمقه : رمق : رمقه يرمقه رمقا : نظر إليه ، ورمقه يبصره ورامقه إذا أتبعته بصرك تتبعه وتنتظر إليه وترقبه .

البيت ١٧٥٤ : أشياعه : شيعه ، الجمع شيع وأشياع . البيت ١٧٥٧ : البيض : الأبيض : السيف والجمع البيض .

السداس : اللين البراق . يقال : درع دلاص وأدرع دلاص ، الواحد والجمع لفظ واحد .

البيت ١٧٦٣ : الهجير : الهاجرة ، والهاجرة : نصف النهار عند زوال الشمس مع الظهر أو من عند زوالها إلى العصر لأن الناس يسكنون في بيوتهم كأنهم قد تهاجروا ، وشدة الحر والجمع هاجر .

البيت ١٧٦٥ : تلغ ، لغينا : ولغ الكلب في الإناء ولغ ولوغا أي شرب ما فيه بأطراف لسانه .

البيت ١٧٦٨ : تهمي : همي الماء والدم يهمي هميًا وهمياتا . سال : ساجمة : سجم الدم سجمًا وسجما : قطر .

البيت ١٧٧٥ : تقحشا : قح في الأمر قحوصا : رمى بنفسه فيه من غير روية وتقحم النفس في الشيء : إدخالها فيه من غير روية .

البيت ١٧٧٧ : مع سنة كانوا أصبوا فيه : هم عباس وعثمان وجعفر وعبد الله أمهم أمن البين ، وأبو بكر بن علي أمه ليلى بنت مسعود ، ومحمد الأصغر بن علي أمه أم ولد .

البيت ١٧٧٨ : وتسعة لمحمة الحفيل : هم مسلم وعبد الرحمن وعبد الله ، وجعفر وعبد الله بن مسلم ومحمد بن مسلم .

قالت المؤلفة : لم يذكر الشارح سوى ستة كما أنه لم يرد في عمدة الطالب (٣٢ - ٣٥) شيء عن ذلك .

البيت ١٧٧٨ : الدم المظلوم : أهل دمه وظله الله وأطله

تحقيق إسماعيل قربان حسين يزنأولا / ١٨٠ - ١٨٤ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ .
انظر أيضا الحسن والحسين - أحمد الشهاري سعد شرق الدين - مطبعة
التأليف ١٩٧٨ ، وحضارة الدولة العبرية في عهد الرسول والخلفاء
الراشدين والدولة الأموية - د. أحمد رمضان أحمد محمد / ١٥٩ - ١٦١
انظر : آل البيت ، أدب بكاء آل البيت ، الخواريون ، الحسين
(المشهد - بالقاهرة) ، الحسين (المشهد - بكرة) .

• أبو الحسن بن هند الفارسي :

من الطبقة الرابعة للصوفية ، وهو أبو الحسين علي بن هند
الفارسي القرشي . من كبار مشايخ الفرس وعلمائهم .
صاحب جعفر السجدة ، ومن فوقه من المشايخ بفارس ،
وصاحب أيضا الجنييد وصر المكي ، ومن في طبقتهم . وكان
له الأحوال العالية والمقامات الزكية .

ومن كلامه :

- ليس حكم ما وصفنا حكم ما نازلنا .

- المتفك بكتاب الله هو الملاحظ للحق على دوام
الآفات ، والمتمسك بكتاب الله لا يخفى عليه شيء من أمور
دينه ودينه ، بل يجري في أوقاته على المشاهدة لا على
الغفلة ، يأخذ أشياء من معنينا ، ويضعها في معنينا .

- استرح مع الله ، ولا تسترح عن الله ، فإن من استراح مع
الله نجا ، ومن استراح عن الله هلك . والاستراحة مع الله ترفع
القلب بلكره ، والاستراحة عن الله ملوثة الغفلة .

- أصول الخيرات أربعة : السخاء ، والتواضع ، والانسك ،
وحسن الخلق .

- أصل كل خير ملازمة الأدب في جميع الأحوال
والأعمال .

- عمارة القلب في أربعة أشياء : في العلم ، والتقوى ،
والطاعة ، وذكر الله . وخبره من أربعة أشياء : في الجهل ،
والمعصية ، والافتقار ، وطول الغفلة .

- دم على الصفا إن كنت تطعم في أوله .

- الاستقامة تقوم العبد في أحوالهم ، لا الأحوال تقومهم .
- من أكرمه الله تعالى بمعرفة الحرمة والاحترام للأكابر ،

أوقع حرمته في قلوب الخلق ، ومن حرم ذلك نزع الله حرمة
من قلوبهم ، فلا تراه إلا معقوبا ، وإن حسنت أخلاقه
وصلحت أحواله لأن النبي ﷺ قال : « من تعظيم جلال الله
إكرام ذي الشبهة المسلم » .

- حسن الخلق على معان ثلاثة : مع الله بترك الشكوى ،
ومع أومره بالقيام إليها بنشاط وطيب نفس ، ومع الخلق بالبر
والعلم .

- القلوب أوعية وظروف ، وكل وعاء وظرف يصلح لنوع من
المحمولات : فقلوب الأتباع أوعية المعرفة ، وقلوب العارفين
أوعية المحبة ، وقلوب المحبين أوعية الشوق ، وأوعية
المشتاقين أوعية الأمل . ولكل من هذه الأحوال آداب ، من
لم يستعملها في أوقاتها هلك من حيث يرجو النجاة .

- اجتهد ألا تفارق باب سيدك بحال ، فإنه ملجأ لكل ،
فمن فارق تلك السلة لا يرى بعدها لقدمه قرارا ولا مقاما .

(طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي - بهروزيه أحمد
الشراصي / ٩٧ ، ٩٨) .

• الحسين (ح.١٠) :

سمى كذلك نسبة لوجود مسجد الحسين بن علي بن أبي
طالب رضي الله عنه ، وهو يبعد عن الجامع الأزهر بخطوات
قليلة حيث لا يفصلهما سوى ميدان واسع .
وأهم مميزات الحي وأتاره الهامة :

- شارع الموسيقى ، وهو شارع تجاري كبير جدا - مواز
لشارع الأزهر ، وعلى جانبيه محال ودكاكين حتى ميدان العتبة
- حي خان الخليلي ... يوجد بين ميدان العتبة وشارع المعز
وشارع الموسيقى وهذا المكان كان عبارة عن مقابر
للقباطيين ، تسمى « جبانة البرهفرانة » ، وأمر السلطان
« برفوق » بنقل المقابر إلى مكان آخر ... ونفذ الأمر الأمير
« الخليلي » الذي بنى لنفسه بيتا ليبيت فيه التجار والمسافرون
فسمى الحي باسمه .

ومن أهم آثاره : المسافرانة ، وكان في الأصل فندقا ثم
أصبح مرسما للفنانين ، وبه غرف كثيرة على الطراز الإسلامي
وبه مشربيات وأبواب وشبابيك ، وبنى السلطان الغوري إرخان

ودقة وصفه لنجوم السماء مما يساعد على فهم التطورات التي تطرأ على النجوم .

وقد قال « سارطون » . - « إن الصوفي من أعظم فلكي الإسلام » « سارطون : مقدمة لتاريخ العلم مجلد ١ / ٦٦٥ .

« كتاب الكواكب الثابتة (مصورا) » (انظر الصورة المصاحبة لهذه المادة) « كتاب الأرجوة في الكواكب الثابتة (مصورا) » .

« كتاب التذكرة » .

« كتاب مطارح الشعاعات » .

وفي مكتبات أوروبا والأسكوريال ، وباريس ، وأكسفورد وكوينهاجن ، ويطرسبورج نسخ من بعض هذه المؤلفات .

وفي سنة ١٨٧٤ م نشر « شيلرب » الفلكي الدينماركي . ترجمة فرنسية لكتابين عربيين من كتب « الصوفي » :

أحدهما : في المكتبة الملكية « بكونهاجن » ، والثاني : في « بطرسبورج » وقد نشر « الأردفور » في إحدى المجلات الإنكليزية « مقالا عن « كتاب الصوفي في الكواكب الثابتة » جاء فيه :

« إن الصوفي « بنى كتابه على كتاب بطليموس - المجسطى » وأنه لم يكتب بمتابنته ، بل رصد « الصوفي »

الخيلبي « من جديد ، واشتهر عن الخيلبي بيع التحف المصرية الجميلة فرعونية كانت أو عربية ، وتشتهر بأنها مطعمة بالصدف والمشغولات النحاسية والمسايح والفضيات والملابس وهي منطقة جذب سياحي . ورغم ضيق شوارعها وحواريها إلا أنها تزخر بمحلات بيع التحف الثمينة الغالية والنادرة .

... أهم آثار الحى ... هو مسجد سيدنا الحسين الذى يحيط به ثلاثة شوارع وميدان الحسين . ولقد استشهد سيدنا الحسين فى معركة كربلاء بالمراق ، وله مسجد هناك ، وجاء رأسه الشريف للقاهرة ليدفن بالمسجد ، وهو مسجد رائع وجميل وآية من آيات الروعة والجمال ويقسم المسجد بعض الآثار النبوية . والمسجد تم تجديده فى عهد الفاطميين ولم يعد باقيا من المسجد القديم سوى الباب الأخضر .

(موسوعة محافظات - مصر القاهرة والجزيرة جمهورية مصر العربية - وزارة الإعلام . الهيئة العامة للاستعلامات ١٩٨٨ / ١٦) .

انظر : الآثار (حـ) ، الحسين بن على رضى الله عنه .

« أبو الحسين الصوفي (٢٩١-٣٧٦ هـ / ٩٠٣-٩٨٦ م) :

قال عنه الأستاذ قدرى حافظ طوقان رحمه الله :

هو أبو الحسين عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سهل الصوفي الرازى

كان الصوفي من أفاضل المتبحرين ، ومصنفى الكتب الجليلية فى الفلك ولد « بالرى » سنة ٢٩١ هـ / ٩٠٣ م ، وتوفى سنة ٣٧٦ هـ / ٩٨٦ م .

اتصل « بعرض الدولة » من سلاطين الدولة البويهية ، وكان محل احترامه وإجلاله وتقديره .

« وكان عضد الدولة إذا انتخب بالعلم والمعلمين يقول : معلمى فى النحو ؛ « أبو على الفاريسى القسى » ، ومعلمى فى حل الزيج ؛ « الشريف بن الأعلم » ، ومعلمى فى الكواكب الثابتة وأماكنها وسيرها ؛ « الصوفي » ... (ابن الفطى : إخبار العلماء بأخبار الحكماء / ١٥٢) واعترف للصوفي « ابن النديم أو « ابن الفطى » وغيرهما .

وقال ابن العبرى المؤرخ : « كان الصوفي فاضلا نبيا نبيلًا ، كما اعترف علماء الإفرنج بقيمة مؤلفاته فى الفلك ،



الشابثة ١٠٢٥ ، والحقيقة أن عدد النجوم الظاهرة أكثر من ذلك ، والنجوم الخفية أكثر من أن تحصى ، وعد ١٠٢٢ من النجوم ، ٣٦٠ منها في الصور الشمالية ، و ٣٤٤ في دائرة البروج ، و ٣١٦ في الصور الجنوبية .

وأخيراً يقول «الأردغور» : إن كتاب «الصوفي» أصح من كتاب «بطليموس» ، وزيجه أصح زيج وصل إلينا من كتب القداماء (المقتطف م ٣٣ / ٦٠) .

ويقول «سارطون» : (مقدمة تاريخ العلم ١ / ٦٦٦) إن كتاب «الصوفي» في الكواكب الشابثة ، أحد الكتب الرئيسية الثلاثة التي اشتهرت في علم الفلك عند المسلمين . أما الكتابان الآخران ، فأحدهما : «لابن يونس» ، والآخر : «الألغ بك» .

ويمتاز «كتاب الكواكب الشابثة» في رسومه الملونة للأبراج وبقية الصور السماوية ، وقد مثلها على هيئة الأناس والحيوانات . فمنها : ما هو بصورة كهل في يده اليسرى قضيب أو صولجان ، وعلى رأسه قلنسوة وعمامة فوقها تاج . ومنها : ما هو على صورة رجل في يده اليمنى عصا ، أو رجل مد يديه - إحدهما إلى مجموعة من الجمع ، والثانية : إلى مجموعة أخرى .

ومنها أيضاً : ما هو على صورة امرأة جالسة على كرسي له قائمة كفائمة المنبر . وكذلك منها : ما هو على صورة دب صغير قائم اللب ، أو صورة الأسد ، أو الظباء ، أو التنين ، وغير ذلك مما يطول الكلام فيه .

ومن رغب في الاستزادة ، فليرجع إلى الفصل الأخير من كتاب «بساطط علم الفلك للكتكوت يعقوب صريف» وفيه بحث مفصل عن وصف صور السماء ، مأخوذة عن نسخة من «كتاب الصوفي» وغيره ، محفوظة بدار الكتب المصرية في القاهرة .

(تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك - تدرى حافظ طوتان / ٢٢٣-٢٢٤ . انظر أيضاً الأعلام للزركلي ٣ / ٣١٩) . ملاحظة : الصورة المصاحبة لهذه المادة هي صورة

النجوم جميعاً نجماً نجماً ، وعين أماكنها وأقنارها بلقعة تثير إعجابه .

وقد اكتفى عند البحث في أماكنها بإصلاحها بالنسبة إلى مبادأة الاعتدالين ، واعتمد في الأقنار على رسمه ، وهو يذكر قدر الكواكب بحسب «بطليموس» ، إذا كان مخالفاً للقدر الذي ظهر له ، ومن هنا كان - ولا يزال - لكتابه فائدة عظيمة في الاستدلال على تفسير أقنار النجوم من عصر «بطليموس» أو «هيركس» ، إلى عصر «الصوفي» ثم إلى العصر الحاضر ، ولم يكتف «الصوفي» بذلك كله ، بل قابل بين أقنار بعض الكواكب .

ويقول «الأردغور» : وأكسر الأقنار التي لأوردوها «الصوفي»، مثل أقنارها المعتمد عليها الآن في أزياج «أجلندر» و«هيس» ، ولو خالفت أقنار «المجسطي» .

ومما تمتاز به أروصاد «الصوفي» : أنه لم يذكر لون الشعرى العبر مع أن «بطليموس» و«هيركس» قالوا : إن لونها ضارب إلى الحمرة ، فكان أحمرها كان قد زال في أيامه ، وصار لونها كما هو الآن .

وقد بين الأستاذ «سي» الفلكي : أن لون الشعرى كان أحمر في الأزمنة الغابرة ، وقال «سكا» : إنها كانت أشد حمرة من المريح .

ويتابع المستر «الأردغور» مقاله ، فيقول : بأن «الصوفي» يقول إن لون الغول أحمر ، وهو الآن أبيض . ولملك فلونه أو لون تابعه قد تغير عن عصر «الصوفي» إلى الآن . ويكرر السديم الذي بالمرأة المسلسلة ، ولم يذكره أذ في أوربا قبل سنة ١٦١٢ م ، حين ذكره «سمعان ماريوس» . أما «الصوفي» فيذكره كشئ مشاهد في عصره .

وتكلم «الصوفي» عن مبادأة الاعتدالين فقال : إن «بطليموس» وأسلافه راقبوا حركة دائرة البروج فوجدوها درجة كل مئة سنة . أما هو فوجدوها درجة كل ٦٦ سنة . وهي الآن درجة كل ٧١ سنة ونصف سنة .

وعلى استخدام منجمي العرب لمنازل القمر باعتماجهم على الشهر القمري ، وقال : إن كثيرين يحسبون عدد النجوم

لمن يريد أن يصرف الطريق إلى خدمة الدين والوطن والناس ...

كان ميلاده في السادس من أكتوبر سنة ١٨٧٩ وكانت وفاته في الخامس من ديسمبر سنة ١٩٥٧ في منزله بجوار مدرسة دار العلوم بديوبند حيث دفن قريبا من المعهد الذي شغ منه نوره على المسلمين في الهند .
رحمه الله ورضى عنه ...

(مولانا حسين أحمد المدني) - العرفى السيكلي . المعنى الإسلامي . السنة الخامسة . المجلد ٥٨ شوال ١٣٨٩ هـ - ١٠ ديسمبر (كانون أول) ١٩٦٩ م / ١٠٠٠ .

• **حسين المرصفي (١٣٠٧ هـ / ١٨٨٩ م) :**

حسين بن أحمد بن حسين المرصفي ، أديب محاضر أزهرى مصرى ، ضريح . تولى التدريس بالأزهر ، ثم كان أستاذا للآداب العربى وتاريخه فى دار العلوم بالقاهرة سنة ١٢٨٨ هـ . وتعلم اللغة الفرنسية . له « الكلم الثمان » فى الأمة والوطن والحكومة والعدل والظلم والسياسة والحرية والتربية ، و « زهرة الرسائل » ، و « دليل المسترشد » فى فن الإنشاء « ثلاثة أجزاء » و « الوسيلة الأدبية فى العلوم العربية » مجلدان ، وهو مجموع محاضراته فى دار العلوم .

قالت المؤلفة : النسخة التى عندي من كتاب الوسيلة الأدبية - حققها وقدم لها الدكتور عبد العزيز الدسوقي ، طبع الهيئة المصرية للكتاب ١٩٨٧ ، ويقع فى جزئين .

نسبته إلى مرصفى (من قرى القليوبية بمصر) ولعمد عبد الجواد كتاب « الحسين بن أحمد المرصفي الأستاذ الأول للعلوم الأدبية بدار العلوم » مطبوع ، جاء فيه وصف « دليل المسترشد » (الأمل ٢ / ٢٣٧) .

قالت المؤلفة : للدكتور عبد العزيز الدسوقي كتاب « حسين المرصفي » سلسلة نقاد الأدب (٢) الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠ ، وهو عندي .

(الأمل للزكلى ٢ / ٣٢٣ من آداب شيخو ٨٠ / ٢ وأصل من الشرق والغرب ٦٧ - ٨١ ، وعصر إسماعيل لعبد الرحمن الرافعى / ٢٦٩ ومجموع المطبوعات / ١٣٥٥ ، وقد أدرجه تحت اسم « المرصفي »

مخطوط كتاب « الكواكب الشاذية » ، وهو من أقدم المخطوطات الإسلامية التى بقيت حتى اليوم . وقد نسخ المخطوط ورسم صورته فى سنة ١٠٠٩ - ١٠١٠ م رجل يقال إنه ابن المؤلف ، ونرى فيه « كوكبة الراى » يمثلها « قنطور » وهو كائن خرافى نصفه رجل ونصفه فرس ، يمسك بيده قوسا مزدوجا (أو قوسا أسوريا) كما يكون محفورا أو مرسوما على سطح الكرة السماوية .

• **حسين المدني (١٨٧٩ - ١٩٥٧ م) :**

مولانا حسين أحمد المدني ، أحد زعماء الهند البارزين فى السياسة والدين ، وما كان صاحب صوت مسموع وكلمة مطاعة فى الشؤون السياسية والدينية على السواء فى شبه القارة الهندية ...

كان شيخا للحديث فى مدرسة دار العلوم بديوبند ، وهو مدرسة أنشأها جلة من علماء الهند المسلمين أمثال الشيخ محمد قاسم الثانورى والشيخ رشيد أحمد الكونكوى والشيخ أمداد الله ، وهؤلاء وأمثالهم هم الأساتذة الذين تخرج على أيديهم مولانا حسين المدني وغيره من عظماء العلماء الهند أمثال الشيخ محمود الحسن والشيخ محمد أشرف .

كان يرى أن الدين واستقلال الوطن وعزته - فى نظر الإسلام - مرتبط بعفه ببعض ولا يجوز لمسلم أن يسكت على الاحتلال الأجنبى لبلاده ، وينعزل عن الحركة الوطنية .


كانت آراؤه الثورية التحررية ، سببا فى اضطهاده ، ثم فى سجنه ونفيه ، وقد اعتقل منها فى ماطلة ثلاث سنوات ...

رأس جمعية علماء الهند ، إلى جانب منصب شيخ الحديث فى دار العلوم .

يقول عنه بعض مؤرخيه :

« تعتبر حياة العالم الوطنى الفذ الشيخ حسين المدني نموذجاً حياً للعالم الفاهم الذى يصرف مكانته ورسالته ، ويدرك حق ربه وحق وطنه وأمتة من كافة النواحي الروحية والتعليمية والسياسية والوطنية .

لقد كانت حياته جهادا موصولا وكفاحا دائما وأسوة حسنة

.. مخالفة خوف القضيعة أدبأت نفوس المحيين ، وأحرق
أكباد العارفين ، وأسهرت ليل العابدين ، وأظلمات نهار
الزاهدين ، وأكثر بكاء التائبين ، ونقصت حيلة الخائفين .
- التوكل استواء الحال عند العدم والوجود ، وسكون
النفس عند مجارى المقدور .
- علامة محبة الله تعالى متابعة حبيب  .

من الطبقة الثالثة للصوفية ، وهو أبو الحسين محمد بن سعد الزرق ، وهو من كبار مشايخ نيسابور، ومن قدماء أصحاب أبي عثمان ، وله كلام على سنن كلام أبي عثمان . وكان عالما بعلوم الفاضل ، ويتكلم في دقائق علوم المعاملات وعيوب الأعمال .

ومات قبل العشرين وثلاثمائة .
ومن كلامه :

– الكرم في العفو ألا تذكر جنابة صاحبك بعد أن عفو
عنه .

- اللئيم لا يوفق في ذكرى المحي الذي لا يموت ، والعيش
الهنئ مع الله لا غير .

- لا يصل العبد إلى الله إلا بالله ، وبموافقة حبيبه صلى الله عليه وسلم في شرائعه ، ومن جنىل الطريق إلى الوصول في غير الاقتداء بصل من حيث يظن أنه مهتد ، ومن وصل اتصل ، وما رجع من رجع عن الطريق إلا من الإشفاق على النفس وطلب الراحة ، لأن الطريق إلى الله صعب لمن لم يدخل فيه يوجد غالب وشوق مزيج ، فيهن إليه ذاك حمل الأثقال ، وركوب الأهوال ، فإذا انتقلت له النفس على ذلك ، ومازل عليه ما يلقي في طلب المحبوب سهل الله عليه سبيل الوصول .

— أجل شيء يفتح الله تعالى به على عبده التقوى . فإن
منه يتشعب جميع الخيرات ، وأسابيل القربة والتقرب ،
وأصل التقوى والإخلاص ، وحقيقته التخلي عن كل شيء إلا
ممن إليه تقواك .

- الصدق استقامة الطريق في الدين ، وإتباع السنة في الشرع .

— الشهوة أغلب سلطان على النفس ، ولا يزيئها إلا
الخوف المزعج .

– اليقين ثمرة التوحيد ، فمن صفا في التوحيد صفاته اليقين .

... من لم يفن عن نفسه وسره ورؤية الخلق لا يحيا مسره
لمشاهدة الخيرات والمنن .



الواجهة الجنوبية الغربية للمسجد - أثناء الترميم .

والمبلغين واليوانيين والفرانسين والكناسين والوقادين والسقائين ونحو ذلك ، وجعلوا للضريح خدمة تخصه ، ورتبوا قراء للقرآن والدلائل والمتصلات ، ووقفوا عليه أوقافا جمة يبلغ إيرادها الآن نحو ألف جنيه في السنة ، ولزيادة المحافظة على نظافته واحترامه ترى على كل باب من أبوابه جمعا من البوابين للخلق والفتح ، ولهم رفوف من الخشب أو الجريد يضعون عليها نعال الداخلين ، ويمنعون الدخول بأصواد الدخان ونحوها .

وآخر من عمره قبل عمارة الخديو إسماعيل هذه الأمير عبد الرحمن كتحدا فإنه في سنة خمس وسبعين ومائة وألف أجرى فيه عمارة عظيمة وزاد في تحصينه ورويقه ، وكانت به عمد من الرخام الأبيض ، وكان في جانبه الأيمن إيوان كبير ، وعن شمال المحراب ركة من البناء فيها قبور لبعض الصالحين يعرف بعضهم بالأمين ، وهناك قبر الشيخ أحمد الملواني شيخ السادة المالكية ، وكانت حقيقته في مكانها اليوم ، وميضاته أقل من عشر في عشر ، ومرافقه قليلة ، وله منازنان ، وصهرج فوقه سبيل . وكان المرحوم عباس باشا في

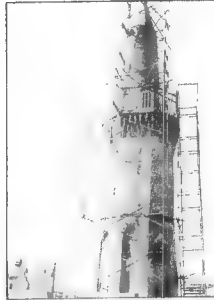
وما هو عليه الآن بعد الترميم الأخير الذي تم سنة ١٩٨٥ . يقول على مبارك .

هذا الجامع في ثَمَن الجمالية ، بالقاهرة المعزية ، قرب جامع الأزهر ، فيما بينه وبين قصر الشوك ، بجوار خان الخليلي . أنشئ حيث مشهد رأس الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، الذي أنشأه له الفاطميون سنة تسع وأربعين وخمسمائة على يد الصالح طلائع بن زريك في خلافة الفائز بنصر الله ، وهو جامع كبير شهير عامر ، مقام الشعائر من لدن إنشائه إلى اليوم بالأذان والجمعة والجماعات وتلاوة القرآن ودروس العلم الشرعي والزوار والأكرام ليلا ونهارا ، ولا يذاته في ذلك مشهد في سائر القطر ، ولا يزال كذلك إن شاء الله تعالى ، فهو الحرم المصري ، والمشهد الحسيني ، المعظم بالمزايا السنية ، والأنوار المحيية والمعنوية ، ولعظيم وقعه ونفعه ، وكثرة احتفاله وجمعه ، وتعدد نفحاته ، وتزايد بركاته ، اعتنى الأكابر والأمراء في كل عصر بعمارة وزخرفته وتخليته ، وإعلاء شأنه وفرشه بالقرش النفيسة ، وتسويره بالشموع والزيتون الطيبة في قناديل البلور ونجفاته ، ورتبوا له فرق الكفافية من الأئمة والمؤذنين



الباب القديمة أهل الباب الأحمر

وخارجيا ، إذ جعلته منفصلا من كل جهة عن المساكن بشوارع وميادين رحبية وجعلت شكله قائم الزوايا ، وجعلت حذاء الأيمن بحذاء جدار القبة الأيسر بالنسبة للمصلى فيها بحيث يكون الجدران واحدا ، وحده الأيسر نهاية الحد الأيسر للمصحن الذي به الحنفية الآن ، ويصير هذا المصحن من ضمن الجامع ، وحده الذي به المحراب والمنبر يكون بحذاء جدار القبة الذي به محرابها بحيث يكون الجدران واحدا ، والحد الرابع الذي يلي خان الخليلى هو الذى له الآن ، وجعلت المصحن والحنفية عن يمين الجدار الأيمن للجامع - أعنى فى محل الإبران القديم بجوار عمارة العناني - وتكون عن يمين ذلك المطهرة والأخيلة / والساقية بحيث يؤخذ لها بعض من عمارة العناني ، فيكون الجامع آمنا من انعكاس روائح الأخيلة إليه كما هو الشأن فى وضع الأخيلة ، وفى هذا الرسم صار الضريح الشريف خارجا عن الجامع فى الزاوية التى عن يمين المحراب ، داخل فى المصحن فى جهته اليسرى ، وجعلت للضريح بابا إلى الجامع ، وبابا إلى المصحن ، وبابا على شارع الباب الأخضر لزيارة النساء ، وجعلت سعة الشارع فى غربه وشرقيه نحو ثلاثين مترا ، وفى بحريه نحو أربعين ، فلما قدمته له وقع منه موقع الاستحسان



المئذنة القديمة - أثناء الترميم .

ولآيته على ديار مصر قد عزم على توسعته والزيادة فى تحسينه - على عادته من الاعتناء بعمارة مشاهد أهل البيت - فاشترى الأملاك التى بجواره وهدمها وشرع فى البناء فوضع الأساس ، ثم اختتمته المئذنة فبطلت العمارة .

وبقيت الأرض براحا إلى أن اشتراها مصطفى بك العناني ، وعمرها لنفسه رباعا وفنادق للاستغلال ويقال إنه وجد بها كنزا عظيما خلف قبة المشهد الحسينى .

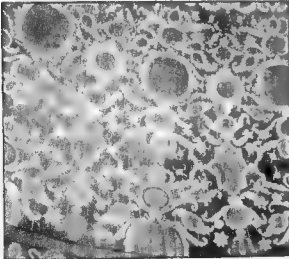
ولما أخذ الخديو إسماعيل باشا بزمام ولاية الديار المصرية سنة تسع وسبعين ومائتين وألف أمر بتجديده وتوسعته وتوسعة رحابه وطرقه ، لما رأى من أهميته وازدحام الناس عليه وضيقه بهم ، لأن أرباب مظاهر الدين يسعون من كل فجح على العربيات والبغال والبغال والحمير حتى تزدهم أبوابه وطرقه ، فيضرك ذلك بالمآلة خصوصا أزمان المواسم ، ففتح بجواره شارع السكة الجديدة حتى وصل إلى تلوك البرقية وتبنيى لعمل رسم للجامع يكون به واقفا بمقصد الحسن ، فبذللت المهمة فى ذلك وامتحنحت الجامع وما حوله من الأماكن ، وعملت له الرسم اللائق بعظيم شأنه ، بحيث لو وضع عليه لكان مبرا من العيوب ، مع الاتساع العظيم داخلا



أعمال الصنعة الميكانيكية للمبارة الغربية .

استحسنه من رسمنا ، كإزالة بناء القبور التي كانت عن شمال القبلة ، وأدخلها فى الجامع واشترى دورا كنا نبهنا عليها فوسع بها الصحن ، وبني الجامع كما ترى غير قائم الزوايا فإن ضلعه الأيمن قصير عن ضلعه الأيسر ، وكذا الضلعان الآخران غير متساويين ، فأوجب ذلك وضع الأساطين منحرفة ، بحيث لو وافقتها صفوف المصلين كما هو العادة لانحرفوا عن القبلة ولو سامتوا القبلة كما هو المطلوب لقطعوا صفوف الأساطين ، وصار الجامع مع سعته وارتفاعه غير مستوفى لحقه من النور والهواء ، ولسوء رسم الأبواب والشبابيك وعدم أخذها حقها من الارتفاع والاتساع مع قلتها وقلة الملاقف . ومن العجيب أن منحنيات قواصر الأساطين جاءت على شكل مخالف لأشكال المنحنيات الهندسية ، إلى غير ذلك من الأسقام .

ولما تقلدت نظر الأوقاف ، وجدت ثلاثة أضلاعه قد تمت وارتفع أساس الرابع وتمت أضلاع الصحن ، ووجدت الرأى ضالا عن محل وضع المرافق ، والمساكن متصلة به من جهتي القبلة والشمال ليس بينهما إلا مصر ضيق ، فأسفت على ما فات هذا الحرم من المحاسن ، وأعملت الفكر فى رسم يرضى به إصلاح بعض ما أساءت أيدي الأنظار ،



الزخارف على الألواح الخشبية المعلقة بأطراف القبة .



باب حجره الخلفات النبوية الشريفة .

ورآه موافقا لعرامه ، فأحضر الأمير واتب باشا الكبير رحمه الله - وهو يومئذ ناظر ديوان الأوقاف المصرية - وأمره بإجراء العمارة على هذا الرسم ، والتزم زاده الله توفيقا بما يلزم له من الرخام ونحوه من ماله ، ثم شرعوا فى هدمه فهدم جميعه ما عدا القبة والصريح الشريف ، وشرعوا فى بنائه وذلك فى الخامس والعشرين من شهر محرم الحرام سنة الثنتين وثمانين ومائتين وألف . وفى ثمان وعشرين من شهر شعبان سنة تسعين ثم جميعه إلا المنارة فتمت سنة خمس وتسعين ، لكن لم يجر المرحوم واتب باشا فى وضع هذا الجامع على ما رسمنا زاعما أن هذا الرسم يلزمه خروج بعض الجامع إلى الشارع ، مع أنه لا يلزم ذلك عند التأمل فى الرسم ، على أنه قد لا يكون مانع شرعا من توسعة الشارع من الجامع ، ففى حاشية العلامة ابن عابدين على الدر المختار فى باب الوقف والمعتمد الذى عليه المتن أنه يجوز عند الضرورة ، وتسقط حرمة المرور فيه للضرورة ، لكن لا يسقط عنه جميع أحكام المسجد ، فلا يجوز فيه المرور لجنب وحافض ودواب إلى آخر ما بينه فيه أنه ملخصا . لكنه لم ير لتحسين الوضع أهمية ولا قانونا يرجع إليه ، بل أتبع آثاره القديمة وأقام جدرانته على أصولها تقريبا ، واعتمد على ما يخطر ببال المباشرين والمعمارية مع ما

تأصفتها ، ويكتف كل باب عمودان من الرخام ، ومثلها الباب الأخضر الذي بجوار القبة عند الباب المعروف بباب المدخل ، يقولون : إن القنطرب يدخل منه كل يوم لزيارة الضريح الشريف . ويعد الزائرون عنده كثيرا ، كما يقولون : إن سيدي أحمد البدوي يأتي لزيارة قيّف عند العمود الذي بجوار المنبر أمام باب القبة ، ويسمونه بعمود السيد البدوي ويؤمنون ويدعون عنده ويقرؤون الفاتحة ، وله باب إلى عمارة الخشباتي غير مستعمل ، وباب بين الحضيضة والساقية غير باب الحضيضة ، والجامع منبر خشب بديع مغطى بالليقة الذهبية ، وله منبر جامع آخر عند باب الخضرى بالآزليّة ، يقال إنه بعد تحريمه ، وفي مؤخره دكة تبكي كبيرة ويدخله أربعة وأربعون عمودا عليها بوابك حاملة للسقف ، وهو من الخشب المثقن الصنعة المقوش بالآزورد والليقة الذهبية ، وفي وسط السقف ثلاثة مناور مرتفعة البناء مسقوفة كذلك ، وبها نحو ثلاثين شبكا صغيرة عليها شبايك من السراج الزجاج ، وأربع جدران الجامع والصحن نحو ثلاثين شبكا عليها شبايك من النحاس المغطى بالليقة الذهبية ، ولها في الجهة البحرية شبايك صغيرة دوائرها من الرخام ، وفي الجامع بجدار الضريح باب خزّانة البسط ونحوها ، وصحنه مكشوف الوسط وبأدناه أربع بوابك مسقوفة على اثني عشر عمودا ، ومبشاة أكثر من عشر في عشر مسقوفة على أربعة أعمدة من الرخام ، وفصلها من الأضحية طرقه قبضة ، أحد وعشرون بيت خلاه ومصعنان للحصص ، وساقية قديمة بائنا قد استغنى عنها بحسب إجراء ماء النيل إلى المطهرة بمواسير من الرصاص واستعمل كذلك نحو ثلاث سنين ، ثم رأوا أن ماء النيل يسرع إليه التغير دون ماء الآبار فأصلحوها واستعملوها للبيضاء والأضحية ، وله منارتان إحداها بجوار القبة وهي قديمة قصيرة ، والأخرى في مؤخره تجاه خان الخليلي ذات حزن وإرتفاع ، جددت مع الجامع وتم بناؤها سنة خمس وتسعين ومائتين وألف . وفي وسط الجامع تحت المنود الكبير نجفة كبيرة معلقة بسلسلة بالسقف وحولها ثمان نطفات صفراء ، وأما القبة فبناية على بناها القديم ، من كبرية كبرية مقوش باطن أعلاها بالليقة الذهبية ، وجدرانها من الحجر المغطى بالنحيم عمودا بأرخام المذرية إلى أكثر من ثلاثين . وبها مصراع يكتفنه عمودان من حجر المساق ،



الباب الأخضر ٥٤٩ هـ (١١٥٤/٥٥٥ م) وقامدة المذنة ٥٦٣٤ هـ (١٢٣٧ م)

المشهد الحسني ٥٤٩ هـ (١١٥٤/١١٥٥ م)

واشترت في هاتين الجهتين دورا تجعل في محلها العبادة والمراقاة والطرق والبيدات الموجودة الآن ، وقد تعمس جعل المنافع من بين الجامع إذ وجدت العتاي تدبني ذلك الموضوع لنفسه رياء ، ولم يرض إعطاه شيء منها إلا بأصاف قيمتها ، ثم انفصلت من الأوقاف فتعموا المنافع على ما في محلها ، لم يتيموا فيها إلا ما جمع ما رستهم ولا تعموا قانونا حسنا ، وكل واحد كثر ما صرف على عمارة هذا الجامع مما لا يدخل تحت الحساب ، فقد صرف عليه من خزينة الأوقاف سبعة آلاف ألف قرش وثمانمائة وستون ألف قرش ومائة واثنان وخمسون قرشا وواحد وعشرون ألفا ففئة صعدة ديوانية ، غير ما يربح به الخديو إسماعيل من خزينة ماله الخاص به ، فقد أرسل إلى دار السلطنة فأحضر جميع عمدة الرجال إلى به والصحن والعبادة وهي تيف من ستين عمودا بجنتها ، فلو أنه وضع على هذه الرسوم الهندسية لجاء بريدا في محاسن الجوامع والمعاهد :

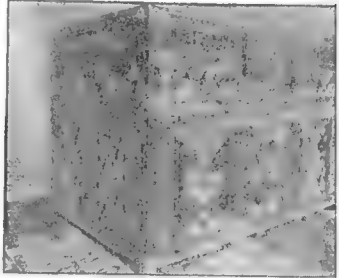
بِرَبِّكَ الْعَبْدُ أَنْ يُعْطَى مِنْكَ

ثم إن جميع بناء هذا الجامع بالحجر الفص النحيت، وله
الوجهة خان الخليلي ثلاثة أبواب مبنية بالرخام الأبيض

الأخضر الجيد الصنعة بابها منها وفيه حلقتان من النحاس
يحركهما بعض الزائرين وينشد هذا البيت :
لن يخيب الميسوم من رجائك من
حورك من دون يسابك الحافله

وهلوعها قبة صغيرة من الخشب ، ويجانبها الأيسر دكة
خشب برسم الشمعدانات ، وعلى القبر الشريف تركيبة عليها
تابوت من الأبنوس مكسو بالإستبرق الأحمر المزركش ، مخيشا
بالأصفر والأخضر ومغطى بكشامير الفرمش ، وعليه عمامة من
الحرير الأخضر عليها كشير فرمش أيضا ، ويجوانبه أربعة
عساكر من الفضة ، ويدخل المقصورة شبكة من سلوك
الحديد لزيادة الحفظ ولا تفتح إلا لمقتض أكيد كإبدال
الكسوة أو تنظيفها ، ويدائر المقصورة والقبه ألواح فيها
الخطوط المذهبة من المخط الثلث والكوفي ، ومنها ما هو
لبعض الملوك العثمانية ، ولها باب إلى الباب الأخضر ،
وبابان إلى الجامع على كل منهما صفتان من الخشب الجيد
المصنوع بمصالح القصة المنقوشة ، وبكل ضفة حلقة حلة
من الفضة ، وبأعلى الباب الذى إلى المنبر ما صورته :
الشفاء فى تربته ، والإجابة تحت قبته ، والأئمة فى ذريته أو
عترة ، وبأعلى الذى يليه ﴿ قل لا أسألكم عليه أجرا إلا
المودة فى القربى ومن يقترب حسة نزل له فيها حسنا إن الله
غفور شكور ﴾ [التورى : ٢٣] . وبينهما شباكنا كبيران
عليهما شباكنا من النحاس الأصفر ، وعلى الجميع ستائر
الجوخ الأخضر ، وفوق ذلك ألواح فيها آيات قرآنية وأحاديث
نبوية بالمخط الثلث المذهب . وللقبة إمام غير إمام الجامع ،
وخدمة يتعهدونها على الدوام ، وهناك صندوق الندور يجلس
عنده شيخهم ، ويعرف بشيخ القبة وشيخ الصندوق وأمينه .
فيحفظ ما يضعه به الزائرون من الندور والهدايا والصداقات
ليفرق بينهم كل شهر مثلا على حسب ما اصطلاحوا عليه من
القسمه ، وذلك غير ما هو لهم من مرتب الأوقاف ، وهكذا
ستائر الأضرحة الشهيرة كضريح السيدة زينب ، والسيدة
نقسه ، والإمام الشافعى ، وغيرهم رضى الله عنهم .

وحفرة هذا المشهد الشريف كل ليلة ثلاثاء ، يجتمع
فيها مشاهير القراء من عصر يوم الإثنين إلى الصبح ، فيفتح
القراءة شيخهم بالتترتيل ثم الذى يليه ، وهم يستمعون



لتابوت الخشبي. أول القرن السادس الهجرى (الثاني عشر ليلادى)



لتابوت الخشبي. آخر القرن السادس الهجرى (الثاني عشر ليلادى)

وحلقتان من الحديد تحتها كرسيان من الرخام الجيد برسم
الشمعدانات ، وعلى الضريح الشريف مقصورة من النحاس

إسماعيل باشا ليلة يصرف فيها جميع ما يلزم لها مع التوسعة ، ثم لابن أخيه الأمير إبراهيم باشا ليلة كذلك ، ثم لنغيرهم من أعيان مصر كالسادات الوفاية ، والشيخ الجوهري ، ومحمود بيك عبد المعطي ، والسيد ياسين شيخ سجادة الرفاعية ، ثم لبعض أعيان الوجه البحري كالشيخ أبي حشيش من ناحية مرسفة ، والشيخ عبد الرحمن السيدي من ناحية الهياثم بالغربية ، فلكل واحد من هؤلاء وغيرهم ليلة يلتزم كفايتها ، وبعضهم جعل لها وقتا يصرف عليها كل سنة من ريعه .

ومن أول المولد يتعقد مجلس القراء داخل القبة كل ليلة من وقت العصر إلى آخر الليل فيقرؤون كل ليلة ختمة كاملة ، ثم تتعقد مجالس أخرى من قراء طائفتا وغيرهم في بعض أنحاء الجامع ، وقرب آخره تكثر المقاريء ومجالس الأذكار ، ويكون أكثر المأكول هناك الفول النبات والخبز ، حتى في آخر ليلة يكون عند كل حمود تقريرا مقرأة فيها مسحرات الفول والخبز والمخلل والزيتون ونحو ذلك ومنافذ القهوة والشربات ، فيتعشق المسجد وتطوى عنه الحصر ، وفي الليلة الكبيرة تزين الأسواق القريبة منه وتوقد الوفودات الكثيرة بالشموع والزيتون على هياث شتى ، ويصل ذلك إلى قرب باب النصر وباب الفتوح وخارج باب زويلة ، وتكثر الولائم وختصات القرآن وأنواع السماع في الدور والمخانات والأزقة ، ويوسع الناس على حيالهم بأنواع الحلوة والفواكه ، ثم تعمل ليلة داخل الجامع تعرف باليتميمة ، تكثر فيها الشربات ونحوها ، وربما يعقبها ليل آخر لبعض المحيين .

ومن أول المولد تنصب أنواع الملاعب في الشارع إلى قرب تلوك البرقية ، كأرجوز والمنجنيق والطبل والحاوي ، إلا أن ذلك قليل بالنسبة لغيره من المولدات لكونه داخل البلد ، وأعظم ما يكون الاحتفال بهذا المشهد في شهر رمضان ، فإنه يغص بالناس كل يوم من قبل العصر إلى الغروب ، وكل ليلة من سلس الليل الأخير إلى الصباح ، ففي وقت العصر يكون به حلق العلم والوعظ والقرآن وكثير من الكتب المعروضة للبيع ونحو ذلك ، وفي وقت السحر يكون به التهنيد وتلاوة القرآن ، واستماعه من شيخ من كبار القراء مرتب لقراءة سورة طه على كرسى في وسط الجامع ، وكلما يغص بأهله في ليلة المعراج ،

محافظين على أحكام التجويد إلى آخر القرآن وفي أول الليل يجتمع أهل دلائل الخيرات فيسرقونها مجتمعين بصوت مرتفع ، وفي وقت العشاء تشد المنائح والتوسلات وكلما يعد الفجر ويختمون بعد طلوع الشمس بالأدعية ورثاشاد الموشحات وآخر البردة بالألحان والتطريب حتى تكون لهم ضجة عظيمة تخلط على المصلين والقارئين ، وقبل الختم تفرق عليهم الجرايات المرتبة من ديوان الأوقاف وغيره ، ويزدحم الزوار تلك الليلة ويومها ، ويمتلئ المشهد من النساء قبيل الظهر قلنا تطوى البسط يومئذ (الخط ٤ / ١٨٤ - ١٨٨) .

ثم يفرق على مبارك في موضع آخر :

ثم إن هذا الجامع عند حفر أساسات أساطينه في هذه العمارة الأخيرة ، وجلدت به أبنية كثيرة مقببة بهيئة قبور ، فلا بد أن ذلك من قبور الفاطميين ، فإنها كانت في محل خان الخليلى ممثلة إلى هذا المشهد .

قال السخاوي في كتاب المزارات : إن المدرسة التي بجانب المشهد الحسيني جعل بها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب تدريسا ووقف لها وقتا ، ولما وزر معين الدين بن حمويه فوض إليه الأمر بالمشهد ، فنجع أوقافا وبني به أيونا للتدريس وبيوتا للفقهاء العلوية .

والمقبرة التي كانت إلى جانب هذا المشهد كبيرة تسمى تربة الزعفران والتربة المعزية (الخط ٤ / ٢٠١) .

ويسوق لنا علي مبارك (ت ١٣١١ هـ / ١٨٩٣ م) وصفا طريفا لاحتفال المصريين في زمانه بمولد مولانا الحسين رضي الله عنه ، وذلك بالمشهد الحسيني ؛ وكذلك مسائر الاحتفالات الدينية التي كانت تقام فيه يقول :

ومولده السنوي في ربيع الثاني يستغرق أغلب الشهر ، ويوقد في الليلة كثير من القناديل والشموع ، ويصرف في الليلة الواحدة نحو عشرين جنجا في الشمع والزيت والقهوة والشربات والمأكول في بعض الليالي ، ويعطى المنشدون والقراء وأهل الدلائل والأشاعر والمعلمة ونحو ذلك ، فأولا يتنأ بخزينة الوقف فيصرف منها على ثلاث ليال ، ثم للمخلو

وقال في كتاب الدر المنظم في أوصاف القاضى الفاضل عبد الرحيم : ومن جملة ما بينه الميضة قريبا من مشهد الإمام الحسين رضى الله عنه بالقاهرة ، والمسجد والساقية ، ووقف عليها أراضى قريبا من الخندق ظاهر القاهرة ، ووقفها دار جبار . ولما هدم المكان الذى بنى موضعه مثلثته ، وجد فيه شيء من الطلسم لا يعلم لآى شيء هو ، فيه اسم الظاهر بن الحاكم واسم أمه انتهى - المقريزى .

وفى رحلة ابن جبير التى صنفها سنة إحدى وثمانين وخمسماية عقب رحلته الأولى : إن من مشاهد القاهرة المشهد العظيم حيث رأس الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما ، وهو فى تابوت فضة مدفون تحت الأرض ، قد بنى عليه بتيان حنبل يقصر الوصف عنه ، ولا يحيط الإدراك به ، مجلل بأنواع الديباج ، محفوظ بأمثال العمد الكبار شمعا أبيض ، ومنه ما هو دون ذلك ، قد وضع أكثرها فى أنوار فضة خالصة ، ومنها منديحة ، وحلقت عليه فتاديل فضة ، وحف أعلامه كله بأمثال الضافيع ذهب ، فى مصنع شيبة الروضة يقيد الأبصار حسنا وجمالا ، فيه من أنواع الزخام المجزج الغريب الصنعة البديع التصرع ما لا يتخيله المتخيلون ، ولا يلحق أدنى وصفه الواصفون . والمداخل إلى هذه الروضة على مسجد على مثالها فى التائق والغريبة ، محيطاته كلها زخام على الصفة المذكورة ، وعن يمين الروضة [المنكورة] وشمالها بتيان على تلك الصفة ، وأستار الديباج البديعة الصنعة معلقة على الجميع . ومن أعجب ما شاهدناه فى الدخول إلى هذا المسجد حجر موضوع فى الجدار الذى يستقبله الداخل ، شلجسد السواد والبصيص ، يصف الأشخاص كلها كأنه المرأة الهندية الحديثة الصقل .

والناس منكبة على استلام هذا القبر الشريف والطواف حوله مزدحمين عليه ، داهين باكين متوسلين إلى الله تعالى ببركة التربة المقدسة ، وبالجملة ، فما أظن فى الوجود كله مصنعا أحفل منه ، ولا مرآى من البناء أصعب ولا أبداع منه ، قلنس الله المعبر الكريم الذى فيه يمنة وكرامة انتهى (الخطب التوفيقية الجديدة ٤ / ١٨٢ - ١٩٢) .

قالت المؤلفة : هذه الفقرة الأخيرة وردت فى نسختى من رحلة ابن جبير (ط عبد الحميد أحمد مصطفى . القاهرة د. ت / ٢٧

فى ليلة نصف شعبان ، وليأتى العيد ويوم عاشوراء ، ويوم المولد النبوى ، فينشد فيه يومئذ مجلس يقرأ فيه مولد النبى ﷺ ويحضره عزيز مصر والعلماء والأكابر ، ويختر الجامع بالعود وماء الورد ونحو ذلك .

وفى شهر شوال تحمل إليه كسوة الكعبة الشريفة بموكب ، فتخط فيه وتحمل منه بموكب ، إلى غير ذلك من العوائد الجليلة التى تعمل فيه ، ولم يزل هذا المشهد من وقت إنشائه عامرا مبجلا مجللا محتضرا به ، ولا يزال كذلك إلى ما شاء الله تعالى ، كيف وهو مشهد من لولا جده لم تخلق الدنيا من العدم .

قال ابن عبد الظاهر : إن الصالح طلائع بن رزيك كان قد قصد نقل الرأس الشريف من عسقلان لما عاف عليها من الفرنج ، وبنى جامع خارج باب زويلة ليلدنه به ويفوز بهذا القفار فغلبه أهل القصر على ذلك وقالوا : لا يكون ذلك إلا عندنا . فبنوا له هذا المكان ونقلوا الزخام إليه ، وذلك فى خلافة الفائز على يد الصالح بن رزيك سنة تسع وأربعين وخمسماية .

ولما ملك السلطان الناصر جعل به حلقة تدريس وفتحها ، وكان يجلس للتدريس عند المحراب الذى خلفه الضريح . فلما وُرد معين السليمن بن حسين ابن شيخ الشيوخ بن حمويه وصار إليه أمر هذا المشهد بعد إخوانه ، جمع من أوقفه ما بنى به إيوان التدريس وبيوت الفقهاء العلوية خاصة . وفى سنة بضع وأربعين وستماية فى الأيام الصالحية احترق هذا المشهد ، بسبب أن أحد خزان الشمع دخل ليأخذ شيئا فسقطت منه شعلة ، فوقف الأمير جمال الدين بنفسه حتى طفىء وفى هذا المعنى :

فالسوا تعصب للحسين ولم يسزل
بالتس للهول المصروف مضرضا
حتى انضوى ضوء الحريق وأصبح له
مسود من تلك المصايف أبيضضا
أرضى الإله بما أبى فكأنه
بين الأنعام ينعله موسى السررضا
قال : ولحققة الأكارما إذا طرلم وقف منه على المسطور ، وعلم منه ما هو غير المشهور ، وإنما هذه البركات مشاهدة مرئية ، وهى بصحة الدعوى ملية ، والعمل بالنية .

من المقتل ، واعتمد القرطبي الثاني . والذي عليه طائفة من الصوفية أنه بالمشهد القاهري . وذكر بعض أهل الكشف والشهود أنه دفن مع الجثة بكربلاء ثم ظهر الرأس بعد ذلك بالمشهد القاهري ، لأن حكم الحال في البرزخ حكم إنسان تدلى في تيار جارف فيطف بعد ذلك في مكان آخر ، فلما كان الرأس منفصلا طف في هذا المحل من المشهد .

وفي كتاب مشارف الأنوار ، في فوز أهل الاعتبار ، للشيخ حسن العلوي الحمزوي ، قال العلامة الأجهوري : الذي تواتر من أهل الكشف ، أن الرأس الشريف في مشهد القاهري بلا شك ، لوجود هذه الروحية والأنوار التي تهب العقول . قال الشيخ عبد الفتاح الشهير بالرسام الشافعي في رسالة له تسمى نور العين عن التجم الغيبي ، عن الشمس اللقائي ، عن أبي الموابب الترنسي ، أن القوت الجامع يأتي كل يوم ثلاثاء فيزور هذا المشهد .

وفي مختصر التذكرة للشعراني ، أنه قد ثبت أن طلائع بن رزيك - الذي بني المشهد الحسيني بالقاهرة - نقل الرأس إلى هذا المشهد بل في ذلك نحو أربعين ألف دينار ، وخرج هو وعسكره قبله من خارج مصر حاليا مكشوف الرأس ، وهو في برنس حرير أخضر في القبر الذي في المشهد ، على كرسى من خشب الأنوس ، مفروش هناك نحو نصف أردب من الطيب . قال : كما أخبرني بذلك خادم المشهد . وقول القرطبي « إن دفن الرأس الشريف في مصر باطل » صحيح في أيام القرطبي ، فإن الرأس إنما نقل إلى مصر بعد موت القرطبي انتهى .

قال الحنفى في رسالته : كان بعض المارفين بهم في مقام الحسين وأشد فقال :

منزل كمل الإله سنه
تساروا البسور عند لقائه
خصه رنسا بما شاء في الأر
ض تعالى من في السماء إلى
صانه زانه حماء وقاء
وكناه يديه ورضاء
أن غدا مسكنا لقرة آل الله
سبيت من ثم قلدته وعلا

على النحو التالي : وشاهدنا من استلام الناس للقبر المبارك وإحداهم به وانكباهم عليه وتسبحهم بالكسوة التي عليه وطوافهم حوله مزدحمين داعين باكين متوسلين إلى الله سبحانه وتعالى ببركة التربة المقدسة ومتضرعين بما يلبي الأكياد ويصدق الجماد والأمر فيه أعظم ومرأى الحال أهول فنعنا الله ببركة ذلك المشهد الكريم وإنما وقع الإلام بنبذة من صفته مستدلا على ما وراء ذلك إذ لا ينبغي لما قل أن يتصدى لوصفه لأنه يقف موقف التقصير والعجز وبالجمل لاأطن في الوجود كله مصنفا أحفل منه ولأمرأى من البناء أعجب ولا لبدع قدس الله العضو الكريم الذي فيه يمنه وكرمه (رحلة ابن جبر / ٣٧) .

ويمضي على مباركة يقول : وفي تاريخ الجبرتي : إن الأمير حسن كخدا عزبان الجلفي وسع المشهد الحسيني ، واشترى صدة أماكن بماله وأضافها إليه ووسعه ، وصنع له تابوتا من آبنوس مطعما بالصفد مضببا بالفضة ، وجعل عليه سترا من الحرير المزركش بالمعيش ، ولما تمموا صناعته وضعه على فصوص من جريد وحمله أربعة رجال ، على جوانبه أربع عساكر من الفضة مطليات بالذهب ، ومشت أمامه طائفة الرفاعية بعليلهم وأعلامهم ، وبين أيديهم المعابر الفضة وبخور العود والعنبر وقماقم ماء الورد يرشون منها على الناس ، وساروا بهذه الهيئة حتى وصلوا المشهد ووضع ذلك الستر على المقام .

وكان الجلفي إنسانا خيرا لا بر ومعرّوف وصلقات وإحسان ، وكان حسن الاعتقاد مات سنة أربع وعشرين ومائة وألف انتهى .

وفي كتاب إسعاف الرافعين في أهل البيت الطاهرين ، للشيخ محمد الصبان : إن هذا المشهد الحسيني القاهري جدده الأمير الكبير عبد الرحمن كخدا سنة خمس وسبعين ومائة وألف ، وذكر قبل ذلك أن أصحاب السير والتواريخ اختلفوا في رأس الحسين في أي موضع دفن ، فقيل : إنه دفن بمسقلان ثم نقله الصالح طلائع وزير الفاطميين إلى مصر ، وبني عليه هذا المشهد وأتفق على نقله مالا جزيل . ومال قوم منهم الزبير بن بكار والغلاء الهملاني - إلى أنه حمل إلى أهله فكفن ودفن بالقيع عند قبر أمه وأخيه الحسن . وذهبت الإمامية إلى أنه أعيد إلى الجثة ودفن بكربلاء بعد أربعين يوما

(١١٧١ م) أنشأ مدارس للمذاهب الأربعة ؛ منها مدرسة بجوار هذا المشهد ، غلب عليها اسم المشهد ، وقر بها مدرسين وعهد بالإشراف عليها إلى الفقيه البهاى الدمشقى ، فكان يجلس للتدريس عند المحراب الذى خلف الضريح .

وهذا الوصف يجعلنى أعتبر أن المسجد الحالى حل محل تلك المدرسة لوجود الضريح خلف جدار المحراب .

وقد عاين المشهد والمدرسة فى مبدأ الدولة الأيوبية الرحالة ابن جبير أثناء رحلته من بلاد الأندلس قاصدا الحج سنة ٥٧٨ هـ (١١٨٢ م) ، ووصفه مشوقا بقوله : (ذكرناه آنفا) .

وفى سنة ٦٣٣ هـ (١٢٣٥ م) بدأ أبو القاسم بن يحيى ابن ناصر السكرى المعروف بالزوزور بإنشاء منارة على باب المشهد ، أمما ابنه سنة ٦٣٤ هـ (١٢٣٦ م) ، وهى المنارة الحافلة بالزخارف الجصية فوق الباب المعروف بالباب الأخضر . والباقي منها قاعدتها المربعة وعليها لوحتان تذكيرتان نصهما :

« ... الشيخ الصالح المرحوم أبو القاسم بن يحيى المعروف بالزوزور ابتغاء وجه الله ورجاء ثوابه وكان تمامها على يدى ولده محمد سنة ثلاثة وثلاثين وستة مائة غفا الله عنه » .
وعلى الأخرى :

« بسم الله الرحمن الرحيم الذى أوصى بإنشاء هذه المأذنة المباركة على باب مشهد السيد الحسين تقريبا إلى الله ورفعنا لشار الإسلام الحاج إلى بيت الله أبو القاسم بن يحيى بن ناصر السكرى المعروف بالزوزور تقبل الله منه . وكان المباشر بعمارته ولده لصلبه الأخضر الذى أنفق عليها من ماله بقية عمارته خارجا عما أوصى به والده الملكور . وكان فراغها فى شهر شوال سنة أربع وثلاثين وستمائة » .

ومعنى بالمشهد وزاد فيه العلامة معين الدين ابن شيخ الشيوخ ، وزير الصالح نجم الدين . فقد ألحق به إيوانا وبيوتا للفقهاء .

وفى سنة ٦٤٦ هـ (١٢٤٨ م) حصل حريق بالمشهد ، فلم يلبث أن أصح . ولذلك لما زاره الرحالة ابن بطوطة ، الذى زار مصر حوالى سنة ٧٢٧ هـ (١٣٢٧ م) وصفه بقوله :

الإمام الحسين أشرف مولى

أيمن المسلمين سره ووقاه

مأخذه أى الكتاب وجمامه

سنة الهياشمى طررز حلاه

وينبغى زيارة هذا المشهد العظيم ؛ فإن صاحبه باب تفريع الكروب ، وبه تزول الخطوب ، ومن الاستغاثات به ما أنشده سيدى محمد جليى محشى العزية - الشهير بابن الست - هذه الأبيات :

أيحوم حول من التجا لكمو أذى

أو يشكى ضيما وأنتم سادته

حاشا يرد من أتمى لجنايكم

يا آل أحمد أو تسر شوامته

لكم السيادة من ألت بسريكم

ولكم نطاق المزد دارت هلاته

هل لم باب للتبى سواكمو

من فيركم من ذا السورى ريعاته

تبنا لظرف لا يساغد مشهنا

يحموى الحسين وتسلمه سلامته

فبالززم رحابها ضم بيط محمد

ما أمه راج وحق حاجته

انتهى (المخطوطة تفرقة الجنبنة ٤ / ١٩٢ ، ١٩٣) .

وفيما يلى ما أورده العالم الأثرى حسن عبد الوهاب عن المشهد الحسينى :

قال رحمه الله :

كان نقل الرأس الشريف من عسقلان ووصله إلى القاهرة فى يوم ٨ جمادى الآخرة سنة ٥٤٨ هـ (١١٥٣ م) . ولما وصل إلى مصر حمل فى سرادب إلى قصر الزمرد . ثم دفن فى قبة المشهد الذى أنشأ خصيصا له سنة ٥٤٩ هـ (١١٥٤ م) .

ولما ولي ملك السلطان صلاح الدين سنة ٥٦٧ هـ

«ومن المزارات الشريفة المشهد المقدس العظيم الشأن حيث رأس الحسين بن علي عليهما السلام . وعليه رباط ضخم عجيب البناء على خشب أبياب حلق القضة وصفاتها وهو موثق الحق من الإجلال والتعظيم » .

وتابعه خالد البلوي الرحالة المغربي ، الذي زار مصر سنة ٧٣٧ هـ (١٣٣٧ م) ، فوصفه بوصف غلاب ، اقتبسه من وصف ابن جبير . .

وممن عني بالمشهد وأصلحه وزخرفه وإلى مصر من قبل الدولة العثمانية السيد محمد باشا الشريف ، الذي ولي مصر في سنة ١٠٠٤-١٠٠٦ هـ (١٥٩٥-١٥٩٧ م) .

كذلك عني به الأمير حسن كتحدا غزيان الجلفي المتوفى سنة ١١٢٤ هـ (١٧١٢ م) فآثفه وسع المشهد وزاد فيه ، وصنع له تابوتا من آبنوس مطعم بالصفد والفضة . وجعل عليه سترًا من حرير مزركش ، نقله إليه باحضار كبير .

وفي سنة ١١٥٦ هـ (١٧٤٣ م) طلب من الشيخ عبد الله الشبراوي أن ينظم أبياتا من الشعر لتكتب على باب الإمام الحسين ، وأخرى على المقصورة فأنشأ يرسم ما يكتب على الباب الأول من الخارج :

يا كرام الأنعام يا آك طه
ما على من يهيم فيكم سلام
بأبكم كعبة الهدي وحماسكم
منهل فيه لئلا تلام لزدحام
باب فقبل لهما سما أرغوه
من دنسا نحو بأبكم لا ينام
رضي الله عنكم آك طه

وصلاة منى لكم وسلام
وفي سنة ١١٧٥ هـ (١٧٦١ م) جلده الأمير عبد الرحمن كتحدا ، وأثبت تاريخ عمارته على عتب رخامي نصه :

«مسجد للحسين أصل المعالي
لا يباهيه في القبايح علاه
فيه فضل النرحمن للبد نأدى
زر وأرخ لك الهنأ والرضاء»

وفي سنة ١٢٠٤ هـ (١٧٨٩ م) قام بعمارات وزيادات فيه السيد علي أبو الأنوار ، وأثبت تاريخ عمارته بالباب البحري للقبه . وهو باب مكسو بالرخام المققوش وله مصراعان مكسوان بالتحاس . وبشوايخ الباب دوائر كتب فيها : لا إله إلا الله محمد رسول الله - الإمام علي - الإمام الحسين - الإمام الحسن - ويعلموه عتبان كتب علي أحدهما :

أنشأ على أبو الأنوار سيندا
بأب لبظ رسول الله نبي الرشيد
وحسن إشراف نصور الله أرغوه

باب حماء عظيم الجاء والمجد
حناية الأسرة العلوية بالمشهد : عزم على توسيع هذا المسجد عباس باشا الأول ، فاشتري الأملاك اللازمة لذلك وهدمها وشرع في البناء ثم توفي إلى رحمة الله تعالى .

وفي سنة ١٢٧٩ هـ (١٨٦٢ م) أمر المغفور له الخديو إسماعيل باشا بتجديده والزيادة فيه ، فوضعت المشروعات اللازمة وفتح شارع السكة الجديدة وروعي في التصميم الجديد ترك القبة على حالها فلم يتناولها التجديد . ونقل إليه منبرا جديلا كان في جامع أزيك من ططخ بالأزليكية . وكذلك أمر الخديو إسماعيل بشراء العمدة الرخامية من استامبول على حسابها الخاص .

وقد تم بناء المسجد سنة ١٢٩٠ هـ . ومات سنة ١٢٩٥ هـ (١٨٧٣-١٨٧٨ م) ، وأمر بعمل ستر مزركش له سنة ١٢٩٠-١٢٩٢ هـ . وقد انتقد تصميمه المرحوم علي باشا مبارك وله كل الحق .

وفي سنة ١٣٠٣ هـ (١٨٨٥ م) كسى المحراب بالقاشاني المغربي عبد الواحد التنازي وكتب عليه آيات من القرآن ما نصه : « اللهم كن برحمتك خير مجازي لمنشئه عبد الواحد التنازي سنة ١٣٠٣ هـ » .

وفي سنة ١٣١٦ هـ (١٨٩٨ م) أمر المغفور له الخديو عباس حلمي الثاني بإعادة نقوش القبة ، وفتح نوافذ جديدة بها مع المحافظة على كتاباتها وتصميمها التاريخية .

وقد أمر المغفور له الملك فؤاد الأول ، بعمل ستر جديد

له، أنجز عمله في عصر الملك (الصالح) فاروق الأول .
وقد بلغت نفقاته ٧٠٠٠ جنيه .

وفي عهد الملك فاروق الأول أصلحت أرضية القبة ،
وأخرج التابوت الخشبي النادر وتم إصلاحه :

ما تخلف من المشهد القديم - لم يبق من المشهد
الفاطمي سوى أحد أبوابه وهو المعروف بالباب الأخضر ،
وهو باب مبنى بالحجر على يساره دائرة مفرغة بزخارف ،
وتعلوه بقايا شرفة جميلة .

وقد تخلف من المنارة الأيوبية التي أنشأها فوق هذا الباب
أبو القاسم بن يحيى المعروف بالزوزور ، القسم الأسفل منها ،
وهو المربع المحاط بالزخارف الجصية النادرة ، وتاريخ
إنشائها . وهي منارة حلى وجه قاعدتها المربعة بمستطيلات ،
شذنت بالزخارف الجصية ليحفظ فيها التأثيرات الأندلسية .

أما القبة ، فالمرجح أن قسمها العلوى ، هو وشمس المنارة
من أثر عمارة المرحوم عبد الرحمن كتخدا سنة ١١٧٥ هـ
(١٧٦١ م) ، وأيضاً مصاريعها المكسوة بصفائح الفضة .

أما مريمها الأسفل ، فقد كسيت وجهه المطل على
المسجد بالرخام الدقيق المطعم بالصدف . وكذلك محيطها
الداخلى ، مؤزر بالرخام ، والأجزاء الدقيقة منه المطلعة
بالصدف ترجع إلى القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر
الميلادى) والأجزاء العلوية من دوائر وتواشيع ترجع إلى
العصر العثماني ، ولعلها عملت ضمن أعمال النقش
والتلقيب التي أجريت بها سنة ١١٨٧ هـ (١٧٧٣ م) .

تابوت المشهد الحسيني - وأهم ما بقى من المشهد
القديم ، التابوت الخشبي الذى كان محتجباً تحت
المقصورة ، وهو تابوت يزين بالذهب والفضة ، ظل هذا
التابوت محتجباً عن الأنظار نحو ثمانية قرون ، لم يسهل
برؤياه سوى المرحوم السيد محمود البيلالى ، شيخ المسجد
الحسيني فى كتابه « التاريخ الحسيني » سنة ١٣٢١ هـ
(١٩٠٣ م) وسماحة السيد محمد البيلالى ، لملأتهما
الوثيقة بالمشهد ، وكذلك عاينه السيد محمد عرفة وكيل
مشيخة المسجد ، ومعه المرحوم المعلم محمد سيور النجار ،
ولكن لم تكتمل به عين أحد من الآخرين (تاريخ المنابر
الأثرية / ٨٣ - ٨٧ ، ومساجد مصر / ١ / ٢٣) إلى أن كانت سنة

١٩٣٩ حيث أمر الملك فاروق الأول بإصلاح أرضية القبة
وفرشها بالرخام ، فانتهزت إدارة حفظ الآثار المصرية هذه
الفرصة للتحقق من وجود هذا التابوت ، ولما وجدته وعابته
تبين لها أنه تحفة رائعة جدية بالحفظ والصيانة ، فرفعت من
مكانه وأصلحته ثم نقلته إلى دار الآثار العربية ليعرض بها فى
٢٢ يناير ١٩٤٥ (مساجد مصر / ١ / ٣٤ ، وتاريخ المساجد الأثرية /
٨٨)

والحجرة التى وجد بها التابوت ، هى أسفل أرضية القبة
الحالية وتشغل جزءاً منها طوله ٢٦ ، ٥ ، مقسمة إلى قسمين :
القسم الخارجى ٣٨ ، ٢ ، ويهبط إليه من فتحتين بأرضية القبة
مقاس كل منهما ٦٠ ، ٤٥ × ٠ ، ٩ .

والقسم الداخلى به فتحة مشروعة فى الجدار الفاصل
بينهما مقاسها ٦٠ ، ٢ بها تركيبة حجرية لصق الجدار
الشرقى ، مغطاة بلوح رخامى ، أحيطت بها ثلاثة أجناب
التابوت الخشبي .

ومن فحص التابوت ، تبين أنه قاصر على الأجناب
الثلاثة ولا رابع لها مما يعزى أنه عمل لهذا الوضع ومقاسه
١ ، ٨٥ × ١ ، ٣٢ × ١ ، ٣٥ وهو مصنوع من خشب ساج
هندي مكون من جنب ورأسين ، وقسم إلى مستطيلات
رأسية وأفقية ، يحيط بها ويفصلها بعضها عن بعض إطارات
مكتوبة بالخط الكوفي المزهر والبسيط ، والنسخ الأيوبى .
وهذه المستطيلات تحتوى على حشوات نجمية ، ومسدة ،
محفور بها زخارف نباتية مورقة ، تنوعت أشكالها فى جميع
التابوت .

وقد أحيطت الحشوات المسدة بقوائم وأفاريز كتب فيها
بالخط الكوفي البسيط كلمات منها : « الملك لله » ، « وما
توفيقى إلا بالله » ، « وثقتى بالله » ، « نصر من الله وفتح قريب »
و « الملك لله » ، « المزة لله » ، « التوفيق لله » ، « وما بكم
من نعمة فمن الله » .

وقد روى فى اختيار الآيات القرآنية ما يناسب تابوت
جثمان طاهر من فرع الدوحة المحمدية ، فيقرأ ما هو
مكتوب على الوجه بالسطر العلوى بالخط الكوفي البسيط :
« بسم الله الرحمن الرحيم رحمة الله وبركاته عليكم أهل

والأرض واختلاف الليل والنهار لكيات لأولى الألياب ﴿ إلى قوله تعالى : ﴿ رينا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقتا عذاب النار ﴾ [آل عمران : ١٩٠ ، ١٩١] .

ومكتوب بالخط النسخ بالقوائم الهيطة به قوله تعالى : ﴿ كتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ﴾ [آل عمران : ١١٠ - ١٣٤] .

ومما هو مكتوب بالجنب الأسر للتأبوت بالخط الكوفي الصغير البسيط : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ واللذين يقولون رينا هب لنا من أزواجنا وفرياتنا ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ مستقرا ومقاما ﴾ [الفرقان : ٧٤ - ٧٦] .

ومكتوب بالخط الكوفي الكبير قوله تعالى : ﴿ لهم ما يشاؤون عند ربهم ﴾ ذلك هو الفضل الكبير ﴿ ذلك الذي يشتر عباد الله الذين آمنوا ﴾ [الشورى : ٢٢ ، ٢٣] .

ومكتوب بالسطر أعلاه وأسفله وبالسطر أسفل الحشوات المسددة والنجمية وبالخط النسخ الأيوبي :

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ فإن الله غني عن العالمين ﴾ [آل عمران : ٦٨ - ٩٧] .

ومكتوب بالخط الكوفي المزهر حول المستطيلين : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ يا أيها الناس اتقوا الله ﴾ إلى أرحمى إلى ربك راضية مرضية ﴿ [الفجر : ٢٧ ، ٢٨] إلى قوله تعالى : ﴿ أولئك هم خير البرية ﴾ جزأهم ﴿ [البينة : ٨ ، ٧] .

وإن أربع وصف لهذا التأبوت لا يفقه حقه ، فقد تزوت أشكال الحشوات وزخارفها تدور على عبقريه الصانع ، كما تزوت أشكال الخط الكوفي .

ومن وصف أبي جبير الرحالة ، فهم أن التأبوت كان تحت الأرض منذ إنشاء المشهد .

وقد فحصت هذا التأبوت ، وقرأت جميع كتاباته فإذا هي آيات من القرآن الكريم لا أثر معها لتصوص تاريخية . ولكن دقة الزخارف وطرازها وقاعدة كتابة الخطين الكوفيين

البيت إنه حميد مجيد . إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا .

ومكتوب بالسطر السفلى بالقوائم المحيطة بالمستطيلات المكتوبة والمنقوشة :

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴿ [البقرة : ٢٥٥] بالخط النسخ الأيوبي ، وقوله تعالى : ﴿ الله نور السموات والأرض ﴾ [النور : ٣٥] .

ومكتوب بالخط الكوفي حول المصراع المربع الأوسط : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض تنبؤا من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين ﴿ [الزمر : ٧٤] .

والقسم الأسفل من هذا الجنب مقسم إلى ثلثات مستطيلات ، مكتوب حولها بالخطين الكوفيين والنسخ الأيوبي . فمما هو مكتوب بالخط الكوفي المزهر ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبهمون ﴿ إلى قوله تعالى : ﴿ هذا بصائر من ربكم وهدي ورحمة ﴾ [الأعراف : ٢٠١ - ٢٠٣] .

ومما هو مكتوب على الجنب الأيمن للتأبوت بالخط الكوفي الصغير البسيط بالسطر العلوي . بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك ﴾ [البينة : ٨ ، ٧] .

ومكتوب بالخط الكوفي الكبير المزهر : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت ﴾ [هود : ٧٣] ومكتوب بالسطر أعلاه وأسفله وبالسطر أسفل الحشوات المسددة والنجمية بالخط النسخ الأيوبي :

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا ﴾ وسبحوه بكرة وأصيلا ﴿ إلى قوله تعالى : ﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ﴾ ونهايا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ﴿ [الأحزاب : ٤١ - ٤٦] .

ومكتوب بالخط الكوفي الكبير المزهر حول المستطيلين بالجزء الأسفل منه قوله تعالى : ﴿ إن في خلق السموات

انظر مادة الآثار النبوية في المسجد الحسيني بالقاهرة م ١ / ١٢٧ -
١٢٩ من هذه الموسوعة .

ولما زار ابن بطوطة هذا الرباط وصف هذه الآثار . وزاد عليها مصنف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب .

وقد بقيت هذه الآثار في هذا الرباط حتى أتم السلطان الغوري بناء قبته بالغورية سنة ٩١٠ هـ (١٥٠٤ م) ، فاستصدر قوى ينقل الآثار التي كانت بالرباط ، ونقل المصنف الشمني إلى مدرسته ، ونقل إليها أيضا الرصة العظيمة المكتوبة بالذهب وهي التي كانت بخانقاه بكثر .

وزاد ابن رياس آخر ، فقد ذكر في حوادث سنة ٩٢٦ هـ (١٥١٩ م) ، حينما توقف النيل عن الارتفاع ، أنه أحضر من الآثار الشريفة القميص من القبة الغورية ، ووضع في فسقية المقياس وغسلوه في الماء الذي بها ، وتضرعوا إلى الله تعالى بطلب الزيادة .

ثم روى نقلها من قبة الغوري ، فنقلت منها سنة ١٢٧٥ هـ (١٨٥٨ م) إلى المسجد الزينبي ، ثم إلى القلعة . وقد أمر الخديو توفيق باشا بنقلها إلى المشهد الحسيني ، فأحضرها من ديوان الأوقاف عام ١٣٠٥ هـ (١٨٨٧ م) إلى قصر عابدين وأمر أن تحفظ في شق من الدباج الأخضر ، مطرقة بسلك من فضة ملهبة . ثم احتفل بنقلها من القصر إلى المسجد ، يوم الخميس ٢٥ جمادى الثانية سنة ١٣٠٥ هـ (١٨٨٨ م) احتضالا فخما سار فيه العلماء والوزراء إلى أن وصلوا بها إلى المسجد .

وفي سنة ١٣١١ هـ (١٨٩٣ م) تم بناء الحجرية التي أنشئت خصيصا لها فأودعت بها . وضم إليها شعرتان من الملحمة النبوية الشريفة ، وأعرضني السيد محمد عرفة أنه ضمت إليها شعرة مهلهلة من السيدة خديجة هاتم كريمة المغفور له أحمد طلمت باشا الكبير .

ويمانسية الشعرات الشريفة ، أقول : إنه كان يوجد بمصر وضيها ، شعرات نسبت إلى النبي ﷺ . استقصاها المرحوم أحمد تيمور باشا في بحثه الشيق عن الآثار النبوية الذي نشر منه فصولا ممتعة في مجلة الهادي الإسلامية سنة ١٣٤٨ هـ .

انظر مادة الآثار النبوية في م ١ / ١٢١ - ١٢٧ من هذه الموسوعة .
أما المصنف المنسوب إلى سيدنا علي فلهذه أحد التين :

والشمخي ، واجتماع أحدهما بالآخر يضمعانه ضمن مصنوعات الدولة الأيوبية .

وكذلك مقارنته بشيخه تابوت الإمام الشافعي تدل على أنه معاصر له ، بل تجعلني أرجح أنهما صنعا في عصر واحد ويبد صانع واحد . وتاريخ عمل تابوت الشافعي سنة ٥٧٤ هـ (١١٧٨ م) ، أي في دولة ملك مصر صلاح الدين الأيوبي .

وبما أنه ثبت أن لصلاح الدين صلة وعناية بالمشهد الحسيني ، إذ أنشأ مدرسة بجواره ، فترجح أنه أمر بصنع هذا التابوت ، كما أمر بصنع تابوت الإمام الشافعي ولم يكتب اسمه على كليهما .

وإذا ثبت ذلك نكون قد اهتمنا إلى اسم صانعه أيضا ، وهو التجار البارح الذي صنع تابوت الشافعي ، واسمه حيد التجار المعروف بابن معالي .

المخلفات النبوية - هذه المخلفات مودعة في حجرية أنشئت خصيصا لها عام ١٣١١ هـ (١٨٩٣ م) ، مجاورة للقبة من الجهة الغربية ، ويتوصل لها من بابين أحدهما في جدارها النوري والآخر في جدارها البحري ، وقد كتب على جدرانها ما نصه : ...

تشمل هذه الخزانة من الآثار النبوية الشريفة على قطعة من قميصه الشريف ، ومكحلة وسرودين ، وقطعة من القميص الشريف (العصا الشريفة) وشمرتين من اللحية الشريفة ، وبها أيضا مصحفان كريمان بالخط الكوفي : أحدهما بخط سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه ، والآخر بخط سيدنا الإمام علي كرم الله وجهه ... أمر بإنشاء هذا المكان المبارك من فضل الله تعالى مولانا الخديوي المعظم عباس حلمي الثاني أدام الله أيامه وكان انتهاءه في أواخر شهر ربيع الأول سنة ١٣١١ هجرية .

وللآثار النبوية بمصر أخبار تتسلسل في التاريخ ، وتتفكر بالباحث من زمن إلى زمن ، ومن مكان إلى مكان ، حتى تصل به إلى هذا المكان . وأول ما عرف عنها أنها كانت عند بني إسماعيل ببيت ، ثم اشتراها الوزير صاحب تاج الدين محمد بن حنا (بكسر الحاء) ونقلها إلى مصر وبني لها رباطا على نيل مصر وهو باق إلى الآن ، ومعروف برباط الآثار جهة أثر النبي . وكانت مكونة من قطعة من الحريرة الصغيرة ومروود وملقط .

بتهجيد الذي كان موجوداً في جامع عمرو بن العاص حتى سنة ٥١٦ هـ (١١٢٢ م) وعني به الأمر بأحكام الله ، أو التي كان في رباط الأكرار . ولم تثبت نسبته إليه لأسباب فنية وتاريخية . وكذلك المصحف الثاني المنسوب إلى سيدنا عثمان ، قد عرفنا مصدره فقد كان بالمدرسة التي أنشأها القاضي الفاضل سنة ٥٨٠ هـ (١١٨٤٤ م) ، يدرب ملوخيا (حارة قصر الشوك) بالقرب من المشهد الحسيني ، وفي إلى أن استحوذ عليه السلطان الملك الأشرف قانصوه الغوري .

وهو مصحف كبير تجاوزت أوراقه الألف . ومكتوب على رق بالخط الكوفي البسيط الخالي من الإصمام والشكل . ولكل صفحة منه اثنا عشر سطرا . وقد حليت ربوع السور بأقرين زعفراني ، يتكون من دوائر محاطة بنقوش . ومنها ما هو على شكل سلسلة . وهي زخارف بسيطة تدل على بداهتها . ويلاحظ أن آخره ، ابتداء من قوله تعالى : ﴿ وإبراهيم حمالة الحطب ﴾ [الممد : ٤] مكتوب بخط كوفي أحدث من خطه .

ومن قاعدة خطه ، وبسطة زعارفه ، أرجح أنه مكتوب في نهاية القرن الثاني الهجري أو أول القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) . وأوله مهلهل وعلى حافاته أحمر زرعون أنه دم عثمان ، وهو زعم غير صحيح .

ولهذا المصحف صندوق من الخشب المغلف بجلد ، مخرم بأشكال هندسية منكرة بالذهب . وله مقصلات ملحية عليها اسم السلطان الغوري بما نصه : « برسم المصحف الشريف العثماني السلطان - الملك الأشرف قانصوه الغوري »

وعلى أحد وجهيه ما نصه : « جلد هذا المصحف الشريف المعظم الذي من إذا حلف به صادقاً نجا وكان له من كل ضيق مخرجا . ومن حلف به فاجراً كف وهان وأصبح في ذل ومقت وعجلان بخط من رتب سوروه وآياته وأجزائه ومن ختمه في كل ركعة من صلاته وبه اقتدى من سواه نبينا بالآمين ذي السورين زوج بنتيه ووليعه في اللارين من استجبت منه ملائكة الرحمن أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، أمر وتشرف

بتهجيد الملك الأشرف قانصوه الغوري كان الله له وتهجيد على يديه بعد ثمان مائة وأربع وسبعين عاما مضت تقبل الله ذلك منة عليه ببركته وحفظه ونصره وثبت قواعده ومحمد وآله .

ويلاحظ في هذه الكتابة أن جملة (السلطان الملك الأشرف قانصوه الغوري كان ...) مكتوبة بخط مغاير لبقية الكتاب . مما يؤكد أن القادم بعمل هذا الصندوق وغيره ولعله السلطان قسايناي وأن السلطان الغوري أصلحه وعمل المقصلات ثم غير في الكتابة وكتب اسمه عليه .

أما الزعم بأنه مصحف عثمان فهو زعم مقروض لأسباب كثيرة . أهمها قاعدة الخط والزخرف فأنها لا تنفق والقرن الأول وأيضا فإن نسبة مصحف عثمان لأكثر كثيرا من المصاحف الموجودة في قرطبة وفي بلاد المغرب . وفي الشام والحجاز تراجع أخبارها في المراجع السلبية بها هذه الصفحة ، ولم يثبت أن عثمان رضي الله عنه كتب بخطه مصحفا . ولذلك نستطيع الجزم مطمئنين بأن هذا المصحف غير مصحف عثمان رضي الله عنه .

(المراجع العلمية بها هذه الصفحة هي بقية الملتصق في تاريخ رجال الأندلس / ٣٤ ، وتاريخ الدولتين المسيحية والخصية / ٢٣ ، وزبدة كشف الممالك / ٤٥ ، وفتح الطب / ٣٥٦ ، والرحلة الحجازية / ٢٤٨ ، ورسائل الأبحار / ١٩٥ ، والمقرئ / ٢٥٥)

(تاريخ المساجد الأثرية / ٨٣-٩٣) .

ويشتمل المسجد على خمسة صفوف من العقود المحمولة على أعمدة رخامية ، ومحراجه من الخردة الدقيقة التي اتخذت قطعها الصغيرة من القاشاني الملون بدلا من الرخام ، وهو مصنوع سنة ١٣٠٣ هـ (١٨٨٦ م) ويجانبه منبر من الخشب يجاوره بابان يؤديان إلى القبة ، وثالث يؤدي إلى حجرة المخلفات التي بنيت سنة ١٣١١ هـ (١٨٩٣ م) حيث أودعت فيها المخلفات النبوية .

والمسجد مبني بالحجر الأحمر على الطراز النوطي ، أما منارته التي تقع في الركن الغربي القبلي فقد بنيت على نمط المآذن العثمانية فهي اسطوانية الشكل ولها دروتان وتنتهي بمخروط . وللمشهد ثلاثة أبواب بالوجهة الغربية ، وباب بالوجهة القبليّة وآخر بالوجهة البحرية يؤدي إلى صحن به مكان الوضوء .

(مساجد مصر ١/ ٣٣) .

قبة المشهد :

المشهد ويعني مبنى قد دُفن به شهيد ويشمل كل العناصر المعمارية من جدران ومنطقة انتقال وطاقيّة وكل هذه العناصر يطلق عليها اسم القبة أو الضريح .

وتتميز قبة وضريح الإمام الحسين (رضى الله عنه) عن معظم القباب المقامة في المآثر الإسلامية وذلك من حيث اختلاف أبعاد واتجاهات الحوائط الحاملة للقبة ، الأهر الذي جعلها ليست مربعة تماما ولكنها أقرب إلى الاستطالة - تبلغ أبعادها ٨٥ ، ١٠ × ١١ ، ٦٠ مترا ، أما ساطية القبة فهي أقرب إلى الشكل البيضاوي .

وتختلف سمك حوائط الضريح عن بعضها فيما تبلغ في بعضها ثمانين مستمترا يبلغ سمك البعض الآخر مترين ، وترتفع القبة عن سطح الأرض بحوالي إحدى وعشرين مترا ويبلغ قطرها اثني عشر مترا تقريبا .

وقد بنيت جميع حوائط الضريح بالأحجار الجيرية (من محاجر المقطم) بالتبادل مع الطوب الأحمر ومن المرجح أنها ترجع للعصر العثماني وقد مثلت داخل الجدران بحشو من الدبش ومونة القصرمل .

وقد كسيت جدران القبة حتى ارتفاع طاقيّة المحراب بأشرطة من الرخام والفسيقيساء الرخامية التي تشكل زخارف هندسية وترتوسط حائط القبلة المحراب ويكتنفه عامودان من الرخام الأحمر (السحائي) ويحتوي باطن المحراب على زخارف هندسية وأشرطة من الرخام ويوجد بجدران القبة خمسة أبواب بابان بالحائط الشمالي الشرقي يؤديان إلى حجرة الحرم وباب بالحائط الجنوبي الغربي يؤدي إلى حجرة المخلفات النبوية الشريفة ، وبابان بالضلّع الشمالي الغربي يؤديان إلى المسجد . وفي أعلى الجدران شباكان يطلان على المسجد ويتقدم حائط القبلة عقد نصف دائري يتركز على كتفين على جانبي الحائط .

أما جدران القبة العلوية من البياض فهي مزخرفة برسوم نباتية متنوعة الألوان قوامها فروع وأوراق وزهور وتخللها أشرطة كتابية من آيات قرآنية وآيات من الشعر .

وقد أكد عالم الآثار الإسلامية الأستاذ كريزويل أثرية المشهد الحسيني بأكمله بعد أن قام بالكشف على المشهد من الناحية المعمارية مؤكدا ما جاء في تاريخ الجبرتي والخطط التوفيقية لعلى باشا مبارك وهي جميعها مضمون قرار التسجيل الصادر عن لجنة حفظ الآثار العربية في قرارها رقم ٤٤ بالكراسة رقم ٥ لعام ١٨٨٧ - ١٨٨٨ م حيث ضمن عداد الآثار الإسلامية منذ ذلك الوقت وكانت اللجنة مشكلة برئاسة محمد حمدي باشا مدير عموم الأوقاف وعضوية : مصطفى باشا فهمي ناظر الحرية ومحمد باشا شاكركيل الدائرة السنية وتيجران باشا وكيل نظارة الخارجية وإسماعيل باشا الفلكي رئيس مدرسة المهندسخانة ومسوي إيدجارفينسينت مستشار المالية ومسوي كويلي سكوت مونجريرف وكيل نظارة الأشغال العمومية وآخرين .

وقد أحصلت مقومات الزمن والتلوث آثارها السلبية في قبة المشهد - حيث لم تتناول أعمال الترميم منذ عهد الخديوي عباس حلمي الثاني ١٣١٦ هـ (١٨٩٨ م) - فأسندت وزارة الأوقاف عملية ترميم المشهد الحسيني لإحدى شركات المقاولات تحت إشراف هيئة الآثار .

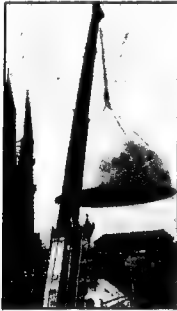
وقد أجرى الترميم المعماري والدقيق للقبة والمئذنة والباب الأخضر في عام ١٩٨٥ (الناصرة الإسلامية / ٩٠ ، ١١ ، ١٤) .

وقد نشرت صحيفة الأهرام في عددها الصادر في الأربعاء ٢٨ ربيع الأول ١٤٠٦ هـ / ١٢ ديسمبر ١٩٨٥ ص ١٢ خبرا تحت عنوان « قبة الحسين عادت من جديد » ، ومما جاء فيه ما يلي :

ارتفعت أمس قبة الحسين فوق موقعها الأصلي أعلى المشهد الحسيني ... وذلك في احتفال شعبي ورمسي مهيب وقد قام برفع القبة التي تزن ٢٨ (ثمانية وعشرين) طنا أحد الأوناش العملاقة ، ثم بدأ بحراة هيئة الآثار المصرية في عملية تركيب القبة التي استغرقت ٣٠ (ثلاثين) دقيقة ... وعقب الانتهاء من تركيب القبة أعلن بدء عملية الترميم الدقيق التي تشمل تركيب القبة الأثرية المصنوعة من الخشب بداخل القبة المعدنية ، وحمل التكميمات الرخامية للمشهد ،

المقصورة سبعة وعشرون شمعدانا من الذهب مكللة بالياقوت، كل واحد كقامة الإنسان طولا ، وله خزانة اجتمع فيها ستة إحدى وستين ومائتين وألف اثنان وثلاثون مليوناً من الطمان ، والطمان يساوى نصف جنيه إنجليزى ، وله جامع يقدر جامع ابن طولون الذى بمصر ، فيه جم غفير من طلبة العلم ، ولهم مرتبات كافية ويأكلون من المطبخ الحسينى اهـ (الخط التوفيقي ١٨٩ / ٤) .

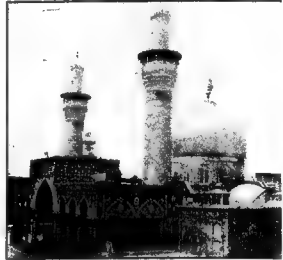
وقد أسعدنا الحظ بزيارة هذا المشهد الجليل يوم الخميس ١٥ نوفمبر ١٩٨٤ ، فى رحلة إلى كل من النجف وكربلاء نظمها اتحاد المرأة العراقية . وفيما يلى وصف للمشهد ويسمونه الروضة الحسينية أو الحضرة الحسينية . تقع الروضة الحسينية فى المنطقة المعروفة بالحبار فى



القبّة المدنية أثناء تركيبها

مدينة كربلاء وتضم بالإضافة إلى رفات الحسين رضى الله عنه رفات سبعة عشر من شهداء واقعة كربلاء المشهورة . والمعروف أنه تم تأسيس عمارة على قبور الشهداء عام ٦٥ هـ (٦٨٤ م) ويظهر أن عدة تجديدات ، وإصلاحات وترميمات قد أجريت على العمارة فى عهود متلاحقة ، أما العمارة

الحسينى وتركيب الشرائط الكتابية للآيات القرآنية تمهيدا لافتتاح « المشهد » رسميا فى ٧ يناير القادم (١٩٨٦) مع بلده الليلة الكبيرة لمولد شهيد كربلاء وخفيد رسول الله ﷺ اهـ .



لوح ٨٣ : قبّة الروضة الحسينية

(الخط التوفيقي المجلد لعلى بلخا مبارك ٤ / ١٨٣ - ١٩٣ ، ورحلة ابن جبير طه عبد الحميد أحمد مصطفى / ٣٧ ، وتاريخ المساجد الأثرية - حسن عبد الوهاب / ٨٣ - ٩٣ ، ومساجد مصر . وزارة الأوقاف ١ / ٣٣ ، والقاهرة الإسلامية . المشهد الحسينى . وزارة الثقافة . هيئة الآثار المصرية - ١٩٨٥ ، ١٠ ، ١١ ، ١٤ ، والأهرام ، الأهرام ٢٨ ربيع الأول، ١٤٠٦ هـ - ١٢ ديسمبر ١٩٨٥ م / ١٢) .

انظر : الآثار النبوية - الآثار النبوية فى المسجد الحسينى ، بالقاهرة ، الحسينى (المشهد - بكريلاه) .

• الحسينى (المشهد - بكريلاه) ،

قال عنه زكى مبارك دون أن يشاهده :

ولالإمام الحسين رضى الله عنه بملحنه كربلاء مقام ، جليل ، ومشهد جميل . أخبر بعض من رآه من الأحاجم أن قبته مكسوة بصفائح الذهب ، ومقصورة من الذهب المكلل بالألماس ، وعليها سلسلة من الذهب معلقة بالقبّة ، بطرفها قطعة بالقوت مدلاة على التابوت كيضه الناصرة ، وحول



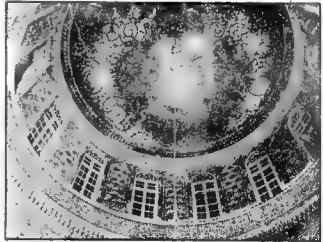
لوح ٨٦: صندوق الحضرة الحسينية

التعليقات الزخرفية المعمولة من ذهب ورمال وقراميد مزججة ومينا ، وتحمل أبنية الحضرة قلب العمارة وشكلها مستطيل وأبعادها ٤٠ × ٥٥ مترا يتوسط قبر الحسين غرفة القلب في هذه البناية وتقوم فوق هذه الغرفة قبة مرتفعة ترتفع على أربع دعامات ضخمة مستطيلة (٥٠ × ٣,٥٠ × ٢,٥٠ مترا) وترتفع قمة القبة بحدود ٢٧ مترا عن مستوى سطح الأرض . والقبّة بصلابة الشكل ذات رقبّة طويلة تتخللها نوافذ ذوات عقود مدببة ، وقد طليت القبّة والرقبة بالذهب عدا نطاق يتوج الرقبّة مشغول بكتابات جميلة من آيات قرآنية خطت بحروفها بلون أبيض على أرضية زرقاء داكنة (لوح ٨٣) ومن الداخل توصل الدعامات عقود مدببة حيث تشكل أربعة أبواب توصل بين غرفة القبر ، وما يحيط بها من أروقة وتشغل الدعامات من الداخل حنايا جدارية تطل على القبر من الأركان ، وهناك حنايا مرحلة الانتقال من الشكل العريض إلى الوضع المثلث لتهيئة قاعدة مناسبة للقبّة شغلت هذه الحنايا جميعا بمقرنصات عقدية بارزة دقيقة في تكوينها وجميلة في مظهرها حيث كست كوشات العقود وبطونها ، بمرابي غاية في الجودة والإتقان تمت نقوش التحلية فتشغل ما بين النوافذ ولكنها هنا مطرقة بنطاقين من كتابات من آيات قرآنية على نبط النطاق الخارجي ،

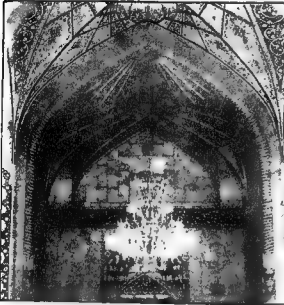
الحالية فهي ما أمر به السلطان أويس الجلائري عام ٧٦٧ هـ (١٣٦٥ م) وقد استغرق البناء حوالي ١١ عاما حيث أكملت عام ٧٨٦ هـ (١٣٨٤ م) واهتم الصفيون بمشهد الحسين ابن علي رضي الله عنه وبنوا الأموال الطائلة لتزيينه وطلاء قبة ومثلثته وأبوابه بالذهب والفضة والمرابي والمينا . وكان ذلك عام ٩٣٢ هـ (١٥٢٥ م) كما تم توسيع المصحن وبناء برج ساعة . ومساهم العثمانيون في تجليده وإضافة مبانٍ ومرافق جديدة إليه فقد أمر سليمان القانوني عام ٩٤١ هـ (١٥٣٤ م) بتجديد القبة والمئذنتين .

وتشغل أبنية الروضة الحسينية مساحة أرض مستطيلة طول ضلعها من الشمال إلى الجنوب ١٢٥ مترا ومن الشرق إلى الغرب ٩٥ مترا من الخارج . وتتكون من أبنية الحضرة الضريح ومصحن واسع نسبيا يحيط بهذه الأبنية من جميع الجهات ، وبناء يسور المصحن ويفصل الروضة عما يجاورها من أسواق ودور سكن . وتخطيط أبنية هذه العمارة يشكل النموذج أو المثال لعدد من عمارات من ذات نوع هذه العمارة ويعتبر صيغة متقدمة في هذا المجال إذا ما قورنت مع تخطيط الحضرة القادرية وجامع أبي حنيفة وإذا ما اعتبر هذا التخطيط أصيلا أي يعود إلى عهد السلطان أويس الجلائري فإنه أكمل تخطيط يمثل طرازاً ساد في تخطيط عدد من أبنية العتبات المقدسة اللاحقة .

وبناء الروضة متين مشيد بطابوق وحصن ومكسو بأروج



لوح ٨٥: قبة الروضة الحسينية من الداخل



فرح ٨٨: إيوان مدخل الحجرة الخفية الرئيس.

تغطي المقرنصات العقودية التي تشغل حنية عقده بالذهب وكذلك جوانبه (لوح ٨٨) .

وتحيط بهذا الإيوان وعلى مسافة معينة من فتحته الخارجية المثلثتان الاسطوانيتان الجميلتان اللتان تندمج قاعدتهما في الجدار الجنوبي من هذا البناء وتبرزان من سطح البناء حيث تظهران بشكل متناظر على جانبي القسم الأوسط المرتفع من سقف الطارمة ومقدمتان يتناظر أيضا على قبة الضريح . ويغلف كل من المثلثتين ألواح ذهبية تمتد إلى المقرنصات التي يستند عليها الحوض والرقبة ورأسها . وتتميز هاتان المثلثتان بوجود سقف للحوض ، فهي تستند من الخارج على عدد من أعمدة رشيقة ترتكز على حافة الحوض ، وتنتهى كل من المثلثتين برأس مضلع يعلى الشكل تتناسب وشكل القبة الرئيسة (لوح ٨٣) . زينت الجدران الخارجية لهذه الأبنية بتشكيلات زخرفية غاية في الدقة والإتقان ، وتتألف من أشكال نباتية وهندسية وزهرية وكتابات من آيات قرآنية . وأروع ما فيها ذلك النطاق الذى يتوج الجدران من الخارج ، وتشغله كتابات نقشت حروفها بلون أبيض على أرضية زرقاء داكنة وتناظر رقة الألوان وتدرجاتها وإنسجامها وروعة التنسيق

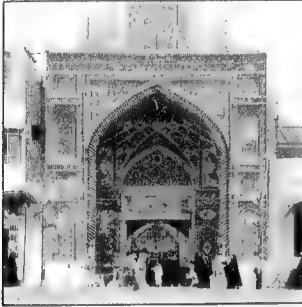
يقع النطاق الأول ، عند قاعدة الرقبة تحت خط النوافذ مباشرة ، ويتوج الشاني الرقبة . وأروع ما فى غرفة القبر هو التشكيلات الزخرفية الجلزونية التي تشغل القبة من الداخل ومغطاة بالمرايا (لوح ٨٥) .

ومما يزيد فى جمال غرفة القبر من الداخل الصندوق الفضى الذى يغلف القبر، ويعتبر من أجمل ما أنتجه أيدى صناع هذا النوع من الصناديق . وهذا الصندوق مشهور برمانات ذهبية ترتفع فى أركانه الأربعة ، ويبلغ قطر كل منها ٥٠ سم (٨٦) والمعروف أن هذا الصندوق يلف صندوقين أحدهما معمول من خشب مطعم بمجاص وثانيهما مصنوع من الفولاذ .

يحيط غرفة القبر ومن ثلاث جهات رواق عريض نسبيا مصمم بطريقة بحيث يكون القسم الشمالى منه بهيئة مسجد تقام فيه الصلوات ، حيث يتقدمه قبر الشهيد الحسين . وتبلغ مساحة المسجد هذا ٢٥ × ١٠ أمتار . ويتصل عند منتصف جداره الشمالى بالرواق الآخر أو الرواق الثانى . ويتناظر الرواق الشرقى مع الرواق الغربى تقريبا ، ويتصل كل منهما بالرواق الثانى بباب ذى عقد منبسط وسقف هذه الأروقة مقببة ومحلاة بعقود وحنايا مشغولة بمقرنصات عقودية بمرايا يحيط الرواق الثانى الذى يبلغ عرضه أربعة أمتار، كما سبق ذكره ، من أبنية من الجهات الأربع وهو أصبغ من الرواق الداخلى . والدخول إلى هذا الرواق يكون من الصحن يباين من الجهة الشرقية ، ومثلهما من الجهة الغربية وباب رئيسى من الجهة الجنوبية . وجدران الرواق هذا سميكة جدا من الخارج يتخللها عدد من الفسوف والأرواق ينفتح قسم منها إلى الداخل ، ويطل القسم الأكبر على الصحن من الجهات الشرقية والغربية والشمالية . أما الجهة الجنوبية فتضخ غرفها من الخارج على الطارمة الواسعة التي تتقدم هذا القسم من الحفصرة . ومن الجهة الجنوبية يرتفع سقف هذه الطارمة بمستوى أعلى من بقية أجزاء هذا البناء هذا القبة والمثلثتين ، ويستند على أعمدة خشبية ضخمة جدا ذات تيجان جميلة وهذه الطارمة مستطيلة عمقها ٦ أمتار وعرضها ٢٠ مترا ، يتوسط هذه الطارمة إيوان مرتفع يؤدى إلى الرواق الثانى ومنه إلى القبر مباشرة ، ويعرف هذا الإيوان بإيوان الذهب حيث

ويقع المسجد في الجدار الشرقي، وكانت له مثلثة تعرف بمثلثة العبد، هدمت عام ١٩٣٥. والمعروف أن أمين الدين مرجان قد أمر ببنائها عام ٧٦٧ هـ / ١٣٦٥ م.

تتميز عمارة الروضة الحسينية بسماط ومظاهر قلما نجدها مجتمعة في عمارات المشاهد والترب السابقة. فهي نقلة نوعية في تخطيطها حيث جعل المرقد والمسجد وما يحيط بهما من أروقة في قلب المساحة أو المكان الذي تشغله



لوح ٩٠: باب القبلة في الروضة الحسينية

العمارة. وكما سنرى أن هذه الصيغة مقلدة في المشاهد اللاحقة، وهي في الأساس خروج على صيغ الطراز الحبري في التخطيط. وكان هذا الطراز هو السائد في معظم الأبنية الدينية والمدنية قبل سقوط بغداد عام ١٢٥٨ م.

والحقيقة أن الطراز الجديد في تخطيط المشاهد يرجع إلى القرن الرابع عشر الميلادي، وقد تبلورت معالمه في العهد الإيلخاني والجلاتري في العراق، وصاحب هذا التطور في التخطيط تطور واضح في العناصر المعمارية، وأبرز هذه العناصر زوج من المآذن ترتفع على جانبي إيوان ضخم يقع في نهاية المدخل الرئيسي إلى المرقد. وهذه السمة غير موجودة في العمارات السابقة خصوصاً المساجد والمشاهد، وهي ترجع أيضاً إلى الفترة الإيلخانية والجلاترية وتتسم مآذن

بين هذه التشكيلات المتنوعة. وصحن الروضة الحسينية واسع تفصله عن الشوارع التي تحيط بالعمارة مجموعة من الأبنية تضم تكايا ومساجد وغرفاً عديدة لبرواد الحسين، وتخترق هذه الأبنية عدد من المداخل أشهرها المدخل المعروف بباب القبلة الذي يتوسط أبنية هذه الجهة، ويقع على المخطط المحوري لباب إيوان الذهب، ومدخل باب القبلة هذا إيوان ضخم مرتفع زينت واجهته بقراميد قاشانية رائعة (لوح ٩٠) وهناك عشرة مداخل أخرى تتوزع في جدران هذه المرافق من الجهات الأخرى أشهرها باب قاضي الحاجات الذي يقع في الجدار الشرقي وتفتح على الصحن سلسلة من غرف صغيرة عددها ٦٥ يتصدر كل منها إيوان، ومعظم هذه الغرف استخدمت كمكافئ ويستخدم قسم منها لطلبة العلوم الدينية وبرواد الحسين. وعقود أولوين هذه الغرف مدنية وقد زينت وجوه الجدران المطلية على الصحن وجوانب الأولوين ومقرؤها، بأجمل القراميد القاشانية التي لا تقل من حيث التقنية والجمال عن تلك التي تزين جدران البناية الرئيسية من الخارج (لوح ٩١) ومن بين أبنية هذه المرافق مدرسة تشغل القسم الشمالي من هذه الأبنية



لوح ٩١: تآليل يغطي اللوح في محراب صحن الروضة الحسينية.

ويتوسطها إيوان ضخم تبلغ أبعاده من الداخل ١٠ × ٧ أمتار

بيننا تفصيلاً لهذه الطائفة نقله لك فيما يلي ، عملاً بعبء كشف الضلال والمضلين :

التعريف :

الحشاشون : طائفة إسماعيلية فاطمية نزارية مشرقية ، انشقت عن الفاطميين لتدعو إلى إمامة نزار بن المستنصر بالله ومن جاء من نسله ، أسسها الحسن بن الصباح الذي اتخذ من قلعة « آلموت » مركزاً لنشر دعوته وترسيخ أركان دولته . وقد تميزت هذه الطائفة باحتراف القتل والاغتيال لأهداف سياسية ودينية متعصبة وكلمة الحشاشين (ASSASSIN) دخلت بأشكال مختلفة في الاستخدام الأوروبي بمعنى القتل خلسة أو غدرًا أو بمعنى القاتل المحترف الماجور .

التأسيس وأبرز الشخصيات :

١- الحسن بن الصباح :

- ولد بالري عام ٤٣٠ هـ ونشأ نشأة شيعية ثم اتخذ الطريقة الإسماعيلية الفاطمية وهمرة (١٧) سنة ، وفي عام ٤٧١ هـ / ١٠٧٨ م ذهب إلى إمامه المستنصر بالله حاجاً ، وعاد بعد ذلك لينشر الدعوة في فارس ، وقد احتل عدداً من القلاع أهمها قلعة آلموت (٤٨٣ هـ) التي اتخذها عاصمة لدولته .

- في عهده مات الإمام المستنصر بالله (٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م) ويقام الوزير بدر الجمالي بقتل ولي العهد والأبن الأكبر « نزار » لينقل الإمامة إلى الأبن الأصغر « المستعلي » الذي كان في نفس الوقت ابن أخت الوزير . وبذلك انشقت الفاطمية إلى نزارية مشرقية ، ومستعلية مغربية .

- أخذ الحسين بن الصباح يدعو إلى إمامة نزار ، مدعيًا بأن الإمامة قد انتقلت إلى حفيد نزار أحضر سرا إلى « آلموت » وأنه طفل جرى تهريبه من مصر إلى فارس ، أو أن بمحظية نزار كانت حاملاً منه أخذت إلى آلموت حيث وضعت حملها . وبقي أمر هذا الإنام الجليل على الكتمان والسرية .

- توفي الحسن الصباح عام (٥١٨ هـ / ١١٢٤ م) من غير سليل لأنه كان قد أقدم على قتل ولديه أثناء حياته .

٢- كيابلزك أميد : حكم من ٥١٨ هـ / ١١٢٤ م إلى سنة ٥٣٢ هـ / ١١٣٨ م :

كان أول أمره قتلًا لقلعة « لاساسار » لمدة عشرين سنة ،

هذه الفترة بأنها غليظة وتجلس أسواقها على صفوف من مقرّنصات جميلة ومعقدة . والالتحام الكبير بضمخامة المدخل هو أحد السمات المظهرية التي اتسم بها ذلك العصر بصورة عامة .

والقبة البصلية هي أيضاً أحد العناصر المعمارية المهمة في هذه الروضة ، وتعتبر ضخامة إيوان المدخل سمة معمارية أخرى جديدة في تلك الفترة . أما المقرّنصات العنقودية فهي وبدون شك إحدى أهم مميزات هذه العمارة . واستخدمت المقرّنصات هنا لا لتسند ثقل قاعدة بل كتصميم زخرفي ، الغاية منه زيادة في ضخامة الحنايا في الأولوين وحنايا الأركان وغيرها ، ولا يعني هذا أن المقرّنصات لم تستخدم في الروضة الحسينية لغرض إسناد أبنية تبرز عن مستوى وجوه الجدران . أما السمات الزخرفية الأخرى مثل تغطية مساحات كبيرة من وجوه الجدران الداخلية والخارجية بفسايد وقواميد قاشانية وذهب ، فإنها على عصر لاحق لفترة إنشاء العمارة ، وهي كما ذكرنا من إضافات القرن السادس عشر الميلادي والغرض منها زيادة في أبهة المظهر وإثرائه .

(المزارع العربية الإسلامية في العراق - د. عيسى سلمان وزينب) ١٤١ - ١٥٦ .

انظر : الحسيني (المشهد -) بالقاهرة .

• الحسينية :

انظر : النجارية .

• ابن الخشّاء (نهو ٦٤٧ هـ - نهو ١٢٥٠ م) :

أحمد بن محمد أبو جعفر ، ابن الخشّاء ، فقيه حكيّم . كان معاصراً لأبي زكريا الحفصيّ بتونس . وإضافته صنف ابن الخشّاء كتابه « مفيد العلوم » مخطوط في خزّانة الريّاط الرقم (٩٥٥ د) وهو مجمل مختصر شريف الفائدة ، في أسماء العقائير الطبية وأعضاء الإنسان ، والأمراض ، وبعض الحيوانات البرية والبحرية ، ويسمى أيضاً « تفسير الألفاظ الطبية والغريبة الواقعة في كتاب الطب المتصوّري لأبي بكر الرازي .

(الأعلام للزركلي / ١ / ٢١٩) وما جاء بهاش (٢) من مراجع .

• الحشاشون :

أوردت الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة

لألموت، وقد عاد الناس في عهده إلى المحرمات وارتكاب الخطايا والإلحاد. حكم الصبي خمس أو ست سنوات ثم أصيب ببلوة عقلية، فانتشرت السرقة واللصوصية وقطع الطرق والاعتداءات.

٨- ركن الدين خورشاه : ١٢٥٥ / ١٢٥٨ م :

قاد هولاكو حملة سنة ١٢٥٦ م وكان هدفه فلاح الإسماعيلية، وما زال يتقدم حتى استسلم له ركن الدين وسلمه قلعة ألموت سنة ٦٥٤ هـ وأربعين قلعة وحصنا كلها سويت بالأرض، فاستقبله هولاكو بترحاب وزوجه فتاة مغولية، وفي عام ١٢٥٨ م انتهى منه بقتله غيلة، وبذلك انتهت دولة الحشاشين سياسيا في فارس.

٩- شمس الدين محمد بن ركن الدين :

تقول روايات الإسماعيليين بأن ركن الدين قد أخفى ابنه شمس الدين محمد الذي هرب من بطش هولاكو متنكرا إلى جهة ما بجنوب القوقاز، ثم استقر في قرية « أنجودا » على الطريق بين أصفهان وميدان. وبقي فيها إلى أن مات في النصف الأول من القرن الثامن للهجرة وكان من عقبه سلسلة من الأئمة في القرن التاسع عشر ومنهم ظهرت أفغانخان. اتقسم الحشاشون بعد شمس الدين إلى قسمين :

- بعضهم نادى بإمامة محمد شاه واعترفوا به وبالأئمة من نسله حتى انقطعتم سلسلتهم في منتصف القرن المعاشر الهجري وكان آخرهم الإمام ظاهر شاه الثالث المعروف (بالدكني) والذي هاجر إلى الهند وتوفي هناك حوالي سنة ٩٥٠ هـ وانقطع هذا الفرع على الرغم من وجود أتباع له إلى الآن في مهاباد والقندوس بسوريا.

- وأصحاب الفرع الثاني اعتقدوا بإمامة قاسم شاه، وهؤلاء يشكلون العدد الأكبر من هذه الطائفة وقد هاجروا إلى أعلى نهر جيحون.

الحشاشون في بلاد الشام :

- ظهر لهم في بلاد الشام عدد من القادة مثل بهرام الاستراباذي، والداعي إسماعيل الفارسي، وقد استفادوا من استمالة رضوان بن تنش والي حلب إلى منهم فوفد إليها عدد كبير من إسماعيلية فارس معا قوى شوكتهم في بلاد الشام.

وخلال فترة حكمه دخل في عدة معارك مع جيرانه السلاجقة، كما أنه كان أكثر تسامحا وسياسة من الحسن الصباح.

٣- محمد بن كيابزك أمير : حكم من سنة ٥٣ هـ /

١١٣٨ م إلى سنة ١١٦٢ م :

كان يهتم بالدعاية للإمام، كما كان يفرض الاحترام الخارجي للفرق الإسلامية، فقد أقدم على قتل كثير من أتباعه ممن اعتقدوا بإمامة ابنه وطرد وعذب آخرين.

٤- الحسن الثاني بن محمد : حكمه من ١١٦٢ م إلى سنة ٥٦١ هـ / ١١٦٦ م :

أعلن في شهر رمضان ٥٥٩ هـ قيام القيامة، وأنهى الشريعة، وأسقط التكليف وأباح الإفطار، ثم أقدم بعد ذلك على خطوة أخطر وذلك بأن ادعى بأنه من الناحية الظاهرية حفيد لكيابزك ولكنه في الحقيقة إمام العصر وابن الإمام السابق من نسل نزار.

٥- محمد الثاني بن الحسن الثاني : من ٥٦١ هـ /

١١٦٦ م إلى ٦٠٧ هـ / ١٢١٠ م :

طور نظرية القيامة ورسفها، وقد ساعده على ذلك احتلال سلطنة السلاجقة في عهده وضعفهم وظهور التركمان وبداية التوسع التركي.

٦- جلال الدين الحسن الثالث بن محمد الثاني : من

٦٠٧ هـ / ١٢١٠ م إلى ١٢٢١ م :

ولغى عقائد آباءه في القيامة، ولعنهم وكفرهم، وأحرق كتبهم وجاهر بإسلامه، وقام بوصل حباله مع العالم الإسلامي فقد أرسل إلى الخليفة العباسي الناصر لدين الله وإلى السلطان السلجوقي خوارزم شاه والملوك والأمراء يؤكد لهم صدق دعوته إلى التعاليم الإسلامية، ففرحت البلاد الإسلامية بذلك وصار أتباعه يعرفون بالمسلمين الجدد.

٧- محمد الثالث بن الحسن الثالث (وبعض الكتب

تسميه علاء الدين محمود) : كان حكمه من سنة ١٢٢١ م إلى سنة ١٢٢٥ م :

خلف أباه وعمره (٩) سنوات، وظل وزير أبيه حاكما

٧- كانت وسيلتهم الاختيالي المنظم ، وذلك عن طريق تدريب الأطفال على الطاعة العمياء والإيمان بكل ما يقلى إليهم ، وعندما يشتد ساعدتهم يدرسونهم على الأسلحة المعروفة ولا سيما المتفاجر ، ويعلمونهم الاخفاء والسرية وأن يقتل الفدائي نفسه قبل أن يروح بكلمة واحدة من أسرارهم . وبذلك أعدوا طائفة الفدائيين التي أفزعوا بها العالم الإسلامي آنذاك .

٨- كانوا يتمتعون في سلسلة من القلاع والحصون ، فلم يتركوا مكانا مشرفا إلا أقاموا عليه حصنا ، ولم يتركوا قلعة إلا ووضعوا نصب أعينهم احتلالها .

٩- يقول عنهم المؤرخ كمال الدين بن العليم : في عام ٥٧٢ هـ / ١١٧٦ م : « انخرط سكان جبل السماق في الأثام والفسوق وأسموا أنفسهم المتطهرين ، واختلط الرجال والنساء في حفلات الشرب ولم يمتنع رجل عن أخته أو ابنته ، ولارتدت النساء ملابس الرجال ، وأعلن أحدهم بأن سنانا هو ربه » .

الجنود الفكرية والمقاتلة :
- أصولهم البعيدة شيعية ثم إسماعيلية .
- بعث الإمام المستنصر بالله أدخلوا يدهون إلى إمامية ابنه الأكبر نزار الذي قتل هو وابنه قبل تسلمه الإمامة .
- فكرة تربية الفدائيين نقلها الحسن بن الصباح عن إمامه المستنصر عندما كان في زيارته .
- كان القتل والاختيالي وسيلة سياسية ودينية لترسيخ معتقداتهم ونشر الخوف في قلوب أعدائهم .
- فكرة التناسخ التي دعا إليها رشيد الدين مانغوقه عن النصيرية .

الاتشار ومواقع التقو :
- انطلقت دعوتهم من كرمان ويزد إلى أواسط إيران وأصفهان ثم خورزسان ثم هضبة الجبل واستقرت في قلعة آلموت ، وشرقا وصلوا مازندران ثم إلى قزوین واحتلوا منطقة رودبار ولاماسار وكوهستان ... واحتلوا كثيرا من القلاع وامتلوا إلى نهر جيحون .

- أبرز شخصية هو شيخ الجبل سنان بن سليمان بن محمود المعروف برشيد الدين الذي نشأ في البصرة ، وتلقى علومه في قلعة آلموت وكان زميلا لولي المهدي الحسن بن محمد الذي أمره بالرحيل إلى بلاد الشام عندما صار الأمر إليه - انتقل إلى بلاد الشام وجمع الإسماعيلية حوله وصار لهم نفوذ وسلطان ، واعترف الناس بإمامته غير أنهم عادوا يهدمونه إلى طاعة الأئمة بالموت وقد كان شخصا مخيفا وهم يذكرونه على أنه أعظم شخصياتهم على الإطلاق .

- امتلكوا عددا من القلاع ، وقاموا الزنكيين ، وحاولوا اغتيال صلاح الدين الأيوبي عدة مرات .

- خلفه أمراء ضعفاء مما سهل إنهاءهم والقضاء عليهم على يد الظاهر بيبرس .

- من قلاعهم في بلاد الشام : قلعة بانياس ، حصن قدوس ، حصن مصياف ، الكهف ، الخوایی ، المنيقة ، القليعة .

الأفكار والمعتقدات :

١- تتلقى معتقداتهم مع معتقدات الإسماعيلية عامة من حيث ضرورة وجود إمام معصوم ومنصوص عليه على أن يكون الابن الأكبر للإمام السابق .

٢- كل الذين ظهروا من قادة الحشاشين إنما يمثلون الحجة والداعية للإمام المستور باستثناء الحسن الثاني وابنه فقد ادعيا بأنهما إمامان من نسل نزار .

٣- إمام الحشاشين بالشام رشيد الدين سنان بن سليمان قال بفكرة التناسخ فضلا عن عقائد الإسماعيلية التي يؤمنون بها ، كما ادعى أنه يعلم الغيب .

٤- الحسن الثاني بن محمد : أعلن قيام القيامة ، وألغى الشريعة ، وأسقط التكالييف .

٥- الحج لديهم ظاهره إلى البيت الحرام وحقيقته إلى إمام الزمان ظاهرا أو مستورا .

٦- كان شعارهم في بعض مراحلهم « لا حقيقة في الوجود وكل أمر مباح » .

وسراتب الناس في الحشر مختلفة فمنهم الراكب وهو المتقى ومنهم الماشى على رجليه وهو قليل العمل ومنهم الماشى على وجهه وهو الكافر .

والحشر : ثابت بالكتاب والسنة والإجماع مع كونه من الممكنات فهو حق ومنكره كافر قال تعالى : ﴿ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً ﴾ وقال : ﴿ احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون ﴾ من دون الله فاحشروهم إلى صراط الجحيم وقسومهم إنهم مستولون وقال : ﴿ يوم تشقق الأرض عنهم سراها ذلك حشر علينا يسيراً ﴾ وأنواع الحشر أربعة : أحدها ما ذكر .

والثاني سوق الناس من الموقف إلى الجنة أو النار .
والثالث إخراج اليهود من جزيرة العرب إلى الشام .
والرابع سوق الناس إلى الحشر قرب قيام الساعة (ملكة التوحيد ٤ / ٢٩ ، ٣٠) .

ويجب الحفاظ السيوطي على أسئلة تتصل بالحشر نسوقها لك فيما يلي :

مسألة - قوله ﷺ : ﴿ يحشر الناس حفاة عراة هل هو على عموميه بدليل قوله : ﴿ فيكون أول من يكسى إبراهيم ﴾ أو هو مخصوص بغير الأنبياء ؟

الجواب - هو مخصوص وليس على عموميه فقد نص البيهقي على أن بعض الناس يحشر عارياً وبعضهم يحشر في أكفانه وحمل على ذلك قوله ﷺ : ﴿ يمشى الميت في ثيابه التي يموت فيها ﴾ رواه أبو داود ، وابن حبان ، والحاكم ، وقول معاذ بن جبل : ﴿ أحشروا أكفان موتاكم فإن الناس يحشرون في أكفانهم ﴾ رواه ابن أبي الدنيا ، وأخرج سعيد بن منصور في سننه عن عمر بن الخطاب مثله ، وهذا الموقوفان لهما حكم الرفع . ونص القرطبي على أن حديث الحشر عارة مخصوص بغير الشهداء وأن حديث أبي داود ونحوه في الشهداء ، وأخرج الديلمي في المجالسة عن الحسن قال : يحشر الناس كلهم عراة ما خلا أهل الزهد ، وإذا خص من الحديث الشهداء أو أهل الزهد فالأنبياء من باب أولى .

مسألة - أحاديث الحشر عارة عارضها أحاديث أخر صرح

- وصلت دعوتهم إلى سوريا ، وأمتلكوا القلاع والحصون على طول البلاد وعرضها ومن قلاعهم بانياس ومصياف والقدموس والكهف والخابي وسلمية .

- كان زوالهم في إيران على يد هولاكو المغولي وفي سوريا على يد الظاهر بيبرس .

- لهم أتباع إلى الآن في إيران وسوريا والهند وفي أجزاء من أواسط روسيا السوفيتية .

(الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة - الندوة العالمية للشباب الإسلامي - الرياض ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م / ٢٠٣ - ٢٠٨) .

• الحشر :

الحشر إخراج الجماعة عن مقرهم وإزاجهم عنه إلى الحرب ونحوها ، وروى « النساء لا يحشرون » أي لا يخرجون إلى الغزو ، ويقال ذلك في الإنسان وفي غيره ، يقال حشرت السنة مال بنى فلان أي أزالته عنهم ولا يقال الحشر إلا في الجماعة قال الله تعالى : ﴿ وابتعث في الملائكة حاشرين ﴾ [الشعراء : ٣٦] وقال تعالى : ﴿ والطير محشورة ﴾ [س : ١٩] وقال عز وجل : ﴿ وإذا الوحوش حشرت ﴾ [التكوير : ٥] وقال تعالى ﴿ لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا ﴾ [الحشر : ٢] ﴿ وحشر سليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون ﴾ [النمل : ١٧] وقال تعالى في صفة القيامة : ﴿ وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء ﴾ [الأحقاف : ٦] ﴿ فسيحشرهم إليه جميعاً ﴾ [النساء : ١٧٢] ﴿ وحشرتهم فلم يغادر منهم أحداً ﴾ [الكهف : ٤٧] وسمى يوم القيامة يوم الحشر كما سمي يوم البعث ويوم النشر ، وجل حشر الأذنين أي في أذنه انتشار وحلة (المفردات في غريب القرآن ١١٩ ، ١٢٠) .

والحشر هو سوقهم جميعاً إلى الموقف بعد بعثهم من قبورهم ، ولا فرق في ذلك بين من يجازى كالإنس والجن ومن لا يجازى كالبهائم والطير .

وذهبت طائفة : إلى أنه لا يحشر إلا من يجازى .

وأما السقط فإن ألقى بعد نفع الروح فيه أعيد بروحه كامل الجنة وإن ألقى قبل نفع الروح كان كهيئة الأجسام يحشر ثم يكون تراباً .

أَمْسِنَ بِنَسْيِ آدَمَ أُمَّ خَلْقِهِمْ
كَالْحُجُورِ بِنَا مِنْ نَاقٍ فِي دَمْعِهِ
لَكُمْ عِلْسُومٌ أَعْجِزَتْ مِنْ مَضَى
وَمِنْ بَقِي قَدِّهِمْ مَارِ فِي فِكْرِهِ
وَسَلِمُوا أَنْ السَّيِّئَ نَلْتَمِسُو
مَنْعَةً رَبِّ الْعَسْرِشِ مِنْ سِرِهِ
بِيَتِكُمْ جُنَاتِهِ مِثْلَ مَا
بِلِلْتِمِ الْإِجْمَادِ فِي نَصْرِهِ

الجواب :

الْحَمْدُ لَهُ عَلَى يَسْرِهِ
وَأَشْكُرُ الْهَادِيَ عَلَى نَشْرِهِ
الطَّيْفِلِ بِأَتَى مِثْلَ مَا قَدِّ مَضَى
فِي خَلْقِهِ وَالْقَادِرِ فِي حَشْرِهِ
وَحُضْمًا يَدْخُلُ جُنَاتِهِ
يَسْزَادُ كَالْبَالِغِ فِي قَسْرِهِ
وَكَمْ لَهُ فِي الْخَلْقِ مِنْ زَوْجَةٍ
مِنْ بَشَرٍ وَالْحُجُورِ فِي نَصْرِهِ
وَالْحُجُورِ وَالْوَلَدَانِ جُنْسٍ مَسْوِي
لِيَسْأَلُوا بَنِي آدَمَ فَاَسْتَقْرَهُ
(الحاوي ٢ / ١٩٦ - ١٩٨) .

والإيمان يحشر الناس هو الشبهة الثامنة من شعب الإيمان
كما بينها الإمام البيهقي إذ يقول :

الإيمان يحشر الناس بعد ما يمشون من قبورهم إلى
الموقف لقوله تعالى : ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴾ يوم
عظيم ﴿ يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾ [المطففين : ٤ - ٦]
ولحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في صحيح مسلم :
يقوم الناس لرب العالمين حتى يثيب أحدهم في رشفه إلى
أنصاف أذنيه (أي في عرقه) (مختصر شعب الإيمان / ١٧) .

(المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني - بتحقيق وضبط
محمد سيد كيلاني / ١١٩ ، ١٢٠ ، ومذكورة التوحيد - حسن السيد متولي
٢٩ / ٤ ، ٣٠ ، والحاوي للفتاوى للحافظ جلال الدين عبد الرحمن
السيوطي ٢ / ١٩٦ - ١٩٨ ، ومختصر شعب الإيمان للبيهقي - اختصار

فيها بأن الناس يحشرون في أكفانهم ، واختلف العلماء في
ذلك ، فمفهم من مسلك مسلك الترجيح فرجع أحاديث
الحشر في الأكفان على أحاديث الحشر عرلة وهذا رأى
القليل ، والأكثرين سلكوا مسلك الجمع فجمعوا بين
الأحاديث بأن أحاديث الحشر في الأكفان خاصة بالشهداء
وأحاديث الحشر عرلة في غيرهم . هكذا نقله القرطبي . وجمع
البيهقي بأن بعض الناس يحشر عاريا وبعضهم يحشر في
أكفانه ولم يعين شهداء ولا غيرهم ، ويزيد ذلك ما أخرجه
أحمد ، والنسائي ، والحاكم وصححه ، والبيهقي عن أبي ذر
قال : حدثني الصادق المصدوق عليه السلام أن الناس يحشرون يوم
القيامة على ثلاثة أنواع : فوج طامعين كاسين ياكين ، وفوج
يمشون ويسعون ، وفوج تحميمهم الملائكة على وجوههم وله
شاهد من حديث أبي هريرة أخرجه أبو داود ، والترمذي ، ومن
حديث معاوية بن حيدة أخرجه أحمد . والترمذي . والنسائي
وفي المجالسة للشيخ تيسري عن الحسن قال : يحشر الناس
كلهم عرلة ما خلا أهل الزهد وهذا له حكم المرفوع المرسل .

مسألة :

ما قول حبر بحر الكفار
أبى لدى عجيبا هم في عصره
وناض منه أنهرًا بالهدى
في سائر الأقطار من دهره
تأليفه صباغ لنا عجبا
عاطسره قد ضاع في نشره
حكى نظم السيل في جيبه
وحسباز السبك في نشره
في الطفل إن صلات صغيرا فهل
يحشر في الأخرى على عصره
وفي جنبات الخلد يبقى كلبا
أو بعد حشر زيبد في نشره
وهل لسه في الحور من زوجة
يتكهنها ما القبول في أمره ؟
وأمر ولدان حكاهم لنا
رب المسلا المرحمن في ذكره

المشابهات:

قوله تعالى: ﴿وَمَا آفَاءُ اللَّهِ﴾ [٦] ويعلمه: ﴿مَا آفَاءُ اللَّهِ﴾ [٧] بغير واو؛ لأن الأول معطوف على قوله: ﴿مَا قَطَعْتُمْ﴾ [٥] والثاني استئناف ليس له به تعلق. وقول من قال: إنه بدل من الأول مزيف عند أكثر المفسرين.

قوله: ﴿كَذَلِكَ بَأْنَهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [١٣] ويعلمه: ﴿قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [١٤] لأن الأول متصل بقوله تعالى: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنْ اللَّهِ﴾ [١٣] لأنهم يرون الظاهر، ولا يفقهون على ما استبر عليهم، والفقه معرفة ظاهر الشيء وضامفه بسرعة فطنة، ففنى عنهم ذلك، والثاني متصل بقوله تعالى: ﴿تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ [١٤] أي لو عقلوا لاجتمعوا على الحق، ولم يفرقوا.

فضل السورة

فيه أحاديث منكرة، منها حديث أنس: من قرأ سورة الحشر لم يبق جنّة، ولا نار، ولا عرش، ولا كرسي، ولا حجاب، ولا السموات السبع، والأرضون السبع، والهوام، والريح، والطير، والشجر، والدواب، والجبال والشمس، والقمر، والملائكة - إلا صلوا عليه. فإن مات من يومه أو ليلته مات شهيدا، وحديث علي: يا علي من قرأها قال الله عز وجل له يوم القيامة: عبدني استظل بظل عرشي، وكل من

القرطبي / ١٧. انظر أيضا التكرار في أحوال المعنى وأسر الأكررة للإمام القرطبي - حقه وعقل عليه وضبطه الأستاذ حمدان جعفر / ٢٣٥ - ٢٤٩، وقد بسط القرطبي الكلام فيه فأنظره في موضعه إن شئت الاستزادة، وكشاف اصطلاحات الفنون للفهرتي ١ / ٢٩٣، ٢٩٤.

• العشر (سورة -)

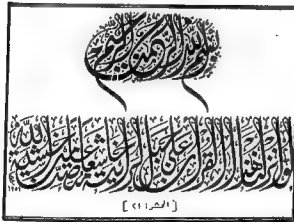
السورة رقم ٥٩ من مسور القرآن الكريم وقسا لترتيب المصحف مدينة وعدد آياتها أربع وعشرون اتفاقا ورءوس آياتها الحكيم (١) الأيسر (٢) النصار (٣) العقاب (٤) المفسين (٥) نديس (٦) العقاب (٧) المصعدون (٨) المفلحون (٩) رحيم (١٠) كذبيون (١١) الإنصرون (١٢) لا يفقهون (١٣) لا يفقهون (١٤) أليم (١٥) الملمين (١٦) الظلمين (١٧) تعلمون (١٨) المفسون (١٩) الفانزون (٢٠) يتفكرون (٢١) الرحيم (٢٢) يُفكرون (٢٣) الحكيم (٢٤) وفيها من شبه الفاصلة المتروكة خمسة مواضع (١) لم يحسبوا (٢) وأبلى المؤمنين (٣) ولا ركاب (٤) أحدا أبدا (٥) بينهم شديد.

(سعادة الدارين / ٣٣).

ويحمل الإمام الفيروزآبادي خصائص سورة الحشر في البصيرة التاسعة والخمسين من بصافره، وقد ذكرها باسم سيح... الحشر، فيقول:

السورة مدنية بالاتفاق. آياتها أربع وعشرون. كلماتها أربعمائة وخمسين وأربعون. حروفها ألف وتسعمائة وثلاث عشرة. فواصل آياتها (من بر) على الباء آيتان: العقاب في موضعين. سميت سورة الحشر؛ لقوله تعالى: ﴿لأول الحشر﴾ [الحشر: ٢].

معظم مقصود السورة: الخبر عن جلاء بني النضير، وقسم الغنائم، وتفصيل حال المهاجرين والأنصار، والشكاية من المناقطين في واقعة قريظة، وذكر برصيصاء العابد، والنظر إلى الحواقب، وتأثير نزول القرآن، وذكر أسماء الحق تعالى وصفاته، وبيان أن جملة الخلاق في تسيبته وتقليدته في قوله تعالى: ﴿الأممياء الحسنين﴾ إلى آخر السورة [الحشر: ٢٤]. ليس فيها منسوخ.



[الحشر: ١]

الحشر (١١٧)

نُصار جنتي حتى أفرغ إليك . فإذا فرغ الله عز وجل من حساب الخلائق وجهه إلى الجنة ، فيتعجب منه أهل الموقف . وله بكل آية قرأها مثل ثواب إسحاق وإبراهيم (بما سار) ١ / ٤٥٩ ، ٤٥٨ .

وعن حكمة وقوع سورة الحشر بعد سورة المجادلة يقول الإمام السيوطي : آخر سورة المجادلة نزل فيمن قُتل أقرباؤه من الصحابة يوم بدر (وهو قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ كُتِبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانُ وَأُيُنِّمُ بِهِمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ﴾ [٢٢] . وقيل هم : أبو عبيدة قتل أباه يوم بدر ، وأبو بكر هم بقتل ولده عبد الرحمن ، ومصعب بن عمير قتل أخاه عبيدا ، وهما قتل قريبا له ، وحمنة وعلى وهبيدة بن الحارث قتلوا عقبه وشية والوليد بن عتبة . طبقات ابن سعد ٣ / ١ / ٣٠٠) .

وأول الحشر نازل في غزوة بني النضير ، وهي عقبتها ، وذلك نوع من المناسبة والربط وفي آخر تلك : ﴿ كُتِبَ اللَّهُ لِأَغْلِبْنَاهُ أَنَا وَرَسُولِي ﴾ [٢١] وفي أول هذه : ﴿ فَاتَّاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَلَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرِّيبَ ﴾ [٢٢] . وفي آخر تلك ذكر من حاد الله ورسوله [٢٢] وفي أول هذه ذكر من شاق الله ورسوله [٤] (تناسق الدرر / ١٢٢ ، ١٢٣) .

أما عن الأسماء التي أبهمت في هذه السورة فقد أورد الإمام السهيلي ما يلي :

قوله عز وجل : ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [٢٧] هم بنو النضير حين أجالهم النبي ﷺ من حصونهم المجاورة له إلى خيبر ثم أجالهم عمر بعد ذلك إلى تيماء وأريحا وذلك بكفرهم ونقض عهدهم وفي من بلاد الشام وذلك حين بلغه الخبر عن النبي ﷺ : « لا يقيم دينان في جزيرة العرب » ﴿ لِأُولَى الْحَشْرِ ﴾ . وآخر الحشر حين تحشر النار الناس إلى الشام عند قيام الساعة وقد روى أنهم قالوا لى أين تخرجنا يا محمد إلى الحشر . ذكره بكر بن العلاء القشيري يريد أن الشام إليها يحشر الناس وكان بنو النضير وقرينة ونسو قيقاع في وسط أرض العرب من الحجاز وإن كانوا يهودا والسبب في ذلك أن بنى إسرائيل كانت تغير عليهم العماليق من أرض الحجاز

وكان [وكانت] منازلهم يربط والجحفة إلى مكة فشكت بنو إسرائيل ذلك إلى موسى عليه السلام فرجه إليهم جيشا وأمرهم أن يقتلهم ولا يبقوا منهم أحدا ففعلوا وتركوا منهم ابن ملكهم كان غلاما حسنا فرقوا له ثم رجعوا إلى الشام وموسى قد مات فقالت بنو إسرائيل لهم قد عصيتم وخالفتم فلا نؤويكم فقالوا أخرجهم إلى البلاد التي غلبنا عليها فنكون بها فرجعوا إلى يرب فاستوطنوها وتناسلوا بها إلى أن نزلت عليهم الأوس والخزرج بعد ميل الحرم فكانوا معهم إلى الإسلام . ذكر هذا الخبر أبو الفرج الأصفهاني .

وقريظة والنضير يقال لهما الكاهنانه وقد نسبهما ابن إسحاق إلى هارون عليه السلام ونسبهم إلى هارون صحبة لأن النبي ﷺ قال لصفيه ووجدتها تبكي لكلمة قُتِلَ لها فقال لها أبوك هارون عليه السلام وعمك موسى ويعلق محمد والحديث معروف مشهور وهو أطول من هذا وأما الحصون فأسماؤها في السير منها : الوطيط ، والنطلة ، وسلام ، والكتيبة ، وغيره ممن قد سماه ابن إسحاق وغيره . (الوطيط : حصن من حصون خيبر ، وهو أعظمها ، ونطلة : حصن بخيبر .

والسلام : حصن بخيبر ، كان من أحصنها وآخرها : فتحا على رسول الله ﷺ .

والكتيبة : هو حصن من حصون خيبر ، لما قسمت خيبر كان القسم على نطلة والشق والكتيبة ، فكانت نطلة والشق في سهم المسلمين وكانت الكتيبة خمس الله وسهم النبي ﷺ وسهم ذوى القربى واليتامى والمساكين وطعمهم أزواج النبي وطعمهم رجال مشوا بين رسول الله وبين أهل فذلك بالصلح) . (التصريف والإمام / ١٦٥ ، ١٦٦) .

وقال الإمام السيوطي : ﴿ لِأُولَى الْحَشْرِ ﴾ [٢٧] قال ابن عباس : هو الشام . أخرجه ابن أبي حاتم ﴿ من أهل القرى ﴾ [٢٧] : قال مقاتل . يعنى قريظة والنضير وغير . أخرجه ابن أبي حاتم ﴿ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفِرْ ﴾ [١٣٦] : هو برصيصا العابد ذكره ابن كثير (منجمت الأقران / ١٠٧) . ويشرح الإمام السيوطي أسباب نزول بعض آيات سورة

ويوضح الإمام الرازي ما يمكن أن يوهم بوجود تناقض بين بعض آيات هذه السورة ، وذلك بطريقة « فإن قيل — قلنا » ، وهو كما يلي :

فإن قيل : كيف قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ [٩] والإيمان ليس مكاناً يتبوأ لأن معنى التبوأ اتخاذ المكان منزلاً ؟

قلنا : فيه إضمار تقديره : وأخلصوا الإيمان كقول الشاعر :

« علفتها نبأ وماء باردا »

أى وسقتها ماء باردا .

الثاني : أنه على ظاهره غير إضمار ولكنه مجاز ، فمعناه أنهم جعلوا الإيمان مستقراً وموطناً لتكنهم منه واستقامتهم عليه ، كما جعلوا دار الهجرة كذلك وهى المدينة .

فإن قيل : كيف قال تعالى : ﴿ وَلَنْ نَصْرُوهُمْ ﴾ [١٢] بعد الإخبار بأنهم لا ينصرونهم وحرف الشرط إنما يدخل على ما يحتمل وجوده وعلمه .

قلنا : معناه : ولئن نصرؤهم على الفرض والتقدير كقولهم تعالى للملئى ﴿ لَنْ أَشْرَكَ بِحَبِطِ صَبْكَ ﴾ [الزمر : ٦٥] وقوله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهِ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء : ٢٢] والله تعالى كما يعلم ما يكون قبل كونه ، فهو يعلم ما لا يكون أن لو كان كيف يكون .

فإن قيل : ما معنى قوله تعالى للمؤمنين : ﴿ لَا تَأْتُمُّوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَةَ فِي صُدُورِهِمْ مِنْ اللَّهِ ﴾ [١٣] أى فى صدور المنافقين أو اليهود على اختلاف القولين ، وظاهره لأنتم أشد خوفاً من الله ، فإن كان « من » متعلقاً بأشد لزوم ثبوت الخوف لله تعالى كما تقول : زيد أشد خوفاً من الدار من عمرو ، وذلك محال ، وإن كان من الله متعلقاً بالخوف فأين الذى فضل عليه المخاطبون ، وأيضاً فإن الآية تقتضى إثبات زيادة الخوف للمؤمنين ، وليس المراد ذلك باتفاق المفسرين ؟

قلنا : رغبة مصدري رهب منبأ لما لم يسم فاعله ، فكأنه قيل أشد رهوية ، يعنى أنكم فى صدورهم أهيب من الله فيها ، كذا فسر ابن عباس رضى الله عنهما ونظيره قولك : زيد أشد ضرباً فى الدار من عمرو ، يعنى مضروباً .

الحشر فيقول ، مع ملاحظة أن الحرف « ك » يرمز إلى زيادات السيوطى على الواحدى :

أخرج ابن المنذر عن يزيد الأصم أن الأنصار قالوا يا رسول الله اقم بيننا وبين إخواننا المهاجرين الأرض نصفين ، قال : لا ، ولكن تكفونهم المؤنفة وتقاسمونهم الثمرة والأرض أرضكم ، قالوا رضيتم ، فأنزل الله ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ [٩] وأخرج البخارى عن أبى هريرة قال : أتى رجل رسول الله ﷺ ، فقال يا رسول الله أصابنى الجهد ، فأرسل إلى نساءه فلم يجد عندهن شيئاً فقال ألا رجل يضيئه هذه الليلة يرحمه الله . فقام رجل من الأنصار فقال أنا يا رسول الله ، فذهب إلى أهله ؛ فقال لآمرأته خيف رسول الله ﷺ لا تدخره شيئاً .

قالت والله ما عندى إلا قوت الصبية . قال : فإذا أراد الصبية العشاء فنصمهم وتعالى فاطمى السراج ونطوى بطوننا الليلة ففعلت .

ثم خدا الرجل على رسول الله ﷺ .

فقال : لقد عجب الله أو ضحك من فلان وفلانة ، فأنزل الله تعالى ﴿ وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [٩] .

وأخرج مسدد فى مسنده وابن المنذر عن أبى المتوكل التاجى أن رجلاً من المسلمين فذكر نحوه ، وفيه أن الرجل الذى أضاف ثابت بن قيس بن شماس ، فنزلت فيه هذه الآية .

وأخرج الواحدى من طريق محارب بن دثار عن ابن عمر قال : أهدى لرجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة ، فقال إن أخى فلاناً وصياله أحوج إلى هذا منا فبعث به إليه ، فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى تداولوا أهل سبعة آيات حتى رجعت إلى أولئك ، فنزلت ﴿ وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [٩] .

ك ، وأخرج ابن أبى حاتم عن السدى قال : أسلم ناس من أهل قرية وكان فيهم منافقون ، وكانوا يقولون لأهل النصير : لئن أخرجتم لثخرجن معكم ، فنزلت هذه الآية فيهم ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمْ ﴾ [١١] (أسباب النزول للسيوطى / ٢٦٨ ، ٢٦٩) .

قيل : معناه : أنه سبحانه لو جعل في جبل على قسارته تمييزاً كما جعل في الإنسان ثم أنزل عليه القرآن ، لنشقق خشية من الله تعالى وخوفاً أن لا يؤدي حقه في تعظيم القرآن . والمقصود توسيع الإنسان على قسوة قلبه وقلة خشوعه عند تلاوة القرآن ، وإعراضه عن تدبر قوارعه وزواجره .

فإن قيل : ما الفرق بين ﴿ الخالق ﴾ و ﴿ البارئ ﴾ [٢٤] حتى عطف تعالى أحدهما على الآخر ؟

قلنا : الخالق هو المقدر لما يوجد ، والبارئ هو المميز بعبءه عن بعض بالأشكال المختلفة . وقيل الخالق العبد والبارئ المعبد [مسائل الرازي وأجروها / ٣٣٩ - ٣٤٢ والانسراج الجليل ٦ / ٤٧٨ - ٤٨١] .

أما من حيث النسخ فقد سبق أن ذكرنا في بداية هذه المادة نقلاً عن الفيروزآبادي في بصاره أنه لا يوجد نسخ في سورة الحشر ، ويوضح الإمام ابن الجوزي ذلك فيقول :

قوله تعالى : ﴿ ما آفأه الله على رسوله من أهل القرى فله للرسول ﴾ [٧] يختلف العلماء في المراد بهذا الفء على قولين :

الأول : أنه الغنمة التي يأخذها المسلمون من أموال الكفار غنوة وكانت في بدء الإسلام للذين ساءمهم الله هاهنا دون الغالبين المرجفين عليها ثم نسخ بقوله تعالى في الأنفال : ﴿ وأعلموا أنما غنمتم من شيء ﴾ [الأنفال : ٤١] هذا قول قتادة ويزيد بن رومان في آخرين .

أخبرنا إسماعيل بن أحمد ، قال : أبنا عمر بن عبيد الله ، قال : أبنا ابن بشران ، قال : أبنا إسحاق بن أحمد ، قال : أبنا عبد الله بن أحمد ، قال : حدثني أبي قال : بنا عبد الصمد بن همام عن قتادة ﴿ ما آفأه الله على رسوله من أهل القرى فله للرسول والمرسل ولذلي القرى واليتامي ﴾ الآية ، قال : كان الفء بين هؤلاء فنسختها الآية التي في الأنفال ﴿ وأعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسة والمرسل ﴾ .

قال أحمد : وبنا معاوية بن عمرو ، قال : أبنا أبو إسحاق عن شريك عن جابر ، عن مجاهد وعكرمة ، قال : نسخت سورة الأنفال سورة الحشر قال أحمد : وبنا وكيع ، قال : بنا

فإن قيل : كيف يستقيم التفصيل بأشدية الرهبة مع أنهم كانوا لا يرهبن الله ، لأنهم لو رهبوه لتركوا النفاق والكفر ؟

قلنا : معناه أن رهبتهم في السر منكم أشد من رهبتهم من الله التي يظهرونها لكم ، وكانوا يظهرون للمؤمنين رهبة شديدة من الله تعالى .

فإن قيل : كيف قال إبليس ﴿ إني أخاف الله ﴾ وهو لا يخاف الله تعالى لأنه لو خافه لما خالفه ثم أشل عبيده ؟

قلنا : قد سبق هذا السؤال وجوابه في سورة الأنفال .

فإن قيل ما فائدة تنكير النفس والغد في قوله تعالى : ﴿ ولتنظر نفس ما قدمت لغد ﴾ [١٨] ؟

قلنا أما تنكير النفس فلاستقلال الأنفس النواظر فيما قدمت للأخرة كأنه قال : ولتنظر نفس واحدة في ذلك ، وأين تلك النفس . وأما تنكير الغد فلمظلمته وإيهام أمره كأنه قال لغد لا يعرف كنهه لمظلمه .

فإن قيل : كيف قال تعالى ﴿ لغد ﴾ وأراد به يوم القيامة ، والغد عبارة عن يوم بينه وبيننا ليلة واحدة ؟

قلنا : الغد له مفهومان : أحدهما ما ذكرتم . والثاني مطلق الزمان المستقبل ، ومته قول الشاعر :

وأعلم ما في اليوم والأس قبله

ولكنني من علم ما في غد صمي

وأراد به مطلق الزمان المستقبل كما أراد بالأس مطلق الزمان الماضي ، فصار لكل واحد منهما مفهومان ، ويؤيده

أيضا قوله تعالى ﴿ كان لم تفن بالأس ﴾ [يونس : ٢٤] وقيل إنما أطلق على يوم القيامة اسم الغد تقريبا له كقوله تعالى : ﴿ اقتربت الساعة ﴾ [القمر : ١] وقوله تعالى :

﴿ وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب ﴾ [النحل : ٧٧] وكأنه تعالى قال : إن يوم القيامة لقرينه شبه ما ليس بينكم وبينه إلا ليلة واحدة ، ولهذا روى عن النبي ﷺ أنه قال

« عمل لليلة صبيحتها يوم القيامة » قالوا أراد بتلك الليلة ليلة الموت .

فإن قيل : ما معنى قوله تعالى ﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل ﴾ [٢١] ؟

الرحمن الرحيم * هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون * هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴿ ٢١ ﴾ - [٢٤].

ومن الدرر آيتان :

قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وانتظر نفس ما قدمت لاعد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ﴾ ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون ﴿ ١٨، ١٩ ﴾ .

(جواهر القرآن ودرره / ١١٦ ، ١١٧) .

أما من حيث رسم المصحف بالنسبة لسورة الحشر فقد ذكر الإمام أبو عمرو الداني ما يلى :

١ - حذف الألف بعد واو الجمع فى ﴿ تسبوه ﴾ [٩] و﴿ جامو ﴾ [١٠] .

٢ - رسم الواو صورة للهمزة على مراد الاتصال أو التسهيل فى ﴿ جزا ﴾ [١٧] وذكر الخوارزمى ما يأتى :

٣ - ﴿ ياولى ﴾ [٢] بالف واحدة .

٤ - ﴿ كى لا ﴾ [٧] مقطوع .

(المقت / ٣٤ ، ٣٥ ، ٦٣ وموجز كتاب التقرىب / ٨٧) .

وأما بالنسبة لأنواع الوقف وهى التام ، والكافى ، والحسن ، والقيع بالنسبة لسورة الحشر فيبينها الإمام الداني على النحو التالى :

﴿ وهو العزيز الحكيم ﴾ [١] تام ﴿ لأول الحشر ﴾ [٢] كاف ومثله ﴿ أن يخرجوا ﴾ ، ومثله ﴿ فى قلوبهم الرعب ﴾ ﴿ يا أولى الأبصار ﴾ اكفى مما قبله ﴿ شاقوا الله ورسوله ﴾ [٤] كاف ﴿ شليل العقاب ﴾ تام . ﴿ على من يشاء ﴾ [٦] كاف ومثله ﴿ بين الأتية منكم ﴾ [٧] فانتهاؤه ﴿ كاف إن كان ﴾ ﴿ واتقوا الله ﴾ نسقا عليه ، وإن كان مبتدأ ، فهو تام . وتام الآية ﴿ وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ﴾ فقله تعالى ﴿ واتقوا الله ﴾ إسا نسق فيكون الوقف على ﴿ فانتهوا ﴾ كافيا وإما استئناف كلام جديد فيكون تاما ﴿ بهم خصاصة ﴾ [٩] تام ،

إسرائيل عن جابر عن مجاهد ، وعكرمة قالا : كانت الأنفال لله وللرسول ، فتنسختها : (واعلموا أننا غنمتم من شىء فإن لله خمسة وللرسول) .

والثانى : أن هذا الفى ما أخذ من أموال المشركين مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب ، كالصلح والجزية والعشور وما لم من مات منهم فى دار الإسلام ولا وراث له ، فهذا كان يقسم فى زمان رسول الله ﷺ خمسة أخماس فأربعة لرسول الله يفعل بها ما يشاء والخمس الباقى للمذكورين فى هذه الآية . واختلف العلماء فيما يصنع بهم الرسول ﷺ بعد وفاته ، فقال قوم : هو للخليفة بعده ، وقال قوم : يصرف فى المصالح فعلى هذا تكون هذه الآية مينة لحكم الفى والتى فى الأنفال مينة لحكم الغنيمة فلا يتوجه نسخ .

أخبرنا ابن ناصر ، قال : أبنا على بن الحسين بن أيوب قال : أبنا ابن شاذان ، قال : أبنا أبو بكر النجاد . قال : أبنا أبو داود السجستاني ، قال : أبنا أحمد بن محمد ، قال : سمعت على بن الحسين ، يقول : روى لنا الثقة أن عمر بن عبد العزيز ، قال : دخلت آية الفى فى آية الغنائم ، قال أحمد بن شويه هذا أشبه من قول قتادة ، وسورة الحشر نزلت بعد الأنفال بسنة فمحال أن ينسخ ما قبل ما بعد . قال أبو داود : وبنا غشيش بن أصرم ، قال بنا يحيى بن حسان ، قال : بنا محمد بن راشد ، قال : بنا ليث بن أبي رقية ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى أمراء الأجناد ، أن سبيل الخمس سبيل الفى (نواسخ القرآن / ٢٣٧ ، ٢٣٨) .

ويقسم حجة الإسلام الغزالي آيات القرآن الكريم إلى جواهر ودرر ، فيعرف الجواهر بأنها تلك الآيات التى وردت فى ذات الله عز وجل وصفاته وأفعاله خاصة ، وهو القسم العلوى . وأما الدرر فهى ما ورد فيه بيان الصراط المستقيم والحث عليه وهو القسم العملى .

فمن الجواهر فى سورة الحشر أربع آيات :

قوله ﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأنفال تضر بها للناس لعلهم يتفكرون ﴾ هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو

أما عن القراءات الشاذة في سورة الحشر فقد أوردها ابن خالويه في « مختصر في شذوذ القرآن » / ١٥٤ ، ١٥٥ ، وابن جني في « المحشبه » ٤١١ / ٢ ، والشيخ عبد الفتاح القاضى في « القراءات الشاذة » / ٨٩ ويمكنك الرجوع إلى هذه المصادر إن شئت .

(سعادة الدارين في بيان وعد آى معجز الثقلين - محمد بن على بن خلف الشهير بالحداد / ٧٣ ، ويصائر ذوى التمييز للإمام الفيروزآبادى - تحقيق الأستاذ محمد على التجار / ١ / ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، وتتأسق الدرر فى تناسب السور للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطى - دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا / ١٢٢ ، ١٢٣ وقد وضعت تعليقات المحقق بين أقواس فى ثانيا النص ، والتعريف والإعلام فيما لهم من الأسماء والأعلام فى القرآن الكريم للإمام أبى القاسم السبيلى / ١٦٥ - ١٦٧ ، ومقدمات الأثران فى مبهات القرآن للعلامة جلال الدين السيوطى - ضبطه وهنق عليه د. مصطفى ديب البنا / ١٠٧ ، وأسباب النزول للسيوطى - أيضا - تحقيق وتعليق فهدى أبى عميرة / ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ومسائل الرازى وأجوبتها من فرائب آى التنزيل لزين الدين الرازى - تحقيق إبراهيم عطوة عوض ، ط مصطفى الباقى الحلبى / ٣٣٩ - ٣٤٢ ، وهو نفسه بعنوان « الأنموذج الجليل من فرائب آى التنزيل - تحقيق إبراهيم عطوة عوض ونخبة من علماء مجلة الأثر - مجلة مجلة الأثر - رجب ١٤١٠ هـ / ٤٧٨ - ٤٨١ وتراجم القرآن للحافظ ابن الجوزى / ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، وجمهر القرآن ودرره لحجة الإسلام الإمام أبى محمد الغزالي / ١١٦ ، ١٦٧ والمفتح فى رسم مصاحف الأضمار لأبى عمرو الدانى - تحقيق محمد الصادق قمصانى / ٣٤ ، ٣٥ ، ٦٣ ، وموجز كتاب الترتيب فى رسم المصحف الضماني ليوستف بن محمود الخولوى - تحقيق عبد الرحمن آلجوى / ٨٧ ، والمكتفى فى الوقف والإشدا لأبى عمرو الدانى - دراسة وتحقيق جابيد زيدان مخلف / ٣٤٩ ، وكتاب السبعة فى القراءات لابن مجاهد - تحقيق د. شوكى ضيف / ٦٢٢ ، ومشن حيز الأمانى ووجه التهاتى للإمام الشاطبى ، وممه كتاب تزيين الطبع فى القراءات السبع - الشيخ على محمد القبايع / ١٨٦ ، والمبسوط فى القراءات العشر لابن مهران الأصبهائى - تحقيق سبيع حمزة حاكى / ٤٣٣ ، ننظر أيضا أسرار التكرار فى القرآن أو البرهان فى ترجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان لشيخ القراء الكرملى / ١ / ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ودفع إيهام الاضطراب من آيات الكتاب الشيخ محمد الأمين الجكنى الشنيطى / ٢٩١ ، وألفية الضمير -

والفواصل قبل وبعد كافة ﴿ خلا للذين أمنا ﴾ [١٠] كاف ﴿ رحيم ﴾ تام ، ومثله ﴿ ثم لا يصبرون ﴾ ﴿ لتصبرنكم ﴾ [١١] كاف ﴿ أو من وراء جدر ﴾ [١٤] تام ﴿ ولقوهم شتى ﴾ كاف ومثله ﴿ ويال أمرهم ﴾ [١٥] ومثله ﴿ خالدين فيها ﴾ [١٧] وقال الأخفش ﴿ كمثل الذين من قبلهم قريبا ﴾ [١٥] تمام الكلام ، أى حديثا ، قال ثم قال الله ﴿ ذاقوا وصال أمرهم ﴾ ﴿ وذلك جزاء الظالمين ﴾ [١٧] تام ، ومثله ﴿ وأصحاب الجنة ﴾ [٢٠] الأول ، ومثله ﴿ الفائزون ﴾ ومثله ﴿ يتفكرون ﴾ [٢١] وكذلك الفواصل إلى آخر السورة ﴿ من خشية الله ﴾ [٢١] تام ﴿ المتكبر ﴾ [٢٣] كاف ، ومثله ﴿ الأسماء الحسنى ﴾ [٢٤] ومثله ﴿ والأرض ﴾ .
(المكتفى / ٣٤٩) .

وأما من حيث القراءات السبع كما أوردها ابن مجاهد فهى كما يلى :

- ١ - قوله تعالى : ﴿ يَخْرُجُونَ يَوْمَهُمْ ﴾ [٢] .
قرأ أبو عمرو وحده : ﴿ يَخْرُجُونَ يَوْمَهُمْ ﴾ مشددة .
وقرأ الباقرن : ﴿ يَخْرُجُونَ ﴾ خفيفة .
- ٢ - قوله تعالى : ﴿ أو من وراء جدر ﴾ [١٤] .
قرأ ابن كثير وأبو عمرو : ﴿ أو من وراء جدر ﴾ بألف .
وقرأ الباقرن : ﴿ جدرم ﴾ جماعة .
- ٣ - قوله تعالى : ﴿ إني أخاف الله ﴾ [١٦] .
قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو : ﴿ إني أخاف ﴾ بفتح الباء وأسكنها الباقون (كتاب السبعة فى القراءات / ٦٢٢) .
وفى ذلك يقول الإمام الشاطبى رحمه الله :
وفى رسالى اليسا يخسرون الثليل (ح - ز)
ومع دولة أنث يكسون بخلف (ل - لا)
وكسر جملار ضم والفتح والقصورا
(ذوى) (أ) مسوة أنى يساء تـ صـ صـ لا
(من حـز الأمانى / ١٨٦) .
- ومن حيث القراءات العشر : قرأ أبو جعفر (كى لا تكون) [٧] بقاء ، (دولة) بالرفع ، وقرأ الباقرن ﴿ يكون ﴾ بالياء ، ﴿ دولة ﴾ بالنصب (المبسوط فى القراءات العشر / ٤٣٣) .

إلى حيث لا يدرى ويخرج من الشام إلى العراق وهاجر من أرض إلى أرض .
وكتول النابغة :

لعمري وما عمري على بهين
لقد نطقت بطلا على الأفاع
فقله وما عمري على بهين حشو يتم الكلام بدونه ولكنه محمود لما فيه من تقخيم اللفظ وتأكيذ المراد .

وأما الضرب الثالث فهو الحشو والحسن اللطيف كقول عوف بن محلم :

إن الشمساتين وبلغتهما
قد أحوجت سمي إلى ترجمان
فقله وبلغتهما حشو مستغنى عنه في نظم الكلام ولكنه حسن في مكانه وأوقع في المعنى المقصود . وكان ابن عباد يسمى هذا الحشو حشو اللوزنج لأن حشو اللوزنج خير من خبزته . ومن هذا الضرب قول طرفة .

لنقى ديارك غير مفسدها
صوب الربيع وديمة تهيم
فقله غير مفسدها حشو ولكن ما لحسنه نهاية . ومن ذلك قول عدى بن زيد لأبيه زيد وعدى في حبس النعمان :

فلمس كنت الأسير ولا تكنه
إن علمت معد ما أقول
فقله ولا تكنه حشو لا يخفى حسنه وبراعته . ومن ذلك قول البحتري :

إن السحاب أخاك جاد مثل ما
جسادت بساك لسواته لم يضرر
فقله أخاك حشو ولكن ما لحسنه غاية . ومن ذلك قول ابن المعتز :

إن يحيى لا زال يحيا صديقي
وخليلى من دون هسلى الأنعام
فقله لا زال يحيا حشو يرى على حشو اللوزنج . ومن ذلك قول أبي الطيب المتنبي :

حين على دحلى / ٦٦ ، ٦٧ ، ولباب النزول لأبي الحسن على بن أحمد الرازي التيسيري / ٢٧٨ - ٢٨١ ، وإبراز المعاني من حرز الأمان للإمام أبي شامة / ٦٩٩ ، ومختصر في شواذ القرآن من كتب البديع لأبن خالويه / ١٥٤ ، ١٥٥ ، والقرابات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب - عبد الفتاح القاضي / ٨٩ ، والمحب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لأبي الفتح عثمان بن جني - بتحقيق علي التتجدي ناصف ود . عبد الفتاح إسماعيل شلي / ٢ / ٤١١ ، وتيسير الوصول إلى جامع الأصول للإمام ابن الدبع الشيباني / ١ / ١٨٠ ، ١٨١ .

ملاحظة : الصورة المصاحبة لهذه المادة أخذت من كتاب موسوعة المخطوط العربية وزخارفها - معروف زريق / ٢١٥ شكل ١١٧ .

• الحشو :

قال صاحب اللسان : حشو البيت من الشعر : أجزاءه غير عروفيه وضربه ، وهو من ذلك . والحشو من الكلام : الفضل الذي لا يعتمد عليه (اللسان ١٠ / ٨٩١) .

وقال صاحب لغة الملة في فصل في الحشو :

العرب تقيم حشو الكلام مقام الصلة والزيادة وتجريه في نظام الكلمة وهو على ثلاثة أضرب ضرب منها ردى ملموم كقول الشاعر :

صمدودكم والليدار فتيمة

أهدى لرأسى ومفرقى شيئا
فقله مفرقى مع ذكر الرأس حشو بغيض . وكقول الآخر :

إذا لم يكن للمرء في دولة امرئ

نصيب ولا حظ تمنى زواله
والنصيب والحظ بمعنى واحد : وأما الضرب الأوسط فكقول امرئ القيس :

الأهل أئامها والحوادث جمه

بأن امرأ القيس بن تملك يبقرا
فقله والحوادث جمه حشو مستغنى عنه ولكن لا بأس به في موضعه .

(في كتب اللغة يقر هلك وفسد ومشى كالمتكبر ويخرج

زائداً، وهوشيه بالانفصات من جهة، وبالإحتراس من جهة أخرى، فما كان هكذا فهو الجيد، وليس بحشو إلا على المجاز، أو بعد أن ينعت بالجوادة والحسن، أو يضاف إليه، وإذنا يطلق اسم الحشو على ما قدمت ذكره مما لا فائدة فيه. وقد أتى العتاي بما فيه كفاية حيث يقول:

إن حشمو الكلام من لكسة الممر

هـ وإيجازه من التثـمـر
فجعل الحشو لكنة، وليس كل ما يحشى به الكلام لزيادة فائدة لكنة، وإذنا أراد ما لا حاجة إليه ولا منفعة، كقول أبي صفوان الأسدي يذكر بازياً:

تري الطير والوحش من غوفه

حسواجر منه إذا ما اغشى
ف قوله « منه » بعد قوله « من غوفه » حشو لا فائدة فيه، ولا معنى له، وكذلك قوله أبي تمام يصف نصيدة:

غسلها ابنه الفكر المعهل في السجى

والليل أسود حلالك الجلباب
ف قوله « السجى » حشو؛ لأن في القسم الثاني ما يدل عليه من زيادة استمارتين مليحتين، فإن لم يكن في القسم الأول حشو كان القسم الثاني يائره فضلة. وقال أبو الطيب في نحو من ذلك:

إذا احتل سيف السدولة احتلت الأرض

ومن لوفوها والبأس والكسرم المحض
ف قوله « والبأس » حشو؛ لأن قوله « ومن لوفوها » دال على الإنس والجن جميعاً، والبأس والكسرم جميعاً، اللهم إلا أن يحمله على تأويلهم في قول الله تعالى: ﴿ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُومَانٌ ﴾ [الرحمن: ٦٨] فأعاد ذكرهما وهما من الفاكهة لفضلهما، وقوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ﴾ [البقرة: ٩٨] فإن هنا سائغ وليس بحشو حيثئذ.

ومن الحشو قول الكلجة اليربوعي:

إذا المرء لم يقش الكريهة أوشكت
حبال لهوننا بالفتى أن تقطعنا

ويحشر السانيا احتضار مجرب

يرى كل ما فيها وحاشاه فانيا
فقوله وحاشاه حشو يجمع الحسن والطيب. ومن ذلك قول ابن عباد:

قل لأبي القسـمـ اسم إن جيتـه

هنتت مـما أعطيت هنتـه
كل جمـعـال فـسـالـق وألق

أنت بـمـرغم البـدر أوبـتـه
فقوله بمرغم البدر حشو يطر منه ماء الطرف. ومن ذلك قول أبي محمد الخازن الأصبهاني رحمه الله للمصاحب:

فأبه طربة للمعول إن الكريم وأنت معناه طروب

فقوله وأنت معناه حشو يعجز الوصف عن حسنه وحلاوته (فقه اللغة / ٢٦٠-٢٦٢).

وقال صاحب المعدة في الحشو وفضول الكلام، وهو يمدنا بمزيد من الأمثلة:

وسماه قوم الإنكاه، وذلك أن يكون في داخل البيت من الشعر لفظ لا يفيد معنى، وإذنا أدخله الشاعر لإقامة الوزن، فإن كان ذلك في القافية فهو استدعاء، وقد يأتي في حشو البيت ما هو زيادة في حسنه وتقوية لمعناه: كالكلى تقدم من التميم، والانفصات، والاستثناء، وغير ذلك، مما ذكر آنفاً. من ذلك قول عبد الله بن المعتز يصف خيلاً:

صبيها عليها ظالمين سياطنا

فطارت بها أبعد سسراع وأرجل
فقوله « ظالمين » حشو أقام به الوزن، وبالغ في المعنى أشد مبالغة من جهته، حتى علمنا ضرورة أن إتيانه بهذه اللفظة التي هي حشو في ظاهر الأمر أفضل من تركها، وهذا شبيه بالتنجيم... وقال الغزدقي:

ستأنيك منى إن بقيت قصائد

يقصم عن تحبيرها كل قائل
فقوله « إن بقيت » حشو في ظاهر لفظه، وقد أفاد به معنى

قضى لها الله حين صورها
سخر خلق أن لا يكتفها سرف
والإنكاه عنده الإنقاذ هو قول الشاعر « صورها الخالق »
لأن اسم الله تعالى قد تقدم .

ووجدت الحذاق يعييون قول ابن الجلابية - وهي أمه ،
واسمه قيس بن معاذ :

إن للفؤاد قد أسى هالماً كلفاً
قد شغفه ذكر سلمى اليوم فانتكساً
لحشوه بـ « قد » في موضعين من البيت ثم بـ « أسى »
وبـ « اليوم » على تناقضهما وعاب الحاتمي على الأعرابي
قوله :

فرميت غفلة قلبه عن شائته
فأصبحت حبة قلبها وطحهاها
لأن تكرير « القلب » عنده حشو لا فائدة فيه ، وهذا
نصف من الحاتمي لأن قلبه غير قلبها ، فإنما كرر اللفظ دون
المعنى ، ورأيت روايته في أكثر النسخ « حبة قلبه وطحهاها »
وهو غلط ، ومن ههنا عابه فيما أظن ، ومن الناس من روى
« فرميت غفلة عينه عن شائته » وهي رواية مشهورة صحيحة .

ونعوا على أبي العيال الهذلي قوله :
ذكرت أختي فـ ما وندى
صداع الرأس والسوصب
لأن « الصداع » من أدواء الرأس خاصة ، فليس للذكر
الرأس معه معنى ، وعلى جميل قوله :

وما ذكرتك النفس بسا بن مرة
من الشعر إلا كادتك النفس تلحف
لتكرير « النفس » ليس له وجه ههنا ، وللتكرير موضع
يحسن فيه .

ومن الحشو نوع سماه قدامة التفصيل - بالفاء - وزعم قوم
أنه بالعين كأنهم يجعلونه اوجاجاً من قولهم : ناب أعصم ،
وجعله آخرون بالعين وضاد معجمة ، كأن عندهم من :
تعصل الولد ، إذا عسر خروجه واعترض في الرحم ،

فقوله « بالفتى » حشو ، وكان الواجب أن يقول « به » لأن
ذكر المرأة قد تقدم ، إلا أن يريد في قوله بالفتى الزيادة
والأطنوة فإنه يحتمل .

(الأطنوة : من الطنز - بفتح الطاء وسكون النون ، وفي
آخره زاي - وهو السخرية ، وباب فعله نصر ، والرجل طناز -
بالفتح وتشديد النون - قال صاحب المختار : « وأظنه مولداً أو
معرباً » .

وقال زيد الخيل يخاطب كعب بن زهير :
يقول : أرى زيدا وقد كان مسلماً
أراه للمعري قد تمسك بالمرء والفتى
فقوله « أراه للمعري » حشو واستراحة يستغنى عنها بقوله
« أرى زيدا » .

ومما يكثر به حشو الكلام « أضحى ، ويات ، وظل ،
وغدا ، وقد ، ويوما ، وأضبابها ، وكان أبو تمام كثيراً ما يأتي
بها ، ويكره للشاعر استعمال « ذا ، وذى ، والذي ، وهو ،
وهذا ، وهذى » وكان أبو الطيب مولماً بها ، مكثراً منها في
شعره ، حتى حملته حبه فيها على استعمال الشاذ وركوب
الضرورة في قوله :

لو لم تكن من ذا السورى لك منك هو
فلمت بمولد نسلها حسوا
وكذلك يكره للشاعر قوله في شعره « حقا » إلا أن تقع له
موقعها في قول الأخطل :

فأقسم المجدد حقا لا يحالفهم
حتى يحالف بطن الرحاة للشعر
فإن قوله ههنا « حقا » زاد المعنى حسناً وتوكيداً ظاهراً .
ولقد أحسن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر في قوله
لأبن المعتز :

ولو قبلت في حادثة الشعر فدية
لقلنا على التحقيق نحن فلان
فقوله « على التحقيق » حشو مليح فيه زيادة فائدة .
ومن الناس من يسمى هذا النوع من الكلام ارتقاعاً ، وأنشد
بعض العلماء قول قيس بن الخطيم .

الصابر إذا تيقن بالدوام ويزول الحوادث والشكائد هان عليه الصبر على المكروه لورثته بالخلاص عليه بخلاف العطاء فإن المخلود يزيد في الحاجة إلى المال فيزيد فضل العطاء مع المخلود .

أقول قوله : والندى ليس بحشو كما زعموا لأن المال مخلوق لوقاية النفس عن الهلاك لأنه يتوسل به إلى دفع الجوع الذي يفضي إلى الهلاك ، لأن البدن بسبب اشتغال الحرارة الغريزية يتحلل ويتجفف فلو لم يصل إليه بدل ما يتحلل من المأكولات والمشروبات يشرف على الهلاك بل يهلك ، وأيضا يتشبت بالمال إلى رفع الأمراض التي توصل إلى الإقناء لو لم يصل إليه الدواء فلا جرم أن المال وسيلة البقاء فإذا علم الجواد أنه يحتاج إلى المال في الحال وفي المال ومع هذا يجود به على الأفيار كان في غاية الفضل كما مدح الله تعالى اللين يلبسون أموالهم مع احتياجهم إليها بقوله ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ [العشر : ٩] ولو لم يكن الموت والردى لم يكن فضل اللين والندى . والحشو الغير المفسد للمعنى كلفظ قبله في قوله زهير بن أبي سلمى :

فأعلم علم اليوم والأمس قبله

ولكنني عن علم مسأ في غمد عسى

ف قوله « قبله » صفة الأسى بتقدير الكائن قبله وهو الوصف للتأكيد وهو حشو إذ لا فائدة في التأكيد فيه بخلاف أبصرته بمعنى وسمعت بأذني وضرت يدي فإنه يدفع التجوز بالإحصار والسماع عن العلم بلا شبهة وبالضرب عن الأثر به فهذه إنما تقال في مقام التقر إلى التأكيد ومثل هذا وقع في التنزيل نحو ﴿ فويل لهم مما كتبت أبديهم ﴾ [البقرة : ٧٩] ونحو ﴿ يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم ﴾ [آل عمران : ١٦٧] ونحو ﴿ ما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ﴾ [الأنعام : ٣٨] هذا كله خلاصة ما في المطول والأطول .

ثم يقول صاحب كشف اصطلاحات الفنون عن الحشو في العروض :

الحشو في العروض وهو الأجزاء المذكورة بين المصدر

وظاهر البيت الذي أنشده قدامة يدل على أنه التفصيل - بالقاء - وهو قول دريد بن الصمة :

ويبلغ نعيمرا - إن عرصت - ابن صاصر

وأى أخ في النسائيات وطالب

ويجري هذا المجزى قول أبي الطيب ، بل هو أفتح منه :

حملت إليه من لساني حليقة

سقامها الحيا معنى الرياض المسحاب

لأن التفرقة بين النعت والمنعوت أسهل من التفرقة بين المضاف والمضاف إليه ، وهما بمنزلة اسم واحد ، فإذا شئت أن تجعل بيت ابن المظالم « حين صورها الخالتي » من هذا النوع جاز لك ؛ فيكون التشديد قسسى لها الله الخالتي حين صورها .

(الممددة ٢ / ٦٩ - ٧٢) .

وقال صاحب كشف اصطلاح الفنون :

الحشو بالفتح وسكون الشين المعجمة في اللغة بمعنى درميان الختاده زائد وشران خرد ومردم فرومابه كما في كنز اللغات وعند النحاة هو الصلة في اليباب القضية التي بها يتم الموصول تسمى صلة وحشواه وعند أهل العروض والشعراء هو الركن الأوسط من المصراع كما في رسالة قطب الدين السرخسي وعروض سيئي وعند أهل المعاني هو أن يكون اللفظ زائدا لا لفائدة بحيث يكون الزائد متعينا فيفيد لا لفائدة خرج الإطناب ويقد التعمين خرج التطويل الذي سماه صاحب جامع الصنائع بالحشو القبيح . وهو قسمان لأن ذلك الزائد إما أن يكون مفسدا للمعنى أو لا يكون فالحشو المفسد كلفظ الندى في بيت أبي الطيب :

ولا فضل فيها للشجاعة والندى

وحصر الفتى لولا لقاء شعوب

أي المنية يعني لا فضيلة في الدنيا للشجاعة والعطاء والصبر على الشكائد على تقدير عدم الموت وهذا يصح في الشجاعة والصبر دون العطاء فإن الشجاع إذا تيقن بالمخلود هان عليه الاقتحام في الحروب لعدم خوف الهلاك وكذا

والحشوية إحدى طائفتي المشبهة ، وهما الرافضة من الشيعة ، والحشوية من أهل الحديث الذين تمسكوا بظواهر الأحاديث التي تشعر بالثنائية ، وهذه الطائفة يمثلها عبد الله ابن محمد بن كلاب ، ولقد كان تمسكهم في تشبيههم بأحاديث موضوعة ولمسوسة على الدين الإسلامي ، أو بالظاهر من بعض الآيات والأحاديث (اعتقادات فرق المسلمين والمشرّكين / ١٠٠) .

وقال الشهرستاني في معرض كلامه على المشبهة :
غير أن جماعة من الشيعة الغالية ، وجماعة من أصحاب الحديث الحشوية صرحوا بالثنائية مثل : الهاشمين من الشيعة . ومثل مضر ، وكهمس ، وأحمد الهجيمي وغيرهم من الحشوية قالوا : معبودهم على صورة ذات أعضاء وأيساف ، إما روحانية ، وإما جسمانية . ويجوز عليه الانتقال والنزول والصعود والاستقرار والتمكن .

وأما مشبهة الحشوية ؟ فحكى الأشعري عن محمد بن غيس أنه حكى عن مضر ، وكهمس ، وأحمد الهجيمي : - أنهم أجازوا على ربهم الملامسة والمصافحة . وأن المسلمين المخلصين يعانقونه في الدنيا والآخرة إذا بلغوا في الريافة والاجتهاد إلى حد الإخلاص والاتحاد المحض .

وحكى الكشي عن بعضهم أنه كان يجوز الرؤية في دار الدنيا ، وأن يزوره ويؤروه .

وحكى عن داود الجواربي أنه قال :

وقال : إن معبوده جسم ، ولحم ، ودم . وله جوارح وأعضاء من يد ، ورجل ، ورأس ، ولسان ، وعينين ، وأذنين . ومع ذلك جسم لا كالأجسام ، ولحم لا كالألحم ، ودم لا كالدماء ، وكذلك سائر الصفات ، وهو لا يشبه شيئاً من المخلوقات ، ولا يشبهه شيء ...

وأما ما ورد في التنزيل من الاستواء ، والوجه واليدين ، والجنب ، والمجيء ، والإتيان والفرقية وغير ذلك فأجروها على ظاهرها ، أعنى ما يفهم عند الإطلاق على الأجسام ، وكذلك ما ورد في الأخبار من الصورة وغيرها في قوله عليه الصلاة والسلام : « خلق آدم على صورة الرحمن » وقوله

والعروض وبين الابتداء والضرب من البيت مثلاً إذ كان البيت مرياً من مفاعيل ثمانى مرات فمفاعيل الأول صدر والثاني والثالث حشو والرابع عروض والخامس ابتداء والسادس والسابع حشو والثامن ضرب وإذا كان مرياً من مفاعيل أربع مرات فمفاعيل الأول صدر، والثاني عروض ، والثالث ابتداء ، والرابع ضرب ، فلا يوجد فيه الحشو هكذا في رسالة السيد المرحاني (كشف اصطلاحات الفنون / ١ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦) .

(لسان العرب لابن منظور / ١٠ ، ٨٩١ ، وفيه اللغة وأسرار العربية لأبي منصور النعماني / ٢٦٠ - ٢٦٢ ، والمعدة لابن رشيق - حققه وفضله وعلّق على حواشيه محمد محيى الدين عبد الحميد / ٢ - ٦٩ ، ٧٢ ، وكشف اصطلاحات الفنون للتهامي / ١ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦) .

• الحشوية :

الحشوية يسكنون الشين وفتحها وهم قوم تمسكوا بالظواهر فذهبوا إلى التجسيم وغيره وهم من الفرق الضالة قال السيكي في شرح أصول ابن الحاجب : الحشوية طائفة ضلوا عن سواء السبيل يجبرون آيات الله على ظاهرها ويتخذون أنه المراد سمو بذلك لأنهم كانوا في حلقة الحسن البصري فوجدتهم يتكلمون كلاماً فقال ردوا هؤلاء إلى حشاه الحلقة فتسبوا إلى حشاه فهم حشوية يفتح الشين وقيل سمو بذلك لأن منهم المجسمة أو هم والجسم حشو فعلى هذا القياس فيه الحشوية يسكنون الشين نسبة إلى الحشو .

وقيل المراد بالحشوية طائفة لا يرون البحث في آيات الصفات التي يتعذر إجراؤها على ظاهرها بل يؤمنون بما أرواه الله مع جزمهم بأن الظاهر غير مراد ويفضون التأويل إلى الله وعلى هذا إطلاق الحشوية عليهم غير مستحسن لأنه مذهب السلف انتهى . وقيل طائفة يجزؤون أن يخاطبوا الله بالمهمل ويعطون الحشو على الدين فإن الدين يتلقى من الكتاب والسنة وهما حشو أى وإسطة بين الله ورسوله وبين الناس كما ذكر الخفاجي في سورة البقرة في حاشية البضاوى في تفسير قوله تعالى : ﴿ فإِذَا يَأْتِيَكُمُ مِنَ الْبَقَرَةِ ﴾ [البقرة : ٣٨] (كشف اصطلاحات الفنون / ١ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧) .

بل قولهم إن السموات العلى
فى كف خالق هذه الأكوان
حقا كخسرلة تسرى فى كف
ممكها تعالى الله ذو السلطان
أثرونه المحصور بعد أم السما
يا قومنا ارتفعوا عن العدوان
كم ذا شبهة وكم حشوية
فالبهت لا يخفى على الرحمن
يا قوم إن كان الكتاب
وسنة المختار حشوا فاشهدوا ببيان
أنا بعمد إلها حشوية
صرف بلا جحد ولا كتمان
تكون من سمع فيسوخكم بهدا
الاسم فى الماضى من الأزمان
سمى به ابن عيسى عبد الله ذا
لدين الخليفة طارد الشيطان
فورثتم عمرا كعسا ورثوا
لبد الله أنى يستوى الإرثان
تكون من أولى بهذا الاسم
وهو مناسب أحباله بوزان
من قد حشا الأوراق والأذهان من
بدع تنالف بموجب القرآن
هذا هو الحشوى لا أهل الحد
يث أمة الإسلام والإيمان
وردوا على مناهل السنن التى
ليست زبالة هذه الأذهان
(من القصصين الثوبية والعجبة / ١٠١ ، ١٠٢) .

(كشاف اصطلاحات الفنون للهانرى / ١ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧
واعقادات فرق المسلمين والمشرى لقهر الدين الرازى . وبعه
كتاب المرشد الأين إلى اعتقادات فرق المسلمين والنشركين -

حتى يضع الجبار قدمه فى النار » وقوله « قلب المؤمن بين
أصبعين من أصابع الرحمن » وقوله « خسر طينة آدم بيده
أربعين صباحا » وقوله « وضع يده أو كفه على كتفى » وقوله
« حتى وجدت برد أنامله على كتفى » إلى غير ذلك « أجروها
على ما يتعارف فى صفات الأجسام .

وزادوا فى الأخبار أكاذيب وضعوها ونسبوها إلى النبى عليه
الصلاة والسلام ، وأكثرها مقتبسة من اليهود ، فإن التشبه
فيهم طبع ، حتى قالوا : اشتكت عيناه فمادته الملائكة ،
ويكى على طوفان نوح حتى رمدت عينه ، وإن العرش لتلط
من تحت كأطيط الرجل الحديد ، وإنه ليفضل من كل جانب
أربع أصابع (يسط : يرسل صرنا من ثقل ما يحمل) .

وروى المشبهة عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال :
« لقينى ربي فصافحنى وكافحنى ، ووضع يده بين كتفى حتى
وجدت برد أنامله » (الملل والنحل / ١ ، ١٠٥ ، ١٠٦) .

وفى قصيدته الثوبية الجامعة يهاجم الإمام ابن القيم أولئك
الذين لقبوا أهل الحديث بالحشوية ، ويبين أنهم هم أولى
بالوصف المذموم من هذا القلب فيقول :

ومن المعجائب قولهم لمن التحدى
بالسوحى من أثر ومن قرآن
حشوية يعنون حشوا فى الوجوه
د وفضللة فى أمة الإنسان
ويظن جبابلهم بأنهم حشوا
رب العباد بملأخل الأكوان
إذ قولهم فوق العباد وفى السما
« العرب ذو الملكوت والسلطان
ظن الحمير بأن فى اللظرف والبر
حمن محسوى بظظرف مكيان
والله لم يسمع نكلا من قسرة
قائنه فى زمن من الأزمان
لا تبهنوا أهل الحديث بيه فما
ذا قولهم بنا لندى البهتان

الناس يحدثون التشار، وعلى تناول القليل منها والكثير حد الشرب ثمانون سوطا أو أربعين ، إذا كان مسلما يعتقد تحريم المسكر ويغيب العقل ، وتتنازع الفقهاء في نجاستها على ثلاثة أقوال :

أحدها : أنها ليست نجسة .

والثاني : أن ماؤها نجس وإن جامدًا طاهر .

والثالث : وهو صحيح أنها نجسة كالخمر ، فهذه تشبه العلوة وذلك يشبه البرل وكلاهما من الخبائث التي حرّمها الله ورسوله ، ومن ظهر منه أكل الحشيشة فهو بمنزلة من ظهر منه شرب الخمر وشرب منه من بعض الرجوه ويهجر ويعاقب على ذلك .

كما يعاقب هذا للموعيد الوارد في الخمر ، مثل قوله ﷺ : « لعن الله الخمر وشاربها وساقبها وباتمها ومبتاعها وحاملها وأكل ثمنها » .

قالت المؤلفّة : هذا الحديث الشريف أخرجه الحافظ السيوطي في الجامع الصغير بلفظ « لعن الله الخمر وشاربها وساقبها وباتمها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وأكل ثمنها » من رواية أبي داود والحاكم عن ابن عمر وقال عنه حديث صحيح (الجامع الصغير ٧ / ١٢٩) .

ومثل قوله « من شرب الخمر لم يقبل الله له صلاة أربعين يوما ، فإن تاب تاب الله عليه فإن عاد وشربها لم يقبل الله له صلاة أربعين يوما ، فإن تاب تاب الله عليه ، وإن عاد فشرها في الثالثة أو الرابعة كان حقا على الله أن يسقيه من طينة الخبال » وهي عصارة أهل النار .

وقد ثبت في الصحيح عنه ﷺ أنه قال « كل مسكر حرام » وسئل عن هذه الأشربة وكان قد أوتي جوامع الكلم فقال ﷺ « كل مسكر حرام » .

وسئل أيضا ما يجب على أكل الحشيشة ومن ادعى أن أكلها جائز حلال مباح .

فأجاب رحمه الله قائلا: أكل هذه الحشيشة الصلبة حرام وهي من أخبث الخبائث المحرمة وسواء أكل منها قليلا أو

طه عبد البروف سعد ومصطفى الهوراني / ١٠٠ ، والمال والنحل للشهرستاني - تحقيق محمد سيد كيلاني / ١٠٥ ، ١٠٦ ، ومتن القصيدتين الزونية والعجبية للعلامة ابن القيم / ١٠١ ، ١٠٢ .

• الحشيش

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية فيمن يأكل الحشيش ما يجب عليه ؟

فأجاب رحمه الله قائلا :

الحمد لله . هذه الحشيشة الصلبة حرام سواء أسكر منها أو لم يسكر ، والمسكر منها حرام باتفاق المسلمين ، ومن استحل ذلك وزعم أنه حلال فإنه يستتاب ، فإن تاب وإلا قتل مرتدا لا يصلي عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين وأما إن اعتقد ذلك قربة وقال هي قيمة الذكر والفكر ، وتحرك العزم الساكن إلى أشرف الأماكن ، وتنفذ في الطريق ، فهو أعظم وأكبر ، فإن هذا من جنس دين النصارى الذين يتقربون بشرب الخمر ، ومن جنس من يعتقد الفواحش قرية وطاعة قال الله تعالى ﴿ وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون ﴾ [الأعراف : ٢٨] ومن كان يستحل ذلك جاهلا وقد سمع بعض الفقهاء يقول :

حرام موهما من غير عقل ونقل

وحرام تحريم غير الحرام

فإنه ما يعرف الله ورسوله وأنها محرمة والسكر منها حرام ، بالإجماع ، وإذا عرف ذلك ولم يقر بتحريم ذلك فإنه يكون كافرا مرتدا كما تقدم ، وكل ما يغيب العقل فإنه حرام وإن لم تحصل به نشوة ولا طرب ، فإن تغيّب العقل حرام بإجماع المسلمين ، وأما تعاطي البنج الذي لم يسكر ولم يغيب العقل ففيه التعليل وأما المحققون من الفقهاء فعملوا أنها مسكرة ، وإنما يتناولها القنجر لما فيها من النشوة والطرب ، فهي تجماع الشارب المسكر في ذلك والخمر توجب الحركة والخصومة وهذه توجب الفتور والفلّة . وفيها مع ذلك من فساد المزاج والعقل وفتح باب الشهوة وما توجبه من اللذائفة مما هي من شر الشراب المسكر وإنما حدثت في

فأجاب رحمه الله : لا يجوز أن يولى الإمامة بالناس من يأكل الحشيشة أو يفعل شيئا من المنكرات المحرمة مع إمكان تولية من هو خير منه ، كيف وفى الحديث « من ملك رجلا عملا على عصابة وهو يجد فى تلك العصابة من هو أرمى منه فقد خان الله وخان رسوله وخان المؤمنين » وفى حديث آخر « إذا أُم الرجل القوم وفيهم من هو خير منه لم يزالوا فى شقاء » .

وقد ثبت فى الصحيح أن النبى ﷺ قال « يؤم القوم أقرهم لكتاب الله فإن كانوا فى الفراة سواء فأعلمهم بالسنة فإن كانوا فى السنة سواء فأقنمهم هجرة ، فإن كانوا فى الهجرة سواء فأقنمهم سببا » فأمر النبى ﷺ بتقدم الأفضل فى العلم والكتاب والسنة ، ثم الأسبق إلى العمل الصالح بنفسه ، ثم بفعل الله تعالى .

وفى سنن أبى داود وغيره أن رجلا من الأنصار كان يصلى بقوم إماما فبصق فى القبلة فأمرهم النبى ﷺ أن يعزلوه عن الإمامة ولا يصلوا خلفه ، فجا إلى النبى ﷺ فسأل هل أمرهم بعزله : فقال : نعم إنك أنيت الله ورسوله . فإذا كان قد أمر بعزله عن الإمامة لأجل إتيانه فى الصلاة ببصافة إلى القبلة فكيف بالمصبر على أكل الحشيشة ، لا سيما إن كان مستحلا لذلك كفر بلا نزاع وأما احتجاج المعارض لما ذكر من قوله تجوز الصلاة خلف كل بر وفاجر فهذا غلط فيه لوجوه .

أحدها : أن هذا الحديث لم يثبت عن النبى ﷺ بل فى سنن ابن ماجه عنه « لا يؤم فاجر مومنا إلا أن يقهره بسوط أو عصا » .

الثانى : أنه قد يجوز للمأموم أن يصلى خلف من ولى فإن كان توليه لا يجوز فليس للناس أن يولوا عليهم الفساق ، وإن كان قد ينفذ حكمه أو تصح الصلاة خلفه .

الثالث : أن الأئمة متفقون على كراهية الصلاة خلف الفاسق لكن اختلفوا فى صحتها ، فقيل : لا تصح كقول مالك وأحمد فى إحدى الروايتين عنهما ، وقيل بل تصح كقول أبى حنيفة . والشافعى والرواية الأخرى عنهما ، ولم يتنازعا أنه لا ينبغي توليته .

كثيرا ، لكن الكثير المسكر منها حرام باتفاق المسلمين ، ومن استحل ذلك فهو كافر يستتاب فإن تاب وإلا قتل كافرا مرتدا لا يغسل ولا يصلى عليه ولا يدفن بين المسلمين ، وحكم المرتد شر من حكم اليهودى والنصرانى ، وسواء اعتقد أن ذلك يحل للعامة أو للخاصة الذين يزعمون أنها لقمة الفكر والذكر ، وأنها تحرك العزم الساكن إلى أشرف الأماكن وأنهم كذلك يستعملونها وقد كان بعض السلف ظن أن الخمر تباح للخاصة متاولا قوله تعالى : « ليس على الذين آمنوا واصلوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا » [المائدة : ٩٢] فلما رفع أمرهم إلى عمر بن الخطاب وتشاور الصحابة فيهم اتفق عمر وعلى وغيرهما من علماء الصحابة على أنهم إن أقروا بالتحريم جلدوا ، وإن أصروا على الاستحلال قتلوا ، وهكذا حشيشة الشب من اعتقد تحريمها وتناولها فإنه يجلد الحد ثمانين سوطا أو أربعين ، وهذا هو الصواب .

وقد توقف بعض الفقهاء فى الجلد ، ولأنه ظن أنها مزيلة للعقل غير مسكرة كالبنج ونحوه مما يغطى العقل من غير مسكر ، فإن جميع ذلك حرام باتفاق المسلمين إن كان مسكرا ففيه جلد الخمس ، وإن لم يكن مسكرا ففيه التعزير بما دون ذلك . ومن اعتقد حل ذلك كفر وقتل (انظر مادة التعزير) ٩٠ / ٦٠٢-٦٠١ من هـ المرسومة .

والصحيح أن الحشيشة مسكرة كالشراب فإن أكلها يشنون بها ، ويكثرون تناولها بخلاف البنج وغيره ، فإنه لا يشنى ولا يشتهى ، وقاعدة الشريعة أن ما تشتهى النفوس من المحرمات كالخمر والزنا ففيه الحد . وما لا تشتهى كالهيئة ففيه التعزير ، والحشيشة مما يشتهى أكلها ويمتنعون عن تركها ، ونصوص التحريم فى الكتاب والسنة على ما يتناولها كما يتناول غير ذلك ، وإنما ظهر فى الناس أكلها قريبا من نحو ظهور التار ، فإنها خرجت وخرج معها سيف التار .

وسئل أيضا : هل يجوز لأكل الحشيشة أن يؤم الناس ؟ وهل للجماعة إذا علموا ذلك أن يصلوا خلفه وهل يجوز لناظر المكان عزله أم لا ؟

عليه وحديثهم له واعترف على نفسه بذلك ، وهل يجب على أكلها حد شارب الخمر أم لا ؟

فأجاب قائلا : نعم يجب على أكلها حد شارب الخمر وهؤلاء القوم ضلال جهال عصاة لله ورسوله وكفى برجل جهلا أن يعرف بأن هذا العمل محرم وأنه معصية لله ورسوله ثم يقول أنه تطيب له العبادة وتصلح له حاله . ويح هذا القائل أيقظ أن الله سبحانه وتعالى ورسوله حرم على الخلق ما ينفعهم ويصلح لهم حالهم ؟ نعم قد يكون في الشيء منفعة وفيه مضرة أكثر من منفعة فيحرمه الله سبحانه وتعالى لأن المضرة إذا كانت أكثر من المنفعة بقيت الزيادة مضرة مضرة وصار هذا الرجل كأنه قال لرجل خذ مني هذا الدرهم وأعطني ديناراً ، فجهله يقول له هو يعطيك درهماً فخذ ، والمقل يقول إنما يحصل الدرهم بفوات الدينار وهذا ضرر لا منفعة له ، بل جميع ما حرمه الله ورسوله إن ثبت فيه منفعة ما فلا بد أن يكون ضرره أكثر .

فهذه الحشيشة الملعونة هي وآكلوها ومستحلوها الموحجة لسخط الله وسخط رسوله وسخط عباد الله المؤمنين المعرضة صاحبها لعقوبة الله إذا كانت كما يقول الضالون من أنها تجمع الهمة وتدهو إلى العبادة فإنها مشتملة على ضرر في دين المرء وعقله وخلقه وطبعه أضاع ما فيها من خير ولا خير فيها ، ولكن هي تحلل الروبوتات فتتصاعد الأبخرة إلى الدماغ وتورث خيالات فاسدة ، فيهون على المرء ما فعله من عبادة ، ويشغله تلك التخيلات عن إضرار الناس وهذه رشوة الشيطان يرشوه بها المبطلين ليطيعوه فيها بمنزلة الفضة القليلة في الدرهم المقشوش وكل منفعة تحصل بهذا السبب فإنها تنقلب مضرة في المآل ولا تبادل لصاحبها فيها ، وإنما هذا نظير السكران بالخمر فإنها تطيش عقله حتى يسخر بماله وتشجع على أقرانه فيعتقد الغر أنها أورثه السخاء والشجاعة وهو جاهل ، وإنما أورثه عدم العقل ومن لا عقل له لا يعرف قدر النفس فيجوز بهجلاً لا عن عقل فيه ...

ثم إن كثيراً يسكر حتى يصد عن ذكر الله وعن الصلاة وهي وإن كانت لا توجب قوة نفس صاحبها حتى يضارب

الرابع : أنه لا خلاف بين المسلمين في وجوب الإنكار على هؤلاء الفساق الذين يسكرون من الحشيشة بل الذي عليه جمهور الأمة أن قتلها وكثيرها حرام بل الواجب أن أكلها يحدون بها وهي نجسة وإذا كان أكلها لم يقتل منها كانت صلاته باطلة ولو اغتسل منها فهي خمر .

وفي الحديث « من شرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعين يوماً فإن تاب تاب الله عليه فإن عاد فشرها لم تقبل فإن عاد فشرها في الثالثة أو الرابعة كان حقاً على الله أن يسقيه من طينة الخبال » قيل يارسول الله : وما طينة الخبال ؟ قال عصارة أهل النار ، وإذا كانت صلاته تارة باطلة وتارة غير مقبولة وأنه يجب الإنكار عليه باتفاق المسلمين فمن لم ينكر عليه كان عامياً لله ورسوله ، ومن منع المنكر عليه فقد ضاد الله ورسوله . ففى سنن أبى داود عن النبي ﷺ أنه قال : « من حالت شفاعة دون حدود الله فقد ضاد الله في أمره ، ومن قال في مؤمن ما ليس فيه حيس في ردة الخبال حتى يخرج مما قال ، ومن خاصم في باطل وهو يعلم لم يزل في سخط الله حتى يتزعج ، فالمخاصمون عنه مخاصمون في الباطل وهم في سخط الله وكل من علم حاله ولم ينكر عليه بحسب قدرته فهو حاص لله ورسوله » .

وسئل أيضاً في رجال كهول وشباب وهم حجاج مواظبون على أداء ما افترض عليهم من صوم وصلاة وعبادة وفيهم كبير القدر يشار إليهم معروفون بالثقة والأمانة ، ليس عليهم شيء من ظواهر السوء والفسوق وقد اجتمعت عقولهم وأذهانهم ورأيهم على أكل المبرء . وكان قولهم واعتقادهم فيها أنها معصية وسببة غير أنهم مع ذلك يقولون في اعتقادهم بدلائل كتاب الله سبحانه وتعالى وهو أن « الحسنات يذهبن السيئات » [هود: ١١٤] وذكروا أنها حرام غير أن لهم ورداً بالليل وتبيلات ويؤمنون أنها إذا حصلت شيطانها يروسونهم تأمرهم بتلك العبادة ولا تأمرهم بسوء ولا فاحشة ويشترها أن ليس لها ما يوجب حد من حدود ، إلا أنها تتعلق بمخالفة أمر من أمور الله سبحانه وتعالى ، والله يغفر ما بين العبد وربه واجتمع بهم رجل صادق وذكر عنهم ذلك ووافقههم على أكلها بحكمهم

وتسقط شعر الأجناف وتظهر الداء الخفى ، وتظهر العلة ، وتجس البول ، وتزيد فى الحرص ، وتسهر الجفون ، وتضعف العيون وتورث الكسل عن الصلاة ، وحضور الجماعات والوقوع فى المحظورات ، وارتكاب الإجمار والوقوع فى الحرام ، وغير ذلك من الأقسام والأمراض - كداء السل ، واحتراق السوداء وضيق النفس والاستسقاء ، وموه الخاتمة - والعياذ بالله - ومتاولة إذا أكل لا يشبع ، وإذا أعطى لا يقنع ، وإذا كلم لا يسمع ... ولذلك تعين على كل ذى عقل سليم ، وطبع مستقيم ، اجتنبها ومن قباحتها أنها تنسى الشهادتين عند الموت ، وقد نقل إبننا أن البهايم لا تتناولها ، وما قدر ما كمل تفر البهايم من تناولها ؟

فمن نحا نحو أكلها ، وحذا حذوه فهو المفتون المغبون الذى بلغ الشيطان فيه غاية أمله ، بعد أن كان يترى به رب المنون ، لأنه لعنه الله ، إذا أحل عبدا فى هذه الرقعة لعب به كما يلعب الصبى بالكرة ، إذ ما يريد منه شيئا إلا وساقه إلى فعله ، لأن العقل الذى هو آلة الكمال زال من محله ، فصار كالأنعام ، بل هو أضل سبيلا ومن أهل النيران فىس ما رضيه لنفسه ، ميتا ومقبلا ، وأق لمن يباع نعيم الدنيا والآخرة ، بتلك الصفقة الخاسرة (الدلولو المكنون) / ٢٤٥ ، (٢٤٦) .

(الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية . ط دار الفد العصرية ج ٢ م ٤ ، ١٩٨٨ / ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٦ - ٢٤٠ ، و الدلولو المكنون من بحر العلامة محمد كنون - الحاج أحمد بن شقرين . مجلة الإحياء التى تصدرها رابطة علماء المغرب ج ٢ م ٦ . مرجع - جمادى الثانية ١٤٠٧ هـ - نوفمبر - إبريل ١٩٨٧ م / ٤٥ ، ٤٦) .

• الحصار (٦٠٩-هـ) :

أحمد بن على .

ذكره الذهبى فى وفيات سنة ٦٠٩ هـ وقال عنه :

أحمد بن على بن يحيى بن عسوان الله ، أبو جعفر الأنصارى الأندلسى الدنانى المعروف بالحصار نزيل بفسية . قرأ القرآن على أبى إسحاق إبراهيم بن حسين بن محارب صاحب أبى عبد الله محمد ابن غلام الفرس . وقرأ التراءات

ويشاتم فكفى بالرجل شرا أنها تصده عن ذكر الله وعن الصلاة إذا سكر منها ، وقليلها وإن لم يسكر فهو بمنزلة قليل الخمر ، ثم إنها تورث من مهانة أكلها وحذافه نفسه وافتتاح شهوته ما لا يورثه الخمر ، فقهرها من المفاسد ما ليس فى الخمر مفسدة ليست فيها وهى الحدة فهى بالتحريم أولى من الخمر لأن ضرر أكل الحشيشة على نفسه أشد من ضرر الخمر وضرر شارب الخمر على الناس أشد إلا أنه فى هذه الأزمان لكثرة أكل الحشيشة صار الضرر الذى منها على الناس أعظم من الخمر ، وإنما حرم الله المحارم لأنها تضر أصحابها وإلا فالضرر للناس ولم تضرهم لم يحرمها إذ الحاسد يضره حال المحسود ولم يحرم الله اكتساب المعالي للخلف تفسر الحاسد .

هذا وقد قال رسول الله ﷺ كل مسكر خمر ، وكل مسكر حرام وهذه مسكرة ولو لم يشغلها لفظه بعينها لكان فيها من المفاسد ما حرمت الخمر لأجلها مع أن فيها مفاصد آخر غير مفاصد الخمر تجزئ تحريمها والله أعلم (الفتاوى ج ٢ م ٤ / ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٦ - ٢٤٠) .

قال الشيخ قطب الدين المسقلاني خليفة شيخ الشيوخ شهاب الدين السهروردى رحمه الله : إن فى الحشيشة مائة وعشرين مفسدة دنيوية وأخروية وقال الحكماء : إنها تورث أكثر من ثلاثمائة داء فى البدن ... منها تنقيص القوى ، وإحراق الدماء ، وتقليل الحياء ، وتثقيب الكبد ، وتفريح الجسد ، وتجييف الرطوبات ، وتضعيف اللثات ، وتصفير اللون ، وتصفير الأسنان .

وهى علاوة على ذلك ، تورث البخر فى القم وتورث السوداء والجدام والبرص والخرس ، واللقرة ، وموت الفجأة ، وتولد الخيال الفاسد ، ونسيان الحال والمآل ، والفراغ من أمور الآخرة ، وتنسى العبد ذكر ربه ، وتجعله يفسى أسرار الإحسان ، وتكثر البراء وتنفى الفتوة ، والمروءة وتكشف العورة ، وتمنع الغيرة ، وتلف الكيس ، وتجعل صاحبها جليسا لإبليس ، وتفسد العقل ، وتقطع النسل ، وتجلب الأمراض والأقسام ... وتولد الرعشة ، وتحرك المشقة -

فى سير أعلام النبلاء ١٣ / الورقة ١٢١ ، ومعرفة القراء ،
الورقة ١٨٥ ، والبر ٥ / ٣٠ ، وابن الجزرى فى غاية النهاية
٩٠ / ٩ ، وابن العماد فى الشرائع ٥ / ٣٦ .

(تاريخ الإسلام لشمس الدين الذهبى - حققه وعلق عليه د. بشار
عواد معروف .

ساعدت جامعة بغداد على نشره . طبع بمطبعة عيسى البابى الحلبي
وشركاه . الطبعة الثانية ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م ، ١٨ / ٣٤٢ - ٣٤٤ .

• الحصار :

أبو بكر بن عبد الله :

أدرجه الأستاذ قدرى حافظ طوقان رحمه الله فى عصر
الخيام وقال عنه :

اشتغل « أبو بكر » بالرياضيات ، وترجم مؤلفاته « موسى
ابن تيبون اليهودى » إلى العبرية .

وقد استعمل أبو بكر الطرق الآتية فى أحد مؤلفاته لإيجاد
القيم التقريبية للجذر التربيعى :

$$\begin{aligned} \text{إذا كانت } m &= b^2 + \frac{1}{2} \text{ هـ} \\ \text{فإن } \sqrt{m} &= b + \frac{1}{2b} \text{ هـ} \\ \text{وكذلك } m &= \frac{1}{b^2} + \frac{1}{2} \text{ هـ} \\ \text{فإن } \sqrt{m} &= \frac{1}{b} + \frac{1}{2b} \text{ هـ} \end{aligned}$$

فإذا كانت $m = 10$ أو $m = 1 + 3$

$$\text{فإن } \sqrt{10} = \sqrt{1+3} = \frac{1}{1} + \frac{3}{2} = 1 + \frac{3}{2} = 2 \frac{1}{2}$$

وهذه القيمة أكثر من القيمة التقريبية للجذر التربيعى
لعشرة .

وإذا استعملنا الطريقة الثانية ينتج أن :

$$\sqrt{10} = \frac{1}{\frac{1}{1} + 3} = \frac{1}{4} = \frac{1}{4} \times \frac{3}{3} = \frac{3}{12} = \frac{1}{4}$$

وهذه القيمة قريبة جدا من القيمة الحقيقية .

(راجع « سمت » فى كتابه تاريخ الرياضيات مجلد ١ ص
٢١٠ ، مجلد ٢ ص ٢٥٤) .

يلبس على أبى الحسن بن هليل ، وسمع منه ، ومن أبى
الحسن ابن النعمة ، وأبى عبد الله محمد بن يوسف بن
سعادة . وأجاز له أبو عبد الله محمد بن عبد الرحيم
الغزنائى ، والحافظ عبد الحق الإشبلى . وتصلد للإقراء
ورأس فى ذلك أهل عصره .

قال الأبار : كانت الرحلة إليه فى وقته ، ولم يكن أحد
يدانيه فى الضبط والتجويد والإتقان ، وتصلد فى حياة شيوخه
؛ أخذ عنه الأبناء والأبناء ، واضطرب بأخره فى رويته فأستند
عن جماعة أدرهم ، وكان بعض شيوخنا ينكر عليه ذلك مع
صحة رويته عن المذكورين قبل وإكثاره عنهم حتى لقد انفرد
بفسادة تأليف أبى الحسن ابن النعمة فى التفسير المترجم بـ
« روى الظمآن » .

قلت : فعلى هذا تكون رويته للقراءات عن أبى عبد الله
ابن غلام الفرس منزلة ، ولهذا لم يكثرها الأبار .

ثم قال : أخذ عنه والذى القراءات وأعلتها عنه بعد ذلك
بعدة وسمعت منه جملة . وتوفى فى ثالث صفر قبل الكاتبة
العظمى على المسلمين بوقعة العقاب من ناحية جيان بأيام
وقد قارب الثمانين .

قلت : قرأت للسبعة على شيخنا برهان الدين
الإسكندراني عن قراءته على علم الدين القاسم بن أحمد
الأندلسى ، وقال له : قرأت القراءات وقرأت « التيسير » على
جماعة منهم : أبو جعفر أحمد بن على ويعرف بالحصار ،
وكتب له الحصار بخط يده أنه رواه ، يعنى « التيسير » عن أبى
عبد الله محمد بن الحسن ابن غلام الفرس ، وقال الحصار :
لم ألق مثله فى الإقراء ومنه أخذت التجويد وقرأ على أبى داود
وابن اللش ، ثم قال : قرأ الحصار أيضا به على ابن هليل .
ومن قرأ على الحصار أبو بكر محمد بن محمد بن مشليون
وأبو جعفر أحمد بن على بن النحام المالقي ، وأبو عبد الله
محمد بن إبراهيم بن جوير البنسى . قال ابن مشليون : كان
ينسخ « التيسير » فى الأسبوع ويبيعه ويقتات بذلك فيرضب
الطلبة فى كتابته لإتقانه - رحمه الله - .

ترجم له الأبار فى التكملة ١ / ١٠٠ ، ١٠١ ، واللهم

(تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك - قنري حافظ طوقان /

٢٠٨٨).

« الحصار بالمنجنيق وحفر الخنادق في سبيل الله تعالى :
أمرجه الإمام ابن جماعة الحموي تحت الباب الخامس
والعشرين فقال :

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه قال : حاصر النبي ﷺ
أهل الطائف فلم يزل منهم شيئا فقال : إنا قافلون غذا إن شاء
الله ، فقال المسلمون : أو ترجع ولم تفتح ؟ قال لهم رسول
الله ﷺ : إغدا على القتال غذا فأصابهم جراح فقال رسول الله
ﷺ : إنا قافلون غذا إن شاء الله فأعجبهم ذلك فضحك رسول
الله ﷺ (صحيح البخارى ٥ / ١٠٢ ، وصحيح مسلم ١١ / ١٢٣) .
وعن أبي البخترى أن جيشا من جيوش المسلمين كان أميرهم
سلمان الفارسي ، حاصروا قسرا من قصور الفرس ، فقالوا :
« يا أبا عبد الله ، ألا تنهد إليهم ، فقال : دعوني أدهم بما
سمعت من رسول الله ﷺ يدعو ، وسماع الحديث ، قال : ثم
قال : انتهوا إليهم فنهدنا إليهم ففتحنا ذلك القصر » (صحيح
الترمذى ٣٢ / ٧) .

وعن أنس رضى الله عنه ، أن عمر رضى الله عنه سأله :
كيف تصنعون إذا حاصرتم حصون العدو ؟ قال : قلت
نحاصرهم ، ثم نبعث رجلا فليخبرونا أساسه . قال : أرأيت
إن رمى رجل بحجر فأصابه أيقله ؟ قلت : نعم . قال : ما
أحب أن تفتحوا حصنا فيه أربعون مقاتلا بدم رجل من
المسلمين يقتل ضياعا . رواه ابن خزيمة وعن علي رضى الله
عنه « أن النبي ﷺ نصب المنجنيق على الطائف » وعن سهل
ابن سعد رضى الله عنه قال : « كنا مع رسول الله ﷺ في
الخنندق وهم يحفرون ونحن ننقل التراب على أكبادنا فقال
رسول الله ﷺ اللهم لا عيش إلا عيش الأخرى فأسفر
للمهاجرين والأنصار » (صحيح البخارى ٥ / ٤٥ ، وصحيح مسلم
١٢ / ١٧٢) .

وعن البراء بن عازب قال : « كان النبي ﷺ يقتل التراب
يوم الخندق حتى أضر بطنه ، أو أضر بطنه ، وهو يقول :
والله لـسـوـلا الله ما اهتدينا ولا نصبرنا ولا صلينا
فـانـزلنـا مـكنـة علينا
ولمـت الأتـمـلـام إن لافينا

إن الأولى قسدا بفسوا علينا

إنا أردوا فتنة آتينا

(صحيح البخارى ٥ / ٤٧ ، وصحيح مسلم ١٢ / ١٧٠ -
١٧١ . قيل إن هذه الآيات قد رجزها سلمة بن الأكوع بعد أن
قتل رسول الله ﷺ من خيبر فسأله الرسول ﷺ من قال هذا ؟
قال : حكى أنها لأخي وكان أخوه قد ارتد عليه سيفه فقتله .
وقال عنه الرسول ﷺ إنه من الشهداء) .

(مستد الأجناد في آلات الجهاد لابن جماعة الحموي - تحقيق ورشح
أسامة ناصر الششبدى / ٨٥ ، ٨٦ ، وقد وضعنا تعليقات المحققين
أفراس في ثانيا النص) .

« حصار بنى هاشم وبنى المطلب في الشعب :

الشعب : واحد شعاب مكة ، وهي الوهاد والطرقات بين
الجبال حيث كانت تسكن بعض عشائر قريش وكان هذا
الحصار لبني هاشم وبنى المطلب في ليلة هلال المحرم سنة
سبع من البعثة ، وظلوا محاصرين إلى السنة العاشرة وقيل بل
إلى السنة التاسعة .

وقد أورد الإمام ابن عبد البر قصة ذلك الحصار في باب
بعضون « ذكر دخول بنى هاشم بن عبد مناف وبنى المطلب بن
عبد مناف في الشعب وما لقوا من سائر قريش في ذلك »
وجاء فيه ما يلي :

أخبرنا عبد الله بن محمد ، قال : أخبرنا محمد بن بكر ،
قال : حدثنا أبو داود قال : أخبرنا محمد بن سلمة المرادي ،
قال : حدثنا ابن وهب ، قال : أخبرني ابن لهيعة عن محمد
ابن عبد الرحمن أبي الأسود . وأخبرنا عبد الوارث بن سفيان ،
قال : أخبرنا قاسم بن أصبغ ، قال : حدثنا مطرف بن عبد
الرحمن بن قيس ، قال : حدثنا يعقوب بن حميد بن
كاسب . وأخبرنا عبد الله بن محمد قال : حدثنا محمد بن
بكر ، قال : حدثنا أبو داود . قال : حدثنا محمد بن إسحاق
المسيبي ، قال : حدثنا محمد بن فليح ، عن موسى بن
عقبة ، عن ابن شهاب . دخل حديث بعضهم في بعض ،
قال :

ثم إن كفار قريش أجمعوا أمرهم واتفق رأيهم على قتل

رسول الله ﷺ ، وقالوا : قد أقصد أبناءنا ونساءنا ، فقالوا لقومه : خذوا منا ذبته مضاعفة ويقتله رجل من غير قريش ، وترى حوسنا وترى حوسنا أنفسكم . فأبى قومه بنو هاشم من ذلك وظاهرهم بنو المطلب بن عبد مناف .

فأجمع المشركون من قريش على مبايعةهم وإخراجهم من مكة إلى الشعب فلما دخلوا الشعب أمر رسول الله ﷺ من كان بمكة من المؤمنين أن يخرجوا إلى أرض الحبشة ، وكان متجرا لقريش ، وكان يثى على النجاشى بأنه لا يظلم عنده أحد فانطلق المسلمون إلى بلده . وانطلق إليهما عامة من آمن بالله ورسوله ودخل بنو هاشم وبنو المطلب شعبيهم : مؤمنهم وكافرهم ، فالؤمن ديناً ، والكافر حمية (يعلق الدكتور شرقى شيف محقق الكتاب هنا بقوله :

قلت : هذه حجة الشافعى فى إلحاق بنى المطلب بنى هاشم دون بنى عبد شمس وغيرهم . وجاء فى حديث : أن بنى هاشم وبنى المطلب لم يفرقوا فى جاهلية ولا إسلام . ولذهب مالك أن بنى المطلب كثيرهم ، وأن الخصوصية فى تحريم الصدقات ونحو ذلك لبنى هاشم خاصة . والله أعلم) فلما عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد منعه قومه أجمعوا ألا يبايعوه ولا يدخلوا إليهم شيئا من الرق (الرقيق : ما استعين به) ، وقطعوا عنهم الأسواق ، ولم يتركوا طعاماً ولا إداماً ولا يبيعاً إلا بادروا إليه واشتروه دونهم (أرادوا بذلك قطع المعيرة عنهم ويقال إنهم كانوا لا يخرجون من شعبيهم إلا من موسم إلى موسم) ولا يناكحهم ، ولا يقبلوا منهم صلحاً أبداً ، ولا تأخذهم بهم رافة ، حتى يسلموا رسول الله ﷺ للقتل . وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها فى الكعبة ، وتماذوا على العمل بما فيها من ذلك ثلاث سنين . فاشتد البلاء على بنى هاشم فى شعبيهم وعلى كل من معهم . فلما كان رأس ثلاث سنين تلازم قوم من بنى قصي ، ممن وليدهم بنو هاشم ومن سواهم ، فأجمعوا أمرهم على نقض ما تماهدهوا عليه من الفخر والبراءة ، وبعث الله على صحيفة أهل الأرض ، فأكلت ولحست ما فى الصحيفة من ميثاق وعهد . وكان أبو طالب فى طول منتهم فى الشعب يأمر رسول الله ﷺ فأتى فراشه كل ليلة حتى يره من أراد به شراً أو غائلة . فلذا نام الناس أمر أحد بني أو إخوته

أو بنى عمه ، فاضطجع على فراش رسول الله ﷺ ، وأمر رسول الله أن يأتي بعض فرشه فيرقده عليها ، فلم يزلوا فى الشعب على ذلك إلى تمام ثلاث سنين . فلما أكملوها تلازم رجال من قريش وحلفائهم وأجمعوا أمرهم على نقض ما كانوا تظاهروا عليه من القطعية والبراءة . وبعث الله على صحيفة أهل الأرض ، فلحست كل ما كان فيها من عهد لهم وميثاق ، ولم تترك فيها اسماً لله عز وجل إلا لحسته ، وبقي ما كان فيها من من شرك أو ظلم أو قطيعة رحم . فأطلع الله عز وجل رسوله على ذلك . فذكر ذلك رسول الله ﷺ لأبى طالب ، فقال أبو طالب : لا والتواقب ما كلبتنى (التواقب : النجوم) وفى القرآن الكريم ﴿ والنجم الثاقب ﴾ [الطارق : ٣] فانطلق فى عصابة من بنى عبد المطلب حتى أتوا المسجد ، وهم خائفون ، لقريش ، فلما رأتهم قريش فى جماعة أنكروا ذلك ، وقتلوا أنهم خرجوا من شدة البلاء ليسلموا رسول الله ﷺ يرمته إلى قريش ، فتكلم أبو طالب ، فقال : قد جرت أمور بيننا وبينكم لم نذكرها لكم ، فأتوا بصحيفتكم التى فيها موافقتكم ، فلمله أن يكون بيننا وبينكم صلح وإنما قال ذلك أبو طالب خشية أن ينظروا إلى الصحيفة قبل أن يأتوا بها . فأتوا بصحيفتهم متعجبين لا يشكون أن رسول الله ﷺ يدفع إليهم . فوضعوها بينهم ، وقالوا لأبى طالب : قد آن لكم أن ترجموا عما أخلنكم علينا وعلى أنفسكم فقال أبو طالب : إنما أتيتكم فى أمر هو نصف بيننا وبينكم ، إن ابن أخى أخيرنى ، ولم يكلنى ، أن هذه الصحيفة التى بين أيديكم قد بعث الله عليها دابة ، فلم تترك فيها اسماً له إلا لحسته ، وتزكت فيها غدركم وتظاهركم علينا بالظلم ، فإن كان الحديث كما يقول فافيقوا ، فلا والله لا نسلمه حتى نموت من عند آخرنا ، وإن كان السدى يقول باطلاً فلعلنا إليكم صاحبنا فقتلتم أو استحييتم . فقالوا قد رضينا بالذى تقول . ففتحوا الصحيفة ، فوجدوا الصديق المصدق ﷺ قد أخبر بخبرها قبل أن تفتح . فلما رأته قريش صدق ما جاء به أبو طالب عن النبى ﷺ قالوا : هذا سحر ابن أخيك . وزادهم ذلك بغياً وعدواناً .

وأما ابن هشام فقال (١ / ٣٧٥) قد ذكر بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قال لأبى طالب : يا عم إن ربى قد

البخترى بن هشام بن الحارث بن أسد ، فذكره أيضا بذلك ، فأجابه ثم مضى إلى زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد ، فذكره ذلك ، فأجابه . فقام هؤلاء في نقض الصحيفة .

اخبرنا عبد الوارث بن سفيان ، قال : حدثنا قاسم بن أصبغ ، قال : حدثنا محمد بن وضاح ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم بن دحيه ، قال : حدثنا الوليد بن مسلم ، قال : حدثنا الأوزاعي ، قال : حدثني الزهري : أن أبا سلمة ابن عبد الرحمن حدث عن أبي هريرة ، قال :

قال رسول الله ﷺ وهو يعني : نحن نازلون عند خيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر . يعني بذلك المصحب . قال : وذلك أن قريشا وكنانة تحالفت على بني هاشم وبنى المطلب ألا ينأكحهم ولا يسلمهم ، حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ .

قال : أبو عمر :

ورأى أبو بكر الصديق أن يهاجر إلى أرض الحبشة ، فلقيه ابن الدخنة ، فرده .

(الدور في انحصار المغازي والسير لابن عبد البر - تحقيق د . شوقي ضيف : ٥٣ ، ٥٧) .

• الحصد :

قال الراغب الأصفهاني :

حصد : أصل الحصد قطع الزرع ، وزمن الحصاد والحصاد كقولك زمن الحصاد والجداد وقال تعالى : ﴿ وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ [الأنعام : ١٤١] فهو الحصاد المحمود في إتيانه وقوله عز وجل ﴿ حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فحصبناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس ﴾ [يونس : ٢٤] فهو الحصاد في غير إتيانه على سبيل الإقصاد . ومنه استُخبر حصيدهم السيف . وقوله عز وجل ﴿ منها قائم وحصيد ﴾ [هود : ١٠٠] فحصيد إشارة إلى نحو ما قال : ﴿ قطع دابر القوم الذين ظلموا ﴾ [الأنعام : ٤٥] ﴿ وحب الحصيد ﴾ [ق : ٩] أي ما يحصد منه القوت وقال ﷺ « وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم » فاستعارة ،

سلط الأرضة على صحيفة قريش ، فلم تدع فيها أسما لله إلا أثبتته ، ونقت منها القطيعة والظلم والبهتان قال : أريك أعبرك بهذا ؟ قال : نعم ، قال : فوالله ما يدخل عليك أحد .

ثم خرج إلى قريش ، فقال : يا معشر قريش إن ابن أخي أعبرني وساق الخبر بمعنى ما ذكرنا (يعلق المحقق هنا بقوله :

اتفق الطبريستان على أن الله عز وجل غار لأسماكة الحسنی ، فلم يجمع بينها وبين القطيعة والظلم في الصحيفة إما بأن محبا أسماهم وترك ظلمهم ، وإما بأن محبا ظلمهم وترك أسماهم . وهو من جنس قوله عليه الصلاة والسلام : فوالله لا تجتمع ابنة عدو الله وابنة رسول الله في بيت رجل واحد أبدا . وفيه ما يدل على أن الكتب المحرفة كالتوراة والإنجيل اللذين بأيدي أهل الكتاب لا يجوز انتهانها وإن اشتملت على الكفر لأشتمالها أيضا على أسماء الله ، وإذا أردنا مسحها غسلناها أو حرقناها) .

وقال ابن إسحاق وموسى بن عقبة وغيرهما في تمام ذلك الخير : وزند منهم قوم ، فقالوا : هذا يعني منا على إخواننا وظلم لهم . فكان أول من مضى في نقض الصحيفة هشام بن عمرو بن الحارث (في ابن هشام ٢ / ١٤ : ابن ربيعة بن الحارث) من بني عامر بن لؤي ، وهو كان كاتب الصحيفة ، وأبو البخترى العاص بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العزيز . والمطعم بن عدى .

إلى ههنا تم خبر ابن لهيعة عن أبي الأسود محمد بن عبد الرحمن المعروف بـيتم حرورة ، وموسى بن عقبة عن ابن شهاب . وهو معنى ما ذكر ابن إسحاق ، إلا أن ابن إسحاق قال :

الذين مشوا في نقض الصحيفة هشام بن عمرو بن الحارث ابن حبيب بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي لقي زهير بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي فقيره بإسلامه أخواله . وكانت أم زهير حاتكة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ . فأجابه زهير إلى نقض الصحيفة . ثم مضى هشام إلى المطعم ابن عدى بن نوفل فذكره أرحام بني هاشم وبنى المطلب بن عبد مناف . فأجابه المطعم إلى نقضها . ثم مضى إلى أبي

فصله الحافظ السيوطي في الإتيان (٢/ ٦٤-٦٩) واختصره طاش كبرى زاده على النحو التالي :

أما الحصر ، ويقال له القصر أيضا ، فهو تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص ؛ ويقال أيضا : إثبات الحكم للمذكور ، ونفيه عما عليه ، وينقسم إلى قصر الموصوف على الصفة ، وقصر الصفة على الموصوف . وكل منهما إما حقيقي أو مجازي .

وقصر الموصوف على الصفة حقيقيا لا يكاد يوجد لتعذر الإحاطة بجميع الأوصاف وإثبات بعض منها ، ونفي ما عداها بالكلية .

وينقسم الحصر أيضا إلى أقسام آخر باعتبار آخر ؛ وهو : قصر الأفراد وقصر التبيين ، وقصر القلب . وتفصيل هذه القواعد في علم البيان .

ثم إن من أتقنها يسهل عليه معرفتها من القرآن . ثم إن طرق الحصر كثيرة :

أحدها : النفي والاستثناء ، سواء كان النفي بلا أو ما أو غيرهما ، وسواء كان الاستثناء بلا أو غير .

وثانيها : إنما المكسورة ، قبل بالمنطوق وقيل بالمفهوم . وثالثها : أنما بالفتح عند الزمخشري والبيضاوي في قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا يَسُوعَى إِلَى أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ [الأنبياء : ١٠٨] وصرح التنوخي في (أقصى القرب في صناعة الأدب) ، بأنه فرع إنما المكسورة ، وما يثبت للأصل يثبت للفرع ، ما لم يثبت مانع منه ، والأصل عدمه . ورد أبو حيان على الزمخشري بأنه يلزمه انحصار السوسى في الوجدانية . وأجيب بأنه حصر مجازي باعتبار المقام .

الرابع : العطف بلا وبل ، اتفق عليه أهل البيان ، إلا أنه نازع فيه الشيخ بهاء الدين السبكي في : «عروس الأفراح» فقال : أي قصر في العطف بلا إنما فيه نفى وإثبات ، فقولك : زيد شاعر ولا كاتب ، لا : تعرض فيه لنفى صفة ثالثة ، والقصر إنما يكون بنفى الصفات غير المثبت حقيقة أو مجازا ، وليس هو خصاصا بنفى الصفة التي يعتد بها المخاطب . وأما العطف ببل فأبعد منه ، لأنه لا يستمر فيها النفي والإثبات .

وحيل محصود ، ودرج حصدا ، وشجرة حصدا ، كل ذلك منه ، وتحصيد القوم تقرى بعضهم ببعض .

(المفردات في غريب القرآن للرفاعي الأصفهاني - تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني / ١٢٠ : ١٢١) .

• الحصر :

قال الراغب الأصفهاني :

حصر : المحصر التضييق ، قال عز وجل : ﴿واحصروهم﴾ [التوبة : ٥] أي ضيقوا عليهم وقال عز وجل ﴿وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا﴾ [الإسراء : ٨] أي حابسا ، قال الحسن معناه مهادا كأنه جعله المحصر المرمول ، فإن المحصر سمي بذلك لحصر بعض طاقاته على بعض ، وقال ليبي :

ومعالم قلب الرقاب كأنهم

حين لدى باب الحصر قيسام

أي لدى سلطان وتسميته بذلك إما لكونه محصورا نحو محجوب وإما لكونه حاصرا أي مانعا لمن أراد أن يمتعه من الوصول إليه ، وقوله عز وجل : ﴿وسيدا وحسورا﴾ [آل عمران : ٣٩] فالحصور الذي لا يأتي النساء إما من العنة وإما من العفة والاجتهاد في إزالة الشهوة . والثاني أظهر في الآفة ، لأن بذلك يستحق المحمدة ، والحصر والإحصار المنع من طريق البيت ، فالإحصار يقال في المنع الظاهر كالعدو والمنع الباطن كالمرض ، والحصر لا يقال إلا في المنع الباطن لقوله تعالى : ﴿فلن أحصرتكم﴾ [البقرة : ١٩٦] فمحصول على الآخرين وكذلك قوله تعالى : ﴿للقراء السليين أحصروا في سبيل الله﴾ [البقرة : ٢٧٣] وقوله عز وجل : ﴿وأجودكم حصرت صدورهم﴾ [النساء : ٩٠] أي ضاقت بالبخل والجبن وعبر عنه بذلك كما عبر عنه بضيق الصدر ، وعن ضده بالبر والسعة .

(المفردات في غريب القرآن للرفاعي الأصفهاني - تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني / ١٢٠ ، ١٢١) .

• الحصر والاختصاص (علم) :

النوع الخامس والخمسون من أنواع علوم القرآن الكريم ،

الثالث عشر : نحو قائم في جواب : زيد إما قائم أو قاعد. ذكره الطيبي في « شرح التبيان » .

الرابع عشر : قلب بعض حروف الكلمة ، فإنه يفيد الحصر على ما نقل في الكشف ، في قوله تعالى : ﴿ والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها ﴾ [الزمر : ١٧] .

واعلم أن أهل البيان أطبقوا على أن تقديم المعمول يفيد الحصر ، سواء كان مفعولاً أو ظرفاً أو مجروراً ، ومثلاً به ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ [الفاتحة : ٥] وخالفهم ابن الحاجب في خطبة « المفصل » في قوله : الله أحمد ، وقال التقديم للاهتمام والاختصاص الذي يترجمه كثير من الناس وهم . واعترض أيضاً أبو حيان بنحو : ﴿ أفتغير الله ما رزقني ﴾ [الزمر : ٦٤] .

وأجيب : بأنه لما كان من أشرك بالله فيه ، كأنه لم يعبد الله ، كان أمرهم بالشرك ، كأنه أمر بتخصيص غير الله بالعبادة . ورد أيضاً صاحب « الفلك الدائر » بقوله تعالى : ﴿ كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ﴾ [الأنعام : ٨٤] وهو أقوى ما رد به . وأجيب : بأنه لا يدعى فيه اللزوم بل الغلبة ، وقد يخرج الشيء عن الغالب .

قال الشيخ بهاء الدين : وقد اجتمع الاختصاص وحده في قوله تعالى : ﴿ أغير الله تدعون إن كنتم صادقين ﴾ [الأنعام : ٤٠] ، ﴿ بل إياه تدعون ﴾ [الأنعام : ٤١] فإن التقديم الأول ليس للاختصاص والثاني للاهتمام . هذا وقال والده الشيخ تقي الدين السبكي في كتاب « الاختصاص » ما حاصله وتلخيصه أن البيانيين على إفادة تقديم المعمول الاختصاص ، ومن الناس من ينكر ذلك ، ويقول إنما يفيد الاهتمام فقط . إلا أن الاختصاص غير الحصر ، والفضل لم يقولوا إنه يفيد الحصر ، بل قالوا يفيد الاختصاص . والفرق بينهما أن الحصر إثبات المذكور ونفي غير المذكور ؛ والاختصاص فصل الخاص من جهة خصوصه ، إذ المخصوص مركب من معنى عام مشترك بين الشيئين أو أشياء ، ومن معنى ينضم إليه يفصله عن غيره ، فقد يقصد إفادة جهة عمومته ، كقولك : شريت زيدا ؛ وقد يقصد إفادة جهة

الخاص : تقدم المعمول ، نحو : ﴿ إياك نعبد ﴾ [الفاتحة : ٥] وخالف فيه قوم .

السادس : ضمير الفصل ، نحو : ﴿ فإله هو الولي ﴾ [الشورى : ٩] .

السابع : تقديم المسند إليه ، على ما قال الشيخ عبد القاهر : قد يقدم المسند إليه ليفيد تخصيصه بالخبر الفعلي . والحاصل على رأيه أن له أحوالاً :

أحدها : أن يكون المسند إليه معرفة والمسند مثبتاً فيأتي للتخصيص نحو : أنا قمت ، وأنا سمعت في حاجتك . والثاني : أن يكون المسند منفياً ، نحو : أنت لا تكذب .

وثالثها : أن يكون المسند إليه نكرة مثبتاً ، نحو : رجل جاني ، أي لا امرأة أو رجلاً .

وربما : أن يأتي المسند إليه حرف النهي ، ويقيد ، نحو : ما أنا قلت هذا ، أي لم أقله ، مع أن غيري قاله : هذا حاصل رأى الشيخ عبد القاهر ، ووافق السكاكي ، وزاد شروطاً وتفصيلاً بسطوا فيها القول في موضعه .

الثامن : تقديم المسند ، ذكره ابن الأثير وابن النفيس وغيرهما . ورد صاحب « الفلك الدائر » بأنه لم يقل به أحد ، وهو ممنوع ، إذ قد صرح به السكاكي وغيره بأن تقديم ما حقه التأخير ، يفيد التخصيص ، ومثله بنحو : تميمي أنا .

التاسع : ذكر المسند إليه ، ذكره السكاكي والزمخشري في ﴿ الله ييسر الرزق ﴾ [الرعد : ٢٦] وفي قوله تعالى : ﴿ والله يقول الحق ﴾ [الأحزاب : ٤] .

العاشر : تعريف الخبر . ذكر الإمام فخر الدين الرازي في « نهاية الإيجاز » أنه يفيد الحصر حقيقة أو مبالغة ، نحو : المنطلق زيد . ومثله الزملاكي « بالحمد لله » قال إنه يفيد الحصر ، أي الحمد لا لغيره .

الحادي عشر : بنحو : جاء زيد نفسه ، نقل بعض شراح التلخيص عن بعضهم أنه يفيد الحصر .

الثاني عشر : نحو إن زيدا لقائم نقله المذكور آنفاً .

الاسترخاء والترحل مطلقاً ومبادئ الحصرم والحكمة ذلكا
 خصوصاً يابسه ويطيب العرق وماؤه في ذلك أشد وإذا طيخ
 به ورق الزيتون حتى يصير درهما قلع الإنسان إذا وضع عليها
 بلا آلة وإذا عصر وجفف في الشمس ورفع كانت هذه نافعة
 من الخناق وأورام الحلق واسترخاء المقعدة وسقوط اللهاة
 والزعاف وقذف الدم مطلقاً والجدري والإسهال المزمن شرباً
 وطلاءاً وتصلح القلاع وتعرف هذه برب الحصرم والأولى
 تجفيفها في نحو الزجاج لا في نحاس أحمر لأنه يفسد
 الحوامل ومتى مزج هذا الماء أو العصارة الجافة بشيء من
 العسل ووضع في الشمس كان شرباً جيداً كما ذكر في
 العصارة وإذا حلت بماء الكراث جفت البراسير طلاءً أو
 حملت فرجة نكت الرحم وأصلحه بالغا وهو يفسد الصدر
 ويحدث السعال ويصلحه الجلبينج وشراب الخشخاش
 وإصلاحه أن لا يستعمل قبل سنة وشربة العصارة إلى مغال
 والشراب إلى رطل ويبله ماء التفاح الحامض (تذكره أولى
 الآيات ١ / ١٢٤) .

كما أورده المظفر الرسولي نقلاً عن ثلاثة مصادر رمز لها
 بالحروف التالية :

ع : عبد الله بن اليطار صاحب « الجامع لقوى الأدوية
 والأغذية » .

ج : ابن جريرة صاحب « منهاج البيان فيما يستعمله
 الإنسان » .

ف : أبو الفضل حسن بن إبراهيم التليسي .
 قال :

حصرم - « ع » هو غش العنب ، وعصارته تسمى
 بالقمارية غوراً فشرج ، ومعنته رب الحصرم ، وقوته في البرودة
 من الدرجة الثانية ، ومن البوسة في الثالثة ، وهو عاقل
 للطن ، قاصم للمرة والدم ، ويولد رياحاً ومغصاً ، ومن آدم
 عليه أضعف معدته ، وإذا جفف في الظل وسحق ، وذلك به
 البدن في الحمام ، نفع من الحصف (انظر مادة « الحصف »)
 وقوى البدن ، ومنع من أن يحدث فيه الحصف في تلك
 السنة ، ويبرد البدن ، وعصارته تجفف في الشمس ، وقد

خصوصه ، كقولك : زيداً خسريت . وهذا هو الاختصاص ،
 وأنه هو الأهم عند المتكلم ، وهو الذي قصد إفادته للسامع
 من غير تعرض ، ولا قصد لغيره ، بإثبات ولا نفي ، وفي
 الحصر معنى زائد عليه ، وهو نفي ما عدا المذكور ، وإنما
 جاء هذا في « إياك نعبد » للملم بأن قائله لا يعبدون غير
 الله ، ولذا لم يطرد في بقية الآيات .

فالحصر على ثلاث مراتب :

إحداها : ما وإلا ، وهو أقوى طرقه لأنه بالمنطوق .

الثانية : الحصر بإنما ، وهو قريب من الأول ، ودونه ،
 لعدم ذكر النفي منطوقاً .

الثالثة : الحصر الذي قد يفيد التقديم ، وليس هو على
 تقدير تسليمه مثل الحصرين الأولين بل هو في قوة جملتين .
 إحداهما : ما صدر به الحكم تقياً كان أو إثباتاً وهو
 المنطوق .

والأخرى : ما فهم من التقديم ، والحصر يقتضي نفي
 المنطوق فقط دون ما دل عليه المفهوم ، لأن المفهوم لا مفهوم
 له ، فإذا قلت : أنا لا أكرم إلا إياك ، أفاد التعريض بأن غيرك
 يكرم غيره ، ولا يلزم أنك لا تكرمه . ثم طول السبكي في
 الكلام وقال آخر :

وهذا كله على تقدير تسليم الحصر ، ونحن نمنع ذلك ،
 ونقول إنه اختصاص ، وأن بينهما فرقاً . قلت : ما ذكره من
 الفرق بين الحصر والاختصاص ، مما استخرجه فكري أيضاً .

(مفتاح السعادة ومصابيح السيادة لأحمد بن مصطفى الشهير بطائش
 كبرى زاده ٢ / ٤١٦ - ٤٢٠ . انظر أيضاً الإتيان في عوار القدران للحافظ
 جلال الدين السيوطي ٢ / ٦٤ - ٦٩ ، وكشاف اصطلاحات الفنون
 لنهائي ١ / ٢٩٤ ، ٢٩٥) .

• الحصرم :

الحصرم : الثمر قبل النضج . ويعرف في مصنفات
 التراث الإسلامي في الطب كما يأتي قال الأنطاكي :

الحصرم هو الأخضر من العنب وأجوده الخالي عن
 الحلاوة ويدرك بحزيران وهو بارد يابس في الثانية أو يسه في
 الأولى يقيم الأخلاط الصفراوية والدوخة والعطش ويزيل

الورد والحمام فإن عظمت فالقصد والإسهال مع ما ذكر .

(كتاب التنوير في الاصلاحات الطبية لأبي منصور الحسن بن نوح القزويني - تحقيق وفاء الدين الأبي / ٣٠ ، والنزعة المبهمة المطبوع بديل تذكره أولى الألباب / ١٥٩ وكلامها للدار في عمر الأنطاكي) .

• الحصيفي (٨٥٧-٩٢٤ هـ) :

ابن أبي اللطف .

من عملوا بالتدريس في القدس الشريف ، أحاده الله ديار إسلام .

علاء الدين أبو الفضل علي بن محمد بن علي بن منصور ابن أبي اللطف الحصيفي ، المقدسي ، الشافعي :

درس علاء الدين بالمدرسة الصلاحية في بيت المقدس ، فقد عين معيدا فيها ، وتلقاها عن شيخه كمال الدين بن أبي شريف ، وكان ابن أبي شريف قد قرره معيدا بها .

وكان علاء قد ولد في بيت المقدس « بيت المشيخة الصلاحية المقدسية » ونشأ في بيت المقدس ، وتلقى تعليمه فيه ، فحفظ القرآن عند أحد الفقهاء ، « وصلى به في قبة السلسلة في رمضان سنة ٨٦٥ هـ كما يذكر السخاوي (الدرر اللامع ٥ / ٣٢٦) وجد علاء الدين في الاشتغال بالعلم ، فحفظ الشاطبية ، وألفية الحديث ، والمنهاج ، وجمع الجوامع ، وألفية ابن مالك ، ثم عرض محفوظه على عدد من المشتغلين بالتدريس بالصلاحية ، من أمثال شمس الدين أبي مساعد ، وكمال الدين بن أبي شريف (الدرر اللامع ٥ / ٣٢٦) وقد لازم كمال الدين بن أبي شريف نحو عشر سنين ، وقرأ عليه علدا من أمهات كتب الحديث ، مثل : البخاري ، وألفية الحديث ، وغيرهما ، وقد قرأ عليه البخاري أكثر من مرة ، وكانت قراءته عليه قراءة بحث جاد وسمع على عدد من العلماء الآخرين الذين درسوا بالصلاحية ، من أمثال جمال الدين بن جماعة ، وتقي الدين القلشندي ، وزين الدين عمر بن عبد المؤمن المحلي ، كما سمع على عدد من العلماء الروافدين إلى بيت المقدس ، من أمثال كمال الدين إمام الكامالية ، وغيره .

واستمر علاء الدين مشتغلا بالعلم في بيت المقدس ،

تعتقد بالطبخ ، وتوافق بالعسل أو بالشراب الحلو ، عضل اللسان والحلق واللهاة ، والقلاع ، والثلة الرخوة ، التي تسيل إليها الفضول ، وتنتفع من وجع الأذن التي يسيل منها القيح ، وإذا خلطت بالخل نفعت التواصير والقروح المزمنة الساعية ، وإذا اكتحل بها أحدث البصر ، ووافقت خشونة العيون ، ويحتقن بها لقرحة الأمعاء ، ولسيلان الرطوبة من الرحم . وشراب الحصرم نافع للحوامل من النساء ، يقوى معدنتهن ، ويمتنعها من قبول الكيموسات الرديئة اللزجة ، ويمسك الجنين من أن يسقط . ويدل عصارة الحصرم : عصير التفاح الحامض . « ج » بارد في الدرجة الأولى ، يابس في الثانية ، ينفع من الصفراء والحاررة الملتبئة ، ويولد رياحا ومنغصا ، ويصلحه الجنجيين « ف » معروف . وهو يقع الصفراء جدا . وينفع المعدة والكبد ، ويصلحه السمل والأنيسون . والشرية منه : يقدر الحاجة . وإذا مزجت بإسفيلج ولطخت ، نفت الحصرة والنملة . « ج » هو حشيشة يجلى بها الزجاج ، فيها قبض مع رطوبة ، ملصق ملين ، يسكن الأورام البلغمية ، ويهيج في قيروطي للقرص ، وعصارتة تزيد اليواسير ، وتنتفع من السعال المزمن . والشرية منه : درهمان (المتن ١ / ٩٧ ، ٩٨) .

(تذكره أولى الألباب للدار في عمر الأنطاكي ١ / ١٣٣ ، ١٢٤ ، والمعتمد في الأدوية المفردة للمظفر الرسولي - صححه وفهرسه مصطفى السقا ، ١ / ٩٧ ، ٩٨) .

التعصيف :

هكذا ضبطه صاحب كتاب « التنوير » ، وعرفه بأنه حكاك واحتراق ، يحدثان في ظاهر البدن ، من كثرة العرق وملوحته (كتاب التنوير / ٣٠) .

والحصيف من الأمراض التي وصفها داود الأنطاكي فقال عنه :

حارة تبقى بعد رشح العرق في البلاد الحارة عند برد الهواء فتكتفب به وتخرج كالذرة فمادونها يسيير حكة ووجع يسمى بمصير (حمو النيل) لحولتها عند زيادة النيل وغالب أسبابها قلة التنقية وكثرة الماء البارد وعلاجها ما لم تعظم الطلاب بتدقيق الشعير والإسفيلج ، والليمون والمخل والطين الأرمني ودهن

الدين الحنبلي أنه « لما توفي شيخ الإسلام كمال الدين بن أبي شريف ، مدرّس الصلاحية ، قرره معيذا بها ، كما تقدم أيضا . ولا شك أنه درس موضوعات عديدة في العلوم الدينية ، والعلوم اللغوية ، والعلوم العقلية ، بالمدرسة الصلاحية ، وغيرها ، ومما يؤكد هذا دراسته الكثير من هذه العلوم دراسة عميقة جادة . وذكر السخاوي أنه « تولع بفن الأدب ونظم الشعر » وكان كثير الاشتغال بالتدريس ، وذلك واضح في قول ابن العماد : « له همة مع الطلبة ، ومهابة ، ومودة للخاص والعام » .

واستمر علاء الدين يشتغل بالعلم ، إلى أن توفي سنة ٩٣٤ هـ بدمشق .

(المنار في بيت المقدس - د . عبد الجليل حسن عبد المهدي ١ / ٣٣١-٣٣٥) .

✦ الحصكفي (١٠٢٥-١٠٨٨ هـ / ١٦١٦-١٦٧٧ م) :

محمد بن علي بن محمد ، الحصبني ، المعروف بعلاء الدين الحصكفي ، مفتي الحنفية بدمشق ، الفقيه الحنبلي ، النحوي ، المفسر .

ولد بدمشق ومات فيها ، وقرأ على والده وغيره ، ثم رحل إلى الرملة فأخذ عن خير الدين الرملي ، وهو شيخ الحنفية في عصره ، ثم رحل إلى القدس ، وأخذ عن علمائها ، ورجع ، وأخذ بالمدينة عن علمائها ، ثم عاد إلى دمشق ، وعكف على التدريس والإفتاء والإفادة .

وكان رقيق الحال كثير الحفظ ، طلق اللسان ، فصيح العبارة ، وكان فقيها ومحدثا ونحويا وأصوليا ، ومعتزلا به بزيارة العلم وكثرة الأطلاع .

ونسبه « الحصكفي » إلى حصن كيفا ، بلدة في ديار بكر ، جنوب شرقي تركيا ، وتعرف اليوم باسم « شرنباخ » . أما نسبة الحصني فهو إلى بلدة الحصن موضع بين حلب والسرقة بسورية .

من كتبه « الدر المختار » في شرح تنوير الأيضار للشمري ، في فقه الحنفية ، و « الدر المتقى شرح مفتي الأبحر » في الفقه ، و « شرح قطر الندى » في النحو ، و « إنفاضة الأثرار على أصول المنار » في أصول الفقه ،

فقرأ الفقه في كتاب « المنهاج » على عبد القادر التتوي ولازمه وقرأ عليه قراءة عميقة جادة ، فكانت تصحيحا أولا ، وحلا ثانيا . وحضر دروسا متعددة عند زين الدين ماهر المصري . ودرس الفقه والأصول على كمال الدين ابن أبي شريف .

ودرس علاء الدين القراءات ، قتلا بالسبع أفرادا على شمس الدين ابن عمران ، ما عدا قراءتي نافع وحمزة . وقرأ عليه المقدمة الجزرية ، والشاطبية سنة ٨٦٨ هـ .

ودرس العربية في نحوها ، ومعانيها ، وبيئاتها ، على شمس الدين أبي مساعد ، وكمال الدين بن أبي شريف ، كما تقدم .

ثم توجه إلى القاهرة ، عدة مرات ، طالبا العلم ، وكانت أولى تلك العرات في سنة ٨٧٣ هـ ، وسمع فيها على عدد من العلماء ، ودرس الفقه وأصوله على عدد آخر من العلماء من أمثال محيي الدين الكايتايجي ، وتقي الدين الحصني وعلاء الدين الحصني ، وغيرهم ، وقد قرأ على أولهم عدة من تصانيفه ، مثل : كتاب « الأثرار في التوحيد » وقرأ عليه المعاني والبيان . وقرأ النحو ، والمعاني ، والبيان على تقي الدين الحصني وعلاء الدين الحصني .

وتوجه إلى الشام في سنة ٨٧٤ هـ ، ودرس فيها الفقه على نجم الدين بن قاضي عجلون ، وقرأ عليه عددا من مصنفاته (المهر اللاحق ٥ / ٣٢٦) .

وتوجه إلى مكة ، وجاور فيها مع تقي الدين بن قاضي عجلون ، ودرس فيها على عدد من العلماء ، ثم عاد ، واستوطن دمشق منذ سنة ٨٧٨ هـ ، ولازم تقي الدين بن قاضي عجلون ، ودرس عليه فترضا مختلفة في المعرفة ، فقد درس عليه « الفقه وأصوله ، والنحو ، والتفسير ، واختص به ، ولازمه في السفر والحضر » . وسمع علاء الدين بدمشق ، من عدد من العلماء . وحصل على إجازات عديدة بالإفتاء والتدريس . ثم درس بدمشق (المهر اللاحق ٥ / ٣٢٧ ، خبرات اللهب ٨ / ٢٠٣) .

وهكذا كان علاء الدين في تكوينه الثقافي ، وفي خبرته بالتدريس ، ثم قرر معيذا بالصلاحية كما تقدم ، ذكر مجير

يسيطر على البوابات أو يحتل الأركان . ولكن بعض المدن الأولى التي بناها المسلمون لم تكن لها حصون كالقسطاط لأنهم عدوا مكانها آمناً بعيداً عن خطر الأعداء ، وكذلك سامراء عاصمة المعتصم ، وهذا ما ساعد على الانتداع ، والقاهرة لم تحصّن قبل العصر الفاطمي .

قال ياقوت : وهذا القصر (يعنى قصر الرصافة) حصن دون دار الخلافة في بغداد (موسوعة العمارة الإسلامية / ١٣٣) .

وقد عني مصنفو التراث الإسلامي في الفنون الحربية الإسلامية بكل ما يتصل بقتال الحصون وحصارها ، ومن هؤلاء « الهرشي » الذي أورد الباب الرابع والثلاثين من كتابه « مختصر سياسة الحروب » لممارسة الحصون ، وهو ما نقله لك فيما يلي ، وقد وضعنا تعليقات المحقق بين أقواس في ثانيا النص :

قالوا : إن الحصون ليست هي القلاع الشامخة المبني عليها الأسوار فقط : هي القلاع والمطامير ، والجبال والفياض والمدن والخنادق والرمال والوحوول والأجام والبحار ، كل هذه وما أشبهها حصون وبما قتل .

(المطامير جمع مطمورة وهي الحفيرة تحت الأرض ، والفياض جمع فيضة وهي الأجمة ، ومجتمع الشجر في مغيض الماء ، والأجام مفرد لها أجمة وهي الشجر الكثيف الملتف) .

وقد يجتمع للحصن الواحد من هذه الأصناف العشرة عدة أصناف ، ولكل صنف منها ضروب من العمل والتدبير ، وتطآن كل موضع منها أخرى وأخلق وأصبر فيه وفيما أشبهه ممن ليس من أهله ، وكل صنف منها ضروب مختلفة الأحوال ، في صموده وسهولة ومأثله (أي الطريق الذي يهاجم منه ويفتح به) ، ويوجه محاربة أهله ، كالقلاع والمدن ، فإن متهاهما يحتاج فيه إلى المظالوة والمصابرة واتخاذ الحصون وينالها غريباً (أي بناء الحصون لتجند حوله ، ولو تركت غريباً ، لإشعار أهل الحصن بدوام الحصار) . والمقام عليه السنين الكثيرة ، ومنها ما يحتاج فيه إلى المعالجة والمناجزة ، وكثير فيه دور الحيلة والأيام البسيرة ، وبين هذين

و « تعليقه على صحيح البخاري » و « تعليقه على تفسير البيضاوي » (مرجع العلوم الإسلامية / ٣٩٥ ، ٣٩٦) .

ومن مصنفاته أيضاً « مسند الإمام الأعظم أبي حنيفة » .

وإذا عرفت أن المحصن كفى نفسه كان من أهل الحديث : عرفنا أيضاً أن هذا المسند من مروياته هو عن أبي حنيفة ، إذ حذف الأسانيد إلى أبي حنيفة ، لأنها أحاديث صحيحة مروية عن غير أبي حنيفة من أهل السنة ، فليست في حاجة كبيرة - منه إلى أبي حنيفة - إلى السند . لأن صحتها وثبوتها من الطرق الأخرى ثقتى عن السند . وأغلب من روى عن أبي حنيفة فعل ذلك ، إلا ابنه حماداً ، وتلاميذ الإمام رحمهم الله ، فإنهم استندوا منهم هم عن أبي حنيفة إلى رسول الله ﷺ (مسند الإمام أبي حنيفة / ٢٤) .

(مرجع العلوم الإسلامية - د. محمد الزحيلي / ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، وسند الإمام أبي حنيفة برواية الإمام المحصن - قدم له وقام بتصحيحه عبد الرحمن حسن محمود - مكتبة الآداب ، القاهرة ١٩٨١ / ٢٤) .

• الحصن :

حصن : الحصن جمعه حصون قال الله تعالى : ﴿مَانِعْتَهُمْ حَصُونَهُمْ مِنْ اللَّهِ﴾ [الحشر : ٢] وقوله عز وجل : ﴿لَا يَأْتِيَنَّكُمْ جَمِيعًا وَلَا فِي ثَرَى مَحَصَّةٍ﴾ [الحشر : ١٤] أى مجمعة بالإحكام كالحصون ، وتحصّن إذا اتخذ الحصن مسكناً ثم يتجوز به في كل تحرز ومنه درع حصينة لكونها حصناً للبدن ، وفرس حصان لكونه حصناً لراكبه وبهذا النظر قال الشاعر :

• إن الحصون الخويل لا مدن القرى •

وقوله تعالى : ﴿لَا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ﴾ [يوسف : ٤٨] أى تحززون في المواضع الحصينة الجارية مجرى الحصن . (المفردات في غريب القرآن / ١٢١) .

ومن الناحية العسكرية الحصن : الموضع الحصين الذي لا يوصل إلى جوفه . وهو نوعان : واحد يشكل بناء منفصلاً قائماً بذاته يبنى على السواحل أو طرق القوافل أو في المراكز العسكرية الحساسة المشرفة ، أو على حدود البلدان وثغورها . وآخر تابع لبناء سور أو خان أو قصر أو ملجئة ،

كن في معرفة مواضع عورات الحصن ، والعمل فيما يحتاج إليه فيه مع تحصين عسكريك ، ولا تؤخر ذلك للمناظرة .

اعرف المواضع الصعبة والذليلة ، والمنية والممكنة في العمل ، واعرف مواضع المعابر ، والمخاوض والقناطر والجسور . اعرف مواضع نصب المناجيق والعزادات ومواضع أحجارها وقدر نكاتها ، اعرف مواضع الرمي للشباب والحنشان والمقالع والنبازن والأوقاق .

(المخاوض جمع مخاضة وهي جزء من النهر قريب القاع ، يمكن عبوره للناس مشاة وركبانا ، و المناجيق جمع منجيق وهو أداة ضخمة من أسلحة الحصار ترمى الأسوار بحجارتها كمدافع الميدان والعرادة نوع منه صغير ، والحنشان الحيات والتمابين وجمعه الصحيح أحشاش كما في القاموس والمقالع أهداف الرمي ، ويجوز أن تكون جمعا للمقالع المعروف .

والأوقاق جمع ووق ، وهو الجبل يرمى في أنشطة فتؤخذ به الدابة والإنسان) .

اعرف مواضع العمل والدبابات ، والأبواب والصناعات ، ووجوه العمل بها .

اعرف مواضع التطريق والتسريب والنشوب والتعليق (المعاليق هي الخطاطيف والكلايب وهي حدائد مقوفة تقص بها الأشياء ، ويتسود الجند بها الحصون) .

اعرف مواضع السلايلم والكلايب والخطاطيف والمعاليق ، واعرف مواضع التسايق والتسور ، والمكايبة بلطف لمعرفة موضع المدخل والمخرج الخفي والباطن .

قد يكون للحصن منفذ لا يقطعه ، أو تدبير لانتهاز الفرصة منه ، فإنه إن كان ذلك لهم ولا معرفة لك به فليسا في حصار .

أعد من أصناف المقاومة والصناعات والفعلة كل من تحتاج إليه ، واعمل في ذلك بالاستظهار ، ليأخذ الصانع في عمل الآلات والسلاح ، ولا يؤخر ذلك لغيره .

عجل نصب المناجيق إن كان لها عمل ، ولتكن في حوز ،

ضروب كثيرة مختلفة من التدبير والأحوال ، يحتاج في كل شئ من ذلك إلى ضرب من الآلات والأدوات والتدبير والمخارة .

والقول الخاص في هذا الباب من الحصار هو القلاع والمدن وما أشبه ذلك ، والقول العام فيه هو لجميع الحصون والمعاقل .

إن أمكنك ستر قصيدك للحصن ، والمخيلة لأن تنجأه خيلك على غرة ، فهو أكبر التدبير فيه .

إن أمكنك المكيدة لأن تخرب مقابلة الحصن منه وتنجأه خيلك وهو خلو فهو الظفر ياذن الله .

أول عمل الحصار أن تحصر أهله من ساحة تنزل عليهم ، حصرا لا يقدرون معه على أن يخرج منهم أحد ، ولا يدخل إليهم أحد ولا يسمعون له كلاما ولا ينظرون منه إشارة ، ولا يبلغه لهم رمية (المراد من إبعاده عن رمي سهامهم ، لتلا يتفاهم معهم عن طريق الرسائل التي تربط على السهام) . فاحتل في ذلك بكل حيلة ، وقدم على كل عمل ، واحتمل فيه كل مشقة ، وإن اتفق أن كان بعيدا فالصق بالحصن واحتل في تناول الماء من بعد .

الذي في الحصار العمل في استمالة بعض حاميته والتحرز منهم ، وإدخال الرعب عليهم ، والعمل في كل خصلة من هذه الخصال الثلاثة وجوه من الحيل والمكائد كثيرة : -

أبدأ بطلب المخيلة لاستسلام أهل الحصن أو دخولهم في الطاعة واستمالة من أمكن منهم وإترك المناهضة ما داسوا مستعشرين للمخوف ، فإن المناهضة تلذهم إليك ، وربما كانوا بعدا أسكن روصا وأجرأ مقدما ، مع ما قد يظهر لهم عندها من مواضع الخلل ، ويسع لهم من وجوه الحيل .

احترس من رسلهم ولا تترك أحدًا يقرهم ، ولا يكلمهم إلا العقلاء الثقات ، واحذر أن يظفر أحد منهم بشيء حتى يعود إلى موضعه ، ولكن الرسول إليهم من يوثق بنصحه ووفائه وعقله وذنه ومكره وخداشه جامع للقلب ، صنع اللسان (أي مقداما بليغ اللسان) عارفا بمقادير الكلام ومواضعه .

شيها بالموقع لعدوه فإن فاجأه وجده معداً ، ولعلهم أنه لا يقصر في شيء من ذلك في وقته قبل الحصار ، أو في شيء من عمله وتغييره بعده ، إلا كان عليه فيه من الوهن والخلل ، وقوة عدوه وظفروه بحسبه .

رأس سلاح المحصور أول ما يبدأ به هو أن يحضض أصحابه (أي يحضهم على الصبر والمناجزة) ويصف لهم عراقب الصبر ، ويحذرهم العار ، ويعدمهم ما فيه الظفر ، وما أشبه ذلك من كل ما يمكن به أنفسهم ، ويحمون به على عدوهم .

ليرى العدو بقدر غاية مرابه وقدر نكايته فما لم يبلغ حاجته منها ، لا يتعرض له ولا يظهر لعدوه . يعرف متى سلاح عدوه وقدر نكايته ، ليكون عمله على حسب ذلك .

يستعمل من الآلات ما فيه الإكساد والدفع والإبطال لآلات عدوه ، لا يرمى من السلاح ولا يعمل إلا بما يتق أنه ينجأ به عدوه ، ولا يتأخر إلا عند الضرورة إلى الدفع عن نفسه ، ولا يقاتل ما وجد إلى الحيلة والخدعة سبيلاً .

يعمل على المطاوله والمدافعة ، وينتقم اليوم والساعة والليحظة يدفعها بالحيلة .

ينتظر حوادث الأيام والزمان بما يجب ، ويترصد مواضع الغرة من عدوه ، ولا يدع إغترافها في ليل أو نهار إذا أمكنته ، ويكتنف بالرجال والقوة المواضع التي يظن أن عدوه إليها أسرع ذهاباً ، ونحوها أشد اعتماداً .

ينازل عدوه في أحسن مواضع الحصن ؛ ليلن أنه أهم المواضع إليه ، ويشغله به من غيره ، ويتناقل عن موضع الخلل المجهول من حصنه ويغيبه لئلا يمشروا عليه ، مع التفقد منه له ، والتوكل به غفياً من أصحابه يرعاه بالقصد والقناعة والتشهير والحركة ، ويقدر من كل ما يفوق ويقوى قدره ويوقت لكل عمل من الأعمال وقتاً لا يجاوز إلى غيره ، كالطعم والمشرى والاستفاه والنوم ، والتفريط والحراسة والدليية ، والتدخين والإيقاد وغير ذلك .

يوكل القائد بكل موضع من الحصن من يقوم به كالأبواب والأركان والبروج ، والشرف والستر والسدد ، والمحارس

وقدر جميع مواضع المقاتلة ، ولتعجل فيها ولا تنتظر بللك انقضاء مناظرة (المناظرة : الانتظار والثابرة) أهل الحصن .

إن أحرجوا إلى المناهضة بعد الإغبار نوهضوا ولا يرفع عنهم رمى المناجيق وغير ذلك ، من كل ما فيه النكاية ليلاً ونهاراً ، ولا يتر عنهم ساعة واحدة .

ليقاتلوا قتال القلاع والمدن وبآلاتها على حسب الحاجة إلى ذلك ، ووجه العمل في هذا كثيرة :

هي على حسب هيئة الحصن وموقعه وقدر أهله والإمكان فيه ، يقاتلون بالسلاح الأسير فالأسير ، ويؤخرون العظيم المهور إلى ما يقاتلون به .

إن كانوا أهل مناجزة طوولوا ، وإن كانوا أهل مطاوله نوجزوا على أن المطاوله في الحرب رأس المكيدة ، والذي يأمر به المحزمة أن يطاف بالحصن في كل يوم أو اثنين ، فيشار إليه ويقدر له ، ويتكلم فيه بما يرغب أهله ، ويكشف إليهم بالهم بأن يظهر لهم بعض ما يعمل به الصناع من آلات الحرب ، والاستحاثات بذلك والانكماش فيه .

اعلم أنك محصور منهم كما حصرتهم ، وأنهم لا يفترقون عن مكائدتك ، فلا تأمن خروجهم عليك ومواشيتهم لك ، إن أمكنتهم الفرصة منك في ليل أو نهار .

اتخذ لنفسك خنادق إن احتجت إلى ذلك وأمكنك ، وضع على قدر غلوة (مقدار رمية السهم) من أبواب حصن عدوك إن احتجت إلى ذلك رابطة على متون غيرهم وركبنا بمنزلة طلائعك ، يكون فيها كفاية وشغل لهم إن خرجوا عليك (الرابطة : الجند المرتبطون) .

ثم ينتقل الهرثمي بعد ذلك إلى الكلام على المدافعة عن الحصون وذلك في الباب الخامس والثلاثين فيقول :

قالوا : أول ما يحتاج إليه صاحب الجيش هو أن يكون في حال الأمن - وبقل أن يقبضه عدوه - قد حصن نفسه ، وأحكم مواضع المقاتلة فيه والمدافعة عنه ، ورم كل ما يحتاج إلى أن يرمه منه ، وشحنه بكل آلة وعدة تعين على طول الحصار ، وتنكأ العدو عند المناهضة ، وألا يخفيه في حال من الأحوال من المقاتلة ، والأخلاء الذين لا صنعت لهم غيره ، ولا يزال

يجهتد في إحكام الآفات (أى العيوب الضارة بصاحبها)
التي لا تكاد أن تؤدي بالمحصور إلى الظفر به ، بعد الغلبة
بالتصير والتأييد ، الذى ليس هو إليه ولا إلى المحاصر له إلا
منها ، وهى نفاد الماء والطعام فيحسن تقديرهما ، والثانية
التحارب من أصحابه والبنى من بعضهم على بعض ،
فيجهتد في اجتماع كلمتهم ، والثالثة عورات حصنه فلا يغفل
عنها ، ويحسن الستر والتدبير لها ، ويكون مما يأمر به
أصحابه أن لا يزالون يتناكرون فناء الدنيا وانقطاع ما فيها ، فإنه
لا يموت أحد إلا بأجله ، لا يتقدمه ولا يتأخر عنه ، فإنهم
موقنون بذلك ، فعلم يتحملون مع هذا العار والسبة ، والذلة
الباقية فيهم وفى أعقابهم آخر الدهر ؟ فى أن يتكروا حصنهم أو
يتراجعوا عنه ، هذا وما أشبهه من كل ما يوطنون له أنفسهم على
الاستيسال والصبر .

يأمرهم أن لا يزالون يتناكرون طلبهم القيام بحصنهم ،
وضمانهم المباحشة (أى المدافعة) عنه ، والبذل لأنفسهم
دونه ، وما لهم فى الوفاء بذلك من الحسن والنفع ، وما عليهم
فى الغدر به من الفتح والظفر فى العاجل والأجل ، هذا وما
أشبهه من كل ما يتسكنون به بالوفاء والمحافظة .

يأمرهم أن لا يزالون يطرحون الحسنة ويقولون بالقال
والزجر والأمارات وتأويل الرويا وما أشبهه ذلك مما يتطرون به
ويتعنون به .

يأمرهم أن لا يزالون يتحدثون بالفكاهات وكل ما يلهوون
به الضجر والتبرم ، ويسألون به القوم والأحران العارضة لهم .
إن كان محصوراً على التمام وله من ورائه من يحوطه ،
صير له فى عسكر عدوه من يسمى فيه بالفساد ، ويلقى إليه
خبره إن كان محصوراً وله من ورائه من يرجو غيابه ، احتال
لإيصال ما بينه وبينه بالمكاتبة والمراسلة بكل حيلة . إن كان
محصوراً ولم يكن له فى عسكره من ثقائه المؤتمنة ، أو
مستأمنة البلاد من يسمى فيه بالفساد (أى فى معسكر الأعداء)
ويلقى إليه أخباره ، احتال فى ذلك بإخراج المستأمنة إليه من
حصنه ليقوموا له به .

إن كان محصوراً تلطف لوصول كتبه إلى من له فى عسكر

و المناظر والمراتب والمخادق والفارقينات ، ومواضع المقاتلة
والمداغة وغير ذلك ، ويأخذ الموكل به بما يحدث فيه .
(السد جمع سدده وهى باب الدار ، والمناظر جمع منظره
وهى مكان الجلوس فى القصور العظيمة ، ولعل اسم المنصرة
العامة مأخوذ منها ، والفارقينات جمع فارقين وهو الخندق
بالغة الفارسية) .

يستعمل الصنائع فيما يحتاج إليه من آلاته ، ولا يبقى من
أصحابه أحد يقدر على عمل يتنفع به إلا عمله .

لا يأثف من عمل المهنة ويضع يده مع أصحابه فى كل
عمل يعملونه للنفعة ، يمثال أن يظهر من فعله وقوله لعدوه
كل ما يظهر به استغناؤه وقوته . يتحرز من كل فعل وقول يظهر
به أو توهم له النقص فى شيء من أمره .

يأمرهم برفض ما لا يحتاجون إليه والتمسك بما يحتاجون
إليه ، وألا يخرج أحد منهم شيئاً ولا يضيعه .

يأمرهم ألا يسلطوا مواضع الشرب (أى لا يخلطوها بشيء
أخر أو يلوثوها) ولا يزدحموا على الماء إذا استقوا . يأمرهم
بالوقار والحلم ، والاحتشام وحسن الخلق .

ينهاهم عن الشغب والنزق وكثرة الضجج والغلط ، وكل
ما يدعو إلى الفشل .

ينهاهم عن الفضول والخطل ، وكل ما لا يتصفون به من
القول والعمل .

ينهاهم عن الفحش والسفه على عدوهم ، وعن الإجابة
لهم على مثل ذلك من قولهم .

يأمرهم ألا يدهوا أحداً من عدوهم يقرب منهم بالكلام
فيسمعهم ما يكرهون فى أنفسهم ، أو يفضى ما تقدم به قلوب
بعضهم .

لا يدع أحداً يكثر السرار فيهم ، ويتكل بالمخرجين
والمخترجين ويعاتبهم أشد العقوبة (السرار : المحادثة فى
السرى ، المخرجون والمخرجين : الذين يشيعون الشائعات
الضارة) .

يتحرز ممن معه من أهل الصنائع والأموال والعيالات
الخارجة من حصنه ، ومن أهل الطعم والمقصد والفساد ،
ويتأني فى كل شيء من ذلك بما يصلحه ويحسمه به .

إحداهما أنهم يجلبون العلوفة ويمرون العسكر بالتمعة وما يحتاج إليه الناس من المؤنة ، والأخرى أن أهل الحصن المحصور والبلد المحفور يلبثهم ذلك فيعلمون أنه مالك لا مغير فيشعلون ويقصرون وتقتصر مهمهم وتختلف آراءهم وليكاتب أهل الحصن ويراسل أهله ومقدمته ويضمن لهم ما يطلبونه ويظهر لهم أن بعضهم يكاتبونه ويريدونه ولا يعين أحدا منهم وليترك الأمر مكتوماً والحال مضموماً فيظن كل واحد منهم في صاحبه ويطلب التقدم لنفسه ليأخذ بذلك عند الملك يداً ، ويجعله له سندا وليعلمهم بالزيادة على إقطاعهم ويلادهم وضياهم ليبلغ مقصوده ، وينال مطلوبه باليسر من التعب والقليل من النصب ولا يهمل مكتوبة القسوس وأصحاب المناصب وأتباعهم ومن يجري مجراهم فإن عندهم من قلة الخيانة واستعمال العذر والخيانة والرغبة في الدنيا والزهدي في الآخرة والتهور والطيش والخفة والحرص على حطام الدنيا والمثابرة على الجمل والتقدم عند الملوك والأكابر واتباع الرخص في فتاهم أنفسهم ما يبلغ بهم جميع مقاصده التي يرومها ، وليحذر الرهبان وأصحاب الصوامع فإنه لا يبلغ بهم مراده ولا يدرك مقصوده فإن عندهم من الشدة في الدين والمسكة وإهمال الدنيا ما يردعه عن الخوض في أمور العالم وأحوالهم وقد جربت هؤلاء وهؤلاء تجربة لا أشك فيها ولا أعرف ما ينالها .

وليترك على الأماكن العالية المشرفة على الحصن وليحبس عنه الميرة ويقطع المياه إن قدر عليها وليتفقد دثار الحصن وليسترق منه موصفاً ويستضعف منه مكاناً ولا يشعر به أحد ولا يعلمه جاسوس وليتقدم إلى بعض الأمراء المشهورين والفرسان المذكورين من قد عرف بالنجدة ووصف بالشدة وليمكنه من العدة والمدد والكورة والزرد وقوايرب النقط وجميع آلة الحرب والزحف والتعب كالكسالم والحبال والمعاول والأمخال والأرماع العوالي والطواوير والجنويات والكلايب والجفتيات والكباش والحزاقات . وليترك الأمير المذكور قريباً من المكان المطلوب والموضع المقصود ، وليعرض أصحابه وعسكره ثلاثاً يقع تفرط ، ولا يجري تخليط ، ولا يمكن أحداً

عدوه بالرسم بها من الحصن وألا يصير إلا إليه ، وإن كان له في حصنه مدخل ومخرج خفى ، فخاف قوة عدوه على قطعه إن تنبه إليه ، ستر ذلك جهده ، وإن أمته أظهر قوته ، وإثما يكون محصوراً حقاً إذا لم يكن ذلك له ، وإن رجع عنه عدوه لا يتبعه إلا أن يوقن بالظفر به أو النكاية له (مختصر سياسة الحروب / ٥٦-٦٤) .

وعلى غرار ما تقدم نجد أن الهروي صاحب كتاب التذكرة الهروية قد أفرد الباب الحادى والعشرين « في قتال الحصون وحصارها ومكائيد ذلك والحيلة فيه » وجاء فيه ما يلى :

وليحذر أن ينزل على حصن يكون أكبر منه وأقوى من جيشه فيقهره فإن رحيله عن الموضع بعد نزوله عليه ومباشرة له بالحرب حار وهزيمة ولا ينزل على حصن متيع ولا ثغر حصين إلا بعد استمالة قلوب أهله وأجناده ومقدمته وقواده بجميع ما يقدر عليه ويصل إليه وتعدد الأمراء والأكابر بما يرومونه ويضمن لهم ما يطلبونه وذلك قبل الحركة إليهم والنزول عليهم لعل [ولعله] يجد فرصة يتنزهها أو حيلة يعملها أو يبلغه من ثقة الجواسيس وأصحاب التواميس أن الحصن قليل الدخائر أو خال من الرجال أو قد قل به القوت أو ليس له ماء فليرحل إليه وينزل عليه ويقتنم الفرصة ليأمن الغصاة ويسارع بالنزول عليه والزحف إليه وليبهت أهله بشدة القتال ومرارة الزحف ولا يضع الحزم فيه [حتى] يتم الظفر وتنال المطالب وليستصغر المشقة إذا أدت إلى منفعة ولا يعمل ويضجر فإن ذلك يوهن جانيه ويضعف قوته . وليعلم أن أخذه لحصن متيع وثغر حصين وهتكه إليه بشدة وطأته وإخراق ناموسه بعظيم سطوته وفتحته إليه عنوة أو صلحا يؤدى إلى اضطراب البلاد من الخشية وعظيم السطوة وشدة اليأس . ولا يتنب بعد ذلك على حصن ينزل عليه أو ثغر يقصده بل ربما كاتبه أهله ورأسه أصحابه وطلبوا تسليمه إليه خوفاً منه وطعماً في ملكه وتخشية من سلطانه .

وإذا قصد بلداً يملكه وفى نفسه أن لا يتركه لليوثن الفلاحين والرعاة المستضعفين وليرسل إليهم من يحمهم ومن شر العسكر يكرههم وذلك لفائدتين :

(معجم البلدان / ٢ / ٢٦٤) .

• حصن الإسلام :

حصن الإسلام : لمولانا غانم محمد البغدادي الحنفي المتوفى في حدود سنة ١٠٣٠ ثلاثين وألف وهو مختصر ذكر فيه أنه سأل بعض الطلبة جمع ألفاظ الكفر فأجاب وزاد عليه العقائد والأحكام ليتم به النفع ورتب على خمسة فصول أوله : أشهد أن لا إله إلا الله الواحد الحي ... إلخ .

(كشف الظنون / ١ / ٦٦٨) .

• حصن الأكراد :

قلعة الحصن أو حصن الأكراد ، وتشرف على ممر حمص - طرابلس ، قرب تل كلخ . وأصل بنائها غامض ، وقد احتلها الصليبيون سنة ١١١٠ ثم صارت بيد « الاستبارية » وهم فرقة دينية عسكرية من الصليبيين وبقيت لهم حتى سنة ١٢٧١ م إذ استسلموا للظاهر بيبرس .

وتعد قلعة الحصن من أكمل الأبنية الحربية الباقية في سوريا ، بأسوارها وأبراجها ومخازنها العميقة وتحتادها (تاريخ الفن عند العرب والمسلمين / ١٠٦) .

قال عنه ياقوت :

وحصن الأكراد : هو حصن منيع حصين على الجبل الذي يقابل حمص من جهة الغرب ، وهو جبل الجليل المتصل بجبل لبنان ، وهو بين يعلبك وحمص ، وكان بعض أمراء الشام قد بنى في موضعه برجاً وجعل فيه قوما من الأكراد طليعة بينه وبين الفرنج وأجرى لهم أرزاقاً فتديروها بأهاليهم ثم خافوا على أنفسهم في غارة فجعلوا يحصنونه إلى أن صارت قلعة حصينة تمتد الفرنج عن كثير من غاراتهم ، فنازلوه فباعه الأكراد منهم ورجعوا إلى بلادهم وملكه الفرنج ، وهو في أيديهم إلى هذه الساعة ، وبينه وبين حمص يوم ، ولا يستطيع صاحبها انتزاعها من أيديهم ؛ وقال الحافظ أبو موسى الأصبهاني عن أبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي قال : ذكر ابن أبي حاتم محمد بن حصف الحمصني وقال : موضع بين الرقة وحلب ، وهذا يقال له حصن الأكراد قلت أنا : وقوله وهذا يقال له حصن الأكراد من لبس إلى موسى وهو خطأ لما

من القتال على البقعة المشهورة ، والرقة المذكورة ، ليش احتراسهم منها ، ويميلوا عنها ، وليقصد الملك أقوى الأماكن ، وأصعب المواضع ، ولجينة القوية ، والناحية المحمية ، وينصب عليها القتال ، ويشغلهم بنار الحرب ، ويذيقهم مرارة الزحف ، فلا بد وأن يميلوا إلى جهة القتال ، وموضع الحرب والنزال ، ويتركوا باقي الحصن ، وتحتلهم الغفلة ، ويستولى عليهم الولد ، وتأخذهم الحيرة ، وتلهيهم المصيبة ، فبهذا التندير ربما يملك الأمير المذكور الناحية المشار إليها من السور ، وتدخله التقايون وتستولى عليه الرجال وإياه في تلك الساعة من الغفلة ، وليحذر الفترة فرما يتقطنون ومن قدتهم يتبهون ، بل يلهيهم مرارة الزحف وشدة القتال ليعاينوا الموت ويلههم الرب ويشد بهم الخوف ويعظم بهم الجوع فهم لا شك يطلبون الأمان ويستجرون بالسلطان فإن شاء اللههم وإن شاء ملكهم (التلذذ الهروي / ٢٣ - ٢٥) .

(المفردات في غريب القرآن للرباب الأصفهاني - تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني / ١٢١ ، وموسوعة الممار الإسلامية - د. عبد الرحيم خاليل / ١٣٣ ، ومختصر سياسة الحروب للهرومي صاحب المأمون - تحقيق عبد الرؤوف هون ، مراجعة د. محمد مصطفى زيادة / ٥٦ - ٦٤ ، وكتاب التلذذ الهروي في الحل الحربية لملي بن أبي بكر الهروي / ٢٣ - ٢٥) .

انظر : الحروب الإسلامية .

• الحصن :

قال ياقوت :

الحصن : بالكسر ، والحصن مأخوذ من الحصانة وهو المنعة : وهو ثنية بمكة بموضع يقال له المفجر خلف دار يزيد بن منصور ، وقال أبو بكر بن موسى : الحصن ثنية بمكة بينها وبين دار يزيد بن منصور قضاء يقال له المفجر . والحصن أيضا : موضع بين حلب والرقة ؛ ينسب إليه محمد ابن حصف الحصني ، يروى عن معمر وأبي حنيفة ؛ كلما قال أبو سعد . وهناك حصن يقال له حصن عديس كما نذكره في حصن الأكراد . والحصن الأبيض ، وليس بحصن : موضع باليمن من أعمال سحاحان .



شكل ١٦ - ما هو مكتوب على باب بمارستان حصن الأكراد مغرلة عن نان برشم

مرضى المسلمين المقيمين والواردين وذلك في شهور سنة ٧١٩ هـ (١٣١٩ م) .

وهذا المارستان لم يبق من آثاره إلا هذه الكتابة وبعض الأحجار المستعملة الآن في بناء بعض المنازل الصغيرة المجاورة للبيمارستان وقد أرصد بكتمر بعض الأوقاف للصرف على هذا البيمارستان . قال ناقل هذه الكتابة : وقد وجدت في بعض البيوت المتخربة قطعة من نص وقفية بكتمر على البيمارستان وهذا نصها :

.... ويسوق البز وجميع الدار المجاورة للبيمارستان من جهة الشمال والربع والشعن من الحانوت بسوق السماين ومن شروطه أن يبدأ من ريع ذلك بعمارة المارستان وما هو موقوف عليه آتاه الله تعالى . ووجدت وقفية أخرى مكتوبة فوق حجر في جدار أحد المنازل الصغيرة مقابلة للكتابة السابقة وهذه صورتها ونصها :

« أوقفت الحاجة مريم زوجة ابن المسروري آتايها الله تعالى على هذا الوقف المبارك أربعة عشر سهما من البستان بقرية السحارة (الآن خراب وتبعد بمقدار ساعة ونصف عن حصن الأكراد) .

ذكرنا ، وأما ما ذكره ابن أبي حاتم فخيرني الوزير القاضي الأكرم أبو الحسن علي بن يوسف الشيباني القفطي ، أدام الله حراسته ، أن بين بالس ومنيع موضعا يقال له حصن عديس ، وهذا بين الرقة ونواحي حلب حصن الداوية ، ويقال : الدبوية ، حصن حصين بنواحي الشام ، والدبوية الذين ينسب الحصن اليهم قوم من الإنرج يحبسون أنفسهم لجهاد المسلمين ويمتنعون أنفسهم من النكاح وغيره ، ولهم أموال وسلاح ، ويتعاونون القوة ويعالجون السلاح ، ولا طاعة عليهم لأحد .

(تاريخ الفن عند العرب والمسلمين - أنور الرفاعي / ١٠٦ ، ومعجم البلدان لباقوت الحموي ٢ / ٢٦٤) .

انظر : حصن الأكراد (بيمارستان...) .

• حصن الأكراد (بيمارستان...) (٧١٩ هـ / ١٣١٩ م) :

أنشأ هذا المارستان أحد المماليك بهذا الحصن ووجد مكتوبا على عتبة باب هذا المكان ما يأتي :

بسم الله الرحمن الرحيم أنشأ هذا البيمارستان المبارك العبد الفقير إلى الله تعالى بكتمر بن عبد الله الأشرفي نائب السلطنة المعظمة بحصن الأكراد آتاه الله تعالى وأوقفه على



شكل ١٧ - باب مغرلة ولف بمارستان حصن الأكراد مغرلة عن نان برشم

الحسن ثم ما يقال في الصباح والمساء وفي الحياة إلى الممات ثم الذكر العام ثم الاستغفار ثم فضل القرآن ثم الدعاء ثم ختمه بفضل الصلاة على النبي ﷺ و فرغ من تأليفه يوم الأحد الثاني والعشرين من ذي الحجة سنة ٧٩١ إحدى وتسعين وسبع مائة بمدرسته التي أنشأها برأس عقبة الكنان داخل دمشق وجميع أبوابها مشيدة بالأحجار والناس في جهده عظيم من الحصار والمياه مقطوعة والأبدى إلى الله سبحانه وتعالى مرفوعة ، وكل أحد خائف على نفسه وماله وقد أحرق ظواهر البلد ونهب أكثره ولقد أحسن من قال :

(شعر)

إن نوابك الأمر المهر

ل أنكر الله المصطفى

وإذا بغى بسبغ عليه

سلك فسلوك الحصن الحصين

ثم شرحه شرحا مفيدا بالقول وسماه مفتاح الحصن أوله : الحمد لله على ما علم ... إلخ ذكر فيه أنه وعد عند تأليفه أن يجعل في آخره فصلا لحل مشكلاته ولما انتهى سارت به الركبان في البلدان وكذا مختصر عدة الحصن والجنة كلاهما له ولما مضى نحو من أربعين سنة وفي بما وعد به من ذلك الشرح و فرغ في رمضان سنة ٨٣١ إحدى وثلاثين وثمانمائة بمدينة شيراز . ثم إن الشيخ علي ابن السلطان محمد الهروي المعروف بالقاري نزل مكة المكرمة المتوفى بها بعد الثلاثين وألف (سنة ١٠١٦ ست عشرة وألف) شرح الحصن شرحا مزوجا بسيطا وسماه الحزب الثمين للحصن الحصين أوله :

الحمد لله الذي جعل ذكره حصنا حصينا ... إلخ و فرغ في النصف الأخير من جمادى الآخرة سنة ١٠٠٨ ثمان وألف . وأما مختصره المسمى بعدة الحصن فهو على عشرة أبواب أوله : الحمد لله الذي جعل ذكره عدة ... إلخ . ولهذا المختصر ترجمة بالفارسية مسماة بقرعة الحصن للسيد أبي الورد الدين عبد الله بن عبد الرحمن الحسيني الواعظ أوله : الحمد لله الجميل الذي يحب الجمال ... إلخ ذكر أنه زاد عليه بعضا من المهمات ورتب على خمسة فصول وخاتمة و فرغ في

و حصن الأكراد في السهل المعنى القناعية يحلده من الجنوب جبل عكار وجبل لبنان ومن الشمال جبال النصيرية . وسبب تسميته ب حصن الأكراد أن أحد أمراء حمص المرعاسيين وهو شبل الدولة نصر بن مرداس صاحب حمص أسكن فيه جماعة من الأكراد الذين أقاموا به هم وأولادهم لحماية الطريق ، وذلك سنة ٤٢٢ هـ . فنسب إليهم وكان من قبل يسمى حصن الصفيح وقد استولى عليه الصليبيون وبقي في أيديهم إلى سنة ٦٦٩ هـ (١٢٧١ م) ثم استرده منهم الملك بيبرس قسيم أمير المؤمنين .

(تاريخ اليمامستان في الإسلام ، د. أحمد عيسى / ٢٤٨-٢٥٢) .

انظر : اليمامستان .

• حصن بابليون ،

انظر : بابليون (حصن) .

• الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين ،

أوردده صاحب مفتاح السعادة في علم الأدعية والأوراد باعتباره من فروع علم الحديث (٢ / ٥٥٢) وقال عنه صاحب كشف الظنون :

الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين : لشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن الجزري الشافعي المتوفى سنة ٧٣٩ تسع وثلاثين وسبع مائة [٨٣٣] وهو من الكتب الجامعة للأدعية والأوراد والآثار الواردة في الأحاديث والآثار ذكر فيه أنه أخرجه من الأحاديث الصحيحة وأبرزه عدة عند كل شدة ولما أكمل ترتيبه طلبه عدوه وهو تيمور فهرب منه مخفيا وتحصن بهذا الحصن فرأى سيد المرسلين ﷺ جالسا على يمينه وكأنه عليه الصلاة والسلام يقول له ما تريد ؟ فقال يا رسول الله ادع الله لي وللمسلمين ، فرفع يديه فدعا ثم مسح بهما وجهه الكريم وكان ذلك ليلة الخميس فهرب العدو ليلة الأحد وفرج الله سبحانه وتعالى عنه وعن المسلمين ببركة ما في هذا الكتاب الجامع ما لم يجمعه مجلدات من التأليف وريز للكتب (المأخوذ عنها) بالرموز المعهودة بين أهل الحديث وذكر مقدمة تشتمل على أحاديث في فضل الدعاء والذكر وآداب وأوقات الإجابة وأمكتها ثم الاسم الأعظم والأسماء

آخره : وليكن ذلك آخر ما نلحده من عدة الحصن الحصين ...

تم الحصن الحصين سنة سبع وستين ومائتين بعد الألف ... نفعه السيد إمرالله الحمدي القيصر .

مقياس المجلد : ١٠ × ٨ ، ١٠ ، ٥ × ١٠ .

مقياس الكتابة : ٣ ، ١١ × ٦ ، ٤ .

عدد الأوراق : ٧٨ .

رقمه في الخزنة : ١١١٣ .

رقم المجلد : ١١٠ (المخطوطات العربية ق ٥ / ١٨٢ ، ١٨٣)

وقد ذكر عبد الحى الحسنى شروحا للحصن الحصين من المؤلفات في الهند فقال : فمن ذلك شرح عليه للشيخ حاجى محمد الكشميرى المتوفى سنة ١٠٠٦ ، وشرح عليه بالفارسي للشيخ فخر الدين بن محب الله البخارى الدهلوى ، وشرح عليه للشيخ منور بن عبد المجيد اللامورى ، وشرح عليه بالفارسي للشيخ محمد فيض بن محمد صادق البلكراسى ، وحاشية عليه للشيخ عبد الحى بن عبد الحليم الأنصارى اللكهنوى ، والظفر الجليل شرعه بالأردو للمولوى قطب الدين خان الدهلوى (الثقافة الهندية / ١٥٥) .

قالت المؤلفة : وقد اختصر الإمام ابن الجزرى كتابه هـا فى كتاب أسمه « عدة الحصن الحصين من كتاب سيد المرسلين » ، وهو على ، بشرح فضيلة الشيخ حسين محمد مخلوف . مطبعة المادنى . الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م ، ويقع فى ١٩٧ صفحة ، والفهرس ٣ ص .

(مفتاح السعادة لطاش كبرى زاد ٥٥٢ / ٢ ، وكشف الظنون لحاجى خليفة / ١ ، ٦٦٩ ، ٦٧٠ ، ولهرس المخطوطات المكيرويلية بشم المخطوطات . مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية . الرياض . المجلد الثانى ، السنة الثانية ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م / ٢١٠ ، والمخطوطات العربية فى مكتبة متحف « مولانا » فى قونيا . مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ٥ / ١٨٢ ، ١٨٣ ، والثقافة الإسلامية فى الهند » معارف المعارف فى أنواع العلوم والمعارف » لعبد الحى الحسنى - راجعه وقدم له لبر الحسن على الحسنى النثرى / ١٥٥) .

• حصن الرأس :

قال ياقوت : حصن الرأس : باليمن من مخلاف صدها من أعمال صنعاء (معجم البلدان ٧ / ٢٦٤) .

جمادى الأولى سنة ٨٣٧ سيع وثلاثين وثمانمائة ببلدة هراة ولأصل أيضا ترجمة تركية ليجى بن عبد الكريم سماها مصباح الجنان وجعلها على يابيين مشتملة على زيادة من خصائص النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أولها : الحمد لله الحميد ... إلخ (كشف / ١ ، ٦٦٩ ، ٦٧٠) .

يوجد مخطوطه فى مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض يرقم الحفظ ٢٧٣ - ف .

بداية المخطوطه : لا إله إلا الله عدة لقائه . اللهم صل على سيد الخلق ... قال الشيخ الإمام ... أما بعد حمد الله الذى جعل الدعاء ، رد القضاء .

نهاية المخطوطه : وقد أجزت لألادى أبا الفتح محمد وأبا بكر أحمد وأبا القاسم عليا وأبا الخير محمدا ... ورويته عنى ... حسينا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير .

الحظ نسخ جميل ، تاريخ النسخ : القرن ١٣ هـ - ١٩ م نسخة جيدة وكاملة مزخرفة ومزودة (فهرس المعبسوات المكيرويلية ٢ / ٢١٠) .

كما توجد نسخة بمكتبة «مولانا» فى قونيا ، وجاء بيان المخطوط كما يلى :

الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين :

لشمس الدين محمد بن محمد الجزرى المتوفى (٧٣٩هـ) .

معجم المؤلفين ١١ / ٢٩١ ، كشف الظنون ١ / ٦٦٩ ، بروكلمان ٢ / ٢٠١ ، ٢٠٣ ، وفيه ٢ / ٢٧٤ - ٢٧٨ . أورده سركيس فى معجمه ص / ٦٣ . طبع بولاق ١٣٢٠ ، مصر ١٢٧٧ .

الصفحة الأولى مذهبة والأوراق الأخرى مجسولة بالذهب ومكتوبة بخط النسخ الجميل ولكن يبدو أن الخطاط جاهل لوقوعه فى أخطاء إملائية كثيرة .

ترجم الكتاب إلى التركية على يد أحمد بن العارفين .

أوله : بعد اليسملة ، وجدت فى نسخة أم الأم المكتب منها -

• حصن زياد :

حصن زياد : بأرض أرمينية ويعرف اليوم ببختربرت ، وهو بين آمد وملطية ، وهو إلى ملطية أقرب (معجم البلدان ٢ / ٢٦٤)

• حصن سلمان :

حصن سلمان : ذكر البلاذري أن سلمان بن ربيعة كان في جيش أبي عبيدة مع أبي أمامة الصلبي بن عجلان صاحب رسول الله ، ﷺ ، فنزل حصنا بقورس من العواصم فنسب ذلك الحصن إليه وعرف به ، ثم قتل من الشام فيمن أمد به سعد بن أبي وقاص إلى العراق ، وقيل : إن سلمان كان غزا الروم بعد فتح العراق وقيل شخوصه إلى أرمينية فحسكر عند هذا الحصن وقد خرج من مرعش فنسب إليه ، وقيل : إن هذا الحصن نسب إلى سلمان بن أبي الفرات بن سلمان .

(معجم البلدان ٢ / ٢٦٤) .

• حصن سنان :

حصن سنان : في بلاد الروم فتحه عبد الله بن عبد الملك ابن مروان .

(معجم البلدان ٢ / ٢٦٤) .

• حصن طالب :

حصن طالب : قلعة مشهورة قرب حصن كيفا ، فيه كانت أكراد يقال لهم الجورية ، فغلبهم عليه قرا أرسلان بن داود بن سقمان صاحب حصن كيفا بعد سنة ٥٦٠ .

(معجم البلدان ٢ / ٢٦٥) .

• حصن العارفين من فنن الزمان :

لإبراهيم حقي الأرموسي الصوفي المتوفى سنة ١١٩٥ هـ ١٧٨١ م /

مخطوط بالخزانة العمرية في مكتبة المتحف العراقي .

الرقم ٢٢٣٤٠ / ٤

٢٤ ص ١٦ × ٢٦ سم ٢١ سطرا

معجم المؤلفين ١ / ٢٥

(مخطوطات الخزانة العمرية في مكتبة المتحف العراقي مركز الخدمات والأبحاث الثقافية في ٣٦ / ١) .

• حصن العيون :

قال ياقوت :

حصن العيون : في بلاد الشور الرومية ، غزاها سيف الدولة وفضحه ؛ فقال أبو زهير المهلهل بن نصر بن حمدان :

لقد سبخت عيون الروم لما

فتحنا ، عنوة حصن العيون

ودوخنا بلادهم بجرود

سواهم فسب قب البطون

عليها من ربيعة كل قمر

فقيده المثل ، ليس بسلي قسرين

(معجم البلدان ٢ / ٢٦٥) .

• حصن كيفا :

قال ياقوت :

حصن كيفا : ويقال كيا ، وأصلها أرمينية : وهي بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر ، وهي كانت ذات جانبين ، وعلى دجلتها فتطرة لم أر في البلاد التي رأيتها أعظم منها ، وهي طاق واحد يكتنفه طاقان صغيران ، وهي لصاحب آمد من ولد داود بن سقمان بن أرتق .

(معجم البلدان / ٢٦٥) .

ولشيخ محمد أحمد دهمان رحمه الله بحث مستفيض عن مملكة حصن كيفا الأيوبية التي يشير إليها بأنها حلقة مفقودة من سلسلة التاريخ الإسلامي . يقول رحمه الله في مقدمة بحثه :

عنت منذ خمس سنين بدراسة واسعة عن الدولة الأيوبية وإماراتها وعصرها . وكان مما عثرت عليه أثناء دراسة العصر الأيوبي ، والممالك الأيوبية مملكة مستقلة قامت في مدينة «حصن كيفا» وعاشت نحواً من ثمانية عشر ومائتي عام .

ومن العجيب أن تدمر سلطنة مثل هذا العمر الطويل ولا تدخل في سجل التاريخ ولا يشير إليها أحد من المؤلفين إلا عفواً .

فعملة الإسلام لم تشر إليها في بحث الأيوبيين ، ويحث « حصن كيفا » ونقلت عن كتاب « شرف نامه » عبارة تدل على هذه السلطنة دلالة مهمة .

فقد جاء في بحث « أوزون حسن » أنه انتزع « حصن كيفا » من أيدي الأكراد الأيوبيين ، وهذا كل ما أشارت إليه . ولم نر لهذه المملكة ذكرا في الأجزاء المطبوعة من كتاب (السلوك لمعرفة دول الملوك) للمقريزي ، ولا في تاريخ الحافظ ابن كثير ، وفي تاريخ القرماني مع وبعده باستقصاء الممالك والسلطنات والإمارات .

وأشار لهذه المملكة الفلقسندى بما لا يثنى الغليل ، ومعظم ما نقله عن كتابي التعريف والتتيف ، وكانت تقول كتاب التتيف مضطربة مشوشة مثل تقول الفلقسندى فهما لم يستندا في بحثهما إلى تحقيق علمي ، وإنما أخذنا معلوماتهما من أفواه بعض التجار والقصاد وقد استطعنا أن نجتمع حلقات هذه السلسلة الأيوبية من كتب التراجم بعد أن أعيانا البحث عنها في كتب التاريخ السياسي ، ولكننا لم نستطع التعرف إلى على خمسة من ملوكها وإن كنا قد علمنا أسمائهم .

حصن كيفا :

مدينة من مدن الجزيرة القراتية ، قائمة على الشاطئ الأيمن ، من نهر دجلة ، وهي في منتصف الطريق تقريبا بين ديار بكر وجزيرة ابن عمر ، وتبعد عن كل منهما مسيرة ثلاثة أيام .

وهذه المدينة عريقة في القدم ، فالغاور والكهوف التي لا تزال فيها ترجع إلى ما قبل العصر الكللاني وأصبحت (حصن كيفا) حسب التنظيم الإداري التركي جزءا من قضاء الموصلية في لواء ماوئين (ولاية ديار بكر) وهي قائمة بين قضاي الموصلية ومدياد . وسكانها أتراك وأكراد وأرمن وسوريون مسيحيون .

تاريخها الإسلامي :

انضمت هذه المدينة مع بقية الجزيرة إلى المملكة العربية الإسلامية بين سنتي (١٨ - ١٩ هـ) أيام خلافة عمر بن الخطاب . ولما ضعفت الخلافة العباسية دخلت حصن كيفا

تحت سلطة بني حمدان ، ثم بني مروان ، ثم بني أرتق الذين جعلوها عاصمة لهم منذ سنة (٤٩٥ هـ) قبلت في عهدهم أقصى فتاحاتها ووروعتها . وفي سنة (٥٧٩ هـ) حاصر صلاح الدين بن أيوب مدينة آمد وجاء لخدمته نور الدين محمد بن قرا أرسلان صاحب حصن كيفا فأحسن صلاح الدين لقاءه ووعده بآمد . فلما فتحها صلاح الدين في السنة المذكورة وفي بوعده لصاحب حصن كيفا وأعطاه آمد ، ومن ذلك الوقت خضعت حصن كيفا للمملكة الأيوبية خضوعا معنويا مع استقلالها الذاتي . وبين سنتي (٦٢٩ - ٦٣٠ هـ) أخذ الملك الكامل صاحب مصر مدينة آمد مع حصن كيفا من الملك المسعود ابن الملك الصالح أبي الفتح محمود بن نور الدين محمد بن فخر الدين قرا أرسلان ابن ركن الدولة داود بن قطب الدين سقمان بن أرتق .

وأصبحت يروش من الممتلكات الأيوبية وفي حدود سنة (٦٣١ - ٦٣٢ هـ) أعطى الملك الكامل حصن كيفا لابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب بقي فيها حتى مات أبوه فترك الحصن وتوجه إلى الشام وحصلت له وقائع كثيرة حتى صار ملكا على مصر سنة (٦٣٧ هـ) وكان أبقي في الحصن ابنه الملك المعظم توران شاه جد ملوك الحصن وهم الذين وضع هذا البحث فيهم .

ثم يحصى الشيخ محمد أحمد دهمان رحمه الله ملوك حصن كيفا وترجم لكل منهم ، ونلكرهم فيما يلي وننقل ترجمة من لا ترد ترجمته في هذه الموسوعة .

١ - الملك المعظم توران شاه / وهو جد ملوك حصن كيفا وأصلهم الذي يرجعون في النسب إليه . انظر ترجمته في م ١١ / ٦١ - ٦٣ من هذه الموسوعة .

١ - الملك الموحد تقي الدين عبد الله بن الملك المعظم توران شاه :

بعد هذا الملك أول ملوك الحصن من الأيوبيين المستقلين بها ولكنها لا تعرف عنه شيئا غير ما ذكره عنه أبو الفداء في تاريخه فقال عنه في حوادث سنة (٦٣٨ هـ) : إنه بعد ذهاب أبيه توران شاه إلى مصر بقي مالكا لحصن كيفا إلى أيام التتر وطالت مدته بها .

٢ - الملك الكامل مجير الدين أبو بكر شادى :

وهو ثانى ملوك الحصن ، ولا تعرف عنه غير كنيته ولقبه جاء ذكرهما عفواً فى الدرر الكامنة فى ترجمة ابنه أيوب ونصه : كان المعظم لما تقرر فى سلطنة الديار المصرية نقلاً من حصن كيفا ترك ولده الموحد تقي الدين عبد الله فاستمر فى مملكة الحصن المذكور . وتولى بعده ولده الكامل أبو بكر . وهذا كل ما عرف عنه . وفى الضوء اللامع للسقاوى ما يفيد بأن اسمه شادى ولقبه مجير الدين . وفى شذرات الذهب أيضاً ما يفيد بأن اسمه شادى . وقد خلف ولدين تولى بعده أحدهما أيوب ، والاخر محمد .

٣ - الملك الصالح نجم الدين أيوب بن أبى بكر شادى ، وهو ثالث ملوك الحصن . انظر ترجمته فى هذه الموسوعة تحت عنوان « الملك الصالح » .

٤ - الملك الكامل مجير الدين محمد :

وهو رابع ملوك الحصن ، وهو ابن أبى بكر شادى ، والمظنون أنه هو الذى قتل أخاه الملك الصالح نجم الدين أيوب بن أبى بكر شادى ، ولا تعرف عنه أكثر من ذلك .

٥ - الملك المجاهد شهاب الدين غازى .

ويعد الملك الخامس من ملوك الحصن ، وهو ابن مجير الدين محمد ولا تعرف عنه شيئاً .

٦ - الملك العادل فخر الدين سليمان (٧٨٠) ، وهو السادس من ملوك الحصن . انظر ترجمته فى هذه الموسوعة تحت عنوان « سليمان بن غازى » .

الملك الأشرف أحمد ابن الملك العادل سليمان :

وهو السابع من ملوك الحصن ترجمه صاحب الشذرات وصاحب الضوء اللامع بأنه صاحب حصن كيفا وأعمالها من ديار بكر ، ولها بعد أبيه فى سنة سبع وعشرين وكان مشكور السيرة مجيباً لرعيته لوفور عقله وسياسة وديانته مع فضل وميل زائد إلى الأدب ومشاركة فى فنون وكرم وشجاعة ونظرف ذكره ابن حجر فى أنباء الغمر ، وقال : إنه خرج فى عسكره لملاقاة السلطان (الأشرف برسبى) على حصار آمد فاتفق أنه نزل لصلاة الصبح فوقع به فريق من التركمان فأوقعوا به على غرة

قتل وذلك فى شوال سنة ست وثلاثين وثمانمائة ودفن بـ حصن كيفا . ويقول ابن حجر عنه : إنه كان فاضلاً أدبياً له شعر حسن ووقف على ديوان شعره وهو يشتمل على نواتج فى أبيه وغزل وزهديات وغير ذلك و إنه كان جواداً مجبياً للعلماء .

٨ - الكامل خليل ابن الملك الأشرف أحمد :

وهو الملك الثامن من ملوك الحصن . وهو خليل بن أحمد بن سليمان بن غازى بن محمد أبى بكر بن عبد الله بن توران شاه الملك الصالح ثم لقب بالملك الكامل أبو المكارم . استقر فى مملكة الحصن بعد قتل والده سنة ٨٣٦ هـ) وكان مجبياً للعلماء خصوصاً الشافعية ، وسار فى بلاده سيرة حسنة ونشر العدل ، ووصفه الحافظ ابن حجر بأنه من أهل الفضل وأن له نظماً وأنه أرسل بديوان من شعره على عادة أبيه إلى الديار المصرية فقرظه له الأدباء .

٩ - الملك العادل ناصر بن خليل بن أحمد :

وهو التاسع من ملوك الحصن قتل أباه وتملك بعده فبقي نحو سبعة أشهر ثم ثار عليه ابن عمه حسن بن عثمان ابن الملك العادل سليمان فقتله ثاراً لأبيه .

١٠ - الملك الكامل أحمد بن خليل بن أحمد بن سليمان :

وهو العاشر من ملوك الحصن ، ولما قتل أخوه ناصر أباهما الملك الكامل خليل فرحوا من أخيه إلى جهانشاه ملك تبريز ، فلما ثار ابن عمه على أخيه ناصر وقتله استدعاه ابن عمه من تبريز وجعله ملكاً على الحصن فبقي فيه ملكاً نحو سنتين ، ثم حصلت ثورة فى بلاده وتغلب على ملكه ابن عمه خلف بن محمد فقرر إلى قلعة أرغيس من معاملة الحصن ثم إلى بغداد ثم إلى مصر فأكرمته عتيق جلده مريجان العادلى مقدم المماليك وتوفى فى مصر أيام الملك الظاهر خشقدم .

الملك العادل خلف بن محمد بن سليمان بن أحمد :

وهو الحادى عشر من ملوك حصن كيفا ثار على ابن عمه الملك الكامل أحمد فى حدود سنئ (٨٥٨ - ٨٥٩) فقرر الملك الكامل واستولى على المملكة فبقي ملكاً سبع سنين . ثم جرى له ما فعله بسلفه ، فخار عليه أبناء عمه : زين العابدين ، وأيوب وعبد الرحمن أبناء على بن محمود بن

فكافاه السلطان سليمان القانوني على ذلك بأن ولاه زعامة الرها وغلثها ٧٠٠ ألف آتجه . وهكذا فقد ألحق حصن كيفا بتركية (العثمانية) . وانقرضت مملكة أيوبية حصن كيفا كلية بعد وقت طويل ملىء بالاضطرابات وبوادر الانحلال (انتهى) .
هذه خلاصة ما أطلعنا عليه من أخبار هذه السلالة ، وأكثرها لا يصلو تراجم ، ولكنها بمجموعها تعطينا فكرة عن هذه الإمارة . وبعد ذلك نسال لماذا كانت أخبار هذه الإمارة غامضة في أول نشأتها فلم يعرف عن أحوالها إلا النزر اليسير ، ولماذا لم يعرف عن ملوكها الخمسة الأول ، وما السبب في أن المؤرخين أغفلوا يذكرون تراجم ملوكها منذ منتصف القرن الثامن الهجري ؟

إنني أرى أن صغر هذه الدولة وضعفها كان له أكبر الأثر في ذلك ، يضاف إليه أن هذه الدولة تعتبر صاحبة الحق الشرعي في اعتلاء عرش المملكة في مصر والشام كما تعتبر دولة المماليك البحرية (ممالك جندملوك حصن كيفا) مختصة لعرش الأيوبيين ، ومهاضمة لحقهم ، ومكرمة لنعمتهم ، وعاقبة لولائهم .

لذلك كان من المعقول أن لا يجرى أحد من المؤرخين على ذكر دولة ملوك الحصن إلا رمزاً خوف تنبه الأفكار إليها ، بخلاف ملوك حمص وحماه التي بقيت إمارتهم مستقلة استقلالاً إدارياً في عهد المماليك ، لأنهم ليس لهم صبة قانونية في حق العرش ولم يسبق لأحد من أجدادهم أن امتلك دمشق أو حلب أو مصر ، وهي العواصم الكبيرة التي كان يقوم في كل منها مملكة أيوبية كبرى .

لذلك كان أبناء ملوك هذه البلدان الثلاث موضع ريبة وحذر في دولة المماليك البحرية ، وكانوا موضع بطش وانتقام من هذه الدولة أيضاً (في رجاى دمشق / ٢٤٠ - ٢٥٣) .

ويودع زامباور « قلعة بقرع بنى أرزق بحصن كيفا ثم بأق ، وهي كما يلى :

- (أ) معين الدين سقمان [الأول] بن أرزق سنة ٤٩٥ هـ
(ب) إبراهيم بن سقمان ٤٩٨
(ج) ركن الدولة داود بن سقمان حول ٥٠٢ هـ

العادل سليمان فقتلوه وولده هارون في حدود سنة (٨٦٥ هـ) وذكره صاحب الشذرات فيمن توفي سنة (٨٦٧ هـ) وكان العادل شجاعاً مقداماً ذا بطش وقوة وله نظم ليس بالجيد . وإليه الإشارة بقول الصدر بن البارزى مما كتب به إليه :

قالوا بموت الكامل الحصن وهت

وعزها قد حاد عنها وصنف

قلعت إن كان مضى كمالها

فلن فيها خلفها من سلف

١٢ - الملك الصالح زين العابدين

وهو الثاني عشر من ملوك الحصن ثار هو وأخوه أيوب وعبد الرحمن أبناء على بن محمود بن العادل سليمان فقتلوا ابن عمهم العادل خلف بن محمد وتملك زين العابدين على الحصن وبقي أيوب وعبد الرحمن كالوزراء ثم اختلف الثلاثة فيما بينهم فهاجم الحصن حسن بيك الطويل (أرزق حسن) ابن قرايلىك عثمان صاحب آمد واستولى على الحصن وقتل الثلاثة بين يديه صبرا في ذى القعدة سنة (٨٦٦ هـ) وبذلك انقرضت هذه السلالة الأيوبية .

١٣ - الملك خليل الثاني ابن سليمان

ولما مات أرزق حسن اضطربت الأحوال ، فانتهزها الأيوبيون فرصة وعادوا إلى حكمهم الأول ، فقد جاء خليل الثاني ابن الملك سليمان فيسطر على سمود أولاً ثم على حصن كيفا .

وفي فترة ، قام خليل الثاني بزيارة حميه الشاه إسماعيل ولكنه أوقف في تبريز وسجن ، غير أنه في أثناء فتوحات ياقوز سليم تخلص من سجنه وعاد لمملكته ، وفي خلال غيابه كان قائماً على حصن كيفا ولده الملك سليمان الثاني ، فلما عاد والده استعاد ملكه وجلس على عرشه للمرة الثانية وبعد مدة عاد سليمان الثاني مرة ثانية إلى الملك ولكن المناقصة دبت بينه وبين أخويه محمد وعلى ، وحصل بسبب ذلك اضطراب أدرك معه سليمان أن لا قبل له بمواجهته ووجد نفسه مجبراً على تقديم مقاتيح حصن كيفا سنة (٩٣٠ هـ - ١٥٢٤ م) إلى والى العثمانيين على ديار بكر حيث خسر باشا

- (د) فخر الدين أبو الحارث قرا أرسلان بن خالد ٥٣٩
(هـ) نور الدين محمد بن قرا أرسلان (تسلم آمد
سنة ٥٧٩ من يد حديقته صلاح الدين
(و) قطب الدين سقمان [الثاني] بن محمد،
الملك المسمود ٥٨١
(ح) ركن الدين مودود بن محمود ٦١٩
(ط) الملك المسمود ٦٢٩
عزله الملك الكامل محمد [الثاني] بن المنصور غازي
صاحب ميافارقين سنة ٦٢٩ (مجمع الأنساب / ٣٤٤).
(مجمع البلدان لياقوت الحموي ٢ / ٢٦٥، وفي رحاب دمشق -
محمد أحمد دهمان / ٢٤٠ - ٢٥٣، ومجمع الأنساب والأسرار
الحاكمة في التاريخ الإسلامي لزبار - د. زكي محمد حسن وزملاته /
٣٤٤).
* الحصوى (قبة) - (منتصف القرن الثالث هـ / منتصف
القرن الثاني عشر م) أثر ٣١٥:
من المشاهد المختلفة من العصر الفاطمي مشهد
الحصوى الذي لا يعرف شيء عن تاريخه. وهو كليلك
مشهد صغير مربع القاعدة، مبني من الحجر، يتكون من
طوابق ثلاثة، الطابق الأرضي، فطابق المقرنصات فالحقبة
الكروية، الشبيهة هي ومقرنصاتها بقبة إخوة يوسف، غير أنها
لا تحوي طابقا مشتملا بين المقرنصات والحقبة. ويمتاز هذا
المشهد بوجود طاقات محارية حول الواجهات الخارجية
لطابق المقرنصات، كما يمتاز بمحرابه البديع الذي يتكون
من طاقة محارية من ثلاث حطات، يحيط بها إطار عريض
مستطيل، تمتد عليه كتابة كوفية بلدعة على أرضية من
الزخارف النباتية.
(مساجد القاهرة ومدارسها، العصر الفاطمي ١ / ٣٥، ٣٦).
* حصول الأئس في انتقال حضرة مولانا إلى حظيرة القدس:
من مصنفات التراث الإسلامي في علم التصوف مخطوط
بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأمد)
الرقم ٣٤٤٨ تاريخ ٩٢.
- كتاب في بيان ما حصل للمعارف خالد المجدي
التشبيدي وقت الوفة وذلك بناء على طلب مريدته من
المؤلف الذي هو أخوه زوجته فصفت هذا الكتاب ذاكرة أحواله
مع أقاربه وأهله وتعلمه.
المؤلف: إسماعيل بن عبد الغنى بن محمد الغزى
العامري الدمشقي المتوفى سنة ١٢٤٧ هـ / ١٨٣٢ م.
أوله: سبحان من تغرد بالبقاء والقدم، سبحان من لا
يعتريه المنون ولا يلحقه العدم، سبحان من لا تغنيه الأيام
والسنون، كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون.
آخره: ولو أردت أن استقصى لك العشرات والعمراني
التي اشتهرت عنه بين الناس لضاق عن تقريرها القرباس.
ثم ساق بعض القصائد في العمراني بشأنه أولها:
كأس الحمام على البرية جارى
والسمع من فقد الأحبة جارى
آخرها:
وأباحت سحب الفضل تهطل دافعا
بفساء مك لا تكاد تزول
ما قال إسماعيل يرثى سيدا
ما للجبال السراسيات تميل
الخط نسخ واضح، الحبر: أسود وبعض كلماته
بالأحمر.
اسم الناسخ: عبد اللطيف بن حسين بن إسماعيل
العامري الغزى حفيد المؤلف.
تاريخ النسخ: ١٥ ذى الحجة سنة ١٢٩٦ هـ.
ملاحظات: نسخة مراجعة عليها تملك باسم محمد
أسعد الصاحب.
نسخة ثانية
الرقم ٥٠٣٣
أولها وآخرها: كالسابقة.
الخط نسخ متعاد، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر
مجلولة بالأحمر.

- اسم التناسخ : عبد المجيد بن علي تلميذ أبي الفتح الخطيب .
- تاريخ النسخ : ١٨ صفر سنة ١٣٠٣ هـ .
- ملاحظات : نسخة مراجعة .
- مصادر عن الكتاب : إيفاح المكتون ١ / ٤٠٦
- مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٢ / ٢٧٧ ، روض البشر للشطبي ص ٥٢ طبعة الكتاب : نشره الأخ الأستاذ أسامة التكريتي في دمشق سنة ١٣٩٠ هـ بـ ١١٢ ص .
- (فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف - وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٤٨ - ٤٥٠) .
- حصول الرفق بأصول الرزق :
- من مصنفات التراث الإسلامي في علم التصوف مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد)
- الرقم ٤٣٩٢
- رسالة في موضوع الرزق ضمنها فصلين وخاتمة الأول في الشكر ، الثاني فيما ورد به في الأفعال ، والخاتمة الأشياء الجالبة للرزق .
- المؤلف : أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي الشافعي المتوفى سنة ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م .
- أوله : الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى ويعمده : فقد سألتني ببائل عما ورد في الأحاديث من الأفعال والأكدار والأفعال الجالبة للرزق ليلازمها من ضائق عليه رزقه ...
- آخره : خاتمة وجلدت في مجموع : من كتب يوم الجمعة بعد الصلاة قوله تعالى : ﴿ ولقد مكناكم في الأرض ﴾ إلى قوله ﴿ تشكرون ﴾ [الأعراف : ١٠] وجعلها في بيته أو حاشيته كثر الله خيرها ورزقه ...
- المخط نسخ معتمد ، الحجر أسود وبعض كلماتها بالأحمر .
- اسم التناسخ : مصطفي .
- تاريخ النسخ : سنة ١١٢٧ هـ .
- ملاحظات : نسخة مراجعة معلق عليها .
- نسخة ثانية :
- الرقم ٦٣٨٢
- أولها : كالسابقة .
- آخرها : قصيدة منسوبة للغزالي مطلعها :
- إنما ما كنت ملتصقا لسرور
- ونجح القصد من عبد وحر
- وتظفر بالذي ترجو سريرا
- وتأمن من مغالقة وعسل
- المخط نسخ معتمد ، الحجر أسود وبعض كلماتها بالأحمر .
- نسخة ثالثة .
- الرقم ١٣٦
- أولها وآخرها : كالسابقة .
- المخط نسخ معتمد ، الحجر أسود وبعض كلماتها بالأحمر .
- اسم التناسخ : محمد عبد العزيز .
- تاريخ النسخ : السبت ٧ صفر سنة ١٠٧٦ هـ
- مصادر عن الرسالة : الكشف ١ / ٦٧٠ ، جامعة الرياض فهرس خاص بمؤلفات السيوطي ص ١٨ رقم ٥٨ .
- مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٥ / ١٢٨ ، التنوير للسافر ٥٤ .
- قال الأستاذ محمد رياض المالح وأضبع الفهرس : بعض نسخ الرسالة أحفظ بأوراق منها .
- (فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف - محمد رياض المالح ١ / ٤٥٠ - ٤٥٢) .
- الحصى :
- انظر : الحصى .
- الحصى :
- عرفه صاحب كتاب التنوير بأنه حجارة تتولد في الكلى أو في المثانة (كتاب التنوير / ٢٦) وتكلم عليه داود بن عمر الأنطاكي تحت عنوان : الحصى والرمل فتكلم عن الأعراض والأسباب والعلاج فقال :

حصى الجمار :

انظر : الجمرات .

• الحصى : ٥٤٦ - ٦٣٠ هـ / ١١٥١ - ١٢٣٨ م :

محمود بن أحمد بن عبد السيد بن عثمان ، أبو المحامد ، جمال الدين البخاري الحصري ، فقيه ، انتهت إليه رئاسة الحنفية في زمانه . مولده في بخارى ، ونسبته إلى محلة فيها كان يحمل بها الحصى ، سكن دمشق ، ودُرس بالمدسة النورية ، وتوفى بها . من كتبه « التحرير في شرح الجامع الكبير » مخطوط فقه ، سبع مجلدات ، و « غير مطلوب في العلم المرغوب » مخطوط فقه ، و « الطريقة الحصرية في الخلاف بين الشافعية والحنفية » مخطوط ، و « النجم الهادي الساري إلى حل ألفاظ صحيح البخاري » مخطوط . الجزء الأول منه ، في مكتبة عيلروس الحيشي بالقرنة ، بحضور موت ، و « الوجيز » مخطوط . فتاوى في فقه الحنفية .

(الإسلام للزركلي / ٧ / ١٦١) .

• أم الحصين الأحمدية ،

قال صاحب الإصابة :

أم الحصين الأحمدية - ثبت حليتها في صحيح مسلم من طريق زيد بن أبي أنيسة عن يحيى بن الحصين عن جدته أم الحصين قالت حججت مع النبي ﷺ حجة الوداع فرأيت أسامة وبلالا أحدهما أخذ بخطام ناقة النبي ﷺ والأخر رافع ثوبه يستبرئ من الحر حتى رمى جمره العقبة قال أبو عمر روى عنها يحيى بن الحصين والميزان بن حريث وسمى أباهما إسحاق ولم أرهما لغيره ورواية الميزان بن حريث عنها عند ابن منته من طريق أبي نعيم عن يونس بن أبي إسحاق عن العيزار ابن حريث قال سمعت الأحمدية يعني أم الحصين تقول رأيت على رسول الله ﷺ بردا قد التحف به من تحت إبطه يقول : يا أيها الناس اتقوا الله وإن أمر عليكم عبد حبشي فاسمعوا له وأطيعوه ما أقام فيكم كتاب الله تعالى ، وأخرجني من طرق عن أبي إسحاق عن يحيى بن الحصين عن جدته مطولا ومختصرا ورواه إسرائيل عن جده أبي إسحاق عن العيزار بن حريث عن

الحصا والرمل : أجساد تصلبت عن حرارة غريبة في مادة غليظة لزجة وتكون في أي فضاء لُغت (أي التصقت) به وتتابع عليها الخطط المشاكل مثل الكبد والطحال والجنين وإنما عدت في أمراض الكلى والمثانة لكثرة توليدها فيها وأسبابها أخذ ماء لزوج وسدد كالهريسة والبيض الضيق والماء الكدر وقلة الحركة وعلامتها القتل والتلهب والتمدد والكرب حالة التورم على الوجه وأوجاع القطن والكلى فيها والعانة ... وعسر البول في المثانة ويسوب مثل الرمل في البول ضاريا إلى الحمرة في الكلى والغبرة في المثانة وغالب حصص الكلى في الكهول والسمان والمشيمة في الصبيان والحكود والمهازل ...

العلاج : تنقى المادة بالفصد وغيره ويسالغ في التطولات بنحر طبع الحسك والبإبرنج والمذيب للحصى كالشجرنيا والكاسنج ومعيون اللبن واليزورات المسنرات والحمام والانتعاج في الأبازين وزرق الأمان والألمعية بكثرة والمرخ بها والاحتقان بالمليينات خصوصا عند السدد وأجودها البفسجي ودهن العشارب شربا وطلاء وزرقا وطبيخ أجزاء شجرة الغار والفجل والعليق يدهن اللوز الحلو مجرب وكذا الثونيز يدهن الغار والمسل والغاريقون أكلا والزجاج المكلس .

ورماد النساخرا كذلك وإذا حشى الفجل بزر السلجم وشوى في العجين حتى ينفخ وأكل بالمسل فتت الحصى مجرب والزياد بالحليت أكلا وطقورا كذلك ، ومن للمجربات المجمعة على صحتها من عهد جالينوس أن يؤخذ تيس قد ولد عند استواء العنب فيلبح حين يستكمل أربع سنين ويجمع دمه في قدر نظيف ويغلى بخمرة في الشمس ويقلب كل وقت بالأبر ويراقي ما يخرج منه من المائية فإذا جف سحق ورفغ درهم منه بملعة من ماء الكرفس يسقط الحصاة من وقته وجالينوس يسمي هذا الدواء يد الله وقالوا إن أنفراخ الحمام إذا طبخت بالشريح وحده دون غيره ولموزم أكلها فتت الحصاة وحجر اليهود والإسفنج نافع شربا (الترجمة المبهجة / ٩١ - ٩٣) .

(كتاب التتير في الاصطلاحات الطبية لأبي منصور الحسن بن نوح النعمى - تحقيق وفاء تقي الدين / ٢٦ ، والترجمة المبهجة المطبوع بنيل نكتة أولى الألباب / ٩١ - ٩٣ وكلامنا للبريد بن عمر الأنطاكي) .

تكون بمثابة الصنائع ، ويحتاج كل صنف فيها إلى القوة عليه والمهارة فيه» (مقدمة ابن خلدون / ٨٧١-٨٧٧) .

والمعاجم الحديثة تعرف الحضارة في استعمالها المولد «بأنها مظاهر الرقي العلمي والفني والأدبي والاجتماعي في الحضرة» (المعجم الوسيط) .

ومما يلحظ أن اللغتين الأورنيتين المقابلتين لأنفاظنا العربية الثلاثة وهما :

Culture و Civilization فيها ما فسى ألفاظنا من تقارب وتداخل ، وقد جرى عليها ما يجرى الآن على ألفاظنا من محاولة التحديد والتخصيص .

على أن كثيرا من علماء الإنسانيات في الغرب قد اصطلموا منذ القرن الماضي على أن يقصروا دلالة Culture (وتقالها عندنا ثقافة) على الجوانب الروحية والأدبية من حياة الأمة ممثلة في دينها ولغتها ونظم أخلاقها وفلسفتها وآدابها وفنونها مما يتصل بتثقيف العقل والنفس ، ويصبروا دلالة Civilization (وتقالها عندنا مدنية أو حضارة) إلى الجوانب المادية ممثلة في العلم والاختراع والكشف ، مما يتصل بتنظيم مرافق الحياة في صناعتها وزراعتها ومواصلاتها وزيادة ثروتها ، ورفع مستوى معيشة المواطنين فيها .

ولكن مع هذا التحديد الاصطلاحي يبقى لكلمة Civilization عند كثير من العلماء استعمالها الواسع الذي يشمل مظاهر الرقي المعنوي والمادي للإنسانية عامة في مراحل تاريخها الكبرى ، أو لكل أمة من الأمم التي ظهرت شخصيتها في تاريخ الإنسانية بمقومات بارزة ، وكان لها نصيب ملحوظ في دفع عجلة التطور البشري إلى الأمام : كالحضارة المصرية القديمة - مثلا - فيما قدمت للجنس البشري من اختراع الكتابة وتطوير فن العمارة ، وكالحضارة اليونانية فيما قدمت من الفلسفة والدراما . وقد مثل ذلك في حضارات « آشور وبابل والصين والهند وفارس والحضارة الإسلامية وحضارة الغرب الحديث » .

كذلك الأمر عندنا - بصفة عامة - فنحن حين نتحدث عن الثقافة الإسلامية نقصد بها في الغالب تراثنا الروحي

أم الحسين وعن أبي إسحاق عن يحيى بن الحسين عن جلته رواء أبو نعيم في المعرفة ووقع لنا بعلو في فوائد أبي بكر بن أبي الهيثم (الإصابة ج ٨ م ٤ / ٢٢٣) .

وقال صاحب الرياض المستطابة :

شهدت حجة الوداع ، فروى عنها حديثين فرق أحدهما في موضعين وشرح عنها الأربعة . روى عنها حديثا يحيى بن الحسين والعيزار بن حريث رضى الله عنها ورحمها .

(الإصابة في تمييز الصحابة) لشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر المصلاقي م ٤ ج ٨ / ٢٢٣ ، والرياض المستطابة للإمام يحيى بن أبي بكر العامري البجلي / ٣٣٠ ، ٣٣١) .

انظر : حجة الوداع .

• الحضارة الإسلامية :

من البحوث القيمة التي ألفت في المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر بحث بعنوان « أثر الحضارة الإسلامية في رقى البشرية وبعادتها » للأستاذ محمد خلف الله أحمد عضو المجمع جاء فيه ما يلي مع بعض الاختصار :

١ - في اللغة العربية ألفاظ ثلاثة متقاربة الدلالة ، يحاول بعض الباحثين - رغبة في الدقة والوضوح أن يخضعوها لشيء من التخصيص والتحديد ، تلك الألفاظ هي : « الثقافة » ، و « المدنية » و « الحضارة » فأصل مادة التثقيف في العربية التشذيب والتهديب والتغويم والحقن والطفانة . ومعاجمنا تعرفها في الاستعمال المحدث بأنها : العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحقن فيها (المعجم الوسيط) . ومادة مدن وتمدن متصلة بالمدنية والعيش فيها والأخذ بأسباب الحضارة . وأصل معنى الحضارة (بفتح الحاء وكسرهما) الإقامة في الحضر ، وقد استعمل ابن خلدون (توفي سنة ٨٠٨ هـ) الكلمة كثيرا وشرحها وعرفها في غير موطن (من مقدمته) وخلاصة كلامه فيها : « أن الحضارة في الأخصار من قبل الدول ، وأنها توسع باتصال الدولة ورسوخها وأنها أحوال عادية زائدة على الضروري من أحوال العمران زيادة تتفاوت بتفاوت الرقة ، وتتفاوت الأمم في القلة والكثرة تتفاوت منحصرة ، وتقع فيها عند كثرة الثغن في أنواعها وأصنافها

وغرباً ، وهما « القارسية والرومانية » اللتان أظهرتا العداء للدعوة وتهددتاها من أطرافها . وهنا اندفع المسلمون الأولون من شبه الجزيرة يدعون إلى الله في غير إكراه ، ويزلزلون عروش القياصرة والأكاسرة كي لا يحول الملوك والرؤساء بين رعاياهم والاستماع لدعوة التوحيد .

ولم يمض قرن من الزمان حتى كانت راية الإسلام قد أظلت العالم القديم . ثم توالى اتساع المجتمع الإسلامي ، وتغلقت الدعوة إلى أواسط آسيا وما وراءها ، وإلى أقاليم أوروبا الجنوبية وإلى مختلف أرجاء القارة الإفريقية ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ، من مختلف الأجناس والألسنة والألوان ، ولم يكونوا يعتقدون الإسلام طوعية فحسب ، ولكنهم كانوا يهبون لنشره والدفاع عنه بأنفسهم وأموالهم ، ويقبلون من رضا واختيار على تعلم « العربية » لغة كتابه ورسوله ، فيقتنوا الكثير منهم ، ويؤلفون بها علوم الدين والدنيا ، بل يشاركون مشاركة وإثقة في تقنين تلك اللغة والتأليف في أسرارها وخصائصها وفي أديها ولغتها ، وينبغ منهم في مختلف ميادين المعرفة أئمة مجتهدون حفظ تاريخ الإسلام أسماءهم ومذاهمهم وثراتهم .

وهنا يصل بنا الحديث إلى السمة الثانية الهامة من سمات الحضارة الإسلامية وهي سماحتها وإنسانيتها وصالمتها ، ذلك أنها كانت - وظلت - وستبقى ثمرة الجهود المشتركة من كل من أظلتهم راية الدولة الإسلامية من مسلمين وغير مسلمين على اختلاف ينحلوهم ولغاتهم والقومية : فقد وفرت الدولة لغير المسلمين حرياتهم ، واحترمت شعائرهم وأماكن عباداتهم ، وفتحت أمامهم أبواب مناصبها وإدارتها ، وأغدقت عليهم من التشجيع ما أتاح لهم القيام بدور كبير في نقل الثقافات القديمة ولا سيما الفارسية واليونانية والهندية إلى اللغة العربية ، فازدادت بذلك حضارة الإسلام خصبا وفتحها ، ولزدهرت بها العلوم والمعارف والآداب والفنون ازدهارا يشهد به التراث الإسلامي في مؤلفاته التي شارك الغرب الحديث في العناية بتحقيق الكثير منها ونشره ، وتشهد به ألوف المخطوطات العربية والشرقية المحفوظة في مختلف

والتاريخي والفلسفي واللغوي والأدبي والفني ، وحين نتحدث عن الحضارة أو المدينة الإسلامية ، لا نقصد بها مجرد تاريخ العالم الإسلامي وإن كان التاريخ إطار الحضارة ووعاءها ، ولا نقصد الثقافة وحدها ، وإن كانت هي العنصر الجوهرى في الحضارة ، ولا نقصد مجرد النظم والنظريات العلمية والمخترعات وإن كانت تلك مظاهر مهمة من مظاهر الحضارة ، ولكننا نقصد كل ذلك مجتمعا متكاملا ، مؤلفا شخصية متميزة بين الحضارات الكبرى للإنسانية ، وإذا أردنا مزيدا من التحديد للغوى كان لنا أن نصلح على أن نعتي «بمدنية» جانب العلم والاختراع وآثارهما المادية وأن نوسع مدلول « حضارة » ليشمل الجوانب الروحية والمادية معا (أو الثقافة والمدنية بمعناها الضيق) .

٢- على هذا الأساس نستطيع أن نقول : إن الحضارة الإسلامية هي تلك الحضارة التي قامت على أساس رسالة سماوية - هي « الإسلام » - جاءت خاتمة لرسالات السماء ، مصدقة لما بين يديها من الرسالات مؤيدة من الله بمعجزة من كلامه في صورة كتاب عربى مبين ، نزل به الوحي ، وثبتت صحته نبوتاً تاريخياً قاطعاً ، وتضمنت سورة وآياته الأسس الكبرى لتعاليم تلك الرسالة ، كما فصلت الكثير منها ووضحت أدوار الرسول وأعماله التي بذل علماء الإسلام من مختلف أقطار جهوداً خالصة في تتبع رؤيتها واستقصاء أساسياتها ، فكانت ثمرة ذلك مجموعة من كتب « الصحاح » .

يعلها المسلمون المصدر الثانى بعد القرآن لشريعتهم .

هنا - إذن - هو المقوم الأول من مقومات الحضارة الإسلامية وذلك أنها قامت على أساس من رسالة إلهية .

وقد بدأت هذه الرسالة حياتها في بلاد العرب ، وكافح المؤمنون بها وهم قلة ثلاثا وعشرين سنة ، تحت قيادة الرسول ﷺ . وحين أكمل الله للمسلمين دينهم ، وأتم عليهم نعمته ورزى لهم الإسلام ديناً ، ولحق الرسول بربه ، كانت نواة الدولة الإسلامية قد تكونت فى المدينة ، وكان خلفاء الرسول وأصحابه وأنصاره قد استمدوا لتلقى راية الدعوة ، ومواجهة الحضارتين الكبيرتين المحيطتين بمهد الإسلام شمالا وشرقا

موقف الاعتزاز الحق بحضارتنا ، ونعرض على العالم كله ما قدمته تلك الحضارة ، وما نستطيع أن تقدمه لرقى البشرية وسعادتها .

٣- إن مكتبتي الإسلامية حافلة بكل ما نحتاج معرفته من مقومات حضارتنا وإنسانية اتجاهاتها وسماحة تعاملها ، والتطبيق الناجع لتلك التعاليم : فمنها كتاب الله وتفسيره وعلموه ، وسنة الرسول ﷺ وما تضمنت من رسم معالم الطريق للحياة الإنسانية الفاضلة وما أوحى به من بحوث ودراسات ، وعندنا سير الخلفاء الراشدين وخطبهم وتوجيهاتهم للولاة والقضاة في الأقاليم والأنظمة التي أقاموها لبناء الحضارة الإسلامية . وبحسبنا أن نشير من نماذج توجيهاتهم إلى خطبة « أبي بكر » حين ولي الخلافة ، وكتاب « عمر بن الخطاب » إلى « أبي موسى الأشعري » حين ولا قضاء البصرة ، وعهد « الإمام علي » إلى « الأشتر النخعي » حين ولا مصر ، وكتاب « طاهر بن الحسين » إلى « ابنه عبيد الله » حين ولا « المأمون » الرقة ومصر ولنا تراثنا الضخم في التشريع والأصول والمثل والنحل ، والتصرف والأخلاق والفلسفة ، وعلم اللغة والأدب والبلاغة والأجتماع والتاريخ والجغرافيا والرحلات ، وعلم الطبيعة والكيمياء والإحياء والرياضة والفلك . وعندنا ذخيرة من الرسائل والكتب في آداب الدنيا والدن ، والسياسة الشرعية ، ومن الموسوعات التي ترسم منهاجاً مفصلاً للحياة الصالحة في مختلف جوانبها على هدى من فقه الشريعة وأسرار الحقيقة ولعلمائنا المحدثين جهود موفقة في إبراز مقومات المدنية الإسلامية والردود المفحمة لخصومها وجلاء عبقرياتها والرجوع إلى تعاليمها في حل مشكلات الحياة المعاصرة وممن أبلوا في هذا بلاء حسناً « جمال الدين الأفغاني » في دوره الإصلاحية و « محمد عبده » في كتبه ومقالاته ، و « محمد إقبال » في فلسفته وشعره ودراساته لتجديد التفكير الإسلامي . و « أمير علي » في ما كتب عن روح الإسلام و « كرد علي » في دفاعه عن « الحضارة الإسلامية » ... [والشيخ محمود] شلتوت في كتبه وفثاؤه ...

وقد أضاف بعض باحثينا المعاصرين إلى المكتبة

المكتبات الكبرى في العالم ، ثم يشهد به علماء المصوّر الوسطى وعصر الإحياء في أوروبا ممن تعلموا على كتب « ابن سينا (٤٢٨ - ١٠٣٧) » ، وابن رشد (٥٩٥ - ١١٩٨) ، والرازي (٩٢٥ م) ، والغزالي (٥٠٢ - ١١١١) وابن خلدون وغيرهم ، ويشهد به المنصفون من محدثي علماء الغرب ممن كتبوا عن فضل الحضارة الإسلامية على الحضارة الغربية في الفلسفة والطب والكيمياء والرياضيات والفلك وأدب الرحلات والأدب الرومانسي وغيرها من ميادين المعرفة .

ولا حاجة بنا هنا إلى الإفاضة في جوانب تراث الحضارة الإسلامية ولا إلى مناقشة القضايا والتجنيات التي أثبتت في الماضي ضد تلك الحضارة : قضايا تخلف البلاد الإسلامية ومركز المرأة في المجتمع الإسلامي وكالمزاعم التي كان يقلد بها بعض المفرضين من غير المسلمين من أن الإسلام مضاد للتطور ، وأنه انتشر بالسيف ، وأن الحضارة الإسلامية حضارة ناقلة وليست مبدعة ، وأن الإسلام ليست عنده الحلول المرضية لمشكلات الحياة الحديثة ، وأن بعض نواحيه كنظام الإرث لا تتماشى والتطور الحديث ، فهذه وأمثالها قضايا ومزاعم أشيعها علمائنا منذ بدء حركة الإصلاح في العالم الإسلامي نقاشاً ونفيها .

(ممن أبلوا في هذا بلاء حسناً :

(أ) الإمام الشيخ محمد عبده في كتبه ومقالاته .

(ب) محمد كرد علي في كتابه « الحضارة الإسلامية » طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة في مجلدين . الأول (ط ١) ١٩٥٠ والثاني (ط ٢) ١٩٥٩ .

(ج) أمير علي في كتابه Spirit Of Islam

(د) رشيد رضا وفريد وجدي وميخائيل محمود العقاد .

وقد أوشكت أن تنتهي تلك المرحلة التي كنا مضطرين فيها أن نلتزم موقف الدفاع عن حضارتنا ضد هجمات الخصوم والمفرضين . ولأن بفضل التحور السياسي والاقتصادي لكثير من بلادنا الإسلامية الكبرى ، ونهضة الثقافة والعلم فيها دخلنا مرحلة ايجابية جديدة تقف فيها

المجتمع وزوم القصد ، والبعد عن الإسراف والشح في أمور المعيشة ، والتفكير من كثر الأموال ومن تعطيل استثمارها فيما يعود على الجميع بالنفع والرفاهية .

ونظامها التشريعي يقوم على أصول رئيسية واسعة - قروما كتابها وستنها مع ترك المجال واسعا للاجتهاد في تطبيقها تطبيقا يحقق المنافع ويدرك الأضرار . وقد تمثلت هذه الناحية التشريعية في ثروة من الفقه الإسلامي تجلت فيها عبقرية الحضارة الإسلامية في تنظيم العلاقات والمعاملات على أسس سليمة ، وتمثلت فيها حرية الاجتهاد الفكري ، فأثمرت طائفة من المذاهب الفقهية الكبرى التي انتشرت في العالم الإسلامي كله .

والنظام الثقافي للحضارة الإسلامية يمتد على طلب المعرفة من كل وجه ممكن ، واستخدام العقل في كسب المعارف ، وتسخير الطبيعة لخدمة الفرد والجماعة واعتبار الثقافة أيا كان مصدرها ومهددا تراثا عاما للإنسانية ، يشارك في تمتيعها كل مواطن مستطيع ، وكل جيل من الناس ، ويأخذ فيها اللائق من السابق ، ويضيف ما يضيف ثم يورث ذلك من بعده . وقد عنيت الثقافة الإسلامية أولا بخدمة دراسات كتابها وسنة رسولها ، وتفتت لغتها وأدبها وبلاغتها ، وتسجيل تاريخ الإنسانية ، ثم ضمت إلى هذا الأزدحام الداخلي الإفادة من تراث الأمم القديمة عن طريق الترجمة ، ومن الناحيتين معا استقام لها تراث فكري عليه طابع عبقريتها في الفلسفة والعلوم والآداب والفنون ، وبرز من مفكرها فلاسفة حاولوا التوفيق بين الشريعة والحكمة ، وعلماء وأدباء من مختلف البيئات والمجتمعات الإسلامية خلدوا التاريخ أسماءهم ، وتلمذ عليهم كثير من مفكرى الغرب في عصوره الوسطى وبلده نهضته الحديثة واحترف بهذا علماء الغرب قديما وحديثا .

نستطيع - إذن - أن نقرر ونحن مطمئنون - والتاريخ ومقارنة الحضارات شاهدان على ما نقول - أن البشرية لم تعرف في تاريخها القديم أو الحديث حضارة بمثل هذه الميزات والمقومات : فالحضارات الأخرى إما قديمة لا تمثل رشد

الإسلامية جديدا ناعما في دراسة بعض البيئات والمفاهيم الإسلامية - مثل أندونيسيا والهند ، والدلالة الاجتماعية في الإسلام ، وإشراكية الإسلام ، وموقف الحضارة الإسلامية من حقوق الإنسان ، والفكر الإسلامي والاستعمار الغربى .

نحن - إذن - في موقف يسمح لنا أن نبز ما قلعتنا حضارتنا سابقا وما يمكن - بل يجب - أن تقدمه الآن لرقى البشرية وسعادتها ، ونوطه لذلك سنذكر أنفسنا في إيجاز بالمقومات الأساسية للحضارة الإسلامية :

٤ - إن هذه الحضارة تمتاز بأن كل مقوماتها الجوهرية تنبع - كما قلنا - من وحى رسالة مساوية لملها بالروح والقوة والتماسك ، وتوجهها إلى الموازنة بين مقاصد الروح ومطالب البدن والبعد عن الزهد المعطل للعمل ، وعن المادية الجامحة المفسدة لإنسانية الحياة :

فهى في نظام هديتها تقوم على توحيد الله ، وتزبيبه عن الشرك والولد ، وإفراذه بالمباداة والتعظيم ، ومراقبته في السر والعلن ، والتصديق برسالاته ، والتمسك بما شرعه من آداب المعاملة والسلوك .

وهى في نظامها السياسى تقوم على الشورى والتزول على رأى الجماعة ، والمساواة بين الناس ، واحترام حقوق الإنسان ، والتزود بكل أسباب القوة والمنعة ، والدفاع عن مقدسات العقيدة والسلطان ، وصدد الاعتداء إلا على المعتدين ، والتمايش السلمى بين الأمم .

ونظامها الأخلاقى يقوم على خلوص النية ونقاء الضمير ، والتمسك بقيم الخير والحق ، والتمسك الآداب الفسردية والاجتماعية التى تيسر بالبشرة إلى الكمال .

ونظامها الاجتماعى يقوم على الأسرة المتماسكة العينية على المودة والرحمة والإخلاص المتبادل ، ويقوم على التكافل الاجتماعى ، والتقريب بين الفنى والفقر ، وقيام كل راع بمسؤوليته ، وتعاون المواطنين على الخير والبر .

ونظامها الاقتصادى يقوم على تبادل المنافع واتخاذ المال وسيلة لا غاية ، واحترام الملكية الفردية غير المستغلة أو المعطلة للصالح العام ، والتزبيب فى البذل والإنفاق لخير

(أ) وصلت بين قديم الحضارات وجديدها بما حفظت من تراث الأقدمين وما أضافت إليه من صنع عبقريتها المبدعة .

(ب) أثقلت العالم القديم مما كان يعيش فيه من فوضى واضطراب وانهايار في الحضارات واستعباد وظلم اجتماعي .

(ج) أعطت العالم حضارة جديدة تقوم على عقيدة التوحيد في أسس صورها وأصفاها ومجتمعها جديدا يقوم على التعاون والتسامح والحرية والتعايش السلمي بين الجميع .

(د) أعطت الإنسانية ذخيرة ضخمة من المعارف أفاد منها الغرب في عصر الإحياء والنهضة واعتمد عليها العالم الإسلامي في يقظته الحديثة وفي بناء نهضته المعاصرة .

(هـ) وضعت بعض أصول المنهج العلمي الحديث - كطريقة الشك عند «الغزالي» كما فتحت آفاقا جديدة في البحوث الإنسانية - كفلسفة التاريخ عند «ابن خلدون» ، وعلم البصريات على يد «ابن الهيثم» (١٠٣٩ م) وإبتكنت مرحلة جديدة في تطور علوم الرياضة على يد «الخوارزمي» (٢٨٠-٨٥٠) ، «عمر الخيام» (١٠١٥-١١٢٣) وغيرهما .

(و) ساعدت بأدائها على نهضة الآداب في أوروبا ، وفتح آفاق جديدة أمام شعراء الغرب وكتابه .

(ز) ساعدت خلفاؤها وقادتها - بسلوكهم الأخلاقي وبنماذج المروءة والشرف التي تحلوا بها على إشاعة المثل الأخلاقية الرفيعة ، مما كان قدوة لمن احتك بهم في السلم أو في الحرب من رؤساء العالم المسيحي وقادته .

أما العالم المعاصر : فقد يكون من المنيد في بحثنا هنا أن ننظر منه أولا إلى الأمم الإسلامية ، التي تؤلف قرابة خمس سكانه . إن الناظر في أحوال هذه الأمم اليوم يجد عددا كبيرا منها قد قطع أشواطا في نهضته بعد أن تحرر من رقة الاستعمار الأجنبي وقد أخذ مكانه في المجتمع الدولي ، وبدأ يوجه كثيرا من جهده لمناصرة الشعوب المكافحة في سبيل الحرية والتقدم ، ويناهض الاستغلال والاستعمار في كل صورهما ، كما أخذ من جهة أخرى يحاول أن يحقق لمواطنيه ما دعا إليه الإسلام من عدالة ومساواة وتكافؤ في الفرص ، ويزيد في إنتاجه بما يضمن للمواطنين كفاية ورفاهية ومعيشة

العقل البشري ونضجه ، وإما مادية لا روح فيها ولا قيم تسندها وتهذبها ، وإما روحية مسرفة في زهدا ودعوتها إلى اعتزال الحياة . وما قام من الحضارات الأخرى على أسس دينية فهو إما محلي في دعوته ونظامه ، وإما مجرد من الأسس المنظمة للحياة في شتى مرافقها وأوضاعها .

وقد ازدهرت حضارتنا الإسلامية وكان لها أثرها في تقدم البشرية حين عرف أهل هذه الحضارة أركانها ومقوماتها ، واستمسكوا بها وطبقوا تعاليمها ، ولم يتزكروا نفرا من ثقورها إلا رصوه وحافظوا عليه ، وأصابها في بعض مراحل تاريخها عارض الضعف والتأخر حين أهمل أهلها بعض مقوماتها : كالعدل في الرعية ، وعدم الخضوع لشهوات النرجس ، وإطلاق الحرية للعقل يجتد في معارف ، ويدع في تطبيق تلك المعارف لخدمة أغراض الحياة . وربما طالت مدة الضعف والتأخر بسبب غاصب أجنبي يهدد سلطان الدولة الإسلامية ، أو مستعمر يطمع في إسلاب خيراتها وثرواتها .

لهذا أدركت الأمم الإسلامية في نهضتها الحديثة ضرورة الرجوع إلى مقوماتها الأصلية وإحيائها وإعادة تنظيم الحياة الإسلامية على أسسها ، وعرفت أن كل ذلك لن يستقيم لها إلا إذا تحررت أوطانها من رقة الاستعمار الأجنبي ، وأمسكت زمام أمورها بيدها .

والدروس الآن لكثير من نهضات البلاد الإسلامية التي استخلصت حقوقها وحررتها بكفاحها ونضالها - يترك مدى قوة الروح الإسلامي في قادتها وشعوبها ، ويبلغ حرصها على أن تصل حاضرها ومستقبلها بماضيها المجد .

٥- وبعد فإن ما قدمناه من عرض للخطوط الرئيسية لتطور الحضارة الإسلامية وأهم مقوماتها يطعننا الجواب على السؤالين اللذين أدركنا حولها هذا البحث ، وهما : ماذا كان نصيب الحضارة الإسلامية في تقدم البشرية ومساعدتها في القديم ؟ وماذا تستطيع أن تقدمه اليوم لحل مشكلات العالم المعاصر ، والإسهام في رقيه وتقدمه ، والسير به في طريق الطمأنينة والسلام والرفاهية والإخاء ؟

فأما في القديم فقد وضح من سياق العرض الذي قدمناه أن الحضارة الإسلامية :

عقيدة شاملة توضح العلاقة بين الإنسان وخالقه ، وبين أفراد البشر وبعضهم وبعض في اجتماعهم ومعاملتهم وسياساتهم ، وهكذا كسبت قداسة من العقيدة ودخلوا من الشريعة التي هي جزء من لبها وجوهرها ، وتغلغلت مع الدين في ضمير أجيال من البشرية ، وانتشرت مع حضارة الإسلام في المشارق والمغارب ، وقد صحبها منذ البداية التطبيق الواضح على يد الرسول وخلفائه والصالحين من أمة المسلمين وحكامهم وأولى الأمر فيهم خلال العصور ، وظهرت أوضح ما ظهرت في معاملة المسلمين للأمم التي دانت لهم ، على اختلاف أجناسها وعقائدها ، واكتسبت في الإسلام صفة الدوام فلم تحتاج أصولها لتعديل أو تغيير ، ولكنها فتحت الباب على مصراعيه للتوسع في تطبيقها ، والتزق في فهمها حسب ترقى البشرية في ثقافتها وتفكيرها الاجتماعي والسياسي (٥) إثر الحضارة الإسلامية في رقى البشرية وسماتها (١ - ٣٨٤ - ٣٩٥) .

وفي سنة ١٩٨٧ صدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب مؤلف بعنوان « أثر العرب والإسلام في النهضة الأوربية » ، إشراف مركز تبادل القيم الثقافية بالتعاون مع منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (يونسكو) ، يشتمل على بحوث لعلماء مصريين في ميادين تسعة هي : الأدب ، والفلسفة ، والعلوم الطبيعية ، والطب ، والجغرافيا ، والمعارف الملاحية ، والتاريخ ، والعمارة والتحف الفنية ، والموسيقى ، وهي ترد في مواضعها من هذه الموسوعة إن شاء الله تعالى . وقد لخص هذه البحوث الأستاذ محمد خلف الله أحمد في مقدمة نفيسة تصد سجلا حافلا لحصاد الحضارة الإسلامية في ميادين العلم والمعرفة ، ونقلها لك فيما يلي :

إن الدارس لبحوث هذا الكتاب ونتائجها يجد أنها تمثل إضافة ذات قيمة الدراسات الاتصال الحضاري ، وتيسر بالبحث في موضوع أثر العرب والحضارة الإسلامية في نهضة أوروبا إلى أحدث مراحله ، فقد تبعت الفصول التسعة - كل منها في موضوعه - المسالك التي نفذت منها الحضارة العربية الإسلامية إلى الغرب في أول عصر النهضة وفي نشأته ، من طريق الازدهار الثقافي لتلك الحضارة في بعض أجزاء أوروبا ، والاتصال الثقافي للسكان المسلمين والمسيحيين في نواح

كرمية . ومن الواضح أن العالم الإسلامي يستطيع أن يحقق لنفسه قدرا كبيرا من التقدم والسعادة . إذا رجع إلى مقومات حضارته وأعاد بناء حياته الجديدة على أساسها ، وقوى ما شرع الإسلام من روابط الأخوة والتعاون والاشتراك في القيم والمثل بين المسلمين في أنحاء الأرض كافة ، وهي روابط إيجابية بناءة لا تهدد ولا تمتدئ ، ولكنها تجمع الصفوف وتيسر تبادل المنافع ، وتزيد الشعوب الإسلامية قوة ، وتصرف عنها أطماع المستغنيين والمستعمرين ، ويملك تسهم في إقرار الأمن والسلام في العالم .

لا شك أن لدى المسلمين أكبر ذخيرة من القيم الأخلاقية والاجتماعية والسياسية ، وإذا هم نهجوا نهج أسلافهم الأولين في الإفادة من تلك القيم في إصلاح حياتهم وتنظيم صفوفهم وجمع كلمتهم استطاعوا أن يكونوا عاملا مؤثرا في توجيه سير الإنسانية إلى الخير ، وفي مقاومة عوامل الجشع والاستغلال التي تمكر السلام ، وتفسد العلاقات الدولية ، وتهدد العالم بالدمار والفتاء ...

إن التاريخ الحقيقي لتقرير حقوق الإنسان في الغرب يبدأ من القرن الثامن عشر الميلادي ، أي بعد ظهور الإسلام بأحد عشر قرنا . والمخطوطات التي اتخلت في هذه الميبل - وعلى الأخص في المنظمات الدولية - خطوطا تتأثر بتطورات السياسة وأطماع الدول ، ولا تنزل القرارات في واد التطبيق في واد آخر .

ولكن الموقف في الحضارة الإسلامية جند مختلف : ففي القرن السابع الميلادي ظهر الإسلام - لا في صورة مدينة معينة ، ولا في صورة نظرية فلسفية أو دعوة أخلاقية محدودة ، ولكن في صورة رسالة خالدة للإنسانية عامة : ضيها وفقيرها ، وأبيضها وأسودها ومشركها ومفرها ، وكان لب هذه الرسالة تقرير في عقيدته وتفكيره وشخصيته ومعيشته ، وتوجيه الاهتمام إلى جوهر الإنسانية من روح وعقل وخلق وفضيلة ، والتفكير من شأن القوارق المادية التي لا تحصل بملك الجوهر اتصالا وثيقا . ولم يحى تقرير هذه المبادئ في الإسلام في صورة وثيقة منفصلة ، محدودة بزمنها ومكانها وظروف الاجتماع المحيطة بها ، ولكنها جاءت ثمرة من ثمار

الأندلس في أواخر القرن الثالث الهجري - التاسع الميلادي إلى جانب القصيدة العربية التقليدية ، هو الذي عرف بالموشحة ، وعنه تفرع لون أكثر إيماناً في الشعبية هو الزجل . وعن طريق هذا التطور الجليل استطاع الشعر العربي أن يترك آثاراً ملحوظة في الأدب الأوربي المجاورة .

وقد تتبع هذا الفصل جهود العلماء الغربيين إلى اليوم - وعلى الأخص في أسبانيا - في دراساتهم حول موضوع تأثير الموشحات الأندلسية في شعراء التروبادور البروفانسين ، ومساهمة الباحثين من العرب المحدثين في هذه الدراسات ، ثم أضاف إلى ذلك نظرة تاريخية مقارنة للشعر الأروبي الغنائي وأبرز شخصياته في المراحل الأولى من نشأته ، وما كان لهؤلاء من اتصالات بالعصارة العربية الإسلامية ، وقارن بين المقطوعات الأوربية الغنائية والموشحات ، مبرزاً ما بين هذه وتلك من أوجه التشابه وأوجه الاختلاف في الموضوعات وفي المفاهيم الشائعة . مشيراً إلى الكتب العربية التي يرجع أنها كانت ذات أثر في ذلك .

ثم عرض هذا الفصل المجموعات القصصية العربية التي وصلت أوروبا في أوائل عصر النهضة ، وما عرف لها من ترجمات إلى اللاتينية ، مثل « كليله ودمنة » وقصة « السندباد » وتبع آثارها في الأدب الأسباني وفي الأدب الأوربي المجاورة وعرض للمقارنات العربية وللقصص العربي الفلسفي والصوفي وترجماته ، و « ألف ليلة وليلة » والانتقال المبكر لبعض قصصها إلى الأدب الأسباني .

ووقف البحث وقفة خاصة عند كبيرين من أدباء أوائل النهضة الأوربية أحدهما شاعر وهو « دانتي » والاخر كاتب وهو « بركاشير » وناقش ما للعلماء من آراء ونظريات في احتمال تأثر كليهما بالأدب الإسلامي .

وخصص البحث الجزء الأخير منه للكلام عن الشعر الملحمي والمسرح ، ووقف عند ملحمة « السيد » وما لها من وشائج عربية . وأشار إلى ما أثبتته النصوص من أن أروان الأدب المسرحي الإغريقي لم تكن مجهولة تماماً بين العرب وأن البلاد الشيعية قد ظهر فيها ضرب من المسرح سابق

منها - وعلى الأخص في الأندلس ، وترجمة مشات الكتب العربية في مختلف ميادين العلم والفلسفة إلى اللغة اللاتينية وبعض اللغات الأوربية الأخرى ، والاعتماد على بعض تلك الكتب في الدراسات الجامعية الأوربية إلى مرحلة متأخرة ، واتصال بعض الأوربيين بالشرق في أثناء الحروب الصليبية ، ومعيشتهم فيه ، وسماعهم من أهله ، ونقلهم من مؤلفيه ، وتقليد الغرب لأساليب الفن الإسلامي في عمارته وزخارفه وموسيقاه ، وبعض ألوان شعره واتجاهات قصصه ، وإفادة الملاحين والكاشفين الأوربيين من معارف العرب البحرية والفلكية والجغرافية وكتبهم ، واستعارة اللغات الأوربية كثيراً من الألفاظ العربية للدلالة على مختلف المفاهيم العلمية والعملية الجديدة .

وإذا كانت الفصول التسعة قد اشتركت في الصورة العامة التي حاول كل منها أن يرسمها في موضوعه ، وفي الموضوعية التي التزمها في عرض نواحي التأثير والتأثر ، فإن كلا منها قد طبع بطريقة معالجة لمادة موضوعه ، وعرض وجهات من النظر في أساليب البحث في ذلك الموضوع ونتائج الدراسات السابقة فيه .

وشيء آخر حرصت هذه الفصول على أن تضيفه - كلما كان ذلك مفيداً وكاشفاً - وهو أن تتوسع في تحليل عناصر التشابه والتخالف في الجهة التي يرجع أنها كانت موضعاً للتأثير .

ولعل نظرة مجملة إلى بعض الخطوط الرئيسية لهذه الفصول توضح ما أشرنا إليه في خصائص معالجتها :

١ - ففي الفصل الخاص بالأدب - وهو ميدان كان يظن أن احتمال التأثير فيه قليل - نبه البحث إلى ما كان من الازدهار السريع للثقافة العربية في أسبانيا تحت الحكم الإسلامي ، وما حدث من عملية الامتزاج الاجتماعي والثقافي الواسع النطاق في المجتمع الأندلسي ، وما كان من انتشار اللغة العربية لغة ثقافة وأدب في ذلك المجتمع ، ومن شيوع اللغة اللاتينية الدارجة إلى جانبها بين المسيحيين والمسلمين الأندلسيين ، ثم ما نتج من ذلك كله من ظهور لون جليل من الشعر

الفكرة ، ويؤرخ لانشغال الغربيين بها ويلخص ما كشف عنه الدرس من أثر الفلسفة الإسلامية في الفلسفة الغربية في الجانبين المنهجي والموضوعي .

والسمة البارزة في هذه المعالجة أنها تضع أمام القارئ نماذج من القضايا الفلسفية الكبرى كما أثارها الفلاسفة المسلمون ، وأبعداء تلك القضايا في الفلسفة المسيحية في عصر النهضة ، بعد أن اتصل الأوروبيون بحضارة العرب المسلمين وتفكيرهم .

٣- ونبه الفصل الخاص بالطب إلى خطأ القول : بأن الحضارة العربية كانت أرضاً جرداء حتى جاءها العلم اليوناني فرواها وأخصبها ، فقد كانت للعرب علومهم الخاصة بهم كالفقه واللغة والنحو والعروض وعلوم التفسير والحديث ، وقد أحدثهم هذه العلوم لاستقبال العلوم التي لم يكن لهم بها عهد .

وأيد هذا الفصل فكرة أن الحروب الصليبية - وقد كانت إحدى مواطن الاتصال بين الحضارتين - لم تكن ذات شأن كبير في تأثير الطب العربي في الطب الغربي ، ذلك أن أكثر الغربيين الذين شاركوا في الحملات الصليبية كانوا قليلي الحظ من الثقافة ، ولم يكن بينهم عالم حقاً إلا «وليم الصوري المؤرخ» . ولكن الموقف اختلف في المواطنين الآخرين - صقلية والأندلس فقد كان لملوك النورمان عناية بالعلوم العربية وترجمتها ، وقامت في الأندلس حركة قوية لترجمة من العربية إلى اللاتينية ، تناولت كتب رجال العصر الذهبي في الطب العربي : «كالبيرازي» ، و «علي بن العباسي المجوسي» ، و «ابن سينا» ، كما تناولت كتب مشاهير المشتغلين بالعقاقير الطبية «كابن البيطار» ، و «إدوارد الأنطاكي» . وقد بلغت هذه الحركة أوجها في «طليطلة» في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي تحت حكم «الفونسو» ، كما ظلت ترجمات بعض هذه الكتب ، «كالحاربي» ، «والقانون» ، «وكامل الصناعة» تدرس في جامعات أوروبا حتى أواسط القرن السادس عشر .

وحاول البحث أن يبيح عن سؤال كثر ترجمته في الأوساط

للمرح البيني الذي عرفته أوروبا المسيحية منذ القرن الثالث عشر ، وهو المعروف بمسرح «الأسرار» ، وأن المجتمع العربي في خلال العصور الوسطى عرف مسرح «خيال الظل» وهو ضرب من مسرح العرائس ، ورجع - معتمداً على بعض الشواهد - أن يكون العرب في الأندلس قد عرفوا الأدب التمثيلي وعالجه .

وهكذا يعطينا هذا الفصل صورة حديثة شاملة للصلات الأدبية في مختلف نواحيها بين الحضارة العربية الإسلامية والفكر الأوروبي في أوائل عصر النهضة ، مفرقا بين الثابت والراجع من ضروب التأثير .

٢- وبنيت خطة الفصل الخاص بالفلسفة على ثلاث نقاط رئيسية : أولاً خصائص الفلسفة الإسلامية ، والثانية انتقال جزائب من تلك الفلسفة إلى الفكر الغربي ، والثالثة أثرها فيه . والنقاط الثلاث تدور كلها حول جوهر فكرة التأثير وتخدمها . في ناحية الخصائص أبرز البحث كيف استطاعت الفلسفة الإسلامية بطابعها الديني أن تقترب من الفلسفة المدرسية ، وباعتدائها بالمثل البشري والبحث فيه أمكنها أن تثير في أوروبا في القرن الثالث عشر حركة فكرية قوية . وبما حاولته من التوليق بين الفلسفة والدين ، ثم بين فلسفتي أفلاطون وأرسطو عبادت للفلسفة المسيحية طريق البحث في هذين الميدانين ، ووجهت أنظار المسيحيين إلى «أرسطو» وحملتهم على ترجمة كتبه ودراستها والتعليق عليها . وكان لما حققته الفلسفة الإسلامية من التآخي بين العلم والفلسفة صدها في الفلسفة المسيحية في القرن الثالث عشر وما بعده .

وحين عالج البحث اتصال الفلسفة الإسلامية إلى الغرب مهد لذلك بالبحث عن وسائل النقل الحضاري بصفة عامة ، ثم انتقل إلى الحديث عن ترجمة الكتب الفلسفية العربية إلى اللاتينية ، مفصلاً الكلام في هذا عن كيان فلاسفة الإسلام «كالكندي» و«الفارابي» و«ابن سينا» و«الغزالي» «موتوا لما ترجم من كتبهم . مبينا عناية اللاتينيين بكل كتاب وأثره في تفكيرهم ودراساتهم .

وفي القسم الثالث من هذا الفصل يلج البحث خيوط

تصادفنا الإنجازات المحققة للعرب في علوم الحياة والكيمياء والصبيلة والتعدين .

ومن المعروف في هذه الميادين أن كتاب « القانون » لابن سينا - مثلا - ترجم إلى اللغات الأوروبية وطبع بها مرات، وأن كتب « جابر » في الكيمياء (انظر « جابر بن حيان » في م ١١ / ٣٩٢-٤٠٢) .

ترجمت إلى اللاتينية وظلت المراجع المعتمدة في ميدانها عدة قرون ، وبعض العلماء الغربيين يعدون أبا بكر الرازي من مؤسسي الكيمياء الحديثة .

وقد أضاف هذا الفصل إلى بحوث الغرب في التأثير العربي إشارات إلى بحوث بعض علماء العرب المحدثين ممن تعمقوا في دراسة رياضيات « الخوارزمي » وبصريات « ابن الهيثم » وغيرها .

٥ - وتحدث الفصل الخاص بالجغرافيا عن العوامل التي جعلت العرب في جوامعهم يبتغون بالمعارف الجغرافية والفلكية بحكم ظروف يبتغون ، وفي إسلامهم بحكم اتساع رقعة الدولة وضرورة الوقوف على أحوال البلاد ومعرفة الطرق والمسافات ، وبحكم اعتماد بعض المبادات الشرعية على أحوال جغرافية وفلكية .

ووقف البحث وقفة خاصة عند الإدريسي (انظر : « الإدريسي » في ٣ / ٣٨٠-٣٨٧) وجهوده العلمية في بلاد « روجار » ملك صقلية ، واتخذ منها مثالا للتعاون الذي نشأ بين المسلمين والمسيحيين في ميادين الفكر ، وما نتج عن ذلك من ذبوع المعارف الجغرافية ، وأبرز ما كان للعرب من مساهمة فعالة في حركة الكشف الجغرافية وما سجلوه في كتب رحلاتهم من المعلومات عن اقتصاديات البلاد التي عروها وزورها المعنونة وإنتاجها الزراعي وطقسها ومسالكها ، وعن السكان وحياتهم الاجتماعية . إلى غير ذلك مما أفاد منه الرحالون والرواد الأوربيون في عصر النهضة . كما وقف البحث كذلك عند شخصية الخبير الملاحي العربي « شهاب الدين بن ماجد » الذي تعد كتبه في علوم البحار كتابا رائدة . وذكر نماذج من الأجهزة العلمية الدقيقة التي اخترعها العرب أو نقلوها عن

العلمية في الموضوع وهو : ماذا أضاف العرب إلى الطب اليوناني ؟ وفي هذا نه البحث إلى خطأ المؤرخين في التقييم القوي لتطوير العلوم الطبية ، إذ أن طبيعة هذه العلوم تجعل التقدم فيها عالميا لا يتعلق ببلد معين ثم لخص النواحي التي تعد ذات شأن في الموضوع : فذكر أن العرب لم يحدثوا جديدا في فلسفة الطب ، ولا في الكليات التي قام عليها ، وأنهم ظلوا على إيمانهم بالأخلاق والقرى والأمزجة ، ولكنهم خالفوا « جالينوس » في بعض أشياء ، وكان أكبر ما عملوه في التشريح ووظائف الأعضاء هو ما عمله « ابن النفيس » في شرح الدورة الدموية الصغرى ، وابتدعوا باب تكوين الملاحظات الدقيقة ، وعنى بالمقايير عناية خاصة .

على أساس هذه النواحي وما ثبت ترجمته من الكتب العربية إلى اللاتينية في أوائل عصر النهضة ، وما سجله التاريخ من أحوال علماء الغرب منذ تلك المرحلة لخص البحث ما أفاده الغربيون من الطب الغربي بأنه : الكتب الجامعة التي تتناول جميع العلوم الطبية المعروفة إذ ذاك وغير مثل لهذا « قانون ابن سينا » ، والمادة العلمية الثغيرة في الطب الإكلينيكي . ويمثلها كتاب « الحاوي للرازي » (انظر مادة : « أبو بكر الرازي » في ٧ / ٣٤٥-٣٥١) والمعلم بالمقايير والأدوية المركبة والمفردة - وقد ظل كتاب « ابن البيطار » (انظر مادة : « ابن البيطار » في ٨ / ١٨١-١٨٦) مرجعا لها في أوروبا حتى أواسط القرن الثامن عشر ، وشيرة العرب في الجراحة - وكان كتاب « الزهرراوى » فيها معروفا عند معظم من مارسوا الطب في أوروبا حينذاك ، ونظام البيمارستانات التي عنى العرب بإقامة المستشفيات على غرارها (انظر « البيمارستان » في ٨ / ٢٣٧-٢٤٤) .

٤ - وتناول الفصل الخاص بالرياضيات والعلوم الطبيعية ميدانا واسعا تعددت فيه البحوث ، وقامت الشواهد الدالة على ما كان لعلماء الحضارة العربية الإسلامية فيه من سبق وأصالة . وهنا تصادفنا الأسماء الإسلامية في التأليف الغربي الرياضي : « الخوارزمي » و« الخازن » و« ابن الهيثم » ممن نه كثيرا من باحثي الغرب على أن كتبهم ظلت مراجع معتمدة لدى أهل الصناعة في أوروبا حتى أواخر القرن السابع عشر ، كما

الإسلامي ، والدراسات الجغرافية التي سجلها الرحالون والمؤلفون العرب ، ثم تلور من ناحية ثالثة حول الدور الذي قامت به الحضارة العربية الإسلامية بين الحضارات الكبرى القديمة وحضارة العصر الحديث والذي تمثل - لا في النقل والترجمة فحسب ، ولكن في التفسير والإضافة المبدعة الواعية .

وفي ضوئه مناقشة الأسس ، وشهادة النصوص والمراجع المعتمدة وبحوث المختصين من علماء الشرق والغرب أقام الباحث تقييمه الذي حرص على أن يضعه في حدوده العملية دون تزيّد أو تحمس عاطفي .

٧ - وفي الفصل الخاص بالآثار التاريخية - وهو ميدان جليل نسبياً - استقصاء لحواليات ومؤلفات غربية يبدو فيها الأثر العربي إما في صورة روايات تاريخية سمعها مؤلفوها من مصادر عربية ، أو اعتمدوا فيها اعتماداً كبيراً على المؤلفات التاريخية العربية ، أو في صورة أحداث نقلت عن المراجع العربية واستخدمت مادة لبعض السير التي كتبها الكتاب الأسيانيون وغيرهم - كلمحمد « السيد » : أو تاريخ عام للخليقة - ككتاب التاريخ العام المنسوب إلى « الفونسو العالم » - استمدت كثيراً من معلوماته عن الشعوب القديمة من المؤرخين العرب . وهناك مؤلفات كتبها المؤرخون الإفريقي ، وصفوا فيها حروب الحملات الصليبية ووقائعها في الشرق ، أو أرتعوا فيها للصراع بين بعض أمراء الشرق والأمراء الصليبيين - كالمؤرخ « وليم الصوري » . وهذه الكتب مدينة في مادتها إلى النتاج العربي التاريخي من جهة ، وإلى الاتصال والاحتكاك بالشرق والمعيشة فيه ، والأطلاع على أحواله وعاداته من جهة أخرى ولكل من هذه الاحتمالات شواهد ودلائل : من كتب عربية ثبتت ترجمتها إلى بعض لغات الغرب ، أو نصي أوروبي صرح فيه بالرجوع إلى المصادر العربية .

هذا البحث يؤثر قسباً لم تحظ من قبل بنصيب كبير من عناية الباحثين الغربيين ، وهو يسير بالموضوع إلى ما بعد القرن السادس عشر ، وينبه إلى اهتمام الباحثين الغربيين فيما

غيرهم كالإيرة المتناظيرية والمزولة الشمسية ، ونوه بمعرفة العرب بالنجوم ومطالعها ومغاربها واستخدام مجموعتها في التعرف على الاتجاهات في عرض البحار ، مما لا يزال شواهد قائمة في كتب الملاحة الغربية في صورة الأسماء العربية المستعملة للنجوم .

ويشارك هذا البحث مع سائر بحوث الكتاب في التوقف تجاه بعض القضايا الخلافية التي لا توجد أدلة كافية لإثباتها أو نقضها ، ومن هذه في الميدان الجغرافي نسبة كشف أمريكا إلى العرب فقد تحفظ فيها البحث لعدم كفاية الأدلة .

٦ - وركز بحث المعارف البحرية على محددة تختص بالملاحة العملية يستدل منها على أن الحضارة العربية مدت للغرب يد المساعدة في هذا الميدان ، وأن أوروبا نقلت عن العرب بعض فنون قيادة السفن ، واسترشدت بالمعارف الملاحية العربية : فمن الثابت أن « قاسكو دي جاما » استعان بالمعارف الملاحية المترجمة عن العربية ، وملاح عربي مسلم من الهند ، ويكتب عربية للملاحة استولى عليها من سفينة هندية ، وقد ظل اسم الملاح « ابن ماجد » على شواطئ بحر الهند حتى القرن الماضي ، كما ترك وثائق هامة للملاحة في البحار الشرقية أهمها كتاب « الفوائد في أصول البحر والقواعد » (انظر : « البحيرة الإسلامية » في ٦٣ / ٤٤٨) .

ووقف البحث موقف التحفظ من موضوع انتقال البوصلة من العرب إلى الأوروبيين أو العكس إذ لم يجد من الأدلة ما ينفي أو يؤكد هذه القضية ، كما حذر من أن يؤدي التحمس للحضارة العربية إلى القول بإرجاع كل تقدم ملاح في الغرب إلى أبناء تلك الحضارة .

وتحرياً للدقة الموضوعية في هذه القضية حدد البحث الأسس التي يمكن أن يبنى عليها تقييم أثر الملاحة على أوروبا في عصر الرنسانس وتلور هذه الأسس من ناحية حول طبيعة الملاحة والتجارة وكونهما من مظاهر العمران ومن وسائل الاتصال بين الأمم ، وكون الملاحة فناً من أدق الفنون يستلزم كثيراً من العلم والمعرفة ، وتلور من ناحية أخرى حول المعارف العربية الجغرافية التي لدى العرب في جاهليتهم وفي امبراطوريتهم الإسلامية الواسعة ، والدور الذي قام به التجار والملاحون من العرب والفرس في التمهيد للتوسع والانتشار

بعد عصر النهضة بدراسة الإسلام وتاريخه ، وينحى إلى أن في هذا الاهتمام وما أثمره من دراسات لونا من ألوان تأثير الحضارة العربية الإسلامية في نهضة الغرب في الميدان التاريخي .

٨ - وأشار الفصل الخاص بالعمارة والتحف الفنية إلى النهضة العمرانية الكبيرة التي صاحبت انتشار الإسلام : من إنشاء المدن ونشاط حركة البناء والعمارة ، وما طرأ على فن البناء والزخرفة من إضافة أساليب جديدة أو تعديل أخرى قديمة ، ومن استخدام للأشكال الهندسية والزخارف الكتابية العربية .

وقد أوضح البحث ما كان من العلاقات الفنية بين العالم الإسلامي وأوروبا منذ القرن الثاني الهجري - الثامن الميلادي ، مما مهد السبيل لعملية التأثير والتأثر ، وفصل القول مؤيداً بالشواهد الكثيرة القائمة في التأثير في ناحية العمارة وفي التحف الفنية ، مشيراً إلى ما صادفته هذه الناحية من رعاية كثير من الباحثين الشرقيين والغربيين وما أجمعت عليه دراسات - هـ ١٥ - أولئك من التأثير الظاهر للحضارة العربية الإسلامية في نهضة العرب المعمارية والفنية ، لا يشذ عن ذلك إلا فن التصوير الذي يبدو أنه لم يكن مجالاً لتأثير يذكر - ٩ - وسجل بحث الموسيقى اقتنان العرب في فنون الغناء والعزف وفي ألوان التأليف الموسيقي ، وأشار إلى بعوث أوروبا إلى حواضر البلاد العربية وإلى مدرسة زرياب الأندلسية في القرن الثالث الهجري - التاسع الميلادي ، وأقر معتمداً على الشواهد الكثيرة أن أوروبا تبدين للمغرب في كثير من آلتها الموسيقية ، وأظهر مثل لذلك آلة العود التي احتضنت أربع عشرة لغة أوروبية باسمها العربي . وهذا الميدان كسابقه خصب في بحوثه ، وقد ازدادت رعاية علماء الشرق به في السنين الأخيرة ، واتجهت بعض الجهود فيه إلى إحياء التراث الموسيقي العربي وتحقيق كتبه ودراسة أعلامه وأعمالها . ومن المرجح أن تكشف هذه الجهود عن نواح جديدة من تأثير الشرق الإسلامي في الغرب ...

ويهيئ الأستاذ محمد خلف الله أحمد هذه المقدمة القيمة الشاملة بقوله :

وإذا كان هذا الكتاب قد حاول أن يرسم أحداث صورة لبحوث تأثير الحضارة العربية الإسلامية في أوروبا - في سعة من أهم ميادينها ، فليس هناك من شك في أن ميادين أخرى لم تشملها هذه البحوث - كدراسات الاجتماع ، والفكر السياسي ، وفلسفة التشريع ، وعلم الدين المقارن ، ستظل تنتظر المزيد من الجهد في بحثها ، وليس من شك أيضاً في أن الميدان كله سيبقى مفتوحاً للجديد من الكشوف والتحقيقات ووجهات النظر . ونقد الآراء والنظريات السابقة من شرقية وخرقية (أثر الرب والإسلام في النهضة الأوروبية / ١٥-٧) . قالت المؤلفة : هذا وقد أصدرت الهيئة المصرية العامة في سنة ١٩٨٥ ، بمناسبة القرن الخامس عشر الهجري ثلاثة مجلدات بعنوان « دراسات في الحضارة الإسلامية » وهي عنلى وقد جاءه التمرير بكل منها كما يلي : يتناول هذا الكتاب مصادر الحضارة الإسلامية خلال أربعة عشر قرناً هجرياً . من هذا المصادر مؤلفات أساطين الفقه والتشريع الإسلاميين سواء أكانوا أصحاب مذاهب أو فقهاء أجلاء ، وكبار الفلاسفة وأهل التصوف والكلام ، والمؤرخين والجغرافيين ، وكبار أهل الفلك والرياضيات ، والبايزين في ميادين العمارة والزخرفة والموسيقى ، وأسائلة النباتيين والكيميائيين ، وقد امتزجت أعمالهم بتيار الحضارة الإنسانية ، وأصبحت حصداً إنسانياً عاماً أ هـ .

(أثر الحضارة الإسلامية في رقى البشرية وصداقتها) - الأستاذ محمد خلف الله أحمد الأهر مجمع البحوث الإسلامية . المحرم ١٣٨٥ هـ - مايو ١٩٦٥ م . المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الإسلامية / ٢٨٤ - ٣٩٥ ، وأثر الرب والإسلام في النهضة الأوروبية . جمهورية مصر العربية الشعبية القومية للثورة والعلوم والثقافة (بينسكو) مقدمة رئيس التحرير الأستاذ محمد خلف الله أحمد . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧ / ١٥-٧ . انظر أيضاً أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية - أحمد على المأ / ١٠٧-٢١١ ، والإسلام في المشرق والمغرب - د. جمال الدين الرمادى / ١١٤ ، ١١٥ ، والحضارة العربية الإسلامية - د. رشيد الجبلى / ١٥٥ ، ٢١٦-٢٢٦ ، والغرب في حضارتهم وثقافتهم - د. عمر فروخ ، وثرات العلم للحضارة الإسلامية ومكانته في تاريخ العلم والحضارة - د. أحمد فؤاد باشا . الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

قدرتها فلا تجبر عليها إلا إذا تعينت لذلك ، بأن لم يوجد غيرها أو لم يكن لوالد الصغير ولا للصغير ذاته مال ، ذلك رعاية لحقه .

وفي قول البعض الأكثر من الحنفية أن الحضانة حق الصغير ، ومن ثم تجبر الأم على الحضانة حتى لا يضيع حق الولد ، وهو موافق لأحد أقوال فقهاء المالكية .

وفي « مواهب الجليل » للحطاب المالكي أن الحضانة حق للحاضن - وللمحضون وليست حقاً خالصاً لأيهما ، ويرون أن حق الولد أقوى وهذا ما نميل للاتقاء به ، فإذا أسقطت الحاضنة حقها تعرض الصغير للضرر ولحاجته إلى من يعنى به ويحافظ عليه ويقوم على شؤنه فتجبر إذا تعينت . حق الحاضنة :

الأصل أن تكون الحضانة للنساء منذ ولادة الطفل ، تميزهن بالشفقة والحنو والصبر على رعاية الطفل في سنه عمره الأولى .

والأم أحق النساء بحضانة ولدها ما لم يحم بها مانع ، ثم قرابتهن من النساء مقدمون على الأب وقرابته في ترتيب هذا الحق .

ويشترط في الحاضنة أن تكون حرة عاقلة قادرة على تدبير مصالح المحضون والمحافظة عليه ، خالية مما يعجزها أو يصيب الولد بأذى ، كالمرض المعدى أو العنصر أو الشيخوخة ، وألا تكون مشغولة بما يمنعه من تمام الرعاية والعناية بالطفل بأن كانت كثيرة الخروج من المنزل سواء بسبب مشروع أو غير مشروع ، وأن تكون أمينة مأمونة عليه في تحلقه وتحلقه ، وألا تكون متزوجة بغير محرم له .

مدة الحضانة :

لم يشر القرآن ولا السنة النبوية لأمد تنتهي فيه الحضانة ، ومن ثم اختلفت كلمة الفقهاء . فيرى الحنفية أن حضانة النساء للطفل منذ ولادته وحتى بلوغه السابعة من العمر على القول المفتى به ، وفي قول في المذهب حتى التاسعة .

ويرى الفقه المالكي أن الصبي يبقى مع الأم أو من يحل محلها من النساء حتى يبلغ الحلم ، وعندئذ يذهب حيث

، والطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ ، و « مقدمات الحضارة الإسلامية » - د. سليمان حزين . الأثر . مجمع البحوث الإسلامية . المحرم ١٣٨٥ هـ - مايو ١٩٦٥ م . المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الإسلامية / ٣٧٢ - ٣٨٣ ، والحضارة الإسلامية - د. علي حنسي الخربوطي . سلسلة كتابك (٢٧) دار المعارف ١٩٧٧ ، والعلم الإسلامي - د. أحمد شوقي الفنجري / ١ - ٢٦ - ٣٠ ، و « دائرة معارف الشعب » ٦٤ - ٢٢٩ - ٢٣٣ ، و « حضارتنا بين العقيدة والتطور » - د. محمود بن الشريف - الفصل . العدد (٢٣) جمادى الأولى ١٣٩٩ هـ - إبريل ١٩٧٩ م / ٣٠ - ٣٢ ، و « مدخل إلى تراث العرب العلمي وأهميته في تاريخ العلم والحضارة » - د. محمد عبد الرحمن مرحبا . الفصل . المجلد (٢٤) جمادى الآخرة ١٣٩٩ هـ - مايو ١٩٧٩ م / ٥٣ - ٥٥ .

انظر : الثقافة الإسلامية .

• الحضانة :

الحضانة لغة : المحظ والصيانة . وشرعاً : صيانة العاجز والقيام بمصالحه ، وهي لصيانة المولود والتبنيه على سعة رحمة الله تعالى بعباده . وحكمها : الوجوب على الأب وحده وعلى الأم في حولى وضاعته إذا عدم الأب ولم يكن له مال ولم يقبل غيرها ، ومن ليس له أب معروف فحضانته فرض كفاية على الجميع (درة النواصير / ٢١٧ هامش التحقيق ، عن الباب ٦ / ١٢) .

وفي فتوى للإمام الأكبر صاحب الفضيحة الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الجامع الأزهر قال فضيلته عن الحضانة :

إن الحضانة مأخوذة من الحضان وهو الجنب . يقال : حضان الصبي يحضنه حضناً وحضانة ، أى جعله في حضنه وضمه إلى صدره .

وفي هذا معنى إسكان الولد وتربيته منذ أول وجوده مولوداً ، وفي اصطلاح الفقهاء : الحضانة تربية الولد في سن معينة ، ورعاية شؤنه ممن له حق الحضانة شرعاً من النساء أو الرجال هل الحضانة حق للصغير أم للحاضن ؟

اختلفت كلمة الفقهاء في هذا : فذهب الشافعية والحنابلة وبعض الحنفية إلى أنها حق الحاضنة لاحتلال عدم

يشاء ، أما الأنثى فتبقى مع الأم حتى تتزوج ويدخل بها الزوج ...

وعند الشافعية أن الولد ذكرًا كان أم أنثى يبقى في حضانة النساء حتى يبلغ من التمييز ، وهي السابعة وعندها يغير بين أبيه أو بين من يحل محل كل منهما أو أحدهما ... وعند الحنابلة أن حضانة النساء تنتهي ببلوغ الغلام السابعة وبعدها يغير بين أبيه وهو صحيح المذهب ، وحتى تبلغ الأنثى التاسعة من العمر على المشهور في هذا المذهب - وبعدها يكون الأب أحق بها من غير تخيير لها .

من يحل محل الأم :

إذا فقدت الأم أو قام بها مانع من الحضانة كانت حضانة الطفل لأهلها متى توافرت فيها الشروط .

(متى تستبد حضانة الأم / ٤ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥) .

ويجعل الإمام أبو شجاع ما جاء عن الحضانة في المذهب الشافعي فيقول :

إذا فارق الرجل زوجته وله منها ولد فهي أحق بحضانته إلى السبع سنين ثم يغير بين أبيه فأيهما اختار مسلم إليه وشرائط الحضانة سبب العقل والحرة والدين والنفقة والأمانة والإقامة والخلو من زوج فإن اختل منها شرط سقطت . (متن الغاية والتعريب / ٤٨) .

وعن أحكام زواج الحاضنة بأجنبي جاء ما يلي :

مذهب الحنفية :

الأحناف قالوا : أحق الناس بحضانة الطفل هي أمه ، لكن بشرط ألا تكون الأم ذات زوج أجنبي من الصغير .

والمراد بالأجنبي عندهم هنا من ليس رحما محرما من جهة النسب ، فإن تزوجت الأم من أجنبي فلا حق لها في الحضانة ، وذلك لما روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن امرأة أتت رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ، إن ابني هذا كانت بطني له وعاء ، وحجرى له حواء ، ولشدي له سقاء ، ويؤزم أبوه أن يئزعه متى .

فقال رسول الله ﷺ : « أنت أحق به منه ما لم تنكحي » (في تفسير الوصول / ٢ ، ٢٠ أخرجه أبو داود) .

وروى عن سعيد بن المسيب أنه قال : طلق عمر رضي الله عنه أم ابنه عاصم رضي الله عنه ، فلقبها ومعها الصبي ، فتأزمتها ، وارتقا إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقضى أبو بكر الصديق رضي الله عنه بإعطاء عاصم بن عمر لأمه ما لم يشب أو تزوج ، وقال : إن ربحها وفراشها خير له حتى يشب أو تزوج ، وذلك بمحض من الصحابة ، ولأن الصغير يلحقه الجفاء والمثلة ، وإذا تزوجت الحاضنة بذى رحم محرم من الصبي فلا يسقط حقها في الحضانة كالجدة إذا تزوجت بجدة الصبي أو تزوجت الأم بعم الصبي ، لكن لو تزوجت من عمه رضاعا أو من ابن عمه نسباً هو عمه رضاعا سقط حقها في الحضانة ، وإذا فارق الأم الأجنبي عاد إليها حقها في الحضانة .

(كتاب بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع للكاظمي / ٤ / ٤٢ الطبعة الأولى سنة ١٣٢٧ هـ المطبع في مطبعة شركة المطبوعات العلمية بدمشق ، ورد المحابر على الدر المختار شرح تنوير الأبصار مع حاشية ابن عابدين ٨٣٧ / ٢ طبع المطبعة العلمية سنة ١٣٠٤ هـ) .

مذهب المالكية :

قال في المبدوءة : تزوج الحاضنة أجنبيا من المحضون يسقط حضانتها بدخولها لا قبل الدخول . قال ابن عرفة : لو علم الولد بتزويجها ولم يقسم بأخذ الولد حتى طالت المدة ثم غلبت من الزوج فليس له أخذه منها لأنه يعد بذلك تاركا لحقه .

ومثل ابن رشد عن تزويج وقيت بنتها معها ثلاثة أعوام ثم أراد الأب أخذها ، قال : لا سبيل له إلى ذلك ، وقال المخمس يصح بقاء حق المرأة في الحضانة وإن كان الزوج أجنبيا في ست مسائل :

١ - أن تكون وصية على اختلاف في هذا الوجه .

٢ - أو يكون الولد رضيعا لا يقبل غيرها أو يقبل غيرها وقالت الظفر لا أرضعه إلا عندي فلا ينزع من أمه لأن كونه في رضاع أمه وإن كانت ذات زوج أرقب به من أجنبيا يسلم إليها ، لا سيما إن كانت ذات زوج .

٣ - أو كان من إله الحضانة بملها غير أمون أو عاجزا عن الحضانة أو غير ذلك من الأعذار .

وجه ذلك ما روى أن عليا وجعفرًا وزيد بن حارثة تنازعا في حضنة ابنة حمزة فقال علي: ابنة عمي وأنا أختلها .
وقال زيد: بنت أخي (لأن رسول الله ﷺ أخى بيت زيد وحمزة) .

وقال جعفر: بنت عمي وعندى خالتها .
فقال رسول الله ﷺ: «الخالة أم» وسلمها إلى جعفر ...
رواه أبو داود ... فجعل لها الحضنة وهى مزوجة .

قال فى المعنى: والصحيح أنه لا فرق بين الغلام والجارية لأن حضنتها تسقط بالنسبة لهما لقول الرسول ﷺ للمرأة: «أنت أحق به ما لم تنكح» ولأنها إذا تزوجت اشتغلت بحقوق الزوج عن الحضنة .

وأما بنت حمزة فلأنما قضى بها لخالتها ، لأن زوجها من أهل الحضنة .

وعلى هذا متى كانت المرأة متزوجة لرجل من أهل الحضنة كالجدة تكون زوجة للجد لم تسقط حضنتها لأنه يشاركها فى الولادة والشفقة على الولد، فأشبه الأم إذا كانت متزوجة من الأب ، وظاهر قول المعرفى أن التزويج بأجنبى يسقط الحضنة بمجرد العقد وأن عرى من الدخول .

(المعنى لابن قدامة ٩/ ٣٠٦ ، ٣١٠) .

مذهب الظاهرية :

الظاهرية قالوا: الأم أحق بحضنة الولد الصغير والابنة الصغيرة حتى يبلغا المحيض أو الاحتلام أو الإنبات مع التمييز وصحة الجسم سواء كانت أمة أو حرة تزوجت - ولو بأجنبى أو بقرىب - أو لم تنزوج ، برهان ذلك قول الله عز وجل: ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ مِنْهُمْ أُولَى بِمَعْشَرَ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ [الأحزاب: ٦] .

وقول الله تعالى: ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلِينَ كَامِلِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣٣] بهذا لم يأت نص صحيح قط بأن الأم إذا تزوجت يسقط حقها فى الحضنة ، وأما قولنا إنه لا يسقط حق الأم فى الحضنة بزواجها إذا كانت مأمونة وكان الذى تزوجها مأمونا فللمتخصص الذى ذكرنا (المحلى لابن حزم ١٠ / ٣٢٣ ، ٣٢٤) .

مذهب الزيدية :

الزيدية قالوا: حق الحضنة ثابت للأمام إجماعا لقول رسول الله ﷺ للمرأة: «أنت أحق به ما لم تنكح» ويطلق حقها

٤ - أو يكون الولد لا قرابة له ، أى أقرباء من الرجل ولا من النساء .

٥ - أو كان الأب عبدا وهى حرة ، قال المتطلى: إن كان الزوج عبدا والزوجة حرة فلا يكون للأب أن يترتبه منها ، قال ابن القاسم: إلا أن يكون مثل العبد المقيم لأمر سيده فيكون أولى بذلك إذا تزوجت الأم ، وأما العبد الذى يخارج فى الأسواق فلا ، وفى الوصية روايتان .

قال اللخمي: إن كانت الأم وصية فقال مالك مرة إن جعلت لهم بيتا يسكنون فيه وما يصلحهم لم يترعوا منها لأنها إذا تزوجت غلب زوجها على جل أمرها حتى تفعل غير الصواب .

(مواهب الجليل لشرح مختصر لى الفياض خليل وبهامشه للتاج والإكمال ٤ / ٢١٦ ، ٢١٧ مطبعة السعادة بمصر الطبعة الأولى سنة ١٣٢٨ هـ) .

مذهب الشافعية :

لهم فى حضنة الأم إذا تزوجت رأيان :

أحدهما: أن ذلك يسقط حضنتها سواء تزوجت من أجنبى أو بنىر أجنبى .

والثانى: وهو الأصح عندهم أنها لا تسقط حضنتها إلا إذا تزوجت من أجنبى ، والأجنبى عندهم من ليس بنىر رحم للصغير . (نهاية المحتاج لشرح المنهاج لابن شهاب الدين الرملى مع حاشية الشيرازى ٧ / ٢١٨ ، ٢١٩ طبعة مصطفى البلبى المحلى وأولاده بمصر سنة ١٣٥٧ هـ والمهذب للشيرازى ٢ / ١٦٩) .

مذهب الحنابلة :

الحنابلة قالوا: إذا تزوجت الأم بأجنبى ، والمراءد بالأجنبى عندهم من ليس بنىر رحم للصغير ، سقطت حضنتها ، قال ابن المنذر: أجمع أهل العلم على هذا وقضى به شريح ، ونقل عن أحمد: إذا تزوجت الأم وابنها صغير أخذ منها ، قيل له: فالجارية مثل الصبى ، قال: لا ، الجارية تكون معها إلى سبع سنين .

فظاهر هذا أنه لم يزل الحضنة عن الجارية لتزويج أمها وأزالتها عن الغلام .

وفى الأصح الأب منها أتم
وقيل إجماعاً وحيث اتفقوا
يعين الأصح من الأب
وبعد الأصح من أجناب

٢- من صفوة الزيد للشيخ أحمد بن رسلان / ٩٠ ، ٩١
(فى الفقه الشافعى).

وشروطها حرية وعقل
سلمة حيث كسلك الطفل
أمنية وترضع الرضعا
أم فأمهاتها جميعاً
فلمن لأب فأمهات

الأب فالجد فوالدات
جد فالأبوين بولد
وبعد الأخوات ثم الولد
لولد للأبوين فالأب
ثم بنات ولدت أم اتسب

يتلوه فسرر الجد للأبوين ثم
الفسرر من أب فعممة لأم
فبت عمالة فبت عمه
فمولد عم حيث إرت عمه
تقدم الأثنى بكل حال

أخواته أولى من الأخوال
ووالد مفسر لثقله

أو تكحت لغير حاضن له
وإن يميز وأباه اختاره

يأخذه وأم لها الزياره
٣- من منظومة الفتح الرباني / ٥٧ (فى الفقه المالكي):

ثم العضانة فى الأم تعتبر
بعد الفراق للباروخ فى المذكر

فى العضانة بالنكاح وفى الطلاق الرجعى ، لأن حكم الزوجية
باقى فيها . وفى قول الرسول ﷺ : « ما لم تنكحى » تنبيه على
أن المانع اشتغالها بالزوج ولا يطل حقه فى العضانة إن
تكحت ذا رحم له إذ يكون كالأب (البحر الرزاق / ٣ / ٣٨٤-٣٨٦)
مذهب الإمامية :

الإمامية قالوا : لو تزوجت الأم بغير الأب مع وجوده كاملاً
من أجنسى سقطت حضانتها للنص والإجماع . فإن لم يكن
موجوداً لا تسقط حضانتها وإن تزوجت وكذا لو كان غير كامل
كما لو كان رقاً أو كافراً أو مجنوناً لا تسقط حضانتها بالتزويج
ولو لم يكن الأب موجوداً لم تسقط حضانتها بالتزويج مطلقاً
سواء كان الولد ذكراً أم أنثى (الريضة البهية ٢ / ١٤١) .

مذهب الإباضية :

وقال الإباضية : المشهور فى المذهب أن الأولاد يكونون
مع أمهم ما لم يبلغ الذكر خمس سنين أو يعرف ليس ثيابه
وفصل يديه أو تبلغ الأنثى ، وقيل ما لم تتزوج ، وقيل ما لم
يبلغ الذكر أيضاً كالأنثى . فإذا بلغا اختارا .

وفى الأثر رجل تولى وترك ابنته وأمراه ثم إن المرأة تزوجت
غير ولى الصبي وبلغت اثنتى عشرة سنة هل يجوز لولى
الصبي أن ينزعها من أمها وهى كارهة ؟ قال : المرأة إذا
تزوجت كان الولى أحق بالصبي ما لم تبلغ ، فإن بلغت كانت
مخيرة بنفسها حيث شاعت (شرح التل ٧ / ٣٢٥) (موسوعة جمال
عبد الناصر ٣ / ١٣٨-١٤١) .

أما عن النظم فنسوق لك النماذج التالية :

١- من نظم الشيخ حافظ بن أحمد المحكمى (مجموع /
٩٠) :

والأم بسانتها أحق فى الصنفر
إلا إذا مكحت نص الأكر
وبعد أن يبلغ سبعاً غير
فى أى والسلبه شا لخير
وعالمة كالأم حيث تفقد
لما أفاده الحديث المسند

ولدخلول الزوج بالأشئ فإن
تزوجت فام الأم إن تبين
عنهما فجلدة لأم الطفل ثم
عجلته ثم لخالته لسلام
فجلدة للآب مطلقا فالآب
فالأخت فالعممة فالوصى هـ
فالأخ فابن الأخ ثم العم ثم
ابن العم والشقيق أولي فالسلام

(درة القوامس في معاصرة الخواص) (الفناز قلبية) لبرهان الدين
إبراهيم بن فروخ المالكي - تأليف وتحقيق وتعليق محمد أبي الأفغان ،
وعثمان بطيخ / ٥٧ هـاشم التحقيق ، و لا متى تستمد حضانة الأم ثم لمن
تعمل بعدها ؟ ففرض للإمام الأكبر فضيلة الشيخ جاد الحق على جاد
الحق شيخ الأزهر ، مجلة الأزهر ، الجزء الخامس ، السنة الثالثة
والستون ، جمادى الأولى ١٤١١ هـ - نوفمبر - ديسمبر ١٩٩٠ م / ٥٠٤ ،
٥٠٥ ، ومن الغاية والتعريب للإمام الفقيه القناضي أبي شعاع أحمد بن
الحسين ابن أحمد الأصفهاني / ٤٨ ، وموسوعة جمال عبد الناصر في
الفقه الإسلامي ٣ / ١٢٨ - ١٤١ ، ومجموع : السبل السوية لفقه السنن
المروية - نظم حافظ بن أحمد الحكمي / ٩٠ ، ومن الزيد في الفقه
للشيخ أحمد بن رسلان الشافعي / ٩٠ ، ٩١ ، والفتح الرباني شرح على
نظم رسالة بن أبي زيد القيرواني - محمد أحمد الملقب بالداه الشنقيطي /
٥٧ ، انظر أيضا فقه السنة - الشيخ السيد سابق م ٢ ج ٧ / ٤٨١ - ٤٩٦ ،
ومناهج المسلم - أبو بكر جابر الجزائري / ٤٦٤ - ٤٦٦ ، وتيسير الوصول
إلى جامع الأصول للإمام ابن الدبيع الشيباني / ٧٠ ، وضاري
ابن الصلاح - حقه وخرج حديثه وعلق عليه د. عبد المعطي أمين
قلمحي / ٢٦٧ ، وجمع القوائد من جامع الأصول وجميع الزوائد للإمام
محمد بن محمد بن سليمان / ١ / ٢٤٠ .

• الحضراوي (١٢٥٢ - ١٣٣٧ هـ) / ١٨٣٦ - ١٩٠٩ م :

الحضراوي المؤرخ :

ذكره صاحب كتاب نشر النور والزهر في رجال مكة

وقال عنه :

أحمد بن محمد بن أحمد بن أحمد بن عبد بن أحمد بن

أحمد بن حسن بن سعد بن مسعود الحضراوي الشافعي . ولد
بشعر اسكندرية في جمادى سنة الثنتين وخمسين ومائتين
وألف ، ولما بلغ من العمر سبع سنين قدم به والده إلى مكة
المعظمة وتوطناها ونشأ بها ، وحفظ القرآن الكريم ، وأخذ
العلم عن جملة من الأعيان ، وحضراوي نسبة إلى محل ببلدة
منصورة من أعمال مصر ، بها قبة جده الكبير سعد المذكور ،
وكان جده أحمد بن عبده مفتي الأحناف بها كما أخبر هو
بذلك ، ومن أخذ عنهم وقرأ عليهم شيخ العلماء ومفتي
السادة الأحناف الشيخ جمال ، والشيخ محمد سعيد بشاره ،
وتسلك في الطريقة الشاذلية على الشيخ القاسي ثم المكي
وكان عالما فاضلا صالحا متواضعا كاتباً . كتب بخطه كثيرا
من الكتب مشغلا بتأليف التواريخ وله من التأليف : العقد
الشمين في فضائل البلد الأمين ، ورسالة في فضائل زمزم ،
وتخريج رواية أحاديث كشف الغمة (ذكر الزركلي أن اسمه « سراج
الأمة » في تخريج أحاديث كشف الغمة . ثلاث مجلدات) وكانت وفاته
بمكة سنة ألف وثلاثمائة وسبع وخشرين ودفن بالمعلاة
وأعقب ابنه العالم القاضل الشيخ محمد سعيد .

(وله مؤلفات منها : تاريخ في ثلاثة مجلدات في
الحوادث - تراجم أفاضل القرن الثاني والثالث عشر في
مجلدين) ذكر الزركلي أن اسمه « سراج تواريخ البشر ، من
ابتداء الدنيا إلى آخر القرن الثالث عشر » .

- نفحات الرضى والقبول في فضائل المدينة وزيارة
الرسول .

- ألفية في السيرة النبوية - اللطائف في تاريخ الطائف ،
رسالة .

- الجواهر المعقدة في تاريخ جدة .

- مبادئ العلوم - رسالة أدبية في الحماسة على لسان أهل
الطائف وجدة والمضايفة بينهما (سماها الزركلي : المفاضلة
بين جدة والطائف) .

- تاريخ الأعيان - حسن الصفا فيمن تولى أمارة الحج ،
(بشرى الموحدين في أمور الدين) .

حضرموت

ما عدا القليل . وسكانها نحو ثلثمائة ألف نسمة حضرا ويدوا لا تدخل مهرة فهم كبادية حضرموت (أمة اليمن / ٢٠٨) .

قال عنها ياقوت بدأ الكلام بمقدمة لغوية مفيدة كعادته فقال :

حضرموت : بفتح ح ثم السين ، وفتح الراء والميم : اسمان مركبان ، طولها إحدى وسبعون درجة ، وعرضها اثنتا عشرة درجة ، فأما إعرابها فإن شئت بنيت الاسم الأول على الفتح وأعريت الثاني بإعراب ما لا ينصرف فقلت : هذا حضرموت ، وإن شئت رفعت الأول في حال الرفع وجريته ونصبته على حسب العوالم وأضفته على الثاني فقلت : هذا حضرموت ، أعريت حضرا وخففت موتا ، ولك أن تعرب الأول وتخير في الثاني بين الصرف وتركه ، ومنهم من يضم ميمه فيخرجه مخرج عنكبوت ، وكذلك القول في سر من رأى ورامهرمز ، والنسبة إليه حضرمي ، والصغير حضرموت تصغير الصبر منهما ، وكذلك الجمع ، يقال : فلان من الحضرمة مثل الهمالية ، وقيل : سميت بعاصر ميت وهو أول من نزلها ، ثم خفف بإسقاط الألف ، قال ابن الكلبي : اسم حضرموت في التوراة حاضرميت ، وقيل : سميت بحضرموت بن يقطن بن عامر بن شالخ ، وقيل : اسم حضرموت عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس ابن وائلة بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميمع بن حمير بن ميا ، وقيل : حضرموت اسمه عامر بن قحطان وإنما سمي حضرموت لأنه كان إذا حضر حبرا أكثر فيها من القتل فلقب بذلك ، ثم سكنت الصاد للتخفيف ، وقال أبو عبيدة : حضرموت بن قحطان نزل هذا المكان فسمى به ، فهو اسم موضع واسم قبيلة . وحضرموت : ناحية واسعة في شرقي عدن بقرى البحر ، وحولها رسائل كثيرة تعرف بالأحشاف ، وبها قبر هود ، عليه السلام ، ويقربها بشر برهوت ، ولها مدينتان يقال لإحداهما ترسم وللأخرى شبام ، وعندها قلاع وقرى ، وقال ابن الفقيه : حضرموت مخلاف من اليمن بينه وبين البحر رجال ، وبينه وبين مخلاف صداء ثلاثون فرسخا ، وبين حضرموت وصنعاء اثنتان وسبعون فرسخا ، وقيل : مسيرة أحد عشر يوما ، وقال الإصطخري : بين حضرموت وعدن مسيرة شهر .

سير وتراجم صفحة ٦٠ — وذكر المرحوم الشيخ عبد الوهاب المنهولى : أن كتاب حسن الصفا اختصره وذيله الشيخ الحضرمي من كتاب حسن الصفا والإتهاج في ذكر من ولي إمارة الحجاج للشيخ أحمد الرشيدى وسماه مختصر حسن الصفا ، وكلاهما موجودان في المكتبة الفيضية (مجلة المنهل عدد شعبان ١٣٦٦ هـ) ...

وأضاف الزركلى : فضائل مكة والمدينة ، وتاريخ الأعيان .

(المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة للشيخ عبد الله مراد أبى الخير - اختصار وترتيب وتحقيق محمد سعيد العامودى وأحمد على - عالم المعرفة . مجلة الطبعة الثالثة ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م / ٨٤ ، ٩٥ ، والأحلام للزركلى ١ / ٢٩٤) .

• حضرموت :

منطقة بجزيرة العرب ، على خليج عدن والبحر العربي ، كانت جزءا من مملكة عدن ، وهي الآن بجمهورية اليمن قاعدتها وأهم موانئها المكلا ، ومن ملحتها الأخرى شبام وسينون [سينون] سكانها عناصر مستقرة تعيش في مدن وقرى تقوم على جانبى وادى حضرموت الذى يجرى من الغرب إلى الشرق ، محاذيا للساحل ، وعلى بعد ٢٠٠ كم . ويمتد حوالي ٣٢٠ كم ، وينتهى إلى البحر العربى عند سيموت (الموسومة الطاقية / ٤٠٤) .

قال عنها صاحب كتاب « أمة اليمن » عند ذكر الإمام المنصور بالله محمد بن يحيى في وفيات سنة ١٣١٤ :

الحضرمي : نسبة إلى حضرموت بنبع الحاء المهملة والراء والميم وقيل يضم الميم على وزن عنكبوت . وهو مخلاف واسع من مخاليف اليمن . وقيل سمي باسم حضرموت بن سبا الأصغر . وقيل غير ذلك .

والنسبة إليه حضرمي والجمع حضارم . حدوده شمالا رمال بلاد نجد والربع الخالي ، وشرقا شعب وادى الذى هود ، وجنوبا البحر الهندى ، وغربا عين بامبعد وياقع ودنية واحور وبلاد البيضاء . والمسافة لها من الشمال إلى الجنوب نحو خمسة عشر يوما ، ومن الغرب إلى حدود مهرة بالجهة الشرقية الجنوبية نحو خمسة عشر يوما بالسير المعتدل . وجل هذه المسافة جبال صخرية جرداء قاحلة خالية عن النبات والعيون

نحن قتلنا الأمسلاك الأربعه :

جمدا ومخوسا ومشرحا وأبشعه
وسموا لوكا أنه كان لكل واحد منهم واد يملكه ؛ قال :
وأقبل زياد بالنسي والأموال فسر على الأشعث بن قيس وقومه
فصرخ النساء والصبيان ، فحصى الأشعث أنفا وضريح في
جماعة من قومه فعرض لزياد ومن معه وأصيب ناس من
المسلمين وانهزموا ، فاجتمعت عظماء كندة على الأشعث
فلما رأى ذلك زياد كتب إلى أبي بكر يستمده ، فكتب أبو بكر
إلى المهاجر بن أبي أمية ، وكان واليا على صنعاء قبل قتل
الأسود العنسي ، فأمره بإنجاده ، فلقيا الأشعث فقتلوا جموعه
وقتلوا منهم مقتلة كبيرة ، فلجؤوا إلى النجير حصن لهم ،
فحصرهم المسلمون حتى أجهدوا ، فطلب الأشعث الأمان
لعدة منهم معلومة هو أحدهم ، فلقه الجفثيش الكندي
واسمه معدان بن الأسود بن معدى كرب ، فأخذ بحقه وقال :
اجلسنى من العدة ، فأدخله وأخرج نفسه ونزل إلى زياد بن
ليبد والمهاجر فقبضا عليه وبشأ به إلى أبي بكر ، رضى الله
عنه ، أسيرا في سنة ١٢ ، فجعل يكلم أبا بكر وأبو بكر يقول
له : فعلت وفعلت ، فقال الأشعث : استيقنى لمحرك فوالله
ما كفرت بعد إسلامي ، ولكنى شححت على مالى فأطلقنى
وزوجنى أختك أم فروة فزنى قد تبث مما صنعت ورجعت منه
من منى الصدقة ، فمن عليه أبو بكر ، رضى الله عنه ، وزوجه
أخته أم فروة ، ولما تزوجها دخل السوق فلم يمر به جزور إلا
كشف عن عرقوبها وأعطى ثمنها وأطعم الناس ، وولدت له أم
فروة محمدا وإسحاق وأم قرية وحبابة ، ولم يزل بالمدينة إلى
أن سار إلى العراق غازيا ، ومات بالكوفة ، وصلى عليه
الحسن بعد صلح معاوية (معجم البلدان ٢ / ٢٦٩ - ٢٧١)

قال عنها صاحب آئمة اليمن في زمانه :

ومن وفود حضرموت على رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم وائل بن حجر الحضرمي ، وكليب بن أسد بن كليب
الحضرمي القاتل حال قدومه على رسول الله ﷺ :

من وثقت برهوت تهوى بي صلالة

إليك يا خير من يمشي ويتعلم

تجسب في مصفف غبرا مناهله

تزداد غفصوا إذا ما كلت الإبل

وأما فتحها : فإن رسول الله ﷺ ، كان قد راسل أهلها
فيمين راسل فدخلوا في طاعته وقدم عليه الأشعث بن قيس في
بضعة عشر راكبا مسلما ، فأكرمهم رسول الله ﷺ ، فلما أراد
التصرف سأل رسول الله ﷺ ، أن يولى عليهم رجلا منهم ،
فولى عليهم زياد بن ليبد البياضى الأنصارى وضم إليه كندة ،
فبقى على ذلك إلى أن مات رسول الله ﷺ ، فارتدت بنو
وليلة بن شرحبيل بن معاوية ؛ وكان من حديثه أن أبا بكر ،
رضى الله عنه ، كتب إلى زياد بن ليبد يخبره بوفية النسي ،
ﷺ ، ويأمره بأخذ البيعة على من قبله من أهل حضرموت ،
فقام فيهم زياد خطيبا وعزهم موت النسي ، ﷺ ، ودعاهم إلى
بيعة أبي بكر ، فاستمع الأشعث بن قيس من البيعة واعتزل في
كثير من كندة ويلم زيادا خلق آخرون وانصرفوا إلى منزله وبكر
لأخذ الصدقة كما كان يفعل ، فأخذ فيما أخذ قلوفا من نسي
من كندة ، فصيح النسي وضج واستغاث بحارثة بن سراقه بن
معدى كرب بن وليعة بن شرحبيل بن معاوية بن حجر القرى بن
الحارث : الولادة يا أبا معدى كرب ! عقلت ابنة المهرة ، فأتى
حارثة إلى زياد فقال : أطلق للنلام بكثرة ، فأبى وقال : قد
عقلتها ووسمتها بميسم السلطان ، فقال حارثة : أطلقها أيها
الرجل طالما قبل أن تطلقها وأنت كاره ! فقال زياد : لا والله لا
أطلقها ولا نعمة عين ! فقام حارثة فعمل عقالها وضرب على
جنبها .

فخرجت القلوص تعبد إلى الألفا ، فجعل حارثة يقول :

يمنعها شيخ بخليده الثيب

مُلّع كما يُلّع الثوب

ماض على السريب إذا كان السريب

فنهض زياد وصاح بأصحابه المسلمين ودعاهم إلى نصرة
الله وكتابه ، فالتحازت طائفة من المسلمين إلى زياد وجعل من
ارتد ينحاز إلى حارثة ...

فكان زياد يقاتلهم نهارا إلى الليل ، وجاءه عبد له فأخبره
أن ملوكهم الأربعة ، وهم : مخوس ومشرح وجمد وأبشعه
وأختهم المعزدة بنو معدى كرب بن وليعة في محجرهم قد
ثملوا من الشراب ، فكبسهم وأخذهم وذبحهم ذبحا ؛ وقال
زياد :

شهرين أعمالها تصبا على وحل

أرجو بذلك ثواب الله بيا رجل

أنت النبي السلي كنّا نخبره

ويشترتنا بك التوراة والمرسل

وعامل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على حضرموت

هو زياد بن ليلى الأنصاري البياضي، وهاجر إليها السيد الإمام

المهاجر أحمد بن عيسى بن محمد بن علي بن جعفر بن

محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب سنة ٣١٧

سبع عشرة وثلاثمائة للهجرة .

وفيها من ذرية بالعصر الحاضر ذكورا وإناثا نحو خمسة

عشر ألف نسمة ، وفي بلاد جاوى وما إليها منهم زيادة على

عشرين ألف نسمة . وفي سنغافورة وما إليها من البلاد الهندية

الصينية منهم نحو ثمانية آلاف نسمة . هكذا أفادني شيخنا

الحافظ الباحث المروء محمد بن عقيل العلوي رحمه الله .

ومن أشهر قبائلها : قضاعة ، نواح ، نهد ، كتلة ،

مذحج ، آل كثير ، آل باجيري ، آل جابر ، العوامر ، آل خريز ،

الجعلة ، المحوم ، الحسان ، السيان ، الصوابية ، بنو قلعة

وغيرهم .

وعاصمة البلاد الحضرمية مدينة تريم سكانها نحو عشرة

آلاف نسمة ، وفيها نحو مائة وثلاثين مسجدا ، ومدينة شام

فيها نحو خمسة آلاف نسمة ونحو خمسة وعشرين مسجدا .

ومدينة سيون سكانها نحو خمسة عشر ألف نسمة ، وفيها

نحو ثمانين مسجدا . ومدينة قعوضة العموي سكانها نحو

عشرة آلاف نسمة . ومدينة حريضة فيها نحو سبعة آلاف

نسمة . ومدينة الحزبية سكانها نحو سبعة آلاف نسمة . ومدينة

قيدون سكانها نحو سبعة آلاف نسمة ، وفي أهلها يقول بعض

الأدباء النبلاء :

مسررت بسوادي حضرموت مسلما

فالفيتيه بالفضل يسمما رحبا

وأنفيت فيه من جهابذة العمل

أناضل لا يلقون شرقا ولا غربا

وبلاد مهرة تضاف إلى حضرموت عرفا وهي متصلة بظفار

الجبوتي ، وبعمان ومالها وسكانها نحو المائة وثلاثين ألفا .

ومن مزارعات البلاد الحضرمية المحطة واللدة ، والدخن .

وقال بعض الباحثين المعاصرين :

مساحة حضرموت على حدودها مائة وعشرون ألف كيلو

متر مربع وعدد سكانها مائتا ألف مسلم شافعي . وفيها

حكومة القعيطيين ، وحكومة الكبيريين ، وعادلت حكومة

القعيطيين الإنكليز في سنة ١٣٠٦ ست وثلاثمائة ألف

هجري . والسلطان القعيطي فيها مصدر السلطة . وفي تاج

المرويس شرح القاسوس من أسماء الفقهاء والمحدثين من

الحضرميين بإسلام صحيفة كبيرة . وفي مرسية وضرناطة

وإشبيلية وبطليوس وقرطبة وغيرها من البلاد الأندلسية من

يتسب إلى حضرموت (أمة اليمن / ٢٠٨ - ٢١٠) .

يقول الدكتور أحمد رمضان أحمد عند الكلام على

حضرموت وكنته : لعل حضرموت . من أقدم الممالك

العربية التي ما تزال تحتفظ باسمها منذ نشأتها حتى الآن ، فقد

سجله اليونان والرومان في كتاباتهم ، وكذا في الكتابات

العربية الجنوبية ، وكانت منذ أقدم العهود مجاورة لمنازل

(عاد) الذين كانوا يسكنون الأحقاف .

ويقال إنه نشأ بحضرموت قبيلتان ، إحداهما « مهرة »

وهي من قضاعة ومن انضم إليها . والثانية قبيلة حضرموت

وهي من « حمير » وقد سكنت « مهرة » ومن انضم إليهم من

قضاعة سواحل حضرموت ، وهي ناحية الشجرة وهي

مجموعة من البلدان تمتد إلى ظفار ، ولا تزال الناحية الشرقية

من « الشجر » خاصة بهم أما الناحية الغربية منها فقد مchy

اسمهم منها .

أما القبيلة الثانية وهي حضرموت التي سميت الناحية

باسمها فقد سكنت فيما بين الساحل والربع الخالي وخاصة

الجهة الشرقية والوسطى من وادي حضرموت . ويرجع نسب

« بنو حضرموت » كما يقول نشوان بن سعيد الحميري إلى ابن

سبأ الأصغر ابن كعب بن سول بن زيد بن عمرو بن قيس بن

معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث - إلى أن

يتجهى إلى ابن سبأ الأكبر بن يشجب .

أما عن الآثار التي اكتشفت في موضع يقال له « الحريضة »

بحضرموت ، فهي آثار معبد الإله « مين » أي معبد القمر ،

كما عثر على عدد من الكتابات تبين أن بعضها شبئية وقد

عثر في حضرموت على مواضع كثيرة قديمة حضرمية وشبئية

(الموسوعة التفاضلية - بكرياف د. حسين سعيد / ٢٠٤ ، وأمة اليمن
بالقرن الرابع عشر الهجري - من مجاميع محمد بن يحيى بن أحمد زيادة
الحسن الصنعاني / ٢٠٨ - ٢١٠ ، ومعجم البلدان لياقوت الحموي / ٢
٢٦٩ - ٢٧١ ، ونظر علم التاريخ الإسلامي - د. أحمد رمضان أحمد /
١١٧ - ١١٩) .

انظر الخريطة المصاحبة لمادة «الأحقال» في م ٢ / ٩٨

• الصحرة :

الصحرة في اللغة الغشاء وحفرة الرجل قربه وفناه . وقد
استعمل اللفظ كلقب فخرى ، وهو أحد ألقاب الكنتابية
المكانية التي يطلق عليها في مصطلح كتاب المعاليك اسم
«الألقاب الأصول» . وقد استعمل المكان للتعبير عن الشخص ، وهو من
أوائل هذه الألقاب ظهورا . وتدل النقوش الأثرية والوثائق
التاريخية على أنه كان مستعملا في القرن الرابع الهجري ،
وربما بدأ أول ما بدأ للكنتابية عن الخليفة . وعندما احتجب
الخلفاء وفوض إلى الوزراء الكتابة عنهم صار هؤلاء إذا أرادوا
التعبير عن الخليفة في مكاتبتهم يشيرون إلى مكانه بدلا من
اسمه ، وذلك زيادة في التوقير والاحترام . ولذا كان اللقب
بالمكاتبات أخص .

وتؤيد بعض نسخ المكاتبات أنه كان يطلق في المكاتبات
على الخليفة فقد أورد ابن تغري بركي كتابا كتبه يعقوب بن
كلس عن الخليفة العزيز الفاطمي إلى عضد الدولة بـصحرة
الخليفة الطائع العباسي جاء فيه «وصل رسولك إلى حضرة
أمير المؤمنين» . وقد أجابه عضد الدولة بكتاب أشاد فيه بفضل
أهل البيت وشاطب الخليفة الفاطمي «بالصحرة الشريفة» .

وإذا كان اللقب قد استعمل للتعبير عن الخليفة منذ
ظهوره وكان يتصف «بالشريفة» تارة و «بالمطهرة» تارة أخرى
إلا أنه قد استعمل مجردا من الصفات للإشارة إلى بني بويه .
ثم استعمله السلاجقة . ولم يقتصر استعماله على الخلفاء
والمملوك من المسلمين بل تمداهم إلى بعض المملوك من
المسيحيين .

وفي العصر الأيوبي تدهورت قيمة اللقب فيقر ابن شيث
إنه خوطب به من هم دون الوزراء في المرتبة فجعل مجلس
الصحرة دون المجلس السامي . وفي عصر المماليك

ينسبها الناس إلى اليوم إلى «عاد» و «ثمود» قفي ملتي
«وادي منوة» بمراد ثمة صخور كبيرة ، تفرقت ومهدت لتكون
مأوى ومواضع للسكنى كما وجدت على المرتفعات بقايا
بيوت ومساكن ، وكذا كتابات دونت بـلون أحمر قبل إنها
كتابات سيئة ، وإنها أسماء أشخاص لعلها أسماء من اجتاز
هذا المضييق سواء من المسافرين أو الجنود .

وقد ذهب بعض علماء الآثار واللغات القديمة إلى أن
حضارة حضرموت وكذا باقي حضارة العربية الجنوبية ، كانت
قد تأثرت بمؤثرات الحضارة العراقية في بادئ الأمر وذلك في
عهد (المكربين) ولكنها أخذت تبعث من مؤثرات الحضارة
العراقية منذ القرن الأول قبل الميلاد ، بينما أخذت تتقرب من
مؤثرات حضارة البحر المتوسط وكذا المؤثرات الحضارية
الفارسية وذلك نتيجة اتصال الرومان والفرس بالعربية
الجنوبية .

كما اكتشف في حضرموت حصن أثري صرف باسم
«حصن عر» لعله من حصون ملوك حضرموت . وهو حصن
عال يقع في تل يرتفع قرابة خمسين قدما ، ولا تزال بقايا
جدرانه وأبراجه قائمة .

كذلك أعطانا بعض المستكشفين الذين زاروا حضرموت
وصف مواضع أثرية في حضرموت مثل المكنون و «ثوبه»
و «العر» كما اكتشفوا منطقة أثرية بحضرموت يزعم
المجاورون لها أنها أرض عاد .

وبعدئنا علماء الآثار عن ميناء هام من موالي حضرموت
يعرف باسم ميناء «قنا» كانت تنقل منه الصادرات والواردات
إما بالبحر أو بالبر عن طريق القوافل ويقع هذا الميناء إلى
الشرق من ميناء عدن ، كما يوجد بالقرب منه جزيرتان هما
جزيرة «أريزون» أو جزيرة الطيور والجزيرة الثانية هي جزيرة
«ترولا» على أن أكثر الباحثين والأثريين أن ميناء «قنا» هو
المحل المعروف الآن باسم «حصن غراب» . ويقع حصن
غراب على مرتفع من الصخر الأسود على حرة من حررات
البراكين وقد ورد اسمه في الكتابات القديمة وقد سمي فيها
باسم «عرصيت» و «عرماوية» وهو الاسم القديم للمصن
الذي يعرف اليوم باسم «حصن غراب» (نظر علم التاريخ
الإسلامي / ١١٧ - ١١٩) .

استعمل اللقب في حالات متعددة فأجاز كتاب ديوان الإنشاء أن يطلق لقب الحضرة على بعض ملوك الدول الإسلامية الأخرى حين المكاتبية إليهم من ديوان الإنشاء . ثم استعمل اللقب لملوك النصارى بإضافة أداة التعريف إليه أو مجرد عن أداة التعريف مع الإضافة . هذا وقد استعمل لفظ « الحضرة » في بعض الألقاب المضافة إلى مثنى ، مثل « عميد الحضرتين » وهكذا

(التصريف بمصطلحات صبح الأمل - محمد فتوح البلقى / ١٠٦ ، ١٠٧ من الألقاب الإسلامية - د. حسن اليافا / ٢٦٠ - ٢٦٤) .

• الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية :

من مصنفات التراث الإسلامي في التصوف والرحلات مخطوط دار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) . الرقم ٣٦١٣ جغرافيا ورحلات ٦٦ . انظر الرحلة القدسية .

كتاب وصف به رحلته من دمشق إلى القدس سنة ١١٠١ هـ وما زار فيها من أضرحة الأنبياء والأولياء والصالحين مع وصف كل منهم .

المؤلف : أبو الفقيص عبد الغنى بن إسماعيل النابلسي الحنفى الدمشقى الصالحى النقشبندى القادرى المتوفى سنة ١١٤٣ هـ / ١٧٣١ م .

أوله : الحمد لله الغنى عن عبده الفقير ، الذى يسهل له الرحلة والمسير من دمشق نشأته إلى القدس حضرته ، على غيول العبادة والذكر ... هذه الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية جمعنا فيها لطائف الأخبار وظرف الأضمار ... آخره قصيدة مطلعها :

بسم الله من الهم

وعنه زوال الهم

ومنه زاننا فضلا

ويالتوفيق قد اتسم

آخرها :

وزاد الله إنهم

عليهم لم يزل أروم

ونفسا فلبس

(برحلة قلمه الأكرم) ١١٠١

قد تم ما أوردنا جمعه والمحمد لله

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

اسم النسخ : أحمد النابلسي .

تاريخ النسخ : الخميس جمادى الأولى سنة ١٣١٧ .

ملاحظات : بعد مقابلتها على المطبوعة تبين أن هذه

أوسع بكثير من المطبوعة وأن المطبوعة قد تكون مختصرا لها .

مصادر عن الكتاب : معجم المطبوعات / ١٨٣٣ .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٥ / ٢٧١ ، ابن

شاشو تراجم بعض أعيان دمشق ص ٦٧ .

طبعة الكتاب : ١ - طبع بمطبعة جريدة الإخلاص بمصر

سنة ١٩٠٢ م بـ ٨٨ ص بعناية ديمتري أفندى نقولا صاحب

مجلة الفكاهة .

٢ - بمصر سنة ١٩٧١ م على نفقة مكتبة القاهرة بـ ٨٨ ص

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف - وضع محمد

رياض المالح ١ / ٤٥٢ ، ٤٥٣) .

• الحضرة الحسينية :

انظر الحسيني (المشهد - بكر بلاه) .

• الحضري والسفري من الأيات (علم) :

قال حاجي خليفة :

هو من فروع علم التفسير ذكره المولى أبو الخير لمجرد

تكثر السواد وإلا فلا وجه لعله علما برأيه وكذا أكثر ما ذكره

من التفاريع قال وأمثلة الحضري كثيرة وأما أمثلة السفري فقد

ضبطوها وأرتقت إلى نيف وأربعين كما في الإتيان (كشف ١ /

٦٧١) .

فى الإتيان جعل الإمام السوطى النوع الثانى من أنواع

علوم القرآن هو معرفة الحضري والسفري ، أما فى التعبير فقد

جعله النوع الثالث والرابع . قال فى الإتيان .

أمثلة الحضري كثيرة . وأما السفري فله أمثلة تتيجها .

منها « واتخذوا من مقام إبراهيم صلى » [البقرة : ١٢٥]

نزلت بمكة عام حجة الوداع . فأخرج ابن أبى حاتم وابن

ومنها : أول المائدة ، أخرج البيهقي في شعب الإيمان عن أسماء بنت يزيد أنها نزلت بطنى . وأخرج في الدلائل عن أم عمرو عن عمها أنها نزلت في مسير له ، وأخرج أبو عبيدة عن محمد بن كعب قال : نزلت سورة المائدة في حجة الوداع فيما بين مكة والمدينة . ومنها ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ [المائدة : ٣] في الصحيح عن عمر أنها نزلت عشية عرفة يوم الجمعة عام حجة الوداع . وله طرق كثيرة لكن أخرج ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري أنها نزلت يوم غدِير خم . وأخرج مثله من حديث أبي هريرة وفيه أنه اليوم الثامن عشر من ذى الحجة مرجعه من حجة الوداع ، وكلاهما لا يصح . ومنها : آية التيمم فيها في الصحيح عن عائشة أنها نزلت بالبيداء وهم داخلون المدينة . وفي لفظ : بالبيداء أو ببلدات الجيش . قال ابن عبد البر في التمهيد : يقال إنه كان في غزوة بنى المصطلق . وجزم به في الاستذكار وسبقه إلى ذلك ابن سعد وابن حبان . وغزوة بنى المصطلق هي غزوة المريسيع . واستبعد ذلك بعض المتأخرين قال : لأن المريسيع من ناحية مكة بين قنيد والساحل ، وهذه القصة من ناحية خيبر لقول عائشة بالبيداء أو ببلدات الجيش ، وهذا بين المدينة وخيبر كما جزم به السورى ، لكن جزم ابن التين بأن البيداء هي ذو الحليفة . وقال أبو حبيد البكري : البيداء هو الشرف الذى قدام ذى الحليفة من طريق مكة . قال : وذات الجيش من المدينة على بريد .

ومنها ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم قوم ﴾ [المائدة : ١١] أخرج ابن جرير عن قتادة قال : ذكر لنا أنها نزلت على رسول الله ﷺ وهو يبطن نخول في الغزوة السابعة حين أراد بنو ثعلبة ويثو محارب أن يفتكوا به فاطلمه الله على ذلك : ومنها ﴿ والله يصمكم من الناس ﴾ [المائدة : ٦٧] في صحيح ابن حبان عن أبي هريرة أنها نزلت في السفر . وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن جابر أنها نزلت في ذات الرقاع بأعلى نخول في غزوة بنى أنمار . ومنها : أول الأنفال نزلت بئر عقب الواقعة كما أخرجه أحمد عن سعد بن أبي وقاص . ومنها ﴿ إذ تستغيثون ربكم ﴾ [الأنفال : ٩] نزلت بئر أيضا كما أخرجه الترمذى عن عمر . ومنها ﴿ والذين يكتزون الذهب ﴾ [التوبة : ٣٤] نزلت في بعض أسفاره كما

مردويه عن جابر قال : لما طاف النبي ﷺ قال له عمر : هذا مقام أبينا إبراهيم الخليل ؟ قال : نعم ، قال : أفلا تتخذ مصلى ؟ فنزلت . وأخرج ابن مردويه من طريق عمرو بن ميمون عن عمر بن الخطاب : أنه مر بمقام إبراهيم فقال : يا رسول الله أليس تقوم مقام خليل ربنا ؟ قال : بلى ، قال : أفلا تتخذ مصلى ؟ فلم يلبث إلا يسيرا حتى نزلت . وقال ابن الحصار : نزلت إما في عمرة القضاء أو في غزوة الفتح أو في حجة الوداع . ومنها .

﴿ وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ﴾ [البقرة : ١٨٩] روى ابن جرير عن الزمهرى أنها نزلت في عمرة الحديبية . وعن السدي أنها نزلت في حجة الوداع . ومنها ﴿ وأتوا الحج والعمرة ﴾ [البقرة : ١٩٦] فأخرج ابن أبي حاتم عن صفوان بن أمية قال : « جاء رجل إلى النبي ﷺ مضطرب بالزعران عليه جبة فقال : كيف تأمرني في عمرتي ؟ فنزلت ، فقال : أين السائل عن العمرة ؟ أتى عنك ثيابك ثم اغتسل ، الحديث . ومنها ﴿ فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ﴾ [البقرة : ١٩٦] نزلت بالحديبية ، كما أخرجه أحمد عن كعب بن عجرة الذى نزلت فيه ، والواحدى عن ابن عباس . ومنها ﴿ آمن الرسول ﴾ [البقرة : ٢٨٥] ، قيل نزلت يوم فتح مكة ولم ألق له على دليل . ومنها ﴿ واتقوا يوما ترجعون فيه ﴾ [البقرة : ٢٨١] نزلت بطنى صام حجة الوداع فيما أخرجه البيهقي في الدلائل . ومنها ﴿ الذين استجابوا لله والرسول ﴾ [آل عمران : ١٧٢] أخرج الطبراني بسند صحيح عن ابن عباس أنها نزلت بعمراء الأسد . ومنها : آية التيمم في النساء أخرج ابن مردويه عن الأسلم بن شريك أنها نزلت في بعض أسفار النبي ﷺ . ومنها ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ﴾ [النساء : ٥٨] نزلت يوم الفتح في جوف الكعبة كما أخرجه سنيد في تفسيره عن ابن جرير ، وأخرجه ابن مردويه عن ابن عباس . ومنها ﴿ وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة ﴾ [النساء : ١٠٢] نزلت بعسفان بين الظاهر والعصر كما أخرجه أحمد عن أبي عياش الزرقى . ومنها ﴿ يستغفونك قل الله يفتيكم الكلاله ﴾ [النساء : ١٧٦] أخرج البزار وغيره عن حليفة أنها نزلت على النبي ﷺ في مسير له .

القراء : قيل إن النبي ﷺ لما توجه مهاجرا إلى المدينة وقف فتنظر إلى مكة وبكى فزلت .

ومنها : سورة الفتح . أخرج الحاكم وغيره عن العمود بن مخزومة ومروان بن الحكم قالا : نزلت سورة الفتح بين مكة والمدينة في شأن الحديبية من أولها إلى آخرها . وفي المستدرك أيضا من حديث مجمع بن جارية أن أولها نزل بكراع الغميم . ومنها : يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى . [المحجرات : ١٣] أخرج الواحدي عن ابن أبي مليكة أنها نزلت بمكة يوم الفتح لما رقى بلال على ظهر الكعبة وأذن فقال بعض الناس : ألعنا عبد الأسود يؤذن على ظهر الكعبة . ومنها : سيهرم الجمع . [القمر : ٤٥] قيل إنها نزلت يوم بدر ، حكاه ابن الغرس ، وهو مردود لما سيأتي في النوع الثاني عشر ، ثم رأيت عن ابن عباس ما يؤيده ومنها : قال السفي قوله تعالى ﴿ لئلا من الأولين ﴾ [الواقعة : ١٣] وقوله تعالى ﴿ أيها الحديث أتمم مدنتي ﴾ [الواقعة : ٨١] نزلت في سفره ﷺ إلى المدينة ، ولم أقف له على مستد . ومنها : وتجهلون رزقكم أنكم تكلمون . [الواقعة : ٨٢] أخرج ابن أبي حاتم عن طريق يعقوب عن مجاهد عن أبي هريرة قال : نزلت في رجل من الأنصار في غزوة تبوك لما نزلوا الحجرة ، فأمرهم رسول الله ﷺ أن لا يحملوا من مائتها شيئا ثم ارتحل ثم نزل منزلا آخر وليس معهم ماء ، فشكروا ذلك ، فبدأ فأرسل الله سبحانه فأعطيت عليهم حتى استقروا منها ، فقال رجل من المنافقين : إنما مطرنا بنوه كذا ، فزلت . ومنها آية الامتحان ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتنوهن ﴾ [الممتحنة : ١٠] أخرج ابن جرير عن الزهري أنها نزلت بأسفل الحديبية ، ومنها : سورة المنافقين . أخرج الترمذي عن زيد بن أرقم أنها نزلت ليلا في غزوة تبوك . وأخرج عن سفيان أنها في غزوة بني المصطلق ، وبه جزم ابن إسحاق وغيره . ومنها : سورة المرسلات . أخرج الشيخان عن ابن مسعود قال : بينما نحن مع النبي ﷺ في غار بمنى إذ نزلت عليه والمرسلات . الحديث . ومنها : سورة المطففين أو بعضها ، حكى السفي وغيره أنها نزلت في سفر الهجرة قبل دخوله ﷺ المدينة . ومنها : أول سورة اقرأ ، نزل بغار

أخرجه أحمد عن ثوبان . ومنها قوله تعالى : ﴿ لو كان عرضا قريبا ﴾ [التوبة : ٤٢] نزلت في غزوة تبوك كما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس . ومنها ﴿ ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب ﴾ [التوبة : ٦٥] نزلت في غزوة تبوك كما أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عمر . ومنها ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا ﴾ [التوبة : ١١٣] أخرج الطبراني وابن مردويه عن ابن عباس أنها نزلت لما خرج النبي ﷺ معتمرا وبعث من ثنية صفان فزار قبر أمه واستأذن في الاستغفار لها . ومنها : خاتمة النحل . أخرج البيهقي في الدلائل والجزائر عن أبي هريرة أنها نزلت بأحد والنبي ﷺ واقف على حمزة حين استشهد وأخرج الترمذي والحاكم عن أبي بن كعب أنها نزلت يوم فتح مكة . ومنها : ﴿ ولئن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها ﴾ [الإسراء : ٧٦] أخرج أبو الشيخ والبيهقي في الدلائل من طريق شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم نزلت في تبوك . ومنها : أول الحج . أخرج الترمذي والحاكم عن عمران بن حصين قال : لما نزلت على النبي ﷺ ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ ولكن عذاب الله شديد ﴾ [الحج : ١ ، ٢] أنزلت عليه هذه وهو في سفر ، الحديث . وعن ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أنها نزلت في مسيره في غزوة بني المصطلق .

ومنها ﴿ هذان خصمان ﴾ [الحج : ١٩] الآيات ، قال القاضي جلال الدين البليغي : الظاهر أنها نزلت يوم بدر وقت المباراة لما فيه من الإشارة بهذا .

ومنها ﴿ ألم تر لي ربك كيف مد الظل ﴾ [الفرقان : ٤٥] قال ابن حبيب : نزلت بالطائف ، ولم أقف له على مستد . ومنها : أول الروم روى الترمذي عن أبي سعيد قال : لما كان يوم بدر ظهرت الروم على فارس فأعجب ذلك المؤمنين فنزلت ﴿ ألم ﴾ غلبت الروم ﴾ إلى قوله ﴿ بنصر الله ﴾ [الروم : ١ - ٥] قال الترمذي : غلبت يعني بالفتح . ومنها ﴿ واصل من أرسلنا قبلك من رسلنا ﴾ [الزخرف : ٤٥] قال ابن حبيب : نزلت بيوت المقدس ليلة الإسراء ومنها ﴿ وكأين من قرية هي أشد قوة ﴾ [محمد : ١٣] قال السخاوي في جمال

سادسها : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَعْلَمَهَا ﴾ [النساء : ٥٨] نزلت يوم الفتح في شأن مفتاح الكعبة .

سابعا : آية الكلافة - نزلت بين مكة والمدينة مرجعه ﷺ من حجة الوداع .

ثامنا : ولم يذكره : أول المائدة ، ففي شعب الإيمان من طريق سفيان عن ليث عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت : نزلت سورة المائدة على النبي ﷺ بمنى إن كادت من ثقلها لتكسر عظام الناقة ، وفي الدلائل من حديث عاصم الأحول عن أم عمرو بنت عيسى عن عمها : كان النبي ﷺ في مسير فنزلت عليه سورة المائدة فاندثت كنف راحلته العضباء من ثقل السورة .

وروي أبو عبيد عن عمر بن طارق عن يحيى بن أيوب عن أبي صخر عن محمد بن كعب القرظي قال : نزلت سورة المائدة على رسول الله ﷺ في حجة الوداع فيما بين مكة والمدينة وهو على ناقته فانصدع كنفها فنزل عنها رسول الله ﷺ تاسعا : ﴿ الْيَوْمَ اكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة : ٣] ففي الصحيح من حديث عمر أنها نزلت بمرفة عام حجة الوداع .

عاشرا : آية التيمم ، ففيه من حديث عائشة : أنها نزلت بالبيداء أو بلدات الجيش قرب المدينة في القفول من غزوة المريسيع .

حادي عشرها : أول الأنفال ، فقد روى أحمد عن سعد ابن أبي وقاص قال : لما كان يوم بدر قتل أخى عمير وقتل سعيد بن العاص وأخذت سيفه فأتيت به النبي ﷺ فقال : اذهب فاطرحه ، فخرجت وبى ما لا يعلمه إلا الله من قتل أخى وأخذ سلبى ، قال : فما جاوزت إلا يسيرا حتى نزلت سورة الأنفال فقال رسول الله ﷺ : اذهب فخذ سيفك .

ثاني عشرها : ولم يذكره : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رِيكَمْ ﴾ [الأنفال : ٩] ففي الصحيح عن عمر قال : نظر النبي ﷺ إلى المشركين وهم ألق وأصحابه ثلاثمائة وبضعة عشر فاستقبل القبلة ، وجعل يهتف بربه فأنزل الله هذه الآية .

ثالث عشرها : ولم يذكره : ﴿ وَمِنْ يَوْمِهِمْ يَوْمَهُدْ بِهِرِ ﴾

حرره كما في الصحيحين . ومنها : سورة الكوثر . أخرجه ابن جرير عن سعيد بن جبيرة أنها نزلت يوم الحديبية ، وفيه نظر . ومنها : سورة النصر . أخرجه البزار والبيهقي في الدلائل عن ابن عمر قال : أنزلت هذه السورة ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ على رسول الله ﷺ أوصل أيام التشريق فعرف أنه الوداع ، فأمر بناته القصواء فرحلت ، ثم قام فخطب الناس فذكر خطبته المشهورة (الإقنان ١ / ٢٤ - ٢٧) .

كما أورد الإمام السيوطي « الحضري والسفري » أيضا في « التخيير » باعتبارها التوحيين الثالث والرابع من علم التفسير وفيه بعض ما أورده في « الإقنان » فقال الحضري والسفري : الأول كثير ، والثاني أمثلة ذكر الباقين منها قليلا :

أحدها : وهو ما لم يذكره ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ ﴾ [البقرة : ١٩٦] .

ففي الصحيح من حديث كعب بن عجرة قال : كنا مع النبي ﷺ بالحدبية ونحن محرمون وكانت لى وفرة فجعلت الهوام تتساقط على وجهي فمر بى النبي ﷺ فقال : أيؤذيك هوام رأسك ؟ فقلت : نعم فأنزلت هذه الآية .

ثانيها : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَسُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ [البقرة : ٢٨١] نزلت بمنى فيما رواه البيهقي في الدلائل .

ثالثها : ﴿ حَافِظُوا الرُّسُولَ ... ﴾ [البقرة : ٢٨٥] إلى آخر السورة ، قيل : نزلت يوم فتح مكة .

رابعها : ولم يذكره البيهقي ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ [آل عمران : ١٢٨] نزلت بأحد ، فروى الترمذى عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ يوم أحد : اللهم العن أبا سفيان ، اللهم العن الحارث بن هشام ، اللهم العن صفوان بن أمية ، فنزلت : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ... ﴾ وفي الصحيح أن ذلك كان في الركعة الأخيرة من صلاة الصبح خامسها : ولم يذكره ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ﴾ [آل عمران : ١٤٤] نزلت بأحد ، فقد روى البيهقي في الدلائل من طريق آدم عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن أبيه أن رجلا من المهاجرين مر على رجل من الأنصار وهو يتشبط في دمه فقال له : أشعرت أن محمد قد قُتل ؟ فقال : إن كان محمد قد قُتل فقد بلغ ، فقاتلوا عن دينكم فنزلت .

الآية [الأنفال : ١٦] روى النسائى عن أبى سعيد المخدرى أنها نزلت يوم بدر .

رابع عشرها : آيات من أثناء براعة فى غزوة تبوك .

خامس عشرها : ولم يذكره : ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا معه أن يستغفروا للمشركين ... ﴾ [الآيتين : التوبة : ١١٣ ، ١١٤] فقد روى الطبرانى فى الكبير عن ابن عباس أنه ﷺ لما أقبل من غزوة واعتمر ، فلما هبط من ثنية عسفان نزل على قبر أمه وبكى ودعا الله أن يأذن له فى الشفاعة لها فتزل جبريل بهاتين الآيتين .

سادس عشرها : ﴿ وإن عاقبتهم فعاقبوا ... ﴾ إلى آخر السورة . فأخرج البيهقى فى الدلائل والجزائر فى مسنده من حديث أبى هريرة أن رسول الله ﷺ وقف على حمزة حين استشهد وقد مثل به ، فذكر الحديث إلى أن قال : لأظن بسبعين منهم مكانك فنزل جبريل والنبي ﷺ واقف بهواتيم سورة النحل ﴿ وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به ﴾ إلى آخر السورة ، فهو صريح فى نزولها بأحد ، وهى البيهقى هذا الحديث إلى الغيلانيات وهو قصور .

وأخرج الترمذى من حديث أبى بن كعب قال : لما كان يوم أحد أصيب من الأنصار أربعة وستون رجلاً ومن المهاجرين ستة منهم حمزة فماتوا يوم فقالت الأنصار : لئن أصبنا منهم يوماً مثل هذا لنترين عليهم قال : فلما كان يوم الفتح أنزل الله : ﴿ وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ﴾ [النحل : ١٢٦] قال الترمذى : حسن ضريب ، قال البيهقى : وقد يقال لا معارضة بين الحديثين لأن أعمال هذا الصبر إنما وقع يوم فتح مكة .

قلت : المعارضة واقعة بين قوله نزلت والنبي واقف على حمزة ووقوه بأحد ، وقوله : فلما كان يوم فتح مكة أنزل الله ، وأى جمع حصل من كلامه المنكسر ؟ وإنما يجمع بما تقدم عن ابن الحصار أنها نزلت أولاً : بمكة ثم ثانياً : بأحد ثم ثالث : يوم الفتح تذكيراً من الله لعباده .

سابع عشرها : ولم يذكره أول الحج ، ففى الترمذى عن عمران بن حصين قال : أنزلت على النبي ﷺ : ﴿ يا أيها الناس

اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم ﴾ إلى قوله : ﴿ ولكن حطاب الله شديد ﴾ [الحج : ١ ، ٢] وهو فى سفر فقال : أتدرون أى يوم ذلك ؟ الحديث . وفى المستدرک عن أنس مثله .

ثامن عشرها : ﴿ هلان خصمان اختصموا ﴾ إلى قوله : ﴿ العميد ﴾ [الحج : ١٩ ، ٢٥] ففى البخارى عن أبى ذر أنه كان يقسم أن هذه الآية نزلت فى حمزة وصاحبه ، وعتبة وصاحبه .

قال البيهقى : فالظاهر أنها نزلت يوم بدر وقت المبارزة لما فيه من الإشارة بهذين .

تاسع عشرها : ولم يذكره ﴿ أنزل للنبيين ما نزلناهم فظلموا ... ﴾ [الحج : ٢٩] — ففى المستدرک عن ابن عباس : لما أخرج أهل مكة النبي ﷺ قال أبو بكر : إنا لله وإنا إليه راجعون أخرجوا نبيهم ليهلك فتنزلت هذه الآية .

قال ابن الحصار : استنبط بعضهم من هذا الحديث أنها نزلت فى سفر الهجرة .

العشرون : ﴿ إن السلى فرض عليك القرآن ... ﴾ [القصاص : ٨٥] قبل : نزلت بالجمعة فى سفر الهجرة . الحادى والعشرون : أول الروم كما تقدم .

الثانى والعشرون : سورة الفتح بجملتها ، كما قال البيهقى وتمسك بظاهر ما رواه البخارى من حديث عمر : بينما هو يسير مع النبي ﷺ فذكر الحديث وفيه : فقال رسول الله ﷺ : لقد أنزلت على الليلة مسورة هى أحب إلى مما طلعت عليه الشمس فقراً : ﴿ إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ﴾ ليفسر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴿ الفتح : ١ ، ٢ ﴾ ولا دليل فيه على نزولها تلك الليلة ، بل النازل فيها أولها وقد وردت أحاديث بنزول سورة الفتح بين مكة والمدينة فى شأن الحديبية من أولها إلى آخرها . لطيفة : ورد تبين الموضوع الذى نزلت فيه وهو كراخ الغميم رواه الحاكم أيضاً .

الثالث والعشرون : ولم يذكره : سورة المنافقون ، فقد روى الترمذى من طريق إسرائيل عن السدى عن أبى سعيد الأزدى قال : أخبرنا زيد بن أرقم قال : غزونا مع رسول الله ﷺ

الرقم ٦٩١٦

رسالة في أن الفاتحة هي حضيرة القدس وما ورد في فضائلها وغرواصها .

المؤلف ؟

أولها : هن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « لما أنزل الله فاتحة الكتاب وآية الكرسي وشهد الله ... » .

آخرها :

هناك يسا رب تزيل الشكسا
وتؤمن الخوف بحسن المتساب
وتجبر المكمور يسا سيدى

وسمع المسكين رد الجسواب
المخط نسخ متناد ، الجبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .
(فهرس مخطوطات دار الكتب الطاهرة ، التصوف - وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٥٣ ، ٤٥٤) .

• الحط (فن) :

انظر : الحطيات .

• الحطاب (٩٠٢-٩٥٤ هـ / ١٥٤٧-١٥٤٧ م) :

أدرجه صاحب الفتح المبين تحت عنوان « الحطاب المالكي » وقال عنه :
نسبه وشيوخه ومكانته وتلاميذه :

محمد بن محمد الحطاب المالكي بأبي عبد الله . ولد بمكة ونشأ بها ، وأخذ عن والده ، ومحمد بن عبد الغفار ، والعارف بالله محمد بن عراف ، وقاضى المدينة محمد بن أحمد السخاوى ، وعبد الحق السنياطى وغيرهم من أفاضل العلماء ، وكان حافظا محققا ورعا متبحرا في العلوم نقلها وعقلها ، وكان قوى المعارضة فى المجادلة . أخذ عنه ابنه يحيى ، وعبد الرحمن التاجورى ، ومحمد المكي ، ومحمد القيسى وغيرهم .

مصنفاته ووفاته :

له مؤلفات عدة تدل على تبحره فى العلوم ، وقوة ملكته ،

وكان معنا ناس من الأعراب ، فسبق أعرابى فعلا الحوض ، فأتى رجل من الأنصار أعرابيا فأرصى زمام ناقة تشرب فأبى أن يدهه ورفع الأعرابى خشبة فغضب بها رأس الأنصارى فشجه ، فأتى عبد الله بن أبى رأس المناققين فأخبره وكان من أصحابه فغضب وقال : لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى يتفضوا ثم قال لأصحابه : لن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعر من الأذل فأخبرت عسى فأخبر رسول الله ﷺ فحلف ويحده قال : فصدقه رسول الله ﷺ وكذبى فجاء عسى فقال : ما أردت إلى أن مقتك رسول الله ﷺ وكذبت فوقع على من الهم ما لم يقع على أحد ، فبينما أنا أسير مع رسول الله ﷺ فى سفر قد خفتت رأسى من الهم إذ أتانى رسول الله ﷺ فعرك أذنى وضحك فى وجهى فلمحتنى أبو بكر فقال : ما قال لك رسول الله ؟ قلت : ما قال شيئا إلا أنه عرك أذنى وضحك فى وجهى : فقال : أبشر ثم لمحتنى عمر فقلت له مثل قولى لأبى بكر فلما أصبحنا قرأ رسول الله ﷺ سورة المنافقين قال الترمذى : حسن صحيح .

ففى هذا الحديث مع كونها نزلت بالسفر ما يقتضى أنها نزلت بالليل ثم روى أيضا من حديثه أن ذلك فى غزوة تبوك ، ومن حديث جابر بن عبد الله نحو ذلك ، وفيه قال سفيان : يروون أنها نزلت فى غزوة بنى المصطلق وقال فى كل من الحديدين حسن صحيح ، وهو فى الصحيحين بدون قول سفيان وذكر ابن إسحاق أيضا أنها نزلت فى غزوة بنى المصطلق .

الرابع والعشرون : سورة النصر ، روى البيهقى والبراز عن ابن عمر أنها نزلت أواسط أيام التشريق صام حجة الوداع (التحرير / ٢٨-٢٣) .

(كشف الظنون لمجاى خليفة ١ / ٦٧١ ، والإيمان فى علم القرآن للتشيع الإمام أبى الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبى بكر السبوى ١ / ٢٤-٢٧ ، والتحرير فى علم التفسير للسبوى أيضا / ٢٨-٢٣) .

• حضيرة القدس :

من مخطوطات التصوف بدار الكتب الظاهرية بلمشق (أو بمكتبة الأسد) .

وجودة فهمه ، وكان يستدرك على كثير ممن تقلعه من العلماء والجهابذة كابن عرفة وابن عبد السلام والسيوطي .

ومن مؤلفاته : مواهب الجليل لشرح مختصر أبي الفياض سيدى خليل ست مجلدات في فقه المالكية وقرة العين شرح وفيات إمام الحرمين في الأصول ، وتحرير الكلام في مسائل الالتزام (يأتى الكلام عنه فيما بعد) ، والقول المبين في أن الطاعون لا يدخل البلد الأمين ، وكتاب استقبال عين القبلة وجهتها ، وحاشية على البيضاوى ، وحاشية على الإحياء ، وشرح قواعد عياض ، وتعليق على ابن الحاجب ، وهدية السالك المحتاج في مناسك الحج .

توفى بطرابلس الغرب سنة ٩٥٤ (الفتح المين ٣ / ٧٥) .

ويضيف الدكتور الزحياى إلى هذه المصنفات : « شرح نظم نظائر رسالة القيروانى لابن غازي » و « تزيين القلوب بالفضائل المكفرة لما تقدم وما تأخر من الذنوب » و « استخراج أوقات الصلاة بالأعمال الفلكية بلا آلة » و « جردان في اللغة » و « تفسير القرآن » لم يكمله (مرجع العلوم الإسلامية / ٤١٣) .

ولما كان قد فائت إدراج كتاب « تحرير الكلام في مسائل الالتزام » في حرف التاء فقد رأينا أن ندرجه هنا إتماما للفايدة يقول عنه الدكتور عبد السلام محمد الشريف فى بحث له بعنوان « الخطاب وكتابه تحرير الكلام في مسائل الالتزام » : إنه تصنيف فريد من نوعه لم يسبقه أحد إلى مثله كما قال هو نفسه (أى الخطاب) فى مقدمة كتابه : « لم يكن له فى كتب أهل المذهب باب ولا فصل مقرر ولا علمت فيه مصغرا يؤخذ حكمه منه ويحرب بل مسائله متفرقة فى الكتب والأبواب » .

وهو كتاب حسن فى موضوعه ، عظيم النفع فى مجاله ، لا يستغنى عنه المتخصصون من رجال الفقه والقضاء ، يغنى عن غيره ولا يغنى غيره عنه . ويمضى الدكتور فى بحثه فيقول :

منهج الخطاب فى تأليف الكتاب

المتبع لكتاب الخطاب يلاحظ من حيث الأسلوب أن أبرز ما يتميز به البساطة فى التعبير والإبتعاد عن كل تعقيد فقد

اختار الأسلوب الذى يفهمه المتخصص وغير المتخصص هدفه من وراء ذلك إشاعة العدل بين الناس فيما يتعلق بالمعاملات الالتزامية ، ووسيلة الرحلة لبلوغ هذا الهدف هو اجتهاده الشخصى من جهة واعتماده على ما خلفه علماء التوثيق أمثال المتطى وابن سلمون وابن زرب وابن سهل والبرزلى وابن عبد الرقيق وابن هشام وغيرهم من جهة أخرى .

وأما من حيث المنهج فقد اعتمد الخطاب المنهج الاستقرائى لمسائل الالتزام من أمهات كتب المذهب ولم يكتف بالثقل على عادة غيره من علماء عصره بل كان يتعقب جل مسائل الالتزام التى يترعرع عليها فى مظانها إن لم نقل كلها ، وهذا إن دل على شئ فأنما يدل على نبوغ الخطاب ونضجه العلمى ، وأنه فى حلبة الفقه فارس مغوار ويكفى ، دليلا على ذلك نظريته فى الالتزام ، فى كتابه تحرير الكلام .

مصادر الكتاب المطبوع منها والمخطوط

استقى الخطاب المادة العلمية لكتابه تحرير الكلام من مصادر معروفة مشهورة فى المذهب وإليك حوصلة لبعض ما تيسر لنا الاطلاع عليه منها وهى :

١ - الموطأ الذى رواه عن الإمام مالك العديد من العلماء لا يقدم الخطاب عليه غيره .

٢ - المدونة الكبرى رواية سحنون بن سعيد القيروانى ت ٢٤٠ هـ قال أبو الحسن الصغير : المدونة أفضل كتب المالكية مقدمة على غيرها من الدراوين ولا يوجد ديوان فى الفقه بعد الموطأ أفيد منها ، وهى عند أهل الفقه كتاب سيبويه عند أهل النحو ، وهى التى تسمى الأم ، وتعرف بالمدونة والمختلطة .

٣ - المستخرجة وهى العتبية لأبى عبد الله محمد بن أحمد ابن عبد العزيز القرطبى ت ٢٥٥ هـ وتتناول مسائل خلافة فى الفقه .

٤ - البيان والتحصيل لما فى المستخرجة من التوجيه والتعليم لابن رشد البجد ت ٥٢٠ هـ وهو موسوعة فقهية تتكون من أجزاء كثيرة ألفه صاحب على المستخرجة .

وقفت على نسخة خطية منه فى خمسة أجزاء بدار الكتب

خلالها جوانب بالغة القيمة من حياة المجتمع الأندلسي خلال القرون الثلاثة الأولى من تاريخه الإسلامي .

٩ - تبصرة اللخمي - على بن محمد الربيعي ت ٤٦٨ هـ قال عنها ابن فرحون : « هي تعليق كبير على المدونة » توجد نسخة خطية بمكتبة الجامع الأعظم بمدينة تازة بالمغرب رقم تصنيفها ٢١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ٢١٩ .

١٠ - التوضيح للشيخ خليل وهو شرح جامع الأمهات لابن الحاجب توجد نسخة خطية اطلعت عليها بدار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم ١٢٢٥٥ ، ١٢٢٥٦ - وأخرى بجامعة قاروينس تحت رقم ١٠١١ .

١١ - الشامل للشيخ بهرام . قال الشيخ زروق : جمع كل ما حصله في شامله . اطلعت على جزء منه مخطوط بدار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم ١٣٧٦٢ .

١٢ - نوازل البرزلي وقيل ديوان البرزلي أو فتاوى البرزلي وعنوانه « جامع سائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام » .

وهو أهم اثر من آثار البرزلي العلمية القيمة كيف لا وقد وصفه أستاذه وشيخه الإمام ابن عرفة حيث قال في مقوله الشهيرة (كيف أنام وأنا بين أسدين الأبي بفهمه وعقله ، والبرزلي بحفظه ونقله) .

وقفت على نسخة مخطوطة للنوازل بدار الكتب الوطنية بتونس في أربعة أجزاء أرقامها كالتالي ١٢٧٩٢ ، ١٢٧٩٣ ، ١٢٧٩٤ ، وللمكتاب نسخ أخرى متعددة .

وصف الكتاب ابن مريم بقوله إنه الديوان الكبير في الفقه والفتوى ، وهو من كتب المذهب الأصيله أجاد فيه البرزلي ما شاء (ابن مريم : البستان ص ١٥٢) .

١٣ - مختصر جامع الدعوى والإقرار والإنكار لأبي عبد الله محمد بن الحسن الرضيني وقفت على نسخة خطية منه بمكتبة الأوقاف سابقا ، والتي آلت إلى مركز جهاد الليبيين أخيرا والرقم هو ٥٩٩ ح ٦ - ٢٥٥ وللمكتاب نسخة خطية أخرى وقد حاولت مع زميلي الدكتور محمد أبو الأجناف أستاذ الفقه بالكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين التعرف على

الرواية بتونس وقد سهّل الله أخيرا طبع الكتاب وإخراجه للناس في طبعة جميلة أنيقة عن دار الغرب الإسلامي سنة ١٩٨٥ م .

٥ - مختصر ابن الحاجب للفقه المسمى جامع الأمهات والمختصر يشتمل على جمع الأقوال من الأمهات وأكثر هذه الأقوال مقال عن الترجيع والتصحيح .

وقد اعتمد ابن الحاجب في جميع مختصره أسلوبا مبتكرا في اختصار المسائل الفقهية اتفرد به حتى قيل إن كتابه على اختصاره وصغر حجمه جمع أربعين ألف مسألة ذكر ذلك ابن دقيق العيد .

وقد اعتنى بهذا المختصر العلماء ، ودونوا عليه الدواوين شرحا وتعليقا .

توجد منه نسخة خطية بدار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم ١٧٧٩١ ، اطلعت عليها واستضدت منها في توثيق النصوص .

٦ - مختصر الشيخ خليل بن إسحاق الجندى ت ٧٧٦ هـ وهو مختصر مهم في بيان ما به الفتوى وما هو الراجح وطرح الاختلاف باعتماد ما قرر لديه ، وكان في تعينه للمراجع المعتمد موقفا كل التوفيق ، وبذلك امتاز عن غيره من المختصرات وتعلق به العلماء شرحا وتعليقا حتى بلغ ما كتب عليه مائة شرح أو يزيد .

٧ - معين الكلام لإبراهيم بن حسن بن عبد الرقيب الربيعي ت ٧٢٣ هـ .

اطلعت على نسخة خطية منه بدار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم ٣١٠١٣ وقد قام أحد الطلبة بالكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين بتحقيق الجزء الخاص بأحكام الأسرة وذلك في نطاق أطروحة دكتوراه حلقة ثالثة .

٨ - الإسلام بنوازل الأحكام ليسى بن سهل الأزدي أبو الإصبع ت ٤٨٦ هـ قال عنه ابن فرحون في اللديباغ (ج ٢ ص ٧٠ وما بعدها) بأنه كتاب حسن عول عليه شيوخ الفتوى والحكام وقد اعتنى بهذا الكتاب الدكتور محمد عبد الوهاب خلاف وقام بدراسة مجموعة مختارته من الوثائق كشف لنا من

هذه قائمة ببعض الكتب والمراجع التي اعتمد عليها المطاب في تأليف كتابه القيم وغيرها كثير خربت عن ذكرها طلباً للاختصار، ومن رام مزيداً من التفصيل يمكنه مراجعة كتاب تحرير الكلام القسم الدراسي بتحقيقنا .

وإن كان لنا من كلمة أخيرة حول مصادر المطاب نقول إن هذه المصادر المتنوعة تدل على سعة اطلاع المطاب وقدرته الفارقة على جمع المصادر واختيارها ، وهذا يحتاج إلى غزارة في العلم وقوة لإرادة وجعل صبر على البحث والاستغناء .

محتويات كتاب تحرير الكلام :

افتتح المطاب كتابه بمهيد يبلغ تحدث فيه عن السبب الذي حمله على تأليفه ، وأنه تأليف مبتكر لم يسبق إلى مثله رغم شيوع الحكم بالالتزام في الفكر المالكي وكثر السؤال عن الالتزام عند التشاكر والمخاض لم يفرد من ألف في الفقه باباً ولا فصلاً يجمع فيه مسائل الالتزام بل تركت مسائل متفرقة في الكتب والأبواب إلى أن تبه المطاب إلى ضرورة وضع مصنف يؤخذ به حكم الالتزام ويقرر وأنه لا بد من جمع مسأله وضماها إلى بعضها لأن الحكم بالالتزام مع تفرق مسائله ليس بصواب فأقبل على جمع ما تيسر له من مسائله ، وضيء أقسامه ، وتبين مشكله ، وتحرير أحكامه ورتبه على مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة ، أما المقدمة ففي بيان معنى الالتزام وبيان أركانه وشروط كل ركن منها .

وأما الباب الأول ففي الالتزام الذي ليس بمعلق وهو الزام الشخص نفسه شيئاً من المعروف من غير تعليق على شيء ، وبذلك شمل الصدقة والهبه والجس والمارية والمعمرى والعريه والمنحة والإرفاق والإخدام والإسكان والنشر إذا كان غير معلق والضمان والالتزام بالمعنى الأصغر أعنى بلفظ الالتزام ، تحدثت بشيء من التفصيل عن هذه المسائل في فصول تحتها فروع .

والباب الثاني خصصه في الالتزام المعلق على فعل الملتزم بكسر الزاى وهو على نوعين :

أ - إما أن يكون القصد بالالتزام الانتفاع من ذلك الفعل المعلق عليه كقوله لزوجته إن تزوجت عليك لك ألف دينار .

المؤلف فيما تيسر لنا الاطلاع عليه من كتب التراجم والسير فلم نلتفت بشيء وربما يشر على ترجمة للمؤلف أحد المتخصصين من أهل الخبرة ويتم إخراج الكتاب على الوجه المطلوب .

١٤ - مختصر ابن عرفة الفقهى ت ٨٠٣ هـ .

اطلعت على نسخة خطية منه مختلفة الأجزاء بدار الكتب الوطنية بتونس أرقامها كالأنى ١٠٨٤٤ ، ١٢٨٤٧ ، ١٠٨٤٨ ، ١٠٨٤٦ .

١٥ - ابن ناجى على المدونة له شرحان على المدونة الأولى يسمى بالشترى والثانى يسمى بالصينى وقفت على الأولى بدار الكتب الوطنية بتونس مخطوط تحت رقم ١٢٥١٧ ، ١٢٥١٨ ، ١٣٧٦ .

١٦ - الجواهر لصاحبه أبى محمد عبد الله بن شامت ت ٦١٠ هـ ، وهو كتاب ألفه على طريقة الغزالي سماه «الجواهر الثنية في مذهب عالم المدينة» قال ابن فرحون : « فيه دلالة على غزارة علمه ، والطائفة المالكية بمصر عاكفة عليه لحسنه وكثرة فوائد » .

وقفت على نسخة خطية منه رقم تصنيفها بدار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم ١٣٩٨٢ ، ١٣٩٨٣ .

١٧ - شرح ابن عبد السلام على مختصر ابن الحاجب .

وقفت على نسخة خطية من هذا الشرح بدار الكتب الوطنية بتونس أرقامها كالأنى ١٢٢٤٢ ، ١٢٢٤٣ ، ١٢٢٤٤ ، ١٢٢٤٥ ، ١٢٢٤٦ والشرح يعتبر خلاصة دروس ابن عبد السلام ت ٧٤٩ هـ جاء فيه بأسلوب مبتكر فى التدريس والتأليف سلك فيه طريقة التعليق وتوليد البحوث والمسائل مما أصبح به فريداً من نوعه .

١٨ - التشرع لابن الجلاب - عبد الله بن الحسين بن الحسن بن الجلاب البصرى ت ٣٧٨ هـ .

اطلعت على نسخة خطية منه بدار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم ٣٤٩٩ وله نسخ أخرى في مكتبات العالم وقد تم تحقيقه ونشره أخيراً من دار الغرب الإسلامى خلال عام ١٩٨٥ م .

والباب الرابع جعله في الالتزام المعلق على غير فعل
الملتزم والملتزم له ، وحكمه حكم الالتزام المعلق .

والخاتمة في التثنية على مسائل حكم فيها بعدم لزوم
لكونها من باب إسقاط الحق قبل وجوبه أو لكون الالتزام فيها
مخالفا لمقتضى العقد ، وفيها فصلان : الأول في إسقاط
الحق قبل وجوبه ، ويندرج تحت هذا العنوان مسائل عديدة
تعلق بالشفعة والوصية والهبة والإبراء والحضنة والقصاص
والعيب والمهر والجائحة وغير ذلك .

والثاني في الشروط المنافية لمقتضى العقد وفيه مسائل
تعلق بالشروط في النكاح والخلع والبيع والقرض والرهن .

وختم الحطاب كتابه بالتأكيد على بلوغ الهدف وإنجاز
الغرض الذي قصده في بيان أنواع الالتزام وأقسامه فجاء بعون
الله كتابا مفيدا في بابه عظيم النفع لمن أمعن النظر فيه من
طلاب العلم والمعرفة .

إن الاهتمام بتحقيق نوازل المخطوطات من كتب التراث
الإسلامي لهو عمل عظيم حقا فتتخر به المكتبة الإسلامية
لا سيما مصنفات الحطاب الشهيرة المحشورة بالمعلومات
المفيدة والتحقيقات الفريدة .

وكتاب الحطاب « تحرير الكلام » أبرز فيه نوحا خاصا من
الابتكار في ميدان التأليف وسلك فيه مسلكا لم يسلكه غيره
في توليد المسائل الفقهية وتبويبها وتقسيمها مع دقة عرضها
وتحليلها وتوثيقها لذلك فهو جدير بأن ينال عناية كبيرة من
قبل الباحثين والمتخصصين بتحقيقه ودراسته ونشره بين الناس
ليعم نفعه في الحاضر والمستقبل كما عم نفعه في الماضي
خصوصا وأنه بحث فقهي رفيع المستوى يحتاج إليه أهل الفقه
والمنحرفين في سلك القضاء والمحاماة والمهتمين بالفقوى
والتشريع .

وما يدل على أهمية الكتاب وتداوله بين أهل الاختصاص
منذ عصر المؤلف كثرة نسخه وانتشارها شرقا وغربا ،
واختلاف تواريخ النسخ حتى أن الشيخ عايش أدرج الكتاب
برمته في فتاويه المشهورة عندما سئل عن مسألة تتعلق
بموضوع الالتزام فأجاب بما حواه الكتاب من المقدمة إلى

ب- وإما أن يكون المقصد منه حصول ذلك الفعل كقوله إن
قدمت من هذا السفر فلفلان على ألف دينار وهذا النوع من
باب النذر .

والباب الثالث تكلم فيه عن الالتزام المعلق على فعل
الملتزم له بفتح الزاى وهو على سبعة أنواع :

١- النوع الأول : في الالتزام المعلق على الفعل الذى
ليس باختيارى كقوله لزوجته إن ولدت غلاما فلك كذا وكذا ،
وحكمه إن وجد المعلق عليه حكم الالتزام المعلق فى الزوج
والقضاء به .

٢- النوع الثانى : فى الالتزام المعلق على الفعل الواجب
على الملتزم به بفتح الزاى كقوله إن جئتى بعبدى الأبق أو
بعمري الشارد أو متاعى الضائع فلك عندى كذا وكذا فإن ذلك
غير لازم للملتزم ، ولا يحكم به عليه إذا كان واجبا عليه
على التعمين أما ما كان واجبا على الكفاية فيلزم الالتزام
المعلق عليه كقوله إن غسلت هذا الميت فلك كذا وكذا .

٣- النوع الثالث : فى الالتزام المعلق على فعل محرم
على الملتزم له كقوله إن قتلت فلانا أو شربت خمرنا فلك
عندى كذا وكذا ، وحكمه أن ذلك غير لازم .

٤- النوع الرابع : فى الالتزام المعلق على الفعل الجائز
الذى لا منفعة فيه لأحد كقوله لرجل إن صدقت هذا الجبل
فلك كذا وكذا وهو من باب الجعل ، وقد اختلف فيه هل
يشترط أن يكون فى العمل المأمور عليه منفعة أم لا يشترط ؟
على قولين المشهور منهما اشتراط المنفعة للجاعل .

٥- النوع الخامس : فى الالتزام المعلق الذى فيه منفعة
للملتزم بكسر الزاى ، وهو على أربعة أوجه وتحت كل وجه
من الوجوه أربعة فروع .

٦- النوع السادس : فى الالتزام المعلق على الفعل الذى
فيه منفعة للملتزم له بفتح الزاى كقولك لشخص إن تزوجت
فلك كذا ، وحكمه حكم الالتزام المعلق على غير فعل
الملتزم والملتزم له .

٧- النوع السابع : فى الالتزام المعلق على الفعل الذى
فيه منفعة لغير الملتزم والملتزم له كقولك إن أمكنت فلانا
دارك سنة فلك عندى كذا وكذا .

الخاتمة (الشيخ عيسى . فتح العلى المالك / ١ / ٢١٧ وما بعدها .
الطبعة الأخيرة . مطبعة الحلبي .)

قيمة الكتاب العلمية :

إن الفقه الإسلامي من الثرى العلوم لما توفر له من أفكار واقعية عملت طوال قرون - وفق معطيات الواقع وملازماته - على تنمية الاجتهاد الذي كان ميدانا للأفكار الواقعية والكشف عنها ، وإيجاد الحلول لها ، وحمل الناس عليها قولا وعملا ، ولكن هذه الثروة الفقهية بقدر اتساعها كانت صعبة على الباحثين إلا من أوتي قوة ففى الفهم وعمقا فى التحليل مثل الحطاب ، وهذه الناحية المستعصية فى الفقه لم تخف على علماء الإسلام فحاولوا تقريب الفقه بوسائل وطرق خاصة لى يجد الباحث ضالته ويتفكر بالمسألة بسهولة ويسر .

ولعل الأمر الذى حمل العلماء المتأخرين إلى الدعوة لتقريب الفقه إحساسهم بأهمية وعظمة الثروة الفقهية التى خلفها فقهاء السلف هذه الثروة المستمدة من صميم الأصول الإسلامية المعتمدة على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، والمصالحة فى أصولها وفروعها لمسيرة العقل البشرى فى مختلف العصور وبابن الأزمان .

ولقد استفاد من هذه الثروة الفقهية الهائلة المسلمون وغيرهم على حد سواء يشهد بذلك الدراسات المقارنة التى تشير بوضوح إلى أن أهم القوانين الوضعية وهى القوانين الفرنسية اقتبست من الفقه الإسلامى واعتمدت أصلا وبخاصة الاجتهاد المالكى .

وبذلك اهتمت الجامعات الفرنسية بدراسة موطأ مالك وكانت تعرض الطلبة المسلمين المهتمين بالشريعة الإسلامية على أن تكون بحوثهم منسوبة على دراسة وتحليل موطأ مالك باعتباره أساس المدرسة الفكرية المالكية .

ومن أبرز ما يمتاز به كتاب تحرير الكلام منهجه المتميز بخصائص غير موجودة ولا متوفرة فى غيره ، ولا نجد عن الحقيقة إن قلنا إن منسك المؤلف فى تأليف هذا الكتاب يتمثل فى تقريب المسائل الفقهية من الباحث ، والكشف عنها فى مظانها حتى لا يترك الباحث يتيه فى صحراء كأنها لا

نهاية لها لكثرة تشعب المسائل وصعوبة استخراجها من
الأمهات ...

ولا نجد عن الحقيقة إن قلنا إن الحطاب أسس نظرية الالتزام فى الشريعة الإسلامية وفق مبادئ وأسس انتهى إليها الحطاب ، واستخلصها من كتب الفروع .

والاعتقاد السائد عند فقهاء القانون الوضعى حتى اليوم ممن لم يتيسر لهم الاطلاع على هذا الكتاب بأن نظرية الالتزام ينفردها القانون الوضعى ، وإن الشريعة الإسلامية لا تعرف هذا النوع من التصرفات الالتزامية .

ولكن بعد أن يفسر الله لنا تحقيق هذا الكتاب ونشره هلى الجميع وكبروا واعتزفوا بأن الفقه الإسلامى نظام كامل شامل لكل ما تتطلبه الحياة البشرية العامة والخاصة للأفراد والجماعات فى كل زمان ومكان .

ولعل من المفيد فى النهاية التذكير بالأسس التى بنى عليها الحطاب نظرية الالتزام وهى كالتالى :

١ - للالتزام عند الحطاب أركان أربعة الملزم والملزم له والملتزم به والصيغة .

٢ - قسم الحطاب الالتزام إلى أقسام أربعة تنحصر فى الآتى : الالتزام المطلق ويقصد به الالتزام غير المعلق على شىء وثلاثة أقسام أخرى تشمل الالتزام المعلق ، وجعل معيار التفرقة بين هذه الأقسام الثلاثة راجعا إلى نوع التعليق الذى قد يكون على فعل الملزم أو على فعل الملتزم له أو تعليقا على غير فعل أى منهما وقد ساق الحطاب أمثلة كثيرة تشمل جميع أقسام الالتزام فى نظره .

٣ - وقد انتهى الحطاب فى عرض نظريته إلى تفريع لها جمع فيه مسائل حكم فيها بإسقاط اللزوم لكونها من باب إسقاط الحق قبل وجوده أو لكون الالتزام فيها مخالفا لمقتضى العقد .

والحمد لله أولا وآخرا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(الفتح المين فى طبقات الأصوليين - الشيخ عبد الله مصطفى المرافى / ٣ / ٧٥ ، ورجع العلوم الإسلامية - د. محمد الزحيلي / ١٣ ،

«ميم الجمع» وتبه على الحروف الهجائية ، قال فيه :
إنه كتاب عظيم ، جمع فيه ميم الجمع كله الموجود بعد
الحروف الأربعة : الهزء ، التاء ، الكاف ، الهاء .
«رسالة في هاء الضمير ، مرتبة على حروف المعجم» .
«تقييد التنوين الذي جاء في آخر الكلمة في القرآن»
العظيم ، وفيه ثلاثة أنواع :

المضموم ، المنصوب ، المكسور ، وهو مرتب على
حروف المعجم .
«الهداية لمن أراد الكفاية ، على ضبط أواخر الكلمة بما
صح بالرواية» .

«الاتصال الكبير» وهو مجموع متداول بين الناس ،
أضيفت إليه إضافات ، وزيدت عليه زيادات ، مما جعل
نُسخه تختلف اختلافاً يَبْيناً ، وتتفق في مجموعها على
الموضوعات التالية : الاتصال ، الانفصال ، الوزن ، وهي
مرتبة حسب مرور القرآن .

٢- أبو العباس أحمد بن عبد الله الميزوري ، ولد أوائل
النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري بقرية مازورة في
بني مسارة - إحدى قبائل الجبل بشمال المغرب ، على بعد
نحو ٢٠ كلم من وزان .

تعلم ببليده ، وأخذ القراءات عن شيخو الجبل ، وكان آية
في الذكاء والحفظ ، جمع بين المدرستين الحطية والعديدية ،
سهل عليه التنظيم حتى استوى عنده مع الشر ، وكان له إلمام
بالعربية ، ويقال إنه ألف أجرومية بأسلوب مبسط ، وبعث بها
إلى شيخ فاس فانتقدوه ، وزيقوا صله .

وأبو العباس الميزوري من الشيوخ الذين ذاع صيتهم بهذه
الجمال ، دخلت انتظامه [منظوماته] وقصائده كل مدرسة
وكتاب ، بل صار بعضها من الأثال السائرة بين الطلاب ،
مثل قوله :

أما حروف كفظش فأكثر من عام وأنا أنش * ولا
وجدتهم ورش * سوى متميلاً وقصائده في التبت والحلف
أشهر من قفانك * .

قضى أبو العباس أكثر حياته في تعليم كتاب الله ،

و «الحطاب وكتابه تحرير الكلام في مسائل الالتزام» - إصعاد . عبد
السلام محمد شريف . مجلة الوثائق والمحفوظات . مركز دراسة جهاد
الليبيين ضد الغزو الإيطالي . السنة الثامنة ، المجلد الثاني ١٩٨٧ / ٤٦٨ -
٤٧٨ .

• الحطيم :

حطيم : الحطيم كسر الشيء مثل الهشم ونحوه ، ثم
استعمل لكل كسر متناه ، قال الله تعالى : ﴿ لا يحطمنكم
سليمان وجنوده ﴾ [النمل : ١٨] وحطمته فأنحطم حطما
ومسائق حطم يحطم الإبل لفراط مسوقه وسميت للجمعيم
حطمة ، قال الله تعالى في الحطمة ﴿ وما أدراك ما الحطمة ﴾
[الهزء : ٥] وقيل للاككون حطمة تشبيها بالجمعيم تصورا
لفعل الشاعر :

• كأنما في جوفه تنور •

ودرع حطمية منسوبة إلى ناسجها أو مستعملها ، وحطيم
وزيغ مكانان ، والحطام ما يتكسر من اليبس ، قال عز
وجل : ﴿ ثم يهوي فتراه مصفراً ثم يجعله حطاماً ﴾ [الزمر :
٢١] وقيل الحطمة : اسم من أسماء النار ، وقيل باب من
أبواب جهنم (اللسان ١١ / ٩١٦) .

(المفردات في غريب القرآن للزواجر الأصفهاني - تحقيق وضبط
محمد سيد كيلاني / ١٣٣ ، لسان العرب لابن منظور ١١ / ٩١٦) .

• الحطمة :

انظر : الحطيم .

• الحطيات :

من علوم القرآن يقوم فن «الحطيات» على إحصاء شامل
لما في القرآن من حروف وكلمات ، وجعل مكررة أو متشابهة !
وظهرت مدرسة «الحطيات» بالمغرب في حدود أوائل القرن
الثالث عشر الهجري ، ومن أبرز مشايخها - يجنب المغرب -
أبو عبد الله أعلجى ، «وبالشمال» أبو العباس الميزوري :

١- أبو عبد الله محمد بن إسماعيل أعلجى الباعقلي
السوسي . اشتهر في قبائل سوس بفن «الحطيات» . له
مؤلفات في ذلك (ت ١٢٧١ هـ) .

من آثاره :

ومن فضائل الحطيم ما ذكره الفاكهي لأنه قال وحديثي أحمد بن صالح قال حدثنا محمد بن عبد الله عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت قال لى النبي ﷺ: أى البقاع خير؟ قال قلت: الله ورسوله أعلم. قال قلت يا رسول الله كأنك تريد بين الركن والمقام؟ قال صلت، إن غير البقاع وأطهرها وأزكاهم وأقربها من الله ما بين الركن والمقام، وإن فيها بين الركن والمقام روضة من رياض الجنة، فمن صلى فيه أربع ركعات نودي بطنان العرش أبها العبد غفر لك ما قد سلف منك فاستأنف العمل. انتهى.

ومن فضائل الحطيم أنه فيه قبر تسعة وتسعين نبيا لأن الأزرقي قال فيما رويناه عنه بالسند المتقدم حدثني جدى قال حدثنا يحيى بن سالم عن ابن خثيم قال سمعت عبد الرحمن ابن سابط يقول سمعت عبد الله بن حمزة السلولي يقول ما بين الركن إلى المقام إلى زمزم قبر تسعة وتسعين نبيا جاءوا حجاجا فقبضوا هنالك. وحدثني مهدي بن أبى المهدى قال حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن مولى بنى هاشم عن حماد بن مسلم عن عطاء بن السائب عن محمد بن سابط عن النبي ﷺ قال: كان النبي من الأنبياء إذا هلك أمته لحق بمكة فيعبد فيها النبي ومن معه حتى يموت فمات بها نوح، وهود، وصالح، وشعيب، وقبورهم بين زمزم، والحجر، وذكر الأزرقي خيرا يقتضى أن فى الحطيم قبر تسعين نبيا وسمى منهم فى هذا المغير غير من لم يسم فى الخبر الذى رواه عن ابن سابط لأنه قال: وأخبرني جدى عن محمد بن سالم عن عثمان بن ساج فلنكر أخبارا ثم قال قال عثمان وأخبرني مقاتل قال فى المسجد الحرام بين زمزم والركن قبر تسعين نبيا منهم هود وصالح وإسماعيل وقبر آدم وإبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف عليهم السلام فى بيت المقدس، انتهى، وذكر الأزرقي خيرا يقتضى أن قبر لإسماعيل فى الحجر.

وذكر الأزرقي خيرا يومه أن فى الحطيم ثور عمارى بنات لإسماعيل عليه السلام لأن الأزرقي قال فيما رويناه عنه حدثني جدى قال حدثنا شفيان بن عيينة عن الزهري أنه سمع ابن الزبير على المنبر يقول إن هذا المحطوب فيور عمارى بنات لإسماعيل عليه السلام يعنى مما يلي الركن الشامي من المسجد الحرام قال ذلك الموضع تسوي بين المسجد فلا

ومن أهم المراكز التى أقرأ بها «أنفري» قبيلة بنى مسارة، وكان الطلبة يحجون إليه من كل جهة ومكان، وكانت له مهارة عجيبة فى فن الحط، تسأله عن كلمة من القرآن، فيذكر لك عددها ونظائرها، وما جاء منها بالثب والحذف، والوقف وغير الوقف إلى غير ذلك، فيملئ عليك فى الموضوع ما يصلح أن يكون كتابا، وينظم ذلك فى حينه.

خلف تلاميذ كثيرين أذاعوا فى الناس فضائله ودواوينه، وخصوصا «الأنصاص» التى يعتبر المخرج الأول لها.

توفى فى حدود نيف وعشرين وثلاثمائة وألف، له عدة منظومات فى الثب والحذف، ودواوين فى الأنصاص وسواها.

قالت المؤلفة: يقصد بالأنصاص كما شرح هذا اللفظ فى صفحة ١٧٠: النصوص التى تساعد على حفظ القرآن وإتقان رسمه وضبطه.

(القرارات والقرارات بالمغرب - سعيد اعراب / ٦٧، ٦٨، ١٦٧ - ١٦٩).

• الحطيات (مدرسة..):

انظر: الحطيات.

• الحطيم:

قال صاحب شفاء الغرام:

اختلف فى الحطيم وفى سبب تسميته بذلك فقول إنه ما بين الحجر الأسود ومقام إبراهيم وزمزم وحجر إسماعيل وهو مقتضى ما حكاه الأزرقي عن ابن جريج وفى كتب الحنفية أن الحطيم الموضع الذى فيه الميزاب ومن ابن عباس رضى الله عنهما قال الحطيم الجدار قال المحب الطبري يعنى جدار حجر الكعبة قال وقد قيل الحطيم هو الشاذرون سمي بذلك لأن البيت رفيع وترق هو محطوما فيكون فعلا بمعنى مفعول قال: وقد قيل لأن العرب كانت تطرح فيه ما طافت فيه من الثياب فيبقى حتى يتحطم من طول الزمان فيكون فعلا بمعنى فاعل انتهى، وقيل فى سبب تسميته أنه سمي بالحطيم لأن الناس كانوا يحطمون هنالك بالإيمان فقل من دعا هنالك على ظالم إلا هلك وتُرُّ من حلف هنالك أكما إلا جعلت له العقوبة، رويناه ذلك عنه فى تاريخ الأزرقي.

بيلاد حطين والجفر. وملك هذا أرض مصر بعد موت أبيه ، وكان صاحب حرب وبطش، وكان يتزل بقلعة في جبال الأردن قريبا من طبرية ، وإليه تنسب قرية حطين التي بها الآن قبر شعيب بالقرب من صفد (الخط ١ / ٢٢٧ ، ٢٢٨) .

وحطين : يسميها اليهود اليوم . قرى حطيم : قرى حطين قرون حطيم . وهي قرية عربية تاريخية . جلا معظم سكانها العرب عنها عام ١٩٤٨ م . وهي في مقاطعة طبرية في شرق الجليل الأدنى . وتشتهر بخصوصية أرضها . (من كتاب مجمل البلدان ١ / ٢٠٠) .

وقال عنها ياقوت :

حطّين : بكسر أوله وثانيه ، وباء ساكنة ، ونون :

قرية بين أرسوف وقيسارية ، وبها قبر شعيب عليه السلام . كما قال الحافظان أبو القاسم الدمشقي ، وأبو سعد المروزي ، ونسب إليها أبا محمد هياج بن محمد بن عبيد بن حسين الحطيني الزاهد نزيل مكة . سمع أبا الحسن علي بن موسى ابن الحسين السمسار ، وأبا عبد الله محمد بن عبد السلام بن عبد الرحمن بن معلان الدمشقي ، وأبا القاسم عبد الرحمن بن عبد العزيز السراج وأبا الحسن علي بن محمد بن إبراهيم الحناني بدمشق ، وأبا أحمد بن سهل القيسراني بقيسارية ، وأبا العباس إسماعيل بن عمر النحاس ، وأبا الفرج النحوي المقدسي وغيرهم . وسمع منه جماعة من الحفاظ ، منهم محمد بن طاهر المقدسي ، وأبو القاسم هبة الله بن عبد الوارث الشيرازي ، وأبو جعفر محمد بن أبي علي وغيرهم ، وكان زاهدا فقيها مدرسا ، يفطر كل ثلاثة أيام ويصوم كل يوم ثلاث عمره ، ويلقى على المستفيدين كل يوم عدة دروس ، ولم يكن يذخر شيئا ، وكان يزور رسول الله عليه الصلاة والسلام كل سنة حافيا ويوزر ابن عباس بالطائف ، وكان يأكل بمكة أكلة وبالطائف أخرى ، واستشهد بمكة في وقعة وقعت بين أهل السنة والرافضة ، فحمله أميرها محمد بن أبي هاشم فضربه ضربا شديدا على كسر السن ، ثم حمل إلى منزله فصالح بعد الضرب أياما ثم مات في سنة ٤٧٢ وقد جاوز الثمانين .

قال المؤلف رحمه الله عليه : كان صلاح الدين يوسف بن

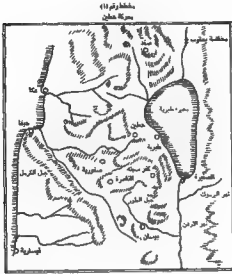
ينسب أن يعود محدوديا منذ كان . انتهى ، وإنما كان هذا الخبر موهوما لما ذكرناه لأنه يحتمل أن تكون القبور المشار إليها مما يلي الركن الشمالي من جهة الحجر الأسود وأن تكون مما يلي الركن الشمالي مما يلي الحجر يسكون الجيم فعلى الاحتمال الأول تكون القبور المشار إليها في الحطيم وعلى الثاني لا تكون فيه وذلك على اعتبار بناء الكعبة على أساس إبراهيم من جهة الحجر وأما على اعتبار بنائها اليوم فقد تكون القبور المشار إليها في الحطيم على كلا الاحتمالين ، والله أعلم .

وقد ذكر هذا الخبر الفاكهي في أخبار مكة نحوه وذكر الخبر الذي رواه الأزرقي عن عبد الله بن هزيمة وفي خبر الفاكهي أن ابن هزيمة يروي عن كعب يعني كعب الأخبار وابن سابط راوي الخبر ليس بصحابي وذكر الفاكهي غيرا يقتضي أن فيما بين دار الندوة وباب بني سهم ، يعني باب المسجد الحرام المعروف بباب العمرة قبور قوم صالح الذين آمنوا به ورحلوا معه إلى مكة وأقاموا بها حتى ماتوا . قال : وكذلك فعل هود ومن آمن معه وشعيب ومن آمن معه وعز هذا الخبر لوهب ابن منبه وهو في تاريخ الأزرقي إلا أن في الخبر الذي ذكره الأزرقي فترك قبورهم في فري الكعبة بين دار الندوة وبين دار بني هاشم كذا رأيته في نسختين من تاريخ الأزرقي ودار بني هاشم وصوبه وباب بني سهم كما في خبر الفاكهي لأن به يستقيم الكلام والله أعلم . وهذه القبور وإن لم تكن في الحطيم فذكرها في أخبارها لمناسبة وهي تكون الموطنين في المطاف فيجتمع بذكر ذلك في هذه الترجمة شيء من فضل المطاف .

(شفاه الغرام بأخبار البلد الحرام لتقي الدين الفاسي ١ / ١٩٧ ، ١٩٨ . انظر أيضا لسان العرب لابن منظور ١١ / ٩١٧) .

• حطّين ،

قال عنها المقريزي : هذه المدينة آثارها إلى اليوم باقية فيما بين حبة والمأقولة بأرض المأقولة فيما بين طيبة والعريش تجاهها بميل ماء عذب تسميه العرب أبا العروق ، وهو شربتها . وهذه المدينة تنسب إلى حطين ، ويقال حطى ابن الملك أبي جاد المدني . وأهل طيبة اليوم يسمون تلك الأرض



القوافل بين مصر والشام، ولم يهتم بالمهاذات التي عقدتها صلاح الدين مع مملكة بيت المقدس. وصرح أرنط على الاستيلاء على مكة والمدينة والآثار الثرية بهما. فأعد سنة ١١٨٣ م سفنا، حمل أسلحتها وقلاعها إلى خليج العقبة، حيث جهز منها أسطولاً، نقل جنود الصليبيين إلى البحر الأحمر إلى شاطئ الحجاز. وكان صلاح الدين غائبا في العراق وقتذاك، فأسرع نائبه في مصر، وهو أخوه العادل، ولمح بالصليبيين عند مرفأ الحوارة شمالي نينج. واستطاع العادل القضاء على الصليبيين قبل تحقيق أهدافهم وحمل كثيرا منهم أسرى إلى مصر (تاريخ العالم الإسلامي / ٣١١).

واستفحل خطر الفرنج وكثرت اعتداءاتهم على المسلمين، وبخاصة «أرياط» صاحب الكرك الذي اعتدى على قافلة للحجاج المسلمين. وكان صلاح الدين الأيوبي حاكم بلاد الشام ومصر نذر عند مرضه أن يكرس بعد شفائه كل قوته لحرب الفرنج فطلب من حكام المدن أن يرسلوا له الجيوش، وترجه بقواته إلى طبرية فاحتلها عدا قلعتها، وشدد الحراسة على شواطئ البحيرة حتى لا يستطيع الفرنج من مهاجمتها، ثم توجه إلى حطين، بعد أن درس حال الفرنج ومواقعهم، وقطع عنهم كل مصادر المياه. بدأ هجومه صباح السبت لخمس بقين من ربيع الآخر فطلعت الشمس على وجوه الفرنج، واشتد الحر، وقوى بهم العطش، وكان تحت أقدام خيلهم حشيش قد صار هشيا. وكان ذلك عليهم

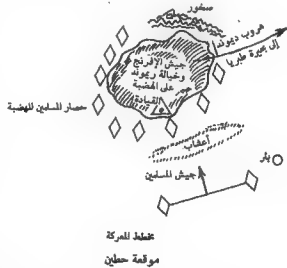
أيوب قد أوقع بالفرنج في منتصف ربيع الآخر سنة ٥٨٣ وقة عظيمة منكزة غفر فيها بملوك الإفرنج ظفرا كان سببا لاقتناعه ببلاد الساحل، وقتل فرعونهم أرياط صاحب الكرك والشرك، وذلك في موضع يقال له حطين بين طبرية وعكا، بينه وبين طبرية نحو فرسخين. بالقرب منها قرية يقال لها نخيارة، بها قبر شعيب عليه السلام وهذا صحيح لا شك فيه وإن كان الحافظان ضيضا أن حطين بين أرسوف وقيسارية ضيضا صحيحا، فهو غير الذي عند طبرية، وإلا فهو غلط منهما.

قلت المؤلف: يأتي الكلام على موقعة حطين هذه في المادة التالية إن شاء الله تعالى.

(المواضع والاختيار بذكر الخطط والآثار لنس الدين المغربي / ٢٢٧، ٢٢٨، ومن كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي الرمي - اختار الصنوص وقدم لها وعلق عليها عبد الله نهان. السفر الأول، البلدان الفلسطينية / ٢٠٠ هامش ٢، ومعجم البلدان / ٢، ٢٧٣، ٢٧٤).

• حطين (موقعة-) (٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م) :

اشتبك صلاح الدين مع الصليبيين قبل سنة ١١٨٥ م في معارك صغيرة، بسبب حركات صليبية متناوبة له، وأهمها حركات أرنط، أمير حصن الكرك التابع لمملكة بيت المقدس. ذلك أن هذا الأمير الصليبي تحكم بحصنه في طرق



المقدسة الممتحنة ، وكفى الله شر الشرك ، وحكم على دماء الكفر بالسفك ... ويمضى العماد في وصفه بأسلوب ينهض بالحيلة فيجعلنا ونحن نقرأ وصفه نكاد نسمع صليل السيوف ، ووقع سنايك الخيل ، وأصوات القتب في أبراج القلاع .

وكل ذلك في أسلوب أدبي رفيع نفتقده اليوم في مؤلفاتنا ، وصحح محب مقبول . وهو يبدأ بمعركة العمورية ، وما تلاها من احتلال طبرية ، حتى النصر المويدي من الله في حطين . وقبل أن نسوق بعضاً من وصف العماد نورد نبذة عن معركة صفورية .

قرر صلاح الدين في ربيع عام ١١٨٧ م إرسال غارة استطلاعية نحو عكا لتجمع له المعلومات وتختبر قوة الصليبيين ومعنوياتهم . فجهز قوة تعادل فرقة عهد قيادتها إلى حاكم الرها « مظفر الدين كوكبرى » ولكي يختبر صلوق إخلاص « ريموند » أمير طرابلس طلب إليه أن يسمع لهما القوة بالمرور من أراضي الجليل نحو عكا . فسمع هذا للقوة بالمرور وهو متعسف . ولما علم قائد الداوية « جبرار دى ريد فورد » بمرور هذه القوة جمع جيشاً من جماعته والاسبارية قرب صفورية لصدّها . فدارت معركة رهيبية قتل فيها معظم قوة جبرار ومنهم قائد الاسبارية ولم ينج إلا جبرار مع بضعة أشخاص فقط ، ولما وصلت إليهم التجذات كانت المعركة قد انتهت فأمر العرب قوة النجدة بكاملها (معارك الحرب الحامسة / ١٢٢ ، ١٢٣) .

وبعد العماد وصفه فيقول عن صلاح الدين بعد أن سار فزل على الكرك ثم إلى الشريك : ووصل عسكر مصر تفلّقه بالقرتين ، وفرقه على أعمال القلعتين ، وأقام على هذه الحالة في ذلك الجانب شهرين ، والملك الأفضل ولده مقيم برأس الماء ، في جمع عظيم من العظماء ، ومنه الجحافل الحافلة ، والحواصل الحاصلة ، والساكن الكاسرة ، والقساوير القاسرة ، وهو ينتظر أمراً من أبيه ، ويكتب إليه ويقضيه ، وإتقضى من السنة شهران ، وطال بهم انتظار السلطان ، فأنهض منهم سرية سرية ، وأمرها بالغاثة على أعمال طبرية ، ورتب على خيل الجزيرة ومن جاء من الشرق وديار بكر مظفر الدين كوكبرى صاحب حران ، وعلى عسكر حلب والبلاد الشامية بدر الدين دلدم بن باروق ، وعلى



مشوراً . فأمر السلطان النفاطة أن يرموه بالثقل فرموه فتأجج نارا تحت سنايك خيولهم . فاجتمع عليهم حر الشمس وحر المعطش وحر السلاح وحر ريش النبال . وحمل المسلمون حملة صادقة على أعدائهم ، فتمكنوا منهم وقتلوا منهم أعداداً كبيرة ، ووقع في الأسر جميع ملوكهم عدا صاحب طرابلس الذي فر من المعركة . ولما مثل أمراء الفرنج أمام صلاح الدين أحسن معاملتهم إلا صاحب الكرك فقد أمر بضرب عنقه . أما حاكم طرابلس فإنه مات بعد فراقه متأثراً بجراحه . ثم استولى الناصر على قلعة طبرية وعكا وغيرها من المدن . وكانت هذه الموقعة أشهر وأهم مواقع الحروب مع الصليبيين . وكان وقعها أليماً في أوروبا مما دفع ملوكها وأمرائها لتجهيز حملة جديدة وصلت إلى الشرق . وحق لصلاح الدين أن يحمل بعد هذا النصر لقب الناصر . (معجم الممالك الحربية / ١٢٥ ، ١٢٦) .

وقد أدرج صاحب الروضتين معركة حطين في أحداث سنة ٥٨٣ ، وأورد وصف العماد في كتاب البرق قبل ما يقوله : وهي السنة الحسنة المحسنة ، والزمان الذي تقضت على انتظار إحسانه الأزمنة ، وطهر فيه المكان المقدس ، الذي سلمت لسلالته الأمكنة ، وخلصت بمنحة الله من المعنة الأرض

فانظر إليه في موضعه إن شئت الاستزادة (الروضين ٧٦، ٧٧)
وانظر وصفا مفصلا للمعركة في معارك العرب الحاسمة /
١١٢ - ١٢٠ . انظر ثبت المراجع .

بعد حطين :

كانت وقعة حطين وقعة فاصلة ، حتى وصفها بعض
المعاصرين من مؤرخي الحروب الصليبية الأوربية بأنها بداية
النهاية في تاريخ الحروب الصليبية ، ولم يكن في هذا القول
شيء من المبالغة ، إذ حشد الصليبيون زهرة شبابهم في
حطين ، ولم يبق لديهم قوات لمواجهة الخطة الخاطفة التي
رسمها صلاح الدين لنفسه بعد حطين ، إذ سلمت له مدينة
بيت المقدس في أكتوبر سنة ١١٨٧ م بعد حصار دام أسبوعا
واحدا . ثم استمر صلاح الدين في هجره على مدن
الصليبيين في الشام وفلسطين ، فبلغ مدينة اللاذقية شمالا ،
وحصن الكرك جنوبا ، ولم تأت سنة ١١٨٩ م حتى سقطت
معظم المدن الصليبية التي حددت المسلمين ، وبذا كان
الصليبيون سيخرجون جميعا من الشام ، لأنه لم يبق في
خيالهم سوى أنطاكية وصور ، وبعض المدن الساحلية
الصغيرة وأهمها صور (تاريخ العالم الإسلامي / ٣١٢ ، ٣١٣) .

ومن وصف كسرة حطين أيضا القاضي أبو المحاسن بن
شداد فقال : اتلف السلطان قاصدا بلاد العدو في وسط نهار
الجمعة ، وكان أبدا يقصد بوقاته الجُتُح لا سيما أوقات
صلاة الجمعة تترك بدعاء الخطباء على المنابر فرما كانت
أقرب إلى الإجابة . وبلغه أن الفرنج اجتمعوا في فرج صفورية
بأرض عكا قصد نوحهم للمصاف معهم فسار ونزل على
بحيرة طبرية عند قرية تسمى الصنبرة ورحل من هناك ونزل
غربي طبرية على سطح الجبل لتبعية الحرب منتظرا أن الفرنج
إذا بلغهم ذلك قصدوه فلم يتحركوا من منزلتهم فنزل جريدة
على طبرية وترك الإطلاف على حالها قبالة وجه العدو ونزل
طبرية وذهب عليها فهجمها وأخذها في ساعة من نهار ...
وامتعت القلعة وحدها فحرل الفرنج وقصدوا طبرية للدفع
عنها فأخبرت الطلائع الإسلامية الأشراف بحركة الفرنج فساروا
إلى السلطان من عرفه ذلك فنزل على طبرية من يحفظ قلعتها

عسكر دمشق وولادها صارم الدين قايماز النجمي ، فساروا
مدججين ، وسروا مدليجين ، وصيحو صفرورية وساء صباح
المنذرين ، فخرج إليهم الفرنج في حشدهم ، فأتاهم الله
النصر الهني ، والظفر السني ، وشغوا منهم حنين الحنايا ،
وأفركوا فيهم منى المنايا ، وفازوا ولفقروا ، وقتلوا وأسروا ،
وهلك مقدم الاستبصار (الاستبصارية هم « فرسان المستشفى » وهم
فرسان القديس يوحنا وسوا كذلك لأن منظمهم اهتمت أول
الأمر على رهبان مستشفى القديس يوحنا في القدس معارك
العرب الحاسمة / ١٢٢) ، وحصل جماعة من فرسانهم في
قبضة الأسرار ، وألفت مقدم الداروية وله حصاص (الدواية :
فرسان الهيكل ، وسميت بذلك لأن بناء منظمهم قد شيد
حيث كان يقوم هيكل سليمان . معارك العرب الحاسمة /
١٢٢) ووقع الباقسون ولم يكن لهم من الهلاك خلاص .
وعادوا سالمين ساليين غانمين غاليين ، فكانت هذه باكورة
البركات ، ومقدمة ما بعدها من ميامين الحركات ، وجاءتنا
البشرى ونحن في نواحي الكرك والشوبك (انظر الخريطة) .

فسار السلطان وواصل السير بالسرى ، وتحم بعشرا ،
والقدر يقول له تعيش وتترى ، وقد غصبت بخيل الله الوهاد
والدري ، وامتد العسكر فراسخ هربا وطولا ، وملا بالملأ
جزونا وسهولا ، وما رأيت عسكرا أبرك منه ولا أكبر ، ولا أكثر
للكفر ولا أكثر ، وكان يوم عرشه ملككرا بيوم العرض ، وما
شاهده إلا من تلا ﴿ والله جنود السماء والأرض ﴾ [الفتح : ٤]
وعرض العسكر في اثني عشر ألف مدجج ، في ليل المعراج
مدليج ، ولما تم العرض ، حسم الفرض ، وسالت بأفلاك
السماء والأرض ، وتعين الجهاد ، وتبين الاجتهاد ، ثم رتب
السلطان للعسكر أطلابا ، وحزبه أحرابا ، وصار يوم الجمعة
سابع عشر ربيع الآخر ، عازما على دخول الساحل ، فأنافخ ليلة
السبت على غسنيين ، ثم سار في الأردن إلى نهر الأقحوانة ،
وأقام هناك خمسة أيام ، وقد هيئ مواقف الأشراف
وشمارهم ، وأحاط ببحيرة طبرية بحره المحيط ، وضاق بيساط
عليه ذلك البسيط . ولما سمع الفرنج باجتماع كلمة الإسلام
عليهم ، وسير ذلك الجيش إليهم ، علموا أنه قد جاءهم ما لا
عهد لهم بمثله ، وأن الإيمان كله قد بزز إلى الشرك كله ...
إنح ويمضي العماد في وصفه حتى معركة حطين (ص ٧٦-٨٠)

ولقي العسكر هو ومن معه فالتقى العسكران على سطح جبل طبرية الغربية منها وحال الليل بين الفئتين فباتتا على مصاف شاكيتين في السلاح إلى صبيحة الجمعة فركب العسكران وتصادما وفلك بأرض قرية تسمى اللوييا ولم تزل الحرب إلى أن حال بينهم الظلام وجري في ذلك اليوم من الوقائع العظيمة والأمر الجسيمة ما لم يحك عن من تقدم ويات كل فريق في سلاحه ينتظر خصمه في كل ساعة وقد أقصده التعب عن النهوض حتى كان صباح السبت الذي يورك فيه فطلب كل من الفئتين مقامه وعلمت كل طائفة أن المكسورة منهما مدحورة الجنس معدومة النفس وتحقق المسلمون أن من ورائهم الأردن ومن بين أيديهم بلاد القوم ولا ينبغيهم إلا الله وكان الله قد قدر نصر المسلمين فيسره وأجره على وفق ما قدره فحملت الاطراب الإسلامية من الأجانب وحمل القلب وصاحوا صيحة الرجل الواحد فالتقى الله الرعب في قلوب الكافرين ﴿وكان حقا علينا نصر المؤمنين﴾ [الروم: ٤٧] .

وكان القمص ذكي القوم وألمعهم فرأى إمارات الخللان قد نزلت بأهل دينه ولم يشغل عن محاسبة جنسه عن يقينه فهرب في أوائل الأمر قبل اشتداده وأخذ طريقه نحو صور وتبعه جماعة من المسلمين فنجوا وحده وأمن الإسلام كيده وأحاط أهل الإسلام بأهل الكفر والطغيان من كل جانب فانهمزت منهم طائفة تبعها أبطال المسلمين فلم ينج منها واحد واعتصمت الطائفة الأخرى بقل حطين وهي قرية عنده وحدها فبرأ النبي شعيب عليه السلام قضايهم المسلمين على التل وأشعلوا حولهم النيران وقتلهم العطش وضاق بهم الأمر حتى كاثوا يستسلمون للأسلح خوفا من القتل فأسر مقدمهم وقُتل الباقون وأسروا وكان الواحد العظيم منهم يخلد إلى الأسر خوفا على نفسه .

وأما البرنس أرناط فكان السلطان قد نذر أنه إن ظفر به قتله وذلك أنه كان عبر به بالشويك قفل من الديار المصرية في حالة الصلح فنزلوا عنده بالأمان ففد بهم وقتلهم فاشدوه الله والصلح السئى بينه وبين المسلمين فقال ما يتضمن الاستخفاف بالنبي ﷺ وقال قولوا لمحمدكم بخلصكم وبلغ ذلك السلطان فحمله الدين والحمية على أنه نذر إن ظفر به قتله فلما فتح الله عليه والنصر والظفر جلس في دهليز الخيمة فأتها لها تكن نصبت والناس يقرعون إليه بالأسارى وبمن وجدوه من المقدنين ونصبت الخيمة وجلس فرحا مسرورا شاكرا لما أتم الله به عليه ثم استحضر الملك جفرى وأخاه والبرنس أرناط ونالوا الملك شربة من جلاب بلج فشرب منها وكان على أشد حال من العطش ثم نالوا بعضها البرنس أرناط فقال السلطان للترجمان قل للملك أنت الذي تسقيه وإلا أنا ما سقيته وكان على جميل عادة العرب وكريم أخلاقهم أن الأمير إذا أكل أو شرب من مال من أسره أمن فقصده بذلك الجرى على مكادام الأخلاق ثم أمر بمسيرهم إلى موضع عين لنزولهم فمضوا وأكلوا شيا ثم عاد استحضرهم ولم يبق عنده أحد سوى بعض الخدم فأقعد الملك في الدهليز واستحضر البرنس أرناط وأوقفه على ما قال وقال ها أنا انتصر لمحمد ﷺ ثم عرض عليه الإسلام فلم يفعل ثم سل الليمجاه وضربه بها فحل كتفه وتمم عليه من حضر وصحب الله بوجهه إلى النار فأخذ ورمى على باب الخيمة فلما رآه الملك قد أخرج على تلك الصورة لم يشك في أنه يثنى به فاستحضره وطيب قلبه وقال لم تجر عادة الملوك أن يقتلوا الملوك وأما هذا فإنه جاوز حده فجري ما جرى ويات الناس في تلك الليلة على أتم سرور وأكمل حبور ترتفع أصواتهم بالحمد لله والشكر له والتكبير والتهليل حتى طلع الصبح في يوم الأحد فنزل رحمه الله على طبرية وتسلم في بقية ذلك اليوم فلقعتها وأقام بها إلى يوم الثلاثاء .

قلت وفكر محمد بن القادسي في تاريخه أنه ورد في هذه الستة كتب إلى يشداد في وصف هذه الواقعة منها كتاب من عبد الله بن أحمد المقدسي يقول في : كتبت هذا الكتاب من عسقلان يوم الثلاثاء ثالث عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وثمانين وخمس مائة وفيه : ولو حمدنا الله عز وجل طول أعمارنا

ولقد حكى لي من أتى به أنه لقي بحوران شخصا واحدا ومعه طنب خيمة فيه نيف وثلاثون أسيرا يجرهم وحده بخذلان وقع عليهم وأما القمص الذي هرب فإنه وصل إلى طرابلس وأصابه ذات الجنب فأهلكه الله بها وأما مقدمو الامتبارية والداوية فإن السلطان اختار قتلهم فقتلوا عن بكرة أبيهم .

ذكر بعضها مختصرا مع أنه لا يقدر أحد يصف ذلك لأن الأمر أكبر من ذلك الذي يشر به المسلمون أن مدينة طبرية فضحت بالسيف وأخذت قلعتها بالأمان واجتمع عسكر الأفرنج جميعهم والتقوا بالمسلمين عند قبر شعيب النبي ﷺ وقتل من الأفرنج ثلاثون ألفا وكان عدد الإفرنج ثلاثة وستين ألفا بين فارس ورجال وأسر منهم ثلاثون ألفا ويبلغ ثمن الأمير بدمشق ثلاثة فنانير واستغنى عسكر الإسلام من الأسرى والأموال والغنائم بحيث لا يقدر أحد يصف ذلك وما سلم من عسكر الفرنج سوى قمص إربابلس مع أربعة نفر وهو مجروح ثلاث جراحات وأخذ جميع أمراء الفرنج ...

وكان القاضي القاضل غائبا عن هذه الكسرة بدمشق فلما بلغته كتب إلى السلطان (لبن المولى) إن الله قد أقام به الدين القيم وإنه كما قيل أصبحت مولاى ومولى كل مسلم وأنه قد أسخ عليه التعمين الباطنة والظاهرة ، وأورثه الملكين ملك الدنيا وملك الآخرة ، كتب المملوك هذه الخدمة والرؤوس إلى الآن لم ترفع من سجودها ، والدعوى لم تسمح من خلودها ، وكلما فكر الخادم أن البيع تعود وهى مساجد ، والمكان الذى كان يقال فيه إن الله ثالث ثلاثة يقال فيه إنه الواحد ، جدد لله شكرا تارة يفيض من لسانه ، وتارة يفيض من جفنه ، وجزءا يوسف خيرا عن إخراجها من سجنه ، والمماليك يتظنون أسر المولى فكل من أراد أن يدخل الحمام بدمشق قد حوّل على دخول حمام طبرية تلك المكاد لا يقبأ من لبن وذلك الفتح لا عصان واليمن وذلك السيف لا سيف ابن ذى يزن وللألسنة بمد فى هذا الفتح شرح طويل وقول جليل .

وقد ألهم نصر صلاح الدين فى معركة حطين ، وما كان من أسر الملك «جورفسرى» وأخيه الملك «بلدوين» ، وأرناط «صاحب الكرك والشوبك قرايخ الشعراء ، فرأوا يتخون به ، ويذهبون بآفاد الإسلام ، ويندبون بهذه الهزيمة النكراء التى لحقت بالمسلمين وللمماد رحمه الله قصائد يذكر فيها وقعة حطين منزهة قولها :

يا يوم حطين والأبطال عابسة

وبالمعجاجة وجه الشمس قد عسا

ما ولينا بشعر معشار نعمته التى أنعم بها علينا من هذا الفتح العظيم فأتانا خرجنا إلى عسكر صلاح الدين وتلاحق الأجناد حتى جاء الناس من الموصل وديار بكر وإربل فجمع صلاح الدين الأمراء وقال هذا اليوم الذى كنت انتظره وقد جمع الله لنا العساكر وأنا رجل قد كبرت وما أدرى متى أجلى فاغتموا هذا اليوم وقتلوا لله تعالى لا من أجلى فاخلفوا فى الجواب وكان رأى أكثرهم لقاء الكفار فعرض جندهم وزيهم وجعل تقى الدين فى الميمنة ومظفر الدين فى الميسرة وكان هو فى القلب وجعل بقية العسكر فى الجناحين ثم ساروا على مراتبهم حتى نزلوا الأحواشة فتركوا بها أثقالهم وساروا حتى نزلوا بكفر سبت فأقاموا يومين يتظنون أن يبرز لهم الكفار .

وكان عسكر الكفار على صفوية فلم يبرزوا فعاد صلاح الدين حتى نزل على طبرية فتقدم فرسانه وحماته ورماته والقباقير فدخلوا تحت الحصن فلما تمكن القتب منه انهال من غير وقوف نار ودخل المسلمون يوم الخميس وأصبحو يوم الجمعة فشرعوا فى تقب القلعة فلما كان وقت الصلاة جاء الخبر أن الكفار قد توجهوا إلينا فارتحل صلاح الدين على صفوية فلقبهم ثم لم يزالوا يتقدمون حتى صار المسلمون محيطين بهم وصار قلب المسلمين خلفهم فتراهم ساعة ويأت كل فريق على مصافهم ثم أصبحو فساد الكفار يقصدون طبرية والمسلمون حولهم يمدون عليهم بالرعى فالتحق المسلمون منهم فلويس وقتلوا خيالة ورجالة فانهاز المشركون إلى تل حطين فنزلوا عنده ونصبوا الخيام وأقام الناس حولهم إلى أن انتصف النهار وهبت الرياح فهجم المسلمون عليهم فانهزموا لا يلبون على شىء ولم يفلت منهم إلا نحو من مائتين وكانوا كما قيل اثنين وثلاثين ألفا وقيل ثلاثة وخمسين ألفا لم يشركوا فى إبلادهم من يقدر على القتال إلا قليلا وكان الذى أسر الملك هو درباس الكردى وغلان الأمير إبراهيم المهراتى أسر الإيزنس وقتل صلاح الدين الإيزنس بيده لأنه كان قد غدر وأخذ قافلة من طريق مصر ثم عاد صلاح الدين إلى طبرية فأخذ قلعتها بالأمان .

وورد كتاب آخر فيه هذه الفتح التى ما سمع بها قط هذا

ورأيت فيه عظيم الكفبر محتسرا
مغتسرا خيله والأنف لقد تمسبا
يسا ظهر سيف برى رأس البرنس فقد
أصاب أعظم من بالشرك قد نجسا
وغصاص إذ طار ذاك الرأس في دمه
كأنه خضدع في السماء قد غطسا
ما زال يعلى مزكوما بفدركه
والقتل سميت من بالندر قد عطسا
عسرى طلباه من الإغمد مهبرقة
دما من الشرك ردا هابيه وكسا
من سيفه في دماء القوم منغمس
من كل من لم يزل في الكفر منغمسا
أنفاهم قتلهم والأسر فانتكسوا
وبيت كفرهم من عجبهم كنسا
وقال أيضا يخاطب صلاح الدين رحمه الله
سجبت على الأردن وفتنا من القنسا
ردينة ملدا وخرقة ملسا
حطمت على حطين قسدر ملوكهم
ولم تبق من أجناس كفرهم جنسا
ونعم مجبال الخيل حطين لم تكن
أبساود تبنى من نهور العدا نهسا
أنسوا فكس الأخلاق عشنا فأنيت
حدود السراق الخشن أخلاقها الشكسا
طسردتهم في الملتقى وعكستهم
مجيدا بحكم المزم طردك والمكسا
لكيف مكست المشركين رؤوسهم
ودأبك في الإحسان أن تطلق المكسا
كسرتهم إذ صح عزمك فيهم
ونكسهم إذ صار سهمهم نكسا
بولقمة رجت بها الأرض جشهم
دمارا كما يست جبالهم بسا

بطون ذئاب الأرض صارت قبورهم
ولم ترض أرض أن تكون لهم رسا
وطارت على نار المواضي لفراشهم
صلاه فزادت من خمودهم قيسا
وقد خشمت أمصوات أبطلها فما
يبي السمع إلا من صليل الظبي همسا
تقاد بسلاماء المسماء ملوكهم
أسارى كفن اليم نطت بها القاسا
سبايا ببلاد الله مملوءة بهسا
وقد ثريت بخسا وقد عرشت نخسا
يطاف بها الأسواق لا رهاب لها
لكثرتها كم كفرة توجب الوكسا
شكا يسا رأس البرنس الذي به
تسدى حمام حاسم ذلك اليمسا
حما دمه ماض الفرار لغدره
ومما كان لسولا غدرة دمع يحسى
فلله ما أمدى يدا فتكت به
وأظهر سفا مدمعا رجسه النجسا ... إلخ
ثم قال العماد : وأما القصيدة الفتحية الناصرية فأولها :

في باطن الغيب ما لا تترك الفكر
فسلو اليجيرة في الأحداث يعتبر
ما لي أرى ملك الإفرنج في قصص
أبن القواضب والعسالة السمر
والاستيثار إلى السداويسة التأسوا
كانهم سد بأجسوج إذا استجروا
والنض مولمة عجبا يسيرتها
ولي المقادير ما تسلي به السمر
يسا وقمنة التل ما أبقيت من عجب
جعاقل لم يفت من جمها بشر
ويسا ضعى السبت ما للقوم قد سبنوا
تهودوا أم بكأس الطعن قد سكروا

ورأيت فيه عظيم الكفبر محتسرا
مغتسرا خيله والأنف لقد تمسبا
يسا ظهر سيف برى رأس البرنس فقد
أصاب أعظم من بالشرك قد نجسا
وغصاص إذ طار ذاك الرأس في دمه
كأنه خضدع في السماء قد غطسا
ما زال يعلى مزكوما بفدركه
والقتل سميت من بالندر قد عطسا
عسرى طلباه من الإغمد مهبرقة
دما من الشرك ردا هابيه وكسا
من سيفه في دماء القوم منغمس
من كل من لم يزل في الكفر منغمسا
أنفاهم قتلهم والأسر فانتكسوا
وبيت كفرهم من عجبهم كنسا
وقال أيضا يخاطب صلاح الدين رحمه الله
سجبت على الأردن وفتنا من القنسا
ردينة ملدا وخرقة ملسا
حطمت على حطين قسدر ملوكهم
ولم تبق من أجناس كفرهم جنسا
ونعم مجبال الخيل حطين لم تكن
أبساود تبنى من نهور العدا نهسا
أنسوا فكس الأخلاق عشنا فأنيت
حدود السراق الخشن أخلاقها الشكسا
طسردتهم في الملتقى وعكستهم
مجيدا بحكم المزم طردك والمكسا
لكيف مكست المشركين رؤوسهم
ودأبك في الإحسان أن تطلق المكسا
كسرتهم إذ صح عزمك فيهم
ونكسهم إذ صار سهمهم نكسا
بولقمة رجت بها الأرض جشهم
دمارا كما يست جبالهم بسا

ويأضربهم شيع ما لهم جثموا
كميلين أم لقنوا رجفا بما كفروا
حطوا بحطين ملكا كافيا عجا
في ساعة زال ذاك الملك والقدر
أهوى إليهم صلاح السنين مقترنا
وهو الضيفر أهدى ظفيره الظفر
أملى عليهم فصاروا وسط كتفيه
كسرب طير حواما للقناض الذكر
وانجز الله للسلطان مورعه
ونلده في كفور دينه البطر
وعاين الملك الإبرسن في دمه
لمسات حيا وحى وهو يتلذر
رأى مليكا ملسوك الأرض تيممه
والنجم يخلمه والشمس والقمر
إنابدا تيهرا الأيمان هيته
ويختفى وهو في الأتمان مشتهر
تقدم الجبل في أعصر الزمان به
على صخور حلا من قبلنا صاروا
(الرويتين ٧ / ٧٥).

وقال ابن الساعاتي قصيدة عظيمة في هذا الفتح مطلعها :
جئت من ممالك الفتح المينا
فقد قسرت ميون المؤمنين
وأدلى ابن مناة بدلوه فأثد قصيدة طائفة منها :-
هل الكسرك الكلى بأولادها انتهت
عن النسل مما جسرته من النكل
وكانوا لها كالمقد لكنه وهى
وأضحى لها جيش ابن أبوب كالغل
أنساهم بمثل السرمل ينقل خيلهم
إلى الأفق ما فوق الطريق من السرمل

(ابن مناة الملك / ١١٣ ، ١١٤) .
(تاريخ العالم الإسلامي - د. إبراهيم أحمد العدوي / ٣١١-٣١٣ ،
ومعجم المعارك الحربية - ماجد اللحام / ١٢٤ ، ١٢٥ ، ومعارك العرب
الحاسمة - صبحى عبد الحميد / ١٢٢ ، ١٢٣ ، والرويتين في أخبار
الدولتين للنفدي ٢ / ٧٥ ، ٧٦ ، ٨٠ ، ٨٣ ، ١٠٢ ، ١١٦ ، ١١٧ ، وابن
مناة الملك - محمد إبراهيم نصر / ١١٣ ، ١١٤) .

انظر : الحروب الصليبية .

ملاحظة : الصور المصاحبة لهذه المادة أغلقت من
معجم المعارك الحربية / ١٢٥ ، وكتاب معارك العرب
الحاسمة / ١١٧ ، ١٢٤ .

• الصف الأول في الحج الأكبر ،

من مخطوطات الفقه الحنفى بدار الكتب الظاهرية
بدمشق (أو بمكتبة الأسد) .
الرقم ٩٠٢٣

تأليف : نور الدين على بن سلطان محمد الهوى القاري
المتوفى سنة ١٠١٤ هـ / ١٦٠٦ م .

وهو جواب سؤال عما اشتهر على الألسنة من إطلاق
الحج الأكبر على السوفوف في يوم الجمعة ، وما يتعلق به من
الأخبار الغريبة والآثار العقلية .

أوله : الحمد لله العلى الكبير ، الذى أنعم على عباده
وأفضل وأكبر .

وأخره : أنه رأى موسى ويونس عليهما السلام فيما بين
الحرابين الشريرين ، محرمين ملبين [ملبين] ، متضرعين
إلى المولى ، فلا ريب أنه بهذا المنصب في زمان ولايته الأولى .
نسخة عادية ، ضمن مجموع .

الخط نسخ واضح .

[٦٢ - ٧٣] ق ١٥ من ١٥ × ٢١ سم

المراجع : معجم المؤلفين ٧ / ١٠٠ ، كشف الظنون
٦٧١ / ١ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . الفقه الحنفى - وضع
محمد مطيع الحافظ ١ / ٢٨٢ ، ٢٨٣) .

« المصنف الواهر من المصنف هي استدراك الكافر إذا أسلم :

للمحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي - ذكره صاحب كشف الظنون مع حلف « إذا أسلم » من العنوان . وهي مسألة وجوبها :

فالمسألة هي : الكافر إذا أسلم وأراد أن يقضى ما فاتته في زمن الكفر من صلاة وصوم وزكاة هل له ذلك وهل ثبت أن أحدا من الصحابة فعل ذلك حين أسلم ؟

الجواب - نعم له ذلك ، وذلك مأخوذ من كلام الأصحاب إجمالا وتفصيلا أما الإجمال فقال النووي في شرح المذهب : اتفق أصحابنا في كتب الفروع على أن الكافر الأصلي لا تجب عليه الصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج وغيرها من فروع الإسلام ، ومرادهم أنهم لا يطالبون بها في الدنيا مع كفرهم وإذا أسلم أحدهم لم يلزمه قضاء الماضي فاقصر على نفي اللزوم ليقبى الجواز ، وهبارة المذهب فإذا أسلم لم يخاطب بقضاها لتولده تعالى : ﴿ قل للذين كفروا إن يتوبوا بغفر لهم ما قد سلف ﴾ [الأنفال : ٣٨] ولأن في إيجاب ذلك عليهم تنظيرا فعفى عنه فاتصر على نفي الإيجاب فيبقى الجواز أو الاستحباب .

وأما التفصيل فإن الفقهاء قد قروا في كتاب الصلاة بين الكافر ، والصبي ، والمجنون ، والمغنى عليه ، والمحافظ في عدم وجوب الصلاة ، ونفى بعضهم على أن الصبي إذا بلغ وقد فاتته صلاة يحسن له قضاؤها ولا تجب عليه ، وأن المجنون ، والمغنى عليه يستحب لهما قضاء الصلاة الفائتة في زمن الجنون ، والإغماء - كذلك نقله الأستوي عن البحر للرويانى ، ونقل عنه وعن شرح الوسيط للمعالي أن المحافظ يكره لها القضاء ، فهذه فروع متقولة والكافر في معنى ذلك فيجوز له القضاء إن لم يصل الأمر إلى درجة الاستحباب ولا يمكن القول بالتحريم بل ولا بالكراهة ، ويفارق المحافظ فإن ترك الصلاة للمحافظ عزيمة ويسبب ليست متعدي به والقضاء لها بدعة ، ولهذا قالت عائشة لمن سألتها عن ذلك : أحرورية أنت ؟ وقد انتقد الإجماع على عدم وجوب الصلاة عليها ، وترك الصلاة للكافر بسبب هو متد به وإسقاط القضاء عنه من باب الرخصة مع قول الأكثرين بوجوبها عليه حال الكفر وعقوبته عليها في الأثرة كما تقرر في الأصول ،

فاتضح بهذا الفرق بينه وبين المحافظ حيث يكره لها القضاء ولا يكره له بل يجوز أو يندب ، ويقاس بصلاة الكافر جميع فروع الشريعة من زكاة وصوم - هذا ما أخذته من نصوص المذهب .

وأما الأدلة فوردت أحاديث يستنبط منها جواز ذلك بل نفيه : منها ما أخرجه الأئمة الستة وغيرهم عن عمر بن الخطاب أنه قال : « يا رسول الله إنى نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام قال : أوف بنبوك » قال النووي في شرح مسلم : من قال إن نذر الكافر لا يصح - وهم جمهور أصحابنا - حملوا الحديث على الاستحباب أى يستحب لك أن تفعل الآن مثل السلى نذرته في الجاهلية انتهى ، وفي هذا دلالة على أن الكافر يستحب له أن يتدارك القرب التى لو فعلها في حال كفره لم تصح منه ولو كان مسلما لزمته ، وهذه دلالة ظاهرة لا شبهة فيها ، وقال الخطابي في معالم السنن : في هذا الحديث دلالة على أن الكافر مخاطبون بالفرائض مأمورون بالطاعة ، وقال القمولى من متأخري أصحابنا في الجواهر : إذا نذر الكافر لا يصح نذره لكن يندب له الوفاء إذا أسلم فلو نذر اليهودى أو النصرانى صلاة أو صوما ثم أسلم استحبه له الوفاء وفعل صلاة شرعا وصوم شرعا لا صلاة شرعه وصومه - هذا كلام القمولى ، وقال ابن دقيق العيد في شرح العمدة : استدلت بهذا الحديث من يرى صحة النذر من الكافر وهو قول أو وجه في مذهب الشافعى والأظهر أنه لا يصح لأن النذر قرينة والكافر ليس من أهل القرب ، ومن يقول بهذا يحتاج إلى أن يؤول الحديث بأنه أمر أن يأتي باعتكاف يوم يشبه ما نذر فأطلق عليه أنه منذور لشبهه بالنذر وقيامه مقامه في فعل ما نواه من الطاعة (كلام ابن دقيق العيد هنا منقول بالمعنى انظر الشرح ٤ / ١٥٥) ، وعلى هذا يكون قوله : « أوف بنبوك » من مجاز الحلف أو مجاز التشبيه ، ومنها ما أخرجه مسلم عن حكيم بن حزام قال : « قلت يا رسول الله أشياء كنت أفعلها في الجاهلية - يعنى أتبر بها - فقال رسول الله ﷺ أسلمت على ما سلف لك من الخير قلت : فوالله لا أرى شيئا منعت في الجاهلية إلا فعلت في الإسلام مثله » قلت : هذا الحديث يؤخذ منه بدلالة الإشارة استدراك ما فاتت في الجاهلية فإنه لما صدر منه ما صدر من القربات في الجاهلية كأنه لم يرها تامة لفقد وصف الإسلام

الشرعي) بأن لم يجدّه المجتهد بعد البحث الشديد عنه بقدر الطاقة، كأن لم يجد دليل [دليلاً] على وجوب صوم رجب فيقول: لا يجب باستصحاب الحال، أي لعدم الأصل، وهو حجة جزماً، وأما الاستصحاب المشهور الذي هو ثبوت أمر في الزمن الثاني لثبوته في الأول فحجة عندنا دون الحنفية، فلا زكاة عندنا في عشرين ديناراً ناقصة تروج رواج الكاملة بالاستصحاب! هـ (شرح الوقيات / ٧١-٧٢).

قال قاضي خان في «فتاواه»: في كتاب الحظر والإباحة: تعلم الكلام والنظر فيه، والإنفاضة به قدر الحاجة منهى عنه «لما ورد عن حماد بن أبي حنيفة رحمه الله، أنه كان يتكلم في الكلام، فنهاه أبوه عن ذلك، فقال له حماد: رأيتك وأنت تتكلم، فما بالك تنهاني؟ فقال: يا بني، كنا نتكلم وكل واحد منا كأن الطير على رأسه مخافة أن يزل صاحبه، وأنتم اليوم تتكلمون، كل واحد يريد أن يزل صاحبه، فكأنه أراد أن يكفر، ومن أراد أن يكفر صاحبه، فقد كفر قبل أن يكفر صاحبه (مفتاح السعادة ٢ / ١٣٥).

(شرح الوقيات في علم أصول الفقه لجلال الدين المحلي على وقيات أبي المعالي إمام الحرمين / ٧١-٧٢، ومفتاح السعادة لطائفي كبرى زاده ٢ / ١٣٥).

• حُفَاطُ الْإِسْلَام :

هم كما أحصاهم وترجم لهم القنوجي :

- تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم ، ابن تيمية الحراني .
- شمس الدين محمد بن أبي بكر، ابن القيم الجوزي .
- أبو سليمان داود بن علي بن خلف الأصفهاني الظاهري .
- أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب البخمي الطبراني .
- أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي .
- أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري، ابن الصلاح .
- أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني .
- أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي .
- أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري .

فأعاد فعلها في الإسلام استردا كما لما فات من وصف التمام، وأخرج الحاكم في المستدرک عن هشام بن عروة عن أبيه قال: أعتق حكيم مائة رقبة وحمل على مائة بعير في الجاهلية فلما أسلم أعتق مائة وحمل على مائة بعير « هذا الحديث فيه التصريح بوفاته بما وعد به، ومنها ما روى أن أبا سفيان لما أسلم قال: يا رسول الله لا أترك موقفاً قاتلت فيه المسلمين إلا قاتلت مثله الكفار ولا درهما أنفقت في الصد عن سبيل الله إلا أنفقت مثله في سبيل الله، هذا الحديث صريح بمنطوقه في استرداك تكفير ما مضى في الكفر من فعل المتأخر وهو غير لازم فيحمل على الذنب ويؤخذ من فعله استصحاب استرداك ما مضى في الكفر من ترك الأوامر، وأخرج الحاكم في المستدرک وصححه عن عكرمة بن أبي جهل قال: « لي النبي ﷺ يوم جئت: مرحباً بالراكب المهاجر مرحباً بالراكب المهاجر فقلت: والله يا رسول الله لا أدع نفقة أنفقتها إلا أنفقت مثلاً في سبيل الله « هذا أيضاً من استرداك تكفير ما مضى من فعل المنهيات في حال الكفر.

(كشف الظنون ١ / ٧٧١، والحاوي للفتاوى للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي ١ / ٢٧-٢٩).

• الحظر والإباحة :

قال الإمام الجويني إمام الحرمين في الحظر والإباحة، وهو الموضوع بين أقواس، وما عداه هو شرح الجلال المحلي :

(وأما الحظر والإباحة فمن الناس من يقول: إن الأشياء) بعد البينة (على الحظر) أي على صفة هي الحظر (إلا ما أباحته الشريعة) فإن لم يوجد في الشريعة ما يدل على الإباحة فيستمسك بالأصل وهو الحظر (ومن الناس من يقول بفسده، وهو أن الأصل في الأشياء) بعد البينة أنها على (الإباحة) إلا ما حظره الشرع (والصحيح التصحيل، وهو أن المضار على التحريم، والمنافع على الحل، أما قبل البينة فلا حكم يتعلق بأحد، لانتهاء الرسول الموصول إليه.

(ومعنى استصحاب الحال) الذي يحتاج به كما سيأتي (أن يستصحب الأصل) أي عدم الأصلي (عند عدم الدليل

القاضي أبو الفضل عياض بن موسى البهصيني .
أبو عبد الله محمد بن يحيى بن منته الجبلي .
أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد ، ابن العربي .
أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الخضر ، ابن تيمية الحارثي .
يوسف بن عبد البر بن محمد التمرى القرطبي .
أبو بكر بن أحمد بن الحسين البيهقي .
أبو عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب النسائي .
عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن الخضر ، مجد الدين ، أبو البركات ابن تيمية الحارثي .
شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي .
كمال الدين محمد بن علي بن عبد الواحد بن الزملاكني .
محمد بن علي بن وهب بن مطيع ، تقي السنين ، أبو الفتح ، ابن دقيق العيد .

(أجد العلم لتدقيق بن حسن الفرجي - أحله للطبع وروعه فهاهنا
عبد الجبار زكار ٢ / ٢٩٧ ، ٢٩٨) .

وسنورد تراجم بعضها في مواضعه إن شاء الله تعالى .

• حفاظ الحديث :

أما الحفاظ فهم الرجال الذين امتازوا بحفظ حديث رسول الله ﷺ . ولا يكتفى في الحفاظ بحفظ المتن نفسه ، بل عليه أن يحفظ سلسلة منذ الحديث لا يخرم منه حرفاً ، ولا يسقط راوياً . وفي ذلك من المشقة وإجهاد المحافظة وتطلب القوة فيها ما ليس في رواية الأدب والشعر . وكان لحفاظ الحديث في ذلك مقدرة عجيبة ، فقد حكموا أن عبد الله بن سليمان بن الأشعث المتوفى سنة ٣١٦ هـ كان يحدث في دار الوزير علي بن عيسى ، وقد نصب له السلطان منبراً يحدث عليه ، فلما خرج مرة إلى مسجدان سأل أهله أن يخلطهم ، فقال : ما معي أصل ! فقالوا : ابن أبي داود وأصول ؟ ! فأملئ عليهم من حفظه ثلاثين ألف حديث ، فلما قدم بغداد قال البغداديون : مضى ابن أبي داود إلى مسجدان ولعب بالناس ! ثم فيجوا فيجوا بستة دنائير إلى مسجدان ليكتب لهم النسخة

فكتب وحي بها ، وعرضت على حفاظ بغداد ، فخطأه في ستة أحاديث ! لم يكن خطأ إلا في ثلاثة منها .

وتبين لنا القصة التالية وجه المشقة في حفظ الحديث أكثر من حفظ الشعر ، فقد جاء أبو الفضل الهمداني المتوفى ٣٩٨ هـ نيسابور فأعجب الناس بكثرة حفظه وتعبوا له ولقبوه بـ « بديع الزمان » . وأعجب الهمداني بنفسه لأنه كان يحفظ المائة بيت إذا أنشدت بين يديه مرة ، وينشدها من آخرها إلى أولها مقلوبة ، ويبلغ به الإعجاب أنه أنكر على الناس قولهم : فلان الحافظ في الحديث ، وقال : هل حفظ الحديث مما يذكر ؟؟ فسمع به الحاكم النيسابوري ، فوجه إليه بجزء من الحديث ، وأمهله أسبوعاً في حفظه ، فرد بـ « بديع الزمان » إليه الجزء بعد الأسبوع قائلاً : من يحفظ هذا ؟ محمد بن فلان ، وجمهر بن فلان ، عن فلان ! أسام مختلفة ، وألفاظ متباينة ! فقال له الحاكم : إذن فأعرف نفسك ! وأعلم أن حفظ هذا أصيب مما أنت فيه !

هؤلاء هم حفاظ الحديث ، وهذه هي مقدرتهم في حفظ الحديث النبوي ، وقد ألقت كتب في تراجمهم وطبقاتهم ، من أقدمها كتاب « طبقات الحفاظ » للمؤرخ شمس الدين الذهبي (٧٤٨ هـ) ، وقد اقتطعه من كتابه الواسع في التاريخ وطبقات المشهورين الأعلام . وقد ذيل عليه جماعة من العلماء والمؤرخين ، منهم الحفاظ الحسيني الدمشقي ٧٦٥ هـ ، والحافظ ابن فهد المكي ٨٧١ هـ ، في كتابه « المحظ الألفاظ » ، بلخيل طبقات الحفاظ ، والحافظ السيوطي المؤرخ (٩١١ هـ) التراجع والسير / ٦٠ - ٦٢) .

وقد كتب العلماء كتباً مستقلة عن حفاظ الحديث وذكر حالاتهم ومن هذه الكتب :

١ - « أسماء الحفاظ » للعلامة أبو الوليد يوسف بن عبد العزيز الأندلسي المشهور بابن الدباغ المتوفى سنة ٥٤٦ هـ قال عنه الحافظ الذهبي في تذكره الحفاظ : « وله جزء لطيف في أسماء الحفاظ » .

٢ - « أخبار الحفاظ » للعلامة ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ ونسخة هذا الكتاب مخطوطة موجودة في المكتبة

كتاب أسماه « تهذيب تهذيب الكمال » ، في معرفة الرجال طبع بالهند في اثني عشر جزءاً سنة ١٣٢٥ هـ ، فكان آخر ما انتهت إليه طبقات رجال الحديث من التهذيب والإتقان . على أننا لا ننسى معاصراً لابن حجر ألف كتاباً في « طبقات المحققين » من زمن الصحابة إلى أوائل القرن التاسع ، وهو سراج الدين عمر بن الملقن الشافعي المتوفى سنة ٨٠٤ هـ . كما أن الهيثم بن عدي (٢٠٧ هـ) ألف كتاباً في طبقات الفقهاء والمحدثين ، فكان بذلك أقدم من نعرف من المؤلفين في طبقات رجال الحديث (التراجم والسير / ٦٠) .

قالت المؤلفة : نضيف هنا كتاباً عندي هو طبقات الحفاظ للإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ط دار الكتب العلمية . يسهرون . الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م ، وبه ١١٩٠ ترجمة .

(التراجم والسير - محمد عبد الفتى حسن / ٦٠ - ٦٢ ، والإمام ابن ماجه صاحب السنن - أ . د . عبد العزيز عزت عبد الجليل . حلبة مجلة الأثر . ذي القعدة ١٤١٠ هـ / ٢٢ ، ٢٣) .
انظر : الحفاظ .

• حفاظ القرآن ورواته •

معرفة حفاظ القرآن ورواته هو النوع المشرى من علوم القرآن الكريم كما صنفها الحافظ السيوطي الذي يقول :

روى البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « خلدوا القرآن من أربعة : من عبد الله بن مسعود وسالم ومعاذ وأبي بن كعب » أي تعلموا منهم . والأربعة المذكورون اثنان من المهاجرين وهما المبدؤ بهما ، واثنان من الأنصار ، وسالم هو ابن مقل مولى أبي حذيفة ومعاذ هو ابن جبل . قال الكرماني : يحتمل أنه أراد الإجماع بما يكون بعده : أي أن هؤلاء الأربعة يتقون حتى يغفروا بذلك . وتعبق بأنهم لم يغفروا ، بل الذين مهروا في تجويد القرآن بعد العصر النبوي أضعاف المذکورين ، وقد قتل سالم مولى أبي حذيفة في وقعة اليمامة ، ومات معاذ في خلافة عمر ومات أبي وابن مسعود في خلافة عثمان ، وقد تأخر زيد بن ثابت وانتهت إليه الرياسة في القراءة وعاش

الظاهرية بدمشق . والكتاب ليس مقصوراً على علماء الحديث وإنما تناول الحفاظ في الفنون والعلوم الأخرى .

٣ - كتاب أربعين الطبقات « للحافظ شرف الدين أبو الحسن المتوفى سنة ٦١١ هـ .

٤ - طبقات الحفاظ « لشيخ الإسلام تقي الدين ابن دقيق العيد المتوفى سنة ٧٠٣ هـ .

٥ - تذكرة الحفاظ « للحافظ شمس الدين الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ هـ . في أربعة مجلدات طبع دائرة المعارف الإسلامية (حيدر آباد الدكن) وأعيد طبعه .

٦ - نظم تذكرة الحفاظ « للحافظ إسماعيل بن محمد المعروف بابن بردوس المتوفى سنة ٧٨٦ هـ .

٧ - بدية البيان في وفات الأعيان « لحافظ الشام ابن ناصر الدين المتوفى سنة ٨٤٢ هـ .

٨ - الشبان لبديهة البيان « لحافظ الشام ابن ناصر الدين المتوفى سنة ٨٤٢ هـ .

٩ - ذيل التبيان « للحافظ ابن حجر المسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ .

١٠ - طبقات الحفاظ « لحافظ ابن حجر وقال صاحب كشف الظنون : إنه يقع في مجلدتين .

١١ - تذكرة الحفاظ « لحافظ نجم الدين عمر بن فهد المتوفى سنة ٨٨٥ هـ .

وفيه ذلك كثير وكثير (الإمام ابن ماجه صاحب السنن / ٢٢ ، ٢٣) .

على أننا لا يحد بنا إغفال كتاب « الكمال » الذي ألفه أبو محمد عبد الغنى المقدسي الجماعلي المتوفى سنة ٦٠٠ هـ وجعله مجعماً مطولاً لأسماء رجال الحديث الذين وردوا في كتب الحديث الستة ، ورتبه على حروف الهجاء . ثم جاء أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزى المتوفى سنة ٧٤٢ هـ فلهذه في كتاب أسماه « تهذيب الكمال » ، وجاء المؤرخ الذهبي فرتب التهذيب ولمخضه وزاد عليه وأسماه « تلخيص تهذيب الكمال » ، ثم جاء ابن حجر المسقلاني المؤرخ المحدث الحافظ (٨٥٢ هـ) فتهذب تهذيب الكمال في

أحدهما : أنه لا مفهوم له فلا يلزم أن لا يكون غيرهم جمعه .

الثاني : المراد لم يجمعه على جميع الوجوه والقراءات التي نزل بها إلا أولئك .

الثالث : لم يجمع ما نسخ منه بعد تلاوته وما لم ينسخ إلا أولئك .

الرابع : أن المراد بجمعه تلقيه من في رسول الله ﷺ لا بواسطة بخلاف غيرهم فيحمل أن يكون تلقى بعضهم بالواسطة .

الخامس : أنهم تصدوا إلى إلقائه وتعليمه فاشتبهوا به ، ونفى حال غيرهم عن صرف حالهم فحصر ذلك فيهم بحسب علمه ، وليس الأمر في نفس الأمر كذلك .

السادس : المراد بالجمع الكتابة . فلا ينفي أن يكون غيرهم جمعه حفظا عن ظهر قلب . وأما هؤلاء فجمعوه كتابه وحفظوه عن ظهر قلب .

السابع : المراد أن أحدا لم يفصح بأنه جمعه بمعنى أكمل حفظه في عهد رسول الله ﷺ إلا أولئك ، بخلاف غيرهم فلم يفصح بذلك ، لأن أحدا منهم لم يكمله إلا عند وفاة رسول الله ﷺ حين نزلت آخر آية ، فلعل هذه الآية الأخيرة وما أشبهها ما حضرها إلا أولئك الأربعة ممن جمع جميع القرآن قبلها وإن كان قد حضرها من لم يجمع غيرها الجمع الكثير .

الثامن : أن المراد بجمعه السمع والطاعة له والعمل بموجبه . وقد أخرج أحمد في الزهد عن طريق أبي الزاهرية أن رجلا أتى أبا الدرداء فقال : إن ابني جمع القرآن ، فقال : اللهم غفرا ، إنما جمع القرآن من سمع له وأطاع . قال ابن حجر : وفي غالب هذه الاحتمالات تكلف ولا سيما الأخير . قال : وقد ظهر لي احتمال آخر ، وهو أن المراد بإثبات ذلك للخزرج دون الأوس فقط ، فلا ينفي ذلك عن غير القليتين من المهاجرين لأنه قال ذلك في معرض المفاخرة بين الأوس والخزرج ، كما أخرجه ابن جرير عن طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس قال : انتصر الحيان الأوس والخزرج فقال الأوس : منا أربعة : من اهتز له العرش سعد بن معاذ ، ومن عدلت شهادته شهادة رجلين خزيمة بن أبي ثابت ، ومن غسلة الملائكة حظلة بن أبي عامر ، ومن حمته الدبر عاصم

بعدهم زمنا طويلا فالظاهر أنه أمر بالأخذ عنهم في الوقت الذي صدر فيه ذلك القول ، ولا يلزم من ذلك أن لا يكون أحد في ذلك الوقت شاركهم في حفظ القرآن ، بل كان الذين يحفظون مثل الذين حفظوه وأزيد جماعة من الصحابة . وفي الصحيح في غزوة بدر معونة أن الذين قتلوا بها من الصحابة كان يقال لهم القراء وكانوا سبعين رجلا . روى البخاري أيضا عن قتادة قال : سألت أنس بن مالك : من جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ ؟ فقال أربعة كلهم من الأنصار : أبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد . قلت : من أبو زيد ؟ قال : أحمد عمومي . وروى أيضا من طريق ثابت عن أنس قال : مات النبي ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة أبو الدرداء ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد وفيه مخالفة لحديث قتادة من وجهين : أحدهما التصريح بصيغة المحصر في الأربعة ، والاخر ذكر أبي الدرداء بدل أبي ابن كعب وقد استكثر جماعة من الأئمة المحصر في الأربعة . وقال المازري : لا يلزم من قول أنس لم يجمعه غيرهم أن يكون الواقع في نفس الأمر كذلك ، لأن التقدير أنه لا يعلم أن سواهم جمعه ، ولا كيف الإحاطة بذلك مع كثرة الصحابة وتفرقهم في البلاد ؟ وهذا لا يتم إلا إن كان لدى كل واحد منهم على انفراد وآخره نفسه أنه لم يكمل له جمع في عهد النبي ﷺ ، وهذا في غاية البعد في العادة . وإذا كان المرجح إلى ما في علمه لم يلزم أن يكون الواقع كذلك . قال : وقد تمسك بقول أنس هذا جماعة من الملاحدة ولا متمسك لهم فيه ، وإنما لا نسلم حمله على ظاهره . سلمته ولكن من أين لهم أن الواقع في نفس الأمر كذلك ، سلمته لكن لا يلزم من كون كل من الجم الغفير لم يحفظه كله أن لا يكون حفظ مجموعهم الجسم الغفير ، وليس من شرط التواتر أن يحفظ كل فرد جميعه ، بل إذا حفظ الكل الكل ولو على التوزيع كفى . وقال القرطبي : قد ثبت يوم اليمامة سبعون من القراء ، وقتل في عهد النبي ﷺ بئسر معونة مثل هذا العدد . قال : وإنما خص أنس الأربعة بالذكر لشدة تعلقه بهم دون غيرهم ، أو لكونهم كانوا في ذهنه دون غيرهم . وقال القاضي أبو بكر الباقلاني : الجواب عن حديث أنس من أوجه .

الأربعة وطلحة وسعد وابن مسعود وحذيفة وسالم وأبا هريرة وعبد الله بن السائب والعبادلة وعائشة وحفصة وأم سلمة . ومن الأنصار عبادة بن الصامت ومعاذ الذي يكتفى أبا حليمة ومجمع بن جارية وفضالة بن عبيد ومسلمة بن مخلد ، وصرح بأن بعضهم إنما كملوه بعد النبي ﷺ فلا يرد على الحصر المذكور في حديث أنس . وعبد ابن أبي داود منهم تميميا الداري وعقبة بن عامر . ومن جمعه أيضا أبو موسى الأشعري ، ذكره أبو عمرو الداني .

[تنبيه] أبو زيد الملقب في حديث أنس اختلف في اسمه ، فثقل سعد بن عبيد بن النعمان أحد بني عمرو بن عوف . ورد بأنه أوسى وأنس خزرجي ، وقد قال : إنه أحد عمومته ، وبأن الشعي عده هو وأبو زيد جميعا ، فيمن جمع القرآن كما تقدم ، فدل على أنه غيره . وقال أبو أحمد العسكري : لم يجمع القرآن من الأوس غير سعد بن عبيد . وقال محمد بن حبيب في المحجر : سعد بن عبيد أحد من جمع القرآن على عهد النبي ﷺ . وقال ابن حجر : قد ذكر ابن أبي داود فيمن جمع القرآن قيس بن أبي صعصعة وهو خزرجي يكتفى أبا زيد لعله هو . وذكر أيضا سعيد بن المنذر ابن أوس زهير وهو خزرجي أيضا ، لكن لم أر التصريح بأنه يكتفى أبا زيد . قال : ثم وجدت عند ابن أبي داود ما رفع الإشكال ، فإنه روى بإسناد على شرط البخاري إلى ثمانية عن أنس أن أبا زيد الذي جمع القرآن اسمه قيس بن السكن . قال : وكان رجلا منا من بني عدى بن النجار أحد عمومي ومات ولم يلع عقيبا ونحن ووثناه . قال ابن أبي داود : حدثنا أنس بن خالد الأنصاري ، قال : هو قيس بن السكن بن زعزوة من بني عدى بن النجار ، قال ابن أبي داود : مات قريبا من وفاة رسول الله ﷺ ، فلعب علمه ولم يؤخذ عنه ، وكان عقيبا بدريا . ومن الأقوال في اسمه ثابت وأوس ومعاذ .

فائدة : ظفرت بمرآة من الصحاحيات جمعت القرآن لم يصلها أحد ممن تكلم في ذلك ، فأخرج ابن مسعود في الطبقات : أنبأنا الفضل بن دكين ، حدثنا الوليد بن عبد الله بن جميع قال : حدثني جعتي عن أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث وكان رسول الله ﷺ يزورها ويسمها الشهيدة ، وكانت

ابن أبي ثابت : أي ابن أبي الأقلع ، فقال الخزيج : منا أربعة جمعوا القرآن لم يجمعه غيرهم ، فنكرهم . قال : والذي يظهر من كثير من الأحاديث أن أبا بكر كان يحفظ القرآن في حياة رسول الله ﷺ ، ففي الصحيح أنه بنى مسجدا بفتاء داره فكان يقرأ فيه القرآن . وهو محمول على ما كان نزل منه إذ ذاك . قال : وهذا مما لا يرتاب فيه مع شدة حرص أبي بكر على تلقى القرآن من النبي ﷺ وفراغ باله له وهما بمكة ، وكثرة ملازمة كل منهما للآخر حتى قالت عائشة : إنه ﷺ كان يأتيهم بكرة وعشيا . وقد صح حديث « يوم القوم أقرؤهم لكتاب الله » وقد قدمه ﷺ في مرضه لإماما للمهاجرين والأنصار ، فدل على أن كان أقرأهم اهـ . وسبقه إلى نحو ذلك ابن كثير .

قلت : لكن أخرج ابن أشة في المصاحف بسند صحيح عن محمد بن سيرين قال : مات أبو بكر ولم يجمع القرآن ، وقتل عمر ولم يجمع القرآن . قال ابن أشة : قال بعضهم : يعني لم يقرأ جميع القرآن حفظا . وقال بعضهم : هو جمع المصاحف . قال ابن حجر : وقد ورد عن علي أنه جمع القرآن على ترتيب النزول عقب موت النبي ﷺ . أخرجه ابن أبي داود وأخرج النسائي بسند صحيح عن عبد الله بن عمرو قال « جمعت القرآن فقرأت به كل ليلة » ، فبلغ النبي ﷺ فقال : « اقرأه في شهر » الحديث . وأخرج ابن أبي داود بسند حسن عن محمد بن كعب القرظي قال : جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ خمسة من الأنصار : معاذ بن جبل ، وصيدة بن الصامت ، وأبي بن كعب ، وأبو الدرداء ، وأبو أيوب الأنصاري . وأخرج البيهقي في المجلد من ابن سيرين قال : جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة لا يختلف فيهم : معاذ بن جبل ، وأبي بن كعب ، وأبو زيد ، واختلفوا في رجلين من ثلاثة : أبي الدرداء وعثمان ، وقيل عثمان وتميم الداري . وأخرج هو وابن أبي داود عن الشعي قال : جمع القرآن في عهد النبي ﷺ ستة : أبي ، وزيد ، ومعاذ ، وأبو الدرداء ، وسعيد بن عبيد ، وأبو زيد ومجمع بن جارية . وقد أخذوا إلا سوزين أو ثلاثا . وقد ذكر أبو عبيد في كتاب القراءات : القراء من أصحاب النبي ﷺ ، فعُد من المهاجرين الخلفاء

قد جمعت القرآن « أن رسول الله ﷺ حين غزا بدرًا قالت له : أتأذن لي فأخرج معك أداوى جرحاكم وأمراض مرضاكم لعل الله يهدي لي شهادة ؟ قال : إن الله مهّد لك شهادة » وكان ﷺ قد أسمرها أن توم أهل دارها وكان لها مؤذن ، فغمها غلام لها وجارية كانت قد ديرتهما فقتلها في إسارة عمر ، فقال عمر : صدق رسول الله ﷺ كان يقول « انطلقوا بنا نزور الشهيدة » (الإتقان ١ / ٩٣-٩٦) .

(الإتقان في علوم القرآن ١ / ٩٣-٩٦) . لشيخ الإسلام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ١ / ٩٣-٩٦ .

• الحفص في التجويد والنحس؛

انظر : المحجر والنحس والرخام .

• الحفص في الغشبية؛

انظر : الخشب .

• الحفص في الحاج والعظم؛

انظر : الحاج والعظم .

• الحفص في المعادن؛

انظر : المعادن .

• حفص بن سليمان (٩٠-١٨٠ هـ / ٧٠٩-٧٩٦ م) :

أحد راوي عاصم (حفص وشعبة)

وهو حفص بن سليمان بن المفسرة أبو عمر بن أبي داود الأسدي الكوفي الغاضري البزاز ويعرف بحفص .
أخذ القراءة عرضا وتلقينا عن عاصم وكان ربيبه ابن زوجته .

ولد سنة تسعين ، قال الداني وهو الذي أخذ قراءة عاصم على الناس ثلاثة ، ونزل بغداد فأقرأ بها وجاور بمكة فأقرأ بها أيضا ، وقال يحيى بن معين الرواية الصحيحة التي رويت عن قراءة عاصم رواية أبي عمر حفص بن سليمان ، وقال أبو هشام الرفاعي : كان حفص أعلمهم بقراءة عاصم . وقال الذهبي أما القراءة فحقة ، ثبت ضابط لها بخلاف حاله في الحديث قال ابن المنادي قرأ على عاصم مرارا وكان الأولون يعدونه في الحفظ فوق أبي بكر بن عياش ويصفونه بضبط الحروف التي قرأ على عاصم ، وأقرأ الناس دهرًا وكانت القراءة التي أخذها عن عاصم ترتفع إلى علي بن أبي طالب رضي الله

عنه ، فقد روى عن حفص أنه قال قلت لعاصم : أبو بكر شعبة يخالفني في القراءة فقال : أقرأتك بما أقرأني به أبو عبد الرحمن السلمي عن علي بن أبي طالب وأقرأته بما أقرأني به زب بن حبيش عن عبد الله بن مسعود ، قال ابن مجاهد بين وبين أبي بكر من الخلف في الحروف خمسمائة وعشرون حرفا في المشهور عنهما وذكر حفص أنه لم يخالف عاصما في شيء من قرأته إلا في حرف الروم (س ٣٠ ، ٥٤) « الله الذي خلقكم من ضعف » [الروم : ٥١] قرأه بالضم وقرأه عاصم بالفتح .

وروى المقرئ عنه عرضا وسامعا أناس كثيرين منهم حسين ابن محمد المروزي وحمة بن القاسم الأحول وسليمان بن داود الزهراني وحمدان بن أبي عثمان الدقاق والعباس بن الفضل الصنفار وعبد الرحمن بن محمد بن واقد ومحمد بن الفضل زرقان وخلف الحداد وعمر بن الصباح وعبيد بن الصباح وهيب بن محمد التمار وأبو شعيب القواسم والفضل ابن يحيى بن شاهي بن فراس الأتياري وحسين بن علي الجعفي وأحمد بن جبير الأنطاكي وسليمان الفقيمي توفي سنة ثمانين ومائة على الصحيح (البحث والاستفراد / ٤٤ / ٤٥) .

يلزم القارئ برواية حفص أن يعرف مذهبه فيما يلي :

١- سهل حفص الهزمية الثانية بين يني أي بينهما وبين الألف في لفظ : « عاصمي » في قوله تعالى في سورة فصلت : « عاصمي وهري » ولم سهل في القرآن إلا في هذه الهزمية .

٢- أمال الراء والألف في لفظ : « مجريها » في قوله تعالى في سورة هود « بسم الله مجريها ومرسيها » ولم يعمل في القرآن إلا في هذا اللفظ .

٣- له في نون « تمانا » في سورة يوسف وجهان : الإشمام والروم .

٤- له الإظهار والإدغام في الكلمات الآتية : « يلهث فلك » في سورة الأعراف [١٧٦] ، « اركب معنا » في سورة هود ، « يتس » والقرآن الحكيم « صدر سورة يس ، « ن والقلم » أول سورة القلم .

٥ - له فتح الضاد وضهما في كلمة : ضعف : وكلمة «ضعفا» في قوله تعالى في سورة الروم : ﴿الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة﴾ [الروم : ٥٤] .

٦ - له إشباع هاء الضمير بقدر حركتين عند الوصل في كلمة (فيه) في قوله تعالى في سورة الفرقان : ﴿ويخلد فيه مهانا﴾ .

٧ - تجوز له القراءة بالسین والصاد في الكلمات الآتية : ﴿والله يلبض ويبسط﴾ في سورة البقرة . ﴿وزادكم في الخلق بسطة﴾ في الأعراف ، ﴿أم المسيطرون﴾ في الطور ﴿لست عليهم بمسيطر﴾ في الغاشية .

٨ - يجوز له السكت وتركه عند الوصل على ألف ﴿هوجا﴾ في قوله تعالى في سورة الكهف : ﴿ولم يجعل له عوجا﴾ وعلى ألف ﴿مركنا﴾ في قوله تعالى في سورة يس : ﴿من ممتنا من مركنا﴾ وعلى (نون) ﴿من﴾ في قوله تعالى في سورة القيامة : ﴿وقيل من راقٍ﴾ وعلى لام ﴿بل﴾ في قوله تعالى في سورة المطففين : ﴿كلا بل ران﴾ (منص أحكام التجويد / ١٣٦ ، ١٣٧) .

وقد صاغ ذلك نظماً الشيخ محمد بن محمد جابر المصري فقال :

وما كان حفص ساكتاً عند قصره
وسكتاً على إظهار يسار كركب فأهمل
وفي عوجاً مع إخوة خُص سكته
بما قبل همز إن بالأربع يهمل
وترقيق فرق خُص بالممد والقصر
بحللك آتاني لسدي المؤلف مهمل
وسكتاً له خُص بالآليات ولتمنا
سكت بهم حرك ضعف ومما ولا
ويُس بالإظهار خُص بسكته
كسين ميطر صداد غاشية تلا
ونصراً وسكتاً خُص من حفصهم
بحلاف له وثقا بحرف سلا سلا

وإظهار يلهث خُصصن بممهله
وسكتاً بموصول بالإظهار أهمل
(مختصر قواعد التحرير / ٣٦) .

وعن تحليل حفص في نوعي المد قال الشيخ السنودي :
والمد قبل الهمز وسط وأمهلاً
خمساً وكالمعاقب بست زائلاً

والرفع أئمم مطلقاً ورمه
كالجر باللي به نعله
ثلاثة نصبا وخمسة بجر
وأوجه الرفع ثمان تعتبر
وفي اجتماعه بلي انفصال
أو جمعه مع وصل ذي انفصال
أربعة نصبا وستة بجر
وعشرة في حالة الرفع تقصر
(تلخيص لأبن البيان / ١٢) .

قالت المؤلف : وروى حفص في الشاطبية هو (ع) .
(البحث والاستقراء في تراجم القراء - محمد الصادق قدهاري / ٤٤ ، ٤٥ ، ويلاحظ أحكام التجويد - د. شحيان محمد إسماعيل / ١٣٦ ، ١٣٧ ، ومختصر قواعد التحرير - محمد بن محمد جابر المصري .
دار إحياء الكتب العربية . حيسى الباني الحلبي وشركاه / ٣٦ ، وتلخيص لأبن البيان في تجويد القرآن - إبراهيم علي علي شحاتة السنودي .
مكتبة ويطبعة محمد علي صبيح وولاده . للطبعة الثانية ١٣٧٤ - ١٩٥٤م / ١٢ انظر أيضاً الأحكام للزركلي / ٢ / ٦٦٤ ، وفتح السعادة لطاش كبرى زاده / ٢ / ٣٣ ، وغاية النهاية في طبقات القراء للإمام ابن الجزري / ١ / ٢٥٤) .

انظر : اللوري .

• حفص بن عمر :

انظر : اللوري .

• حفص بن غياث (١١٧-١٩٤ هـ / ٧٢٥-٨١٠ م) :

حفص بن غياث بن طلق بن معاوية النخعي الأزدی الكوفي ، أبو عمر ، قاض ، من أهل الكوفة . ولي القضاء

ببغداد الشرقية لهارون الرشيد ، ثم ولادة قضاء الكوفة ومات فيها (الأعلام / ٢ / ٢٦٤) .

ولد حفص بالكوفة سنة ١١٧ هـ ونشأ وترى بها وتعلم أولا بها وتلقى عن رجالها ثم أخذ العلم عن شيوخ عصره وأعلامه الثقات من أمثال هشام بن عروة وإسماعيل بن أبي خالد وسليمان الأعمش وأبي إسحاق الشيباني وجعفر بن محمد بن علي وسفيان الثوري ومن في طبقتهم .

وتلقى عنه أعلام مشهود لهم بالورع والتقى والمصالح والاستقامة ، من أمثال أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وعلي ابن المدني وإسحاق بن راهويه وعامة الكوفيين .

وكان حفص كثير الحديث حافظا له ، ثبتا فيه ، وكان مقدما عند المشايخ الذين سمع منهم الحديث . وكان يحدث بالكوفة وبغداد من حفظه لم يخرج كتابا وكتبوا عنه أربعة آلاف حديث من حفظه .

وكانت تربطه صداقة ومودة وزمالة علمية بكل من عبد الله ابن إدريس ووكيع بن الجراح وقد بلغ ثلاثتهم في العلم والعمل شأوا بعيدا حتى أصبحوا ممن يشار إليهم بالبنان ، وكان ثلاثتهم ممن وقع عليهم اختيار الرشيد من رجال دولته ليسند إليهم القضاء ، أما صاحبه فاحتال كل منهما لتخلص من مسئولية القضاء وأما ثبات فأُسند إليه القضاء (أعلام القضاء في الإسلام / ١٥٤) .

له « كتاب » فيه نحو ١٧٠ حديثا من روايته . وهو صاحب أبي حنيفة ، ويذكره الإمامية في رجالهم (الأعلام / ٢ / ٢٦٤) انظر : الإمامية .

(الأعلام للزركلي / ٢ / ٢٦٤) ، وأعلام القضاء في الإسلام - د. محمد

إبراهيم الجبوشي / ١٥٤) .

• حفص النوري ،

انظر : النوري ،

• حفص القاري ،

انظر : النوري .

• أبو حفص التيسابوري (٣٧٠ هـ أو نحوها) :

أدرجه الإمام أبو عبد الرحمن السلمى في الطبقات الأولى للصوفية .

هو أبو حفص عمرو (أو عمر) بن سلمة - وقيل ابن سلم - والأول أصح ، وصناعته الحدادة ، ولذلك يقال أبو حفص الحداد (الموسوعة الصوفية / ٢٩٨) وهو من أهل قرية يقال لها « كورداباذ » على باب مدينة نيسابور إذا خرجت إلى بخارى . توفي أبو حفص سنة سبعين ومائتين وقيل سنة سبع وستين ومائتين (طبقات الصوفية / ٢٧) وتخرج عليه عامة أعلام صوفية نيسابور ، ومنهم أبو عثمان التيسابوري ، وشاه الكرمانى ، وكان من أصحاب أحمد بن خضرويه ، وكلامه وسلوكه في الفترة ، فهو الفتى حقا ، والتصوف عنده ليس إلا الآداب ، ولكل وقت أو مقام أدبه ، ومن لزم الآداب بلغ مبلغ الرجال ، ومن ضيع الآداب فهو بعيد من حيث يظن أنه قريب ، ومردود من حيث يرجو القبول (الموسوعة الصوفية / ٣٩٨، ٣٩٩) .

صاحب عبيد الله بن مهدي الأيوودي ، وعليها التصريباتى ، ورافق أحمد بن خضرويه البليخي ، وكان أحد الأئمة والسادة ، انتهى إليه شاه بن شجاع الكرمانى ، وأبو عثمان سعيد بن إسماعيل - كما سبق القول ...

وقال مخمخ الجلال : « صحبت أبا حفص اثنتين وعشرين سنة ما رأيته ذكر الله تعالى على حد الغفلة والاتباساط ، وما يذكركه إلا على سبيل الحضور والتعظيم والحرمة ، فكان إذا ذكر الله تغيرت عليه حاله ، حتى كان يرى ذلك جميع من حضره » .

وكان أبو حفص إذا غضب تكلم في حسن المخلوق حتى يسكن غضبه ، ثم يرجع إلى حديثه . ومن كلامه :

« المعاصي يريد الكفر ، كما أن الحمى يريد الموت .

« وقال مرة - وقد ذكر الله تعالى ، وتغير عليه حاله - فلما رجع قال : ما أبعد ذكرنا من ذكر المحققين ! فما أظن أن محققا يذكرك الله من غير غفلة ، ثم يبقى بعد ذلك حيا ، إلا الأنبياء ، فإنهم أيلدوا بقوة النبوة ، وخواص الأولياء بقوة ولايتهم .

« من إهانة الدنيا أنى لا أبخل بها على أحد ، ولا أبخل بها على نفسى ، لاحتقارها واحتقار نفسى عندي .

— إذا رأيت المحب ساكتا هادئا فاعلم أنه وردت عليه غفلة، فإن الحب لا يترك صاحبه يهدأ، بل يضعه في الدنو والبعد، واللقاء والحجاب.

— التصوف كله أدب، لكل وقت أدب، ولكل مقام أدب. فمن لزم أدب الأوقات بلغ مبلغ الرجال، ومن ضيع الأدب فهو بعيد من حيث ينظر القرب، ومردود من حيث يرجو القبول.

— الحال لا يفارق العلم، ولا يفارق القول.

— من يعطي ويأخذ فهو رجل، ومن يعطي ولا يأخذ فهو نصف رجل، ومن لا يعطي ولا يأخذ فهو هيج لا خير فيه. ووسل أبو عثمان الحيري النيسابوري روى هذا الكلام عن أبي حفص عن معناه فقال: «من يأخذ من الله ويعطي له فهو رجل، لأنه لا يرى فيه نفسه هيج، ومن يعطي ولا يأخذ فهو نصف رجل لأنه يرى نفسه في ذلك، فيرى أن له — بالآخذ — فضيلة، ومن لا يأخذ ولا يعطي فهو هيج، لأنه يظن أنه الأخذ والمعطي، دون الله تعالى».

— ما استحق اسم السخاء من ذكر العطاء أو لمحه بقلبه.

— وسئل عن قول الله عز وجل: ﴿وما شروهم بالمعروف﴾ [النساء: ١٩] فقال: المعاشرة بالمعروف حسن الخلق مع العيال فيما ساءك، ومن كرهت صحبتها.

— وسئل عن البخل فقال: ترك الإيثار عند الحاجة إليه.

— وسئل: من الولي؟ فقال: من أيد الكرامات، وزفيع عنها.

— ما ظهرت حالة عالية إلا من ملازمة أصل صحيح.

— وسئل عن أحكام الفقر وأدبها على الفقراء فقال: حفظ حرمات المشايخ، وحسن العشرة مع الإخوان، والصيحة للأصاغر، وترك الخصومات في الأرزاق، وملازمة الإيثار، ومجانبة الأذغار، وترك صحبة من ليس من طبقتهم، والمعاونة في أمور الدين والدنيا.

— وسئل: من العاقل؟ فقال: المطالب نفسه بالإخلاص.

— وسئل عن العبودية، فقال: ترك ما لك، والتزام ما أمرت به.

— وقال محمد بن بحر الشجيني أخو زكريا: «كنت أخاف الفقر مع ما كنت أسلك من المال. فقال لي يوما أبو حفص: إن قضى الله عليك الفقر لا يقدر أحد أن يفتيك. فلنهب خوف الفقر من قلبي رأسا».

— الفقير الصادق الذي يكون في كل وقت بحكمه، فإذا ورد عليه وإرد يشغله عن حكم وقته، يستوحش منه ويعفيه.

— ما أعز الفقر إلى الله، وأذل الفقر إلى الأشكال، وما أحسن الاستغناء بالله، وأقبح الاستغناء بالثنام.

— واجتمع مشايخ بفساد عند أبي حفص، وسألوه عن الفترة، فقال: تكلّموا أنتم فإن لكم العبارة واللسان. فقال الجني: الفترة إسقاط الرؤية وترك النسبة. فقال أبو حفص: ما أحسن ما قلت، ولكن الفتوى هندی أداء الإنصاف، وترك مطالبة الإنصاف، فقال الجني: قوموا يا أصحابنا، فقد زاد أبو حفص على آدم وذريته.

— ولما أراد أبو حفص الخروج من بفساد شيعه من فيها من المشايخ والفتيان، فلما أرادوا أن يرجعوا قال له بعضهم: دلنا على الفتوة، ما هي؟ فقال: «الفتوة تؤخذ استعمالا ومعاملة، لا نطقا» فتصجوا من كلامه.

— وسئل: هل للفتى من علامة؟ قال: نعم، من يرى الفتيان، ولا يستحي منهم في شمائله وأعماله، فهو فتى.

— ما دخل قلبي حق ولا باطل منذ عرفت الله.

— تركت العمل فرجعت إليه، ثم تركت العمل فلم أرجع إليه.

— الكرم طريح الدنيا لمن يحتاج إليها، والإقبال على الله لاحتياجه إليها.

— وقال له رجل: إن فلانا من أصحابك، أيلنا يدور حول السماع، فإذا سمع حاج ويكسي ومزق ثيابه. فقال أبو حفص: أي شيء يعمل الخسريق؟ يتعلق بكل شيء يظن نجاة فيه.

— حرمست قلبي عشرين سنة، وحرمست قلبي عشرين سنة، ثم وردت حالة صرنا فيها محرومين جميعا.

— من تجرّع كأس الشوق يهيم هياما، ولا تفق إلا عند المشاهدة واللقاء.

..من رأى فضل الله عليه في كل حال أرجو ألا يهلك .

.. لا تكن عبادتك لربك سببا لأن تكون معبودا .

..إني لا أدعي حسن الخلق، لأني أحسن من نفسي سرعة الغضب وإن لم أظهره، ولا أدعي السخاء، لأني لست آمن من نفسي أن تلاحظ فعله، أو تلتفت إليه، أو تذكر عطاءه وقتا ما .

..وسئل : ما البدعة ؟ فقال : اتعدي في الأحكام، والتهاون في السنن، واتباع الآراء والأهواء، وترك الاعتناء والاتباع .

..وسئل : من الرجال؟ فقال : القائمون مع الله تعالى بوفاء المهرود . قال الله تعالى : ﴿ رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ﴾ [الأحزاب : ٢٣] .

..الإشارة أن تقدم حظوظ الإنشوان على حظك ، في أمر آخرتك وديارك .

(الموسوعة الصربية .. د . عبد المصنم الحفني / ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، وطلبات الصربية لأبي عبد الرحمن السلمي .. يسره ورتبه أحمد الشراصي / ٢٧ - ٢٩) .

« حفصة بنت عمر بن الخطاب (١٨ ق هـ ٤٥ هـ / ٦٠٤-٦١٥ م) ، حفصة بنت سيلنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه القرشية العدوية رضي الله عنها . صحابية جلييلة صالحة من أزواج النبي ﷺ . أمها زينب بنت مطعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح (السمط الثنين / ٦٧ والأعلام / ٢ / ٢٦٥) . ولدت بمكة وتزوجها خنيس بن حذافة السهمي ، فكانت عنده إلى أن ظهر الإسلام فأسلمها وهاجرت معه إلى المدينة فمات عنها ، فخطبها رسول الله ﷺ من أبيها ، فزوجها لها ، سنة اثنتين أو ثلاث للهجرة ، واستمرت في المدينة بعد وفاة النبي ﷺ إلى أن توفيت بها (الأعلام / ٢ / ٢٦٥) .

.. عن ابن عمر رضي الله عنهما : أن عمر حين تأيimt حفصة من خنيس بن حذافة السهمي رضي الله عنه ، وكان من أصحاب النبي ﷺ ممن شهد بلرا، وتوفي بالمدينة ، قال عمر : فلقيت عثمان بن عفان ، فعرضت عليه حفصة . فقلت : إن شئت أنكحك حفصة بنت عمر ؟ فقال : سأنتظر

في أمري ، فلبثت ليالي ، ثم لقيته ، فعرضت عليه . فقال : قد بدا لي أن لا أتزوج يومى فلقيت أبا بكر رضي الله عنه . فقلت له : إن شئت أنكحك حفصة ابنة عمر ؟ فصمت ، ولم يرجع إلى شيئا . فكتت عليه أوجد منى على عثمان فلبثت ليالي . ثم خطبها رسول الله ﷺ فأنكحها إياه ، فلقيني أبو بكر رضي الله عنه . فقال : لملك وجدت على حين عرضت على حفصة فلم أرجع إليك شيئا . فقلت : نعم . فقال : فإنه لم يمتعنى أن أرجع إليك فيما عرضت على إلا أنى كنت علمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها فلم أكن لأشئى سر رسول الله ﷺ ، ولو تركها لقبلتها . أخرجه البخارى والنسائى .

(تأيimt) المرأة : إذا مات زوجها أو فارقها ، وقيل الأم التي لا زوج لها تزوجت أو لم تزوج ، والرجل أيضا أيم (تيسر الرصول : ٤ / ٢٢٢) .

يقول السيد محمد رشيد رضا :

نعم إن رسول الله ﷺ تزوج عائشة في السنة الثانية من الهجرة فكان هذا قرعة عين لصاحبه ووزيره الأول وخير مكافأة له في الدنيا على صدقه وإخلاصه ، فلما توفي زوج حفصة بنت وزيره الثاني رأى أن يساوى بينه وبين أبى بكر في تشریفهما بمصاهرته ، ولم يكن في الإمكان أن يكافئهما في هذه الحيلة بشرف أسمى من هذا . فتزوج حفصة في السنة الثالثة وقيل في الثانية ولولا ذلك لكانت حسرة في قلب عمر ، فما أجل سياسته ﷺ وما أعظم وفاءه للأوفياء له .

وقابل ذلك إكرامه لثمان وملى رضي الله عنهما بتزويجهما ببناته وهؤلاء الأربعة أعظم أصحابه في حياته وخلفائه في إقامة ملته ونشر دعوته بعد وفاته (نداء الجنس اللطيف / ٦٢) .

قال صاحب السمط الثمين :

ذكر من شهد من بيت حفصة رضي الله عنها بلرا :

شهد بلرا من يتبها أبوها عمر رضي الله عنه وعمها زيد وزوجها خنيس بن حذافة السهمي وأخوالها عثمان وعبد الله وقدامة بنو مظعون والسائب بن عثمان بن مظعون ابن خاله ذكره الدارقطنى .

ذكر وفاة حفصة رضي الله عنها :

قال الواقدي توفيت حفصة رضي الله عنها في شعبان سنة خمس وأربعين في خلافة معاوية وهي ابنة ستين سنة وقيل سنة إحدى وأربعين وكذلك حين بايع الحسن معاوية وقيل سنة سبع وعشرين في خلافة عثمان ذكره أبو سعيد الملا وأوصت إلى أخيها عبد الله بما كان أوصى به إليها عمر رضي الله عنه من صدقته ذكره أبو عمر وصاحب الصفوة وصنى عليها أخوها عبد الله (السمط الثمين / ٦٩) .

قال صاحب الأعلام : روى لها البخاري ومسلم في الصحيحين ٦٠ حديثاً (الأعلام / ٢ / ٢٦٥) أما صاحب الرياض المستطابة فقال : خرج لها الجماعة، ولها في الصحيحين عشرة أحاديث، اتفقا على أربعة، ولمسلم ستة. روى عنها أخوها عبد الله بن عمر وابنة حمزة وزوجته صفية بنت أبي عبيد (الرياض المستطابة / ٣١٢) .

قال الإمام النووي : وروى ابن سعد بإسناده عن عمر رضي الله عنه أنه قال : ولدت حفصة وقرش ثنية البيت قبل مبث النبي ﷺ بخمس سنين ، وأوصى عمر إلى حفصة ، وأوصت حفصة إلى أخيها عبد الله بن عمر . وروى ابن سعد من نافع قال : ما ماتت حفصة حتى ما تغفر ، قال ابن سعد : قال الواقدي : توفيت حفصة في شعبان سنة خمس وأربعين وهي بنت ستين سنة . وقال أبو مشر : توفيت سنة إحدى وأربعين . وقال ابن أبي عيشة : توفيت أول ما بويع معاوية ، وبويع معاوية في جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين ، وقال أحمد بن محمد بن أيوب : توفيت سنة سبع وعشرين ونحوه . قال ابن قتيبة في المعارف قال : توفيت في خلافة عثمان ، وقيل سنة سبع وأربعين ، وقيل سنة خمسين . وروينا في تاريخ دمشق عن مصنفه قال لا أدري قول من قال توفيت سنة ثمان وعشرين محفوظاً . وروى ابن سعد أن مروان بن الحكم صلى عليها ، وحمل بين عمرودى سريها من عند دار آل حزم إلى دار المغيرة بن شعبه ، وحمله أبو هريرة من دار المغيرة إلى قبرها . وزك في قبرها أخوها عبد الله وعاصم ، ويثنى أخيها سالم وعبد الله وحمزة بنو عبد الله وروى لها من رسول الله ﷺ ستون حديثاً والله أعلم (تهذيب الأسماء واللغات / ٢ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩)

(السمط الثمين في مناقب أئمة المؤمنين للإمام مجد الدين أحمد ابن عبد الله الطبري / ١٧ ، ٦٩ ، وتيسر الوصول إلى جامع الأصول للإمام ابن الصنيع الشيباني / ٤ / ٢٢٢ ، وفناء الجنس للطيف - السيد محمد رشيد رضا / ٦٢ ، والرياض المستطابة للإمام يحيى بن أبي بكر العامري البصري / ٣١٢ ، وتهذيب الأسماء واللغات للإمام محيي الدين بن شرف النووي / ٢ / ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، انظر أيضاً المنتخب من السنة . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . القاهرة الطبعة الثانية ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م / ١ / ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ومراجع العلوم الإسلامية - د. محمد الزحني / ٧٥ ، والأثر المستطابة في مناقب الصحابة والقرابة لابن سيد الكل - تحقيق عبد الجبار زكار ود. علي أحمد / ١٠٤ ، وصفة الصفوة للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي - ضبطها وكتبها هشام رمضان وسعيد اللحام ٢ / ٢٨ ، ٢٩) .

• الخصفية :

قال صاحب التبريفات : هم أصحاب أبي حفص بن أبي المقدام ، زادوا على الإضافة أن بين الإيمان والشرك معرفة الله فإنها خصلة متوسطة بينهما (التبريفات / ١٢٢) .

وقال صاحب الفرق بين التورق : هؤلاء قالوا بإمامة حفص ابن أبي المقدام ، وهو الذي زعم أن بين الشرك والإيمان معرفة الله تعالى وحدها ، فمن عرفه ثم كفر بما سواه : من رسول ، أو جنة ، أو ناره ، أو عمل بجميع المحرمات من قتل النفس واستحلال الزنا ومائر المحرمات ، فهو كافر برىء من الشرك ومن جهل بالله تعالى وأنكره فهو مشرك ... ثم قالوا بعد هذا كله : إن الإيمان بالكتب والرسول متصل بتوحيد الله عز وجل ، فمن كفر بذلك فقد أشرك بالله عز وجل ، وهذا نقض قولهم إن الفصل بين الشرك والإيمان معرفة الله وحده ، وإن من عرفه فقد برىء من الشرك وإن كفر بما سواه من رسول أو جنة أو ناره ، فصار قولهم في هذا الباب متناقضاً (الفرق بين التورق / ٧١) .

(التبريفات للشرف الجرجسي - تحقيق وتعليق د. عبد الرحمن عميرة / ١٢٢ ، والفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي / ١ / ١٠١ . انظر أيضاً اكتشاف اصطلاحات الفنون للهاثوري / ١ / ٣٠٩ ، والمال والنحل للشهرستاني - تحقيق محمد سيد كيلاي / ١ / ١٣٥ ، ١٣٦ ، واحتفادات فرق المسلمين والمشركون لفخر الدين الرازي ، ومعه كتاب المرشد الأمين

- ٣- أبو زكريا يحيى [الثاني] ، الوثائق ،
٦٧٥ (علمه إبراهيم الأول)
٦٧٨ ٤- أبو إسحاق إبراهيم [الأول] ، (أحمد سنة ٦٨١)
الانقسام :
أحمد بن مرزوق بن أبي عمارة (٣) (الدمي) ...
٦٨١ رمضان
٦٨٣ ٥- أبو حفص عمر [الأول] ، (بنو)
أبو زكريا يحيى المختار لإحياء دين الله بن
إبراهيم [الأول] ٦٨٣ (بجاية حتى سنة ٦٩٨)
٦٩٤ ٦- أبو عبد الله (أبو عبيدة) محمد [الثاني] ...
المتنصر بن يحيى [الثاني] (بنو) أبو البقاء
خالد الناصر [الأول] (بجاية . ثم انتقل بالحكم
بعد ذلك ٦٩٩
٧- أبو بكر [الأول] الشهيد بن يحيى [الأول]
(بجاية . ثم انتقل بالحكم) ...
٧٠٩ ٨- أبو البقاء خالد [الأول] الناصر ، (وحده)
٧٠٩ أبو بكر [الثاني] المتوكل ، (بسنطية وبجاية)
٧١١
٩- أبو يحيى زكريا المصطفى بن أحمد ،
(بنو) (٤)
٧١١ ١٠- أبو غريفة محمد [الثالث] المتنصر ،
(بنو)
٧١٧ ١١- أبو يحيى أبو بكر [الثاني] المتوكل ،
(وحده)
٧١٨ ١٢- أبو حفص عمر [الثاني]
٧٤٧ الاختلال العرفي
٧٤٧ أبو العباس أحمد [الأول] الفضل (بسنطية
وبجاية)
٧٤٩ أبو زيد عبد الرحمن بن أبي بكر [الثاني] ،
(بسنطية)
٧٤٩ أبو عبد الله محمد المتنصر بن أبي بكر
الثاني (بجاية)
٧٤٩ ١٣- أبو العباس أحمد [الأول] الفضل
المتوكل ، (نهايا)
٧٥٠

إلى اعتقادات فرق المسلمين والمشرى به عبد الرزاق سعد ومصطفى
الهرزلي / ١٠٥ ، ١٠٦ .

• المختصون (١٢٧٨-١٥٢٤ م) :

كتب بدر الدين العيني في أحداث سنة ٦٥٣ هـ عن
المختصين يقول : وقال الشيخ الفاضل ركن الدين (هو ركن
الدين بن قريع التونسي) : المختصون الذين ملكوا تونس
أولهم أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاتي ، بتامين مشائين من
فوق ، وهي قبيلة من المصامدة ، ويزعمون أنهم قرشيون من
بنى عدى بن كعب ربه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ...
ثم يذكر العيني من ملك تونس من المختصين حتى المصملي
الذي يقول إنه صاحب تونس في زماننا هذا ، وهو سنة
ثمانى عشرة وسبعمائة (عقد الجمان ١ / ١٠٠ ، ١٠٧) .

وجاء عن المختصين في الموسوعة الثقافية ما يلي : أسرة
من البربر حكمت إفريقيا (تونس) أولها أبو حفص يحيى بن
عمرو الهنتاتي ، وهو ينسب إلى فرع من الموحدين . قام بدور
هام في تدعيم نفوذ الموحدين في المغرب والأندلس . تمتعت
الدولة المختصية من بعده باستقلال واتساع ملك ، وظلت في
الحكم زهاء ثلاثة قرون ونصف قرن على الرغم من الأحداث
التي واجهتها (الموسوعة الثقافية / ٤٠٦) .

(عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان لبدر الدين العيني - حققه ووضع
حواشيه . محمد محمد أمين ١ / ١٠٠ ، ١٠٧) والموسوعة الثقافية -
يشرف د . حسين سعيد / ٤٠٦ . انظر أيضا النظام السياسي عند
المختصين - الأستاذ صالح أبو ديك . بصيرت في تاريخ الحضارة
الإسلامية في ذكرى الأستاذ الدكتور أحمد فكري / ٢١٩ - ٢٣٥) .

٥٦- بنو حفص

(بنو)

١- أبو زكريا يحيى [الأول] ، (استقل عن
الموحدين) (١)
سنة ٦٢٥ هـ

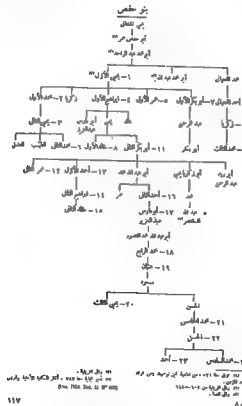
٢- أبو عبد الله محمد [الأول] المتنصر (٢) ... ٦٤٧

(١) اتخذ لقب أمير .

(٢) بعد أن طرد الجاسيون من بلاد سنة ٦٥٦ اتخذ لنفسه لقب الخليفة
وأمر الموحدين ولده شريف مكة أبو إسحاق محمد الأول . ذكر ابن خلدون (ج ١ ص
٢٨٠) وابن زبير ، دول إسلامية - ترجمة خليل أدم (ص ٥٤) أن لقبه المتنصر ،
المتنصر .

(٣) انظر ابن خلدون (ج ٦ ص ٣٠٢) . المترجم .
(٤) يملك ابن خلدون (ج ٦ ص ٣٢٥) أن اسمه أبو يحيى
زكريا بن أحمد بن محمد بن المصملي . المترجم .

١٤ - أبو إسحاق إبراهيم [الثاني] المستنصر	٧٥١	١٩ - أبو عمر عثمان بن محمد [الرابع] (٢) صفر ٨٣٩
(بتونس) (حتى سنة ٧٧٠)		٢٠ - أبو زكريا يحيى [الثالث] بن مسعود بن محمد [الرابع] ٨٩٣
استولى بنو مرين على بجاية ٧٥٤		٢١ - أبو عبد الله محمد [الخامس] المتوكل ابن الحسن بن مسعود ٨٩٩
احتل بنو مرين إفريقية كلها للمرة الثانية ... ٧٥٨		٢٢ - أبو عبد الله محمد الحسن بن محمد [الخامس] ٩٣٢
أبو إسحق إبراهيم [الثاني] المستنصر، (استقر بتونس، توفي في ٨ المحرم سنة ٧٩٣ (١))	٧٥٨	فتح الترسى الأول بقيادة خير الدين بارياروس ٩٤١
أبو عبد الله محمد المنصور بن أبي بكر [الثاني]، (استقر ببجاية) ٧٦١		الحسن، (أعيد إلى الحكم كعادل لشارل الخامس) ٩٤٢
١٥ - أبو البقاء خالد [الثاني] بن إبراهيم [الثاني]، (بتونس) ٧٧٠		٢٣ - أحمد بن الحسن ٩٤٨
١٦ - أبو العباس أحمد [الثاني] المستنصر، (وبجاية) ٧٧٢		فتح الترسى الثاني ٩٧٧
١٧ - أبو فارس عبد العزيز المتوكل بن أحمد [الثاني] ٧٩٦		٢٤ - أبو عبد الله محمد [السادس] بن الحسن، (عامل إشبيلية) ٩٨١
١٨ - أبو عبد الله محمد [الرابع] المستنصر بن محمد ذوالحجة ٨٣٧		فتح الأتراك تونس نهائيا ٩٨٢
(١) بمدينة أنطاكية بالجزائر .		(٢) وبجاية بقائمة فتش باسمه يرجع إلى سنة ٨٣٩ .



• حفظ الأبدان :

يقول ابن رشد فيما يعد نموذجاً للطب الإسلامي :

إن جنس حفظ الأبدان بالجملة من الأمراض التي قد استعدت لقبولها بظهور إحدى السمات فيها النذالة على حدوث الأمراض هو ضرورة من جنس إبطال ذلك المرض إذا حدث ، مثال ذلك إذا حفظ البدن عن الوقوع في الجذام هو بعينه يلتزم بالأشياء التي بها تكون معالجة هذه العلة ، وكذلك في مرض ، مريض ، ومن أشهر هذه الاستعدادات الحالية المسماة إعياء حادثاً من تلقاء نفسه ، وذلك أن هذه الحال متى حصلت في الأبدان استعدت بها لقبول آفات كثيرة فلذلك كان إقرارها بالقبول ضرورياً هاهنا ، وليس الأمر كذلك في الاستعدادات الخاصة بمرض مريض ، فإن الوجه في إبطال تلك الاستعدادات هو الوجه في إبطال تلك الأمراض فلذلك لا معنى هاهنا لتكريرها ، وكذلك أيضا القول في حفظ الأبدان عند فساد الأعورية هو ضروري ها هنا فليبتدئ من الحالة المسماة إعياء فنقول : إنه قد قيل في كتاب المرض إن هذه الحال ثلاثة أصناف : صنف يمرض بالإعياء القروسي ، وأن فاعل هذا هي الأخلاط الحارة أعنى الحادث منه من تلقاء نفسه ، وهو الذي القول فيه هاهنا ، وصنف ثان تمديدي ، وإن فاعل هذا هو كثرة الدم ، وصنف ثالث ورمي . وهو مركب من فاعل القروسي ، ومن فاعل التمديدي ويخص هذا أنه يعرض في الأعضاء منه تزيد في أقطارها ، ولذلك عد هذا الثالث في السباط ، أولاً فهو مركب منها ، فينبغي أن نبدأ أولاً بالعلاج العام لجميعها ثم نسير بعد إلى ما يخص واحداً واحداً فنقول : إن العلاج العام لجميع هذه الأنواع من جهة أن فاعلها مزاج مادي هو الإحالة فيما يمكن فيه إحالته واستغراق ما لا يمكن ذلك فيه ، والإحالة فتعملها الطبيعة بالأدوية ، وبالأغذية التي شأنها أن تطفئ الأخلاط ونهيتها للإحالة ، وقد يفعل ذلك أيضا التجويع . وطلب النوم ، والهذوء .

وأما الاستغراق فيكون بالأدوية المدرة للبول والعرق ، والأدوية المسهلة ، وبالرياضة ، ويكون بشق العروق ، وهذا كله إنما تتقبل فيه الصناعة الطبيعة ، فهذا هو العلاج العام لجميع هذه الأصناف .

وأما الخاص بواحد ، واحد منها فينبغي أن نقول فيه ، فإنه

ليس في كل واحد منها يستغرق نوع واحد من الاستغراق ، ولا يستعمل فيه نوع واحد من الإحالة ، وينتدئ من ذلك بالإعياء القروسي فنقول :

إن هذا الإعياء فاعله بالجملة كما قال أخلاط للذاعة ، وقد علمت أن الخلط اللذاع إما أن يكون صفراويا أو سوداويا ، أو بلغميا مالحا ، فإن كل واحد من هذه يلدغ ، أما الصفراء فيحدثها ، وأما السوداء فيبعثيتها ، وأما البلغم المالح فيملوحتة ، وهذه الأخلاط لا تخلو أن تكون إما تحت الجلد فقط ، وإما أن تكون مع هذا غائرة في العضل فقط ، وإما أن تكون مع أنها في العضل هي أيضا في الأوراد أنفسها ، وعلى الجهة التي شأن هذه الأخلاط أن توجد في الدم ، أعنى بالقرية ثم لا يخلو أن يكون مع هذه الأخلاط في البدن أخلاط بلغمية خامية أو لا تكون ، وإن كانت فيه فلا تخلو تلك الأخلاط الخامية أيضا أن تكون في اللحم فقط أو في الأوراد أنفسها ، وما كان من هذه الأخلاط في الأوراد أنفسها أعنى الصفراوية ، أو السوداء ، أو البلغمية المالحة ، أو الخامية ، فلا يخلو أن تكون مع قلة الدم ، أو كثرتة ، وإنما يكون الدم كثيرا متى كانت هذه الأخلاط وتبعه في الأوراد ولم تبعد جدا عن مزاج الدم ، فإن بعضها الوجود لها بالفعل إنما هو قبل أن يستحيل إلى الدم ، وبعضها هو أن يستحيل بمزلة الصفراء أو السوداء ، وهي تتفاضل في ذلك بالقرب والبعد ، فمتى يصدت جدا من الدم إما بأنها تحتاج إلى استحالة طويلة ، وحينئذ تنصرف دما وقد استحالت بعد أن كانت دما استحالة كثيرة ، فإن الدم ضرورة في هذه الحال قليل وتيج فلهذه جميع الأوجه التي يمكن أن تصور عليها الأبدان في حال هذا الإعياء ولكل واحد منها علاج خاص فنقول :

أما إذا كانت الأخلاط الفاعلة لهذا الإعياء إنما هي تحت الجلد فقط فقد يكفي في علاجها بالرياضة المسكنة ، وبالإستحمام ، واستعمال الأغذية اللطيفة الرطبة كماء الشير ، وشرب السكتبين ، وما أشبه ذلك ، وأما متى كانت هذه الأخلاط الفاعلة للإعياء بوجود حسها غائرا في اللحم فليس ينبغي حبسها أن تستعمل الرياضة ، بل يستعمل الهذوء ، والنوم ما أمكن ، والإسماك عن الطعام ، وذلك أن هذه الأعمال مما تنضج بها تلك الأخلاط ، فإذا كان عنى

والدعة ، وتجمل أدويتهم وأغلبتهم أدوية ملطقة مقطعة من غير إسخان شديد (لئلا) تنتشر تلك الأخلاط الخامية في البدن ، وأوق الأشياء لهم شراب السكتجين البروري ، الذي حجب يسه بعروق السوس ، وماء الشعير جيد لهم ، لمن كان منهم شابا ، مع سير من أصل الرازيانج ، وماء العسل أروق لهم مفردا ، ومع شيء من زوفاء ، وعروق السوس ، وهؤلاء تنفخ بطونهم ، وتعترهم رياح غليظة ، ولذلك قد يعلمهم جالينوس الدواء المعمول بالثلاثة الفلال والجوارش الكموني ، لكن قد ينفي في إقليمنا هذا إذا استعملت هذا العلاج أن تستعمله بحدرك ، وتوق ، وإلا جلبت الحمى من ساعتك على المريض ، فإن إقليم جاليوس أبرد من إقليمنا ، وإنما كان جالينوس يستعمل هذه المعالجة في زمان الشتاء وفي غير سن الشباب ، اللهم إلا أن يكون المرض يقتضي ذلك بطبيعته اقتضاء كثيرا ، وإن اتخذ هاهنا مركب من الأدوية الملطفة المقوية للأعضاء الباطنة ، التي هي أقل حرارة من هذا كان أيضا حميدا مثل الدارصيني والأسارون ، والعود ، والعنبر ، والفسرفل ، والسليخة ، وما أشبه ذلك من الطوبى ، لكن جالينوس إنما أحسب تجنب هذه الأدوية هاهنا لمكان القبيض الذي فيها ، فإن أنت خلطت الجنسين فعلت مركبا حسنا ، لأن هؤلاء الأعضاء الرئيسية منهم في غاية الضعف ، وبخاصة فم المعدة ، ولذلك ليس يجب أن يخلو هذا المركب من المصطكي ، وأما الورد فلا أحسنه في هذا المركب ، لمكان برده ، وقبضه ، وإن كان فيه تقوية الأعضاء ، والاسطوخودوس دواء حميد الموقع ، في هذا المركب ، وكما تتجنب الاستفراغ في هذا الحال بالإسهال ، كذلك تتجنبه بالقيء ، فإنما كما تتخوف أن تكون قد حركنا الأخلاط بالإسهال إلى باطن البدن ، من غير أن نكون أعرجناها ، كذلك تتخوف أن تكون باستعمال القيء قد حركناها إلى ظاهر الجسم .

وأما إذا كانت الأخلاط الخامية في العضل ، وكان دم الأوراد تقيما ، فقد ينفي هاهنا ألا ننصر الأشياء القوية الإسخان ، المدة للبول ، فإنه قد أمن في هذا الموضع انتشار الخلط ، وجالينوس يستعمل هاهنا الدواء القوي ، ولن يخفى عليك علاج ما تركب من هذه الأصناف ، وكذلك أيضا

ذلك اليوم حمته بالماء المعتدل ، وغلونه بغذاء جيد الكمبوس لطيف بعد أن سقيته أيضا شراب سكتجين ، أو شراب العسل إن لم يكن مزاجه معروضا ، وذلك أن هذه الأثرية من شأنها أن تستفرغ بالبول والعرق ، وما ليس يمكن فيه أن يستحيل عن الطباع ، فإن سكن هذا العارض فقد أصبنا فيما قلنا ، من أن هذا الخلط إنما هو في العضل فقط ، وإن لم يسكن واضطرب نوم هذا العليل فهذه الأخلاط حينئذ ليست في العضل فقط ، بل وفي الأوراد ، ولذلك قد ينفي أن تثبت وتنتظر هل مع هذه الأخلاط الفاعلة للإعلاء أخلاط خامية أم لا ، وإن كانت فهل هي في الأوراد أم لا ، فننزل أولا أن ليس معها أخلاط خامية ، وأن هذه الأخلاط الفاعلة للأعضاء في الأعضاء أنفسها ، وفي الأوراد ، فيثبت أيضا ينفي أن تأمل هل معها كثرة دم أم ليس معها كثرة دم وهل تلك الأخلاط بعيدة من جوهر الدم أم ليست بعيدة ، وإن كانت مع قلة دم وهي بعيدة من جوهره ، فينفي أن تستعمل هاهنا الاستفراغ بالإسهال لنوع الخلط الذي يحتمل أنه فاعل الإعياء ، وذلك إما صغراويا كما سلف ، وإما مسودويا وإما بلغميا ملحا ، فإن الأخلاط إذا خرجت عن الطبع في كميتهما فاستفراغها يكون بالدواء الجاذب لتلك الأخلاط بأعيانها ، وأما إذا خرجت في كميتهما فاستفراغها يكون بشق العرق .

وأما إذا كانت هذه الأخلاط في الأوراد مع كثرة دم فينفي أن يستفرغ بالقصد ، ثم بالإسهال بعد ، وأما إن كان مع هذه الأخلاط في البدن أخلاط خامية نظريًا أيضا ، فإن كانت الأخلاط في الأوراد مع دم كثير ، وهي مع هذا غير بعيدة من جوهر الدم ، فينفي أيضا أن يستفرغ بالقصد ، وإسهال تلك الأخلاط ، فإنها متى كانت قريبة من جوهر الدم ، لم تكن في نهاية الغلظ فتستعصى على الدواء المسهل ، وأما إذا كانت هذه الأخلاط الخامية في الأوراد كثيرة مع دم قليل ، وهي مع هذا بعيدة من جوهر الدم فهاهنا ليس ينفي أن يشق العرق ولا أن تسهل ، وذلك أنا متى شققنا العرق هاهنا قلنا ، ومتى أيضا رمنا الاستفراغ بالدواء لم تتجنب تلك الأخلاط لغلظها ، وأيضا فإنها تتقدم فتسد المجاري عن أن يجري فيها غيرها من الأخلاط ، ووجه الحيلة فيمن هذا شأنه أن تأمره بالسكون

من ذلك شدة البرد أو الحر إلى استفرغ الفضل المناسب لتلك الخلط المتولد في ذلك الفصل .

وأما الهواء الفاسد في جملة جوهره ، فينبغي أيضا أن يقابل بالاستفرغ العام ، وبالأشياء التي تمنع الوباء بجملة جوهرها ، وتجعل الأغذية باردة يابسة ، بعيدة من العفونة بمنزلة الخل ، والمعدس ، ويخبر الهواء بالأشياء المائعة للعفونة بمنزلة القسط ، والكتندر ، والمجة ، وللقطران في ذلك تأثير كبير ، وأخذ الترياق الكبير في هذا الزمان حافظ عظيم من الوباء ، وذلك بأن يؤخذ منه نحو قيراط إلى درهم ، ويقي عليه حتى يتفهم في الأفضاء كلها ، وذلك نحو تسع ساعات ، وبالجمله فمتى تغير الهواء تغيرا ينذر بأمراض ستحدث ، فينبغي أن يتحقق من حدوث تلك الأمراض ، وذلك بالتدبير المضاد لطبيعتها ، والطين الأوميتي بالخل في الهواء الوياقي نافع وكذلك الطين المختوم وذكرنا أنه متى أخذ من الصبر جزء ، ومن الزعفران جزءه من المر جزء وسقى في أوان الوباء منه كل يوم اثني عشر قيراطا ، وذلك ست وثلاثون حبة مع أوقية خمرة معزوجة انتفع به ، وإنه لم ير أحد فعل هذا إلا سلم من الوباء ، وينبغي أن يتخير الهواء النقي الصافي المتحرك في زمان الصيف ، وذلك أن تسكن المواضع المرتفعة أو الغرف العالية إن لم تكن المواضع المرتفعة ، اللهم إلا في وقت تغير الهواء في جوهره فإنه ينبغي حيث أن تلزم البيوت المصلحة الهواء على ما وصفتنا ، وتجنب جميع الفواكه في مثل هذه الأوعية ضروري جدا ، فإن الدم المتولد عنها يجيب إلى العفونة بسرعة ، وكذلك ينبغي أن تتجنب المحوم فإنها أيضا سريعة الاستحالة إلى التتعفن ، وإن استعملت فليستعمل من ذلك الطيور الجبيلة . والحيتان في هذا الفصل من أرود شهرة ، وشراب السكتنجين الذي ماؤه ماء الورد الصادق المحموضة إذا أضيف إليه بعض البزور التي فيها إدراة وهي مع هذا باردة تسدير جيد ، في هذه الأوقات ، وتعاود تلين الطبيعة بالجمله بالأشياء اللينة في كل فصل تدبير حافظ للصحة ، بإجماع من الأطباء ، مثل التمر الهندي ، والراوند ، والبزنج ، والأهليلجات ، والخيار شبر ،

لست أحتاج أن أصف هاهنا العلامة الدالة على غلبة خلط ، خلط من هذه الخلط على البدن ، ولا مقدار كميته ، وموضعه ، فإنك قد علمت جميع هذا من كتاب العلامات (نورد هذه المادة في حرف العين إن شاء الله تعالى) فاعتمد على البول في تمييز جنس الخلط التي تكون في الأوراد ، وعلى العرق في التي تكون داخل العضل ، وذلك أيضا من لونه ، ومذاقه ، فاعتمد على الوقوف على كثرة ذلك الخلط وقتله من التدبير المتقدم ، والمزاج المناسب له ، والفضل المناسب ، وسائر الأشياء التي قبلت في كتاب العلامات .

وأما الإعياء الرومي والتملدى فهما ضرورة يكونان مع كثرة من الدم فلذلك ما ينبغي أن نقصد هؤلاء ضرورة ، وتقدر كمية ما يخرج من جهة الفضل ، والسمن ، والمزاج وينبغي أن تتفقد الأعضاء في هذا الإعياء ، فإن كان الثقل أكثر ذلك إنما هو في الرأس فافصد له التيفال ، وإن كان أكثر ذلك في الصدر فافصد له الباسليق ، وإن كان فيهما على السواء فافصد له الأكحل .

وقد بلى من هذا الجزء أن نقول كيف تحفظ الأبدان من المرض في الأهوية الخارجة عن الطبع فتقول :

إن الهواء كما قيل في غير هذا الموضع إما أن يخرج عن طبعه في كميته ، وإما أن يتغير في جملة جوهره ، وذلك بأن يتعفن ، والهواء إذا كان بهذه الصفة أعنى بأحد هذه الحالات استعدت به الأبدان لحدوث أمراض مشاكلة لتلك المزاج ، إلا أنه ليس جميع الأبدان تلقى ذلك ، وإنما يلقي ذلك منها أكثرها استعدادا ، وإلا مرض كل إنسان في الهواء الوياقي ولهذا كله الاعتماد في التنوير في هذه الأوقات إنما هو عام لجميع هذه التنافير بتفتيح السدد ، ومنع أسباب العفونة بالجمله .

وأما ما يخص صفنا صفنا من هذه التنافير الحادثة في الهواء فإنه متى خرج في أحد كميته ، فينبغي أن يقاتل ذلك بالتدبير المضاد ، مثال ذلك أنه إذا أفرط في الحر واليس لتبر بالأغذية الباردة الرطبة ، ولزمت المجالس الشمالية المعتلة الهواء بالماء والرياحين ، ونقصد أيضا إذا أمكن ، ولم يمنع

والترجيح ، والبلاط ، والرمال المصنوع بشحمه وما أشبه هذه من الأمور البنية ، مما يخرج الأخلاط الصنعية التي كونها في البدن يتولد فيه عفونة بمنزلة الخمير في العجين للخمير ، وهذا الذي قلنا في هذا الجزء من هذا العلم بحسب غرضنا في الإيجاز (الكليات في الطب ٣٣٤ - ٣٤٠) .

ولدينا منظومة « حفظ الأبدان » وهي لأمية لشير السليح خضر بن محمود بن عمر المعطوفى المرزوفى ، (المتوفى سنة ٩٤٨ هـ / ١٥٤١ م) نظمها للسلطان بايزيد وأولها : الحمد لله من أعلى المقال ... » .

— مخطوط مكتبة نور عثمانية بتركيا - رقم : ٣٤٥٦ (٢) ، الكتاب الثانى ضمن مجموع ، الأوراق : ١٨١ / ب - ١٨٣ / ب ، كتبت بخط النسخ (المعروف القليلة / ١٥٤) .

(الكليات في الطب لابن رشد - تحقيق وتعليق د. سعيد شيان ود. عمار الطائى ، مراجعة د. أبى شادى الروى / ٣٣٤ - ٣٤٠ ، والمعروف القليلة في المنظومات العربية - أ. د. جلال شوى / ٦٥٤) .

• **حفظ الأصغرین عن اعتقاد من زعم أن الحرام لا يتعدى للمعتن** :

رسالة من مجموعة التحقيقات القدسية (انظرها في موضعها) للعلامة الشرنبلالى وعدة هذه الرسائل ستون رسالة ورقمها ٥٣٤٩ ، وهذه الرسالة هي الواحدة والخمسون .

يوجد مخطوط التحقيقات القدسية بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم ٥٣٤٩

يذكر المؤلف أنه قد كثر السؤال من قول من قال : إن الحرام لا ينتقل للمعتن ونسبه لمعلم الإمام الأعظم أبى حنيفة رحمه الله ، فألف المؤلف رسالته وأدا على من قال ذلك أولها : حمدا لمن منَّ علينا بتعليم الأحكام ، وتفضل تبين الحلال والمشتبه والحرام .

آخرها : أستفيد هذا من شراح الكنز والهداية ، وفي هذا القدر كفاية لإثبات ما أردناه .

انتهت تأليفها سنة ١٠٦١ هـ .

عليها مقابل سنة ١١٥٦ هـ .

من الورقة ٤٩١ - ٤٩٨ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . ألفه الحنفى - وضع

محمد مطيع الحافظ / ١٨٣) .

• **حفظ الله** :

الحديث التاسع عشر من الأربعين النووية عن عناية الله أو حفظ الله وهو كما يلى ويتبعه شرح الشيخ عبد الله إبراهيم الأنصارى :

عن أبى العباس عبد الله بن عباس - رضى الله عنهما - قال : « كنت خلف النبى ﷺ يوما ، فقال لى : يا غلام ، إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، إن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف » رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

ترجمة الراوى :

ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ولقب بترجمان القرآن ، وكان يسمى البهر لغزارة علمه وصح أن النبى ﷺ دعا له بقوله : اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل ، روى له ألف رسالة حديث وستون حديثا ، وتوفى بالطائف سنة ثمان وستين وهو ابن إحدى وسبعين سنة وصلى عليه محمد ابن الحنفية وقال : مات والله اليوم خير [حبر] هذه الأمة .

المقدمة :

هذا الحديث حديث عظيم وأصل كبير فى رعاية حقوق الله والتفويض لأمره والتوكل عليه فى لفظ ظاهر بين سهل بسيط .

الشرح :

قوله ﷺ : « احفظ الله يحفظك » ، لى احفظ أوامره وامتنعها ، وإنته عن نواهيها ، يحفظك فى قلبياتك ودنياك وآخرتك ، قال الله تعالى : ﴿ من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجنيه حياة طيبة ﴾ [النحل : ٩٧] وما يحصل للعبد من البلاد والمصائب بسبب تفويض أوامر الله تعالى .

قال الله تعالى : ﴿ وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ﴾ [الشورى : ٣٠] .

قوله ﷻ : ﴿ تجده تجاحك ﴾ ، أى أمامك ، قال ﷻ : «تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة» وقد نص الله تعالى فى كتابه : أن العمل الصالح ينفع فى الشدة وينجى فاعله ، وأن عمل المصائب يؤدى بمصاحبه إلى الشدة ، قال الله تعالى حكاية عن يونس - عليه الصلاة والسلام - : ﴿ فلو لا أنه كان من المسيحين - للبت فى بطنه إلى يوم يمشون ﴾ [الصفافات : ١٤٣ ، ١٤٤] ولما قال فرعون : ﴿ أمتت أنه لا إله إلا الذى أمتت به بنو إسرائيل ﴾ [يونس : ٩٠] قال له الملك : ﴿ الآن ، وقد صبحت قبل وكنت من المفسدين ﴾ [يونس : ٩١] وقوله ﷻ : ﴿ إذا سألت فاسأل الله ﴾ إشارة إلى أن العبد لا ينبغي له أن يعلق سره بغير الله ، بل يتوكل عليه فى سائر أموره ، ثم إن كانت الحاجة التى يسألها لم تجر العادة بجريئها على أيدي خلقه ، كطلب الهداية والعلم والفهم فى القرآن والسنة وشفاء المرض وحصول المافية من بلاء الدنيا وعلاب الأخرة ، سأل ربه ذلك ، وإن كانت الحاجة التى يسألها جرت العادة أن الله سبحانه وتعالى يجريها على أيدي خلقه ، كالحاجات المتعلقة بأصحاب المحرف والصانع وولاية الأمور ، سأل الله تعالى أن يعطف عليه قلوبهم فيقول : اللهم أحسن علينا قلوب عبادك وإمائك وما أشبه ذلك ، ولا يدعو الله تعالى باستغنا عن الخلق ، لأنه ﷻ سمع عليا يقول : «اللهم أغننا عن خلقك» ، فقال : « لا تقل هكذا ، فإن الخلق يحتاج بعضهم إلى بعض ولكن قل : اللهم أغننا عن شرار خلقك » . وأما سؤال الخلق والاعتماد عليهم فمعلوم ، ويروى عن الله تعالى فى الكتب المنزلة : أيقظ بالخواطر باب غيضى وبابى مفتوح ؟ أم هل يؤمل للشدائد سوى وأنا الملك القادر ؟ لا كسبون من أمل غيضى ثوب المليلة بين الناس ... إلخ قوله : « وأعلم أن الأمانة ... إلخ » لما كان الإنسان قد يطمع فى بر من يحبه ، ويخاف شر من يحلوه قطع الله اليأس من تقى الخلق بقوله : ﴿ وإن يمسك الله بضرب فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله ﴾ [يونس : ١٠٧] كولا ينأى هذا كله قوله تعالى حكاية عن موسى - عليه الصلاة والسلام - : ﴿ فأخاف أن يقتلون ﴾ [الشعراء : ١٤] وقوله تعالى : ﴿ إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى ﴾ [طه : ٤٥]

وكذا قوله تعالى : ﴿ خفوا حركم ﴾ [النساء : ٧١] إلى غير ذلك ، بل السلامة بقدر الله والعطب بقدر الله ، والإنسان يفر من أسباب العطب إلى أسباب السلامة ، قال الله تعالى : ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ [النساء : ١٠٢] ، قوله ﷻ : «وأعلم أن النصر مع الصبر» ، قال ﷻ : « لا تمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية ، فإذا لقيتموهم فاصبروا ولا تغربوا ، فإن الله مع الصابرين » وكذلك الصبر على الأذى فى موطن يعقبه النصر ، قوله ﷻ : « وإن الفرج مع الكرب » والكرب هو شدة البلاء ، فإذا أشد البلاء أعقبه الله تعالى بالفرج . كما قيل : « اشتدى أزمة تنفجرى » ، قوله ﷻ : « وإن مع العسر يسرا » قد جاء فى حديث آخر أنه ﷻ قال : «لن يغلّب عسر يسرين» ، وذلك أن الله تعالى ذكر العسر مرتين وذكر اليسر مرتين ، لكن عند العرب أن المعرفة إذا أعيدت معرفة توحدت ، لأن اللام الثانية للعهد ، وإذا أعيدت التكررة تكرة تعددت فالعسر ذكر مرتين معرفا ، واليسر مرتين منكرا فكان قال ﷻ : «لن يغلّب عسر يسرين» (رواه الحاكم مرسل عن الحسن) .

أذكار الحديث

- ١ - من حافظ على أوامر الله حفظه الله فى الدنيا والأخرة .
- ٢ - من امتثل أوامر الله أخرجه الله من الشدة .
- ٣ - من أراد أن يسأل فليسال الله .
- ٤ - إن بعد كل كرب فرجا .
- ٥ - أن بعد كل عسر يسرا .
- ٦ - لن يصيب الإنسان إلا ما كتب الله له .

فقه الحديث

- ١ - ما من مصيبة تنزل إلا بما اقترفت يداه .
- ٢ - الأعمال الصالحة ترفع البلاء .
- ٣ - التوجه إلى الله فى كل حاجة (شرح من الأربعين النووية / ٧٦-٧٣) .

ويشرح هذا الحديث النبوى الشريف أيضا الإمام ابن دقيق العيد فيقول بادئا برواية أخرى غير الترمذى :

وفى رواية غير الترمذى « احفظ الله تجده أمامك ، تمركب إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة ، وأعلم أن ما أعطاك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك ، وأعلم أن

النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا .

مناب عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أكثر من أن تحصر وقد دعا له النبي ﷺ فقال « اللهم قهه في الدين وعلمه التأويل » ودعا له بأن يؤتى الحكمة مرتين ، وثبت عنه أنه رأى جبريل مرتين . وهو بحر هذه الأمة وحبرها : وقد رآه رسول الله ﷺ أهلاً للوصية مع صفه فقال له « احفظ الله يحفظك » و معناه : كن مطيعاً لربك ، مؤتمراً بأوامره ، منتهياً عن نواهيهِ . وقوله « احفظ الله تجده تجاهك » أى اعمل له بالطاعة ولا يراك في مخالفة ، فإِذْ تجده تجاهك في الشدائد كما جرى للثلاثة الذين أصابهم المطر فأولوا إلى غار فانهزلت صخرة فأنطقت عليهم ، فقالوا : انظروا ما عملتم من الأعمال الصالحة فأسألكم الله تعالى بها . فإنه ينجيكم ، فذكر كل واحد منهم سابقة سبقت له مع ربه ، فانهزلت عنهم الصخرة فخرجوا يمشون وقصتهم مشهورة في الصحيح وقوله ﷺ « إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله » أرشده إلى التوكل على مولاه ، وأن لا يتخذ إلهاً سواه ، ولا يتعلق بغيره في جميع أموره ما قلَّ منها وما كثُر ، وقال الله تعالى « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » [الطلاق : ٣] فيقدر ما يركز الشخص إلى غير الله تعالى بطلبه أو بقلبه أو بأمله فقد أعرض عن ربه بمن لا يضره ولا ينفعه ؛ وكذلك الخوف من غير الله . وقد أكد النبي ﷺ ذلك فقال «واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وكذلك في الضر وهذا هو الإيمان بالقدر . والإيمان به واجب خيره وشره . وإذا يقن المؤمن هذا ؛ فما فائدة سؤال غير الله والاستعانة به ؟ وكذلك إجابة الخليل عليه الصلاة والسلام جبريل عليه السلام حين سأله وهو في الهواء : ألك حاجة ؟ قال : أما إليك فلا . وقوله « رُميت الأقاليم وجفت الصحف » هذا تأكيد أيضاً لما تقدم : أى لا يكون خلاف ما ذكرت لك بنسخ ولا تبديل .

ثم قال « واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا » فنهى على أن الإنسان في الدنيا - ولا سيما الصالحون - معرضون للمصائب ، لقوله عز وجل

﴿ ولتبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والزمرات ويشر الصابرين ﴾ السابن إذا أصابهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ﴿ أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾ [البقرة : ١٥٥ - ١٥٧] وقال تعالى ﴿ إنا يؤتى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ [الزمر : ١٠] [شرح الأربعين النووية / ٥٠-٥٢] .

(شرح متن الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية للإمام يحيى بن شرف الدين السوى - عبد الله إبراهيم الأنصارى / ٧٣-٧٦ ، وشرح الأربعين النووية - الإمام العلامة ابن دقيق العيد / ٥٠-٥٢) .

• حفظ الله خان الجنوتي (الأمير) :

من أمراء العرب في الهند .

الأمير الفاضل حفظ الله بن سعد الله التميمي الجنوتي - كان من الرجال المعروفين بالفضل والصلاح .

وله السلطان عالمكير بن شاهجهان أميراً على بلاد (كشمير) سنة ثمان وتسعين وألف فبقي بها أربع سنين فأصلح الأمور وقطع دابر الفساد ثم ذهب إلى بلدة (جمون) وقتضها بالقوة ثم ذهب إلى معسكر السلطان المذكور فولاه أميراً على بلدة « سيوستان » سنة ثلاث ومائة وألف فبقي بها المنصب مدة حياته .

وكان عادلاً سخياً كريماً يدهو على مائته يوم مولد النبي عليه الصلاة والسلام ألفاً رجل ، ويصب الماء على يد الضيوف بنفسه . وكان من كبار الشعراء .

مات ببلدة « سيوستان » سنة اثنتي عشرة ومائة وألف فأرخ لموته السيد غلام علي البلكرامى من قوله تعالى ﴿ فلهم جنات المأوى نزلاً بما كانوا يعملون ﴾ [السجدة : ١٩] .

(ملك وأسراء العرب في شبه القارة الهندية - يونس الشيخ إبراهيم السمراتى / ٥٢ من ترمذ الخواطر ٦ / ٧٤ ، ٧٥) .

• حفظ الأوقات :

من الرصاييا التسع التي أحصاها صاحب منظومة « هداية الأكدياء » ، وجاءت فيها الآيات التالية نقلها مع شرح السيد بكري المكى ، فهو شرح ممزوج ، وتتميز آيات المنظومة بوضوحها بين قوسين ، وقد حذفت إعراب الآيات :

(واصبر إلى الطاعات وقتك كله)

لا تترك وقتك متى ما هلك (لا تترك وقتك متى ما هلك)
يعنى يجب عليك أن تصرف وقتك كله فى الطاعات وأن
تترك فضول الكلام وكل ما لا يعنىك قال عليه السلام « من
حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » فإذا رأيت نفسك تتطلع
إلى كلام الناس وملفاتهم من غير حاجة وضرورة فاعلم أن
ذلك فضول ساقه إليك الفراغ والبطر فإذا لزمت العبادة وجعلت
حلاوة المناجاة واستأنست بكتاب الله واشتغلت عن الخلق
واستوحشت من صحبتهم وكلامهم ويجب عليك أن لا تترك
أوقاتك متى أى مهمة متساهلا فيها لأنك إن تركتها كذلك
صبرت كالبهايم لا تدري ما تشغل به فيقتضى أكثر أوقاتك
فناصا فتخسر خسارنا مينا فإن أوقاتك عسرك وعمرك رأس
مالك وعلم تجارتك وبه وصولك إلى النعيم المؤبد فى جوار
الله تعالى فكل نفس من أنفاسك جوهر لا قيمة له وإذا فات لا
عود له فينبغى أن لا تفرح إلا بزيادة علم أو عمل صالح فإنهما
رفيقاك يصحبانك فى القبر حيث يتخلف عنك أهلك ومالك
وأولادك وأصدقائك .

(وتصبر أوقات المباح بنهية)

مصروقة فى الخير فاصبر بـلا ابتلا
هذه الجملة واقعة فى جواب سؤال ناشئ مما قبله تقديره
كيف تأمرنا بصرف جميع الأوقات فى الطاعات مع أن ذلك
لا يتأتى إذ لا بد لنا من فعل المباح كأكول وشرب ونوم وغير
ذلك . وحاصل الجواب أن ذلك يأتى بالنهية إذ المباح يتقلب
طاعة بها كما قال ابن رسلان :

لكن إذا نوى بأكله القسوى

طاعة الله له ما قد نوى
فإذا نوى بالأكل والشرب التقوى على العبادة لا
الاستلذاذ وبالنوم دفع الملل والسآمة فى العبادة لا إراحة
النفس ... إنقلب ذلك طاعة تثاب عليها . وإعلم أنه
يتضاعف العمل الواحد بقدر النيات فيه كجلوس فى المسجد
بنية الاختكاف وانتظار الصلاة والخلوقة من شواغل القلب
والعزلة عن الناس والذكر وقراءة القرآن ونية حفظ السمع

والبصر واللسان عما لا يعنيه وعمارته المسجد بالذكر فينبغى
للإنسان أن يستحضر عند كل عمل النيات الصالحة فيه لأجل
المضاعفة .

(وزع بعسبون الله وقتك واصبر)

كـلا بـسا هو لائق مبتـلا
لما أمر أولا بصرف جميع الأوقات فى الطاعات ذكر ما
يعين على ذلك فقال وزع ... إلخ يعنى وزع أوقاتك وفصلها
وحدها واصرف كل وقت فى طاعة معينة ورتب الأوراد
والوظائف عليك وعين لكل وقت شغلا لا يتعداه، والسبب
فى الأمر بتوزيع الأوقات إلى الطاعات أن النفس إذا وردت
على نمط واحد من الطاعات أظهرت الملل والاستفحال
لكونها مجبولة على السآمة فكان من اللطف بها أن تروح
بالنقل من نوع إلى نوع آخر بحسب كل وقت لتزهد لذتها
وتعظم باللذة ورغبتها ويدوم بدوام الرغبة مواظبتها فلذلك تقسم
الأوراد قسمة مختلفة والذكر والفكر ينبغى أن يستغرق جميع
الأوقات وأكثرها فإن النفس مائلة بطبيعتها إلى ملاذ الدنيا قال
الإمام الغزالي فى الإحياء : فمن أراد أن يدخل الجنة بغير
حساب فليستغرق جميع أوقاته بالطاعة ومن أراد أن ترجع
كفة حسنة وينقل موازين غيراته فليستوعب فى الطاعة أكثر
أوقاته فإن خلط عملا صالحا وآخر سيئا فأمره مخطر ولكن
الرجاء غير منقطع والعفو من كرم الله منتظر فمضى الله أن يفر
له بوجوه وكرمه .

(فإذا بدا فجر فصل تخشعا)

متسبـرا لـقـرامه ومـكـمـلا
هنا تفصيل وشرح للبيت السابق بين به كيفية توزيع
الأوقات وصرفها فى الطاعات، والمعنى إذا ظهر الفجر أى
الصادق فصل سنة الصبح وفرغه حال كونك متخشعا متديرا
لما تفرقه فى صلاتك أى تأمل فى معانيه مكمل لها بأن تأتى
بجميع السنن والهيئات والآداب، والتخشع : تكلف الخشوع
وقد اختلفوا فى تفسيره فقيل هو غش البصر وخفض الصوت
وقيل أن لا يلتفت العصى يميننا وشمالا وقيل أن لا يعرف من
عن يمينه ولا من عن يساره وقيل هو جمع الهمة والإعراض

الليل ركعات ثم نام فرأى قصرا عظيما مشيدا عاليا فأسعجه ذلك القصر فقال ليت شعري لمن هذا القصر ؟ فقيل له إنه لك وأنه ثواب ركعاتك البارحة فمضى حوله فوجد منه نحو شرافتين قد سقطتا فقال لو كانتا عليه لكان أحسن فقيل لهما كانتا عليه ولكنك التفت وأنت تصلي فسقطتا . حكى عن ربيعة العلوية رضى الله عنها أنها أتت بركعات من الليل ثم نامت فرفعت لها شجرة حسنة المنظر طيبة الرائحة خضرة الأوراق بساقية الفروع عليها ثمر ... يلمعن في الضحى كالشموس وفي الدجى كالأكمار فأعجبتهما فقالت ليت شعري لمن هذه الشجرة فقيل لها إنها لك وإنها ثواب ركعاتك التي صليتني البارحة فذنت منها ومثت تحتها فوجدت قد تساقط منها ثمرة كلون الذهب الإبريز فقالت لو كانت هذه الثمرة الساقطة عليها كان أحسن فقيل لها إنها كانت عليها لكنت تفكرت وأنت في الصلاة في العجبين هل اختصر أم لا فسقطت هذه من عليها .

(لا تترك جماعته قد فطمت)

بالسبع والعشرين من فضل صلاة
ولم تتعلم أن تكون تسيماهل
في مثل هذا الأربع عشر أجهاا

لما كانت الجماعة في الصلاة من أهم ما يطلب فيها لما ورد فيها من الثواب الجزيل وفي تركها من الوعيد الشديد صرح بالتهن عن تركها فقال لا تترك إنك يعني لا تترك الجماعة في المكتوبات الخمس لأن الصلاة مع الجماعة تفضل على صلاة الفرد أى المنفرد بسبع وعشرين درجة وقيل بخمس وعشرين درجة كما أخبر بذلك عليه الصلاة والسلام وقال ﷺ « ما من صلاة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الجماعة إلا استحوذ عليهم الشيطان » أى غلب « فليكن بالجماعة فإنما يأكل اللذ من الغنم القاصية » رواه أبو داود والنسائي وصححه ابن حبان والحاكم وقال ﷺ « صلاة الرجل مع الرجل أزكى من صلاته وحده وصلاته مع الرجلين أزكى من صلاته مع الرجل وما كان أكثر فهو أحب إلى الله » رواه أبو داود وغيره وصححه ابن حبان وغيره وقال بعض السلف إذا

عما سوى الصلاة وهذا الأخير هو التحقيق لأنه عبارة عن عمل الجوارح وعمل القلب فيكون المصلى خاشعا بقلبه بأن لا يحضر فيه غير ما هو فيه ويجوارحه بأن لا يبحث بواحد منها واعلم أنه مما يحصل المشغوع استحضاره أنه بين يدي ملك الملوك الذى يعلم السر وأخفى وأنه يتابعه وأنه ربما تجلى عليه إذا لم يشغ بصفة القهر فرد عليه صلاته وعاقبه .

(واجهد لتحضر في صلاتك قليلا)

جهدا قليلا كي تتسالك فضائله
يعنى اجتهد وإبذل الوسع في صلاتك اجتهدا بقلبك لأجل أن تحضر قلبك فيها فتتلك الفضائل قال ﷺ « إن العبد ليصلى الصلاة لا يكتب له سدسها ولا عشرها وإنما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها » ومن الحسن البصري أنه قال : كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي إلى العقوبة أسرع وقال النيسابورى الصلاة أربعة أشياء حضور وشهود وخضوع وخشوع فالحضور بالتحسن فمن لم يحضر بالتحسن فهو ساه ومن لم يشهد بالقلب فهو لاه ومن لم يخضع بالركن فهو واه ومن لم يشغ بالسر فهو ضاه قال تعالى ﴿ قد أفطع للمؤمنين ﴾ الذين هم في صلاتهم خاشعون ﴿ [المؤمنون : ٢٤١] ﴾ وقد أنشد الشيخ أبو حيان فى ذم من يتنى إلى الفلاسفة فقال :

وما انتسبوا إلى الإسلام إلا
لصبون مصلاتهم أن لا تسلا
فيأتون الدنيا كرمى نساط

ويأتون الصلاة وهم كمالى
ثم ذكر الناظم ما يعين على حضور القلب في الصلاة فقال :

(لا تنس أن الله ناظر صلاتك قليلا
وحضوره وشهوده لك فإيجلا)

أى إذا قمت إلى الصلاة فلا تنس أن الله ناظر إلى قلبك ومطلع عليه وأنه حاضر مشاهد لك وقوله فإيجلا أى خف من الله أن يرى قلبك غافلا في صلاتك فإنه يش الصنيع . (لطيفة) حكى عن شخص من أشياخ الطريقة أنه صلى من

التي وردت في فضلها إلى طلوع الشمس، قال عليه السلام :
« من صلى الفجر في جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت كأجر حجة وعمره تامة »
تامة قال حجة الإسلام الغزالي إن هذا الوقت أعنى ما بين
طلوع الفجر إلى طلوع الشمس وقت شريف ويدل على شرفه
وفضله إقسام الله تعالى به إذ قال ﴿ والصبح إذا تنفس ﴾
[التكوير : ١٨] وتعلمه به إذ قال ﴿ فالحق الإصباح ﴾
[الأنعام : ٩٦] وإرشاده الناس إلى التسبيح فيه بقوله تعالى
﴿ فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ﴾ [طه :
١٣٠] وقوله عز وجل ﴿ ومن آتاه الليل فسبح وأطراف النهار
لعلك ترضى ﴾ [طه : ١٣٠] وقوله تعالى ﴿ واذكر اسم ربك
بكراً وأصيلاً ﴾ [الإنسان : ٢٥] وإذا ظهر فضل ذلك فليقعد
ولا يتكلم إلى طلوع الشمس بل يبنئ أن تكون وظيفته إلى
الطلوع أربعة أنواع : أدعية وأذكار ويكرها في سبحة وقراءة
قرآن وتفكر وكيفية ترجع إلى فئتين :

أحدهما أن يتفكر فيه يتفقه من المعاملة بأن يحاسب
نفسه فيما سبق من تقصيره ثم يرتب وذاقته في يومه الذي بين
يده ويذكر في دفع الصواب والحوادث الشاغلة له عن الخير
ويتذكر تقصيره وما يتطرق إليه خلل من أعماله ليصلحه
ويحضر في قلبه النيات الصالحة من أعماله في نفسه وفي
معاملة للمسلمين .

الفن الثاني : فيما يتفقه في علم المكاشفة وذلك بأن
يتفكر مرة في نعم الله تعالى وتوابع آلائه الظاهرة والباطنة ليزيد
معرفة بها ويكثر شكره عليها له ، وفي عقوباته ونقصاته ليزيد
معرفة بقدرة الإله واستغناؤه ويزيد خوفه منها ومهما تيسر
الفكر فهو أشرف العبادات إذ فيه معنى الذكر لله تعالى وزيادة
أمرين أحدهما زيادة المعرفة إذ الفكر مفتاح المعرفة
والكشف والثاني زيادة المحبة إذ لا يحب القلب إلا من اعتد
تعليمه ولا تنكشف عظمة الله سبحانه وجلاله إلا بمعرفة
صفاته ومعرفة قدرته وصغائب أفعاله فيحصل من الفكر
المعرفة ومن المعرفة التعظيم ومن التعظيم المحبة اهـ .
ملخصاً وقوله لا تتكلم إن يخبرك بكيفية اشتغاله بالورد أي
وكيفية أن لا تتكلم في هذا الوقت وأن تكون مستقبلاً للقبلة

قامت الجماعة نظر الله إلى قلب الإمام إن كان فيه خير رضى
عنهم وقيل صلاتهم وشكرهم وإن لم يكن فيه خير نظر إلى
قلوب المأمومين فإن كان فيهم من في قلبه خير رضى عنهم
وقيل صلاتهم ، وإن لم يكن فيهم من في قلبه خير نظر إلى
اجتماعهم في الصلاة وإلى قيامهم بين يديه فيرضى عنهم
ويقبل صلاتهم ويغفر لهم .

وقوله : ولمّ العلم ... إلخ أي ولأى شيء التعلم للعلم .
إن تكن تتساهل في مثل هذا الريح الكبير الذي هو فائدة
رأس مال تجارة الآخرة وذلك لأنه لا فائدة لك في طلب العلم
الذي تزم أنك حريص على اقتباسه فلماذا تهمسه العلم النافع
العمل به ومن أفضله صلاة الجماعة في المسجد فإن تعذرت
فيه ففى بيتك لا سيما مع أهلك تحصيلاً لثوابها لهم وتمرينا
لهم عليها .

طريقة : حكى أن رجلاً أحمى كان مولماً بصلاة الجماعة
قيأتيها من غير شكك يقوده فيقوم يوماً في الطريق فشجبت رأسه
فحمل إلى داره فقالت زوجته يا هذا إن صلاة الجماعة خير
واجبة عليك وأنت على تلك الحالة فقال لها إن كان الله تعالى
قد أخذ نور بعصري فقد أبقي على نور قلبى فلا أنقطع عن
الجماعة فنام تلك الليلة فرأى النبي ﷺ في منامه فقال له لم
تشاجرت مع زوجتك ؟ فقال من أجل اتباع سنتك يا رسول الله
فمصح رسول الله ﷺ بيده الكريمة على عينيه فعاد بصيراً ببركة
النبي ﷺ وبركة سنته ...

(ثم اشتغل بالسجود لا تتكلمن)

مستقبلاً وسبراً قبلاً ومهللاً

بطريقاً مهيولة لمشايخ

لنرى به نارا ونورا خاصلاً

فيضه وجهه القلب بالسجود الجلى

ويصلى مسلموم الأطباء زللاً

تنصير أملاً للمشاهدة الثنى

هى نعمة عظمى فنسبر متأهلاً)

يعنى ثم إذا فرغت من صلاة الصبح مراعيماً للآداب
المتقدمة فاشغل بالورد من الأذكار والتسبيح والأدعية والآيات

والصلاة على النبي ﷺ، وذكر العلامة سيدي عبد الرحمن بن مصطفى العبدوس نزول مصر في شرحه على صلاة سيدي أحمد البوي وفي كتابه المسمى مرة الشمس في مناقب آل العبدوس أنه يقدم المبرورين في آخر الزمان ويعصر ما يصل إلى الله تعالى إلا الصلاة على النبي ﷺ مناماً ويقظة وأن جميع الأعمال منها المقبول ومنها المردود إلا الصلاة على النبي ﷺ فإنه مقطوع بقبولها إكراماً له ﷺ وحكي اتفاق العلماء على ذلك .

(حتى إذا شمس بسلت كرميحبنا
صلى للإشراق وقمرأتنا
حزبنا فأكرم بكمات مع أدب
وحضور قلب غاشما وسرنا)

حتى : تضرعية والفرع عليه محذوف : أي ولا يزال مشتغلاً بالود إلى طلوع الشمس فإذا طلعت كرمع صلى وكنى الإشراق بنية الإشراق يقرأ في الأولى بعد الفاتحة ﴿ الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأشكال للناس والله بكل شيء عليم ﴾ [النور : ٣٥] وفي الثانية ﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغلو والأصصال ﴾ رجالاً لتلهيهم تجارة ولا بيع من ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ﴿ ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يورق من يشاء يغير حساب ﴾ [النور : ٣٦ - ٣٨] واختلفوا هل صلاة الإشراق هي صلاة الضحى أو غيرها ؟ ذهب بعضهم إلى الأول وبعضهم إلى الثاني وعليه جري الناظم لأنه ذكر هنا صلاة الإشراق وسبكر صلاة الضحى ثم إذا فرغ من الصلاة المذكورة تلا قرآنًا حزباً واحداً أو أكثر فهو خير في ذلك ويكون كرامته باتعاض بها ولا يحصل إلا بالتأخير فيها ، قال سيدنا علي كرم الله وجهه : لا خير في عبادته لا فقه فيها ولا في قراءة لا تدبر فيها ، وتكون أيضاً مع الأدب فيها بأن يصون جوارحه من العبث حال القراءة ويكون على طهارة مستقبلاً للقبلة وأن يلبس أنظف ثيابه وأن يتعمم ويتطيلس وأن يكون

ومراقباً والمراقبة علم القلب بنظر الله إليك ومهلاً أي قاتلاً لا إله إلا الله على الطريقة أي الكيفية الموهودة للمشايخ تفعنا الله بتراب أقدامهم وأملنا بخدمهم وذلك لأن للذكر طريقتان كثيرة وكيفيات عديدة عند المشايخ منها أن يبدأ بقول لا إله من فم القلب كأنه يخرج منه ما سوى الله ويدمق العنق والرأس إلى الجانب الأيمن ثم الأيسر ويضرب بكلمة إلا الله على فم القلب كأنه يدخل فيه شيئاً من أنوار الله تعالى ويجهز بصوت الربط وهو الضرب بكلمة التوحيد في القلب للحمى الصنوبري ، ثم على الإتيان بالتهايل على طريقة المشايخ بقوله لتسرى به ناراً ونوراً حاصلًا فكانه قال وابتدأ بالتهايل على ما ذكر لأجل أن ترى ناراً ونوراً والمراد بنار الذكر تخلي القلب من الكدورات النفسانية وينوره تخلي القلب بالأنوار المستزمنة لصفاء الروح والأسرار والثاني تابع للأول فأولاً تصل حرارة نار الذكر إلى القلب وتحرق كل وصف ذم فيه ثم يظهر فيه نور التجلي من حفرة المتجلي وهذا هو المراد بقوله فيضيه وجهه ... إلخ أي إذا حصل في القلب نار السكر ونوره يضيء وجه القلب أي ذاته بالنور الجلي أي الواضح الحاصل من تأثير نار الذكر ويعبر مضمون الطباع أي الملموم من الطباع أي أوصاف الطبيعة زائلة عن النفس وإذا زالت من قلب الأوصاف الذميمة وتحل بالأوصاف الحميدة زدت نوراً على نور وصرت أهلاً للمشاهدة التي هي نعمة عظيمة عليك فعملى قدر المواظبة على الذكر بشرافه تظهر النتيجة .

تنبيه : قد علم مما تقرر أنه لا بد للمريد من ذكر وورد يواظب عليه لأن الذكر يكون كالمصباح في يده يستضيء به وتحصل الواردات في قلبه بقدر ذكره وورده قال سيدي الشيخ عبد الرحمن السقايف : من لا له ورد فهو قرد ومن ليس له أذكاء فليس بذكر ومن لا يطالع الإحياء ليس له حياة ومن لم يقرأ المذهب ما عرف المذهب ومن لا له أدب فهو ودب، ويتخذ المريد ما يأمره به شيخه من الأذكار وإذا فقد الشيخ المرشد فالأذكار النبوية الواردة عن النبي ﷺ هي أفضل من غيرها ويكفي منها الورد اللطيف للقلب للحداد فإن الأذكار التي فيه هي أهميات الأذكار الماثورة وكلما يكفيه تلاوة القرآن

وكرر نصبه وشغله وقلت راحته وبطالته ، وقال وهب بن الورد نظرتنا في هذه الأحاديث والمواضع فلم نجد شيئا أرق للقلوب ولا أشد استجلا للحنن من قراءة القرآن وتفهمه وتدبره . وإنما كان غلاء البطن من الأدوية أيضا لأن فيه راحة القلب والسلامة من الطغيان والبطر وخفة البدن للعبادات ودفع الأمراض وفي الشيع أمدادها وقد ورد في مدح الجوع وذم الشيع أحاديث كثيرة ذكرها السيوطي في لباب الحديث منها قوله **« سيد العمل الجوع »** ومنها قوله عليه الصلاة والسلام **« الجوع من العبادة »** ومنها قوله عليه الصلاة والسلام **« أحيا قلوبكم بقلة الضحك وقلة الشيع وطهروها بالجوع تصفون وترق »** وقوله عليه الصلاة والسلام **« أقربكم مني يوم القيامة أكثركم جوعا وتفكرا »** وقوله عليه الصلاة والسلام **« من كثر طعامه كثر عذابه »** وقوله عليه الصلاة والسلام **« لا صحة مع كثرة النوم ولا صحة مع كثرة الأكل ولا شفاء بحرام »** وقوله عليه الصلاة والسلام **« ثلاثة تورث قسوة القلب حب النوم وحسب الراحة وحسب الأكل »** وقوله عليه الصلاة والسلام **« من شبع في الدنيا جاع يوم القيامة ومن جاع في الدنيا شبع يوم القيامة »** وسيذكر الناظم آفات الشيع .

قالت المؤلفة : أوردنا النظم المشار إليه في مادة « آفات الشيع » في م ١ / ٤٧٨ - ٤٨٠ فانظرها في موضعها .

وإنما كان قيام الليل من الأدوية أيضا لأنه مذهب كيد الشيطان ونزاع الإثم ودافع الداء عن الجسد ومرضى الرب وذاب الصالحين والمراد بقيام الليل فعل العبادة فيه بصلاة أو غيرها كما ذكره الصاوي في تفسير قوله تعالى ﴿ يا أيها المزمل ﴾ **« قم الليل »** [المزمل : ١ ، ٢] فقال : المعنى قم للصلاة والعبادة قال الحبيب عبد الله الحيدري نصابه : واعلم أن قيام الليل من أثقل شيء على النفس ولا سيما بعد النوم وإنما يصير خفيفا بالاعتقاد والمداومة والصبر على المشقة والمكاشفة في أول الأمر ثم بعد ذلك يفتح باب الأنى بالله تعالى وحلاوة المناجاة له ولذة الخلوة به عز وجل وعند ذلك لا يشيع الإنسان من القيام فضلا عن أن يستقله أو يكسل عنه كما وقع ذلك للصالحين من عباد الله حتى قال قائلهم : إن كان أهل الجنة في مثل ما نحن فيه بالليل إنهم لفي عيش

مع حضور القلب بحيث يبعد عنه حديث النفس وأن يكون خاشعا كأنه يقرأ على الله وهو ناظر إليه يستمع منه أو كأن الله يتكلم معه ويخاطبه بإنعامه وإحسانه قال رسول الله ﷺ « اقرأوا القرآن وابتكروا غنم فإن ابتكروا فتباكوا » وأن يقرأ مرثلا قراءته لأن الترتيل يحين على التدبر وهو تبيين الحروف وفصل كل كلمة عن آخرها وإخراج كل حرف من مخرجه والوقف في محله .

(ودواء قلب غمسة لتبصروا)

تبصروا المعنى والمبطن الغملا
وتبصروا ليل والتبصر بالسر

ومجالسات الصالحين (التبصروا)

لما ذكر فيما تقدم أنه إذا صلى الإشراف يقرأ قرآنا مشتملا على ما مر من الحضور وغيره ذكر هنا ما تمين ملاحظته على تلاوته والمواظبة عليه وهو أنه من جملة أدوية القلب الخمسة فقال مصرحاه وبساتير الأدوية ودواء قلب غمسة ... إلخ يعنى أن دواء القلب أى أسباب صلاحه الذى إذا وجد وجد صلاح سائر الأعضاء كما أخبر بذلك عليه الصلاة والسلام غمسة أشياء : أولها تلاوة القرآن ، وثانيها إخلاء البطن ، وثالثها قيام الليل ، ورابعها التبصر وقت السحر ، وخامسها مجالسة الصالحين ، وقد نظمها بعضهم في قوله :

دواء قلبك خمس غمسة تسوتك

فدم عليها تنز بالخير والظفر
غملا بطن وتبصروا تبصروا

كذا تبصروا بآك ساعة السحر

كذا قيامك جنت الليل أو سطه

وأن تبصروا أهل الخير والخير

وزاد بعضهم سادسا وهو أكل الحلال قال وهو رأسها ،

وقد قيل إذا صمت فانظر على طعام من تقطر فإن الرجل

ليأكل الأكلة فتشغل قلبه كالسم فلا يتفكر أبدا . وإنما كانت

تلاوة القرآن العظيم من أدوية القلب لأنه ينشرب بها ويستتير

ويحصل له الخشية والحنن لكن بشرط مراعاة الآداب السابقة

واللاحقة ، قال الحسن البصري : وأما أصبح اليوم عبد يتلو

القرآن يؤمن به إلا وكثر حزنه وقل فرجه وكثر بكائه وقل ضحكته

زين الدين بن علي المبري ثم الملياري / ٤٥-٥٥ .

• حفظ الثقة :

في علم مصطلح الحديث : حفظ الثقة لما يقرأه على الشيخ .

(معجم مصطلحات توثيق الحديث - د. علي زوين / ٣٢) .

• حفظ الصحة :

من مصنفات التراث الإسلامي في الطب .

مخطوط في مكتبة المتحف العراقي .

الرقم ٢٥٨٧٢

لملى ناصح بن محمد الطبيب السعدي المتوفى سنة ١٣٦٣ هـ / ١٩٤٣ م .

وهو كتاب باللغة العربية في تعريف علم حفظ الصحة والماكولات والمشروبات والألبسة وغيرها من الأمور المتعلقة بالصحة كتبت بخط المؤلف في أولها فهرس (مخطوطات/ ٩١) وهناك مخطوط آخر لنفس المؤلف بنفس العنوان .

الرقم ٢٥٨٦٤

الأول : « سبحانك اللهم يا قديوس ... » .

وهو الجزء السابع عشر من دائرة المعارف الطبية (انظرها في موضعها) وكتب هذا الجزء باللغة العربية (مخطوطات / ٩١ ، ٩٢) .

(مخطوطات الطب والصيلة والبيطرة في مكتبة المتحف العراقي - أسامة ناصر التفتنبدى / ٩١ ، ٩٢) .

• حفظ الصحة (علم) :

تعنى مصنفات التراث الإسلامي في الطب بعلم حفظ الصحة وتولييه اهتمامها ، وقد أورد ابن رشد ، وابن النفيس وابن سينا وغيرهم .

أما ابن رشد فيقول :

هذا الجزء هو أشرف الغائتين المطولتين بهذه الصناعة ، وهو بالجملة ينقسم أولاً إلى قسمين أحدهما يقال فيه كيف تحفظ الصحة والأخر كيف تبطل الاستعدادات للأمراض المتكونة في الأبدان الصحيحة ، وكان هذا الجزء هو وسط بين

طيب ، وقال آخر منذ أربعين سنة ما غمى شيء إلا طلوع الفجر . وقال آخر أهل الليل في ليالهم أئذ من أمل اللهو في لهورهم ، وقال آخر لولا قيام الليل وملاقة الإخوان في الله ما أحببت البقاء في الدنيا وأخبارهم في ذلك كثيرة مشهورة وقد صلى خلائق منهم الفجر بسؤسه العشاء رضى الله عنهم ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾ [الأنعام : ٩٠] فعليك رحمك الله بقيام الليل والمحافظة عليه وبالاستكثار منه « و » كن من ﴿ عباده الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ﴾ والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما ﴾ [الفرقان : ٦٣ ، ٦٤] واتصف ببقية أوصافهم التي وصفهم الله بها في هذه الآيات إلى آخرها ، وإن عجزت عن الكثير من القيام بالليل فلا تعجز عن القليل منه قال الله تعالى ﴿ فاقربوا ما تيسر من القرآن ﴾ [المزمل : ٢٠] أي في القيام من الليل وقال عليه الصلاة والسلام « عليكم بقيام الليل ولو ركعة » وما أحسن وأجمل الذي يقرأ القرآن الكريم أن يقرأ كل ليلة في قيامه بالليل شيئا منه ويقرأ على التدرج من أول القرآن إلى آخره حتى تكون له في قيام الليل خزمة إما في كل شهر أو في كل أربعين أو أقل من ذلك أو أكثر على حسب النشاط والهمة اهـ وإنما كان التفرغ في السحر من الأدوية أيضا لأنه وقت مناجاة الله والدعاء فيه أقرب إلى الإجابة قال رسول الله ﷺ « ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير يقول من يدعوني فأستجب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له » وإنما أفرده بالذكر وعده نوعا مخصوصا مع أنه مندرج فيما قبله لشرفه على غيره من بقية أجزاء الليل لما مر آنفا ولأن العبادة حيث شد أشق والنفس أصفى . وإنما كانت مجالسة الصالحين من الأدوية أيضا لأنها تنور الاقتداء بهم في أعمالهم وأقوالهم وأحوالهم وتدعو إلى أن لا يرضى لنفسه أن يقصر عنهم ولا أن يكون في الخير دونهم فتبعته المنافسة على مساواتهم أو الزيادة عليهم فيصبرون سببا لسعادته وباعثا على استزادته والصالحون هم القائمون بحقوق الله وحقوق العباد . (كفاية الأتقياء ومنهاج الأسفياء شرح السيد بكري المكي ابن السيد محمد شطا العمياطي على منظومة هداية الأتقياء إلى طريق الأولياء للشيخ

كان الأمر بالعكس ومن نسب الأمراض إلى ما يوجد عن الاختيار، ومن الأشياء التي من خارج فقد نسبها إلى نصف أسبابها، إذ كانت هذه الأشياء منزلتها منها فقط منزلة الأسباب الفاعلة، لكن لموضع شهرة هذا السبب تكاد الأطباء أن تنسب جميع ما يطرأ من الأمراض والأفات العارضة إليه، وإن طرأ أمر لم يتعلمه تدبير ربي تحيروا، وقالوا : إن ذلك بأمر إلهي، وذلك جهل منهم ضرورة .

وإذ قد قلنا في مقلد ما تفيد هذه الصناعة، فلنرجع إلى حيث كنا من تعديد الأسباب المدخلة علينا الفساد العرضي التي يمكننا بهذه الصناعة التحرز منها، وذلك هي الأسباب الفاعلة فقط، ومن هذه ما كان وجه التحرز منها غير بين بنفسه، لأن تحرز الإنسان من حرق النار، وقطع السيف، ورض الحجر، ليس يحتاج في ذلك إلى صناعة، إذ كان ما هو من ذلك إلى اختيارنا فلنحذر من بين نفسه، وما لم يكن من ذلك لاختيارنا فلا تأثير لنا فيه فنقول : ومن الأشياء المدخلة علينا الفساد العرضي تغير الأهوية، والرياضة الغير ملائمة، مثل الصناعات الصعبة التناول، والعوارض النفسانية، مثل الغضب والفرح، وبالعامة جميع الأشياء التي تكسب سوء المزاج المصادي والغير المادي، ولما كانت هذه الأشياء هي التي تدخل علينا الفساد العرضي كانت هي بأعيانها التي تلتمس إما بالتعظيم منها، أو بإتيان الوسط فيها، إن كان ماله وسط في حفظ الصحة، ولذلك ليس يلتزم حفظ الصحة بشيء سوى استعمال الأطعمة المعتدلة الكيموس، مقدرة الكمية، والوقت، والوضع، واستفراغ الفضول، وإصلاح الأهوية وتجنب العوارض النفسانية المكسبة سوء المزاج، وأملك هذه هو استعمال الأغذية على القانون الطبي، واستفراغ الفضول، وهذه هي التي القول فيها أكثر في هذه الصناعة، والفضول تستفرغ بالرياضة، والدلك، والاستحمام، وقد تستفرغ بالأدوية، وبخاصة الأزجة الغير معتدلة، وهذا النوع من الاستفراغ بالرياضة والدلك والاستحمام والأدوية هو داخل في جنس الحفظ الذي هو التوقي مما شأنه أن يحدث، ولذلك قد ينبغي أولاً أن نقول هاهنا في أنواع الدلك، وأفاعيله، وأنواع الرياضة وأفاعيلها

حفظ الصحة، وإزالة الأمراض وهذه الصناعة إنما في قدرتها أن تحفظ أبداننا من الفساد الداخل عليها بالمرض، وذلك يكون في الأكثر من تولد فضول الأغذية في أبداننا، فإنه من البين بنفسه أنه ليس بأي تدبير اتفق، ولا بأي أغذية اتفقت تكون سلامة أبداننا، على حال واحدة، وهذا هو أحد الأصول الموضوعية في هذه الصناعة، وإلا لم تكن صناعة فاعلة، فأما مقدار ما تبلغ من ذلك، فهو المقدار الذي تبلغه الصناعات التي غايتها يمكن على الأكثر حصولها، وأعني بذلك حصولها لأكثر موضوعاتها في أكثر الأزمنة، مثال ذلك أن التدبير الذي يصفه جالينوس للمعتدل المزاج هو تدبير في الأكثر، يبلغ به من مزاجه ذلك المزاج أقصى ما في طباعه أن يبلغه من العمر، فإن الهرم الطبعي هو الذي يكون باستيلاء البرد والبس لا تأثير لهذه الصناعة فيه، وإلا أمكن أن يكون ناس خالدين، وهذا كله بين بنفسه، والسبب في أن غاية هذه الصناعة قد يخل وجودها في موضوعاتها على الأقل هو السبب فيما يشبهها من الصناعات الممكنة لقيادة الجيوش، والملاحة، وذلك ليس أكثر من الاستعدادات الهولانية، فإنه غير ممتنع أن نؤمن شخصين محتلي المزاج قد تبرأ تدبيراً واحداً، أحدهما بلغ بذلك التدبير أقصى ما في طباعه أن يبلغه من العمر، والآخر تولدت من ذلك التدبير فيه أخلاط رديئة فقتلته، وذلك من رداءة استعداد في مزاجه يتولد تلك الأخلاط، وإن كان لم يظهر لنا ذلك الاستعداد، لأن رب استعداد في الطباع ليس عليه علامة ولا دليل، إذ كانت الاستعدادات غير متناهية، ومن يرى أن ذلك التدبير الذي يصفه جالينوس لذلك المزاج يبلغ به ضرورة صاحبه أكلاً العمر فهو جاهل بجهة حصول غاية هذه الصناعة عن أفعالها، على ما نرى ذلك يعتقد عوام الأطباء، ومن هنا قيل إن الأجل بقدر. وكذلك أيضاً ليس يمتنع أن يكون إنسان مزاجه هذا المزاج يتغير بغير هذا التدبير، ويبلغ من عمره الغاية التي يبلغها من يتدبر التدبير الكثير التخليط، لكن هذا كله في الأقل، وبالعرض، ولذلك ليس يخل هذا بالصناعة، ولا يسقط فائدتها، وكثير من الناس يتفق لهم أن تكون شوائبهم ومنهم موافقة لطبيعتهم، فتطول أعمارهم، وريما

وتكثر الأكلان محير للطبيعة، والغذاء اللذيذ أحمد لولا الإكثار منه، وملازمة التقه (التقه من الأطعمة ما ليس له علم حلاوة أو حموضة أو مرارة، ومنهم من يجعل الخبز واللحم منها) يسقط الشهوة ويكسل، والحامض يسرع الهرم ويحبث ويضر المص، والحلو يرخي الشهوة ويحمي البدن، والمالح يجفف البدن ويهزله فتلتغ مضرة الحلو بالحامض، والحامض بالحلو والتغ بالمالح أو الحريف وهما به، وليترك الغذاء وفي النفس منه بقية، وملازمة الحمية تنهك البدن وتنزله، بل هي في الصحة كالتخليط في المرض، وسرعة العادة في الواجبات وغيرها واجبة، ومن اعتاد أن يستمرى الأغذية الرديئة فلا يتر بها يستولد على طول الأيام أمراضا، فليترك بتدرج، والصغراوي غذاء مبرد مرطب، والدعوى مبرد قاعم، والبلغمي مسخن ملطف، والسوداوي مرطب، وقد نهى المجريون عن الجمع بين أغذية يفسر علينا إثبات كثير من ذلك بالقياس .

قالوا : لا تجمع بين سمك وابن فيولدان أمراضا مزمنة كالجلد والقالج، ولا لبن مع حامض، حتى نهوا عن الجمع بين المضيرة والإجاصية (المضيرة : مريقة تطبخ باللبن المضير (الحامض) ، والإجاص : الشمس والكمثرى بلغة الشاميين، وفي الرسيط : كان يطلق في مصر على البرقوق وثمره) ولا السوسيق على الأرز باللبن، ولا الغيب على الروس، ولا الزمان على الهرية، ولا الخل والأرز.

تنبيه المشروب : قالوا : لا تجمع بين ماء البئر والنهر ما لم يتحد أحدهما، وأفضل المياه مياه الأنهار وخصوصا الجارية على تربة تقي فيتلخص الماء من الشوائب، أو على حجارة فيكون أبعد من قبول العفونة وخصوصا الجارية إلى الشمال أو المشرق وتصوصا المنحدرة إلى أسفل وخصوصا إذا بعد المنبع، فإن كان مع هذا خفيف الوزن يخيل لشربه أنه حلو، ولا يحتمل الشراب منه إلا غليلا، فلذلك هو البالغ وخصوصا إذا كان غمرا شديدا لجره، وماء النيل قد جمع أكثر هذه المحامد وماء العين لا يخلو من غلظ، وأردا منه ماء البئر، وماء النر أردا، وإذما ينبغي أن يستعمل الماء بعد شروع الغذاء في الهضم، وأما عقبه فيفجع، وفي خله أردا، على أن من الناس من يتنعم بذلك وهو حار المعده، ومن الناس

ثم نسير بعد ذلك إلى كيف يحفظ مزاج، مزاج من الأزرجة النسعة . (الكليات في الطب / ٣١٥ ، ٣١٦) .

ويقسم ابن النفيس الجزء العلمي من الطب إلى قسمين هما : علم حفظ الصحة، وعلم العلاج، فيقول عن علم حفظ الصحة :

وليتبدى بحفظ الصحة، والطبيب لا يلتزم إبقاء الشباب والقوة، ولا أن يبلغ كل شخص الأجل الأطول فضلا عن أن يمنع الموت، وذلك لأن البدن لا يمكن تكونه إلا من رطوبة مقارنة لحرارة تنضجها، وتغسلها، وتدفق فضلاتها، فهي لا محالة تحللها، وإذا دام المؤثر الواحد في المتأثر الواحد اشتد تأثيره في كل وقت، وإذا كثر التحلل فنت الحارة لفناء مادتها، وضعف الهضم وقل إيراده البذل الذي لولاه لم يبق البدن مدة تكونه فضلا عن استكمالها، ولا يزال كذلك حتى تنفي الرطوبة وتطفأ الحرارة، وذلك هو الموت الطبيعي المقدر أجله لكل شخص بحسب مزاجه وقوته، فغاية الطبيب أن يبلغ كل شخص منتهى الأجل إن لم يتق له مفسد خاخرى، وأن يحفظ صحة كل من على ما يليق به، وذلك بحماية الرطوبة عن العفونة البتة وحراستها عن التحلل الزائد على المجري الطبيعي .

وملاك الأمر في ذلك هو تعديل الأسباب الضرورية .

تنبيه المأكول : كل صحة أردنا حفظها على حالها أو أردنا عليها الشيء في الكيفية، فإن أردنا نقلها إلى أفضل منها أردنا الصمد، ولتقتصر من الغذاء على الخبز النقي من الشوائب الرديئة كالشليم، واللحم الحولي من الضأن والبعول والأجندية والدجاج والقيح (وهو جنس طيور تصاد) والطهوج، والحلو المالح، ومن الفاكهة التين والتعب والرطب في البلاد المعتاد فيها أكله .

وأما الأغذية الدوائية كلها فلا ياضت إليها إلا لتعديل مزاج أو مأكول، ولا يوكّل بلا شهوة، ولا تنافع الشهوة الهائجة، وليؤكّل في الصيف الغذاء البارد بالقل، وفي الشتاء الحار بالقل، وإدخال الطعام على طعام آخر لم ينهض رده، ودونه إطالة زمان الأكل فيختلف المهضوم .

بالصلولجان رياضة للبدن والنفس بما يازمه من الفرح والغلبة والغضب بالانتهاز، وكذلك المسابقة بالخيول . وركوب السفن محرك للاختلاط، مثير لها ، قانع للأعراض المزمنة كالجلد والامستقاء لما يختلف على النفس من فرح وفرق ، ويقوى المحلة والهضم وإذا هاج منه غثيان وقى بإخراج الفضول فلا يبادر إلى حبسه .

ومن جملة الرياضة البدنك ، ومنه غشن أى بأيد خشنة ، فيحمر اللون ويخضب ما لم يقع منه إفراط قوى التحليل ، ومنه صلب فيشد ويقوى الأعضاء الضعيفة ، ومنه لين فيرخى ، ومنه كثير فيهزل ، ومنه معتدل فيخضب ، وينبش أن تقدم على الرياضة ذلك للاستعداد لها ويعدا ذلك لاسترداد القوة وتحليل ما أبقته الرياضة فى العضل وقريبا من الجلد ، وليكن بأيد كثيرة لتختلف مواقعها على العضل .

تدبير النوم واليقظة :

أفضل النوم هو الفرق المتصل المعتدل المقدار، الحادث بعد هضم الغذاء وتروجه فى الاستحار، وسكون ما يتبعه من نفاخة .

ومن استعان بالنوم على الهضم فينبى أن يتبدى أولا على اليمين قليلا لينعمر الغذاء إلى قعر المعدة لميله إلى اليمين لسهولة جذب الكبد له فهناك الهضم أقوى ، ثم على اليسار طويلا ، ليشتل الكبد على المعدة فيسكنها ، فإذا تم الهضم عاد إلى اليمين ليمين على الانحدار إلى جهة الكبد . والنوم أكثر تعريفا من اليقظة على سبيل الاستيلاء من الطبيعة على المادة . واليقظة أكثر تعريفا على سبيل الإزالة . ومن عرق فى نومه كثيرا ولا سبب له ظاهر فبلنه ممتلىء من غذاء أو خلط .

تدبير الاسترخاء والاحتباس :

يجب أن يعنى بالطبيعة فتلين إن احتبست بمثل المرقعة الدهنة ، اسفينباجة (وهى نبات ملين للطبيعة) . كثيرة السلق ، أو بالإسفناخ ، أو بالليمونية بالقرطم . وأما التين بالقرطم فنعم الحلين وخصوصا للمشايخ ، وبمثل الفل المسهلة ، والحقن اللينة ، والاحتقان بالدهن ينفع المشايخ

من تكون شهوته للغذاء ضعيفة ، فإذا شرب الماء قويت شهوته ، وذلك لتدليله حرارة المعدة .

وأما الشرب على الريق وعقيب الحركة ... وعقيب المسهل القوى والحمام وعلى الفاكهة وخصوصا البطيخ فردى جدا ماء كان المشروب أو شربا ، فإن لم يكن يد قليل من كوز ضيق الرأس امتصاصا ، وكثيرا ما يكون عطش من بلغم لزج أو مالح .

تدبير الحركة والسكون البدنيين :

بقاء البدن بدون الغذاء محال ، وليس غذاء يصير بجملته جزء عضو ، بل لا بد أن يبقى منه عند كل هضم أثر ولطخة ، فإذا تركت وكثرت على طول الزمان اجتمع شيء له قدر يضر بكيفيته ، بأن يسخن بنفسه أو بالمغن أو يبرد بنفسه أو بإطفاء الحرارة ، ويكتمه بأن يسد ويقفل البدن ويوجب أسراض الاحتباس ، وإن استغرقت تاذى البدن بالأدوية ، لأن أكثرها سمية ، ولأنها لا تخلو من إخراج الخلط الصالح المتنع به ، فهذه الفضلات غارة تركت أو استغرقت .

والحركة أقوى الأسباب فى منع تولدها بما يسخن الأعضاء وتيسل فضلاتها فلا تجتمع على طول الزمان ، وهى تمؤد البدن الخفة والنشاط ، وتجعله قابلا للغذاء ، وتصلب المفاصل وتقوى الأوتار والرباطات والأعصاب ، وتؤمن من جميع الأمراض المسادية . وأكثر المزاجية إذا استعملت المعتدلة منها فى وقتها وكان باقى التدبير صوابا ، ووقت الرياضة بعد انحدر الغذاء وكمال هضمه ، والرياضة المعتدلة هى التى تحمر فيها البشرة وترسو ويتبدى العرق . وأما التى يكثر فيها سيلان العرق فمفرطة ، وأى عضو كثرت رياضته قوى ، وخصوصا على نوع تلك الرياضة ، بل كل قوة هذا شأنها ، فإن من استكثر من الحفظ قوت حافظته وكذلك المستكثر من الفكر أو التحليل ، ولكل عضو رياضة تخصه ، فللمصدر القراءة ، وللبندى فيها من الخفية إلى الجهرية بتدريج ، والسمع يراضى بالأنغام اللينة ، والبصر بقراءة الخط الدقيق أحيانا وبالنظر إلى الأشياء الجميلة ، وركوب الخيل باعتدال رياضة البدن كله وتحلل أكثر مما تسخن ، وتنفع الناقهين بتحليل بقايا أسراضهم وكذلك التمرجج بالرفق ، وأما طرد الخيل فيحمل كثيرا ويسخن ، واللعب

قالت المؤلفة : أفردنا مادة للحمامات باعتبارها من المنشآت الصحية التي حرص السلف على إقامتها في المدينة الإسلامية .

تدبير الفصول :

وليتأتى الربيع بالقصد والاستفراغ بالقيء ، واستعمال المطففات ومسكنات المواد ، وتجنب الحركات كلها ، كالحركة المفردة والحمام ، والشراب القوي ، والمسكنات كلها ، ويقلل الغذاء ، ويكثر الشراب الممزوج ، وليس فيه السحاب والمضربات الخفيفة (المضربات جمع مضربة : كسأه أو غطاء كاللحاف) .

ويلتزم في الصيف الهديء والدعة ، والظل ، والأخذية الباردة القامعة اللطيفة كالرمائية ، ويهجر كل ما يسخن ويجهف ، ويقتصر الأخذية ، ويكثر من الفاكهة الرطبة كالإجاص والخيار والبطيخ الرقي ، وليس فيه الكتان العتيق . ويجتنب في الخريف كل ما يجهف ... والافتسار ، بالماء البارد ، وشره ، وكشف الرأس ، والاستكثار من الفاكهة .

وأما القيء فيه فيجب الحمى ، ويحترز من برد الغفوات وحر الظهار ، ويستقبل الشتاء بالدثار وليس العيب والنيق . وأما الحواصل والبلق فمفطران لا يحميها إلا المبرود والمرطوب ، وتزعم الأخذية القوية الغليظة كالهرسة ، والاستكثار من اللحوم ، واستعمال المطففات كالرشاد والأجزاء الحارة والشراب القوي ، والقيء فيه يضعف ، والحركات القوية العنيفة فيه نافعة . (الرشاد : بقلة ستوية من الفصيلة الصليبية ، تنزع وتنبه برة ، ولها حب حريف يسمى حب الرشاد) وقد أوردناها تحت عنوان الحُرف بضم الحاء في م ١٣ / ٣٧١ ، ٣٧٢ فانظرها في موضعها .

وكذلك فعل ابن سينا ، فقد قسم الجزء العملي من أجزائه الطبية إلى قسمين هما : علم حفظ الصحة ، وعلم العلاج أو ما أسماه « برة الملة » . ونقل لك الآيات فيما يلي وقد احتفظنا بأرقامها التسلسلة كما وردت في النص ، كما احتفظنا بالعناوين الفرعية التي وضعها الناظم : واستيعب الآيات بشرح لبعضها . قال الناظم :

بالتلين وترطيب الأعماء وتسخينها . ولتحبس الطبيعة إذا أفردت لنيتها بتمثل السَّماقية والحصرمية ، والزرشكية ، والحماضية ، والتفاحية . وليقلل الدهن والسلق .

ومن المستغرقات المعتادة في حال الصحة الحمام ...

الحمام : أفضل ما كان قديم البناء ، عذب الماء ، واسع الفضاء ، معتدل الحرارة . والبيت الأول مبرد مرطب ، والثاني مسخن مرطب ، والثالث مسخن مجفف ، ولا يدخل البيت الحار إلا بتدريج ، فكيف الخروج منه ، وطول المقام فيه يوجب الغشى والكرب والجفاف ، ويباس المزاج يستعمل الماء أكثر من الهواء ، وقد يضطر إلى رش البيت بالماء وجسه على أرض الحمام ليكثر تبخيره كما يفعل بالمدقوثين ، ومرطوب المزاج يستعمل الهواء أكثر من الماء ، وقد يضطر إلى إفراط العرق قبل استعمال الماء كما يفعل المستسقين . وما دام الجلد يبرئ فلا إفراط ، فإذا أخذ البدن في الضمور والركب في التزبد فقد وقع إفراط ، وليزد الدثار بعد الحمام وخصوصا في الشتاء ، لأن البدن يتقل من هواء الحمام إلى أبرد منه ، ولأن ما يتشره البدن من ماء الحمام تزيل عنه حرارته العرضية فيبرد البدن . ولا يدخل الحمام من به دهم أو تفرق اتصال ، أو حمى عنتية لم تنفج .

وقد يستعمل الحمام عقيب الغذاء فيسمن لكن يخاف منه السدد فليحترز عنها بالسكتيين الساذج أو البزوري بحسب الأزمنة (السكتيين مركب من الخل والعسل . ويسمى بهذا الاسم وإن كان مكان العسل سكر ومكان الخل رب السفرجل) وقد يغتلى عقيب الحمام فيسكن باعتدال مع أمن من السدد ، وكذلك استعمال الحمام بعد الهضم . وقد يستعمل الحمام على الخللاء فيجف ويجهف . وقليل الرياضة ينبغي له أن يسكن من الحمام المعروق ، والافتسار بالماء البارد يقوى البدن ويشتطه ويجمع القوى ويقويها ، وإنما يستعمل وقت الظهيرة في قوة الصيف لمن هو حار المزاج معتدل اللحم شاب ، ويمتنع منه الصبي والشيوخ ومن به إسهال أو تخمة أو نزلة . والافتسار بمياه الحمامات الكبريتية تحلل الفضول وتنفع من الفالج والعرشة والتشنج وتزيل الحكمة والجرب ، وتنفع عرق النساء وأوجاع المورك (الحكمة هي غلط رقيق بوزني يحدث تحت الجلد ولا يحدث منه مدة بل شيء كالتخالة ، وهو سريع الزوال) .

- القسم الثاني من الأجزاء الطبية
وهو الجزء العملي
- ٧٨١ - وإن نظمت في كتاب العليم
في الطب ما سمعته من نظم
- ٧٨٢ - وكسان أن أنظمه في أملي
فها أنا مبتدئ بالعملي
- ٧٨٣ - قد قلت في مبتدأ الكتاب
ما أحجت أن أذكر في ذا البسباب
- ٧٨٤ - وعمل الطب على ضررين
فواحد يعمل باليسدين
- ٧٨٥ - وغيره يعمل بالدواء
ومما يقدر من الفناء
- ٧٨٦ - أما الذي يعمل بالتدبير
فذاك أمر ليس بالحقيقير
- ٧٨٧ - وهو على ضررين عند القسمه
فواحد ينهي بحفظ الصحة
- ٧٨٨ - وجزؤه الأخير يروء الملكه
وهو لعمري غاية الأطباء
- « تقسيم عمل حفظ الصحة »
وهو الأول من العمل، بالدواء والغذاء :
- ٧٨٩ - والحفظ للصحة في الصحيح
منها بقول مطلق صريح
- ٧٩٠ - وللبدن صحته لم تكمل
وهو على ضررين عند العمل
- ٧٩١ - ما ضعفه شيب بكل ذاته
وكل وقت كان من أوقاته
- ٧٩٢ - كسا الشيخ والناسه أو كالطفل
فضعفهم مختلط بسالك
- ٧٩٣ - ومن تروى في جسمه دليلا
يضاف منه أن يروى عليلا
- ٧٩٤ - ومن تروى الضعف ببعض جسمه
من جلده أو لحمه أو عظمه
- ٧٩٥ - كمن تروى معدته ضعیفه
بإدارة في طبعها سخيفه
- ٧٩٦ - ومنه ما آفته في الرحم
كأصبح مدامسة أو ودم
- ٧٩٧ - وما يروى بحبس الأسنان
وفي زمان دون مسان
- ٧٩٨ - كليل المزاج في حبسه
ضعف وفي كبسه قسواء
- ٧٩٩ - وبأس يضعف في الخريف
وليس في السريخ بضعيف
- « تدبير الصحيح ، بقول مطلق ، في هوائه جملة ، وخاصة في صيفه »
- ٨٠٠ - والحفظ في الصحة جنس مشتمل
من عمل الطب على ضررين عمل
- ٨٠١ - إن المزاج إن تروى بقساه
بحاله شبه به غذاه
- ٨٠٢ - والجسم إن تعزم على إخراج
من طبعه قاتل من مزاجه
- ٨٠٣ - وبسر الصحيح بالإطلاق
كيما يروى على الصلاح بقاء
- ٨٠٤ - اسكن بلاد ربيع الإقليم
ما كان منها ذا بخر مالم
- ٨٠٥ - وما على الصحراء منها يشرف
واهتمد الشرقي فهو أطف
- ٨٠٦ - ومل لدى الصيف إلى الجبال
والبلد المفتوح للشمال
- ٨٠٧ - والليل في العالی من المجالی
وبسائهم انزل إلى الدالی
- ٨٠٨ - واسكن عن الأصواف والأطمان
ومل إلى الخفيف من كتمان
- ٨٠٩ - واستعمل البسارد من ریحان
ومثل من السور من أدمان
- ٨١٠ - واحط على منك من غبار
ومن دواخن ومن بخار

- ٨١١ - ومن شعاع الشمس والسموم
ومن لقضاء السومج من جحيم
- ٨١٢ - ولا تطل قسرة السديق
نقش وخط السراج للتأنيش
- « تدبير المأكول بالجملة ، وخاصة في الصيف »
- ٨١٣ - أقل ما يؤكل في النهار
والليل مسرة من الممرار
- ٨١٤ - وأكثر الأكولات مرتين
والأوسط الثلاث في يومين
- ٨١٥ - أطول زمان الأكل تستهيه
ودقق المصطوخ تستهيه
- ٨١٦ - وكل ما يلبس عليك غصمه
فإنه صعب عليك هضمه
- ٨١٧ - وكل ما تختار من شهي
يكره أن يتسلى به نسي
- ٨١٨ - لما قصد بحكمة إلى علاجه
بصله المصلح من مزاجه
- ٨١٩ - رب مزاج ليس بالسواء
بصلح بالسردى من فله
- ٨٢٠ - وعادة الإنسان مثل القسوة
فلا تضيق من مكان الشهوة
- ٨٢١ - وكل عادة تفسر أهلها
فأقطع بتدريج الزمان أهلها
- ٨٢٢ - وقدم الرطب وأخر قابضا
وأمزج بطعم الحلو طعما حامضا
- ٨٢٣ - وأصلح اليابس باللدونة
وأصلح البارد بالسخونة
- ٨٢٤ - وإن يكن مخنفا فشب بالبرد
وإن يكن رطبا فشب بالبرد
- ٨٢٥ - وإن تخفف وخامسة السمين
ومما يسى الهضم من دمين
- ٨٢٦ - فشب به بالملح أو الحريف
إنهما عيون على التلطيف
- أوقات الأكل :
- ٨٢٧ - بعد الرياضات يكون الأكل
ويبعد ما يخرج منك الفضل
- ٨٢٨ - فاطلب لأكلك زمان الراحة
وفي مكان بارد رياحه
- ٨٢٩ - واجعل لذلك زمانا باردا
وكن لذا التدبير فيه قاصدا
- تدبير المأكول في الصيف :
- ٨٣٠ - وقلل الغسل في الصيف
ومل بما تفادى إلى اللطيف
- ٨٣١ - واجتنب الغليظ من لحمان
ومل إلى اليقنوك والألبان
- ٨٣٢ - والسمك الطري والجديدان
ووسط السن من العميدان
- ٨٣٣ - ومن فرائج ومن دجاج
ولحم طير ومن سكباج
- ٨٣٤ - من كزيرة ومن سكباج
وحصريية وزيرباج
- ٨٣٥ - وجب الحلو والكثير من
وعجسة الكرات والفصوص
- ٨٣٦ - ومل إلى الهلام والقرص
وكل من الطفيل والمصوص
- « تدبير المشروب »
- ٨٣٧ - إن شئت أن تجو من النيات
فالجوف قمه إلى فلات
- ٨٣٨ - للفس الثالث والفسل
ثلاث وساتيه مكان الماء
- ٨٣٩ - قليل ماء بارد يرويك
وكثرة الفاسل لا يشيك
- ٨٤٠ - والثلج لا تكثره في الشراب
فإنه يفسد بالأعصاب
- ٨٤١ - لا تسق للرجل سوى السمين
السمي سوى اللحم والعتين

- ٨٤٢ - حرصك لا تشرب على الخوان
إن لم يكن لشربك الإنسان
- ٨٤٣ - لا تأخذ الماء على الطعام
ولا على الخمير من حمام
- ٨٤٤ - ولا على الرياضة القوية
أو الجوع أو العطش أو العطش
- ٨٤٥ - وإن دعت لك الضرورة
من قلة العسر فخذ يسره
- ٨٤٦ - حتى إذا ما ميل بالطعام
في أسفل الجوف إلى انهضام
- ٨٤٧ - فخذ من الماء الذي يروك
أو خذ من الشراب ما يكفيك
- ٨٤٨ - حتى إذا أغسلت منه ريك
عن شبع أو عن شراب أكرك
- ٨٤٩ - وجامك العطش فاجاب
لأن ذا العطش أمر كاذب ...
- «تدبير النوم»
- ٨٦٢ - لا تطل النوم فتؤذي النفس
ولا تؤرقها فتؤذي الحسا
- ٨٦٣ - وطوّل النوم تغير المنهض
من الطعام أو على العسر انضام
- ٨٦٤ - ولا تطل نوما بسوقت الجوع
تغير الرأس من السرجع
- ٨٦٥ - ثم باستناد إلى الطعام
حتى يحل موضع انهضام
- «تدبير الحركة»
- ٨٦٦ - لا ترض الرياضة القوية
ولا تسود بل على السوية
- ٨٦٧ - ورض من الأعضاء كي تمنيا
ما خفت أن يجمع خلطها دونها
- ٨٦٨ - بالمشي إن شئت أو الصرام
حتى تبرى النفس في الصرام
- ٨٦٩ - ولا ترض من كان ذا نحول
كي لا تزيد منه في التحليل
- ٨٧٠ - ورض كثير اللحم والسمين
ومطلقه إن يكن بطينا
- ٨٧١ - واتقص من التعب في المصيف
فأنت بالمعسر في لطيف
- ٨٧٢ - وقد ذكرت في كتاب العلم
تدبير ما تحتاجه في الجسم
- ٨٧٣ - من فرغ ما يفضل أو من حبس
وما تزيد من معاني النفس
- «تدبير باقي فصول العام» :
- ٨٧٤ - وكل ما ذكرته في الصيف
مما أنسا دبرته في الكيف
- ٨٧٥ - فافعله في المحرو والشتان
وفي الجنين في من اليلان
- ٨٧٦ - وفي الشتاء فامثل بهمه
كما تفعل في من اليم بمره
- ٨٧٧ - وارض على الربيع والخريف
بين الشتاء منيك والمصيف
- ٨٧٨ - وجفف الربيع والخريف
رطبه بل جنب به التحقيق
- ٨٧٩ - باقى الربيع وابتدا الخريف
دبرهما كالحال في المصيف
- ٨٨٠ - وأول الربيع في التدبير
كمثل الخريف في الأخير
- ٨٨١ - دبرهما كالحال في الشتاء
أعنى بمسا يسخن من ضلله
- ٨٨٢ - هذا الذي يفعل في حال الحضر
ومن يسافر فاعتمده في السفر

(من مؤلفات ابن سينا الطبية / ١٥٢ - ١٥٩) .

ولذلك شرح بعض الآيات :

٧٨٩ - أي الصحيح الجسم .

٧٩٠ - المعنى أن علم حفظ الصحة يقسم إلى قسمين :
حفظ صحة الجسم ، وحفظ صحة من لم تكتمل صحته .

٧٩٢ - يقول ابن سينا : الشخص العادي الصحيح ، إذا أصيب بمرض ، فإن مرضه ينحصر في عضو معين وزمن معين . أما الشيخ والناقه والطفل فضعفهم يشمل جميع الأعضاء وفي كل وقت .

٧٩٨ - عجز البيت : أي تضعف في كبره قواه .

٨٠١ - المعنى : اجعل صفات الغذاء كمزاج الجسم ، إذا أردت أن يبقى على طبيعه . أما إذا أردت أن تخرج الجسم من طبيعه فانتخب الغذاء المضاد للطبع .

٨٠٤ - صدر البيت : رابع الأقاليم : أي الإقليم الرابع .

٨١٦ - خضمه : أي قلعه بالأضراس .

٨١٩ - يقول ابن رشد : وقد يوجد أمزجة ليست بمعتدلة توافقها أغلبية رديئة ، فليس ينبغي أن يمنع عنها . ثم يقول : إن العادة تشبه الطبيعة ، وينبغي أن يعتمد في الأغلبية على إعطاء المريض ما تشتهي نفسه .

٨٣١ - من لحمان : أي من أنواع اللحوم .

٨٣٣ - أسماء طيور .

٨٣٤ - ٨٣٦ أسماء أنواع من الطيخ .

٨٦٣ - يقول ابن رشد : لأن النوم جيد للهضم ، فإذا كان الطعام ، من غير قابل للهضم ، كان النوم مميئاً على هضمه ، وكذلك يفعل في التشمع ، أعنى أنه يصلح ما فسد فيها من الطعام بالإفصاح .

وإن النوم على الجوع يبخسر الرأس من الرجيع وسائر الأخلاط التي في البدن . لأن التسوم هو انصراف الحرارة الحسية إلى معونة الحرارة الطبيعية في الهضم . فإذا لم يكن هناك غذاء فعلت في الأخلاط فتولد عنها بخار فاسد فصعد في الدماغ .

٨٦٤ - الرجيع هو الروث ، وما تجره الأيل .

٨٧١ - يقول ابن رشد : واجعل رياضة الصيف أقل من

رياضة الشتاء ، لأن الإنسان بالعرق الذي يكون في الصيف في تحليل دائم . وقد ذكرت في الجزء العلمي ما يجب أن يستفزع من الأخلاط وما يجب أن يحبس . وذكرت هناك كيف ينبغي أن يكون من يسريد حفظ صحته في الأعراض التنفسية .

٨٧٢ - صدر البيت : كتاب العلم : أي في القسم العلمي من الأجزاء .

٨٧٤ - يقول ابن رشد : وكل ما ذكرته من تلبيس الأبدان المعتدلة في الصيف ، مما وصفت أنا فيه كيفيه التليبر ، فاشتمل مثل ذلك في المحرور المزاج والشباب ، وكذلك ينبغي أن يفعل في البلاد الجنوبية لحراوتها .

٨٧٧ - وجبر الأبدان في الربيع والخريف تليبراً وسطاً ، في التسخين والتبريد ، أي يبين تدبيرها في الصيف وتدبيرها في الشتاء .

(الكلبيات في الطب لابن رشد / ٣١٥ ، ٣١٦ ، وللموجز في الطب لابن النفيس - تحقيق الأستاذ عبد الكريم المزراوي ، ومراجعة د . أحمد عمار / ٥٥ - ٦٦ ، ومن مؤلفات ابن سينا الطبية - دراسة وتحقيق د . محمد زهير البلبا / ١٥٢ - ١٥٩) .

ولدينا منظومة أخرى في حفظ الصحة هي ألفية رابطة الفصحى في حفظ الصحة للشيخ رضي الدين محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله العامري الغزي ، أبي الفضل (ت ٩٣٥ هـ / ١٥٢٩ م) ونورد هنا في موضعها في حرف الراء إن شاء الله تعالى .

❖ حفظ اللسان :

من شعب الإيمان السبع والسبعين التي أحصاها الإمام البيهقي حفظ اللسان فيقول عنها :

حفظ اللسان عما لا يحتاج إليه ويدخل فيه الكذب والغيبة والنميمة والفحش إذ القرآن والسنة مشحونان بذلك كقولہ تعالى : ﴿ والصادقين والصادقات ﴾ [الأحزاب : ٣٥] وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾ [التوبة : ١١٩] وقوله تعالى : ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم ﴾ [الإسراء : ٣٦] وقوله ﴿ فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه ... ﴾ [الزمر : ٣٢] ﴿ والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون ﴾

[الزمر: ٣٣] وقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ لَا يَفْلَحُونَ﴾ [يونس: ٦٩] .

ولحديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه في الصحيحين «إِنَّ الصَّدُقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لِيَصْدُقَ حَتَّى يَكْتُبَ عِنْدَ اللَّهِ حَسْبًا وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لِيَكْذِبَ حَتَّى يَكْتُبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذِبًا» (أخرجه البخارى في كتاب الأدب ... باب قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب باب فتح الكلب، وحسن الصدق وقضله) .

وحديث أبى شريح المخزومي في أبيه «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكَلِّمْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» (أخرجه البخارى في كتاب الأدب «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُوْذِ جَارُهُ» ومسلم في كتاب المغطاة باب الضيافة ونحوها) (شعب الإيمان: ٥٤، ٥٥) .

وقال الإمام النووي: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَلَا تَقْلُبْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولٌ﴾ [الإسراء: ٣٦] وَقَالَ تَعَالَى ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨] رَوَى الشَّيْخَانُ عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْمُسْلِمِينَ أَفْضَلُ قَالَ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ .

وروى الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها إلى النار أبعد ما بين المشرق والمغرب «ومنى يتبين يشكر أنه خير أم لا» .

وروى البخارى عن أبى هريرة أيضا عن النبي ﷺ قال إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يلقى لها بالا يرفعه الله بها درجات وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقى لها بالا يهوى بها فى جهنم .

وروى الشيخان عن أبى هريرة أيضا عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكَلِّمْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ بَعْدَهُ «وَمَا صَرَّحَ فِي أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ لَا يَتَكَلَّمَ إِلَّا إِذَا كَانَ الْكَلَامُ خَيْرًا وَهُوَ الَّذِي ظَهَرَتْ مَصْلَحَتُهُ وَمَنْ شَكَّ فِي ظَهْرِ الْمَصْلَحَةِ فَلَا يَتَكَلَّمَ وَقَالَ أَعْلَمُ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِكُلِّ مَكْلَفٍ

أَنْ يَحْفَظَ لِسَانَهُ عَنْ جَمِيعِ الْكَلَامِ إِلَّا كَلَامًا ظَهَرَتْ فِيهِ الْمَصْلَحَةُ وَمَنْ اسْتَوَى الْكَلَامُ وَتَزَكَّى فِي الْمَصْلَحَةِ فَالْسَنَةُ الْإِسْلَامُ عَنْهُ لِأَنَّهُ قَدْ نَجَسَ الْكَلَامَ الْمُبَاحَ إِلَى حَرَامٍ أَوْ مَكْرُوهٍ وَذَلِكَ كَثِيرٌ فِي الْعَادَةِ وَالسَّلَامَةِ لَا يَعْدِلُهَا شَيْءٌ» (مختصر كتاب رياض الصالحين / ٢٦١، ٢٦٢) .

ويقرئ أسامة بن منقذ في كتابه النفيس «لِبَابِ الْأَدَابِ» فصلا في الصمت وحفظ اللسان يسوق فيه كعادته أمثلة من القرآن الكريم ، والأحاديث النبوية الشريفة ، والشعر ، وإليك ما جاء فيه :

قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي سُورَةِ النَّسَاءِ : ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مِنْ أَمْرٍ بَصِيصٍ أَوْ مَعْرِفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [١١٤] .

ومنها : ﴿لَا يَخْبُ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [١٤٨] .

ومن سورة ق: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ وَمَنْ أَرْبَبُ إِلَهٍ مِنْ حِجْلِ الْوَيْدِ» إِذْ يَتَلَفَّى الْمُتَكَلِّمَانِ مِنَ الْيَمِينِ وَمَنْ الشَّمَالِ قَعِيدٌ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [١٦-١٨] .

ومنها : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَحْيِي وَنُعْطِي وَإِنَّا الْمَصِيرُ» يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سَرَّاحًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرُ» نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدٌ﴾ [ق: ٤٣-٤٥] .

ومن سورة المجادلة : ﴿أَلَمْ تَر إِلَى السَّالِفِينَ نَهَوْا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَمُودُونَ لِمَا نَهَوْا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءَهُكَ حَيْثُوكَ بِمَا لَمْ يَحْكَمْ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُهُنَّ بِمَا تَقُولُ حَسْبُكُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَيُشْفَى الْمُصِيبُ» بِأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ» إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِمٍمْ شَيْئًا إِلَّا بِذَنْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [٨-١٠] .

أحاديث (ما بين أقواس هو من تعليقات المحقق) :
روى عن النبي ﷺ أنه قال : «رَحِمَ اللَّهُ امْرَأًا قَالَ فَتَنَمَ، أَوْ

وروي في حديث طويل عن أبي ذر الغفاري رحمه الله أنه قال - في حديث طويل : « واجعل كلامك كلمتين : كلمة نافعة في أمر دنياك ، وكلمة باقية في أمر آخرتك ، والثالثة تقصر ولا تنفع » .

وروي عن سيدنا عيسى المسيح على نبينا وعليه الصلاة والسلام أنه قال : كل كلام ليس بذكر الله تعالى فهو لغو ، وكل سكوت ليس بتفكير فهو غفلة ، وكل نظرة ليست بعبرة فهي لغو . فطوبى لمن كان تكلمه ذكرا ، وسكوته افتكارا ، ونظره اعتبارا .

ومن لقمان أنه قال لابنه : يا بني ، من يصحب صاحب السوء لا يسلم ، ومن يدخل مدخل السوء يتهم . ومن لا يملك لسانه يندم .

وعن عبد الله بن عمرو رحمه الله أن رسول الله قال : « من صمت نجا » (رواه أحمد في المسند رقم ٦٤٨١ و ٦٦٥٤ ج ٢ ص ١٥٩ و ١٧٧) ونسبه المنذرى في الترغيب (ج ٩ ص ٩) للترمذي والطبراني .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « من سره أن يسلم فليزعم الصمت » (نسبه المنذرى (ج ٩ ص ٩) لابن أبي الدنيا وأبي الشيخ ، ونسبه السيوطي (رقم ٨٧٤٦) للبيهقي .

ومن حقبة بن عامر رحمه الله قال : « قلت : يا رسول الله ، ما النجاة ؟ قال : املك عليك لسانك ، ولسعك بيتك ، وابك على خطيئتك » .

(الحديث نقله المنذرى (ج ٤ ص ٣) ونسبه لأبي داود والترمذي وغيرهما) .

وعن صفيان بن عبد الله القضي رحمه الله قال : « قلت : يا رسول الله ، حدثني بأمر أصعب به . قال : قل ربي الله ، ثم استقم . قال : قلت : يا رسول الله ، ما أخوف ما تخاف علي ؟ فأخذ بلسانه ، ثم قال : هذا » (نقله المنذرى (ج ٤ ص ٥) ونسبه للترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « لا يستكمل أحلكم حقيقة الإيمان حتى يخرن من لسانه » (يقول المحقق لم يجد هذا الحديث) .

وقال ﷺ : « إذا رأيت من الرجل المؤمن زملا في الدنيا

سكت فسلم » (نقله في الجامع الصغير بمعناه من حديث أبي أمامة (رقم ٤٤٢٦) ومن حديث الحسن (٤٤٢٥) ومن حديث خالد بن أبي عمران (٤٤٢٧) وكلها بأسانيد ضعاف) وقال ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه : « يا معاذ ، أنت سالم ما سكت ، فإذا تكلمت فعليك أولك » (يقول المحقق إنه لم يجد هذا الحديث) .

وقال ﷺ : « لسان العاقل من وراء قلبه ، فإذا أراد الكلام رجع إلى قلبه ، فإن كان له تكلم ، وإن كان عليه سكت » (يقول المحقق إنه لم يجد هذا الحديث) .

وروي عن النبي ﷺ : « أنه قال لعنه العباس ورضوان الله عليه : يعجنني جمالك . قال : وما جمال الرجل ؟ قال : لسانه » (يقول المحقق إنه لم يجد هذا الحديث) .

وقال النبي ﷺ : « أكثر الناس ذنوبا أكثرهم كلاما فيما لا يعينهم » .

(نقله في الجامع الصغير (رقم ١٣٨٦) من حديث أبي هريرة وعبد الله بن أبي أوفى ، وأشار إلى أنه حديث حسن) .

وقال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه : « للسان معيار العقل : أطيئه الجهل ، وأرجحه العقل » .

ومن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « من حسن إسلام المرأة ترك ما لا يعينه » (رواه الترمذي وابن ماجه وغيرهما . وانظر تفصيل الكلام عليه في الترغيب (ج ٤ ص ١٠ - ١١) وجامع العلوم والحكم (ص ٧٩ - ٨٤) .

وعنه ﷺ أنه قال : « طوبى لمن ملك لسانه ، ووصعه بيته ، وبكى على خطيئته » (الحديث نقله المنذرى في الترغيب عن ثوبان ، ونسبه إلى الطبراني في الأوسط والصغير وحسن إسناده (ج ٤ ص ٢) ، ونسبه السيوطي في الجامع الصغير إلى أبي نعيم في الحلية (رقم ٥٣٠٨) .

وعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه : « أنه قال : يا رسول الله ، ما كان في صحف إبراهيم عليه السلام ؟ قال : كان فيها : يبنني للعاقلة - ما لم يكن مغلويا على عقله - : أن يكون حافظا للسانه ، عارفا بزمانه ، مقبلا على شأنه ، فانه من حسب كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه » (هذا جزء من حديث طويل نقل المنذرى بعضه في الترغيب (ج ٣ ص ١٤٧ - ١٤٨) ونسبه لابن حبان والحاكم في صحيحيهما)

وقال سفيان بن عيينة رحمه الله (نسبهما فيما بعد لأبي نواس ، وهو الصواب)
 خُلِّ جَنِيحُكَ لِسَانِي
 وامض عنده بسلام
 مت بسلام الصمت خير
 لك من داء الكلام
 انمسا بالسلام من ال
 جيم فساء بلجسام
 قالوا : أكثر ما تعرض الأكلات للحويان إنما تعرض لعدمها الكلام ، وتعرض للإنسان من قبل الكلام .
 وقالوا : رب كلمة تقول : دعني ، ورب كلمة سلبت نعمة .

وقال الشاعر :
 واحذر لسانك لا تقول فتبلى
 إن البلاء مسوكل بالمنطق
 وقال إبراهيم بن هرمة :
 أرى الناس في أمر سهيل لسان تزل
 على حذر حتى ترى الأمر مبسرا
 فتترك لا تستطيع رد السلسلى مضى
 إذا القول عن زلاته فبارق الفم
 فكسائن ترى والر العرض صامتا
 وآخر أرى نفسه إن تكلم
 (أبوه هرمة - يفتح الهاء وسكون الراء - وهو من مخضرمي شعراء الدولتين . ويقول أصحاب اللغة إنه آخر الشعراء الذين يحتج بشعرهم في العربية . وهذه الأبيات قالها حين انصرف عن المدينة ، حين خرج محمد بن عبد الله بن حسن يوصي بها أحد أصحابه من بني مخزوم . آمالي الزيجاجي ص ٥) .
 («و الحبل السحل والسحل» السلى يفتل على قسوة واحدة ، وهذا حبل ضعيف «والجبرم» هو الحبل الذي جمع بين مفتولين فقتلا حبلا واحدا) .
 وقال آخر :

إن كنت تبغى السلى أصبحت تظهره
 فاحفظ لسانك واخش القسال والقيلا

وقلة منطق فاقربوا منه ، فإنه يلقي الحكمة» رواه ابن ماجه (ج ٢ ص ١٧١) من حديث أبي خلاد ، ونقله السيوطي (رقم ١٦٥) ونسبه أيضا لأبي نعيم والبيهقي من حديث أبي خلاد وعن حديث أبي هريرة .
 وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : «إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان ، تقول : اتق الله فينا ، فإنما نحن بك ، فإن استمعت استمعنا ، وإن أعورجت أعورجتنا » . (نقله المنذرى (ج ٤ ص ٨) ونسبه للمترمذ وابن أبي الدنيا ونقله السيوطي (رقم ٤٥٤) ونسبه لابن خزيمة والبيهقي) .
 التكفير : الخضوع والالتقاد هاهنا .

وعن شقيق رحمه الله : أن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه كان على الصفا يلي ويقول : يا لسان قل خيرا تغنم ، واصمت تسلم من قبل أن تندم . فقيل له : يا أبا عبد الرحمن ، هذا شيء نقوله أو سمعته ؟ قال : لا ، بل سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن أكثر خطايا ابن آدم في لسانه» (يقول المحقق إنه لم يجد هذا الحديث) .
 وعن صدقة بن عبد ربه رحمه الله قال : لما كبر آدم عليه السلام جعل ينو بينه يعشون به ، فيقول له أبائهم : ألا تنهاهم ؟ فيقول : يا بني ، إني رأيت ما لم تروا وسمعت ما لم تسمعوا ، رأيت الجنة وسمعت كلام ربى تبارك وتعالى ، وقال لى حين أخرجنى منها : إن حفظت لسانك أهدتك إليها .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : «إن الله عند لسان كل قائل ، فليق الله عبد ولينظر ما يقول» (نقله السيوطي (رقم ١٧٥٠) ونسبه لأبي نعيم فى الحلية عن ابن عمر ، وللحكيمة الترمذى عن ابن عباس) .
 قال أبو حاتم رحمه الله : طلب رجلان العلم ، فلما علما صمت أحدهما وتكلم الآخر ، فكتب المتكلم إلى الصامت :
 وما شئ أردت يسه اكتسابا
 بأجمع فى العيشة من لسان
 فكتب إليه الصامت :

وما شئ أردت يسه كمالا
 أحق بطول سجن من لسان

ما بك عبد سهام الموت ترشقه

يكون عن ربه بالناس شفيول
كان بكر بن عبد الله المزني رحمه الله يطل الصمت
وينشد :

لسان الفتى سيع ، عليه شلالتيه
فإلا يزعم من غيريه فهو أكليه
وما الفتى إلا منطق متصرع
سواء عليه حق أمبر وباطله
(يقال « إني لأخشى شدة فلان » أي شره وشدة وجرائه ،
وأصله القوة والحدة وقوله : « يزعم » من قولهم « وزع الرجل عن
هواه » كف ، والعزب : الحدة يقال : « في لسانه عزب » أي
حدة وسفه ويقال « تترع إلى الشيء » تسرع ، وتترع إلى الناس
بالشر ، والمترع : الشرير المتسرع إلى ما لا ينبغي له) .
وقال آخر :

سامح الناس ودع صر
ضك وقطع اللييل
وأصبر معك وقصيرا
عند إكثار العيول
والزوم الصمت إذا خطب
صمت غيرات الفعول
فلزوم الصمت خير
لك من قبال وقيل
وقال أبو المتاهية ، وتروى لأبنة محمد :
قد أفلح الساكت الصموت
كسلام راعي الكسلام قسوت
مساكل نطق لسه جواب
جواب ما تكسره للكموت
وقال آخر :

إنطق مصيبا بخير لا تكن هاربا
عيا بة ناطقا بالفحش والسريب
وكن وزينا طويلا الصمت ذا فكر
فإن نطقت فسلنا تكسر من الخطب
ولا نجب مسائلنا من غير تروية
وباللسان عنه لم تسأل فلا تجب

وقال أبو المتاهية :

(هي في ديوانه (ص ٢٨٢) وقد نسبها البحرى في
حماسته لصالح بن عبد القدوس وهو عندنا أوثق . (الحماسة
ص ٢٢٩ مطبوعة اليسوعيين) ورواية البيت الأول فيها :

لا تكسرن حشوا الكلا
م إذا اهتصبت إلى عيونه
لا غير في حشوا الكلا
م إذا اهتصبت إلى عيونه
والصمت أجمل بـ
من منطق في غير حينه
وقال أحبة بن الجلاح :

والصمت أجمل بـ
ما لم يكن عن يمينه
والقـ
ما لم يكن لب يمينه
وقال آخر :

تمهد لسانك إن اللسان
سريع إلى المرء في قطعه
وهذا اللسان يريد الفؤاد
يسدل المرجال على عقله
وقال آخر :

استمر العى ما استطعت بصمت
إن في الصمت راحة للصموت
وأجعل الصمت إن صيت جوابا
رب قول جوابه في السكوت
وقال آخر :

منى تطبق على شفتيك تسلم
وإن تفتحهما فقل الصواب
فما أحمد يطل الصمت إلا
سيأمن أن يظنم وأن يعابسا

أخرى : « فإذا كتبه عليه وعمل حسنة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال وهو أمين عليه : اتق هذه السيئة حتى ألقي من حسنته واحدة من تضعيف العشرة وأرفع تسع حسنات ، فيفعل صاحب الشمال » وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله تعالى وكل بعبد ملكين يكتبان عليه فإذا مات قالا : يا رب قبضت عبدك فلانا فلأى أين ذهب ؟ قال الله تعالى : سمائي مملوءة من ملائكتي يعبدونى وأرضي مملوءة من خلقى يطيعونى ، اذهب إلى قبر عبدى فسبحانى وكبرانى وهللانى واكتب ذلك فى حسنات عبدى إلى يوم القيامة » (عجايب المخلفات / ٤٥) .

قال صاحب الجوهرية :

يكل عبد حافظون وكلوا
وكتابتون غيرة لن يهملوا
من أمره شيئا فعل ولو نهل
حتى الأئين فى الممرض كمل نقل
فحاسب النفس نقل الأملا
فرب من جسد لأمر وعلا
(مجموعة مهمات المتن / ١٥ ، ١٦) .

وفيما يلى مسألة عن الحفاظين وردت إلى الحفاظ السيوطى وأجاب عنها :

مسألة - ماذا جواب إمام لا نظير له
فى العصر كلا ولا فى سالف العصر
فى الحفاظين على الإنسان إذ كتب
هل بالملاذ وحبر عبد للبشر
وكافد يكتب ما كان مع قلم
أولا كملك يسا من ضياء كالعمر
أصابكم ريكم جنساته كسرما
بجاء غير ألورى المبروت من مضمر
الجواب - الله أحمد حمدا غير منحصر
ثم الصلاة على المختار من مضمر

فقل خيرى أو اسكت من كثير
من القول المحل بك العقاب
وقال عبد الله بن معاوية بن جعفر رحمهم الله :
أيها المرء لا تقولن قولا
لست تدرى ماذا يعيبك منه
والزم الصمت إن فى الصمت حكما
وإذا أنت قلت قولا فسرزنه
وإذا القسوم ألفطسوا فى كلام
ليس معنى بشأنه فالله عنه
وقال آخر :

إن السكوت سلامة ولربما
زرع الكلام ملوحة وخسرا
فلئن نسلمت على مكسوتك مسرة
فلتسمن على الكلام مسرا
(لباب الآداب / ٢٦٩ - ٢٧٨) .

(مختصر شعب الإيمان للبيهقى . مختصر القزوينى - حققه وكتب حواشيه عبد الله حجاج / ٥٤ ، ٥٥ ، ومختصر كتاب رياض الصالحين للإمام يحيى بن شرف الدين النوى - اختصره وزيه الشيخ النبهانى / ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ولباب الآداب للأثير إمامة بن مقلد - تحقيق أحمد محمد شاكر / ٢٦٩ - ٢٧٨ ، وقد وضعتا تعليقات المحقق بين أقواس فى ثنايا النص)
• الحفظة عليهم السلام :

من الملائكة الذين أحصاهم القزوينى قال :

ومنهم الحفظة عليهم السلام وهم الكرام الكاتبون : قال ابن جرير : هما ملكان مولدان بآدم أحدهما عن يمينه والأخر عن يساره . وقال بعضهم : هم أربعة اثنان بالليل واثنان بالنهار وبخاص لا ينفارق ليلا ولا نهارا . وللكفار أيضا حفظة لأن آية الحفظة نزلت فى شأن الكفار وهى قوله تعالى : ﴿ لا يلا تكلبون بالدين ﴾ وإن عليكم لحافظين • كراما كاتبين • يعلمون ما تفعلون ﴿ [الانفاطار : ٩ - ١٢] وفى الخبر : « إن الملك ليرفع القلم عن العبد إذا أذنب ست ساعات فإذا تاب واستغفر لم يكتبه عليه ولا كتبه » وفى رواية

مسدده السريخ فيمسا قد أدنى ولما
ن الخلق أقبلهم قد جاءه في الأثر
ولي الصحيفة كتب والبطائفة جا
من فيسبر تعيين جنس صبح في الخبر
(الحاوي / ١ / ٣٧٧) .

(عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزويني / ٤٥ ، وجوهرة
التوحيد للإمام القفاني ، المطبوع في مجموع مهمات المتن ط مصفى
الباي الحاملي / ١٥ ، ١٦ ، والحاوي للفتاوى للحافظ جلال الدين عبد
الرحمن السيوطي / ١ / ٣٧٧) .

• حَفْنة :

قال عنها علي مبارك : قرية من قسم بليس من مديرية الشرقية
واقعة على ترعة مينة يزيد التي فيها من بحر موسى غرى مينة يزيد
على بعد نصف ساعة ، ومصعبا بمصرف بليس الواردة فيه مياه
الشيبيني أحد فروع ترعة الشرقاوية ، وفي قرية صغيرة بها بعض
نخيل ومن مزارعها صنف الحناء وليس لها سوق وإنما يتسوق
أهلها من سوق بليس .

ثم قال : وإليها ينسب كما في حوادث سنة إحدى وثمانين
ومائة وألف من تاريخ الجبرتي القطب الكبير والإمام الشهير أورد
أهل زمانه علما ومعلما ، المشهود له بالكمال والتحقيق ، والمجمع
على تقدمه في كل فريق شمس الملة والدين الإمام محمد بن سالم
الحفناوي الشافعي الخلوتي (أوردنا ترجمته تحت عنوان « الحفنى
محمد بن سالم) فانظرها في موضعه » (الخطوط / ١٠ / ١٦٨)

كما ينسب إليها أخوه الشيخ يوسف الحفنى ، وقد أوردنا ترجمته
تحت عنوان « الحفنى (يوسف بن سالم) » فانظرها في موضعه .
وقد ذكرها الجبرتي في تاريخه (١ / ٣٣٩) بألف مقصورة هكذا
« حفنا » .

(الخطوط التوفيقية للجليلة لملى باشا مبارك - إهداء عزت عبد
المجيد الشلقاني ١٠ / ١٦٨) .

• الحَفْنَى (جامع-) (١١٧٢ هـ / ١٧٥٩ م) أقر ٤٥١ :

أدرج هذا الأثر في فهرس الأثار الإسلامية بمدينة القاهرة (ص
٩) تحت عنوان « واجهة جامع الحفنى » مما يفهم منه أن الواجهة
هى الأثر الباقي . وقد ذكر الأستاذ محمد كمال السيد محمد أن
الجامع أزيل في توصيف شارع الخليلج . وصفه على مبارك كما كان
في زمانه فقال عنه :

هذا الجامع بقفطرة الموسكى ، بين منزل الشيخ محمد المهدي
للعباسي شيخ الجامع الأزهر سابقا وبين جامع القاضي يحيى زين
الدين الاستداري . أنشأ الأمير عبد الرحمن كنفنا في سنة التتين
وسبعين ومائة وألف . وقد تخرب وبقي مغلقا غير مقام الشعائر
عدة ، ثم جدد في سنة تسعين على طرف الأوقاف ، ووجد بأعلى
بابه لوح من الرخام مكتوب عليه بيت شعر وهو :

أجبا لنسا الله بعد ما دسرا

تاريخه مسجد الرحمن لا دسرا

سنة ١١٧٢

وله أوقاف تحت نظر الديوان ، ولما مات الشيخ الحفنى دفن
بالقراة الكبرى ، وله ضريح شهير يزار ويعمل له مولد مع مولد
العفنى يصرف فيه الشيخ المهدي كثيرا .

(الخطوط التوفيقية للجليلة لملى باشا مبارك / ٤ / ٢٠٤ ، وأسماء
وسميات من مصر القاهرة - محمد كمال السيد محمد / ١٠٩) .

وقد أوردنا ترجمة الشيخ الحفنى المذكور أعلاه تحت عنوان
« الحفنى (محمد بن سالم) » فانظره في موضعه .

• الحَفْنَى (قنطرة) :

كانت على الخليج جنوى تقاطعه مع شارع الأزهر بتليل . وقد
أنشأ عبد الرحمن كنفنا - الشهير بما أجراه في القاهرة من عمارات
ومساجد - هذه القنطرة للشيخ الحفنى - وهو الثامن ممن تولوا
مشيخة الأزهر على الترتيب الذى ذكره الجبرتي ليصل منها إلى الدار
والمسجد اللذين أنشأهما له . وقد عرفت القنطرة باسم قنطرة
الحفنى . وقد أزيل الجامع المذكور في توسيع شارع الخليج .

(أسماء وسميات من مصر القاهرة - محمد كمال السيد محمد /
١٠٩) .

• الحَفْنَى (محمد بن سالم) (١١٠٠ أو ١١٠١ هـ / ١٦٨٩ أو
١٦٩٠ م) :

الشيخ محمد بن سالم الحفنى أو الحفناوي الشيخ الثامن من
شيخ الأزهر الشريف .

ولد ببلدة (حفنا) من أعمال بليس بمحافظة الشرقية في سنة
١١٠٠ هـ .

وحفظ القرآن ووفد إلى الأزهر الشريف وأخذ العلم عن أشهر
علماء عصره واجتهد حتى أجاز أساتذته للتدريس والإفتاء ومن أهم
شيوخه الشيخ محمد البدرى النديماطى الشهير بابن العيت درس
عليه كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي واستوعب كل كتب
الحديث الشهيرة وتوافد عليه الطلاب من كل فج .

وكان من الأشراف ينتسب إلى العترة النبوية الشريفة شديدة
الحياة تقى النفس ويرعق من الثمر ونظم الشعر .

وفائق مرارة الفقر ثم أقبلت عليه الدنيا لكثرة ماله لكنه لم يتخل
عن واجبه العلمى ومال للصوفية فكان من أتباعها يتردد على زاوية
سيدة شامين المخلوق بسفح الجبل يظل فيها الليالى متعبدا متأملا
فسمت به الصوفية .

وروجه طلابه إلى دراسة المصادر العلمية العميقة مثل الأسمونى

في النحو والصرف وجمع الجوامع في أصول الفقه للسبكي ومختصر السعد في البلاغة :

وكان ذا مهابة يهابه الأشراف والحكام ولكنه كان متواضعا مع الفقهاء سخي اليد وترددت بين الناس كراماته فازداد مكانة في القلوب وتولى المشيخة سنة ١١٧١ وتابى العلماء إلى استجازته وكتبوا عنه وألف العلامة الشيخ حسن المكي كتابا في مناقبه ونسبه وكذلك الشيخ محمد المنهوي المعروف باللهلجلاوي ألف كتابا في مدائح الشيخ وأورد له الجبرتي صفحات طويلة وأمتحه بما لم يمتنع أحدا (نبرخ الأثر / ١٦ ، ١٧) .

ونقل كل ترجمة الجبرتي له فيما يلي قال رحمه الله في وفاته سنة ١١٨١ هـ .

ومات الشيخ الإمام العلامة الهمام أوجد أهل زمانه علما وعلماء ومن أدرك ما لم ندركه الأول المشهود له بالكمال والتحقيق والمجمع على تقدمه في كل فريق شمس الملة والدين محمد بن سالم الحفصاني الشافعي الخلوئي ، وهو شريف حسني من جهة أم أبيه وهي السيدة ترك ابنة السيد سالم بن محمد بن علي بن عبد الكريم ابن السيد برطع المدفون بركة الحاج ، وبتتبه نسيه إلى الإمام الحسين رضي الله عنه ، وكان والده مستوفيا عند بعض الأشراف بمصر وكان على غاية من العفاف ولد على رأس المائة الحادية عشرة ببلده ختيا بالقصر ، قرية من أعمال بلبيس ، وبها نشأ ونسبه إليها حفصاوي وحفني وحفزي ، وغلبت عليه النسبة حتى صار لا يذكر إلا بها ، وقرأ بها القرآن كل سورة في شهر حتى حازه أبوه بإشارة الشيخ عبد الرؤوف البشبيشي وهرمه أربع عشرة سنة بالقاهرة ، فكمل حفظ القرآن ثم اشتغل بحفظ المتن ، فحفظ ألفية ابن مالك والسلم والجوهرة والرحمة وأبها شجاع وفير ذلك . وأخذ العلم من علماء عصره واجتهد وأتم دروسهم حتى تمهر وقرأ ودرس وأفاد في حيلة أشياخه ، وأجازوه بالإفتاء والتدريس فأقرأ الكتب الدقيقة كالأسموني وجمع الجوامع والمنهج ومختصر السعد ، وغير ذلك من كتب الفقه والمنطق والأصول والحديث والعلوم ، عام اثنين وعشرين ، وأشياخه الذين أخذ عنهم وتخرج عليهم الشيخ أحمد الخليلي والشيخ محمد الديري والشيخ عبد الرؤوف البشبيشي والشيخ أحمد المدوني والشيخ محمد السجاعي والشيخ يوسف الطوسي والشيخ عبد الديري والشيخ محمد الصغير ، ومن أجل شيوخه الذين تخرج بالندم عنهم الشيخ محمد البصري الدماطي الشهير بابن الميت أخذ عنه التفسير والحديث والعقائد والمسلمات ، والإحياء للإمام الغزالي ، وصحيح البخاري ومسلم ، وسنن أبي داود ، وسنن النسائي ، وسنن ابن ماجه ، والسرطا ، وسند الشافعي والمصنف الكبير للطبراني ، والمجمع الأصمط والصغير له أيضا ، وصحيح ابن حبان ، والمستدرک للنسائي ، والحلية للحافظ أبي نعم ، وغير ذلك . وشهد له معاصره بالتقدم في العلوم وحين جلس للإفادة لأزمه طلب طلبة العلم ومن بهم يسمو المعقول والمقول وكان إذ ذلك في شدة من

ضيق العيش والثقة ، فاشتري دولة وأقلاما وأوراقا واشتغل بنسخ الكتب فنشئ ذلك خوفا من انقطاعه عن العلم . وكان يتردد إلى زاوية سيدي شاهين الخاوي بسفح الجبل وبمكت فيها البالي متحتا وأقبل على العلم وعقد الدروس وفتح الختم بمهجرة جمع العلماء ، وقرأ المناهج مرات وكتب عليه ، وكذلك جمع الجوامع والأسموني ومختصر السعد وحاشية حفيدته عليه ، كتب عليها وقرأها غير مرة ، وكان الشيخ العلامة مصطفى العزيزي إذا رفع إليه سؤال يرسله إليه . واشتغل بعلم العروض حتى برع فيه وعانى النظم والنثر ، وتخرج عليه غالب أهل عصره وطبقته ومن دونهم كأخيه العلامة الشيخ يوسف والشيخ إسماعيل الغنيمي صاحب التآليف البديعة والتحريرات الرفيعة المتولى سنة إحدى وستين ، وشيخ الشيوخ الشيخ علي المدوني والشيخ محمد العلياني والشيخ محمد الزهار نزيل المحلة الكبرى وغيرهم .

وكان على مجالسه هبة ووقار ولا يسأله أحد لمهابة وجلالته . وكان كريم الطبع جدا وليس للدنيا عنده قدر ولا قيمة ، جميل السجاني مهذب الشكل عظيم النحية أبيضها ، كان على وجهه قندلا من النور .

وكان في العلم على جانب عظيم ومن مكارم أخلاقه إصنافه لكل حال متكلم ولو من الخفصيلات مع انسياطه إليه وإظهار المحبة ولو أطال عليه ، ومن رآه مدحيا شيئا سلم له في دعوته ، ومن مكارم أخلاقه أنه لو سأل إنسان أمر حاجه أجزأه أعطاه له كاتبة ما كانت ، كانت ، ويوجد للملك أنسا وإنشراحا ، ولا يعلق أمله بشيء من الدنيا ، وله صدقات وصلات خفية وظاهرة ، وكان راتب بيته من الخبز في كل يوم نحو الأرباب والطاحون دائمة الدوران ، وكذلك فق البن وشربيات السكر ، ولا ينقطع ورود الواردين ليلا ونهارا ، ويجمع على مائته الأربعمائة والخمسون والستون ، ويصرف على بيوت أتباعه والمتسئين إليه . وشاع ذكره في أقطار الأرض وأقبل عليه الوافدون بالطول والعرض ، وعادته الملوك وصدده الأمير وكان رزقه فيضا إلهيا . وللشيخ رضي الله عنه مناقب ومكاشفات وكرامات وبشارات وخرولق عادت بطول شرعها ذكرها الشيخ حسن المكي المعروف بشمه في كتابه الذي جمعه في خصوص الأستاذ ، وكذلك العلامة الشيخ محمد المنهوي المعروف باللهلجلاوي له مؤلف في مناقب الشيخ ومداحه وغير ذلك (حجاب الأكار / ١ ، ٣٣٩ - ٣٤١) .

وكان صوفيا خلوتيا تلقن الطريق عن السيد مصطفى بن كمال الدين البكري الصديقي ، ولحق الحفصيّ الكثيرين من المشايخ المشهورين مثل الشيخ محمد العنبر والشيخ محمد السهنوري والشيخ محمد الزهيري والشيخ محمد السقا . والشيخ محمد الفشتي والشيخ محمود الكردي والشيخ أحمد المدوني الشهير

(والبيضة في بطن النمرخة) ^١ مخبوءة في صدفها ومنفردة في صنفها فمن أرادها فليصب للحصول عليها.

(والقرحة عاوزه قمحة) «كى تنفس بها فتلفظ ما فى جوفها
(والقمحة فى الأجران) «مكانها الطبيعى .

(والأجرا ن عا وزة الدرا س) : الج د وال اجتهاد

وهذه درجات في التصوف لا بد أن يسلكها السالك حتى يصل.

وكان رحمه الله حسن الفكاكة . فقد ألف عنه الشيخ حسن شمة مقامة سماها : (فيض المفضي بمدح المحض) ذكر فيها أنه (أى الشيخ حسن ألف موليا :

فَسَالُوا تَحِبُّوا الْمُسْلِمِينَ

قلت بـالـبـزيت الحـمار

والعيش الأيسر تحب

قلنت والكشك

فَسَبِّحُوا بِحَمْدِ رَبِّكُم مِّنَ الصُّبْحِ إِلَى الْمُمْسِ

فَلْتَبَيِّنْ لَهُم مَّا رَفَعْنَا

قالوا إيش فكمون في الخطباء

فلسفۂ عقلی طبرستان

لا يلائي : وقال : يا له

$$-\infty < t < \infty$$

قلت يا ربنا

والبيض المملح — وي تبيضه —

قلوب والمقل

(أسماء ومسميات / ١١٠-١١٢).

من مؤلفاته :

١٠- الثمرة البهية

- حاشية على شرح الأشعرونى (لآلفية ابن مالك فى النحو)

– آنفس نفائس الدرر (حاشية على همزية البومبيري) (باتي

بيان مخطوطة ليما بعدد)

١٠ - كتابية على مخرج الكسرة في على الترساة العظمية (من
علاء الدين)

رسالة في الثقلية في الفروع في أصول الفقه .

— حاشية علم، شرح الفوائد المنشورية للمشتبوري (في

الموارث .

—رسالة في الأحاديث المتعلقة برؤية النبي ﷺ.

...رسالة في فضل التسييح والتحميد في الفضائل والأدب .

بالدريد. والش: عبد الله الشرقاوي شيخ الأزهر ورئيس الديوان الذي أنشأه الفرنسيون. وغيرهم كثيرون. ومن يلقبه الشيخ من المريدن يجعله خليفة ويحيزه في أخذ اليهود والتسليك.

واسلم على يده كيرون . منهم الشيخ محمد المهدي سكرتير
الديوان الذي أنشأ نابليون . وهو جد الشيخ محمد العباسي
المهدي الشيخ الحادي والعشرين من شيوخ الأزهر . والذي كان
على يده أول إصلاح للأزهر في العصر الحديث في عهد إسماعيل
سنة ١٨٧٢ م بتنظيم امتحانات له .

وكان مطاع الرأي . لا يبرم أمر من الأمور إذا عاوزه . وكان في وقته التنافس بين علي بك الكبير قبل أن يستقل بشؤون مصر وبين خليل بك بلنسيا وعصبة من أمراء المماليك . وانحاز علي بك

الكبير ومعه صالح بك إلى الصعيد متحالفين على يد شيخ العرب همام وكان خليل بك ومن معه قد عزلوا والي العثماني وأقاموا خليل بك في المقام مكانه حتى يعين غيره من استنبول. وأراد الأمراء

على بك، فعارضهم الشيخ الحفنى بأن استمرار هذا الوضع خراب
للبلاد، ولا بد من الصلح والتفاهم الودى، فرفضوا الراية مكرهين.

أنه مات مسموما بمصرتهم سنة ١١٨١ هـ (١٧٦٧ م) . ويرى الجبرتي أن هزمهم بعد ذلك أصام على بك الكبير كانت بسبب هذه الفعلة النكراء .

وكان مليح التخريج . فقد ذكر الجبرتي أنه فسر الدياتجة الشائعة في (حوادث) المعاجز من النساء : أحذثك حدوده ، بالزيت المنونة . حلفت ما أكلها . حتى يجي صاحبها ... الخ

فسرها كما يأتي . قال :
(أهدئك حديقة بالزيت ملتونة) يعنى السر الإلهى والسلاف
الأحمدى الأواهى الممزوج براح القرب والتعريب المبدل من

الحبيب .
(حلفت ما أكلها) « أتناولها فإن القصد لا يتم بلا وسيلة .

والمالك قبل كل شيء يحصل دليله .
(حذر . محرم . صاحبها) أي المرشد الكامل والمربي الباصي .

(وصاحبها فوق السطوح) : يتلقى معارج الروح . لا يذهب ولا

الأدراج

بلا معراج .

(والسلم عند النجار) أي له صاحب مخصوص وهو الأستاذ الكامل المملك الواصل .

(والنجار عاوز مسمار) ■ يثبت به سلم القرب والوصول .
(والمسمار عند الحداد) ■ صناعته المخصوص .

(والحداد عاوذ بيضة) ۱ یعنی لا یکون شیء بلا شیء. ومن
عما صلا استج. عليه السلام

رسالة على شرح الحفيد على مختصر جده السعد التفتازانى (فى البلاغة) .

شرح المسألة الملفقة فى تحليل المطلقة (ثلاثا) .

مجموعة من الإجازات لكثير من تلاميذه إقرارا بقدرتهم على الدرس والتفوى .

ومات فى ٢٧ ربيع الأول ١١٨١ هـ (شيخ الأثر / ١٦ ، ١٧) .
وأضاف الزركلى إلى مؤلفات الحفى : « فرائد عوائد جبرية »
حاشية فى الحساب ، و « حاشية على الجامع الصغير للسيوطى » .
مطبوع فى جزء بين (الأعلام / ٦ / ١٣٥) .

وفىما يلى بيان مخطوط كتاب الحفى « أنفس نفائس للدرر »
وهو موجود فى مكتبة المتحف المرقى الرقم ١٧٩٠ .

الأول : « حصد لمن جعل أحبابه أطلال على سبيل الهداية ،
وأمرهم بلوابع الأنوار وسواعط الأسرار » .

وهى حاشية على شرح الهزمية لابن حجر الهيتمى .

قالت المؤلفة : جاء فى كتاب شيخ الأثر / ١٧ كذا ذكرنا
أنفا أن هذا الكتاب حاشية على هزيمة البوصيرى .

نسخة جيدة ، كتبت فى حياة المؤلف ، وعنوان الكتاب كتب
بخط المؤلف .

٤٨ ص ١٦ × ٢١ ، ٥ سم ٢٤ ص
مجموع المؤلفين ١٥ / ١٠ ، هدية المارفين ١٣٥ / فهرس
الأرقام ١٤ (مخطوطات الأدب / ٥٢ ، ٥٣) .

(شيخ الأثر وملحات من نظامه المعاصر / ١٦ ، ١٧ ، وحجاب
الأثر فى التراجم والأخبار للشيخ عبد الرحمن الجبرى / ١ - ٣٣٩ ، ٣٤١ ،
وأسماء وبسميات من مصر القاهرة - محمد كمال السيد محمد / ١١٠ -
١١٢ ، والأعلام للزركلى وما جاء بهامش (١) من مصادره ومخطوطات
الأدب فى المتحف المرقى - أسامة ناصر التفتازانى وعليه محمد هبلى
/ ٥٢ ، ٥٣ .

انظر أيضا الأثر فى الف ع.د - أحمد محمد هوف / ١١٣) .

انظر : الحفى (يوسف بن سالم) .

• الحفى (يوسف بن سالم)

شقيق الشيخ محمد بن سالم الحفى المتوفى سنة ١١٨١ هـ .
نعته الجبرى بالإمام العالم العلامة والمحقق الفهامة (الجبرى / ١
/ ٣٢٩) وهو يوسف بن سالم ، ولد بفتحنا (قرية بجوار بليس) ،
وتلقى بالأثر من مشايخ عصره ومن أخيه محمد . انظر : الحفى
(محمد بن سالم) ثم نبغ واشتهر بالأدب والشعر ، ومن أبديع
مصنفاته النحوية « حاشية » على شرح الأشموني تناقش فيها
الفضلاء ، ولكن الصبان تتبعها فى حاشيته هو على الأشموني وقد
كثيرا منها ، توفى سنة ١١٧٨ هـ (نشأة النحر / ٣٠٦) .

وقد ذكرها الجبرى من بين مؤلفاته كما ذكر حاشية على

مختصر السعد ، وحاشية على شرح الخرزجية لشيخ الإسلام ،
وحاشية على جمع الجوامع لم تكمل ، وحاشية على التانصير وابن
القاسم ، وشرح [على] شرح الأثرية لمؤلفها ، وشرح على شرح
السعد لمؤلفه النفسى ، وحاشية الخيالى عليه ، توفى فى شهر صفر
سنة ١١٧٨ هـ (عجائب الآثار / ١ / ٣٢٩ ، ٣٣٠) .

ويضيف الزركلى صاحب الأعلام إلى مؤلفاته فيقول : له
« مقامتان » ، ورسالة فى « علم الأدب » و « شرحها » و « ديوان
شعر » و « حاشية على شرح الرسالة العفدية » و « شرح التحرير »
فى الفقه ، وحاشية على « شرح آداب البحث » للمصطفى ، و
« حاشية على شرح إيساغوجى » (الأعلام / ٨ / ٢٣٢) .

(عجائب الآثار فى التراجم والأخبار للشيخ عبد الرحمن الجبرى / ١
/ ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، نشأة النحر - الشيخ محمد الطنطاوى / ٣٠٦ ، والأعلام
للزركلى / ٨ / ٢٣٢ وفيه وفاته سنة ١١٧٦ قلا من : برنسون ٢٨٧ ،
والكنة ٦٨ / ٦ .

انظر أيضا المخطوط التوفيقية الجبلية لملى باشا مبارك - إهداء عز
عبد المجيد شلقامى / ١٠ / ١٧٠) .

• الحفى :

قال الرافى الأحفانى فى مادة « حفى » :

حفى : الإخفاء فى السؤال التزعم فى الإلحاح فى المعطالبة أو
فى البحث عن تعرف الحال وعلى الوجه الأول يقال أحفيت أحفكم
وأحفيت فلانا فى السؤال قال الله تعالى « إن يسألكموها فيحفكم
تبخلوا » [محمد : ٢٧] وأصل ذلك من أحفيت الذابة جعلتها
حافيا أى منسجع الحافى ، والبعر جعلته منسجع الحف من
المشى حتى يرقى وقد حفى حفا وحضوة ومنه أحفيت الشارب
أخذته أخذاً منتهي ، والحفى البر اللطيف ، قوله عز وجل : « إنه
كان بى حفيا » [مريم : ٤٧] ويقال أحفيت فلان وتحفيت به إذا
عنيت بإكرامه ، والحفى العالم بالشيء .

(المعقودات فى غريب القرآن للرافى الأحفانى - تحقيق ووسط
محمد سيد كيلانى / ١٢٥) .

قالت المؤلفة : وقال تعالى : « يسألكك كأنك حفى عنها »
[الأرفاف : ١٨٧] .

• الحفيد :

من أسماء الله الحسنى : يفسره حجة الإسلام أبو حامد الغزالى
فيقول :

هو الحافظ جدا ...

ولن يفهم ذلك إلا بفهم معنى الحفظ ... وهو على وجهين :
أحدهما إقامة وجود الموجودات وإبقاؤها . وبضاده الإعدام .
والله تعالى هو الحافظ للسموات ، والأرض ، والملائكة ،
والموجودات التى يطول أمد بقائها ، والى لا يطول أمد بقائها مثل :
الحيوان ، والنبات ، وغيرهما .

بالشوك الثابت منه ليندفع به بعض الحيوانات المتطفلة له . فالشوك سلاح للنباتات كالقزوين والمخالب والأنياب للحיות ، بل كل قطرة من ماء قمحها حافظة يحفظها عن الهواة المضاد لها ، فإن الماء إذا جمل في إناء وترك مدة استراح هواءه ، وسلب الهواة صفته المالية عنه . ولو غسخت الإصبع في الماء ورفعتها ونكتستها تثلثت منها قطرة تبقى منكسة لا تنفصل مع أن من شأنها الهوى إلى أسفل ، ولكنها لم تنفصلت وهي صغيرة استرسل الهواة عليها وأحاطها . ولا تزال تمكث متصلة حتى يجتمع إليها بقية البابل ففكر القطرة تتجري على غرق الهواة بسرعة ولا يستولى الهواة على إحالتها وليس ذلك منها حفظاً لنفسها عن معرفة بغضها وقوة ضدها وحاجة استعمالها من بقية البابل ، وإنما ذلك حفظ من ملك موكل بها بواسطة معنى من ذاتها . وقد ورد في الخبر : أنه لا تزال قطرة من المطر إلا ومعها ملك يحفظها إلى أن تصل إلى مستقرها من الأرض . وحق المشاهدة الباطنة لأرباب البصائر ، وقد دلت عليه وأرشدت إليه ؛ فأمنوا بالخبر لا عن تقليد بل عن بصيرة والكلام أيضاً في شرح حفظ الله تعالى السموات والأرض وما بينهما . طويل كما في سائر الأفعال ، وبه يعرف معنى هذا الاسم لا بمعرفة الاشتقاق في اللغة . وترجم معنى الحفظ على الإجمال .

تنبيه : الحفظ من العباد : من حفظ جوارحه وقليه ، وحفظ دينه ، عن سطوة الشغب ، وجلافة الشهوة ، وخباع النفس ، وفور الشيطان فإنه على شفا جرف هار ، وقد اكتسفت هذه المهلكات المغضية إلى البوار (المفصل الأسنى / ١٠٠ ، ١٠١) .

أما الإمام فخر الدين الرازي فيفسره بقوله :

قال تعالى : ﴿ وَلَا يُوَدِّعُكُمْ هُمْ ﴾ [البقرة : ١٥٥] وقال : ﴿فإنه خير حافظاً﴾ [يوسف : ٦٤] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُزِّلُ الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] وقال : ﴿ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ﴾ [الصافات : ٧] واعلم أن الحفظ أشد بالمعنى من الحافظ كالعليم والعالم ، وللحفظ معنيان :

أحدهما ضد السهو والنسيان ، ويرجع معناه إلى العلم ، فهو تعالى حفيظ للأشياء بمعنى أنه يعلم جملتها وتفصيلها علماً لا يتبدل بالزوال ، والسهو والنسيان .

والثاني : الحفظ الذي هو ضد التضييع ، وهو حراسة ذات الشيء ، وبمعنى صفاته وكما لا ته من العلم ، قال تعالى : ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ [البقرة : ٢٣٨] أي لا تهملوها ولا تضيئوها . فهو سبحانه وتعالى حافظ السموات والأرض ، قال تعالى : ﴿ وَلَا يُوَدِّعُكُمْ هُمْ ﴾ وحافظ الكتب التي أنزلها عن التحريف والتبديل ، قال : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُزِّلُ الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ .

ثم تأمل أحوالك في دينك ودينك ، أما الدين فانتظر إلى الأكابر الذين زاغوا بأدنى شبهة ، أما إيلس فانظر كم عبد الله وكم

والوجه الثاني : وهو أظهر معنى الحفظ ... صيانة المتعاضدات والمتضادات بعضها عن بعض . وأعلى بهذا التعاضد ما بين الماء والنار ؛ فإنهما يتعاديان بطبيعهما ، فلما أن يغلي الماء النار ، وما أن تستحيل النار الماء إن غلبت فيصير بخاراً ثم هواء . والتضاد والتعاضد ظاهر بين الحرارة والبرودة ؛ إذ تذهب إحداها الأخرى . وكذا بين الرطوبة واليبوسة ، وسائر الأجسام الأرضية المركبة من هذه الأصول المتعادلة ؛ إذ لا يند للحيوان من حرارة غريزية لو بطلت لبطلت حياته ، ولا بد له من رطوبة تكون غذاء لينته كالدم وما يجري مجراه ، ولا بد من برودة تكسر سورة الحرارة حتى تعتدل ولا يحترق فرقه ولا يجلل الرطوبات الباطنة بسرعة .

وهذه متعاضدات متنازعات وقد جمع الله بين هذه المتضادات المتنازعات في إلهاب الإنسان وجمع الحيوان والنبات وسائر المركبات ولو لا حفظ إلهامها لتنازلت وتنازعت وبطل امتزاجها واضمحلت تركيبها وبطل المعنى الذي صار مسنداً لقوله بالتركيب والمزاج وحفظ الله إلهامه بتعديل قواها مرة وبإمداد الغلوب منها ثانياً أما التعديل فهو أن يكون مبلغ قوة النار مثل مبلغ قوة الماء ، فإذا اجتمعا لم يذهب أحدهما الآخر ، بل يتساوفاً ؛ إذ ليس أحدهما بأن يذهب أولى من أن يذهب ، فيقاومان ، ويقي قوام التركيب بتقارومهما أو تعادلتهما ... وهو الذي يعبر عنه باعتدال المزاج .

والثاني : إمداد المطلوب منهما بما يبعد قوته حتى يتناغم الغالب . ومثاله : أن الحرارة تقضي الرطوبة وتبطفها لا محالة ، فإذا غلبت ضعفت البرودة والرطوبة وغلبت الحرارة واليبوسة . ويكون إمداد الضعيف بالجمد البارد الرطب وهو الماء . ومعنى العطف هو الحاجة إلى البارد الرطب ، فيخلق الله تعالى البارد والرطب مدته البرودة والرطوبة إذا غلبت . وخلق الأطعمة والأدوية وسائر الجواهر المتضادة ، حتى إذا غلب شيء عوضه بغيره فانتظر ... وهذا هو الإمداد .

وإنما تم ذلك بخلق الأطعمة والأدوية ، وخلق الآلات المصلحة لها ، وخلق المعرفة الهادية إلى استعمالها . وكل ذلك لحفظ أبدان الحيوان والمركبات من المتضادات . وهذه هي الأسباب التي تحفظ الإنسان من الهلاك الدخائل .

وهو متمرض للهلاك من أسباب خارجية : كسباح ضارية ، وأعداء متنازعة ... فيحفظه عن تلك بما خلق له من الجواريس المتدرة بقرب العدو ، وهي طلائع : كالعين ، والأذن ، وغيرهما . ثم خلق له اليد الباطنة والأسلحة الخفية : كالذراع ، والبرص ، والفاشية : كالسيف ، والسكين ، ثم ربما يصبر مع ذلك عن الدلع ؛ فأمده بأداة الهرب وهي الرجل للحيوان الماشي والجنح للطائر .

وكذا شمل حفظه جلت قدرته كل ذرة في ملكوت السموات والأرض ، حتى الحشيش الذي ينبت من الأرض يحفظ ليا به بالتشر الصلب وطروته بالرطوبة . وما لا ينحفظ بمجرّد القشر يحفظه

أما المشايخ : فقالوا : الحفيظ الذي صانك في حال المحنة
عن الشكوى ، وفي حال النعمة عن البلى .

وقيل : الحفيظ من هداك إلى التوحيد ، وخصك في الخدمة
بأنواع الحفظ والتسديد .

وقيل الحفيظ الذي حفظ شرك عن ملاحقه الأفيار ، وصان
ظاهرك عن موافقة الفجار .

قال بعضهم : ما من عبد حفظ جوارحه إلا حفظ الله عليه
قلبه ، وما من عبد حفظ الله عليه قلبه إلا جعله حجة على عباده)
شرح أسماء الله الحسنى / ٢٦٣ - ٢٦٦ .

(المقصود الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى لأبي حامد الغزالي -
دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشت / ١٠٠ ، ١٠١ ، وشرح أسماء الله
الحسنى لشيخ الدين الرزوي - راجعه وقدم له وعلق عليه الأستاذ عبد
المروء سعد / ٢٦٣ - ٢٦٦ .

• الحق :

قال الراغب الأصفهاني :

الحق : أصل الحق المطابقة والموافقة كمتابقة رجل الباب في
حده للورثة على استقامة والحق يقال على أوجه :

الأول : يقال للموجد الشيء بسبب ما تقتضيه الحكمة ولهذا
قيل في الله تعالى هو الحق ، قال الله تعالى : ﴿ ثم ردوا إلى الله
مولاهم الحق ﴾ [الأنعام : ٦٢] وقيل يُتَّكَد ذلك : ﴿ فللحكم الله
ربكم الحق فمافا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون ﴾ [يونس :
٣٢] .

والثاني : يقال للموجد بحسب مقتضى الحكمة ولهذا يقال
فعل الله تعالى كله حق ، وقال تعالى : ﴿ هو الذي جعل الشمس
ضياء والقمر نورا ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ ما خلق الله ذلك إلا
بالبحر ﴾ [يونس : ٥] وقال ﴿ ويستنبئون أحق هو قل إني وحي
إنه لحق ﴾ [يونس : ٥٣] ﴿ ويكتسبون الحق ﴾ [آل عمران : ٧١]
وقوله عز وجل ﴿ الحق من ربك ﴾ [البقرة : ١٤٧] و ﴿ آل
عمران : ٦٠ ﴾ وإنه للحق من ربك ﴾ [البقرة : ١٤٩] .

والثالث : في الاحتذاء للشيء المطابق لما عليه ذلك الشيء في
نفسه فنقولنا اعتقاد فلان في البت والثواب والعقاب والجنة والنار
حق ، قال الله تعالى : ﴿ فهدى الله الدين أمورا لما اختلطوا فيه من
الحق ﴾ [البقرة : ٢١٣] .

والرابع : للقول والقول الواقع بحسب ما يجب وبقدر ما يجب
وفي الوقت الذي يجب فنقولنا ذلك حق وقولك حق ، قال الله
تعالى ﴿ كذلك حقت كلمة ربك ﴾ [يونس : ٢٣] ﴿ حق القول
منى لأهل جهنم ﴾ [السجدة : ١٣] وقوله عز وجل : ﴿ ولو أتبع
الحق أهواءهم ﴾ [المؤمنون : ٧١] يصح أن يكون المراد به الله
تعالى ويصح أن يراد به الحكم الذي هو بحسب مقتضى الحكمة .
ويقال أحققت كذا أي أثبتته حقا أو حكمت بكونه حقا ، وقوله
تعالى : ﴿ ليحق الحق ﴾ [الأنفال : ٨] فأحساق الحق على

إطاعه ، ثم ضل بأذى شبهة !! وانظر إلى أكبر الطغيين ،
وخلق المهندسين والمتجنيين ، كيف زاغوا بأفخس شبهة !! حتى
تفرق أنك إنما بقيت على الحق بحفظ الحق وعيانيه ، وانظر إلى
الخليل عليه السلام مع جلالة قدره كيف قال : ﴿ رب هب لي
سكنا والحقني بالصالحين ﴾ [الشعراء : ٨٣] وقال : ﴿ ربنا
واجعلنا مسلمين لك ﴾ [البقرة : ١٢٨] وقال التكليم عليه السلام .
﴿ رب اشرح لي صدري ﴾ طه : ٢٥ وقال تعالى لمحمد ﷺ :
﴿ ولولا أن ثبثناك ﴾ [الأنعام : ٧٤] الآية وقال : ﴿ والله بمصعبك
من الناس ﴾ [المائدة : ٧٦] وقال المؤمنون ، ﴿ ربنا لا تزغ
قلوبنا بعد إذ هديتنا ﴾ آل عمران : ٧ .

وأما الدنيا فأصغر كم فيها من جهات الأفتاء ، وأسباب
المخالفات !! ثم تأمل من الذي دلفعا عنك ، كما قال تعالى :
﴿ قل من يكلوكم بالليل والنهار من الرحمن ﴾ [الأنبياء : ٤٢]
وأفصا وكل على عباده أشخاص من السلاكة ليحفظوهم عن
الأفتاء ، قال تعالى : ﴿ له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه
من أمر الله ﴾ [الرعد : ١١] أي بأمره ، وأفصا يحفظ على الخلق
أعمالهم ، ويحصي عليهم أحوالهم ، كما قال تعالى : ﴿ إنه عليم
بذات الصدور ﴾ [الأنفال : ٤٣] وكما قال ﴿ إنا كنا نستنسخ ما
كنتم تعملون ﴾ [الجاثية : ٩٢] .

بل معناها بحث أعلى ذكرته ، وهو أنه ثبت بالبرهان أن كل ما
كان ممكن الوجود فإنه كما يحتاج إلى المرحح حال حدوثه ، فكذا
يحتاج إليه حال بقائه ، ولولا الميثى لما بقى شيء من الممكنات ،
فالحق سبحانه وتعالى هو الذي يحفظ جميع الممكنات من العود
إلى عدم ، وأفصا الحق سبحانه وتعالى هو الذي يحفظ السموات
عن الهوى والسقوط ، كما قال ﴿ إن الله يمسك السموات والأرض
أن تزولا ﴾ [فاطر : ٤١] وهو الذي خلق الأرض على وجه البحر ،
ثم إنه بقدرته يحفظها عن الغرق بكنيتها في البحر . مع أن طبع
الأرض الغرق في الماء ، وهو الذي مرج بين العناصر المتضادة
الفوارة بعضها من بعض بطبيع ، فهو سبحانه وتعالى ركب أبدان
الحيوانات منها ، وأمسك كل واحد منها مع ضده على خلاف
مقتضى طبيعته .

وأما حظ العيد : أما في قوته النظرية فهو أن يجتهد في حفظها
عن اتباع الشهوات والبلى ، وأما في قوته العملية فهو أن يحفظها
عن الاتقياد لمقتضى الشهوة والغضب ، وقد يتنا قيسا تقدم أن
الفضيلة في الوسط ، والمزيدة في الطرفين ، والوسط بين الشهي
والظلم هو الخط المستقيم ، وهو طول لا عرض له ألبته ، فكان أحد
من السيف لا محالة ، وأدق من الشجرة ، وأنه هو الصراط المستقيم
الذي يجب عليه السبي في هذا اليوم ، وهو طريق ممدود على متن
جهنم ، فيجب على الإنسان أن يحفظ نفسه عن الميل إلى الطرفين
ومن المعلوم أن المشي في الدنيا على هذا الصراط المستقيم
مختلف . فمنهم من يمشى عليه كالسرق الخائف ، ومنهم من
يمشى على أنواع التعب والشدة .

والحق في القرآن على ثمانية عشر وجها :
 أحدها : الله عز وجل ، ومنه قوله تعالى في المؤمنين ﴿ ولو اتبع الحق أهواءهم ﴾ [المؤمنين : ٧٦] .
 الثاني : القرآن ، ومنه قوله تعالى في الأنعام ﴿ فقد كذبوا بالحق ﴾ [الأنعام : ٥] ، وفي القصص ﴿ فلما جاءهم الحق من عندنا ﴾ [القصص : ٤٨] وفي الزخرف ﴿ حتى جاءهم الحق ورسول مبين ﴾ [الزخرف : ٢٩] .

والثالث : التوحيد ، ومنه في المؤمنين ﴿ بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون ﴾ [المؤمنين : ٧٠] وفي القصص ﴿ فاعلموا أن الحق لله ﴾ [القصص : ٢٥] ، وفي العنكبوت ﴿ أو كذب بالحق لما جاءه ﴾ [العنكبوت : ٦٨] وفي الصافات ﴿ بل جاء بالحق وصدق المرسلين ﴾ [الصافات : ٣٧] .

والرابع : الإسلام ومنه في الأنفال ﴿ ليحق الحق ﴾ [الأنفال : ٨] ، وفي بني إسرائيل ﴿ وكل جاء الحق ﴾ [الإسراء : ٨١] وفي النمل ﴿ إنك على الحق المبين ﴾ [النمل : ٧٩] .

والخامس : العدل ، ومنه في الأعراف ﴿ افتح بيننا وبين قومنا بالحق ﴾ [الأعراف : ٨٦] وفي التور ﴿ يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ﴾ [التور : ٢٥] ، وفي الأنبياء ﴿ قال رب احكم بالحق ﴾ [الأنبياء : ١١٢] وفي ص ﴿ فاحكم بيننا بالحق ﴾ [ص : ٢٢] .
 والسادس : الصدق ، ومنه في الأنعام ﴿ قول الحق ﴾ [الأنعام : ٧٣] وفي يونس ﴿ قل إني نذير لعلكم تهتدون ﴾ [يونس : ٥٣] .

والسابع : المال ، ومنه في البقرة ﴿ وليعلم الذي عليه الحق ﴾ [البقرة : ٢٨٢] وفيها ﴿ فإن كان الذي عليه الحق سفيها ﴾ [البقرة : ٢٨٢] .

والثامن : الوجوب ، ومنه في تنزيل السجدة ﴿ حق القول مني ﴾ [السجدة : ١٢] وفي المؤمن ﴿ حقت كلمة ربي ﴾ [الحاقة : ٦] ، وفي الأحقاف ﴿ حق عليهم القول ﴾ [الأحقاف : ١٨] .

والتاسع : الحاجة ، ومنه في هود ﴿ ما لنا في ناثلك من حق ﴾ [هود : ٧٩] .

والعاشر : الحظ ، ومنه في سأل سائل ﴿ في أسوأهم حق معلوم ﴾ [المعارج : ٢٤] .

والحادي عشر : البيان ، ومنه في البقرة ﴿ الآن جئت بالحق ﴾ [البقرة : ٧١] ، وفي هود ﴿ ويحكم في هذه الحق ﴾ [هود : ١٢٠] .

والثاني عشر : أمر الكعبة ، ومنه في البقرة ﴿ ليكنتمون الحق ﴾ [البقرة : ١٤٦] .

فربين : أحدهما بإظهار الأدلة والآيات كما قال تعالى : ﴿ وأولئك جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا ﴾ [النساء : ٩١] أي حجة قوية .
 والثاني بإكمال الشريعة ونبتها في الكافة بقوله تعالى : ﴿ ولله متم نوره ولو كره الكافرون ﴾ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ﴾ [الصف : ٩، ٨] وقوله تعالى : ﴿ الحاقة ﴾ ما الحاقة ﴾ [الحاقة : ١، ٢] إشارة إلى القيامة كما فسره بقوله ﴿ يوم يقوم الناس ﴾ [المطففين : ٦] لأنه يحق فيه الجزاء ، ويقال حافظته فحقته أي خاصته في الحق فغلبته وقال عمر رضي الله عنه : « إذا النساء بلغن نص الحقائق فالعصية أولى في ذلك » وفلان نزل الحقائق إذا خاضع في صغار الأمور ، ويستعمل استعمال الواجب واللازم والواجب ، نحو ﴿ وكان حقا علينا نصر المؤمنين ﴾ [الروم : ٤٧] ﴿ كذلك حقا علينا نجى المؤمنين ﴾ [يونس : ١٠٣] وقوله تعالى ﴿ حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق ﴾ [الأعراف : ١٥٥] قيل معناه جدير ، وقرئ حقيق على قيل واجب ، وقوله تعالى ﴿ ويموتهن أحق برهن ﴾ [البقرة : ٢٢٨] والحقيقة تستعمل تارة في الشيء الذي له ثبات ووجود كقوله ﴿ لا تبارك لتبارك ﴾ لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك ؟
 أي ما الذي ينبغي من كون ما تدعيه حقا ، وفلان يحمي حقيقته أي ما يحق عليه أن يحمي . وتارة تستعمل في الاعتقاد كما تقدم وتارة في العمل وفي القول يقال فلان لفعله حقيقة إذا لم يكن مرابيا فيه ، ولقوله حقيقة إذا لم يكن فيه مترخضا ومستريذا ويستعمل في غده المتعجز والمتوسع والمتعصب ، وقيل الدنيا باطل والأخرة حقيقة تبيها على زوال هذه وبقاء تلك . وأما في تعارف الفقهاء والمتكلمين فهي اللفظ المستعمل فيما وضع له في أصل اللغة ، والحق من الإلزام ما استحق أن يحمل عليه والأشئ حقة والجمع حقائق وأنت المناقاة على حقا أي على الوقت الذي ضربت فيه من العام الماضي (المفردات / ١٢٥ ، ١٢٦) .

وعن الحق وأوجه وروده في القرآن الكريم بقوله الإمام ابن الجوزي :

الحق : الصواب والصحيح وضده الباطل .

والحقيقة : ما يصير إليه حق الأمر ، وحق الشيء : إذا وجب ، وحق فلان فلانا إذا خاضعنا ، وادعى كل واحد منها الحق فإذا غلبه قيل حقه وأحقه ، ويقال : احتسب في الدين إذا ادعى كل واحد الحق ، والحاقة : القيامة ، لأنها تاتى بكل والحقة من أولاد الإبل التي استحق أن يحمل عليها ، والجمع حقائق والحقة معروفة ، والجمع حقت ، والحقيقة أرفع السير وأتبع للظهور .

قال مطرف :

إن خيسمر الأمصور أوسطهم

وإن شمر السهر الحقة

وبيته حذوة كانه على حميم ﴿ فصلت : ٣٤ ﴾ [ولحق في الأنفس والأفئاق والمجمعات وشاهد آثار ، تميز وتجليه وتهدي إليه ، وليس كل الناس سواء في نقاء الفطرة ، وصفاء النفس ، وسلامة التصور فيعرفونه من خلالهم وآثاره ، ويؤمنون به ، ويتزكون على حكمه ، في العقيدة والعبادة ، والمعاملة والسلوك .

ومن هنا كانوا أمام الحق فريقين ، فريق تسلم فيه قوة الخير ، فيعرف الحق ويعمل به في خاصة نفسه ، فيكمل بالعلم والعمل ، ثم يتدفق بحكم الرحمة الإنسانية وإبتغاء مرضاة الله ، ومحبة الخير لعباده ، إلى تكميل الناس بما كمل به نفسه ، فيدعوهم إلى الحق ، ويعمل جهده في إنقاذهم من الباطل الذي تعجب عنهم فشاوه نور الحق ، وتقطع دونهم مدده .

وفريق آخر تنمو في نفسه قوة الشر بتأثير بيئة فاسدة ، أو وراثة ضالة أو شهوة طائشة ، وبذلك يتخيل أن إيمانه بما قر في الضمير الإنساني أنه حق ، يزلزل مكانته في قومه ، أو يقطعه عن سلفه ، أو يهدد عليه منافذ شهوته ، فيشر منه ويعرض عنه ، ويقع عنده موقع السخط والإتكار وينطلق في الحياة كالوحش في الغلالة يفتري من الأحياء ما أمكنه أن يفتري ، ويتكلم من الأضرار ما أمكنه أن يتكلم ، ويستلب من الأولاد ما أمكنه أن يستلب ، وليس لديه من الموازين ما يتحكم إليه في معرفة ما ينفي أن يفعل فيفعله ، وما لا ينفي أن يفعل فلا يفعله ، ولا يلق في ذلك عند نفسه ، بل يشط ويعمل جاهدا في صرف الناس عن الحق وتأجيلهم عليه ، يلبسه بالباطل ويلقي عليه الشبه والشكوك ليطمس معالمه ، ويطلق نوره إن استطاع إلى ذلك سبيلا .

فريقان : فريق يهتدي ويهدي ﴿ ومن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون ﴾ [الأعراف : ١٨١] .

وفريق يضل ويضل ﴿ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ﴾ ثلثي عطفه ليضل من سبيل الله له في الدنيا عجزى وتلقاه يوم القيامة حلاب الحريق ﴿ [الحج : ٩٠٨] . وقد كان رسول الله وأتباعهم من بعدهم ، يمشون في العصور المختلفة ، الضريق الأول ، يمرقون الحق ، ويشرق عليهم نوره ، فيؤمنون به ، ويخلصون في الدعوة إليه .

وكان غيرهم من رموس الكفر والظلم ، ودعاة الإباحية - أرباب الجاه الزائف أو السلاطنة الغاشق أو التصور الفاسد ، الذين ابتلى الله بهم عباده المخلصين في كل عصر وفي كل مكان - يمشون الضريق الثاني ، يكفرون بالحق ويصدون عن سبيله ، ويفترون الناس فيه .

وقد صور الله إعرافهم عن الحق ودعوته بما حكى عنهم في أنفسهم ﴿ فلوينا في أكنة مما نكفوننا إلى أفئتنا ونقر ومن يتنا

والثالث عشر : إيضاح الحلال والحرام ، ومنه في البقرة ﴿ بأن الله نزل الكتاب بالحق ﴾ [البقرة : ١٧٦] .

والرابع عشر : لا إله إلا الله ، ومنه في الرعد ﴿ له دعوة الحق ﴾ [الرعد : ١٤] .

والخامس عشر : انتفاض الأجل ، ومنه في ق ﴿ وجاءت سكرة الموت بالحق ﴾ [ق : ١٩] .

والسادس عشر : المنجز ، ومنه في براءة ﴿ وعدنا عليه حقا ﴾ [التوبة : ١١١] وفي الكهف ﴿ وكان وعد ربي حقا ﴾ [الكهف : ٩٩] .

والسابع عشر : الجرم ، ومنه في البقرة ﴿ يقتلون النبيين بغير الحق ﴾ [البقرة : ٦١] وفي آل عمران ﴿ بغير حق ﴾ [آل عمران : ٢١ ، ١١٢] .

والثامن عشر : الحق المضاد للباطل ، ومنه في يونس ﴿ مولاهم الحق ﴾ [يونس : ٣٠] .

وفي الحج ﴿ ذلك بأن الله هو الحق ﴾ [الحج : ٦٣] وفي الروم ﴿ وما بينهما إلا بالحق ﴾ [الروم : ٨] [منتخب قرة العيون / ١٠٠-١٠٤] .

ويجمل هذه الأوجه فضيلة الإمام الأكبر الأسبق الشيخ محمود شلتوت رحمه الله في بحث من بعثه في النفيسة فيقول تحت عنوان «الناس أمام الحق فيرقان :

﴿ أبها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل ﴾ [يونس : ١٠٨] .

إن الإسلام - وهو دين الله العام الذي بعث به كل رسله وأئزل لبيانه كل كبة - تدور شرائعه وأحكامه مهما تعددت وتوعدت ، حول كلمة واحدة هي « الحق » .

والحق هو ما تشهد به الفطر التي لم تفسد ، وتطمئن إليه النفوس التي لم تدنس ، وتطيب به الحياة التي لم ينصرف أهلها عن الصراط المستقيم .

والحق يتنجح إلى : حق في العقيدة ﴿ قل هو الله أحد ﴾ الله الصمد ﴿ لم يلد ولم يولد ﴾ ولم يكن له كفوا أحد ﴿ [سورة الإخلاص] وحق في العبادة ﴿ فلكم الله ويحكم لا إله إلا هو خلق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل ﴾ [الأنعام : ١٠٢] وحق في المعاملة ﴿ كونوا قزوين بالقسط شهداء الله ولو على أنفسكم ﴾ [النساء : ١٠٣] وحق في السلوك ﴿ فيما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت لظفا خليط للقلب لانتفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر ﴾ [آل عمران : ٥٩] ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك

وينك حجاب ﴿ فصلت : ٥ ﴾ وكذلك صور طريقتهم في محاولة صرف الناس عن الحق بما حكي عنهم أيضا بالنسبة إلى الدعوة ﴿ لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبوا ﴾ ﴿ فصلت : ٢٦ ﴾ . وبالنسبة إلى الداعي : ﴿ لا تنفروا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ﴾ ﴿ المنافقون : ٧ ﴾ .

وهذان طريقان يسلكهما أهل الضلال في كل عصر لمحاربة الحق ودعوته ، يتكرونها ويظهرون التبرم به ، ويحذرون الإنصات إليه ، ويضربون الحصار على أهله .

وبذلك وقع الصراع في حياة الناس ، وفيما يرى من مظاهرها بين « الحق والباطل » .

والله هو الحق . والحق دعوته والشيطان هو الباطل ، والباطل دعوته ، وقد ضرب الله المثل للحق والباطل ﴿ فأما الزبد فذهب جفاء ، وأما ما ينفع للناس فثبت في الأرض ﴾ ﴿ الرعد : ١٧ ﴾ .

وقد رسم لعباده المخلصين ما يليهم بقي دعوتهم شر التأثير بأراجيف الباطلين وكيدهم كمثل لهم بوعده الحق ، للنصر والتأييد ما استقاموا على طريقته وتمسكوا به ، وجاهدوا في سبيله ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾ ﴿ المتكوت : ٦٩ ﴾ .

وأكد لهم أن كل ما يذله الممارضون أمهاله الحق في مكانته وإضعاف سلطاته والتضييق على أهله سينقلب عليهم شره ، ويسترد أملاكهم إلى نحرهم حادة قتالة ﴿ إن الذين كفروا يتفقون أو ألهم ليعصوا عن سبيل الله فيستبقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون ﴾ ﴿ الأنفال : ٣٦ ﴾ .

وكذلك يؤكد لهم بإيمانهم وإخلاصهم في الدعوة إلى الحق ، وصبرهم على مشاقها في حضانتها ومعيتها ﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ ﴿ النحل : ١٧٨ ﴾ مكية حفظ ورسالية ، ونصر وتأييد ، يربط بها على قلوبهم فلا يصل إليها شيء من بواعث الخوف والرهز ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا ﴾ ﴿ فصلت : ٣٠ ﴾ .

ثم يرشدهم إلى سمو مكانتهم عنده ، وأنهم بالدعوة إلى الحق أو الضميمة في سبيله بمنزلة لا يوجد في حكمه وفضائه أحسن منها ولا أسوأ ﴿ ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين ﴾ ﴿ فصلت : ٣٣ ﴾ .

هذا ولدعوة الحق صور وجوانب ، فالدعوة إلى الإيمان بالله وتوحيده في العبادة والاستعانة ، دعوة إلى الحق .

والدعوة إلى مكافحة الظلم والطغيان ، وإقرار العدل بين الناس دعوة إلى الحق .

والدعوة إلى تطهير النفوس والمجتمعات من الأخلاق الفاسدة والتقاليد الضارة دعوة إلى الحق .

والدعوة إلى تحرير البلاد وتخليصها من مغالب المستعمرين لتكون خالصة لأهلها ، يتظلمون بأحكام الله شئونها ، ويستشرون بها رسم خيرها ، دعوة إلى الحق .

والدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والتخدير من مولاة الأعداء ، واتخاذهم بطانة من دون المؤمنين دعوة إلى الحق .

والدعوة إلى نبذ الأمور الشخصية والتحلل من المعاني الذاتية في سبيل الصالح العام والتضامن العام ، دعوة إلى الحق .

والدعوة إلى نشر دين الله ، وحث تعاليمه خالصة نية من عمل الناسين ، ويدع الضالين ، الذين يكتبون بأيديهم ويقولون هذا من عند الله ، دعوة إلى الحق .

والدعوة إلى الحق في جميع صورها ، دعوة إلى الله (من توجهات الإسلام / ٢٥-٢٩) .

(المفردات في غريب القرآن للرابض الأصفهاني - تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني / ١٢٥ ، ١٢٦ ، ويتخذ قوة العيون المتواظرة في الوجوه والتظار في الفرقان الكريم للإمام ابن الجوزي - تحقيق ودراسة محمد السيد الصفاوي .د . فؤاد عبد المنعم أحمد / ١٠٠-١٠٤ ، ومن توجهات الإسلام - فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمد شلوت شيخ الأزهر الأسبق / ٢٥-٢٩) .

• الحق :

« الحق » من أسماء الله الحسنى وشرح الإمام الغزالي معناه فيقول :

هو الذي في مقابلة الباطل ...

والأشياء قد تستبان بأضدادها . وكل ما يغير عنه فإسا باطل مطلقا وإما حق مطلقا ، وإما حق من وجه - باطل من وجه .

فالمتنع بذاته هو الباطل مطلقا ، والواجب بذاته هو الحق مطلقا ، والممكن بذاته الواجب بغيره هو حق من وجه - باطل من وجه فهو من حيث ذاته لا يوجد له فهو باطل ، وهو من جهة غيره مستفيد للوجود فهو من الوجه الذي يلي مفيد للوجود فهو من ذلك الوجه حق ، ومن جهة نفسه باطل . ولذلك : « كل شيء هالك إلا وجهه » ﴿ القصص : ٨٨ ﴾ وهو كذلك ألا وأبدا ليس في حال دون حال لأن كل شيء سواء ألا وأبدا من حيث ذاته لا يستحق الوجود . ومن جهة يستحق ، فهو باطل بذاته حق بغيره .

وعند هذا تعرف الحق المطلق هو الموجود الحقيقي بذاته الذي منه يأخذ كل حق حقيقة .

وقد يقال أيضا للمعقول الذي صادف به العقل الموجود حتى طابقه أنه حق ، فهو من حيث ذاته يسمى موجودا ، ومن حيث إضافته إلى العقل الذي أدركه على ما هو عليه يسمى حقا .

بكلماته ﴿ يونس : ٨٢ ﴾ وأيضاً وعده حق ، قال تعالى : ﴿ إن وعد الله حق ﴾ [لقمان : ٢٣] .

واعلم أن الحق هو الموجود ، والباطل هو المعلوم ، وإذا كان الشيء واجب الوجود لذاته كان اعتقاده وجوده ، والإقرار بوجوده يكون مستحق التقدير والإثبات ، فلا جرم يسمى هذا الاعتقاد ، وهذا الإقرار حقاً ، أما إذا كان واجب العدم كان اعتقاده وجوده ، والإقرار بوجوده مستحق العدم ، فلا جرم يسمى هذا الاعتقاد وهذا الإقرار باطلاً .

إذا عرفت هذا فنقول : الشيء إما أن يكون واجباً لذاته ، أو مستمناً لذاته ، أو ممكناً لذاته ، أما الواجب لذاته فإنه حق محض لذاته ، وأما المستمتع لذاته فهو باطل محض لذاته ، والمستمكن لذاته مثل هذا لا يترجح وجوده على عدمه إلا بإيجاباً موجد ، فلو لم يوجد ذلك الموجد لبقي على العدم ، فإذا كان ممكن فهو من حيث هو باطل ومالك ، فلهاذا قال تعالى ﴿ كل شيء مالهك إلا وجهه ﴾ [القصص : ٨٨] ولهذا المعنى يقول المفسرون : لا موجود في الحقيقة إلا الله . وأيضاً لكل ممكن فهو إنمياً يكون موجوداً بتكوين واجب الوجود ، فواجب الوجود هو الذي يجعل كل ما سواه حقاً ، وهذا هو المراد من قوله : ﴿ ويحق الله الحق بكلماته ﴾ [يونس : ٨٢] فهو سبحانه حق لذاته ، ويحق الحق بكلماته ، فما أحسن مطابقة هذه الدلائل البرهانية على هذه الرموز القرآنية .

ولما ثبت أنه سبحانه حق لذاته ، كان اعتقاده وجوده . واعتقاده كونه موصوفاً بصفات التعالي والطهارة حتى الاعتقادات ، لأن المعتقد لما كان مستمتع للتغير امتنع تغير ذلك الاعتقاد من كونه حقاً إلى كونه باطلاً ، وكذا الإقرار به والإخبار عن وجوده ، فهو سبحانه أحق المحققين بأن يكون حقاً ، ومعرفة أحق المعارف بالحقيقة ، والإقرار به أحق الأقوال بالحقيقة ، ثم هاهنا سوالات .

الأول : ما معنى قول الحسين بن منصور الحلاج : أنا الحق ؟ والجواب : أما القول بالانحاد فظاهر البطلان ، لأنه إذا انحدر شيئان فإن بقاءيهما اثنان ، وإن فنيا كان الثالث شيئاً آخر ، وإن بقي أحدهما ونفى الآخر امتنع الاتحاد ، لأن الموجود لا يكون نفس الممدموم ، فبقي أن يطلب لكلام هذا الرجل تأويل . وتأويله من وجوه .

الأول : أنا بينا بالبرهان التبر أن الموجود هو الحق سبحانه ، وأن كل ما سواه فهو باطل ، فهذا رجل ما سوى الحق عن نظره ، وفيت نفسه أيضاً عن نظره ، ولم يبق في نظره موجود غير الله ، فقال في ذلك الوقت أنا الحق ، كان الحق سبحانه أجرى هذه الكلمة على لسانه ، حال فاته بالكيفية عن نفسه ، واستغراقه في أنوار جلال الله تعالى ، ولهذا المعنى لما قيل له : قل أنا الحق أبي ، فإنه لو قال أنا بالحق لصار قوله أنا إشارة إلى نفسه ، والرجل كان في مقام محو ما سوى الله .

التأويل الثاني : أنه ثبت أنه سبحانه هو الحق ، ومعرفة هي

فإذا نحن الموجودات بأن يكون حقاً هو الله تعالى ، فإنه حق في نفسه ، أي مطابق للمعلوم أولاً وأبداً ، ومطابقة لذاته لا لغيره لا كالمعلم بوجوده غيره ، فإنه لا يكون إلا ما دام ذلك الغير موجوداً ، فإذا علم عاد ذلك الاعتقاد باطلاً ، وذلك الاعتقاد أيضاً لا يكون حقاً لذات المعتقد ؛ لأنه ليس موجوداً لذاته ، بل هو موجود لغيره وقد يطلق ذلك على الأقوال ، فيقال : قول حق ، وقول باطل . وعلى ذلك فأحق الأقوال قول لا إله إلا الله ؛ لأنه صادق أبداً وأزلاً لذاته لا لغيره .

فإذا نحن يطلق الحق على الوجود في الأحيان ، وعلى الوجود في الأدهان وهو المعرفة ، وعلى الوجود الذي في اللسان وهو النطق . فأحق الأشياء بأن يكون حقاً هو الذي يكون وجوده ثابتاً لذاته أزلاً وأبداً ، ومعرفة حقاً أزلاً وأبداً ، والشهادة لا حقاً أزلاً وأبداً ، وكل ذلك لذات الموجود الحقيقي لا لغيره .

تنبيه : حظ العبد من هذا الاسم أن يرى نفسه باطلاً ، ولا يرى غير الله حقاً ، والعبد إن كان حقاً فليس حقاً بنفسه ، بل هو حق بالله فإنه موجود به لا بذاته ، بل هو بذاته باطل لولا إيجاب الحق له . فقد أحصا من قال : أنا الحق . إلا بأحد تأويلين : أحدهما : أن يعنى أنه بالحق . وهذا التأويل بعيد ، لأن اللفظ لا ينسب عنه ، ولأن ذلك لا يخصه ، بل كل شيء سوى الحق فهو بالحق . التأويل الثاني : أن يكون مستغرقاً بالحق حتى لا يكون فيه متسع لغيره . وما أخذ كلية الشيء واستغرقه فقد يقال إنه هو كما يقول الشاعر :

« أنا من أهوى ومن أهوى أنا »

ويعنى به الاستغراق .

وأهل التصوف لما كان الغالب عليهم رؤية أنهم انفسهم من حيث ذاتهم كان الجارى على لسانهم من أسماء الله تعالى في أكثر الأحوال هو الحق ؛ لأنهم يحفظون الذات الحقيقية دون ما هو هالك في نفسه .

وأهل الكلام لما كانوا أبعد في مقام الاستدلال بالأفعال كان الجارى على لسانهم في الأكثر اسم الباري الذي هو بمعنى المخلوق .

وأكثر المخلوق يرون كل شيء سواء فيستشهدون عليه بما يرونه ، وهم المخاطبون بقوله تعالى : ﴿ لو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء ﴾ .

والصديقون لا يرون شيئاً سواه فيستشهدون به عليه ، وهم المخاطبون بقوله : ﴿ لو لم يكف يربك أنه على كل شيء شهيد ﴾ (المقصد الأسنى : ١١٢ ، ١١٣) .

أما الإمام فخر الدين الرزاري فيفسره على النحو التالي :

قال تعالى ﴿ ثم ردنا إلى الله مولاهم الحق ﴾ [الأنعام : ٦٢] وقال : ﴿ ذلك بأن الله أنى هو الحق وأن ما تدعون من دونه الباطل ﴾ [لقمان : ٣٠] وهو أيضاً محق الحق ، قال . ﴿ ويحق الله الحق

ويسمى أيضاً : السيف المسلول في الرد على صاحب المتحول (هو الإمام الزنلي) .

ويسمى أيضاً : الدرّة المتّفة في انتصار الإمام الأعظم أبي حنيفة .

تأليف : أبي الوجد محمد بن عبد الستار بن محمد المعادي الكردي المتوفى سنة ٦٤٢ هـ / ١٢٤٤ م .

وهو في ستة فصول :

الفصل الأول : في ذكر طمته وبيان بطلانه .

الفصل الثاني : فيما ينفي إليه طمته .

الفصل الثالث : في بيان عدوله وما يظلمها .

الفصل الرابع : في فتلان مسالكة الثلاثة .

الفصل الخامس : في بيان ما يلزم المستجهد وغيره .

الفصل السادس : في بعض مناب الإمام أبي حنيفة رحمه الله أوله : الحمد لله ناصر الحق بالبراهين ، ومغفل الباطل وأهله الطاعين .

وأخّره : يا أبا حنيفة أعلمت المعرفة وعُدست لأحسنت الخدمة ، فقد غفرنا لك ولَمَن تَبَكَ ، ولمَن كان على مذبحك إلى يوم القيامة . اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولكافة المسلمين .

نسخة جيدة .

الخط نسخ جيد مشكول . بعض الكلمات مكتوبة بالحبرة . كعبه محمد بن إبراهيم الخضري سنة ١٠٤٦ هـ .

المراجع : معجم المؤلفين ١ / ١٦٧ .

نسخة ثانية :

تنق مع الأولى في بدايتها ونهايتها .

الرقم ٦٩٧٧

الخط نسخ جيد . كعبه محمد أبو الخير بن أحمد بن عبد الغني

ابن عمر بن عابدين سنة ١٣١١ هـ .

٢٦ ق

٢٥ م

١٧ × ٢٢ سم

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية - الفقه الحنفي - وضع

محمد مطيع الحافظ / ١ / ٢٨٨ ، ٢٨٧) .

• حقّ اليقين في معرفة رب العالمين

حقّ اليقين في معرفة رب العالمين - للشيخ محمود الشبستري

صاحب الكاشن « المتوفى سنة ٧٢٠ هـ وهو رسالة فارسية على

ثمانية أبواب مشتملة على فوائد وحقائق من علم التصوف .

(كشف الظنون / ١ / ٦٧٣) .

• حقائق الأرصاد في دقائق الإرشاد :

حقائق الأرصاد في دقائق الإرشاد : في استخراج أوساط

الكواكب وتقويمها على طول ترمذ وهو من (جزائر) المخاللات

صطح وعرضه لـ (ا ز ا ح) حيط ق وعرضه لـ (ق) على ما رصده

المعرفة الحقية ، وكما أن الأكسير إذا وقع على النحاس قلبه ذهباً ، فكذلك أكسير معرفة الله إذا وقع على روجه تغلب روجه من الباطلية إلى الحقية ، فصار ذهباً إيريزاً ، فلهاذا قال : أنا الحق .

التأويل الثالث : أن من غلب عليه شيء يقال إنه هو ذلك الشيء على سبيل المجاز ، كما يقال فلان جود وكرم ، فلما كان الرجل مستغرقاً بالحق لا جرم قال : أنا الحق .

والفرق بين هذا الجواب وبين الأول أن في الأول صار العبد فانيا بالكلية عن نفسه ، غرقاً في شهود الحق ، فقوله . أنا الحق كلام أجراه الحق على لسانه في غلو سكره ، فيكون القائل في الحقية : هو الله ، وأما في الجواب الثاني فالعبد هو الذي قال ذلك ، ومراده منه المبالغة ، وبين المقامين فرق عظيم ، إن كنت من أرباب الذوق .

التأويل الرابع : لا يبعد أنه لما تجلى في روجه نور جلال الله ، وزلت حجب البشرية ، لا جرم بلغت روجه إلى أقصى منازل السعادات ، فقد صار حقاً يجعل الله إياه حقاً ، كما قال تعالى : ﴿ ويوحى الله الحق بكملائه ﴾ [يونس : ٨٢] فيصدق قوله أنا الحق لأن الحق أهم من الحق بذاته ، ومن الحق بغيره .

فإن قيل : فيهذا الوجه كل موجود حق ، فما معنى التخصيص ؟

قلنا : لأنه لما تجلى في روجه نور عالم الإلهية صار كاملاً حاصلًا في هذه الدرجة ، فلاخصاصه بمزيد الكمال ذكر ذلك .

التأويل الخامس : أنه يحمل ذلك على حذف الحضاف ، والمعنى أنا عابد الحق ، وذاكر الحق ، وشاكر الحق .

السؤال الثاني : ما السبب في أن الجاري على لسان أهل التصوف من أسماء الله سبحانه في الأغلب هو الحق ؟

والجواب : قال الزنلي : لأن مقام الصلوية مقام المكاشفة ، ومن كان في مقام المكاشفة رأى الله حقاً ، ورأى غيره بطلاناً .

أما المتكلمون : فهم في مقام الاستئلال بغير الله على وجود الله ، فلا جرم كان الغالب على ألسنتهم اسم البارئ تعالى .

وأما الفقهاء : فهم في البحث عن كيفية التكليف ، فلا جرم كان الغالب على ألسنتهم اسم الشرح (شرح أسماء الله الحسنى / ٢٨٩ - ٢٩٢) .

(المقصد الآسنى في شرح أسماء الله الحسنى لأبي حامد الزنلي - دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشت / ١١٢ ، ١١٣ ، وشرح أسماء الله الحسنى لفهرس الدين الرازي - راجعه وقدم له وعلق عليه الأستاذ طه عبد الرؤوف سعد / ٢٨٩ - ٢٩٢) .

• الحق المبين في دفع شبهات المبطلين :

من مخطوطات الفقه الحنفي بدار الكتب الظاهرية (بمكتبة

الأشد الآن)

الرقم ٥٣٨٩

الأول : الحمد لله على إلهاده المتواتر ، وصنائه المتقاطرة ،
والصلابة على كاشف النمة ، وشفيع الأمة محمد وآله الأتقياء
وأصحابه الأصفياء ... ٤ .

وضعه المؤلف لصدر الدولة قاسم بن عراق بن جعفر وزينه
على ثلاثة فنون وجعل كل فن على أقسام وفصول .

الفن الأول : في ماهيات الأشياء التي تتعلق بكليات الطب وهو
في ثلاثة أقسام . القسم الأول في ١٣ فصلا . القسم الثاني في ٩
فصول . القسم الثالث في ٩ فصول .

الفن الثاني : في كفايات الأعمال والصناعات المتعلقة بأصول
الطب وهو في قسمين . القسم الأول في ٤ فصول . والقسم الثاني
في ٣ فصول .

الفن الثالث : في كميات أشياء كلية وجعله في تسعة أقسام
وكل قسم على فصول . فرغ منه سنة ٧٣٤ هـ / ١٣٣٤ م .

نسخة نفيسة كتبت بقلم النسخ مطبوعة الصفحات بمقدار أجمع
كتبها حسين بن عبد القادر بن قلب الدين الطيبي في ذي القعدة
سنة ٨٢٨ هـ / ١٤٢٤ م عليها حواش وشرح .

القياس ٧٣ ص ٢١٥ ، ١٢٥ ، ٢١٥ سم ٢١ ص
(بانكيور ٤ / ١٠٣ ، للريفة ٧ / ٢٩ ، ذيل بروكلمان ٢ /
٢٩٩) مخطوطات الطب والصيلة والبطرة / ٩٢ / ٩٣ .

ثم جاء وصف المخطوط في مجموع خطي نادر للأستاذ أسامة
ناصر النشيتي مستل من مجلة معهد المخطوطات العربية وجاء
وصفه كما يلي :

وهو مختصر في ماهيات الأشياء المتعلقة بكليات الطب ،
 وأنواع العلل ، والأدوية المركبة والمفردة المناسبة لها ، وكيفية
اتخاذها . وضعه المؤلف لصدر الدولة قاسم بن عراق بن جعفر
حيث قال في مقدمة الكتاب : « ... أقول لما اتصلت بخدمة مولانا
صدر الدولة والذين أبي المفاخر قاسم بن عراق بن جعفر ، وألقيت
بابه المحروس ، وجنباه المأنوس ، قبله الفضلاء ، وكعبة العلماء ،
ومنيح القواضل ، ومطلع الفضائل ، يجتمع فيه مشاهير الأقطار ،
وتحارير الأمصار ... وددت أن أكون منخرطاً في سلك جملة من ،
متظلماً في عقد زمرتهم ، فجمعت هذا الكتاب ... ٩ .

رتبه المؤلف على ثلاثة فنون ، وجعل كل فن على أقسام
وفصول وهي كما يلي :

الفن الأول : في ماهيات الأشياء التي تتعلق بكليات الطب ،
 وجعله في ثلاثة أقسام : في تعريف الألفاظ الكلية التي يحتاج
إليها أرباب صناعة الطب ، وفي تعريف العلل والأمراض
المشهورة ، وفي تعريف الأدوية المركبة وأعمالها وما يتعلق بها .

الفن الثاني : في كفايات الأعمال ، والصناعات المتعلقة

مصنعه الشيخ تاج الدين أبو الفتح أحمد الألي (اللاري) ابن البدر
محمد بن حجاج العامدي الكمالي وفرغ منه في حدود سنة ٨٠٠
ثمانمائة .

(كشف القرن ١ / ٦٧١) .

• حقائق الاستشهاد :

من مصنفات العلوم في التراث الإسلامي . جاء بيان مخطوطه
كما يلي :

تأليف مؤيد الدين أبي إسماعيل الحسين بن علي بن محمد
الأصفهاني الطبراني (٤٥٥ - ٥١٣ هـ) .
(بروكلمان ١ / ٢٤٧ وملحق ١ / ٤٣٩) .

أوله بعد البداية : أسمدك الله بطاعته وجعلك من الفائزين
برحمته ... وكنت قد حدثني منذ زمان وشكوت إلى الشوك التي
أعرضت (؟) صدرك في حقيقة معاني الفن المسمى عند أهل
الحكمة على الإطلاق وعند العامة « الصنعة » ... وإن المتعرض له
معمول عند الخاصة والعامة ، محكوم عليه بسوء الاختيار ...
الخ .

وأخره : ثم كتاب حقائق الاستشهاد بقول الحكيم الجواد .
- نسخة بقلم معاذ بلون تاريخ في ١٦ ورقة ، ومسطرها ٢٥
سطرا .

٣٠ × ٢٥ سم

[دار الكتب المصرية - ١٧٠ طبعة] .

(فهرس المخطوطات المصورة ، معهد المخطوطات العربية جـ ٣
المؤلف ٤ للكيمياء والطبيبات - وضع فواد سيد . القاهرة ١٩٦٣ / ٣٧)

• حقائق الاستشهادات في الكيمياء :

حقائق الاستشهادات في الكيمياء : لمؤيد الدين حسين بن
علي الطبراني المتوفى سنة ٥١٥ خمس عشرة وخمسمائة بين فيه
إثبات الصناعة ورد على ابن سينا في إبطالها بمقدمات من كتاب
الشفاء .

(كشف القرن ١ / ٦٧٢) .

• حقائق أسرار الطب :

من مصنفات التراث الإسلامي في الطب .
المؤلف : الشيخ سمعون بن محمد السجزي الطيبي (ت بعد
٧٣٤ هـ / ١٣٣٤ م) .

(ذكره آغا-نيزك في الريعة بالسنجري وورد عنوان الكتاب في
كشف القرنين بحقائق الأسرار في الطب دون ذكر اسم المؤلف .
الريعة ٧ / ٢٩ ، كشف ١ / ٦٧٢) أما بروكلمان فقد أورد اسم
المؤلف كما جاء أعله ذيل بروكلمان ٢ / ٢٩٩) .

يوجد مخطوطه بمكتبة المتحف المراتي وجاء بيانه كما يلي :
الرقم ٢٠٣٧٧٠

بأسهل الطب، وجعله في قسمين - في كيفية اتخاذ الأدوية والتقاطها وحفظها وما يتعلق بهذه الأمور، وكيفية استعمال الأدوية من الدق والطبخ والسحق والإحراق، وغير ذلك .

الفن الثالث : في كميات أشياء كلية ، وتقسيماتها الثانية والثالثة والرابعة إلى تقسيماتها العشارية .

فرغ منها المؤلف سنة ٧٣٤ هـ / ١٣٣٤ م كتب بخط النسخ الجيد بالمدادين الأسود والأحمر سنة ٨٢٨ هـ / ١٤٣٤ م في آخرها نبذة في أسماء الأدوية . تقع في خمس وسبعين صفحة (مجموع خطي نادر / ٧٦) .

كما يوجد مخطوط بدار الكتب الوطنية بتونس وجاء بيانه كما يلي :

أوله : كسابقه .

آخره : الصلبة ثمانية (كذا) وأربعون عضلة ، البطن ثمان عضلات ، القصيب أربع عضلات ، المقعد والمثانة خمس عضلات ، الفخذان اثنان (كذا) وعشرون عضلة ، الركبة ثمانية (كذا) عضلات القدم سبع عضلات ، الأصابع اثنان (كذا) وعشرون عضلة ، وإله سبحانه وتعالى أعلم والحمد لله أولاً وآخراً .
سنة النسخ : ٩٢٥ هـ .

الناسخ : أحمد بن عرفات الخطيب .

عدد الأوراق : ٦٤ ورقة (١٤ - ٧٧) .

المسطرة : ١٩ سطراً .

المكتبة : دار الكتب الوطنية - تونس - ١٨٣٢٩ (مجموع) [٤٦٣] .

ملاحظات : قسم المؤلف الكتاب على ثلاثة فون . الفن الأول في ماهيات الأشياء التي تتعلق بكميات الطب ورسومها التفرعية . وقسم هذا الفن إلى ثلاثة أقسام :

الأول : في تعريف الألفاظ الكلية التي يحتاج إليها أرباب صناعة الطب .

الثاني : في تعريف أسماء العلل المشهورة والأعراض المعروفة .

الثالث : في تعريف أسماء الأدوية المركبة والمعرفة وأفعالها .
الفن الثاني في كميّات الأعمال والصناعات المتعلقة بأسرار الطب .

وقسم هذا الفن إلى قسمين :

الأول : في كيفية اتخاذ الأدوية والتقاطها وحفظها وما يتعلق بهذه الأمور .

الثاني : في كيفية استعمال الأدوية من الدق والطبخ والسحق والإحراق وغير ذلك .

الفن الثالث في كميات أقسام الأمور المنقسمة انقساماً كلياً . وقسم هذا الفن إلى عشرة أقسام :

الأول : في كمية أشياء كلية منقسمة بقسمين فحسب .

الثاني : في كمية أشياء كلية منقسمة بثلاثة أقسام فحسب .

الثالث : في كمية أشياء كلية منقسمة بأربعة أقسام فحسب .

وهكذا تنصاعف إلى العشرة على هذا النسق والترتيب .

وقد كتبت النسخة بخط معتاد .

انظر برلين ٢ / ٦٢٣٦ .

بروكلمان : الملحق الثاني - ٢٩٩ .

وتوجد نسخة ثانية .

أوله : كسابقه .

آخره : عضلات المقعدة والخمس عضلات ، الفخذين (كذا) اثنان وعشرون عضلة الركبة ثمان عضلات ، القدم سبع عضلات الأصابع اثنان وعشرون عضلة . تم الكتاب بعون الله .

سنة النسخ : ١١١٣ هـ .

عدد الأوراق : ٢٥ ورقة .

المسطرة : ٢٥ سطراً .

المكتبة : مكتبة الأحفاد للمخطوطات بتريم (مجموعة آل يحيى) ٦٧ طب .

[٨١] (فهرس المخطوطات الطبية المصرية / ٧٥ - ٧٧) .

(مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة في مكتبة المتحف العراقي - أسامة ناصر التقني / ٩٢ ، ٩٣ ، ومجموع خطي نادر في الطب والصيدلة للأستاذ أسامة ناصر التقني أيضاً ، مسئلة من مجلة معهد المخطوطات العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ج ١ - ربيع الأول - شباط ١٤٠٢ هـ - يناير - يونيو ١٩٨٢ م / ٧٦ ، ولغوس المخطوطات الطبية المصرية - تصنيف هيا محمد الدوسري ، مراجعة د. سامي مكي العاني / ٧٧ - ٧٥) .

● حقائق الأسرار فيما يعتمدون به الأبرار :

حقائق الأسرار فيما يعتمدون به الأبرار : من تأليف تميم الإسماعيلي ألفه للظاهر قاصص ورتب على عشرة فصول : العقل ، والعلم ، والسياسة ، وأدب النفس ، واللسان ، وحسن البيرة والأخلاق ، والزهد ، ومفالات المشايخ والحكماء ، والبلاغة ، وأوله : الحمد لله الذي علما ما لم تعلم ... إلخ .

(كشف الظنون ١ / ٦٧٢) .

● حقائق الأسما في شرح أسماء الله الحسنى :

من مخطوطات التصوف والأخلاق الإسلامية في الخزائنة المنطسية بحلب، وجاء بيانه كما يلي :

للمعلمة صبر المحققين صدر الدين أبي المعالي محمد بن إسحاق القونوني تلميذ الشيخ ابن عربي (ت - ٦٧٢ هـ) [انظر بروكلمان ١ / ٤٤٩ والذليل ١ / ٨٠٧] .

وهو في جزءه لطيف أوله « الحمد لله الذي نور سماء الوجود بمصابيح أسمائه الحسنى وفتح أبواب خزائن الجود بمفاتيح صفاته الأسمى .. أما بعد فلما كانت الأسماء الإلهية مواد الكائنات وأصول الممكنات التي لا يمكن ظهور عين من أعيان الكون إلا بها ولا تثبت قواعد أركان عالم إلى مكان إلا عليها ... وقد بدأه بمقدمة مطولة شرح فيها مذاهب المتصوفة في أسماء الله تعالى ورأى المتصوفة في ذلك . وآخرها شرح أسماء الله « الصبور » وهو مكتوب بقاعدة نسخية حسنة قديمة لعلها ترجع إلى القرن الثامن أو صدر التاسع . وعلى صدر الورقة الأولى أسماء جمهرة من علماء حلب الذين ملكوا النسخة وهم :

العلامة الشيخ أحمد بن شتان الحلبي الحجازي المترجم في أعلام النبلاء . السيد محمد صديق جابري زاده الحلبي . الحاج يوسف بن الحاج إسماعيل الجمالي .

مقياسه : ١٢ × ١٨

(المتنخب من المخطوطات العربية في حلب . مركز الخدمات والإبحاث الثقافية ق / ٤ / ٣٥٤) .

• حقائق الإيمان لأهل اليقين والعرفان :

حقائق الإيمان لأهل اليقين والعرفان : فارسي مختصر للشيخ علي بن محمد المعروف بمصطفى الله بهرلة سنة ٨٤٢ اثنين وأربعين وثمانمائة وكتب على خمسة أبواب مشتملة على مسائل الإيمان والعبادات .

(كشف الظنون / ١ / ١٧٢) .

• حقائق التأويل في دقائق التنزيل :

أحد مخطوطات تفسير القرآن وعلوهه بمكتبة « مولانا » في مدينة « قونيا » بتركيا ، وجاء بيانه كما يلي :

لعبد الزقاق الكاشاني (كمال الدين) المتوفى سنة ٧٣٠ هـ / ١٣٢٩ م .

انظر معجم المؤلفين ٥ / ٢١٥ ، إيضاح المكتون ١ / ٥١٦ ، المجلد الأول منه ، يبدأ بالفاتحة إلى أوائل تفسير سورة المائدة .

مكتوب بخط النسخ . هناك بعض التفسيرات التوضيحية على الحواشي ولم يرد ذكر اسم كاتب الحواشي .

« الكاشاني » تفسيره هنا يطلب من الشيخ نور الدين ، يتناول المؤلف شرح الآية من الناحية اللغوية ووجوه الإعراب والمعنى والتفسير الظاهري والتأويل الباطني .

أوله : « الحمد لله الذي أبرز حقائق المعاني في عجابه صور

تراكيب الكلام ... وإلى الحق والتحقق أمام أهل الولاية وسراج أرباب الهداية شيخنا شيخ الإسلام والمسلمين مرشد الطالبين الصادقين نور الحق والملة والدين هادي المستبشرين من المؤمنين عبد الصمد بن علي للطنزقي قدس الله روحه وأعظم من عنده فتوحه فأرشدني إلى تحصيل العلوم ... وجرى على لسانه ذكر من كان في عهده يتبع الحكمة واليقين المولى السعيد شمس الحق والملة والدين الكبيشي ... بالغ في تعظيم قدر من يؤلف تفسيراً يشتمل تقريره على خمسة فصول في كل آية ... » .

آخره : إلى قوله تعالى : ﴿ على القوم الفاسقين ﴾ . اللغة الجبار فقال من جبره على الأمر .

مقياس المجلد ٥ ، ٢١ سم - ١٤ ، ٥ سم .

مقياس الكتاب ١٥ سم × ١٠ سم .

عدد الأوراق ٢٥١ .

عدد الأسطر في كل صفحة ١٧ .

رقمه في الخزانة ١٣ رقم المجلد ١ .

(المخطوطات العربية في مكتبة متحف « مولانا » في قونيا ، مركز الخدمات والإبحاث الثقافية ق / ٥ / ٥٣٤) .

• حقائق الحقائق :

حقائق الحقائق : فارسي مختصر مشتمل على قواعد أشعار الفرس لأشرف بن محمد الراسي أئمة للسلطان أويس وجعله على قسمين : قسم في اصطلاح المتقدمين ، وقسم في تصرف المتأخرين ، وهو على منزل حقائق الوطواط كما ذكره وأقر بفضلته (كشف الظنون / ١ / ١٧٢) .

• حقائق الدقائق ، على دقائق الحقائق :

(شرح دقائق الحقائق في حساب الدرج والدقائق للمارديني) . لحسن بن إبراهيم بن حسن الجبزي المتوفى سنة ١١٨٨ هـ . (بروكلمان ٢ / ٣٥٩) ، وهو شرح كتاب محمد بن محمد بن أحمد سبط المارديني . بروكلمان ٢ / ١٦٨ ، تصنيف رقم ١١) .

مخطوط بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة . أوله بعد الدباجة : لما قرأت رسالة الرقائق في حساب الدرج والدقائق ، للعلامة سبط المارديني ، خطرت ببالي مع ضعف حالي أن أعلق عليها .

وآخره : ثم تقسم الحاصلات على فضل البيتين يحصل المطلوب ، والله أعلم .

المكتبة : دار الكتب المصرية : ٤٩ مقيات ، ٣٠ ق تقريباً ، فيها بعض الجداول ، القياس ٣٠ × ٢٠ سم ، ف ١٠٤١ .

(فهرس المخطوطات المصرية ، معهد المخطوطات العربية جـ ٣ ق / ١ / ٣١) .

• حقائق الطب :

أحد مخطوطات الطب في مكتبة المتحف العراقي .

الرقم ١٠١٩٤٢

يعود تاريخ نسخة اللسان والعشرين من شهر صفر عام ١١٥٥ هـ .

(مجموعة مختارة لمخطوطات عربية نادرة من مكتبات عامة في المغرب . مركز الخدمات والإبحاث الثقافية ق / ٢١٨) .

• الحقائق (كتاب) :

من مخطوطات المعلوم والكليات والطبيبات بمعهد المخطوطات العربية وجاء بهانه كما يلي :

تأليف جابر بن حيان الصوفي .

وهو المقالة التاسعة والأربعون من « كتاب السبعين » .

أوله : قد سبق لنا من الكتب قبل كتابنا هذا ثمان وأربعون كتابا ، فيها تدابير وأعمال وتفاير ليس يدرك ما يقصده منها غير ما يستحسنه في اللفظ ، وقد جعلت كتابي هذا ، وهو التاسع والأربعون ، حاويا للحد المستعمل في كتابا هذه من التدابير في هذه الثلاثة الأبواب لتقرب بملك ماخذها ، ويسهل على الطالب الدارس ... إلخ .

وآخره : وكان كل قاطر ودعن وثار وأرضي مستخرجة من جميع الأجسام يلخيه بهذا التفسير أو يغيره مما هو مثله ، فهي واحدة لا يخلط بعضها ببعض ، فاعمل بعضها ببعض لا خطأ فيه فاعرفه .

— نسخة بقلم نسخ جميل ، تمت كتابة في بلدة تبريز سنة ٦٨٨ .

وسطرها ١٧ سطرا
(ضمن مجموعة من ص ٢٩٤ - ٣٠٠) .

[مكتبة بروسة حسين جليل - ١٥] .

(فهرس المخطوطات المصرية ، معهد المخطوطات العربية ج ٣ المعلوم ق / ٤ الكليات ، والطبيبات - وضع فؤاد سيد . القاهرة ١٩٦٣ / ١١٥ ، ١١٦) .

• الحقائق المحمديّة :

الطاقات المحمديّة : للأمانة صدر الدين محمد الشيرازي المتوفى في حدود سنة ٩٢٠ عشرين وتسعمائة (٩٠٤) وهي رسالة في معرفة الواجب تعالى وصفاته .

(كشف الظنون / ١ / ٦٧٣) .

• حقائق المنظومة :

(ذكره حاجي خليفة (كشف الظنون / ١ / ٦٧٣) بعنوان « الحقائق في شرح المنظومة السلفية » وقال إنه يأتي في الميم) من مخطوطات الفقه الحنفي بدار الكتب الظاهرة بدمشق (أو مكتبة الأسد) .

الرقم ٨٢٦٧

للحاج كريم خان بن إبراهيم القاجاري الكرمانى المتوفى سنة ١٢٨٨ هـ / ١٨٧١ م .

(ذكر بروكلمان اسم المؤلف محمد خان الكرمانى وقال عن هذا الكتاب أن المؤلف فرغ منه سنة ١٢٦٤ هـ / ١٨٤٩ ذيل بروكلمان ١٨٧ / ٢) .

الأول : الحمد لله الذى خلق الإنسان وعلمه البيان والصلاح على أعدل الكون ... » .

فرغ منها المؤلف سنة ١٢٦٥ هـ / ١٨٤٨ م . وهذه النسخة بخطه . إلا أن آخرها أكمل بخط منابر لخط المؤلف ، كما أن اسم المؤلف أزيل وكتب بدلا عنه ويقلم منابر لينة الكتابة اسم « محمد تقي بن محمد هادي » (الفريعة / ٣٤) .

(مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة في مكتبة المتحف العراقي - أسامة ناصر التقيشيدى / ٩٢) .

• حقائق فضل الله المؤلف الواردة على ترتيب الحروف :

حقائق فضل الله المؤلف الواردة على ترتيب الحروف : للشيخ شمس الدين أبى الحسن محمد البكرى المصرى وهو رسالة في ست أوراق كتبها سنة ٩١٩ تسع عشرة وتسعمائة وجمع فيه كلمات المشايخ أوله : الحمد لله المليم الحكيم ... إلخ .

(كشف الظنون / ١ / ١٧٢) .

• الحقائق في التفسير .

الحقائق في التفسير — للشيخ أبى عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمى النيسابورى المتوفى سنة ٤١٢ لثنى عشرة وأربعمائة وهو مختصر على لسان التصوف أوله : الحمد لله رب العالمين أولا وآخر ... إلخ ذكر فيه أن أكثر أهل الظاهر جمع فى أنواع فوائد القرآن ولم يشتغل أحد بفهم خطابه على لسان الحقيقة ولا بجمعه إلا آيات متفرقة نسبت إلى العباس بن عطاء ذكر أنها من جعفر بن محمد الصادق وكان قد سمع منهم فى ذلك حروفا فضمنها إلى مقالاتهم ورتبها على السور الفرقانية فكانت كالنفسير قرأه التنبلى على مصنفه لكن المفسرون من أهل الظاهر تكلموا به على ما هو دأبهم فى أمثاله فقال الواحدى رزم أنه صنف حقائق التفسير فإن كان اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر وطعن فيه ابن الجوزى أيضا .

(كشف الظنون / ١ / ١٧٣) .

• حقائق القرآن :

من مخطوطات خزنة ابن يوسف بمرآش بالمغرب ، وجاء بهانه كما يلي :

حقائق القرآن : لأبى عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد ابن موسى الأزرى السلمى النيسابورى المتوفى سنة ٤١٢ هـ وهو مختصر فى التفسير على طريقة أهل التصوف الموجود الجزء الأخير .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية - الفقه الحنفى - وضع محمد مطيع الحافظ / ١ - ٢٨٥ - ٢٨٨) .

• الحقن :

جاء في اللسان : الحقن : إمساك العداوة في القلوب والترصيص لفرصتها . والحقن : الضمن ، والجمع أحقاد وحقود ... وحقن على يحقن حقدا وحقن ، بالكسر ، حقدا وحقدا فهو حاقن ، فالحقن (يفتح الحاء) الفعل ، والحقن (بكسر الحاء) الاسم ، وحقن كحقن (اللسان / ١١ / ٩٣٨) .

قال صاحب مفتاح السعادة :

اعلم : أن الغضب إذا عجز صاحبه عن التشفى في الحال رجع إلى الباطن واحتضن فيه نصار حقدا ، ومعنى الحقن : أن يلزم قلبه استغفاله وبخفة والتفان منه ، وأن يدوم ذلك ويبقى . والحقن يثمر ثمانية أمور :

الأول : الحسد . وهو أن يحملك الحقن أن تمنى زوال النعمة عنه ، فتغتم بنعمة إن أصابها وتسره بمصيبة إن نزلت به ، وهذا من فعل المنافقين ، ويستعرف ذمه .

الثاني : أن تزيد في إحصاء الحسد في الباطن ، فتشتم بما أصابك من البلاد .

الثالث : أن تقطعه وتصارمه وإن أقبل عليك .

الرابع : وهو دونه : أن تعرض عنه استغفارا له .

الخامس : أن تتكلم فيه بما لا يصلح من كذب وغبية وإفشاء سر أو هتك ستر وغيره .

السادس : أن تتحاكى استهزاه به وسخرية منه .

السابع : إيذاؤه بالضرب وما يؤلم بدنه .

الثامن : أن تمنعه حقه من صلة ورحم أو قضاء دين أو رد مظلمة ، وكل ذلك حرام .

ثم للحقود ثلاث أحوال عند القدرة :

أحدها : أن يستوفى حقه الذي يستحقه من غير زهادة وتقصان ، وهو العدل ، وهو اختيار الصالحين .

ثانيها : أن يحسن إليه بالمعروف والصلة ، وذلك هو الفضل واختيار الصديقين .

وثالثها : أن يظلمه بما لا يستحقه ، وهو اختيار الأراذل (مفتاح السعادة / ٣ / ٣١٨ ، ٣٢٩) .

ومن دلع الحقن يقول العلامة الإمام ابن الجوزي :

الحقن بقاء أثر القبيح من المحقود في نفس . ولعمري إن العقل يقضى ببقاء أثر القبيح كما يقضى ببقاء أثر الجميل .

وبسته إلى عبد الله بن كعب بن مالك ، قال سمعت كعب بن مالك يحدث في حديثه حين تخلف عن رسول الله ﷺ فذكر القصة

وهي شرح لمنظومة الخلافات .

المنظومة تأليف نجم الدين أبي حفص عمر بن محمد بن إسماعيل النسفي السمرقندي المتوفى سنة ٥٣٧ هـ / ١١٤٢ م .

الحقائق : تأليف أبي المحاسن محمود بن محمد بن فلود الإسنجى اللازوي البخاري المتوفى سنة ٦٧١ هـ / ١٢٧٢ م .

• المنظومة مرتبة على عشرة أبواب :

الباب الأول : في قول الإمام .

الباب الثاني : في قول أبي يوسف .

الباب الثالث : في قول محمد .

الباب الرابع : في قول الإمام مع أبي يوسف .

الباب الخامس : في قوله مع محمد .

الباب السادس : في قول أبي يوسف مع محمد .

الباب السابع : في قول كل واحد منهم .

الباب الثامن : في قول زفر .

الباب التاسع : في قول الشافعي .

الباب العاشر : في قول مالك .

أتمها سنة ٥٠٤ هـ وعدد أبياتها ٢٦٦٠ ، وانتهى الشارح من شرحه سنة ٦٦٦ هـ .

أوله : الحمد للأحد بخلاته ، الواحد في صفاته ، القواسم بحسن رأته .

وأخسره : وروائي وأثق بكسر ربي أن يمتنع بها وجميع المسلمين في الدارين وهو الفضل مأمول .

نسخة جيدة وقديمة .

الخط نسخ جيد من خطوط القرن الثامن الأليات مشكولة كتبه محمد بن محمود بن فخر الإسلام .

المراجع : كشف الظنون / ٢ / ١٨٦٧ ، مخبر المؤلفين / ٣٠٥ ، ١٢ / ١٩٥ ، فهرس الخديوية / ٣ / ٤١ .

نسخة ثانية :

تنفق مع الأولى في بدايتها وتنفص الورقة الأخيرة .

نسخة جيدة أصابها الرطوبة وأضررت بعض أطرافها .

الخط نسخ معتاد . من خطوط القرن العاشر . الأليات مشكولة نسخة ثالثة :

الرقم : ٦٦٨٨

ناقصة من أولها ثمانى ورقات وانتهى بنهاية الكتاب .

أولها : ورواية عن أبي حنيفة رضي الله عنه ، قال بعض المشايخ ينبغي أن يأخذ في الصيف بقولهما .

نسخة جيدة قديمة ممسوحة .

الخط نسخ معتاد المنظومة مشار فورها بخطوط حمراء . كتبه سيد بن من تشا بن سليمان البغدادي سنة ٨٤٧ هـ .

ونزل توبته ، قال فدخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالس حوله الناس ، فقام إلى طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحتي وعضني ، والله ما قام إلى رجل من المهاجرين غيره ، قال فكان كعب لا يساها لطلحة . أخرجه في الصحيحين (أخرجه البخاري ٤ / ٦ ، ومسلم الترمذي ٥٣) .

فإذا ثبت أن الجميل لا ينسى ، فالقيح كذلك ، إلا أنه يستحب الاجتهاد في إزالة أثر القيح من القلب . وعلاج ذلك أن يكون بالعفو والصفح وللعفو محلان :

أحدهما : رؤية الثواب للعالمين .
والثاني : شكر من جعل هذا في مرتبة من يعفو ، وذلك في منزلة من يعفو ، ومن كمال العفو حصول الرضا بذلك بمحو ما في القلب .

وهنا علاج أدق من هذا ، وهو أن يرى الإنسان أن الذي سلط عليه لأنه إنسا هو يلبس منه أو لتكثير خطا ، أو لرفع درجة ، أو لاختباره في صبره ، ولم علاج أدق من هذا وهو أن يرى الأشياء من المقدّر (الطب الروحاني / ٦٦) .

وكعادة للعالمين فيما جرى عليه في كتابه « اللطائف والنظائر » يسوق ما جاء في مدح الشر وما جاء في ذمه ، ومن ثم يقول في باب « مدح الحقد » :

قال يحيى بن خالد البرمكي لعبد الملك بن صالح الهاشمي في كلام جرى بينهما : أنت حقود ، فقال : إن كنت تريد تزياد الخير والشر عندي فأنا كذلك . ويقال أنه قال له : أنا غزاة تجمع الخير والشر ، فقال يحيى : هذا والله جبل قريش ، وما رأيت أحدا يمدح الحقد ويحسبه غيره بمثل هذا ، وقد أخذ معناه ابن الرومي وزاد فيه وحسنه فقال :

وما الحقد إلا تسوأم للشكر للفتى
وبعض الجحاشيات يتسبن إلى بعض
إذا الأرض كسرت كل ما أنت زارع
من البسر فيها فهي تساهيك من أرض
وبعدها يقول في باب ذم الحقد ، وقد جعل من الحقد الحسد :

قال رسول الله ﷺ : « أعظم الذنوب عند الله الحسد ، والحاسد مفاد لئمة الله ، خارج عن أمر الله ، تارك لمهد الله » (في عين الأخبار ١٠ / ٤ ، وفي بعض الكتب يقول الله : الحاسد عدو نعمتي مستطع لقضائي ، غير راض بقسمي بين حيادي) . وقال عز وجل « ومن شر حاسد إذا حسد » [الفلق : ٥] وأمر رسول الله ﷺ أن تستعين من شره .

وقال معاوية رضي الله عنه : « كل إنسان أندر أن أرضيه إلا حاسد نعمه » فإنه لا يرضيه إلا زوالها . وقال عمر بن عبد العزيز : ما رأيت ظالما أشبه بظلم من حاسد ، غم دائم ونفس متابع . وقال الشاعر :

إن الحسود للظالم يوم في كسرب
يخالفه من يبراه مقلوما
من نفس دالم على نفس
يظهر منه ما كان مكتوما
قال الشيخ الإمام : أشدني أبو منصور البوشنجي لنفسه في هذا المعنى (هو المقلب بمقابر الشعر ، أحد شعراء بخاري ، ذكره في البيعة ٤ / ١٥٩) :

تسودوا بقسود سميد
جئنا لهم بسود
وكبرف ذاك وأرسي
ومبو الحقدود الحسود
ولا يسود حسود
ولا يسود حقود

كان يقال : الحقد داه دوى . ويقال : من كثر حقداه ، حوى قلبه . ويقال : الحقد مفتاح كل شر . ويقال : حل عقد الحقد ، يتنظم لك عقد الود . ويقال : الحقد والصدود لا يسودان . وقال آخر :

لما عفت ولم أحقد على أحد
أرحمت نفسي من غم المملكات
ويقال : لا يوجد المعجول محمودا ، ولا المعقوب مسرورا ، ولا الحر حرمسا ، ولا الكريم حودا ، ولا الشره غنيا ، ولا الملول ذا إخوان .

وقال بعض الحكماء : وجدت أول الأشياء منفعة ، وأخر لها في العاقبة : الحاجة ، ووجدت أذكر العيش عيش الحسود . وقال الشاعر :

لا يهزتك قلبر إن هزرك ولا
تبع أعمالك في مال له حسدا
قراثة في رخاء في معيشه
وأنت تلقى بسلك لهم والنكسا
وقال آخر :

إذا ما البمر كان لنا حودا
لأنك من باغ حسود
(اللطائف والنظائر / ١٣٩ - ١٤١) .

(لسان العرب لابن منظور ١٦ / ٩٣٨ ، ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ٣ / ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، وطب الروحاني للعلامة الحافظ ابن الجوزي - تحقيق أبي هاجر محمد السعدي بن يسرى زغلزل / ٢٦ ، واللطائف والنظائر لأبي منصور النعماني طراد النشامل - بيروت . الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م / ١٣٩ - ١٤١) .

وقال النبي ﷺ : « من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصى أميري فقد أطاعني ، ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن عصى أميري فقد عصاني » .

(الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجهاد باب ١٠٩ ، وكتاب الاعتصام باب ٢ ، وكتاب الأحكام باب ١ . ومسلم في صحيحه في كتاب الإمارة حديث ٣٧ . والنسائي في سننه في كتاب البيعة باب ٢٧ . وابن ماجه في سننه في المقدمة باب ١ ، وفي كتاب الجهاد باب ٣٩ . والإمام أحمد في المسند ٩٣ / ٢ ، ٢٤٤ ، ٢٥٢ ، ٢٧٠ ، ٣١٣ ، ٣٤٢ ، ٣٨٢ ، ٤١٦ ، ٤٦٧ ، ٤٧١ ، ٥١١) .

وقال ﷺ فيما رواه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه : « إنما الطاعة في المعروف » .

(أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأحكام باب ٤ وفي الأحاد باب ١ ، وفي المغازي باب ٥٩ ، ومسلم في صحيحه في كتاب الإمارة حديث ٣٩ ، ٤٠ . وأبو داود في كتاب الجهاد باب ٨٧ ، والنسائي في سننه في البيعة باب ٣٤ . والإمام أحمد في المسند ٨٢ / ١ ، ٩٤ ، ١٢٤ . وأشار السيوطي في الجامع الصغير حديث رقم ٩٩٠٢ إلى أنه حديث صحيح) .

وقال : « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » .

(الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ، والحاكم في مستدركه عن عمران بن الحصين ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد وقال : رجال أحمد رجال الصحيح ، ورواه البيهقي عن الثوري ، وابن حبان عن علي بن يقطين ، ولا طاعة لبشر في معصية الله) وله شواهد في الصحيحين . وأورده الإمام السيوطي في الجامع الصغير وصححه) .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فلما نحمد اليك الله الذي لا إله إلا هو ، وهو للحمد أهل ، وهو على كل شيء قدير ، ونصلي على إمام المتقين ، وخاتم النبيين محمد عبده ورسوله ، ﷺ تسليما كثيرا ، أما بعد ... إلخ .

(حقوق آل البيت للإمام العلامة تقي الدين بن تيمية — تحقيق عبد الفتاح أحمد عطا / ١٩ ، ٢٠)

• حقوق الأبناء •

أما حقوق الأبناء على الآباء فيجب على والد الأطفال أن يربهم بالتفذية ، ويعلمهم بالكسوة ، ويلاطفهم في حركاتهم وسكناتهم ، ويعلمهم الأدب وحسن الأخلاق ، والعفة ، والرموه ، والصدق ، والأمانة ، ويغذي أرواحهم بالتعليم ، ويعلمهم العلوم الشرعية والأدبية ، لينشأوا نشأة دينية دنوية صحيحة ، كما يرى أجسامهم بالطعام والشراب ، إلى أن يبلغوا الحلم ، قادرين على الكسب .

ويقوم بواجب البنات من طعام وشراب وكسوة ، حتى يتزوجن ، ويجب على الوالدين أن يربوا البنات تربية منزلية ، من طبع ،

• حقوق آل البيت (كتاب -)

كتاب من تأليف شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية . قال رحمه الله في مقدمته بعد السبيل :

قال الشيخ الإمام العالم العارف فريد عصره ، مفتي الفرق ، شيخ الإسلام ، تقي الدين أبو العباس أحمد ابن الشيخ الإمام العالم شهر . الدين . عبد الحلیم ابن الشيخ الإمام العلامة مجد الدين عبد السلام ابن تيمية رضي الله عنه وأرضاه ، وأعلى درجته :

هذا الكتاب إلى من يصل إليه من الإخوان المؤمنين الذين يتلون الله ورسوله والذين آمنوا يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ، ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حرب الله هم الغالبون . الذين يحبون الله ورسوله ، ومن أحبه الله ورسوله ، ويعرفون حق المتصلين برسول الله ما شرعه الله ورسوله ، فإن من محبة الله وطاعته محبة رسوله وطاعته ، ومن محبة رسوله وطاعته محبة من أحبه الرسول وطاعة من أمر الرسول بطاعته .

كما قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَطِيعُوا أَهْلَ بَيْتِهِ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء : ٥٩] .



مخطوط كتاب حقوق آل البيت

ويسميه اسما حسنا ، ذكرنا كان أو أنثى ، فإذا بلغ عمره سبع سنين أمره بالصلاة ، ذكرنا كان أو أنثى ، ويفرق بينهم في المضاجع ، بأن يكمل كل واحد في ثوب ، فإذا بلغ عشا يضر به عليها ضربا لا يكره عظماء ، ولا يثقل لحما . قال الشاعر :

يضررب العصبى بمسد عشر

ومسد سبع يكتفى بأمسر

وينبئ للوالد أن يكون رحما عطوقا على أولاده ، اقتداء برسول الله ﷺ ، لأنه كان رحما عطوقا بالمسلمين ، خصوصا الأطفال منهم .

ويطلب من الوالد أن يعامل أولاده بالحنى ، ويوسع عليهم في النفقة ما أمكنه ، ويكسبهم ، ويدخل عليهم السرور ، ويعلمهم الآداب الدينية الإسلامية ، لينشأوا نشأة تجميلهم أحسن رجال للمستقبل .

وفى الحكمة من أدب ولده صغيرا سره كبيرا . قال الشاعر :

تد يفع الأدب لالأحداث فى صغر

وليس ينفع فى ذى الشيب الأدب

والولد ثمرة القلب ، والأب مجبول على محبته . مثل أحد المقلاء : أبى الشام أنشئ ؟ قال : الولد . وهو من نخل الجنة .

قال أبو تمام الشاعر الطائي المشهور :

ولتصمما أولادنا بيتنا

أكبنا نكنا نكنا نكنا

لسو هبت السريح على بضمهم

لأتممت عينى من الفمفس

قال الله تعالى : ﴿ الفصال والبنون زينة الحياة الدنيا ﴾ [الكهف: ٤٦] .

وكان رسول الله ﷺ يحب الحسن والحسين وأمهما فاطمة رضي الله عنهم وكان ﷺ يقول : « اللهم إني أحبهما ، فأحب من يحبهما » .

ومحبة الولد شيء طبيعي في الإنسان والحيوانات ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ﴾ [الأحزاب : ٢١] [محسن الإسلام / ١٧٧ - ١٧٩] .

ويقر ابن المذنب الباب الثامن من كتابه الموسوم بالدراوى فى ذكر الدراوى للكلام على ما يجب للأبناء على الآباء جاهد فيه ما يلى :

ينبئ للوالد أن لا يهوى من تأديب ولده ويحسن عنده الحسن ويقبح عنده الفسح ويحسن على المكافئ وعلى تعلم العلم والآداب ويضربه على ذلك .

وفصل ، وكى للثياب ، وكسى ، وخياطة ، وتطريز ، وكل ما يختص بخدمة المنزل ، ليكن أهميات في المستقبل قدرات على تربية الأطفال تربية صحيحة ، وتشترك الزوج في الحياة ، ويعلموهن الدين ، والعبادة ، والمروءة ، والشفقة ، والصدق ، والأمانة ، وأزوم الحجاب إلا ما تدعو إليه الضرورة ، ليكن أهميات صالحات لتربية الأولاد في المستقبل . قال حافظ - رحمه الله تعالى - فى قصيدته الغافية :

الأم مسرسة إذا أهدتها

أهدت شعبا طيب الأعراق

ولما ورد فى الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال : « كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته ، فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع فى أهله وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها وهى مسئولة عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيده وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع فى مال أبيه وهو مسئول عن رعيته فكلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته » (رواه الشيخان وأحمد والترمذى وأبو داود) .

قال الشاعر :

وكلكم راع ونحن رعيته

وكل يلاهم ربه ليهاسبه

وقال ﷺ : « ما نحل والد ولده أفضل من أدب حسن » (رواه الترمذى والحاكم . انظر كتاب « تحفة العباد » فى حقوق الزوجة والوالدين والأولاد) .

وقال ﷺ : « من أبلى من هذه البنات بشيء ، فأحن إليهن ، كن له حجابا من النار » (رواه مسلم والبخارى) .

وقد جاء فى تفرع البنات بما يدخل عليهن السرور أجز عظيم . قال الشاعر :

وكل من فرح أنشى يفرح

فى الفزع الأكبر نعم الفزع

وجاء فى الحديث الشريف : « إن من حق الولد على الولد أن يعلمه الكتابة ، وأن يحسن اسمه ، وأن يزوجه إذا بلغ » (رواه ابن النجار) .

وأن يعلمه المعلوم الشرعية ، والقرآن الشريف ، والآداب الممتونة ، كالسواك . وهذه الحقوق متدوية فى حق الأب .

وأما الحقوق الواجبة عليه فعنها الصلاة ، وأن للتي ﷺ بته الله نيا ورسولا ، إلى الخلق كافة ، بشيرا ونذيرا ، وأنه ﷺ ولد بمكة ، وهاجر إلى المدينة ، وتوفى ودفن بها ﷺ .

ويسن فى حق الوالد ، أن يقع عن المولود له يوم السابع ،

وقال أبو حيان للتوحيد رحمه الله : يجب على الرجل أن يستقبل عمره بولده ليستمتع كل منهما بصاحبه ، وأن يمهده له المعيشة ، وأن يختار أمه واسمه ويخته ويؤديه ولا يستأثر دونه ، وأن يختار له زوجة صالحة ومعيشة جميلة كافية ، وأن يكفيه العار وسره الحديث .

وفي الحديث : « من كان له صبي فليستص له » .
(أورد صاحب الكنز (١٦ / ٥٧) وقال : أخرجه ابن عساكر عن معاوية ، ولفظه « من كان له صبي فليستص له » .
قرأت في ربيع الأبرار للزمخشري قال : من حق الولد على والده أن يوسع عليه ماله كيلا يفسق . وقرأت في العقد لابن عبد ربه قال : خير الآباء للأبناء من لم يدهم التفتير إلى العقوق .

وإذا راقق الصبي فينبغي أباه أن يزوجه فقد ورد في الحديث : « من بلغ له ولد وأمكته أن يزوجه فلم يفعل وأحدث الولد كان الإثم بينهما » (راقق الصبي إذا قارب الاحتلام ، والمراقق : الغلام الذي قد قارب الحُلُم ، وفلك بين المشر إلى إحدى عشرة) .
(أخرجه الدهلي في (مستد القردوس) عن ابن عباس ، ولفظه « من بلغ ولده النكاح وعنده ما ينكحه فلم ينكحه ثم أحدث حدثا فالإثم عليه » .

انظر الكنز (١٦ / ٤٤٢) ...

قالت الحكماء : من أدب ولده صغيرا سره كبيرا . قالوا : أطبع الطين ما كان رطبا وأغمره الموت ما كان لينا . وقال : من أدب ولده ثم حاسده . وقالوا : ما أشد فطام الكبير وأصر منه رياضة الهرم . وقال الرشيد لابنه المعتصم : ما فعل وصيفك ؟ قال : مات واستراح من الكتاب ، قال : وبلغ الكتاب منك هذا المبلغ ، والله لا حضرت أبدا ، ووجهه إلى البادية فتعلم الفصاحة وكان أميا .
وقال صالح بن عبد القدوس :

وأن من أدبته في الصبا

كالمسود يبقى المضاء في غمره

حتى تهره مسورقا نساخرا

بعد الذي أبهرت من يسه

والشيخ لا يترك أحلافا

حتى يسوري في تسرى رسمه

(ثرى رسمه : تزيينه)

وقال آخر :

لا تسمه عن أدب الصغير

وإن شكك في ألبم التعصير

ودع الكبير لشمس لسانه

كبير الكبير من الأدب

قال النبي ﷺ : « حق الولد على والده أن يحسن اسمه ويحسن موضعه ويحسن أدبه » (أورد صاحب كثر العمال (١٦ / ٤١٧) باب بر الأولاد وحقوقهم ، وقال : رواه البيهقي في شعب الإيمان عن عائشة .

ـ وأورد الزبيدي في الإتحاف (٦ / ٣١٨) كتاب آداب الأخوة والصحة والمعاشرة ، باب حقوق الوالدين والولد ، عن عائشة ، وقال : فيه عبد الصمد بن النعمان وهو ضعيف .

وانظر القرطبي (١٨ / ١٩٥) - وحلية الأولياء (١ / ١٨٤) .
عن عمرو بن دينار أن ابن عمر وابن عباس كلنا يضرمان أولادهما على اللبن .

قال النبي ﷺ : « تخيروا لتطفكم » (أخرجه الدارقطني في سننه (٣ / ٢٩٩) كتاب النكاح - عن عائشة ، ولفظه : « تخيروا لتطفكم ، لا تضرموها إلا في الأكفاه » .

وأورد الزبيدي في نصب الراية (٣ / ١٩٧) كتاب النكاح - فصل في الكفاه . عن عائشة ولفظه : « تخيروا لتطفكم ، واتكحوا الأكفاه » - وقال : هذا الحديث روى عن طريق عائشة ، وعن طريق أنس ، وعن طريق عمر بن الخطاب ، عن طريق عبيدة كلها ضعيفة ، والكلام عليها في كتاب الإسماف بأحدث الكشاف في أول سورة النساء .

وانظر علل الحديث (١ / ٤٠٣) - والكنز (١٦ / ٣٠١) - وحلل الأولياء (٣ / ٣٧٧) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « انظر في أي نصاب تضع ولدك فإن العرق دساس » .

(أورد الزبيدي في الإتحاف (٥ / ٢٤٨) وقال : روى أبو موسى المديني في « كتاب تقصيص العمر والأيام » من حديث ابن عمر ، وقال : وطرق الحديث ضعيفة وأخرجه صاحب الإحياء (٢ / ٤٢) كتاب آداب النكاح - باب فيما يراعى حالة العقد) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « أكرموا أولادكم وأحسنوا آدابهم » أخرجه ابن ماجه في سننه (٢ / ١٢١١) كتاب الآداب - باب بر الولد والإحسان إلى البنات - عن أنس بن مالك .

وأورد الذهبي في الميزان (١ / ١٤٤) - وانظر الخطيب البغدادي في تاريخه (٨ / ٢٨٨) - والترغيب (٣ / ٧٢) - وابن عساكر (٥ / ٢٠٢) ، (٦ / ١٦٤) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ما نحل والد ولده أفضل من عمل صالح » (أخرجه الترمذي في سننه (٤ / ٣٣٨) كتاب البر والصلة - باب ما جاء في أدب الولد ، ولفظه « ما نحل والد ولدا من نحل أفضل من أدب حسن » وقال : هذا عندي حديث مرسل .

انظر مشكاة المصابيح (٢) كتاب الآداب - والكنز (١٦ / ٤٥٦)

وقال ابن المبارك : المؤمن يطلب المعافير ، والمناقب يطلب الزلات .

وقال القنطري : الفتنة : الصنيع من ذلات الإخوان .

وينبغي أن تترك إسائة الظن بأخيك ، وأن تحمل فعله على الحسن مهما أمكن ، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : «وإياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث» .

واعلم : أن سوء الظن يدعو إلى التجسس المنهي عنه ، وأن ستر الصيوب والتناقل عنها سمية أهل الدين .

واعلم : أنه لا يكمل إيمان المرء حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، وأقل درجات الأخوة أن يعامل أخاه بما يحب أن يعامله به ، ولا شك أنك تتصور من أخيك أن يستر عورتك ، وأن يسكت عن مساوئك ، فلو ظهر لك منه ضد ذلك اشتد عليك كيف تتصور منه ما لا تنزع عليه ؟

ومنى التمس من الإصناف ما لا تسمح به دخلت في قول الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴾ وإذا كالتوهم أو ورتوهم يخسرون ﴿ المطففين : ٣٢ ، ٣٣ ﴾ ونشأ التفسير في ستر المودة والمغري بكشفها الحقد والحسد .

واعلم : أن من أشد الأسباب لإزالة الحقد والحسد بين الإخوان المعاملة ، ولا يمت عليها إلا إظهار التميز بزيادة الفضل والعمل واحترار المردود عليه ، ومن ماري أخاه ، فقد نسب إلى الجول والحق ، أو إلى الغفلة والسهو عن فهم الشيء على ما هو عليه ، وكل ذلك استحقاق ، وهو يفرغ الصلح ويوجب المعاداة ، وهو ضد الأخوة .

الحق الرابع : على اللسان التعلق ، فإن الأخوة كما تقتضي السكوت عن المكروه ، تقتضي التعلق بالمحجوب ، بل هو أخص بالأخوة ، لأن من قنع بالسكوت صحب أهل القبور ، وإنما يرد الإخوان ليستفاد منهم لا ليتخلص منهم ، لأن السكوت معناه كف الأذى ، فعليه أن يتروك إليه بلسانه ، ويتفقد في أحواله ، ويسأله عما عرض له ، ويظهر شغل قلبه بسببه ، ويبدى السرور بما يسر به وفي الصحيح من رواية الترمذي : « إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه » .

ومن ذلك أن يدعوه بأحب أسمائه إليه ، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ثلاث يصفين لك ود أخيك : تسلم عليه إذا لقيت ، وترسع له في المجلس ، وتذكره بأحب أسمائه إليه .

ومن ذلك أن يثنى عليه بما يفرقه من محاسن أحواله عند من يؤثر اللئام عنده ، وكذلك اللئام على أولاده وأهله وأفعاله ، حتى في خلقه وعقله وحيثه وخلطه وتصنيفه وجميع ما يفرح به من غير إكراه ولا كذب .

وكللك ينبغي أن تبلغه ثناء من أثنى عليه مع إظهار الفرح به ، فإن إخفاء ذلك محض الحسد .

(تذكرة الأبناء / ٤٨ - ٥٥) .

ويخرج الإسام البيهقي حقوق الأولاد والأهلين باعتبارها الشعبة الستين من شعب الإيمان فيقول :

من شعب الإيمان حقوق الأولاد والأهلين ، وهي قيام الرجل على ولده وأهله وتعليمه وإهامهم من أمور دينهم ما يحتاجون إليه لقوله تعالى ﴿ قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ [التحریم : ٦] قال الحسن : أي مروههم بطاعة الله وعلموهم الخير وقال على علموهم وأدبوهم .

ولحديث أنس في صحيح مسلم « من حال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو هكذا - وضم أصبعيه » .
(مختصر شعب الإيمان / ٩٦ ، ٩٧) .

(محاسن الإسلام - محمد سعد بن عبد الله الرباطي العباسي - ط مصطفى البابي الحلبي / ١٧٧ - ١٧٩ ، وتذكرة الأبناء ونسابة الأبناء المسمى الدراري في ذكر الدراري للإمام الشيخ كمال الدين عمر بن أحمد ابن هبة الله بن المذموم - حققه وعلق عليه علاء عبد الوهاب محمد ، دار السلام ، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م / ٤٨ - ٥٥ ، ومختصر شعب الإيمان للبيهقي اختصار الفروزي - حققه وكتب حواشي عبد الله حجاج / ٩٧ ، ٩٦) .

• حقوق الأخوة :

يبين الإمام ابن قدامة ما على الإنسان لأخيه من الحقوق فيقول : الحق الأول : قضاء الحاجات والقيام بها ، وذلك درجات : أدامها : القيام بالحاجة عند السؤال والقدرة لكن مع البشاشة والاستئثار .

وأوسطها : القيام بالحوائج من غير سؤال .

وأعلاها : تقديم حوائجه على حوائج النفس .

وقد كان بعض السلف يتفقد عيال أخيه بعد موته أربعين سنة فيقضى حوائجهم .

الحق الثاني : على اللسان بالسكوت تارة ، وبالتعلق أخرى .

أما السكوت ، فهو أن يسكت من ذكر غيره في حضوره وفيته ، وعن الرد عليه ومماراته ومناقشته ، وعن السؤال عما يكره ظهوره من أحواله . ولا يسأله إذا لقيه ، إلى أين ؟ فرميا لا يريد إعلامه بذلك ، وأن يكتم سره ولو بعد القطيعة ، ولا يفتضح في أحبابه وأهله ، ولا يبلغه ذلك غيره فيه .

الحق الثالث : وينبغي أن يسكت عن كل ما يكرهه ، إلا إذا وجب عليه التعلق في أمر معروف أو نهى عن منكر ولم يجد رخصة في السكوت ، فإن مواجهته بذلك إحسان إليه في المعنى .

واعلم : أنك إذا طلبت منزهة عن كل عيب لم تجد ، ومن غلبت محاسنه على مساوئه فهو الغاية .

ويقبل عليه ، فلما احضر قيل له : إلى من تجلس بعدك يا أبا عبد الله ؟ فاستشرّف له محمد بن عبد الحكم وهو عند رأسه ليوسه إليه فقال : إلى أبي يعقوب الجبيلي ، فأنكسر لها محمد ، ومع أن محمدا كان قد حمل مذهبه ، لكن الجبيلي كان أقرب إلى الزهد والورع ، فتصح الشافعي رحمه الله المسلمين وترك المداينة ، فانقلب ابن عبد الحكم من مذهبه ، وصار من أصحاب مالك . ومن الرفقاء أن لا يسمع بلاغات الناس على صديقه ، ولا يصادق عدو صديقه .

الحق الساجع : التخفيف وترك التكلف والتكليف ، وذلك أن لا يكلف أخاه ما يشق عليه ، بل يروح مسره عن مهماته وحاجاته ، ولا يستمد من جباهه ما ماله ولا يكلفه التفقد لأحواله والقيام بحقوقه والتواضع له ، بل يكون قصده بمحبته الله وحده ، والترك بدعاه ، والاستئناس بقلقه ، والاستعانة على دينه ، والتقرب إلى الله تعالى بالقيام بحقوقه ، وتسام التخفيف على بساط الاحتشام حتى لا يستحي منه فيما لا يستحي فيه من نفسه .

قال جعفر بن محمد : أنقل إخواني على من يتكلف لي وأتخفظ منه ، وأخضعهم على قلبي من أكون معه كما أكون وحدي . وقال بعض الحكماء : من سقطت كلفته دامت الفسقة ، ومن تمام هذا الأمر أن ترى الفضل لإخوانك عليك ، لا تنسك عليهم ، فتترك نفسك معهم منزلة الخادم .

(مختصر منهاج القاصدين / ١٠٠ - ١٠٤) .

وللإمام الشافعي رحمه الله في المواخاة :

إذا للمرء لا يصرهك إلا تكلفا

فلمعه ولا تكسر عليه التأمنا

ففى للناس أبدا وفى التبرك راحة

وفى القلب صبر للمحب ولو جفا

فما كل من تهواه بهواك قلبه

ولا كل من صانقته لك قد صفا

إذا لم يكن صغور السوء طبعه

فلا يخير فى ود يحى تكلفا

ولا يخير فى غل يخسون خليله

ويلقاه بعد السوءة بالجبنا

ويتكر هيشا قد تقادم ههنا

ويظهر سرا كان بالأسر فى غفا

سلام على السدينا إذا لم يكن بها

صديق صدوق يصادق الوعد نصفا

(مجموعة من نظم والثر / ٥٢ ، ٥٣) .

وفرد حجة الإسلام الفزائلى الباب الثانى من الإحياء فى حقوق الأخوة والصحة يبدؤ بقوله :

ومن ذلك أن تشكروا على صنيعة فى حقك ، وأن تلب عنه فى غيبته إذا قصد بسوء ، فتح الأخوة التشمير فى الحماية والنصرة . وفى الحديث الصحيح : المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، ومعنى أحمل الذنب عن عرضه يكون قد أسلمه ، وإن فى ذلك معياران :

أحدهما : أن تقدر أن الذى قيل فيه ، قد قيل فيك وهو حاضر ، فتقول ما تحب أن يقره .

الثانى : أن تقدر أنه حاضر وراء جدار يسمع عليك ، فما تحرك فى قلبك من نصرته فى حضوره ينيب أن يتحرك فى غيبته . ومن لم يكن مخلصا فى إخائه فهو متناق .

ومن ذلك التعليم والتصححة ، فليس حاجة أعنيك إلى العلم بأقل من حاجته إلى المال ، وإذا كنت غنيا بالمعلم فواسه وأرشده . وينبى أن يكون نصحك إيماء سرا ، والفرق بين التوبيخ والتصححة الإعلان والإصرار ، كما أن الفرق بين المداينة والمداينة بالفرص اليامت على الإقصاء ، فإن أغضيت لسلاسة دينك ولما ترى فيه إصلاح أعنيك بالإقصاء ، فأنت مدار ، وإن أغضيت لحظ نفسك واجتلاب شهواتك وسلامة جاهك فأنت مداهن .

ومن ذلك : العفو عن الزلات ، فإن كانت زلته فى دينه تخطف فى نصحه مهما أمكن ، ولا تترك زجره ووعظه ، فإن أبى للمصاورة .

الحق الخامس : الدعاء للأخ فى حياته وبعد موته بكل ما تدعو به لنفسك .

وفى أفراد مسلم من حديث أبي الدرداء ، أن الذى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « دهره المرء المسلم لأخيه يظهر الغيب مستجابة ، عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به : آمين ، ولك بمثل » .

وكان أبو الدرداء رضى الله عنه يدعو لحق كثير من إخوانه يسميهم بأسمائهم . وكان أحمد بن حنبل رحمه الله يدعو فى السحر لسنة نفر .

وأما الدعاء بعد الموت ، فقال عمرو بن حريث : إذا دعا العبد لأخيه الميت ، أتى بها ملك قبره ، فقال : يا صاحب القبر الغرب ، هذه هدية من أخ عليك شقيق .

الحق السادس : الوفاء بالإخلاص ، ومعنى الوفاء : الثبات على الحب إلى الموت ، وبعد موت الأخ مع أولاده وأصدقائه ، وقد أكرم النبي صلى الله عليه وآله وآله وسلم عبودا وقال : « إنها كانت نغشانا فى أيام خديجة ، وإن حسن العهد من الإيمان » .

ومن الوفاء أن لا يتغير على أخيه فى التواضع وإن ارتفع شأنه واتسعت ولايته وعظم جاهه .

واعلم : أنه ليس من الوفاء موافقة الأخ فيما يخالف الدين ، فقد كان الشافعي رحمه الله أخى محمد بن عبد الحكم ، وكان يقره

(كشف القنون ١ / ٦٧٣ ، ٦٧٤) .

• حقوق الأقارب والرحم :

يقول الإمام ابن قدامة :

وأما حقوق الأقارب والرحم، ففي الحديث الصحيح، من رواية عائشة، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « الرحم معلقة بالعرش، تقول : من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعته الله » .

وفي حديث آخر من أفراد البخاري : « ليس الواصل بالمكافئ » ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها » .

وفي حديث آخر من أفراد مسلم أن رجلاً قال : يا رسول الله ، إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني ، وأحسن إليهم ويسيئون إلي ، وأحلم عنهم ويجهلون علي ، قال : « لأن كنت كما قلت ، فكأنما تسفهم المل ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك » . والمعنى أنك منصور عليهم ، وقد انقطع احتجاجهم عليه بحق القرابة ، كما ينقطع كلام من سب المل ، وهو الرماذ الحار . والأحاديث في ذلك كثيرة مشهورة في صلة الرحم ، وفي حقوق الوالدتين ، وفي تأكيد حق الأم (مختصر منهاج القاصدين / ١٠٨ ، ١٠٩) .

قال ﷺ : « يقول الله : أنا الرحمن ، وهذه الرحم ، شققت لها اسم من اسمي فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها قطعته » ، وقال ﷺ : « من سره أن ينسأ له في أثره ويوسع له في رزقه قليق ليليل رحمه فري أن عمر رضي الله عنه كتب إلى عماله : مروا الأقارب أن يتزاوروا ولا يتجاوروا - إنما قال ذلك لأن التجاور ربما يورث القطيعة (فتح السعادة ٣ / ٢٦٨) .

(مختصر منهاج القاصدين لأن قدامة - قدم له الأستاذ محمد أحمد دهمان ، حلق عليه شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط / ١٠٨ ، ١٠٩ ، وفتح السعادة لطاشي كبرى زاده ٣ / ٢٦٨) .

• حقوق الله :

عن أبي ثعلبة الخشني جريئوم بن نائسر - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ قال : إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحددوا فلا تغتربوها ، وحرم أشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها » . حديث حسن رواه الدارقطني وغيره .

روى الحديث كان من مشاهير الصحابة ومن حضر بيعة الرضوان تحت الشجرة ستة ست من الهجرة ، مات لى الشام وهو ساجد ستة خمسين وتسعين ومروياته أربعون حديثاً .

ملحظة الحديث : هذا الحديث من جوامع كلمه ﷺ وهو يحوى أصول الدين وليس في الأحاديث حديث واحد أجمع بأفرازه لأصول الدين وفروعه منه ، ولهذا قال السمعاني : من عمل به فقد حاز الثواب وأمن من العقاب .

اصل علم أن عقد الأخوة وأبيلة بين الشخصين كمقدد التكاح بين الزوجين وكما يقتضى التكاح حقوقاً يجب الوفاء بها فيما بحق التكاح فكذلك عقد الأخوة فلاخيك عليك حق في المال والنفس وفي اللسان والقلب وبالغفو والدعاء وبالإخلاص والوفاء وبالتخفيف وترك التكلف والتكليف وذلك مجمعه ثمانية حقوق .

ثم يمدد الحقوق الثمانية ، وتكتفى هنا بذكر عناوينها على النحو التالي .

١ - المال .

٢ - الإعانة بالنفس في قضاء الحاجات والقيام بها قبل السؤال وتقديمها على الحاجات الخاصة .

٣ - في اللسان : بالسكوت مرة وبالتلق أخرى . أما السكوت فهو أن يسكت عن ذكر عيوبه في غيبته وحضرته بل يتجاهل عنه ، ويسكت عن الرد عليه فيما يتكلم به ولا يماريه ولا يناقشه .

٤ - (على اللسان بالتلق) فإن الأخوة كما تقتضى السكوت عن المكاره ، تقتضى أيضاً التلق بالمحباب بل هو أغص بالأخوة لأن من قنع بالسكوت صحب أهل القبر .

٥ - الغفو عن الزلات واللففوات .

٦ - الدعاء لبلأخ في حياته وبعد مماته بكل ما يحبه لنفسه ولأهله وكل متعلق به .

٧ - الوفاء والإخلاص .

٨ - التخفيف وترك التكلف والتكليف وذلك بأن لا يكلف أخاه ما يشق عليه (إحياء علوم الدين ٢ / ١٥٢ - ١٦٦) .

(مختصر منهاج القاصدين للإمام الشيخ أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي - قدم له محمد أحمد دهمان ، وعلق عليه شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط / ١٠٠ - ١٠٤ - وقد وضعت التعليقات بين أقواس في ثنايا النص ، وبمجموعة من النظم والشر للتحفظ والتيسير / ٥٢ ، ٥٣ ، وإحياء علوم الدين لمحبة الإسلام لبي حامد الغزالي ٢ / ١٥٢ - ١٦٦) .

• حقوق أخوة الإسلام :

حقوق أخوة الإسلام : للشيخ عبد الوهاب بن أحمد الشرعاني الختفي سنة ستين وتسعمائة أولها : الحمد لله بحمله (تحمده) ونستعينه الخ ذكر فيه أن للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم على الأمة حقوقاً والمسلمين بعضهم على بعض حقوقاً في معايشة الصديق مع الصديق والشيخ مع المريد والدالم مع المتعلم والأخبر مع المريد والجار مع الجار والضيف مع المضيف والوالد مع الولد والغنى مع الفقير والزوج مع الزوجة والقريب مع الغريب والسيد مع المملوك والمسلم مع النسي أو الحرى والصالح مع الطالح والمتعبد حقوق وشرائط وأداب ذكرها كلها وفيه تأليف آخر قيل هو للغزالي .

الشرح : قوله ﷺ : « ورحم أشيائه فلا تنهكوها »، أي فلا تدخلوها فيها .

أفكار الحديث : ١ - المحافظة على الفرائض
٢ - اجتناب المحرمات ٣ - النهي عن كثرة السؤال
فقه الحديث :

١ - لا يجوز لأي شخص أن يشرع حدوداً أو أحكاماً .
٢ - الأصل في الأشياء الإباحة .

٣ - يستحيل على الله سبحانه وتعالى النسيان .
(شرح من الأربعين النووية للإمام يحيى بن شرف الدين النووي - تحقيق وتعليق عبد الله إبراهيم الأنصاري / ١٠٣ ، ١٠٤ . انظر أيضاً شرح الأربعين حديثاً للنووية للإمام العلامة ابن دقيق العيد / ٧٤ ، ٧٥) .
• حقوق الإنسان في الإسلام :

انظر مادة « الحرية في الإسلام » في ١٣ / ٥١٢ - ٥٢٢ .

• حقوق الجوار
من مصنفات التراث الإسلامي في علوم الحديث .
مخطوط بخزانة المدرسة الأحمدية (في محلة الجلولم - البهراقية) . وهي الآن تحت رعاية الأوقاف وجاء بيان المخطوط كما يلي :

تأليف : الحافظ شمس الدين محمد بن عثمان بن قايماز الذهبي : ٦٧٧ - ٧٤٨ هـ / ١٢٧٤ - ١٣٤٨ م .

أورد فيه المصنف الأحاديث النبوية التي جاء فيها ذكر الجوار وحقوقه .

أوله : قال الشيخ الإمام العلامة موفق الدين أبو سهل محمد : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر .

آخره : ... ولا تؤدبهم كما تؤدب المسلم آخر الجزء وهو حقوق الجوار ... ابن قايماز الذهبي رحمه الله والحمد لله وحده ...

نسخة عادية كتبها ناسخ المجمع الذي ضمت إليه بخط نسخي كبير الحروف وهو يونس بن ملاح سنة ٩١٨ هـ . وبعض الكلمات بالحمرة .

(٢٥) ق المسطرة (١٥) من الأحمدية (٣١٠) مع الحديث بروكلمان ٢ / ٤٦ ملحق بروكلمان ٢ / ٤٥ .

(المنتخب من المخطوطات العربية في حلب . مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق / ٤ / ٩٩) .

قالت المؤلفة : هذا الكتاب عندي ولكنه مطبوع تحت عنوان « حق الجوار » ، نشرته دار عالم الكتب بالرياض في سلسلة الأجزاء الحديثية (١) تحقيق أبي إسماعيل هشام بن إسماعيل السقا ، مراجعة أبي عبد الله محمود بن محمد الحداد . الطبعة الأولى ١٤٥٥ هـ - ١٩٨٥ م ، ويقع في ٥٥ صفحة ومن ١٣٣ فهارس وفوائد وتعليق .

وقد سبق أن أوردنا مادة بعنوان « الجوار » في ١١ / ٤٣١ ، ٤٣٢ وفاتنا بإخراج أحاديث للحافظ السيوطي وأخرى للحافظ المناوي رأينا أن نورد هنا إتماماً للمائدة .

أما الحافظ السيوطي فقد أورد في الجامع الصغير ثلاثة أحاديث عن حقوق الجوار :

أولها : « الجوار أحق بصقبه » رواه البخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجه عن أبي رافع عن النبي عن أنس بن مالك عن الشريد بن سويد حديث صحيح وعن لفظ « صقبه » جاء في المعجم السيوطي (٥١٨ / ١) صقب صقبا : قرب ودنا ، والحديث : « الجوار أحق بصقبه » معناه بما يليه ويقرب منه ، يقولونها في الشفعة .

وأما الحديث الثاني فهو « الجوار أحق بشفعة جاره ينتظر بها وإن كان غائبا إذا كان طريقهما واحدا » رواه أحمد في مسنده عن جابر .

والحديث الثالث هو : « الجوار قبل الدار ، والرفيق قبل الطريق ، والسارق قبل الرجل » للخطيب في الجامع عن علي . حديث ضعيف (الجامع الصغير ١ / ١٤٩) .

وقد أورد الحافظ المناوي منها حديثين بلفظ « بسقبه » بدلا من « بصقبه » وهو خطأ من الناسخ حيث أن الكتاب مخطوط مصور ، وجاء إسناده الحديث كما يلي : « الجوار أحق بسقبه » (بصقبه) ما كان أحوج إليه » . رواه الإمام أحمد ، والطبراني في الكبير من السويع (الشريد) بن سويد وإسناده أحمد جيد . وإسناده الحديث الثاني : « الجوار أحق بسقبه » (بصقبه) للطبراني في الأوسط من سعيد بن مالك وابن عمر وفي الأول عبد الكريم بن أمية ضعيف ، وفي الثاني عبيد بن كثير الثمار متروك (الجامع الأثر ١ / ٢١٨ ورقة ١) كما أورد الحافظ المناوي حديثا ثالثا هو « جوار السوء في دار الإقامة قاصمة الظهر » رواه الطبراني في الأوسط عن ابن عباس وفيه من لا يعرف (الجامع الأثر ١ / ٢١٧ ورقة ١) . كما أنه أورد حديثا رابعا هو : « للجيران ثلاثة : جوار له حق واحد وهو أدنى الجيران حقا ، وجوار له حقان وجوار له ثلاثة حقوق . فأما الذي له حق فجوار مشترك لا ربح له حق الجوار . وأما الذي له حقان فجوار مسلم له حق الإسلام وحق الجوار . وأما الذي له ثلاثة حقوق فجوار مسلم ذو ربح له حق الإسلام وحق الجوار وحق الربح » . رواه الطبراني في الكبير عن جابر وفيه شيخه عبد الله محمد بن الحازمي وضاع (الجامع الأثر ١ / ٢١٨ ورقة ب ، ٢١٩ ورقة أ) .

• حقوق غير المسلمين في ظل الإسلام :

انظر مادة الحرية في الإسلام في ١٣ / ٥١٥ - ٥١٨ . انظر أيضا « حقوق غير المسلمين في ظل تفكير الشريعة الإسلامية » - د. عبد الله المبارك . مجلة الأثر ، الجزء الثالث ، المنة السابعة والخمسون ، ربيع الأول ، ١٤٠٤ هـ - ديسمبر ١٩٨٣ م / ٤٠٢ - ٤١١ .

• حقوق المرأة في الإسلام :

من حقوق المرأة في الإسلام يقول فضيلة الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله في بحث نفيس له :

إن الإسلام قد أتى بمبدأ لم يسبق إليه ، ولعله إلى الآن لم يلحق به ، وهو ما يتعلق بالمرأة ، لأن المرأة في الإسلام نالت حقوقاً لم تنلها في الشرائع السابقة على الإسلام ، خصوصاً الشرائع غير الدينية ، وما نالت من هذه الحقوق لم تصل المرأة الأوروبية إلى الكثير منها ، ونلخص ذلك فيما يلي :

(١) كانت المرأة هملاً في بيت الزوجية ، ولم تكن لها أي شخصية قبل الزواج ، فكان أبوها أو وليها لا إرادة لها بجوار إرادته ، وإذا تزوجت انتقلت السلطة المطلقة من الولي إلى الزوج ، فجاه الإسلام وجعل لها من الحقوق مثل ما عليها من واجبات ، وكانت قبلها عليها واجبات وليس لها حقوق ، كما كان الأمر بالنسبة للترقي عند الرومان والفرس ، فجاه القرآن وقر تلك القضية المعادلة التي تربط بين الحق والواجب برباط وثيق ، لأنه يتفق مع البهجة العقلية ، فقال تعالى :

﴿ ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم ﴾ [البقرة : ٢٢٨] .

(ب) ولم تكن المرأة ذات ولاية على نفسها ما دامت لم تنزوج ، فإذا تزوجت كانت الولاية عليها لزوجها ولم تكن لها شخصية منفردة عن شخصية زوجها ، فجاه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقرر أن للمرأة ولاية على نفسها ، وإذا كان للولي شأن في زواجها فليس له أن يجبرها ، وإنما الأمر إليها أولاً وبالذات ، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام « ألهم أحق بنفسها من وليها » ، وصلة بها صلة أديبة لصباتها ومنهاتها من السقوط ومعاونتها في اختيار الزوج ، وإذا اختارت الكفء ولم يرض هو لا يلتفت لاعتراضه ، وبعد الزواج ليس للزوج ولاية عليها إلا بمقتل ما ينظمه عقد الزواج من حقوق بين الزوجين .

(ج) والمرأة إذا كانت الفقة عاقلة رشيدة لها الولاية الكاملة على مالها من غير تدخل من قبل أبيها أو غيره من قرينتها ، وإذا تزوجت كانت ذمتها المالية منفصلة عن ذمة زوجها ، فلها أموالها وله أموالها كل يدير ماله من غير تدخل من الآخر ، لها أن تبرع من مالها بما تشاء كما يتبرع الرجل ، وما يكون من قيود للرجال في تصرفاتها تكون لها أيضاً في تصرفاتهم هذه الفقيده ، وفي الجملة المرأة والرجل على سواء بالنسبة لإدارة كل واحد منهما ماله ، ولا يكون للزوج أي قدرة على التصرف في مال زوجته إلا بتوكيل حر يكون لها الاختيار الكامل والرضا التام فيه ، ويكون مبناه الثقة بلا ريب ، وإن أساء الإدارة كان لها عزله في أي وقت تريد ، وعقد الزواج في الشريعة الإسلامية لا يقتضي ولاية مالية ، ولا شركة في المال ، ولا وكالة إجبارية ، لأن العقد في الإسلام لا يقتضي ذلك . وإن بين هذا وبين القوانين الأوروبية فيما يتعلق بالزواج ، إنها

تعتبر الزوج شريكاً وولياً في مالها وليس لها التصرف في أي قدر من مالها إلا بإذنه ، وليس لها أن تبرع بمالها ، في المصارف على ذمتها ، لأن ذمتها غير منفصلة عن ذمة الزوج ، بينما الزوج له ذلك ، وأخيراً صودت قوانين تنصف من ذلك ولا تمنعه ، وأخر تعديل فرنسي في القانون المدني الفرنسي سمح للمرأة أن تبرع أموالها باسمها ، وذلك الجزء الصغير وصلت المرأة إليه في الإسلام منذ أكثر من أربعة عشر قرناً ، وهو الذي أدخلت منه على قلة أجزاء في تلك القوانين التي أدمغت حق المرأة المالي في الزوجية ولم تدغم مال الرجل في مالها .

(د) والمرأة كانت في نظر النظم القديمة كالشيطان ، ينظر إليها على أنها شيء مقيت ، حتى إنه ورد في بعض عبارات الثروة المحرقة تلك الكلمة « المرأة أمر من الموت » .

كان ينظر إلى المرأة تلك النظرة ، فلما جاء الإسلام أكرمها وياغ في إكرامها بمقدار مبالغة العرب والرومان والفرس في مقها ، كانت المتزوجة تورث من ابن زوجها ، له هو أن يزوجه من غيره إن شاء وأن يرث زواجها من أبيه إن شاء ، فجاه الإسلام ومنع ذلك منعا باتاً ، وسماه المسلمون تيماً للقرآن نكاح المقت ، فقد قال تعالى : ﴿ ولا تنكحوا ما نكح آبائكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً ﴾ [النساء : ٢٢] ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ﴾ [النساء : ١٩] والإسلام اعتبر المرأة الصالحة كترًا من كنز الدنيا هو السعادة كلها ، فقد قال عليه الصلاة والسلام : « ألا خير ما يكثر المهر المرأة الصالحة : إذا نظر إليها سرته وإذا غاب عنها حفظته وإذا أمرها أطاعته ، وكان يرضى للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالنساء دالماً ، ويعتبر من أعظم الفضائل الإنسانية معاملة الرجل لارأته معاملة حسنة ، ويقول عليه الصلاة والسلام منيكم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي »

ولترك الكلمة لكاتب أوروبي هو جوستاف لويون ، فهو يقول « تعامل المرأة المسلمة باحترام عظيم » وينقل في ذلك من مسيو دى أميسس الذي لم يكن مناصراً للمبادئ الإسلامية في أقواله « إن المرأة في الشرق تعامل بئيل وكرم على العموم ، فلا أحد يستطيع أن يرفع يده عليها في الطريق ، ولا يهين جندى أبى سي » إلى أشد نساء الشعب بلادة لسان حتى في أثناء الشغب ، وفي الشرق يشمل العمل زوجته وبين من رعايته ، وفي الشرق بلغ الاحترام إلى درجة العبادة ، وفي الشرق لا تجد رجلاً يقدم على الاستفادة من كسب زوجته ، والزوج هو الذي يبلغ المهر ، وإذا طلقت الزوجة في الشرق أو هجرت أصطفاها الرجل نفقة لتعيش من معة ، وإن حمل الزوج بعد الفراق على القيام بهذا الاتفاق يمتنه من إساءة معاملتها حلح مطالبته بالفراق » (ضيف العرب لجوستاف لويون . ترجمة الأستاذ عادل زعتر) .

حقوق المرأة في الإسلام

لإزالة المرأة وعدم اعتبارها قاصرا ترعاها القوانين بدلا من أن ترعى هي نفسها بوزن الأمور وحسن اختيارها وتقديرها للمصلحة، ووفق ذلك قد يكون التزوج إقالة لها من عترة سقطت فيها مع الرجل الذي تزوجه وله زوجة أخرى، وكان الزواج منه رفعا لها من كيرة ورذا لاعتبارها .

السبب الثاني - أن الزواج المتعدد فيه مصلحة للمرأة على وجه عام ، وإن كان فيه إدخال الألم على الزوجة الأولى ، ولا شك أن ذلك مضرة ، ولكن بالموازنة بين الضرر الذي يلحق المتزوجة ابتداء والضرر الذي يلحق بمجموع النساء عامة يتبين أن ضرر المنع أشد من ضرر الإباحة ، وقد بينا أن القياس للأحكام الشرعية هو أن تكون لأكبر نفع ولضلع أكبر ضرر، ولقد ثبت بالمرء ومجرى الأمور أن المرأة لا تقدم على الزواج من رجل متزوج إلا إذا كانت مضطرة ، إما لأنه استوهاها واستهوتها ولا مناص لها من الاتصال في الحلال أو الحرام ، ولا شك أن حلالا معيا أولى من حرام مؤكد ، وإن زواجها تصان فيه المرأة وتثبت لها كل حقوق الزوجة ولأولادها كل حقوق الأولاد أولى من منافع لا يثبت لها حقوقها ولا لأولادها نسبا ولا ميراثا .

ولو منع الزواج الرسمي لكثرة الزواج من غير توثيق وأدى إلى ضياع الحقوق للنساء والأولاد، وقد يكون إقدام المرأة على الزواج من رجل متزوج إذا لم يقدم لها أحد ، لأنها إذا لم تتزوج فلما أن تتصرف ، وإما أن تموت أنوثتها وتضطرب أعصابها ، إلا أن تكون من ذوات الإرادات المخالفة ، وكلاهما ضرر شديد بالمرأة ، وقد ثبت أنه في البلاد التي يمتنع فيها حق التعدد تكثر الخلل إلا أن اتخاذ الأخدان ، وغير المرأة أن تكون حليلة بدل أن تكون خالصة .

ولترك الكلمة لوجهات لويون فهو يقول : « إن مبدأ تعدد الزوجات ليس خاصا بالإسلام ، فقد عرفه اليهود والفرس والعرب وغيرهم من أمم الشرق قبل ظهور محمد ، ولم تر الأمم التي انتحلت الإسلام فيه جليدا ... ولا تعتقد مع ذلك وجود ديانة قوية تستطيع أن تحول الطابع لتتسع مثل ذلك المبدأ الذي هو وليد جو الشرقيين وعورتهم ، وفي الغرب حيث الجو والمزاج أقل هيمنة لم يكن مبدأ الاقتصاد على زوجة واحدة في غير القوانين لا في الطابع - حيث ينذر ... ولا أرى سببا يجعل مبدأ تعدد الزوجات الشرعي عند الشرقيين أدنى مرتبة من مبدأ تعدد الزوجات السري عند الأوربيين ، مع أنني أبصر بالعكس ما يجعله أسوأ منه ، وبهذا نذكر مغزى تعجب الشرقيين المعلنين بوزون مدندا الكبيرة من احتجاجنا عليهم ونظرمه شرا إلى هذا الاحتجاج » (حصار العرب ص ٤٨٣ ترجمة الأستاذ المرحوم عادل زعير) .

« وقد ثبت أن الخيانة الزوجية في الأمم القائلة بالاقتصاد على زوجة واحدة تزيد باضطراب ، فقد دلت الإحصاءات الرسمية التي

وما نقلنا هذا الكلام لتتخذ منه حجة ، لأن الحقوق الإسلامية براهرين قوتها مستمدة من ذاتها لا من أمر خارج عنها ، ولكننا نقدمها لأنك الذي يتعمق كتاب الغرب ، ويفقهونهم ، لأنهم لا يعتمدون على المنطق المجرد ، ولكن يعتمدون على التقليد فقط ، فأتينا بشهادة من يتبعونهم ولو كان الاتباع عن غير رغبة .

ولعل أبلغ كلام سبق في تقدير المرأة ما روي منسوبا إلى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « الجنة تحت أقدام الأمهات » وقد استرعت هذه الكلمة الكتاب المتصفين من الغرب فملقوا على معناها تعليقا يدل على تمجيدها .

(هـ) أثبت الإسلام للمرأة ميراثا من أبيها وزوجها وأخيها ولم يكن لها شيء من الميراث في النظم القديمة إلا في بعض الأحوال ، ومن المؤكد أنها لم يكن لها ميراث كزوجة ، ونقل إلى القارئ كلمة عن كتاب الفرنسية ، فقد قال جوستاف لويون في ذلك : « ومبادئ الميراث التي ينص عليها القرآن على جانب عظيم من العدل والإنصاف » . ويقول : « ويظهر من مقابلاتي بينها وبين الحقوق الفرنسية والإنجليزية أن الشريعة منحت حقوقا في الميراث لانتد ملها في قوتها » (الكتاب المذكور ص ٢٧٤) وبذلك الكلام يتبين أن الزوجة أعطيت حق الميراث في الشريعة الإسلامية منذ نحو أربعة عشر قرنا ولم تمتط تلك الحق إلى الآن في بعض القوانين الأدبية ، ومع ذلك يجيب بعض الكتاب من الشرق والغرب بأن المرأة مظلومة في الإسلام منقصة الحقوق ، وهذا ما يشهد به بعض كتابهم ، وإن ذلك الكتاب يتوهم أن القرآن أتبع في تشريعه ما كان عند العرب « كبريت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا » (الكهف : ٥) فهل كانت المرأة تترك عند العرب قبل الإسلام ، وهل كان نظام الطلاق والزواج والمحرمات في الإسلام كما كان عند العرب .

(و) تعدد الزوجات هذا حق أعطى للزوج ولم تعطه المرأة بالبداهة ، ومع ذلك تعتبر مخالفة تعود على المرأة أكثر مما تعود على الرجل ، وذلك لسببين :

أولهما - أن العرب كانوا يحدون الزوجات إلى غير عدد محدود ، والتوراة التي يأبئنا تبيح التعدد إلى غير عدد محدود أيضا ، ونذكر أن بعض التبيين عندنا لغير عدد ، وبعض المفسرين للثورة حدد العدد بثمانين عشرة امرأة ، ولقد جاء الإسلام فحدد العدد بأربع ، واشترط العدالة والقدرة على الإنفاق ، وهو شرط في كل زواج ولو كان واحدا ، وهو شرط ديني يأثم من يخالفه ولا يخلل الزواج بخلفه ، وليس للقضاء دخل فيه ، ولا شك أن تقنين العدد إلى أربع فيه فائدة للمرأة بدل الانطلاق ، وإن عدم تدخل القضاء وترك الأمر لحرية العاقدتين واختيارهما ورضاها ، وجعل الأمر بالنسبة للشرطين العدالة والقدرة على الإنفاق للتدين ، فيه احترام

نشرت على أن عدد قضايا الزنا في فرنسا سنة ١٨٨٠ أصبح تسعة أمثال ما كان عليه سنة ١٨٢٦ (١) (هامش الكتاب المذكور ص ٤٩٦) . هذه حقائق شائبة ، وسند بضع سنين قير كسير الأساقفة في انتاجنا أنه لا سبيل لصد تيار الانحلال الاجتماعي إلا بإساحة تعدد الزوجات في القوانين الإنجليزية ، وقد أدرك شاقب نظره أنه ليس في المسيحية نص يمنع تعدد الزوجات ، ولكنه من تقاليد الكنيسة وليس من نصوص الأنجيل ولا رسائل الرسل .

(ز) الطلاق : لعل القارئ الجليل يصعب أن حق الطلاق الذي أعطيه الزوج أكسب المرأة حقها ، ونزيل هذا المحجب فقول ؛ إن الطلاق قبل الإسلام عند العرب كان يتخذ مضارة للمرأة فكان الرجل يطلق بأى همد ، وإذا طلق فإنه بمجرد أن تقارب مدتها الانتهاء لتتزوج زوجاً آخر يهد بمراجعتها ، ويمسكها ضراراً بها ، ويستمر على هذا الحال ، ويكرها مضارة وعلوها عن الزواج ، فيء الإسلام وجعل الطلاق لا يتجاوز ثلاثاً ، ولا يحلها له بعدها إلا أن تتزوج غيره ، ليخرجها من ريقته ويفتح لها باب الزواج الذي كان يحاول إغلاقه وعضلها عنه .

وإن الطلاق الذي أبيع في الإسلام أحبط بضمائنت قوية تجعل الرجل لا يقدر عليه إلا إذا استحسنت الفقرة ، ونشر إلى هذا بكلمات يسيرة توضح أن الزواج لا يبقى إلا حيث تكون الرحمة والمودة كما بين القرآن ذلك ، ولكن سيمان مقلب القلوب ، فقد تتحول المحبة إلى بغض والعودة إلى منابذة ومنافرة ، فإذا استحسنت الفقرة لم يكن سبيل اللقاء ، ولا مصلحة لأحدهما في أن تبقى تلك العلاقة التي تافرت فيها القلوب ، فكان الفراق أمراً لا بد منه ، ولا سبيل لأن يكون أمام القضاء ، لأنه ليس من مصلحة الزوجة أن تذكر أسباب القصور منها أمام القضاء ، ولا شك أنها إذا انفعلت على الفراق كان ذلك أمراً مقبولاً ، لأن العقد الذي بالتراضي يلغى بالتراضي على فسحه ، وإذا لم يكن تراخي فإن الحل يكون بيد الزوج ويترتب عليه مغارم مالية ، فما أنفق في سبيل هذا الزواج كبير عادة ، وما يعقب الطلاق كبير أيضاً ، وهله المغارم بلا شك كولعب مادية تشتمل من الطلاق إلا إذا كان متهوراً ولا مصلحة لها في معاشرته .

والإسلام قيد الطلاق في حدود نفسية مع هذه القيود المادية ، فجعل الطلاق ثلاثاً لا يقع دفعة واحدة ، والأرواح بالنسبة للمخلوق بها تكون رجعية ، له أن يراجعها في أثناء المدة لأنه عسى أن يكون قد نطق بكلمة الطلاق في نوبة غضب جامع من غير ترو ، فإذا راجعها تحسب عليه طلاقاً ويكون هذا إنذاراً ، فإذا طلقها ثانية كان له مراجعتها في أثناء المدة ، فإذا راجعها يكون هذا إنذاراً ثانياً ، فإن كانت الثالثة كانت البتة ، وإن لم يراجعها في أثناء المدة كان ذلك دليلاً على الإصرار الكامل .

وقيدت السنة الطلاق تقيداً نفسياً آخر ، فقررت أنه لا يكون في حال الحيض ولا في طهر جامعاً فيه ولا في الحيض قبله ، وأن تكون واحدة ، والمحققون من العلماء قرروا أن الطلاق في غيرهما بينه التي صلى الله تعالى عليه وسلم منهاجاً للسنة لا يقع ، فقد قرر الإمامية والزيدية وابن تيمية وابن القيم والشوكاني وغيرهم ذلك ، وأخذوا ذلك من السنة النبوية ومن أقوال كثيرين من المعاصرين .

والمرأة عند إنشاء عقد الزواج تستطيع أن تحمي نفسها من الطلاق وآثاره بأن تجعل مؤخر المهر كبيراً أو تجعل المهر كله مؤخرًا ، وإن لم يقبل فذلك دليل على سوء نيته ، فإن قبلت مع ذلك تكون راضية بالطلاق ابتداء ، ولا بد أن تحزم هي وأولياؤها الأمر عند إنشاء العقد ، وأبيع للمرأة طلب الطلاق في نظير دفع ما قدم من مال إذا أيفضته ولم تلق الفاء عنه ، ومسمى ذلك خلعاً .

هذا وقد نية نسبة الطلاق إلى الزواج في بحث قدمته في العام الماضي ، وفيه تبين أنه أقل عدداً من نسبة الإتيان الجسدي بين الكاثوليك (المجتمع الإنساني في ظل الإسلام) / ٣٦١-٣٦٧

وقد بسط السيد محمد رشيد رضا القول في قضية حرية المرأة المسلمة من حيث سبب الإسلام في إصلاح أحوالها ورفع شأنها باعتبارها إنساناً لها حقوق وعليها واجبات ، ويبدأ بالكلام على المرأة قبل البتة المحمديّة ، ثم ينتقل إلى ما قرره الإسلام بشأنها وذلك في عدة نقاط نقلت فيها بعضاً مما يلي :

يقول السيد محمد رشيد رضا مخاطباً نساء العالمين :

كانت المرأة تشتري وتبيع ، كالبهيمة والبائع ، وكانت تكو على الزواج وعلى البقاء ، وكانت تورث ولا تترث ، وكانت تملك ولا تملك ، وكان أكثر الذين يملكونها يمجرون عليها التصرف فيما تملكه بدون إذن الرجل ، وكانوا يرون للزوج الحق في التصرف بما لها من دونها ، وقد اختلف الرجال في بعض البلاد في كونها إنساناً ذا نفس وروح خالدة كالرجل أم لا ؟ وفي كونها تلقن الدين وتتبع منها العبادة أم لا ؟ وفي كونها تدخل الجنة أو الملعوك في الآخرة أم لا ؟ فقرر أحد المجامع في روية أنها حيوان نجس لا روح له ولا خلاد ، ولكن يجب عليها العبادة والخدمة ، وأن يكفهم كالعبيد والكلب المقصور لمنهما من الضحك ومن الكلام لأنها أجبرلة الشيطان ، وكانت أعظم اللشائع تبيع للزائد بيع ابنة ، وكان بعض العرب يرون أن للاب الحق في قتل بنته بل وفي أدها ، دفنها حية أيضاً . وكان منهم من يرى أنه لا قصاص على الرجل فيقتل المرأة ولا دية .

وكان أهم إقصاف للمرأة منحها إياه الشعب الفرنسي في أوروبا بعد ميلاد محمد ﷺ وقبل بعثته أن قرروا بعد خلاف وجدال أن المرأة إنسان إلا أنها خلقت لخدمة الرجل .
ولد محمد ﷺ في سنة ٥٧١ من ميلاد المسيح عليه السلام ،

ومن المجمع عليه المعلوم من دين الإسلام بالضرورة أن على النساء ما على الرجال من أركان الإسلام، إلا أن الصلاة تسقط عن المرأة في زمن الحيض والنفاس مطلقاً، فتركها ولا تعيدها لكثرةها، وأما الصيام فيسقط عنها في زمنها وتقضى ما أفطرته من أيام رمضان لقلتها، وأما حجها فيصحب في كل حال ولكنها لا تطوف بالبيت الحرام إلا وهي طاهرة.

٣- جزاء المؤمنات في الأثرة كالمؤمنين

وقام يتلو على الصالح في جزاء المؤمنات كالمؤمنين آيات من الله تعالى، منها قوله تعالى:

﴿ من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحسبه حية طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ [النحل: ٩٧].

وقوله تعالى ﴿ من عمل سيئة فلا يجزى له مثلها ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يروون فيها غير حساب ﴾ [غافر: ٤٠].

وقوله تعالى ﴿ ليس بأسانكم ولا أماني أهل الكتب من يعمل سوءاً يجز به ولا يجده له من دون الله ولياً ولا نصيراً ﴾ ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون فيها شيئاً [النساء: ١٢٣، ١٢٤].

وقوله تعالى في أولى الآيات البين بذكرته كثيراً ويشكرون في خلقت السموات والأرض ويدعونه ﴿ فاستجاب لهم ربهم أنى لا أصعب عمل فهل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض ﴾ [آل عمران: ١٩٥] وفيها وعدهم جميعاً بإدخالهم الجنة وحسن الثواب.

وقوله تعالى ﴿ إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقات والصابرات والهاشمين والهاشمات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والمحافظة والمحافظة فريجهن والمحافظة والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيماً ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وقوله تعالى ﴿ وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وساكين طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم ﴾ [التوبة: ٧٢].

٤- مشاركة النساء للرجال في الشعائر الدينية

والأعمال الاجتماعية والسياسية

النساء يشاركن الرجال في العبادات الاجتماعية كصلاة الجماعة والجمعة والعيد، فتشركهن، ولكن لا تجب عليهن تخفيفاً عليهن، وصح أن النبي ﷺ أذن للحج منهن ببعضه اجتماع العيد في المصلى دون صلاة. (الحج يشهد بالياء جمع حاضر، ومضى العيد كان خارج البلد).

وعادة الحج الاجتماعية مفروضة عليهن كالرجال كما تقدم،

وأصدر الفرنسيين هذا القرار النسوي في سنة ٥٨٦ إلى بعد مولده بخمس عشرة سنة، ولم يكن يدرى هو ولا غيره بما سيحييه به من الإصلاح البشري العام، والإصلاح النسوي الخاص.

فهل أتاكم يا بنات حواء أبناء ما جاء به محمد نبي الرحمة من التعاليم في حقن؟ هذا ما أترجى على أن أقصه عليكم، وعلى رجال الأمم كلها في هذه الرسالة في هذا اليوم من ذكرى مولد محمد ﷺ سنة ١٣٥١ من هجرته ...

بعث محمد ﷺ في أوائل القرن السابع للمسيح عليه السلام مبشراً ونذيراً للبشر كافة يدعوهم إلى عبادة الله وحده، وإلى إصلاح أنفسهم التي أنفست بها التقاليد الدينية، والمصنوعات القسرية والوطنية، وكان للنساء حظ كبير من هذا الإصلاح لم يسبق الإسلام به دين، ولم يبلغ شأوه تشريع، ودونكن التفصيل.

١- المرأة إنسان في شققة الرجل

قام محمد ﷺ يتلو على البشر آيات الله عز وجل في كونه النساء والرجال من جنس واحد، لا قراب للإنسانية إلا بهما. وهذه أربع شهادات منها:

﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴾ [الحجرات: ١٣].

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء ﴾ [النساء: ١].

﴿ هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها ﴾ [الأرأاف: ١٨٩].

﴿ والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ﴾ [النحل: ٧٢].

وكان ﷺ يقول: ﴿ إنما النساء شقائق الرجال ﴾ (رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي عن عائشة أم المؤمنين والبرقي عن أنس).

٢- إيمان النساء كالرجال

قام محمد ﷺ يتلو على الناس ما أنبأه الله تعالى من إيمان النساء كالرجال، فمن ذلك قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات فلا تزوجوهن إلى الكفار ﴾ [الممتحنة: ١٠].

ومنه قوله تعالى ﴿ والذين يؤمنون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتناً وإثمًا مبيناً ﴾ [الأحزاب: ٥٨].

وقوله تعالى ﴿ إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق ﴾ [البروج: ١٠].

وأخبرهم بأن الله تعالى أمره أن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات جميعاً بقوله:

﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم ﴾ [محمد: ١٩].

٧- مباحية النبي ﷺ للنساء كالرجال

كان النبي ﷺ يبايع الرجال على السمع والطاعة والتمسرة وكانت أولبيعة منه لبقاء الأنصار في حبة من قبل الهجرة على بيعة النساء كما في السيرة ، ولكن آية بيعة النساء لم تكن نزلت ، وبايعهم البيعة الثانية الكبيرة على منعه أي حيايته - مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم - وبايع المؤمنين تحت الشجرة في الحلبية على أن لا يقرأوا من الموت ، سنة ست من الهجرة - ونخصت بيعة النساء بذكر نضها في سورة الممتحنة وهو قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبِيَّنَّ عَلَيْكَ أَنْ لَا يَشْرِكْنَ بِكَ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلِيَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِيَهْنٍ بَيْنَهُنَّ بَيْنَ أَبْنَاهُمْ وَأَرْجُلَهُنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايَعْنَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ إِنْ أَنْتَ اللَّهُ فَغُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الممتحنة : ١٢] . نزلت يوم فتح مكة وبايع النبي ﷺ بها النساء على الصلابة بعد ما فرغ من بيعة الرجال على الإسلام والجهاد . وكان عصر بن الخطاب رضي الله عنه يلذعه عنهن وهو واقف أسفل منه .

وقد حضرت هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان بن حرب بيعة النساء هذه وهي منتقية متكررة عن النساء لثلاث يعرفها رسول الله ﷺ وهي التي كانت أخرجت كبد عمه حمزة رضي الله عنه يوم قتل في أحد لمضختها ولاكتها شامة وانقسام . ولكنها كانت تتكلم عند كل جملة . قال رسول الله ﷺ « بآيهم » ﴿ على أن لا يشركن بالله شيئا ﴾ فرغمت هند رأسها وقالت : والله إنك لتأخذ علينا أسرا ما رأيتك أخذته على الرجال - وكان يبايع الرجال يومئذ على الإسلام والجهاد - فقال النبي ﷺ ﴿ ولا يسرقن ﴾ فقالت هند : إن أبا سفيان رجل شحيح وإنني أصبت من ماله هتات فلا أدري أرحل لي أم لا ؟ فقال أبو سفيان : ما أصبت من شيء فيما مضى وفيما خير فهو لك حلال ، فضحك رسول الله ﷺ وعرفها فقال لها : وإني لك لهدت بنت عجة ؟ قالت : نعم فاصف ما سلف عفا الله عنك ، فقال ﴿ ولا يزني » فقالت أو تزني المحرة ؟ فقال ﴿ ولا يقتلن أولادهن ﴾ فقالت هند وبيناهم صغارا وقتلتهم كبرا فأنتم وهم أعلم ، وكان ابنها حنظلة بن أبي سفيان قد قتل يوم بدر ، فضحك عمر رضي الله عنه وتيسم رسول الله ﷺ فقال ﴿ ولا يأتين بيهن بغيره بين أبيه وبين أرحلهن ﴾ وهو أن تطلق ولدا على زوجها وليس منه - قالت هند : والله إن البهتان لقيح ، وما تأمرنا إلا بالبر والعدل والأخلاق ، فقال ﴿ ولا يعصيتك في معروف ﴾ قالت هند ما نجلسنا مجلسا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك في شيء . فأتى النسوة بما أخذ لهن . وكان ﷺ يقول لهن عند المباحية : فيما استطعن وأطعن ؟ فيلقن : الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا .

أقول : ولاية رحمة ويسر في الإسلام أوسع من تقليد الله طاعة رسول بالمعروف ، وهو لا يأمر إلا بالمعروف (ومنه منع عادات

ويحرم عليهن وضع الثياب على وجوههن ولبس القفازين في أيديهن مدة الإحرام ، وقد شرع لهن من الأمور الاجتماعية والسياسية ما هو أكثر من ذلك .

قال الله تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيَحْسَبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ٧١] فأثبت الله للمؤمنات الولاية المطلقة مع المؤمنين فيدخل فيها ولاية الأخوة والمودة والتساوون المالي والاجتماعي ، وولاية التمصرة الحربية والسياسية ، إلا أن للشرعية أسقطت عن النساء وجوب القتال بالفعل ، فكان نساء النبي وأصحابه يخرجن في الغزوات مع الرجال يستقن الماء ، ويجهن الطعام ، ويصنن الحراص ، ويحرسن على القتال . وقد ثبت في الصحيحين : أن عائشة زوج رسول الله ﷺ كانت تحمل قرب الماء هي وأم سليم وغيرها إلى الجرحى في غزوة أحد يستقيتهن ويغسلن جراحهن . ولما جرح رسول الله ﷺ تولت فاطمة غسل جرحه وتضميده .

٥ - أمان المرأة للمحاربين

ومن حقوق المرأة السياسية في الإسلام أنها إذا أجارت أو أمنت أحدا من الأعداء المحاربين نفذ ذلك ، فقد قالت أم هانئ للنبي ﷺ - وهي بنت عمه أبي طالب - يوم فتح مكة « إني أجرت رجلا من أحماني . فقال ﷺ : قد أجرتنا من أجرت يا أم هانئ » وهذا حديث صحيح متفق عليه . وفي بعض الروايات : أنها أجارت رجلا فأراد أخوها على كرم الله وجهه قتله ، فشكه إلى النبي ﷺ فأشكاهما وأجاز جوابا . وفي حديث حسن عند الترمذي عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال « إن المرأة لتأخذ للقوم » يعني تجير على المسلمين اهد وفي معناه عن عائشة أم المؤمنين قالت « إن كانت المرأة لتجبر على المؤمنين فيجوز » ونقل ابن المنذر : أن المسلمين أجمعوا على صحة إجارة المرأة وأمانها .

٦ - أمر المرأة بالمعروف ونهها عن المنكر

وما في الآية من فرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على النساء كالرجال يدخل فيه ما كان بالقول وما كان بالكتابة ، ويدخل فيه الانتقاد على الحكام من الخلفاء والملوك والأفراد فمن دونهم ، وكان النساء يعلمن هذا ويعملن به .

رأى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب تعالى الناس في مهود النساء حين اتسعت ثيابهم في عصره ، فخانف عاقبة ذلك ، وهو ما يشكو منه الناس منذ ظهوره ، فعفى الناس أن يزدوا فيها على أريعة درهم ، فاعتزبت له امرأة من قرشي فقالت : أما سمعت ما أنزل الله ؟ إذ يقول ﴿ وَأَتَيْتُمُ احْدَثِينَ فَتَطَارَأُ فَلَا تَعْلَمُوْنَ مَتَى شَيْءٌ ﴾ [النساء : ٢٠] فقال : اللهم غفرا ، كل الناس أفتة من عمر . وفي رواية أنه قال : امرأة أصابت وأخطأ عمر . وصعد المنبر وأعلن رجوعه من قوله .

أجمع المسلمون على أن كل ما فرضه الله تعالى على عباده وكل ما نذبههم إليه الرجال والنساء فيه سواه، إلا ما استثنى مما هو خاص بالنساء لأئوتهن في الطهارة والولادة والحضانة وما رفع عنهن من القتل وغير ذلك مما هو معروف .

وقد بلغ من عناية محمد رسول الله ﷺ وخالته النبيين بتعليم النساء وتربيتهن أن ذكر فيمن يؤتيهن الله تعالى أجرهم مرتين يوم القيامة - أي مضاعفاً - قوله « أيما رجل كانت عنده وليدة فعلمها فأحسن تعليمها، وأدبها فأحسن تأديبها ثم أعطفها وتزوجها فله أجران » فترن ثواب التعليم والتأديب بثواب العتق الذي كان يرغب فيه كثيرا، فوق ما شرعه الله تعالى فيه من أسباب تحريره وعتقه . والمحاديث متفق عليه عن أبي موسى رضي الله عنه وله ألفاظ أخرى .

وإن حديث « طلب العلم فريضة على كل مسلم » يشمل المسلمات بإتفاق علماء الإسلام وإن لم يرد فيه لفظ (ومسلمة) وقد صحح في الجامع الصغير بعض طرقه . وأما منته فصحيح بالإجماع .

وسبأني في الكلام على أمهات المؤمنين أن الغرض الأول من تعددهن أن يكن معلمات للنساء ومفتيات لهن ، بل كان الرجال حتى الخلفاء يرجعون إليهن فيما يشكل عليهم من بعض الأحكام الشرعية ، ولا سيما السيدة عائشة رضي الله عنها . (انظر مادة « تعدد الزوجات » في ٩ / ٥٥٥ - ٥٦٢) .

٩ - حقوق النساء المالية

قد أبطل الإسلام كل ما كان عليه العرب والعجم من حرمان النساء من التملك ، أو التضييق عليهن في التصرف بما يملكن ، واستبعاد أزواجهن والمتزوجات منهن بأموالهن ، فأثبت لهن حق الملك بأنواعه والتصرف بأنواعه المشروعة ، فشرع الوصية والإرث لهن كالرجال ، وزادهن ما فرض لهن على الرجال من مهر الزوجية والشفقة على المرأة وأولادها وإن كانت غنية ، وأعطاهن حق البيع والشراء والإجارة والهبة والصدقة وغير ذلك : ويتبع ذلك حقوق الدفاع عن ماله كالدفاع عن نفسها بالتقاضى وغيره من الأعمال المشروعة .

١٠ - حقهن في الميراث

قال الله تعالى في إبطال ظلم الذين كانوا يمنعون النساء من الإرث ويجعلونهن لرجال خاصة من سورة النساء ﴿ للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قلَّ مما قلَّ ثم أو كثر نصيبا مفروضا ﴾ [النساء : ٧] .

ثم بين نصيب كل وراث من الرجال والنساء في آيات الموارث من هذه السورة (أعني ١٢ - ١٤ و ١١ و ١٦) وهي مبنية على قاعدة « للمذكر مثل حظ الأنثيين » [النساء : ١١] من الآية الحادية عشرة المفصلة في سائر الآيات . وحكمة جعل نصيب المرأة نصف

الجهادية في الموتى (ثم تتباعد الرسول نفسه بالاستطاعة والطاقة وثاناً لقوله تعالى ﴿ فاقضوا ما كنتم تأكلون ﴾ [التغابن : ١٦] وقوله تعالى : ﴿ لا يكلف الله نقسا إلا وسعها ﴾ [البقرة : ٢٨٦] وقوله تعالى ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ [البقرة : ١٨٥] وقوله تعالى ﴿ وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ [الحج : ١٧٨] وقتل الأولاد بدخول فيه ما كان يفعله بعض العرب من واد البنات أي ذقهن حيات ، انتفاء لمارهن أن يسيبن أو ينفجن ، وقتل الصغار لأجل الفقر أو خوف الفقر إذا كثر ، وقال بعض المفسرين : إن منه تعمد المرأة إسقاط الجنين لأي سبب من الأسباب . وأما البهتان الذي أخذ عليهن ألا يفتريه بين أبيدهن وأرجلهن فهو أن يلصقن بالرجل ولذا ليس له كما فسر في الحديث - أي ولو لقيتا بلفظته فإن المرأة تنفص عنها كذا ، وهذه الكناية من أبديع كتابات القرآن بلاغة وزخلة .

ثم بايع رسول الله ﷺ الرجال بيعة النساء كما في حديث عيادة ابن الصامت المتفق عليه ، قال « كنتم رسول الله ﷺ في مجلس فقال : يا أيها الذين آمنوا لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنا ولا تقتلوا أولادكم - وقرأ الآية التي أخذت على النساء : ﴿ إذا جاءك المؤمنات فامسكهن حتى يبين لكم ما يكن من أنفسهن » ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به فهو كفارة ، ومن أصاب من ذلك شيئا فستره الله عليه فهو إلى الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه » .

وروي الإمام أحمد أن فاطمة بنت عتبة جلست تباع رسول الله ﷺ فأخذ عليها ﴿ أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ﴾ الآية - فوضعت يدها على رأسها حياء ، فأعجبها ما رأى منها ، فقالت عائشة : أقرى أنبها المرأة فولاه ما بآمنها إلا على هذا ، قالت : نعم إذا ، فبايعها بالآية » .

٨ - حقوق النساء في التعليم والتأديب

بين الله تعالى في مواضع من كتابه أنه أرسل نبيه محمدا ﷺ في الأميين ليخرجهم من الأمية ، فيتلو عليهم آيات الله ويعلمهم الكتاب والحكمة ويؤتيهم ومدح العلم في آيات كثيرة ومدحه رسوله في مواضع لا محل لسرد شيء منها هنا ، وقد فسر بعضهم للكتاب في هذه الآيات بعبادة الكتابة لأنه في الأصل مصدر كتب ، ثم أطلق على المكتوب ، وكان النبي ﷺ يبحث أصحابه على تعلم الكتابة وقد أمر الله بها في آية الدين [البقرة : ٢٢٢] وقد ثبت من عدة طرق أن للهفاء بنت عبد الله المهاجرة القرشية العلوية علمت حفصة بنت عمر أم المؤمنين الكتابة .

وقد انتشرت النساء مع الرجال في اقتباس العلم بهديلة الإسلام ، فكان منهن روايات الأحاديث النبوية والآثار ، يرويه عنهن الرجال ، والأبيات والشاعرات والمصنفات في العلوم والفنون المختلفة وكانوا يعلمون جواربهم وبناتهم كما يعلمون بناتهم وقد

محمد عبده مفتي الديار المصرية رحمه الله (قال : كلا إن الصلة بين الزوجين أصلاً ولشرف من الصلة بين الرجل وقربه أو جاريته ، ولذلك قال «نحلة» فأذنني ينبغي أن يلاحظ أن هذا المعطاء أية من آيات المحبة وصلته القرين وتوثيق عرى المودة والرحمة ، وأنه واجب حتم لا تخيير فيه ، كما يتخير المشتري والمستاجر ، وترى عرف الناس جبارياً على عدم اكتضاء بهذا المعطاء بل يشفعه بالهدايا والتحف أهـ كلامه ولكنه قال في موضع آخر : إن حكمة المهر للمرأة أن تطيب نفسها برعاية الرجل عليها ، وهو مع ذلك تكريم لها ، وسيأتي .

والخطاب يحتمل وجهاً آخر وهو أن الخطاب للأولياء الذين يرزجون البناتي وغير البناتي ، فقد كان ولي المرأة في الجاهلية يرزونها ويأخذ صديقاتها لنفسه ذهني الله الأولياء في الإسلام أن يفعلوا ذلك . قال تعالى ﴿ فإِنْ طَلَبَ لَكُمْ مِنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَاعْطُوا لَهُ مِنْ حِسَابِ رِزْقِكُمْ وَلَئِنْ لَمْ تَجِدُوا مِنْ حَيْثُ يَخْرِقُونَ فَلَا طَوْلَ لَكُمُ فِيهِ وَلَوْلَا الْغَالِبُ لَكُنْتُمْ فَجَارًا وَلَكِنْ لِكُنْتُمْ فَجَارًا لِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [النساء : ٤] أي فإن طابت أنفسهن عن شيء من المهر فأعطيهن من غير إكراه ولا إيجاب بسبب سوء المشورة ، ولا إحتياج بالخلافة والخديعة ، وقال ابن عباس رضي الله عنه : من غير ضرار ولا خديعة ﴿ فكلوه هننا مريتا ﴾ أي سألنا لا غصص فيه ولا تنقيص ، فإذا طلب منها شيئاً فحملها الخجل أو الخوف على إعطائه ما طلب فلا يحل له ، وعلامات الرضا وطيب النفس لا تنفى .

١٢ - الزواج وحقوق النساء فيه

كان عند العرب في الجاهلية أنواع من الزواج الغامض الذي كان يوجد عند كثير من الشعوب ، ولا يزال بعضه إلى اليوم في البلاد التي تغلب عليها الهمجية - فمنها اشتراك الرجلين في الرجال في الدخول على امرأة واحدة وإعطائهما الحق في الولد أن تلحق بمن شامت منهم .

ومنها تكاح الاستبضاع وهي أن يأذن الرجل لزوجته إن تمكن من نفسها رجلاً معيناً من الرؤساء والكبراء الممتازين بالشجاعة أو الكرم ليكون لها منه ولد مثله .

ومنها النوعان لا يزالان موجودان بصفة مطلقة دائماً في بعض البلاد ، وكان عند العرب موتاً ومقيداً بما ذكرنا .

ومنها : السفاح بالبهائم العلني وكان عند العرب خاصاً بالإماء دون الحرائر ومنها اتخاذ الأعداء أي الصراغيب العشيقات ، وكان عرب الجاهلية يسترون به ويعملون ما ظهر منه لوماً وخسة - وهذا النوعان عامان شائعتان في بلاد الإفرنج كلها جهوا ، وقد سرى منهم إلى بلاد الشرق التي غلب نفوذهم عليها أو على حكامها .

ومنها : تكاح التمتع وهو الموتق ، وقد شاع في بلاد الإفرنج أخيراً ويسمونه تكاح التجربة .

ومنها : تكاح البذل والعبادة وهو أن يتزل رجلان كل منهما

تصيب الرجل أن الشرع الإسلامي أوجب على الرجل أن يتفق على المرأة فهذا يكون نصيب المرأة مساوياً لنصيب الرجل تارةً وتارةً عليه تارةً أخرى باختلاف الأحوال إذا مات رجل عن ولدين ذكر وأثنى وترك لهما ثلاثة آلاف دينار مثلاً كان للذكر ألفان ولأخته ألف ، فإذا تزوج هو فإن عليه أن يعطي امرأته مهرًا وأن يعد لها مسكنًا وأن يتفق عليها من ماله سواء أكانت فقيرة أم غنية ، ففي هذه الحالة تكون الألفان له وزوجه ، فيكون نصيبه بالمعول مساوياً لنصيب أخته أو أقل منه . ثم إذا ولد له أولاد يكون عليه نفقتهم وليس على أهم منها شيء وفي هذه الحالة يكون ماله الموروث دون ماله أخته . فإنها إذا تزوجت ، كما هو الغالب ، فإنها تأخذ مهرًا من زوجها وتكون نفقتها عليه فيمكنها أن تستغل ما ورثته من أبيها وتبنيه لنفسها وحدها ، فلو لم يكن للزواجرين إلا ما يرثونه من أمواتهما لكانت أموال النساء دائماً أكثر من أموال الرجال ، إذا تحللت وسائل الاستقلال ، فيكون إعطائهن نصف الميراث تفضيلاً لهن عليهم في أكثر الأحوال ؛ إلا أن سببه أن المرأة أضعف من الرجل عن الكسب ؛ ولها من شواغل الزوجية وما يتصل بها من حمل وولادة ثم من شواغل الأمومة ما يصرفها عن الكسب للسلي تقدر عليه ، وهو دون ما يقدر عليه الرجل في الغالب - فمن ثم لم يكن فرض نفقة الزوجية والشار والأولاد على الرجل ظلالاً له وتفضيلاً للمرأة عليه في المعيشة ووجه إعطاء المرأة ما تعطى من الميراث أن يكون لها مال تنفق منه على نفسها إذا لم يتج لها الزواج أو مات زوجها ولم يترك لها ما يقدر بأودها ، فهو من قبل المال الأحيائي لها وللأجرة .

١١ - مهر الزواج

إن مما امتازت به الشريعة الإسلامية المحمدية في تكريم النساء على جميع الشرائع والنظم التي يجرى عليها البشر في الزواج أنها فرضت على الرجل أن يدفع لمن يقرن بها مهرًا مقدماً على البناء بها من حيث تقرض الشعوب غير المسلمة على المرأة أن تدفع للمهر للرجل - ولكنهم يسمونه باسم آخر فترى البنت العذراء مضطرة إلى الكد والكسب لأجل أن تجمع ما تقدمه لمن يقرن بها إن لم يكن لها ولي من والد أو غيره يملك لها هذا المال ، وكثيراً ما تركب الأرائس الشاعسات أخشن المراكب وتعرض للامت والتعريض في العرض والشرف ، في سبيل تحصيل هذا المال .

وشريعة اليهود تفرض للمرأة مهرًا لكنها لا تملكه بالمفصل إلا إذا مات زوجها أو طلقها ، لأنه ليس لها أن تصرف بماله وهي متزوجة .

فرض الله المهر على الرجل للمرأة فرضاً حتماً وحرماً عليه أن يأكل شيئاً منه بعد الزواج بدون رضاها وطيب نفسها فقال ﴿ وآتوا النساء صدقاتهن نحلة ﴾ [النساء : ٤] والنحلة في اللغة المعطاء الذي لا يقابل عرضاً ، فقول الفقهاء إن المهر في معنى ثمن الاستمتاع مخالف للغة ، ورد عليهم شيخنا الأستاذ الإمام (الشيخ

حدث عبد الله بن بريدة عن أبيه قال « جاءت فتاة إلى رسول الله ﷺ فقالت إن أبي زوجني من ابن أخيه ليرفع بي خيسه قال فجعل ﷺ الأسر إليها ، فقالت قد أجرت ما صنع أبي ، ولكن أردت أن أعلم النساء أنه ليس إلى الإماء من شيء » تمنى أنه ليس لهم إكراههم على التزوج بمن لا يرضيه .

قالت المؤلفة : أفرد شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الموسوم بفتح الكتاب والسنة وفتح الحرج عن الأمة « فصلا في إيجاب الأب ابنته على الزواج (ص ١٨٠ - ١٨٧) فارجع إليه إن شئت الاستزادة . وروى الترمذي من حديث أبي هريرة أنه ﷺ قال « إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه ، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير » ورواه من حديث أبي حاتم المزني بلفظ « إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه » ... إلخ ورواه أبو داود في المراسيل .

١٤ - أركان الزوجية النظرية في الإسلام

أرشد الله البشر بكتابه القرآن الحكيم إلى أن للحياة الزوجية ثلاثة أركان (أو أركانهم) يجب عليهم تحريها فيها ، وهي ما أشرنا إليه في صدر هذه الرسالة وصددها بأيتها من قوله عز وجل « ومن آية أن خلقنا لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة » [الروم : ٢١] .

فالسكون النفس الجسدي وهو الركن الأول من هذه الأركان خاص بالزوجين ...

وإنما تكون المحافظة على هذا الركن بما أرشد كتاب الله تعالى إليه من قصد الإحصان في النكاح وهو أن يقصد به كل من الزوجين إحصان الآخر - أي إيفاقه وحفظه من صرف داعية النسل الطبيعية إلى المسافحة أو اتخاذ الأعدان لأجل اللذة فقط ، وقصارى هذا الإحصان أن يقصر كل منهما هذا الامتناع على الآخر ، ويقصد حكمته أي وسيلة النسل وحفظ النوع البشري على أسلم وجهه وأفضله قال الله تعالى بعد بيان محرمات النكاح من سورة النساء ﴿ وأحل لكم ما وراء ذلكم أن يفتنوا بأموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فأتوهن أجورهن فريضة ﴾ [النساء : ٢٤] ثم قال بعد هذا في نكاح الإماء « فأنكحوا من يذن أهلون وأتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخلفات أخذن » [النساء : ٢٥] .

وقال في سورة المائدة « اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا أتيتهم أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخلفات أخذن » [المائدة : ٥] .

والركن الثاني من أركان الزوجية المودة ، أي المحبة التي يظهر

عن أمراته لأكثر ونكاح الشغار، وهو أن يزول كل من الرجلين الآخر بنته أو أخته أو غيرها ممن تحت ولائهما بدين صداق - وهذا النوعان ميثاقان على قاعدة حسان المرأة ملكا للرجل يتصرف فيها كما يتصرف في بئها وأمواله ، ولا يزالان يوجدان في بعض الشعوب الفاسدة أو الهمجية كالنجر . والخين في كل ذلك على النساء ، فمن السلافي يحملن أقتاله وأوزاره الجسمية والأدبية والمالية .

وأما المتوفون من العرب كقرش ، فكان نكاحهم هو الذي عليه المسلمون وبعض الشعوب الرافقة ، من الخطبة والمهر والعقد، وهو الذي أقره الإسلام مع إبطال بعض العادات الظالمة للنساء فيه من استبداد في تزويجهن كرها أو عضلهن أي منعهن من الزواج أو أكل مهرهن ، وكذلك تعددهن بتغير حد في المهد ولا قيد في المصلحة ولا شرط في العذل ولا في الحق - أبطل الإسلام كل النظام الخالصة وقيد منها ما فيه وجهان بما يرجع المصلحة على المفيدة والعذل على الظلم .

١٣ - ولاية النكاح وحرية المرأة واختيارها فيه

جمع الإسلام بين جعل حق التزويج لولي المرأة وحق المرأة في قبول من ترشده من الأزواج ورد من لا ترشده ، فمنع الأولياء من الاستبداد في تزويج موليتهن من بنات وأخوات وغيرهن بغير رضاهن ، وكان من ظلم الجاهلية لهن ، بل لا يزال الولاة الذين يكرهان البنات على الزواج بمن يكرهن من الرجال في جميع الأمم على ما فيه من الشقاء والفساد ، كذلك منع المرأة من التزوج بغير كفه برضا أوليائها وعصبيتها فيكون تزويجها به سببا لوقوع العداوة والشقاق بينهم وبين عشيرته بالتحليل ، بدلا من تجديد مودة وتعاون بمصاهرة . وليس للأولياء ولا للوالد نفسه أن يمتنع من زواجها بأى كنه ترشده .

روى الجماعة كلهم (الجماعة - أحمد والبخاري ومسلم وأصحاب السنن الأربعة) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « لا تتكح الأمم (الأم : بتشديد الياء غير المتزوجة بكرا كانت أم ثيا) حتى تستأمر ولا البكر حتى تستأذن - قالوا : يا رسول الله وكيف إنهما ؟ قال : أن تستكت - رويوا - إلا البخاري - عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ « الثيب أحق بنفسها من وليها والبكر تستأذن في نفسها وإنهما صماتها » أي سكرتها يكفى به ، فلا تكلف التصريح لحبايتها كما روى عن عائشة « أنها سألت النبي ﷺ عن استئذان البكر فقالت إن البكر تستأذن فتصيح فصكت فقال : سكتها إنهما » فتفق عليه روي الجماعة إلا مسلما عن خنساء بنت خلام الأنصارية « أن أباهم زوجها وهي ثيب ، فكوت ذلك فأنت رسول الله ﷺ فرد نكاحها أي أبطله » قال بعض المحققين لا يكون سكت البنت إذنا للأب بزوجها إلا إذا كانت تعلم ذلك . فإن كانت لا تعلم فينبغي إعلانها .

وروى أحمد والنسائي من حديث ابن بريدة ، وابن ماجه من

سيما بعد عقد الزوجية والدخول في الحياة المشتركة التي لا تكون سعيدة إلا باحترام كل من الزوجين الآخر والقيام بمفوقه .

قال الأستاذ الإمام قس الله روحه : هذه الدرجة التي رفع النساء إليها لم يرفعهن إليها حين سابق ولا لشرعة من الشرائع ، بل لم تصل إليها أمة من الأمم قبل الإسلام ولا بعده ، وهذه الأهمية التي كان من تقدمها في الحضارة والمدنية أن بلغت في تكريم النساء واحترامهن وعنت برتيهن وتعليمهن العلوم والفنون... لا تزال قوانين بعضها تمنع المرأة من حق التصرف في مالها بدون إذن زوجها . وغير ذلك من الحقوق التي منحتها إياها الشريعة الإسلامية من نحو ثلاثة عشر قرناً ونصف ...

وأما قوله تعالى ﴿ ولرجال عليهن درجة ﴾ فهو يرجع على المرأة شيئاً وعلى الرجال أشياء ، ذلك أن هذه الدرجة هي درجة الرياسة والقيام على المصالح المفسدة بقوله تعالى ﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ويمسا أنفسهن على أنفسهن ﴾ [النساء : ٣٤] فالأهمية الزوجية حياة اجتماعية ولا بد لكل اجتماع من رئيس ، لأن المجتمعين لا بد أن تختلف أولاهم ورضياتهم في بعض الأمور ، ولا تقوم مصالحهم إلا إذا كان لهم رئيس يرجعون إلى رأيه في الخلاف ، لئلا يعمل كل على ضد الآخر فتفرض عروة الوحدة الجماعية ، ويختل النظام ، والرجل أحق بالرياسة لأنه أعلم بالمصلحة وأقدر على التنفيذ بقرته وماله ، ومن ثم كان هو المطلوب شرعاً بحماية المرأة والشفقة عليها ، وكانت هي مطالبة بطاعته في المعروف ... إلخ .

١٦ - مقتضى الفطرة في أعمال الزوجين

هذا وإن ما تقرر في السنة من انقسام أعمال الزوجية بين الرجل والمرأة هو مقتضى الفطرة - والإسلام دين الفطرة - ففضل الله الرجل في خلفته بقوة في الجسم والعقل كان بعد أقارب على الكسب والحماية والنظام الخاص بالأسرة ، والعام للأمة والدولة ، ومن ثم فرض عليه الخلفة ، وبها كان الرجال قوامين على النساء ، بتوليهم الرياسة العامة والخاصة التي لا يقوم النظام العام ولا الخاص بدونها ، فعليه جميع الأعمال الخارجية في أصل الفطرة ، وهذا ما عليه جميع أئمة الحضارة .

ومن مقتضى الفطرة اختصاص المرأة بالعمل والرياسة وحضانة الأطفال وتربيته وتبديل المنزل بجميع شؤونه ، ولها الرياسة في جميع الأعمال الداخلية المنحفية فيه . قال النبي ﷺ ﴿ كلكم راع وكلهم مسئول عن رعيته ﴾ ، فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيته ، والحديث وهو متفق عليه .

ولا يتنازع في تفضيل الله الرجل على المرأة في نظام الفطرة إلا جاهل أو متكبر ، فهو أكبر دماغاً وأوسع عقلاً ، وأقوى عضلاً ، وأعظم استعداداً للمعلوم وأقدر على مختلف الأعمال ...

ومن استقر طابع النساء السليمانات الفطرة من جنات سوء التربية

أثرا في التعامل والتعاون وهو مشترك بين الزوجين وأسرة كل منهما - والركن الثالث الرحمة التي لا تكمل للإنسان إلا بمواظف الأمومة والأبوة ورحمتيها لأولادها ، فيكون لكل البشر أو الأحياء حظ من هذه الرحمة الكاملة ، إذا لم يكن فساد التربية والمعايشة أو تعاليم الحداد والمصيبات بين البشر مفسدة لها أو قاصرة لها على المشاركين في القومية أو العقيدة أو الوطن ، ومن تفكر في هذه الأركان الثلاثة حتى التفكر علم أن عليها مدار سعادة الزوجية التي هي جل سعادة الإنسانية . ولذلك قال تعالى بعد بيانها ﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ [الروم : ٢١] كما ترد في [الرعد : ٢٣] و [الزمر : ٤٢] ، و [الجاثية : ١٣] ولكن المؤلف قصد آية الروم

١٥ - المساواة بين الزوجين ودرجة الرجال عليهن

إن الإصلاح الأكبر الذي جاء به الإسلام ، ونزل به القرآن في شأن النساء هو الآية ٢٢٨ من سورة البقرة ، فهذه الآية قد خدمت جميع ما كان من النظريات والدهاوي والمعادن والتقاليد التي يستند بها الرجال الأقوياء ويستحلون على النساء الضعيفات في أنفسهن وأموالهن وأولادهن . وقد فسرت هذه الآية في الجزء الثاني من تفسيرنا بما بينا به هذه الدرجة ونشر هنا ملخصه وهذا نصه :

﴿ ولهن مثل المثل عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة ﴾ [البقرة : ٢٢٨] .

هذه كلمة جليظة جداً جمعت على إيجازها ما لا يؤدي بالتفصيل إلا في سفر كبير ، فهي قاعدة كلية ناطقة بأن المرأة مساوية للرجل في جميع الحقوق إلا أسراً واحداً غير عنه بقوله تعالى ﴿ وللرجال عليهن درجة ﴾ وهذه الدرجة مفسرة بقوله تعالى ﴿ الرجال قوامون على النساء ﴾ [النساء : ٣٤] وقد أحال في معرفة ما لهن وما عليهن على المعروف بين الناس في معاشراتهم ومعاملاتهم في أمليهن ، وما يجرى عليه عرف الناس هو تابع لشرائعهم وعقائدهم وأدابهم وعاداتهم ، فهذه الجملة تعطي الرجل ميزاناً يزن به معاملته لزوجته في جميع الشؤون والأحوال ، فإذا هم يعطاليتها بأمر من الأمور يتذكر أنه يجب عليه مثلته بوزائه ، ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما « إنني لأتزين لأمرأتي كما تزين لي لهذة الآية » .

وليس المراد بالمثل المثل لأهين الأشياء وإنما أراد أن الحقوق بينهما متبادلة وأنها أكفأ ، فما من عمل تحمله المرأة للرجل إلا والرجل عمل يقابلها لها إن لم يكن مثله في شخصه ، فهو مثله في جنسه ، فهما متماثلان في الحقوق والأعمال ، كما أنهما متماثلان في الذات والإحساس والشعور والعقل ، أي أن كلاهما بشر تام له عقل يتفكر في مصالحه ، وقلب يحب ما يلائمه ويسره ، ويكره ما لا يلائمه وما يضر منه ، فليس من العدل أن يتحكم أحد الصغين بالأخر ، ويتخذ عبداً يستلذه ويستخدمة في مصالحه لا

الصالحة ، إذا نظر إليها سرته ، وإذا أمرها أطاعته ، وإذا غاب عنها حفظته » روله ابن أبي شيبة وأبو داود وأبو يعلى وغيرهم .
١٨ - وتطاف الرجال والنساء وأعمالهما
قال الله تعالى في سورة النساء ﴿ ولا تمتنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واستنسا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليما ﴾ [النساء : ٣٢] .

ذكرنا في الجزء الخامس من تفسير المنار أنه ورد في سبب نزول هذه الآية وموضوعها ثلاث روايات :
الأولى : عن مجاهد أن أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت « يا رسول الله : يفترو الرجال والنساء ، وإنما لنا نصف الميراث » .
الثانية : عن عكرمة أن النساء سالن الجهاد فقلن : وددنا أن الله جعل لنا الغزو فنصيب من الأجر ما يعيب الرجال .

الثالثة : عن قتادة والسدي قالا : لما نزل قوله تعالى ﴿ للذكر مثل حظ الأنثيين ﴾ [النساء : ١١] قال الرجال : إذا لزوجوا أن نفضل على النساء بحسبنا كما فضلنا عليهن في الميراث ، فيكون أجرنا على الضعف من أجر النساء . وقالت النساء : إذا لزوجوا أن يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال في الأثرة كما لا في الميراث على النصف من نصيبهم في الدنيا . كل هذا قد قيل ونزلت الآية فاصلة فيه وفي غيره مما في معناه . ونقلنا عن أسنادنا الإمام في تفسيرها ما نصه :

سبب تلك الروايات الحيرة في فهم الآية ومعناها ظاهر ، وهو أن الله تعالى كلف كلا من الرجال والنساء أعمالاً فما كان خاصاً بالرجال لهم نصيب من أجره لا يشاركهم فيه النساء . وما كان خاصاً بالنساء لهن نصيب من أجره لا يشاركهن فيه الرجال ، وليس لأحد أن يتعنى ما هو مختص بالآخر ، وجعل الخطاب عاما للفرقتين مع أن الرجال لم يتنوا أن يكونوا نساء ولا أن يعملوا عمل النساء ، وهو الولادة وتربية الأولاد وبغير ذلك مما هو معروف ، وإنما كان النساء هن اللواتي تمنين عمل الرجال ، ولأن عمل الرجال تمنين ؟ تعنين أخص أعمال الرجولة ، وهو حماية المسلم والدفاع عن الحق بالقوة ، ففي هذا التعبيرناية بالنساء وتلطف بهن ، وهي موضع للرأفة والرحمة لضعفهن وإخلاصهن فيما تمنين . والحكمة في ذلك أن لا يظهر ذلك التمنى للناس عن الحياة العملية الشريفة منهم فإن تمنى مثل هذا العمل غريب عن النساء جدا ، وسببه أن الآثمة في عتوان حياتها يكون للنساء والأطفال فيها مشتركين مع الرجال في هذه الحياة وفي آثارها ، وأنها لتسرى فيها سريانا عسبياً ، ومن عرف تاريخ الإسلام ونهضة العرب به وسيرة النبي ﷺ والمؤمنين به في زمنه يرى أن النساء كن يسرن مع الرجال في كل مقبلة وكل

وفساد النظام يرى أن ثابت في غرائزهن أن خير الأزواج وأولاهم بالاختيار من كان قادرا على الكسب وحماية النسل وصيانتهم . وما تتوقف عليه تربيته إلى أن يبلغ أشده وقد ألفت غير واحدة من الصحف الإفرنجية ولا سيما الإنكليزية أسئلة على النساء فيمن يفضلن من الأزواج وصفات الرجال فجاءت أكثر أجوبتهن على ما ذكرنا .

على أن هذا النظام القطري الشرعي في الزوجية لا يمنع غير الزوجيات والأهاليات من المصلحات أن يشتغلن بالتوسع في بعض العلوم والأعمال العامة بقدر استعدادهن ورغبتهن ، وإنما الأفضل والأمنع لهن والأمن والأمانية كلها أن يتقن العلوم والأعمال الخاصة بالزوجية والأمومة ، وقد صارت في هذا العصر كبيرة وكثيرة .

١٧ - ريادة الرجل في البيت شورية لا استبدادية

وردت التصويص الكثيرة في كتاب الله وسنة رسوله محمد خاتم النبيين في جعل إدارة المنزل والأمر مقيمة بأوامر الشريعة وتواهيها ، وبالعرف المرص بين الناس في المعاشرة بالمعروف وحفظ الكرامة في حالي الحب والكره والرضا والسخط قال الله تعالى ﴿ وما مشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن نفس أن يكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ﴾ [النساء : ١٩] ...

والقاعدة الشرعية في نظام المنزل : التزام كل من الزوجين العمل بإرشاد الشرع في كل ما هو متصووس عليه ، والتشاور والتراضي في غير المتصووس عليه ومنع الضرر والفساد بينهما ، وعدم تكليف أحدهما الآخر ما ليس في وسعه ، والأفضل في قاعدة هذه الأحكام كلها قوله تعالى : ﴿ والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف تكلف نفس إلا وسعها لا تضار ولدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الموارث مثل ذلك فإن أرادا فصلا عن تراش منهما وتشاور فلا جناح عليهما ﴾ [البقرة : ٢٣٣] وفيه في الوالدات المطلقات فالتأبيلات الزوجية أولى منهن بالتراضي والتشاور مع الوالد فيما فيه المصلحة لأولدهما . وهو يدخل في وصفه تعالى للمؤمنين بقوله ﴿ والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقهم يتقون ﴾ [الشورى : ٣٨] .

وقال ﷺ : « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي » رواه الترمذي عن عائشة وابن ماجه عن ابن عباس والطبراني عن معاوية وهو صحيح . وقال : « خيركم خيركم للنساء » رواه الحاكم عن ابن عباس وقال : « ما أكرم النساء إلا كريم ولا أهانهن إلا لئيم » رواه ابن عساکر عن علي وهو صحيح كما علم عليه السيوطي في الجامع الصغير (١٢ / ٢) . وقال ﷺ : « لعمري حين سأله عن آية الرعي على كسر الذهب والفضة « لا أخبرك بخير ما يكثر » المرأة

باختيارها عن المساواة الشامة ، وسومت بأن يكون للرجل عليها درجة واحدة هي درجة القيام والرياسة ، ورضيت بموضع مالي عنها ، فقد قال تعالى : ﴿ وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ [البقرة : ٢٢٧] فالأية أثبتت لهم هذه الدرجة التي تقتضيها الفطرة لذلك كان من تكريم المرأة إعطاؤها عوضا ومكافأة في مقابلة هذه الدرجة ، وجعلها بذلك من قبل الأمور الحرفية لتكون طيبة النفس متلجة الصدر قريرة العين ، ولا يقال إن الفطرة لا تجبر المرأة على قبول عقد يجعلها مروسة للرجل بغير عوض ، لقائنا نرى النساء في بعض الأمم يعطين الرجال المهور ليكن تحت راسمتهم ، فهل هذا إلا بدافع الفطرة الذي لا يستطيع عصيانه إلا بعض الأفراد ؟

الأستاذ الإمام (الشيخ محمد عبده) المراد بالقيام هنا هو الرياسة التي يتصرف فيها المرسوم بإرادته واختياره ، وليس معناها أن يكون المرسوم مقهورا مسلوب الإرادة لا يعمل عملا إلا ما يوجهه إليه رئيسه ، فإن كون الشخص فيما على آخر هو عبارة عن إرشادة والمرافة عليه في تنفيذ ما يرشده إلى أي ملاحظته في أعماله وتربيته ومنها حفظ المنزل وعدم مفارقتها ، ولو ندرت زيارة أولى القريبي ، إلا في الأوقات والأحوال التي يأذن بها الرجل ورئيس .

قال : والمراد بتفضيل بعضهم عن بعض تفضيل الرجال على النساء ولو قال (بما فضلهم عليهم) أو قال (بتفضيلهم عليهم) لكان أنحصر وأظهر فيما قلنا إنه المراد ، وإثما الحكمة في هذا التمييز هي عين الحكمة في قوله ولا تتنمنا ما فضل الله به بعضكم على بعضي ﴿ وهي إغادة أن المرأة من الرجل والرجل من المرأة بمنزلة الأعضاء من بدن الشخص الواحد . فالرجل بمنزلة الرأس والمرأة بمنزلة البدن .

أقول : يعني أنه لا ينبغي للرجل أن يخي بفضل قوته على المرأة ولا للمرأة أن تستغل فضله وتمده خافضا لقدرها ، فإنه لا عار على الشخص أن كان رأسه أفضل من يده وقلبه أشرف من معدته مثلا ، فإن تفضيل بعض أعضاء البدن على بعض يجعل بعضها رئيسا دون بعض إنما هو لمصلحة البدن كله ، لا بأسر في ذلك على عضو ما ، وإثما تتحقق وتثبت منفعة جميع الأعضاء بذلك . كذلك مضت الحكمة في فضل الرجل على المرأة في الفطرة والقدرة على الكسب والحماية ، ذلك هو الذي يتيسر لها به القيام برؤيتها الفطرية وهي الحمل والولادة وتربية الأطفال وهي أمية في سريها ، مكثية ما يهمها من أسر زوجها . وفي التمييز حكمة أخرى ، وهي الإشارة إلى أن هذا التفضيل إنما هو للجنس على الجنس لا لجميع أفراد الرجال على جميع أفراد النساء ، فكم من امرأة تفضل زوجها في العلم والعمل به وفي قوة البنية والقدرة على الكسب ؟ ... إلخ (نناء للجنس اللطيف / ٢ - ٣١) .

عمل ، فقد كن يأتين ويساين الذي ﴿ تلك المباشرة المذكورة في (سورة الممتحنة) كما كان يسايه الرجال وكن ينفرد منهم إذا نفروا للقتال ، يخدمون الجرحى ويأتين غير ذلك من الأعمال ، فأراد الله أن ينمى النساء بأعمال البيت والرجال بالأعمال الشاقة التي في خارجها ليتقن كل منهما عمله ، ويقوم به كما يجب مع الإخلاص له . وتكتفي لفظ « نصيب » لإغادة أن ليس كل ما يعمل العامل يوجز عليه ، وإثما الأجر على ما عمل بالإخلاص . أي فني الكلام حث ضمنى عليه ﴿ وأسألو الله من فضله ﴾ أي لیساله كل منكم الإحسان والقوة على ما نيت به حيث لا يجوز له أن يتمنى ما نيت بالآخر . ويدخل في هذا النهي تمنى كل ما هو من الأمور الخلقية كالجمال والعقل إذ لا فائدة في تمنها لمن لم يعطها . ولا يدخل فيه ما يقع تحت قدرة الإنسان من الأمور الكسبية ، إذ يعمد من الناس أن ينظر بعضهم إلى ما نال الآخر ويتمنى لنفسه مثله ويخيرا منه بالسعي والجد ، كأنه يقول : وجهوا أنظاركم إلى ما يقع تحت كسبكم ؟ ولا توجهوا إلى ما ليس في استطاعتكم ، فإنما الفضل بالأعمال الكسبية فلا تتمنوا شيئا بغير كسبكم وعملكم لهد المراد فله .

١٩ - درجة الرجال على النساء : الرياسة

بعد هذا النهي لكل من الرجال والنساء عن تمنى ما اختص به الآخر يمتلئ الفطرة التي أكملها الله بدين الفطرة بين لنا عز وجل سبب التفضيل بقوله :

﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ﴾ [النساء : ٣٤] .

وقد كتبت في تفسيرها من الجزء الخامس (من تفسير المنار) ما نصه :

أي أن من شأنهم المعروف المعهود القيام على النساء بالحماية والرياسة والولاية والكفاية ومن لوازم ذلك : أن يفرض عليهم الجهاد دونهم ، فإنه يضمن الحماية لهن ، وأن يكون حظهم من الميراث أكثر من حظهن ، لأن عليهم من الثقة ما ليس عليهن ، وسبب ذلك أن الله تعالى فضل الرجال على النساء في أصل الخلق ، وأعطاهم ما لم يعطهن من الحول والقوة ، فكان التفاوت في التكاليف والأحكام ، أثر التفاوت في الفطرة والاستعداد ، ثم سبب آخر كسبي يدعم لسبب الفطري ، وهو ما يقع الرجال على النساء من أموالهم ، فإن في المهور تعريضا للنساء ومكافأة على دخولهن بعقد الزوجية تحت رياسة الرجال ، فالشرعية كرم المرأة إذ فرضت لها مكافأة عن أمر تقتضيه الفطرة ونظام المعيشة ، وهو أن تكون زوجها فيما عليها فجعل هذا الأمر من قبيل الأمور العرفية التي يتوابع الناس عليها بالعمود لأجل المصلحة ، كان المرأة تنازلت

ويفكرروا فيما يؤمن معملهم
ويستغفروا عنهم ثمر يشاء
ويجاءهموا في الله حق جهاد
ويصحبوا الأوطان بساالات
وعليهم قد أوجب الإنفاق إذ
هم في الحقيقة واضعو البذرات
وهم السائلين تيسروا في حملهن
ممرضين لأعظم السوريات
بل إنهم جليسا لهن مشاغلا
عظمي بهم ويزهرة الفلوات
وإدارة البيت السلي هو للرجسا
ل وسيلة الإسماء والسراحات
ورعاية الأطفال بل ورعاهم
من تسليمهن أطباء الأقوات
وكلما تيسر ية البنين لهنهن
مدارس الأخلاق في السمات
فلذا تفرغ كل حبيب لللى
قد خصه من تكلم القسمات
وتضامر الجنسان فيما بينهم
عاشا معا في أحسن الحالات
وإذا ابتلى كل وظائف غيره
وتضاركا في معظم المهنيات
وتشاغلا في غير ما من أجله
خلقنا فلما المفسد القطرات
والله فصل في الكتاب جميع ما
يخص بالأزواج والزوجات
وقضى بطلانهم للأزواج غش
ية فرفة لتنازع السلطات
ولأن في هذا الخضر وسيلة
لتبطل الأراء بالسمات
ويتم تسليم الميثية بينهم
بمعرفة وتفاهم وثقات
ثم يهاجم النظم دعا تحرير المرأة الذين ظلموها بإقامها
فيما لم تعدا الفقرة له . ويتقل بعد ذلك إلى تقرير حقيقة هي أن
رسول الله ﷺ هو أول محرر للمرأة ، فيقول عن دعا تحرير المرأة :
وغدا السائلين دعوا إلى تحريرهم
سن أشهد من يلقى من التسمات

وكما بسط العلماء القول في قضية حقوق المرأة في الإسلام
على النحو الذي أوردناه آنفا ، تلك القضية التي لا يزال أعداء
الإسلام يخوضون فيها حتى يومنا هذا ، فإن النظم لم يفته أن يدلي
بدلوه في الدلاء ، فتجد السيد عبد الحميد الخطيب يشتم هذا كله
قصيده الحافلة الموسومة بسيد ولد آدم محمد ﷺ مما نقل بعضه
فيما يلي : قال النظم :
وظائف المرأة والرجل :

والشعر كسر حباله الأني فأو
لها عظيم العطف والعجزات
وأنالها شأن عظيم في السورى
حتى فصلت في موضوع المهجات
يسمى الرجسا لومها ويقدمو
ن لها مريض المسال والعليات
لنيسو جوهها الملك في بيت لهم
هو موطن الإسماء والهجات
والله قد سم السوظائف بينهم
كل بمسا يستطيع من فملات
وبمسا أهد الله فيه من القسوى
ومى فملات الجسم والبيزوات
ولطفها قد خصها بوظائف
في البيت تعجز كامل القسوات
هو أسر حمل الطفل ثم رضاعه
مع حفظ صحته من الآفات
وغسلاته بسالم والمطيف كى
يأكلو كسريم الخلق والمعادات
وإدارة البيت التي من شأنها
تدبيره فعلا وبالحكمات
أما الرجسا لهم أولو بأس وأعد
حظهم في القسوى وأشد في المصليات
ولسالك قد عهد إليه إليهم
بالسعى في داب على النطقات
متمحلين لهما يكتسون وراء ذا
من فرفة وعظائم العقبات
وقضى عليهم أن يمسولوا نسوة
ممن يسلن بهم ومن زوجات

ولهن حق الاعتراض على السيئ
لا يتخير وأمر عالى السلات
من دون أن يضرهن عليهن المتنا
صوب أو يحملهن من تهميات
مما يحملهن أهل القرب من
ضرب لأخذ السرارى فى الجلسات
(سيد ولد آدم / ١٠٩-١١٢).

قالت المؤلفة : بالنسبة للبيت الثانى عشر أملاء أورد يحيى
سلوم العباسى الخطاط من بين النساء الخطاطات حفصة بنت
عمر ابن الخطاب رضى الله عنهما وقال عنها : أعزبت الكتابة عن
الشفاء بنت عبد الله العنودية ، وهى التى قال عنها النبى ﷺ : علمى
حفصة رقية التمل كما علمتها الكتابة (الخط العربى / ١١١) انظر
حفصة بنت عمر بن الخطاب .

ويمضى الناظم بعد ذلك فى الكلام على مسئولى المتعصين
ضد المرأة ، ونضال المرأة وواجب الرجل فارجع إلى النص إن
شئت فى ص ١١٢-١١٥ .

(هـ المجمع الإسلامى فى ظل الإسلام) - فضيلة الشيخ محمد أحمد
أبو زهرة . الأثر . مجمع البحوث الإسلامية . جمادى الآخر ١٣٨٦ هـ -
أكتوبر ١٩٦٩ م ، المزمع الثالث لمجمع البحوث الإسلامية / ٣١١ -
٣٦٧ ، ونفاه للجنس الطيف - السيد محمد رشيد رضا / ٢-٣١٠ وسيد
ولد آدم محمد ﷺ - نظم السيد عبد المحيد الخطيب / ١٠٩-١١٢ .
انظر أيضا الدين الإسلامى - الشيخ حسن منصور ، والشيخ عبد الوهاب
خير الدين ، والشيخ مصطفى عاتق / ١٢٢-١٣٤ ، ومحاسن الإسلام -
محمد سعد بن عبد الله الرباط ابن العباسى / ١٧٩-١٨٤ ، وفق الكتاب
والسنة ورفع الحرج عن الأمة للإمام الصلابة تقي الدين ابن تيمية - تحقيق
وتعليق فريد بن أمين الهناوى / ١٨٠-١٨٧ ، والخط العربى : تاريخه
وتنوعه - يحيى سلوم العباسى الخطاط / ١١١) .

انظر آداب المرأة المسلمة فى م / ١-٣١٦-٣١٨ .

• حقوق المسلم :

عن حقوق المسلم يقول الإمام النوزى تحت عنوان : درس فى
حقوق المسلمين ونضالهم وواجبهم :
قال الله تعالى : { وَإِذَا الدِّينُ يَبْعَثُونَ } أن تبع الفاحشة فى الدين

آمنوا لهم هداية أليم فى الدنيا والآخرة { [النور : ١٩] روى
الشيخان عن أبى موسى رضى الله عنه قال قال رسول الله
ﷺ : المؤمن للمؤمن ، كالبنيان يشد بعضه بعضا وروى الشيخان
عن النعمان ابن بشير رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : مثل
المؤمنين فى توادهم وتراحهم وتماثلهم مثل الجسد إذا اشتكى

ولو أنهم راموا النصيحة للناس
لا أحجموا عن هذه البصائر
وأصاروها القول أن نبينا
هو وحده من حُرر الفتيات
إذ كان وأد البنت أمرا شليها
والأمهات يمين كالمسلمات
فأنى وحارب ما عليه قومى
من ظلمهن ومسى المسلمات
بل إنه شرع التناوى فى الحق
ق وما فضاء الله من طامعات
وأبى عليهن المسلمات إذ روى
باللهم من يغلبهن بالقبوات
وغيره خلق الله مسمى من شبيها
غيره أربى ومن العشر مرات
وهذا لتقديم الإناء على السدكو
ر إذا أريد اللقم للصقات
ودها إلى تعليمهن وعصهن
يسدوه فن تكلم الأوليات
وعنى بها ثلثة وقال لنا خلدنا
عنها فمأ فى قولها ريات
ولها أفسار بأن تعلم حفصة
علم الخطوط كسرية التملات
ولغااية التوقيف قال وتكرن دو
مأ فى البصائر كأظم الملكات
تكرن صلاتها وليس لكن أن
تتمشى على السوء فى الطسقات
لتصيد السرايين أو إقصاع من
تلقينه فى البصائر فى البصائر
وتخالف الجنين موضع رية
لا سيما فى حالة الخطوات
لا يستباح لها يجسر وراه
من فتنة وعظائم البصائر
ولهن أعطى الحق فى أمموالهن
وفى اختيار الزوج فى حالات
وكذلك فى تقرير كل حقيقة
تكمليها يستوجب اللعنات

الدين ، فإن هجران أهل البدع والأهواء والمعاصي يبنى أن تدمم ، ما لم تظهر منهم التوبة والرجوع إلى الحق .

ومنها : أن يحسن إلى كل من يقدر أن يحسن إليه من المسلمين ما استطاع ، وأن لا يدخل على أحد منهم إلا بإذنه ، ويستأذن ثلاثاً فإن لم يأذن انصرف .

ومنها : أن يخالف الناس بخلق حسن ، وذلك أن يعامل كلا منهم بحسب طريقته ، فإنه متى لقي الجاهل بالعلم ، واللعلي بالفق ، والغبى بالبيان ، أدنى وتأذى .

ومنها : أن يوقر المشايخ ، ويرحم الصبيان ، وأن يكون مع الخلق كافة طلق الوجه رقيقاً ، وأن يفي لهم بالوعد ، وينصف الناس من نفسه ، ولا يأتي إليهم إلا ما يحب أن يؤتى إليه .

قال الحسن : أوصي إلى آدم عليه السلام أربع كلمات ، قال : فيهن جماع الأمر لك ولربك : واحدة لى ، وواحدة لك ، وواحدة بيني وبينك ، وواحدة بينك وبين الخلق . فأما التى لى : فتعبدنى لا تشرك بى شيئاً . وأما التى لك : فعملك أجزيك به أفقر ما تكونون إليه ، وأما التى بيني وبينك : فعليك الدعاء وعلى الإجابة . وأما التى بينك وبين الناس : فتصحبهم بالذى تحب أن يصحبوك به .

ومنها : زيادة توقير ذوى الهيئات .

ومنها : إصلاح ذات البين ، ومتر عورات المسلمين .

واعلم : أنه من تأمل ستر الله تعالى على العصاة فى الدنيا اقتدى بلفظه ، فإنه جعل الشهادة فى الزنى أن يشهد أربعة من العدول أنهم شهدوا ذلك كالميل فى المحكمة ، وهذا لا يتفق ، ومن هذا أثر كرمه فى الدنيا يرجي منه ذلك فى الآخرة .

ومنها : أن يفتي مواضع ألهم ، صيانة لقلوب الناس من سوء الظن به ، والاستعهم من خيته .

ومنها : أن يشفع لكل من له حاجة من المسلمين إلى من له عنه منزلة ، ويسعى فى قضاء حوائجهم .

ومنها : أن يبدأ بالسلام كل مسلم قبل أن يكلمه ، ومن السنة المصافحة ، فقد روى عن أنس رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « ما من مُسْلِمَيْنِ تَقَيَّا ، فأخذ أحدهما بيد صاحبه ، إلا كان حقا على هر رجل أن يحضر دعامها ، وأن لا يفرك بين أيديهما حتى يفرق لهما » .

وفى حديث آخر : « إذا صافح المؤمن المؤمن نزلت عليهما مائة رحمة ، تسعة وتسعون لإشهما وأحسهما خلفاً » (قال الحافظ العراقي : رواه الزائر فى مسنده ، والخبر لافى فى مكارم الأخلاق ، والبيهقى فى الشعب ، وفى إسناده نظر) .

ولا بأس بتقيل يد المعظم فى الدين ، ولا بأس بالمعاقبة .

منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» وروى الشيخان عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ : « قال المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ومن فرج من مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة » وروى الشيخان عن أنس رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لا يؤمن أحفكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » وروى الشيخان عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « حق المسلم على المسلم خمس رد السلام وعبادة المريض واتباع الجنائز وإجابة الدعوة وتشميت العاطس » وفى رواية مسلم زيادة وإذا استصحبك فاتصحبك وروى البخارى عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً فقال رجل يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوماً إني إن كان ظالماً كيف أنصره قال تحبزه أو تمتعه من الظلم فإن ذلك نصره » وروى مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخواناً المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله الفتوى ههنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات بحضب امرئ» من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه بمعنى النجش أن يزيد فى ثمن سلعة يتأذى عليها فى السوق ونحوه ولا رابة له فى شرائها بل يقصد أن يضر غيره وهذا حرام قتاله الفتوى رحمه الله تعالى (مختصر كتاب رضى الصالحين / ٢٢١ - ٢٢٤) .

وعن حقوق المسلم أيضا يقول الإمام ابن قدامة :

فمن حقوق المسلم : أن تسلم عليه إذا لقته ، وتحييه إذا دهاك ، وتشمته إذا عطس ، وتصدده إذا مرض ، وتشهد جنازته إذا مات ، وتبرئ نفسه ، وتصحب له إذا استصحبك ، وتحفظه يظهر الغيب إذا غاب ، وتحب له ما تحب لنفسك ، وتكره له ما تكره لنفسك . وجميع هذا منقول فى الآثار .

ومنها : أن لا تؤذى أحداً من المسلمين بقول ولا فعل ، وأن تتواضع للمسلمين فلا تتكبر عليهم ، ولا تسمع بلاغات الناس بعضهم فى بعض ، ولا تبلغ بعضهم ما تسمع من بعض .

ومنها : أن لا تريد فى الهجرة على ثلاثة أيام لمن تعرفه ، للحديث المشهور فى ذلك .

وفى حديث آخر عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لا يحل لمؤمن أن يهجر مؤمناً فوق ثلاثة أيام ، فإذا مرت به ثلاثة أيام فليسلم عليه ، فإن رد عليه السلام ، فقد اشتركا فى الأجر ، وإن لم يرد عليه فقد برئ المسلم من الهجرة » .

واعلم : أن هذه الهجرة إنما هى فيما يتعلق بالدنيا ، أما حق

وأما الأخذ بالركاب لتؤثر العلماء ، فقد فعل ذلك ابن عباس يزيد ابن ثابت رضي الله عنهما ، والقيام على سبيل الإكرام لأهل الفضل حسن ، وأما الانحناء فمفني عنه .

ومنها : أن يصرن عرض أخيه المسلم ونفسه وماله عن ظلم الغير ، ويتنازل دونه ويتصرف .
ومنها : أنه إذا ابتلى بئس شر ، فينبغي أن يجامله ويتقيه ، لحديث عائشة رضي الله عنها .

وقال محمد ابن الحنفية : ليس يحكم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بدا ، حتى يجعل الله عز وجل له فرجا .

ومنها : أن يجتنب مخالطة الأغنياء ، ويختلط بالمساكين ، ويحسن إلى الأيتام .
ومنها : عبادة مرضاهم .

ومن آداب العاقد : أن يضع يده على الصريض ، ويسأله كيف هو ، ويخفف الجلوس ، ويظهر الرقة ، ويدعو له بالعافية ، ويغض البصر عن عورات المكان .

ويستحب للمريض أن يفعل ما أخرجه مسلم في أفرادها ، من حديث عثمان بن أبي الماص رضي الله عنه أنه شكا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجعا يجهده في جسده منذ أسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ضع يدك على الذي يألم من جسده قل : بسم الله ثلاثا ، قل صبح مررت : أعوذ بمرزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر » .

وجملة آداب الصريض : حسن الصبر ، وقلة الشكوى والتفجير ، والفزع إلى الدعاء ، والتوكل على الله سبحانه .

ومنها : أن يشيع جنازتهم ، ويعزذ قبورهم .
والمقصود من التشيع : قضاء حق المسلمين ، والاعتبار .
قال الأعمش : كنا نحضر الجنائز ، فلا نغري من نغري لحزن القوم كلهم والمقصود من زيارة القبور : الدعاء ، والاعتبار ، وترقيق القلب .

ومن آداب تشيع الجنائز : المشي ، ولزوم الخشوع ، وترك الحديث ، وملاحظة الميت ، والتفكير في الموت ، والاستعداد له (مختصر منهاج القاصدين / ١٠٥-١٠٨) .

وقد أورد طائش كبرى زاده صاحب مفتاح السعادة هذا الذي أوردوه الإمام ابن قدامة ونقلناه أعلاه ، ثم أجمل الكلام عليه بقوله .

وجملة الكلام : أن لا تنصرف أحدا منهم حيا كان أو ميتا فتهلك لأنك لا تدري لعله خير منك ، وإن كان فاسقا فلهلعه ينجم بالصالح وتختم أنت بعمل حاله ، ولا تنظر إليهم بعين التنظيم في دنياهم فإن الدنيا صنيعة إلى الله ، وإذا عظمت تستحق المغت

ولا تلبث دينك لدنياهم قصصر في أحييتهم ثم تحرم دنياهم ، فإن لم تحرم كنت قد استلبت الذي هو أدنى بالثمن هو خير ، لا تطمع فيما في أيديهم فستجلب الذل والتمتال القرض ، ولا تطمع أن يكون لك في الغيب والسر كما في المالاية ، فذلك طمع كاذب وأنى نظف به ، ولا تنكر عليهم لاستغناك عنهم فإن الله يجلتك إليهم عفوته على فعلك ، وإذا قضى أحد حاجتك فهو أخ مستغاد فإن لم يقض فلا تمنائه فيصير عدوا ، ثم إنك لا تقدر مقاساته .

ولا تشتغل بوعظ من لا ترى فيه مخايل القبول فلا يسمع منك ويعاديك ، ولا تعط إلا إرسالا من غير تنصيص على أحد ، وإذا رأيت منهم خيرا فاشكر الله الذي سخرهم لك واستمد بالله أن يكلك إليهم ، وإذا رأيت شرا أو بخلك منهم غيبة أو أصابك منهم ما يسوء فكل أمرهم إلى الله واستمد بالله من شرم ، ولا تشتغل بالمكافأة فريد الضرر ويضيع العمر ، ولا تقل لهم : لم لا تعرفون قدرى وموضعي ، واعتقد أنك لو استحققت ذلك لجعل الله لك موصعا في قلوبهم فله المحب والمبغض والمغلوب ، وكن سمعا لحقهم أصم عن باطلهم نظورا بحقهم صموتا عن باطلهم .

وأحذر صيغة أكثر الناس : فأنهم إن صحبوك لا يطيعون العثرة ، ولا يفرقون الزلة ، ولا يسترعون العورة ، ويحاسبون على التقير والقطير ، ويحسدون على القليل والكثير ، ينتصرون ولا يتصفون ويؤاخذون ولا يعفون ، يهرون الإخوان بالتيمة والبهتان ، فصحية أكثرهم خسران ، وظلهمتهم وحبان ، إن رصوا لظواهرهم الملق ، وإن مسخطوا لباطنهم الحق ، ظاهروهم ثياب وباطنهم ذئاب ، يظعنون بالظنون ويتنازرون ورايك بالعيون ، ويترصون بصدقهم من الحسد ويب المنون ، يحصرون عليك الشرط في صحبتهم ليجبهوك بها في غضبهم وحشتهم .

ولا تمول على مودة من لم تخبره في حق الشرية ، بأن تصحبه مدة في دار أو موضع واحد ، فتجربه في عزله وولايته وفنائه وفقره ، وتساخر منه أو يمسلك في الدنيار والندوم ، أو تقع في شدة فتحتاج إليه . فإن رصيته في هذه الأحوال فافتله أبا لك إن كان كبيرا أو ابنا إن كان صغيرا أو أمّا إن كان مثلك .

(مفتاح السعادة / ٣ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦) .

(مختصر كتاب رياض الصالحين للإمام يحيى بن شرف الدين النوري - اختصره وزيته الشيخ النجاشي / ٣٣١ - ٣٣٤ ، ومختصر منهاج القاصدين لابن قدامة - قدم له الأستاذ محمد أحمد دهماس على عليه شيع الأثرابط وعبد القادر الأرناؤوط / ١٠٥-١٠٨ ، ٣ / ٢٦٣ - ٢٦٦) .

• حقوق المولود :

انظر : الرق .

• حقوق الوالدين :

انظر مادة « بر الوالدين » في ٦ / ٥٥٨-٥٦٢

• حقى : (١٣٦٥ - ١٣٦٥ هـ) :

من الخطاطين ولد في استنبول عام ١٢٩٠ هـ ، وتوفى فيها عام ١٣٦٥ هـ . برع في رسم الطغراء ، وكتب عدة مقالات عن الخطاطين في مجلات تركية ، حلل فيها مقدرتهم الفنية .
(كيف تعلم الخط العربى - معروف زريق / ٤١ ، وموسوعة المخطوط العربية وزخارفها للمؤلف نفسه / ١٢٥) .

• الحقيقة :

قال الشيخ زين الدين في منظومته :

إن الطريق شريفة وطريقة

وحقيقة فاسمع لها ما تسلا

ثم قال :

وحقيقة لموصوله للمفصل

ومشاهدة لتصور التجلى بانجلا
فالحقيقة في علم التصوف هي وصول السالك للمقصد وهو معرفة الله سبحانه وتعالى ومشاهدة نور التجلى : قال الغزالي :
التجلى ما يكشف للقلب من أسرار الغيب ، ويحتمل أن يسرد بالتجلى هنا التجلى وهو الله سبحانه وتعالى ، وهو يوافق ما قاله القشيري في الفرق بين الشريعة والحقيقة من أن الشريعة أمر بالتزام العبودية ، والحقيقة مشاهدة الربوبية أى رؤيته بإيها قلبه .
بانتجلا : الباء للتصوير متعلقة بمحذوف حال من مشاهد : أى بحال كون المشاهدة مصورة بالانتجلاء : أى الانكشاف التام (كلمة الأقياء / ٩ ، ١٢) .

قال التهانوي : الحقيقة تطلق بالاشتراك في عُرف العلماء على معان : منها قسم من الاستعارة ويقابلها المجاز وهذا اصطلاح أهل الفرس ... ومنها ما هو مصطلح أهل الشرع والبيانيين من أهل العرب قالوا : كل من الحقيقة والمجاز تطلق بالاشتراك على نوحين لأن كلا منهما إما في المفرد ويسميان بالحقيقة والمجاز للغويين ، وإما في الجملة ويسميان بالحقيقة والمجاز للعقلين . قال الأصوليون : الحقيقة الشرعية واقعة خلافا للقاضى أى بكر وحى اللفظ المستعمل فيما وضع له في عرف الشرع أى وضعه للشارع ليعنى بحيث يدل عليه بلا قرينة سواء كان ذلك لمناسبة بينه وبين المعنى المنفرد فيكون متوقفاً أو لا فيكون موضوعاً مبتدأ .

وأثبت المعتزلة الحقيقة الدينية أيضاً وقالوا بوقوعها وهي اسم لنوع خاص من الحقيقة الشرعية وهو ما وضعه الشارع ليعلمه ابتداء بأن لا يعرف أهل اللغة لفظه أو معناه أو كليهما وزعموا أن أسماء الدورات أى ما هي من أصول الدين أو ما يتعلق بالقلب كالمؤمن والكافر والإيمان والكفر من قبيل الدينية دون أسماء الأفعال أى ما هي من فروع الدين أو ما يتعلق بالجوارح كالصلى والمركب

والصلاة والمركبة والظاهر أن الواقع هو القسم الثانى من الحقيقة الدينية فقط أعنى ما لم يعرف أهل اللغة معناه ولا نزاع في أن الألفاظ المتعلقة على لسان أهل الشرع المستعملة في غير معانيها اللغوية قد صارت حقائق فيها بل النزاع في أن ذلك يوضع الشارع وتعيينه أياها بحيث تدل على تلك المعانى بلا قرينة لتكون حقائق شرعية كما هو مذهبنا أو بغزبتها في تلك المعانى فى لسان أهل الشرع والشارع إنما استعملها فيها مجازاً بمعونة القرآن فتكون حقائق عرفية خاصة لا شرعية كما هو مذهب القاضى فإذا وقعت مجردة عن القرآن في كلام أهل الكلام والفقه والأصول ومن يخاطب باصطلاحهم تحمل على المعانى الشرعية وفقاً .

وأما في كلام الشارع فنحننا تحمل عليها إذ الظاهر أن يتكلم باصطلاحه وهذه المعانى هي الحقائق بالقياس إليه وعند القاضى تحمل على معانيها اللغوية لأنها غير موضوعة من جهة الشارع فهو يتكلم على قانون اللغة فإن القاضى ينفي كونها حقائق شرعية زاعماً أنها مجازات لغوية والمحق أنه لا ثالث لهما فإنه ليس النزاع في أنها هل هي بوضع من الشارع على أحد الوجوهين وهو مذهب المعتزلة والفقهاء أو لا فيكون مجازات لغوية وهو مذهب القاضى فلا ثالث لها حيثئذ . ومنهم من زعم أن مذهب القاضى أنها مقبلة على حقائقها اللغوية فتصير المذاهب ثلاثة كونها حقائق لغوية وكونها مجازات لغوية وكونها حقائق لغوية وشرعية وإن شئت الزيادة على هذا القدر فارجع إلى المضدى وحواشيه .

ومنها المفهوم المستقل المحلوظ بالذات كمفهوم الاسم وهذا المعنى من اصطلاحات أهل العربية أيضاً قال السيد السند قد تستعمل الحقيقة بهذا المعنى في بعض استعمالاتهم كذا في الأصول في بحث الاستعارة التبعية ومنها العاهية بمعنى ما به الشيء هو أو وتسمى بالذات أيضاً والحقيقة بهذا المعنى أهم من الكلية والجزئية والموجودة والمعلومة ...

قال المولوى عبد الرحمن الجامى في شرح الفصوص في الفص الأول أن الحقائق عند الصوفية ثلاث :

الأولى : حقيقة مطلقة فعالة واحدة عالية واجبة وجودها بذاتها وهي حقيقة الله سبحانه .

والثانية : حقيقة مقيدة متغلة سافلة قابلة للوجود من الحقيقة الواجبة بالفيض والتجلى وهي حقيقة العالم .

والثالثة : حقيقة أحدية جامعة بين الإطلاق والتقييد والعمل والافتعال والتأثير والتأثر فهي مطلقة من وجه مقيدة من آخر فعالة من جهة متغلة من أخرى وهذه الحقيقة أحدية تجمع الحقيقتين ولها مرتبة الأولى والأخرية وذلك لأن الحقيقة الفعالة المطلقة في مقابلة الحقيقة المتغلة المقيدة وكل متفرقتين فلا بد لهما من أصل هما فيه واحد وهو فيها متعدد مفصل وظهرية هذه الحقيقة هي

المسماة بالعلية الكلية الفعالة من وجه والمنفصلة من آخر فلقها تآثر من الأسماء الإلهية وتآثر في مولدها وكالوحد من هذه الحقائق الثلاث حقيقة الحقائق التي تحتها انتهت . والحقيقة بهذا المعنى تقسيمات أخر .

منها الماهية باعتبار الوجود فعلى هذا لا تتناول المعلوم ، وإطلاق الحقيقة بهذا المعنى أكثر من إطلاقها بمعنى الماهية مطلقا قال شارح الطولوع وشارح التجريد إن الحقيقة واللغات تطلقان غالبا على الماهية مع اعتبار الوجود الخارجى كلية كانت أو جزئية انتهى فعلى هذا لا يقال ذات المضاف وحقيقتها كننا بل ماهيتها كذا .

ومنها ما هو مصطلح الصورية في كشف اللغات وفي مجمع السلوك أما الحق والحقيقة في اصطلاح مشايخ الصورية فالحق هو الذات والحقيقة هي الصفات فالحق اسم للذات والحقيقة اسم الصفات ثم إنهم إذا أطلقوا ذلك أرادوا به ذات الله تعالى وصفاته خاصة وذلك لأن السيد إذا ترك الدنيا وتجاوز عن حدود النفس والهوى ودخل في عالم الإحسان يقولون دخل في عالم الحقيقة ووصل إلى مقام الحقائق وإن كان بعد من عالم الصفات والأسماء فإذا وصل إلى نور الذات يقولون وصل إلى الحق وصار شيئا لا تقا لا لئلا يدهم بقولهم يستعملون ذلك في ذوات أخر وفي صفاتهم لأن مقصودهم الكلى هو التوحيد . وقال الفيلسوف : الحقيقة عند مشايخ الصورية عبارة عن صفات الله تعالى والحق ذات الله تعالى : وقد يرددون بالحقيقة كل ما عدا الملكوت وهو عالم الجبروت والملكوت عندهم عبارة عن فوق العرش إلى تحت الشرى وما بين ذلك من الأجسام والمعاني والأعراض . والجبروت ما عدا الملكوت وقال بعضهم الكبار وأما عالم الملكوت فالحيد له اختيار فيه ما دام في هذا العالم فإذا دخل في عالم الجبروت صار مجبورا على أن يختار ما يختار الحق وأن يريد ما يريد لا يمكنه مخالفته أصلا انتهى وقيل الحقيقة هي التوحيد وقيل هي مشاهدة الربوبية (كشف اصطلاحات الفنون ١ / ٣٣١ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤) .

(كفاية الأتقياء ومنهاج الأصفياء شرح السيد بكري المكس ابن السيد محمد شمس الدينياطي على منظومة هداية الأتقياء إلى طريق الألباء الشيخ زين الدين بن علي العمري ثم الملياري ٩ / ١٢ ، وكشف اصطلاحات الفنون للهاثري ١ / ٣٣١ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤) .

انظر : حقيقة القرآن ومجاهز ، الحقيقة والمجاز .

• حقيقة الإنسان :

هذا هو النوع الأول من الأنواع السبعة التي قسم إليها الفريزي أنوار الحيوان : فقال عنه :
اعلم أن الإنسان مجموع مركب من النفس والبدن وأنه أشرف الحيوانات وخلاصة المخلوقات ، ركب الله تعالى في أحسن صورة

روحاً وبدناً وخصمه بالخلق والعقل سرا وعلمنا وزين طاهره بالحواس والحوظ الأولى وبيانه بالقوى ما هو أشرف وأقوى ، وميا للنفس الناطقة الدماغ وألصقته أعلى محل وأرق رتبة ، وزينه بالفكر والذكر والحفظ وسلبه على الجواهر العقلية لتكون النفس أميرة والعقل وزيره والقوى جسده والحس المشترك مرصده والأعضاء خفمه والبدن محل ملكته والحواس يسافرون في جميع الأوقات في عالمهم وياستقون الأخبار والمواقفة والمخالفة ويعرضونها على الحس المشترك الذي هو واسطة بين النفس والحواس على باب المدنية ، وهو يعرضها على القوة العقلية لاختبار ما يوافق وطرح ما يخالف ، فمن هذا الوجه فالإنسان عالم صغير ، ومن حيث إنه يتغذى وينمو قالوا نبات ، ومن حيث إنه يحس ويحرك قالوا حيوان ، ومن حيث إنه يعلم حقائق الأشياء قالوا ملك فصار مجعما لهذه المعاني فإذا صرف همه إلى جهة من هذه الجهات ليتحقق بها ، فإن كان قد صرف همه إلى الجهة الطبيعية فيكون راضيا من أمر دنياه بالتغذى وتنقية الفضول ، وإن كان إلى الحيوانية فيكون إما غصوبيا كسبع أو أكولا كبقرة أو شرها كخنزير أو جزءا ككلب أو حقودا كجمل أو متكبيرا كتمر أو ذا روغان كعنب أو بجمع هذا كله فيكون شيطانا مريدا ، وإن كان صرف همه إلى الجهة الملكية فيكون متوجها إلى العالم الأعلى ولا يرضى بالزمر الأسفل والربع الأدنى فيكون مرادا من قوله عز وجل ﴿ وفصلناهم على كثير من خلقنا تفضيلا ﴾ والله الموفق للصواب .

(حجاب المخلوقات وغرلاب الموجدونات للفريزي / ٢٠٠)

• الحقيقة في سلوك الطريقة :

أحد مخطوطات دار الكتب الظاهرية (وأعله بمكتبة الأسد الآن) وقد أدرج في الفهرس في كتب الكيمياء والصناعة والإكسير والسيما ، وجاء بيان المخطوط كما يلي :
لاحظ تخفيف الهزرة في ألفاظ مثل آلابه [آلاه] ونعمايه [نعماته] ، وقصر الممدود كما في الألبا [الأشياء] .

الرم : مجموع رقمه ٩٧٦٩

تأليف : ؟ .

مواضيع المخطوط :

يتضمن عدة أبواب ومطالب وفصول منها :
فصل لا بد لكل طالب من أربعة أشياء ويقال لها المطلب وهي : هل هو ، وما هو ، وكيف هو ، ولم هو ...
فصل في أوزان التركيب ...
والبحث في الحجب وصفاته وتركيبه ...
فاتحة المخطوط :

بسم الله الرحمن الرحيم كتاب الحقيقة في سلوك الطريقة الحمد لله على آلايه والشكر لله على نعمائه والصلوة على جميع أنبيائه .

معناه كما في التجريد والأكثرين على أنها مجاز كذا ذكر المولى عبد الحكيم في حواشي الخيالي في شرح قول الشارح المتوحد بجلال الذات في شرح الخطبة كما أن الأكر حقيقة في الوجوب والوجوب عبارة عن جواز الفعل مع حرمة الترك فإذا استعمل في معنى التذب وهو عبارة عن جواز الفعل مع وجبانه أو استعمل في معنى الإباحة وهو جواز الفعل مع جواز الترك فهو عند البعض حقيقة قاصرة لأن كلا منهما مستعمل في بعض معنى الوجوب والأكثرين على أنه مجاز لأنه جاوز أصله وهو الوجوب لأن الوجوب جواز الفعل مع حرمة الترك والإباحة جواز الفعل والترك والتذب رجحان الفعل مع جواز الترك فكان لكل واحد منها معان متباعدة هكذا في كتب الأصول .

(كشف اصطلاحات الفنون للتهانوي ١ / ٣٣٤) .

● حقيقة القرآن ومجازه :

الشعر الثاني والخمسون من علوم القرآن وفقا لتصنيف الإمام جلال الدين السيوطي في الإتيان (ص ٤٧ - ٥٤) والشعر الثالث والأربعون وفقا لتصنيف الإمام بدر الدين الزركشي في البرهان ، وهو ما نقله فيما يلي . يقول البدر الزركشي :

لا خلاف أن كتاب الله يشمل على الحقائق ، وهي كل كلام بقي على موضوعه كالأيات التي لم يتجاوز فيها ؛ وهي الآيات الناطقة ظواهرها بوجود الله تعالى وتوحيده وتنزيهه ، والداعية إلى أسمائه وصفاته ، كقوله تعالى : ﴿ هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة ... ﴾ [الحشر : ٢٢] .

وقوله تعالى : ﴿ أمّن خلق السموات والأرض ... ﴾ [النمل : ٦٠] ، ﴿ أمّن جعل الأرض قسرا ... ﴾ [النمل : ٦١] ، ﴿ أمّن يجيب المضطر إذا دعاه ... ﴾ [النمل : ٦٢] ، ﴿ أمّن يهديكم في ظلمات البر والبحر ... ﴾ [النمل : ٦٣] ، ﴿ أمّن يبدأ الخلق ثم يعيده ... ﴾ [النمل : ٦٤] .

وقوله تعالى : ﴿ من يحيى العظام وهي رميم ... ﴾ [يس : ٧٨] . وقوله تعالى : ﴿ أفريقم ما تمون ... ﴾ [الواقعة : ٥٨] ، ﴿ أفريقم ما تحرون ... ﴾ [الواقعة : ٦٣] ، ﴿ أفريقم الماء الذي تشربون ... ﴾ [الواقعة : ٦٨] ، ﴿ أفريقم النار التي توهون ... ﴾ [الواقعة : ٧١] .

قول : ومنه الآيات التي لم تسخ ، وهي كالأيات المحكمات والآيات المشتملة ، لا تقدم فيه ولا تأخير ، كقول القائل : أحمد الله على نعمائه وإحسانه ، وهذا أكثر الكلام ، قال الله تعالى : ﴿ والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون ﴾ [البقرة : ٤] ، وأكثر ما يأتي من الآي على هذا .

وأما المجاز فاختلف في وقوعه في القرآن ، والجمهور على الوقوع ، وأنكره جماعة ، منهم ابن القاسم من الشافعية ، وابن

إبن الذي حدثنا إلى وضع هذه الرسالة أمرا : أحدهما شبه ظن الفلاسفة بهذا الفن الشرف وتقنية آثاره بعد الوقوف على كنهه حقيقته وإحاطة العلم بأسلوه وفرعه ... الثاني كثرة ما دخل في الكتب والمساطر من الحشو والكذب والأفانز الباطلة والأشياء التي لا حقيقة وتوقع المحتالين والمرغلين بهذا الفن الشريف وتدوينهم المساطر الخارجة عن القياس العقلي والبرهان بالعلم الطبيعي ... خاتمة المخطوط :

... فصل في أوزان التركيب ... فاشترط يا أخي ما أطراف قوله فأنالته يمتد منها على رطل لأنه أراد من الحجر الواحد خمسة دوانيق ومن الحجر الأكر دانقا واحدا فصار مجموع الاثنين الرطل الذي قصد دائقه لأنه لا يمكن إنسان يحمل هذا التدبير في عمره مرتين حتى يعرف الصواب من الخطأ بل كل إنسان تكلم على قدر ما ظهر له ونعمن نستغفر الله تعالى على قدر ما أوردناه إنه ولي الإحسان .

نسخة حسنة ، كتبت بخط نسخي وجبر أسود ، وهي في مجموعي يضمن : مقالة الفوز للإمام الغزالي في سبع ورفات ، ومن كتاب الحقيقة في سلوك الطريقة في ثمان ورفات : من / ٨ - ١٥ / ومن كتاب الأصول الكبير وشمول التدبير مختصر ابن وحشية للتبرخي وهو العلم الحقيقي في ست ورفات . ومن كتاب سراج الظلمة وشمس الحكمة لعبد الكريم بن يحيى بن عثمان المعروف بالمختفي في / ١٧ / ورقة ، وآخرها من رسالة الأسقف دوفيس في ثلاث ورفات بحاجة إلى ترميم وتجليد ، كتبت بالبحر الأحمر أسماء الفصول والأبواب ورويس الفقر والمبارات وكثير من الكلمات الهامة ، ترك لها هامش يرض / ٥ ، ٣ سم . / عليه بعض الشروح والتعليقات ، لها تعليق منظمة في آخر كل ورقة . يشهد المؤلف بهرمس الأكبر ، وبيضاغوريس ، وجومقراطيس ، وبالس الأكبر ، ورفوروريس ، وسقراط ، وأفلاطون ، وأرسطاطاليس . وعلى بن موسى الأندلسي الذي نظمها شعرا ومسام ديوان شلخور الذهب ، وغيرهم ... أكثر حرفها غير منقوطة ، عليها تملك باسم السيد عثمان السوطلي سنة / ٦٢٨ هـ .

لم يترك اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ . عدد أوراقها ثمان ورفات . جلدها من الكتون الملفف بوزق مزهر له تكمية من الجلد البني القديم ودقته الثانية مشقوفة ونافضة بقياس (١٨ × ٥ ، ١٣ سم) . وعدد السطور / ١٥ سطور .

المصادر عن المؤلف والكتاب : ٩ ...

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . العلوم والفنون المختلفة عند العرب - وضع معطى سعيد الصباغ / ٤٣٥ - ٤٢٧) .

● الحقيقة القاصرة :

الحقيقة القاصرة هي عند أهل المربية استعمال اللفظ في جزء

وقوله تعالى : ﴿ وَذَلِكُمْ فَتَكُمُ الَّذِي نَنْتُمْ بِرِيكُمْ أَرْبَابُكُمْ ﴾ [فصلت : ٢٣] .

وقوله تعالى : ﴿ يَذِيعُ آبَاءَهُمْ ﴾ [القصص : ٤] ، والفاعل غيره ، ونسب الفعل إليه لكونه الأمر به .

وقوله تعالى : ﴿ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا ﴾ [الأعراف : ٢٧] ، نسب النزع الذي هو فعل الله إلى إبليس لئله الله ، لأن سببه أكل الشجرة ، وسبب أكلها وسوسته ومقامسته إيهاماً إنه لهما لعن الناصحين .

وقوله تعالى : ﴿ فَمَا رِيحَتْ تَجَارَتُهُمْ ﴾ [البقرة : ١٦] ، جعل التجارة الرابعة .

وقوله تعالى : ﴿ إِذَا عَزَّ الزَّمْرُ ﴾ [محمد : ٢١] لأن الزمر هو المزوم عليه ؛ بديل : ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبُورِ ﴾ [إبراهيم : ٢٨] نسب الإحلال الذي هو فعل الله إلى أكابرهم ؛ لأن سببه كفرهم ، وسبب كفرهم أمر أكابرهم بإيهام بالكفر .

وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴾ [الزمر : ١٧] نسب الفعل إلى الظرف لوقوعه فيه .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَخْرَجْتَ الْأَرْضَ أَثْقَالًا ﴾ [الزلزلة : ٢] .

وقوله تعالى : ﴿ لَمَّا يَشْرِجُكُمْ مِمَّا نَالُوا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشَى ﴾ [طه : ١١٧] .

وقد يقال إن النزع والإحلال يبرر بهما عن فعل ما أوجبهما ؛ فالمجاز إفرادي لا إسنادي .

وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴾ [الزمر : ١٧] ، يحتمل معناه : يجعل هولاء ، فهو من مجاز الحلف .

ولما قوله تعالى : ﴿ فِي حِيَاةٍ رَاضِيَةٍ ﴾ ، فتيل : على النسب ، أي ذات رضا . وقيل : بمعنى « مرضية » ، وكلاهما مجاز إفراد لا مجاز إسناد ؛ لأن المجاز في لفظ « راضية » لا في إسنادها ؛ ولكنهم كأنهم قدروا أنهم قالوا : رضيت حيشته ، فقالوا : « حيشة راضية » .

وهو على ثلاثة أقسام :

أحداً : ما طرفه حقيقتان ، نحو : أثبت المعطر البقل ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا طَلَبْتُمْ عَلَيْهِمْ آيَاتَهُمْ إِذْ تَعْتَمِدُونَ ﴾ [الأنفال : ٢] .

والثاني : مجازيان ، نحو : ﴿ فَمَا رِيحَتْ تَجَارَتُهُمْ ﴾ [البقرة : ١٦] (قال السيوطي في الإتقان ٢ / ٣٦ : « أي ما ربحوا فيها ، وإطلاق الريح والتجارة هنا مجاز ») .

خويز منداد من المالكية . وحكى عن داود الظاهري وإبه ، وأبي مسلم الأصبهاني .

(ابن القاص) هو أحمد بن أحمد الطبري المعروف بابن القاص ، أحد فقهاء الشافعية ، وصاحب المصنفات المشهورة كالتلخيص والمفتاح وأدب القاضي ، توفي بطرسوس سنة ٣٣٥ . أما « خويز منداد » بمجمعتين أو إيهاماً الأولى ، من علماء المالكية ؛ تلميذ الأبهري ، من أهل البصرة ، توفي في حدود الأريمانية . وأما « داود بن علي بن خلف الأصبهاني المعروف بالظاهري » ، فهو صاحب المذهب المستقل ، وأتباعه يعرفون بالظاهرية ، توفي سنة ٢٧٠ ، وبعد وفاته جلس ابنه محمد في حلقته ، وتمذهب بملذه ، وتوفي سنة ٢٩٧ . وأما « أبو مسلم محمد بن بصر الأصبهاني » فهو من فقهاء المعتزلة ، وصنف تفسيراً على طريقهم ، وتوفي سنة ٣٧٠ .

وشبهتهم أن المتكلم لا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا إذا ضاقت به الحقيقة فيستعير ، وهو مستحيل على الله سبحانه .

وهذا باطل ، ولو وجب خلو القرآن من المجاز لوجب خلوه من التوكيد والحذف ، وثبته القصص وغيره ، ولو سقط المجاز من القرآن سقط شطر الحسن .

وقد أفرده بالتصنيف الإمام أبو محمد بن عبد السلام ، وجمع فأوصى .

(هو الإمام عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم الشهير بالعزيز بن عبد السلام ، الشافعي الدمشقي المتوفى سنة ٦٦٠ ، وطبع كتابه في إستانبول سنة ١٣١٢) وهو المسمى بكتاب الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز .

ولما معناه ، فقال الحاتمي : معناه طريق القول ، وما أخذه مصدر « جرت مجازاً » كما يقال : « قمت مقاما » .

قال الأصبهي : كلام العرب إنما هو مثال شبه الوعى . نوعا المجاز :

وله سيبان : أحدهما الشبه ، ويسمى المجاز اللغوي وهو الذي يتكلم فيه الأصولي .

والثاني : الملائسة ، وهذا هو الذي يتكلم فيه أهل اللسان ، ويسمى المجاز العقلي ، وهو أن تستد الكلمة إلى غير ما هي له أصالة بضرب من التناول ، كسب زيد أباه ، إذا كان سيباً فيه . المجاز في المركب وأقسامه :

والأول مجاز في المفرد ، وهذا مجاز في المركب . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا طَلَبْتُمْ عَلَيْهِمْ آيَاتَهُ وَذَعَبْتُمْ إِيَّاهُمْ ﴾ [الأنفال : ٢] ، نسب الزيادة التي هي فعل الله إلى الآيات لكونها سيباً فيها .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ﴾ [النساء : ١٠]
لاستزاد أموال اليتامى [ياها .

وقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ الْمَلَائِكَةُ أَنْسَاءٌ يُجْهَدُونَ نَكَاحًا﴾ [النور: ٣٣] إنما أراد - والله أعلم - الشيء الذي ينكح به ، من مهر ونفقة وما لا بد للزوج منه .

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨] أي لا تأكلوها بالسبب الباطل الذي هو القمار.

وقوله تعالى : ﴿ والرجز فاهجر ﴾ [الم نشر : ٥] أى عبادة الأصنام لأن العذاب مسبب عنها .

وقوله تعالى: ﴿وَلَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التوبة: ١٢٣] أي وأغلظوا عليهم ، ليجدوا ذلك ، وإتصا عدل إلى الأمر بالوجدان تبيينها على أنه المقصود لذاته ، وأما الإغلاظ فلم يقصد لذاته بل لتجدوه .

الثاني، عكسه ، وهو إيقاع المبيد موقع المصيب :

قوله تعالى : ﴿ وَجِزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ۚ ﴾ [الشورى : ٤٠] .
وقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ أَحْدَسَ لَكُمْ إِلَهِيكُمْ فَأُتُوا بِهِ فَأْتُوا بِهِ بِمِثْلِ مَا
أُتِيتُمْ بِهِ ۚ ﴾ [البقرة : ١٩٤] [سمى الجزاء الذى هو السبب
سبباً واعتداءً ، فسمى الشيء باسم سببه وإن عُبِّرَت السببُ عما ساء
أى أضره . لم يكن من هذا الباب ، لأن الإساءة تحزننى إلى الحقيقة
، كالجنابة .

ومنه : ﴿ ومكروا ومكر الله ﴾ تجوز بلفظ « المكر » عن حقوته لأنه سبب لها .

ومنه قوله تعالى : ﴿ أَنْ تَهْلِكَ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴾ [البقرة : ٢٢٢] إنما جعلت المراتبان للتذكير إذا وقع الضلال لا ليقع الضلال ؛ فلما كان الضلال سببا للتذكير أقيم مقامه .

ومنه إطلاق اسم الكتاب على الحفظ، أي المكتوب فإن الكتابة سبب له، كقوله تعالى: ﴿سَنُكْتِبُ مَا قَالُوا﴾ [آل عمران ١٨١] أي سنحفظه حتى نجازيهم عليه.

ومنهُ إطلاق اسم السمع على القبول ، كقوله تعالى : ﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ ﴾ [هود : ٢٠] أى ما كانوا يستطيعون قبول ذلك والعمل به ، لأن قبول الشيء مرتب على سماعه ومسبب عنه . ويجوز أن يكون نفي السمع لانتفاء فائدته .

ومنه قول الشاعر :

وإن حلفت لا يتغير النأي عهداً

فليس لمختصين بـ النبأ ان يعين

أى وفاء يميز .

والثالث : ما كان أحد طرفيه مجازاً دون الآخر، كقوله : ﴿ تَوَتَّى
أَكَلَهَا كُلَّ حِينٍ يَأْتِيَنَّ رَيْبًا ﴾ [إبراهيم : ٢٥] وقوله تعالى : ﴿ حَتَّى
تَضُمَّ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ [محمد : ٤] .

قال بعضهم : ومن شرط هذا المجاز أن يكون للمستند إليه شبه بالمتروك ، فهو تعلقه بالعامل .

المبجاز الإفرادي وأقسامه:

وأنواع الأفراد في القرآن كثيرة يعجز العد عن إحصائها .

كقوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّهَا لَأُفْلِحُ * فِرْعَاوْنُ لِلشَّوْى * نَسُوهُ ﴾
[المعارج : ١٥- ١٧] قال : الدعاء من النار مجاز .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَمْ أُنْزِلَتْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا ...﴾ [الروم: ٣٥]
وَالسُّلْطَانُ هُنَا هُوَ الْبُرْهَانُ ، أَيْ بَرَهَانًا يَسْتَلْزِمُونَ بِهِ ، فَيَكُونُ صَامِتًا
نَاطِقًا ، كَالدَّلَالِ الْمُخْبِرَةِ ، وَالْعِمْرَةِ وَالْمَوْعِظَةِ .

وقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا هَاطِوَةٌ ﴾ [القارعة : ٩] فاسم الأم الهاتية مجاز ؛ أي كما أن الأم كافلة لولدها وملجأ له ، كذلك أيضا النار للكافرين كافلة ومأوى ومرجع .

وقوله تعالى ﴿ قتل الغراصون ﴾ [النار: ٥] ﴿ قتل الإنسان ما أكفره ﴾ [عبس: ١٧] ﴿ قاتلهم الله أنى يؤفكون ﴾ [المناقرن: ٥] والفعل في هذه المواضع مجاز أيضاً ، لأنه بمعنى أيمده الله وأذله .

وقيل : قهره وغلبه وهو كثير، فلذا ذكر أنواعه لتكون ضوابط لبقية الآيات الشريفة .

الأول : إيقام المسيب موقع السبب :

كقوله تعالى : ﴿ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا ﴾ [الأعراف : ٢٧]
وإنما نزل سببه ، وهو الماء .

وَقَوْلُهُ: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبْرَاهِيمَ مِنَ النَّارِ﴾ [الأعراف: 17] وَمَعْنَى: لَا تَكُنْ مِنَ الْبَرَكِيَّةِ، أَيْ: لَا تَخْرُجْ مِنَ الْجَنَّةِ وَفِي الْمَسْجِدِ الْخَاصِّ فِي الْفِتْنَةِ، وَفِي الْمَسْجِدِ الْمَرْفُوعِ الْعَامِّ، أَيْ: لَا تَقْتَضِ بِفِتْنَةِ الشَّيْطَانِ، فَأَقِيمْ فِيهِ أَوَّلَ الْمَسْجِدِ الْمَسْبُوبِ، وَهُوَ سَبَبُ خَاصٍّ، فَإِنَّكَ عِلْمُ فِرْعَوْنَ الْمَسْبُوبِ، فَالْثَّانِي فِي الْحَقِيقَةِ لَيْسَ بِآدَمَ، وَالْمَقْصُودُ مَدَمُ وَفُتِحَ هَذَا الْفِعْلُ مَعَهُمْ، فَلَمَّا أَتَى الْبَنِي آدَمَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى بِلَادِهِ النَّهْيِ عَلَيْهِ، كَأَنَّهُ كَانَ عَلَى اِمْتِنَاعِ الشَّيْطَانِ بِطَرَفِ الْأَمْرِ.

وقوله تعالى : ﴿ ما لي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار ﴾ [غافر : ٤١] وهم لم يدعوه إلى النار، إنما دعوه إلى الكفر؛ لبديل قوله : ﴿ تدعونني لأخضر باله ﴾ [غافر : ٤٢] ؛ لكن لما كانت النار مسببة عنه أطلقها عليه .

وقوله تعالى : ﴿ فَاَنْقِصُوا النَّارَ ﴾ [البقرة : ٢٤] أى العناد المستلزم للنار .

ومنه إطلاق الإيمان على ما نشأ عنه من الطاعة ، كقوله تعالى : ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾ [البقرة : ١٤٣] . ﴿ أفنتونون يبيض الكتاب وتكفرون يبيض ﴾ [البقرة : ٨٥] أى اضمحلون يبيض التوراة - وهو فناء الأسارى - وتتركون العمل يبيض - وهو قتل إخوانهم وإخراجهم من ديارهم ؟

وجعل الشيخ عز الدين من الأنواع نسبة الفعل إلى سبب سببه ، كقوله تعالى : ﴿ فأخرجهم مما كانوا فيه ﴾ [البقرة : ٣٦] أى كما أخرج أبريكم فلا يخرجكم من الجنة ﴿ ينزع عنهما لباسهما ﴾ [الأعراف : ٤٧] .

المخرج والنزاع في الحقيقة هو الله عز وجل ، وسبب ذلك أكل الشجرة ، وسبب أكل الشجرة وسوسة الشيطان ومقاسمته على أنه من الناصحين . وقد مثل الباتيون بهذه الآية للسبب وإلما هي لسبب السبب .

وقوله تعالى : ﴿ وأحلو فهم دار البوار ﴾ [إبراهيم : ٢٨] لما أسروهم بالكفر الموجب لحلول النار نسب ذلك إليهم لأنهم أسروهم به ؛ فالحق هو المحل لنار البوار ، وسبب إحلالها كفرهم ، وسبب كفرهم أمر أكابريهم بإيهام بالكفر الموجب لحلول النار .

الثالث : إطلاق اسم الكل على الجزء :

قال تعالى : ﴿ يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصوامع ﴾ [البقرة : ١٩] أى أناملهم وحكمة التنبيه عنها بالأصابع الإشارة إلى أنهم يدخلون أناملهم في آذانهم بثغر المتعاد فرارا من الشدة ، فكانهم جعلوا الأصابع .

وقال تعالى : ﴿ فاهسلوا ويوحىكم وأيديكم ﴾ [المائدة : ٦] واليد حقيقة إلى المنكب ، هذا إن جعلنا « إلى » بمعنى « مع » ولا يجب غسل جميع الوجه إذا ستره بعض الشعر الكثيف .

وقوله تعالى : ﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ﴾ [المائدة : ٣٨] والمراد هو البعض الذى هو الرغ .

وقال تعالى : ﴿ ومن لم يطمعه ﴾ [البقرة : ٢٤٩] أى من لم ينق .

وقوله تعالى : ﴿ تعجبك أجسامهم ﴾ [المتافون : ٤] والمراد وجوههم ؛ لأنه لم ير جملةهم .

ومنه قوله تعالى : ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ [البقرة : ١٨٥] لمشكلة الإمام (هو إمام الحرمين ، عبد الملك بن عبد الله) فى تفسيره ؛ من جهة أن الجزء إنما يكون بعد تمام الشرط والشرط أن يشهد الشهر ، وهو اسم لثلاثين يوما . وحاصل جوابه أنه أوقع الشهر وأراد جزءا منه ، وإرادة الكل باسم الجزء مجاز شعير .
وقتل عن على رضى الله عنه أن المعنى من شهد أول الشهر فليصم جميعه ، وأن الشخص متى كان مقيما أو فى البر ثم سافر

يجب عليه صوم الجميع . والجمهور على أن هذا عام ، مخصص بقوله : ﴿ فمن كان منكم مريضا ... ﴾ [البقرة : ١٩٦] ويضرب على هذا أن من أدرك الجزء الأخير من رمضان : هل يلزمه صوم ما سبق إن كان مجتازا فى أوله ؟ فيه قولان :

الرابع : إطلاق اسم الجزء على الكل :

كقوله تعالى : ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ ، أى ذاته . ﴿ ويبقى وجه ربك ﴾ [الرحمن : ٢٧] .

وقوله تعالى : ﴿ وحشا كنتم فلويا وجهكم شطره ﴾ [البقرة : ١٤٤] .

وقوله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ خاشعة ﴾ عاملة ناصبة ﴿ الغاشية : ٣٠٢ ﴾ ؛ يريد الأجساد ، لأن العمل والنسب من صفاتها . وأما قوله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناعمة ﴾ [الغاشية : ٨] فيجوز أن يكون من هلا ؛ غير بالوجه عن الرجال . ويجوز أن يكون من وصف البعض بصفة الكل لأن التعميم منسوب إلى جميع الجسد .

ومنه : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة ﴾ [القيامة : ٢٢] ؛ فالوجه المراد به جميع ما تقع به المواجهة لا الوجه وحده .

وقد اختلف فى تأويل « الوجه » الذى جاء مضافا إلى الله فى مواضع من القرآن ، فقل ابن عطية عن الحافظ أن رجوع إلى الوجود ، والعبارة عنه بالوجه مجاز ؛ إذ هو أظهر الأضواء فى المشاهدة وأجلها قدرا . وقيل - وهو الصواب - : هى صفة ثابتة بالسمع ، وثالثة على ما توجبه العقول من صفات الله تعالى . وضمه إمام الحرمين . وأما قوله تعالى : ﴿ ثم وجه الله ﴾ [البقرة : ١١٥] فالمراد الجهة التى وجهها إليها فى القبلة . وقيل : المراد به الجاه ، أى ثم جلال الله وعظمته .

وقوله تعالى : ﴿ فيما كسبت أيديكم ﴾ [الشورى : ٢٠] ﴿ ولا تلقوا بأيديكم ﴾ [البقرة : ١٩٥] تجوز بذلك من الجملة .

وقوله تعالى : ﴿ واضربوا منهم كل بنان ﴾ [الأنفال : ١٢] البنان الأصبع ؛ تجوز بها عن الأيدي والأرجل ، عكس قوله تعالى : ﴿ يجعلون أصابعهم ﴾ [البقرة : ١٩] .

وقوله تعالى : ﴿ فتنه ريرة ﴾ [المجادلة : ٣] .

وقوله تعالى : ﴿ سنمه على الخرطوم ﴾ [ن : ١٦] عبر بالألف من الوجه .

﴿ لأخلفتنا منه يالعين ﴾ [الحاقة : ٤٥] .

وقوله تعالى : ﴿ فإنه أقم قلبه ﴾ [البقرة : ٢٨٣] ، أصاب الإثم إلى القلب وإن كانت الجملة كلها آثمة ؛ من حيث كان محلا لأخذ الإثم والبر كما نسبت الكتابة إلى اليد من حيث إنها تفعل بها فى قوله تعالى : ﴿ مما كتبت أيديهم ﴾ [البقرة : ٢٩] وإن

[القيامه : ٤] أي نجعلها صفحة مستوية لا شقوق فيها كخف البعير ، فيعدم الإلتصاق بالأعمال اللطيفة ، كالكثابة والخياطة ونحوهما من الأعمال التي يستعان فيها بالأصابع ، قالوا : وذكرت البنان لأنه قد ذكرت البنان ، فاعتصم منها الطغها .

ويجوز أبو عبيدة ورود البعض وإرادة الكل ؛ وخرج عليه قوله تعالى : ﴿ ولما جاء موسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه ﴾ [الزخرف : ٦٣] أي كله ، وقوله تعالى : ﴿ وإن يك صادقا يصيبكم بعض الذي وعدكم ﴾ [غافر : ٢٨] وأنشد بيت لبيد :

تـرـك أـمـكـنـة إـذا لـم أـرـضـهـا

أو يمتلئ بعض النفوس حماسها
قال : والموت لا يمتلئ بعض النفوس دون بعض ؛ ويقال للنية : علوق ، وعلاقة . انتهى (جعل السويطي قسما مستقلا ، وألحقه بنقسم إطلاق الجزء على الكل ، ونقل قول أبي عبيدة) .
وهذا الذي قاله في أمران :

أحدهما : أنه ظن أن التي يجب عليه أن يبين في شريعته جميع ما اختلفوا فيه ؛ وليس كذلك ؛ بليليل سؤاليهم عن الساعة وعن الروح وغيرهما مما لا يملكه إلا الله . وأما الآية الأخرى ، فقال ثعلب : إنه كان وعدهم بشيء من المذاب : عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فقال : يصيبكم هذا المذاب في الدنيا ، وهو بعض الوعد - من غير نفى عذاب الآخرة .

الثاني : أنه أخطأ في فهم البيت ؛ وإنما مراد الشاعر ببعض النفوس نفسه هو ، لأنها بعض النفوس حقيقة ؛ ومعنى البيت : أنا إذا لم أرض الأمانة أتركها إلى أن أموت ؛ أي إذا تركت شيئا لا أعود إليه إلى أن أموت ، كقول الآخر :

إذا تـهـبـتـهـرقت عن الشيء لم تـكـتـد

إليه بسوجه أخسر السامر تسرجع
وقال الزمخشري : إن صحت الرواية عن أبي عبيدة ، فيدخل فيه قول المازني في مسألة « الملقى » : كان أجنى من أن يفقه ما أقول له . وأشار الزمخشري بذلك إلى أن أبا عبيدة قال المازني : ما أكذب النحويين ! فقلت له : لم قلت ذلك ؟ قال : يقولون : هاه التأنيث تدخل على ألف التأنيث وإن الألف التي في « ملقى » ملحقة ليست بالتأنيث ، قال : فقلت له : وما أنكرت من ذلك ؟ قال سمعت رؤية بن شد :

● قسـط في حلقى وفي مكور ●

فلم ينزهها ، فقلت : ما واحد الملقى ؟ فقال : علقته ، قال المازني : فأسفت ولم أفسر له لأنه كان أغفل من أن يفهم مثل هذا (الملقى : شجرة تدوم خضرتها في الفيظ ؛ ولها أفتان طوال)

كانت الجملة كلها كاتبة ولهذا قال : ﴿ وويل لهم مما يكسبون ﴾ [البقرة : ٧٩] .

وكذا قوله تعالى : ﴿ لا تتركه الأبيصار ﴾ [الأنعام : ١٠٣] وقيل : المعنى على حذف المضاف ؛ لأن المدرك هو الجملة دون الحامسة ، فأسند الإدراك إلى الأبيصار ، لأنه بها يكون .
وكقوله تعالى : ﴿ ويعلمركم الله نفسه ﴾ [آل عمران : ٢٨] ، أي إليه .

﴿ تعلم ما في نفسي ﴾ [المائدة : ١١٦] .

وجعل منه بعضهم قوله تعالى : ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبيصارهم ﴾ [النور : ٣٠] وحكى ابن فارس عن جماعة أن « من » هنا للتجھض ؛ لأنهم أمروا بالغض عما يحرم النظر إليه .

وقوله تعالى : ﴿ قم الليل ﴾ [المزمل : ٢] أي صل في الليل ؛ لأن القيام بعض الصلاة .

وكقوله تعالى : ﴿ وتقرآن الفجر ﴾ [الإسراء : ٧٨] أي صلاة الفجر .

ومنه : المسجد الحرام والمراد جميع الحرم .

وقوله تعالى : ﴿ ولركعوا مع الرماكين ﴾ [البقرة : ٤٣] أي المصلين .

﴿ يخرون لألقان سجدا ﴾ [الإسراء : ١٠٧] ، ﴿ ويخرون لألقان يكون ﴾ [الإسراء : ١٠٩] . أي الوجوه .

وقوله تعالى : ﴿ إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ﴾ [آل عمران : ٥] فغير بالأرض والسما عن العالم ؛ لأن المقام مقام الوعيد ؛ والوحيد إنما يحصل لو بين أن الله لا يخفى عليه أحوال العباد ؛ حتى يجازيهم على كفرهم وإيمانهم ، والعباد وأحوالهم ليست السماء والأرض بل من العالم ؛ فيكون المراد بالسماء والأرض العالم ؛ إطلاقا للجزء على الكل .

وقوله تعالى : ﴿ قل أذن غير لكم ﴾ [التوبة : ٦١] ، قال الفارسي : جعله على المجاز « أذننا » لأجل إصغائه ؛ قال : ولو صغرت « أذننا » هذه التي في هذه الآية ، كان في لحاق الناء فيها ونزكها نظر .

وجعل الإمام فخر الدين قوله تعالى : ﴿ وإذا جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا ﴾ [البقرة : ١٢٥] المراد به جميع الحرم ، لا صفة الكعبة فقط ، بديل قوله : ﴿ أنا جعلنا حرما آمنا ﴾ [التكوير : ٦٧] وقوله ﴿ هديا بالغ الكعبة ﴾ [المائدة : ٩٥] والمراد الحرم كله ، لأنه لا يذبح في الكعبة ، قال : وكذلك « المسجد الحرام » في قوله : ﴿ فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ﴾ [التوبة : ٢٨] والمراد منهم من الحج وحضور مواضع النسك .

وقيل في قوله تعالى : ﴿ بلى قاترين على أن نسوي شأنه ﴾

دقائق وورق لطاف ... والمكسور : جمع مكرة ؟ وهي نبتة تميل إلى الغيرة ، تنبت في السهل وفي السمر ، لها ورق وليس لها زهره ويعد :

• بين توارى الشمس والذئور •

انظر خبر أبي عبيدة مع المازني في إنباء الرواة / ١ / ٢٥٣ .

قلت : ويحتمل قوله تعالى : ﴿ يصيكم بعض الذي يهلككم ﴾ [غافر : ٢٨] أو الوعيد مما لا يستنكر ترك جميعه ، فكيف بعضه ! ويدل قوله تعالى في آخر هذه السورة : ﴿ فاصبر إن وعد الله حق فإما ترينك بعض الذي نعلمهم أو نتوفيكم فإينا يرجعون ﴾ [غافر : ٢٧] وفيها تأكيد لكلام تعلب أيضا .

وقد يوصف البعض ، كقوله تعالى : ﴿ يعلم خاتنة الأيمن ﴾ [غافر : ١٩] وقوله تعالى : ﴿ ناصية كاذبة خاطئة ﴾ [المائد : ٥] الخطأ صفة الكل فوصف به الناصية ، وأما الكاذبة : فصفة اللسان (جعله السويطي قسما خاصا سماه « وصف البعض بصفة الكل » وانظر الإتيان ٢ / ٣٧) .

وقد يوصف الكل بصفة البعض كقوله تعالى : ﴿ إنا عنكم وجلون ﴾ [الحجر : ١٦] والرجل صفة القلب .

وقوله تعالى : ﴿ ولعلتم منهم رجسا ﴾ [الكهف : ١٨] والرعب إنما يكون في القلب .

الخاص : إطلاق اسم المألوم على اللازم :

كقوله تعالى : ﴿ لم أتركنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون ﴾ [الروم : ٣٥] ، أي أتركنا برهانا يستدلون به ، وهو بدلهم ، سمي الدلالة « كلاما » لأنها من لوازم الكلام .

وقوله تعالى : ﴿ صم وبكم في الظلمات ﴾ [الأنعام : ٣٩] فإن الأصل « صم » لقوله في موضع آخر : ﴿ صم يكم صم ﴾ [البقرة : ١٨] ، لكن أتى بالظلمات لأنها من لوازم العمى .

السادس : إطلاق اسم اللازم على المألوم : كقوله تعالى : ﴿ فلولا أنه كان من المسبحين ﴾ [الصفات : ١٤٣] أي المصلين .

السابع : إطلاق اسم المطلق على المقيد :

كقوله تعالى : ﴿ فمعرفة الناقة ﴾ [الأعراف : ٧٧] والمعاق لها من قوم صالح قدار ؛ لكنهم لما رضوا الفعل نزلوا منزلة الفاعل .

الثامن : عكسه :

كقوله تعالى : ﴿ تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ﴾ [آل عمران : ٦٤] والمراد كلمة الشهادة ، وهي عدة كلمات .

التاسع : إطلاق اسم الخاص وإرادة العام :

كقوله تعالى : ﴿ إني رسول رب العالمين ﴾ [الزخرف : ٤٦] أي رسله .

وقال : ﴿ هم العدو فاحذرهم ﴾ [المنافقون : ٤] أي الأعداء .

﴿ وخضعت كالذي خاضوا ﴾ [التوبة : ٦٩] أي الذين .

وقوله تعالى : ﴿ علمت نفس ﴾ [التكوير : ١٤] أي كل نفس

وقوله تعالى : ﴿ وجزاء سبعة مئة مثلها ﴾ [الشورى : ٤٠] أي كل سئة .

وقوله تعالى : ﴿ يا أيها النبي اقم الله ولا تطع الكافرين ﴾ [الأحزاب : ١] الخطاب للنبي ﷺ ، والمراد الناس جميعا .

العاشر : إطلاق اسم العام وإرادة الخاص :

كقوله تعالى : ﴿ ويستغفرون لمن في الأرض ﴾ [الشورى : ٥] أي للمؤمنين ، بدليل قوله في موضع آخر : ﴿ ويستغفرون للذين آمنوا ﴾ [غافر : ٧] ولما خفي هذا على بعضهم زعم أن الأولى مسروعة بالثانية .

وكقوله تعالى : ﴿ كل له قاتنون ﴾ [البقرة : ١١٦] أي أهل طاعته ، لا الناس أجمعون ، حكمة الواحدي عن ابن عباس وغيره ، واختاره الفراء (في معاني القرآن ١ / ٧٤ ، ونص عيارته عند شرح الآية : « يريد مطيعون ، وهذه خاصة لأهل الطاعة ليست بعامه ») .

وقوله تعالى : ﴿ كان الناس أمة واحدة ﴾ [البقرة : ٢١٣] قيل : المراد بالناس هنا نوح ومن معه في السفينة ، وقيل آدم وحواء وقوله تعالى : ﴿ وآل عمران على العالمين ﴾ [آل عمران : ٣٣] أي عالمي زمانه ، ولا يصح العموم ؛ لأنه إذا فضل أحدهم على العالمين فقد فضل على سائرهم ؛ لأنه من العالمين ، فإذا فضل الآخرين على العالمين فقد فضلهم أيضا على الأول ؛ لأنه من العالمين ، فيصير الفاضل مفضولا ؛ ولا يصح .

وقوله : ﴿ ما تدر من شيء أثبت عليه إلا جعلته كالريم ﴾ [الذاريات : ٤٢] أي شيء يحكم عليه بالنعاب ، بدليل قوله : ﴿ فاصبحوا لا يرى إلا مساكنتهم ﴾ [الأحقاف : ٢٥] .

وقوله تعالى : ﴿ ندمر كل شيء بأمر ربها ﴾ [الأحقاف : ٢٥] ولم تجتبع هودا والمسلمين معه .

وقوله تعالى : ﴿ ففتحنا عليهم أبواب كل شيء ﴾ [الأنعام : ٤٤] أي كل شيء أحبوه .

وقوله تعالى : ﴿ حتى إذا جاءهم لم يجدوا شيئا ﴾ [النور : ٣٩] أي مما ظنه وقدره .

وقوله تعالى حكاية عن نبي ﷺ : ﴿ وأنا أول المسلمين ﴾ [الأنعام : ١٦٣] ومن موسى ﴿ وأنا أول المؤمنين ﴾ [الأعراف : ١٤٣] ولم يرد الكل ؛ لأن الأنبياء قبله ما كانوا مسلمين ولا مؤمنين .

وقال تعالى : ﴿ والشعراء يتبعهم الغاؤون ﴾ [الشعراء : ٢٢٤]

ولم يمن كل الشعراء .

المضاهى ليس من المجاز؛ لأنه استعمال اللفظ فيما وضع له ، ولأن الكلمة المحلولة ليست كذلك ، وإنما التجوز فى أن ينسب إلى المضاهى إليه ما كان منسوباً إلى المضاهى ، كالأثلة السابقة . الثالث عشر : الزيادة : كقوله تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ [الشورى : ١١] ذكره الأصوليون .

وللنحويين فيها قولان : أحدهما : أن « مثل » زائدة ؛ والتقدير : ليس كهو شيء . والثاني - وهو المشهور - : أن الكاف هى الزائدة ، وأن « مثل » خبر ليس . ولا خلاف أن القول بزيادة الحرف أسهل من القول بزيادة الاسم .

ومن قال به ابن جنى والسيبى وغيرهما ، فقالوا : المعنى ليس مثله شيء ، والكاف زائدة ، وإلا لاستحال الكلام ، لأنها لو لم تكن زائدة كانت بمعنى « مثل » وإن كانت حرفاً ، فيكون التقدير : ليس مثل مثله شيء ، وإذا قدر هذا التقدير ثبت له مثل ، ونفى الشيء عن مثله ؛ وهذا محال من وجهين : أحدهما : أن الله عز وجل لا مثل له .

والثاني : أن نفس اللفظ به محال فى حق كل أحد ، وذلك أنا لو قلنا : ليس مثل مثل زيد ، لاستحال ذلك ، لأن فيه إثبات أن لزيد مثلاً ، وذلك يستلزم جعل زيد مثلاً له ؛ لأن ما ماثل الشيء فقد ماثله ذلك الشيء . وغير جائز أن يكون زيد مثلاً لعمرو ، وعمرو ليس مثلاً لزيد ، فإذا نفينا المثل عن مثل زيد ، وزيد هو مثل مثله ، فقد اختلفا . ولأنه يلزم منه التناقض على تقدير إثبات المثل ، لأن مثل المثل لا يصح نفيه ضرورة كونه مثلاً لشيء وهو مثل له .

وأجيب عن الأول بأننا لا نسلم لزوم إثبات المثل ، غاية ما فيه نفي مثل مثل الله ؛ وذلك يستلزم ألا يكون له مثل أصلاً ، ضرورة أن مثل كل شيء فذلك الشيء مثله ، فإذا انتفى عن شيء أن يكون مثل عمرو انتفى عن عمرو أن يكون مثله .

وأما الثانى فهو مبنى على أن هذه العبارة يلزم منها إثبات المثل ، ونحن قد منتهاه ، بل أحلناه من العبارة .

وقيل : ليست زائدة . إما لاعتبار جواز سلب الشيء عن المعدوم ، كما تسلب الكتابة عن زيد وهو معدوم ، أو بحمل المثل على المثل ، أى الصفة ، كقوله تعالى : ﴿ مثل الجنة ﴾ [الرعد : ٣٥] و [محمد : ١٥] أى صفتها ، فالتقدير : ليس كصفته شيء .

ويهلين التقديرين يحصل التخلص عن لزوم إثبات « مثل » وإن لم تكن زائدة .

وأما القائلون بأن الزائد « مثل » ، وإلا لم يثبت المثل ، ففيه نظر

وقوله تعالى : ﴿ فإن كان له إخوة ﴾ [النساء : ١١] أى أخوان فصاعداً .

وقوله تعالى ﴿ وادخلوا الباب سجداً ﴾ [الأعراف : ١٦١] أى باباً من أبوابها ، قاله المفسرون .

وقوله تعالى ﴿ قالت الأعراب آمنا ﴾ [الحجرات : ١٤] وإنما قاله فريق منهم .

﴿ وما منعنا أن نرسل مبشرين ﴾ [الأعراف : ١٦١] أى أن كذب بها الأولون ﴿ الإسراء : ٥٩ ﴾ وأراد الآيات التى إذا كذب بها نزل العذاب على المكذب .

وقوله تعالى : ﴿ ويستغفرون لمن فى الأرض ﴾ [الشورى : ٥] أى من المؤمنين .

وقوله تعالى : ﴿ ويستغفرون للذين آمنوا ﴾ [غافر : ٧] .

وقوله تعالى : ﴿ وكذب به قومك وهو الحق ﴾ [الأنعام : ٦٦] والمراد بعضهم ، فإن منهم أشخاص المسلمين والصديق وعليها رضى الله عنهم .

وقوله تعالى : ﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم ﴾ [آل عمران : ١٧٣] فإن « الناس » الأولى لو كان المراد به الاستغراق لما انتظر قوله تعالى بعد ذلك : ﴿ إن الناس ﴾ ، ولأن « الذين » من « الناس » ؛ فلا يكون الثانى مستغنياً ، ضرورة خروج « الذين » منهم ، لأنهم لم يقولوا لأنفسهم .

وقوله : ﴿ الحج أشهر معلومات ﴾ [البقرة : ١٩٧] والمراد شهران وبعض الثالث .

الحادى عشر : إطلاق الجمع وإرادة المثنى :

كقوله تعالى : ﴿ فقد صفت قلوبكما ﴾ [التحريم : ٤] ؛ أطلق اسم القلوب على القلبين .

الثانى عشر : التخصيص :

ومنه حذف المضاهى ، وإقامة المضاهى إليه مقامه ، كقوله : ﴿ وسألك القرية ﴾ [يوسف : ٨٧] أى أهلها .

وقوله : ﴿ ربنا وآتانا ما وصحتنا على رسلك ﴾ [آل عمران : ١٩٤] أى على لسان رسلك .

وقالوا : ﴿ نحن أنصار الله ﴾ . أى أنصار دين الله .

وقال : ﴿ وأشرىوا فى قلوبهم المجل ﴾ [البقرة : ٩٣] أى حبه .

﴿ واختار موسى قومه ﴾ [الأعراف : ١٥٥] أى من قومه . قالوا : وإنما يحسن الحذف إذا كان فيه زيادة مبالغة ، والمحذوفات فى القرآن على هذا النمط ، وسبب الإشباع فيه ، وفى شروطه إن شاء الله تعالى (الأسلوب الثانى من أساليب القرآن فى النوع السادس والأربعين) ونعذب المحققون إلى أن حذف

فسم الله يعلم ويرى ، قال : والوجه قد ورد صلة مع اسم الله كثير ، كقوله : ﴿ ويحيى وجه ريك ﴾ [الرحمن : ٢٧] ﴿ إنما نطمعكم لوجه الله ﴾ [الإنسان : ٩] ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ [القصص : ٨٨] .

قلت : والأشبه حمله على أن المراد به بالذات ، كما في قوله تعالى : ﴿ بلى من أسلم وجهه لله ﴾ [البقرة : ١٧٢] وهو أولى من دعوى الزيادة .

ومن الزيادة دعوى أبي عبيدة ﴿ يسمعولكم إذ تدهون ﴾ [الشعراء : ٧٧] أن ﴿ إذ ﴾ زائدة .

وقوله تعالى : ﴿ ولأحل لكم بعض الشيء حرم عليكم ﴾ [آل عمران : ٥٠] .

وقوله تعالى : ﴿ وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم ﴾ [غافر : ٢٨] وقد سبق .

الرابع عشر : تسمية الشيء بما يتوّل إليه ؟

كقوله تعالى : ﴿ ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا ﴾ [نوح : ٢٧] أي صائرا إلى الفجور والكفر .

وقوله تعالى : ﴿ إني أراي أحمل فوق رأسي خيرا ﴾ [يوسف : ٣٦] أي لأن الذي تأكل الطير منه إنما هو البيض لا الخبز . ولم يذكر العلماء هنا من جملة الأكلة ؛ إنما اقتصرنا في التشيل على قوله تعالى : ﴿ أحمر خمرًا ﴾ [يوسف : ٣٦] أي عينا ، فغيره عنه لأنه آبل إلى الخمرة . وقيل : لا مجاز فيه ، فإن الخمر الغيب بعينه لغة لأرد عمان ؛ نقله الفارسي في « التذكرة » (ذكره صاحب كشف الظنون وقال : « وهو كبير في مجلدات ، لخصه أبو الفتح عثمان ابن جني ») عن « غريب القرآن » لابن دريد .

وقيل : اكتفى بالمسبب ، الذي هو الخمر ، عن السبب ، الذي هو الغيب . قاله ابن جني في « الخصائص » (الخصائص ٣ / ١٧٧)

وقيل : لا مجاز في الاسم بل في الفعل ، وهو ﴿ أحمر ﴾ ؛ فإنه أطلق ولريد به أستخرج ، وإليه ذهب ابن عزيز في غريبه (هو السجستاني صاحب غريب القرآن) .

وقوله تعالى : ﴿ حتى تنكح زوجا غيره ﴾ [البقرة : ٢٣٠] سمع زوجا لأن العقد يتوّل إلى زوجية ، لأنها لا تنكح في حال كونه زوجا .

وقوله تعالى ﴿ فيشره بفلاح حلیم ﴾ [الصافات : ١٠١] ﴿ ويشرفه بفلاح عليم ﴾ [الذاریات : ٢٨] وصفه في حال البشارة بما يتوّل إليه من العلم والحلم .

تنبيه : ليس هذا من الحال المقدرة . كما يتبادر إلى الذهن . لأن الذي يفتقر بالفعل ، أو المفعول إنما هو تقدير ذلك وإرادته ، فيكون المعنى في قوله : ﴿ فيقسم ضاحكا ﴾ [النمل : ١٩] مقدرا ضحكه .

وكذا قوله تعالى : ﴿ وعروها لسجدا ﴾ [يوسف : ١٠٠] على

لاستازام تقدير دخول الكاف على الضمير ؛ وهو ضعيف لا يجيء إلا في الشعر . وقد ذكرنا ما يخلص من لزوم إثبات المثل .

وقيل : المراد الذات والعين ، كقوله تعالى ﴿ فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به ﴾ [البقرة : ١٣٧] وقول امرئ القيس :

« على مثل ليلى يقتل العرم نفسه »

فالكاف على بابها ، وليس كذلك ، بل المراد حقيقة المثل ليكون نغيا عن الذات بطريق برهاني كسائر الكتابات . ثم لا يشترط على هذا أن يكون تلك الذات المملوكة مثل في الخارج حصل النفي عنه ؛ بل هو من باب التخييل في الاستعارة التي يتكلم فيها البياني .

فإن قيل : إنما يكون هذا نغيا عن الذات بطريق برهاني أن لو كانت الصماء تستدعي المساواة في الصفات الذاتية وغيرها من الأقسام ؛ فإن اتفاق الشخصيتين بالصفات لا يستلزم اتحاد أفعالهما .

قيل : ليس المراد بالممثل هنا المصطلح عليه في العلوم العقلية ، بل المراد من هو مثل حاله في الصفات المناسبة لما سبق الكلام له ، وليس المراد من هو مثل في كل شيء لأن لفظة « مثل » لا تستدعي المشابهة من كل وجه .

وقال الكواشي (ت ٦٨٠) وله تفسيران : أحدهما كبير صماء البصرة ، والثاني صغير صماء التلخيص ؛ يجوز أن يقال : إن الكاف « مثل » ليسا زائدتين ؛ بل يكون التمثيل هنا على سبيل الفرض ، كقوله تعالى : ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ﴾ [الأنبياء : ٢٢] وتفسير الكلام : لو فرضنا له مثلا لامتص أن يشبه ذلك المثل المفروض شيء ؛ وهذا أبلغ في نفي المماثلة .

وأما قوله تعالى : ﴿ فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اعتدوا ﴾ [البقرة : ١٣٧] ، فقيل : إن « ما » فيه مصدرية . وهذا فيه نظر ، لأن « ما » لو كانت مصدرية لم يعد إليها من الصلة ضمير ، وهو الهاء في « به » ؛ لأن الضمير لا يعود على الحروف ، ولا يعتبر اسما إلا بالصلة ، والاسم لا يعود عليه ضمير ما هو صفة ؛ إذ لا يحتاج في ذلك إلى ربط .

وجوابه أن تكون « ما » موصولة ؛ صلتها « آمنتم به » .

وقيل : من جملة ، والتقدير فإن آمنوا بالذي آمنتم به ، أي بالله وملائكته وكتبه ورسله وجميع ما جاء به الأنبياء .

وقيل : إن « مثلا » صفة لمصطوف تقديره : فإن آمنوا بشيء مثل ما آمنتم به . وفيه نظر ، لأن ما آمنوا به ليس له مثل حتى يؤمنوا بذلك المثل .

وحكى الواحد من أكثر المفسرين في قوله تعالى : ﴿ فأنما تولوا فتحم وجه الله ﴾ . البقرة : ١١٥ أن « الوجه » صلة ؛ والمعنى

فيها خالفون ﴿ آل عمران : ١٠٧ ﴾ أي في الجنة لأنها محل الرحمة .

وقوله تعالى : ﴿ بل مكر الليل والنهار ﴾ [صبا : ٣٣] أي في الليل .

وقال الحسن في قوله : ﴿ إذ يريكم الله في منامكم ﴾ [الأنفال : ٤٣] أي في عينك ، واستبعده الزمخشري وقدر: يعنى في رؤياك .

وقوله تعالى : ﴿ رب اجعل هذا البلد آمناً ﴾ [إبراهيم : ٣٥] وصف البلد بالأمن ، وهو صفة لأهله . ومثله : ﴿ وهذا البلد الأمين ﴾ [التين : ٣] ﴿ إن المتقين في مقام أمين ﴾ [النشأان : ٥١] وقوله تعالى : ﴿ بلدة طيبة ﴾ [صبا : ١٥] وصفها بالطيب وهو صفة لهوائها .

وقد اجتمع هذا والذي قبله في قوله تعالى : ﴿ يا بني آدم خلوا زياتكم عند كل مسجد ﴾ [الأعراف : ٣١] ، وذلك لأن أخذ الزينة غير ممكن ، لأنها مصدر فيكون المراد محل الزينة ، ولا يجب أخذ الزينة للمسجد نفسه فيكون المراد بالمسجد الصلاة ، فأطلق اسم المحل على الحال وفي الزينة بالعكس .

الثامن عشر : إطلاق اسم آلة الشيء عليه : كقوله تعالى ﴿ واجعل لى لسان صدق فى الآخرين ﴾ [الشعراء : ٨٤] أى ذكرنا حسنا ، أطلق اللسان ويبره عن الذكر لأن اللسان آلة الذكر .

وقال تعالى : ﴿ تجري يا هيتنا ﴾ [القمر : ١٤] أى بمرأى منا ، لما كانت العين آلة الرؤية .

وقوله تعالى : ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ﴾ [إبراهيم : ٤] أى بلسان قومه .

التاسع عشر : إطلاق اسم الصديق على الآخر : كقوله تعالى : ﴿ وبيزاه سيئة ميتة مثلها ﴾ [الشورى : ٤٠]

وهى من المبتدئ سيئة ومن الله حسنة ، فحمل اللفظ على اللفظ . وعكسه : ﴿ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴾ [الرحمن : ٦٠]

سمى الأول إحساناً لأنه مقابل لجزائه وهو الإحسان ، والأول طاعة ، كأنه قال : هل جزاء طاعة إلا الثواب .

وكذلك : ﴿ ومكروا ومكر الله ﴾ [آل عمران : ٥٤] حمل اللفظ على اللفظ ، فخرج الانتقام بلفظ اللب ، لأن الله لا يكر .

وأما قوله تعالى : ﴿ فأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ﴾ [الأعراف : ٩٩] ، فهو وإن لم يتقدم ذكر مكرهم فى اللفظ لكن تقدم فى سياق الآية قبله ما يصير إلى مكر ، والمقابلة لا يشترط فيها ذكر المقابل لفظاً ، بل هو ، أو ما فى معناه .

وكذلك قوله : ﴿ فيشرهم بمدب اليم ﴾ [التوبة : ٣٤] ، لما

قول أبى على . وهذا حمل منه للخبر على ابتدائه ، وإن حملة على انتهائه كانت الحال الملقوظ بها ناجزة غير مقدره .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ فادخلوها خالدين ﴾ [الزمر : ٧٣] أى ادخلوها مقدرين الخلود فيها ، فإن من دخل دخلاً كريماً مقدراً ألا يخرج منه أبداً كان ذلك أتم لسوره ونعيمه ، ولو تروم انقطاعه لانتقص عليه النعيم الناجز مما يتوهمه من الانقطاع اللاحق .

الخامس عشر : تسمية الشيء بما كان عليه :

كقوله تعالى : ﴿ وآتوا يتامى أموالهم ﴾ [النساء : ٢] أى الذين كانوا يتامى إذ لا يتم بعد البلوغ . وقيل : بل هم يتامى حقيقة ، وأما حديث : لا يتم بعد احتلام فهو من تعليم الشرع لا اللغة ، وهو غريب .

وقوله : ﴿ ولكم نصف ما ترك أزواجكم ﴾ [النساء : ١٢] وإذا مشى لم يكن أزواجاً ، فسامهن بذلك لأنهن كن أزواجاً .

وقوله تعالى : ﴿ فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن ﴾ [البقرة : ٢٢٤] أى الذين كانوا أزواجهم وكذلك : ﴿ ويلسرون أزواجاً ﴾ لا تنقطع الزوجية بالموت .

وقوله تعالى ﴿ من يأت ربه مجرباً ﴾ [طه : ٧٤] سمعه مجرباً باعتبار ما كان عليه فى الدنيا من الإجمام .

وقوله تعالى : ﴿ هذه بضاعتنا ردت إلينا ﴾ [يوسف : ٦٥] ولكن ما رده عليهم مالهم ، وإنما كانوا قد اشتروا بها الميرة ، فجعلها يوسف فى متاعهم ، وهى له دونهم ، فنسبها الله إليهم ، بمعنى أنها كانت لهم .

السادس عشر : إطلاق اسم المحل على الحال كقوله تعالى : ﴿ فليدح ناديه ﴾ [الملق : ١٧] .

وقوله تعالى : ﴿ وفرش مرفوعة ﴾ [الواقعة : ٣٤] أى نسائه ، بدليل قوله : ﴿ إنا أنشأناهن إنشاء ﴾ [الواقعة : ٣٥] .

وكالتعبير باليد عن القدرة ، كقوله تعالى : ﴿ بيده الملك ﴾ [الملك : ١] ونحوه .

والتعبير بالقلب عن الفعل ، كقوله تعالى : ﴿ لهم قلوب لا يفقهون بها ﴾ [الأعراف : ١٧٩] أى قلوب . وبالأفواه عن الألسن كقوله تعالى : ﴿ الذين قالوا آمنا بأولاهم ﴾ [المائدة : ٤١] ﴿ يقولون بأولاهم ﴾ [آل عمران : ١٦٧] .

وإطلاق الألسن على اللغات ، كقوله : ﴿ بلسان عربى ميين ﴾ [الشعراء : ١٩٥] والتعبير بالقرية عن ساكنها ، نحو : ﴿ بلسان القرية ﴾ [يوسف : ٨٢] .

السابع عشر : إطلاق اسم الحال على المحل : كقوله تعالى : ﴿ وأما الذين ابشت وجوههم فى رحمة الله هم

قال : بشر هؤلاء بالجنة قال : بشر هؤلاء بالعذاب ، والبشارة إنما تكون في الخير لا في الشر .

وقوله : ﴿ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ ﴾ [هود : ٣٨] والفعل الثاني ليس بسخرة .

المعشرون : تسمية الداعي إلى الشيء باسم المصارف عنه : لما بينهما من التعلق ، ذكره السكاكي ، وخرج عليه قوله تعالى : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ لَا تُسْجِدَ ﴾ [الأعراف : ١٢] يعني : ما دعاك ألا تسجد ؟ واعتصم بذلك في عدم زيادة « لا » :

وقيل : معناه : ما حملك في ألا تسجد - أي من الحقوة - أي ما جعلك في منعة من عقوبة به ترك السجود .

وهذا لا يصح ؛ أما الأول فلم يثبت في اللغة وأما الثاني فكان تركيبه : « ما يمنعك » سوألا عما يمنعه لا بلفظ الماضي ، لأنه لا تخويف بماض .

ويجاب بأن المخالفة تقتضي الأثمة ، كأنه قيل : ما منعك حتى خالفت ! بيانا لانقراضه وعدم رشده ، وأنه إنما خالف وحاله حال من امتنع بقوته من عذاب ربه ، لكنني عنه به « ما منعك » تهكما ، لا أنه امتنع حقيقة وإنما جسر جسارة من هو في منعة .

ورد أيضا بأنه أجاب به ﴿ أنا خير ﴾ ، وهو لا يصلح جوابا إلا لترك السجود .

وأجيب بأنه لم يجب ، ولكن عدل بذلك عن جواب ما لا يمكن جوابه .

الحادي والعشرون : إقامة صيغة مقام أخرى : وله صور :

فمنه « فاعل » بمعنى « مفعول » ، كقوله تعالى : ﴿ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ [هود : ٤٣] أي لا معصوم .

وقوله تعالى : ﴿ مِنْ مَادٍ دَافِقٍ ﴾ [الطارق : ٦] أي مدفوق . و ﴿ فِي حَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾ [القنقرة : ٧] أي مرضية بها . وقيل

على النسب ، أي ذات رضاء ، وهو مجاز لإفراد لا تركيب . وقوله تعالى : ﴿ أَنَا جَعَلْنَا حُرْمًا قَرْنًا ﴾ [التكوين : ٦٧] أي مأموئا .

ومعك : ﴿ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا ﴾ [مريم : ٦١] ، أي آتيا . وجعل منه بعضهم قوله تعالى : ﴿ حِجَابًا مُسْتَوِيًا ﴾ [الإسراء :

٤٥] أي ساترا ، وحكي الهروي في « الغرب » عن أصل للغة ، « وتأويل الحجاب الطبع » .

وقال السبيلي : الصحيح أنه على بابيه ، أي مستويا عن العيون ، لا يحس به أحد ، والمعنى « مستور عنك وهنهم » ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [الم نشر : ٣١] .

وقال الجبري (ت ٤٠٠ هـ) : « أي حجابا على حجاب ، والأول مستور والثاني ، يراد بذلك كثافة الحجاب ، لأنه جعل على قلوبهم أكنة وفى آذانهم وقرا » .

قال أبو الفتح (عثمان بن جني) في كتابه « هذا القدر » : وسألته - يعني الفارسي - إذا جعلت فاعلا بمعنى مفعول ، فعلام ترفع الضمير الذي فيه ؟ أعلى حد ارتفاع الضمير في اسم الفاعل أم اسم المفعول ؟ فقال : إن كان بمعنى « مفعول » ارتفع الضمير فيه ارتفاع الضمير في اسم الفاعل ، وإن جاء على لفظ اسم الفاعل ، ومنه « قيل » بمعنى « مفعول » كقوله تعالى ﴿ وَكَانَ الْكَافِرَ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴾ [الفرقان : ٥٥] أي مظهورا فيه ، ومنه ظهرت به فلم ألفت إليه .

أما نحو : ﴿ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٧٨] فقال بعض النحويين : إنه بمعنى « مؤلم » ورده النحاس ، بأن « مؤلما » يجوز أن يكون قد ألم ثم زال ، و « أليم » أبلغ ، لأنه يدل على الملازمة ، قال : ولهذا منع التحويل إلا سيوره أن يعلى « فاعل » .

ومنه معنى المصغر على « فاعل » ، كقوله تعالى : ﴿ لَمَنْ أُرَادَ أَنْ يَنْذِرَ أَوْ أُرَادَ شُكْرًا ﴾ [الفرقان : ٦٢] وقوله : ﴿ لَا تَزِدْ مِنْكُمْ حِزَابًا وَلَا شُكْرًا ﴾ [الإنسان : ٩] فإنه ليس المراد الجمع هنا ، بل المراد : لا تزيد منكم شكرا أصلا ، وهذا أبلغ في قصد الإخلاص في تقي الأنواع .

وزعم السبيلي أنه جمع « شكر » ، وليس كذلك لقوات هذا المعنى .

ومنها إقامة الفاعل مقام المصدر ، نحو : ﴿ لَيْسَ لَوُفْعَتِهَا كَافَّةً ﴾ [السواقعة : ٢] أي تكليب ، وإقامة المفعول مقام المصدر ، نحو : ﴿ بِأَيْكُمُ الْمُفْتُونِ ﴾ [القلم : ٦] أي الفتنة .

ومن وصف الشيء بالمصدر ، كقوله تعالى : ﴿ فَانْهَمْ حِدَى لِي ﴾ [الشعراء : ٧٧] ، قالوا : إنما رشد ، لأنه في معنى المصدر ، كأنه قال : « فانهم عداوة » .

ومعنى « المصدر بمعنى المفعول » كقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] أي من معلومه .

وقوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ يُلْهِفُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ [النجم : ٣٠] ، أي من المعلوم .

وقوله تعالى : ﴿ صَنَعَ اللَّهُ ﴾ [النمل : ٨٨] ، أي مصنعه . وقوله تعالى : ﴿ هَذَا رِجْسٌ مِنْ رِبِّى ﴾ [الكهف : ٩٨] أي

مترحم ، قاله الفارسي . وكذا قوله تعالى : ﴿ فَاهْوِيَنِي بِقُوَّةِ ﴾ [الكهف : ٩٥] أي

مقوى به ، ألا ترى أنه أراد منهم زير الحديد والفتح عليها ! وقوله : ﴿ وَفَدَّ خَابٌ مِنْ حِمْلِ ظُلُمًا ﴾ [طه : ١١١] أي

مظلوما فيه . وقوله تعالى : ﴿ وَجَاهُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾ [يوسف :

١٨] أي مكلوب فيه ، ولا لو كان على ظاهره لأشكل ، لأن الكذب من صفات الأقوال لا الأجسام . وقال الفراء : يجوز في

التحو « بدم كذبا » بالنصب على المصدر لأن « وجاهوا » فيه معنى « كذبوا كذبا » ، كما قال تعالى : ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴾ [العاديات : ٦] لأن « العاديات » بمعنى « الضابحات » .

والتحقيق ما قاله النبي أنه جعل الدلالة على التجارة سببا لوجودها، والتجارة هي الإيمان، ولذلك فسرها بقوله: ﴿تؤمنون﴾ [الصف: ١١] تعلم أن التجارة من جهة الحالة هي الإيمان، فالدلالة سبب الإيمان، والإيمان سبب الغفران، وسبب السبب سبب. وهذا النوع فيه تأكيد؛ وهو من مجاز التشبيه، شبه الطلب في تأكيده بخبر الصادق الذي لا بد من وقوعه، وإذا شبهه بالخبر الماضي كان أكد.

ومنه عكسه كقوله تعالى: ﴿فليمدد له الرحمن مدا﴾ [مریم: ٧٥] والتقدير: مده الرحمن مدا.

وقوله: ﴿اتبعوا سيبلنا ولنحمل خطاياكم﴾ [المنكوت: ١٢] أي نحمل.

قال الكواشي: والأمر بمعنى الخبر أبلغ من الخبر لتضمنه اللزوم، نحو: إن زنتنا فلنكركم، يريدون تأكيد إيجاب الإكرام عليهم، كما قال الشيخ عز الدين: مقصوده تأكيد الخبر؛ لأن الأمر للإيجاب يشبه الخبر في إيجابه.

(في كتابه الإشارة ص ٢٨ ومبارته «الترغ السامح»: التجوز بلفظ الأمر عن الخبر تركيبا للخبر، لأن الأمر للإيجاب، فيشبه به الخبر في إيجابه، وله مثالان: أحدهما قوله: ﴿قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا﴾ تقديره: قل من كان في الضلالة يمدد له الرحمن مدا. الثاني قوله: ﴿اتبعوا سيبلنا ولنحمل خطاياكم﴾ تقديره: اتبعوا سيبلنا لنحمل خطاياكم.)

وجعل الفارسي منه قوله تعالى: ﴿إنما أمرنا لنفسه إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ [النحل: ٤٠] قال: ﴿كن﴾ لفظه أمر والمراد الخبر، والتقدير: يكون فيكون أو على أنه خبر مبدأ محذوف؛ أي فهو يكون، قال: ولهذا أجمع القراء على رفع ﴿فيكون﴾ ولفظوا به النصب؛ إلا ما روى عن ابن عامر، وسوغ النصب لكونه بصيغة الأمر قال: ولا يجوز أن يكون معطوفا على ﴿تقول﴾ فيجوز النصب على الفعل المنصوب؛ لأن ذلك لا يطرد، بدليل قوله: ﴿إن مثل موسى عبد الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾ [آل عمران: ٥٩]؛ إذ لا يستقيم هنا المعطف المذكور، لأن ﴿قال﴾ ماضٍ.

﴿ويكون﴾ مضارع، فلا يحسن عطفه عليه لاختلافهما. قلت: وهذا الذي قاله الفارسي خفيف مخالف لقواعد أهل السنة.

ومنه إطلاق الخبر وإزادة النهي، كقوله تعالى ﴿لا تعبثوا إلا الله﴾ [البقرة: ٨٢] ومعناه: ﴿لا تعبثوا﴾. وقوله تعالى: ﴿لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم﴾ [البقرة: ٨٤] أي لا تسفكوا ولا تخرجوا.

وعكسه: ﴿وإنه للو علم لما علمناه﴾ [يوسف: ٦٨]. ومنه «فيل» بمعنى الجمع؛ كقوله تعالى: ﴿والملأكة بعد ذلك ظهير﴾ [التحريم: ٤].

وقوله تعالى: ﴿غصصونا نجيا﴾ [يوسف: ٨٠]. وقوله تعالى: ﴿وحسن أولئك رفيقا﴾ [النساء: ٦٩].

وشروط بعضهم أن يكون المخبر عنه جمعا، وأنه لا يجيء ذلك في المثني؛ ويروى قوله تعالى: ﴿من اليمين ومن الشمال قميد﴾ [ق: ١٧] فإنه نقل الواحدى من المبرد، وابن عطية عن الفراء أن «قميد» استدلهما.

وقد يقع الإخبار بلفظ المفرد عن لفظ الجمع، وإن أريد معناه لئكة، كقوله تعالى: ﴿أم يقولون نحن جميع منتصر﴾ [القمص: ٤٤] لأن سبب النزول وهو قول أبي جهل «نحن نتصير اليوم» يقضى بإعراب «منتصر» خبرا.

(في تفسير الكشف: عن أبي جهل أنه ضرب فرسه يوم بدر، فتقدم في الصف وقال: نحن نتصير اليوم من محمد وأصحابه، فنزلت: ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾.)

ومنه إطلاق الخبر وإزادة الأمر، كقوله تعالى: ﴿والوالمالات يرضعن أولادهم﴾ [البقرة: ٢٣٣] أي ليرضعن الوالمالات أولادهم. وقوله: ﴿يرضعن بأنفسهن﴾ [البقرة: ٢٣٤] أي ترضعن المتولى منها.

وقوله تعالى: ﴿تزرعون سبع سنين دأبا﴾ [يوسف: ٤٧] والمعنى: تزرعوا سبع سنين، بدليل قوله: ﴿فقرره في سنبله﴾ [يوسف: ٤٧].

وقوله: ﴿تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون﴾ [الصف: ١١]، معناه آمنوا وجاهدوا، ولذلك أجيب بالجزم في قوله: ﴿يفغر لكم من فتونكم ويدخلكم جنات﴾ [الصف: ١٢] ولا يصح أن يكون جوابا للاستفهام في قوله: ﴿هل أهلكم﴾ [الصف: ١٠] لأن المنفرة وإدخال الجنات لا يترتبان على مجرد الدلالة؛ قاله أبو البقاء والشيخ عن الدين.

(أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري في كتابه: «إملاء ما مرَّ به الرحمن من وجوه الإعراب في القرآن» ٢ / ١٤٠، والعبارة فيه: «وقال الفراء: هو جواب الاستفهام على اللفظ، وفيه بعد: لأن دلالة إيهام لا توجب المنفرة لهم».)

والشيخ عن الدين هو أبو محمد عن الدين عبد العزيز بن عبد السلام في كتابه: «الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز» ص ٢٧، والعبارة فيه: «ولا يصح أن يكون جوابا للاستفهام في قوله: ﴿هل أهلكم﴾ لأن المنفرة وإدخال الجنات لا يترتبان على مجرد الدلالة؛ وهذا من مجاز التشبيه، شبه الطلب في تأكيده بخبر الصادق الذي لا بد من وقوعه، وإذا شبهه بالخبر الماضي كان أكَّد».)

وقوله تعالى : ﴿ وَتَمَا تَفْقَهُونَ إِلَّا إِنشَاءً وَجِهَ اللَّهِ ﴾ [البقرة : ٢٧٢] أي لا تتفقهوا .

الثاني والعشرون : إطلاق الأمر وإزادة التهديد والتوطين : وغير ذلك من المعاني الستة عشر وما زيد عليها من أنواع المجاز ؛ ولم يذكره هنا في أقسامه .

الثالث والعشرون : إضافة الفعل إلى ما ليس بفاعل له في الحقيقة :

إما على التشبيه ، كقوله تعالى : ﴿ جسدًا يريد أن يتغص ﴾ [الكهف : ٧٧] فإنه شبه ميله للزفوح بشبه المرید له .

وإما لأنه وقع فيه ذلك الفعل ، كقوله تعالى : ﴿ قَلَّمَ غَلِيَّتِ الرُّومَ ﴾ [الروم : ٢٤] فالغلبة واقعة بهم من غيرهم ، .. ثم قال : ﴿ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِيَّتِهِمْ سَبِيلُونَ ﴾ [الروم : ٢] فأضاف الغلب إليهم ، وإنما كان كذلك ، لأن الغلب وإن كان لغيرهم فهو متصل بهم لوقوعه بهم .

ومثله : ﴿ وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ﴾ [البقرة : ١٧٧] وويلعنوم الطعام على حبه [الإنسان : ٨] فالحب في الظاهر مضاف إلى الطعام والمال ؛ وهو في الحقيقة لصاحبهما .

ومثله : ﴿ وَلَيْسَ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جِثَّتَانِ ﴾ [الرحمن : ٤٦] ﴿ لَمْ يَكُنْ خَافَ مَقَامِي ﴾ [إبراهيم : ١٤] أي مقامه بين يدي . وإما لوقوعه فيه ، كقوله تعالى : ﴿ يَوْمًا يَجْمَلُ الْوِلْدَانُ شَيْئًا ﴾ [المزمل : ١٧] .

وإما لأنه سببه ، كقوله تعالى : ﴿ فَرَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ [التوبة : ١٢٤] ﴿ وَفَلَكُمْ فُلُكُمُ الَّذِي فَتَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَأَيْتُمْ ﴾ [فصلت : ٢٣] ﴿ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا ﴾ [الأعراف : ٢٧] ﴿ وَأَحْلَوْا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴾ [إبراهيم : ٢٨] كما تقدم في أمثلة المجاز العقلي . وقد يقال : إن النزوع والإحلال يبرر بهما عن فعل ما أوجبهما . فالمجاز إفرادي لا إسنادي .

وقوله تعالى : ﴿ يَوْمًا يَجْمَلُ الْوِلْدَانُ شَيْئًا ﴾ [المزمل : ١٧] أي يجعل هولاء ؛ فهو من مجاز الحذف .

الرابع والعشرون : إطلاق الفعل والمراد مقاربه ومشارفته لا حقيقة :

كقوله تعالى : ﴿ لَمَّا بَلَغَ أَجْلُهُمْ فَاغْرَبُوا ﴾ [الطلاق : ٢] أي قاربين بلوغ الأجل ؛ أي انقضاء العدة ، لأن الإنسك لا يكون بعد انقضاء العدة ، فيكون بلوغ الأجل تمامه ؛ كقوله تعالى : ﴿ لَمَّا بَلَغَ أَجْلُهُمْ فَلَا تَعْصِلُونَ ﴾ [البقرة : ٢٣٢] أي أتممن العدة وأردن مراجعة الأرواح . ولو كانت مقارفته لم يكن للمولى حكم في إزالة الرجمة ؛ لأنها بيد الزوج ، ولو كان الطلاق غير رجعي لم يكن للمولى أيضًا عليها حكم قبل تمام العدة ، ولا تسمى حاصلًا حتى يمتنعها تمام العدة من المراجعة .

ومثله قوله تعالى : ﴿ لَمَّا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِنُونَ ﴾ [النحل : ٦٦] المعنى قارب ، وبه يتفق السؤال المشهور فيها ، إن عند مجيء الأجل لا يتصور تقديم ولا تأخير .

وقوله تعالى : ﴿ كَتَبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ ﴾ [البقرة : ١٨٠] أي قارب حضور الموت .

وقوله تعالى : ﴿ كَفَّلَكُمْ سَلَكَاهُ فِي قُلُوبِ الْمَجْرُمِينَ ﴾ لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأكبر ﴿ فَأَيُّهُمْ بَغْفَةٌ ﴾ [الشعراء : ٢٠٠-٢٠٢] أي حتى يشارفوا الرؤية ويقاربوها .

ويحتمل أن تحمل الرؤية على حقيقتها ؛ وذلك على أن يكون : يؤمنون فلا يظنونهم غائبًا ﴿ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ ﴾ [الطور : ٤٤] ولا يظنونهم واقعا بهم ، وحينئذ فيكون أخذهم بغفة بغف بعد رؤيته .

ومن دقيق هذا النوع قوله تعالى : ﴿ يَفَادَى نُوْحٌ رَبِّهِ ﴾ [هود : ٤٥] ، المراد قارب الله ، لا أوتى الله ، للحصول الفاء في ﴿ فَقَالَ ﴾ فإنه لو وقع النداء لسلط ، وكان ما ذكر تفسيرًا للنداء ، كقوله تعالى : ﴿ هَذَا كَمَا وَكَّرْنَا بِهِ قَالُ ﴾ [آل عمران : ٣٨] وقوله تعالى : ﴿ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا قَالَتْ رَبِّ ﴾ [مريم : ٤٣] ، أي لما فسر النداء سقطت الفاء .

وذكر النحاة أن هذه الفاء تفسيرية ؛ لأنها عطفت مفسرًا على مجمل ، كقوله : ﴿ تَوْضَأُ فَخَسِلَ وَجْهَهُ ﴾ ، وإلا فذلك أن نوحًا عليه السلام أراد ذلك ، فرد القصد إليه ولم يقع ، لا عن قصد .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلِيُخْشِ الْبَنِينَ لَوْ تَرَوْهُمْ مِنْ خَلْقِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ ﴾ [النساء : ٩] أي وليخش الذين إن شاروا أن يتركوا ، وإنما أول الترك مباشرة الترك ؛ لأن الخطاب للأوصياء إنما يترجم إليهم قبل الترك ؛ لأنهم بعده أموات .

وقريب منه إطلاق الفعل وإرادة إرادته ، كقوله تعالى : ﴿ لَمَّا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَمِعْ ﴾ [النحل : ٩٨] أي إذا أردت .

وقوله : ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْلُظْ ﴾ [المائدة : ٦] أي إذا أردتم ؛ لأن الإزادة سبب القيام .

﴿ إِذَا قُضِيَ أَمْرٌ ﴾ [مريم : ٣٥] أي أراد .

﴿ وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ ﴾ [المائدة : ٤٢] أي أردت الحكم .

ومثله : ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ [النساء : ٥٨] .

﴿ إِذَا تَجَاسَّعُوا عَلَى الْمَوْتِ ﴾ [البقرة : ١٧] أي أردتم مناجاته .

﴿ إِذَا طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ ﴾ [الطلاق : ١] .

وقوله : ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ﴾ [الأعراف : ١٧٨] قال ابن عباس : من يرد الله هدايته ؛ ولقد أحسن رضي الله عنه لئلا يتحد الشرط والجزاء .

وتحويه إطلاق اسم المقول على القول، كقوله تعالى: ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ ﴾ [الإسراء: ٤٢].

ومنه: ﴿ سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً ﴾ [الإسراء: ٤٣] [أي عن ملوك، قولهم.

ومنه: ﴿ فبشر الله مما قالوا ﴾ [الأحزاب: ٦٩] [أي من مقولهم؛ وهو الأداة.

وإطلاق الاسم على المسمى؛ كقوله تعالى: ﴿ ما تعبون من دونه إلا أسماء سميت بها ﴾ [يوسف: ٤٠] [أي مسميات.

﴿ يسبح اسم ربك الأعلى ﴾ [الأعلى: ١] [أي ربك وإطلاق اسم الكلمة على المتكلم كقوله تعالى: ﴿ لا تبدل لكلمات الله ﴾ [يونس: ٦٤] [أي لمقتضى عذاب الله و﴿ إن الله يشرك بكلمة من اسمه المسيح عيسى ابن مريم ﴾ [آل عمران: ٤٥]

تجوز بالكلمة عن المسيح، لكونه تكوّن بها من غير أب، يدلل قوله: ﴿ وجهها في الدنيا والآخرة ومن المقربين ﴾ [آل عمران: ٤٥] ولا تصنف الكلمة بذلك.

وأما قوله تعالى: ﴿ اسمه المسيح عيسى ﴾ [آل عمران: ٤٥] فإن الضمير فيه عائد إلى ملوك الكلمة، والمراد بالاسم المسمى، فالمعنى: المسمى المبشر به المسيح ابن مريم.

وإطلاق اسم اليمين على المحلول به: كقوله تعالى: ﴿ ولا تجعلوا الله عرضة لإيمانكم ﴾ [البقرة: ٢٢٤] [أي لا تجعلوا بينكم الله أو قسم الله ما ما لما تحلفون عليه من البر والتقوى بين الناس.

إطلاق الهوى عن المهور؛ ومنه: ﴿ ونهى النفس من الهوى ﴾ [التنازع: ٤٠] [أي عما تهواه من المعاصي، ولا يصح نهيها عن هواها، وهو ميلها، لأنه تكليف لما لا يطاق؛ إلا على حلف مضطرب، أي نهى النفس عن اتباع الهوى.

التجوز عن المجاز بالمجاز: وهو أن تجعل المجاز المأخوذ عن الحقيقة بالنسبة إلى مجاز آخر؛ فتجوز بالمجاز الأول عن الثاني لملاقة بينهما.

مثاله قوله تعالى: ﴿ ولكن لا تواعدوهن سرا ﴾ [البقرة: ٢٣٥] فإنه مجاز عن مجاز؛ فإن الوعد تجوز عنه بالسرا، لأنه لا يقع غالباً إلا في السر وتجاوز بالسرا عن العقد؛ لأنه مسبب عنه، فالصحيح للمجاز الأول الملازمة، والثاني السببية، والمعنى: ﴿ لا تواعدوهن عقد كساح. »

وكذلك قوله تعالى: ﴿ ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله ﴾ [المائدة: ٥] [إن حمل على ظاهره كان من مجاز المجاز، لأن قول: ﴿ لا إله إلا الله ﴾ مجاز عن تصديق القلب بمبدل هذا للفظ والتعبير بلا إله إلا الله عن الوجدانية من مجاز التعبير بالمقول عن المقول فيه؛ والأول من مجاز السببية؛ لأن توحيد اللسان، مسبب عن توحيد الجنان.

وقوله: ﴿ وإذا قلتم فاعدوا ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، أي أردتم القول.

﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ﴾ [المقرئان: ٦٧]، أي أرادوا الإنفاق.

وقوله تعالى: ﴿ وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا ﴾ [الأعراف: ٤] لأن الإهلاك إنما هو بعد مجيء البأس، وإنما خص هذين الوقتين - أعنى البيات والقبولة - لأنهما وقت الغفلة والدعة، فيكون نزول العذاب فيهما أشد وأقنع.

وقوله تعالى: ﴿ ما آمنت قبلكم من قرية أهلكناها ﴾ [الأنبياء: ٦] أي أردنا إهلاكها. ﴿ فانظمتنا معهم فانفقرتم ﴾ [الأعراف: ١٣٦] [أي تارداً للانقسام منهم؛ وحكمته أننا إذا أردنا أمراً نقدر فيه إرادتنا، وإن كان خارقاً للعادة.

وقال الزمخشري في قوله تعالى: ﴿ قالوا يا نوح قد جادلتنا ﴾ [هود: ٣٢] أي أردت جدالنا وشرعت فيه؛ وكان الموجب لهذا التهديد خوف التكرار، لأن « جادلتنا » فاعلت، وهو يعطى التكرار، أو أن المعنى: لم ترد منا غير الجدال له لا التصحية.

قلت: وإنما عبروا عن إرادة الفعل بالفعل، لأن الفعل يوجد بقدره الفاعل وإرادته وقصد إليه، كما عبر بالفعل عن القدرة على الفعل في قولهم: الإنسان لا يطير، والأحصى لا يصير؛ أي لا يقدر على الطيران والإحصاء؛ وإنما حمل على ذلك دون الحمل على ظاهره للدلالة على جواز الصلاة بوضوء واحد، والحمل على الظاهر يوجب أن من جلس يتوضأ، ثم قام إلى الصلاة يلزمه وضوء آخر، فلا يزال مشغولاً بالوضوء ولا يتفرغ للصلاة، وفساده بين.

الخامس والمشهور: إطلاق الأسر بالأسى؛ للتلبس به والمراد دواحه: كقوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا آيتوا ﴾ [النساء: ١٣٦]

هكذا أجاب به الزمخشري وغيره، وأصل السؤال غير وارد؛ لأن الأسر لا يتعلق بالماضى ولا بالحال، وإنما يتعلق بالمستقبل المعذور حالة توجه الخطاب، فليس ذلك تحصيلاً للحاصل بل تحصيلاً للمعذور؛ فلا فرق بين أن يكون الخطاب حالة الخطاب على ذلك الفعل أم لا، لأن الذى هو عليه عند الخطاب مثل المأمور به لا نفس المأمور به. والحاصل أن الكل مأمور بالإشهاد، فالأمر من شئ ما سبق له أمثاله؛ والكاسر يشئ ما لم يسبق منه أمثاله.

السادس والمشهور: إطلاق اسم البشرى على البشر؛ كقوله تعالى: ﴿ بشراكم اليوم جنت ﴾ [المحيد: ١٢] قال أبو على الفارسي: التهديد: بشراكم دخول جنت أو خروج جنت، لأن البشرى مصدر، والجنت ذات؛ فلا يخبر بالذات عن المعنى.

قلت : وهذا تسمية ابن السيد مجاز المرتب (هو ابن السيد البطليوسي صاحب الاختصاص في شرح أدب الكاتب) وغيره من كتب اللغة توفي سنة ٤٤٤ هـ وجعل منه قوله تعالى : ﴿ يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا ﴾ [الأعراف : ٢٦] فإن المنزل عليهم ليس هو نفس اللباس ؛ بل الماء المنبت للزروع ، المتخذ منه الغزل المنسوج منه اللباس .

(البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين الزركشي - تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ٢ / ٢٥٤ - ٢٩٩ ، وقد ضمنا تعليقات المحقق بين أقواس في ثنايا النص . انظر أيضا الإقناع في علوم القرآن للمحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ٢ / ٤٧ ، ٥٤ ، وفتح السعادة لطائفي كبرى زاده ٢ / ٤١٣) .

انظر : الحقيقة والمجاز .

• الحقيقة والمجاز :

عن الحقيقة والمجاز يقول الإمام الفيروزآبادي في باب ألفه لذلك :

والكلام المفيد ينقسم إلى حقيقة ومجاز وقد وردت اللغة بالجمع ونزل به القرآن ومن الناس من أنكر المجاز في اللغة . وقال ابن داود ليس في القرآن مجاز وهذا خطأ لقوله تعالى ﴿ جندارا يريد أن يقتلني ﴾ [الكهف : ٧٧] ونحن نعلم ضرورة أنه لا إرادة للجندار ، وقال تعالى : ﴿ واسئل القرية ﴾ [يوسف : ٨٢] ونحن نعلم ضرورة أن القرية لا تتخاطب فدل على أنه مجاز .

فأما الحقيقة فهي الأصل وسعها : كل لفظ يستعمل فيما وضع له من غير نقل وقيل ما استعمل فيما اصطلح على التخاطب به ، وقد يكون للحقيقة مجاز كالبحر حقيقة للماء المجتمعة الكثير ومجاز في الفرس الجواد والرجل العالم فإذا ورد اللفظ حمل على الحقيقة بإطلاقة ولا يحمل على المجاز إلا بدليل وقد لا يكون له مجاز وهو أكثر اللغات فيحمل على ما وضع له .

وأما المجاز فحده ما نقل صاعدا وضع له ونقل التخاطب به وقد يكون ذلك بزيادة نقصان وتقديم وتأخير واستعارة . فزيادة قوله عز وجل ﴿ ليس كمثل شيء ﴾ [الشورى : ١١] والمعنى ليس مثله شيء والكاف زائدة والنقصان كقوله تعالى ﴿ واسئل القرية ﴾ والمراد أهل القرية فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه ، والتقديم والتأخير كقوله عز وجل ﴿ والذي أخرج المرعى ﴾ فجعله فشاء أحوى ﴿ الأعمى : ٥٤ ، والمراد أخرج المرعى أحوى فجعله فشاء فقدم وأخر ، والاستعارة كقوله تعالى ﴿ جندارا يريد أن يقتلني ﴾ فاستعار فيه لفظ الإرادة وما من مجاز إلا وله حقيقة لأننا قد بينا أن المجاز ما نقل صاعدا وضع له وما وضع له هو الحقيقة (انظر : الاستعارة) .

فصل : ويعرف المجاز من الحقيقة بوجوه منها أن يصرحوا بأنه مجاز وقد بين أهل اللغة ذلك وصنف أبو عبيدة كتاب المجاز في القرنين جميع ما فيه من المجاز ، ومنها أن يستعمل اللفظ فيما لا يسيق إلى الفهم عند سماعه كقولهم في الوليد حمار والأبله تيس ومنها أن يوصف الشيء ويسمى بما يستحيل وجوده كقوله ﴿ واسئل القرية ﴾ ومنها أن لا يجري ولا يطرد كقولهم في الرجل الثليل جبل ثم لا يقال ذلك في غيره وفي الطويل نخلة ثم لا يقال ذلك في غير الأدمي ، ومنها أن لا يتصرف فيما استعمل فيه كتصرفه فيما وضع له حقيقة كالأمر في معنى الفعل لا تقول فيه أمر يأمر كما تقول في الأمر بمعنى القول (الملح / ٥) .

كذلك يقول صاحب تلخيص المفتاح : المجاز ضربان :

مرسل واستعارة .

وفي منظومة على تلخيص المفتاح للقرطبي ، يقول السيوطي عن الحقيقة والمجاز بادئا بالكلام على الضرب الأول من المجاز وهو المجاز المرسل :

الأول الكلمة المستعملة

في الاصطلاح في السلي توضع له

وفيصره مع قرينته على

وجهه يصح وإرادة جلا

علمهما فهو المجاز المقسود

فالزم علاقة وكل علم

يمزى لمصر ولصره ولغة

والصرف صم أو فخص مبدعه

كناية الأربع والإستبان

والفعل للفعل والمحدث

كناية الصلاة للوجود واللغة

وأسماء سبع والشجر

ومن يزد تحقيقا أو تأويلا

في الحسد زاد فيهما تطويلا

هذا هو القصد الثاني من علم البيان والمقصود المجاز وذكر الحقيقة لأنها أصله . فالحقيقة الكلمة المستعملة في معنى وضعت له في اصطلاح التخاطب ، فخرج بالمستعملة الهائلة وما بعده الغلط والمجاز وبقولنا في اصطلاح التخاطب المستعمل فيما وضع له اصطلاح آخر غير الذي يقع به التخاطب كالعلاقة إذا استعملها المخاطب بصرف الشرع في الدعاء فإنها تكون مجازا لاستعمالها في غير ما وضع له شرعا وإن وضع له لغة ، والمجاز مفرد ومركب ، فالأول الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له في

فالمعنى ما علاقته المصححة له غير المشابهة والاستعارة ما علاقته المشابهة، فهي اللفظ المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلي لعلاقة المشابهة كأمدني قولنا رأيت أسدا يرمى، وكثيرا ما تطلق الاستعارة على فعل المتكلم: أي استعمال اسم المشبه به في المشبه ويكون حينئذ بمعنى المصدر والظرفان حينئذ أي المشبه به والمشبه مستعار منه ومستعار له واللفظ أي لفظ المشبه به مستعار. ومثال المرسل كإيد في النعمة والقدرة وأصلها الجارحة أطلقت عليهما لأن النعمة منها تصدر والقدرة بها تكون، ومن استعمالها في النعمة حديث الصحيحين أسرعنك لحوقا بي أطولكن يدا: أي أكثرن عطاء ومنه في القدرة كقول تعالى ﴿إله فوق أيديهم﴾ [الفتح: ١٠] وكاستعمال الجزء في الكل إذا كان له مزيد اختصاص بالمعنى الذي قصد بالكل كإطلاق العين على الرينة أي الرقيب وهي جزءه ومثل له في الإيضاح (الإيضاح، مختصر تلخيص المفتاح) بقوله تعالى ﴿قم الليل﴾ [الزمزل: ٢] فأطلق القيام وهو جزء الصلاة عليها لأنه أظهر أركانها، وعكسه أعني استعمال الكل في الجزء كالأصابع في الأنامل من قوله تعالى ﴿يجعلون أصابعهم في آذانهم﴾ [البقرة: ١٩] وكحديث مسلم «قسمت الصلاة بيني وبين عبدتي نصفين» أي الفاتحة وتسمية الشيء باسم آتته نحو ﴿وأجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾ [الشعراء: ٨٤] أي ثناء حسنا واللسان آتته أو سببه نحو رعبنا الغيث أي النبات الذي سببه الغيث، أو مسبه نحو أمطرت السماء نباتا، أو حاله أي ما يدل في ذلك الشيء نحو: ﴿وأما الذين أبيست وجوههم ففى رحمة الله﴾ [آل عمران: ١٠٧] أي في الجنة التي نحل فيها الرحمة، أو محله أي ما يدل فيه ذلك للشيء نحو: ﴿فليعلم ذاقه﴾ [الحلق: ١٧] أي أهل ناديه الحال فيه وهو المجلس، أو مجواره كإطلاق الرواية على المزايدة وهي للبربر أو ما يقول إليه نحو ﴿إني أراي أفسر خمرًا﴾ [يوسف: ٣٦] أي عصيرا يقول إلى الخمر، أو ما كان عليه نحو: ﴿وأقوا يتأبى أموالهم﴾ [النساء: ٢] أي الذين كانوا يتأبى إذ لا يؤثم بعد البروغ فهذه عشر علاقات وذكرنا علاقات أخرى ترجع إليها (شرح عقوده الجمان/ ٩١-٩٣).

ومن أمثلة النظم أيضا ما أورده عبد الرحمن بن محمد الأنخري، من علماء القرن العاشر، في أرجوزته الموسومة بالجواهر المكنون في ثلاثة فون:

حقيقة مستعمل فيها وضع
له يعرف في الخطاب فتابع
ثم المجاز قصد بجي مقصودا
وقصد بجي مركبا فالمعنى

اصطلاح التخاطب على وجه تصح معه قرينة عدم إزداده، فتقوى وغيره بالجر أي والمستعملة في غيز الذي وضعت له في الاصطلاح... إلخ فخرج المهمة فليست حقيقة ولا مجازا والعقيدة وما له معنى آخر باصطلاح آخر كالصلاة في العبادة والغلط لأنه ليس على وجه يصح، والكتابة لفقد قرينة عدم الإزادة وزاد السكائي في حد الحقيقة والمجاز لفظ التأويل والتحقيق فقال: الحقيقة الكلمة المستعملة فيما وضعت له من غير تأويل، والمجاز الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له بالتحقيق وأتى بذلك ليخرج من الأول الاستعارة ويدخلها في الثاني بناء على أنها مجاز لغوي لأنها مستعملة فيما وضعت له لكن بالتأويل، وهو ادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به يجعل أفرادها قسمين متعارفا وغير متعارف بالتحقيق ورد بأن لفظ الوضع إذا أطلق لا يتناول الوضع بتأويل فلا حاجة إلى زيادة في الحد لأنه تطويل والحدود تصان عن التطويلات وهذا معنى قولي: ومن يزد تحقيقا... إلخ وهو مذكور في التلخيص في أواخر الباب في فصل عقده لمناقشات مع السكائي ولا بد للمجاز من العلاقة ليخرج الغلط، وكل من الحقيقة والمجاز ينقسم إلى لغوي وشرعي وعرفي خاص متعين ناقله كالنحوي والصرفي وعرفي عام.

فالأول: كالإدعاء للسمع حقيقة لغوية والشجاعة مجازا لغويا. والثاني: كالصلاة للعبادة المخصوصة حقيقة شرعية والدعاء مجازا شرعيا.

والثالث: كالفعل للفظ المخصوص حقيقة عرفية خاصة أي نحوية ومطلق الحدث مجازا نحويا.

والرابع: حقيقة عرفية عامة والإنسان مجازا عرفيا عاما.

ثم المجاز المرسل اللفظ المستعمل

لا شبهه وبغيره استعماله
والمجاز يطلق في استعماله سم

مفهومه به استعماله سم
فالطرفان المستعار منه له

والمتعارف اللفظ ثم المرسله
كاليد في القدرة والتسمية

بالكل أو بالجزء أو بالألفه
أو سبب سبب محال محال

مجازا أو كل استعماله عنده انتقل
المجاز أقسام: علفي، وتغيير وخال عن لفظة وذكره في الإيضاح والتبيين كإطلاق المقيد على المطلق كاستعمال المرمن في أنف إنسان مجازا، وهو موضوع لمعنى الألف مع قيد أن يكون مرسونا، ومرسل واستعارة.

وكلمة غابرت الموضوع مع
قريظة لعلاقة نلت السورع
كاخلع نعال الكون كي تراه
وغض طمصرف القلب عن سواه
كلامها شمرى أو عسرى
نحو لرتقى للحضرة العسرى
أو لىوى والمجاز مرسل
أو استمارة فأما الأول
فما سوى تشابه علاقته
جـزءه وكل أو محل ألتفه
طـرف وظـرف سبب سبب
وصف لخاص أو ما آل مرتقب
(من الجوهـر المكتون / ١٤ و مجموع مهمات المتون / ٧٢٨ ، ٧٢٩)
ومن النظم أيضا ما جاء عن الحقيقة والمجاز في ٥ ملحـة
البیان: لزين المرصفي (ت ١٣٠٠ هـ) إذ يقول تحت عنوان ٥ باب
الحقيقة والمجاز ٥ :
حقيقة لفظ بهـ المبراد
يعنى بهـلا علائقة تـراد
وقل مجاز إذ بهـا يـفاد مع
قريظة بتصهـا الأصل لـتـع
وقسموا كـلا إلى الشـمرى
واللـىوى فـت الـمرصـفى
ورجـعوا الشـمرات معـ الـنـوع فى
عـلاقـة كـما بـمـرضع يـفـنى
والأصل تقل اللفظ عن حقيقـى
ومن مجاز جـاز فى الـتحقيق
ويبنى أبـها على الـكـتابـه
وقاسـها عـليه فى العـنـابـه
وقـد أتى كـل بالـحـظ واسـطـه
تـكـون بـين الـمـعـنـين رابـطـه
كـما بنى آدم قـد أنـزلـنا
فـيـن ذا وثـك وفـيـجـرق يـعـنى
وقـد رأى أـمـتـنا ذنـبا عـتـبـا حـه
والـمـعـنى مـنـهم حـاول تـفـا حـه
واسـطـه الـفـيـقـر فى الـأفـصـان
تـفـصـلـه بـأجـل الـيـان

وفرقتوا بين المجاز والكاتب
بمما من التناوب فيسه قد نصب
ولا تمارة ومرسل قسم
والكل منهما يساب يساب لـد علم
باب المجاز المرسل
ومرسل له علاقات أتت
تمما وعشرا لى أصبح ما ثبت
ورجـعوا اعتـبـارها من أصل
لا من مجـاز بل ولا من كل
فلازمية كلفـد الشمس
من ضـلـوها والعـكـس مـثـل العـكـس
كـيـة كـلـن فى الـأـتـيـه
وبـلـد كـالـم فى مـعـنى الـمـيـه
وبـلـد نـحو الـقـصـاء لى الـأـا
لكن بـيـر ما بـتـى وـدا
ومـيـة مـيـة
كـالـفـى فى نـيـت وعـكـس يـيـت
جـزـيـة كـايـة كـالـعـن لى
ريـضـة وـضـع فى طـمـرف
ثم اعتـبـار ما مـضى كـالـيـم
لـمـن تـبـلـى بـالـفـا لـلـم
والأول نـحو الـخـمـر فى مـعـنى الـعـنـب
وقـيل بل ذا لـفـظـة كـمـا وـجـب
حـالـيـة كـر حـسـة فى الـجـنـة
وعـكـها نـحو مـؤال الـقـرـة
كـذا عـمـوم نـحو لـفـظ الـنـاس لى
أم يـحـسـون الـنـاس فى الـقـول الـمـرـفى
والعـكـس كـالـحـاك لـلـأـان
بـالـفـل لا بـقـوة وـشـان
وـمـطـلـق كـمـالـم لى مـالـل
وعـكـة كـمـالـم مـن مـالـل
تـجـار لى الـمـم جـا لى الـظـن
لـأـهـه مـجـار لى الـمـالـم
كـمـالـا الـتـلـق الـمـلى نـطـقـا
فى مـصـار مـع الـمـفـات مـطـلـا
ومـا أتى فى بـعضـه مـع بـعض
ورجـعوا فى غـيـرهم نـو تـفـض

خاتمتها :

وهو مسأدى إلى السبيل بحق
فعلية الصلاة منى السلام

الخط نسخ معناد الجبر أسود.

تاريخ النسخ : سنة ١١٢٧ هـ .

ملاحظات : نسخة مقابلة على نسخة المؤلف وعليها تملك
باسم محمد بن إبراهيم الكلدنجي تلميذ المؤلف .

نسخة ثانية :

الرقم : ٤٧٥٣

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخ معناد ، الجبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

اسم الناشر : أحمد بن محمد النابلسي .

تاريخ النسخ : ١٥ شعبان سنة ١٣١٩ هـ .

ملاحظات : نسخة جامعة كاملة مضبوطة .

نسخة ثالثة :

الرقم : ٣٢٧٥ أدب ٥٤

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخي واضح ، الجبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر
مجدولة بالأحمر .

ملاحظات : نسخة مراجعة .

نسخة رابعة :

الرقم : ٤٦٤٧

أولها كالسابقة .

آخرها : مخروم ينتهي بـ في اليوم الثالث والثلاثين وكان هناك
في بركة البدائي - الرجل الصالح الشيخ عبد القدوس المصري
الأصل فسلمنا عليه وزيته وسألنا منه الدعاء ...

الخط نسخ معناد ، الجبر أسود وبعض كلماته بالأزرق .

مصادر عن الكتاب : إضاح المكنون ١ / ٤١٢ .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٥ / ٢٧١ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية - التصوف - وضع معند
رياض المالح ١ / ٤٥٤ - ٤٥٦) .

• حقيقة اليقين وزلفة التمكين ،

من مصنفات التراث الإسلامي في التصوف .

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق أو بمكتبة الأسد .

الرقم : ٢٤٥

- رسالة قسمها المؤلف إلى جواهر وأغراض الجواهر الأول في
التوحيد والعرض المفارق في السؤال عن وارد الوقت .

المؤلف : قطب الدين عبد الكريم بن إبراهيم الجبلي الغادري
المتوفى سنة ٨٣٧ هـ / ١٤٢٨ م .

واعتبروا الملعوظ في علاقات

وعند جعل فاعتبر لعلات

مشرعنا ميجرنا ومطلقنا

بأنى ونى الأعلام قد تحقنا

على الأصح وهو أيقننا أصلى

وتبقى حسب نصوص التقسبل

(مجموع مهمات المتون / ٥٩٢ - ٥٩٤) .

أما الضرب الثاني من المجاز وهو الاستعارة فقد أفرغنا لها مادة
ويسطن فيها القول في م ٤ / ٢٦٨ - ٢٧٣ فارجع إليها .

(اللع في أصول الفقه للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف
الشيرازي النيروزيادي / ٥ ، وشرح عقود الجمان للحافظ جلال الدين

عبد الرحمن السيوطي / ٩١ - ٩٣ ، والجواهر المكنون في الثلاثة فزون

لمعبد الرحمن بن محمد الأضرى / ١٤ ، والمطوب في مجموع مهمات

المتون ، ط معطف البابي الحلبي / ٧٢٨ ، ٧٢٩ ، وملحة البيان لزين

الدين العرفسى ، المطبوع في مجموع مهمات المتون ٥٩٢ - ٥٩٤ . انظر

لهذا كتاب اصطلاحات الفنون للتهنيزي / ١ - ٣٣٠ ، ٣٣٤ ، والإيضاح

في علوم البلاغة ، مختصر تلخيص المفتاح للقرنبي / ١٥١ - ١٥٨ ،

ولى مجموع مهمات المتون / ٦٨ - ٦٨٧ ، والروجز في أصول الفقه

للإمام الكرامشى - تحقيق - أحمد حجازي السقا / ٨ - ١٠ ، وإرشاد

القول إلى تحقيق الحق من علم الأصول للشوكاني / ٢١ - ٢٩) .

• الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز :

من مصنفات التراث الإسلامي في التصوف .

مخطوط بدار الكتب الظاهرية (بمكتبة الأسد) .

الرقم : ٣٢٢٦

انظر : الرحلة الحجازية .

- رحلة رحل بها المؤلف لكثير من الأصفاغ الشامية والحجازية
وزار بها الصلحاء والأولياء ، واستغرقت ثلاثمائة وثمانية وثمانين

يوما بعضها كثيرا من شعره الصوفي الرائق ومناجاته وكلامه مع
الأولياء والصلحاء الذين اجتمع بهم .

المؤلف : أبو الفريش عبد الله بن إسماعيل النابلسي الحنفى
الدمشقي المتوفى سنة ١١٤٣ هـ / ١٧٣١ م .

أوله : الحمد لله الذي يعميته تتم الأمور ... لقد كنت في ما

تقدم من الزمان مع جملة من الأصحاب والإخوان أتمنى الاستيعاب
في زيارة الصالحين من الأحياء والأموات والتبرك بنفحات مجالسهم

ومناجيات الحضرات ويكون ذلك بالحج الشريف ...

آخره : إن أكمل ما ترسلت به بحاتم الأرواح الأنسية ...

... ثم قصيدة مطلعا :

نصب عينى فلك المصطفى والمقام

فعلنى الأمل والسيرار السلام

- نسخة مخطوطة ، متوجة بحلية ذهبية بلقمة ومجدولة ومحللة بالذهب ، بقلم تاملين معاد تمت كتابتها سنة ١١٨١ هـ ، بخط السيد محمد حبيب بن إبراهيم الحسيني ، الكتاب العاشر ضمن مجموعة من ورقة ١٩٦ - إلى ورقة ٢٠٢ مسطرتها ٢٣ سطرا في ٢١ × ١٣ سم .

(٨ مجاميع تركي طلعت) .

وتوجد نسخة أخرى أولها كالسابقة

- مخطوطة ، بقلم تاملين ، تمت كتابتها سنة ١٢٧١ هـ ، ضمن مجموعة من ورقة ١٥٧ - ١٦٤ ، مسطرتها ٢١ سطرا ، في ٢٢ × ١٢ سم .

(٨٠٥ مجاميع تركي طلعت) .

ونسخة ثالثة أولها كالسابقة

- مخطوطة ، بأولها حلية ذهبية ، مجدولة بالذهب والمعاد الأسود ، بقلم نسخ معاد تمت كتابتها في استانبول سنة ١٢٨٧ هـ بخط الحاج أحمد بن حسن الأنقري المعروف بعرب شيخ زاده ، ضمن مجموعة آثار الفحول ، من ورقة ٣٠ - ٣٣ ، مسطرتها ٢٥ سطرا ، في ٣٧ × ٢١ سم .

(١٤٨ مجاميع تركي طلعت) .

(فهرس المخطوطات التركية الشامية ١ / ١٩٧) .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف - ربيع محمد رياض المالح ١ / ٥٦ ، ٤٥٧ ، وفهرس المخطوطات التركية الشامية التي اقتناها دار الكتب القومية منذ عام ١٨٧٠ حتى نهاية ١٩٨٠ م ، ١ / ١٩٦) .

• الحكايات

من بين من يرتكبون عيوب المساواة الواحدة والثلاثين التي أحصاها الشيخ بسدر الدين الغزالي في رسالته التي تتحمل ذلك العنوان ، ما أسماه « الحكايات » (انظر مادة « آداب الأكل » في م ١ / ٢١٦) وقال عنه :

الحكايات : وهو الذي يهلك رأسه وموضعها في بدنه بعد غسل يده وقيل الأكل ، فقد حكى بعضهم أن رجلا غسل مع العاصرون يده ، وأبغط الطعام ، فسبته يده إلى رأسه ، فقال له العاصرون : أعد غسل يديك ، فغسلها ثم لم يلبث أن سبته يده إلى لحيته ، فقال له : أعد غسلها ، قال : ولا يأتى غسل اليد إلا بالخبز .

(رسالة آداب المساواة للشيخ بدر الدين محمد الغزالي - حققها عمر موسى باشا / ١٥) .

• حكايات :

يوجد عدد من مخطوطات الأدب في مكتبة المتحف العراقي تحت هذا العنوان نقلها وفقا لترتيب أرقامها التسلسلية :

أولها : حمدا لله لصفاته ، توحيدا لذاته ، فهو الواحد لا عن توحيد ، المحمود قبل الحمد والتوحيد ، أحمد له حمد صفاته لذاته ... أما بعد فإن التوحيد عظيم شأنه ، عال مكانه ... آخرها : فقل في العالم ما تقوله في الصفات إن شئت قلت إن الذات عينها صدقت ... قل العالم محلل باعتبار الذي يقتضيه العالم ...

الخط نسخ معاد ، الحبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر .

اسم النسخ : محمد المجذوب .

تاريخ النسخ : سنة ١٣١٢ هـ .

نسخة ثالثة :

الرقم : ١٢٣ .

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخ معاد ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

اسم النسخ : محمد بن أحمد بن سعد الكلثني .

تاريخ النسخ : جمادى الأولى سنة ١٠٣٨ هـ .

نسخة ثالثة :

الرقم : ٧٤٥١ .

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخ معاد ، الحبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر .

مصادر عن الكتاب : إيضاح المكنون ١ / ٤١٢ .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٥ / ٣١٣ ، الأعلام ٤ / ١٧٥ .

قال وأوضح الفهرس : بعض نسخ الرسالة : الأوقاف يشهد ٢٩٥ وأحفظ بنسختين مخطوطتين إحداهما قديمة والأخرى مراجعة ومصححة بقلم الشيخ محمد المبارك الكبير .

(فهرس مخطوطات الظاهرية ١ / ٥٦ ، ٤٥٧) .

له ترجمة بالتركية يوجد مخطوطها بدار الكتب القومية وجاء

ببانه كما يلي :

ترجمة حقيقة اليقين وزلفة التمكن .

تأليف عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم الجبلي القادري المتوفى سنة ٨٢٠ هـ ، ترجمة عبد الباقي بن السيد محمد بن إبراهيم بن العلي المصري بلعالي زاده المتوفى سنة ١١٥٩ هـ (عثمانلي مؤلفري ١ / ١٥٩) ، وفي كشف الظنون : عبد الكريم بن الشيخ عبد القادر الكيلاني) .

وهي في التصوف والتوحيد ، تمت ترجمتها سنة ١١٥٤ هـ .

أولها : « الله عظيم الشانك حملى صفاتي ايله در . توحيدى ذاتى ايله در ... إلخ » .

- ٣١٠- حكايات :
لناج الدين الحسن بن راشد الحلبي الذي كان حيا سنة ٨٣٠ هـ / ١٤٢٦ م .
وتتناول هذه الحكايات قصص الأئمة ، وبعض الخلفاء والرجال ، وما قيل فيهم من بديع الشعر والنثر .
الرقم : ٣١٤٢٧ / ٢ .
١١٨ ص ١٤ × ٢٠ سم ١٥ م .
معجم المؤلفين ٣ / ٢٢٤ .
والمؤلف مؤرخ ، فقيه ، شاعر ، أديب ، متكلم من آثاره : أرجوزة في تاريخ الملوك والخلفاء ، أرجوزة في تاريخ القاهرة ، مختصر بصائر الدرجات ، الجمالة البهية ، وصباح المهتدين (معجم المؤلفين ٣ / ٢٢٤) .
- ٣١١- حكايات :
لصالح بن محمد المتفقي :
الأول : (الحمد لله خالق الأرض والسماوات ، الجود الذي جاد علينا ببيت سيد الكائنات ...) .
وهي مجموعة من القصص ، منها قصة الجمل والفرزال ، وقصة حاتم وأبي الفوارس وقصة بدور وغيرها .
نسخة جيدة ، كتبت سنة ١٢١٣ هـ / ١٧٩٨ م ، عليها تملك مؤرخ سنة ١٢٢٨ هـ / ١٨١٣ م .
الرقم : ١٩٣٧ .
٤٣٠ ص ١٥ × ٢١ سم ١٣ م .
- ٣١٢- حكايات :
تبدأ بحكاية أبي شحمة ومجالس لملساء وبعض رجال الصوفية ، ترقى إلى القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي .
الرقم : ١٦١٤٥ .
١٤٠ ص ١٦ × ٢١ سم ١٧ م .
- ٣١٣- حكايات :
كتبت بخط النسخ ، ترقى إلى القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي .
الرقم : ٢٦٠١٤ .
٧٦٠ ص ١٦ × ٢٢ سم ١٦ م .
- ٣١٥- حكايات :
تتضمن أخبارا وقصصا لبعض الزهاد ، والمتصوفة ، كحكاية ذي النون المصري ، وكذب الأجرار ، والجنيد البغدادي ، وعبد الله الجوهري ، وإبراهيم الخواص .
- نسخة جيدة الخط .
الرقم : ١٧٨١ / ٢ .
١٤ ص ١٤ × ٢٠ سم ١١ م .
- ٣١٦- حكايات :
وهي مجموعة من القصص والنوادر منها حكاية أبو الحسن الخليل ، والجمال والنساء ، وحكاية نديم وبديع ، ونوادر الأصمعي ، وحكاية قمر الزمان ، وسيف الملوك وغيرها ، وقد كتبت أغلب الحكايات بأسلوب قريب إلى اللهجة العامية الدارجة .
نسخة جيدة ، ترقى إلى القرن الحادي عشر الهجري / القرن السابع عشر الميلادي .
الرقم : ٢٣٢٢٠ .
٢٤٨ ص ١٥ × ٢١ سم ٢٠ م .
- ٣١٧- حكايات :
وتتضمن حكاية الجارية ثؤدد ، وحكاية عبد الله بن مبارك والراهب مع أبي بكر .
نسخة جيدة ، كتبت سنة ١٢٦٧ هـ / ١٨٥٠ م .
الرقم : ٢٤١٦٧ .
٤٤ ص ١٦ × ٢٢ سم ١٧ م .
- طُبعت حكاية الجارية ثؤدد ، وهي من قصص ألف ليلة وليلة (سرواية أبي بكر عبد الرحمن بن هشام اليماني) ببولاق سنة ١٢٧٩ هـ / ١٨٦٢ م .
- ٣١٨- نسخة أخرى :
تتضمن حكاية الجارية ثؤدد ، كتبها لي بغداد خليل بن إبراهيم ابن حسين سنة ١٢٩٣ هـ / ١٨٧٦ .
١٢٦ ص ١١ × ١٩ سم ١٦ م .
- ٣١٩- نسخة أخرى :
ترقى إلى القرن الثاني عشر الهجري / القرن الثامن عشر الميلادي .
الرقم : ١٦٩٠٢ .
١٦٠ ص ١٥ × ٢١ سم ١٥ م .
- ٣٢٠- حكايات :
وهي مجموعة من القصص والحكايات منها قصص السندباد البحري ، ومسروق النصراني وغيرها .
ترقى إلى القرن الثاني عشر الهجري / القرن الثامن عشر الميلادي ، ناقصة الآخر .
الرقم : ١٤١٣ .
٣٤٩ ص ١٤ × ٢١ سم ٢٠ م .

كتاب في ذكر حكايات وأشعار من الصالحين مخروم الأول والأكثر متون بخط حديث باسم حكايات الصالحين .

المؤلف : ؟

أوله مخروم ينتهي بـ : قال نسك التي بين جنبك تشهد اليوم عليك قلت لا يلوذي اليوم من محبتك علول أتأذن لي أن أقول ... ثم ذكر قصة توبة رجعة بنت عبد الله المخزومي رحمهما الله تعالى قال : حدثنا عبد الملك بن جبير قال حدثنا محمد بن سليمان قال بلغنا عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان جالسا في ملا من أصحابه ...

آخره مخروم ينتهي بـ : وأما فؤك فاستمت في مالي فقد قيلت منك مكافأة للإيمان والمعرفة ، وأما فؤك لأرعي غنمك بلا أجرة فقد أوجبت لك جتي قلت يا رب مستجيرا ...

الخط نسخ متعاد البحر : أسود معنونة بالأحمر .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف - وضع محمد رياض المالح ١/ ٤٥٩ ، ٤٦٠) .

• حكايات الصالحين (علم) :

قال صاحب مفتاح السعادة :

وهو من فروع علم التاريخ والمحاضرة . ولقد اعتنى بأحوال الصلحاء والأبرار طائفة وأوردوا بالتدوين . وموضوعه ، وغايته ، وغرضه ظاهرة جدا ، وسفته أجل المنافع وأعظمها كما لا يخفى . ولقد صنف في ذلك ابن الجوزي كتاب : « صفوة الصفوة » .

والإفهامي كتاب : « روض الرياضين في حكايات الأبرار والصلحين » وغير ذلك من الكتب ا هـ .

(مفتاح السعادة لطائى كبرى زاده ١/ ٢٥٩ ، ٢٦٠) .

قالت : المؤلفة : النسخة التي عندي من كتاب الإمام ابن الجوزي المذكور أعلاه ضبطها وكتبها هشاش إبراهيم رمضان وصعيد اللحام نشرت الكتاب دار الكتب العلمية . بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م تحت عنوان « صفوة الصفوة » . ويشتمل على أربعة أجزاء في مجلدين .

• حكايات فحول الرجال :

من مخطوطات الأدب في المتحف العراقي :

الرقم : ١٩٦٤ .

وتضمن أخبار وحكايات بعض الأعلام والمتصوفة منهم سفيان الثوري ، وقزو الثوري المصري ، وإبراهيم بن أدهم ويوسف الصديق ومتصوفين بن عمار وغيرهم .

نسخة جيدة ، ناقصة قليلا من الأول ، ترقى إلى القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي .

١٢٢ ص . ١٧ ، ١٧ ، ١٣ م . ١٧ ص .

(مخطوطات الأدب في المتحف العراقي - أسامة ناصر القشبندي وطلحاه محمد عباس / ١٤٥ - ١٤٨) .

• الحكايات :

من مخطوطات التصوف في دار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم ٤٥٤١ .

حكايات في المواضع والزهد والتوكل .

المؤلف : أبو محمد تقي الدين بن عبد الفتى بن عبد الواحد المقدسي الجماعيلي الدمشقي النجدي المتوفى سنة ٦٠٠ هـ / ١٢٠٣ م .

أوله : أخيرا أبو المعالي عبد الله بن عبد الرحمن ... السلمي الدمشقي ... عن محمد بن محمد بن محمد بن الحسين قال : كتب رجل إلى بعض الزهاد : أنا - أكرمك الله - رجل من إخوانك قد أولقتني دنوبي وكثرت عيوري فأخبرني كيف تصف دواء لب علي ما ...

آخره : أخيرا أبو الفتح الحريري ... عن أبي سعيد الخزاز قال : دخلت ذات يوم الكوفة وبي فاقة شديدة وكنت كثيرا ما أتقصد إنسانا يعرف بالجراري كان يبيع الجراري ، فقصدته في حانوته فلم أجده فدخلت مسجدا في جواره انتظره فلما وضعت رجلي في المسجد قلت ... فإذا داخل قد دخل وهو يقول السلام علينا وعلى عباد الله الكذابين ... ثم خرج فخرجت فلم يعط إنسان خبره ...

الخط نسخ متعاد البحر أسود .

اسم الناشر : المؤلف .

ملاحظات : نسخة قيمة تتدلى من الجزء الخامس وهي أجزاء صغيرة وعليها سماهان على المؤلف وسماح على تلميذ المؤلف أحمد بن عبد الدائم المقدسي وسماح على المحدث شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر طرخان الصالحي تاريخ السماع الأول سنة ٥٩٢ هـ والثاني سنة ٦٠٠ هـ والثالث سنة ٦٧٢ هـ وسماح على محمد بن إسماعيل بن كثير سنة ٧٢٤ هـ وعليها خط ابن عبد الهادي .

مصادر من الكتاب : هدية العارفين ١/ ٥٨٩ .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٥/ ٢٧٥ ، مكة الجتان للإفهامي ٣/ ٤٩٩ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف - وضع محمد رياض المالح ١/ ٤٥٨ ، ٤٥٩) .

• حكايات الصالحين :

من مخطوطات التصوف بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم : ٩٥١٣ .

وقيل « منسبان ومنين » بـ « لى
 اللسان بـ « باين » وسكن تـ
 وقيل لمن قال أنت بنت « منه »
 والنسبون قبل تـ العثنى سكنه
 والفتح تـ وزر وصل تـ والألف
 بمن بـ « لى » اذا بنسوة كلف ،
 وقيل « منسبون ومنين » سكن
 إن قيل « جا قوم لقوم لظنا »
 وإن تصبى فلفظ « من » لا يختلف
 وتبادر « منسبون » فى نظم هـ

(ش) إن سئل « بأى » عن منكور مذکور فى كلام سابق حكى
 فى « أى » ما لذلك المنكور من إعراب وتذكير وتأنيث وإفراد وتثنية
 وجمع وفعل بها ذلك وصلا ووقفا فتقول لمن قال « جامنى رجل »
 أى ولئن قال « رأيت رجلا » أى ، ولئن قال « مررت برجل » أى
 وكذلك تفعل فى الوصول نحو أى فأنى وأيا فأنى وأئى فأنى وتقول
 فى التأنيث أية وفى التثنية إيان وإيئان ، رفعا وأين وأيتين جرا ونصبا
 وفى الجمع أيون وأيات رفعا ، وأين وأيات جرا ونصبا .

وإن سئل عن المنكور المذكور « بمن » حكى فيها ما له من
 إعراب وتشيع الحركة التى على النون فتسكن منها حرف مجانس لها
 ويحرك فيها ما له من تأنيث وتذكير وتثنية وجمع ولا تفعل بها ذلك
 كله إلا وقفا فتقول لمن قال « جامنى رجل » منو ، ولئن قال « رأيت
 رجلا » متنا ولئن قال « مررت برجل » منى وتقول فى تثنية المذكر
 « منان » رفعا ومنين نصبا وجرا وتسكن النون فيهما ، فتقول لمن قال
 « جامنى رجلا » منان ، ولئن قال « مررت برجلين » متين ، ولئن
 قال « رأيت رجلين » متين وتقول للمؤنثة منه رفعا ونصبا وجرا فإذا قيل
 أنت بنت ، قل منة رفعا ، وكذا فى الجر والنصب ، وتقول فى تثنية
 المؤنثة « مكنان » رفعا ومتين جرا ونصبا يسكون النون التى قبل التاء
 ويسكون نون التثنية وقد ورد قليلا فتح الشون التى قبل التاء نحو
 « مكنان ومتين » وإليه أشار بقوله « والفتح نر » وتقول فى جمع
 المؤنثة « منات » بالألف والتاء الزائدتين كهدات فإذا قيل « جاء
 نسوة » فقل « منات » وكذا تفعل فى الجر والنصب ، وتقول فى جمع
 المذكر « منون » رفعا ومنين نصبا وجرا يسكون النون فيهما فإذا قيل
 « جاء قوم » فقل منون ، وإذا قيل « مررت بقوم » أو « رأيت قوما »
 فقل منين .

وهذا حكم من إذا حكى بها فى الوقف فإذا وصلت لم يحك
 فيها شيء من ذلك لكن تكون بلفظ واحد فى الجمع فتقول « من يا
 فتى » لقاتل جميع ما تقدم وقد ورد فى الشعر قليلا منون وصلا .
 وقال الشاعر :

أتسوا نساى فقلت متسبون لثم
 فقالوا الجن قلت هموا غلاما

(مخطوطات الأدب فى المتحف العراقي - أسامة ناصر الشيبندى
 ونظما محمد عباس / ١٤٨) .

• الحكايات (كتاب -) :

كتاب الحكايات : فى الفروع لمحمد بن شجاع : بن محمد
 ابن بكر القرنائى المتوفى سنة ٥٣٣ ، ولأبى جعفر الطحاوى .
 (كشف الظنون ١٤١٣ / ٢) .

• حكايات وقصص :

من مخطوطات الأدب فى المتحف العراقي .
 وهى مجموعة من القصص والحكايات المنقولة من مصادر
 مختلفة ، ناقصة الطرفين فى أولها قصائد لعدد من الشعراء منهم :
 محمد مهدي الكاظمي ، وأبى مقرب والقطامي والمتنى ، وسعيد
 أبى يوسف وغيرهم .
 نسخة جيدة حليقة الخط ، كتبت على ورق أروق .

الرقم :

١٧٢ ص . ١٦٥ × ٢٢ سم . ٢١ ص .

(مخطوطات الأدب فى المتحف العراقي - أسامة ناصر الشيبندى
 ونظما محمد عباس / ١٤٦) .

• حكاية :

من مخطوطات الأدب فى دار الكتب الظاهرية (أو بمكتبة
 الأسد) .

الرقم ٣٨٢ :

رواها صالح بن على الهاشمي : عن المهدي بالله ورجوعه عن
 مقالة خلق القرآن

أولها : « قال صالح بن على الهاشمي حضرت المهدي بالله
 أمير المؤمنين وجلس لتقرير فى أسرار المظلومين فى دار العامة ،
 فنظرت إلى قصص الناس تقرأ عليه من أولها إلى آخرها ... »
 آخرها : « قال المهدي بالله : فرجعت من هذه المقالة وأظن
 أن الواثق رجع عنها من ذلك الوقت . والحمد لله وحده وصلى الله
 على سيدنا محمد ... »

الخط نسخ متعاد دقيق كتبه أحمد بن حسن بن هيد الهادي .
 (١٤٤ - ١١٤٥) ق ٢٧ ص ١٣ ، ١٨ سم
 (فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . الأدب - وضعه رياض
 عبد الحليم مراد وباسم محمد السراي / ١٧٨) .

• الحكايات :

فيما يلى ما أورده ابن مالك فى ألفيته عن أحكام الحكايات فى
 النحو مشفوعا بشرح ابن عقيل لإليات ، وقد أشير إلى النص
 بالعرف (ص) وإلى الشرح بالعرف (ش) . قال الناطق :

(ص) احك « بأى » ما لمنكور سئل

عنه بـ « ما فى السوفى أو حين تصلى
 ووقفنا احك ما لمنكور بـ « من »

والنسبون حرك مطلقا وأثمين

فقال : حنون أنتم ، والقياس من أنتم

(ص) والعلم أحكيه من بعد من

إن عسرت من عطف بهذا / تشرق

(ش) يجسر أن يحكي العلم « بمن » إن لم يتقدم عليها عاطف فتقول لمن قال « جامتي زيد » من زيد ، ولمن قال « رأيت زيدا » من زيدا ، ولمن قال « صررت يزيد » من زيد فتحكي في العلم المذكور بعد « ما » للعلم المذكور في الكلام السابق من الإعراب .

ومن مبتدأ والعلم الذي بعدها خبر عنها أو خبر عن الاسم المذكور بعد من فإن سبق « من » عاطف لم يجز أن يحكي في العلم الذي بعدها ما لما قبلها من الإعراب بل يجب رفعه على أنه خبر عن « من » أو مبتدأ خبره « من » فتقول لقال : « جاء زيد أو رأيت زيدا أو مررت بزيد ومن زيد » .

ولا يحكي من المعارف إلا العلم فلا تقول لقال « رأيت غلام زيدا » من غلام زيد بنصب غلام بل يجب رفعه فتقول « من غلام زيد » وكذلك في الرفع والجر . (شرح ابن عثيق / ١٦٧ ، ١٦٨) .
وقال عنها أيضا الأثرى في الفتيه :

فسي اللفظ إن سلت عن منكسور

بأي اتبع حكمة المنكسور

وصلا ووقفنا ولماذا وقف بمن

والنكسور أشبع ومن الألف سكن

ويعد « من » اتبع حكماء العلم

يسلون عاطف ولا السردع صم

قال التهانوي :

الحكاية بالكسر في اللغة ، معنى حكاية الحال الماضية في عرف العلماء أن يفرض أن ما كان في الزمان الماضي واقع في هذا الزمان يعبر عنه بلفظ المضارع وقد يعبر عنه بلفظ اسم الفاعل وليس معناها أن اللفظ الذي في ذلك الزمان يحكي الآن على ما يلتفت به كما في قولهم « دعني من تمرتان » على ما زعمه السيد الشريف في حواشي شرح المنهاج بل المقصود حكاية المعنى وإنما يفعل هذا في الفعل الماضي المستغرب كأنك تحضره للمخاطب وتصوره ليتعجب عنه كما تقول رأيت الأسد فأخذ السيف فآخذه وهذا المعنى أخذه المحقق التتائزي من كلام الكشاف حيث قال : ومعنى حكاية الحال الماضية أن يفرض أن ذلك الماضي واقع في حال التكلم كما في قوله تعالى « فلم تقتلون أنبياء الله من قبل » [البقرة : ٩١] وقد استحسنه الرضي وذكر الأندلسي أن معناها أن تقدر نفسك كأنك موجود في ذلك الزمان أو تقدر ذلك الزمان كأنه موجود الآن . هذا كله خلاصة ما ذكره الفاضل الجلي في حواشي المطول في بحث الحال .

أقول : اعلم أن العدل من الماضي إلى المضارع لإفادة

استحضار صورة ما مضى لأن المضارع مما يدل على الحال الذي من شأنه أن يشاهد فكأنه تستحضر بلفظ المضارع تلك الصورة الماضية المحيية لمشاهدتها الحاضرون ولا يفعل ذلك إلا في أمر يهتم بمشاهدته لغرابه أو فظاعه أو تبيبه أو تحسين أو تقييح أو تهويل أو تعظيم أو إعانة أو غيرها كما في قوله تعالى « فغير سحابا » بعد قوله تعالى « والله الذي أرسل الرياح » [فاطر : ٩] استحضارا لتلك الصورة البديعة الدالة على القدرة القاهرة والحكمة الباهرة يعنى صورة السحاب مسحرا بين السماء والأرض على الكيفية المخصوصة والاتقلابات المتفاوتة هكذا في المطول في بحث لو (كتشاف اصطلاحات الفنون ١ / ٣٩٨) .

ومن الألفاظ في باب الحكاية هذه الأبيات ، التي أوردها الأستاذ أحمد محمد الشيخ وعلق عليها قال : قال المازني النحوي في هذا الباب :

(فرج بن لب الأندلسي : شرح منظومة الألفاظ النحوية ، ورقة رقم ٩ مخطوط دار الكتب المصرية (٧ مجاميع ش) أيضا السيرطي الأشياء والنظائر في النحو ج ٣ ص ٥١ ، ٥٢) .

ومما السلي بنى ولي آخره

دليل إعراب السلي تيسمان

وذلك الإعراب في اسم سلبان

وذلك السلبان في اسم فنان

يلقى السلبه عوضها من خبر

لم ليس السلبانك يجمعهم فنان

ميسا حصر إعراب بعني وقصد

نصاب عن اسم حل في المكمان

يعنى هذه الأبيات الأربعة حكاية التكرات بمن نحو (منو) في حكاية المرفوع و (مك) في حكاية المنصوب (مني) في حكاية المجرور ، فمن مبنية وهذه العلامة اللاحقة دليل الإعراب الذي في الاسم السابق ، ومن مبتدأ أغنت تلك العلامة عن غيره وقامت مقامه ولذلك لا يجمع بينها وبين الخبر فلا يقال (منو ومننا الرجل) والبيت الرابع محصل لما تقدم في الأبيات الثلاثة فالاعتصار عليه وحده من عما قبله فيقال :

ميسا حصر إعراب بعني وقصد

نصاب عن اسم حل في المكمان

وقال الآخر ملفزا :

(العلامة العصامي : شرح منظومة الألفاظ النحوية ، ورقة ٨ مخطوطة دار الكتب رقم ٢٩ نحو ش) .

« وأمين أضفى الفسوف في المحكيه

بالفسوف حسما يا لها أحجبه

وأقول : حاصل هذا البيت في أي موضع يجب فتح « أن » مع أنها أي يجمعتها بحكية بالقول ؟ والجواب أن ذلك في مثل قولك

«إن قال زيد أنك عالم أكرمتك» فتفتح «أن» هنا وجوباً لأنها في الكلام الذي حكيت كانت مفتوحة كونها مجرورة بلام التعليل المحذوفة، إذ الأصل: «لأنك عالم أكرمتك» ذكره اللغمان وهو ظاهر.

والغز الآخر في مسأله فقال: «مسألة: اسم مقدر الإعراب بالحرف للتعذر؟»

الجواب: هو «تمتران» في قول الإعرابي (دعني من تمتران) على سبيل الحكاية فإنه في تقدير «دعني من تمترين» ذكره مولانا عصام الدين في شرح الكافية.

وقال في أحكام هذا الباب ملغزاً (الزمخشري: الأحاجي النحوية ص ٣٣، ٣٤: تحقيق مصطفی الحدادی، نشر مكتبة الغزالي، سوريا).

«أعبرني عما ينصب ويجر رفع، وعما تدخله التنبيه وهو جمع».

الأول: قول أهل الحجاز لمن يقول «رأيت زيدا من زيدا؟» ولمن يقول «مررت بزید، من زید؟» يحكون منصوبه ومجروره ويوقعونهما محكين في محل الرفع فيمن يقول «من زید؟» فهما مرفوعان محلا على الإنداء وإن كان اللفظ بخلافه، وكما تقول لمن قال «عندي تمتران» دعني من تمتران» فيكون مرفوع اللفظ مجرور المحل وكذلك: «قرأت: الحمد لله» و«سورة أنزلناها» مرفوع اللفظ منصوب المحل.

فإن قلت: فإذا قال الحجازي لمن قال جاني زيد «من زید؟» هل لمرفوعه لفظ ومحل كما كان لمنصوبه ومجروره؟ قلت: أي ومحلها هو حال لمرفوعه بالفاعلية وهو مرفوع بالإنداء، فإن قلت: فلو قال «عندي زيد فقال من زید؟» قلت الأمر كذلك للمحل رفع ابتدائي غير محكي عن الرفع الابتدائي المحكي الذي في اللفظ.

وقال علم الدين السخاوي رحمه الله معلقاً على ذلك وبأساطل القول فيه (توير الدباجي في تفسير الأحاجي، ورقة ٤٣ مخطوطة ميكرويلم. جامعة الدول العربية - مصر) «وأقول مستعينا بالله: قوله ينصب ويجر ليس بمستقيم لأن النصب والجر إنما يكونان بعامل في الجرح له في هذا للحكاية، وليست مما أوجب العامل وليست حكاية الإعراب في لفظ من قال «مررت بزید أو رأيت زيدا» بإعراب، وإذا لم تكن إعراباً لم يكن إطلاق الجرح والنصب على ذلك صواباً.

واعلم أنك إذا استغفمت عن علم فعلى لغة أهل الحجاز يحكى إعرابه، ويؤن تميم يرمزون في الأحوال كلها قال مسيوه: وهو آفة القولين، وإنما قال ذلك لأنه إذا قال «رأيت زيدا فقلت من زید؟» علم أنك تريد الاستغفام عن ذكره، وبخلاف الوهم إلى غير ذلك من البعيد.

وأهل الحجاز يحكون فيقولون إذا قال «مررت بزید من زید؟»

ورأيت زيدا من زيدا» وجاني زيد من زید؟» حرصاً على البيان ومبالغة فيه وهذا الخلاف يختص بالأعلام لأنها أكثر ما يقع الإخبار عنه فجاؤا بالحكاية لتلا بضمهم أنهم بدلوا بالاستغفام عن غير ما ذكر فلو قال قائل: «جاني أخو زيد ورأيت أخا زيد، ومررت بأخي زيد» لم يكن للمستغفم عن ذلك إلا الرفع في اللغتين جميعاً، وترك أهل الحجاز الحكاية في هذا لأنه لم يكثر الإخبار به كثرة العلم، ولم يقع في ترك الحكاية ليس ما جرزه على القياس وكذلك إن أدخلت على «من» حرف عطف فقلت لمن قال «رأيت زيدا ومن زید؟» لم يكن إلا الرفع ولم يخل أهل الحجاز لأن العاطف «يؤذن بأنك لست بميتئس» وإذا قال «رأيت زيدا وعبد الله» قيل «ومن زید؟» عبد الله» على الملمهين وقد أجاز بعضهم الحكاية في هذا لاحتمال الإنداء والذي أقول أن ينساق هذا الكلام على طوله لا يترجم معه الإنداء ووقع كلام طويل على صورة ما ذكر الأول يرتفع معه توهيم الإنداء، والمحكيان على لغة أهل الحجاز في موضع رفع على الإنداء والخبر، وفعلك لمن قال «عندي تمتران دعنا من تمتران» فتعتران في موضع جر وفي اللفظ حكاية وقوله فيكون مرفوع اللفظ مجرور المحل، والرفع هاهنا في قوله «عندي تمتران» على الإنداء وقول الآخر «دعني من تمتران» حكاية قوله، وأما قوله «قرأت الحمد لله» و«قرأت سورة أنزلناها» فالحمد لله اسم للسورة وكذلك «سورة أنزلناها» فتكون «قرأت قرأنا».

والحكاية على نوعين: حكاية المستغفم للفظ المخبر.

وحكاية ما هو على خلاف ذلك.

فأما حكاية المستغفم للفظ المخبر فأهل الحجاز يأتون بذلك على لفظ المخبر من رفع ونصب وجر وإنما فعلوا ذلك حرصاً على البيان ومبالغة فيه، وخصوصاً بذلك الأعلام من الكنى وغيرها، وإنما خصوا به الأعلام لأن العلم قد دخله التفسير بنقله إلى العلمية فالتفسير يؤنس بالتشبيه وأما بنو تميم فلا يحكون ويعبرون على أنه مبتدأ وخبر بالرفع في جميع ذلك والحركة التي يأتي بها أهل الحجاز على اللفظ للذكر ليست بحركة إعراب وإنما هي حركة حكاية وقال بعضهم: هي في حال النصب والجر نابعة عن الرفع التي يستحقها الخبر عن المبتدأ وعلى قولهم هذا لم يكن في حال الرفع هي الحركة التي يستحقها الجرح لإبائته عنها. وقالوا أيضاً: إذا قال «جاني زيد فقلت من زید؟» رفته على أنه فاعل فعل محذوف ليكون محكياً لأن الأول فاعل وكأنك قلت «أجاءك زيد؟» وهذا ضميم ساقط لمن تأمل، وكذلك قالوا في النصب والجر.

وأما في الاستغفام عن النكرة فلا يحكى لفظ الذكر باتفاق بل تقول لمن قال: «جاني رجل من الرجال؟» فقلت الألف واللام على أنك تريد الأول لأن إذا تقدم أعادت الألف واللام للذكر إليه، فإن وقعت جواز أن تأتي بالألف والسلام وأن تلحق وإذا رفع مخاطبك وياء إن جر، وألفاً إن نصب.

فلو سميت بمبتداً وبغير ثبوت : يا زَيْدُ متطوّلٌ ولو زَيْدٌ الطويلُ من قولك « جامي زَيْدٌ الطويلُ » قلقت « يا زَيْدًا الطويلُ أَقبلُ » لأنه شبه بالمضارع لطوله ، وإن سميت بمقسم به قلت « رأيت زَيْدَ وجامي زَيْدٌ » لأن الواو عاملة بمنزلة الهمزة إذا سميت زَيْدٌ ألا ترى أنك تقول وكذلك الرجل العاطفة مع المعطوف إذا سميت بذلك لأنك لا تقول زَيْدٌ ولا قبله مرفوع وكذلك إن سميت « زَيْدًا » أو سميت « زَيْدٌ تحكيه » (كُتب الألفاظ والأحاديث اللغوية / ٥٨٢٥٧٦)
(شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ط أمين عبد المجيد محمد الديني / ١٦٧ ، ١٦٨ ، وط الإدارة المركزية للمعاهد الدينية / ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، وألفية الأتاري : كتابة الغلام في إعراب الكلام صبعة زبد الدين شعبان بن محمد القرشي الأتاري - حققه وقدم له د. ه. زهير زاهد والأستاذ هلال ناجي / ١٠٦ ، وكشاف اصطلاحات الفنون للتللثاني / ٢٩٨ ، وكتب الألفاظ والأحاديث اللغوية أحمد محمد الشيخ / ٥٧٦ - ٥٨٢) .

« حكاية أبي بكر أحمد بن العباس بن مجاهد المقرئ :

من مخطوطات الأدب في دار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) جزء فيه حكاية أبي بكر أحمد بن العباس بن مجاهد المقرئ .

الرقم ٨١٦ مجاميع ٨٠

أوله : « أخبرنا الشيخ الشريف يونس بن بصرى بن أبي الحر الهامسي قراءة عليه ، وأنا أسمع ، قال : أخبرنا الشيخ الإمام أبو بكر محمد بن عبيد الله بن نصر بن الزاغوني ، قراءة عليه ، وأنا حاضر أسمع ، فأخبر به وأجازه ، قيل له : أخبركم الشيخ الصالح أبو القاسم عبد الواحد بن علي بن محمد بن فهد الملاف قراءة عليه وأنا حاضر أسمع ... » .

آخره : « فإذا فيها رقعة مكتوب فيها : من وصلت إليه هذه الرقعة فله في كل حول ملها ، فقال : يا هذا خذ هذه واحفظ بهذه الرقعة ، ولك في كل سنة ملها . قال : فأخذت الرقعة والرقعة ورجعت إلى منزلي وكان سبب غثائي بركة الشيخ ابن مجاهد رحمه الله .

آخر الجزء .

وافق الفراغ في يوم السبت ١٦ من شوال سنة ٥٧٤ هـ بالهجرة حمها الله تعالى . وكتبه إسماعيل بن عمر بن أبي بكر المقدسي «

النسخة فقيمة ومقابلة وعليها مسامح في سنة ٥٧٤ هـ .

١٤٩ (٩) ١٤٩٠

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . الأدب . وضعه وفاض عبد الحميد مراد والأمين محمد السوس / ١٨٠) .

« حكاية أصحاب الكهف :

من مخطوطات الأدب في دار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم ١٣٧٩ .

ويحكى أيضا « بئس » فيقولون لمن قال (جامي رجل) أي في الرغب وأيا في النصب وأى في الجر وآيات في التثنية وآيون في الجمع وآيين وآيين في النصب والجر و « آية وآيتان وآيتين وآيات » فأراد إعراب « أي » البيان فاستغنى به وهذا كله لا يسقط شيء منه في الوقت ولا في الوصول لأنك جعلت تلك تاليا عن الذي تضاف إليه « أي » وكان الأصل « أي رجل ؟ » فحذف ذلك واستغنى بإعراب « أي » فذلك ثبت في الوقت بخلاف ما يروى عليه من المعربات . و « آيا وآي » في حال النصب والجز في موضع مبتدأ والخبر محذوف أو هو خبر والمبتدأ محذوف والتقدير « آيا المذكور أو آيا الرجل » وهذا الذي ذكرته في الاستفهام عن التكررة فإن كان الاستفهام عن معرفة فالرفع لا غير في كل حال ، تقول « أي عبد الله وآي الرجل ؟ » وأحد الاسمين مبتدأ والآخر الخبر أيهما شئت جعلته المبتدأ .

ومن الحكاية في غير الاستفهام ما تراه مكتوبا تحكيه أو تسمعه فكما سمعته نؤديه وذلك قوله « رأيت على خاتم الشافعي يتن باله محمد بن إدريس » فهذه الجملة في موضع نصب ولا يعرب لفظها ولكن يحكى كما هو ومن ذلك قول الشاعر (من الشواهد النحوية . كتاب سيبويه ٢ / ٦٥ ونسبه إلى بشر بن خازم) :

وجعلنا في كتاب بني تميم

أحق الخيل بالحصان كركب الممسار

فأحق الخيل مبتدأ والمعيار خبره ولا يعرب بوجدها بل يحكى لأن العامل لا يدخل على عامل ، والعامل في هذا الإنداء فهو بمنزلة الفعل والفاعل في قوله (من الشواهد النحوية من باب الحكاية) :

سمعت الناس يتجهمون شيئا

فلقت لصيدى صبح تتجهمي صلالا

ومن ذلك قول من قال « دعنا من تمرتان » وأما قول الشاعر :

وأصفى من ضرب دار الملووك

بالسوح على وجهه جعفر

قيل كان عليه جعفرًا فحكاه ، « وأريد بذلك اقتصدوا جعفرًا » ولا تنى هذه الحكاية ولا تجعب ولا تضاف لأنه تزويد معانيها باختلاف ألفاظها . قال أبو العباس (أبو العباس أحمد بن ثعلب) :

ألا ترى أنك إذا رأيت « أحق الخيل بالحصان المعيار » في مكانين لم يجهز أن تنبيه كما تقول رأيت زبيدبن وإنما حق هذه الأسماء التأنيدي فإن سميت بالمبتدأ والخبر من قولك « زيد الطويل » قلت « رأيت زَيْدَ الطويل » ومرت زَيْدُ الطويلُ « ورأيت زَيْدَ الطويلُ » فإن سميت بزبد الطويل من قولك « جامي زَيْدُ الطويل » قلت (مرت زبد الطويل) لأن الطويل في هذا صفة وموصوف « رأيت زيدا الطويل » وقد وقع في التسمية على أنه صفة وموصوف ، وأما حين كان المسمى بالمبتدأ والخبر فانه وقع مرفوعا بالمبتدأ كما كان المبتدأ مرفوعا بالإنداء وكذلك النداء لا يعمل كما لم يعمل غيره ،

المؤلف : مجهول .

ضمناها مؤلفها شيئاً من الوعظ والزهد .

أولها : « وسئل ابن عباس رضي الله عنه قال : أي آية أعظم في القرآن ؟ قال : آية الكرسي . قال : فأى آية أعجب في القرآن قال : قوله « أن أصحاب الكهف والسوريم كانوا من آياتنا عجباً » ... [الكهف : ٩] .

آخرها : « قال ابن عباس : قضى الله تعالى أرواح أهل الكهف ، وأمر جبريل أن (?) عليهم الكهف ، فلما أبطأ على الملك أقبل الملك ومن معه إلى الكهف ، وانطبق الكهف عليهم بإذن الله تعالى ، فلم يقدر على الدخول ، فسلموا عليهم برؤوس أصابعهم (أناملهم) ورجعوا إلى مدبنتهم . تمت » .

نسخة مكتوبة بخط نسخ معناد ، كتبها نسخ المجمع إسماعيل بن يعقوب بن إسحاق بن عرب الحنفي سنة ٧٣٣ .

٢٤١ (١٢٤٦) فق ٢١ ص ١٧,٥ × ٢٥,٥ سم

نسخة أخرى :

الرقم ٢٦٤

تختلف عن النسخة الأولى قليلاً في أولها وآخرها .

كتبت بخط نسخ معناد . بعض الكلمات بالجمرة .

كتبها علي بن زيد سنة ١١٨٦ .

٢٤١ (٧٨-٧٩) فق ٩ ص ١٥ × ١٠ سم

(فهرس الظاهرة ١/ ١٧٨ ، ١٧٩) .

قالت المؤلفة : أدرج هذا المخطوط في فهرس التصوف تحت عنوان « حكاية أهل الكهف » بالرقم التسلسلي ٦٣٨ وجاء بيانه كما يلي :

حكاية أهل الكهف :

الرقم ٢٦٤ .

قصة أهل الكهف انتظاماً للناسخ من بعض كتب الوعظ وفيها شيء من الموعظة والزهد .

المؤلف : ؟

أولها : سئل معاذ بن جبل رضي الله عنه عن هذه الآية وهي قوله تعالى « أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً » فقال روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان في مدينة طرطوس ملك يقال له دقيانوس وكان أهلها من المعالفة ...

آخرها : قال لها الملاء اصبروا مكانكم حتى أدخل على إخواني وأخبرهم بما قد جرى لأنهم يظنون أن الزمان كما كان وهم يظنون من دقيانوس فقال نعم ...

الخط نسخ معناد . الحبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر .

اسم الناسخ : علي بن زيد .

تاريخ النسخ : سنة ١١٨٦ هـ .

(فهرس الظاهرة . تصوف ١/ ٤٦٠) .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . الأدب - وضعه رياض عبد الحميد مرادوياسين محمد السواس ١/ ١٧٨ ، ١٧٩ ، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف - وضع محمد رياض المالح ١/ ٤٦٠) .

• حكاية الأصوات :

انظر : الصوت .

• حكاية أهل الكهف :

انظر : حكاية أصحاب الكهف .

• حكاية البسطامي :

من مخطوطات الأدب في المتحف العراقي .

الرقم ٢٤٠٣٣ / ٥

لم يعلم المؤلف .

الأول : (روى بعض المشايخ الراشدين ، أنه كان في القرن الخامس عشر يقال له أبو يزيد البسطامي ...) .

وهي حكاية ذات نسج أدبي صوفي ، تحكي أحلام أبي يزيد البسطامي وسفره إلى الحج ، ودمرت له من أحداث عند سفره ... نسخة جيدة ، كتبت سنة ١٢٦١ هـ / ١٨٤٥ م .

٨ ص ١٥ × ١٩ سم . ١٨ ص .

(مخطوطات الأدب في المتحف العراقي - أسامة ناصر التشبدي وظيفه محمد عباس / ١٤٩) .

انظر : أبو يزيد البسطامي .

• حكاية بني هلال :

من مخطوطات الأدب في المتحف العراقي .

الرقم ٣٣٦٣٦ .

لم يعلم المؤلف .

وهي حكاية تتضمن قصص أبي زيد الهلالي ، وبطولات بني هلال .

نسخة حديثة ناقصة الأول .

٥٧ ص . ٢٣ × ١٧ سم . ٢٣ ص .

طبع ، أكثر من مرة معجم ٢٠١٥ .

(مخطوطات الأدب في المتحف العراقي - أسامة ناصر التشبدي وظيفه محمد عباس / ١٤٩) .

• العسكري (٦٧٢ أو ٦٧٣-٧٤٩هـ) :

قال عنه الإمام ابن الجزري :

إبراهيم بن عبد الله بن علي بن يحيى بن خلف أبو إسحاق العسكري القرشي الشافعي شيخ مشايخ الإقراء بالديار المصرية أستاذ كامل ماهر ، ولد سنة اثنين وسبعين وستمائة ، قرأ القرآن بكتب شتى على أئمة محمد بن أحمد الصايغ والنور على بن

* حكم (ح ك م) :

قال الإمام الراغب الأصفهاني في مادة « حكم » وقد جمع فيها ما تنفصل فيما بعد إن شاء الله تعالى :

حكم : حكم أصله منع مثرا الإصلاح ومنه سميت للحكام
حكمة الدابة فقيل حكمته وحكمت الدابة منعها بالحكمة
وأحكمتها جعلت لها حكمة وكذلك حكمت السفينة وأحكمتها،
قال الشاعر :

* أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم *

وقوله تعالى : ﴿ فَيَنْسِفَ اللَّهُ مَا بَاقِيَ الشَّيْطَانُ ثُمَّ يَحْكُمُ اللَّهُ آيَاتِهِ
وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [الحج : ٥٢] والحكم بالشيء أن تقض بآيته
كذا أو ليس بكذا سواء أكرمت ذلك غيرك أو لم تكرمه ، قال تعالى :
﴿ وَإِذَا حُكِمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ [النساء : ٥٨]
﴿ يَحْكُمُ بِهِمْ عَنْ حُدُودِ اللَّهِ ﴾ [المائدة : ٩٥] وقال :

لسأحككم كحكمكم فحكمة الله إذ نقسرت

إلى حكام سراج وارد التمسيد

التسد الماء القليل ، وقيل معناه حكم ، وقال عز وجل :
﴿ أَنْتُمْ الْجَاهِلِيَّةُ بَيِّنُونَ ﴾ [المائدة : ٥٠] ، وقال تعالى :
﴿ وَبَيْنَ أَحْسَنَ مِنْ اللَّهِ حَكْمًا لِقَاحِ يَوْمَئِذٍ ﴾ [المائدة : ٥٠] ويقال
حاكم وحكام لمن يحكم بين الناس ، قال الله تعالى : ﴿ وَتَنَزَّلُ بِهَا
إِلَى الْحُكَّامِ ﴾ [البقرة : ١٨٨] والحكم المتخصص بذلك فهو
أبلغ قال الله تعالى : ﴿ أَفْتِيرُ اللَّهُ لِبَنِي حَكْمًا ﴾ [الأنعام : ١١٤]
وقال عز وجل : ﴿ لَنُبَاهِطَنَّ حَكْمًا مِنْ أَمَلِهِ وَحَكْمًا مِنْ أَمَلِهَا ﴾
[النساء : ٣٥] وإنما قال حكاما ولم يقل حاكما تنبها أن من شرط
الحكمين أن يتوليا الحكم عليهم ولهم حسب ما يستصوبانه من
غير مراجعة إليهم في تفصيل ذلك ، ويقال الحكم للموارد والجمع
وتحاكما إلى الحاكم ، قال تعالى : ﴿ فِي رَسُولٍ أَنْ يَتَحَاكَمُوا
إِلَى الطَّاغُوتِ ﴾ [النساء : ٦٠] وحكمت فلانا ، قال تعالى :
﴿ حَتَّى يَحْكُمَوكُمْ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ [النساء : ٦٥] فإذا قيل
حكم بالباطل فمعناه أجرى الباطل مجرى الحكم .

والحكمة إصابة الحق بالعلم والمعل ، فالحكمة من الله تعالى
معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الأحكام ، ومن الإنسان معرفة
الموجودات وفعل الخيرات وهذا هو الذي وصف به لقمان في قوله
عز وجل ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ ﴾ [لقمان : ١٢] ونبه على
جعلتها بما وصفه بها . فإذا قيل في الله تعالى هو حكيم فمعناه
وبخلاف معناه إذا وصف به غيره ، ومن هذا الوجه قال الله تعالى :
﴿ لَيْسَ اللَّهُ بِحَكِيمٍ الْحَاكِمِينَ ﴾ [التين : ٨] وإذا وصف به القرآن
فالتعظيم بالحكمة نحو : ﴿ أَمَّا تِلْكَ لِاتِّسَاتِ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴾
[يونس : ١] وعلى ذلك قال ﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْآثَانِ مَا فِيهِ
مُرُوجٌ حِكْمَةً بَالِغَةً ﴾ [القصص : ٥٤] وقيل معنى الحكيم
المحكم نحو : ﴿ أَحْكَمْتَ آيَاتِهِ ﴾ [هود : ١] وكلاهما صحيح
فإنه محكم ومفيد للحكم فقيهه المعنيين جميعا . والحكم أهم من

يوسف بن حريز الشنطوني والجمال أبي بكر بن أبي المز ناصر
الميلط وقرأ آية عمرو ثم قرأه ابن كثير إلى آخر سورة النساء
على النور على بن ظهير بن شهاب بن الكفني وعلى شرف الدين
محمد الضرير إمام مسجد الشراشبي وعرض الشافعية على الصانغ
وعلى الرشيد إسماعيل بن المعلم وقرأها مع الرائية على الحسن بن
عبد الكريم سبط زيادة وسمع الحديث من المحافظ الديلمى وغيره
وأخذ النحو عن الشيخ بهاء الدين بن النحاس ، وتصدر للإقراء وقرأ
عليه خلق وإنتهت إليه رياسة القراءة والتجويد مع حسن الصوت
وبوجود الأداة في الديار المصرية ورحل الناس إليه من الأقطار وكان
ذا عروسة ونزاهة وقضاء لمحقوق الأصحاب مع فقر وجودة طباع
ودين ، قرأ عليه شيخنا محمد بن أحمد بن علي بن اللبان والشيخ
خليل بن عثمان القرطبي وإبراهيم بن أحمد الشامي وعباس بن
حسين ويوسف بن العاصلة الحمصي والعماد أبو بكر النحوي
وأحمد بن يونس الحاجب وزير الدين عبد الرحمن بن الشاهد
الدمشقي والشيخ عمر الزهلي ، مات حاشر ذي القعدة سنة تسع
وأربعين وسبعمئة بالطاعون بالقاهرة (غاية النهاية ١/ ١٧ ، ١٨) .

وقد أدرجه الدكتور أحمد عيسى في الأفياء في معجمه ، وقال
بالإضافة إلى بعض ما تقدم : أخذ النحو عن الشيخين بهاء الدين
ابن النحاس وأبي حيان ، والأصول عن الشيخ تاج الدين
البارسباري ، والعقل عن الشيخ سيف الدين البغدادي ، وسمع
وحدث ودرس وأقضى وشغل بالعلم .

ومن أخذ عنه القاضي محب الدين ناظر الجيش ، والشيخان
زين الدين العراقي وسراج الدين بن الملقن ، ووفى تدريس التفسير
بالقبة المنصورية بعد موت الشيخ أبي حيان ، ومشيقة الخاتمة
النجمية تظاهر القاهرة ، وتصلب بجامع الأمير حسين بن صدر ،
وتصدر مرة . قال الأسترى : كان فقيها عالميا بالنحو والتفسير
والفراءات طبيا خيرا متروكا كريما مع فاقة ، متواضعا مائتيا على
طريقة السلف في طرح التكلف . وقال الصلاح الصفدي : أقرأ
الناس في أصول ابن الحاجب وتفسيره . وفي التسهيل ، وكان
يعرف الطب والحساب وغير ذلك ... إلخ (معجم الأفياء / ٥٧ ،
٥٨ عن طبقات ابن شهبة / ٧٨) .

وقد أورد الزركلي ترجمة ينسب العنوان للحكوى (إبراهيم بن
عبد الله الحكوى ، برهان الدين (— ٧٨٠ هـ — ١٣٧٨ م) وقال
عنه : نحوي ، من أهل « الحكوة » بقرب الطائف . سكن مصر ،
وتولى القضاء بالمدينة ، وناب بالحكم في القدس والخليل . له
فشرح الألفية « لأن مالك في النحو . (الأملح ١/ ٤٩) .

(غاية النهاية في طبقات القراء ابن العزري ١/ ١٧ ، ١٨ ومعجم
الأطباء ، ذيل عين الأمانة في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة . د . أحمد
عيسى / ٥٧ ، ٥٨ ، والأملح لنزكلى ١/ ٤٩ عن بنية الحصة / ١٨٢ وهدية
العالمين / ١٧) .

متنهم أهل المشاهدة الملكية. وآخر حكمة : يتم بذكر أنها المتبى إن تحققت في كل حال أنك به .

المؤلف : قطب الدين مصطفى بن كمال الدين البكري الحنفى الدمشقى الخلوئى المتوفى سنة ١١٦٢هـ / ١٧٤٩م .

أولها : الحمد لله على ما أنعم ، والشكر له على ما ألهم وعلم ، والصلاة والسلام على الرسول الأعظم والحيب الأكرم وعلى آله وأصحابه ... فهذه نبذة في الحكم مرتبة على حروف المعجم ...

آخرها : اللهم يا من هو الحكم العدل ، وله الحكم والتصرف وهو القاهر فوق عباده فلا يتغذ إلا بمصادره وهو الخبير اللطيف ... وعلى آله وأصحابه النجوم الطوالع ما بدت لمريد في سلوكه الطوالع ...

المخط رقعى حديث ، الحبر أسود معونة بالأحمر .

اسم الناسخ : محمد خير بن إبراهيم غزال .

تاريخ النسخ : ٣٥ رجب الخير سنة ١٣٤٣هـ .

نسخة ثانية :

الرقم : ١٠٤٩

أولها وآخرها : كالسابقة .

المخط نسخ متعاد دقيق ، الحبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر .

ملاحظات : نسخة مراجعة ومقابلة .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ١٢ / ٢٧١ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف - وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٦١ ، ٤٦٢) .

• **أبين أبي الحكم (٥٧٠هـ / ١١٧٤م) :**

هو محمد بن عبيد الله بن المنصور بن عبد الله الباهلي ، أفضل الدولة ، أبو المعجد بن أبي الحكم : طبيب عالم بالهندسة والنجوم والموسيقى . من أهل دمشق . أتدلىسى الأصل ، حصل « أرغنا » وبالغ في إقافته . وكان يضرب على الحود ويرمز (بالثاني) وله يد في سائر آلات الطرب ولما بنى السلطان نور الدين الشهيد البيمارستان بدمشق تولى أعماله ، فكان يدور على المرضى فيه ويكتب لهم ما هم في حاجة إليه ، فإذا فرغ من ذلك خرج إلى القلعة ليقتصد مرضى السلطان ويغيرهم ثم عاد إلى البيمارستان ، فجلس بين يديه الأطباء ، والتلاميذ . ويستمر في مباحث طبية مدة ثلاث ساعات .

(معجم علماء العرب - يافز أمين البرود ، راجع كوركيس هواد ٣٦ / ٣٧ ، عن الأعلام للزركلي ٧ / ١٤١ ، وطبقات الأطباء ٢ / ١٥٥ ، والوافى بالوفيات ٣٣٠ / ٣٣٠) .

• **حكم أبي مدين :**

من مخطوطات التصوف في دار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم ١٤٤٨ تصوف ١٣٠ .

الحكمة فكل حكمة حكم وليس كل حكم حكمة ، فإن الحكم أن يقتضى بشئ ، على شئ ، فيقول هو كذا أو ليس بكذا ، قال **عبد الله** : « إن من الشرر لصاحبه » أى فضية صادقة وذلك نحو قول لبيد :

• **إن تغوى ربنا خير نفل**

قال الله تعالى : ﴿ وإتيانه الحكم صيبا ﴾ [مريم : ١٢] وقال **عبد الله** : « الصمت حكم ، وقيل فاعله » : أى حكمة ، ﴿ ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴾ [الجمعة : ٢] ، وقال تعالى : ﴿ وإذكركم ما ينلى في بيوتكم من آيات الله والحكمة ﴾ [الأحزاب : ٣٤] قيل تفسير القرآن ويعنى ما نبه عليه القرآن من ذلك ﴿ إن الله يحكم ما يريد ﴾ [المائدة : ١] أى ما يريد به يجعله حكمة وذلك حث للمباد على الرضى بما يقضيه . قال ابن عباس رضى الله عنه في قوله تعالى : ﴿ من آيات الله والحكمة ﴾ [الأحزاب : ٣٤] فى علم القرآن ناسخه ومنسوخه ، حكمه ومشابهه وقال ابن زيد : هى علم آياته وحكمه . وقال السدى هى النبوة ، وقيل فهم حقائق القرآن وذلك إشارة إلى أبعادها التى تختص بأولى العزم من الرسل ويكون سائر الأنبياء تبعاً لهم فى ذلك . وقوله عز وجل : ﴿ يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا ﴾ [المائدة : ٤٤] فمن الحكمة المختصة بالأنبياء أو من الحكم قوله عز وجل ﴿ آيات محكمات هن لم الكتاب وأخر متشابهات ﴾ [آل عمران : ٧] فالمحكم مالا يمرض فيه شبهة من حيث اللفظ ولا من حيث المعنى والمتشابه على أخصر تلكر فى بابه إن شاء الله ، وفى الحديث : « إن الجنة للمحكمين » قيل هم قوم غُشروا بين أن يقتلوا مسلمين وبين أن يتردوا فاقتلوا القتل ، وقيل عن المخصصين بالحكمة .

(المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهاني - تطبيق وضبط محمد سيد كيلاني / ١٢٦ - ١٢٨) .

• **حكم :**

من مخطوطات الأدب في المتحف العراقي .

الرقم ٣٣٤٢٧ .

تتضمن مجموعة من الحكم والتصانيع ، كتبت على لسان الحيوانات ورتبت على أساليب ورياض ، القسم الأول من هذه النسخة ناقص ، وفى أوراقه تقديم وتأخير .

نسخة جيدة ، مطورة الصفحات بمداد أحمر ، ترقى إلى القرن الثانى عشر الهجرى / القرن الثامن عشر الميلادى .

٦٤ ص . ١٥ × ٢١ سم . ٢١ ص .

(مخطوطات الأدب في المتحف العراقي - أسامة ناصر التفتيشى وطلها محمد عباس / ١٤٩ ، ١٥٠) .

• **الحكم :**

أحد مخطوطات التصوف في دار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

حكم صوفية أول حكمة : اعلم أن الوقوف مع العبودية هو

فصرّب رسول الله ﷺ صدرى، وقال: الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله ﷺ لما يرضى رسول الله ﷺ. أخرجه أبو داود والترمذى (لا تلى) أ لا أقصر.

٢- وعن أم سلمة رضى الله عنها قالت: «سمع رسول الله ﷺ جلية خصم يباب حجرته فخرج إليهم فقال: إنما أنا بشر، وإنه يأتينى الخصم، ولعل بعضهم أن يكون أبلغ من بعض فأحسب أنه صادق فأقضى له، فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار، فليحملها أو يليزها» أخرجه السنن.

٣- وفى رواية للشيخين: «إنما أنا بشر مثلكم، وإنكم تختصمون إلي ولعل بعضهم أن يكون من بحتهم من بعضى فأقضى له بنحو ما أسمع فمن قضيت له بشىء من حق أخيه فإنما أقطع له قطعة من النار».

ومعنى (ألحن بحتهم) أى أقوم بها من وأقدر عليها، من ألحن بفتح الحاء وهو القطعة.

٤- وعن الأشمث بن قيس: «أنه اشترى رقيقاً من الخُص من عبد الله بعشرين ألفاً فأرسل إليه عبد الله فى ثمنهم. فقال: إنما أخذتهم بعشرة آلاف. قال عبدالله: فآختر رجلاً يكون بينى وبينك. فقال الأشمث: كن أنت بينى وبين نفسك. فقال عبد الله: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا اختلف البيعان وليس بينهما بينة، فهو ما يقول رب السلعة أو يتأركان». أخرجه أبو داود، وأخرج النسائى منه المسند فقط (تيسر الوصول) ١/ ٤٨، ٤٩.

وقد أجمل الإمام الشيخ محمود شلتوت ما يتعلق بالحكم الإسلامى فى كتابه النفيس «من توجهات الإسلام» قال رحمه الله: السيادة والحكم لله والأمة مستخلفة:

يقرر القرآن الكريم صراحة: أن الله سبحانه هو الخالق للكون وما فيه من كائنات، فهو رب الناس، رب العالمين، وأنه مالك الملك يؤتيه لمن يشاء ويمنعه من يشاء، فهو السيد المطلق وحده، والناس كلهم عبيده، وهم سواء فى درجة العبودية له، كما أنهم سواء فى نسبتهم إلى الخالق المالك، لا يتفاضلون إلا بمبلغ إيمانهم بالله، واستمسكهم بشعره، ومدى ما يقدمونه من خدمات لصالح المؤمنين.

ويقرر القرآن الكريم أن الله استخلف أحاداً من الناس خصهم برحمته، وحملهم هدايته إلى الناس، ابتداء مساعدتهم فى الدنيا والآخرة ﴿إِنى جاعل فى الأرض خليفة﴾ (البقرة: ٣٠) ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة﴾ (ش: ٢٦) ﴿إن الله اصطفى آدم ونوحاً﴾ (آل عمران: ٣٣) ... الخ.

كما أنه تعالى استخلف الشعوب والجماعات، ووكل إليها مثل ما وكل إلى الرسل والهداة من رسالات ﴿وجعلكم خلفاء من بعد قوم نوح﴾ (الأعراف: ٦٩) وتلك سنة الله فى الناس منذ خلقهم: يستخلف شعباً أو جماعة يحملها الرسالة العامة، ثم يعقلى منها فركاً يجعله مناهجاً وحيه، ويوصله إلى الناس بالهداية. ولن تلقى

حكم إلهية ومواعظ على طريقة أهل التحقيق من الصوفية.

المؤلف: أبو مدين شبيب بن الحسن المغربى الأنصارى الأندلسى التلمسانى المتوفى سنة ٥٨٩هـ / ١١٩٣م.

أولها: الحق تعالى مطلع على السرائر والظواهر فى كل نفس وحال، فأبما قلب ربه مؤثراً له حفظه من طروق المحن ومعضلات الفتن، الحق تعالى يجرى على ألسنة علماء كل زمان ما يليق بأهله ...

آخرها: وكان آثار نوره مع الفقراء بالأسس والأبساط، ومع الصوفية بالأدب والزياتباط، ومع المشايخ بالأدب والاعتباط ... ومع أهل المقامات بالتروحيد والانكسار والعصاة والسلام على نبيه المختار ...

الخط نسخ متعاد، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر.

اسم الناسخ: مكى بن عبد النافع بن أبى الوفاء بن علوان الحموى.

تاريخ النسخ: جمادى الأولى سنة ١٠١٩هـ.

ملاحظات: نسخة عادية مراجعة من وثق أسعد باشا العظم.

نسخة ثانية:

الرقم: ٤٠٤٢

أولها وآخرها: كالمسابقة مع زيادة بسيطة.

الخط نسخى دقيق، الحبر أسود مجدولة الأزرق.

اسم الناسخ: محمد بن حسن بن محمد القايينى الشافى القادري.

تاريخ النسخ: سنة ١١٣٧هـ.

مصادر عن الرسالة: فهرس الخديوية ٧/ ٢٢٨.

مصادر عن المؤلف: معجم المؤلفين ٤/ ٣٠٢، الأعلام ٣/ ٢٤٨ إكتادلى إتشوف إلى رجال التصوف ص ٣١٦-٣٢٥ طبع الرباط سنة ٩٥٨.

بعض نسخ الرسالة: دار الكتب المصرية مجموعة ١٧٨ / ٧، المتحف البريطانى متسلسل ٢٣٧ رقم ٤٢٧٣ ق ٦٨ - ٧٥.

قال واضع الفهرس:

طبعة الرسالة: اطلعت عليها مطبوعة مع شرح لها فى مكتبة المرحوم الشيخ يعقوب المهتدى.

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. التصوف. وضع محمد ريان المالح ١/ ٤٧٠، ٤٧١).

«الحكم الإسلامى»

عن كيفية الحكم بقول الإمام ابن الدنج:

١- من الحارث بن عمرو ابن أخى المنيرة بن شعبة يرفعه إلى معاذ رضى الله عنه «لما بعث رسول الله ﷺ إلى اليمن قال له: كيف تقضى إذا عرض لك قضاء؟ قال: أقضى بكتاب الله. قال: فإن لم تجد؟ قال: أقضى بسنة رسول الله ﷺ. قال: فإن لم تجد فى سنة رسول ﷺ ولا فى كتاب الله؟ قال: قلت أجهد برأى ولا ألق. قال:

مسئولية الرسول مسئلة المشوب أو الجماعات ﴿ ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء ﴾ [الأنعام : ٥٢]

ولقد اتجه القرآن الكريم في خطابه العام بجميع أنواع التشريع إلى الجماعة، لأن لها الاعتبار الأول في الرعاية والمشاركة فاناها بوصف الإنسانية تارة وبوصف الإيمان تارة، وخطابها بإطلاق تارة أخرى . « يا أيها الناس ... يا أيها الذين آمنوا ... أقيموا الصلاة ... افعلوا الخير . فافعلوا ... فاجلدوا . إلخ » .

وبهذا سلط الجماعة على الفرد وكلها بتفويض التشريع واختيار طريقة التنفيذ والإشراف على المنفذين من الأفراد . ويجعل الحكم أمارة يجب أن تؤدي على الوجه الأكمل ، وخدمة للمسلمين عامة ، ولم يجعل لغيره بالحكم أي لون من ألوان السيادة على العامة ، لأنه وحده السيد المطلق والناس جميعا عبيده . وقطعا لما عساه يتوهم من سيادة للحاكم على المحكومين كما كان شاعرا قبل الإسلام ، جعل الحكم حقا له في الأصل وللأمة المستخلفة بطريق التبعية ، وللمخلوطة بطريق الركائز من الأمة التي نصبت ، ﴿ إن الحكم إلا لله أسر آل متبدلا إلا إياه ﴾ [يسوف : ٤٠] ﴿ وأنت أحكم الحاكمين ﴾ [هود : ٤٥] ﴿ إن الله يأمرك أن تتوحد الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ﴾ [النساء : ٥٨] وهكذا جعل الإسلام الحكم حقا للأمة التي استخلفتها في الأرض واستمرها فيها ، ومنحها وصف السيادة عن هذا الطريق على كل فرد منها ولو كان حاكما .

التشوري أساس الحكم :

وزيادة في تأكيد هذا المعنى السامي الذي لم يسبق الإسلام إليه ، قرر أن يكون الحكم تشوري بين المسلمين ، وأمر الرسول المعصوم أن يشارو المسلمين في أمرهم ، وهو بالطبع لا يشاروهم فيما هو من شأن الوحي والتشريع ، بل في غيره . وأهم أمر المسلمين مما لا دخل للوحي فيه ، هو أمر الحكم ، وهو موضع التشوري بينهم لا يستبد به الحاكم ولو كان رسولا معصوما ﴿ وشاروهم في الأمر ﴾ [آل عمران : ١٥٩] ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ [الشورى : ٢٨] ﴿ لتست عليهم بصيطة ﴾ [النفاضة : ٢٢] ﴿ وما أنت عليهم بجبار ﴾ [ق : ٤٥] .

أما ما هو شكل التشوري؟ وما هو مداهما ؟ فقد ترك ذلك للأمة تشكله حسب ما ترى من مصلحتها في كل مكان وزمان ، فالبدأ ثابت دائم ولا رأى لأحد فيه . ولا تملك الأمة تغييره لأنه تشريع دائم وإنشكرا متغير متطور . للأمة الرأي في تغييره وتطويره برأي ذوي العلم والخبرة من بينها ، وهم أولياء أمرها وأهل الحل والعقد فيها . ولقد كان هذا مفهوما عند المسلمين الأولين ، فهذا الجواب بن المعتز الذي يغير الوضع الحبري للمسلمين في بدر ، بعد أن علم أن الرسول لم يتزلم المنازل الأولى التي عدل عنها يوحى . وهذا سعد ابن معاذ يمزق ورقة المعاهدة التي عقدتها الرسول مع أهل الطائف

في غزوة الأحزاب ، بعد مفاوضات طويلة بين الرسول وبينهم . وذلك أن الحصار اشتد على المسلمين وازدادوا زائلا شديدا ، فرأى عليه السلام أن يصنع شيئا يخفف به متاعهم ويفرق جمع الأعداء ، فدخل في مفاوضات مع أهل الطائف ، واتفقا على أن يرجع الطائفون ولهم ثلث ثمار المدينة ، فسأل سعد رسول الله عن ذلك وهل للوحي دخل فيه ؟ فقال له عليه السلام : إنما هو أمر صنعته لكم رجوت من وراءه الخير ، فأخذ سعد المعاهدة ومرتفها . وقد كانت معدة للتوقيع - قالوا : إنهم لم يتألوا ثمرة لنا إلا زكري ، أبعد أن أعرضا الله بك يأخذون ثلث ثمار المدينة عنوة ؟ لا والله فلم يغضب الرسول ، وسر بذلك المسلمون جميعا .

وهذه الحادثة تضع تقليدا دستوريا هاما للمسلمين ، هو أن الحاكم - ولو كان رسولا معصوما ، يجب عليه ألا يستبد بأمر المسلمين ، ولا أن يقطع برأس في شأن هام ، ولا أن يقصد معاهدة تلزم المسلمين بأى التزام دون مشورتهم ، وأخذ آرائهم ، فإن فعل كان لئلا حتى إلغاء كل ما استبد به من دونهم ، وتزنيق كل معاهدة لم يكن لهم رأى فيها ...

أهل الحل والعقد :

ويضمن الإسلام تنفيذ أوامره أمر أن تكون في الأمة جماعة دائمة ، تدعو إلى الخير . وتأمّر بالمعروف وتنهى عن المنكر . وهذه الجماعة غالبا تكون من أهل العلم والبرص بأمر الدين والسنن . ومن كل ذي رأى وخبرة في ناحية من نواحي الحياة . وكل فرد من المسلمين يرى نفسه أهلا للقيام بذلك ، فحق عليه كالأصالة والزكاة والصيام والحياء أن يدعو إلى الخير ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، والخبر من ذلك ضمان صلاح المسلمين في دينهم ودنياهم ، وتقويم الموعج من أمورهم . وبهذا يتضمن أفراد الأمة جميعا في كفالة صولها ودفع الشر عنها . وكل فرد هذا شأنه مسئول عن صالها الأمة مسئلة تامة لا يخلصه منها إلا أدلاها واحتمال تبعاتها بصبر وأمانة ، ولا يفيقه من الحساب عليها عذر مهما كان .

من هذه المسئولية نشأ التضامن الجماعي بين الأمة ، وتنشأ مسئلة الجماعة عن أمورها كافة ، وتعمل من تبعه فساد أمرها مثل ما يحتمله الحاكم الذي جرى الفساد على يديه ، إن لم تكن مسئليتها أكبر وأخطر .

الحاكم وكيل الأمة :

ولهذا كان من حق الأمة أن تختار حكامها ، تعينهم ، وتعزلهم ، وتراقبهم في كل تصرفاتهم الشخصية والعامة ، فالحاكم يجب أن يكون حميد السيرة ، فإن ساءت سيرته فللأمة عزله ، ويجب أن يكون عادلا ، فإن ظلم فللأمة عزله . ويتفق الفقهاء على أن خليفة المسلمين هو مجرد وكيل عن الأمة يخضع لسلطان موكله في جميع أموره ، وهو مثل أى وكيل لفرد من الأمة في البيع والشراء يخضع لما يخضع له الوكيل الشخصي .

التنظيم الاقتصادي :

والإسلام أول تشريع عام يربط السياسة بالاقتصاد، ويرتب على هذا إلى أبهى أسن المجتمع واستقراره، فهو يقرر الزكاة وهي نسبة معلومة على قدر معلوم من الأموال والحرث والزروع والثما، ويقرر الإنفاق المطلق على كل غنى حسبما يملى عليه إيمانه وشعوره بالمسؤولية لصالح الدين والدولة وأفرادها، ولم يحدد فيه نسبة خاصة امتحاناً للمؤمنين، واختياراً لمدى شعورهم بالصالح العام الذي يتطلب غالباً نفقات تقصر عنها موارد الزكاة المحددة، فإذا لم ينفق كل ذي سعة من سعته فللدولة أن تشجع ما يلزم الأغنياء بالإتفاق على حاجات الدولة عند الزرع، حتى رأينا «أيا ذر» يبالغ في ذلك، ويحاول أن يحمل معاوية والخليفة عثمان على أن يقرضه على أن يمسك النخس قوته ويتصدق بكل ما يريد عليه، فأجابته عثمان: «مع الناس لما تركه الله إليهم» فإذا لا نكره الناس على الطاعة.

وإلى جانب هذا يأمر بالتصدق تطوعاً عند الاقتضاء، إذكاء لروح التكافل والتضامن بين المسلمين.

ونظرة بسيطة إلى مصارف الزكاة والإنفاق والصدقات، ترى أن الإسلام يعمل على تملك كل فقير محروم، ليشره بجزء وكرامته، وليجعل منه لبنة قوية في بناء الدولة، لا يابئ كثيراً حتى يكون من الساهمين مع غيره في إنشاء هذه الملكيات الصغيرة الجديدة التي يهدف الإسلام إلى نشرها والإكثار منها في دوله، حملاً للناس على العمل، وقضاء على التسلط، وإشعاروا لهم بالكرامة، وإرضاء لما في شرائعهم من حب التملك، في الوقت الذي يهدف إلى إهداب فيه هذه الفرائز ويعد من جموعها في الموسرين.

وإذا ضمنت إلى ذلك نظرة إلى تشريع الإسلام في الموارث، وجدت يوضح أنه يعمل على الحد من تضخم الثروات بتجزئة التركبات، كما يحد منه بالزكاة، والإنفاق والصدقة ... وفي نفس الوقت الذي يهدف فيه إلى التضخم في الملكيات والثروات بين ملكيات صغيرة وثروات صغيرة.

وهو بذلك يبالغ أعظم مشاكل البشرية علاجاً ناجحاً جاسماً باسم الدين الذي لا مناص من التزامه: مشكلة الفقر الذي يدفع إلى الجسد والجريمة، والتسريع بالأغنياء، ومشكلة النخس الفاحش الذي يدفع إلى البخل، والخوف من الفقر، وكراهيتهم، والعمل على إقلاهم وقلمهم واضعافهم، حتى لا يسلبوا ما في يد الأغنياء، ولو أدى ذلك إلى الجريمة، ومشكلة الغرور الفاتل في نفوس الأغنياء، والتعالي والتجبر بكرة المال، ومنعهم من الجنوح إلى الشر في الخفاف على أموالهم والحد من جميع غرائز التملك فيهم، ومشكلة الشعور بالحرمان عند الفقراء الذي يدفعهم إلى إرضاء غرائز التملك فيهم ولو عن طريق الجريمة، والقضاء على الميل إلى الشر فيهم.

وهن طريق هذا العلاج المزيج المادي والروحي، يهضم

كما يجمعون أن موظفي الدولة الذين يمتنعهم الخليفة أو يزعزهم، لا يعملون بولايته ولا يتعاونون بجزله باعتباره الشخصي، وإنما بولاية الأمة وعزل الأمة التي وكلته في التولية والعزل، ولهذا إذا عُزل الخليفة لا يتعزل ولا يمتنع وقضاؤه؛ لأنهم يعملون باسم الأمة وفي حق الأمة، لا باسم الخليفة ولا في خلاص حق الخليفة.

خليفة المسلمين فرد عادي:

كما أجمع الفقهاء على أن خليفة المسلمين ورئيس دولتهم ليس إلا فرداً عادياً من الأفراد. لا يمتاز على واحد منهم إلا بتقل مسؤوليته كتركيب عنهم؛ فيؤخذ بالفصاح إذا قُتل عمداً، ويحتمل المخارم التي يلحقها بالناس، ويلزم برد ما ينتخبه من الأفراد ويحسد حد الزنى إذا زنى، وتقطع يده إذا سرق، والأمانة صاحبة الولاية عليه في كل ذلك، تقيم عليه الحدود وتنفذ عليه الأحكام.

ومن هنا نفهم لماذا كان القضاء في صدر الإسلام يحكمون على الخلفاء، ويسون بينهم وبين خصومهم في مجالس القضاء، ويخضعون عليهم أحكام الله. لأن هؤلاء القضاء كانوا يفهمون: أن الخليفة الذي يحاكمونه إنما ولهم سلطان الأمة، فهم قضائهم لا قضائهم.

وإذا عرفنا أن الرسول ﷺ كان يفيد من نفسه ويقول: «من جدت له ظهراً فهذا ظهري فليستد منه ... إلخ»، وأن الراشدين جميعاً كانوا يشترطون لطاعة الناس لهم أن يعطوا الله في سيرتهم الشخصية وسيرتهم العامة، لأنه «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق».

وإذا كان الفسوق الشخصي في السيرة الخاصة ممصبة له، فالظلم في السرعة، والجور في الحكم، وأكل حقوق الناس بالباطل، وتعطيل حرياتهم من أكبر المعاصي عند الله، ومن هنا تبرز أن كلمة «السلطان ظل الله في الأرض» لا أصل لها في الإسلام.

الحريات العامة و حدود التمتع لها :

وإذا كان الإسلام يقرر الحريات العامة للناس كافة، حرية العقيدة، حرية الرأي حرية الاستيطان، حرية التملك، حرية التنقل، وكل ما تشتمله كلمة حريات، ويرى أن إطلاق الحريات في مصلحة الدولة نفسها بقدر ما هو في مصلحة الأفراد، فإنه يشترط لتمتع كل فرد بحرياته، ألا يكون ذلك عن طريق الظلمان على حريات الآخرين، أو عن طريق الإضرار بصالح الدين والدولة فإذا اعتدى فرد على حرية فرد آخر، أو كان تمتعه بحرته مضراً بالدين أو الدولة، مثل أن يستغل حريته في الظلم على الإسلام، أو إفساد أسرار الدولة، أو التجسس عليها ونقل أخبارها إلى أعدائها وما شابه ذلك، ويجب على الدولة أن تقيده حرية الفرد، لأن ذلك هو مصلحته ومصلحة الدين والدولة، ويقابل هذا أن الدولة لا تملك حق تقييد الحريات إلا عن هذا الطريق، فإذا قيدت حرية شخص ما بلا موجب، فلا طاعة له عليه.

القول فيه ، وهو علم يدرس في الدراسات العليا بكتليات الحقوق ، وفيه بحوث مستغنية تصدى لها باحثون من المشتغلين بالعلم ، الإسلامي ، ولكننا نكتب في أصول الحكم الإسلامي والنابع التي تستمد منها سلطاته المختلفة ، وتقصد إلى ذلك ، لأن كثيرين ممن يعملون على تشويه الحكم الإسلامي يتكلمون في هذا الحكم وأخذونه من معاملة الحاكمين لرعاياهم ، ويرغمون أن ذلك هو حكم الإسلام وما هو إلا حكم الطغيان ، ولقد كان أولئك الحكام يرتكبون ما يرتكبون باسم أنهم خلفاء الإسلام ، ومنهم من تطاول في القول حتى سماهم خلفاء الله تعالى ، كما كان يجري على لسان الحجاج بن يوسف الثقفي وأشباهه ممن كانوا يضيفون قديمة إلى ملوكهم الذين ولوهم وأرادوا تثبيت ملكهم بكل الوسائل ما حل منها وما حرم .

وكان من هؤلاء الملوك من كانوا إذا فتحوا بلدا إسلاميا فرضوا عليه الجزية كما فرض سلطان الأتراك الجزية على مصر وغيرها من البلدان المفتوحة ، ومع ذلك تسمى أولئك السلاطين بأسماء المؤمنين ، وكانوا يفرضون سلطانهم باسم الدين ، ويلزمون الناس بطاعتهم باسم أنهم أمراء المؤمنين ، متمسكين بقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ [النساء : ٥٩] .

فأخذوا بجزء من الآية ، وتركوا الجزء الآخر ، ومن الناس من ذهب به فرط ضلاله إلى وجوب طاعة الحاكم مطلقا ولو كان غير مسلم يمتنع خيرات المسلمين ، وأدخلوه في ضمن أولياء الأمر الذين تجب طاعتهم ، لذلك حتى علينا أن نبين من هو جدير بذلك الاسم ، اسم ولي أمر المسلمين ، ولا نستمد ذلك من أعمال الحكام الذين جاءوا بعد عصر الراشدين ، ولا من أقوال الذين لا يستمدون أقوالهم من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بل يستمدون من الكتاب والسنة . وننظر إلى تطبيق ذلك في عصر الراشدين أي بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم أجمعين .

أول أمر ترى الإسلام شدد فيه هو أن يكون أمر المسلمين شوري فيما بينهم ، فالخليفة يختار بالشورى وأعماله كلها تكون مقيدة بالشورى ، وقد جاء النص القرآني الكريم بوجوب الشورى في أساس الحكم ، ولي فروع قد قل تعالى في وصف المؤمنين الصادقين في إيمانهم :

﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون ﴿ [الشورى : ٣٨ ، ٣٩] .

وترى من هذا النص أن الله تعالى يوجب أن يكون في المؤمن

الإسلام في مجتمعه سيادة المحبة والمودة والرحمة ، كما يضمن أمن المجتمع واستقراره ، وإشاعة السلام فيه وهو أمر لم تزل البشرية جاهدة في بلوغه ، وإدراك أسبابه . وهيهات هيهات أن تصل إليه إلا عن طريق الإسلام .

خلاصة المبادئ الإسلامية في الحكم :

ومن هذا نخلص إلى المبادئ الآتية :

١ - السيادة : لله وحده لأنه الخالق المالك . وهي في كل شعب للشعب نفسه بعد الله الذي استخلفه في وطنه .

٢ - الحكم : لله وهو حقه وحق الشعب يباشره نيابة عن الله .

٣ - الحاكم : وكيل للامة وليس له عليها سيادة بل هي سيده وهو خادما الأمين .

٤ - الشورى : أساس الحكم وكل حكم لا يقوم على الشورى لا يكون شرعا .

٥ - التضامن الجماعي : الأفراد جميعا يتضامنون في المسئولية عن صوالحهم وصالح الدين والدولة .

٦ - الرقابة الشعبية : حتى للامة أن تراقب حكامها ، وتحاسبهم ، وترسم لهم خطوط تدبير مصالحها ، وتشرف على التنفيذ ، وتعدل حسب مصالحها .

٧ - عزل الخليفة : للامة أن تجار وتظلم وتظهر خشمه ولم يرعو لتاصح أو زاجر فإن رفض العزل عزله بالقوة ، ولو أدى ذلك إلى نصب الحرب وشهر السلاح في وجهه إذا رأت الامة ذلك في مصالحها .

٨ - أهل الحل والعقد : هم أهل العلم والرأي والخبرة في كل نواحي النشاط الحيوي بالامة ، وهم لسانها المعبر عن رضاها وسخطها ، ومن حقهم ترشيح أصلحهم للخلافة ، وتقديمه للامة لترى رأيها فيه من رضى واختيار ، دون ضغط أو قهر ، ومن حق كل مسلم أن يكون له رأى في اختيار الخليفة ، وأن يمكن من إعلان رأيه بحرية تامة ، دون أن يضار بسبب رأيه ولو خالف الأغلبية ، وعليه مع هذا أن يلزم الجماعة (من توجهات الإسلام/ ٥٢٨-٥٣٦) .

ولشيخ الإمام محمد أبى زهرة بحث نفيس بعنوان « المجتمع الإنساني في ظل الإسلام » سبق أن أوردنا جزءا منه في مادة « حقوق المرأة في الإسلام » ، وهذا الجزء الذى نقله هنا يخص بتعريف أولياء الأمر الذين تجب طاعتهم ، وتطبيق ذلك في عصر الراشدين . قال رحمه الله :

لا نريد أن نسط في هذا الموضوع : نظام الحكم في الإسلام ، سواء أكان مشتقا من أعمال الحكام الذين حكموا وسيطروا ، أم كان مما استنبطه العلماء من أحكام تتعلق بالحكم والحكم وجبايات ، شيعه المختلفة ، ووظيفة كل شعبة من الشعب ، لأن ذلك موضوع يطول

أحدهما - أن يتخير الأمور بعقل خال من الهوى والشهوات ليدرك الحسن منها .

وثانيهما - أن يستشير غيره ، فإن القرباس لا يقرأ إلا من وجهه ، ونظروهما هو مهما يكن خاليا من الهوى قد يكون جانبا ، فيجب أن يستعين بشيخه ليرى من كل الجوانب ، وإذا كان ذلك أمرا لازما بالنسبة للأعمال الأحادية فهو أئزوم وأوجب بالنسبة للأعمال الجماعية .

وإن الشورى فوق أنها تعريف للصواب هي تربية للأمة على الإدراك الصحيح في عامة الأمور ، وهي التي تتفق مع النظام العام السليم ، وخير للجماعات أن تخطئ في رأى تبديه وهي حرة ، من أن تفرض عليها آراء صالحة ، فإن صوابها يكون مقترنا بإرهاق نفس وضغط للإرادة ، وذلك أشد ضررا في تكوين الأسم .

ومع أن الحكمةاء قرروا أن أمثل نظام للحكم هو حكم الفرد العادل ، قرروا أنهم لا يوصون به ، بل يوصون بحكم الشعب ، لأن صلاح حكم الفرد قريب من فساده ، وأخطر حكم هو حكم الفرد الفاسد ، على أن تقول إن الفرد العادل الصالح لن يرضى لنفسه أن يتفرد من غير استشارة . لأن العادل لا يفرض الصواب المطلق في فعله دائما .

— هكذا حكم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان ينفذ الأحكام المقررة بالشورى ، أما ذات المبادئ التي تنفذ فأنها بحسب من الله تعالى .

ولما جاء بعد وفاته عليه السلام الراشدون من أصحابه أقاموا دعائم الشورى في أصل اختيار الحاكم الأعلى وفي تنظيم الأمور كما كان يفعل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وخصوصا الأمور التي تكون أصلا لنظام معين يريد اتباعه ويرسم فيها منهاجا ، فإن الراشدين كانوا يستشيرون فيه ، أما اختيار الحاكم الأعلى بالشورى ، فقد سلكوا له ثلاث طرق .

أولها — الاختيار الحر من غير ارتباط بوسيلة الحاكم السابق ، وهذا ما كان في اختيار أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، فإن كبار الصحابة اجتمعوا في سفينة بنى ساعدة وتداولوا فيما بينهم فيمن يكون خليفة ليجتمع من المهاجرين أم يكون من الأنصار ، وقد انتهى إليهم على أن يكون من قريش ، فريش في العرب ، ولأن الحاكم الأعلى يجب أن يدين له العرب ، وخصوصا أن الإسلام بعد لا يزال جديدا فيهم ، والأعراب منهم أسلموا ، ولما دخل الإيمان قلوبهم ، كما قال الله تعالى :

﴿ قَالَتِ الْغُرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تَوْنُوا وَلَكِنْ قَوْلُوا أَسْلَمْنَا لَمَّا دَخَلُ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٤] .

ولقد بين أبو بكر في خطبته ضرورة أن يكون الإمام من قريش ، وجاء في آخر خطبته : « لا تدين العرب إلا لهذا الحسب من قريش » وبإيمه الناس على ذلك .

الطريقة الثانية — أن يوصى الخليفة الخليفة من بعده ، ومعنى

خصص خصاله في بناء الجماعة الإسلامية ، والأولى هي الطاعة لله تعالى بالاستجابة إليه وحده وعدم الاستجابة لغيره إلا من وراء الاستجابة له سبحانه ، بمعنى أنه لا يطاع إلا فيما يكون فيه طاعة لله تعالى ، والصفة الثانية تظهر قلبه بالعبادات التي تظهر القلب وتهذب النفس وترى الوجدان ، وذكر أوصيائها في ذلك وهي الصلاة ، والصفة الثالثة أن يكون حكم المسلمين بالشورى الجامعة لا بالاستبداد المفرق ، والصفة الرابعة : التعاون المادي بسد حاجة المحتاجين ، والصفة الخامسة : ألا يخضعوا للظلم قط ، وأن يدفعوه حيث كان وأنى يكون ، فليس يسلم صادق الإيمان أن يرضى بالبنية في دينه ، ومن يرضى بالظلم ينزل به ، ولقد روي أن قول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : « أنفل الجهاد كلمة حق أمام سلطان جائر » وهذا هو الذي أشار إليه النص الكريم بقوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَكْتُمُونَ ﴾ [الشورى : ٣٩] . وقد أكد طلب الاتفاق من الظلم ومحل البغى على الحق بتأكيدات بلاغية واضحة ، ولقد قال تعالى أمرآ تبينه بصفته الحاكم الأعلى :

﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِنَّهُمْ عَمْتَ لَكُلِّ عَلَى اللَّهِ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

فجعل المشاورة واجبة قبل العمل ، وكثيرا ما كان يرى النبي رأى في أمر الحرب وينبهه إلى خطأ الرأى بعض أصحابه ، كما حدث في المنزل الذي اختاره للقتال في غزوة بدر ، فنبهه بعض الصحابة إلى غيره فعدل بعد أن اتفق .

ولقد قرر في غزوة أحد أن يفي في المدينة حتى إذا جاءت قريش إلى أرفقتها وطرقاتها الضيقة انتصف المسلمون منهم ، وقد رأى ذلك الرأى شيخ المدينة ، ولكن شياهما وتخصصا الذين لم يعضروا بدرا وأمر غيره وكثرتا الكثرة فنزل عند رأيهم وإن كان رأيه غيره ، لأنه يسير على نظام الشورى ويرى الأمة عليه ، ويتشور هو بفرض الخطأ في رأيه ولا يفرض الصواب دائما ، وإن الفرق بين الحاكم المستبد والحاكم الحر الذي يفرض الأمر شورى هو أن المستبد دائما يفرض في رأيه الصواب الذي لا يحتمل الخطأ ، ويتحكم يفرض في رأى غيره الخطأ الذي لا يقبل أن يكون صائبا ، هذا إذا كان مخالفا في طلب الحق وإن كان مستبدا ، أما إذا كان غير مختص فأنه يجعل شهواته حكما ورضياته رأيا مفروضا لا رجوع فيه .

والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم في تدبير شؤون السياسة وفي تنظيم الأمور الخاضعة للمبادئ المقررة الثابتة النازلة بحسب من السماء كان يعمل الاستشارة دائما ، لا على أنها تبرع يتبع بها بل على أنها واجب عليه بصفته حاكما ، ولذا روى عن النبي عليه السلام أنه قال : « ما خاب من استشاره ، ولا تدم من لم يستشار » ومعنى استشار أي بحث عن خير الأمور وطلبها ، فالنبي يطلب ممن يقوم بعمل عام أو خاص أمرين :

يكن فقد انتهى الأمر باختيار ذى النورين رضى الله عنه، فهو من السابقين المقربين الفاترين يرضون عن الله ، وقضى الله بذلك أمرا كان مفعولا .

هذه هي الطرق الثلاث التي كان يسلكها الصحابة في اختيار الخليفة الأعظم ، وكلها طرق شورية ، وليس منها أن يعهد الخليفة إلى لبيته ، لأنه في هذه الحال يلتبس الحق بالمحبة الأبوية ، وتصير ملكا بعد أن كانت شورية ، ولذلك ورد الأمر بما يشير إلى أنها صارت ملكا ، فقد روى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « الخلافة بعدى ثلاثون ، ثم تصير ملكا حضوريا » أى بعض عليه بالنواجد ، وذلك هو الذى كان فإن خلافة الإمام على كرم الله وجهه تنتهى سنة أربعين من الهجرة ، أى بعد وفاة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثين سنة ، وهى آخر خلافة شورية ، قام الحكم فيها على الشورى ، وهى التى لم يكن رأى فيها لأهل الشام الذين كانوا محكومين بهرقل ملك الروم ، وكان لهم أنس أو خضيف للملكية في كل صورا .

وكانت الأمور في عهد الراشدين تسير بالشورى ، فأبو بكر كان يتخذ ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ، لأن تنفيذ ذلك الحكم لا مجال للرأى فيه ، فكان لم يكن أو كانت الأمور التنفيذية متبينة فإن الشورى هى أساس حكمه ، فكان كلما اطلبهم أمر جمع الصحابة واستشارهم ، وقد نفذ أمر الله في أهل الردة ، وقد ارتد العرب ما عدا مكة والمدينة ، فوقف الصديق خليفة الرسول وقفة أنفذ الإسلام بها ، وكانت هى الصدمة الأولى التى صدم بها حكمه فصد وصبر ، وقد قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : « إنما الصبر عند الصدمة الأولى » .

وقد قيل المرتدون الصلاة أولا وامتنعوا عن الزكاة ، فكان من الصحابة وعلى رأسهم عمر من رأى أن يقبل منهم ذلك ، حتى يستقيم الأمر وتلين العرب بالطاعة للمدينة والخلافة الكبرى ، ولكن أبا بكر رضى الله عنه وهو الضعيف في بدنه القوي في إيمانه أبى ، وقال : إما سلم مخزفة وإما حرب مجالية ، وقال : والله لو منعوني عقالا أعطوه للرسول لقاتلتهم عليه ، ودعا الصحابة إلى هذا الرأى بقوة الإيمان والمحبة لا بقوة السلطان ، كما توهم بعض الناس ، فقد قال رضى الله تعالى عنه : « والله لو أوردت من جهمكم لقاتلتهم حتى أملك مهلكا أو أنال مطلبيا » وما زال بهم حتى وافقوه ، واستمر في الحرب من غير تلبث ، وكان الله تعالى مع المؤمنين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، وانتصر الإسلام على الردة .

وكان ذلك هو شأن أبى بكر فى كل أمر من الأمور ، يتخذ حكم الله إن كان صريحا ، ويتخذ الرأى فى طريقة تنفيذ من غير تاون فى أمر الله تعالى وبنيته ، ثم يتخذ الرأى فيما لم يكن فيه نص ، وهو حريص فى كل ما يفعل على الاقتداء برسول الله صلى الله تعالى

ذلك أنه لا يريد أن يكون أمر المسلمين من بعده فوضى يتحيرون فى اختيار رجل ، فيرشح من يرده أمثل ومن يرى أنه شاركه فيما قام به من أعمال ، ولا يريد وليا للهد ، إنما هو اقترع منه ، كما يفعل ذلك بعض رؤساء الجمهوريات في ترشح من يخلفهم والنداء لهم أحيانا ، وقد فعل ذلك أبو بكر رضى الله تعالى عنه فهو الذى رشح الإمام عمر ، ودعا إلى بيته والموت يندب إليه دينيا في مرضه الذى مات فيه ، وقد تمت البيعة لعمر رضى الله عنه بهذا الترشح ، وكان الانتداب الحر هو تلك البيعة الصحيحة التى تشبه العقد بين الحاكم والمحكوم ، وهو يفرض على المحكوم الطاعة فيما لا معصية فيه لله ولرسوله ، ويفرض على الحاكم العدل وتنفيذ أحكام القرآن والسنة ، والقيام بما هو فى مصلحة المسلمين ، ولا شك أن هذه الطريقة لا ضرر منها ما دام الحاكم يرشح من غير هوى ، فلا يرشح قريبا لفرأته ، ولا رجلا لمجرد محبته ، وما دام يترك الناس أحرارا في الموافقة على الترشح بالبيعة الحرة التى لا يتعثر بها ريب ، وحسب هذه الطريقة فضلا أن سلوكها جاء بمصر رضى الله عنه .

الطريقة الثالثة - أن يرشح الخليفة عددا ليعتار المرشحين واحدا منهم اختيارا سليما من كل الوجوه ويعين لهم مدة للاختيار حتى لا يطول الأمد ، ويطول الأمد يستمر الاختلاف وقد يتفادى ، وقد فعل ذلك الإمام عمر رضى الله عنه ، فقد رأى أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تركها من غير وصية ، ورأى أن أبا بكر أوصى بها ، فتركها وسطا لم يعين واحدا ، بل عينها في ستة مات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو منهم راض ، وهم : على بن أبى طالب ، وعثمان بن عفان ، وسعد بن أبى وقاص ، والزبير بن العوام ، وطلحة بن عبيد الله ، وعبد الرحمن بن عوف ، وقد فوض ثلاثة منهم الأمر لعبد الرحمن بن عوف ، واجتمع الناس في المسجد فعرض عبد الرحمن على عليٍّ أن تكون البيعة له على العمل بكتاب الله وسنة رسوله وسنة الشيخين أبى بكر وعمر من بعده ، فقال متعذرا أن يعمل بكتاب الله وسنة رسوله ، ومن بعد يجتهد رأيه ، ثم قال لعثمان مثل ما قال لعلى رضى الله عنهما فأجابته أن يعمل بكتاب الله وسنة رسوله وسنة الشيخين من بعده ، فاجب عثمان ، ولا نستطيع أن نقول إن هذه الطريقة غير سليمة ، وإنها صحيحة وقد اختارها عمر ، وهو الذى قال فيه النبي : « إن الله كتب الحق على لسان عمر وقلبه » .

ولكن هل نفلت وصية عمر تنفيذيا دقيقا ؟ أحسب أن التنفيذ الدقيق أن يختار كل منهم واحدا ، سواء أكان مفردا أو متبادلا للرأى مع سائرهم ، والفكرة التى عرضها الصحابى الجليل عبد الرحمن ابن عوف كان يجب عرضها على أهل الشورى ، وهم هؤلاء الستة قبل أن تعرض على عثمان وعليٍّ في المسجد الجامع للمسلمين ، وهى التزام الخليفة الجديد أن يعمل بسنة الشيخين ، وإن ذلك التطبيق الذى سلكه ذلك الصحابى الجليل عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه ينتهى إلى أن الأمر كأنه فرض إليه فقط ، لأن الآخرين تركوا آراءهم ، وانتهى الأمر بمبايعة الناس لعثمان بدل على ، ومهما

عليه وسلم ، ويتوقف في كل أمر لم يجد فيه لرسول الله تعالى أمراً ، كما وقف في جمع القرآن في مصاحف جامعة وأخذ يستشير الصحابة الأولين حتى وبعد كثرة موافقة فشرح الله تعالى صدره فألف لجنة من كبار الحفاظ وجمعت .

.. وفي عهد الإمام عمر اتسعت رقعة الدولة الإسلامية ودخل في حكم المسلمين أمم ذوات حضارات قديمة ، واختلطت تلك الحضارة وكونت مزيجاً اجتماعياً لم يألف ، ففتحت العقول الإسلامية ، واتسعت أفاقها ، وأخذ عمر رضي الله تعالى عنه ينظم أمور الدولة ، وهو العبري الذي لم يفر فيه في الإسلام أحد ، كما قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وكانت الشورى هي القوة التي يستعين بها على حكم هذه البلاد المترامية الأطراف ، وقد حث الناس جميعاً على أن يرشدوه إذا أخطأ ويقوموا إذا أخرج ، وهو الذي يقول « من رأى منكم في امرئاً فليؤممه » فقال له بعض السامعين : « والله لو رأينا فيك امرئاً جازاً لقومناه بسيوفنا » فحمد الله على ذلك ، وقال الحمد لله الذي جعل في أمّة محمد من يقوم عمر بسيفه إذا أخرج ، وكان يطلب الترجية إلى الحق من الناس ، قال له بعض الناس اتق الله يا عمر ، فقال بعض الذين يسهون إلى الحكام : أو تقول لأمر المؤمنين : اتق الله ؟ فقال الفاروق رضي الله عنه : « ألا فلتقولوا لا خير فيكم إذا لم تقولوا ولا خير فينا إذا لم نسمعها » .

ولقد ابتداء عمر ينظم الشورى ، فكان له منها الشورى الخاصة ، وفيها يستشير كبار العلماء من الصحابة كعلي بن أبي طالب وعثمان ابن عفان وزيد بن ثابت ومعاذ بن جبل ، وغيرهم من كبار الصحابة وخصوصاً علمائهم كعبد الله بن مسعود ، وهؤلاء يستشيرون في أكثر أمور الدولة ، وخصوصاً ما يحتاج فيها إلى فقه الشرع وتخريج أحكامه .

والقسم الثاني من الشورى وهي الشورى العامة ، وهي التي يحتاج فيها إلى تقرير مبدأ ، أو يكون الأمر فيها خطيراً ، ومن هذا النوع تقسيم الأراضي المفتوحة بين الفاتحين ، أو بقاؤها في أيدي أصحابها الأصليين على أن تكون محسوبة على مصالح المسلمين وغلاتها تعود إليهم ، ويد واضعي اليد به اختصاص لا يد ملك ، وكان رأي الخزانة أن تقسم بينهم قسمة ملك ، وبكثت المناقشة ثلاثة أيام ، وانتهت بأن أقروا رأي عمر بالإجماع لما ساقه من نصوص وكان يستشيرون فيما يتعلق بشخصه إذا اتصل بمصلحة عامة ، فإنه يرى أنه لما تكاثفت جيوش الفرس على الجيش الإسلامي عشى الفاروق على المسلمين ، فأراد أن يخرج إلى الفرس بنفسه ، فاستشار كبار الصحابة في ذلك ، ولعل لك من هذه المناقشة الطريقة مشروعة على رضي الله عنه ، فقد قال الإمام عليّ موجهاً الكلام إلى الإمام عمر :

« إن هذا الأمر لم يكن نصروه ولا خلاته بكثرة ولا قلة ، يهرو دين الله الذي أظهروه ، وجنده الذي أعدم وأمدته حتى بلغ ما بلغ ، وطلع حينما طلع ، ونحن على مرسوم من الله ، والله منجز وعده وناصر جنده ، ومكان القيم من الأمر مكان النظام من الخبز وجميعه وبيضه ، فإذا قطع النظام تفرق الخبز ، ثم لم يجمع بهلاليه أبداً ، والعرب اليوم وإن كانوا قليلاً هم كثيرون بالإسلام ، عزيزون بالاجتماع ، فكُن قلباً ، واستد الرعي بالعرب ، وأصلهم دونك نار الحرب ، فإنك إن شخصت من هذه الأرض انتفضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها ، حتى يكون مائدع وراك من العورات أهم إليك مما بين يديك ، إن الأحاجم إن نظروا إليك غداً يقولوا هذا أصل العرب ، فإذا قطعتموه استرحم ، فيكون ذلك أشد لكليهم عليك ، وطعمهم فيك . . . فأما ما ذكرت من سير القوم إلى قتال المسلمين ، فإن الله سبحانه وتعالى أكره لمسيرهم منك ، وهو أقدر على تغيير ما يكره ، وأما ما ذكرت من عدهم ، فإننا لم نكن نقابل فيما مضى بالكثرة ، وإنما كنا نقابل بالانصر والعونة » . (نوح البلاغة ١/ ٢٨٧) شرح الأستاذ الإمام محمد عبد .

وجاء عهد ذي النورين عثمان رضي الله عنه ، فكانت الشورى لها مكانتها في خلال ست سنين من خلافته ، حتى كانت امتداد لخلافة الإمام عمر رضي الله عنهما ، وكانت من بعد ذلك أحداث جعلت صوبت الشورى يخفى في شخصها ، حتى انتهت تلك الضجبات بمقتل ذلك الشهيد التقى رضي الله عنه ، وأكبر أسبابها ما وقع من أغلاط بعض أهل بيته المؤمنين الذين لم يراعوا حقه في شيوخه .

وجاء عهد علي رضي الله عنه ، فقامت الشورى قوية ، وأراد رضي الله عنه أن يعيدها عمرية ، وكان أقدر الناس لو كان بعد عمر ، ولكن توسط بين العهدين لين سيدنا عثمان ، ثم خروج معاوية عليه وقضاهما رضي الله عنه في حروب ، حتى قتل فيله ، وكان آخر الراشدين هدلاً وحكماً وشورى .

أهل الشورى وطريقها :

.. كان أهل الشورى في عهد الراشدين هم أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وتلاميذهم ، وقد علمت أن أهل الشورى الخاصة في عهد عمر كانت كبار الصحابة ، وقد كان حريصاً رضي الله تعالى عنه على أن يتقهم في المدينة لا ينفذونها ليستعين بهم فيما يرضى له من الأمور ، ولا يخرج أحد منهم من المدينة إلا إذا أراد أن يعلم أهل إقليم شئون دهم ، كما بعث بعبد الله بن مسعود إلى الكوفة ، وفكر أنه أنهرهم على نفسه ، إذ كان يريد أن يفتي بجوازها ليتبع به في شؤله الخاصة .

ومنع كبار قريش من الذهاب إلى الأقاليم ، حتى لا يكونوا فيها استعراضية ، ويحبسون أنهم صنف قائم بقلته ، وهو الحاكم الذي

ذوات البنى (حاضرة العرب لجوستاف لويون، ترجمة الأستاذ عادل زعتر) .

الأهلية للولاية العامة :

— يشترط الكثيرون من العلماء في اختيار الخليفة الأعظم شروطاً :

أهمها - أن تكون مياهته بمشورة المسلمين ، وقد بينا ذلك ، ولكن من هم أهل الشورى السليمة يختارون ، وأن هذا يختلف باختلاف الأزمان ، وباختلاف الأحوال ، وباختلاف الأقاليم ، وكل ذلك تابع للمصلحة الراجحة في كل عصر ، وتقدر هذه المصلحة للمسلمين أنفسهم ، ولا يصح أن تفرض هذه المصلحة من غير الشورى ، فالشورى هم الذين يعرفون مصلحتهم ، إما بعرض ممن يتولون الأمور مؤقتاً ، والمواقفة عليه موقوفة حرة ، وإما بانتخاب عام لمن يمثلونهم فيما يشبه جماعة مؤسسة لنظام الحكم ، واختيار نوع الشورى ، وفرض المصلحة من غير استشارة الشورى عند نظام الشورى ، والكلمة السامية في القرآن الكريم : ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ [الشورى : ٣٨] هي الميزان الكامل للحكم ، واختيار الحاكم ، ومتابعة أعمال الحاكمين ، ولقد قال عمر رضي الله عنه « من اختار رجلاً غير مشورة المسلمين ، فلا يبايع ، ولا الذي يبايعه » والشرط الثاني : أن تؤخذ على الحاكم الموروثين - بأن يبايع بأخذ العهد عليه - بأن يقيم الحكم على أساس العدل وتنفيذ الشرع ، ورعاية مصالح العباد في ظل القرآن والسنة ، غير مخالف لأمر جاء به الدين ، وعلم منه بالضرورة .

والشرط الثالث : أن يكون غير مصروف بالفسق ، بل يجب أن يكون معروفاً بالأمانة والاستقامة والعلمة ، وأن يرجح منه الخير ، وأن يكون قوياً قادراً على إقامة الحق ، وخفض الباطل لا يخشى في الله لومة لائم .

وهذا شرط متفق عليه بين علماء المسلمين وجهادهم ، وهو معلوم من الإسلام بالضرورة وذلك لورود النص القرآني بذلك وهو قوله تعالى :

﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به ﴾ [النساء : ٥٨] .

ويتكلم العلماء في فروض واقعية ، وهي حال ما إذا اختير على أنه عدل تقى ، فظهر أنه فاسق ظالم ، أو كان عدلاً عند الولاية ، فانقلب إلى فاسق ظالم لشبهة سوء أحاطت به ، أو لعلية هوى عليه أو لضعف اعترى قلبه ، وسبحان مقلب القلوب .

فرض الفقهاء ذلك الفرض ، ولم يفرضوا أن هنالك نظاماً للشورى يلزم الظالم بالعدل ، والمنحرف بالاستقامة ، أو على الأقل يخفف ظلمه ، ويقوم إخراجاً ما أمكن ذلك من غير كسر ، ولا

لا يفرض بين الناس قط ، وأهل الإيمان كلهم عند الله وفي الحق سواء ، وكان رضي الله عنه يقول : « اتخذت بحلالتهم قرشي لأنتقم من أن يتجاوزوا الحزبين » .

ولما جاء سيدنا عثمان بأبواب الخروج ، فلما جاء على رضى الله عنه منع كبار قرشي كما منهم عمر رضي الله عنه ، وكان هذا من أسباب انتفاض قرشي .

وكانت الشورى الصامدة هي أهل المدينة أجمعين ، وأن هذا يشبه نظام أثينا في عهد بيركليس - فقد كان كل أفراد أثينا يشتركون في سياسة الدولة ونظامها - فكان كل المؤمنين بلا استثناء يشتركون في هذه الشورى العامة ، ولم يكن هناك انتخاب ، لأن عدد المؤمنين لم يكن يسمح باختيار بعضهم دون بعض ، ولم يكن أهل الأقاليم المفتوحة داخلين في شورى الخليفة الأكبر ، ولكن كانوا يستشارون هم والمؤمنون في أقاليمهم .

ولم يضع الإسلام نظاماً للشورى ، لأن النظام يختلف باختلاف الأقاليم ، إنما دعا إليها باعتبارها مبدأ يجب تحقيقه في الحكم لأنه أساسه ، وما دامت المساواة ثابتة ، وما دامت الطبقات ملغاة ، وكل مؤمن تهيأ له الفرض ليعمل بمقدار ما وهبه الله ، فلا بد أن تكون الشورى أساس الحكم ، لأن الحكم الاستبدادي إنما يكون حيث فرض التفاوت بين الناس في الدم ، أو النسب ، ولا شيء من ذلك في الإسلام قط ، فتكون الشورى هي الأساس في الحكم بمقتضى منطق الإسلام ، ويمقتضى نصوص القرآن والسنة ، ويمقتضى عمل الرسول ، صلوات الله تعالى وسلامه عليه ، ويمقتضى عمل الصديقين الراشدين من صحابته الكرام . وقد نفذها عليه السلام ، كما نفذها صحابته من بعده ، على ما يقتضيه عصرهم .

فالشورى - كيفما كانت - مبدأ أمر به الإسلام ، وأكد الأمر به ، كما أمر بالعدل وأكد الأمر به ، وكما أمر بالمصالح الإنسانية وأكد الأمر بها ، ونهى عن المفساد ، وأكد النهي ، ولم يبين الإسلام بتصوره طرق تحقيق العدالة بين الجماعات ، أن تكون بطريق أن يكون القضاء على دوجتين ؟ أم بدرجة واحدة ؟ كما لم يبين طرق من الأحكام ، وهكذا .

وإن كون الشورى تختلف طرائق تحقيقها باختلاف الأمم من غير إهمال لمعانها ، ومن غير تهيف - بفرض عدم المساواة بالنسب أو الجنس أو اللون - هو ما قرره علماء الاجتماع ، وما قرره الذين درسوا سياسة الجماعات دراسة عميقة ، ولقد قال في ذلك جوستاف لويون ما نصه : « من قصر النظر أن نفق عند تقافتنا الاجتماعية التقليدية ، فزرى أن من الممكن تطبيق نظم لا لزوم أمة بتعاقب الأزمان على أمة أخرى ، إن ذلك لا يختلف كثيراً عن محاولة حمل السمك على التنفس في الهواء ، بحجة أن جميع أنواع الحيوان العليا تنفس في الهواء ، فالسمك يموت حيث تحيا

ضميره الديني، وإنه يمكن أن يوضع نظام يمكن أن تطبق الشورى فيه لا يحكم الفقيه الديني فقط، بل يحكم العمل النظامي .
بيت الخلافة :

هل للإمامة الكبرى في الإسلام بيت خاص، أو شرط خاص بالنسبة لنسب الإمام ؟ قد خاض العلماء في ذلك خوفاً كبيراً ، وتشعبت أقوالهم، فمنهم من اشتراط أن تكون الخلافة في بني علي، سواء كانوا من أولاد فاطمة ، أم لكم يكونوا، وأولئك هم الكيسانية ، وقد انقرضوا ، ومنهم من اشتراط أن يكون من أولاد علي من فاطمة، سواء كانوا من أولاد الحسن أم كانوا من أولاد الحسين ، وأولئك الزيدية ، ومنهم من اشتراط أن يكونوا من بني هاشم وأولئك العباسية والإسماعيلية بطوائفها المختلفة، ومنهم من اشتراط أن يكونوا من بني هاشم وأولئك العباسية ، والجمهور الأكبر من العلماء على أن القرشية شرط في اختيار الخلافة الكبرى وقد روي في ذلك آثاراً عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم منها ما روي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنتان » وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله تعالى عليه وسلم قال « الناس تبع لقريش في هذا الشأن مسلمهم تبع لمسلمهم ، وكافهم تبع لكافهم » وقد روي أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « الناس تبع لقريش في الخير والشر » وفي الخبر عن معاوية أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول « إن هذا الأمر في قريش لا يعاديه أحد إلا كبه الله تعالى على وجهه ما أقاموا الدين » (منهاج السنة/ ٥) .

وإننا نرى أن الأحاديث الواردة في هذا الباب لا تدل دلالة قاطعة على أن الخلافة لا تكون إلا في قريش، فحديث « لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي انسان » غير واضح الدلالة في الخلافة، لأن الأمر ما هو ؟ هو أمر السلطان أم أمر الدين ؟ وهذا الحديث لهو إخبار عما يقع في المستقبل أم هو تقرير حكم شرعي ؟ وهو ألا يتولى أمر المسلمين غيرهم ، وسواء روي عن أبي هريرة في الصحيحين لا يدل أيضاً على الخلافة، بل يدل على مكانة قريش وتبعية الناس لهم في أحوالهم وأخلاقهم ، والناس هم العرب، ويسوا كل المسلمين، وكذلك حديث « الناس تبع لقريش في الخير والشر » لا يدل إلا على مكانتهم ، وأما حديث معاوية فإنا نقبله، لأن البخاري رواه ، ويقول إنه لا يدل على حكم شرعي، وأما يدل على أمر واقعي، ووفق ذلك فما هو هذا الأمر، أمر السلطان أم شيء آخر ؟

وننتهي من هذا إلى أن أحاديث لشرائط القرشية فيها دلالة واضحة على أن الخلافة لا تكون إلا في قريش، ومع ذلك عارضها أمران آخران قويان :

١- أحدهما : ما ورد من آثار على وجوب الطاعة لكل أمير غير ظالم عادل يقيم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ، فقد روى البخاري أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال :

تسريح للجماعة ، أو يتولى العزل من غير فتنة يلتبس فيها الحق بالباطل ، وتشرق فيها الكلمة ، ويضيق الرأي الصائب وسط الهوى المتبع ، والشيخ المطاع ، كما ورد عن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم .

ومما تبين القصد في النظام الذي يره الفقهاء من حيث كمال الشورى جعلها الله تعالى قوام أمر المسلمين، ونظام الحكم فيهم ، فإننا نسوق علاج المقاه لمثل هذه الحال، غير مقيدين به، لأنه استنباط بالرأى، يخطئ ويصيب، ولأنهم لم يجمعوا على أمر في ذلك وأساساً بحسب أنهم في كثير من أقوالهم كانوا متأثرين بمصورهم، وفسروا النصوص على صورتها، أو متأثرين بأحوالها .

ولقد اختلف الفقهاء في علاج ظلم الحكام إذا فسقوا عن أمر ربه، وأثرت عنهم أقوال ثلاثة في فسق الحاكم .

أولهم : أنه يرد جميع أمره ويعمل على عزله، فلا يطاع في طاعة ولا معصية ، لأن إضفاء بغير الحق، وولايته في ذاتها ظلم ، والنصوص له إقرار للظلم وعمل على استمراره وبقائه، ورد الظلم واجب، فلا يطاع في أي صورة .

ثانيهم : أن يطاع في الطاعة ، ويعصى في المعصية ، لأن الآثار واردة بأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولأن الطاعة في حال اتفاق حكمه من أوام الله تعالى هي طاعة له وللملئ ، وليست طاعة له ، ولو خولف في ذلك لكان معصية ، لأنه مخالفة لأمر الله تعالى، ولأن عصيانه في كل شيء إثارة للفتن، والفتن يزل فيها مظالم أشد وأثكى .

ثالثها : أنه يختلف حال الحكام الفاسقين ، فإن كان فسق هو الإمام الأعظم الذي تستمد منه الولايات كلها ، وليس فوقه أحد إلا رب العالمين ، فإنه يطاع في الطاعة ويعصى في المعصية لما ذكر في القول السابق، أما إذا كان الفاسق أحد الولاة الذين يستمدون السلطان من الحاكم الأعظم ، فإنه ترد طاعته، ولا يقر بقاءه، ويعمل على تغييره بالرجوع إلى من ولاه، والفرق بينه وبين الحاكم الأعلى أن هذا لا يمكن تغييره إلا بفتنة ، أما الآخر فتغييره يكون بغير فتنة ، والفتنة تنفي كنهها كانت صورته ، لأن الله تعالى يقول :

﴿ واتقوا فتنة لا تصين الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب ﴾ [الأنفال : ٢٥] . (الآراء الثلاثة المذكورة في كتاب منهاج السنة لابن تيمية ص ٧٦، ٧٧ ج ٢) .

ولا شك أن الرأي الوسط هو أمثل هذه الآراء، ولكننا نرى أن الاحتياط لسلطت الحكام يوجب وضع النظم العامة منه - وليس ذلك بفرج عن أقوال الفقهاء الثلاثة التي ذكرناها، ولكنه احتياط لمنع التحكم ، وهو يتلاقى إلى حد كبير مع القول الثاني الذي اختاره الجمهور الأكبر من الفقهاء، ولكنه احتياط مستمد من روح القرآن والسنة - وهو تحكيم الشورى في كل شيء، لقد كان عمر يحكم الشورى في عمله بموجب دينه وقوله ، فكان الإلزام بها من

الولاية بغير الشورى :

لا بد لتحقيق معنى الخلافة الإسلامية أو بعبارة أدق معنى الإمامة الكبرى في الإسلام من الاختيار العام، والبيعة العامة، وأخذ المصالح من الولي والريعية على تنفيذ حكم الله تعالى، والطريق التي تجب لتنظيم الاختيار متروكة لجماعة المؤمنين، وقد تكون بتفكير من علمائهم، وإقرار من جماعاتهم .
ولكن إذا لم يمكن تنفيذ ذلك الشرط الجمهوري، فماذا يكون الحكم ؟

إنه يتعذر في كثير من الأحوال تنفيذ شرط الاختيار والبيعة، وقد تملأ في الماضي تحقيق الاختيار الإسلامي من جماهير المسلمين، وكانت البيعة تشبه الصورة، إذ كان الضغط والإكراه أساسها، أو على الأقل عدم تفكير الناس في أهمية الولاية، وكان التملد سببه عدم وجود نظام مقرر ثابت، واتساع رقعة الإسلام، فقد كان الاختيار في عهد الراشدين سهلاً، لأنه كان - بحكم الواقع والمصلحة - اختياراً مقصوداً على أهل المدينة، فكان من السهل أن يبايعوا، وكان من السهل أن يختاروا .
والحكم في هذه الحال أقرب فيه أولاً ما قرره الفقهاء، ثم أقرب بعد ذلك ما أراه، وأرجو ألا أبتعد فيه عن روح الإسلام وسموه في إنشاء الحكم الصالح .

أما ما قرره الفقهاء في حال تملد الاختيار، فقد قالوا: إنه إذا تقلب مغلب على الحكم الإسلامي وكان عدلاً أميناً مسلحاً قادراً على القيام بعبء الحكم الإسلامي، ولتفضاه الناس، فإنه يكون حاكماً واجب الطاعة ولا يرضى كثيرون من الفقهاء أن يسموه خليفة، بل يسمونه ملكاً عادلاً .

ويقسمون لذلك الخلافة إلى قسمين : خلافة نبوية، وهي التي استوفت شروط الخلافة كاملة، من قرشية في نظريهم، ومشورة وبيعة حرة لا إكراه فيها، وسميت خلافة نبوية، لأنها هي التي جاءت بها النبوة، وهي التي أمست بها وصرح القرآن الكريم بوجودها، ولأن الحاكم يكون نائباً في الحكم عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في تنفيذ أحكام القرآن والسنة ولذلك سمي الذين يتولون الحكم بهذه الشروط خلفاء، لأنهم يخلفون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في تنفيذ الأحكام الشرعية، وتبليغا للناس .
والقسم الثاني : خلافة ليست نبوية، ويسمونها ابن تيمية

خلافة الملوك، وأقول إنه يصح أنه تسمى ولاية دنوية، ولا تستوفي الشروط الإسلامية، سواء أكان الذين يتولونها يقصرون الولاية على بيت من البيوت تشتمل بينهم بالولاية، أم كانت الولاية برئيس من الرؤساء يتولى شخصه، ولا تنتقل الولاية إلى غيره، ولا بعد من يتولى على هذا النحو، خليفة أو أميراً للمؤمنين، ولها له حق الطاعة ما دام عادلاً، وقد قرر جمهور الفقهاء أنه إذا تولى السطان رجل كفسه عادلاً، ولو بطريق التغلب لا بطريق الاختيار وجبت طاعته،

«اسمعوا وأطيعوا» وإن استعمل عليكم عبد حبشي كان رأسه زبيبة، يروى البخاري ومسلم عن أبي ذر أنه قال : « أن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع وإن ولي عبد حبشي مجنون الألف » (منهاج السنة ٨٧/٢).
فهذه الأحاديث صريحة قاطعة الدلالة في أن الطاعة واجبة وأن تولى عبد حبشي ما دام يقيم كتاب الله تعالى، وما دام المسلمون قد اختاروه، وهذا يدل على عدم التقيد باشتراط القرشية أو الهاشمية أو العلوية أو غيرهم .

والأمر الثاني - أن كبار المسلمين من أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اجتمعوا في ميثقة بنى ساعدة ليختاروا خليفة لرسول الله، ولم يذكر أحد منهم - أعياها من الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم تدل على أن القرشية شرط ولو كانت القرشية شرطاً في رواية عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، ما خابت عنهم جميعاً، فإن أحاديث الآحاد الصحيحة، قد تنيب عن بعض أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، ولكن لا تنيب عن كالمهم - ولو كان ذلك معروفاً ما طالب الأنصار أن تكون الإمرة فيهم، ولا أن يكون منهم أمير ومن المهاجرين أمير، ولو كان ذلك الخبر عن النبي معروفاً لاحتج به أبو بكر الصديق، وما احتاج إلى الاحتجاج بفرض المهاجرين، وما قصر اعتماده إلا على قوله : « لا نلين العرب إلا لهذا النبي من فريش » .

ومن المقررات في علم الحديث أن حديث الأحاد لا يؤخذ به إذا كان في أمر من شأنه أن يعلم به الكافة، ولا شك أن الخلافة وما يتعلق بها من شرط، أمر لا يخص طائفة، ولكنه يتعلق بالكافة، فلا بد وقد قام جدل حوله أن يعلمه الأكثرون، أو على الأقل يكون من الأكثرين من يعلمه، وقد تبين أنه يجهله الأكثرون، وأنه ليس بين كبار الصحابة الذين تجادلوا حول هذا الأمر عقب انتقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إلى الرقيق الأعلى من يعلمه، وما كان معقولاً أن يسمع معاوية وحده ذلك الخبر، ولا يعلمه أبو بكر ولا عمر ولا عثمان، ولا معاذ بن جبل، ولا زيد بن ثابت، ولا سعد بن عباد، وهم الذين لازموا الرسول بعد هجرته وقبلها، ثم يعلمه معاوية الذي لم يدخل في الإسلام إلا في العام الثامن وتصل بالرسول ستين .

وهكذا يتبين أن اشتراط القرشية لا دليل عليه، وهو يمارض الجند الإسلامي العام من المساواة العامة بين الناس، وتهيئة الفرصة لكل ذي طائفة من أن يعمل بطاقته، وقد يكون أدنى الناس نسباً أكثرهم تولية أمر المسلمين، فهل يحرم المسلمون من كفايتهم لأنه ليس قرشياً، أو ليس ذا نسب وريح ؟ إن ذلك ليس منطق الإسلام، بل هو منطق العصبية الجاهلية، التي نفي عنها الإسلام، وخصصها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالانتكار الشديد .

ويعتبر بعض العلماء أميراً للمؤمنين إذا أضافه المؤمنون لعله، وصيانتهم للمؤمنين، وأن الاختيار لاحق للخلافة يكون كالإختيار السابق من حيث المعنى والمصلحة.

ولقد نظر ابن تيمية في تاريخ الخلافة في الإسلام، فقرر أن الخلافة النبوية التي استوفت شروط الخلافة: من مشورة ومباينة وعدالة وغيرها، استمرت ثلاثين سنة فقط، كما أشرنا من قبل. وأنه بعد ذلك صارت ملكاً عضوضاً، بعض عليه بالبراءة، ويشهد على ذلك بقول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: «الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تصير ملكاً عضوضاً»، ويقول في ذلك رضي الله عنه: «الذي في السن خلافة بالنبوة ثلاثون، ثم تصير ملكاً» ويعتبر دولة بني أمية، وبني العباس ملكاً سموا أنفسهم بأسماء الخلافة، ويقول في حكم يزيد بن معاوية «يعتد أهل السنة أنه ملك جمهور المسلمين، وخليفته في زمانهم ومباحب السيف» ثم يقول: «يزيد في ولايته هو واحد من هؤلاء الملوك المسلمين المستخلفين في الأرض» وأن الإسلام مع أنه اشترط شروطاً للخليفة، ولم يفسر أن الملك الروثي له أصل شرعي، لاحظ أنه لا بد من حكومة تقوم، ولا بد من رياسة إسلامية سواء أكانت رياسة إقليمية، أم كانت رياسة إسلامية عامة، وأنه إذا لم يكن الحكم المثالي، كان الحكم الراقي، حتى لا تكون أمور الناس قروى، لا ضابط لها، وغير للناس أن يكون لهم حاكم، ولو جاء من غير طريق الشورى من ألا يكون حاكم قط.

ولذلك قرر الشافعي ومالك وأحمد أن كل متقلب يجب طاعته حتى يخرج من غير فتنة ولا فساد في الأرض، ولأنهم ما دام لا يناعهم إمام عادل أمين، فإنه لا مناص من الطاعة لهم فيما هو ليس بمعصية، ولأنهم مهما تكن حالهم يظلون الولايات، ويقومون الحدود ويحاربون أعداء المسلمين، وإذا كانوا فجاراً بقر الفقهاء أن طاعتهم فيما لا يخالف أوامر الدين واجبة، أما في المنصية فلا، ويستمر ذلك حتى يغيروا، ويسمى في تغييرهم من غير فتنة كما أسلفنا من قول. ويقول في ذلك ابن تيمية: والصلوب الجامع في هذا الباب أن من حكم أو قسم بعمل نفذ حكمه وقسمته، وأن من أمر بمعروف أو نهى عن منكر أمين على ذلك، إذا لم تكن في ذلك مفسدة واضحة، وأنه لا بد من إقامة الجمعة والجماعة، فإن أمكن تولية إمام بر لم يجر تولية فاجر، ولا مباحظ يظهر بدعته، فإن هؤلاء يجب الإنكار عليهم بقدر الإنكان، ولا تجوز توليتهم، فإن لم يمكن إلا تولية أحد رجلين: أحدهما فيه دين وضعف عن الجهاد، والآخر فيه منعة في الجهاد مع ضوئه، كانت تولية هذا الذي ولايته أنفع للمسلمين غيراً من تولية من ولايته أفسر على المسلمين» (مناجاة السنة ٢/ ٢٤٠).

وهذا الذي يذكره ابن تيمية هو الذي يراه جمهور فقهاء أهل

السنة، وأساسه كما رأيت هو النظر لمصلحة المسلمين، فإنه إذا تطرقت ولاية من تنطبق عليه شروط الخلافة النبوية، فإنه يمكنه من أن يكون أصلح للمسلمين، ولو لم يكن براً تقياً. روي أن الإمام أحمد بن حنبل مثل عن أميرين أحدهما تقى ضعيف، والآخر فاسق قوى فتحت قيادة أيهما يعمل؟ فقال رضي الله عنه: «مع الفاسق القوي، لأن نفعه على نفسه وقوته للمسلمين، وأما التقى الضعيف فتقوله لنفسه وضعفه على المسلمين» وقد روي ذلك من قبل.

وسمى ذلك أن الحكام الفاسق أو الذين لم يختاروا اختياراً حراً، يطاعون في غير المعصية، لا لأنهم موضع رضا، بل لأن الحكم في ظلمهم ضرورة لحفظ الإسلام والمسلمين والضرورات تبيح المحظورات، أي ما كان يصح أن يخضعوا لذلك الحكم غير العادل، ولكن لأن مصلحة الإسلام والمسلمين في الخضوع، والضرورة توجب، خضوعاً مضطرين غير مختارين ونفذوا ما فيه طاعة.

ولكن هل يجب الخضوع المستمر لهم ولا يسمى في تغييرهم، ويعتبرون حكمهم قضاء من الله تعالى لا يقبل التغير، فلا يفكر إلا في طاعتهم، وسولهم متافقون يمدحون لهم، ويفسدون الحكم معهم؟ قرر الفقهاء أن السبي ينتج إلى أحد أمرين:

أحدهما - إصلاحهم بالحسن وبكل الوسائل الممكنة لأن الدين النصيحة، فيجب إصداً هذه النصيحة ما أمكن، ولو تعرض الناصح الأمين للفتنة الذي يحتمل، وإن توالى النصح إن كان لا يؤدي إلى تغيير حاله، فهو يؤدي إلى تخفيف شره.

الثاني: السبي في التغير من غير فتنة ولا فساد في الأرض ولا قتال. ولقد قال في هذا المعنى ابن تيمية: «المشهور من مذهب أهل السنة أنهم لا يرون الخروج على الأئمة وقتلهم بالسيف، وإن كان فيهم ظلم، كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة المستفيضة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، لأن الفساد في القتال والفتنة أعظم من الفساد الحاصل بظلمهم بدون قتال ولا فتنة، فيدفع أعظم الفسادين بالترام الأدنى، ولا تكاد تسرف طائفة خرجت على ذي السلطان إلا كان في خروجها من الفساد ما هو أعظم من الفساد الذي أقرته، والله تعالى لم يأمر بقتال أي ظلم، وكل باغ كيما كان، ولا أمر بقتال الباغي ابتداء، بل قال تعالى:

﴿وإن طائفتان من المؤمنين اتقتلتا فاصلحوا بينهما فإن بثت أحدهما على الأخرى فقاتلتا التي تيمي حتى تفر إلى أمر الله فإن قامت فاصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن كان يحب المقسطين﴾ [الحجرات: ٩] ولم يأمر بقتال الفئة الباغية ابتداء.

وفي صحيح مسلم عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال: «سيكون بعدى أمراء تفرقون وتكربون فمن عرف برى، ومن أكره سلم، ولكن من رضى وتابع!

قالوا أفلا نقاتلهم؟ قال: لا ما صلوا. فقد نهى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن قتالهم مع إختيارهم أنهم يأتون أمورا منكرا، وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال لنا رسول الله صلى الله تعالى علىه وسلم: إنكم سترون بعدي أثرة، وأسورا تنكرونها، قالوا فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال تؤدون الحق الذي عليكم، وتسلمون الله الذي لكم. وقد قال عليه السلام: «من ولي عليه وال فرأه يأتى شيئا من معصية الله، فليكره ما يأتى من معصية ولا ينزع يدا عن طاعة» (منهاج السنة ٨٧/٢).

هذه هي الأسس التي يقوم عليها الحكم في الإسلام، فهو يقوم ابتداء على الشورى والمعدل وطاعة الله تعالى ورسوله، وأن يكون اختيار الحاكم حرا منيا على المباشرة.

وإن قوسا من الأوربيين الذين يدرسون الإسلام لا يأخذون الإسلام من مبادئه المقررة الثابتة، إنما يأخذونه من أحوال المسلمين الواقعة، ومن أخيلة بتخيلونها، ومن أقوال بعض الفرق التي ترفع الألفة إلى مراتب قديمة، ويبنون على ذلك أن المسلمين يقدسون ملوكهم، وأن الإسلام لم يأت بنظام للحكم صالح، ولم يضع أسسا سليمة يمكن أن يقوم عليها حكم صالح ومع في كل ذلك منطرون، قد أخطأوا في الطريق إلى الحق، وأخطأوا بالتالي في النتائج التي وصلوا إليها، ولم يحاولوا أن يتعرفوا الوجهة الحق ليسلكوا، ولا يفرض فيهم إلا أنهم ساروا في الطريق الذي أخطأوا في اختياره إلى أقصى مداه، متكتين طريق الصواب خطأ ابتداء وعدما انتهاء.

والحقيقة، ما سرحنه من أن الإسلام وضع المبادئ المعادلة السليمة التي تنفق مع الفطرة، ومع المبادئ المقررة فيه وهو أن الناس سواء، وأنه يجب تهية الفرص لكل القوى لتظهر الطاقات المختلفة المتفاوتة، وتوسد لكل طائفة ماتهيئ له طاقتها، ومنها الولاية وإدارة الدولة. ويثبت المصادر التي تشير إلى المبادئ الأصلية في الحكم، ولا يجب على المبادئ إذا خولفت، وقد بينا أن تنفيذ الشورى تنفيذا كاملا يختلف باختلاف الجماعات واختلاف البيئات.

وبين لك مما سبق أن المسلمين عندما ارتضوا حكم الملوك أو أشباههم لم يكن ذلك إلا من معارضة، وهو ألقا بقوا في الفتن، وتأكلهم تلك الفتن المفسدة المظلمة المتوالية، التي يسيطر فيها الهوى المتبع والشح المطاع، وإذا كانت قد وودت أحاديث دالة على الاستنكار القلبي، والاستسلام الظاهري، فقد وردت أحاديث أخرى موجبة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بكل الطرق الممكنة، كما وردت بذلك آيات قرآنية محكمة، والتي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول: «تأمرن بالمعروف، وتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يدى الظالم، ولتأطرنه على الحق أطرا، أو ليضربن

الله قلوب بعضكم ببعض، ثم تدعون فلا يستجاب لكم» وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو خاصة الإسلام، وقد بينا أنهم الأساس لتكوين رأى عام فاضل، وأن الرأى العام هو الذى يهذب الحكام القاسدين، وهم لا يجدون حرجا عليهم أقوى منه، ولا يجدون مهذبا لظواهرهم أشد منه، ويجب أن يعمل المسلمون دائما على تكوين ذلك الرأى العام الفاضل، فهو المرشد القائم المستمر، وهو المذهب اللازم، ويجب على العلماء والمصلحين أن يتكلموا ولا يصمتوا، وكل أذى ينالهم في سبيل كلمة الحق التي هي من الجهاد أو من أفضله كما قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: «أفضل الجهاد كلمة حق أمام سلطان جائر» ولتقدم لقولها العلماء المصلحون، فإنها إن لم ترشد الجبارين وتهديهم تزلزل قلوبهم أمام الشعوب.

وإذا كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هو الفتن والفتنة بالقتل والقتال، فهو لم يه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والاستمرار عليه، ولو أدى إلى أذى من يقوم به، والأمر فيه إلى كراسته، وحسن تأتبه للأمر، وليليس لكل حال لربوسا من غير معالاة في باطل، ولا مدعنة في شر، ولا تأييد لظلم، وليذكر قول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: «من مشى مع ظالم، فقد سعى إلى التاء».

وإن القيام بحق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو السبيل للتغير المتدرج، فإن كان من بعد ذلك أمر من الأمور فإنه يكون قد جاء في إياته، ولم يتخلف عن زمانه، وبذلك، يكون الخير.

وإذا كنا نوجه اللوم إلى الذين أدخلوا حكم الإسلام من أحوال المسلمين، فإننا نوجه اللوم إلى علماء المسلمين والمصلحين فيهم، فإن تواتيرهم ومدعنته الكثيرين منهم في حدود الله قد أدى إلى الحكم الظالم على الإسلام وكانت حال المسلمين هي المسوفة ولو ظاهرا للحكم به.

السلطات الثلاث في الإسلام:

أخذنا على أنفسنا أن نأخذ نظر الإسلام إلى الحكم من الكتاب والسنة وأفعال الراشدين الذين عاينوا عهد الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه، وقيسوا منه واتبعوه، وهم أقدر الناس على فهمه.

وبرجعنا للقرآن الكريم نجد حد الأصل الذي يقوم عليه الحكم، وهو يتكون من ثلاث شعب: الشورى والعلماء والحكم بما أنزل الله والرجوع إلى الكتاب والسنة، واعتبارهما المصدر الوحيد للحكم في الإسلام، فقد قال تعالى:

﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النساء: ٥٩] ويقول سبحانه:

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْرِ أَوِ الْخُصْمِ أَذْهَبُوا بِهِ إِلَى الرَّسُولِ فَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْرِ أَوِ الْخُصْمِ أَدْرَأَهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٥٩].

الوضعية، وهي تسمى القياس، وأحيانا يحكمون بمقتضى المصلحة فيما لا نص فيه، على أن تكون من جنس المصالح التي أقرها الإسلام، ولا تخالف نصا من نصوصه، ويكون في الأخذ بها دفع حرج أو سد حاجة.

وكانوا هم الذين يفرضون في المدينة بين الناس، كما كان يفعل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم. وأما في خارج المدينة، فإنهم كانوا يرسلون القضاة، كما يرسلون الولاة.

وعلى رضى الله عنه من بينهم لما شغله الحروب عن أن يكون في الكوفة دائما يقضى بين الناس عهد إلى شريح القاضي التابعي، وقد استمر فيها إلى عهد معاوية. ويلاحظ أنه بينما تجتمع في قسبة الدولة السلطة القضائية والسلطة التنفيذية فقد كانوا يرسلون السلطين في الأقاليم، فكان الإمام عمر رضى الله عنه يمين قاضى الإقليم الأول، كما يمين الولي، وكل يستمد السلطان من الرئيس الأعلى مباشرة، ولا يستمد من السوالى الذى يتولى السلطة التنفيذية، والقارئ لتاريخ الإسلام في عهد الراشدين يرى ذلك واضحا، فكتاب القضاء الذى به دستور القضاء إلى يومنا هذا كية الإمام عمر إلى أبى موسى الأشعرى مباشرة، وبذلك نرى أن السلطين مستقلان.

وإنما تجتمع السلطان في يد أمير المؤمنين، لأنه المختر من الشعب، فاجتماعهما في يد إمام أو اجتماع السلطين في يد الأمة مصدرهما.

ونتهى من هذا إلى أن السلطات الثلاث تلتقى في يد الإمام، ولكن السلطة التشريعية مقيدة بأن تكون في ظل كتاب الله تعالى وستة رسول الله تعالى الله عليه وسلم، لا تخرج عنهما، وتتخذ ما نص عليه فيهما من غير شطط في التأويل، ولا تحريف للمقاصد.

فهو مقيد بالنص، ويقيد فيما يجتهد فيه بالرأى بالحمل على النصوص، ومراعاة المصلحة التى اعتبرها الإسلام مصلحة من غير مصادمة للنصوص.

ويلاحظ أن الإمام من عهد الراشدين ما كان يجتهد بالرأى متفرقا، بل كان جميع علماء الصحابة ويعرض عليهم الأمر، لما يقررونه بينهم، ويكون المرض أولا ليعرف آرائه في ذلك سنة أم لم يرد؟ فإن كانت وددت سنة اتبعها، وحكم بمقتضاها، وإن لم تكن هناك سنة اجتهد رأيه، وعرض رأيه على المجتمعين، فإن أقروه أخذ به، وإن لم يقرروه رجع إلى قولهم، وإن رأى الصواب في غيره جادلهم بالثبوتى ما أحسن، حتى يقرروا الأمر مجتمعين من غير اختلاف، وكان عمر له شروء الخاصة تعرف منها الرأى قبل أن يعلنه.

وبذلك يتبين أن التشريع يرجع إلى الكتاب والسنة، وأن

والرد إلى الرسول بعد وفاته، هو الرجوع إلى سنة، والرد إلى الله تعالى هو الرجوع إلى كتابه الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولقد قال تعالى:

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِثِينَ حَصِيصًا ﴾ [النساء: ١٠٥] ويقول سبحانه:

﴿ وَإِنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ يَمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ مِنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنْ كَثُرَ مِنْ النَّاسِ لِفَاسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٤٩].

تلك بعض نصوص القرآن التى تبين مصادر الحكم المعادل في الإسلام، وقد طبق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تلك الأحكام القرآنية، وما كان يوصى به إليه على أكمل وجه من وجوه المصلحة المصونة بين الناس، وكان عليه السلام يجمع في يده السلطات الثلاث، التشريعية، والقضائية، والتنفيذية، وكل الذين يتولون واحدا منها إنما يستمد سلطانه منه عليه السلام، فالنبي كانت منه السلطة التشريعية، لأنه هو المفسر الأول للقرآن، وكان يوصى إليه من عند الله، وهو بهذا الاعتبار مرجع شرعى أصلى، فوق أنه هو المفسر في حياته للمرجع الأول، وكان يتولى تطبيق هذه الأحكام المقررة، قضاء وتنفيذ، فقد كان يقضى بين أصحابه فيما ينجم بينهم من خلاف، وكان في قضاها بشرا، لا يوصى إليه بثلث الحكم في القضية إلا أن يكون نظرا لقضية يحتاج إلى من مبدأ لم يكن من قبل، ولقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم: « إنكم تختصمون إليّ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من الآخر فمن قضيت له بحق أخيه، فإنما أقطع له قطعة من النار » (نظر تخريج هذا الحديث في أول المائدة تقلا من تيسر الوصول ٤/٩).

وكان القضاء في الأقاليم هو الذى يرسم لهم الحدود وهو الذى يعينهم وهو الذى يمين الولاة، ويجعل لكل فرع من فروع الولاية رجلا خاصا بها، لا يتجاوز اختصاصه، فللمحرب وال، وللمصداقات وال، وكل يكون حسابه عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم.

وجه من بعده الراشدين فسلوكوا مسلكه، ولكنهم لم يكن يتزل عليهم السوس، وكانوا يخطون عن الحكم الذى يحكمون به في كتاب الله تعالى، فإن وجدوه اعتدوا به في حكمهم، وطبقوه وإن لم يجدوه تعزفوا سنة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيه، فإن وجدوه حكوما بها غير خارجين، عنها. وإن لم يجدوها اجتهدوا آراءهم، وكان اجتهداهم أحيانا اجتهد تفسير، بأن يفسروا الرواية التى بين أيديهم على واقعة وجد نصها في الكتاب أو السنة ويامتصوا علة الحكم في النص، فإن وجدوها تطبق على الواقعة الجديدة طبقوه فيها، وهذه طريقة تفسيرية متبعة في شرح القوانين

وكل إقليم إسلامي ينبغي أن يحكم بالشرع في داخله ، وقد يقول قائل : كيف يمكن من ذلك من غير تعريض للاضطراب ومن غير أن تصاب الأقاليم بفترة وتفرق في ذلك : إن القوانين القائمة في البلاد الإسلامية ليس كلها مخالفا للإسلام ، بل فيها المخالف لأحكامه ، وفيها الموافق ، فالوافق يبقى ، والمخالف يعد ، فيبعد من القوانين كل النظم التي يكون فيها ربا ، وكل المقدود التي يكون فيها غرر وجهالة ، وقد نهى عنها في الإسلام .

وقوانين العقوبات ناقصة فإذا أضيف إليها أحكام الحدود والقصاص كانت كاملة والباقي يستمر وذلك لأنها تعزيرات ، والتعزير جاز في الإسلام برأى ولي الأمر بقيد به أحكام القضاة . ونعتقد أنه في الإمكان إذا أريد التخلص من ربة الأجنبي في القوانين - كما هو الواجب أو على الأقل هو ما ينبغي - بأن تُلغى لجنة من علماء المذاهب الإسلامية لاستنباط قانون إسلامي من ناهي الممنون في هذه المذاهب ، بحيث يكون ملائما لروح العصر ، ولا يكون مجافيا لها ، وما يكون في العصر من أمور لم يعالجها فقهاء المسلمين ، فإنهم يجتهدون فيها اجتهدا جماعيا كما كان يفعل السلف الرشيد ، وأن الأمر يحتاج إلى عزيمة إسلامية ولا يحتاج لغير ذلك والله هو المعين (المجتمع الإنساني في ظل الإسلام) ١٤ / ٤ - ١٣٥٠ .

وننقلنا ختام هذا البحث الثماني لفظة الشيخ محمد أبي زهرة رحمه الله إلى قضية المسلم الذي يقضي بغير الإسلام ، وهي القضية التي ضمنها الإمام الأكبر الأسبق الشيخ محمود شلتوت تأويله ، ونقلها لك فيما يلي : قال رحمه الله مجيبا على السؤال : ما رأيكم في رجل يحكم في قضية ما حكما غير إسلامي هل يعتبر مرتدا عن الدين ؟

السؤال لا يختص بالقاضي :

هذا السؤال لا يختص بالقاضي الذي يحكم حكما غير إسلامي ؟ وإنما يتناول الحكماء المسلمين الذين يأمرون بتنفيذ أحكام غير إسلامية ، والمفتين المسلمين الذين يتولون وضع هذه الأحكام والمتفاحسين المسلمين الذين يتحكمون فيها ويرضون بها ، بل إن حاجة هؤلاء إلى معرفة حكم الإسلام فيهم أشد من حاجة القضاة الذين يحكمون بتلك الأحكام ، وخاصة من يكونون منهم في بلد إسلامي ، ليس لغيره عليه سلطان في تشريعهم وأحكامهم .

وقد شاع على ألسنة كثير من المسلمين المتدينين أن القضاة الذين يحكمون بالقانون الوضعي الذي يخالف أحكامه أحكام الإسلام كفار مرتدون عن الإسلام معتمدين في ذلك على ظاهر قوله تعالى من سورة المائدة ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم

استخراج الأحكام منهما كان منوطا بالصحة ، وبخصوصا علماءهم الذين يردون أحكام الحوادث إليهما ، وما يكون للحاكم من رأى لا يتبع إلا أقره عليه الصحابة ، وكثيرا ما كان يعتقد الإجماع على الأمر .

أما السلطانان القضائية والتنفيذية ، فإن الأمر فيهما إلى البشر ابتداء ، يطبقان فيهما كتاب الله وسنة رسوله ، وما يوجب العدل وتطبيقه المصلحة .

تطبيق للشرعة في هذا العصر :

لا يمكننا أن نقرر أن حكم الإسلام كان مطبقا تطبيقا كاملا إلا في عهد الراشدين بعد عهد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، أما بعد ذلك فما كان التطبيق كاملا ، لأن الحكم لم يبق على أساس من الشورى ، فلم يكن اختيار الحاكم بالشورى ، ولم تكن الشورى هي التي تسود أعمال الحكام ، وكان هوى الحاكم هو الذي يريه الأمور ، فلم يكن اختيار الرأية إلا لهوى الرئيس الأعلى للدولة ، وكان تطبيق النظم الإسلامية تها لهوى ، فإن وافقته نقضا ، وإن خالفته أمهلها .

والآن ، ونحن نريد أن نجعل الإسلام دواء لأدواء العالم اليوم وحلا لمشاكله ، فهل يمكن تطبيق أحكامه في نظم الحكم ، وهي الأساس في العلاج ، إذ لا يمكن أن يقال : إن العلاج إسلامي إلا إذا كانت نظم الحكم إسلامية أولا بين المسلمين ، ثم تسرى إلى غيرهم ، وبذلك يتمكن الإسلام من العلاج .

وتقول في ذلك : إن تنفيذ الإسلام ممكن وإن كان يحتاج إلى علاج وتعميد الطرق ، وهو علاج الضمور ، وتعميد الطرق إلى القلوب .

إنه لا بد من أمر جامع للمسلمين ، ولا يكون من الملوك والرؤساء الذين أخذوا لأهله الإسلام ، ولكن يكون من الشعوب الإسلامية المؤمنة وربهاها المؤمنين والمصلحين الذين يرجعون للإسلام وقارا ، والذين يريدون أن يعود الإسلام كما بدأ تورأ للمسلمين ، وهاديا مرشدا ، ورافعا راية السلام وعلم القرآن .

ولا يمكن في هذا العصر أن تكون حكومة إسلامية واحدة ، بل يكون لكل إقليم دولته ، وتلتقي جميعها على كلمة من الله تعالى ، تنشر التعاون بين الناس ، وتربط العلاقات على أسس من الوحدة الإنسانية العامة ، ويكون المسلمون فيما بينهم دعة حق ، يتحد اقتصادهم ، ويتحد سياستهم ، ويتحد أو تتقارب جيوشهم ، وكل إقليم له رئيسه المختار اختيارا حرا من شعبه من غير أن تكون له موالاة لغير المسلمين ، فلا يتولى قوما غيرهم إلا أن يكون هذا الغير مع بقية الأقاليم الإسلامية على علاقة تقوم على العدل والاتحاد الإنساني والتعاون مع الدول التي لا تسرف ذلك ولا تتجاف لإثم .

بغير حكم الله لمعنى آخر وراء الجحود والإنكار، فإن الحكم في تلك الحالة لا يكون كفراً وإنما يكون معصية، وهو نظير من يتناول الخمر وهو يعتقد حرمة تناولها.

الواجب على القاضي المسلم :

وإذن يجب على القاضي المسلم أن يرد نفسه عن الحكم متى استطاع إلى ذلك سبيلاً، وإذا لم يستطع أن يرد نفسه خوفاً من ضرر فادح يلحقه أو يلحق جماعته فإن الإسلام يبيح له ذلك ارتكاباً لأخف الضررين ما دام قلبه مطمئناً إلى حكم الله .

تخريج آية العائنة :

أما قوله تعالى : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ [المائدة : ٤٤] فقد جاء في قوم يملكون أنفسهم وتشريعهم ويحررون حكم الله ويفرضونه مؤسرين عليه حكم الهوى والشهوة، وفي جرمهم يقتل الله : ﴿ من الذين قالوا دامت أدينتهم ولم يؤمن للهِولاء ﴾ [المائدة : ٤١] ويقول تعالى : ﴿ لا تتبع لهم سواءهم وأحسروهم لأن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك ﴾ [المائدة : ٤٩] .

ومن هنا يتبين أن الآية الكريمة وهي ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ ليست في حق كل من حكم حكماً غير إسلامي في قضية ما (الفتناء / ٤٠٣٧) .

ونختتم هذه المادة بما أورده صاحب « الإقتضاء » من كتاب الحكم . يقول السيد البطونوسي :

أمرو الأحكام جارية في شريعة الإسلام على أربعة أوجه : حكم القضاء، وهو أجعلها وأعلما . ثم حكم المظالم . ثم حكم الديوان : وهو حكم الخروج من حكم الشرط .

فيتنبى لكاتب القاضى أن يكون عارفاً بالحلال والحرام، وبصيراً بالسنن والأحكام . وما توجه تصاريه الألفاظ، وأقسام الكلام ؛ ويكون له حذق ومهارة بكتب الشروط والإقراءات، والمحاضر والسجلات .

وقد ذكر التناسي في أوضاعهم من هذه المعاني ما فيه كفاية . غير أننا نذكر من ذلك نكتاً يسيرة (النكتة تطلق على المسائل الحاصلة بالنقل، المؤثرة في القلب، التي يقارنها نكت الأرض غالباً بنحو الإصبع . تاج الفروس) :

فجملته الشروط : أن يذكر المشتري عليه بأسمائهم وأسمائهم، وتجاوزهم إن كانوا تاجرين، وصنائعهم إن كانوا صناعين، وأجناسهم وأسماء بلداتهم . ثم يذكر الشيء الذي وقع فيه الشرط . فإن كان يما، ذكر البيع وصفه، وحدد المبيع إن كان فيما يحدد . ثم ذكر الثمن وبلغه وتقده ووزنه، والقابض منهما والمقبوض منه . وتفرعاً عما بعد الرضا على رأى من يرى ذلك من

الكفرون ﴾ [المائدة : ٤٤] ويلزمهم أن يحكموا بكفر المعتنين والأخرين بالعتنين، فإن هؤلاء - وإن لم يكونوا يحكمون بها - قد وضعوها بأنفسهم أو أمروا بوضعها، ولا شك أن واضعها والأميرين بوضعها يتبعهم أشد من تبعه الحاكمين بها .

الحكم الإسلامي نوعان : قطعي واجتهادي : ولمعرفة الجواب لهذا السؤال يجب أن نعلم أولاً أن الحكم الإسلامي نوعان :

حكم نص عليه القرآن أو السنة نصاً صريحاً لا يحتمل التأويل ولا يقبل الاجتهاد .

ومثاله في الأحوال الشخصية حرمة المطلقة ثلاثة مرات على مطلقها حتى تزوج غيره .

وفي المدينيات حرمة الأرباح التي استقلت في سبيل الحصول عليها حاجة الفقير المحتاج المستحق للمعونة، وتقسيم الميراث الذي ورد في القرآن .

ومثاله في العقوبات قطع يد السارق الذي توافرت فيه سرقة شروط العقوبة .

هذا نوع، والنوع الآخر : حكم لم يرد به قرآن ولا سنة، أو ورد به أحدهما ولكن لم يكن السارد به قطعياً فيه، بل محتملاً له ولغيره، وكان بذلك محلاً للاجتهاد الفقهاء والمشرعين، فاجتهدوا فيه، وكان لكل مجتهد رأيه ووجهة نظره . وأكثر الأحكام الإسلامية من هذا النوع الاجتهادي .

في النوع الاجتهادي متسع للقاضي :

وإذا علمنا هذا استطعنا أن نقول في الجواب عن السؤال : إن الحكم في النوع الثاني - وهو النوع الاجتهادي - ولو خالف جميع الآراء والمذاهب الإسلامية فإنه ما دام أساسه تحرري المبدأ والمصلحة لا اتباع الهوى والشهوة، فإن الإسلام لا يمنعه ولا يفتته فضلاً عن أن يراه ردة يخرج القاضي به عن الإسلام ؛ ذلك أن الإسلام ليس له في هذا النوع حكم معين وإنما حكمه هو ما يصل إليه المجتهد باجتهاده البني على تحرري المصلحة والعدل، فمتى وجد العدل والمصلحة ثم شرع الله وحكمه .

متى تحكم بالكفر ؟

أما النوع الأول وهو الحكم القطعي المتصور على في كتاب الله أو سنة رسوله الثابتة التي لم يظهر فيها خصوصية الوقت أو الحال - فإن الحكم بغيره إن كان مبني على اعتقاد أن غيره أفضل منه وأنه هو لا يحقق العدل ولا المصلحة كان ولا شك ردة يخرج به القاضي عن الإسلام .

أما إذا كان القاضي الذي حكم بغيره مؤمناً بحكم الله وأنه هو العدل والمصلحة دون سواء، ولكنه في بلد غير إسلامي أو بلد إسلامي مغلوب على أمره في الحكم والتشريع، واضطر أن يحكم

الفقهاء ثم ضمن -البائع الدرك للمشتري . (الدرك : الحاق والوصول إلى الشيء) .

وإن كان إجارة، ذكر الإجارة، ومدها، والشئ المستأجر، وحدها ما يجب أن يحل منه، ووصف ما لا يخلد، وذكر مدة الإجارة، وجعلها على شهر العرب دون غيرها، وذكر مال الإجارة، ووقت وجوبه ويقض المستأجر ما استؤجر عليه، ورضاه بذلك، وتفرقهما بعد الرضا، على رأى من يرى ذلك .

وإن كان فيما استؤجر نخل أو شجر، أتى بذلك وذكر مواضعه من الأرض، وجعله في آخر الكتاب معاملة وساقطة بجزء من الثمر، إذ لا يجوز غير ذلك في الأحكام، وضمن المؤجر الدرك للمستأجر، على رأى من يرى التضمن في ذلك .

وإن كان صلحا، ذكر ما وقع على الصلح، وإن كان براءة وصفا، وذكر ما تبرأ منه . وإن كانت البراءة بعوض، ذكر العوض . وإن كان إقرارا بدين، ذكر مبلده، وهل هو حال أو مؤجل . وإن كان مؤجلا، ذكر أجله ووقت حلوله، وحدد ذلك بالشهور العربية .

وإن كان وكالة، سمي الوكيل ونسبه، وذكر ما وكل فيه من خصومه، أو منازعة، أو قبض، أو صلح، أو بيع، أو شراء، أو غير ذلك، مما تقع الوكالة فيه . وقرر الوكيل بالقبول .

وإن كان رهن، ذكر أولا الدين في صدر الكتاب ووقت محله ثم ذكر الرهن، وسماه، ووصفه، وحدها ما يجب تحليده منه . ثم قرر المرتهن على قبض ذلك . وإن وكله على يمينه عند حلول أجله، وذكر ذلك بعد الإفراج من ذكر الدين والرهن .

وإن كان وصية، قرر الموصي بعد تسميته إليه في صدر الوصية، ثم ذكر أنه أوصى بكذا وكذا، وبدأ بالدين، وقرره على مبله . ثم ذكر الوصية بعد الدين . ثم ذكر تسهيل ذلك في الوجه الذي شُكِّل فيه، وذكر الموصى إليه وسماه، وقرره على القبول إن كان حاضرا . ثم يلوخ ذلك بالشهور العربية . ثم يوقع الشهادة على الشترطين والمشتراط عليهم، وأن ما عقده على أنفسهم كان في صحة منهم . وجواز من أهرم . وأنهم أقروا بذلك طوعا بعد فهمه، وبعرفه ما فيه .

وأما المحابر، فإن الكاتب يكتب : حضر القاضي رجلا، فادعى أحدهما على صاحبه بكذا، فأقر له . ويكتب الأسماء والألناسب والتاريخ وإن لم يكن القاضي يعرفهما بأسمائهما ونسبهما قال : ذكر رجل أنه فلان ابن فلان، ووصفه ويحليه (الحلية : الهيئة يقال : عرفه بخلية أى بهويته . وخلية الرجل : بينت خلتيه)

وذكر رجل أنه فلان ابن فلان، ووصفه ويحليه أيضا . فادعى فلان . أو الذي ذكر أنه فلان، أو على الذي ذكر أنه فلان : وكذا وكذا، فأقر له بذلك .

وإن كانت وكالة قال : فذكر أنه وكل فلان ابن فلان، ويذكر ما وكله فيه، ويقول : وحضر فلان ابن فلان، فذكر أنه وكل فلان ابن فلان، ويذكر ما وكله فيه، فقبل ذلك منه، وترواه له .

وإن أحضر المدعي كتابا يبرده أن يثبت به أو يبيع أو غير ذلك، قال : وأحضر معه كتابا ادعى على فلان ابن فلان، أو الذي ذكر أنه فلان ابن فلان، ما فيه نسخه كذا . ويقول وأحضر من الشهود فلان ابن فلان، وفلان ابن فلان، وادعى شهادتهما له بما تضمنته الكتاب الذي أحضره، فسألهما القاضي عما عندهما في ذلك، فشهدا أن فلان ابن فلان أشهدهما على نفسه في صحة منه، وجواز من أمره، بما سمى فيه ووصف عنه، فقبل القاضي شهادتهما بذلك وأبضاها . وإن أراد القاضي أن يسجل بذلك، وليس يجوز أن يسجل إلا على من قد عرف، فليذكر في صدر الكتاب تسجيل القاضي، ويسميه وينسبه في مجلس قضائه، ويقول : وهو على القضاء، فلان ابن فلان على فلان، كذا، ويذكر لقبه، والتأحية التي استقضاه عليها، وحضر من حضره، ونسخة الكتاب الذي ادعى عنده ما فيه، ويذكر شهادة الشاهدين فيه . ثم يقول : فأنتد القاضي الحكم، بما ثبت عنده من إقرار فلان بجميع ما سمى، ووصف في الكتاب المنسوخ في صدر هذا التسجيل بشهادة الشاهدين المذكورين فيه، وحكم بذلك وأبضاها : بعد أن سأل فلان ابن فلان ذلك . ثم يشهد عليه بأبضاها جميع ذلك، ويؤرخ الكتاب بالوقت الذي يقع التسجيل فيه . فهذه جملة من هذا الشأن متبعة .

وينبغي للكاتب أن يحفظ على الألفاظ، فلا يذكر لفظا فيه اشتراك، مثل استعمال كثير من أصحاب الشروط، في موضع ذكر التسليم، أن يقولوا بغير دافع ولا مانع، فيوقعونه مكان قولهم : بلا دافع ولا مانع، ويقولون أن غيرا هاهنا تنوب مناب « لا »، إذا كانت جحدا، وليس الأمر كذلك، لأن « لا » حرف جحد، لا يحتمل في هذا الموضوع إلا معنى واحد، و« غير » قد يكون بمعنى الكثرة، كقولك : لقيت فلانا غير مرة، وجماعى غير واحد من الرجال، بمعنى لقيته أكثر من مرة واحدة، وجماعى أكثر من واحد من الرجال، فإذا قال الكاتب بغير دافع جاز أن يتأول متأول أنه أراد أكثر من دافع واحد . فإذا قال : بلا دافع، كان أسلم من التأويل، وأصح بمعنى الكلام (الاقتضاب ١/ ١٥١-١٥٥) .

(تيسر الوصول إلى جامع الأصول للإمام ابن الدبيح الشيباني) / ٤٨، ٤٩، ومن توجيهات الإسلام - فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر الأسبق الشيخ محمود شلتوت - ٥٢٨ - ٥٣٦ -، في المجتمع الإنساني في ظل الإسلام - فضيلة الشيخ محمد أحمد أبو زهرة - الأزهر . مجمع البحوث الإسلامية - جمادى الآخرة ١٣٨٦ هـ - أكتوبر ١٩٦٦ م . المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الإسلامية / ٤١٤ - ٤٣٥، والفتاوى -

- نسخة رابعة :
أولها وآخرها : كالسابقة .
الرقم : ٦٨٥٠
الخط نسخ ممتاز مفقود ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .
اسم الناشر : علي بن أحمد الجيلي .
ملاحظات : نسخة مراجعة .
نسخة خامسة :
أولها وآخرها : كالسابقة .
الرقم : ٦٩١٦
الخط نسخ ممتاز ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .
ملاحظات : نسخة مراجعة عليها تملكات منها باسم محمد شاکر الحمزاري تاريخه سنة ١٢٩٥ هـ وتمتلك تاريخه سنة ١١٩٨ هـ .
نسخة سادسة :
الرقم : ٨٦٠١
أولها وآخرها : كالسابقة .
الخط نسخ ممتاز ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .
نسخة سابعة :
الرقم : ٤٠١١
أولها وآخرها : كالسابقة .
الخط نسخ ممتاز ، الحبر أسود .
نسخة ثامنة :
الرقم : ٦٦٤
أولها وآخرها : كالسابقة .
الخط نسخ ممتاز ، الحبر أسود .
اسم الناشر : خالد الحوكاني .
نسخة تاسعة :
الرقم : ٥٩٠٩
أولها وآخرها : كالسابقة .
الخط نسخ جميل ، الحبر أسود .
اسم الناشر : عبد القادر المبارك .
تاريخ النسخ : سنة ١٣١٤ هـ .
ملاحظات : نسخة مراجعة ومصححة .
مصادر عن الكتاب : عقود الجواهر / ٢٢ ، لهرس الخديوية / ٣٧٩
مصادر عن المؤلف : الأعلام / ١٧٠٧ ، معجم المؤلفين / ١١ / ٢٤٠
طبعة الرسالة : طبعت بطلب بتأية المرحوم محمد وجب الطائي بـ ١٦ ص قطع الصغير بـ ٢٥٠ تاريخ ٢٠٠٧ . وطبعت ضمن مجلة النادی من ص ١٥١ - ١٤٧ ص التي كان يصدرها الدكتور أنیسو فی إيطاليا
- فصلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر الأسبق الشيخ محمود شلتوت / ٣٧ - ٤٠ ، والاقتضاب فی شرح أدب الكتاب لأبي محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوس - بتحقيق الأستاذ مصطفى السقاود . حامد عبد المجيد . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨١ ، ١٥١ - ١٥٥ .
انظر أيضا : أركان وضمانات الحكم الإسلامي ٤ - د . محمد أحمد مفتي ، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية . جامعة الكويت كلية الشريعة والدراسات الإسلامية . السنة الخامسة ، العدد الثاني عشر . ربيع الآخر ١٤٠٩ هـ - ديسمبر ١٩٨٨ / ٧٥ - ١١٧ ، والروحة الإسلامية والأخوة الدينية - السيد محمد رشيد رضا / ١١٧ ، ١١٨ .
- الحكم الإلهية :
من مخطوطات التصوف بدار الكتب الظاهرية (أو بمكتبة الأسد) .
الرقم : ٦٩٨١
انظر شرحها : روح الكبريت الأحمر على حكم الشيخ الأكبر . حكم إلهية فريدة في بابها الحكمة الأولى : أفن ما أضيف إليك تبقى بما أضيف إليه ، والحكمة الأخيرة : من عرف حقيقة وجوده فاز من ربه بشهوده ، وهي من ١٦٠ حكمة .
المؤلف : أبو عبد الله محمد بن علي الطائفي الأندلسي المشهور بالشيخ الأكبر محي الدين بن عربي المتوفى سنة ٦٣٨ هـ / ١٢٤٠ م .
أولها : الحمد لله الذي أودع ليبيته الألى بسمع المعاني الفاضلة وجعل من الكلام ما يقرب في حد الإحسان أمد الفصاحة الباهرة ...
آخرها : الاعتبار في الاقتدار ، والتوبة في اليقظة ، والعلم في التواضع ، والكفر في الجود ، والانشاء في المحبة ، والخشوع في البكاء ، والقرب في التواضع والحمد لله وحده ...
الخط نسخي جيد ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .
نسخة ثانية :
الرقم : ٨٠٨٩
أولها وآخرها : كالسابقة .
الخط نسخ جيد ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .
نسخة ثالثة :
أولها وآخرها : كالسابقة .
الرقم : ٥٩١٦
الخط نسخي جميل ، الحبر : أسود .
ملاحظات : نسخة قيمة مفقودة عدة مرث وعليلها بعض التعليقات بالهاش ومراجعة سنة ١٣٢٠ هـ / ١٣٢٧ هـ ومراجعة على شيخ محمد المبارك الكبير .

عنه: الحكم بين هشام بن عبد الرحمن الداخل، الأخوى، أبو المص، من أهل مملكة بني أمية بالأندلس، وأول من جعل للملك فيها أئمة، وأول من جند بها الأجناد وجمع الأسلحة والعدد وارتبط الخيول على بابيه، وهو الذي مهد الملك لعقبه في تلك البلاد. كان يأنس الأمور بنفسه، شديداً، جبازاً، ضابطاً لأمر مملكته، يقطاً، يلقب بالبرضي لإيقاعه بأهل البرض (وهي محلة متصلة بقصره). نعى إليه أنهم يدرون مكيكة للإيقاع به فقتلهم وهم ديارهم. مولده ومنشأه بقرطبة. وولي الأمر بها بعد أبيه (سنة ١٨٠ هـ) وقامت في أيامه فتن فاشتغل في حسمها، فجهده أن يجاوبه من الفرغيع أخذوا يفسدون في الثغور، فصار إليهم بنفسه فافتتح الحصون وخرب التواحي العاصية وعاد إلى قرطبة ظافراً، وهابه الناس، فاستقر له الأمر إلى أن توفي بقرطبة. وكان كثير العناية بالأدب والمعلم، خطيباً، له شعر يتفكه بتعلمه (الأعلام ٢/ ٢٦٧، ٢٦٨).

قال عنه صاحب المقد القريد: ثابث خلفاء أبيه أئمة في الأنندلس، ولي الخلافة بعده أبيه هشام بن عبد الرحمن في صفر سنة ثمانين ومائة وكانت ولادته سبعا وعشرين سنة. ومات يوم الخميس ثلاث بقين من ذي الحجة سنة ست ومائتين، وهو ابن خمسين سنة.

وكانت فيه بطالة إلا أنه كان شجاع النفس، بأسط الكف، عظيم العفو متخيراً لأهل عمله ولأحكام رعيته، أروع من يقدر عليه وأفضلهم، فيسطلهم على نفسه، ففصلا عن ولده وسائر خاصته.

وكان له قاض قد كناه أسور رعيته، يفضلوه وعبدوه ويرعوه وزعمه، فمرض مرضاً شديداً، واغتم له الحكم غما شديداً، فذكر يزيد قتله أنه أرق يوماً وليلة وبعد عنه نومه وجعل يتململ على فراشه، فقلت: أصليح الله الأمير، إني أراك يتململا وقد زال النوم عنك، فلم أدر ما عرض لك! فقال: ويحك، إني سمعت نائحة هذه الليلة، وقاضيتا مريض، فما أراه إلا قد قضى نحبه، وأين لنا بمثل؟ ومن يقوم للرمية مقامه؟ ثم إن القاضي مات، واستنقضى الحكم بعده سعيد بن بشر؛ فكان أقصد الناس إلى حق، وأخذهم يعبدون، وأبدهم من هوى، وأفصلهم لحكم...

وكان سعيد بن بشر القاضي إذا خرج إلى المسجد أو جلس في مجلس الحكم، جلس في رداء مصفر وشعر مفرق إلى شحنة أذنيه؛ فإذا طلب ما عنده وجد أربع الناس، وأفضلهم.

وكانت للحكم آتف فرس مريوة يباب قصره على جانب النهر، عليها حشرة عرقاء، تمتد يد كل عريف منها مائة فرس لا تنذب ولا تبوح، فإذا بلغه عن ثائر في طرف من أطرافه عاجله قبل استحكام أمره، فلا يشعر حتى يحاط به.

ومصر وهي التي كان تجسد أفكار الصوف وتشرع عبر أوروبا، الجزء التاسع من السنة السادسة ليريل ١٩١٠ م ربيع الأول سنة ١٣٢٨ هـ.

قال واضع القوس الأستاذ محمد رياض المالح: بعض نسخ الرسالة: الألفاظ بعد ٩٨٤٩، الإسكندرية ١٥٨٢، تصوف. برلين ٨٦٨٧، دار الكتب ١/ ٢٩٠، وأحفظ بنسخة منطوقة منها ورايت نسخة أخرى عند الأستاذ نضر الدين الحسني يدمشق وعند الأستاذ محمد مطيع الحافظ نسخة من شرحها المسمى بروج الكبريت الأحمر للعلموني وقد أعدها للطبع مع بعض الانتقاء من شرحها للدارموني.

(فهرس مخطوطات دار الكتب القاهرة، التصوف - وضع محمد رياض المالح ١/ ٢٦٢ - ٢٦٦).

• الحكم الإلهية في الكلمات الإنسانية:

الحكم الإلهية في الكلمات الإنسانية: للشيخ محمد بن مصطفى الإداسي قال في آخر بعض تأليفه ومن أراد أن يطلع على تفاصيل الحكم المالدنية فليطلع رسائلنا المذكورة لأنها رسالة غريبة في الأسئلة المحيية تركتها مقفولة بلا أجوبة لمن يجد مفتاحها. (كشف الظنون ١/ ٦٧٤).

• حكم الإمام الجليل سيف الله الغالب على بن أبي طالب:

من مخطوطات الأدب في دار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد)

الرقم: ٤١٣٤

المؤلف: مجهول.

أوله: «المساكين خلاني، العدل إحسان، الظلم عدوان، الذكر شائن، الصامت سالم، الغني مقشون، المحنك ملمون، التواضع شرف، التكبر تلف، النية عمل، الدنيا دول، الاستغفار يكفر، الإصرار يدمر، العزلة عبادة، الجود سيادة...» آخره ناقص ينتهي بقوله:

«أقرب شيء مع العصر اليسر والفرح من الكرب، أول من يدعى إلى الجنة الحمادون، أول من يجوز الصراط المؤمنون، أفضل الناس عقلاً أولهم حملاً، أكثر الناس في الدنيا خيراً أكثرهم في الآخرة أمناً، أحب الأخلاق إلى الله...»

النسخة ناقصة من الآخر.

(١٤٣-١٥٠هـ) ١٣٢٩ م

(فهرس مخطوطات دار الكتب القاهرة، الأدب - وضع رياض عبدالمعتمد إداسي محمد السواس ١٨٢٨، ١٨٣٠).

• الحكم بلا تقدم دعوى وخصوصة:

انظر: الرسائل الزينية في فقه الحنفية.

• الحكم بين هشام (١٥٤ - ٢٠٦هـ/ ٧٧١ - ٨٢٢ م):

أدرجه صاحب الأعلام تحت اسم «الحكم الرئفي» وقال

ويسا حكم يا عهدهل حكم قلوسنا
بعللك في الألبا وسالرشد قوسنا
قال عنه حجة الإسلام الغزالي :
هو الحاكم المحكم : والقاضي المسلم ، الذي لا راد لحكمه
ولا معقب لقضائه .

ومن حكمه في حق العباد : ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾
﴿ وأن سعيه سوف يرى ﴾ [النجم : ٣٩ ، ٤٠] ﴿ إن الأبرار
لقى نعيم ﴾ وإن العجابر لفي جحيم ﴾ [الانفطار : ١٣ ، ١٤] .
ومعنى البر والعجابر بالسعادة والشقاوة أن يجعل البر والفجور
سببا يسوق صاحبهما إلى السعادة والشقاوة ، كما جعل الأوبة
والسوء أسباب تسوق متاوليها إلى الشقاء والهلاك .
وإذا كان معنى الحكمة ترتيب الأسباب وتوجيهها إلى
السميات كان حكما مطلقا لأنه مسبب كل الأسباب جمعتها
وتنصيفها .

ومن الحكم ينشعب القضاء والقدر :
فتدبره أصل وضع الأسباب ليوجهه إلى السميات .. حكمه
ونصب الأسباب الكلية الأصلية الناتجة المستقرة التي لا تزول ،
ولا تحول : كالأرض ، والسموات السبع ، والكواكب ، والأشلاك
وسرعاتها المتناسبة الماثمة التي لا تتغير ولا تتقدم إلى أن يبلغ
الكتاب أجله - قضائه ... كما قال : ﴿ فبقضاء من سموات في
يومين وأوحى في كل مساء أمرها ﴾ (فصلت : ١٢) .
وتوجيه هذه الأسباب : تحريكاتها المتناسبة المحدودة
المقدورة المحصورة إلى السميات الحادثة منها لحظة بعد لحظة -
قدره . فالحكم هو التلدير الأول الكلي والأمر الأول الذي هو كمنح
البر.

والقضاء هو الوضع الكلي للأسباب الكلية الدائمة .
والقدر هو توجيه الأسباب الكلية بحركاتها المقدرة المحصورة
إلى سمياتها المحدودة المعدودة بقدر معلوم لا يزيد ولا ينقص .

ولذلك لا يخرج شيء عن قضائه وقدره . ولا يفهم ذلك إلا
بمثال ... ولعلك شاهدت صندوق الساعات التي بها يعرف أوقات
 الصلاة ، وإن لم تشاهدها فجعله ذلك الله ما فيه من آلة على شكل
أسطوانة تحوي مقادير من الماء معلوما ، وآلة أخرى مجرورة موضوعة
فيه فوق الماء ، وتخلط مشدودا أحد طرفيه في هذه الآلة المجوفة ،
وطرفه الآخر في أسفل طرف صحن مرسوم فوق الأسطوانة المجوفة
فيها كرة وتحتها طاس آخر بحيث لو سقطت الكرة وقعت في
الكأس وسمع طينتها ، ثم يتم أسفل الآلة الأسطوانية ثقب على
قدر معلوم ينزل الماء منه قليلا قليلا ، فإذا انخفض الماء انخفضت
الآلة المجوفة المعرضة على وجه الماء ، فامتد الخيط المشدود
بها فحرك الطرف الذي فيه الكرة تحريكا يقربه من الانكاس ...

وأما الخير : أن جابر بن ليبد يحاصر جيان وهو يلعب
بالصورلجان في الجسرة . فعدا بهريف من أولئك فأشار إليه أن يخرج
من تحت يده إلى جابر بن ليبد ، ثم فعل مثل ذلك بأصحابه من
العرافه ، فلم يشعر ابن ليبد حتى تساقطوا عليه متساوين ، فلما رأى
ذلك عدوه سقط في أيديهم وقلوا أن الدنيا قد حشرت لديهم ، فقلوا
مليرين .

وقال الحكم يوم الهجاء بعد وقعة الرض :
رأيت صدام الأرض بالسيف والعسا
وقسما رأيت لشعب منذ كنت يافعا
نسائل ثنوري هل بها اليوم ثنورة
أبأدرها مستضي السيف طرعا
وغياله على أرض الفخام جاعجا
كأجنان ثمران للجير لومعا
ولما لسائنا سجال حرونا
سقيتهم سماء من السموت نالعا
وهل زدت أن وفيهم صراع لسرهم
لسوا منابا قدرت ومصارعا
قال عثمان بن العثي الملوب : قدم علينا عباس بن قاصم من
الجزيرة أيام الأبر عبد الفخام بن الحكم ، فاستندني شعر
الحكم ، فأنتدته ، فلما انتهت إلى قوله :
وهل زدت أن وفيهم صراع فرضهم
قال : لو جوتي الحكم في حكومة لأمل الرض لقام بعدي هذا
البيت .

(الإحلام للزركلي ٢/ ٢٦٧ ، ٢٦٨ وقد أدرجه تحت اسم الحكم
الرض ومصادره في هامش ١ ، والمقد الفردي لابن عبد ربه ، بتحقيق
محمد سعيد المرعيان ٥/ ٢٥٢ - ٢٥٤) .

• الحكم بين الناس بالعدل :

من شعب الإيمان أتى أصحابها الإمام البيهقي الحكم بين
الناس بالعدل لقوله تعالى ﴿ وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا
بالعدل ﴾ [النساء : ٥٨] ﴿ ولا تكن للزانيين عصيما ﴾ [النساء :
١٠٥] ﴿ وأعطوا إن الله يحب المقسطين ﴾ [الحجرات : ٩٠] .
ولحديث عبد الله بن مسعود في الصحيحين : لا حسد إلا في
اثنين : رجل آتاه مالا فسلطه على ملكته في الحق ، وآخر آتاه
الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها .

(مختصر شعب الإيمان للبيهقي - اختصار القزويني / ٨٥) .

• التَّحْكُمُ جل جلاله :

التَّحْكُمُ بالفتح : الاسم التاسع والمشرق من أسماء الله
الحسنى ، قال مبيد الدرديري في منظومة : أسماء الله الحسنى :

وإنشاء حركة الشمس والقمر والكواكب إلى حصول الحوادث في الأرض ... كإنشاء حركة الماء إلى حصول تلك الحركات المقتضية إلى سقوط الكرة المعرقة لانقضاء الساعة . ومثال تداعي حركات السماء إلى تغيرات الأرض : هو أن الشمس بركاتها إذا بلغت إلى المشرق استضاء العالم وتيسر على الناس الإحصاء، فيتيسر عليهم الانتشار في الأشغال . وإذا بلغت المغرب تحملوا عليهم ذلك، فرجعوا إلى المساكن . وإذا قربت من وسط السماء سميت رموس أهل الأقاليم ، حمى الهراء، واشتد البقظ، وحصل نضج الفواكه . وإذا بعثت حصل الشتاء، واشتد البرد (يلاحظ أن الأرض هي التي تدور حول نفسها وحول الشمس وأن هذا الدوران هو سبب حدوث الليل والنهار والفصول الأربعة) .

وإذا توسطت حصل الاعتدال، وظهر الربيع، وأثبتت الأرض، وظهرت المضرة فقس بهذه المشهورات التي تعرفها الغراب التي لا تعرفها . واختلاف هذه الفصول كلها مقدر معلوم، لأنها منوطه بحركات الشمس والقمر ، و : ﴿ الشمس والقمر بحسبان ﴾ [الرحمن : ٥] أي : حركتهما بحسبان معلوم .
فهذا هو التقدير . ووضع الأسباب الكلية هو القضاء . والتدبير الأول - الذي هو كلعن البصر - هو الحكم . والله تعالى حكم مدبر باعتبار الأمور .

وكما أن حركة الكرة والخيط والكرة ليست خارجة عن مشيئة واضع الكرة ، بل ذلك هو الذي أراد به بوضع الكرة ... فكل ذلك كل ما يحدث في العالم من الحوادث : شرها وخيرها ، نعمها وضرها - غير خارج عن مشيئة الله تعالى ، بل ذلك مراد الله تعالى ، ولأجله دبر أسبابه . وهو المعنى بقوله : ﴿ وللّٰه خلقهم ﴾ [هود : ١١٩] .

وتفهم الأمور الإلهية بالأشئلة العرفية عمير، ولكن المقصود من الأشئلة التشبيه ، فعد المشال، وتنبه للفرس، واحذر من التمثيل والتشبيه .

تنبيه : قد فهمت من المثال المذكور ما إلى العبد من الحكمة والتدبير والقضاء والتدبير . وذلك أمر يسير، وإنما الخطير منه ما إليه في تدبير الياضيات والمجاهدات وتقدير السياسات التي تنفضي إلى مصالح الدين والدنيا . وبذلك استغفل الله تعالى عباده في الأرض واستعمرهم فيها لينظر كيف يعملون .

ولما لفظ الدين من مشاهدة هذا الموصف لله تعالى : فإن تعلم أن الأمر مفروض منه وليس بالآتف ، وقد جف القلم بما هو كائن، وأن الأسباب قد توجهت إلى مسيبتها ، وانساقها إليها في إحياها وأجلها - حتم واجب . فكل ما يدخل في الوجود فإنما يدخل بالوجوب ... بلقضاء الأولى الذي لا مرد له ، فيعلم أن المقدور كائن، وأن لهم فضل . فيكون العبد في رزقه مجعلا في الطلب ، مطمئن النفس، ساكن الجأش، غير مضطرب القلب .

إلى أن يتكسر فتندرج منه الكرة وتقع في الطاس ويغن . وعند انقضاء كل ساعة تقع واحدة . وإنما يتقدر الفصل بين الوقتين بتقدير خروج الماء وانخفاضه، وذلك بتقدير سعة الثقب الذي يخرج منه الماء . ويعرف ذلك بطريق الحساب ، فيكون لنزول الماء بمقدار معلوم سبب يتقدر سعة الثقب بقدر معلوم . ويكون انخفاض أعلى الماء بذلك المقدار، وبه يتقدر انخفاض الكرة المجوفة وانجرار الخيط بها وتولد الحركة في الطرف الذي فيه الكسرة .

وكل ذلك بتقدير مقدار سبب لا يزيد ولا ينقص . ويمكن أن يجعل وقوع الكرة في الطاس سببا لحركة أخرى، وتكون الحركة الأخرى سببا لحركة ثالثة ، وهكذا إلى درجات كثيرة حتى يتولد منه حركات عجيبة مقدرة بمقادير محدودة . وسببها الأول نزول الماء بقدر معلوم .

فإذا تصورت هذه الصورة ، فاعلم أن واضعها يحتاج إلى ثلاثة أمور :

أولها : التدبير، وهو الحكم بأنه ما الذي ينبغي أن يكون من الآلات والأسباب والحركات حتى يؤدي إلى حصول ما ينبغي أن يحصل . وذلك هو الحكم .

والثاني : اتحاد هذه الآلات التي هي الأصول، وهي الكرة الأسطوانية ليحوي الماء، والكرة المسنونة ليرضع تحت الماء، والخيط المشدود به الطرف الذي فيه الكرة ، والطاس الذي يقع فيه الكرة . وذلك هو القضاء .

والثالث : نصب سبب يوجب حركة مقدرة محسوبة محدودة . وهو ثقب أسفل الكرة ثقباً بمقدار السعة ، ليحدث بنزول الماء منه حركة في الماء ، تؤدي إلى حركة وجه الماء، ثم إلى حركة الكرة المجوفة الموضوعة على وجه الماء، ثم إلى حركة الخيط ، ثم إلى حركة الطرف الذي فيه الكرة ، ثم إلى حركة الكرة . ثم إلى تنبيه الحاضرين وإسماعهم ، ثم إلى حركاتهم في الاشتغال بالصلوات والأعمال عند معرفتهم انقضاء الساعة . وكل ذلك يكون بقدر معلوم ومقدار مقدر، سبب تقدر جميعها تقدر الحركة الأولى ، وهي حركة الماء .

فإذا فهمت أن هذه الآلات أصول لا بد للحركة منها ، وأن الحركة لا بد من تقدرها ليقدر ما يتولد منها - فكل ذلك فافهم حصول الحوادث المقدرة التي لا يتقدم منها شيء ولا يتأخر إذا جاء أجلها (أي حضر سببها) ، وكل ذلك بمقدار معلوم ، وأن الله بالغ أمره إذ جعل الله لكل شيء قدرا .

فالسماوات والأفلاك، والكواكب ، والأرض ، والبحر ، والهواء ، وهذه الأجسام العظام في العالم ... تلك الآلات . والسبب المحرك للأفلاك، والكواكب، والشمس، والقمر - بحسبان معلوم ... تلك التبة الموجبة لنزول الماء بقدر معلوم .

فإن قلت : فليزمن منه إشكالان :

أحدهما : أن الله كيف يكون فضلا وهو مقدور ؟ لأنه قدر له سبب ، إذا جرى سببه كان حصول الله واجبا .
والثاني : أن الأمر إذا كان مفروضا منه فقيم العمل وقد فرغ عن سبب السعادة والشقاوة ؟

فالجواب عن الأول : أن المقدور كائن ، والله فضل ليس معناه أنه فضل على المقدور خارج عنه ، بل إنه فضل أي لغو لا فائدة فيه ؛ فإنه لا يدفع المقدور ؛ لأن سبب الله بما يتوقع كونه هو الجهل المحض ؛ لأن ذلك إن قدر كونه فالخسر والله لا يدفعه ، وهو استمجال نوع من الأهم خوفا من وقوع الأكم . وإن لم يقدّر كونه فلا معنى للغم به . فيزيد الوجهين كان الله فضلا .
وأما العمل : فجهل قوله عليه الصلاة والسلام : « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » (أخرجه البخاري ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذي . وأخرجه أيضا الطبراني ورجاله ثقات ، والبيهقي ورجاله رجال الصحيح) .

ومعناه : أن من قدرته له السعادة قدرت بسبب فيفسر له أسبابها وهو الطاعة . ومن قدرته له الشقاوة قدرت بسبب وهو بطاقتها عن مباشرة أسبابها .

وقد يكون سبب بطاقتها أن يستقر في خاطره أنه إن كان سعيدا فلا احتياج له إلى العمل ، وإن كان شقيا فلا ينفعه العمل . وهذا جهل ؛ فإنه لا يدري أنه إن كان سعيدا فإثما يكون سعيدا لأنه يجرى عليه أسباب السعادة من العلم والعمل . وإن لم يتيسر له ذلك ولم يجر عليه فهو أمانة شقاوته . ومثاله : كالذي يمتنى أن يكون فقيرا بالغا درجة الإمامة فيقال له : اجتهد وتعلم وواطئ . فيقول : إن قضى الله تعالى لي في الأول بالإمامة فلا احتياج إلى الجهد ، وإن قضى الله تعالى لي بالجهل فلا يتعنى الجهد . فيقال له : إن سلط عليك هذا الخاطر فهذا يدل على أنه قضى لك بالجهل ؛ فإن من قضى له في الأول بالإمامة فإثما يفتنيها بأسبابها . فيجرى عليه الأسباب ، ويستعملها بها ، ويدفع عنه الخواطر التي تدعوه إلى الكسل والبطالة . بل الذي لا يجهتد لا ينال درجة الإمامة قطعا . والذي يجهتد ويتيسر له أسبابها ويصدق رجاؤه في بلوغها إن استقام على جهده إلى آخر أمره ولم يستغله حائق يقطع عليه الطريق - نالها قطعا .

فكذلك ينبغي أن يفهم أن السعادة لا ينالها إلا من أتى الله بطلب سليم . وسلامة القلب صفة تكتسب بالسمي كقصة النفس وفقه الإمامة من غير فرق .

نعم العباد في مشاهدة الحكم على درجات :

فمن ناظر إلى الخاتمة أنه بماذا يتختم له .

ومن ناظر إلى السابقة أنه بماذا قضى له في الأول ... وهو أعلى لأن الخاتمة تبع السابقة .

ومن تارك للماضي والمستقبل ... هو ابن وقته ، فهو ناظر إليه ، راضى بموافق الله وما يظهر منه ... وهو أعلى مما قبله .

ومن تارك للحال والماضي والمستقبل ... مستغرق القلب بالحكم ... ملازم في الشهود . وهذه الدرجة العليا (المقصد الأسنى) : (٨٥-٨٩) .

وعن « الحكم » من أسماء الله الحسنى يقول الإمام الفخر الرازي : القول في تفسير اسمه « الحكم » وفيه مسائل .

الأولى : قال الزجاج الحاكم والحكم واحد : كالوسط والوسط ، وأصل الحكم المنع ، ومنه الحكمة ، لأنها تمنع الغرس من التمدد ، وكذا الحكمة تمنع الرجل عن السفاعة ، ومنه الحكم لأنه يمنع الخصمين عن التصدي ، ومنه قولهم « في بيتك بُرقي الحكم » ووصف الله نفسه بأنه أحكام المعاكدين ومنه قوله : « لا اله الا له » (الأنعام : ٦٢) وقوله تعالى « له الحكم وإليه ترجعون » (القصص : ٧٠) وقوله تعالى : « أنت تحكم بين عبادك » (الزمر : ٤٦) .

واعلم أن الحكم بهذا التفسير هو كلامه ، فيكون من صفات الذات ، وقد يقال أيضا : حكم لفلان بالتمتع أي أنعم عليه ، وحكم على فلان بالثقة إذا أوفقه في المنة ، فعلى هذا يكون ذلك من صفات الفعل ، وقد يستعمل الحكم أيضا بمعنى الحكم ، وسيجيء بيانه .

المسألة الثانية : قال أكثر العقلاء إن حكم الله تعالى بجميع الكليات والجزئيات قد حصل من الأول إلى الأبدي ، وأما المعتزلة : فقد سلموا ذلك في كل الحوادث إلا في أحوال الحيوانات .

لنا وجوه : الأول : أن أعمال العباد موقوفة على إرادتهم . وهي حادثه ، فلا بد لها من مؤثر ، والمؤثر إما أن يكون حادثا أو قديما ، فإن كان حادثا كان الكلام فيه كالأثر ، وينفص إلى التسلسل ، ولا يمكن حصولها بنفسها بأسرها دفعة لأن وجود أسباب ومسببات لا نهاية لها دفعة واحدة محال ، بل لا بد وأن يكون كل واحد مسبوقا بآخر لا إلى بداية ، وهذا قول الفلاسفة الإلهيين ؛ ولأجل هذا الحرف أثيرا حارثت لا أول لها ، وزعموا أن الأفلاك قديمة .

وأما إن كان المؤثر في حدوث تلك الإرادة شيئا قديما ، فذلك القديم يمتنع أن يكون موجبا بالذات ، وإلا لزم من قدم العلة قدم المعلول ، فليزمن كون الإرادة المحذنة قديمة ، وبذلك محال ، فلا بد وأن يكون ذلك القديم قاعلا مختفلا وهذا ملتبس جمهور أصحاب السنة والجماعة .

وعلى التلخيص فجميع الكليات والجزئيات مقدرة بأقوات مخصوصة ، وأحوال مخصوصة ، لا يجوز على المتقدم أن يتأخر ، ولا المتأخر أن يتقدم ، ثبت أن على القدرين لا بد من القطع بأن

حكم الله في جميع الكليات والمجزيات حاصل في الأول ، ومعلوم أن الحكم الأول لا دافع له .

الحجة الثانية : أنه تعالى علم أن بعضها يقع ، وبعضها لا يقع ، والعلم بالوقوع مفسد لعدم الوقوع والعلم بمفسد الوقوع مفسد للوقوع ، والصدان لا يجتمعان ، لكن إبطال علم الله محال ، إزالة هذا الضد محال ، فدخل الضد الآخر في الوجود ، محال ، فما علم أنه يقع كان واجب الوقوع ، وما علم أنه لا يقع كان محال الوقوع .

الحجة الثالثة : أنه تعالى حكم على أي لهب لا يزل ، ومعنى هذا الحكم الإيجاب وهذا الخبر متنع الزوال ، فكان دخول الإيمان في الوجود محالاً ، وهذا عمله القائلين بنبوت الحكم المطلق في جميع الكليات والمجزيات .

واحتجوا : بأنه لو كان الأمر كذلك وكان وقوع ما اتعقد سبب ووقوعه واجباً ، ووقوع ما لم يتعقد سبب وقوعه ممتنعاً ، فيكون كل الأسباب إما واجباً ، وإما ممتنعاً ، ولو كان كذلك لما بقي لأحد قدرة على الفعل ولا اختيار في إقدام ولا إحجام ، إلا أن هذا باطل بالضرورة ، فإني أعلم بالضرورة أني إن شئت الفعل فعلت ، وإن شئت التزمت تركت .

والجواب : هب أنك تجد ذلك من نفسك ، فهل تجد منها أنك إن شئت مشيئة الفعل حصلت ، أو مشيئة الترك حصلت . وظاهر الأمر ليس كذلك ، ولا لزوم التسلسل ، بل إذا شئت الفعل فشئت أم أبيت فعلت ، وبالعكس : فلا حصول للمشيئة فيك بك ، ولا للفعل عقبيها بك ، فالإنسان مضطرب في صورة مختار .

واعلم أن أظهر آيات القرآن للمعترضة قوله تعالى : ﴿ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾ [الكهف : ٢٩] . ومن تأمل هذه الآية علم أنها من أقوى الدلائل على قولنا : وذلك لأنها تقتضي .

توقف الفعل على المشيئة : وحصول هذه المشيئة موقوف على مشيئة الله بدليل العقل والنقل ، لما نقل بقوله تعالى ﴿ وما تشاءون إلا أن يشاء الله ﴾ [الإنسان : ٣٠] .

وأما العقل : فالدليل الذي قرئناه في أهل هذه المسئلة . وإذا كان الفعل منا موقوفاً على مشيئتنا وهي موقوفة على مشيئة الله تعالى لزم القطع بتوقف فعلنا على مشيئة الله . وهذا يبرهان قاطع .

واعلم أن قوله عليه الصلاة والسلام : ﴿ قلب المؤمن بين إصمين من أسابع الرحمن ﴾ إشارة إلى هذه الحجة . فإن المراد من الإصمين داعية الفعل . وداعية الترك . والقلب واقف فيما بين هاتين الداعيتين أبداً . فإنه إن حصلت داعية الفعل حصل الفعل . وإن لم يحصل داعية الفعل بقي الفعل على عدم . ومعلوم أنه لا

خروج عن طريق التقيض ؛ وإنما عبر عن هاتين الداعيتين بالإصمين ؛ لأن الشيء الذي يكون بين إصبي الإنسان لا يكون له في التصرف فيه صعوبة ولا عسر البتة ، بل يكون في غاية اليسر . فلما كان القلب مسخراً لهاتين الداعيتين لا جبراً ؛ عبر عنها بالإصمين ولهذا السر كان صلوات الله عليه يقول : ﴿ يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ﴾ ، بل القلب إنما سعى قلباً لتغلبه من حال إلى حال بحسب توارد الدواعي المختلفة عليه ، هذا تمام الكلام في هذا الباب ؛ وإنه في غاية القوة والوضوح .

المسألة الثالثة حظ العبد من هذا : أن ينقطع تعلق قلبه عن المستقبل ، بل يصير مشغول القلب بأنه ما يصيبه إلا الذي جرى في الأول ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام : « من عرف سر الله في القدر هانت عليه العصائب » .

وقال أيضاً : « المقدر كائن والهم فصل » وليس المراد من قوله والهم فعل أن هذا الهم خسار عن المقدور ، بل المراد منه أنه لا تأثير له في دفع المقدور ، فإن هذا الهم أيضاً من نتائج الغفاه والقدر ؛ فلو صار داعياً للغفاه والقدر لصار الفزع ميلاً للأصل . وهو محال . وتمام الكلام في مسألة القدر مذكور في الكتب الحكمية والكلاسية .

المسألة الرابعة : قول النبي ﷺ : « السعيد من سعد في بطن أمه والشقي من شقى في بطن أمه » مبرهن بالبراهين القاطعة المذكورة .

كان بعض المطلقين يقول : كل واحد يخاف المخافة . وأنا أخاف الفاتحة وإن الحكم الإلهي لا يزول بحيل العبيد . فكيف من ربيع تورد لأجباره ، وريزت أنواره ، وظهرت أنواره ، وظن أهله أنهم ظفروا بمقاصدهم فأصابهم الآفة ، فأجابهم البلية ، فأصبح أهله على حسرة ، وأسروا على قلة ، قال تعالى ﴿ أتأثم أمراً لئلا أو نهزاً فجعلناها حصيداً كإن لم تكن بالأمس ﴾ [يونس : ٢٤] وهكذا كم من عبيد ظهرت عليه آثار السعادة ، وأنوار المحبة والقرية . ثم أصبح من المطرودين !!

رأي المشايخ : ثم قال المشايخ : الحكم الذي لا يقع في وعده ريب . ولا في فعله عيب .

وقيل : الحكم الذي حكم على القلوب بالرضا والقناعة . وعلى النفوس بالانقياد والطاعة (شرح أسماء الله الحسنى / ٢٤٤ - ٢٤٤) .

وقد وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة دالة على أن الذي يحكم ويفصل بين الناس فيما شجر بينهم ، هو الذي يسمى بالحكم ولا راداً لشكويه .

وقد جعل الله اسمه الحكم بينه وبين عباده . فحكمه في الدنيا بين عباده فيما أنزل الله من كتابه ، وله الحكم يوم القيامة ، وترك

الحكم في الدنيا لعباد ليحكموا فيما بينهم بالقيسط ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ رَكِبَ لِحُكْمِ بَيْنَهُمْ بِمَعِ الْيُسْأَلَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [النحل : ١٧٤] .

ولما قال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ وَغَدَلَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴾ [هود : ٥٤] .

وقال الله جل جلاله : ﴿ فَاصْبِرْ إِلَىٰ حُكْمِ اللَّهِ يَبِيتَا وَغَرَّ خَيْرِ الْحَاكِمِينَ ﴾ [الأعراف : ٨٧] .

تنبيهاً لعباده بأنهم خيرُ الحاكمين وأنه أحكمُ الحاكمين فلا تُعقِبْ لِحُكْمِهِ ، وَلَا تُشْرِكْ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا .

وقد أمر الله عباده بما أمر به رسالة بأن يحكموا بين الناس بالعدل ولا يتبعوا الهوى فإن الله على حكمهم لشهيد .

يقال الله تعالى : ﴿ فَلَا وَرَيْكَ لَا تُؤْمِنُونَ ﴾ حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴿ [النساء : ٦٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [النور : ٥٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا حُكِمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعْمًا بِعَالِمِكُمْ بِهِ إِنْ كَانَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [النساء : ٥٨] .

وقال الله جل جلاله : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَتَانُ قَوْمٍ عَلَىٰ آلا تَعْمَلُوا اَعْدَاءُ هُوَ أَقْرَبُ لِلْقَوِيِّ ﴾ [المائدة : ٨] .

وقال الله جل جلاله : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة : ٤٤] .

وقال الله جل جلاله : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [المائدة : ٤٥] .

وقال الله جل جلاله : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [المائدة : ٤٧] .

تنبيهاً لعباده بأن لا يتبعوا الهوى في حكمهم فيسلمهم من سبيل الله .

وحظ العبد من اسم ربه ﴿ الحكم جل جلاله ﴾ الدعاء : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْهِنِّي بِالْعُلَمَاءِ ﴾ [الشعر : ٨٣] . ثم يزجر من أن يحكم بغير ما أنزل الله .

وقالوا : من قرأه في جوف الليل مائة مرة مدَّ على طهارة يوحى واعتقاد حتى يشفى عليه حال ، جعل الله بطنه محل الأسرار الإلهية ﴿ له الأسماء الحسنى ﴾ [٨٤ ، ٨٥] .

(المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى لأبي حامد الغزالي - دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشت / ٨٥-٨٩ ، وشرح أسماء الله الحسنى لشيخ الإسلام فخر الدين الرازي - راجعه وقدم له وعق عليه

الأستاذ طه عبد الرؤف معد / ٢٤٠ - ٢٤٤ ، وله الأسماء الحسنى قاعدته بها - جمع وترتيب أحمد عبد البراد . قرأه فضيلة شيخ الأثر عبد الجليم محمود ، وشيخان علي خليل عبد الرحمن ، ومحمد المهدي محمود علي . دار الريان للتراث . القاهرة . د . ت . ٨٤ ، ٨٥ ، ٢٤٨ .

﴿ حكم الحكماء وفوائد القضاة : من مخطوطات التصوف والمواعظ بمكتبة الأوقاف المركزية في السليمانية بالعراق . مؤلفه : مجهول .

أوله : (الحمد لله على ما ستر من العيوب وأسبل على عباده من ذيل عفوه المطلوب واستغفره موبقات الذنوب ... إلخ)

آخره : قال مؤلف هذا الكتاب هذا بعض ما اخترناه من حكمهم وحكاياتهم . فولادها عظيمة ومنافعها عميمة لمن تدبر معانيها وفهم مقاصدها وباتنباها .

ناسخه : محمد بن أحمد بن يحيى بن الفضل سنة ١٠٨٠ هـ . كتيه برسم خزانة علي بن عبد القادر بن الناصر بن عبد الحرب ألفه المؤلف لخزانة المظفر يوسف بن السلطان غازي يوسف أبوب .

وقد ذكر في المقدمة أنه أورد اسم عشرين فيلسوفا مشهورا مع ترجمة قصيرة لحياتهم وذكر بعض ما لهم من الحكم المجيبة والفقر

الغريبة والتواضع اللطيفة والحكايات الطريفة . أوله : فيثاغورث وأخبرهم بزوجهم .

خطه ثلثي كتب المتأخرين الرئيسية بالبحر الأحمر وبخط بارز عليه تملك من قبل جمال الدين علي بن حسن الغفاري سنة ١١٧٣ .

ر : ٩٢

م : ٢١ × ١٦

م : ١٥

ت / مجاميع / ١٨٠ - ١٩٠

(فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف المركزية في السليمانية - إعداد محمود أحمد محمد / - ٢٠٧) .

﴿ حكم الشرائع (علم) : أدرج صاحب مفتاح السعادة علم معرفة حكم الشرائع بين فروع علم الفقه وقال عنه :

واعلم أن الفقهاء اقتصروا على تحليل الأحكام الشرعية ، إما بالسمع من الكتاب والسنة والإجماع ، أو بالفعل وهو القياس ، إما تكفائية ذلك في مقاصدهم ، أو لتجريد العباد عن معرفة الحكم ، حتى قال قائلهم :

لم يخلق العقل دُرَّةً لِمَا لِحِكْمِهِ

لكن ليعلم مساماً بأنفسه من حُكْم
لكن بعضاً من الفضلاء، شكر الله معهم، بلذوا مجهودهم،
فيما لم يكن الحكم فيه تبديلاً، في أن يستخرجوا الحكم في
الأحكام، لتعلمن قلوب العباد في قبوله، وتنشط أذهانهم بأن
يطلعوا على حكمة أمرها، فذوّنوا حكم الشرائع ومحاسنها حسبما
قدروا على ذلك .

وصنف في هذا العلم كتاباً ناقلاً جامعاً مسمى بـ « محاسن
الشرائع والإسلام »، الشيخ العلامة أبو عبد الله محمد بن عبد
الرحمن البخاري رُوح الله وروحه ١ هـ .

(مفتاح السعادة ومصابيح السيادة لطاش كبرى زاده ٥٥٧ / ٢) .

• التيسيم العطائية :

الحكم العطائية : للشيخ تاج الدين أبي الفضل أحمد بن
محمد بن عبد الكريم المعروف بابن عطاء الله الإسكندراني الشافلي
المالكي المتوفي بالقاهرة سنة ٧٠٩ هـ تسع وسبعمائة . أولها : من
علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل . . إلخ .
وهي حكم متروكة على لسان أهل الطريقة ولما صنفها عرضها على
شيخه أبي العباس المرسي فأعلمها وقال له لقد آتيت يا بني في هذه
الكرامة بمقاصد الإحياء وزيادة وللكل تعشفا أرباب الذوق لما
رق لهم من معانيها رواق وبسطوا القول فيها وشرحوها كثيراً . فمن
المؤلفات عليها شرح شهاب الدين أحمد بن محمد البرلسي
المعروف بزريق وهو شرح مزيج أوله : الحمد لله الذي شرّف
عباده . . إلخ وذكر في بعض شروعه أن الحكم مرتب بعضها على
بعض فكل كلمة منها توطئة لما بعدها وشرح لما قبلها وأنه درس
الحكم خمسة عشر دروساً وكتب كل مرة شرحاً من ظهر القلب كله
بعبارة أخرى ، وقيل إن للشيخ زريق ثلاثة شروح على الحكم لكن
الأصح ما كتبه هو نفسه . ومنها شرح محمد بن إبراهيم بن عباد
الغزني الرندي الشافلي المتوفي سنة ٧٩٢ هـ أوله : الحمد لله المقفرد
بالعظمة والجلال . . إلخ وسماه فيث الموابب العلية . ومنها شرح
علي بن محمد النغزي المذكور وهو شرح مزيج مبسوط سماه
التبيين .

وشرح أبي الطيب إبراهيم بن محمود الإصبرائي الموالي
الشافلي الحنفي أوله : أحمد من أتبع من أعين قلوب من
أخلص . . إلخ ذكر أنه شرحها بمكة المكرمة سنة ٩٠٣ هـ ثلاث
وتسعمائة وسماه أحكام الحكم في شرح الحكم .

وشرح صفى الدين أبي الموابب ذكره تلميذه أبو الطيب
المذكور وقال إن الشارح الجليل الولي بن عباد وقع لمحق (يمحون)
من التطويل وكذا أستاذي صفى الدين . ومنها شرح محمد بن

إبراهيم المعروف بابن الحنبلي الحلبي المتوفي سنة ٩٧٢ اثنين
وسبعين وتسعمائة [٩٧١] .

وشرح الشيخ محمد المدعو بعبد الووف المناوي المصري
الشافلي سماه الدرر الجوهري وهو شرح مزيج أوله : الحمد لله
الذي أطلع من سماء السلاط . . إلخ . (كشف ١ / ٦٧٥ ،
٦٧٦) .

أما عن المخطوطات فلدينا منها ما يلي :

من مخطوطات التصوف بيدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو
بمكتبة الأسد) .

الرقم ٢٤٢٧ تصوف ١٠٩ .

- حكم متروكة على لسان أهل الطريقة ، وبعد تصنيها عرض
على أستاذ أبي العباس المرسي فأعلمها وقال له : لقد آتيت يا بني
في هذه الكراسة بمقاصد الإحياء وزيادة ، وقد قيل : كانت حكم
ابن عطاء الله أن تكون وصياً .

المؤلف : أبو العباس تاج الدين : أحمد بن محمد الجذامي
المشهور بابن عطاء الإسكندراني المتوفي سنة ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م .
أولها : من علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند
وجود الزلل ، إرادتك التجريد مع إقامة الله تعالى إياك في الأسباب
من الشهوة الخفية . .

آخرها : المناجاة له : يا من احتجب في سرافقات عزه عن أن
تفكره الأبدار ، يا من تجلي بكمال بهائه تحفقت عظمته للأسرار
كيف تخفى . . .

الخط نسخ متداد ، الحبر أسود .

اسم النسخ : أحمد عبد الجواد التجاني الشافلي الأحمدي .

تاريخ النسخ : السبت ٣ شوال سنة ١٠٢٣ هـ .

نسخة ثانية .

الرقم ٥٦٣٩ .

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخي واضح ، الحبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر .

نسخة ثالثة .

الرقم ٦٠٣٣ .

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخ متداد ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

اسم النسخ : رجب الشهرير بابن سويعة .

تاريخ النسخ : ١١ شعبان سنة ١٠٥٧ هـ .

نسخة رابعة .

الرقم ٦٨٩٧ .

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخي واضح ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

- تاريخ النسخ : سنة ١٠٢٠ هـ .
نسخة خامسة .
الرقم ١٠٢٧٦
أولها وآخرها : كالسابقة .
الخط نسخ معتمد ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .
نسخة سادسة .
الرقم : ١٩ .
أولها وآخرها : كالسابقة .
الخط نسخي واضح مشكل ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .
نسخة سابعة
الرقم ٨٢٥٠
أولها وآخرها : كالسابقة .
الخط نسخ معتمد ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .
نسخة ثامنة .
الرقم ٣٨٧٩
أولها وآخرها : كالسابقة .
الخط نسخي واضح مشكل ، الحبر أسود .
قال واضع الفهرس : الأستاذ محمد رياض المالح : بعض نسخ الرسالة : الأرقام يخشاد ٢٧٥ ، ٢٧٩ ، ٢٨٤ ، ٢٨٧ وأحفظ بشرح لها لأبي المواهب الشافعي مخروم ، وعند الأستاذ محمد مطيع الحافظ يدمشق شرح للمناوي لها ، وعند الأستاذ فخر الدين المحسن شرح لأبي بكري وشرح آخر لعلي البيهقي وشرح لعبد الله الشرفاوي وشرح لمؤلف مجهول ، وفي المكتبة الأجرية يدمشق شرح للشيخ أحمد زروق تختلف عن التي طبعت بتحقيق الدكتور عبد الحليم محمود .
مصادر عن الكتاب : معجم المطبوعات / ٢٨٥ ، الدكتور صلاح الدين المنجد معجم المخطوطات المطبوعة ٢ / ٣٠ رقم ٥١ .
مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٢ / ١٢١ ، اليافعي مكة الجنان ٤ / ٢٤٦ ، طبقات الشافعية لكوثر بن ٩٧ .
طبقات الرسالة : طبعت كثيراً مع شروحها الكثيرة جداً وطبعت وحدها ١ - طاس ٢ - دمشق مطبعة بركات سنة ١٢٨٣ هـ / ١٩٦٤ م نشرها الأستاذان إبراهيم الميمني وعبد المحسن خلد - ٧٢ ص من القطع الصغير ٣ - دمشق بالطبعة الهاشمية سنة ١٩٦٥ م نشرها الأستاذ أحمد عبيد ب ٩٦ ص من القطع الصغير (انظر مادة أحمد عبيد في ٢ / ٦٧٨ - ٦٨٣) .
(مخطوطات الظاهرية : تصوف ١ / ٤٦٦ - ٤٦٩) .
وتوجد نسخ في مكتبة المتحف العراقي ملخصة في فهرس
- مخطوطات الأدب ، وجاء بينها كما يلي : الحكم المطبوعة .
الرقم ١١٥٣٥ / ٢ .
لشاح الدين أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله الإسكندري الجليلي الشهير بابن عطاء الله المتوفى سنة ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م .
الأول : (قال الشيخ الإمام . . من علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عن وجود الزلل . . .)
وهي رسالة جمع فيها المؤلف من الحكم والنصائح البليغة المتنوعة عرضها على شيخه (أبو العباس المرسي) فقال له بعد أن قرأها وأتملها : (لقد أتيت يا بني في هذه الكراسة بمقاصد الإحياء وزيادة ، ولذلك تشفعها أرباب الذوق لما روق لهم من معانيها) .
نسخة جيدة ، ترقى إلى القرن المعادي عشر الهجري / القرن السابع عشر الميلادي .
٤٠ ص . ٥ ، ٢٢ × ١٤ ، سم . ١٩ ص .
معجم المؤلفين ٢ / ١٢١ كشف ١ / ٦٧٥ الأعلام ١ / ٢٢٢
معجم ١٨٥ طبعت أكثر من مرة آخرها بتحقيق عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف بالقاهرة ١٩٦٩ م .
نسخة أخرى .
كتبها بخط النسخ عمر بن علي الطبري سنة ١٠٧٤ هـ / ١٦٦٣ م .
الرقم : ٣٥٧٩٢ / ٦ .
٤٩ ص . ٢٠ × ١١ ، سم . ١٣ ص .
نسخة أخرى .
كتبها سنة ١٢١٤ هـ / ١٧٩٩ م .
الرقم : ٨٧٦٣ .
٩٨ ص . ١٥ × ١٠ ، سم . ٧ ص .
نسخة أخرى
حديث الخط ، نافذة الأثر .
الرقم : ١٤٥٨٨ .
٢٠ ص . ١٩ × ١٢ ، سم . ١٥ ص .
(مخطوطات الأدب / ١٥١ ، ١٥٠)
وتوجد نسخة في دار الكتب القطرية ملخصة في قسم التصوف والأدب الشرعية بالرقم التسلسلي ٣٠ تحت عنوان : الحكم . وجاء بينها كما يلي :
الحكم : لابن عطاء السكندري (ت ٧٠٩ هـ) انظر الكشف ٦٧٥ / ١ .
أوله : : سبعة ، قال شيخ الإمام . . في الاعتدال يبر الرجاء والموتوف .

٢٠ ورقة ضمن مجموعة من ٨٩-١٠٩ .

الكتاب الخامس في المجموعة رقم ٣٦٠ (المتخبط ق ٣ / ٤٥ ، ٤٤) .

(كشف الظنون لحاجي خليفة ١ / ٦٧٥ ، ٦٧٦ ، وفهرس
مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف - وضع محدريش المالح ١
/ ٤٦٦ - ٤٦٩ ، ومخطوطات الأدب في المتحف العراقي - أسامة ناصر
التقشيري ووليام محمد عباس / ١٥٠ ، ١٥١ ، والنتخب من
مخطوطات دار الكتب الظاهرية . مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ٣ /
٤٤ ، ٤٥) .

• الحكم الفارقة ذات الأثوار الشارقة :

من مخطوطات الأدب في مكتبة المتحف العراقي .
الرقم ٢٥٩ / ٢ .

لمجد الله بن علوي بن محمد بن أحمد المهاجر بن عيسى
الحسيني الحضرمي الحداد أو الحدادي المعروف (بأعلوي)
المتوفى سنة ١١٣٢ هـ / ١٧٢٠ م .

الأول : (الخلق من الحق لا يخلو أحد منه ، أن يكون في
إحدى النارتين ، إما دائرة الرحمة أو دائرة الحكمة . . . النائم
يرقد ، والغافل يذكر . .) .

وهي مجموعة من الأثوار والحكم البليغة والأثال .

كتبها بخط النسخ الجيد محمود بن محمد سنة ١١٤٥ هـ /
١٧٣٢ م .

٧ ص . ٣٠ × ٢٠ سم . ٢٥ ص .

مجم المؤلفين ٦ / ٨٥ .

ولد المؤلف في السبيل من ضواحي حضرموت وتوفي في
الحاوي . ودفن بترميم ، كان كنيته أخطهده اليافعون حكاه تريم
فانتقل إلى الحاوي وكان فيها صوفيًا من مؤلفاته ، عقيدة التوحيد ،
الدعوة التامة والذكورة العامة ، المسائل الصوفية ، إتحاف السائل
بأجوبة المسائل ، تبصرة الرئي بطريقة السادة بنى علوي .

الأحلام ٤ / ١٠٤ .

(مخطوطات الأدب في المتحف العراقي - أسامة ناصر التقشيري
وظهيا محمد عباس / ١٥١) .

• الحكم (هي علم أصول الفقه) :

قال الإمام الفيروزيادي في باب الحكم :

اعلم أن الحكم هو الذي يتعلق على العلة من التحليل
والتحريم والإسقاط وهو علي ضرين : مصرح به ، وبهم فالمصرح
به أن تقول فجاز أن يجب أو فوجب أن يجب وما أشبه ذلك ،
والمبهم على أصرب منها : أن تقول فأشبه كذا فمن الناس من قال
إن ذلك لا يصح لأنه حكم مبهم ومنهم من قال إنه يصح وهو

الأصح لأن المراد به فأشبهه ، كذا في الحكم الذي وقع السؤال عنه
وذلك حكم معلوم بين السائل والمستول فيجوز أن يصح عن ياتيه
اكفاء بالمعرف القائم بينهما . ومنه أن يعلق عليها التسوية بين
حكمين كقولنا في إيجاب النية في الرضوخ إنه طهارة فاستوى
جامدها وسائلها في النية كزالة النجاسة ومن أصحابنا من قال إن
ذلك لا يصح لأنه يريد به التسوية بين المانع والجامد في الأصل
في إسقاط النية وفي الفرج في إيجاب النية وهما حكمان متضادان ،
والقياس أن يشتق حكم الشيء من نظيره لا من ضده وتقريظه ومنهم
من قال إن ذلك يصح وهو الصحيح لأن حكم العلة هو التسوية بين
المانع والجامد في أصل النية والتسوية بين المانع والجامد في النية
موجود في الأصل والفرع من غير اختلاف ، وإنما يظهر الاختلاف
بينهما في التفصيل وليس ذلك حكم علة ؛ ومنها أن يكون حكم
العلة إثباتي تأثير لعمى مثل قولنا في السواك للصائم إنه تطهير
يتعلق بالقسم من غير نجاسة ، فوجب أن يكون للصوم تأثير فيه
كالمضمضة فهذا يصح لأن للصوم تأثيرا في المضمضة وهو منع
المبالغة كما أن للصوم تأثيرا في السواك وهو في المنع منه بعد
الزوال وإن كان تأثيرهما مختلفا واختلافهما في كنية التأثير لا
يمنع صحة الجمع لأن الغرض إثبات تأثير الصوم في كل واحد
منهما وقد استوى في التأثير فلا يضر اختلافهما في التفصيل .

(اللعم في أصول الفقه للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف
الشيرازي الفيروزيادي / ٦١) .

• الحكم (هي علم التوحيد) :

الحكم : هو إثبات أمر لأمر أو نفي أمر عن أمر .

والحاكم إما الشرع ، وإما العادة ، وإما العقل ، ولهذا انقسم

الحكم إلى ثلاثة أقسام :

١ - شرعي ٢ - عادي ٣ - عقلي

٢ - الحكم الشرعي :

وهو خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين بالطلب أو
الإباحة أو الوضع لهما .

فالطلب يشمل الإيجاب ، والندب والتحريم والكراهة .

١ - الإيجاب : هو طلب الفعل طلبا جازما مثل الإيمان بالله
ورسوله .

٢ - الندب : هو طلب الفعل طلبا غير جازم مثل صلاة
الضحى .

٣ - التحريم : هو طلب الترك طلبا جازما كطلب ترك الإشراك
بالله والرتا .

٤ - الكراهة : هي طلب الترك طلبا غير جازم مثل القراءة في
الركوع والسجود .

وأما الإباحة فهي التخيير بين الفعل والترك مثل البيع والتكاح .

الواجب: هو الثابت الذي لا يقبل الانتفاء لذاته (أما الواجب فهو الثبوت الذي لا يقبل الانتفاء).

ينقسم إلى قسمين:

١ - ضروري - وهو ما لا يتوقف إدراك وجوده على نظر مثل التحيز للمجرم وصغر الولد عن أبيه.
٢ - نظري - ما توقف إدراك وجوده على نظر واستدلال مثل قسم الآله وعلمه.

المستحيل: ما لا يتصور العقل وجوده، أي ما لا يصدق بوجوده (والاستحالة هي الانتفاء الذي لا يقبل الثبوت).
وهو قسمان:

١ - ضروري، وهو ما لا يحتاج في إدراك استحالة إلى بحث مثل خلو الجرم من الحركة والسكون أو ثبوتهما معا له.

٢ - نظري: وهو ما يحتاج في إدراك استحالة إلى فكر واستدلال. مثل تمدد الآل وكذب الرسل.

الاجتزاء: ما يصح في نظر العقل ثبوته وعدمه أو ما يقبل الثبوت والمدم لذاته (والجواز في قول الثبوت والمدم).

وهو قسمان:

١ - ضروري وهو ما لا يتوقف إدراك جوازه على بحث واستدلال مثل الحركة أو السكون بالنسبة للجسم.

٢ - نظري ما توقف إدراك جوازه على بحث واستدلال مثل تذيب المطيع وإثابة العاصي فهو ممكن عقلا متنع شرعا.

فإن العقل لا يدرك جواز ذلك إلا بعد الوقوف بالدليل على أن الفعل لله وحده وأنه لا يسأل عما يفعل.

ثم اعلم أن الاجتزاء لثباته قد يكون واجبا لغيره وذلك إذا تعلق علم الله بوجوده كإيمان أبي بكر وقد يكون مستحيلا لغيره، إذا تعلق علم الله بعدمه كإيمان أبي جهل.

ولا ينبغي عليك أن الواجب والاجزاء والمستحيل أقسام لمتعلق الحكم العقلي، مما تقدم يتضح الفرق بين الحكم العقلي والشرعي والعادي.

فالحكم العقلي: إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه من غير توقف على تجربة ولا وضع واضح.

والحكم الشرعي: هو خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين بالطلب أو الإباحة أو الرضخ لهم.

والحكم العادي: إثبات الربط بين أمر وأمر وجوبا وعدمًا بواسطة تكرار القرآن بينهما على الحس (مذكورة التوحيد والفرق / ٢٨، ٢٩)

(مذكورة التوحيد والفرق - حسن السيد متولي / ١ - ٢٦، ٢٩، وبين

الخريدة البهية في علم التوحيد للإمام أبي البركات سيدي أحمد الدفيعر

وأما الوضع لهما أي الطلب والإباحة. فهو جعل الشيء سببا أو شرطا أو مانعا.

فالسبب ما يلزم من عدمه العدم ومن وجوده الوجود بالنسبة لذاته مثل الزوال فإنه سبب لوجود الظاهر.

والشرط ما يلزم من عدمه العدم ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم مثل الطهارة بالنسبة للصلاة، والمانع ما يلزم من جودة العدم، ولا يلزم من عدمه وجود ولا عدم مثل الحيض يلزم من وجوده عدم وجوب الصلاة ولا يلزم من عدمه وجود ولا عدم لترتق وجوبها على أسباب أخرى.

٢ - الحكم العادي:

هو إثبات الربط بين أمر وأمر وجوبا وعدمًا بواسطة تكرار القرآن بينهما على الحس (الظاهر والباطن).

كالحكم بأن النار تحرق والأكل يشبع والماء يبرى وأكل ما يتحقق به للتكرار مرتين.

وليس معنى هذا الحكم أن النار مؤثرة بلماتها بل هذا الاقتران يصح تخلفه لأن الدليل قام على أن المؤثر في جميع الأشياء هو الله سبحانه وتعالى ولهذا كان الحق أن الارتباط بين الأسباب ومسبباتهم عادي فمن اعتقد أن الأسباب تؤثر في مسبباتها بغيرها فهو كافر، ومن قال إن التأثير بقرعة أودعها الله فيها فهو فاسق، ومن قال إن المؤثر هو الله ولكن الارتباط بينهما عقلي فهذا غير مقبول مخالفة أن يحجر اعتقاده هذا إلى إنكار ما خالف المأخذ كمنجزات الأنبياء.

ولم يبق إلا أن الارتباط بينهما عادي وهو ما عليه جمهور أهل السنة (مذكورة التوحيد والفرق / ٢٦، ٢٧).

٣ - الحكم العقلي:

قال ناظم الخريدة رضي الله عنه.

٩ - أقسام حكم العقل لا محالة

هي الوجوب ثم الاستحالة

١٠ - ثم الجواز ثم الثالث الأقسام

فانقسمت من حيث لثلاثة الأقسام

مشيرا إلى أن الحكم العقلي ينقسم إلى ثلاثة أقسام: وجوب واستحالة وجواز. (من الخريدة البهية / ١٠).

فالحكم العقلي: هو إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه من غير توقف على تكرار ولا وضع واضح فإن توقف على تكرار فهو للعادي أو على وضع واضح فالشرعي وعلم أن كل ما حكم به العقل إن قبل الثبوت والنفي فهو الجواز وإن لم يقبل إلا العدم فهو المستحيل ولهذا انقسم الحكم العقلي إلى ثلاث أقسام: الوجوب، والاستحالة، والجواز.

- ٨- باب في مدح النساء والعيال.
- ٩- باب في مدح السفر والغربة.
- ١٠- باب في مدح الشباب.
- ١١- باب في مدح الشباب.
- ١٢- باب في مدح المرض والأسقام.
- ١٣- باب في مدح الموت.
- آخره: ...

وقد تنطق الأشياء وهي صوامع

وما كل نطق الناطقين كلام

وما كل ما قيل علم وحكمة

وما كل السرد الحصيد حمام

نفعا لله بأخبار الأبرار، ووفقنا للانداء بالأخبار، بحمرة النسي
المختار صلى الله عليه وسلم.

النسخة ناقصة من أولها بما يقرب من مئة ورقة.

كتب بخط نسخ جميل

١٠٨ ق ١٩ ص ٢١٥ × ٢١ سم

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . الأدب - وضعه . رياض
عبد الحميد مراد وباسم محمد السواد ١ / ١٨٣ ، ١٨٤) .

• حكم وحكايات:

من مخطوطات التصوف في دار الكتب الظاهرية بدمشق (أو
بمكتبة الأسد) .

الرقم ٤٠٣٥ .

كتاب في الحكم والمواعظ والحكايات وأشعار صوفية وغير
ذلك من عبارات الرقائق والزهد .

المؤلف : ؟

أوله مخروم يشد به : كتاب ﴿ وهل أسألك نيا الخصم إذ
تسوروا المخرب ﴾

وصلى الله على رسوله سيد الأبحام والأهراق أشرف مولود ...
اللهم اجعلنا من أتباعهم وأحشرنا في زمرتهم . وفي ق ٤٧ ب قال
الجنيد بينما أنا أنظر فيما ينفع الناس ذكره إذ رأيت شابا يعظ الناس
وهو يقول : اللهم أنت تعلم حال المتعلقين بجنابك المخافين من
حر عقابك اللهم توفني على حك . . .

آخره : تجتمع فيه أهل المملكة بعد انقضاء الصلاة فيتكلم
بالحكمة التي وعها والأدب التي حفظها . . أيها الحكام من
الحكمة . . .

النسخ نسخ متداد : الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف - وضع محمد
رياض المالح ١ / ٤٦٠ ، ٤٦١) .

١٠ / أنظر أيضًا شرح الخريدة في علم التوحيد - تصحيح وتعليق حسين
عبد الرحمن مكي / ١١ ، وشرح أم البراهين - الشيخ أحمد بن عيسى
الأنصاري / ٥ ، والمختصر البسيط في علم التوحيد - د . طنطاوي
مصطفى طنطاوي / ٨ ، ٩) .

• الحكم المعتمد بترجيح بينة ذي اليد:

الرسالة رقم ٤٠ من التحقيقات القلمية (أنظر هذه المادة في م
٩ / ٥٢ - ٦٠) أحد مخطوطات الفقه الحنفي بدار الكتب
الظاهرة بدمشق (أو بمكتبة الأسد) ، وبيان الرسالة كما يلي :
جواب سؤال في رجل يده شيء ادعى عليه آخر أنه ملكه ،
وضاح منه منذة ونصف ، وأنه في يد المدعى عليه بخير حق ،
وأنه يطالب به ، فأجاب المدعى عليه بوضع اليد بحق بمقتضى
شهرته من آخر منذ خمس سنوات سابقة على تاريخه وأقام كل
بيته ، فمن تسمع بيته؟

أولها : الحمد لله موضع سبيل الهداية ، المأمور بمعراج الدراية ،
المرئي إلى نهاية الغاية بالنعاية .

آخرها : ولولا الاحتياج لما ذكرته عن الكافي ، ما سطرت
عبارته خشية الإطالة مما لا اضطرار إليه فيما يخصنا ، فإن الذي
قدمته قبله هو عين المسألة .

عليها مقابلة على نسخة المؤلف سنة ١١٥٦ هـ .

من الورقة ٣٧٧ - ٣٨١ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، الفقه الحنفي - وضع
محمد مطيع الحافظ ١ / ١٧٦ ، ١٧٧) .

• حكم وأشعار:

من مخطوطات الأدب في دار الكتب الظاهرية بدمشق (أو
بمكتبة الأسد) .

الرقم ٦٩٥٠ .

المؤلف : مجهول .

أوله : نقدم أخبارهم ، رحم الله النفوس النقية الشيم كيف
أبادهما الدهر وعليها حلم ، وصبرها بعد الوجود إلى العلم ، وخللا
الزمان من تلك الرجوه الصباح . . .

أبوابه :

١ - باب في مدح العزلة والوحدة .

٢ - باب في مدح العتاب .

٣ - باب في مدح الزيادة .

٤ - باب في مدح الهدية .

٥ - باب في مدح الجود والسخاء .

٦ - باب في مدح صيانة المال .

٧ - باب في مدح التجارة .

* حكم ومواعظ وأمثال:

من مخطوطات الأدب في المتحف العراقي .

الرقم : ١٧٤٢٦ .

الأول : (الدين يصمم ، والدينيا تسلم ، الدينيا أحد ، والأخرة أبد ...)

رتبها الجامع على حروف الهجاء .

نسخة جيدة ، مطوية الصفحات بمداد ذهبي في أولها زخرفة .

كتبها محمد الملقب نصر الله سنة ٩٩٢ هـ / ١٥٨٤ م .

٦٤ ص . ١٥ × ٢٠ سم . ٩ ص .

(مخطوطات الأدب في المتحف العراقي - أسامة ناصر القشبي
تظلياء محمد عباس / ١٥٢) .

* الحكمة :

قال التهانوي :

الحكمة بالكسر في الأصل هي إقتان الفعل والقول وأحكامهما
وفي اصطلاح العلماء تطلق على معان منها علم الحكمة وبيان
الحكمة النظرية . ومنها معرفة الحق للثبات والخير لأجل العمل به
وهو المكائيف الشرعية مكاناً في التفسير الكثير في تفسير قوله تعالى
{ ذلك بما أوحى إليك ربك من الحكمة } [الإسراء : ٣٩] في
سورة بني إسرائيل وقرب منه ما ذكر أهل السلوك من أن الحكمة
معرفة آفات النفس والشيطان والرياضات والحكمة بهذا المعنى
أخص من علم الحكمة لأنها من أنواعها كما لا يخفى ومنها هيئة
للقوة العقلية العملية متوسطة بين الجبرية وهي هيئة تصدر بها
الأعمال المكر والحيلة من غير انتصاف وبين البلاء وهي الحق
والحكمة بهذا المعنى أحد أجزاء العدالة للمقابلة للجور وظن
البعض أنها هي الحكمة العملية وهذا باطل إذ هي ملكة تصدر عنها
أعمال متوسطة بين الجبرية والغياوة والحكمة العملية هي العلم
والأمور المخصوصة والفرق بين الملكة والعلم ظاهر وكذا هي مغايرة
لعلم الحكمة إذ هي العلم بالأشياء مطلقاً سواء كانت مستتلة إلى
قدرتنا أو لا . كذا في شرح المواقف في غائمة مبحث القدرة . ومنها
الحكمة العقلية المنبذة للاعتقاد دون الظن والإقناع الكامل قال الله
تعالى { ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً } [البقرة : ٢٩٦]
وقال { أدم إلى سبيل ربك بالحكمة } [النحل : ١٢٥] في
التفسير الكبير في تفسير هذه الآية في آخر سورة النحل وحاصل
هذا أن الحكمة تطلق على البرهان أيضاً ويؤيده ما وقع في شرح
المطالع أن صاحب البرهان يسمى حكيماً . ومنها فائقة ومصلحة
ترتب على الفعل من غير أن تكون باعة للفعل على الفعل وتسمى
بالغاية أيضاً .

(كشف اصطلاحات الفنون / ١ / ٣٧٠) .

مَرْثِيَةُ الرَّفِيعِ الرَّبِّيعِ
كَلِمَاتُ سَطَرٍ ضَاعَ عَنْ عِيْنِ سَطَرٍ

والحكمة في اصطلاح الصوفية كما يعرفها الشيخ القاشاني :
هي العلم بمقائق الأشياء ، وأوصافها ، وخواصها ، وأحكامها ،
على ما هي عليه ، وإرتباط الأسباب بالمسببات ، وسرار انضباط
نظام الموجودات والعمل بمقتضاه { ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خيراً كثيراً } [البقرة : ٢٩٦] ويعلق الدكتور محمد كمال إبراهيم
جعفر على هذا التعريف بقوله : الحكمة : مفهوم هذه الكلمة في
الاستعمال العربي يدل على تسريح لا نظير له . ومن الصحيح أن
استعمال الكلمة كان يقصد به في كثير من الأحيان وبخاصة في
المراحل المبكرة للإسلام : الاتجاه إلى الجانب السلوكي الذي
يتسم بالسداد والتوثيق والأصابية بأسر الطرق لكنه المصطلح بعد
ذلك ربط بالشرائع كما هو عند الفتاوي وقد ذكر التهانوي (كشف
اصطلاحات الفنون . ٥٠) أن هذا لا ينافي ما ذكر من أن السالكين
بطريق أهل النظر والاستغلال وبطريق أهل الرياضة والمجاهدة إن
اتبعوا ملة فهم المتكلمون والصوفية ، ولا فهم الحكماء المشائون
والإشراقيون إذ لا يلزم منه إلا يكون المتكلم والصوفي حكيماً ، بل
غاية ما يلزم منه ألا يكون حكيماً مثلياً أو إشراقياً . ومن المعاني
التي فسرت بها كلمة حكمة على الترتيب : القرآن وذلك استناداً إلى
حديث نبوي « النبوة وبه فسرت الآية القرآنية ... وأقيانه الحكمة
... » أي النبوة ، فلفقه والفهم عن الله وقد ترتبط الكلمة بالمجال
الفكري العام دون التقليد فبروز بجانب ديني ، وقد ترتبط بالمجال
النفسى والموقف السلوكي فتقولهم الحكمة « خشية الله » . ويلاحظ
بعضهم أن العرب تقول « حكمة الرجل » إذا تمتع من الضمير
والخروج عن الحق . ومن هنا استنبط أن الحكمة جماع العلوم كلها

والسادس: الفهم، ومنه في الأعمام «أولئك الذين آتاهم الكتاب والحكم والنبوة» [٨٩] (متخبر قوة البين النواظر / ٩٩، ١٠٠).

وقد رأينا أن تقتصر في هذه المادة على الحكمة بمعنى التصبية والموعظة للحاجة إليهما في هذا الزمان ولأن تراث الأدب العربي يكثر بنماذج منها، ومن ثم قلنا نطبق التعريف التالي الذي أورده الأستاذ عبد الوهاب حمودة مع تعليقه على ذبوع الحكمة في عصر السيوطي، مع تعريف الحكمة كما ورد معناها في الآية، من سورة القمر التي سألها الإمام ابن الجوزي أنفاً. والتعريف هو كما يلي:

الحكمة كما يقال: حقيقة أو قول صادق مسلم به، مصوغ في عبارة موجزة غالباً، وقد تكون... أو كثيراً ما تكون... الحكمة نصيحة صبت في قالب من اللفظ مقتضب، ويستمد من الناحية الدينية أو الخلقية أو الاجتماعية أو تدور حولها. والحكم - غالباً - وليدة طول الدراسة ويعد الثقافة ومعنى النظر وحسن الفهم وسعة الإحاطة والمعلم بالأمر.

ومن هنا كانت وثيقة الصلة بعلوم الفلسفة والمنطق والمعقولات بصفة عامة.

غير أن انتشار الريح الدينية وإقبال العلماء على فهم الشريعة الفراء ثم التنازع فيما بينهم على العقائد، هذا إلى ذبوع التصوف (يقصد في عصر السيوطي) كل ذلك كان ذا أثر في وجود شيء من الحكم.

ولللجلال السيوطي مقالة اسمها «در الكلم وفهم الحكم». وهي مكونة من حكم مزدوجة غالباً بمعنى أن كل حكمة مكونة من جملتين مجموعتين، تكمل إحداها الأخرى:

وهي في مجملها تدل على نقروب بصر وسعة معرفة بشئون الناس وأخلاقهم، وأمر المجتمع وأوضاعه. منها قوله:

صلة الناس ليس لها هائل، ومعرفة نزوة الفوائد... من عرف الناس خص بالبلاد وأحاط به الرقي والولاء... رب أمرئ أوليته جميلا فكان بالإسالة إليك جميلا... عليك بعلم الشريعة فإنه إلى الله أقوى الذريعة... أف الدنيا تقدم الجاهل وتؤخر الفاضل، وبئس للمعالي يفتونها السابق والفاضل... رب سأكث أعيان من ناطق... رب رحل أزهى من ذباب وهو أوهى من سراب... ما للعوام غير السيف ولو أصابهم الحيف... اعطضى على الحق بناجديك، واغضض عن الخلق شاهديك. (صفحات من تاريخ مصر في عصر السيوطي/ ١١٦، ١١٧).

وقد أورد الأمير أسامة بن منقذ صاحب كتاب لباب الآداب أمثلة عديدة من القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة ومن شعر الشعراء. وسوف تقتصر بالنسبة للآيات القرآنية، على ذكر أرقام

وقد ورد في القرآن من الحكمة أنها الخير الكثير (البقرة- ٢٦٨) وفُسرت في الآية الكريمة «وأتاكم ما ينل في بيوتكم من آيات الله والحكمة» [الأحراب: ٢٣] بالنسبة وقد فسرت في غير ذلك بالكمال الحاصل للنفس الخارجة من القوة إلى الفعل، وقد تطابق مع الفلسفة كما هو الحال عند ابن سينا (تسع رسائل الرسالة الخامسة- ١٠٤، ١٠٥) ويرى الغزالي أن أطراف الحكمة لبي جوانب ثلاثة جانب الاعتقادات، جانب الأقوال، ثم جانب الأعمال فيقول حقيقة الحكمة معرفة الحق من الباطل في الاعتقادات، والصدق والكذب في الأقوال والحسن والقيح في الأعمال (روضة الطالبين- ٣٣٥) وميرد الساملي (الكشكول ٢/ ٤١٣) تعريفًا يصور نظرة المتأخرين من الصوفية إذ يقول: إنها العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه، وارتباط الأسباب بالمسببات وأسرار انقباض نظام الموجدات والعمل بمقتضاه. ومن استقرأ أقوال الصوفية ففهم أن الحكمة نوعان: معنوية وهي العلم الشرعي والنظرية ومسكوت عنها وهي أسرار الحقيقة ولعل القائلاني يوليد هذا الرأي وقد أورد صاحب البحر المحيط (٣٢٠/ ٢) تسعة وعشرين رأياً في تحديد مفهوم الحكمة فليرجع إليه اصطلاحات الصوفية / ٦١).

ويسوق الإمام ابن الجوزي أوجه ورود الحكمة في القرآن الكريم بادئاً بتعريف لها فيقول:

قال بعض العلماء: الحكمة ضرب من العلم؛ يمنع من ركوب الباطل. وقال غيره: خروج نفس الإنسان إلى كمالها الممكن لها في حدس العلم والعمل فيحتد يكون الخلق الذي يسمى العقلية. وقال ابن تقيّة: الحكمة العلم والعمل لا يكون الرجل حكيمًا حتى يجتمعهما. وقال ابن فارس: أصل الحكم المنع. وحكمت السفيه وأحكمت أخذت على يده، قال جرير:

أبني حنيفة أحكمسوا سفسفكم
لاني أعسف عليكم أن أعسفكم

والحكمة في القرآن على ستة أوجه:

أحدها: النبوة، ومنه في البقرة «وأتاكم الحكمة والحكمة» [٢٥١]، وفي ص «وأتاكم الحكمة» [٢٥٠].

والثاني: القرآن، ومنه في النحل «وإن إلى سبيل ريك بالحكمة» [١٢٥].

والثالث: علوم القرآن، ومنه في البقرة «يؤتي الحكمة من يشاء» [٢٦٩].

والرابع: السنة، ومنه في البقرة «ويعلمكم الكتاب والحكمة» [١٥١].

وفيهما: «وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة» [٢٣١]، وفي النساء «وأنزل الله عليكم الكتاب والحكمة» [١١٣].

والخامس: الموعظة، ومنه في القمر «حكمة بالغنة» [٥].

الآيات ومواضعها من الشور إذ سبق أن أوردنا معظمها آنفاً وهي كما يأتي :

[البقرة : ٢٦٩ ، آل عمران : ٤٨ ، النساء : ٥٤ ، ١١٣ ، والمائدة : ١١٠ ، والنحل : ١٧٥ ، والإسراء : ٣٩ ، والأحزاب : ٣٤ وص : ٢٠ ، والزخرف : ٦٣ ، والقمر : ٤ ، ٥ ، والجمعة : ٢] .
ثم ينتقل ابن منذ إلى الأحاديث النبوية ثم الشعر وذلك على النحو التالي ، وقد وضعنا تعليقات المحقق الشيخ أحمد محمد شاكر رحمه الله ، بين أقواس في ثانيا النص :

قال النبي ﷺ : «الحكمة ضالة المؤمن ، حيث وجدها فكدها وتابع ضالة أخرى» (الحديث ضعيف في كل أسانيد على اختلاف رواياته ... وقوله هنا : «فاتبع ضالة أخرى» لم أجده في شيء من الروايات) .

وقال ﷺ : «إذا رأيتم من الرجل المؤمن زهداً في الدنيا وقلة منطلق فاقربوا منه ، فإنه باقى الحكمة» (رواه ابن ماجه (٢٧١/٢) من حديث أبي خلاد ونقله السيوطي (رقم ٦٣٥) ونسبه أيضاً لأبي نعيم والبيهقي من حديث أبي خلاد ومن حديث أبي هريرة) .
وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى : «فؤمن بوث الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً» [البقرة : ٢٦٩] قال : هي المعرفة بالقرآن .

وقال مجاهد رحمه الله في قول الله تعالى : «ولقد أتينا لقمان الحكمة» [لقمان : ١٢] الفقه والعمل والإصابة في القول .

وقال المحكم بن أبان : خير ما أوتي العبد في الدنيا الحكمة ، وخير ما أوتي العبد في الآخرة الجنة ، وخير ما سئل الله تعالى في الدنيا العافية .

وقال الشاعر :

وكيف تريد أن تدعى حكيماً
وأنت لكل ما تهوى ركسوب

وتضحك دأباً ظهراً لطن
وتركبك اللئوب ولا تسوب

وقال يحيى بن معاذ رحمه الله : من أحب الجنة قطع عن الشهوات ، ومن خاف النار اتصرف عن السيئات ، ومن لزم الحرص عدم الغنى ، ومن طلب الفضل وقع في البلاء .

قيل : وجد على حجر بأتاكية :

إن السر زمان وإن ألا
ن لأهله لمخاضن

تخطوب به المتحسركا
ت كأنهن موكن

وقال آخر :

لا تجزعن على ما فات مطلبه
وإن جزعته فماذا يشع الجزع ؟!

إن السعادة بأس إن ظفرت به
فسدك اليأس ، إن الشقوة الطمع

وقال عمرو بن معدى كرب :

إذا لم تستطع أسراً فعدعه
وجساروه إلى ما تستطيع

وفرى على باب مقبرة :

رب قوم قد غفوا في نعمة
برهة واللعن ريان فسدق

صمت اللعن زماناً عنهم
ثم أبكهم ما حين نطق

وقال آخر :

وساخط حيث قد تبدل غيره
وراض بعيش غيره يتبدل

وساخط امركان قد حبل دونيه
ومضطلع من دون ما كان يأمل

وقال آخر :

نرجمو ونخسوا والنفسا
ه لسه التصمد والحدود

والى الذى نرجموه أو
نخسناه ما حدثت أمور

(الحدود : مصدو «حدثت الشيء» إذا أنزلته من علو إلى سفلى) .

وقال أبيد :

واكلب النفس إذا حدثتها
إن صلتك النفس يمزى بالأمل

وقال البحت :

فلا تكثرون في إرشي ندامة
إذا نزعته من يديك النوازع

قيل : سمع كعب الأحبار رحمه الله رجلاً يشذ قول الحطية :
من يفعل الخير لا يعدم جوازيه
لا يعدم العشر بين الله والناس

فقال : والذي نفس يده ، إن هذا مكتوب في التوراة .
وقال تميم بن أبي بن مقبل :

لا يحزن المسره أحجاء السلاسل ولا
تس لسه في السماوات السلاسل

وكان يجمعها كلها كتاب لطيف بعنوان «مجموعة من النظم والنثر للمحظ والتسميع». ونقل إليك منه ثلاثة نماذج ونرجس الباقي الذي نوده مع تراجم مؤلفه إن شاء الله تعالى .

النموذج الأول، لأبي محمد البيني الملقب بنجم المدين، المتوفى سنة ٥٦٩ هـ في المواعظ . أصله من اليمن واستوطن مصر ولم يفارقها . كان فقيها شافيا المذهب شديد التمسك بالسنة أديبا ماهرا وشاعرا مجيذا ومحاديا ممتعا . قال رحمه الله مع ملاحظة أننا رقنا الآيات ليسهل الرجوع إليها .

- ١ - ولا تحقر كبد الضعيف فريما
تموت الأناسي من سموم المقارب
- ٢ - وقد هد قلدما عرش بلقيس همد
وغرب حفر الفار مسكدا لمارب
- ٣ - إذا كان رأس المال همرك فاحرز
عليه من الإنفاق في غير واجب
- ٤ - بين اختلاف الليل والصبح ممر
يكر هاتبا جيشه بالمعجائب
- ٥ - وما راعني غمر الشباص لأني
أنست بهما الخلق من كل صاحب
- ٦ - وغدر الفنى في عهد ووفاءه
وغدر المواقف في نبو المضارب

وفيما يلي شرح الآيات:

البيت ١: يعني أن الحيات تموت في بعض الأحيان من سموم المقارب مع أن الأولى أشد وأقوى من الثانية .

البيت ٢: بلقيس بكسر الباء كانت ملكة اليمن . وسبأ حاضرة ملكها . وكان شرارجل، أبو بلقيس، ملكا لليمن قبلها ؛ سبقه أربعمائة ملكا من آبائه، ولم يكن له وليد غيرها ، ففعلت على الملك . وكانت هي وقومها مجوسا يعبدون الشمس، وكان لها عرش عظيم، يقدر بشماتين ذراعاً في مثلها، وبنائاً من ذهب وفضة، مكلل بالجوهر ، وقوامته من باقوت أحمر وأخضر ، ومعنى قوله : وقد هد قدما عرش بلقيس همد، أنه كان سبياً في ذلك لأنه هو الذي أخبر به سليمان عليه السلام، كما في قصة الهدد مع بلقيس وسليمان المذكورة في القرآن الكريم، في سورة النمل ، من قوله تعالى : ﴿وَتَقَعْدُ الطَيْرُ قَالَ مَا لِي لَا أَرَى الْهَدْدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٢٠-٤٤] . مأرب كمنزل وهي بلد كانت في موضع سبأ . وكان لها سد ساطع عليه الحكد ، وهي الغارة العمياء، ففتحه .

البيت ٤: يعني أن حوادث الدهر تمر على الإنسان دون انتظار

ما أطيب العيش لو أن الفنى حيسر

تنبو الحوادث عنه وهو مليموم
وقال الهذلي: (هو أبو ذؤيب الهذلي والبيت من قصيدته المشهورة في رثاء بنيه ، وهي من المفضليات للفصيح ١٠٣/٣ - ١٠٧)

والفنى طسامعة إذا رقتهم

وإذا تسرد إلى قليل تنقع
قيل: جمع أبو بردة بن أبي موسى الأشعري الناس ليلة لسمه ، فلما أخذوا مجالسهم قال: أخبروني بسابق الشعر والمصلى والثالث والرابع ؟ قالوا: ليخبرنا الأمير أهزه الله . قال سابق الشعر : قول المرقش :

فمن يلقى خيسرك يحمده للناس أمره

ومن ينسوا يمدح على الفنى لا كما
والمصلى: قول طرفة بن العبد :

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا

ورأيتك بسا لأخبار من لم تزود
والثالث: قول النابغة الذبياني :

ولست بمستيق أخلا لعمري

على شعث، أي للسر جمال المهلب ؟
والرابع: قول القطامي

قد يسدك الثماني بعض حاجته

وقد يكون مع المستعمل المزلل
وقال آخر:

أيها القلب لا ترعبك الظنون

فمسي ما تخافه لا يكون
وعسى مما استشد واستصعب

حب الساعة من بعد ساعة سيهون

إن ريسا كفساك بالأس ما كا

ن سيفيك في غمد مما يكون
(لباب الآداب/ ٤٢٠-٤٢٦)

قالت المؤلفة: كانت النصوص العربية المقررة على المدرس الابتدائية في زماننا تزخر بشعر الحكمة والموعظة عملا بقول أمير الشعراء أحمد شوقي رحمه الله في أرجوزته الموسومة بديوان العرب وعظماء الإسلام:

إن الصبي ما تغلبه اختلى

فأكسر عليه في المثال المجلى

لها: فتارة تسره وتارة تحزنه، ومعنى هذا أليث هو معنى ما قاله بعض الشعراء:

إن الليالي حبالي * يأسدن كل عجب
البيت ٥ : يعني أن القدر عام في كل شيء فلا يستغرب من
الشباب .

البيت ٦: غدر السيوف في عدم قطعها .
والنموذج الثاني لابن دريد المتوفى سنة ٣٢١ هـ من مقصورته
في الحكم والأخلاق الكريمة :

من لم يحظه البحر لم ينفعه ما
راح به الواعظ يسوفا أو غدا
من لم تفهده مبركا أيامه

كان العمى أولى به من الهدى
من قاس ما لم يره بما يرى
أراه ما يظنوا إليه ما نأى

من عارض الأفعاع بالباس رث
إليه عين العز من حيث رثا
من لم يقف عند انتهاء قله

من ناسط بالمعجب عرا أخلاقه
نبطت عرا المقت إلى تلك العرا

وللفن من ماله ما قاست

ولأننا المرأة حليث بفسله
لكن حليثنا حنا لمن وصى
والكافح المعاني :

البيت ٤ : رنا : نظر
البيت ٥ : المعنى أن لكل إنسان قدراً إذا تجاوزته عجز
البيت ٦ : ناظر : علق . المرأ جمع حرة وهي من القميص ما

يدخل فيها الزر
البيت ٧: القضا : جمع قصوى وهي البعيدة
البيت ٨: لا يعد من مال الإنسان إلا ما أنفق في الخير في

البيت ٩ : لا يبقى للإنسان غير حسن الأهلوة فاجهد أن
تخلف ذكراً حسناً .

أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه ، المتوفى سنة ٤٠ هـ ، وهو قوله :

من النفس واحملها على ما يزينها
تعش مالمما والقول فيك جميل

ولا تفرين للناس إلا جملاً
نبايك دهر أو جفاك خليل
وإن ضاق رزق اليوم فاصبر إلى غد

عسى نجيّات النّهر عنك نزول
يمرّ غنى النفس إن قلّ مسالمة
ويغنى غنى المسالمة وهو ذليل

ولا غير في ود امرئ متلون
إذا الريح مالت مال حيث تميل
جواد إذا استغثت عن أخذ ماله

وعند إحصاء القصر منك بخيل
لما أكثر الإخوان حين تم لهم
ولكنهم لم النساء بات قليل

وقد أورد الكتاب نفسه حكماً مأخوذة من كتاب المقدس لـ
 لابن عديويه كما يلي : ويعقبه الشرح بأرقام الهوامش :
 المقدرة تلعب الحفيظة ^(١) . اصطناع المعروف بقي مصارع

السوء^(٤) . بالساعد تطش الكف^(٥) . عواقب المكاهو محمودة^(٦) .
 خير مالك ما تفعلك ولم يضع من مالك ما وعظك . تثير المرأة
 على نفسه توفير منه على غيره . شر الفقر الخسوع^(٧) . اطلب

تظفر^(٨) . من العجز نتجت الفاقة^(٩) . قبل الرماية تملأ الكنان^(١٠) .
خير الأمور أوسطها . الندم توبة . الاحتراف يهدم الاتراف^(١١) .
عليكم بالجماعة فإن الذنب إنما يصيب من الغم الشاردة^(١٢) .

الرفق بمن^(١١٧)، رب اكلمك تحرم اكلامك^(١١٨)، لا يهلك امرؤ من مشورة^(١١٩)، ابل عذوا وخلاكم^(١٢٠)، رب عجلة تعقب ربها^(١٢١)، إن اللجان حظه من فوقه^(١٢٢)، من أمته يأتى الحبل^(١٢٣)، النفس

مرتعة وخيم . ليس من الملك سرعة العلك . وب ملوم لا ذنب له .
من لم يلد عن حوشه يهدم ^(٢١) . من حفر مغواة وقع فيها ^(٢٢) . لا
لا لاجة : لا ع الحاة : لا الناس غابة لا تدر ^(٢٣)

من يفعل الخير لا يلقى له حسداً من الله
لا يلقى له حسداً من الله والناس

الشمس:

(٣) إذا قدر المرأة علي من أساء إليه ذهب غضبه . والمقصود

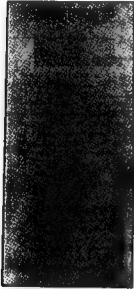
(٤) يفسر ذلك بمثل وهو: اصطنعت حمامة معروفاً عند نمل
كانت على وشك الغرق في نهر: بأن رمت إليها ورقة من شجر

والشر للحفظ والتسميع/ ١٥، ٤٠، ٦٥، ١٠٨، ١٠٩، انظر أيضاً القوائد للإمام ابن قيم الجوزية/ ٣١، ٣٤، ٥٠، ٥٤، ٦٦، ٩٨، ١٤٥، ١٨٧، ١٩٧.

ملاحظة: الصورة المصاحبة لهذه المادة أخذت من كتاب الموسوعة الجامعة للخط العربي- كتبها محمد حناد/ ٢٢٣.

• حكمة الإشراق إلى كتاب الأفاق

كتاب من تأليف محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، أدرجه محققه الأستاذ عبد السلام هارون رحمه الله ضمن نواهد المخطوطات، واستهله بمقدمة جاء فيها ما يلي:



الصفحة الأخيرة من مخطوط حكمة الإشراق

وهذا كتاب في تاريخ الخط والمخططين، هو امتداد لمؤلفات قديمة، من أشهرها كتاب أدب الكتاب لمحمد بن يحيى الصولي المتوفى سنة ٣٣٦، وفصول طوالت في فهرست ابن النديم المتوفى سنة ٣٨٥، وصريح الأضنى للقلقيشندى المتوفى سنة ٨٢١.

وقد ألف السيد مرتضى الزبيدي هذا الكتاب مشتملاً على فضيلة الخط والقلم وما جاء فيهما من الآثار، وما للحكماء فيهما من الأسرار، وبيان من وضع الخط أولاً وألف الحروف، وألبسها حلل التخصيص وأحلقها في أحسن الظروف، ثم بيان الأجلة من الكتاب والأخيان من أهل الفن.

وقد جعل هذه الرسالة هدية إلى خزائنه نابغة الخط الأمير حسن أفندي الملقب بالرشدى.

فسبحت عليها النملة إلى الضقة ونجت. وكان صياد في ذلك الوقت يصوب بندقه إلى الحماصة فلدغته النملة في رجله فاضطربت يده وعذبت الرصاص الحماصة فطار. فوقاما اصطاعها المعروف عند النملة من مصع السوء هذا وهو لقتل.

(٥) لا قوة للكف إلا بالساعد.

(٦) ما يشق على الإنسان في مبدأ أمره قد تكون نهايته حميدة.

(٧) إن أسوأ أنواع الفقر التخلل.

(٨) لا تفجر من الطلب إذا أردت أن تنال حاجتك.

(٩) الفقر يتولد من قصور الإنسان عن العمل والتبذل في الطلب.

(١٠) الكنان جمع كنانة وهي الجعبة التي توضع فيها السهام والرماية رمى السهم عن القوس. ويشبهه رمى الرصاصه عن البندقية. والمقصود من ذلك إعداد المعدات للشيء قبل مباشرته.

(١١) الإقرار بالذنب يحمو عقابه أو يخففه.

(١٢) الفرة في الاجتماع والضعف في الانفراد.

(١٣) التلطف في الأمور يهدم ويهدم مجلبة للبركة والخير.

(١٤) الاستشارة في الأمور متجاة من الهلاك.

(١٥) اجتهد في العمل وأد واجبك تنج من اللوم.

(١٦) ربما كان الإسراع في أمر سيئ في تأخيرته.

(١٧) الموت لا بد منه فلا معنى للجبن.

(١٨) التحفظ الشديد الاحتراس قد يصاب من حيث يظن أنه آمن.

(١٩) المرء شغوف بأن يتال حاجته على عجل.

(٢٠) لا تترك الجوهر إلى العرض.

(٢١) من لم يدافع عن نفسه يظلم.

(٢٢) من أعد مهلكة يقصد بها الشر يقع فيها.

(٢٣) المثلان بمعنى واحد.

(٢٤) فاعل الخير مجزى به إن لم يكن من الناس فمن الله.

(مجموعة من النظم والثر/ ١٥، ٤٠، ٦٥، ١٠٨، ١٠٩).

(كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي/ ١/ ٣٧٠، واصطلاحات

الصولي للشيخ كمال الدين عبد الرزاق القاضاني - تحقيق وتعليق

د. محمد كمال إبراهيم جعفر/ ٦١، ومتن قرة العيون النواظر

في الوجوه والنظائر في القرآن الكريم للإمام ابن الجوزي - تحقيق

ودراسة محمد السيد المصطفى ود. فؤاد عبد المنعم أحمد/ ٩٩،

١٠٠ وصفحات من تاريخ مصر في عصر السيوطي - عبد الوهاب

حمودة/ ١١٦، ١١٧، وأبياب الأدب للأثير أسامة بن منقذ -

تحقيق أحمد محمد شاكر/ ٤٢٠ - ٤٢٦، ومجموعة من النظم

وقسمها إلى عشرة فصول وخاتمة :

الفصل الأول : في ذكر من وضع الخط وأصله ، ووصله وفصله .

الفصل الثاني : في فضل الخط وما قيل فيه .

الفصل الثالث : في القلم ، وما لهم فيه من الحكم .

الفصل الرابع : في الدولة وصفتها وآلاتها .

الفصل الخامس : في المداد والحبر .

الفصل السادس : في يرى الأقلام .

الفصل السابع : في الخط .

الفصل الثامن : في الشكل .

الفصل التاسع : في ذكر حروف المعجم وسرها في تعيين

العدد .

الفصل العاشر : في ذكر الكعبة الكرام ، من لدن زمن النبي ﷺ

إلى زمن المؤلف .

ثم الخاتمة وفيها فصلان :

الأول : في أدب التلميذ مع الشيخ .

الثاني : نصيحة لساير الخطاطين .

ثم يقول الأستاذ عبد السلام هارون عن النسخة التي كانت موضع التحقيق :

هي نسخة نفيسة بمكتبة الأخ المحدث الجليل الأستاذ الشيخ أحمد محمد فاشكر ، مصورة من نسخة بخط المؤلف نفسه ، تكرم حفظه الله بإجازتي لإيعاها لنشرها . ولله المصورة أخت بدار الكتب المصرية برقم ٢٧٩٩ تاريخ ، صور معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية نسخة منها في القلم ٤٠٤ .

وهي تقع في ١٤ ورقة في كل صفحة منها ١٩ سطرا ، وفي كل سطر نحو عشر كلمات مكتوبة بالخط الفارسي المتحد . وبها مشها بعض إلحاقات وتصحيحات بقلم الزبيدي .

هذا ما جاء في مقدمة المحقق . أما مقدمة المؤلف المرتضى الزبيدي فهي كما يلي بعد البسملة :

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه البيان ، وفعله على سائر الأجناس بالتمييز والتبيان ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أورشيد موجوداته وأسعد مخلوقاته سيد ولد عتقان ، وعلى آله وصحبه وتابعهم ما تزيمنت بالآلائ ، وفردت سواجع الأطياف على فنن الأخصان .

وبعد فإنه لما كانت صناعة الخط أنفع بضاعة للكتاب ، وأوسع كفاية للطلاب في هذا الباب ، وأشر وسيلة للتقريب ، وألطف وصيلة لتوسيع الرزق والترحيب ، كما قال الشاعر :

لا تعدد من حق الكتائبسة إنها

مفنى للفنى ومفاسح الأرزاق

ونخشى لليراعسة وإرجها ففى التى

صرفت بنف السم والسيرباق

وكان المتصف به حجة الأخبار ، وحفية الأسرار ، ونجى العلماء ، وكبير النداء ، وترجمان السلطان ، وصندوق البيان ، ألقت هذه الرسالة مشتملة على فضيلة الخط والقلم ، وما جاء فيها من الآثار ، وما للحكماء فيها من الأسرار ، وبيان من وضع الخط أولاً وألّف الحروف . وألبسها حلل التفصيل وأحلبها في أحسن الظروف . ثم بيان الأجلة من الكتاب ، والأحيان من أهل الفن بحسن النسق المستطاب .

وقد جعلتها هدية إلى خزّانة من نبغ فيه واشتهر كاشعار الشمس في رابعة النهار ، وهذب قواعده وأقن سراتبه بمنن الضبط والاعتدال . جمال هذا الفن الذي فاق فيه ورع ، وجمع بين المثانة والحسن ما لم يسبق به فقه ما جمع ، فلو شاهدته ابن هلال لأقر له بالإتقان ، أو عاصره باقوت لقال هذا إنسان عین الزمان ، أو رآه الشيخ (يعنى الشيخ حمد الله ابن الشيخ مصطفى الأواشي) لافتخر به في عصره ، وأقن أنه فريد عصره ، العولى الكامل المعاصر للكتاب ، ذى الخط البديع المشرق كالنواكب ، صاحب المرف الندى ، الأمير حسن أئندى الملقب بالرشدى ، جُبل الله بجماله هذه الصناعة وأربابها ، وسر له سبل الخيرات ورفع له أبوابها .

فخذها جسيدة مفيدة للمحدث للكتاب ، وخرينة منجية للمتعلم من المتعاب ، وسفينة جارية على مقاصد المتاملين فيها من كل باب ، ودفينة زويتة لمن يتحصر في افتناء الدر من مناهج الصواب ، جريدة شحت مسكا زواياها ، وحقه ملئت دُرّ غياها ، أمليتها من غراب بنات الألكار ، ونوادير نتائج شرات الأخبار .

وكلي مطلسر من السبا السبوت زاد عسلا

فلا تليسهو بالسمنحوت من جعسر وكسرتها على عشرة فصول وخاتمة ، وسميتها : «حكم الإشراف» ، إلى كتّاب الأفاق . وعلى الله توكل وبه أستعين ، في أمور الدنيا والدين آمه .

(نوادير المخطوطات - بتحقيق عبد السلام هارون / ٥٠ ، ٥١ ، ٦١-٦٣) .

ونورد مواد فصول هذا الكتاب التيس في مواضعه إن شاء الله تعالى .

• حكمة التشريع :

أحد مخطوطات اللغة الحنفى بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) رقم ٥٢٠٢ .

تأليف ؟ :

رسالة في حكمة العبادات وغيرها ، ودلائل ذلك .

أولها : هذه أرجوزة في أوجه عن أجوبة تتعلق بمعاني جليلة .

المادة كالإله وهو العلم الإلهي، وإما علم بأحوال ما يفتر إليها في الوجود الخارجي دون التعلق كالكثرة وهو العلم الأوسط ويسمى بالرياضي والتعليمي، وإما علم بأحوال ما يفتر إليها في الوجود الخارجي والتعلق كالإنسان وهو العلم الأدنى ويسمى بالطبيعي.

وكان لهذه العلوم شأن عظيم في أرض اليونان، واهتم فيها المشاؤون منها وأصحاب الذوق، واتصل سند تعليمهم على ما يزعمون من لدن لقمان الحكيم إلى سقراط ثم إلى تلميذه أفلاطون ثم إلى تلميذه أرسطو ثم إلى تلميذه إسكندر الأفروديوسي، وكان أرسطو أرسفهم في هذه العلوم وهو أول من دون المنطق، ولذلك يسمى المعلم الأول.

ولما انقرض أمر اليونانيين وصار الأمر للقباصرة وتصوروا، هجروا تلك العلوم، وبقيت من مصنفها ودواوينها مجلدات في خزائهم، ثم جاء الإسلام وظهر أمه عليهم، وكان خالد بن يزيد بن معاوية يسمى حكيم آل مروان، له همة وصحة للعلوم، خطب إليه الصنعة، فأمرهم بنقل الكتب في الصنعة من اليوناني إلى العربي، ففعل له اصططن القديم كتب الصنعة وغيرها، وهذا أول نقل كان في الإسلام.

ثم بعث أبو جعفر المنصور إلى ملك الروم أن يعث إليه بالكتب الحكيمة فيعث إليه بكتساب أقليدس وبعض كتب الطبيعيات، ففعل له بالطريق أشياء بأمره، وقرأها المسلمون واطلوا على ما فيها وازدادوا حرصاً على الظفر بما بقي منها، وكان مأمون ابن الهارون العباسي أشد رغبة إلى ذلك، فأوفد الرسل إلى ملك الروم في استخراج علوم اليونانيين، فأجاب إلى ذلك بعد امتناع، فأخرج المأمون لذلك جماعة، منهم الحجاج بن مطر وابن البطريق وسلمنا صاحب بيت الحكمة، فأخذوا ما اختاروا وحملوا إليه، فأمرهم بنقله، ففعل له ابن يحيى الحجاج بن المطر وابن ناعمة عبد المسيح الحمصي وسلمان بن الأبرش وحسين بن بهريق وهلال بن أبي هلال الحمصي وابن أوى وإبرو نوح بن الصلت وابن رابطة ويحيى بن نوح وقسطا بن لوقا الجليلي وحسين بن إسحاق وثابت ابن قره وإبراهيم بن الصلت ويحيى بن عدي، كلهم نقلوا الكتب الحكيمة من اليوناني إلى العربي.

أما ابن القطع فإنه نقل من الفارسية إلى العربية، وتكنة الهندى نقل من الهندية إلى العربية، وابن وحشية نقل من النبطية إلى العربية، ولكنهم ترجموها بترجم متخلفة مخلوطة غير ملخصة ومصرحة لا توافق ترجمة أحدهم للآخر، فبقيت تلك الترجمات هكذا غير محررة، بل أشرف ابن عفت رسومها، فالتصص منصور بن نوح الساماني من أبي نصر الفارابي أن يحرقها ويلخصها، ففعل كما أورد، ولهذا لقب بالمعلم الثاني، وكانت كتبه في خزائن الكتب المبينة بأصفهان المسماة بصراون الحكمة إلى زمان السلطان

إن قيل: ما الحكمة أن الله تعالى أنزل تسعة وتسعين اسماً من أسمائه الحسنى...

أخبرنا: أجيب أن الموت من الله للأبدان، ومن الملازمة نزج الروح، ومن ملك الموت التقيض، ومن الرسل معاونة ملك الموت والله أعلم.

نسخة جيدة.

الخط نسخ ممتاز. بعض الكلمات كتبت بالحمر.

٧٢ ق ٢١ س ١٥ × ٢٠ سم

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. الفقه الحنفى - وضع محمد مطيع الحافظ ١/٢٨٩).

الحكمة الجامعة:

من اصطلاحات الصوفية

وهي معرفة الحق، والعمل به، ومعرفة الباطل، والاجتناب عنه كما قال ﷺ: «اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه». اللهم أرنا الأشياء كما هي. (قال عنه ابن كثير في تفسيره إنه من الدعاء المأثور وأورده بلفظ «وفي الدعاء المأثور اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً ووفقنا لاجتنابه ولا تجعله متلبساً علينا فنخلص واجعلنا للمتقين إماماً» راجع تفسير ابن كثير طبعة الشعب مجلد ١ - ٣٦٦ - تفسير آية ٢١٣ سورة البقرة).

(اصطلاحات الصوفية للشيخ كمال الدين بن عبد الرزاق القفطاني - تحقيق وتعليق د. محمد كمال إبراهيم صفر / ١٦٣).

الحكمة (علم):

تكلم صاحب «معارف المعارف» على علم الحكمة في فصل بعنوان «في الحكمة الطبيعية والإلهية» جاء فيه ما يلي:

الحكمة علم يبحث فيه عن حقائق الأشياء على ما هي عليه في نفس الأمر، بحسب الطاقة البشرية، وموضوعه: الأشياء الموجودة في الأعيان والأذهان؛ وغايته: هي التشرف بالكمالات في العاجل والفرز بالسعادة الآخروية في الآجل. وتلك الأعيان إما الأفعال والأعمال التي وجودها بقدرة واختيارنا أولاً، فالعلم بأحوال الأولى من حيث يؤدي إلى إصلاح المعاش والمعاد يسمى حكمة عملية، والعلم بأحوال الثانية يسمى حكمة نظرية؛ ولكل منهما ثلاثة أقسام.

أما العملية فلأنها إما علم بمصالح الشخص بالقرارة ليتحلى بالفضائل ويتخلى عن الرذائل، ويسمى تهذيب الأخلاق، وإما علم بمصالح جماعة مشاركة في المنزل كالوالد والمولود والمالك والمملوك ويسمى تدبير المنزل، وإما علم بمصالح جماعة مشاركة في المدينة ويسمى السياسة المدنية؛ وأما النظرية فلأنها إما علم بأحوال ما لا يتغير في الوجود الخارجي، والتعلق إلى

مصطفى الكهنوسى، والشيخ كمال الدين القنبرى، وملك العلماء عبد المولى الكهنوسى، والقافى مبارك بن دائم الكورامى، وحمد الله بن شكر الله السيلوى، والشيخ بركة بن عبد الرحمن الإله آبادى، والشيخ فضل بن فضل إمام الخير آبادى، فإنهم كانوا أساطين الحكمة بلذا الغاية في هذه العلوم .

مصنفاتهم في الحكمة

وأما مصنفاتهم في الحكمة، فأشهرها الشمس البازغة للشيخ العلامة محمود بن محمد الجوزي، والدوحة الميادية في الصورة والساحة للشيخ محمود المذكور، والجواهر الفرد في الجزء الذي لا يتجزأ للقافى محب الله البهاري، وغاية العلوم في العلم الطيبي لملا حسن بن غلام مصطفى الكهنوسى، والعجالة النافذة في الإلهيات لجهر العلوم عبد المولى بن نظام الدين الكهنوسى، وتكميل الصناعة، ورسالة في الأمور العامة ورسالة أسرار المحبة في سريان المحبة في الأشياء كلها، ومقدمة في العلم، كلها للشيخ ربيع الدين بن ولي الله المدلوي، وتلخيص الشفاء للشيخ فضل إمام الخير آبادى، وحاشية عليه لولده فضل حق، والهدية السعيدة في العلوم الطبيعية للشيخ فضل حق المذكور، والجنى المالى في الجواهر المالى في الإلهيات للشيخ فضل حق المذكور، والروض المجود في حقيقة الوجود، ورسائل في تحقيق العلم والمعلوم وفي تحقيق الأجسام وفي تحقيق الكلى الطبيعى وفى التشكيك وفى المباحيات كلها للشيخ فضل حق المذكور، والعقيدة الوثيقة في بعض المسائل الحكيمية، ورسالة في تحقيق العلم، ورسالة في المفردات المثيرة فلاتها للشيخ عماد الدين البكنى، والأصول الراضة وشرحه الدوحة الشامخة للشيخ محمد أشرف بن نعمة الله الكهنوسى، والمحاكمة في صاحب الآق المين وصاحب الشمس البازغة في مسألة الحدوث الدهرى للحافظ أمان الله ابن نور الله البيراسى، وكشف القصوص شرح نصوص الفارابى للشيخ ربيع الدين بن تيك مراد المدلوي، وشرح بنوع الحياة لهرس الهراسته للشيخ ربيع الدين المذكور، وشرح هداية الحكمة للشيخ محمد رشيد بن مصطفى العثمانى الجوزي للشيخ عبد الحق بن فضل حق الخير آبادى، وشرح عليه المدلوي عبد الوهاب بن إحسان على البهاري، ورسالة في القوس والفقر للمفتى سعد الله المراد آبادى، ورسالة في لمرزا حسن على الكهنوسى المحدث، وإلكتاب المين في الحكمة الإلهية للشيخ محب الله الإله آبادى، وكتاب المحاكمة بين العلوم المشرقية والمغربية للشيخ عبد القادر بن خير الدين الجوزي، وكتاب في التفتيق على مأكول المشري، وكتاب في الكيمياء الحديث، وكتاب العالم والمتعلم كلها للشيخ غير الدين المذكور، وتبصرة الحكمة في الطبيعى والإلهي للشيخ حسن على الماهلى المشوى سنة ١٢٥٨، ورسالة في تحقيق

مسمود، ولكن كانت غير مبيضة لأن الفارابى كان غير ملتفت إلى جمع التصانيف ونشرها، بل غلب عليه السياحة ثم إن أبا على الحسين بن سيناه تقرب عند السلطان مسعود بسبب الطب، حتى استوزره، واستولى على تلك الخزنة، وأخذ ما في تلك الكتب ولخص منها كتاب الشفاء وغير ذلك من تصانيفه، وقد اتفق أن احترقت تلك الكتب، فاتهم أبو على بأنه أحرقتها ليغتنع انتساب تلك العلوم عن أربابها ويختص بنفسه، لكن هلمنا بمعيد من الصواب .

وكان من أكابرهم في الملة الإسلامية أبو نصر الفارابى، وأبو على بن سيناه في المشرق، والقافى أبو الوليد بن رشد وأبو بكر الصائغ بالأندلس ومنهم على هؤلاء في معرفة الحكمة شهاب الدين المنفول وفخر الدين الرزاقى ونصير الدين الطرسى وقطب الدين الشيرازى وجلال الدين الدوائى والقافى مرزا جان والسيد محمد زاهد الهورى وعلمى آخرون من العلماء .

وأما أهل الهند من المسلمين فإنهم كانوا تألبى الاهتاء بالمنطق والحكمة، وما كانت في دروسهم غير شرح الشمية، وكانوا غير محتلين بهذه العلوم إلى آخر القرن التاسع، حتى جاء الشيخ عبد الله بن الهذال الملتقى وصاحبه عزيز الله فأدخل المطالع والمواقف في دروس العلماء، فطفاها الناس بالقبول وصارت متداولة، واستأزد الناس وتشوقوا إلى غيرها، فجاء بعدهم بشرح المطالع والمواقف، ثم جاء الخطيب والطاوى إلى بلاد كجرات، وفضل الله الشيرازى إلى بلاد الدكن، وفتح الله الشيرازى إلى بيجابور ثم إلى أكبر آباد، وجماعة من الفضلاء غيرهم، فأتوا بمصنفات الدوائى والشيرازى والقافى مرزا جان وغيرهم فطفاها الناس وأدخلوها في دروسهم، ونهض من الهند جماعة من الفضلاء ودرسوا وأفادوا، أشهرهم الشيخ وجيه الدين المدلوي الكجراتى بكجرات، والمفتى عبد السلام اللاهورى ببلدة لاهور، وكمال الدين الكشميرى ثم صاحبه عبد الحكيم السيلكونى ببلدة سيالكوت، والشيخ محمد أفضل العثمانى ببلدة جونپور، ثم المفتى عبد السلام المدلوي والقافى فجهاد الدين التيوثنى، والشيخ جمال الكوروى، والشيخ محب الله الإله آبادى، والشيخ قطب الدين السهالوسى، والشيخ لطف الله الكوروى، والشيخ قطب الدين الشى آبادى، والحافظ أمان الله البيراسى، والقافى محب الله البهاري، وعلمى آخرون من الفضلاء كان إليهم المرجع في كل باب من أبواب العلم .

ونهض من بينهم بعض العلماء وكانوا أساطين الحكمة لا يسائلهم إلا الفارابى وابن سيناه، كالعلامة محمود بن محمد الجوزي، والقافى محب الله البهاري، والشيخ ولي الله المدلوي، والشيخ نظام الدين السهالوى، وملا حسن بن غلام

عليه للشيخ سعد الله السلوني، وحاشية للشيخ محمد شاكِر السنديلي، وحاشية عليه العلامة عبد العلي بحر العلوم، وحاشية عليه للشيخ عبد العزيز بن ولي الله الدهلوي المحدث، وحاشية عليه للشيخ تراب علي الكهنوي، وحاشية عليه للملايين بن محب الله الكهنوي، وهي على مبحث المثناة بالتكرير، وحاشية عليه للشيخ ولي الله بن حبيب الله الكهنوي، وحاشية عليه للشيخ نعيم الدين بن فصيح الدين القنوجي، وحاشية على مبحث المثناة بالتكرير من شرح القريد للشيخ عبد الحق بن محمد اعظم الكابلي اليهودي، وحاشية على صدرها للشيخ فيض أحمد بن غلام أحمد البديوي، وحاشية على صدرها للسيد حسين بن دلداز على الشيعي الكهنوي، وحاشية على شرح هداية الحكمة للسيد للشيخ عبد الحكيم السيلكوني، وحاشية عليه للمفتي إسماعيل بن الوجهي المرادي، وحاشية عليه للشيخ تصديق حسين الكهنوسي، وحاشية بسيطة عليه للمولوي عین القضاة الحيدر آبادي، وحاشية على شرح حكمة العين للشيخ وجيه الدين العلوي الكجراتي، وحاشية عليه للشيخ عبد الحكيم السيلكوني، وحاشية عليه للشيخ قطب الدين السهالوي، وحاشية على الهداية السعدية للشيخ عبد الله بن آل أحمد البكرامي، وهي المسممة بالتحفة العلية، وتعليقات على طبعات الشفاء للسيد أيسر حسن الحسيني السهولاني، وحاشية على طبقات الشفاء للمفتي يوسف بن محمد أصغر الكهنوي، وحاشية على فصوص الفارابي للشيخ فيض أحمد بن غلام أحمد البديوي، وحاشية على الألف المبين للعلامة فضل حق بن فضل إمام الخير آبادي .

(التفاحة الإسلامية في الهند : اصفار الموارف في أنوار العلوم والمعارف : لمجد البهي الحسني - واجمه ولقد له أبو الحسن التندوي / ٢٦١ - ٢٦٨ . انظر أيضًا أبجد العلوم لطيف بن حسن القنوجي - أعده للطبع ووضع فهرسه عبد الجبار زكار ج ٢ / ١ / ٢٩٦ - ٣٠٨ ، وكشف اصطلاحات القرن للتهانوي / ١ / ٣٦ - ٤٢ ، وكشف القرن لحاجي خليفة / ١ / ٦٧٦ - ٦٨٥) .

الحكمة العملية (علم):

الحكمة العملية علم يبحث عن حقائق الأشياء الموجودة في الأعيان على ما هي عليه في نفس الأمر، من حيث إنه يؤدي إلى إصلاح المعاش والمعاد ؛ وهو على ثلاثة أقسام، لأنه إما علم بمصالح شخص بشارفاده ويسمى تهذيب الأخلاق، والحكمة الخلقية، وإما علم بمصالح جماعة متشاركة في المنزل ويسمى تدبير المنزل والحكمة المنزلية، وإما علم بمصالح جماعة متشاركة في المدينة ويسمى السياسة المدنية . انظر كلاً تحت عنوانه (التفاحة

الجمل العركب والبسيط للسيد غلام حسين الدكني، وخورشيد داتش في الحكمة الطبيعية للمولوي غلام إمام بن متور خان الجيدر آبادي، والقول المحيط فيما يتعلق بالبحر المحيط والبسيط، وكشاف الظلمة في بيان أقسام الحكمة كلاهما للشيخ عبد الحلیم ابن أمين الله الكهنوي، وبرهان الحكمة بالفارسي للشيخ محمد غوث بن ناصر الدين المدراسي، ورسالة في العلوم الطبيعية للشيخ نظام الدين بن مهدی علی الدهلوی صنفها سنة ١٢٠٨، وإيثار الحق ورسالة في مبحث الزمان للشيخ نور الإسلام بن سلام الله الرامسوري، وله رسالة في مبحث المكان، ورسالة في مبحث المثناة بالتكرير، ورسالة في مبحث المثناة بالتكرير نجف على الشواربي، وسراج الحكمة للشيخ سراج الحق بن فيض أحمد البديوي، ومرآة الأذهان في علم الواجب للسيد معين الدين الحسيني الكاشفي الكروي، ورسالة في مبحث المثناة بالتكرير للسيد معين الدين المذكور، ورسالة في مبحث الوجود الرباطي في ستة عشر جزءاً للمولوي محمد أحسن الكلاتوي، وميسر المسير في مبحث المثناة بالتكرير للمولوي عبد الحي بن الحلیم الكهنوي، والكلام المبين في تحرير البراهين أي براهين إبطال اللاعنات للمولوي عبد الحی المذكور، والبرهان بالعري للمير نور الله الأحراري الأكبر آبادي، والحقائق للسيد علي البكرامي، عمدة الحكمة للسيد شاه علي الحيدر آبادي صنفه سنة ١٢٥٦، ومرعاج العقول شرح دعاء الميسر بالعري في مجلد ضخيم في الإلهيات للسيد مرتضى الحسيني التونهوي، والحكمة البمانية في المعارف الإنسانية في مبحث العلم والوجود للمولوي عبد العزيز الأمروهي، والأمر العامة ورسالة للمولوي كرامت حسين بن سراج حسين الحسيني المولوي الكتوري .

الشروح والنوحيات

حاشية حمد الله بن شكر الله السنديلي على الشمس البازغة، وحاشية عليه لملا حسن بن غلام مصطفي الكهنوي، وحاشية عليه للشيخ نظام الدين السهالوي، وحاشية عليه للشيخ أحمدى ابن الوحيد البهلواني، وحاشية عليه للمفتي ظهور الله بن محمد ولي الكهنوي، وحاشية عليه للمفتي يوسف بن أصغر الكهنوي، وتكملة حاشية ملا حسن علي الشمس البازغة للمفتي يوسف المذكور، وحاشية على الدوحة المياداة للعلامة محمود للمفتي ظهور الله المذكور، وحاشية على شرح هداية الحكمة للصدر الشيرازي للشيخ بير محمد الكهنوي المتوفى سنة ١٠٨٥ وهي المسممة بسراج الحكمة، وحاشية عليه للشيخ نظام الدين السهالوي المذكور، وحاشية عليه حمد الله السنديلي المذكور، وحاشية عليه لملا حسن المذكور، وحاشية عليه للشيخ أحمدى المذكور، وحاشية عليه للشيخ أمجد بن فيض الله القنوجي وحاشية

الإسلامية في الهند لعبد الحى الحسنى - راجعه وقدم له أبو الحسن على الدينورى / ٢٨٧.

حكمة العين:

للعلمة نجم الدين أبى الحسن على بن محمد الشهير بديران الكاتبى القزوينى، المتوفى سنة ٦٧٥ خمس وسبعين وثمانمائة تلميذ التصير الطوسى، وهو من متين مختصر أوله: سبحانه اللهم يا واجب الوجود ... إلخ ذكر فيه أن جماعة من طلبته لما فرغوا من بحث الرسالة المسماة بالعين في المنطق من تأليفاته المتسما منه أن يضيف إليها رسالة في الإلهى والطبيعى فأجاب ثم شرحه مولانا شمس الدين محمد بن مبارك شاء الشهير بميرك البخارى شرحاً مفيداً ممزوجاً أوله: أما بعد حمد الله فاطر ذوات المقول ... إلخ وأورد فيه الحواشى التى كتبها العلامة قطب الدين محمود بن مسعود الشيرازى على هذا الكتاب بأجمعها .

وعلى هذا الشرح حاشية للعلامة السيد الشريف على بن محمد الجرجاني المتوفى سنة ٨١٦ ست عشرة وثمانمائة ، وحاشية للمعولى كمال الدين مسعود الشيرازى المتوفى سنة ٩٠٥ (خمس وتسعمائة) ، وحاشية للمحقق ميرزا جان حبيب الله المتوفى سنة ٩٩٤ أربع وتسعين وتسعمائة ، وحاشية لمولانا محمد الشكى . ومن الشروح أيضاً شرح جمال الدين حسن بن يوسف الحللى وهو شرح « يقال - أقول » أوله: الحمد لله ذى العز الباهر ... إلخ، وشرح مولانا محمد بن موسى التالشي، وهو شرح ممزوج أوله: الحمد لله الذى أبدع بين الحكمة أعيان الموجودات ... إلخ ذكر أنه أنفه للسلفان يعقوب بن الحسن الطولون (كشف الظنون لمجلى خليفة / ٦٨٥) .

الحكمة القائمة من النبات:

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم النبات : مخطوط يقسم التراث العربى بالكويك، وجاء بيانه كما يلى : تركيا استانبول، مكتبة جامعة اسطنبول (D.F.6109 A. ٧) وله : « اعلم أيها الأخ وقتنا الله وإيانا وسلك بى ويك نهج أهل الخير والفلاح ... » .

آخره: « ... إلى سيدى شيخ عبد القادر الجيلانى تأمن شرهم تمت . »

أول النسخة صفحة تحمل رقم (٦٢) .

الأرقام للصفحات وليس للأوراق .

بعد صفحة رقم (٧٣) تأتى صفحة رقم (٢) .

فى منتصف صفحة رقم (١٧) كلمة (تمت) بخط النسخ نفسه .

بعد الصفحة رقم (١٧) تأتى (١٠) صفحات يواصل فيها النسخ النقل من الكتاب دون أرقام للصفحات العشر .

الصفحات العشر الأخيرة فى المخطوطة مرقمة ترتيباً حديثاً وخاطفاً .

المخطوطة عبارة عن رسالة أو جزء من كتاب .

الخط : معناد ردىء لكنه مقروء

كتب بالمداد الأسود فقط

الأوراق : ٢١ ق .

الأسطر : مختلفة .

المقياس : ٢٠ × ١٤ سم .

(فهرس مخطوطات الفلاحة - النبات - المياه والرى يقسم التراث العربى بالكويك - صنته محمد عيسى صالحية وعبد الله ليلح / ٣٠٠، ٣٦١) .

الحكمة (مدرسة ...)

من مدارس القدس الشريف، أعاده الله ديار إسلام .

ورد ذكرها عدة مرات فى سجلات المحكمة الشرعية، حينما تحدثت خاصة عن «صفقات المحكمة» . ففى السجل ٤٤ ص ٥٠٠ (سنة ٩٧١) جاء أن القاضي حسام الدين الحنفى قرر الشيخ زين الدين محمود بن الديورى فى وظيفة قراة ما تيسر لصدقات المحكمة بالقدس الشريف . . عرضاً عن والده بمحكم لرافقه له .

(معاهد العلم فى بيت المقدس - د. كامل جليل السلى / ٢٨٩) .

حتى:

فى مصطلح علوم الحديث: بمعنى روى .

(ملء العينة لابن رشيد - تقديم وتحليل سماحة الشيخ الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة / ٢ / ٤٤٤) .

الحكومة (كتاب ...)

من المخطوطات المحفوظة بمعهد المخطوطات العربية .

تأليف جابر بن حيان الصوفى

وهو المقالة الثانية عشرة من كتاب «السجين» .

أوله: قد سبق لنا قبل كتابنا هذا أحد عشر كتاباً فى الحيوان،

كل ذلك قد استوفينا فى فن واحد الكلام، وهو المخصص من الحيوان بنفسه فى عشرة أجزاء من ذلك، وتكلمنا فى الكتاب الحادى عشر الذى قبل كتابنا هذا، على أصول أصحاب الحيوان وما قالوا به من ذلك، ولم نذكر فى ذلك تغييراً، وقد أثبت بالتدبير على النسق فى كتابى هذا وفيما يليه على شرح ما تقدم من العشرة الأولى فى ذلك على الأثر أيضاً ... إلخ .

وأخيره: وهذا يكون بلا داخل عليه، وهو أعظم فى الفعل،

شيئا . ثم دعاه عمر ليعطيه فأبى أن يقبله ، فقال عمر: يا معاشر المسلمين ! أشهدكم على حكيم أنى أعرض عليه حقه الذى قسم الله له فى هذا القرء فىأبى أن يأخذه . فلم يردأ حكيم أحدًا من الناس حتى فارق الدنيا . وله فى الصحيحين أربعة أحاديث متفق عليها ، ويخرج عنه الأربعة . روى عنه والده حزام ، وابن المسيب ، وعروة بن الزبير وعبد الله بن الحارث وموسى بن طلحة وابنه حزام بن حكيم وصفوان بن محمد والمطلب بن حنطب ويوسف بن ماهر . يفتح الهاء ومحمد بن سيرين ... أعطاه النبي ﷺ يوم حنين مائة بعير . تولى بالمدينة سنة أربع وخمسين عن مائة وعشرين سنة ، وصلى عليه عبد الله بن الزبير رضى الله عنه .

(الرياض المستطابة للإمام يحيى بن أبى بكر العارمى البجلي / ٥٢ - ٥٤ ، وتهذيب الأسماء واللغات للإمام محمى الدين بن شرف النورى / ١٦٦ ، ١٦٧) .

الحكيم :

انظر: الحكيم الترمذى .

الحكيم الترمذى (— نحو ٢٢٠ هـ / — نحو ٩٢٢ م):

قال عنه الزركلى :

محمد بن على بن الحسن بن بشر ، أبو عبد الله ، الحكيم الترمذى ، باحث ، صوفى ، عالم بالحديث وأصول الدين . من أهل «ترمذ» (انظر مادة «الترمذى» فى م ٣٠٨/٩) نفى عنها بسبب تصنيفه كتابًا عااااا فيه ما عليه أهلها ، فشهدوا عليه بالكفر . وقيل : اتهم باتباع طريقة الصوفية فى الإشارات ودعوى الكشف . وقيل : فضل الولاية على النبوة . ورد بعض العلماء هذه التهمة عنه وقيل : كان يقول : للولاية عاااا كما أن للأنبياء عاااا . وقال السبكي : فجاء إلى بلخ - أى بعد إخراجها من ترمذ - «فقبلوه» لمسااااا إسامه على المذهب . وأخطأ بعض مؤرخيه من المستأخرين بأن جعل العبارة : جاء إلى بلخ «فقتلوه» وهذا لا يتفق مع بقية ما قاله السبكي من موافقتهم إياه على المذهب . وفى «لسان الميزان» أن أهل ترمذ هجروه فى آخر عمره لتأليفه كتاب «فتح الولاية» و «علال الشريعة» («فتح الأولياء» و «علال الشريعة») وأنه حمل إلى بلخ فأكرمه أهلها وكان عمره نحو تسعين سنة .

واضطرب مؤرخوه فى تاريخ وفاته ، فمنهم من قال سنة ٢٥٥ وسنة ٢٨٥ هـ . ويتنفس الأول أن السبكي يذكر أنه حدث بيسابور سنة ٢٨٥ كما يتنفس الثانى قول ابن حجر : «إن الأتبارى سمع منه سنة ٣١٨ (الأعلام ٦/ ٢٧٢) .

يقول الشيخ عبد الله بن عبد الله فى بحث له بعنوان: «الحكيم الترمذى» :

ويعتبر أبو عبد الله محمد بن حسن بن بشر الحكيم الترمذى من أجمع علماء الفقه الذين عاشوا فى الفترة ما بين القرنين التاسع

وإسا أن تكون العبد المحمرة والتقية له فاعرفه . تم كتاب الحكومة .

— نسخة بقلم نسخ جميل ، تمت كتابة فى بلدة تبريز سنة ٦٨٨ . ومطرزها ١٧ سطرا .

٢١ × ٢١ سم

(ضمن مجموعة من ص ١١٤ - ١١٨)

[مكتبة بورصة حسين جلى - ١٥]

(نهرس المخطوطات المصورة ، معهد المخطوطات العربية جـ ٣ المجلد ٢ فى ٤ التكمياء والطبعيات - وضع فؤاد سيد . القاهرة ١٩٣٣/ ١١٦ ، ١١٧) .

حكيم بن حزام :

هو أبو خالد حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى ابن قصى بن كلاب القرشى المكي .

هو ابن أنسى خديجة أم المؤمنين ، وابن عم الزبير بن العوام رضى الله عنهم . أنه أم حكيم ، وإخوته خالد وهشام وصفيّة (وقيل فاختة) أسدية أيضا . ولد حكيم رضى الله عنه فى جوف الكعبة ، وذلك أن أمه دخلتها فى نسوة من قريش فضرها لطلق فولدته هناك . وكان مولده قبل عام الفيل بثلاث عشرة سنة . أسلم حكيم عام الفتح وكان من الموفقة لقبوهم ، فحسن إسلامه . وقد شهد بدرًا مع المشركين فنجأ منهزما ، فكان إذا اجتهد فى يمينه قال : والذى نجاهنى من يوم بدر . وكان من أشرف قريش وأجوداها ، وكان يسه دار الندوة لى يجتمعون فيها للتشاور وعقد الأمور وحلها ، فباعها آخرًا لمعلوية بمائة ألف درهم ، فقيل له : بعت مكرمة قريش ؟ فقال : نهبت المكارم إلا التقوى . ثم تصدق بثمانى . وصداقاته وعقائه وعطائى فى الجاهلية والإسلام واسعة شائعة . وفى الصحيحين عنه قال : قلت يا رسول الله ، رأيت أشياء كنت أبحث بها فى الجاهلية من صدقة وعقائه وصلة رحم ، فهل لى فيها أجر ؟ فقال النبي ﷺ : أسلمت على ما أسلفت من غير . قلت : فما لى أدم شيئا سمعته فى الجاهلية إلا فعلت مثله فى الإسلام . ردئى أن حج فى الإسلام فأهدى مائة من الإبل قد جلجلها بالحريرات ومهما مائة وصيف فى أعناقهم أطواق القضة منقوش فيها «عتاء الله» ، وأهدى أيضا مائة شاة . وفى الصحيحين أيضا عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأعطانى ، ثم سأله فأعطانى ، ثم سأله فأعطانى ، ثم سأله فأعطانى ثم قال : «يا حكيم ، إن هذا المال خضرة حلوة ، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه ، وكان كالذى يأكل ولا يشبع ، والبدن العليا خير من البدن السفلى» . قال حكيم ، فقلت : والذى يبتك بالحق لا أروأ أحدًا بعتك شيئا حتى أفارق الدنيا . فكان أبو بكر يدعو حكيمًا ليعطيه العطاء فأبى أن يقبل منه

والعاشرة، والذين كتبوا العديد من الآثار العلمية الدينية المشهورة . وبناء على شهادة كاتب السيرة والدارس لأعمال الترمذى للعالم المصرى عبد الفتاح بركة ، فإنه ولد في ٢٠٥ هجرية (٧٢٠ ميلادية) ، ودرس في مدارس ما وراء النهر حتى بلغ الخامسة والعشرين وتعمق في دراسة علوم التفسير والحديث والفقه .

وفي كتابه الذى ترجم فيه قصة حياته «بعض شأن أبى عبد الله [بدا الشأن] كتب الترمذى أنه في طريقه إلى مكة ، وكان آنذاك في السابعة والعشرين من عمره ، توقف في بغداد وواصل دراسته هناك . ومنذ ذلك الحين كرس حياته لدراسة التصوف وحفظ القرآن عن ظهر القلب ، وسهر الليالى منكبا على الدراسة التى جالبت له

متعة كبيرة وارتياحا نفسيا عظيما . وفي تلك الأثناء اطلع على كتاب الأنطاكى المشهور (يقصد كتاب علوم المعاملات لأحمد بن عاصم الأنطاكى) الذى أثر في تأثيرا جليوا . إن هذا الكتاب بحث المرء على الانقطاع عن مشاغل الحياة وملذاتها ، وتكريس نفسه لعبادة الله وإتباع تعاليمه . ونتيجة ذلك يلجأ إلى حياة الزهد والعزلة ، ولا يزال شيئا سوى الاختلاط بالطلاب والعلماء والفقهاء ، ويعصرف وقتا كثيرا جددا في الدراسة ...

لدى التحدث عن أعمال الترمذى الإبداعية ، لا بد من الإشارة إلى أن آراءه وأفكاره لم تكن تحظى بتأييد الجميع . وظهر من حاشية أمير بلخ من الحقّ التهم الباطلة بالإمام الترمذى ، وللتأكد من حقيقة الأمر أرسل الأمير رجلا نقة ، إتّح بهم هو بعض المخلصين له ، إلى الترمذى . ولدى عودتهم لقروا بالإمام مزيدا من التهم وأبلغوا الأمير أن الترمذى ، رغم مناداته بحب الله والإيمان به بلسانه ، فإنه بأعماله يثير الخرافات والفساد وحتى أنه يتنبا ، ولذلك يستحق العقاب . وعندئذ يقرر الأمير منع الترمذى من التحدث عن الحب الإلهى ، إلا أن ذلك لم يرض أعداء العالم ، ويواصلون زمه والصاق التهم والافتراءات به . وبعد ذلك يخرج الحكيم الترمذى من عزلته ويوجه إلى الشعب ، ويتابعهم في المساجد إلى الأبر بالمرعوف والنهى عن المنكر . فيدرك الناس الأمور التى يطمح إليها الإمام وتشغل باله وقته ، ويظهر بين الناس الكثير من أتباعه وتلاميذه .

وذكر الدكتور عثمان يحيى في مقدمة كتاب الترمذى «خاتم الأولياء» لقد أدى اعتزال الترمذى الناس مدة طويلة من حياته ، إلى قلة تلاميذه . وأشهر تلاميذه هو أبو بكر محمد بن عمر الحكيم البراك . وبناء على الاعتقادات والتخمينات فلا قبره يقع في جابرقورغان .

ويقول الباحث المصرى الشيخ عبد الفتاح بركة ، في كتابه

والذين كتبوا العديد من الآثار العلمية الدينية المشهورة . وبناء على شهادة كاتب السيرة والدارس لأعمال الترمذى للعالم المصرى عبد الفتاح بركة ، فإنه ولد في ٢٠٥ هجرية (٧٢٠ ميلادية) ، ودرس في مدارس ما وراء النهر حتى بلغ الخامسة والعشرين وتعمق في دراسة علوم التفسير والحديث والفقه .

وفي كتابه الذى ترجم فيه قصة حياته «بعض شأن أبى عبد الله [بدا الشأن] كتب الترمذى أنه في طريقه إلى مكة ، وكان آنذاك في السابعة والعشرين من عمره ، توقف في بغداد وواصل دراسته هناك . ومنذ ذلك الحين كرس حياته لدراسة التصوف وحفظ القرآن عن ظهر القلب ، وسهر الليالى منكبا على الدراسة التى جالبت له متعة كبيرة وارتياحا نفسيا عظيما . وفي تلك الأثناء اطلع على كتاب الأنطاكى المشهور (يقصد كتاب علوم المعاملات لأحمد بن عاصم الأنطاكى) الذى أثر في تأثيرا جليوا . إن هذا الكتاب بحث المرء على الانقطاع عن مشاغل الحياة وملذاتها ، وتكريس نفسه لعبادة الله وإتباع تعاليمه . ونتيجة ذلك يلجأ إلى حياة الزهد والعزلة ، ولا يزال شيئا سوى الاختلاط بالطلاب والعلماء والفقهاء ، ويعصرف وقتا كثيرا جددا في الدراسة ...



فريق الحكيم الترمذى بعد الترميم.

وقد تناول بال نقد المتصوفين الذين عاشوا قبله . وحسب رأيه ، فإن المتصوف الحقيقي هو الذى يمتاز بصفات حسنة ، ويفسر الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة عن فهم وصدق وزهادة وإخلاص ويلم (إماما عميقا بمسائل وقضايا الفقه . لخدمة

الرسول» قال عنه العلامة محمد بن جعفر الكتاني في «الرسالة المستطرفة» .

«ونوارد الأصول في أحاديث الرسول : وهي ثلاثمائة أصل إلا تسعة في نحو ثلاثة أسفار لأبي عبد الله محمد بن علي بن الحسن ابن بشر ، الملقب بالحكيم الترمذی ، المؤذن الصوفي أحد الأوتاد الأربعة وصاحب التصانيف ، المتوفى مقتولاً ببلخ سنة ۲۹۵ هـ (غير صحيح بل أكرمهم أهل بلخ عند عودته الشانية إليها كما ذكر ذلك السبكي في «طبقات الشافعية» ج ۲ / ۲۰ والسهمي في «تذكرة الحفاظ» ج ۲ / ۶۴۵ وابن حجر في «لسان الميزان» والزركلي في «الأعلام» ج ۶ / ۲۷۲ . وذكره الحكيم الترمذی نفسه في رسالة بدو الشأن) .

ثم قال الكتاني : «وفي اللسان للحافظ (أي لسان الميزان للحافظ ابن حجر) أنه عاش إلى حدود ۳۲۰ هـ ، لأن ابن الأباري ذكر أنه سمع منه سنة ۳۱۸ هـ . قال الحافظ : «ومضاهي نحواً من تسعين سنة» . وله (أي لكتاب نوارد الأصول) مختصر على قدر لثته وهو مطبوع (مع كتاب) قربان المتقين في أن الصلاة قرة عين العابدين لأبي نعيم الأصفهاني» .

وقد ذكر غير الدين الزركلي أن كتاب نوارد الأصول في أحاديث الرسول مطبوع كاملاً وأما ذلك حدث بعد وفاة السيد محمد بن جعفر الكتاني رحمه الله جميعاً .

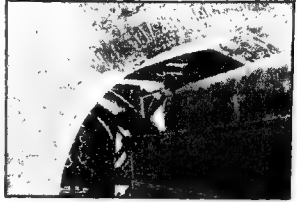
وللحكيم الترمذی كتاب آخر سماه «المنهيات» وقد جمع فيه كل حديث جاء فيه النهي . . . ويوجد من المخطوط نسخة في مكتبة أسعد أفندي باستانبول وأخرى في مكتبة باريس (يأتي الكلام على هذه الكتب فيما بعد) .

شيوخ الحكيم الترمذی وتلاميذه

إن أهم شيوخ الحكيم الترمذی وأكثرهم تأثيراً في نفسه هو والده علي بن الحسن بن بشر الترمذی . . . ثم الخضر عليه السلام كما يذكر ذلك الترمذی . حيث ظهر له الخضر عندما تخلف عن الرحلة لطلب العلم لتعرضي أمه ویرها فعلمه الخضر أشياء كثيرة .

وروى الترمذی الحديث عن أبيه وعتبة بن سعيد ، والحسن بن عسر بن شقيق البجلي . وصالح بن عبد الله الترمذی ويحيى بن موسى ، وعتبة بن عبد الله العمري ، وعباد بن يعقوب الرواسي والجارود بن مكاد السلمي الترمذی ، وصالح بن محمد الترمذی ، وسفيان بن وكيع وعلي بن حجر السعدي وأحمد بن خضريه وطبقتهم كما يذكر الإمام الذهبي في كتابه «تذكرة الحفاظ» . . . وجملة من أخذ عنهم من أهل الحديث ۱۶۰ محدثاً .

وقد التقى الحكيم الترمذی بثلاثة من كبار الصوفية وأخذ عنهم وأخذوا عنه وهم أبو تراب النخعي (من نخشب وهي نصف واقع الآن في جمهورية أوزبكستان السوفيتية) وأحمد بن خضريه (من



شيوخ الحكيم الترمذی ليل الترمذی.

«الحكيم الترمذی ونظرياته في الولاية» أنه توجد في المصادر والمراجع أدلة تشير إلى تعرض الحكيم الترمذی للاضطهاد، وسفره إلى نيسابور في عام ۲۸۵ للهجرة (الصفحة ۵۰) .

وحسب المعلومات التي وصلتنا من الشيخ عبد الفتاح بركة، فقد ترك لنا الحكيم الترمذی ثروة علمية وعينية لا تقدر بثمن ، على ما يزيد عن ۴۰۰ مجلد من المؤلفات المتعلقة بالدين ، ولم يصلنا منها سوى ۵۷ صلوت في مختلف البلدان ، ويقوم الفقهاء بدراساتها والبحث فيها . «الحكيم الترمذی» — الشيخ عبد الفتى عبد الله / ۱۱- ۱۳) .

يقول الدكتور محمد علي البار في بحث له بعنوان «الحكيم الترمذی . . حياته وآثاره» : من الترمذی محدثاً .

لقد ظهر الإمام الحكيم الترمذی في نيسابور كأحد الحفاظ المشهود لهم في علم الحديث . قال الإمام الذهبي عنه : «الإمام أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن بشر ، الزاهد الحافظ المؤذن صاحب التصانيف . روى عن أبيه وعتبة بن سعيد ، والحسن بن عسر بن شقيق ، وصالح بن عبد الله ، الترمذی ، ويحيى ابن موسى ، وعتبة بن عبد الله العمري ، وعباد بن يعقوب الرواسي وطبقتهم . وعنه بهذا الشأن (أي شأن الحديث) وروى فيه . وروى عنه يحيى بن منصور القاضي ، والحسن بن علي ، وعلماء نيسابور فإنه قدمها سنة خمس وثمانين ومائتين» .

وأهم ما كتبه في الحديث كتابه «نوارد الأصول في أحاديث

شمال أفغانستان) ويحيى بن الجلاء... وقد كانت له بهم
صحية.

وأما تلاميذه فعدد كبير . ذكر الحافظ الذهبي في تكملة
حافظ ابن عسكرا تلاميذه تسبوا أخذوا عنه الحديث عنه قوله فيها أنه
٢٨٥ وكان من تلاميذه ثمانية من متصرفي القضاة ، والحنن بن علي
(الجزائري) ، وأشهر تلاميذ الترمذيين هم : أحمد بن محمد
ابن عيسى ، والحنن بن علي الجوزي ، ومتصرف بن عبد الله بن
خالد الهروي ، وأبو بكر محمد بن جعفر بن الهيثم ، وأبو بكر
محمد بن أبي عبيد الترمذي ، وأبو محمد بن علي من متصرفي
القضاة . (الحكم الترمذي : كتاب الوائلاء : ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥١٨ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٣٢ ، ٥٣٣ ، ٥٣٤ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٣٨ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٥٤١ ، ٥٤٢ ، ٥٤٣ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٤٨ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٥١ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ٥٥٩ ، ٥٦٠ ، ٥٦١ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٦٦ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣ ، ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، ٥

ثناء العلماء والمؤرخين عليه :

قال أبو نعيم في الحلية: صف التصانيف الكثيرة في الحديث، وهو مستقيم الطريق، تابع للأثر، يرد على المرجئة وغيرهم من المخالفين.

وقال ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان: وبلغني أن أبا عثمان سئل عنه، فقال: تنهوا عنه شرًّا من غير سبب.

وقد رُئِيَ ابن حجر على ابن العديم حين وصفه بأنه لم يكن من أهل الحديث... قال ابن حجر: لعمرى، لقد بالغ ابن العديم في ذلك، ولولا أن كلامه يتضمن النقل عن الأئمة لما ذكرته. ولم أتف لهذا الرجل مع جلالته على ترجمة شافية.

وقال السلمي: وهو من كبار مشايخ خراسان، وله التصانيف المشهورة، وكتب الحديث ورواه (المنهات / ١٥).

تأثيره في الفكر الإسلامي :

هن ذلك يقول الدكتور محمد علي البار:

يعتبر الحكيم الترمذى من الأفضال الذين تميزوا إلى جانب علمهم بالأمور الشرعية بصفاء النفس وقوة الحافظة والقدرة على

استنباط المسائل الدقيقة وخاصة في أمور التصوف. ويما أن
الثرمذي من المتقدمين (من رجال القرن الثالث الهجري) فإنه قد

أثر بفكره وكتبه على من جاء بعده من أعلام الفكر الإسلامي من أمثال الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي... فليكن كتاب

الأحياء من ربيع المهلكات * أثر واضح لكتاب الترمذى * الأكيلى
والمختارين * . . وانتفع الإمام الفزالى كذلك بكتب الترمذى مثل

المتشابهة ظاهرا المختلفة واقعا مثل المداراة والمداينة والمحاجة

مثل «المسائل المكنونة» و «بيان العلم» و «أنواع العلوم» و «

10.

وتأثر الإمام ابن القيم في كتابه الروح بكلام الترمذى الحكيم عن

النفس وأقسامها . والفروق بين الأعمال التي تبدو متماثلة في الظاهر وهي مختلفة في الحقيقة . . واستمد ابن القيم ذلك من كتب الحكماء مثل « الفروق ومنع الترادف » و « الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب » و « الأعضاء والنفس » .

وقد أثر كتابه ختم الأولياء في كل من كتب بعده عن الولاية والأولياء. ولا يعني هذا أن كل من جاء بعده قد وافقه على آرائه تلك فتمهم من عارضها وتقدها مثل الإمام ابن تيمية في كتاب «الرسائل والمسائل» . . . ولكن هذا لا يعني أن الترمذى لم يؤثر في ابن تيمية وإن خالفه في بعض ما ذهب إليه.

ولا شك أن محيي الدين بن عربي فائز تأثراً كبيراً بكتاب غنم الأولياء . . مما جعله يكمل الإجابة على الأسئلة التي وضعها الترمذى ولم يهجم عليها. وهو كتاب « الجواب المستقيم عما سأل عنه الترمذى الحكيم » . . كما أن لأبن عربي « شرح المسائل الروحانية في كتاب غنم الأولياء » . وكلا الكتابين مطبوعان مع كتاب غنم الأولياء كما قد مر .

وقد تأثر الإمام أبو الحسن الشاذلي، وابن عطاء الله
السكندري، وإبراهيم النسوفي، وغيرهم من الصولية بفكر الحكيم
الترمذي.

ولم يقتصر تأثير الترمذى على الفكر الصوفى بحسب لكنه كما سلفنا ، أثر في ابن القيم كما أخذ عنه الإمام القرطبى فى تفسير آية النور، حيث نقل الإمام القرطبى ذلك التفسير عن الحكم الترمذى (سورة النور آية ٢٤) . وكذلك نقل عنه الإمام الشوكانى فى تفسيره «فتح البقى» وهذا كله يدل على علم الحكم الترمذى وتأثيره على أسيان الفكر الإسلامى لمدة قرون من الزمان . (٥) الحكم الترمذى : حياته وأثره / (٤١) .

مصنفاته:

ذكرت مجلة المسلمون في الاتحاد السوفيتي (العدد ٦٦) ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م (١٩) أن الحكيم الترمذی ألف أكثر من ثلاثمائة مؤلف ووصل إلينا حوالي ستين منها . وذكر الزركلي (الأعلام / ٦ / ٢٧٢) أن مؤلفاته بلغت ٥٧ مصنفًا . وأشهر كتبه ما يلي :

١- نواذر الأصول في أحاديث الرسول، وقد سبق الكلام عنه،
وطبعاته كما أوردها المعجم الشامل (١ / ٢٤٦) هي:

• استنابول: المطبعة العامة ١٢٩٤ هـ / ١٨٧٧ م.

(٣٢) ص. م، ا، ص، ف، ١١ ص، (المحتوى).

— مصورة بالأوفست، بيروت: الناشر، مطابع دار مصادر،
د. ت.

(٤٤٤ ص، م، ١ ص، ف، ١١ ص، المجوى).

(٢) - المنهيات: جمع فيه الأحاديث النبوية التي فيها نهى وقد سبق ذكره.

قالت المؤلفة: النسخة التي عندي - دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشت ط. مكتبة القرآن سنة ١٩٨٦ وقطع في ٢٥٥ صفحة، والفهرس ٢٥٧ - ٢٦٣.

وقد ورد ذكر هذا الكتاب تحت عنوان «المنهاى» في الأعلام للزركلى (٦ / ٢٧٢) ومصادر أخرى.

(٣) الرد على المعطلة: وقد رد فيه على المعطلة. . والكتاب مخطوط. وتوجد منه نسخة في مكتبة الإسكندرية برقم ١٤٥ غزن متونة. . ونسخة الإسكندرية كما يقول الدكتور محمد الجبوشى في مقدمته لكتاب المسائل المكنونة للحكيم الترمذى، ضمن مجموعة رسائل وكتب للحكيم الترمذى وتشتمل على المسائل المكنونة، و «تحصيل نفاذ القرآن». . والمجموع قد نسخ سنة ٥٩٣ هـ. بخط محمد بن هبة الله بن أبى جراد.

هذا ما ذكره الدكتور محمد على البار فى بحثه المشار إليه آنفاً. وقد أورد محقق كتاب المنهيات الأستاذ محمد عثمان الخشت كتاباً للحكيم الترمذى بعنوان «الرد على الرافضة» (ص ١٤) لعله كما أورد أيضاً المعجم الشامل تحت هذا العنوان ولعله هو «الرد على المعطلة» وجاء فيه عن تحقيقه وطبعه ما يلى:

الرد على الرافضة

- تحقيق، أمين صبحى فرات، مجلة شقيقات، كلية الآداب جامعة استانبول، المجلد ٦ (١٩٦٤ م).

٢٤ (٢٣ - ٤٦)، م، ١٣ (٢٣ - ٣٥) بالالفه التركية.

(٤) المسائل المكنونة: وقد طبع بمقدمة مهمة للدكتور محمد إبراهيم الجبوشى، طبعته دار التراث العربى، القاهرة ١٩٨٠ م، وهو عبارة عن مقاطع من تفسيره لبعض آيات القرآن الكريم وأجوبة على بعض الأسئلة التي كانت ترد. . وترميزات لكلمات مثل الخشية والخوف. . يقول: الخشية من العلم بالله، والخوف من المشاهدة: فالخشية مزوجة والمشاهدة منصوبة. وذلك أن المشاهدة لقاء العظمة. .

وهو منهج فلسفى صوفى أدبى جميل فى التصريق بين ذلك الألفاظ المتشابهة. . وفيها مرسايط وزواجر. وجاء عنه فى المعجم الشامل (١ / ٢٤٥) ما يلى:

- تحقيق، محمد إبراهيم الجبوشى القاهرة: دار التراث العربى، مطابع الناصر، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م.

(١٦٣ م، ٧ ص، ف، ٥ ص، المراجع، المحتوى).

(٥) كتاب ختم الأولياء أو ختم الولاية وهو عمدة مؤلفاته وهو الذى أثار عليه أهل ترمذ لزمهم أنه قال إن للأولياء خاتماً. . وإن الأولياء أفضل من بعض الأنبياء. . وأنه احتج بقول النبي صلى الله عليه وسلم «يفطهم النبيون والشهداء» وأن الترمذى قال «لو لم يكونوا أفضل لما غبطوهم».

والواقع أن الحكيم الترمذى يرى من هذا الاتهام الذى تناقله الباحثون جيلاً بعد جيل دون تمحيص. فقد ذكر الترمذى فى كتابه «ختم الأولياء» بصراحة إنكاره لهذا الزعم حيث قال: «حاشا لمسلم أن يقبل غير نبي على نبي». . واعتبر أكمل الأنبياء والأولياء محمد صلى الله عليه وسلم.

وكل أول من نبه إلى براءة الترمذى من هذه التهمة الدكتور محمد إبراهيم الجبوشى فى مقدمته لكتاب «المسائل المكنونة» للحكيم الترمذى، وفى كتابه «الحكيم الترمذى آثاره وأفكاره».

وكتاب «ختم الأولياء» مطبوع بتحقيق عثمان إسماعيل حفى (مهد الألبان الشرقية، بيروت ١٩٦٥ م) ويضم الكتاب رسائل أخرى ملحقه به وهى:

(أ) رسالة «بلو الشأن» للحكيم الترمذى نفسه.

(ب) كتاب الجواب المستقيم عما سأل عنه الترمذى الحكيم وهى لمحيى الدين بن عربى. وقد أجاب فيها عن أسئلة الحكيم الترمذى التى وضعها فى كتابه «ختم الأولياء».

(ج) شرح المسائل الروحانية فى كتاب ختم الأولياء لمحيى الدين بن عربى أيضاً.

(٦) ملحق تاريخى يحوى على نبصوص إسلامية خاصة بالولاية والنبوة ومقامات العارفين من القرن الأول إلى القرن التاسع للهجرة.

وهذا الكتاب المحافل بشكل ثروة هائلة فى موضوع الولاية والنبوة ومقامات العارفين. . ويتيح للباحث أن يعرف الآراء المختلفة فى هذا الموضوع من القرن الأول إلى القرن التاسع الهجرى، وما هى إسهامات كل مفكر فى هذا الموضوع.

وقد ورد المعجم الشامل طبقات كتاب ختم الأولياء على النحو التالى: ١ / ٢٤٣، ٢٤٤):

- تحقيق، عثمان إسماعيل يحيى، مجلة المشرق المجلدات ٥٤ ج، ٤ - ٥، (١٩٦٠ م)، ٨٦ ص (٣٨٥ - ٤٧٠).

المجلد، ٥٥ ج، ١، سنة ١٩٦١، ٣٣٠ - ٣٣٢.

المجلد، ٥٥ ج، ٢، سنة ١٩٦١ م، ٣٣٣ - ٢٤٥ - ٢٧٦).

المجلد ٥٥ ج، ٥ - ٥، سنة ١٩٦١ م، ٤٠ ص (٤٦٠ - ٤٩٩).

- المجلد ٥٦، ج ١ سنة ١٩٦٢ م، ٤٠ ص (٩٦-٥٧).
- المجلد ٥٦، ج ١٩٦٢ م، ٤٠ ص (١٧٧-٢١٦).
- المجلد ٥٦، ج ١٩٦٢ م، ٧١ ص (٥٤٩-٦١٩).
- المجلد ٥٦، ج ٦، ١٩٦٢، ١١٠ ص (٦٦٥-٧٧٤).
- المجلد ٥٧، ج ١، ١٩٦٣، ١٨ ص (٢٠-٣٠).
- تحقيق، عثمان إسماعيل يحيى، بيروت: معهد الآداب الشرقية، المطبعة الكاثوليكية، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م.
- (٣٧٢ ص، م، ٨٥ + ٤ ص نساخ مصورة من المخطوط، ف، ٦٨ ص، الموضوعات، الآيات القرآنية، الأحاديث، الأشعار، فهرس عمومي يشمل أسماء الأشخاص والقبائل والقباع، فهرس خصوصي، يشمل المفردات الفنية والتاريخية، أسماء المذاهب والملل والنحل، فهرست الكتب والأبحاث العربية، المراجع، تصويبات).
- (٦) رسالة «بدو الشأن» وهي ترجمة حيلة الترمذي بقلمه وقد تقدم ذكرها. ويطبقها كما أوردها المعجم الشامل (١ / ٢٤٤) هي: — تحقيق، عثمان إسماعيل يحيى، بيروت: معهد الآداب الشرقية، المطبعة الكاثوليكية، ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م.
- (٧) ص ٢٠ (١٣-٣٢)، ملحقة بكتاب ختم الأولياء، المطبعة الكاثوليكية، بيروت: ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م.
- (٧) الفروق ومنع الترادف: وفيها يفرق الحكيم الترمذي بين الألفاظ المتشابهة في الظاهر المختلفة في الواقع مثل المداواة والمداينة والمجاجة والمجادلة والمناظرة والمغالبة والشجاعة والتهور... إلخ وهو فريد في باب.
- (٨) علل الشريعة.
- (٩) علل العبودية (ذكر الترمذي في (الأعلام/ ٦ / ٢٧٢) رسالة بعنوان «العلل».
- وقد ذكر الأستاذ محمد عثمان الخشت في مقدمة تحقيقه لكتاب المنهايات (١٣ ص) الكتب الثلاثة: علل الشريعة، وعلل العبودية، وكتاب الملل باعتبارها عناوين لكتاب واحد قال: إن الحكيم الترمذي حاول فيه تحليل الفرائض تحليلًا عقليًا.
- (١٠) غرس الموحدين.
- (١١) الرياضة وأدب النفس، وطيته كما أوردها المعجم الشامل (١ / ٢٤٥) هي كما يلي:
- تحقيق، ١ ج، آبري وعلي حسن عبد القادر، القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، مطبعة الناشر، ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٧ م.
- (١٢) ص ٣٢، م، ٨ ص، الف، الموضوعات، الأعلام، المواضع، التصويب.
- (١٣) غرر الأمور (في الأعلام ٦ — ٢٧٢: غرر بالواو).
- (١٤) شرح الصلاة (قال الترمذي ٦ / ٢٧٢: لعله الصلاة ومقاصدها).
- (١٥) الصلاة ومقاصدها. وطيته كما أوردها المعجم الشامل.
- (١٦) (٢٤٥) هي كما يلي:
- تحقيق، حنن نصر زيدان، تقديم عبد الحليم محمود، القاهرة: دار الكتاب العربي، مطابع الدار، ٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م.
- (١٧) ص ٩، م، ٩ ص، ف، ٢ ص، الخطأ والصواب.
- (١٨) بيان العلم.
- (١٩) أنواع العلوم.
- (٢٠) الأعضاء والنفس (الحكيم الترمذي: حياته وآثاره / ٨٣).
- (٢١) بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب. قال عنها الترمذي (الأعلام ٦ / ٢٧٢): رسالة طبعت سنة ١٩٥٨ م صدرت بترجمة حسنة لمؤلفها وبأسماء ٥٧ كتابًا أو رسالة من تهنئة وذكر المعجم الشامل (١ / ٢٤٣) طبعة وهي:
- تحقيق، نذولا هير، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية الكبرى، مطبعة دار إحياء الكتب العربية الكبرى (عيسى البابي الحلبي وشركاه).
- (٢٢) ص ٣٠، م، ٧ ص، الف، الموضوعات، فهرس الأحاديث.
- (٢٣) كتاب الأكياس والمفترين بالعين في الأعلام ٦ / ٢٧٢. ويضم هذا الكتاب عددًا من الأثلة المصنفة وفق الحروف، ويتناول عددًا من الحيل في المسائل الدينية، ويوضح النفاق في مختلف أشكاله ويشهر حملة على حيل المغيبيين (المنهايات / ١٣، ١٤) (ذكر الأستاذ علي محمد الجبالي في مقدمة تحقيقه لكتاب «الأشغال من الكتابات» (ص ١١) كتاب «الأكياس والمفترين» بالفاء).
- (٢٤) الحج وأسره. أورده الأستاذ الخشت في مقدمة تحقيقه لكتاب المنهايات (ص ١٤) وجاءت طبعة في المعجم الشامل (١ / ٢٤٣) كما يلي:
- تحقيق، حنن نصر زيدان، القاهرة: مطبعة السعادة، ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م، ١٧٤ ص.

(۳۲) عود الأمر: أضافه السبكي.
 قالت المؤلف: النسخة التي عندي لنفس المحقق طبع مكتبة دار التراث، القاهرة. د. ن.
 ۳۵۲ ص، فهراس الكتاب من ۳۵۴-۳۸۷، صواب الأخطاء المطبعية ص ۳۸۸.
 ويمثلنا محقق الكتاب الأستاذ على محمد البجاوي بهذه المعلومات عن كتاب الأشال من الكتاب والسنة في مقدمة تحقيقه التي قال فيها:
 والكتاب في ثلاثة أقسام: الأشال من القرآن. الأشال من الأحاديث والأخبار. أمثال الحكماء.
 ويدخل في هذا القسم الأخير أمثال من عند الحكميم الترمذی نفسه.
 ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن المؤلف لم يقصد الاستقصاء في واحد من هذه الأقسام: بلبل أنه ترك كثيرًا من أمثال القرآن الكريم، وأمثال الأخيار.
 ولما رأى أنه قصد إلى نماذج من هذه الأشال فيها عظة وعبرة، وتعليم وفقه، وحكمة ودین، وحاول دائمًا أن يكون أثره عظيمًا، وعظماة أشمل.
 على أنه في كل ما جاء به كان يدور في محيط القرآن الكريم، والسنة المحمديّة، حتى تلك الأشال التي رواها عن الحكماء والعلماء، والتي ساقها من عنده -أيضا بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ليجزأ أراها مما يدل على إيمان صحيح ورغبة أكيدة في محاولة الوصول إلى عقل القاري والأخذ -يسه إلى الطريق المستقيم.
 وهو حين يشرح بعض الآيات في سياق موضوعه كان يتجه أحيانا إلى تفسير صوفي فيه بعض الغموض.
 وهذا الكتاب في مجموعة مخطوطة من موقوفات الحكميم الترمذی، وفي الصفحة الأولى منها ما يأتي:
 مجموع فيه اثنا عشر كتابًا للحكيم الترمذی:
 الأول - كتاب الصلاة ومقاصدها.
 الثاني - الحج وأسراؤه.
 الثالث - الاحتياطات (هو في خلوص العبادة والاحتياط من النفس)
 الرابع - الجمل اللازم معرفتها.
 الخامس - الفروق ومنع الترافد - من أجل مصنفة.
 وهو في فكر الأعمال والأخلاق الفاضلة وأضدادها وبين الفرق بينهما. قال السبكي (۲/ ۲۰): ليس في باب مثله، يفرق فيه بين

(۲۲) العقل والهوى: ذكره الزركلي في (الأعلام ۶/ ۲۷۲) بهذا العنوان كما ورد كذلك أيضًا في مقدمة تحقيق كتاب المنهيات (ص ۱۴). غير أن المعجم الشامل (ص ۲۴۵) أورد كتابًا بعنوان «العقل» وذكر تحقيقه كما يلي:
 - تحقيق: أحمد صبحي فسات، مجلة شريقات، كلية الآداب، جامعة استانبول، المجلد ۵، ۱۹۶۴م.
 ۳۹ ص (۹۵-۱۳۳)، م، ۲۵ ص (۹۵-۱۱۹)، باللغة التركية.
 (۲۳) تحصيل نظائر القرآن.
 - تحقيق: حسني نصر زيدان القاهرة: مطبعة السعادة، الأول سنة ۱۹۷۰م، ۱۷۴ ص (المعجم الشامل ۱/ ۲۴۳).
 وجاء في مقدمة تحقيق كتاب المنهيات (ص ۱۴):
 (۲۴) كتاب الحقوق.
 (۲۵) الشفاء والعلم.
 (۲۶) كيفية الصلاة.
 قالت المؤلف: عندي كتاب بعنوان:
 (۲۷) معرفة الأسرار للحكيم الترمذی - تحقيق ودراسة د. محمد إبراهيم الجبوشي. دار النهضة العربية ۱۹۷۷، يقع في ۹۲ صفحة وثبت المراجع ۹۴، ۹۴.
 وقد أورد المعجم الشامل كتابًا آخرى وطبعاتها هي (۱/ ۲۴۳-۲۴۵):
 (۲۸) رسالة مكر النفس
 - تحقيق: عبد الفتاح عبد الله بركة، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد ۲۰، ج ۲، (نوفمبر ۱۹۷۴).
 ۲۹ ص (۱۳۱-۱۵۹)، م، ۱۸ ص.
 (۲۹) مرقاة الوصول - حواشي نوادر الأصول.
 - ط، بيروت: مطابع دار صادر، د. ت.
 ۱۴۲ ص، مصورة بالأرغست، وملحقة بكتاب نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول.
 (۳۰) منازل المُتَّيَّد من العبادة أو منازل الفاضلين إلى الله.
 - تحقيق: محمد إبراهيم الجبوشي، القاهرة: دار النهضة العربية، ۱۳۹۸هـ / ۱۹۷۷م، ۹۴ ص.
 (۳۱) الأشال من الكتاب والسنة.
 - تحقيق: على محمد البجاوي، القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، مطبعة نهضة مصر، ۱۳۹۵هـ / ۱۹۷۵م.
 (۲۹۵ ص)، م، ۱۵ ص، ف، ۲۸ ص، الموضوعات، الآيات القرآنية، الأحاديث والأخبار الأصنام، مراجع التحقيق والشرح، صواب الأخطاء المطبعية.)

وضعتها لموضوعات الكتاب في ثانيا السطور، مميزة بحروف غير حروف الكتاب، وفي عناوين دقيقة، فصلت موضوع الكتاب، وبينت أجزائه، وحددت للقارى أهدافه.

(يبدأ الكتاب نسخة ثالثة مقفلة بقلم أحد النسخ، ولكنها - لكثرة ما فيها من تحريف، لا تستحق أن تكون مرجعاً للتحقيق، بل لا يصح).

وأرى أن هذه العناوين من وضع كاتب النسخة، فهي غير موجودة في النسخة المغربية السابقة أ هـ. (الأشال من الكتاب والسنة / ٣، ٧، ١٢، ١٣).

وقد ذكر الأستاذ كركيس عواد مخطوطاً آخر لكتاب الأشال من الكتاب وثلاثة فقال عنه:

نسخة في المكتبة الوطنية بباريس، ضمن مجموعة برقم ٥٠١٨، (الورقة ١٤١ - ١٨٤). مكتوبة في القرن الخامس للهجرة (= ق ١١ م). ومنها نسخة مصورة في دار الكتب برقم ٣١٨١٧ ب. (فهرست المخطوطات التي اقتنتها الدار من سنة ١٩٣٦ - ١٩٥٥، ١ / ٧٨). (أقدم المخطوطات / ٩٧).

ومن طرف ما ذكره الشيخ عبد الفتى عبد الله في بحثه الذي نقلته في بداية هذه المادة ما قيل عن لقب «الحكيم» الذي لقب به الترمذى فقال:

والآن إليكم عدة كلمات عن سبب تلقيب الإمام الترمذى بـ «الحكيم» إلى اسمه. إن البعض يفهم هذه الإضافة كذكر أو طيب. ونساء على ذلك لا يتجهونه عالم دين بل طيباً بارعاً. طيباً، ثمة علاقة بينهما مفهوم مشترك. إذا عدنا إلى كتاب «طبقات الأطباء والحكام» لابن جليل وجد في فصل «بقراء» أن الطبيب هو الإنسان الشريف النزيه خلقياً وفكرياً، الطيب، الرؤوف، الأتقى في ملبسه، الجميل المظهر، العلم بعمله ومهته إيماناً تاماً، والحكيم (هو الشديد الذكاء والحاضر البديهة) الذي يقدّر كل الظروف والأوضاع، ويفهم كل شيء. (الصفحة ١٧).

وهكذا نرى أن كلمة «حكيم» أكثر شمولية من «طيب» وتتمنى التخصص في كافة ميادين العلوم والمعرفة. وبهذا الصدد، كان المرحوم شيخ جامع الأزهر، عبد الحليم محمود، قد كتب في مقالة له، ذكر فيها أن ابن سينا كان يدرج ضمن كلمة «الحكيم» معنى إضافياً وهو العلم والتمتع في ميادين الفلك والرياضيات والطب والفقه والأدب. (كتاب «التفكير الفلسفي في الإسلام»، المجلد ٢ - الصفحة ١٠). ويقول الحكيم الترمذى في كتابه «نظائر القرآن» (الصفحة: ١٦٨): «الحكيم هو من بلغ جوهر العلوم الباطنية».

المداواة والمداينة، والمحااجة والمجادلة، والمناظرة والمغالبة، والاتصار والاتظام، وعلم جرا. . من أمور متقاربة المعنى) وقد سبق ذكر ذلك.

السادس - حقيقة الأديمة، واسم الكتاب «الرياضة في تعلق الأمر بالخالف».

السابع - غرس الموحدين (وهو في بيان الصلاة والطهارة وأدائهما على وجههما).

الثامن - الأعضاء والنفس، وفيه تفسير آيات عظيمة.

التاسع - منازل العباد من العبادة.

العاشر - العقل والهوى - وهو جليل القوائد.

الحادي عشر - الأشال من الكتاب والسنة، مفيد جداً.

الثاني عشر - كتاب «المنهيات» أو «المناهي» وهو غريب في بابه.

جميع هذه الكتب المذكورة من مصنفات الأستاذ العلامة العالم الأوحد الإمام الحكيم أبو عبد الله محمد بن علي الترمذى قدس الله روحه.

وفي أعلى الجانب الأيسر من هذه الصفحة تمليك غير مفروغ، وتحت: تشرف بملكوته أشر النورى صالح بن مصطفى رضى الله تعالى عنه.

وبعد المكتوب في النسخة المغربية ما يأتي:

الشيخ الإمام الأجل أبو المكارم الحسين بن محمد بن عثمان. . والعلامة بدر الدين شمس المعرفة، تاج السنة، سراج الأمة، ناصر الحق، ناصح. . .

في دار الكتب المصرية من الكتابين نسخة (فهرس المخطوطات القسم الأول، القاهرة ١٩٦١).

الأولى بخط مفرى دقيق جداً، به بعض الضبط، وهي مصورة بالفوتستات من نسخة خطية محفوظة - بالمكتبة الأهلية - باريس رقم ٥٠١٨، ويظن أنها من مخطوطات القرن الخامس الهجري، ضمن مجموعة من لوحة ١٤١ - ١٨٤، في كل لوحة صفحتان، ورقمها ٢١٨١٧ ب.

والنسخة الأخرى مصورة بالفوتستات أيضاً، عن النسخة الخطية المحفوظة بمكتبة عاشر أكتدى بالأستانة رقم ١٤٧٩ ضمن مجموعة من لوحة ٤٢ - ٩٧، وكل لوحة بها صفحتان، وهي بخط فارسي جميل، لولا أن بها بعض كلمات غير واضحة في التصوير، وهي قليلة على كل حال، وبها أيضاً بعض الضبط الدقيق، ورقمها ٢١٨١٦ ب.

ومما ينبغي التنبيه عليه هنا أن هذه النسخة قد امتازت عن سابقتها بأن بها عناوين جانبية. انتضعت بها في العناوين التي

ورغم جموحه تطلعت النهر بهذا الأثر التاريخي للفن المعماري الإسلامي ولكن مرور الزمن كان، أقل لطفا بالنسبة له ولم يبق في أياضا هذه من المظهر الأصلي للفسريح إلا قليل، واستطاع المعماريون الأروبيون إحياء ذخيرة الفن المعماري الإسلامي التي كانت أن تفقد إلى الأبد بين الخرابات، لقد رفع أحفاد المعماريين القدماء الجدران والقبب مستتمتا بعد ستيمتير، ولا بد من التأكيد على أن المعماريين الشيعين استخدموا نفس المواد البنائية التي استخدمها أجدادهم. وأغيرا أنموا حديثا معلمهم الشاق والدقيق بتجاسر ولمع ضريح الحكيم الترمذي بلعمان جماله الأصلي. وبلغت هذا الأثر المعماري أنظار الزوار ليس لوجود قبر أحد الشخصيات الموقرة لدى المسلمين فحسب بل أنه بلغت أنظارهم بجماله وتنسيق الأشكال المعمارية والزخارف الرائعة وبطراوة القباب الزرقاء والنفوس وبطراز خاص، وهذه كلها لا يمكن مشاهدتها في غير هذا المكان (المسلمون في الشرق السوفياتي، العدد ١٩ / ٢).

(الأعلام للزكريا / ٦ / ٢٧٢ و «الحكيم الترمذي» - الشيخ عبد الغنى عبيد الله، المسلمون في الشرق السوفياتي - العدد الرابع (٨٨) ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م / ١١ - ١٣، و «الحكيم الترمذي: حياته وآثاره» - د. محمد علي الباب الفصيل - العدد (١٥٨) شبان ١٤١٠ هـ - مارس ١٩٩٠ م، السنة الرابعة عشرة / ٨٢ - ٨٤، والمنهيات للحكيم الترمذي - دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشت / ١٥، والمجمع الشامل للتراث العربي المطبوع - جمع وإعداد وتحرير د. محمد عيسى صالحية / ١ / ٢٤٣ - ٢٤٦، والأشكال من الكتاب والثقة للحكيم الترمذي - تحقيق علي محمد البجاوي / ٣ - ٧، ١٢، ١٣ وأقدم المخطوطات في مكتبات العالم - كوريس عواد / ٩٢، والمسلمون في الشرق السوفياتي، العدد ٢ (٦٦) ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ / ١٩، انظر أيضا مرجع للحكيم الترمذي الإسلامية - د. محمد الزحيلي / ٧٠٤، ومعرفة الأسرار لترمذي الحكيم - تحقيق ودراسة - د. محمد إبراهيم الجبوشي / ٧ - ٣٣ وطبقات الصوفية لإبسي عبد الرحمن السلمي - يتوه وزيته أحمد الشراصي / (٥١، ٥٢، والموسوعة الصوفية - د. عبد المنعم الحفني / ٧٨، ٧٩، والرسالة القشيرية لأبي القاسم القشيري / ٢٨).

انظر مادة «الترمذي» في ٩ / ٣٠٨، ٣٠٩، وسادة الترمذي (أبو عيسى) في ٩ / ٢٠٩ - ٣١٢.

«الحكيم جل جلاله»

الاسم السابع والأربعون من أسماء الله الحسنى (انظر هذه لقائمة في ٤ / ٤٧١ - ٤٨١).

وقد ورد اسم «الحكيم جل جلاله» في القرآن الكريم ثمان

مواضع العظمي مؤلف كتاب «مفاتيح الغيب» في خمسة عشر مجلدا فخر الدين الرازي، يقول: «إن «الحكيم» مشتق من كلمة «الحكمة» وينتو إلى القصد والعلم أو التوابع. رجال التصوف كذلك يسمون الحكيم ويؤكدون أن الحكمة أعلى قدرا من المعرفة ويسمى الرجل المتعمق في العلوم حكيما، والمعرفة لا تحصل إلا بعد الكد المتديد والحمران من ملذات الدنيا» وكما يقول الدكتور عثمان بن يحيى إن الترمذي لقب بـ «الحكيم» لأنه بلغ في التصوف كافة تفاصيل ميزات الانسان وطبيعته، (المقدمة، الصفحة: ٤).

وعلاوة على الإسم الترمذي نال لقب «الحكيم» عدد من علماء ما وراء النهر، نذكر منهم: محمد بن غفر الجبكي البرك، عبد القاسم بن محمد الحكيم السمرقندي وغيرهما:

لقب الترمذي بألقاب أخرى، مثل: المحدث، الحافظ، الزاهد، الإسم، وجاء ذكر ذلك في كتابه: «بيان الكسب» الذي يتعرض فيه إلى مواضع المهن والحرف و «كتاب الفرق» - عن الناس البسطاء و «كتاب علم الأولياء» و «كتاب آداب النفس».

وكان الحكيم الترمذي يلقب أيضا بـ «المؤذن» ويؤكد ما جاء في كتابه «نادر الأصول» في أخبار الرسول «الذي تحفظ مخطوطته في مكتبة الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان».

ويختتم الشيخ عبد الغنى عبيد الله بحته بقوله عن ضريح الإمام الحكيم الترمذي ومدينة ترمذ:

يقع مرقد الإمام الجليل في مدينة ترمذ القديمة، وعلى شفة نهر آمودريا، حيث جرت أعمال تجديدية تحت إشراف الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان.

في الوقت الحاضر (عام ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م) أعلنت مدينة ترمذ مدينة مفتوحة (حتى الآن كانت المدينة مصنوعة المدخول لوقوعها على الحدود) وغدا بإمكان كل زائر القيام بزيارة ضريح هذا العالم المعرفي «الحكيم الترمذي» - الشيخ عبد الغنى عبيد الله / ١٣).

وقد جاء في مجلة «المسلمون» في الشرق السوفياتي (العدد ٢) عن ضريح الحكيم الترمذي ما يأتي:

أشتهر نهر آسيا الوسطى العظيم «أمودريا» في التقديم باسم «الجبيون» أي الهائج والغتف. لعله سمي بهذا الاسم لجموحه وتغير مجراه على الدوام مدرسا كل ما يلقاه في الطريق. ويظهر أن المعماريين لأظهروا هذه العادة للنهر حينما بنوا على شاطئه قرب مدينة ترمذ ضريحا لأبي عبد الله محمد الترمذي الشهير بالحكيم الترمذي.

« ما قل وكفى غير مماكش وألهمي » (رواه أبو يعلى في مسنده، والشفاء، كلاهما عن أبي سعيد قال السيوطي: حديث صحيح).
 « من أصبح مغلي في يده، أمنا في سربه، عنده قوت يومه - فكأنما خبزت له الدنيا بحلأينها » (رواه البخاري في الأدب، والترمذي، وابن ماجه، كلهم عن عبد الله بن محسن، قال السيوطي: حديث حسن).

« كن ورعاً تكن أعياد الناس » (ثمامة: . . . وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمناً، وأحسن معارضة من حاورك تكن مسلماً، وأقل الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب » أخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة، قال السيوطي: حديث ضعيف).

« البلاء موكل بالمعنى » (رواه الخطيب في التاريخ عن ابن مسعود، وابن السمان في تاريخه عن علي، والقضاعي عن حنيفة: وهناك رواية بالفتح: « البلاء موكل بالقول » لابن أبي الدنيا في ذم النية عن الحسن مرسلًا، والبيهقي في شعب الإيمان عن الحسن عن أنس وأخرى عن أبي الدرداء، والمخطيب في التاريخ عن أبي الدرداء أيضًا).

« من حسن إسلام امرئه تركه ما لا يحبه » (رواه الترمذي وقال: غريب، وابن ماجه، من حديث أبي هريرة).
 « السعد من وعظ بغيره » (أخرجه الديلمي).

« الصمت حكمة وقيل فاعله » (رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر بسند ضعيف، والبيهقي في الشعب من حديث أنس بالفتح: « حكم » بدل « حكمة »، وقال: غلط فيه عثمان بن سعد، والصحيح رواية ثابت قال: والصحيح عن أنس أن لقمان قاله، ورواه كذلك هو وابن حبان في كتاب روضة العقلاء بسند صحيح إلى أنس . . .).

« القناعة مال لا يفتد » (أخرجه القضاعي عن أنس، قال السيوطي: حديث ضعيف).

« الصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله » (أخرجه الخطيب في التاريخ، وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي في شعب الإيمان، كلهم عن ابن مسعود، قال العراقي: بسند حسن . . .).
 فهذه الكلمات وأمثالها تسمى حكمة، وصاحبها يسمى حكيماً (المقصد الأسنى / ١٠٧، ١٠٨).

أما الإمام القمخر الرازي فيفسر اسم « الحكيم » على النحو التالي:

قال تعالى: ﴿ العزيز الحكيم ﴾ [البقرة: ١٢٩] وقال: ﴿ وإن تغفر لهم ذللك أنت العزيز الحكيم ﴾ [المائدة: ١١٨]. وقد ذكرنا اشتقاق لفظ الحكمة في تفسير الحكيم، فنقول، في الحكيم وجوه.

وثلاثين مرة: في البقرة مرتين، وآل عمران أربع مرات. وفي المائدة مرة، وفي الأنعام مرتين، وفي يوسف مرتين، وفي إبراهيم مرة، وفي التول مرتين، وفي النمل مرة، وفي العنكبوت مرتين، وفي الروم مرة، وفي لقمان مرة، وفي صبا مرتين، وفي فاطر مرة، وفي الزمر مرة، وفي غافر مرة، وفي الشورى مرة، وفي الزخرف مرة، وفي الجاثية مرتين، وفي الذاريات مرة، وفي الحديد مرة، وفي الحشر مرتين، وفي الممتحنة مرة وفي الصفاء مرة، وفي الجمعة مرتين، وفي التين مرتين، وفي التحريم مرة، وفي الحاقة مرة.
 ويفسر حجة الإسلام الغزالي اسم « الحكيم » فيقول: الحكيم: ذو الحكمة.

والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم والله هو الحكيم الحق؛ لأنه يعلم أجل الأشياء بأجل العلوم؛ إذ أجل العلوم هو العلم الأتلي الدائم السلي لا يتصور زواله، المطابق للمعلوم مطابقة لا تتطرق إليها غفاه وشبهة. ولا يتصف بذلك إلا علم الله تعالى. وقد يقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويحكمها ويتقن صنعتها: حكيم. وكما ذلك أيضاً ليس إلا الله تعالى. فهو الحكيم الحق.

تنبيه: من عرف جميع الأشياء، ولم يعرف الله تعالى، لم يستحق أن يسمى حكيماً، لأنه لا يعرف أجل الأشياء وأفضلها. والحكمة أجل العلوم، وجلالة العلم بقدر جلالة المعلوم، ولا أجل من الله.

ومن عرف الله فهو حكيم، وإن كان ضعيف الفطنة في سائر العلوم الرسمية، كليل اللسان، قاصر البيان فيها.
 إلا أن نسبة حكمة العبد إلى حكمة الله تعالى كنسبة معرفته به إلى معرفة الله بذاته، وشتان بين المعرفتين، فشتان بين الحكمتين. ولكنه بعد معرفته، فهو أنقى المعارف، وأكثرها خيراً. ومن أوتي الحكمة، فقد أوتي خيراً كثيراً.

نعم من عرف الله كان كلامه مخالفاً لكلام غيره؛ فإنه قلما يتعرض للجذليات، بل يكون كلامه كلياً، ولا يتعرض لمصالح العاجلة، بل يتعرض لما ينفع في العاقبة. ولما كان ذلك أظهر عند الناس من أحوال الحكيم، ربما أطلق الناس اسم الحكمة على مثل الكلمات الكلية، ويقال للناطق بها: حكيم.

وقل مثل قول سيد الأنبياء صلوات الله عليهم:

« رأس الحكمة مخافة الله » (أخرجه الحكيم وابن لال عن ابن مسعود. وقال السيوطي: حديث صحيح).

« الحكيم من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الأمان » (رواه عن شداد بن أوس: أحمد في مسنده، والترمذي، وابن ماجه، والحاكم في مستدرکه: قال السيوطي: حديث صحيح).

يكون في مادة معينة، والعلم الباحث عن هذا القسم من الموجودات مسمى بالعلم الطبيعي، وإما أن لا يجب أن يكون في مادة معينة، بل كان يجب أن يكون في مادة ما، فالعلم الباحث عن هذا القسم من الموجودات يسمى بالعلم الرياضي.

وأما القسم الثاني: وهو الذي يجب أن لا يكون في المادة أصلاً، فالعلم الباحث عن هذا القسم من الموجودات هو المسمى بالعلم الإلهي.

وأما القسم الثالث: وهو الذي قد يكون في مادة، وقد لا يكون، فالعلم الباحث عن هذا القسم هو المسمى بالعلم الكلي، وهو كالمعلم بالوحدة، والكثرة، والعلة، والمعلولية، والتسام والتقصان، فهذا مجموع أقسام الحكمة النظرية.

أما الحكمة: العملية فهي إما أن تكون بحثاً عن أحوال نفس الإنسان مع بدنه الخاص به، وهذا يسمى علم الأخلاق، أو عن أحوال نفسه مع أهل منزله وهذا يسمى علم تدبير المنزل، أو عن أحوال نفسه مع أهل العالم، وهذا يسمى علم السياسة، فهذا هو الإشارة إلى أقسام العلوم العملية، فمن عرف هذه الأقسام ثم عمل بقوانين العلوم العملية كان حكيماً مطلقاً.

أما المشايخ فقالوا: الحكيم هو الذي يكون مهيأ في التدبير، ومهيأ في التدبير، وقيل: الحكيم الذي ليس له أغراض، ولا على فعله اعتراض.

(شرح أسماء الله الحسنى / ٢٧٩ - ٢٨٢).

ومما أورده الشيخ أحمد عبد الجواد:

(الحكيم جل جلاله: ومعناه أنه واسع العلم وعلمه أزهى بما كان ويكون، خبير بكل شيء. يدبر الأمور بأحسن تقدير، ولا راد لحكمه.

وقد وصف الله نفسه بأنه عزيز حكيم، وأنه واسع حكيم، وأنه حكيم عليم، وأنه حكيم خبير، وأنه تواب حكيم حميد، وأنه عليم حكيم.

فقال الله جل جلاله: ﴿إِنَّ اللَّهَ هَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٠٩].

وقال الله جل جلاله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٢٥].

وقال الله جل جلاله: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النساء: ٢٥].

وقال الله جل جلاله: ﴿إِنَّ رَيْكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ٨٧].

وقال الله جل جلاله: ﴿تَقَرَّرْ كِتَابَ أَحْكَمْتَ آيَاتِهِ ثُمَّ فَصَلْتَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١].

وقال الله جل جلاله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ١٠].

الأول: أنه فعيل بمعنى مفعول، كالمعنى مؤلم، ومعنى الإحكام في حق الله تعالى فيخلق الأشياء، هو إتقان التدبير فيها، وحسن التدبير لها، إذ ليس ذلك في كل الخليقة، ففيها ما لا يوصف بوقاة البنية الكثيفة والتملة وغيرها، إلا أن آثار التدبير فيها - وجهات الدلالات فيها على قدرة المانع وقدرته، وكذا هذا في قوله تعالى ﴿فَلْيَدْرِكُوا بِمَنَّانٍ خَلَقَهُ﴾ [المجدة: ٧] ليس المراد منه الحسن الرائق في المنظر. فإن ذلك مفقود في القرد والخنزير، وإنما المراد منه حسن التدبير في وضع كل شيء موضعه بحسب المصلحة، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدْ رُقِعَ لَكُمْ فِي الْفُرْقَانِ﴾ [٢].

والثاني: أن الحكمة عبارة عن معرفة أفضل المعلومات بأفضل العلوم، فالحكيم بمعنى العليم.

الثالث: الحكمة عبارة عن كونه مقدماً عن فعل ما لا ينبغي، قال تعالى: ﴿الْحَكِيمُ أَمَّا خَلْقُكُمْ هَيَّا﴾ [المؤمنون: ١١٥] ويقال: ﴿هَيَّا خَلْقُكَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بِإِسْطِطْلَا﴾ [ص: ٢٧].

قالت المعتزلة: إذا كان كل القابض والمنكبرات لإيجاده وإرادته، فأين الحكمة؟

قلنا: الباطل هو التصرف في ملك الغير، فمن تصرف في ملك نفسه فأى فعله كان حكمة وصواباً.

أما حظ العبد: فقالوا: الحكمة عبارة عن معرفة الحق لذاته، والخير لأجل العمل به، والعبد وإن كان قليل الخطة من العلوم ومن القدر، فذلك العلة إنما تظهر بآلية إلى علم الله، وقدرته وبالنسبة إلى علم الملائكة وقدرتهم، إلا أن الذي حصل منه البشر فهو عظيم الخطر، الذي يدل عليه أن الله عظمه، فقال: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٠] وطلب إبراهيم عليه السلام ذلك، فقال: ﴿وَبِإِيَّاهِ الْحِكْمَةُ﴾ [الشعراء: ٨٣] ومدح داود عليه السلام به، فقال: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَلَ الْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٠] قالت الحكماء: الحكمة هو العلم.

والعلم إما أن يكون علماً بما لا يكون وجوده باختياراً وفعلنا، وهو الحكمة النظرية، أو بما يكون وجوده باختياراً وفعلنا، وهو الحكمة العملية، أما الحكمة النظرية فهي إما أن تكون وسيلة أو مقصودة بالذات، أما الوسيلة فهي علم المنطق، وحاصله يرجع إلى إعداد الآلات التي بها يتمكن الإنسان من اقتناص التصورات، والتصديقات المحتملة على وجه لا يقع في الخط إلا نادراً.

وأما المقصود فاعلم: أن الأشياء على ثلاثة أقسام: إما أن يجب كونها في مادة، أو يجب أن لا تكون في مادة، أو يجوز كلا الأمرين فيه، أما الذي يجب أن يكون في مادة، فلما أن يجب أن

وقال الله جل جلاله : ﴿ تنزيل من حكيم حميد ﴾ [فصلت : ٤٢].

وقال الله جل جلاله : ﴿ وإنه عليّ حكيم ﴾ [الشورى : ٥١].

كما وصف الله سبحانه القرآن بالحكيم لما فيه من الآيات والذكر الحكيم : فقال الله جل جلاله : ﴿ يس والقرآن الحكيم ﴾ [يس : ١ ، ٢].

وأرسل الله رسوله سيدنا محمداً ﷺ لينزل على المؤمنين آيات ربههم ويذكهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وأمره بأن يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة .

فقال الله جل جلاله : ﴿ لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴾ [آل عمران : ١٦٤].

وقال الله جل جلاله : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ [النحل : ١٢٥].

فإذا تدبر العبد هذه الآيات علم أن الحكمة هبة من الله تعالى يختص بها من يخاف مقام ربه . فإذا صمت فكر ، وإذا نطق قال غيراً وصواباً . ولقد أصطفى الله من عباده من أتاه الحكمة .

فقال الله جل جلاله : ﴿ يوتي الحكمة من يشاء ، ومن يوت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ﴾ [البقرة : ٢٦٩].

وقد ذكر الله عبده داود عليه السلام كما ذكر عبده لقمان بأن آتاهما الحكمة .

فقال الله جل جلاله أيضاً : ﴿ وشهدنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب ﴾ [ص : ٢٠]. وقال الله جل جلاله أيضاً : ﴿ ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكره ﴾ [لقمان : ١٢].

وقال رسول الله ﷺ : « رأس الحكمة مخالفة الله » (رواه الحكيم وابن بلال عن ابن مسعود رضي الله عنه) .

وقال رسول الله ﷺ : « الصمت حكم وقيل فاعله » (رواه القضاة عن أنس رضي الله عنه) .

وقال رسول الله ﷺ « الصمت سيد الأخلاق ومن مزح استخف به » (رواه الديلمي عن مسند الفردوس عن أنس رضي الله عنه) .

وحفظ العبد من اسم ربه « الحكيم جل جلاله » أن يتخلق بخوف الله ليزداد علماً وخيرة من الكتاب الحكيم وهدى رسوله ﷺ . وصرف الله عنه ما يشغله من الدواهي .

وقالوا : من أكثر من ذكر الحكيم تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وفهم أسرار المعاني ولطائف الإشارات ، ومن يوت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ، والله أعلم .

(وله الأسماء الحسنى فادعوا بها - جمع وترتيب أحمد عبد الجواد .
قرأه فضيلة شيخ الأثر عبد العظيم محمود ، وشعبان على خليل عبد الرحمن ، ومحمد المهدي محمود على — ١٢٧ - ١٢٩ ، والمقصود الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى لأبي حامد الغزالي - دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشت / ١٠٧ ، ١٠٨ ، وشرح أسماء الله الحسنى ، وهو الكتاب المسمى « لواعج اللينات شرح أسماء الله تعالى والمفاتح » لشيخ الإسلام نضر الدين الرزوي - راجعه وقدم له وعلق عليه الأستاذ طه عبد الرؤوف سعد / ٢٧٩ - ٢٨٢) .

• الفصل :

انظر الحل والمقد

• حل الأسرار الأخيار على إعراب إظهار الأسرار :

op.2180

من مصنفات التراث الإسلامي في علم النحو .

أحد المخطوطات المحفوظة في المكتبة الشعبية بصوفية بلخاري و جاء بيانه كما يلي :

كلما كتب عنوانه وفي (هدية العارفين) « حل أسرار الأخيار في معرب الأظهار » ولم يذكره صاحب الكشف أو صاحب الإيضاح .

تأليف : حسين بن أحمد البروسوي الرمي الشهير بزني زاده المتوفي سنة ١١٦٨ هـ ١٧٥٥ م .

يلو من خطبة الكتاب أن المؤلف كان وضع كتاباً في إعراب إظهار الأسرار في النحو ليريكي ، ثم جعل كتابه هذا شرحاً له .

أوله بعد البسملة : « الحمد لله الذي رفع رءاه الجوهل عنا يانزال قرآن عربي بين الهدي علينا . . . » .

آخره : « ... يوم لا ينفع مال ولا بنون » (إلا من أتى الله بقلب سليم) [الشعراء : ٨٨ ، ٨٩] وصلى الله على سيدنا محمد الذي أرسل رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه أجمعين . قد تم هذا للكتاب صاحب ومالك إبراهيم بن عمر (كذا) سنة ١١٩٢ هـ .

النسخة تامة بحالة حسنة خطها نسخ معتاد .

(١٨٧) ق (٢١ × ١٥ سم) مسطرتها : (٢١ م) .

بروكلمان : ٤٤١ / ٢ . خيل بروكلمان : ٦٥٦ / ٢ . هدية العارفين : ٣٢٦ / ١ .

op.407

نسخة منه

تامة بحالة عادية خطها فارسي ، ولم يذكر اسم النسخ أو تاريخ النسخ .

(١٤٥) ق (٢١ × ١٣ سم) مسطرتها : (٢١ م) .

(مخطوطات الحساب والهندسة والجيور في مكتبة المتحف العراقي -
أسامة ناصر القشندلي ونظام محمد عباس / ٥٥ ، ٥٦) .

● حمل الخلاصة لأهل الرئاسة :

من مصنفات التراث الإسلامي في علم الحساب .
مخطوط بمكتبة المتحف العراقي .

الرقم ٨٥٥٨

لرمضان بن أبي هريرة الجزري القادري الذي كان حيا سنة
١٠٩٢ هـ / ١٦٨١ م .

الأول (أحمدك يا من أعداد نعمه لا تحصى وأشكرك يا من
آحاد قسمه لا تستقي حمدا يتضاعف به ضروب الألاك ...) .

وهو شرح وتعليق على خلاصة الحساب للمعلم زينة الشارح
على ترتيب الأصل في مقدمة وعشرة أبواب ذكر صاحب كشف
الظنون ومجمع المؤلفين أن المؤلف فرغ من تأليفها سنة ١٠٩٢ هـ /
١٦٨١ م .

نسخة جيدة عليها تعليقات وحواش ورسوم كتب النسخة
بالمعدن الأسود والأحمر سنة ١٢٢٦ هـ / ١٨١١ م .

١٦٠ ص ١٥ × ٢١ سم ٢٥ ص

مجمع المؤلفين ٤ — ١٧٣ ذ . كشف ١ / ٤١٦

نسخة أخرى :

الرقم ١٠٥٣٤

جيدة الخط في أولها فهرس ورد عنوان الكتاب فيها باسم وأعلى
الخلاصة لأهل الرئاسة ٩ ، وذكر في هذه النسخة أن المؤلف فرغ من
تأليفها سنة ١٠٧٧ هـ / ١٦٦٦ م ، كتبها سعد الدين النائب في
مدينة الموصل سنة ١٢٥٠ هـ / ١٨٣٤ م .

٢٦٨ ص ١٦ × ٢١ سم ١٦ ص

نسخة أخرى :

الرقم ٧٨١٤

نسخة جيدة كتب النص الأصلي بالمعدن الأحمر والشرح
بالمعدن الأسود ورد عنوان الكتاب في هذه النسخة « بأعلى الخلاصة
لأهل الرئاسة » وذكر في آخرها أن المؤلف فرغ من تأليفها سنة
١٠٧٦ هـ / ١٦٦٥ م .

عليها مقابلة كتبها عبد القادر سوريزه سنة ١٢٦٧ هـ /
١٨٥٠ م .

١٤٤ ص ١٧ × ٢١ سم ١٨ ص

نسخة أخرى :

الرقم ٣٠٦٥١

op.2118

نسخة أخرى

تامة متأخرة تمت كتابتها سنة ١٢٢١ هـ خطها نسخ معتاد ولم
يلزم اسم الناسخ .

(٩٣) في القطع الصغير مسطرتها (٢٣ س) .

(فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في المكتبة الشيعية بصوفية
في بلغاوي - روضه د . عثمان دوريش ١٠٨ / ٢ ، ١٠٩) .

● حمل ألفاظ نخبة التفاحة في علم المساحة :

من مصنفات التراث الإسلامي في علم المساحة
مخطوط في مكتبة المتحف العراقي

الرقم ١٠٤٩٢ / ٢

لأبي الرضا عبد الطيف بن أحمد بن محمد بن علي الدمشقي
المصري الشافعي المعروف بالكني المشوي سنة ١١٦٢ هـ /
١٧٤٩ م . (عالم رياضي توفي بمكة المكرمة من تأليفه المنهج
الأقرب لتصحيح موضع المغرب في الحساب والهيئة . منظومة في
حل الأعداد وشرحها) .

الأول (حمدا لمن علم الأشياء كيفا وكما وصورها في أشكال
عديدة . . . وبعد فقد سألني من لا تسعني مداغة كلامه أن أحل
ألفاظ نخبة التفاحة التي نظمتها في المساحة فأجبه لحل أشكالها
مصورا لأشكالها وأشكالها . . .) وهو شرح لمنظومة المؤلف في علم
المساحة (كلامها نفس المؤلف) والتي رتبها على مقدمة وثلاثة
فصول وخاتمة :

المقدمة : في تعريف المساحة والاصطلاحات .

الفصل الأول : في مساحة الأسطحة المستقيمة .

الفصل الثاني : في مساحة غير المستقيمة .

الفصل الثالث : في مساحة الأجسام .

نسخة جيدة كتب بالمعدن الأسود والأحمر ذكر الناسخ في
صفحة العنوان أن المؤلف فرغ من الشرح سنة ١١٧١ هـ / ١٧٥٨ م
معتمدا على ما جاء في آخر المخطوط حيث ذكر ما نصه (وكان
الفرغ من تبنيصه يوم الثلاث المبارك من شهر ذي القعدة سنة
١١٧١ من الهجرة . . .) ويعتقد أن هذا التاريخ هو تاريخ للنسخة
التي استنسخت عنها هذه النسخة وليس تاريخ الفرغ من الشرح
لأن المؤلف توفي قبل هذا التاريخ ! .

كتب هذه النسخة أحمد بن السيد إبراهيم زكية ١٢٧٨ هـ /
١٨٦١ م .

٤٥ ص ١٧ × ٢٢ سم ٢١ ص

مجمع المؤلفين ٨ / ١ هدية العارفين ٦١٨

جيدة الخط كتبها على بن طه الكليمراني سنة ١٢٠٣ هـ / ١٧٨٨ م .

١٥٢ ص ٢١ × ١٥ سم ٢١ ص
(مخطوطات الحساب والهندسة والجبر في مكتبة المتحف العراقي -
أسامة ناصر النشيدني ووليام محمد عباس / ٥٣ ، ٥٤) .

« حل الرموز في وقف حمزة وهشام على الهزم :
للشيخ برهان الدين إبراهيم بن موسى الكركي المقرئ المتوفى
سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة (كشف / ١ / ٦٨٦) .

« حل الرموز وفتح ألقاب الكنوز :
لأبي القاسم أحمد بن محمد العراقي وهو رسالة في ألقاب
الأوائل الذين لفظوا بها علومهم وأسرارهم في كنوزهم
(كشف الظنون / ١ / ٦٨٦) .

« حل الرموز وكشف الكنوز :
في التصوف للشيخ عبد السلام بن محمد بن غانم المقدسي
الشافعي المتوفى سنة ٩٧٨ ، وهو مختصر أوله : ... الحمد لله
الذي فتح ... الخ
(كشف الظنون / ١ / ٦٨٦) .

« حل الرموز ومفاتيح الكنوز :
من مخطوطات التصوف بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو
بمكتبة الأسد) وجاء بيانه كما يلي :
الرقم : ٧٥٤١

... كتاب في التصوف غنمه الكثير من الفصول ، منها في
السماع والشطح وعن الحلاج وغيره .
المؤلف : عز الدين عبد السلام بن أحمد بن غانم المقدسي
المتوفى سنة ٦٧٨ هـ / ١٢٧٩ م .

أوله : الحمد لله الذي فتح بفتح مفاتيح الغيوب آفاق القلوب ،
ورفع حجب السرائر ، وبلا إظهار البصائر ، فظهر ما هو محجوب ،
وجلا عرائس الوجود في مرآة الشهود . . .
آخره قصيدة مطلعها :

ذهب السرج والوجال دون مجالهم
تسوم من الأويشاش والأثقال
آخرها :

لا ينظرون إلى سوى محبوبهم
شغلا به من سائر الأحوال
واخيصة الأمال إن أعيتني
من سائرهم واخيصة الأمال

النسخة نسخ متعاد ، الجبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر .
ملاحظات : نسخة مراجعة وقديمة .

وتوجد نسخ أخرى أرقامها هي على التوالي : ٥٢٥٣ ،
٧٨٤٥ ، ٩٦٥٣ (اسم النسخ : محمد بن محمد بن عمر
العمرى ، تاريخ النسخ : الخميس ١٥ صفر سنة ٨٦٣ هـ) ،
١٣٤٢ (نسخة مراجعة من وقف الوزير سليمان باشا العظيم
محافظ الشام تاريخه ١١٥٠ هـ) ٨٨٤٦ (اسم النسخ :
المجموع بخط حسين درويش بن أحمد المعراوي ، تاريخ النسخ :
ربيع الثاني سنة ١٢٦٧ هـ) ، ٣٩٣٩ ، ٥٩٠٠ (اسم النسخ :
محمد بن قمر الحنفي ، تاريخ النسخ : سنة ١٠٠٨ هـ .

ملاحظات : نسخة مراجعة بأخرها قصيدة للإمام الغزالي من
١٣ بيتا مطلعها :

قل لا إله إلا الله
فكبروني وراسوني حزننا

مصادر عن الكتاب : كشف الظنون / ١ / ٦٨٦ ، بروكلمان /
٤٥٠ بروكلمان الذيل / ١ / ٦٧٨ معجم المطبوعات / ١٦٥ ، إضاح
المكتون / ١ / ٤١٦ مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين / ٥
٢٢٣ ، شذرات الذهب / ٥ / ٣٦٢

طبعة الكتاب : ١ - بالمطبعة البوسنية بطنطا تحت اسم : زيد
خلاصة التصوف ونسب خطأ للزم بن عبد السلام السلمي بـ ٩٢
ص بلا تاريخ ٢ - وطبع بمطبعة جريدة الإسلام سنة ١٣١٧ هـ /
١٨٩٩ م بـ ٨٦ ص .

بعض نسخ الكتاب : الأوقاف ببغداد ٢٨٥
(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف - وضع محمد
رياض المالح / ١ / ٤٧١ - ٤٧٥) .

قالت المؤلفة : أدرجه صاحب كشف الظنون (١ / ٦٨٦)
تحت عنوان « حل الرموز وكشف الكنوز » . وفيه وفاته سنة ٩٧٨ ،
وتلك في إضاح المكتون (١ / ٤١٦) . وقد أدرج الزركلي (٣ /
٣٥٥) المؤلف تحت عنوان « ابن غانم » وفيه وفاته كما في بيان هنا
المخطوط سنة ٦٧٨ هـ .

حل الرموز ومفاتيح الكنوز :

للشيخ علاء الدين علي دده البسنوي الخلوتي النوري ، وهو
مختصر مشتمل على ثلثمائة وستين سؤالاً كل ثلاثين في موقع ،
فيكون اثنا عشر موقعاً على عدة الشهور . ألفه في حرم مكة المكرمة
شرفها الله سبحانه وتعالى سنة ١٠٠١ إحدى وألف ، ويقال له
« أسئلة الحكم »

(كشف الظنون / ١ / ٦٨٦) .

• حل زريع ألخ بيك :

من مخطوطات الفلك والتنجيم في المتحف العراقي

الرقم ١٠٢٧٦ .

لم يعلم المؤلف .

ويتضمن جداول فلكية تبدأ بجداول حركة الشمس وجداول تعديل الكواكب وتسهيل تعديلها ولحل هذا الكتاب للمولى عبد العلى بن محمد البرجندى وضعه لحل زريع ألخ بيك محمد بن شاهريخ بن تيمور كوركاني المتوفى سنة ٨٥٣ هـ / ١٤٥٠ م والذي سمى بحل الزريع الجليلي السلطاني .

نسخة جيدة كتبت على ورق أصفر بالمعادين الأحمر والأسود ترقى للقرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي .

الزريعة ٧ / ٦٨ ، ١٣ / ٣٠٩ .

(فهرس مخطوطات الفلك والتنجيم في مكتبة المتحف العراقي - أسامة ناصر التقشبندي وغمياء محمد عباس - ٦٦) .

• حل شكوك الرازي على جالينوس :

(كلما ورد اسم للكتاب في طبقات الأطباء ، والذي على صفحة العنوان : البيان والتبيين في الاختصار لجالينوس على ما أخذ عليه في جميع كتبه) .

من مصنفات التراث الإسلامي في الطب .

من المخطوطات المصورة للمخطوطة بمعهد المخطوطات العربية ، وجاء بيانه كما يلي :

لأبي العلاء زهر بن عبد الملك بن محمد بن مروان بن زهر ، المتوفى سنة ٥٢٥ هـ . (طبقات الأطباء ٢ / ٦٤ - ٦٦) .

أوله : الحمد لله الذي أنقذ كل شيء خلقه ... ولما كانت صناعة الطب أجل الصناعات ، إذ موضوعها أجساد البشر ، كان اللازم على من خلق منها شيئا أن يبذل جهده في شرح ما استغلق ، واستبسط ما جهل ، وأرد شك عن شكه ...

وأخوه ناقص ، وآخر الموجود منه : الأبدان التي أنماها البحران قد استغنت عن الاستغراق ، إذ كانت الطبيعة قد فعلت ذلك ، وإنما تحتاج إلى ذلك الأبدان لكثرة الفعل الذي لا يؤمن أن ...

نسخة كتبت بقلم نسخي .

ورقة ٢٩ سطرا

[جامعة مشهد - كلية الإلهيات - بدون رقم]

(فهرست المخطوطات المصورة ، معهد المخطوطات العربية - ٣ العلوم ق ٢ الطب . الكتاب الثاني . القاهرة ١٣٩٨ هـ -

١٩٧٨ م / ٨٣ ، ٨٤) .

• حل شكوك كتاب أفلاطون في الأصول وشرح معانيه :

تأليف الحسن بن الحسن بن الهيثم المصري المتوفى سنة ٤٣٠ .

(بروكلمان ١ : ٤٦٩ وموتر رقم ٢٠٤) .

مخطوط بمعهد المخطوطات العربية .

أوله : الحمد لله وحده ... كل معنى تقصص حقيقته وتخفى بالبداهة خواصه ويشابه في بعض أحواله غيره ... إلخ .

وأخيره : وهذا حين يختم كتابنا هذا ونشكر الله تعالى على نعمه ...

أخرج المؤلف في هذا الكتاب كل ما يمكن أن يتعرض به في معاني كتاب أصول أفلاطون ، وحل كل واحد منها بالبرهان الذي لا شك فيه ، وكشف صحة المعنى ، وأضاف إلى الشكوك اختلاف الأوضاع التي تعرض للمعنى الواحد ، وأضاف الأشكال التي يمكن أن تعمل برجحها ...

نسخة بقلم معتاد من خطوط القرن السادس أو السابع في ١٨١ ورقة ومسطرها ٢٧ سطرا ١٥ × ٢٢ سم

(مكتبة جامعة استنبول ٨٠٠ - ق ٨٢٨)

(فهرس المخطوطات المصورة ، معهد المخطوطات العربية - ٣ العلوم ق ٣ الرياضيات - وضع فؤاد سيد . القاهرة ١٩٦٠ / ٤٢ ، ٤٣) .

• حل الطلمس وكشف السر المبهم :

جاء في إرشاح المكتوب (١ / ٤١٧) : حل الطلمس وكشف

السر المبهم .

من مخطوطات الكيمياء والصناعة والإكسير والسيما بدار الكتب الظاهريية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) (مجموع) رقمه ٩٦٤٩ .

تأليف :

الشيخ محمد الغمري المتوفى سنة : ٩٠٥ هـ / ١٥٠٠ م .

وجاء في كشف الظنون ومعجم المؤلفين : أحمد بن محمد الغمري .

مواضيع المخطوط :

يشتمل الكتاب على مقدمة وعدة أقسام وفصول منها :

الفصل الأول في أن أول الدخول إلى هذا الطريق هو معرفة

المفتاح المخصوص به لفتح أفعاله ...

الفصل الثاني في ذكر أسرار هذا السر الكريم والبحر العظيم

وما يختص عليه من المنافع والخواصات والمعاني والطلسم

والخوارق للمعادات ...

القسم الثاني في ذكر النبات وخواصه وهو العالم الثاني من العوالم الخمسة المتولدة عن عالم الطبيعة ...

القسم الثالث في ذكر الحيوان وهو العالم الثالث ...

القسم الرابع في ذكر الإنسان وهو العالم الرابع من المولدات الثلاثة والعوالم الخمسة وهو أعجب مما تقدم من العوالم ...

القسم الخامس في ذكر العالم العلوي وعالم الأملاك والأفلاك والخواص المتعلقة بالعالم الأكبر وعلم السموات وما يتضمنه من الحكم والتأثير من الروحانيات في الأرض وما المعدن والنبات لأن هذا العالم محتوي على ما تقدم كله وهذا النوع يسمى بعالم الأرواح ... ٤ .

فاتحة المخطوط :

الحمد لله الذي خلق الأرواح والأجساد وفترها بعد ذلك عند الموت لحكمة أراد . وادعها إلى يوم المعاد ... أما بعد فإنه لما رمتي أمواج الأقدار على ساحل بحر علم القلائد الأخير ولهمت ما أودأوا إليه بفضي الرموز والإشارات لا بصريح اللفظ والعبارة ... ووضعتني في هذه الرسالة الطيقة وسيتها برسالة حل التلمس وكشف السر المبهج ... لأنها صناعة تولد وين طلب ذبا وفصة من غير أصلها فكمن طلب أن يولد إنسانا من جمل ... لأنها تصبغ الأحجار والياقوت وفيه عمل السموات والثرينات والطلب والطلاسم وغير ذلك من المجابيات ... لهذا أسموه الحكماء بالزريق الغربي عند التزويج ...

خاتمة المخطوط :

... القسم الخامس في ذكر العالم العلوي وعالم الأملاك والأفلاك ...

... اعلم يا أخي أن للحكماء في هذا العلم أربعة أركان ... وهي لن يظهر الإكسير إلا في هذه الطريقة وهو تكليس الذهب والفضة ... وهو تكليس الجسد والحجر المكرم ... والركن الرابع الإلقاء وسماه بالرفق الأسماء في الرموز فلاجل هذا لم أحد يصل إلهم يصل أحدًا إلى هذا العلم لا من الكتب ولا من التجارب من دون المرشد الحكيم والواصل العاصل بها والحمد لله رب العالمين ... وكان تصنيف هذه الرسالة في سنة تسعة وأربعين وألف من الهجرة النبوية ... بقلم الفقير إليه تعالى محمد وجيه بن محمد شفيق السيوفي وذلك في ربيع الثاني من شهر سنة ثمانية وأربعين وألف من الهجرة الشريفة الطاهرة المنيفة .

أوصاف المخطوط والملاحظات عليه :

نسخة حسنة ، حديثة الكتابة والورق ، وهي ضمن مجموع يتألف من : ١٩٤ / ورقة : ٤٨ / منها لكتابنا هذا من ورقة : ١ - ٤٨ / أطرت بالبحر الأحمر . ويتضمن المجموع أيضًا كتاب كشف

السر المكتمل في ٩ ورقات ، وكتاب الرحمة الصغير لجابر في أربع ورقات ، وجمع مفيد في الخواص في خمس ورقات . وما تبقى من الأوراق فهو فارغ . ترك لها هامش بعرض : ٣ سم . ولها تغية منتظمة في آخر كل ورقة ، يستشهد المؤلف بصاحب الشذور والأسناد جابر ، والجلديكي ، وعلى شيلي الرومي ، وصاحب المكتسب ، والحكيم ، ويون البرهمي وغيرهم ... كتبت رؤوس الفقير والعبارة وبعض الكلمات الهامة بالبحر الأحمر . عدد أوراقها : ٤٨ : بقياس : ١٩ × ١٣ سم . وعدد الشذور : ٢٠ سطرًا . كتبت بخط نسخي وببحر أسود وقليل من الأحمر . جلدها كزترن مغلف بقماش أسود وتكمية من الجلد الأسود عليها زخارف مذهبة كتب عليها بماء الذهب اسم الكتاب واسم صاحبه محمد وجيه السيوفي .

اسم النسخ وتاريخ النسخ :

محمد وجيه بن محمد شفيق السيوفي : ٤ ربيع الثاني سنة ١٠٤٨ هـ .

وتوجد نسخة ثانية .

الرقم ٣٠٤ .

مواضيع المخطوط : نفس مواضيع النسخة رقم ٦٦٤٩ :

الطرق العديدة في صناعة المعادن والأحجار وما يستخرج منها من أدوية وعقاقير وطلاسم وبنج وأكاسير وسمومات وثرينات وغير ذلك من المجابيات التي مدحها الأولون وأطنب في وصفها المتأخرون ووصفوها في الكتب بالرموز والألفاظ والأحاجي والأشكال خوفا من الوصول إليها بخلاف سائر الطرق والسلام . فاتحة المخطوط :

تختلف قليلاً عن فاتحة النسخة رقم ٩٦٤٩ حيث يبدأ الكتاب بمقدمة بالبحر الأحمر : «هذا كتاب جليل في الإكسير المعظم والحجر المكرم تأليف الفضل الزاويين وأمثل الحادين الشيخ محمد الفمري المصري ألفه لخته كما هو المسموع» ١٠٣٩ . ثم تبدأ فاتحة المخطوط ببحر أسود : بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله خالق الأرواح والأجساد وفترها بعد ذلك عند الموت لحكمة أراد ورادها إليها في يوم المعاد ...

خاتمة المخطوط :

وتختلف عن النسخة رقم ٩٦٤٩ .

وبهذا التلمس الأعظم وصلت الحكماء إلى ما وصلت من العلوم والحكم والمعاني ... وقد تكلمنا على جميع الخواص التي وصلت إليها وجمعناها في عدد من الأيام وأشهر وأردناها في هذه الرسالة بالانتماء فليكن هذا آخر الكلام والحمد لله على الإنعام ... تمت الرسالة الإكسرية بقلم الفقير سمي الشيخ إسماعيل حفي

لعبد الله بن محمد حجازي بن عبد القادر بن محمد الحلبي الشهير بابن قضيبة البان المتوفى سنة ١٠٩٦ هـ / ١٦٨٥ م .
(ولد في حلب ، وولي نقابة أشرافها ، ثم ولي قضاء ديار بكر وعزل فأقام بالقسطنطينية ثم عاد إلى حلب ، ومن مؤلفاته : نظم الأشياء ، ذيل كتاب الريحانة وغيرهما . الأعلام ٤/ ١٢٩) .

الأول : (الحمد لله جالي ظلم الشدائد بأنوار الفرج ، ومؤنس القلوب المكتسبة من وحشة الضيق والحرج ... والصلاة والسلام على سيدنا محمد ...) .

وهو كتاب في الحكم والأمثال والأخبار ضمنه المؤلف قصائد ومقطوعات ثرية بليغة ، جميعها من قصائد مختلفة وزبها على أربعة أبواب وهي :

الباب الأول : فيسا ورد في الكتاب والسنة من ذكر الفرج والشدّة .

الباب الثاني : فيما جاء في ذلك من الأمثال والحكم .

الباب الثالث : فيما ورد من الأخبار والقصص .

الباب الرابع : فيما يناسب ذلك من الأشعار الرائعة .

نسخة جيدة ، ناقصة قليلاً من الآخر .

٩٦ ص . ٢٩ × ١٦ سم ٢٩ ص .

معجم المؤلفين ١/ ١١٥ ، هدية العارفين ١/ ٤٧٨ ، د / كشف ١/ ٤١٧ ، فهرس أوقاف بغداد ١٥/ ١٥٣ ، ششن ١/ ١٥٣ ، معجم ٢١٥ طبع .

(مخطوطات الأدب في المتحف العراقي - أسامة ناصر النعشيني وظمياء محمد عباس/ ١٥٢ ، ١٥٣) .

❖ **حول عقود الجمان في المعاني والبيان :**

من مخطوطات علم البلاغة في مكتبة المتحف العراقي الرقم ١٢٧٩ .

كلاهما [العقود وحلها] لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ - ١٥٥٥ فرغ منها سنة ٨٧٥ هـ ١٤٧٠ م

أوله : (الحمد لله المزه عن المماثلة) .

وهو شرح للقصيدة التي نظمها في تلخيص المفتاح وسماها عقود الجمان والتي مطلعها :

قسالك الفقير صابداً للرحمن

للمحمد لله على البيان

كتبه : محمد بن أحمد الحكيم سنة ١٢٩٩ هـ / ١٨٨١ م

القياس ص ٣٩٠ ١٦ × ٢٣ سم ١٩ ص

طبع معجم ١٠٨١ كشف ٢/ ١١٥٥ .

نزيل يرويه وذلك في أوائل صفر من السنة الثالثة بعد المائة والألف من الهجرة النبوية عليه ألف ألف تحية ، وهذه كتيب في أواخر ربيع الثاني من السنة التاسعة والثلاثين بعد ألف والمائتين سنة ١٢٣٩ في ٢٢ .

أوصاف المخطوط والملاحظات عليه :

نسخة جيدة ، كتيب بخط نسخي جميل جداً بالبحر الأسود ، وروايس الفجر بالبحر الأحمر ، ترك لها هامش بمرض ٣ سم . عليه حتى الصفحة ٣٠ كثير من التعليقات والشروح بخط يختلف عن خط النسخ ، عليها تملك باسم يوسف نحاس الشامي اشتراه من محروسة امطنبول سنة ١٢٣٥ ، لها تحفية متكلمة في آخر كل ورقة ، عدد أوراقها : ٩٣ بقياس : ١٧ × ١١ سم . وعدد السطور : ١٧ سطراً ، جلدها كرتون مغلف بجلد بني قديم عليه زخارف مذهبة وله لسان . يستشهد المؤلف بصاحب الشذور ، والطرفاني ، والأخير خالد ، والحكيم وغيرهم ... جاء في الصفحة الأولى وصفة لطيرة إلى الميرون وفي الصفحة الثانية وصفة عمل القطة الخارقة وفي الصفحة الثالثة : دهن وصف دليّة منقولة من كتاب مشري من موسى الأقصى وهو أن تقصد إلى دمشق الشام وتسال عن الصالحية ... جبل يقال له قيسن اصعد إلى رأسه تجد فيه قبة يقال لها قبة النصر إذا دخلت فيها ... ادخل وتخذ ما شئت من جميع المعادن واللحطب والفضة والذلولو والياقوت والماس والزمرد .

اسم النسخ وتاريخ النسخ :

هكذا جاء في آخر المخطوط :

«تمت الرسالة الإكسرية بقلم الفقير سمي السليح إسماعيل حقي نزيل يرويه وذلك في أوائل صفر من السنة الثالثة بعد المائة والألف من الهجرة النبوية عليه ألف ألف تحية ، وهذه كتيب في أواخر ربيع الثاني من السنة التاسعة والثلاثين بعد ألف والمائتين ، سنة ١٢٣٩ في ٢٣ .

المصادر عن المؤلف والكتاب :

إيضاح المكتون : ١/ ١٧

معجم المؤلفين : ٢/ ٤١٣

فهرس الخديوية : ٥/ ٣٣٥

تاريخ الأدب العربي : بريكلمان ٢/ ١٧٠ و للأليل ١/ ١٧٣ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . المعلم والفنون المختلفة عند العرب - وضع مصطفى سعيد الصباغ/ ٤٣٧ - ٤٤٣) .

❖ **حول المقال :**

من مخطوطات الأدب في المتحف العراقي

الرقم ٢/ ٢٩٨٧٣ .

وستين وستمائة في مفرصة الخليفة ببخط آخر يعود إلى العصر السلجوقي. بادرمان أصمغ الله شأن سكانها في الإدارين بفضلها وكرمه (٤٠).

مقياس المجلد: ١٧ × ٢٥,٥

مقياس الكتابة: ١٧ × ١٢

عدد الأوراق: ٢٢٤

عدد الأسطر: ٦

رقم في الخزنة: ٥٣٣٧

رقم المجلد: ٩٤٢

أما القسم الثاني الذي أدرج فيه المخطوط فهو التصوف والأخلاق الدينية، برقم تسلسلي ١٦ (ص ١٨٣، ١٨٤) وجاء بيانه كما يلي، مع ملاحظة أن اسم المؤلف هنا كتب «نصير الدين»:

نصير الدين الطوسي (٦٧٢ هـ / ١٢٧٤ م).

انظر معجم المؤلفين ٢٠٧/١١، بروكلمان ٥٠٨/٢، ٥١٢، وفيه ٩٢٤/٢، ٩٣٣، طبع حجر لكتناو ١٢٩٣ هـ. انظر معجم سركيس ١٢٥١.

بكتابة الورقة الأولى وإضافتها بعد ذلك أكمل الكتاب، الورقتان بعد (٢٦ ب) كتبها علي ورق جديد وأعطينا رقم (٢٧) ونصف الورقة الأولى مقطوع. وهذه الأوراق قضاء. في نهاية (٣٦ ب) هناك كاشفة فواحد. الورقة (٣٩) تبدأ بـ «عد الطائفة» وفيها قليل من النص. (٢٤ ب) مكتوبة بالعكس والمقارنة إلى الورقة التي قبلها فلا نقص فيها. ابتداء من الورقة (٣١٢) نهايات الأوراق ممزقة. الكتاب ناقص. الخط يعود إلى القرن السابع الهجري (الثالث عشر ميلادي) الكلمات مثل: «إشارة، تنبيه» وبعض الكلمات المهمة بالذهب.

هذا الكتاب شرح لكتاب ابن سينا «الإشارات».

أوله: بسم ... الحمد لله الذي وفقنا لانتفاع المقال بتحصيله ...

آخره: إشارة ولعله إلى هذا العهد لسمي عليه فواشيه ويزل هو عن سكه ... عليه لإسماعره عن مراره فإذا طلب عليه الرياضة لم مفره غاشيه ... حتى والسيكة والوقار واستقر ... الخوف وما يسبه ...

مقياس المجلد: ١٢ × ٢١

مقياس الكتابة: ٨,٥ × ٢ × ٨

عدد الأوراق: ٣١٥

عدد الأسطر: ٢٤

(المخطوطات المتوفرة في مكتبة المتحف المراني - لاسعة ناصر التفتنيدني / ١٢١، ١٢٢).

• حل المسألة الهندسية الموجودة في متن الشمسية للتفازي،

من مصنفات التراث الإسلامي في الرياضيات.

(جاء في هامش واقع الفهرس: كذا على النسخة، والصواب أن متن الشمسية لتجيم الدين الكاتين القزويني وعليه شرح لسعد الدين التفازاني).

أحد المخطوطات المصورة بمعهد المخطوطات العربية.

تأليف أحمد الرمضاني بن محسن الوزيري (الوزيري ٤).

أوله: الحمد لمقدم الزوايا والأقطار، ومخصص كل من الكواين بنوع من المقدار ... إلخ.

وأخره: هذا ما تيسر لنا من الكلام من توضيح هذا المقام، وإله أعلم بالصواب.

نسخة بقلم معتمد من مخطوط القرن الثاني عشر تقريباً في ٣ وقات. ١٦ × ٢٢ سم.

[بلدية الإسكندرية ٢٠١٨ ج- ف ٣٠٩]

(فهرس المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية ج- ٣ العلوم ٣ الرياضيات- وضع فؤاد سيد. القاهرة ١٩٦٠/٤٣).

• حل مشكلات كتاب الإشارات والتبهيئات:

قالت المؤلف: أدرج هذا المخطوط في فهرس المخطوطات العربية في مكتبة متحف «مولانا» في قزوين في قسمين. القسم الأول الفقه، برقم تسلسلي ٦ (ص: ١٢٨) وجاء بيانه كما يلي:

لناصر الدين الطوسي (٦٧٢ هـ / ١٢٧٤ م).

مطبع انظر معجم سركيس / ١٢٥١، ثم طبع في القاهرة ١٩٦٠ م بتحقيق الدكتور سليمان دنيا.

خط النسخ السلجوقي. على الكلمات مثل «إشارة، تنبيه، قوله «خطوط بالذهب» البداية ناقصة.

أوله: ... يقتضى إضاحه مما هو منى على مباتيه وقواعد ... آخره: بعد أن ينظر فيه يقين الرضا وتجنب طريق الحناد وإله ولى السداد والرشاد منه المبدأ والمعاد ...

وكان قد فرغ المصنف من تنميم هذا الشرح وتسويده في أواسط صفر لسنة أربع وأربعين وستمائة حاملاً له ومصلياً وداعياً مستغفراً وبهذه العبارة مكتوب في آخر نسخة المصنف اتفق الفراغ من كتابة هذا الكتاب بفرأغه على يدى ... أحمد بن محمد بن عمر الملقب بممر السمرقندى في أواسط جمادى الأولى لسنة إحدى

رقمه في الخزانة : ٤٦٣١ .

رقسم المجلد : ٥٨٨ .

(المخطوطات العربية في مكتبة متحف «مولانا» في قونيا - مركز الخدمات والإبحاث الثقافية في ١٢٨ / ٥ ، ١٨٣ ، ١٨٤) .

«حل المواضيع المتعلّقة من وثائق الرواية»

من مخطوطات الفقه المحفوظة في مكتبة متحف «مولانا» في قونيا وجاء بيانه كما يلي :

لعبد الله بن مسعود بن تاج الشريعة محمود بن صدر الشريعة جمال الدين عبيد الله المحبوبي المتوفى (٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م) .

انظر الكشف ٢ / ٢٠٢١ ، وراجع ترجمة المؤلف في «معجم المؤلفين» ١ / ٢٤٦ ، وتاج التراجم ٤٠ ، وأورده سركيس في معجمه ١٢٠٠ .

إن المؤلف قد ألّف كتابه هذا بناء على طلب من (الولد الأخر محمود) .

الكاتب ومكان الكتابة مجهولان . طبع هذا الكتاب في الهند سنة ١٩١٥ م .

أوله : بعد البسملة ، الحمد لله رب العالمين والصلاة على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين يقول العبد المتوسل إلى الله تعالى بأقرب الذريعة عبيد الله بن مسعود ابن تاج الشريعة ...

آخره : قلنا التحري يصادر إليه لنذبح الحرج وأسواق المسلمين لا يخلو عن المسروق والمنصوب والمحروم من ذلك يباح التنازل اعتماداً على الغالب والله سبحانه وتعالى أعلم .

تم الكتاب بإذن الملك الوهاب بتاريخ عشرين بعد الألف ... مقياس المجلد : ١٤٠ ، ٥ × ٢٠ ، ٥ .

مقياس الكتابة : ٩ × ١٥ ، ٥ .

عدد الأوراق : ٢٨٦ .

عدد الأسطر : ٢٣ .

رقمه في الخزانة : ١٣٤٤ .

رقسم المجلد : ١٥٣ .

(المخطوطات العربية في مكتبة متحف «مولانا» في قونيا ، مركز الخدمات والإبحاث الثقافية في ١٢٩ / ٥) .

«حل الموجز»

من مصنفات التراث الإسلامي في الطب .

من المخطوطات المصورة المحفوظة بقسم التراث العربي بالكويت وجاء بيانه كما يلي :

المؤلف : جمال الدين محمد بن محمد الإسرائي (ت ٧٧٩ هـ) .

أوله : الحمد لله رب العالمين والصلاة على أفضل أنبيائه محمد وآله أجمعين . وبعد فإن علم الطب علم شريف ، لشرف موضوعه ، ووثاقه دلالة وشدة الحاجة إليه ، وفي الاشتغال به من الثواب لأن رحمة الله تعالى على عباده والتوسل به على إزاحة نفوسهم عن الأسقام .

آخره : من شرح موجز القانون وقد وقع الشروع فيه والإنعام في أحوال ... كليلًا والقلب عليلًا والمرجو من الناظر فيه إصلاح ما وقع فيه من الخطأ أحيانًا والله يجازيه به روحًا وريحانًا إنه ولي النعم في الدارين .

سنة النسخ : ٨٥٢ هـ .

التبليغ : خالد بن محمد المولى .

عدد الأوراق : ٢١٦ ورقة .

المسطرة : ١٦ سطرًا .

المكتبة : جستر يتي - ٤٢٩١ .

ملاحظات : حل الموجز هو شرح على موجز القانون لابن النفيس الذي اختصر فيه القانون في الطب لابن سينا . قال مؤلف هذا : الكتاب : وسميته (حل الموجز) لأنه يحل ما فيه من المشكل . يوجد على النسخة تملك باسم علي بن محمد علي بن أبي المعالى الطيطبائي . طبع هذا الكتاب مع ملاحظات هامشية في دلهي سنة ١٨٧٠ م في مجلدين . وطبع في لكتاوا سنة ١٨٧٧ م (وهي إعادة طبع لطبعة دلهي) مع ملاحظات هامشية في ٤٩٤ صفحة - في ثلاثة مجلدات مع ترميم الصفحات .

انظر :

معجم المطبوعات العربية ٤٦٢ ، مجلة معهد المخطوطات ٥ / ٢٧٥ ، بروكلمان : الملحق الأول / ٨٢٥ (فهرس المخطوطات الطبية المصورة / ٧٧ ، ٧٨) .

كما يوجد مخطوطة في مكتبة المتحف العراقي ، وقد أدرج تحت عنوان «الموجز في الطب» وجاء بيانه كما يلي :

الرقم : ٣٢٤٩ .

لجمال الدين محمد بن محمد الإسرائي المتوفى سنة ٧٧١ هـ / ١٣٧٠ م ، وقيل ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م .

الأول : «الحمد لله رب العالمين والصلاة على أفضل أنبيائه محمد وآله أجمعين . وبعد فإن الطب علم شريف لشرف موضوعه ووثاقه دلالة وشدة الحاجة إليه ...» .

والموجز لابن النفيس على القانون في الطب لابن سينا المتوفى سنة ٤٢٨ هـ / ١٠٣٦ م .

قال الشيخ الأخرى في منظومته التي كتبها على سق
«تلخيص المفتاح» :

والعقد نظم الشعر لا بالاقباس

والحل نشر النظم ناعرف القياس
ولشعرطوا الشهرة في الكلام

والمنع أصل مذهب الإمام
(الجور المكنون/ ٧٣٥) .

وفي شرح عقود الجمان للحافظ السيوطي، وهو منظومة على
تلخيص المفتاح جاء ما يلي :

«ومنه عقد نظم نشر لا على

طريق الاقباس مما قصد خلاصا

العقد أن ينظم نشر ترتيبا أو حديثا أو مثلا أو غير ذلك لا على
طريق الاقباس بأن يقع تغير كثير ويشير إلى أنه من القرآن أو
الحديث وما أظن في جواز ذلك خلافا فلا زالت الأمانة عليه فمن
عقد القرآن قوله كما في الإيضاح :

أثنى بالسليدي استقرت خطبا

وأشهد مبشرا قد شاهدوه

فلن الله خلاق البراريما

عت لجبال هيمه السوجسوه

يسول إذا تدايتكم بملين

إلى أجل مسمى لاكتبسوه

قلت بهذا يعلم أن يشر أبي منصور السابقين عقد لا اقباس،

ومن قول ابن التيه في المللك الصالح :

ديماط طور ونار الحارب مؤنسة

وأنت موسى وهذا اليوم ميات

ساطرح صباك تلقف كل ما صنمو

ولا تنف ما حبال اللوم حيات

ومن عقد الحديث قول أبي الحسن طاهر بن معوذ الأشيلي

ومن نسيه للشافعي فقد غلط :

عمدة السدين عسنا كلمات

أربع قالهن خيسر البيريه

اتق الشبهات وازمعد ودع ما

ليس بعنيك واهمل بنيسيه

عقد حديث «إنما الأعمال بالنيات والحلال بين والحرام بين

وبينهما مشبهات» الحديث واهما الشيخان «وازهده في الدنيا

يجبك الله وازهد فيما في أيدي الناس يجبك الناس» رواه ابن

نسخة نفيسة كتبها عبد العلي بن محمد بن حسين البرجندى
في صفر سنة ٨٩٥ هـ / ١٤٨٩ م . عليها تملك مؤرخ سنة ١١٢٣
هـ / ١٧١١ م . في أولها فهرس وضعه عبد الرازق الهاشمي سنة
١٣٥٠ هـ / ١٩٣١ م . وفي الصفحة ٣٣١ من هذه النسخة رسم
تخطيطي للعين ولبقاتها وصمت بالمعاد الأحمر .

القياس ٥٨٣ ص ١٣×٢٢ سم ٢١ ص .

طبعت بالهند (ممجم) / ٤٦٢ ، ممجم المؤلفين / ١٩٢/١١ ،
كشف ٢/ ١٩٠٠ ، ١٣١١ ذيل بروكلمان ٢/ ٣٢٨ .

توجد نسخة أخرى جيدة مطورة الصفحات بملايين أحمر
وأخضر ناقصة قليلاً من الآخر . ترقى للقرن العاشر الهجري / القرن
السادس عشر الميلادي .

الرقم : ٥٨٥٨٣ .

القياس : ٤٤٠ ص ١٧×٢٨ سم ٢١ ص

كما توجد نسخة ثلاثة كتبت بخط الاستعلاقي في محرم سنة
١٢٥٠ هـ / ١٨٣٤ م . الرقم ١٠٩٩٧ .

ونسخة رابعة عليها حواشي كتبها عثمان جليلي زاده سنة ١٢٤٣
هـ / ١٨٢٧ م .

وترتيب الصفحات في هذه النسخة مرتبك . الرقم ١٩٥٢٨ .
وأخرى خامسة ناقصة الآخر جيدة الخط . الرقم ٣٢٩١٩ .

(مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة) / ٩٤ ، ٩٥ .

(فهرس المخطوطات الطبية المصورة بسم التراث العربي بالكويت -
تصنيف دة محمد الدوسري ، مراجعة د . سامي مكي الماني) / ٧٧ ، ٧٨ ،
ومخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة في مكتبة المتحف العراقي - أسامة
ناصر النشيدى / ٩٤ ، ٩٥ .

● الحل والعقد :

من أنواع البديع اللفظي . قال صاحب تلخيص المفتاح :

وأما العقد ، فهو أن ينظم تر لا على طريق الاقباس كقوله :

ما بال من أوله نطفة

وجنيته أعصره ينعصر

عقد قول على رضي الله عنه : وما لابن آدم والفخر ، وإنما أوله
نطفة وآخره جيفة .

وأما الحل ، فهو أن يشر نظم كقول بعض المغاربة : فإنه لما
قُبحت فسلاته ، وحُثلت نخلاته ، لم يزل سوء الظن يقتاده ،
ويعتدق توهمه الذي يعتاده ، حل قول أبي العلي :

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونيه

وصلى ما يعتاده من توهم

(تلخيص المفتاح / ٧١٤) .

العرشي ونحن العواد وكل يادوم على ذلك فليس بوداد . حل قول القائل :

إذا مـررنا أتيناكم نعوذكم
وتفـتـنـون فـتـنـيكم ونـعـنـسـن
(شرح عقود الجمان / ١٧٠ ، ١٧١) .

(تلخيص المفتاح لمحمد بن عبد الرحمن المزويني الخطيب المطبوع في كتاب مجموع مهمات المتن ط مصطفى البايي الحلبي / ٧١٤ ، والجوهر المكنون في الثلاثة فنون لميد الرحمن محمد الأخصري المطبوع في كتاب مجموع مهمات المتن / ٧٢٥ ، وشرح عقود الجمان للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي / ١٧٠ ، ١٧١ . انظر أيضا كشف اصطلاحات الفنون للهاثري / ١ / ٣٤٧) .

« الحلاليات (قصره) » :

يقع بقصر الحلاليات على مسافة ٢٥ كم شمال شرقي مدينة الزرقاء في الأردن ، إلى الشمال من الطريق المعبدة التي تصل تلك المدينة بواحة الأزرق . تشير الحضرية الأثرية التي أجريتها دائرة الآثار العامة ... إلى أن القصر كان قد شيد كحصن دفاعي في العصر الروماني واستمر استعماله لنس الغرض في العصر البيزنطي لكن في العصر الأموي - خلال النصف الأول من القرن الثامن - أعيد بناء القصر كلية وتم تزويده بـزخارف غنية ومتنوعة كالملاط المدحون (الفريسكو) ، الجص المحفور ، ومكعبات الفسيفساء الملونة التي رصفت بها معظم غرف القصر . إن وجود هذه الزخارف المتنوعة تعني بأن البناء لم يعد حصنا وأنه تحول في العصر الأموي إلى قصر يادخ للسكن وبالتالي يمكن إضافته إلى مجموعة ما يعرف بالقصور الأموية الصحراوية . كذلك رافقت عملية إعادة بناء القصر في العصر الأموي إضافة العديد من المنشآت والأبنية التي يمكن مشاهدتها ضمن محيط لا يزيد قطره عن كيلو مترا والتي منشر إليها في الفقرات التالية .

مسجد قصر الحلاليات



ماجه . فومن حسن إسلام المره تركه ما لا يعتنيه رواه الترمذي وقول شيخ الإسلام أبي الفضل بن حجر :

إن من يسرحهم أهل الأرض فقد
كان أن يسرحهم من في السما
فسارحهم الخلق جميعا إنما
يسرحهم السرحمن منا السرحما

وقوله : من خير ما يتخذ الإنسان في
ديناه كيمنا يستقرم دينه
قلبا فكمورا ولسانا ذاكرة
وزوجة صالحة تمنينه
عقد حديث فيأخذ أحلكم قلبا شاكرا ولسانا ذاكرة وزوجة
صالحة تمنينه على أمر الآخرة حسنة الترمذي . ومن عقد الأثر قول
أبي العتاهية :

صبا بال من أوله نظفته
وجيفته آخره ينحصر

عقد قول على رضي الله تعالى عنه وما لآين آدم والفخر إنما أوله
نظفة وآخره جيفة ، ومن عقد المثل والحكمة قول أبي الطيب :

يسرر من القلب نسيانكم
وتأسى الطباع على النسيان

عقد قول بعضهم روم نقل الطباع من ردى الأطماع شديد
الانتاع . وقول الآخر :

لم نمر أن الممره تـزرى يـمنه
ليقطعها حسنا ليسلم سائر

عقد قول حكيم وقد سئل لم قطعت أذاك وهو حقيقك .

قال : إني لأقطع المصو للنفس من جسدي إذا فد :

لروضه الحل وتلميح بأن

لقصة يثير أو شعور يمن

قلت كيمنا قدم ميمنا وتفتقد

وشبهه العنوان فافهم ما قصد

الحل ضد المقد فهو تدر النظم قال في الإيضاح وشرط كونه
مقولا أمرا : أن يكون سبكه مختارا لا يتقاع عن سبك أصله وأن
يكون حسن الموقع مستقرا في محله غير قلق كقول بعض المغاربة
فإنه لما قبحت فعلاته وحطت نخلاته لم يزل سوء الظن يقتاده
ويصدق توهمه الذي يتعاده حل قول أبي الطيب :

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه

وصدق ما يقصده من توهم

وقال آخر : العيادة سنة مأجورة ومكرمة مأثورة ، ومع هذا فحسن

بلقية سمكية من القنطرة بحيث تخفي ما تحتها من الكنائس،
يطلب على الاحتمال أن تكون القطع البازيلانية المنشوقة قد نقلت من
موقع قريب مثل أم الجبال أو خربة السمر الاستعمالها في بناء
القصر (من المسجد وضع مرسوم امبراطوري في حصار ناه
ومنزل مثل قصر الخلاصات).

كما ذكرنا سابقا توجد خارج القصر منشآت أخرى أهمها:
المسجد: يقع على مسافة ١٤ مترا إلى الجنوب الشرقي من
القصر وهو بناء مستطيل تبلغ مقاساته من الداخل ١١,٨٠ ×
١٠,٧٠ أمتار شيد بواسطة كتل من الحجارة الجيرية المشدبة التي
وضعت في مداميك منتظمة، وهو ينقسم إلى ثلاثة أروقة بواسطة
صفيين من العقود التي تجرى موازية لجدار القبلة في كل صف ثلاثة
عقد ترتكز على أكتاف لاحقة بالجدار الشرقي والغربي وعمودين
متوسطين لم يبق منهما سوى القواعد التي كانت تنصب فوقها.
وكان يغطي كل رواق من الأروقة الثلاثة قبر برميلي - أي أن طريقة
التصنيف هنا تشبه تلك التي نشاهدنا في قاعة الاستقبال في قصر
عمرة وحمام الصرح.

أما الدخول إلى المسجد فكان يتم عبر ثلاثة مدخلات الرئيسة
منها عرضها ٨,٨٠ مترا فتح في الجدار الشمالي مقابل حنية
المحراب. أما المدخلين الآخرين فقد تمعا في الجدران الشرقية
والغربية حيث يعلو الأخير منهما - أي المدخل الغربي - حنية ورفوها
عقد مفصص على جانب من الجانبيه وهو من أقدم النماذج
المعروفة لمثل هذا العقد الذي شاع فيما بعد في العمارة الإسلامية
في شمال إفريقيا وإسبانيا. وفي وسط الجدار الجنوبي محراب
مجدوف يبرز من سمت الجدار إلى الخارج. وكان يحيط بالمسجد
من الخارج - باستثناء جهة القبلة - سقفة ترتكز على أكتاف وضعت
في الزوايا وعلى أعمدة متوسطة. هذا وشاهد في الجزء العلوي من
الجدار الغربي فتحات مربعة صغيرة لولوج الموارض الخشبية التي
كانت تحمل السقف.

قالت المؤلفة: وصف المسجد أيضا كريزويل في كتابه
«الآثار الإسلامية الأولى» ص ١٤٩، ١٥٠ فافهم هناك أن شئت.
الخزائن المائية والبركة: هناك خمسة خزانات على الأقل
حفرت في المنحدر الغربي والشعالي لطلت إلى بني فوقها القصر
وغطيت لتخفيف نسبة تبخر المياه المخزونة خلال أشهر الصيف
الطويلة. وعلى مسافة ١٥٠ مترا تقريبا إلى الجنوب الغربي من
القصر تشاهد بركة مغلقة غير منتظمة الشكل تبلغ أقصى أبعادها
٨٢ مترا طولا و ٨٠ مترا عرضا. يبدو أن موقع البركة كان في الأصل
منخفضا طبيعيا أحيطت جوانبه بالجدران التي شيدت باستعمال
كتل مشدبة من الحجر الجيري متفاوتة الأحجام. هنا يجدر أن نوه
بأنه عشر في المونة الكليسية التي وضعت بين بعض المداميك

القصر عبارة عن بناء مربع طول ضلعه ٤٤ مترا أقيمت في زواياه
أبراج مربعة تبرز من سمك الجدران الجانبيه بمقدار ٥٠, ٧٠ مترا
وكانت ترتفع في الأصل ثلاث طبقات. أما في داخل القصر فتوجد
مجموعة من الغرف والقاعات التي يبتدئ حول مساحة مكشوفة حفر
فيها خزان لجمع مياه الأمطار السائلة من سطح الغرف الواقعة في
الجهة الشرقية، بينما يحتل الزاوية الشمالية الغربية بناء مربع صغير
طول ضلعه ١٦ مترا وتآلف بدوره من مساحة مكشوفة أقيمت حولها
مجموعة من الغرف وفي وسطها خزان آخر وفي إحدى هذه الغرف
الواقعة بمحاذاة الجدار الخارجي الشمالي والتي تم إزالة الأتافض
والطعم منها يوجد حوض مرتفع غطيت أرضيته وجوانبه بطيقة ملساء
من الحونة الكليسية يبدو أنه كان لمصير العنب. يلاحظ أن البناء
المربع الصغير الذي يحتل الزاوية الشمالية الغربية من القصر شديد
بواسطة كتل من الحجر الجيري مشدبة بشكل بسيط وأكبر حجما
من تلك المستعملة في بقية أجزاء القصر مما حدا ببعض الباحثين
إلى اعتباره أقدم أجزاء القصر وأنه كان قد شيد في بداية القرن الثاني
الميلادي كبرج للمراقبة بمحاذاة طريق ترابان التجاري الذي كان
يمتد من بصري الشام شمالا إلى الحقة جنوبا. ونظرا لأنه كان قد
عثر في داخل القصر على نقشين أحدهما لاتيني يشير إلى بناء
حصن جديد « وصورخ إلى سنة ٢١٢ - ٢١٣ م والأخر يوناني موزع
إلى سنة ٥٢٩ م فقد استنتج البعض أن النشأ اللاتيني إنما يشير
إلى بناء القصر وأبراجه المربعة المقامة في الزوايا بينما يشير النشأ
اليوناني إلى ترسيم القصر وإصلاحه. بمثابة أخرى حاول الباحثون
تمييز أربعة مراحل في بناء القصر كان آخرها في العصر الأموي حين
أعيد بناء القصر كاية. وفي هذه المرحلة الأخيرة استعملت حجارة
مشدبة بشكل بسيط وثالثة تكون من حجارة بازلتية مشدبة، وهذه
الأخيرة تظهر بشكل خاص في بناء المحاط الشمالي للقصر ثم في
الجدران التي تفصل بين الغرف والقاعات الداخلية وتلك المطلة
على الساحة المكشوفة من جهة الجنوب والجنوب الشرقي. هنا
تجدر الإشارة إلى أنه عثر في داخل القصر على ما يزيد عن مائة
وعشرين نقشا: ثلاثة منها بظلية وواحدة تعودية والباقي يونانية
نقشت على كتل حجرية من البازلت. والغالبية العظمى من هذه
النقوش اليونانية تشكل جزءا من مرسوم امبراطوري كان قد أصدره
الامبراطور البيزنطي إينستازيوس (٤٩١ - ٥١٨ م) يحتوي على
قرارتين وإجراءات لإعادة التنظيم الاقتصادي للولاية الحرة. ولكن
مما يجب الانتباه إليه هو أن هذه الكتل البازيلتية المنشوقة قد
استعملت كمواد جاهزة لبناء عندما أعيد بناء القصر في العصر
الأموي فنقلت من أماكنها الأصلية وضعت بين المداميك الحجرية
(أحيانا تظهر الكتابات وقد وضعت بشكل معكوس) ثم غطيت

ويعد الحلاج تارة في كبار المعتندين والزهاد، وتارة في زمره الملحدين. أصله من بيشاف فارس، ونشأ بواسطة بالعراق (أو بستر) وانتقل إلى البصرة، وحبس، ودخل بغداد وعاد إلى بستر. وتظهر أمره سنة ٢٩٩ هـ فأتى بعض الناس طريقتة في التوحيد والإيمان. ثم كان ينتقل في البلدان وينشر طريقتة سرا وكان يدعى الأكوهية فيه، وشاعت حوله الأساطير والمخاريق، حتى افتتن الناس فيه، واتهم بالكفر والخروج على الدين لقوله بالاستعاذه عن بعض الشعائر، وإمكان حلول «اللاهوت» في «الناسوت» أي الروح الناطقة بروح الزهاد المخلوقة. حاول التوفيق بين الدين والفلسفة اليونانية على أساس التجربة الصوفية. أمر بقتله المعتذر العباسي وصلبه بعد محاكمة وشرح مذهبه ففسى كتابه «الطواسين» (الاعلام ٢ / ٢٦٠، والموسوعة للعلانية / ٤٨٠، والفرق بين الترق / ١٩٩).

وقد قال عنه ابن النديم صاحب الفهرست: اختلف في بلدته ومنشأه فقليل إنه من خراسان من نيسابور، وقيل من مرو، وقيل من الطالقان، وقال بعض أصحابه إنه من الري، وقال آخرون من الجبال، وليس يصحح في أمره وأمر بلدته شيء. بته. قرأت بخط أبي الحسين: هيبه الله بن أحمد بن أبي طاهر الحسين بن منصور الحلاج وكان رجلاً محلاً مشعراً يتعاطى مذاهب الصوفية يتعلم القاطم ويدهي كل علم، وكان صغراً من ذلك، وكان يعرف بيتاً من صناعة الكيمياء، وكان جاهلاً مقدماً مدهوفاً جسوراً على السلاطين، مرتكباً للفظائم، يرمي انقلاب الدول، ويدعي عند أصحابه الإلهية، ويقول بالحلوق ... ويدعي أن الإلهية قد حلت فيه وأنه هو - تعالى الله - جل وتقدس عما يقول هؤلاء علواً كبيراً (الفهرست / ٢٦٩، ٢٧٠).

ويورد الإمام ابن الجوزي أمثلة من زندقة الحلاج وضلالته وأدعائه النبوة في أول الأمر ثم ادعائه الربوبية بعد ذلك. وقال من قتله: اتفق علماء العصر على إباحة دم الحلاج فأول من قال إنه حلال الدم أبو عمرو القاضى ووافقه العلماء، وإنما سكبت عنه أبو العباس بن شريع، قال: وقال لا أدري ما يقول، والإجماع دليل معصوم من الخطأ، ويستأذن من أبي حرية قال: قال رسول الله ﷺ: «أن الله أجاركم أن تجتمعوا على ضلالة» فكلمهم (تذ العليم والعلما / ١٦٥، ١٦٦).

وقد تتبع ابن تيمية الأفكار التي أثرت في الحلاج من معاصريه أو من قريبي العهد من عصره كابن بسكويه (٣٦٩ هـ) والحافظ البغدادي (٤٦٣ هـ). وأثبت باطنية الحلاج وأدعائه الباطنية مثل فتوى إيليس، وما جرى على لسانه من قوله: «أنا الحق» وماجم اعتلر الصوفية عن الحلاج، وكشف أن الحلاج حاول خداعهم بمثل قوله: «عليك بنفسك إن لم تنفصلها بالحق شغلناك

الحجرية على كسر فتاوية من العصر الأموي. إلى الشمال من البركة تمتد مجموعة من بيوت السكن المهددة إلى حد كبير والتي كانت مخصصة لإيواء العمال والمزارعين المستخدمين من قبل صاحب القصر.

الفناء الزراعي: على مسافة ٤٠٠ متر تقريبا إلى الغرب من القصر يوجد فناء زراعي غير منتظم الشكل أحيط بجدار مبني بكتل حجرية ضخمة - أي غير مشلية - وتبلغ أقصى أبعاده ٢٧٠ مترا طولا و ٢٢٠ مترا عرضا وهو يقسم نحو الشمال ليخضع شكلا قريبا من المثلث، يلاحظ أن الفناء الزراعي قد قسم إلى أحواض مستطيلة و أقيمت فيه على مسافات منتظمة وفي نقاط محددة بوابات للحكم بتصرف المياه وري الأحواض. وهذه البوابات تتألف بشكل عام من جدران يمتدان بزوايا مائلة تبلغ مقدارها حوالي ٤٥° وضعت عند نقطة التقاطع ككتلة حجرية مستطيلة تتخللها فتحة يمكن إغلاؤها وفتحها حسب الحاجة. وفي وسط الفناء أقيم سد يتألف من ثلاثين من الطعم الترابي تضيق المساحة المحصورة بينهما باتجاه الشمال، وبمحاذاة السد من جهة الشرق ترك حوض عميق نسبيا يملئه من الجنوب جدار سميك مبني بواسطة كتل حجرية مشلية. ومن الواضح أن كلا من السد والحوض كانا قد خصصا لتجميع المياه الزائدة عن رى الأحواض الواقعة في النصف الجنوبي من الفناء كذلك من الواضح أن مثل هذا الفناء الذي كلف الكثير من الجهد والمال لاستصلاحه وتجهيزه كان مخصصا لزراعة الأشجار المثمرة كالزيتون والعنب حيث عثر في إحدى غرف القصر - كما ذكرنا - على حوض لمصر العنب.

(القصر الصحراوية - رامي جورج خوري ترجمه إلى العربية د. غازي بيشه. الكتي تارون. عمان الأردن ١٩٨٨ / ٢٠ - ٢٣. انظر أيضا الآثار الإسلامية الأولى - ك. كرنوبل. نقله إلى العربية عبد الهادي جله. استخرج نصوصه وعرفه على أحمد حسن سبانو / ١٤٩، ١٥٠).

الحلاج (٢٠٩ هـ / ٩٢٢ م)

أدرجه الإمام عبد الرحمن السلمي في الطبقة الثالثة من الصوفية وأورد الكثير من كلامه وقال عنه: هو الحسين بن منصور الحلاج، أبو منيت، من كبار شايخ الصوفية. صاحب الجندية، وأبا الحسين التنويري، وعمره المكي، والقطوي، وضيرهم. والمشايع في أمره مختلفون. رده أكثر المشايخ ونفوه، وأبو أن يكون له قدم في التصوف ... وقيل من جعلهم أبو العباس بن عطاء، وأبو عبد الله محمد بن خفيف، وأبو القاسم إيراهاج من محمد التنصيراي، وأثنوا عليه، وصححو له حاله، وحكوا عنه كلامه، وجعلوه أحد المحققين، حتى قال محمد بن خفيف: «الحسين بن منصور عالم رباني».

قل يشهد بباب الطاق، يرم الثلاثاء لست بيقن من ثوى القعدة، سنة تسع وثلاثمائة (طبقات الصوفية / ٧٤).

ومنها ما كان محرماً لما يقتضيه بها . أو ما تؤدي إليه من باب سد الذرائع وشمل هذه الأخيرة ما جاء في قول الله تعالى في سورة الأنعام ﴿ ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم ﴾ [١٠٨] .

حيث وجه الله المؤمنين في هذه الآية إلى أن يتعاملوا مع غيرهم بأدب فلا يسبوا لأنهم مخافة أن يردوا بسب الله سبحانه .

فهو نهى وتحرير من باب سد الذرائع .

مبادئ الحلال والحرام

ولقد حدد الإسلام أمر الحلال والحرام وأقامه على مبادئ من صنع الله سبحانه . واستنبط علماء المسلمين من آيات الله في كتابه في هذا الشأن ما يلي من المبادئ :

١ - أن الأصل فيما خلق الله من أشياء ومنافع هو الحل والإباحة ، وأن الحرام لا يكون إلا بنص صحيح وصريح ، يدل لهذا ما جاء في سورة البقرة من قول الله تعالى ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ﴾ [٢٩] وفي سورة لقمان : ﴿ ألم تعلموا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأصبح عليكم نعمه ساطعاً وباطناً ﴾ [٢٠] وفي سورة الحجية : ﴿ وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه ﴾ [١٣]

وإن مقتضى تسخير الله للإنسان كل ما خلقه أنه أحله ، وأنه خلقه له وأنعم به عليه وما حرمه من هذه المخلوقات كان لحكمة وبأسر صريح وواضح ، فما لم يبحه نص محرم كان الحل والإباحة .

وفي بيان هذا جاء قول الرسول ﷺ من حديث أبي الدرداء الذي رواه الحاكم وصححه . « ما أحل الله في كتابه فهو حلال . وما حرم فهو حرام . وما سكت عنه فهو عفو . فاقبلوا من الله عاقبة فإن الله لم يكن ينسئ شيئاً » وتلا قول الله تعالى : ﴿ وما كان ربك نسياً ﴾ [حريم : ٦٤] .

وعنه لقاعدة : (أن الأصل الحل والإباحة) ليست مقصورة على الأشياء والأعيان فحسب ، بل تمتد لتشمل الأفعال والتصرفات مما يدخل تحت (العادات والمعاملات) .

أما العبادات فلها من أمر الدين المحض الذي لا يؤخذ إلا من طريق السعي فلا يبعد الله إلا بما شرع ، أما العادات والمعاملات فهي من صنع الناس ، والشارع يصحح ما يتصرف منها أو يهذبها ، ويقر الصالح منها .

٢ - إن التحليل والتحرير مخصص بالله وحده ذلك ما يشير إليه قول الله سبحانه في سورة يونس : ﴿ قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً قل الله أنزل لكم ثم أمضى الله قضيته فيهم ﴾ [٥٩] .

وقوله تعالى في سورة النحل : ﴿ ولا تقربوا لما تنفص الكسبكم

بالباطل ٤ . ولم يكن ابن تيمية يعبر عن فكره المجرد في قضية الحلال بل إنه حكم الشرع في أمره حيث حاول الحلال أن يسقط ركن الحج من الإسلام (حقوق آل البيت / ١٢ ، ١٣) .

وقد أورد ابن التنديم أسماء ستة وأربعين كتاباً للحلال غريبة الأسماء والأوضاع (الأضاح / ٢٦٠ ، القهرست / ٢٦٩ ، ٢٧٠) .

(طبقات الصوفية لابن عبد الرحمن السلمي - يسره وزيه أحمد الشراصي / ٧٤ ، والأضاح للزركلي / ٢ / ٢٦٠ ، والموسوعة الثقافية بإشراف د . حسين سعيد / ٤٠٨ ، والفرق بين المروق لعبد القاهر البغدادي / ١٩٩ ، والقهرست لابن التنديم / ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ونقد العلم والعلماء أو تليس أو تليس للحافظين الجوزي / ١٦٥ ، ١٦٦ ، وحقوق آل البيت للإمام تقي الدين بن تيمية - تحقيق عبد القادر أحمد عطا / ١٢ ، ١٣ ، مقدمة التحقيق ، انظر أيضاً مرجع العلوم الإسلامية - د . محمد الزحيلي / ٧٠٣ ، و٥ الحلال والفراسة - الأستاذ أنور الجندي - منار الإسلام ، العدد السابع ، السنة العاشرة ، رجب ١٤٠٥ هـ - إبريل ١٩٨٥ م / ٧٤ - ٧٩) .

• العلاجية :

منسوبة إلى أبي ميثم الحسن بن منصور المعروف بالحلال . انظر المادة السابقة .

• الحلال والحرام

يجمل القول في فضيلة الإزام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر فيقول :

الحلال : هو المباح الذي أذن الشارع في فعله ولم يرد أمره بحظره ، أو هو ما ليس ممنوعاً منعاً باتاً بدليل شرعي فهو أهم من المحرم .

والحرام : هو الذي نهى الشارع عن فعله نهياً قاطعاً بحيث يتعرض من خالف النهي لعقوبة الله في الآخرة ، وقد يتعرض لجزاء شرعي في الدنيا ومن ثم فالحلال والحرام في الإسلام متقابلان ، على ما تنصحه عنه نصوص القرآن والسنة ، مثل قوله تعالى في سورة النحل : ﴿ ولا تقربوا لما تنفص الكسب هذا حلال وهذا حرام فتقربوا على الكسب ﴾ [١١٦] .

وقول رسول الله ﷺ الذي رواه أحمد والنسائي عن أبي موسى الأشعري في شأن الشغب والحريم . هذان حل لنساء أمي محرم على ذكرهم ٤ .

والمكروه تحريماً : ما كان إلى الحرام أقرب وكان النهي عنه غير قاطع .

والمكروه تنزيهاً : هو فعل خلاف الأولى .
والمحرمات : منها ما هو حرام لذاته وهو ما جاء تحريمه قاطعاً كالخمر والبيعة والخنزير والفمار واليسير وغيرها من المحرمات في الزواج وفي الأموال والأقوال والأفعال ونحو ذلك .

وعاصرها وحاملها والمحمولة إليه وأكل شئها . وفي الربا لمن معطيه وأكله وكتبه وشاهده .

٧- التحاليل على الحرام حرام :

وهذا التحاليل يصور بعضها مثل قول رسول الله ﷺ الذي رواه الإمام أحمد « ليستحلن طائفة من أمشي الخمر يسمونها بغير اسمها » .

وقوله ﷺ : « يأتي على الناس زمان يستحلون الربا بالبيع » . رواه الأوزاعي كما في نيل الأوطار للشوكاني جـ أبواب الربا . ومن قبيل ما شاع من تغيير لاسم المحرمات في هذا العصر :

إطلاق اسم الفن على أنواع من الرقص الخليع والغناء الفاحش والتصوير الماجن ، وإطلاق اسم المشروبات الروحية على أنواع الخمر وتسمية عرفا في هذه المتنوعات الأخيرة .

وكلمة الفن تطلق ويراد بها التطبيق العملي للنظريات العلمية بالوسائل التي تحققها ويكتسب بالدراسة والمران ، كما تطلق على جملة الوسائل التي يستعملها الإنسان لإثارة المشاعر والمواطفة ، وبخاصة عاطفة الجمال كالصوير والموسيقى والشعر ، والغناء والتشثيل وشاعت عرفا في هذه المتنوعات الأخيرة .

هذا : والنية الحسنة لا تثير الحرام ولا تحله ، فالحرام محرّم مهما حسنت نية فاعله وشرف قصده ولا يقر الإسلام أن يتخذ الحرام وسيلة إلى غاية معصودة . لأن الإسلام يصرص على شرف الغاية وطهر الوسيلة معاً .

واقفاء الشبهات خشية الوقوع في الحرام من واجب المسلم سدا للزلل ، والإسلام قد بين الحلال والحرام في الأطعمة والأشربة وفي اللبس وفي أدوات المنزل وفي الكسب والاحتراف وفي العلاقات الاجتماعية . .

ومن المحرمات لتبهرها الغناء والموسيقى إذا صاحبها معصية أو كانت تدعو إليها وهذا باتفاق العلماء (سمات الحلال والحرام / ٣ - ١٠) ومضى فضيلته بعد ذلك فين حكم الدين في هذه الفنون مما تنقله في مواضع إن شاء الله تعالى : -

ويتكلم التهاوتى على الحلال والحرام في الكتاب والسنة ، ومنه الصلوية ، ثم يتطرق إلى الكلام على الشبهة والرد مما نقله لك فيما يلي :

الحلال بالفتح هو في الشئ ما أباحه الكتاب والسنة بسبب جازئ مباح وفي الطريقة ما لا بد فيه من العلم ولا يكون فيه شبهة كأكل مذابا الملوك والسلاطين وفي خلاصة السلوك الحلال هو الذي قد انتقطع عند حق الخير وقال سهل : ما لا تعصى الله فيه قال النبي ﷺ من أكل الحلال أربعين يوماً نوره الله قلبه وتجري بتابع الحكمة من قلبه انتهى . قال ابن حجر في شرح الأربعين للنووي في شرح الحديث السادس : الحلال ضد الحرام لغة وشعرها

الكلب هذا حلال وهذا حرام لضربا على الله الكلب إن الذين يفترون على الله الكلب لا يفلحون ﴿ ١١٦ ﴾ ومن هذه الآيات وغيرها وأحاديث رسول الله ﷺ عرف المسلمون أن التحريم والتحليل إنما يكون بحكم الله في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ .

ولقد درج الأئمة المجتهدين على أن يقولوا في الفتوى فيما لم يرد فيه نص بالحل أو بالتحريم : هذا أكرهه أو لا أحبه أو لا يعجبني أو لا أستحسنه ، توثيقاً من أن يقولوا بغير ما جاء في القرآن وثبت من السنة .

٣- تحريم الحلال وتحليل الحرام كالشرك بالله تعالى .

ففي الحديث القدسي الذي رواه مسلم في صحيحه ... (أني خلقت عبادي حنفاء وأنهم أئمتهم الشياطين فاجنلتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحلت لهم وأمرتهم أن يشركوا ما لم أنزل به سلطاناً) .

٤ - التحريم أساسه الثبوت والضرر في كل ما حرم من شيء أو عين أو قول أو فعل ، أو عادة أو معاملة .

ففي سورة الأعراف قول الله سبحانه : ﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ﴾ [٢٢]

وقوله سبحانه في ذات السورة : ﴿ قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق وإن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وإن يقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾ [٢٣]

وفي سورة المائدة قول الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ﴾ وتكلموا مما رزقكم الله حلالاً طيباً واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون ﴾ [٨٧] ، [٨٨] .

وإذا تنبينا آيات التحريم في القرآن نجد أنها قد فصلت المحرمات وأسرت بالبعد عنها تشريفاً من الله فهو سبحانه الحكيم الرحيم بعبداه وكما قال في سورة البقرة : ﴿ والله يعلم المفسد من المصلح ﴾ [٢٢٠] .

٥ - في الحلال ما يبنى عن الحرام ، فقد حرم الله الربا وأحل التجارة الربوية ، وحرم الجلوس إلى المسكرة والمنجدين وشرع الاستخارة وحرم القمار والميسر وأباح المسابقة بالخيل والإبل والسهام وغير هذا من المسابقات المشروعة ، فكل محرم تجد له بديلاً مباحاً حلالاً طيباً .

٦ - ما أدى إلى الحرام كان حراماً . ذلك أن الإسلام حين يحرم أي شيء يحرم ما يفضي إليه من وسائل ، فحين حرم الزنا حرم مقدماته من تبرج النساء وعريهن ، والخلوة بين المرأة وغير زوجها ومحارمها والاختلاط العابت والصور العارية والغناء الفاحش ، إذ كل أولئك من دواعي هذا الفساد . وحين حرم الخمر لمن شاربها

البيخارى في كتاب العلم في شرح هذا الحديث: بعد ذكر أكثر الأقوال المذكورة فحصل لنا ما تقدم ذكره أن في المشايهات المذكورة في الحديث التي ينبت اجتنبها أقوالاً أحدها أنها التي تعارضت فيها الأدلة فاشتبهت فمثل هذا يجب فيه الوقف إلى الترجيح لأن الأقدام على الأمرين من غير رجحان الحكم بغير دليل محرم.

وثابتها أنها المكروهات وهو قول الخطاى والمادى وغيرهما ويدخل فيه مواضع اختلاف العلماء.

وثالثها أنها المباحات وقال بعضهم هي حلال يتنوع عنها وقد رده القرطبي واعتار القول الثاني. فإن قيل هذا يؤدي إلى رفع معلوم من الشرع وهو أن النبي ﷺ والخلفاء بعده وأكثر أصحابه عليهم السلام كانوا يزيلون في التمتع في المأكول وغيره قلت ذلك محمود على موجب شرعي أقضى ترجيح الترك على الفعل فلم يزيلوا في مباح لأن حقيقة التساوى بل في أمر مكروه ولكن المكروه تأريه في الشرع من حيث هو وثارة يكرهه لأنه يؤدي إليه كالفيلة للصائم فلهذا مكروهة لما يخاف منها إسداء الصوم. وقد اختلف أصحاب الشافعي رحمه الله في ترك الطيب وترك لبس اللانعم قليل ليس بطاعة وقيل إنه طاعة وقال ابن الصبان يختلف ذلك باختلاف أحوال الناس وتفرغهم للعبادة واشتغالهم بالبيع والسعة، وقال الرافعي من أصحابنا هو بالصواب وأما ما يخرج إلى باب الوسوسة في تجويز الأمر البعيد فهذا ليس من الشبهات المطلوب اجتنبها ترك الكاح من نساء بلدكم خوفاً أن يكون له فيها محرم ينسب أو رضاع أو مصاهرة وترك استعمال ماء لجواز عروض النجاسة إلى غير ذلك مما يشبه بهذا بأن يكون سبب التحريم فيه مجرد تروم ليس من الورع. قال القرطبي الورع في مثل هذا وسوسة شيطانية إذ ليس فيه من معنى الشبهة شيء وسبب الوقوع في ذلك عدم العلم بالمقاصد الشرعية انتهى. (كشف اصطلاحات الفنون ١ / ٣٤٧-٣٤٩).

يقول صاحب مفتاح السعادة عن فضيلة الاحلال: وذلك في الأليات كثير. وكذلك مفعة الحرام- وكذا في الأخبار والآثار.

ثم يقول عن أصناف الاحلال والحرام:

وأما أصناف الاحلال والحرام فمضى كتب الفقه على التفصيل: ولتين هاهنا على سبيل الإجمال، فاعلم: إن الحرمة في المال إما في عينه أو في كسبه.

القسم الأول: أن الأعيان المأكولة: إما مصادن أو نبات أو حيوان، والحرمة فيها: إما لأجل إزالة العقل أو إزالة الصحة أو الاستقلال.

القسم الثاني: سنة أقسام.

الأول: مالا يؤخذ من مالك: كالصائد والاصطياد والإحتطاب والاستنقاء، فذلك حلال إلا أن يسبقها يد قبله.

والاحلال البين أي الظاهر هو ما نص الله تعالى ورسوله أو أجمع المسلمون على تحليله بعينه أو جنسه ومنه أيضاً ما لم يعلم فيه منع على أسهل القولين والحرام البين ما نص أو أجمع على تحريمه بعينه أو جنسه أو على أن فيه حداً وتزويراً أو وعيداً. والمشتبه ما ليس بواضح الحل والحرمة مما تتنازعت الأدلة وتجاوزته المعاني والأسباب فيعضده دليل الحرام وبعضها يعضده دليل الحلال. ومن ثم فسر أحمد وإسحاق وغيرهما المشتبه بما اختلف في حل أكله كالخيل أو شربه كالتبذير أو لبسه كجلود السباع أو كشبه كبيع الرينة. وفسره أحمد مرة باختلاط الاحلال والحرام وحكم هذا أنه يخرج قدر الحلال ويأكل الاحلال عند كثيرين من العلماء سواء قل الحرام أم كثر ومن المشتبه بمعاملة من في ماله حرام فالورع تركه مطلقاً وإن جازت وقيل- واعتمدته الغزالي- إن كان أكثر ماله الحرام حرمت معاملته. ثم الحصر في الثلاثة صحيح لأنه إن نص أو أجمع على الفعل فالاحلال أو على المنع جازماً فالاحرام أو سكت عنه أو تعارض فيه نضمان ولم يعلم المتأخر منهما فالمشتبه. وليس المراد بتعارفها تعاقبها على جهة واحدة في الترجيح فإن هذا كلام متناقض بل المراد التعارض بحيث يتخلل الناظر في ابتداء نظره فإذا حقق فكره رجع. والمشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس تعارض الأدلة وأما العلماء فيمرون حكمهما بنص أو إجماع أو قياس أو استصحاب ونحوها فإذا تردد بين الأدلة والحرمة ولم يكن فيه نص ولا إجماع اجتهد المجتهد فيه وأخذ بأحدهما بالدليل الشرعي فيصير حلالاً أو حراماً وقد يكون دليله غير خالص عن الاحتمال فيكون الورع تركه ولم يظهر لمجتهد فيه شيء فهو باق على احتياجه بالنسبة إلى العلماء وغيرهم كشيء وجهه في بيته ولم يدر هل هو له أو لغيره وحيث اختلفوا فيما يأخذ به فليل بحله والورع تركه وقيل بحرمة لأنه يقع في الحرام وقيل لا يقال فيه واحد منهما قال القرطبي والصواب الأول.

قال المصنف أي التنوي الظاهر أن هذا الخلاف مخرج على الخلاف في الأشياء قبل ورود الشرع وفيه أربعة مذاهب الأول: وهو الأصح أنه لا يحكم بتحليل ولا تحريم ولا إبادة ولا غيرها لأن التكليف عند أهل الحق لا يثبت إلا بالشرع والثاني أن الحكم الحل والإبادة قال القرطبي دليل الحل أن الشرع أخرجهما من قسم الحرام وأشار إلى أن الورع تركها بقوله ﷺ: «دع ما يريك إلى ما لا يريك» ومن عبر بأنها حلال يتنوع عنها أراد بالاحلال مطلق الجائر الشامل للمكروه بدليل قوله يتنوع عنها لا المباح المستوي الطرفين لأنه لا يتصور فيه ورع ما دام مستعين بخلاف ما إذا ترجع أحدهما فإن كان الرجوع الترك كره أو الفعل نذير. والثالث المنع. والرابع التوقف ولقد أخطأ ابن الجبير ههنا الكلام وذكر أقسام المشتبهات مفصلاً فمن أراد فليرجع إلى شرحه المذكور. وقال العيني في شرح

وروي أن سعدا سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن تستجاب دعوته، فقال له: «أطب طعمتك تستجب دعوتك» (قال العراقي في تخرج الإحياء: رواه الطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس وفيه من لا أعرفه).

وقد كان السلف ينظرون في الحلال ويدققون فيه، فأكل أبو بكر الصديق رضي الله عنه شيئا من شبهة ثم قاده (إنما فعل أبو بكر ذلك لأنه كان من طعام الكهانة وهو سحت خبيث).

درجات الحلال والحرام

اعلم: أن الحلال كله طيب، ولكن بعضه أطيب من بعض. والحرام كله خبيث، ولكن بعضه أخبث من بعض، كما أن الطبيب يحكم على كل حلو بالحرارة، ولكنه يقول: هذا حار في الدرجة الأولى، وهذا في الدرجة الثانية، وهذا في الثالثة، وهذا في الرابعة. مثال ذلك في الحرام المأخوذ بعقد فاسد، حرام ولكنه ليس في درجة المنصوب على سبيل الفهر، بل المنصوب أخف، إذ فيه إسهاء الخير، وترك طريق الشيع في الاكتساب، وليس في العقود الفاسدة إلا ترك طريق التبدد فقط، وكذلك المأخوذ ظلما من فقير أو صالح أو يتيم، أخبث وأغلظ من المأخوذ من قسوى أو غنى أو فاسق.

درجات الوروج

الوروج له درجات أربع:

الدرجة الأولى: وهي درجة العلول عن كل ما تقتضي الفتوى تحريمه، وهذا لا يحتاج إلى أمثلة.

الدرجة الثانية: الوروج عن كل شبهة لا يهيج اجتنابها، ولكن يستحب، كما يأتي في قسم الشبهات. ومن هذا قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك».

الدرجة الثالثة: الوروج عن بعض الحلال مخافة الوقوع في الحرام.

الدرجة الرابعة: الوروج عن كل ما ليس لله تعالى، وهو وروج الصديقين، مثال ذلك ما روي عن يحيى بن يحيى التيسابوري رحمة الله عليه أنه شرب دواء، فقالت له امرأته: لو شئت في الدار قليلا حتى يعمل الدواء، فقال: هذه مشية لا أعرفها، وأنا أحاسب نفسي منذ ثلاثين سنة. فهذا رجل لم تحضر فيه في هذه المشية تتعلق في الدين، فلم يقدم عليها، فهذا من دقائق الوروج.

والتحقيق فيه أن الوروج له أول، وشاية، وبينهما درجات في الاحتياط، فكما كان الإنسان أشد تشديدا، كان أسرع جورا على الصراط، وأخف ظهورا، وتفاوت المنازل في الآخرة بحسب تفاوت هذه الدرجات في الوروج، كما تفاوتت دركات النار في حق الظلمة بحسب درجات الحرام، فإن شئت فزد في الاحتياط، وإن شئت فترخص، فلنفسك تحاط وعليها ترخص (مختصر منهاج القاصدين ٨٦-٨٨).

الثاني: المأخوذ قهرا ولا حصة له كأموال الكفار، وذلك أيضا حلال بشرط ذكرت في الفتحة.

الثالث: ما يؤخذ قهرا لكن للاحتقاق، وذلك حلال إذا تم سبب الاحتقاق، وأسباب ذلك في كتب الفتحة.

الرابع: ما يؤخذ تراضيا بمعاوضة، وذلك حلال إذا تضمنت شرائطة المذكورة في موضعها.

الخامس: ما يؤخذ بالرضا بلا عوض: كالهبة والوصية والصدقة وذلك حلال بشرطه.

السادس: ما يؤخذ بتغير اختيار كالإرث، وذلك حلال إذا كان المال مكتسبا من وجهة الحلال وأخرجت منه سائر الحقوق المذكورة في علم الفرائض، وإن لم تعلم فاسأل أهله (مفتاح السعادة ٣/ ٢٢٧).

وبين الإمام ابن قدامة الحلال والحرام ودرجاته والوروج ودرجاته، ومراتب الشبهات وتمييزها عن الحلال والحرام: فيقول عن الحلال والحرام:

اعلم: أن طلب الحلال فرض على كل مسلم، وقد ادعى كثير من الجهال عدم الحلال، وقالوا: لم يبق منه إلا الماء الفرات، والحشيش ثبات، وما عدا ذلك فقد أقصدته المعاملات الفاسدة، فلما وقع لهم هذا، وعلموا أنه لا بد لهم من الأقوات توسعوا في الشبهة والحرام، وهذا من الجهل، وقلقه العلم. فإن في «المصحيحين» من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «الحلال بين، والحرام بين، وبينهما أمور مشبهات».

ولما كانت هذا الدعوى من هؤلاء الجهال بدعة قد عم ضررها، واستطار في الدين ضررها، وجب كشف الغطاء عن فسادها بالإرشاد إلى مدرك الفرق بين الحلال والحرام والشبهة.

ونحن نوضح ذلك في أقسام:

القسم الأول: في فضيلة طلب الحلال، وذم الحرام، ودرجات الحلال والحرام. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١]، والطيبات: الحلال، فأمر بذلك قبل العمل، وقال في ذم الحرام: ﴿وَلَا تَكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨] إلى غير ذلك من الآيات.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا»، وذكر الحديث إلى قوله: «ثم ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء، يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذى بالحرام، فأني يستجاب لذلك» رواه مسلم. وروي في ذلك غير حديث.

قالت المؤلفة: يضع صاحب مفتاح السعادة أسماء للدرجات الورع هذه فيقول:

الأولى: ورع العدول. وهو الذي يجب الفسق بتركه ويدخل في العصيان والتعرض للعار، وهو الورع مما تحرمه فتاوى الفقهاء. الثانية: ورع الصالحين. وهو الامتناع عما يتطرق إليه احتمال التحريم، وإن رخص الممتنع بذلك بناء على الظاهر.

الثالثة: ورع المتقين. وهو ما لا حرة فيه بحسب الفتوى ولا شبهة في حله، لكن يخاف منه أذاه إلى محرم، وهو ترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس.

الرابعة: ورع الصديقين. وهو ما لا بأس به أصلاً ولا يخاف منه أن يؤدي إلى ما به بأس، ولكنه يتناول لغير الله ولا على نية التقوى به على عبادة الله تعالى، أو يتطرق إلى أسبابه المسهلة له كراهية أو معصية، وتعرف هذه الدرجات بتشديدات الشرع ووعيده وزجره البالغ وتأكيده (مفتاح السعادة ٣/ ٢٢٢).

وتعود إلى الإمام ابن قدامة الذي ينقل إلى الكلام على مراتب الشبهات في القسم الثاني فيقول:

القسم الثاني: في مراتب الشبهات وتمييزها عن الحلال والحرام، وحديث الثعالب بن بشير رضى الله عنه نص في هذه الأقسام الثلاثة، وهي الحلال والحرام وما بينهما، والمشكل فيها هو المتوسط الذي لا يعرفه كثير من الناس، وهو الشبهة. ونحن نكشف الغطاء عنها فنقول: الحلال المطلقة الذي لا يتعلق بملكه صفة تجزئ تحريماً لمعته، ولا يتعلق بأسبابه ما يطرُق إليه تحريماً أو كراهية.

مثال ذلك الماء الذي يأخذ الإنسان من المطر قبل أن يقع على ملك أحد - الحرام المحض: ما فيه صفة محرمة، كالشدة في الخمر، والنجاسة في البول، أو حصل بسبب منعه عنه، كالمحصل بالظلم والربا، فهذان الطرفان ظاهران، ويتحقق بهما ما تحقق أمره، ولكن يحتمل تفرقه، ولم يكن لذلك الاحتمال سبب ظاهر يدل عليه، فإن صيد البر والبحر حلال، إلا أنه من صاد طيية أو سمكة، فإنه يحتمل أن يكون قد ملكها صياد ثم أفلت، وهذا الاحتمال لا يتطرق إلى ماء البئر المختطف من الهواء، فمسألة ذلك الاحتمال في الصيد ورع الموسمين، لأنه وهم مجرد لا دلالة عليه، فلو دلل عليه دليل، مثل أن يجد في الطيية جرحاً لا يقدر عليه، إلا بعد الضبط، كالكي، ويحتمل أن يكون غيره، فهذا موضع الورع.

وحد الشبهة ما تعارض فيه اعتقادان صلباً عن شيئين متقنين لاتقنين.

ومثالات الشبهة كثيرة، والمهم منها مثالان:

المثال الأول: التلصق في السبب المحلل أو المحرم، ويتقسم إلى أربعة أنواع:

النوع الأول: أن يكون الحل معلوماً من قبل، ثم يقع التلصق في المحلل، فهذه شبهة يجب اجتنبها، ويعوم الإقدام عليها، مثاله أن يرى صيداً فيجرحه فيقع في الماء فيصاذه ميتاً، ولا يدري هل مات بالفرق أو الجرح؟ فهذا حرام، لأن الأصل التحريم.

النوع الثاني: أن يعرف الحل ويشك في المحرم، فيكون الأصل الحل، والحكم له، كما لو طار طائر، فقال رجل: إن كان هذا غراباً فأمرته طالق، وقال آخر: وإن لم يكن غراباً، فأمرته طالق، ثم التبس الأمر، فإنا لا نقضى بالتحريم في واحد منهما، ولكن الورع اجتنبهما وتطليقهما.

النوع الثالث: أن يكون الأصل التحريم، ولكن طرأ ما يوجب التحليل بظن غالب فهو مشكوك فيه، والغالب حله، مثاله أن يرى إلى صيد فينبه عنه، ثم يندركه ميتاً وليس عليه أثر سوى سهمه، فهذا الظاهر فيه الحل، لأن الاحتمال إذا لم يستند إلى دليل التحق بالوسوسة، فأما إن ظهر عليه أثر صدمة أو جراحة أخرى التحق بالنوع الأول.

النوع الرابع: أن يكون الحل معلوماً، ولكن يغلب على الظن طريان المحرم بسبب مثير في غلبه الظن شرعاً مثاله أن يورد اجتنبه إلى نجاسة أحد الإثنيين بالاعتماد على علامة معينة توجب عليه الظن، فتوجب تحريم شره، كما أوجب منع الوضوء به.

المثال الخامس: أن يختلط الحرام بالحلال، ويشبه الأمر فيه.

وذلك على أصرب: أحدهما: إذا اختلطت ميتة بملحكة، أو بشرية من المملوكات، ونحو ذلك من العدد المحصور، ومثاله أن تشبه أخته باجنيبت، فهذه شبهة يجب اجتنبها.

الثاني: أن يختلط حرام محصور بحلال غير محصور، كما لو اشبهت أخته أو حشر رضاع بنسوة بلاد كبير، فلا يلزم بهذا اجتنب تكاح أهل البلد، بل له أن يتكح من شاء منهن، لأن في تحريمهن حرجاً كبيراً، وكذلك من علم أن مال الدنيا خاطئه حرام قطعاً، لم يلزمه ترك الشراء والأكل، لأن في ذلك حرجاً، وقد علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه أن في الناس من يراى، وما تركوا الدراهم بالكليّة، وأن ميتة سرق في زمانه، وما تركوا شراء معين، فاجتنب هذا من ورع الوسوسة.

الثالث: أن يختلط حرام لا يحصر بحلال لا يحصر، كحكم الأموال في زماننا هذا، فلا يحرم بهذا الاختلاط تناول شيء بعينه، إلا أن يترن تلك العين علامة تدل على أنه من الحرام، نحو أن يأخذ من يد سلطان ظالم، فإن لم يكن له علامة، فتركه ورع ولا

إذا طرح في السوق أحمال من طعام مقصوب فاشترأها أهل السوق، فإنه لا يجب على من يشتري في تلك البلدة من السوق أن يسأل عما يشتريه، إلا أن يظهر أن أكثر ما في أيديهم حرام، فعند ذلك يجب السؤال، فإن لم يكن الأكثر حراماً كان التفريط ربحاً غير واجب.

وكذلك تقرر في رجل له مال حلال خالطه حرام، مثل أن يكون تاجراً يعامل معاملة صالحة ويؤتي، فهذا إن كان الأكثر من ماله حراماً، لم يجز قبول ضيافته ولا هديته إلا بعد التفريط، فإن ظهر أن المأخوذ من وجهه حلال جاز، وإلا ترك، وإن كان الحرام أقل، فالأخذ شبهة، والبيع تركه.

واعلم: أن السؤال إنما يقع لأجل الريية، فلا يتقطع إلا من حيث تنقطع الريية المفضية له، بأن لا يكون المستول منهما، فإن كان منهما وعلمت أنه له غرض في حضورك أو قبول هديته، فلا ثقة بقوله، وينبغي أن يسأل غيره.

القسم الرابع: في باب الحلال والحرام، وكيفية خروج الثابت من المظالم المالية.

اعلم: أن من تاب وفي يده مال مختلط، فعليه تمييز الحرام وإخراجه، فإن كان معلوم الحين، فأمه سهل، وإن كان ملتصقاً مختلطاً، فإن كان من ذوات الأثام، كالحبوب والتفود والأدهان، وكان معلوم القدر، ميز ذلك القدر، فإن أشكل فله طريقان: أحدهما: الأخذ بقلب الظن.

والثاني: الأخذ باليقين، وهو النوع.

فإذا أخرج المال الحرام، فإن كان له مالك معين، وجب صرفه إليه أو إلى وارثه، وإن كان لذلك المال زيادة ومنفعة، جمع ذلك كله وصرفه إليه، وإن يفسد من معرفة المالك ولم يدر أمانت عن وارث أم لا؟ فليتصدق به، وإن كان ذلك من مسال الفهم والأموال المرصدة لمصالح المسلمين، صرف ذلك إلى القناطر والمساجد ومصالح طريق مكة وما يتنفع به كل من يمر من المسلمين.

القسم الخامس: في إدراج السلاطين وولاتهم، وما يحل من مخالطة السلاطين الظلمة، ونحو ذلك.

اعلم: أن من أخذ مالا من السلطان فلا بد أن ينظر في مدخل ذلك إلى السلطان من أين هو، وفي صفته التي يستحق بها الأخذ، وفي المقدار الذي يأخذه، هل يستحقه؟

وقد تروى جماعة من ذلك، وكان فيهم من يأخذه فيصدق به، وأما في هذا الزمان، فالاحتراز عنه أولى، لأنه قد علم طريق الأخذ، ثم لا يتال إلا بالذل والسؤال والسكوت على الإنكار.

وقد كان بعض السلف لا يأخذ، ويعمل بأن باقي المستحقين

يحرم ذلك، لأنه قد علم في زمان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والخلفاء بعده أن أثمان الخمر ودرهم الريا وغلول الغنمية اختلطت بالأموال، وقد أدركت الصحابة نهب المدينة وتصرف الظلمة ولم يمنعوا من الشراء بالسوق، ولو لا صحة ذلك لانسد باب جميع التصرفات فإن الفسق يقلب على الناس، لكن الأصل في الأموال الحل، وإذا تعارض أصل وغالب، ولا أمانة على الغالب حكم بالأصل، كما قلنا في طين الشوارع وأواني المشركين. فقد ترضاً عصر رضى الله عنه من جرة نصرانية. مع أن مشربهم للخمر ومطعمهم الخنزير ولا يهتزون من نجاسة، وكانت الصحابة تلبس الفراء المدبوغة والياباب المصبوغة.

ومن تأمل أحوال الدهاقين والصباغين، علم غلبة النجاسة عليهم، فيدل ذلك على أنهم لم يكونوا يهتزون إلا من نجاسة مشاهدة، أو يكون عليها علامة، فأما الظن الذي يستفاد من رد درهم إلى مجارى الأحوال، فلم يعتبروه، فإن قيل: قد كانوا يترصعون في أسوار الطهارة، ويهتزون من شبهات الحرام، فما الفرق؟

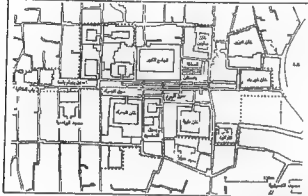
قلنا: إن أردت أنهم كانوا يصلون مع النجاسة باطل، وإن أردت أنهم احتزوا من كل نجاسة وجب اجتنابها فصحيح، وأما ترويعهم من اللب، فكان بطريق كذب النفس عما ليس به بأس مخالفاً ما به بأس، والنفس تميل إلى الأموال كيف كانت بخلاف الانجاس، وقد كانوا يمتنعون مما يشغل قلوبهم من المحلل، والله أعلم.

القسم الثالث: من الكتاب: في الحلال والحرام والباحث، والسؤال، والهجوم، والإهمال ومطائنها.

اعلم: أنه لو قدم لك الطعام أو أهديت لك هدية، أو أردت أن تشتري شيئاً من شخص فليس لك أن تقول: هذا مما لا أتصدق حله، فأريد أن أتشبه به وليس لك أن تترك البحث مطلقاً، بل السؤال واجب مرة، وحرام مرة، ومندوب مرة، ومكروه مرة.

واقول الشافعي فيه: أن مظنة السؤال الريية، وهي تحصل إما من أمر يتعلق بالمال أو بصاحب المال، أما ما يتعلق بصاحب المال، فنحو أن يكون مجهولاً، وهو الذي ليس عليه قرينة تدل على ظلمه، كسرى الأجناد، ولا على صلاحه، كسياب أهل العلم والزهد، فهنا لا يجب السؤال ولا يجوز، لأن فيه هتك المسلم وإيذاؤه، ولا يقال لهذا: إنه مشكوك فيه، لأن المشكوك فيه هو الذي تحصل فيه الريية بدلالة، مثل أن يكون على خليفة الأثر، وأهل البراءة المعروفين بالظلم، وقطع الطريق، فهذا يجوز معاملته، لأن اليد تدل على الملك، وهذه الدلالات ضعاف، إلا أن الترتك من النوع.

وأما ما يتعلق بالمال، فنحو أن يختلط الحرام بالحلال، كما



الخريطة (مدرسة حلب) (مدرسة حلب)

لم يأخذوا ، وهذا ليس بشيء ، لأنه يأخذ حقه ويقي أولئك في مقام مظلوم ، وليس المال مشتركاً .

(سمات الحلال والحرام - فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر . هنية مجلة الأزهر . المحرم ١٤٠٩ هـ / ٣ - ١٠ ، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهنتوي / ١ / ٣٤٧ - ٣٤٩ ، ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده / ٣ / ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ومختصر منهاج القاصدين للإمام الشيخ أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة - قدم له الأستاذ محمد أحمد دهمان ، وعلق عليه شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط / ٨٦ - ٩٣ . انظر أيضا : الحلال والحرام في معاملات البنوك والمال - د . أحمد فهمي أبو سنة . مجلة الأزهر . الجزء الأول ، السنة الرابعة والستون ، والمحرم ١٤١٢ هـ - يوليو ١٩٩١ م / ٣٩ - ٤٣ ، وتيسير الوصول إلى جامع الأصول للإمام ابن الصديق الشيباني / ١٢١ ، ١٢٢ . انظر مادة « الحرام » في م / ١٣ / ٣٤٢ ، ٣٤١ .

● الحلاوية (المدرسة -) :

انظر : الحلاوية (المدرسة -) .

● حلب :

مدينة شمال غرب سورية ، ورد اسمها في وثائق ترجع إلى الألف الثانية في م ، كمدينة هامة على طريق القوافل الرئيسي الذي يربط سورية بأرض الرافدين . كانت مركزاً لمملكة الحبيشين ، واستمرت مزدهرة إبان الحكم البيزنطي . فتحها العرب في القرن السابع الميلادي ، والسلاجقة الأتراك في القرن الحادي عشر ، وحاصرها الصليبيون سنة ١١٢٤ م ، واستردها صلاح الدين الأيوبي سنة ١١٨٣ م .

من أهم معالمها قلعتها ، ومسجدها الجامع والمكتبة ، وبعض عمارات ترجع للمهملين الأيوبي والمملوكي (الموسوعة الثقافية / ٤٠٨) بلغ عدد سكان حلب عام ١٩٨١ ٩٧٦٧٢٧ نسمة (من كتاب معجم البلدان / ٣٤٤ هاشم ١٣) .

وتعتبر مدينة حلب ثاني البلاد الشامية من حيث الأهمية السياسية والعمرانية ، بل ومقاسمها الشمالي . وتلقب بالشهباء ، والبفساء ، وذلك لبياض أرضها لأن غالب أرضها من الحجارة الحوادة ، وترباها يقرب إلى البياض ، وإذا أشرف عليها إنسان ظهرت له بفساء (المجتمع الإسلامي في بلاد الشام / ١٢٧) .

وبمدينة حلب آثار إسلامية عظيمة ومكتبات ومخطوطات سيأتى الكلام عليها إن شاء الله تعالى .

وقد نذر بها الجغرافيون والرحالة المسلمون فذكروا محاسنها وآثارها كما أشاد بها الشعراء في أشعارهم . ونسوق لك بعض ما أوردوه وفقاً للترتيب الزمني .

(المعتمد بن باديس صاحب « أحسن التقاسيم » ٣٣٦ - ٣٨٠ هـ / ٩٤٧ - ٩٩٠ م) . قال عن حلب :

وأما حلب فبلد نفيس خفيف حصين ، وفي أمهال طرف ، ولهم يسار وصقول . مبنى بالمجاعة عامر ، في وسط البلد قلعة حصينة



واسعة ، فيها ماء وغزلان السلطان ، والجامع في البلد . شربهم من نهر قوين ، يدخل إلى البلد إلى دار سيف الدولة في شباك حديد . وللقصبة ليست بكبيرة ، إلا أن بها مستقر السلطان . لها سبعة أبواب : باب حصن ، باب الرقة ، باب قسرين ، باب اليهود ،

ثم يتكلم ابن جبير على مدارس حلب وبيمارستانها - فيقول :
ويتصل به (أي من الجامع الكبير) من الجانب الغربي مدروسة
للحنفية تناسب الجامع حسنا وإتقان صنعة فيها في الحسن وروعة
تجاوز أخرى وهذه المدروسة من أحفل ما شاهدته من المدارس بناء
وغرابة صنعة ومن أطرف ما يلاحظ فيها أن جدرانها القلي مفتوح كله
ويوتا وغرفا لها طابقان يتصل بعضها ببعض وقد امتد بطول الجدار
عريش كرم مشعر عتبا فحصل لكل طابق من تلك الطيقات قسطنها من
ذلك العنب مثليا أمامها فيمد الساكن فيها يده ويحتنيه متكنا دون
كلفة ولا مشقة .

والبليلة سوى هذه المدروسة نحو أربع مدارس أو خمس وأما
مارستان وأمرها في الإحتفال عظيم فهي بلدة تليق بالخلافة وحسنها
كله داخل لا خارج لها إلا نهر يجري من جوفها إلى قبليها ويشق
ريضاها المستدير بها فإن لها ريضا كبيرا فيه من الخانات ما لا
يحصي عدده ويصلها النهر الأجزاء وهي متصلة بالبلد وقائمة وسط
ريضة ويهلها الرضى بعض بساتين تتصل بطوله وكيفما كان الأمر فيه
دائلا وخارجا فهو من بلاد الدنيا التي لا نظير لها والوصف فيه
يعطو فكان نزولنا برضفة في خان يعرف بخان أبي الشكر فأقمنا به
أربعة أيام ورحلنا ضحرة يوم الخميس السابع عشر لربيع المنصور
والثامن والعشرين ليونية (رحلة ابن جبير / ١٩٢ - ١٩٥) .

(٣) - ياقوت الحموي صاحب معجم البلدان (٥٧٤) -
١١٧٨ - ١٢٢٩ م) . قال في مادة " حلب " :

حَلَبٌ : بالتحريك : مدينة عظيمة واسعة كثيرة الخيرات طيبة
الهواء صالحة الأهم والماء، وهي قصبة جند تسمى في أيامنا
هذه : والحلب في اللغة : مصدر قولك حلبت أحلب حلبا وهربت
هربا وطرت طريا ، وأحلب أيضا : اللبن الحليب ، يقال : حلبنا
وشربنا لبنا حلبيا ولحبا ، والحلب من الجبابة مثل الصدقة ونحوها ؛
قال الزجاني : سميت حلب لأن إسرائيلي ، عليه السلام ، كان
يحلب فيها غنمه في الجماعات ويصدق به فيقول الفقراء - حلب
حلب ، فسمي به ؛ قلت أنا : وهذا فيه نظر لأن إسرائيلي ، عليه
السلام ، وأهل الشام في أيامه لم يكنوا عربا إنما العربية في ولد ابنه
إسماعيل ، عليه السلام ، وقبطان ، على أن لإبراهيم في قلعة
حلب مقامين يزاران إلى الآن ، فإن كان لهله اللطافة ، أعنى حلب ،
أصل في العربية أو السريانية لجاز ذلك لأن كثيرا من كلامهم يشبه
كلام العرب لا يفارقه إلا بمجتمعة ميسرة كقولهم كهنتم في كهنتهم ؛
وقال قوم : إن حلب وحمص ويردعة كانوا إخوة من بني عمليق فبنى
كل واحد منهم مدينة فسميت به ، وهم بنو مهر بن حصن بن جان
بن مكثف ، وقال الشرقي : عمليق بن بلعم بن حالد بن أسليخ بن
لؤز بن سام ، وقال غيره : عمليق بن لؤز بن سام ، وكانت العرب
تسميه غريبا وتقول في مثل : من يطع غريبا يمس غريبا ، ويؤمن

باب الحراق ، باب دار الطيخ ، باب أنطاكيا ، وباب الأريمن
مسعود (أحسن التفاسير / ١٣٦) .

(٢) ابن جبير صاحب الرحلة ٥٤٠ - ٦١٤ هـ / ١١٤٥ -
١٢١٧ م) (انظر ترجمته في ٣٣ - ٣٩) .

قال ابن جبير يصف مدينة حلب بأسلوب أهل زمان الأديب
لرقيع ويصف آثارها وأسوارها وجامعها الكبير وقلعتها المنجية :

بلدة قدرها خطير ، وفكرها في كل زمان طليز ، خطابها من
الملوك كثير ، محلها من النفوس أثير ، فكم حاجت من كفاح ،
وسلت عليها من يرض المقاح . لها قلعة شهيرة الانتفاع ، باتت
الارتفاع ، مملوكة الشبه والتظير في القلاع ، تزوت حصانة أن ترام
أو تستطاع ، قاعدة كبيرة ، ومائلة من الأرض مستوية ، منصوبة
الأجزاء ، موضوعة على نسبة اعتدال ، واستواء فسبحان من أحكم
تقديرها وتديرها وأبدع كيف شاء تصورها وتديرها ، عتقة في
الخراسان والعلوم ، هذه منازلها وديارها ، فإن سكانها قديما
وعاصروا وتلك دار ملكيتها وقضاها ، فإن أسرارها الحمدانيون ،
وشعرائها ، أجل في جميعهم ولم يأن بعد فتاها ، فيأجها للبلاد
تبقى وتذهب أملاكها ويهلكون ولا يقضى حلاها ، تخطب بهمهم
فلا يتعلم ملاكها ، وترام فيفسر بأسرئ شيء إدراكها حلب :
كم أدخلت من ملوكها في خبر كان ، وتستخطف طرف الزمان
بالمكان . أثبت اسمها فتحت بركة الغول ، ودلت بالندر فيمن
غان ، وتجلت عروضا بعد سيف دولتها ابن حمدان هيها هيها
سيهرم شبها ، ويعدم خطابها ، ويسرع فيها بعد حين خرابها ،
وتتطرف جنبات الحوادث إليها ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها ،
لا إله سواه سبحانه جلّت قدرته .

ويعد أن يفرغ من وصف قلعتها المنجية (نفر لها مادة خاصة إن
شاء الله تعالى) يعود إلى الكلام على مدينة حلب فيقول :

وأما البلد فموضوعة فيخضع جدا فحبل التركيب يذبح الحسن
واسع الأسواق كبيرها متصلة الانتظام مستطيلة تخرج من سمات
صنعة إلى سمات صنعة أخرى إلى أن تفرغ من جميع الصناعات
المندية وكلها مصنف بالخشيب فسكانها في ظلال وأرفة فكل سوق
منها تقيد الأضمار حسنا وتستوفت المستوفى تعجبا وأما يتسارعها
فضيقة بستان نظافة وجصلا ، مطقة بالجامع المكرم لا يتشوق
الجالس فيها مرأى سواها ولو كان من المرأى الريانية وأكثر
حوادثها خزان من الخشب البديع الصنعة قد اتصل السطاط خزنة
واحدة وتخللتها شرف خشبية بديعة النش وتفتح كلها حوائت
فجهام منظرها أجمل منظر وكل سمات منها يتصل بيباب من أبواب
الجامع المكرم .

ثم يصف ابن جبير هذا الجامع وقد أوردناه في مادة " للجامع
الأخوي الكبير بحلب " (م ٨١ - ٨٤) وأوردناه وصف ابن
جببير في ٤٨٢ ، ٤٨٤ انظره في موضعه .

وتسع وأربعين سنة لأن إبراهيم ابتلى بما ابتلى به من نمرد زماته ، واسمه زاميس ، وهو الرابع من ملوك أنورا ، ومدة ملكه تسع وثلاثون سنة ، ومدة ما بينه وبين آدم ، عليه السلام ، ثلاثة آلاف وأربعمائة وثلاث عشرة سنة ، وفي السنة الرابعة والعشرين من ملكه ابتلى به إبراهيم فهرب منه مع عشيرته إلى ناحية حران ثم انتقل إلى جبل البيت المقدس ، وكانت عمارته بعد خروج موسى ، عليه السلام ، من مصر بين إسرائيل إلى التي وغرق فرعون بمائة وعشرة أعوام ، وكان أكبر الأسباب في عمارته ما حل بالعماليق في البلاد الشامية من خلفاء موسى ، وذلك أن يوشع بن نون ، عليه السلام ، لما خلف موسى قاتل أربعا النور وفتحها وسبى وأحرق وأغرب ثم افتتح بعد ذلك مدينة عمان ، وأزقع العماليق عن تلك الديار إلى أرض صوبا ، وهي قيسرين ، وبنوا حلب وجعلوها حصنا لأنفسهم وأموالهم ثم اختطوا بعد ذلك المواسم ، ولم يزل الجبارون مستزلبين عليها متحصنين بموصلها إلى أن بعث الله داود ، عليه السلام ، فأنزلهم عنها .

وقرأت في رسالة كتبها ابن بطالان المتطلب إلى ملال بن المحسن بن إبراهيم الصباي في نحو سنة ٤٤٠ هـ دولة بني مرداس فقال : دخلنا من الرصافة إلى حلب في أربع مراحل ، وحلب بلد مسور بحجر أبيض وفيه ستة أبواب وفي جانب السور قلعة في أعلاها مسجد وكنيسة وفي إحداها كان الملبع الذي قُرب عليه إبراهيم ، عليه السلام ، وفي أسفل القلعة مضارة كان يحيى بها غنمه ، وكان إذا حلبها أضاف الناس بلنها ، فكانوا يقولون حلب أم لا ؟ وسلك بعضهم بعضا من ذلك ، فسميت لذلك حلبا ، وفي البلد جامع وست بيع وبيمارستان صغير ، والفقهاء يفتون على مذهب الإمامية ، وطرب أهل البلد من صهاريج فيه مملوكة بماء المطر ، وعلى بابها نهر يعرف بشوق يد في الشتاء ينضب في الصيف ، وفي وسط البلد دار علوة صاحبة البحري ، وهو بلد قليل الفواكه والبقول والنبذ إلا ما يأتيه من بلاد الروم ، وفيها من الشعراء جماعة ... قال : ومن عجائب حلب أن في قيسارية البرز عشرين دكانا للوكلاء يبيعون فيها كل يوم متاعا قدره مشرون ألف دينار مستمر ذلك منذ عشرين سنة وإلى الآن ، وما في حلب موضع خراب أصلا ، ونخرجنا من حلب طالبيين أطلقا ، وبينها وبين حلب يوم وليلة ، آخر ما ذكر ابن بطالان .

وقلعة حلب مقام إبراهيم الخليل ، وفيه صندوق به قطعة من رأس يحيى بن زكريا ، عليه السلام ، ظهرت سنة ٤٣٥ هـ ، وعند باب الجنان مشهد على بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، روى فيه في النزع ، وداخل باب القوق مسجد غوث فيه حجر عليه كتابة زعموا أنه خط على بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، وفي غربي البلد في سفح جبل جوشن قبر المحسن بن الحسين يزعمون أنه سقط لما

هملين بن لؤي ، ويقال : إن لهم بقية في العرب لأنهم كانوا قد اختلطوا بهم ، ومنهم الزباء ، فعلى هذا يصح أن يكون أهل هذه المدينة كانوا يتكلمون بالعربية فيقولون حلب إذا حلب إبراهيم ، عليه السلام .

قال بطليموس : طول مدينة حلب تسع وستون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها خمس وثلاثون درجة وخمس وعشرون دقيقة ، داخل في الإقليم الرابع ، طالعها المغرب ، وبنت حياتها إحدى وعشرون درجة من القوس ، لها شركة في النسر الطائر تحت إحدى عشرة درجة من السرطان ، وخمس وثلاثون دقيقة ، ويقالها مثلها من الجدي ، بيت ملكها مثلها من الحمل ، عاقبتها مثلها من الميزان ؛ قال أبو عون في زيجها : طول حلب ثلاث وستون درجة ، وعرضها أربع وثلاثون درجة وثلاث ، وفي الإقليم الرابع ؛ وذكر أبو نصر يحيى بن جرير الطيب التكريتي النصرائي في كتاب ألفه أن سلوقس الموصل ملك خمسا وأربعين سنة ، وأول ملكه كان في سنة ثلاثة آلاف وتسعمائة وتسع وخمسين لأدم ، عليه السلام ، قال : وفي سنة تسع وخمسين من مملكته ، وهي سنة أربعة آلاف وثمان مائة وستة لأدم ، ملك طربا العسمة سمع مع أبيها وهو الذي بنى حلب بعد دولة الإسكندر وموته بانيثي عشرة سنة ، وقال في موضع آخر : كان الملك على سوريا وبابل والبلاد العليا سلوقس نيقطور ، وهو سرياني ، وملك في السنة الثالثة عشرة لبطليموس بن لافوس بعد ممات الإسكندر ، وفي السنة الثالثة عشرة من مملكته بنى سلوقس اللاذقية وسلوقية ولقامية وباروا وهي حلب وإدسا وهي الرها وكمل بناء أنطاكية ، وكان بناها قبله ، بنى أنطاكية ، أنطيوخس في السنة السادسة من موت الإسكندر ؛ وذكر آخرون في سبب عمارته حلب أن العماليق لما استولوا على البلاد الشامية وتقاسموا فيها بينهم استولوا ملوكهم مدينة عمان ومدينة أربعا النور ودعاهم الناس الجبارين ، وكانت قيسرين مدينة عامرة ولم يكن يورث اسمها قيسرين وإنما كان اسمها صوبا ، وكان هذا الجبل المعروف الآن بسمعان يعرف بجبل بني صنم ، وينو صنم كانوا يميلونه في موضع يعرف اليوم بكفر نبو ، والعمائر الموجودة في هذا الجبل إلى اليوم هي آثار القميين في جوار هذا الصنم ، وقيل : إن بلداً بن باعور البالياسي إنما بعثه الله إلى عباد هذا الصنم لينهاهم من عبادة ، وقد جاء ذكر هذا الصنم في بعض كتب بني إسرائيل ، وأمر الله بعض أنبيائهم بكسره ، ولما ملك بلقورس الأتوري الموصل وقصبتها يومئذ نبوت كان المستولى على خطة قيسرين حلب بن المهر أحد بني الجان بن مكف من العماليق ، فاختط مدينة سميت به ، وكان ذلك على مضي ثلاثة آلاف وتسعمائة وتسعين سنة لأدم ، وكانت مدة ملك بلقورس هذا ثلاثين عاما ، وكان بناها بعد دولة إبراهيم ، عليه السلام ، إلى الديار الشامية بخمسمائة

عتاة بإصلاح أنفسهم وتبشير الأموال، فقل ما ترى من نشئها من لم يتقبل أخلاق أبائه في مثل ذلك، فلذلك فيها بيوتات قديمة معروفة بالثروة وتوارثونها ويحافظون على حفظ قديمهم بخلاف سائر البلدان، وقد أكثر الشعراء ذكرها ووصفها والحنين إليها...

ثم يتنقى ياقوت قصيدة يكتبها بها لأبي بكر محمد بن مرار الصنوبري إذ أجاد فيها ووصف متزهاتها وقرأها القرية منها. وهي قصيدة طويلة أقرنا الاستغناء عنها، ويمكنك الرجوع إليها إن شئت في معجم البلدان ٢/ ٢٨٦ - ٢٨٩ ففيها كل شيء عن حلب ثم يسوق ياقوت هذه الأبيات للشاعر كشاجم:

أرتك تسدي العيث كسارها

وأعرجت الأرض أزمارها

وما أمتعت جبارها بسدة

كما أمتعت حلب جبارها

هي الفخلسد يجمع ما تشتهي

فزرها فطسوي لمن زارها!

وكفر حلب: من قرى حلب. وحلب الساجور: في نواحي حلب، ذكرها في نواحي الفتح، قال: وأبي أبو عبيدة بن الجراح، رضي الله عنه، حلب الساجور بعد فتح حلب وقدم عياض بن غنم إلى حلب.

وحلب أيضا: مجلة كبيرة في شارع القاهرة بينها وبين الفسطاط، وأبناها خير مرة (معجم البلدان ٢/ ٢٨٦، ٢٨٩، ٢٩٠).

(٤) ابن بطوطة (٧٠٣-٧٧٩هـ/ ١٣٠٤-١٣٧٧م): وصفها ابن بطوطة في رحلته بما لا يخرج عن وصف ابن جبير فارجع إن شئت إلى كتاب مهذب رحلة ابن بطوطة المسمدة «تخفة التنظار في غرائب الأمصار وصجابت الأصفار» ١/ ٥٦، ٦١ وهو ملكوب في ثبوت مراجع هذه المادة.

ويقول ياقوت في نهاية مادة «حلب»: ولها في أيامنا هذه سبعة أبواب: باب الأريين، وباب اليهود، وكان الملك الظاهر قد جدد عمارته وسماه باب النسر، وباب الجنان، وباب أنطاكية، وباب قنشرين، وباب المرق، وباب السر (معجم البلدان: ٢٨٥/٢).

وقد بسط ابن الشحنة الكلام على أبواب حلب هذه نقلا عن ابن شداد وابن الخطيب مع زيادات له وهو ما نقله لك فيما يلي، وعجز ابن الشحنة كلامه بلفظ «قلت» وكلام ابن شداد بلفظ «قال»:

١- باب قنشرين:

وبنبدأ بكلام خير الدين الأسدي الذي يقول: باب قنشرين يغضى منه إلى قنشرين. وكلمة قنشرين معروية بمعنى «فن

جىء بالسبى من المرقاق ليحمل إلى دمشق أو لفل كان معهم بحلب فلنن هنا لك، وبالقرب منه مشهد ملح العمارة تصعب الحليون وينو أحكم بناء وأنفقوا عليه أموالا، يزعمون أنهم رأوا عليها، رضي الله عنه، في المنام في تلك المكان، وفي قبلى الجبل جبانة واحدة يسمونها المقام، بها مقام إبراهيم، عليه السلام، ويظهر باب اليهود حجر على الطريق يشتر له ويصب عليه ماء السور والطيب ويشارك المسلمون واليهود والنصارى في زيارته، يقال إن تحته قبر بعض الأنبياء.

وأما المسافات فمنها إلى قنشرين يوم وإلى المصرة يومان وإلى أنطاكية ثلاثة أيام وإلى الرقة أربعة أيام وإلى الأكارب يوم وإلى نوزين يوم وإلى متيج يومان وإلى بلس يومان وإلى خناصره يومان وإلى حملة ثلاثة أيام وإلى حمص أربعة أيام وإلى حران خمسة أيام وإلى اللاذقية ثلاثة أيام وإلى جبلة ثلاثة أيام وإلى طرابلس أربعة أيام وإلى دمشق تسعة أيام، قال المؤلف، رحمه الله عليه: وشاهدت من حلب وأعمالها ما استدلت به على أن الله تعالى خصها بالبركة وفصلها على جميع البلاد، فمن ذلك أنه يزرع في أراضيها القطن والسمسم والبطيخ والخيار والدخن والكرزم والذرة والشمش والتين والفتح عليها لا يسقى إلا بماء المطر ويحوى مع ذلك زخما غنيا رويًا يفرق ما يسقى بالمياه والصبغ في جميع البلاد، وهذا لم أرى طوبى من البلاد في غير أرضها، ومن ذلك أن مسافة إلى مالكتها في أيامنا هذه، وهو الملك العزيز محمد ابن الملك الظاهر غازي ابن الملك الناصر يوسف بن أيوب ومدير دولته والقائم بجميع أموره شهاب الدين طغرل، وهو خادم رومي زاهد متعب، حسن العدل والرفقة برعيته، لا نظير له في أيامه في جميع أقطار الأرض، حاشا الأجرام المستعصر بالله إلى جعفر المنصور بن الظاهر بن الناصر لدين الله، فإن كرمه وعذله ورافته قد تجاوزت الحد فانه بكرمه يرحم رعيتهما بطول بقائهما، من المشرق إلى المغرب مسيرة خمسة أيام، ومن الجنوب إلى الشمال مثل ذلك...

وأما فتحها فذكر البلاذري أن أبا عبيدة رحل إلى حلب وعلى مقدمته عياض بن غنم الفهري، وكان أبوه يسمى عبد غنم، فلما أسلم عياض كره أن يقال له ابن عبد غنم فقال: أنا عياض بن غنم، فوجد أهلها قد تحصنوا، فنزل عليها فلم يلبثوا أن طلبوا الصلح والأمان على أنفسهم وأولادهم وسور مدنتهم وكنائسهم وشارعهم والحسن الذي بها، فأعطوا ذلك واستثنى عليهم موضع المسجد، وكان الذي صالحهم عياض، فأنفذ أبو عبيدة صلحه، وقيل: بل صالحوا على حقن دماهم وأن يقاسموا أنصاف منازلهم وكنائسهم. وقيل: إن أبا عبيدة لم يعاهد بحلب أحدًا لأن أهلها انتقلوا إلى أنطاكية وأنهم إنما صالحوا على مدينتهم بها ثم رجعوا إليها...

ثم يذكر ياقوت قلعة حلب وبابى الكلام عليها في المادة التالية إن شاء الله تعالى. ثم يقول:

وما زال فيها على قديم الزمان وحديثه أدياب وشعراء، ولأهلها

عمورية وإن كانت من عمل فريجييا فهي خلاف أنكورية المعروفة الآن نقرة وكانت عمورية قديما معروفة باسم *Amorium* وأنقرة باسم *Ancyra* . فلما فتحها أمير المؤمنين المتحتمص بالله سنة ثلاث وعشرين ومائتين نقله إلى سرمن رأى لما شرع في بنائها سنة إحدى وعشرين ومائتين . ثم نقل منها لما خربت إلى الرقة وبنى على هذا الباب أبرجة عظيمة ومرافق الأجناد حتى صار بمنزلة قلعة عظيمة من القلاع المرحلة المحصنة وعمل فيها طواحين وأفارنا وجبابا للزيت وصهاريج للماء وحمل إليها السلاح وحصنها .

قال ابن شداد : ومن عجائب الاتفاقات ما حكاها لي القاضي الأجلان قاضي القضاة كمال الدين بن أبي بكر أحمد ابن قاضي القضاة أبي محمد عبد الله ابن الشيخ الحافظ عبد الرحمن الأسدي المعروف بابن الأستاذ قاضي القضاة مجد الدين عبد الرحمن ابن صاحب كمال الدين أبي القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة المعروف بابن العديم . قالوا : قصدنا يوما زيارة الشيخ الصالح العابد الزاهد شرف الدين محمد بن موسى الحواري بظاهر حلب فاتفق عند اجتماعنا به وصول باب الرقة المذكور ليركب على بابا قنشرين فأجرنا ذكره فقال لنا الشيخ يوم فروغ هذا الباب : يتزل على المدينة من يأخذها ويفرح هذا الباب وسائر البلد . فجري الأمر على ما ذكره فإنه لما استولت التتار على حلب كان أول ما غرّب منها . ثم لما أخرجت التتار عنها وملكها الملك الظاهر أبو الفتح يبرس تلقى حديد المصنوع به ومسايره وحمله إلى دمشق وعصر (الدرالمتنخب / ٤١٣٩) .

وهيف خير الدين الأسدي قوله : ويقع بين قلعة الشرف والجلوم وساحة بزة . وفي ذكراه البان خنان ، وفي مدخله كان يوجد طاحون لطحن الحبوب ، ودخله ضريح الشيخ علي الطيار (أحياء حلب وأسواقها / ١٠٥) .

٧- باب العراق :

يقول ابن الشحنة نقلا عن ابن شداد :

« قال » ثم يتلو هذا الباب من جهة المشرق « باب العراق » سمي بذلك لأنه يخرج منه إلى جهة العراق وهو باب قديم مكتوب على بعض أبراجه « أبو حلوان شمال بن صالح بن دمراش » . وكان شمال بحلب بعد العشرين والأربعمائة وبين يدى هذا الباب ميدان أنشأه الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي سنة ثلاث وخمسين وخمسائة وله بابان .

« قال » ابن النطيط : وهذا الباب لم يبق منه شيء بالجملة الكافية وإما موضعه الآن شمالي جامع الطوائف عند حمام الذهب انتهى .

« قلت » صدق وكتبت أعهد هناك قاعة عظيمة تعرف لها بوابة عظيمة ذات مصطبتين من رخام ولها ساباط حسن ثم إن الملك

النسور ، ومحلّه قديم قبل الإسلام ، يتألف من أربعة أبواب : باب إلى المدينة ، وباب إلى البرية ، وبابان بينهما ، وقنشرين تسمى في يومنا الحيس نسبة إلى عيساو من بني إسرائيل . ويقره على تلها كما يزعمون ، وذكر ابن العديم في الزبدة باب قنشرين كثيرا (أحياء حلب وأسواقها / ١٠٤ ، ١٠٥) .

قالت المؤلفة : هذا هو وصف باب قنشرين كما شاهدته يوم الاثنين ١٢ صفر ٤١٢ هـ / ١٩ أغسطس ١٩٩١ م أثناء زيارتنا لحلب ، ومما دونته عندي في مفكرتي أن بالسقف ثلاث فتحات للإضاءة .

ونعود الآن إلى استكمال كلام ابن الشحنة الذي يقول :

« قال » ابن شداد فأولها مما إلى القبلة « باب قنشرين » وسمى بذلك لأنه يخرج منه إلى جهة قنشرين . ويمكن أن يكون من بناء سيف الدولة ابن حمدان لأنه إلى جانبها برج كان مكتوبا عليه اسمه ثم جهده الملك الناصر يوسف ابن الملك العزيز محمد ابن الملك الظاهر غازي ابن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب في



باب قنشرين

سنة أربع وخمسين ومستمائة . ونقل إلى بنائه الحجاره من الناعورية ، شرقي حلب من برج كان بها من أبرجة القصر الذي بناه مسلمة بن عبد الملك فيها ونقل إليه باب الرقة ووضعه عليه وكان هذا الباب أولا على سور عمورية وهي مدينة أنكورية . يطلق الأستاذ عبد الله محمد الدرويش هنا بقوله :

« قلت » (أى ابن الشحنة) كأنه اشتق هذا الاسم من الوتيرة
يفتح الواو وكسر الفوقانية ثم محتاتية ثم راء هاء وهى الطريقة
الملاصقة للجليل فإن هذه التواتير كذلك . والوتيرة تطلق على مطلق
الطريقة أيضا ، وتطلق الوتيرة أيضا على الأرض البيضاء وهذه
التواتير أيضا كذلك . وتطلق الوتيرة على ما غلظ من الأرض والتواتير
أيضا كذلك والله أعلم (الدر المنتخب/ ٤٣، ٤٢) .

قال خير الدين الأصدى : يقع باب الأربعين بين الباب الصغير
وباب النصر ، قريبا من حمام السلطان ، سد مدة ثم فتح . لا وجود
له الآن (أحياء حلب وأسواقها/ ٩٤) .

ثم « قال » يحيط بهما من شرقى قلعة الشريف إلى باب الفتاة
وفتح فيه ثلاثة أبواب ولم يتبها فأتهمها ولده الملك العزيز محمد
وسمى القبلى منها باب المقام .

٦- باب المقام :

قلت لأنه يخرج منه إلى جهة مقام سيدنا الخليل عليه السلام .
« قال » ويعرف الآن بباب نفيس رجل كان به أسفاسلار وهو لفظ
أصعصى فتارة يجعلون بين السنين موحدة ثم الفاء وتارة يجعلون
بعدها فاء ثم هاء وإنما يبدلون من السنين صادوا وهو عبارة عن متولى
الأمر وربما سموه فى هذا الزمان متولى الحجر . يفتح الحاء وسكون
الجيم ومعنى أن له الحجر والإذن فيما يتعلق بالبلد أو القلعة أو
المكان والله أعلم (انظر مادة « الأسفاسلار » فى م/ ٤ / ٣٨١م
هذه الموسوعة) .

« قال » وبنى هذا الباب شرقا باب يسمى :

٧- باب النرب « لأنه يخرج منه إلى قرية تسمى بهذا الاسم .

٨- « قال » وبنى هذا الباب باب الفتاة سمى بذلك لأن الفتاة
أتت ساقها الملك الظاهر من حيلان إلى المدينة تعبر منه .

« قلت » ويعرف الآن بباب ياتقوساه لأنه يخرج منه إليها وهى
حارة كبيرة ظاهر حلب من جهة الشرق والشمال بها جوامع ومساجد
وحمامات وأسواق وخصانات وهى الآن بندر عظيم وقد تجدد بين
النرب وباب الفتاة باب صغير يعرف الآن « بباب خندق بالوج » وهو
على التراب الذى أخرج من خندق الروم وبنى عليه السور الذين فى
أيام الملك العزيز ثم غير هذا السور الذين فى أيام الملك العزيز
أيضا وبنى بالحجارة . والله أعلم .

« قال » ابن شداد : وبنى باب الأربعين المقدم ذكره من جهة
الشمال باب النصر .

٩- « باب النصر » وكان يعرف قديما بباب اليهود لأن محال
اليهود من داخله ومقابرهم من خارجة فاستقبح الملك الظاهر ووقع
هذا الاسم عليه فسماه باب النصر أعنى به اسم باب اليهود فلا
يعرف الآن إلا بباب النصر . « قلت » والظاهر أنه لا بد لتخصيصه

المؤيد شيخ لما أراد هدم الأسوار وإعادتها إلى ما كانت عليه قديما
أمر بهدم تلك القاعة وإعادة باب العراق فهدمت وليس الباب على
ما كان عليه قديما فلما مات المؤيد أنزل الباب المذكور وبطل
تجديد السور . والله الموفق .

(الدر المنتخب / ٤١) .

قال خير الدين الأصدى : داخله مسجد غوث بن سليمان
قاضى مصر . زعموا أنه به حجرا عليه كتابة بخط على بن أبى طالب
رضى الله عنه (أحياء حلب وأسواقها/ ١٠٠) .

٣- باب دار العدل :

قال ابن شداد : وبنى هذا الباب شرقا « باب دار العدل » كان
لا يركب منه إلا الملك الظاهر غياث الدين غازى وهو الذى بنه
(الدر المنتخب/ ٤١، ٤٢) .

ويضيف خير الدين الأصدى قوله بأن هذا الباب دثر، وأنه كان
محل السراى حاليا (أحياء حلب وأسواقها/ ٩٩) .

٤- الباب الصغير :

قال ابن شداد : وبنى أيضا شرقا « الباب الصغير » وهو الباب
الذى يخرج منه من تحت القلعة من جانب خندقها وخانقاه القصر
إلى دار العدل ومن خارجة البابان اللذان جددهما الظاهر غازى فى
السور الذى جده على دار العدل أحدهما يدهى بباب الصغير
أيضا يفتح على شفير الخندق ويخرج منه إلى الميدان المقدم ذكره
والآخر يفتح على ، وبنى الباب الصغير الأول « باب الأربعين » (الدر

المنتخب/ ٤٢) .

قال خير الدين الأصدى : الباب الصغير شرقى دار العدل ، فى
موقع حمام الناصرى حاليا، دثر (أحياء حلب وأسواقها/ ١٠٠) .

٥- باب الأربعين :

قال ابن شداد : وكان قد سد مدة مملوكة ثم فتح وله بابان
واختلف فى تسميته بهذا الاسم فقيل إنه خرج منه مرة أربعون ألفا
فلم يعودوا فسمى بذلك .

وقال ابن الخطيب ثم بعد سوى رجل واحد فرأته امرأة من طاق
وهو داخل فقالت له : دبيران جئت . فقال لها : دبيران من لم
يجى . « وقيل لأنه كان بالمسجد الذى داخله أربعون من العباد
« وقيل » أربعون محدثا « وقيل » كان به أربعون شرقا وإلى جانب
أعلى المسجد للأشراف مقبرة . انتهى .

وقال ابن الخطيب وكان باب الأربعين قد غرب ولم يبق إلا آثاره
إلى أن رسم السلطان الملك الأشرف برسبى بيتاه السور البرئى
لهدم ما بقى من الحجارة ولم يبق به الآن بناء ولا حجارة .

قال ابن شداد : وهذه الأبواب الثلاثة أعنى باب العراق وباب
الصغير وباب الأربعين كان الملك الظاهر غياث الدين غازى قد
سفح بين يدها تلا من التراب الذى أخرجه من خندق الروم وسماه
التواتير .

قال خير الدين الأسدي : باب الجنان : (يلفظه العامة بابجنين) سمى بذلك لأنه يقضى إلى جنان حلب حيث يجرى نهر قويق . ذكره ابن المديم في الزينة ، والبهغادي في مراد الأطلاق قال : أحد أبواب الرقة ، وأحد أبواب حلب ، وعلق محققه البجاري بقوله : قال عيسى بن سددان :

كلما مرت به ناسمة

موهباً من على باب الجنان

هدمته الحكومة السورية سنة ١٣١٠ هـ ووسعت به الطريق ولم يبق له أثر قال ابن شداد : وعلى هذا الباب ، أعنى باب الجنان : باب أنطاكية .

١٢-باب أنطاكية(قناتين يارته الإثني عشر) ٤١٢ هـ/ ١٩ أغسطس ١٩٩١ م) وسمى بذلك لكونه يخرج منه إلى جهة أنطاكية وكان تغفر ملك الروم قد خرب هذا الباب لما استولى على حلب سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة فلما عاد إليها سيف الدولة بنه ولم يزل على إنشاءه إلى أن هدمه الملك الناصر صلاح الدين يوسف وبناءه وكان ابتداء بعماره في سنة ثلاث وأربعين وستمائة . ثم في سنة خمس وأربعين وستمائة بنى عليه برجين عظيمين ووصل له دركه وحنايا بعضها على بعض وله بابان (الدر المتضب) ٤٦٠ .

قال خير الدين الأسدي : وفي باب أنطاكية جامع الشعبية ويسمى الغفساري ، وهو أول مسجد بناه المسلمون بحلب عند فتحها ، واسمه حالياً جامع التوتة ، وقرب الشعبية تقع المدرسة الأندلسية أنشأها أسد الدين شيركوه وقد ثروت . ومن باب أنطاكية يرقى إلى العفة يساراً وإلى الجالوم يمينا ، وفي مدخله كله معروف (بالجيم المصرية) (أي جلة) معلقة في السقف بسلسلة ومروطة بعضاً ، كان الشيخ معروف أحد الأبطال الفدائرية يحارب بها .

(قالت المولفة : سمعت لدى زيارتنا لباب أنطاكية أنه يقال إن الذي علقها هو سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه) . وخارجيه ما تزال تنتشر الحوائث والمخازن التي يقصدها اليد وأهل القرى للبيع والشراء ، منها حوانيت الحلادة ، وصناعة الحدوات والبرازنج . وقد ذكر ابن شداد (الأطلاق الخطيرة ١/ ٩٠) أسماء واحد وثلاثين مسجداً خارج باب أنطاكية ، وفيه حماما محمد باشا ، أحدهما مختص بالبابجنين ، والأخر في رأس الباب السلذكور (أحياء حلب وأسواقها) ٩٤ ، ٩٥ .

قال ابن الشحنة : وعلى هذا الباب :

١٣-باب السماعة :

ويخرج منه إلى ميدان الحصا أنشأه الملك الناصر سنة خمس وأربعين وبنى عليه أبرجة وله دركه وبابان . « قلت » وهذا الباب أيضا لم يذكره ابن الخطيب لكونه قد دثر ولم يبق له رسوم ولكن لما

بهذا الاسم من سبب يقتضيه لكن لم يذكره ابن شداد ولا ابن الخطيب بعده لذلك من سبب . والله أعلم .

« قال » وهذا الباب غيَّره الملك الظاهر وكان عليه بابان يخرج منهما إلى ياشورة يخرج منها إلى الظاهر المدينة فهدمه وجعل عليه أربعة أبواب كل باب بركناه على حدة يسلك من إحدى الدركتين إلى الأخرى في قبر عظيم محكم البناء وبنى عليه أبرجة عالية في جنبه محكمة البناء أيضا ويخرج منه على جسر معقود على الخندق وكان على ظاهره نلوك عالية من التراب والرماد وكتاس المدينة فسفها وأزالها وجعلها أيضا متوية وبنى عليها خانات يباع فيها الخلات والحطب .

وذكر ابن الخطيب ما يناسب ذلك أنه كان عليه قبل ذلك بابان فقط يخرج منهما إلى ياشورة قلت : والباشورة هي قطعة أرض ظاهر سور البلد يجعل عليها سور خاص يحول بينها وبين الخندق يخرج منها إلى ظاهر البلد .

قال ابن شداد وعلى هذا الباب :

١٠- « باب الفراديس » وهو من فرجى البلد أنشأه الملك الظاهر غياث الدين غازي وبنى عليه أبرجة عالية حصينة ثم سد بعد وفاته ولم يزل مسدودا إلى أن فتحه الملك الناصر ابن أبيه .

« قلت » وهذا الباب لم يذكره ابن الخطيب لكنه ذكره استطرادا لما ذكر خراب سور حلب (الدر المتضب) ٤٣-٤٥ .

قال خير الدين الأسدي : يقع باب الفراديس بين باب الفرنج وباب النصر ، أمام حوزة الكيالي حالياً . دثر (أحياء حلب وأسواقها) ١٠١/

١٠-باب الفرنج :

هو الباب الصغير .

وذكر ابن شداد بابا آخر يقال له باب الفرنج بالقرب من القلعة . قال خير الدين الأسدي : هو الباب الصغير (الدر المتضب) ٤٥) سُمي « بباب الفرنج في دمشق » بهذا الاسم تفللا لما وجد من التزجيج بفتحه (زينة الحلب ١/ ١٥٠) فتحه الملك الظاهر غازي وكان في محله باب يسمى باب العبارة أو باب الثعابين . وباب الفرنج لم يبق له أثر .

قالت المولفة : شاهدنا الموقع الذي كان به ، وذلك يوم الإثنين ٩ صفر ١٤١٢ هـ/ ١٩ أغسطس ١٩٩١ م ، كما شاهدنا في نفس اليوم موقع باب الجنان .

١١-باب الجنان :

ذكره ابن شداد فقال :

باب الجنان وسمى بذلك لأنه يخرج منه إلى البساتين وله بابان فظهر لى أن باب الفراديس هذا هو المعروف الآن بباب الفرنج . ويصغهم يسميه باب العبارة والله أعلم (الدر المتضب) ٤٥ ، ٤٦ .

وعلى الرغم من نفوذ الأجانب في العصر العباسي، إلا أن حلب غدت عاصمة عربية لقليلة تغلب الحمدانية التي وسعت تخوم والإية حلب. وكان سيف الدولة أعظم الحمدانيين شأنًا، قضي أثناء حكمه، خاض معارك كثيرة وحقق انتصارات ساحقة على البيزنطيين وقد سجل أبو الطيب المتنبى الشاعر الفذ الشهير حملات سيف الدولة متغنيا بأبجاده في قصائد رائعة، كما صور قصر أبي فراس المشيد على أطراف المدينة وكان يسمى الحلبية. وأصبحت حلب قاعدة للجيش الإسلامي التي احتشدت لطرد الصليبيين وكانوا يحتلون مناطق من سورية، بعد أن كانت الحصن الشمالي المنيع لصده هجمات البيزنطيين، وكان نور الدين بن زنكي هو الذي قضى على مقامهم. غير أن هذه الحروب لم تمنعه من الاهتمام بالأشغال العامة ولا تزال حلب تحمل طابعه إلى يومنا هذا.

ومضى الأيوبيون في تنفيذ برنامج الأشغال العامة في المدينة، فقام الملك الظاهر بتجديد القلعة وتغطية منحدراتها بالصخور اللحية. كما شيد «بيت الأملدة» وقصر «بيت النظر». وفي وقت لاحق، تعرضت حلب للغزو، إذ شن عليها المغول غارتين، الأولى بقيادة هولاكو عام ١٢٦٠، وقاد تصوراتك الغارة الثانية عام ١٤٠٠. ويرجع أن المدينة قد كابدت أسوأ خسروب التدمير، إلا أنها لا تزال تحتفظ ببعض النماذج الزرقعة لفن العمارة الإسلامي، التي تجعل من حلب واحدة من المدن البارزة بعد الغارة من حيث آثار العصور القديمة والتعبئة والتذكارية. أما فيما يتعلق بفن العمارة المسيحية، فنجد أن كنيسة القرن الخامس عشر القديمة والمدرسة الحلوية (أوردناها تحت عنوان «الحلوية المدرسة») والكتاتدرائية والمدرسة المقدسية، لا تزال قائمة في أماكنها، فضلا عن غيرها من مباني القلعة والتي يعود تاريخها إلى العصر البيزنطي.

ويبرز من بين التتبعات التذكارية الإسلامية الباقية، سور المدينة وأبوابها: وهي باب النصر وباب أنطاكية وباب قنسرين (القرن الثالث عشر) وباب القريش وباب المقدام وباب الحديدة (القرن الخامس عشر) وباب الجنان (القرن السادس عشر).

وتعتبر القلعة (الأكروبوليس) أقدم المباني الباقية. ويعود تاريخها، بشكها الراهن، إلى عهد الملك الظاهر غازي سلطان حلب عام ١٠٢٩ ميلادية. والمسجد الأموي العظيم ه أحد المباني القديمة الأخرى وقد أعيد تجديده عدة مرات ويعود تاريخ مكانه إلى عام ١٠٩٠ ميلادية (أوردناه في ١١٢/ ٤٨١ تحت عنوان «الجامع الأموي الكبير بحلب»).

كما يوجد في حلب، مزار يسمى مقام الصالحين ويقال إنه ينحدر إلى زمن إبراهيم الخليل. ولا يزال يوجد في حلب، مية إسلامي رائع آخر. هو المارستان النوري وهو مستشفى يرجع تاريخه إلى العصور الوسطى (يأتي الكلام عليه فيما بعد).

أمر السلطان الملك المؤيد شيخ بتجديد الأسوار ظهر هنالك باب مسدود قلعه هذا والله أعلم. ثم مد أيضا (الدراختخب/ ٤٩). قال غير الدين الأسيدي: يقع باب السعادة بين الكلاسة وباب أنطاكية في موقع خرق الجبل حاليا (أحياء حلب وأسواقها/ ٩٩، ١٠٠).

٤- باب السلامة:

«قال» ابن شداد ومن هذا الباب إلى باب قنسرين «قال» وكان بحلب قديما بابان أحدهما يسمى باب القريش وهو إلى جانب حمام القصر المشهور أخره الملك الظاهر وهدمت معالمه. والباب الآخر كان على الجسر الذي على نهر فويق خارج باب أنطاكية من بناء سيمما الطويل سماه باب السلامة دثرت معالمه وكانت الروم أعترته أيام سيف الدولة بن حمدان وسنذكره في المباني القديمة التي بحلب. انتهى كلامه والله تعالى أعلم (الدراختخب/ ٤٦، ٤٧).

ويضيف غير الدين الأسيدي أن الروم خربته سنة ٣٥٥ هـ (أحياء حلب وأسواقها/ ١٠٠).

وتزخر مدينة حلب بالآثار الإسلامية الرائعة، التي أسعدنا الحظ بزيارتها يوم الاثنين ٩ صفر ١٤١٢ هـ/ ١٩ أغسطس ١٩٩١ م، وإثباته ١٠ صفر/ ٢٠ أغسطس. وتشمل المساجد والمدراس والمخوتن والربط والزوايا والخانات والحمامات والبيمارستانات وقد أحصاها كل من ابن شداد في «الأهلاق المخفيرة»، وابن الشحنة في «الدراختخب في تاريخ مملكة حلب»، وغير الدين الأسيدي في «أحياء حلب وأسواقها»، ونورد بعضها في مواضع إن شاء الله تعالى.

ولاستاذة غيف يهنسي (من الجمهورية العربية السورية) بحث في الآثار الإسلامية في حلب يستهله بمقدمة عن تاريخ حلب يقولها:

حلب كلمة عمورية قديمة تعني النحاس الذي اشتهرت به المدينة في العصور القديمة. وقد جاء ذكرها لكثرة الأولى إبان حكم «سرجون الأكدي» وهي تاريخها في التقلب فيما بين ازدهار وانحطاط منذ ذلك الحين، ففي الحقبة المسيحية، أصبحت مقرا لكتاتدرائية لا تزال قائمة حتى يومنا هذا، وتعرف باسم المدرسة الحلوية. ولم تكن حلب في صدر الإسلام إحدى المدن الرئيسية في الإمبراطورية، بل كانت مدينة تابعة تدور في فلك «قنسرين» عاصمة منطقة حلب، وكانت قنسرين تماثل أنطاكية في العظمة والفخامة، ولم يبق من هذه المدينة التي كانت عظمة ذات يوم، سوى أطلال وبقايا حصون، لا تثير اهتمام أحد اللهم إلا علماء الآثار وحدهم.

وتحتفظ المدينة القديمة بطابعها التقليدي من شوارع متعرجة تسترها الشرفات والألواح الخشبية لحمايتها من المواقف والشمس والأمطار. وتصطف البيوت على جانبي هذه الطرق العائدية. ولا يستطيع المرء إدراك جمال هذه المنازل حيث إن واجهاتها في حالة يرثى لها من الإهمال. بيد أنه حالما يالج المرء أبوابها، يجد نفسه في عالم آخر من الجمال والهدوء، إلا أنها أصبحت مهجورة، البيوت أن يتغفروا الكثير على زخرفتها، إلا أنها أصبحت مهجورة، ينزوح ملاكها إلى المدينة الجديدة وتواجهنا في الوقت الراهن مشكلة ذات شقين، فمن ناحية، يهدد الإهمال المدينة القديمة على الرضم من أن فن عمارتها وطرزها يتواءم مع تقاليدها وصاداتها ومناخها ومواد البناء المتوافرة، ثم هناك من ناحية أخرى، مشكلة المدينة الجديدة ويختلف طابعها عن الذوق المحلي، وقد تفاقت هذه المشكلة نتيجة لوضع غير حادى ألا وهو زيادة عدد السكان إما عن طريق الهجرة من الريف أو بسبب ارتفاع معدل المواليد (٣ في المئة تقريبا) ففى حين كان عدد سكان حلب ١٥٠ ألف نسمة عام ١٩٢٥ و١٠٠ ألف نسمة عام ١٩٦٠، أصبح اليوم ٨٠٠ ألف نسمة. وتتركز هذه الزيادة فى المدينة القديمة، لا سيما فى المنطقة بين بابقصة وباب اليرب ومركز الأسواق والخانات والأحياء التجارية. وقد ترتب على هذه الزيادة الهائلة فى السكان رحل الطبقة البرجوازية وصالت البيوت التقليدية إلى الأحياء الحديثة تاركين بيوتهم للمهاجرين الذين أعملوها.

ولم تحل المشكلة بالهجرة من المدينة القديمة، بل إنها على النقيض قد أدت إلى إهمال وتشويه القسمات المميزة للمدينة الفريدة (حلب الأثارة الإسلامية فى حلب / ١٨٥، ١٨٧، ١٨٩، ١٩٠).

أما عن المساجد الموجودة بمدينة حلب حتى القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) فقد حصر ابن شداد البارز منها والمشهور، فبلغ ما هو موجود بداخل حلب ثمانية ومائتى مسجد، وعدد ما هو موجود بين أبوابها أربعة عشر مسجدا. ويبلغ ما هو كائن بأرياف حلب خمسة عشر وعدد مساجد الحاضر السليمانى مائة وعشرة. وعُدَّ ابن الشحنة مساجد الرابية وجورة حطال، من ضواحي حلب، فبلغ مائة وثمانية وستين مسجدا. أما عن المساجد بخارج باب أنطاكية ومساجد المضيق ومساجد التي بالطاهرة والريادة وبالقوسا والأوزار فقد بلغ عددها ثمانية وخمسين ومائة. وأضاف ابن الفلاس إلى ما تقدم عددها المساجد الموجودة بالقلعة فبلغت عنتها ستة وخمسين مسجدا واعتمادا على ما جاء فى المصادر المعاصرة للقرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) نستطيع القول بأن عدد مساجد حلب حتى نهاية القرن السابع الهجرى قد بلغ تسعة وعشرين وبمعاملة مسجد.

ولعل أهم مسجد جامع لا يزال باقيا بحلب حتى اليوم وترجع معظم مبانيه إلى القرنين السادس والسابع الهجريين، هو مسجدها الجامع (المجمع الإسلامى فى بلاد الشام / ١٣٣) (أوردنا هذا الجامع

ومن بين مباني العصر الأيوبي المعروفة فى المدينة، تبرز المدرسة السلطانية، وتضم ضريح الملك الظاهر غازى ويسمى «الترية» (١٢٢٣ ميلادية) والمدرسة الظاهرية التى شيدها سلطان حلب (١٢١٧ ميلادية) والمدرسة الكاملية ومشة جامع اللبغاة وخاتكة القرافرة (١٢٢٧ ميلادية) ومدرسة القردوس التى شيدها «ضيفة خاتون» زوجة الملك الظاهر غازى. وتحتوى هذه المدرسة على مسجد ومدرسة وضريح وتعتبر أجمل مثال لفن العمارة الإسلامى فى حلب.

وتتميز من بين المباني الباقية لمعهد المماليك فى حلب، جامع تينبا (١٣١٨ ميلادية) وسارستان أرغون، وهو واحد من أعظم مستشفيات العصور الوسطى فى سورية ومصر:

(قالت المؤلفة: قمنا بزيارة هذا الديرستان العظيم فى حلب يوم الثلاثاء ١٠ صفر ١٤١٢ هـ / ٢١ أغسطس ١٩٩١م، وقد أدرجناه فى هذه الموسوعة تحت عنوان «أرغون الكاملى بديرستان» فى ٣/ ٦١٤ - ٦١٧) وجامع أطراش (١٤٠٣) وحماد الناصرى وهو من أجمل الحمامات العامة فى سورية.

ويشتهر من بين الخانات أو فنادق القوافل الشهيرة التى لا تزال توجد فى حلب، خان الصابور وبعد تاريخه إلى بداية القرن السادس عشر وخان الوزير وخان الجمرى وبيت السلال (القرن السابع عشر) وخان التورانيين وخان التت وبيت الخزالية وبيت أحقياس (أوائل القرن الثامن عشر) وحماد النحاسين ويعود للعصر العثمانى.

وتعتبر حلب من بين المدن القليلة التى تضم القديم والجديد جنبا إلى جنب، بيد أن الفرق بين الاثنين واضح جلى. فعلى سبل المثال، تقتصر المدينة القديمة اليوم على أطلال السور الذى يقع بين باب الجنان وباب أنطاكية وباب قنشرين وحدود جندل الخندق مشكلة مساحة مربعة يبلغ ضلعها نحو ١٥٠٠ متر. وإبان حكم الملك الظاهر، اتسعت المدينة إلى الشمال والغرب. ودرج أهل المدينة (أهل الجوا) على السكنى فى المنطقة التى تقع داخل السور فى حين كان أهل الريف (أهل البرا) يقبضون خارجه.

وتعتبر أحياء البياضة ورواء الجامع والسفاحية أشهر أحياء هذه المدينة التاريخية.

والأسواق من أهم السمات المميزة للمدينة القديمة حيث لا تحفل المدينة فحسب بالشوارع التى تصطف على جانبيها الحوانيت، بل أيضا بممرات المشاة الواسعة المغطاة بالتياب الحجرية السمكية التى تقى من حرارة الصيف وبرودة الشتاء وتنفذ الضوء من خلال فتحات فى هذه التياب. وتنتد هذه الأسواق على نحو متصل إلى مسافة تبلغ ١٥ كيلو مترا وتتركز عند نقطة تدعى المدينة إلى الغرب من حلب. ومن بين هذه الأسواق، وبلغ صيت سوق الفارين وسوق السراجين وسوق الزرب وسوق المطارين وسوق الخائش، إلخ ...

في م ١٠ / ٤٨١ - ٤٨٤ تحت عنوان « الجامع الأخرى الكبير بحلب » .
وأما عن المدارس فقد ذكر ابن شداد ما يبطل حلب وتظهرها
من هذه المدارس :

- ١- المدارس الشافعية :
- (أ) التي بباطن حلب :

المدسة الزجاجية - المدسة المصرونية - المدسة النصرية
النورية - المدسة الصباحية - المدسة الظاهرية - المدسة الأسدية
- المدسة الرواحية - المدسة الشعبية - المدسة الشرقية - المدسة
الزينية - المدسة السيفية .

- (ب) التي يظهر حلب :

المدسة الظاهرية - المدسة الهورية - المدسة البلندقية -
المدسة القميرية - مدسة بالجبل - مدسة الأمير شمس الدين لؤلؤ
- مدسة بالمقام - مدسة عز الدين أبي الفتح ، مظفر بن محمد بن
سلطان بن فالك الحموي .

- ٢- المدارس الحنفية :

- (أ) التي بباطن حلب :

المدسة الحلاوية - المدسة الأتابكية - المدسة الحدادية -
المدسة الجردكية - المدسة المقدمية - المدسة الجاولية -
المدسة الطمانية - المدسة الحسامية - المدسة الأسدية - المدسة
الغليجية - المدسة الغفسية .

- (ب) التي يظهر حلب :

المدسة الشاذليزية - المدسة الأوسودية - المدسة السيفية -
المدسة البلندقية - مدسة النقيب - المدسة الدقاقية - المدسة
الجمالية - المدسة الحلاوية - المدسة الكمالية العدمية .

- ٣ - مدارس المالكية والمتحالية بحلب :

مدسة أنشاما الأمير سيف الدين علي بن علم الدين سليمان
ابن جندر تحت القلعة لتدريس مذهبي مالك وأحمد بن حنبل .
زاوية بالجامع وقفها الملك العادل نور الدين محمود زنكي
لتدريس مذهب مالك .

زاوية بالجامع للمتحالية وقفها نور الدين أيضا (الأملاني
الخبطرة ج ١ / ٤١٨ - ٤٢٢) .

- البيوت الحلية :

وأما عن البيوت الحلية فيقول الدكتور أندرية ريمون عن
المسكن السوري : يتميز المسكن السوري بالامتداد الأفقي ويعطاه
الأهمية الخاصة للباحة السماوية التي غالبا ما تكون مزينة بالأشجار
والنباتات وكانت حقيقة ، فضلا عن وجود نفورة الماء في وسطها ،
والمقاعد الحجرية في أطرافها . ثم هناك الأروان الذي يطل على
الباحة بقوس جميل . ويمثل الأروان هذا معقد البيت القاهري من

حيث توجهه نحو الشمال ، ومن حيث استعماله مجلسا في فصل
الصيف ، ولا يختلف أحداهما عن الآخر إلا من حيث إن الأروان
موجود في الطابق الأرضي بينما المقعد القاهري موجود في الطابق
العلمي .

ثم يقول :

ومن مميزات الدور الحلبية وجود السرداب الأرضي الذي
يستخدم مستودعا للمؤونة أو ملاذا في فصل الصيف . ووجود
السرداب لا يقتصر على الدور الشعبية بل ويشمل الدور الهامة
والقصور في بعض الأحيان (العوازم العربية / ٩٢ ، ٩٣) .

وللدكتور محمد وليد كامل بحث بعنوان « الأكشاك الخشبية في
الدور الحلية » تنقل لك مقتطفات منها فيما يلي :

حرص الحلبى منذ قرون خلت على أن يكون بيت سكنه مريحا
بهيجا ، ينعم ساكنه بالمسرة وبهنا بالراحة ، ففيه يحظى بنسائم
الرييح والصيف إذ تروح الأسرة تنسم هبات الهواء الطيبة في بهو
الإيوان الضيق الذي يحظى غالبا بسقف مقبب عال يكون بقدر
هلو غريقتين على الأقل ، وهذا يكسب الجالسين ظلا مشمعا بنسائم
الرييح الندية والصيف الملطقة بمياه السيليل الذي يواجه الإيوان ،
ويصب في بركة ناعمة مما يفضي على سهرات الليل صوت الرنذ
الذي يذبل ويحرر الماء السريع ، كما يفضي على جلسات النهار
المشمس المشبعة بأريج زهر الليمون والنانج والكباد والبرتقال
مزيدا من الجمال الساحر ، كما أن هذه البيوت التي تهيج لساكن
ريحا وصيفا هي أيضا تهيج شتاء وغريفا ، فقاعات الجلوس
فيها غنية بخضرة الزينة ، وغنية أيضا بالقشوش والزخارف
والكتابات التي تدعو الجالسين إلى تأمل معانيها . . كما



للنيل العربية في حلب القديمة

مكتشوفة، وبذلك التحم الجو الداخلي بالخارجي بعد أن كان الجو الداخلي معزولا ومحما من ملوثات الرئة والنفس الإنسانية.

انتقل مفهوم المكشك كمصدر هتلمس من استانبول إلى إنجلترا وفرنسا وألمانيا، فساهم في تطوير العمارة من طابق إلى طابق عديدة تكاد أن تطغى السحاب في القرن العشرين، على حين أنه دخل المشرق العربي وطور عملائه ببطء شديد بسبب القيم الأخلاقية التي تحكمه، وعلاقات الجوار التي تعتبر جزءا متوارثا من مجمل تكوينه الحضاري.

لذا يمكن القول: إن عنصر المكشك هو عنصر هتلمس جمالي لو وقف بالحركة العمرانية عند مرحلة الدور ذات الصحن المكشوف، والحماية من النظارة الخارجية في طابقها الثاني المكشك بعنصره، إلا أن الأمر كان مرحليا إذ استعان البيت المحلي عن المكشك بشرفة اتسعت مع الزمن حتى أصبحت عنصرا متمميا بديلا عن صحن الدار المكشوف، ولم تعد الدور العربية معزولة فشارك الشجر ضجيجها وتلوذ، وبذلك حُرِّم الإنسان العربي من النمو النفسي السليم في ظل مفهوم «وليسك بيتك» (الأكشاك الخشبية في الدور الحلبية / ٧٥-٧٨).

قالت المؤلفة ويمدنا ابن الشحنة بقائمة بأسماء الدور العظام في حلب وعددها ستة وعشرون دارا، ومن بينها دار التي أخرجها تحت رقم ١٥ وقال عنها: «دار بحارة التركمان تصرف بأقفا الهدباني، ويحلق بذلك «دار» المؤلف الفقير محمد قاضي

أنها غنية بظلالها البهجة التي تلقيها أشجارها الوارفة على الجالسين.

وهذه الفاعات تطل على صحن الدار بكثير من الشبابك التي يرى منها الجالسون الأرواح الطليقة والأشجار المعتلة بشمار الشتاء أو بشمار الربيع... فإذا فقت جلسات الأسرة وراح كل إلى غرفته فالفرقة تحظى بالنور، فالشبابك على طول الواجبة والطاقت فوق الشبابك، وهذه الشبابك والطاقت تضيئ النور الكافي من الشمس التي تملأ الغرفة المغروشة بالسجاد القمقم والأرائك أو الأسرة الأنيقة، وهي تسمح بالتهوية الكافية لهذه الغرف، قد يكون للغرف - إضافة إلى تهوية الشبابك - طاقت (الباتنج) وهي المكيف الطبيعي الذي يأتي بهواء من الجهة التي تهب منها نظيفا صافيا ينشئ الأجواء في الصيف أما في الشتاء فيوقف عمله.

وقد تأتكت البهجة من الزخارف التي ترين وأجهاث الفاعات الخارجية المعتلة على صحن الدار وبخاصة زخارف الإيوان، فهذه النقوش والزخارف الحجرية تتناغم مع الزهور والدوالي والأشجار فتكون كاللوحات الخلفية الجميلة التي تملأ المكان بالجمال الأخاذ.

العمارة العربية بين الوظيفة والجمال

استقت العمارة العربية مع البيئة والمناخ كما اتفقت مع الحياة الإسلامية. ففي التخطيط العربي، يمتاز الفناء بكثرة المخضرة والازدهار والياه الهادئة التي تمر في قنوات صغيرة تكون كلها صورة جميلة مصفوفة للطبيعة، وقد أدى ذلك إلى زيادة مسطح الفتحات المودعة للمراغات المحيطة بالفناء مما أدى إلى تداخل الخارج بالداخل، وغالبا ما اكتفت الدور العربية عن العالم الخارجي بسحر الفاعل الفنان، إلا أن البيوت بدأت منذ القرن الثامن عشر تأخذ أسلوب الصحن المكشوف إلى جانب الجناح المسقوف المطال على الصحن من الداخل، الذي قد يطل على الشارع بأكشاك خشبية kiosks، وهذه الدور تطورت في القرن التاسع عشر إلى البيت ذي الطابقين المسقوف تماما من دون صحن دار مكشوف، فالدور الحلبية كانت من طابقين لكن تطل الغرف فيها على صحن مكشوف، وتكتفي بإطلالة على الداخل، الآن بدأت الدور تطل من خلال الأكشاك على الشوارع الضيقة أو العريضة، هذه الصور المعمارية الجديدة نراها في كثير من الأحيان في «الفرالفر» والحلبية والمزينة والجديدة وغيرها... ليس من ريب أن المكشك فن عثماني وفد إلى تراث العمارة العربية الإسلامية، وأحدث تحويلا جذريا في البيئة الداخلية للدور العربية، إذ سقت تدريجيا حتى حرم ساكنوها من نعمة النظر إلى السماء والاستفادة من الشمس والهواء بالقرب من الماء المنطق والنبات المتخضر، ثم تنامت المكشك شيئا فشيئا حتى استغنت عنه بشرفة واسعة



بيت بعلبك الأول، يقع على صحن دار مكشوف، ويطل على الشارع ويملكه حسين بوعرق، وهي الممرات

وهناك امتدت إليها أيدي العابثين فانقلبت من مقرها إلى شتى مكتبات العالم، ولم يبق من هذا العدد الوفير غير خمسة أو ستة آلاف مخطوط قامت « دار الكتب الوطنية » بجمع ما تفرق منها في المدارس والجامع، وكتابة فهرسها، ثم سلمتها إلى مكتبة الأوقاف الإسلامية .

وعناية حلب بدور الكتب جد قديمة . .

فمنذ عهد سيف الدولة أو قبله إلى يومنا هذا، وهذه العناية لم تنقطع، توارثها الأبناء على الأجداد، حتى كان البعض يعتبرها حلية من حلى البيوت والقصور، وكان يفاخر الرجل إذا وقف طائفة من الكتب على مدرسة ما ليفيد منها طلاب العلم، فيعتبرها من أمتع وأتمن هداياه .

يقول الحافظ الذهبي في تاريخه :

« إنه كان في خزنة الكتب بحلب عشرة آلاف مجلد من وقف سيف الدولة بن حمدان وغيره » .

وكرت الأيام وتعاثت العصور، وخزائن الجوامع والمدارس وبيوت العلماء تزاد أو تنقص حين تنقص عليها الأيدي العابثة، إذ لم تكن المكتبات تخضع في الماضي لهذه الأنظمة التي نعرفها اليوم .

كانت مفتحة الأبواب يخرف منها الطالب ما يريد، والمفروض أن يعيد الكتاب بعد أن يفرغ من مطالعته والإعادة منه إلى مكانه، كما توجه الأمانة العلمية، ولكنه يهمل ذلك، أو يسيء لصديق له كأنه ملكه، أو - وهذا الأرجح - يفتن أن يخرج من حوزته فيضمه إلى مكتبته، ولا يتورع بعض هؤلاء الكتب أن يستبيحوا ما طاب لهم من ثمرات تلك المكتبات الزائرة بفنون المعرفة بدعوى أنهم أحق بها من غيرهم !

ففي تاريخ ابن خلكان، في ترجمة أبي السعادات المعروف بالمسمودي :

أنه لما دخل السلطان صلاح الدين الأيوبي إلى حلب سنة ٥٧٩ هـ نزل المسمودي إلى جامع حلب، وقعد في خزنة كتبها الموقوفة، واختار منها جملة أخذها، لم يمنعه منها مانع .

ولقد رأيت - والكلام هنا لأبي بركات الهاشمي - قال : لقد رأيت وهو يحشوها في عدل (وليات الأحياء ١ / ١٠٥٢٠ المطبعة الميمنية ١٣١٠ هـ) .

ويعقب المؤرخون على هذه الحادثة بأن السلطان صلاح الدين موافق لعدم رده المسمودي عن أخذه هذه الكتب !

وبعد المسمودي جاء كثيرون إلى حلب، ولا سيما المستشرقون الذين اجتاعوا من المتولين الكثير من النفائس التي نقلت بالسر أو بالعلن، إلى شتى مكتبات الغرب . .

لقد عرفت حلب بين المدن الإسلامية الكبرى بوفرة مكتباتها المليئة بغنائس المخطوطات، ومبني حرص الأجداد على اقتناء ذخائر الكتب حرصا يدعوا إلى الإعجاب ...

القضاة محب الدين أبي الفضل بن الشحنة وتشتمل على بحرة (وهي الفلسفة أو المناظرة) وجنبية وسبع قاعات داخل باب كبير ومن الطريف أنه يذكر (رقم ١٣) داراً لجده لأمه / سلمت من التتار ولكن ضريت على يد خاله فيقول : ودار جدى لأبي الأمير شرف الدين بن الملكيسى سلمت من تمرلنك (أي تيمور لنك) ! قلت « وأغربها غالي (الدر المنتخب في تاريخ حلب / ٢٤٢-٢٤٤)

وقد نشرت مجلة عالم البناء في العدد (١٥٣) الصادر في إبريل ١٩٩٤ م / ١٤١٤ هـ خبراً جاء فيه ما يلي : بدأت في حلب النتائج العملية للتعاون السوري الألماني ضمن المشروع الإنمائي والسياسي العام « مشروع إحياء حلب القديمة تراثياً وعمرانياً وسكنياً . وقد اتفق الفريقان على تأسيس صندوق مالي لتمويل أعمال الترميم والإصلاح للمباني السكنية الأثرية القديمة، ويستفيد أيضاً من هذا المشروع مالكو المنازل المصيرية القديمة الذين يرضون في ترميم منازلهم وإعادتها إلى نموذجها المعماري والفني القديم بغرض إحياء مدينة حلب القديمة - هـ (عالم البناء / ٧) .

انظر مادة « البيوت الإسلامية » في ٨ / ٢٧١ - ٢٨٥ .

أما عن مخطوطات حلب فيقول الأستاذ سامي الكيالي :

قد بطول الحديث عن المكتبات القديمة في حلب - عن الخزائن المنتشرة في أروقة الجوامع والمدارس الدينية، إنها كثيرة تضم مئات الكتب المخطوطة بل الآلاف، ولا أبالغ حين أقول إنها تزيد على عشرين أو ثلاثين ألف مخطوط تاتر قسم منها هنا وهناك



جانب من صحن الدار مع حجر الإبراهيم والبركة (دار الخضر - القرائن)



- بيت إيجيلاش في حلب - حاليا متحف القلايد الشعبية

إن مخطوطات حلب لا يمكن إحصاء عددها الوثير، فمنذ عهد الأيوبيين الممثلة الذي نُشرت مكتبة التي وقفا بعشرة آلاف مخطوط، إلى كتب جهابذة اللغة والأدب والشعر وأسابع العلماء والفلاسفة وفيرهم من رجال الفكر الذين عاشوا في ظلاله، إلى المخطوطات التي عدا عليها تيمورلنك، إلى مكتبة الوزير جمال الدين القفطي التي قدرت بخمسين ألف دينار، إلى مكتبات ابن الشحنة وابن العديم وابن الخشاش وغيرهم من أصحاب المواهب الذين دونوا وألفوا وكانت لهم مكتباتهم الخاصة والذين عاشوا في مملكة حلب على مر العصور، إلى المخطوطات التي امتدت إليها الأيدي العابثة من المستشرقين ومن غير المستشرقين - نعم، لا يمكن إحصاء عددها الوثير، ولا علينا أن نقتصر - ولا مجال للمبالغة، أن عددها قد جاوز المائة ألف مخطوط، لم يبق منها غير بضعة الآلاف، ذهب بعضها وأندلسها إلى مكتبات لندن وباريس وبرلين وغيرها من مدن الشرق والغرب (مخطوطات حلب، ٢١١-٢١٦، ٢٢٢، ٢٢٣).

وفيما يلي بيان بخزائن المخطوطات في حلب:

الخزائن العامة:

- ١ - خزنة الجامع الأموي الكبير: وهذه أقدم خزائن حلب. وهذه التي عناها الذهبي في تاريخه وقد قدمت لمكتبة الأوقاف.
 - ٢ - خزنة المدرسة الصورية: (تحت القلعة).
- وهذه المكتبة الآن تحت رعاية الأوقاف الإسلامية. والذي أنشأها الوزير خسرو باشا ٩٤١ هـ.

ويروى الشيخ كامل الغزي مؤلف كتاب «نهر الذهب في تاريخ حلب» عدة قصص عن ولع الحلبيين بالكتب، وعن المصنوع الذين امتدت أيديهم إلى هذه الذخائر فيقول:

«إن بلغ الحلبيين باقتناء الكتب كان ولم يزل غريزة فيهم، فقد أدركنا الكثيرين من علماء حلب وأغنيائها من هو شديد العناية باقتناء الكتب المخطوطة النادرة حتى إنهم كانوا يتسابقون إلى اقتنائها ويذلون الأموال الطائلة في استئصالها.

«أدركنا منهم من استكتب كتاب «تاج العروس» للزبيدي شرح قاموس الفيروزآبادي فصرف عليه نحواً من مائتي ذهب عثمانى، إلى غير ذلك من الكتب الكبيرة التي كان أغنياء الحلبيين يتسابقون إلى اقتنائها».

ثم يقول:

«أدركنا في مدينة حلب عدة مكتبات فنية بالكتب المخطوطة النادرة، قد تسلط عليها لصوص الكتب فسلبوها كل ماحوتها من الطرף والتحف، إلى حلب ويملاون من مكتباتها الصناديق الكبيرة، هذا ما نراه من سواح الغرب وسفاسرة المستشرقين الذين يختطفون الكتب النفيسة الخطية من أيدي طائفة من السطاء، لا يفرقون بين الطين والمعين، فيشترونها منهم بأبخس الأثمان.

«وإن علي يقين من أن مدينة حلب ما زال يوجد فيها العدد العظيم من الكتب الخطية النادرة، التي إذا بحث عنها وبعثتها في زوايا الإهمال والتساقط في بيوت جماعة من جهلة العامة، قد هبطوا من أصلاص رجال كانوا يحدون من نفاذ العلم والأدب، فخلف من بعضهم خلف أعملوا العلم وركبوا متن الجهل وأصاعوا ما كان في خزائن أسلافهم من الكتب والأسفار، وبقي عندهم منهم بقية عدوها من سقط المتاع، حتى إذا لفتهم إليها الصدف حملوها واحد من أطفالهم أو واحدة من عجاتهم وقصد بها باعة الكتب، أو السوق العامة المعروف بسوق الجمعة، حيث تباع السلع الرخيصة، فيبيعون منها ما قيمته ألف قرش مثلاً بنصف قرش.

ثم يتحدث عن المكتبات التي فقدت فيقول:

«أسأ المكتبات المنقودة في حلب، وكانت على جانب عظيم من الغنى فهي مكتبة بني الشحنة، ومكتبة بني العديم، ومكتبة بني الخشاش، وغيرهم من الأسر العلمية التي كانت تمتد من أجل بيوتات العلم في حلب، ومن تلك المكتبات مكتبة الجامع الكبير، ومكتبات المدارس الكبرى كالمدرسة السلطانية والمصرية والحلورية والشرقية والرواجية، فإن جميع هذه المكتبات فقدت برمتها في حادثة تيمورلنك، فمنها ما استأثر به تيمورلنك وبتناعه، ومنها ما انتهيه العامة أثناء تلك الحادثة وطرحوه في زوايا بيوتهم، ثم باعوه بأبخس الأثمان» (نهر الذهب في تاريخ حلب ١/ ١٦٩ - ١٧١).

المخطوطات والمطبوعات العربية والتركية. وقد ذكرنا المخطوطات العربية في هذه الخزنة. (المتخبط من المخطوطات العربية في حلب / ٧٥).

ولما كانت مكانة حلب على ما ذكرنا فليس عجباً أن ينهض العلماء ليؤرخوها عنها، ويضمّنوا صفحاتهم وأسفارهم منذ القدم، وحتى اليوم والقد، أسماء علمائها وشعرائها وأعيانها، الذين نشأوا فيها أو تزوّوا، قصدوها أو حلوا، أو مروا بها من الكرام وفي مقدمة تحقيقه لكتاب معادن الذهب في الأحياء المشرفة بهم حلب لأبي الوفاء المزي، يحصى الدكتور محمد التونجي أسماء عدد من الكتب التي ألفت عن حلب نكّس بذكر بعضها مثل تاريخ الأتاري (ت نحو ٥٢٠) وتاريخ العظمى (٤٨٣ - ٥٥٦) الطلب في تاريخ حلب لابن الصدي (ت ٦٦٠) وحضرة و التلّيم من تاريخ ابن العديم، وإعناش الروح بمآثر نصوح لإبراهيم بن الملا الحلبي (ت بعيد ١٠٣٠) وتاريخ حلب لعبد الله بن حسن أنسا ميسر (ت ١١٨٤)، وإعلاء النبلاء بتاريخ حلب الشهباء (ت ١٣٧٠) (معادن الذهب / ٧ - ١٢) قالت المؤلفة: يوجد مخطوط « بنية الطلب في تاريخ حلب » لابن العديم في معهد المخطوطات العربية وقد ورد في الفهرس تحت عنوان « تاريخ حلب » وجاء بيانه كما يلي:

جزء منه، أوله ترجمة: زهد بن الحارث، كان يذايق حين ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة ...)

وأخره آخر ترجمة سعيد بن سلام المغربي الصوفي.

نسخة كتبت بخط نسخي، سنة ٨١٤ هـ في ١٩٨ ورقة، ومسطرها ٢٤ سطراً.

[مكتبة الأوقاف العامة بالموصل] UNESCO [A ٩]

(فهرس المخطوطات المصرية، التاريخ ج، ق، ٤ / ٦٥، ٦٦)

ومن الكتب المؤلفة في تاريخ حلب أيضاً كتاب « الدر المتخبط في تاريخ مملكة حلب » لابن الشحنة. تقديم عبد الله محمد الدرويش سلسلة تواريخ المدن السورية (١)، دار الكتاب العربي - سورية، وعالم التراث - دمشق ١٤٠٤ - ١٩٨٤ م، وكتاب « أحياء حلب وأسوارها » لخير الدين الأسدي - تحقيق عبد الفتاح رواس قلعة جي، دار قتيبة، دمشق ١٩٩٠، وكلاهما عندي.

(الموسوعة الثقافية - بإشراف د. حسين سعيد / ٤٠٨، من كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي الرومي - إختار المصمم و قدّم لها وعلق عليها عبد الإله نيهان - السفر الثالث، القسم الأول ٣٤٤ المجمع الإسلامي في بلاد الشام - د. أحمد وغيان أحمد محمد / ١٣٧، ١٦١، وأحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي المعروف بالبيشاري - وضع مقدمته وهوامشه وإهواره د. محمد مخزوم / ١٣٦، ورحلة ابن جبير /

٣ - خزنة جامع الكواكبي وموسسته: (في مجلة الجولم)،

وهذه أيضاً تحت رعاية الأوقاف الإسلامية في المدرسة الشرقية.

٤ - خزنة التربة الوفاية: (مجلة الشيخ أبي بكر الوفاي)،

٥ - خزنة الزاوية الوفاية: (في مجلة باب النصر) وهاتين تحت رعاية الأوقاف.

٦ - خزنة التكية الإخلاصية النجشية (في مجلة البيضاء)،

٧ - خزنة المدرسة الشيعانية: (في مجلة الفرافرة)،

٨ - خزنة التكية المولوية. وقد ضمت إلى الأوقاف الإسلامية.

٩ - خزنة المدرسة المثنائية: الرضائية (في مجلة الفرافرة - باب النصر) وهي الآن تحت رعاية الأوقاف.

١٠ - خزنة المدرسة الأممية (في مجلة الجولم - البهراية)، وهي الآن تحت رعاية الأوقاف.

١١ - خزنة المدرسة المنصورية (في مجلة الفرافرة)، نقلت إلى المكتبة العامة لذاتة الأوقاف.

١٢ - خزنة الزاوية الهلالية: (في مجلة الجولم)،

١٣ - دار كتب الأوقاف الإسلامية، (السويقة)،

أسست دائرة الأوقاف الإسلامية هذه الدار في سنة ١٣٤٥ هـ واتخذت لها مقراً « المدرسة الشرقية ».

١٤ - خزنة البابي الحلبي.

١٥ - خزنة الكتخدا: ويؤن الكتخدا يسميهم الحلبيون اليوم بنو الكيخيا.

١٦ - خزنة الشيخ الصديق: وهو أحمد بن أحمد بن عبد القادر بن أحمد الصديق.

١٧ - خزنة محمد أسعد الجابري. وقد نقل ما بقي منها إلى خزنة الأوقاف.

١٨ - خزنة السباق الجزار. وقد نقلت إلى خزنة الأوقاف.

١٩ - خزنة عبد الله المراسي. وما تزال عند روثه.

٢٠ - خزنة زروق الله - حصون.

٢١ - خزنة حسني باقي. والخزنة لدى أحفاده.

٢٢ - خزنة الشيخ محمد العجلي المرمي.

٢٣ - خزنة الشيخ أحمد الزرقا.

٢٤ - خزنة أسعد العتايي: وقد انتقلت إلى روثه.

٢٥ - خزنة الطباخ. وهو هاشم بن أحمد بن محمد الطباخ الحلبي (١٢٨٧)،

٢٦ - خزنة الحجار. وهو أحمد بن قاسم شئون الحجار الحلبي (١٢٧٨)،

٢٧ - خزنة آل طلس. وقد نقلت إلى دار الدكتور محمد، أسعد طلس في حياته. وقد احتوت على عقد ضخم من

١٩٣ - ١٩٥ ، ومعجم البلدان لياقوت الحموي ٢ / ٢٨٧ - ٢٨٦ ، ٢٩٠ ، ومهذب رحلة ابن بطوطة المسماة : تحفة النظار في غرائب الأضراس ومجائب الأسفار - وفي عقب على تهيئه وصيغ غريب أحمد العارفي بك ومحمد أحمد جاد العلوي بك ١ / ٥٦ - ٦١ ، وأحياء حلب وأسواقها لخبر الدين الأسدي - تحقيق عبد الفتاح رواس ثلثة ج١ / ٩٤ - ١٠٥ والدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب لابن الشحنة - تقديم عبد الله محمد الدرويش ١ / ٤٧ ، ٣٩ ، وحلب الآثار الإسلامية في حلب - عفيف بهنسي المدينة الإسلامية . أنشرف على النشر : ب . مرجنت ، ترجمة أحمد محمد تملب . اليونيسكو - السيكور / فجر ١٩٨٣ / ١٨٥ - ١٨٧ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، والأطلاح الخطيرة لابن شداء - حققه يحيى زكريا عياد ج١ / ١ / ٤١٨ - ٤٢٢ ، والعوامم العربية - أنثوية ريمون ، تريب قاسم طوير ٩٢ ، ٩٣ و ٩٤ - الأكتاش الخشبية في الدور الحالية - د . محمد وليد كامل - مجلة التفصيل ، العدد (٢١٠) ذو الحجة ١٤١٤ هـ - مايو - يونيو ١٩٩٤ م / ٧٥ - ٧٨ ، ومجلة عالم النبات . العدد (١٥٣) إبريل ١٩٩٤ - ١٤١٤ هـ / ٧ ، و : مخطوطات حلب - سلمي الكاكي . مجلة معهد المخطوطات العربية ج٢ م / ١٣ ، شعبان ١٣٨٧ هـ - نوفمبر ١٩٦٧ / ٢١١ - ٢١٦ ، ٢٢٣ ، والمنتخب من المخطوطات العربية في حلب . مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق٢٠ / ٤ - ٥ ، ٧ ، و فهرس المخطوطات المصورة ، معهد المخطوطات العربية ، التاريخ ج٢ ق٢ . ٤ . القاهرة . ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ / ٦٥ ، ٦٦ .

• حلب (قلعة) (القرن ١٢ هـ / م) :

قلعة حلب ، وصفها ابن جبير في رحلته فقال عنها :
إن من شرف هذه القلعة أنه يلكر أنها كانت قديما في الزمان الأول ربة بأرض إليها إبراهيم الخليل عليه وعلى نبيها الصلاة والتسليم بنعماته لم فيحلبها هناك ويتصدق ببلتها فلذلك سميت حلب والله أعلم وبها مشهد كريم له يقصده الناس ويتبركون بالصلاة فيه ومن كمال خلالاته المشترطة في حصانة القلاع أن الماء بها ناعم وقد صنع عليه جبهة فها ينبع ماء فلا تخاف الظما أبد الدهر والطعام يصير فيها الدهر كله وليس في شروط الحصانة أهم ولا أكد من هاتين الخاتين ويعطى بهذين الجنتين الملكوين سوران حصينتان من الجانب الذي ينظر للبلد ويتحضر دونهما خندق لا يكا البصر يبلغ مدى حقه والماء ينبع فيه وشأن هذه القلعة في الحصانة والحصن أعظم من أن تنتهي إلى وصفه وصورها بالأمل كله أبراج منتظمة فيها العلاي المنيفة والقباب المشرفة قد تغنت كلها طبقات وكل برج منها مسكون وأدخلها المساكن السلطانية والمنازل الربعة الملوكة (رحلة ابن جبير / ١٩٤) .

وقال عنها باقوت :

وأما قلعتها فيها يضرب المثل في الحصن والحصانة لأن مدينة حلب في وسطها من الأرض وفي وسط ذلك الوسط جبل عال مدور صحيح التنوير مهشمد بتراب صبح به تدويره ، والقلعة مبنية في رأسه ، ولها خندق عظيم وصل بحفره إلى الماء ، وفي وسط هذه

القلعة مصانع تصل إلى الماء المعين ، وفيها جامع وميدان وبساتين ودور كثيرة ، وكان الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين يوسف بن أيوب قد اعتنى بها بهمة العالية فعمدها بعمارة عادية وحضر خندقها وبنى رصيفها بالحجارة المهتدة فجاءت عجايبا للناظرين إليها ، لكن المنية حالت بينه وبين تمتتها (معجم البلدان ٢ / ٢٨٥) .

وتقوم قلعة حلب على هضبة صخرية وجدت فيها آثار بيزنطية ، ومعظم أبنيتها الحالية تعود إلى زمن الملك الظاهر غازي الذي جدد حصونها وبنى متحدراتها من أسفل الخندق إلى الأسوار ليحذر التسلق إليها . وقد دمت أسوارها مرارا (تاريخ الفن / ١٠٥) . فقد ظلت قلعة حلب وسورها الشهير على ما كانت عليه قبل الإسلام إذ لم يحم خلفاء بني أمية خلفاء العباسيين إلا بتجديد وترميم ما تصدع من أبراجها ولعل أول عمل يتبعه في العصر الإسلامي هو التجديد الذي حدث في عهد سيف الدولة الحمداني (سنة ٣٥٢ هـ / سنة ٩٦٤ م) بعد أن غررها بقتور اميراطور الدولة البيزنطية ، فقد جدد ورمم ما لحق بسورها وأبراجها . وما يزال البرج الذي يقع إلى جانب باب تيسر من جهة الغرب يحمل اسمه كما يحمل تاريخ التجديد . كذلك بني شو مرسل ، لما ملكوا حلب ، عدة أبراج بالسور وذلك (سنة ٤٢٠ هـ / سنة ١٠٢٩ م) .

وقد سجلت لنا أبراج قلعة وأسوار مدينة حلب كل من قام بتجديد أو ترميم فيها ، فقد سجل اسم نور الدين محمود بن زنكي ، واسم الملك الظاهر غياث الدين غازي كما سجل اسم حفيده الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز محمد بن الملك الظاهر غياث الدين غازي ، الذي قام بأكبر عمارة في سور وأبراج مدينة حلب ، وذلك سنة ٦٤٢ هـ / سنة ١٢٢٢ . فقد جدد الأبراج وزاد في مساحتها على غرار عمله العادل في سور مدينة دمشق وكان عددا أبراج السور ثيف وعشرين برجا وارتفاع كل منها أربعون ذراعا ، وعرضه ما بين الأربعين ذراعا وطوله ما بين الأربعين والمخمسين ذراعا . أما طول الأسوار فيبلغ ستة آلاف وستمائة وخمسة وعشرون ذراعا ، أما سور القلعة فيبلغ ألف وخمسمائة وخمسة وعشرون ذراعا وعدد أبراجها تسعة وأربعون برجا (ابن العديم : بنية الطالب ورقة ١٣٨) .

ولم تسلم قلعة حلب من التثر فقد عمدوا إلى تخريبها وحرق أبراجها وما كان بها من الذخائر والزراد خان والمناجيق فلما هزم الملك المنقز التتر في عين جالوت هرب من كان منهم بحلب ثم عادوا إليها مرة ثانية بعد قتل الملك المنقز ، فأحرقوا برجا كان قد أقيم بأمر الملك المنقز لئلا يكون حماما ، ثم غرّبوا ما بقي من القلعة وظلت على خرابها حتى نهاية القرن السابع للهجرة (للمجمع الإسلامي في بلاد الشام / ١٣٣ ، ١٦٤) .
ويعد مدخل القلعة القائم إلى اليوم من أجمل التحصينات

بها ولده الملك الصالح بالمشورة كانت قديمة ، فجدها وكتب عليها اسمه ... بالمشورة بناء ذو منطفقات أمام كل باب أو خلفه ، يقصد به تمويض هجوم المساكين على الباب وقت الحصار ، وتمويض دخول الخيل إلى المدينة في مجموعة كبيرة دفعة واحدة . وجاء في « معجم دوزي Dozy : « بالمشورة - والجمع بواشير - وهو الحائط الظاهري من الحصن يفتح وراء الجند عند القتال .

ولم تزل في زيادة عمارة إلى أن ملكها الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وأعطاهما لأخيه الملك العادل سيف الدين أبي بكر ، فبنى بها برجاً وداراً لولده فلك الدين وتعرف الآن به .

ولما ملك الملك الظاهر غياث الدين غازي حصنها وحسنها وبنى بها مصنعا كبيرا للقاء وسخازن للغلات ، وهدم بالمشورة التي كانت بها . وسفع تل القلعة وبناء بالحجر الهرلي وأعلى بابها إلى مكانه الآن . وكان الباب أولا قريبا من أرض البلد ، متصلا بالمشورة ، فوقع في سنة ستماية ، وقتل تحته خلق كثير ، ومن جملة من مات تحته الأستاذ ثابت بن شقريق الذي بنى الحائط القبلي بجامع حلب الذي في محراب الصحن .

وعمل الملك الظاهر لهذا الباب جسرا ممتدا منه إلى البلد وبنى على الباب برجين لم ين مثلهما قط وعمل للقلعة خمس دركاوات بآزاج معقودة ، وحاما منضودة ، وجعل لها ثلاثة أبواب حديد ، ولكل باب منها إسبالار ، وتقيب ، وبنى فيها أماكن يجلس بها الجند وأرباب الدولة ، وكان معلقا بها آلات الحرب .



قلعة حلب

العسكرية الباقية من القرون الوسطى ، ويتألف من برج ضخم فيه الباب المخارجي الذي ينفذ منه إلى درج معلق فوق الخندق على عدد من الركائز والأقواس حتى يصل إلى باب القلعة الرئيسي ، وهو ذو واجهة جميلة البناء والتزيين ، وتقوم من فوقه قاعة العرش . وفي داخل القلعة مسجدان يرجع الكبير منهما إلى سنة ١٢١٣ م (تاريخ الفن / ١٠٥ ، ١٠٦) .

واليك ما كتبه عنها ابن شداد صاحب الأعلام الخطيرة . قال رحمه الله :

أعلم أن القلعة التي كانت بحلب قد قيل : إن أول من بناها ميخائيل . وقيل : « سلقوس الذي بنى مدينة حلب » . وهي على جبل مشرف على المدينة ، وعليها سور . وكان عليها قلعة بابان ، أحدهما دون الآخر ، من حديد . وفي وسطها بئر قد حفر ينزل فيه بمائة وخمسين ومشرين مرقاة ، قد تهدمت تحت الأرض ، وجرفت جروفا وصيرت آزاجا ينض بمضيا إلى بعض إلى ذلك الماء . وكان فيها دير للنصارى . وكانت به امرأة قد سدت عليها الباب منذ سبع عشرة سنة .

ثم يحمدر السور من جانبي هذه القلعة إلى المدينة . وقيل : لما ملك كسرى حلب وبنى سورها بنى في القلعة مواضع ولما فتح أبو حبيدة مدينة حلب كانت قلعتها مرممة الأصور ، بسبب زلزلة كانت أصابها ، قبل الفتح ، فأخربت أسوار البلد ، وقلعتها ولم يكن تريما محكما ففقد بعض ذلك وبنه . وكذلك لبني أمية وبنى العباس فيها آثار .

ولما استولى تغفور ملك الروم ، على حلب في سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة انتهت القلعة وكان جماعة من العلويين والهاشميين ، قد اعتصموا بها منه فحتمهم ولم يكن لها حيثد سور هامر ، لأنها كانت قد تهدمت ، فكانوا يتقون سهام العدو بالأكف والبراذغ .

وذهب تغفور عليها فألقى على ابن أخيه حجر فمات . فلما رأى تغفور ذلك طلب الصليح فصالحه من كان فيها .

ومن حيثد اهتم الملوك بعمارة القلعة وتحصينها .

فبنى سيف الدولة منها مواضع لما بنى سور حلب .

ولما ولي ابنه سعد الدولة بنى شيئا آخر وسكنها وذلك لما أتت ما بناه والده سيف الدولة من الأصور وكذلك بنى بها بنو مرداس حورا ، وجدود أسوارها .

وكذلك من بعدهم من الملوك إلى أن وليها قسيم الدولة آق سنقر ، وولده عماد الدين زنكي حصنها ، وأثرا بها آثارا حسنة . وبنى فيها طفدكين برجاً من قبلها ، ومخزنزا للذخائر ، عليه اسمه مكتوب وبنى فيها نور الدين بن عماد الدين زنكي أبنة كثيرة ، وعمل ميدانا وخضرة بالحشيش ، وسمى : « الميدان الأخضر » وكذلك بنى

وقعت في سور القلعة باباً يسمى : « باب الجبل » شرقي باب القلعة . وعمل له دركه لا ينتح إلا له إذا نزل « دار العدل » . وهذا الباب وما قبله انتهت العمارة فيها في سنة إحدى عشرة وستمئة . وفي سنة عشر وستمئة في الرابع والعشرين من رمضان مهدت أرض الخندق الملاصق للقلعة فوجد فيها تسع عشرة لبنة ذهباً إيريذا وكان وزنها سبعة وتسعين مثقالاً بالحبلى ، والمطل سبعة وعشرون درهما .

وبنى فيها ساتورة للماء محكمة يدرج إلى العين يمر بمائها سائر منازلها .

وبنى معشى من شمالي القلعة إلى « باب أربعين » ، وهو طريق بأزواج معقودة لتسلق إلا في الضرورة ، وكان بابها باب سر . وزاد في حفر خندق القلعة ، وأجرى فيه الماء الكثير .

وأخرق في شهر الخندق ، مما على البلد منازل أعداء لسكنى الأسارى يكون في كل مفارة مقدار خمسين بيتاً وأكثر .

وبنى فيها داراً تصرف « بدار المز » ، وكان في موضعها دار للملك العادل نور الدين محمود بن زنكي تسمى : « دار الذهب » ودار تصرف « بدار الموميد » و « دار الملك رضوان » فحازت كل معنى غريب وفن عجيبة ...

وبنى حولها بيوتاً وحجراً وحمامات ، ويستأن كبراً في صدر إيوئها ، فيه أنواع الأزيار ، وأصناف الأشجار ، وبني على بابها أرنجا بسلك فيه إلى الدركاوات والتي قدما تكبرها ، وبني على بابها أماكن لكتاب الدراج (من موظفي ديوان الإنشاء) وكتاب الجيش .

ولما تزوج في سنة تسع وستمئة بغيرفة خاتون لبنة همه الملك العادل التي حكمت في حلب بعد ولاته وأسكنها بها ، وقعت نار عقيب الحرس فاحتزقت وجميع ما كان فيها من الفرش والمصاغ والآلات والأواني ، واختزعت معها الزردخانه (كلمة فارسية معناها « دار السلاح ») وكان الحريق في الخامس عشر جمادى الأولى من سنة تسع .

ثم جدد عمارتها وسماها دار الشخصوس لكثرة ما كان منها في زخرفتها - سمعتها أربعون ذراعاً في مثلها . -

وفي أيام الملك العزيز محمد ابن الملك الظاهر غازي وقعت من القلعة عشرة أراج مع أبنائها ، وذلك في سنة اثنين وعشرين وستمئة ووافق ذلك زمن البرد . وكان تدبير ما وقع عسامة ذراع وهو المكان المجاور لدار العدل . ووقع بعض الجسر الذي به الملك الظاهر . فاحتم الأتابك شهاب الدين طغرل بمعارتها ، فجمع الصناع واستشارهم ، فأنشأوا عليه أن يبنى من أسفل الخندق على الجبل ويصعد بالبناء فإنها متى لم تبن على ما وصفتنا وقع ما يبنى عاجلاً ، وطراً فيه ما طراً الآن وإن قصدها حلو لم يمنعه فرأى

الأتابك أن ذلك يحتاج إلى مال كثير ومدة طويلة ، فعدل عن هذا الرأي ، وقطع أشجار الزيتون والتوت ، وترك الأساس على التراب وبني . ولهذا لما أنزلها التتر لم يتمكنوا من أخذها إلا من هذا المكان ، لتسكن الغنائم منه .

وفي سنة ثمان وعشرين وستمئة بنى فيها الملك العزيز داراً إلى جانب الزردخانه يستغرق نصفها الإنجاب ، ويقصر عنه الإسهاب . مساحتها ثلاثون ذراعاً في مثلها .

ولما تسلم التتر القلعة في تساع شهر ربيع الأول سنة ثمان وخمسين وستمئة عملوا إلى غراب سورها ، وأحرقوا ما كان بها من الذخائر والزردخانه والمجانيق .

ولما هزم الملك المنقظر التتر في عين جالوت وهرب من كان منهم في حلب ، ثم عادوا إليها مرة ثانية ، بعد قتل الملك المنقظر ، قرأوا في القلعة يربحاً قد بنى للحمام بأمر الملك المنقظر قطر فأكبروا عليهم بئامه وأخربوا القلعة خراباً شديداً وما فيها من السور والخزائن ، ولم يبق منها مكاناً للسكنى ، وذلك في المحرم سنة تسع وتسعين ، وبقي الآن سور القلعة القديمة الذي يقال فيه : نقل على خربة (الأملق الخيرة) في ١ / ٧٩ - ٩٠ .

لقد حصنها الملك غازي بن صلاح الدين - كما سبق القول - ثم خربها المغول تخريباً شديداً وأحرقوا مقام إبراهيم « عليه السلام » فيها ، كما خربها تيمورلنك ، واستمرت غراباً إلى أن جاء الأمير سيف الدين جكم فأمر ببنائها وفي سبيل ذلك هدم جكم تالطرين هما : باب القوس البراني وباب القوس الجواني . وكان ينحصر بينهما سوق الخيل ، وبني بمحاربتها البرجين على باب القلعة الفوقاني وبني قصراً على صلب البرجين .

وكان في القلعة جرس كبير معلق على أحد أبراجها الغربية ، ينفق ثلاث مرات في الليل ، فرض تالينه الصليبيون على الملك رضوان بن تاج للدولة تنش حين احتلوا أنطاكية عام ٤٩١ هـ ولم يزل معلقاً حين حاصروا حلب عام ٥٨١ هـ ونشوا القبر ثم أزاله الشيخ الفصالح أبو عبد الله بن حسان المغربي عام ٥٨٧ هـ (ترجمته في الأخلاق النضرية ج ١ ق ١ / ١٢٧ ، ١٢٨) ويحيط بالقلعة خندق فطلى عميق كان ينفذ بالماء .

ولم تكن القلعة مسكناً لمالوك حلب فقصورهم في المدينة ، وبعد أن أحرق تغتور قصر سيف الدولة في وادي قويق في منطقة الفيض على بعد كيلو متر واحد من السور سكن ابنه القلعة . على أن أول من اتخذ القلعة مسكناً دائماً هو بنو مرصاس ، وهزات شنة للملوك بعدهم ، ثم ما لبثت القلعة لندم استقرار الأمن أن غدت حياً ملكياً مقلداً على عامة سكان حلب ، وقد أضاف فيها السلاجقة وأحدث ممر تحت الأرض إليها ليتجنب الأمير السلجوقي خناجر الإسماعيليين الذين تملشوا في الإغتيال . وفي مقام إبراهيم عليه

لوحه حجرية مكتوب عليها : بسم الله الرحمن الرحيم . أمر بإنشاء هذا المسجد المقام الملك العادل نور الدين القتيبي إلى رحمة الله أبو القاسم محمود بن زنكي من أقتصر غفر الله له ولوالديه وأحسن خاتمته في سنة ثلاث وستين وخمسين [وخمسين] وعلى يمين الداخل إزار حجري عليه كتابة لم أستطع قراءة منها سوى بضع كلمات ثم الآية القرآنية ﴿ فمن بدله بعد ما سمعه ... ﴾ [البقرة : ١٨١] .

ويحيى بعد ذلك القصر الملكي وتقول اللوحة الرخامية إن تاريخ تأسيسه هو القرن ١٣ م . والقصر حجارة سود وحجارة بيض و به ساحة سماوية وتخرج منه مسار إلى ممر ثم إلى درج يقابله جدار مكتوب على لوحة رخامية : بيت خدم القصر ، القرن ١٣ ، وهو أطلال . وباب القصر الملكي تعلوه مفرصات .

أما قاعة العرش فمدخلها مكشوف ومرصوف بالبلاط ، والباب بالحجارة السود والبيض وتعلوه مفرصات وعند مدخل قاعة العرش توجد بئر ، كما توجد بئر أخرى في نهاية القاعة والدرج الذي يؤدي إلى أسفل وقد سجلت في موضع آخر أنه توجد عند مدخل قاعة العرش بئر مغطاة بشبكة من الحديد ، يقابلها في الجهة المقابلة فتحة مغلقة ، وفي وسط باحة القصر بئر أكبر سورها قصير مستدير ويسقف القاعة غشب منقوش ملون هذا ما كنت قد دوتوه في مفكرتي في عجالة ، والله أعلم بالصواب .

(رحلة ابن جبير . ط عبد الحميد أحمد حنفي / ١٩٤ ، ومجمع البلدان لياقوت الحموي / ٢ / ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، وتاريخ الفن عند العرب والمسلمين - أنور الرضا / ١٠٥ ، ١٠٦ ، والمجمع الإسلامي في بلاد الشام - د . أحمد رمضان أحمد محمد / ١٣٢ ، والأخلاق الخطيرة لأين شلح - حققه يحيى زكريا عبارة / ١ / ٧٩ - ٩٠ ، وأحياء حلب وأصولها لخبر الدين الأسدي - تحقيق عبد الفتاح رواس لجامه ج١ / ٣١٢ - ٣١٦) .

• حلب (موقعة) :

يقسم الأستاذ المعارك الحربية التي خاضتها حلب هذه أحواء المسلمين إلى ثلاثة معارك : الأولى سنة ٣٥١ هـ / ٩٦٢ م ، والثانية سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م ، والثالثة سنة ٨٠٣ هـ / ١٤٠٠ م ، وإليك بيان كل منها :

١ - حلب : ٣٥١ هـ / ٩٦٢ م :

استغل البيزنطيون غياب سيف الدول الحمداني عن عاصمته حلب وأرسلوا جيشا كبيرا يضم نحو ٨٠ ألف فارس عدا المشاة وأدوات القتال والحصار بقيادة (تغتور) لمهاجمة حلب والتعويض عما ألحقه بهم سيف الدولة من هزائم متلاحقة . وقرر أهل حلب الدفاع عن مدنيهم وانتشروا على الأسوار . ولما ألقى البيزنطيون

السلام فيها دفن رأس النبي يحيى عليه السلام ، ظهر سنة ٤٣٥ هـ في حجر منقور بعلبك فنقل إلى حمص ثم إلى حلب ويعد أن حرب المغول القلعة نقل الرأس إلى الجامع الكبير . وعدد ابن شداد أسماء عشرة مساجد فيها منها مسجد النور ومسجد الأخضر ومسجد الخزانة ومسجد المدركاء الكبيرة ومسجد المدركاء الوسطى . و كان فيها فرن ونحو مئة دار وحمامات ، حتى كانت زلزلة سنة ١٢٣٧ هـ حيث هدمت أكثر ما فيها من الدور ومجرها سكانها إلى البلدة .

وكان في القلعة عدة مدافع تطلق في الأعياد والاحتفالات السلطانية ورمضان ثم أبطلت هذه العادة ، وفي عام ١٩٨١ أحيط خندقها بسور جميل .

وتقع القلعة في قلب مدينة حلب القديمة ويحيط بها حاليا شارع عريض جميل تنفتح عليه أحياء حلب القديمة . وقد تم مؤخرا ترميم قاعة العرش ، وبناء مسرح كبير على الطراز الروماني (أحياء حلب بأسوارها / ٣١٢ - ٣١٦) .

قالت المؤلفة : أسعدنا الحظ بزيارة هذا الأثر الجليل يوم الإثنين ٩ صفر ١٤١٢ هـ / ١٩ أغسطس ١٩٩١ م . ومجمل الأسماء التي أتبعتها في مفكرتي هي ولقا لترتيب موقعها بعدما من باب القلعة الرئيسى حتى نهاية المطاف هي كما يلي : بعد الباب الرئيسى لوحة رخامية مكتوب عليها : البرج المتقدم ، أنشأه بالقصور الخوري عام ١٥٠٧ م ، ثم صعدو حوالي ٨ درجات لوحة رخامية مكتوب عليها : الجسر الكبير ، ثم إلى اليمين باب المصبات ، ثم باب الأسدين أسد ضاحك وأسد باك (٦٠٦ هـ / ١٢١٠ م) وبعد عدة درجات نجد ضريح سيدنا الخضر عليه السلام ، وهو مغطى بغطاء أخضر ومكتوب عليه : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ثم مصنع السلاح (مطلع القرن ٢٦ م) ، ويقابله في آخر رواق إلى اليسار بئر كبيرة العمق مثل بئر يوسف في قلعة صلاح الدين بالقاهرة ، وفوق فتحها شبكة حديدية .

ثم نتجه يمينا فنجد القاعة البيزنطية بنزل إليها بدرج ، وهي مساحة مغلقة مخفية ، وعلى ذلك حمام القلعة ، أنشئ في عهد نور الدين زنكي القرن ١٢ م وهو مجرد أطلال ، وتوجد إلى اليسار فتحة في الجدار يدور أنها كانت مكان تسخين المياه . ويسقف الحمام ثلاث قباب . ثم الجامع الصغير (القرن ١٢ م) وفوق فتحة المدخل توجد هذه الكتابة : أمر بعمارته الملك الصالح نور الدين أبو الفتح إسماعيل بن محمود بن زنكي . أقتصر ناصر أمير المؤمنين بتولى العبد شاه بخت (قالت المؤلفة : من مدارس حلب المدرسة الشاذليونية بالبدال المحجعة) سنة خمس وسبعين وخمسمائة . والجامع عبارة عن غرفة بها محراب ، وبه أربع فتحات حائطية . وتوجد على مدخل الجامع كتابة هي : قال عليه السلام : من بنى لله تعالى مسجدا بنى الله له بيتا في الجنة ١٢٩٠ ، ثم إلى اليمين

الهيمنة بجيش المماليك الذين تفرقوا في كل اتجاه. واشتد الزحام على أبواب مدينة حلب. ومات الكثيرون تحت الأقدام. وبذلك انتهت المقاومة خلال ساعة من القتال واحتل جيش تيمور حلب. واشتد التنكيل بالسكان الذين ذاقوا أنواع العذاب عند الدمار الذي لحق بالمدينة مدة ثلاثة أيام حتى استسلمت القلعة. وتكلم تيمور بحماتها ونهبوا كنوزها وخيراتهم. وقال تيمور عندما اطلع على ما أخذ من القلعة: ما كنت أظن أن في الدنيا قلعة فيها هذه الخفايا. وانسحب تيمور من المدينة ليقيم في ظاهرها بعض الوقت. ولكن موجة القتل والتعذيب وطلع الرلوس بقيت مستمرة في حلب. وأقيمت أبراج من الجماجم لتدل على عظيمة تيمور. وما لبثت أخبار معاملة سكان حلب وما حل بها أن وصلت إلى المدن الأخرى فانتشر الخوف في كل مكان.

(مجمع المبارك الحربية - ماجد النعام / ١٢٧ - ١٢٨)

• العتبة:

كما يرد في مصنفات التراث الإسلامي في طب الأعشاب.

الحلبة: بالضم نبت له حب أصفر يتعالج به وينبت فيقول: قاله أبو حنيفة [الدينوري] والمجمع حلب، وهو طعام أهل اليمن عامة. وفي حديث خالد بن معدان «لو يعلم الناس ما في الحلبة لاشتروها ولو بوذتها ذباً» (مجمع أسماء النباتات / ٤٤).

قال ابن النفيس: حارة في الثانية يابسة في الأولى، تحلل الأورام القليلة الحرارة، وتبيح الأورام الكثيرة الحرارة وطبخوها بالعسل يخرج ما في الصدر من المخاطات الغليظة... ويضع الطريقة، ويجلو الحزاز (وهو ألم الطعام يحمض في المعدة) والنفخة، ويضع أوجاع الرحم وصلابها ونقصانها (الموجز في الطب / ٩٨). وقد أوردنا المظفر الرسولي نقلاً عن ثلاثة مصادر رز إلى كل منها بحرف وذلك على النحو التالي:

ج: عبد الله بن الليطار صاحب الجامع لقوى الأدوية والأغذية.
ج: ابن جرلة صاحب «مناهج البليان فيما يستعمله الإنسان»
ف: أبو الفضل حسن بن إبراهيم النقليسي.
قال: الحلبة: حارة رطبة إذا طبخت بالمسنن وشربت، لبث المروق والمفاصل اليابسة، وأطقت حصر البول، ووقت الحصاة، ويتولد منها غذاء جيد. - له.

ج: تسخن في الدرجة الثانية، ويخفف في الدرجة الأولى ولذلك صارت تبيح الأورام المتنبهة، فأما الأورام القليلة الحرارة الصلبة، فلأنها تحللها وتنقيها، وإذا أكلت مع البرى قبل الطعام، لبث البطن، وكثيراً ما تصبغ، وربما غشت، وإذا أكلت مع البنز

الحصار على المدينة جرى قتال عنيف تحت الأسوار، وشعر البيزنطيون بصمود أهل المدينة وصمود فتحها، فتوجهوا إلى قصر الأمير خارج الأسوار ونهبوا كل ما فيه من سلاح ودواب وأموال ومفروشات ثم أشعلوا النار فيه. ولما عادوا إلى حصار المدينة شددوا عليها الحصار وخربوها بالمجانيق. وكان السكان يسارعون لشد كل قلعة لتحل في الأسوار. وبس البيزنطيون وقرروا العودة لولا فتنة داخلية أشغلت الحرس والمداغين عن أسوارها فاستغلها البيزنطيون فرصة وهاجموا المدينة فانسحب بعض أهلها إلى القلعة التي استعصت عليهم. بينما أبح نقفور المدينة لجنده ستة أيام فسفكوا الدماء وهتكوا الأضرار، وسبوا الأطفال والنساء ونهبوا كل ما وصلت إليه أيديهم من الأموال والمتاع، وأشعلوا النار في بعض المناطق، وهدموا الدور والمساجد. ولما فشلوا في فتح القلعة قتلوا عند مدخلها مئات الأبرياء من أهل المدينة. وأخذوا معهم عدداً كبيراً من الأسرى ليغادوا بهم. كما فكروا أسر البيزنطيين الذين أسرهم سيف الدولة. ولم يتسحب نقفور إلا بعد أن أنزل بالمدينة أنواع الوحشية من قتل واعتداء وهدم وحرق وأسر.

٢ - حلب: ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م

عندما تقدم هولاكو في بلاد الشام حاصر حلب، وأسر بيناء سور حول سورها نصب عليه عشرين منجنيقاً وشازكه في الحصار. ملك أروينا، وأمر أنطاكية الصليبي. ولما رفض الملك المعظم تروان شاه الاستسلام وعرض هولاكو بالأسان، قصف الإنجليختون حلب سبعة أيام متواصلة. ثم دخلوها من منطقة متناهية من السور واستولوا عليها وأباحوها هولاكو لجشوده أسيرها، اشتد فيها القتل والنهب والحراق حتى امتلأت الطرق بجثث القتلى. وأسروا النساء والأطفال وصادروا أرباب الحرف. ولما استولوا على القلعة بعد حصار دام شهراً، دمروا جزءاً كبيراً منها. ووقع الملك المعظم تروان شاه بالأسر فأحسن هولاكو معاملته.

٣ - حلب: ٨٠٣ هـ / تشرين الأول ١٤٠٠ م

عندما سمع فرج سلطان المماليك بعهد جيوش تيمورلنك على حدود الشام عين «سودون» حاكمها للمشرق وكلفه بقيادة الحملة المكلفة بالدفاع عن بلاد الشام عند حلب. وكان السبب المباشر لهجومه هذه المدينة مقتل رسول (تيمورلنك) على يد حاكمها (تيموتاش). وكانت خطة المماليك التصدي للصدور خارج المدينة. ونصبوا المنجنقيات والمكشال على الأسوار. وكانت قوات تيمور تقدم بعليون مقاتل تتقدمهم الفيلة. ونجح المماليك في المناوشات الأولى من الظفر بأربعة آلاف أسير من الأعداء أعدموهم في حلب وتكبد الأعداء خسائر كبيرة بالأرواح. ومع أن المماليك صدقوا أمام علوهم واستسلموا في القتال إلا أن الأعداد الكبيرة في صفوف جيش تيمور واستخدمهم القليلة الحق

وزبرها يصلحان الشعر المتساقط والنخالة والسفة ويقلمان الأكثار
نظولاً وظلاء وإذا جعلت حلوكاً نقت الأوساخ وحسنت الألوان جدا
ومع زبيب الجبل تمنع تولد القمل وإذا نقت في ماء البورد وقطرت
في العين نقت الدمعة والسلاق والحمة ويقاها الرمى ودقيقها مع
البورك يحلل الطحال غصداً ومع الثين يفجر الدبيلات وإذا غسلت
وجففت وصحقت مع بزر الخشخاش والموز ودقيق القمح وعجن
ذلك بالسكر أو الحسل وتمسوى على أكله سممت المبرودين
وعصبت وأصلحت الكلى إصلاحاً جيداً وتطلى على الأورام الحارة
بدنن البورد أو الخل مع سويق الشعير والباردة بالحسل وهي تصنع
وتتنن المرق وتولد كيموساً غليظاً ويصلحها السكتينين ولا يجوز
استعمالها إذا كان في البدن حمى وشرتها خمسة ومن بقلتها إلى
عشرة وبدلها البور (تذكرة أولى الألباب ١ / ١٣٦).

وفيما يلي ما ورد من إفلاخ الحبلية في أحد مصنفات التراث
الإسلامي في علم الفلاحة وهو لمؤلف مجهول من القرن الثامن
الهجري . قال في ذلك :

ويؤلفها من الأرض اليابسة الصلبة ، وتفسد في الأرض العرة
والترز والرقية والضعيفة والمتخلخلة ، وليس تحتاج إلى سقى الماء
الكثير ، فإنها تنصر على العشب . ووقت زرعها من أول تشرين الأول
إلى آخر كانون الأول . وزرعها كزراع الحبوب ، إما نثراً وهو الأكثر ،
وإما حبات في حفار تحفر لها في التراب وهو الأفضل . وربما خرج
مها في أول زرعها حشائش فتنتطف عنها . ويؤلفها أعشاء البقر
المخلوط ببريق القمح والسبستان ، وقد قدما ذكره عند ذكر الأربال .
ويقربها أن يلق من حبيها شيء ويبلغ بالماء ، ويرش ذلك على
فروع نباتها وأصوله ، لأن الفار والطير مولعة بها ، وإذا رأيت الفار ولع
بها فينبئ أن يصور في منبتها سنائير أو صورة فار أسود قد صلب
على خشبة . وأكثر أقاتها العشب ، وإن كانت جيدة الصبر عليه ،
فإنها إذا عطشت جفت وتلفت ، ولا ترجع إلى ما كانت عليه من
الحياة (مفتاح الراحة / ١٣٦ ، ١٣٧) .

(المجرى في الطب لابن النفيس - تحقيق الأستاذ عبد الكريم
الجزاوي ، مراجعة د . أحمد حماد ، ٩٨ ، والمعمد في الأدوية المفردة
للنظير الرسولي ... صححه وفسره مصطفى السقا / ١ ، ٩٩ ، ١٠٠ ،
وتذكرة أولى الألباب للادوي بن عمر الأنطاكي / ١ ، ١٣٦ ، ومفتاح الراحة
لأهل الفلاحة لمؤلف مجهول من القرن الثامن الهجري - تحقيق وعراسة د .
محمد عيسى صالحية ، ود . إسماعيل صديق الممد / ١٣١ ، ١٣٢ .

انظر أيضاً معجم التنوير بالأعشاب والنباتات الطبية للإمام الحافظ
ابن قيم الجوزية / ٣٢٤ ، والطب النبوي لابن الجوزية أيضاً - كتب
المقدمة وراجع الأصول وأشرف على التتقيقات عبد الغني عبد الحالق .
وضع التتاليق الطبية د . عادل الأحمري وشرح الأحاديث محمود فرج
العقدة / ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، والطب النبوي للحافظ أبي عبد الله محمد بن

قل تليتها للبطن ، ولم تصدق ، ولم تنث ، والمعلبوخة مع الحسل
تطلق البطن إذا شربت ، وتخرج ما في الأمعاء من الأخلاط الرديئة ،
وتحرك الأمعاء وتستدعيها إلى البراز ، ويخلط معها من الحسل
قليل كي لا تلخ ، ودقيقها يصلح للأورام الظاهرة والباطنة
غصداً ، وإذا خلط بطرون وقصد به ، حلل ورم الطحال ، ويجلس
النساء في طبيخ الحبلية ، فيضمن من وجع الأرحام العارضا من
وجع الرحم وانفسامه ، ويسهل ولادة الرحم الحسر الولادة للجفاف .
وماء طبيخها يهصر ويغسل الرأس بعصارتة . فيقع الشعر ، ويجلو
النخالة والقروح الرطبة ، ويعمد الشعر ، ويذهب الحزاز ، ولما بها مع
دهن البورد ينفع من الشقاق البارد ، ولحمق النار ، ويدخل في أدوية
الكلف ، ويحسن اللون ، ودقيقها يلين الدبيلات وينضجها ،
والحلبة تلين الصدر والحلق والبطن ، وتسكن السعال والربو وعسر
الغض - جيدة للوجع والبلغم واليوسير ، وهي تغير النكهة ، وتنن
والنخالة والقرح والبول ، وتطيب الرجيع ، « ج » الحلبة تسمى غريفة ،
وهي حارة في آخر الأولى ، يابسة في الأولى ، ولا تخلو من رطوبة
فضلية ، وتيل بل حارة يابسة في الدرجة الثانية ، وهي مالئة ،
منضجة ، ودقيقها يحلل الأورام الياغمية والصلبة الحارة الظاهرة
والباطنة ، وتنن الحزاز غسلاً به للرأس ، وتصفى الصورة إذا
طبخت وتقلد الرقة وتلين الصدر والحلق ، وهي تمدد الحيش ودم
النفاس إذا طبخت ، وتولد كيموساً رديئاً . « ف » حب أصفر اللون
غير ملوئ معروف ، حار في الثانية ، يابس في الأولى ، يسكن
السعال والربو وينفع من اليوسير . وقال بقوى البدن ، ويلعب
بالجرب والرمى من العين ، وتنفع من الحرارة والأبردة والسفة ، إذا
طلى عليها بصل متزوج الرقوة ... وقال إنها تصفى اللون ، وإذا
خلطت بصل وشرب لبنت الطبيعة ، وأعدت للطمع . والشرية :

(المعمد في الأدوية المفردة / ٩٩ ، ١١٠)

وقال داود الأنطاكي :

هي الغاريقا وتسمى أعزوت نبت دون ذراع لها زهر أصفر يخلف
ظهورها دقيقة - حداد الروس تنفتح عن بزر مستطيل يتركب بنموذج
وأجوده الزرين الحديث تبقى قوتها إلى ستين وهي حارة في الثانية
يابسة في الأولى لها علية ورطوبة فضلية تلين وتخلل سائر
الصلابات والأورام وتطي طبيخت بالتمر والتين والزبيب وعقد ماؤها
بالصل أذهبت أوراج الصدر المزمزة وقروح السعال والربو وضيق
النفس خصوصاً مع البرشاوشان عن تجرية ومتى طبخت مفردة
وشربت بالصل حلتل الرياح والمغص ويقاها الدم المتخلف من
النفاس والحيش وعسرت الأخلاط المحترقة والكيموسات المغنة
خصوصاً مع الفوة ، والتطول بطيخها والجلوس فيه يسهل الولادة
ويسقط المشيمة وينقي الرحم ويحلل الصلابات واليوسير ويقتها

أحمد الذهبي - قدم له وخرج آياته الشيخ قاسم الشامي الرفاعي /
(٨٠) .

• الحليّة (المقامة) :

هذه هي المقامة السادسة والأربعون من مقامات الحريري، وهي من التراتب الإسلامي في علم الأدب . وقد سماها الحريري المقامة الحليّة نسبة إلى مدينة حلب التي بسطنا القول فيها في مادة « حلب » . وهذه المقامة تزخر بالمواد اللغوية كالتأنيّات التي تستخدم للتمييز بين أصوات اللغة، كالسين والصاد والهاء والظاء، والكلام على هجاء الأفعال التي آخرها حرف اعتلال وغير ذلك . ونظراً لثرائها في المفردات اللغوية قلّنا تبعها بشرح معاني الألفاظ حينما اقتضى الأمر، وقد وضع الشرح بين قوسين . وما نقله من هذه المقامة هو هذا الجانب اللغوي، مع ذلك الذي جاءت به بعض الحكم والمروايع وتضرب صفحا عن سائر ما جاء بها، فكل ما حلب وضع مكانه ثلاث نقط للدلالة عليه . وهذه هي المقامة :

روى الحارث بن همام قال نزع بي إلى حلب، شوق قلب،
وطلب يا له من طلب وكنت يريدك خفيف الحاذق، حيث لثاقذ،
فأخذت أعبية السير، وخنفت نحوها خضوف الطير، ولم أرل
مذ حلت ربوبها، وأزيت ربوبها، أفاني الأيام، فيما يشق
الفرام، ويروى الأيام، إلى أن أقصر القلب عن ولوعه، واستعار
غراب البين بعد وقوعه، فأفترى الجبال الخلو، والرح الحلو، بأن
أنصت حمص لأصطاف يبعثها، وأسير رقاعة أهل رعتها،
فأسرعت إليها إسرار النجم، إذا انقض السرجم، فحين غيمت
برسومها، ووجدت روح نسيمها، لمح طرفي شيخا قد أقبل هريمه،
وأدير غريمه وعنده عشرة صبيان، صنوان وغير صنوان، فطاوعت في
قصده الحرص، لأخبر به أدياب حمص، فبش بي حين واقته، وسجا
باحسن مما حيت، فجلست إليه لألأو جنى نطقه، وأكته كنه
حققه، فما لبث أن أشار بهيئة، إلى كبر أصيبيته وقال له أنشد
الآيات المروايل وأحذر أن تماطل فجأ جوة لبث وأنشد من غير
ريث :

أعندك لحسادك حيد السراح

وأورد الأصيل ورد السراح

وصارم اللهو ووصل المهيا

وأعمل الكسوم وسير السراح

واسع الأذرك محل محل السراح

عسله لا لأذرك السراح

والله ما لسود حو الطلا

ولا لسود الحو رذذ رذذ

واقما أشير واسع صبار

ومعه ما سكر أهل السراح

مسوره حلو لولو

ومسا له ما سكر مطاح

مسما سمع الأصيل ردا ولا

مساطله والمطل لسوم صراح

ولا أطباع للهو لما دعيا

ولا كسار راحاله كسار راح

مسوده أصلاحه سكر

وردهه أمسواءه والطماح

وحصل المدح له علمه

ما مهر المسور مهور الصراح

فقال له أحسنت يا بلير يا رأس الدير ...

ثم نادى أوفح يا ياسين ما يشكل من ذوات السين، فتعش

ولم يتأن، وأنشد بصوت أفن

نفس السودة ورمخ الكف مثبسة

سنيامسا إن همسا خططا وإن فرمسا

وهكسلا السين في قسب وباسقة

والسبح والنسب والسحر والتبس قيسا

وفي تقسب بالليل الكلام وفي مسطر وشموس واتخذ جرما

وفي قرص ويزد قارس فخذ الصراب متى وكن للمعلم مقبسا فقال له

أحسنت يا نقيش يا صناجة الجيش ثم قال لب يا حنينة وبين

الصادات العلبسة فوب ربة شبل مثار ثم أنشد من غير عثار :

بالصناد يكتب قسب قيست درامسا

بأنساماكي وأصحن لتسمع التجبر

ويصقت أبهق والصماح وصنجة

والقص وهو الصمد واتص الأثر

ويخصت مقلته ومساكي قسر مصة

قد أرعدت منه القصر صة للأخسور

وقصرت همنسا أي حيت وقصد نسا

فصح الصغاري وهو عيد منتظر

وقصر منه والخمر قارصة إذا

حصلت اللسان وكل هلا منتظر

فقال له رعا لك يا بني فلقد أقربت عيني، ثم استهضى ذا جة

كاليينق، نقشة كالسوق، وأمره بأن ينفق بالرماد ويسرد ما

يجري على السين والصاد، فتعش بسحب برجه، ثم أنشد مشيرا

بيده :

(البيّنق : الصغر الصغير، ونقشة : أي حركة ونهوض،

والسوق هو الصغر، وقيل الشاعين) .

ونكتفي بهذا القدر كنموذج للمقامات ويمكنك الرجوع إلى المصدر كما هو مبين في ثبت المراجع .

(المقامات الأدبية لأبي محمد القاسم بن علي الحريري البصري ط
مصطفى الباني الحلبي / ٣٨٣-٣٩٣) .

● خَلُجُوں :

قرية من قرى قضاء الخليل في التقسيمات الإدارية لفلسطين المحتلة (من كتاب معجم البلدان ٢٠٢/١) قال عنها ياقوت :

بافتح ثم السكون ، وضم الحاء الثانية ، وسكون الواو ، واللام :
 قرية بين البيت المقدس وقبر ابراهيم الخليل ، وبها قبر يونس
 ابن متى عليها السلام ، والهاء ينسب اليها من الرمن عبد الله بن
 عبد الرحمن الحملي الجلي ، محدث تاريخ ، ولد ليعقوب بن عبد الله بن
 يوسف بن ابي الاثق ، وكان آخر امره ان قطع مسجدا في شافه
 دمشق ، في سنة ٥٤٣ هـ افرجه على دمشق محاصرين ، فخرج
 هذا الشيخ في جماعة فقتل رحمه الله وليانا (معجم البلدان ١/ ٢٩٠)
 وقد كتبا معجم البلدان لايوت الحصري الرومي - اختار النصوص
 من كتابها وعلق عليها حيد الله زيهان / ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ومعجم البلدان
 (٢٩٠ / ١)

• الحازون (أم الخلول) ،

قال داود الأنطاكي :

الحائزون هو الشجع ونضف الغراب والبولونانية فروحيًا وهو عبارة عن صدف داخله حيوان ويختلف كبر وأرجل وأجلا وطولا وعكسها وأوجدوا الصنف المعروف بالكروية وأدعى قوم صف الشجع به وأوجدوه المزمث الصنف المجلوب عن كليكوت وأخذوا الشجري وعلى النوع النخيلس المصروف في مصر بأم الخدول وعليها الصنوبري الصنوبري الشكل المقتض وما عدا هذا ردى وقشر الحائزون يسافر الصنوبري بادي يفي في التاتية أو السائفة ولهمه بارد رطب في التاتية إلا أن أم الخدول لظفها تسهيل بسرعة إلى اللحم الجيد والمعوم ما عداها تولد البقم والصنوبريات والسلمد والأصلاط والنعنع من صنف من الحكمة والذهب والحاررة الصغولية ويبنى أن يجتنب البقم ما كبر منه كالصنوبريات وأما أم الخدول فأنها تنفع من الجذام والجرب والحكة والسوداء والجبن واليوسا إذا شربت مطبوخة أو أكلت نية وتقطع العسل والذهب الصغولية ويبنى أن تؤكل بغير الحاررة وأكلها عن الطبخية كما قضمه أكل مرضى يولد صنف عرج مغرقة وقيل إنها إذا بلغت على الجوع كل يوم سبعة إلى أسبوعين منعت الفتق وألحمته وقشرها وقشر الورد إذا أحرق كان غاية في إصلاح طبقات العين وقيل الكياف وتحليل الأورام والحكة والسلاق والجرب وإذا مزج مع الملح الكياف والنخل وماء الحاررة ويطلى به جف عف الحاررة والحكة والجرب وسكن الخمر والمفاصل. وبلى الحائزون إذا أحرق

والسامعان ومقر والسويق ومسلاق وعن كل هذا تفصح
الكتب .

(السامغان : جانباً القم لكن قيل إنه بالصاد أشهر، وصقر: لغة
في الصقر بالصاد.

والسويق : هو دقيق الشعير المقلو وقد يعمل مع البر مع الحمص ، والمسلق : هو الشديد الصوت ، ومنه قوله تعالى : ﴿سلفكم بالناسه حداد﴾ (الأحزاب : ١٩) .

فقال له أحسنت يا حبة، يا عين بقية، ثم نادى يا دغفل، يا أبا زنفل، فلباه فتى أحسن من بيضة، في روضة، فقال له ما عقد هجاء الأفعال، التي آخرها حرف اعتلال، فقال له اسمع لا صم صداك، ولا سمعت هداك، ثم أُنشد، وما استرشد :

إذا فعل يومًا غم عنك مجبارة

فَالْحَقُّ بِهِ تَاءُ الْخَطْبِ لَا تَقْفُ

فإن تبرير قبل التبراء بـاء فكتيبة

پیسہ اور الا فہم۔۔۔ پکتب بیبالالف

ولا تحب الفعل الثلاثي والذي

تعليق والمهموز في فاك يختلف

فطرب الشيخ لما أراه، ثم هزذه ولذاه، ثم قال هلم يا قعقاع، يا باقعة البساق، فأقبل فتى أحسن من نار القرى، في عين ابن السرى، فقال له اصبر صبراً، فتميز الظاء من الضاد، لصبره به أكباد الأضداد، فهاهنا نقوله وهاهنا، ثم أنشد بصوت أجش:

أيهما السبيل إلى من الضياع والظلم

• لكي لا تفقد الألفاظ

إن حفظ الكلمات يفنيك فاعلم

— بها استمعاع امری له استیفاء

هي طميساء والمطلب الم والأف

_____لام والظلم والظبي والمحمـ_____

والمعقل والمظلم والمظبي والشيخم والظل والنظى والشواظ
والنظنى واللنظ والنظم والتقريط والقيظ والمظما واللمناظ والحظا
والنظير والمظئر والمجاهظ والناظرين والإيقاظ ... الخ.

(علمياء: الظلمى: السمرة والذبول. الظلم بالفتح: ماء
الأسنان ويريقها. الظمى: جمع ظمة وهي حد السيف أو السنن،
الحفاظ: جانب العين ما على الصدر، والعظا: جمع العظاية
ضرب من الوز، التظيم: ذكر النعام، الظمى: المزال، الشيطم:
الشديد الطول من كل شيء، المظمى: النمار، والشواظ: النار بلا
دخان، التظمى: إعمال النظر، الحفاظ بالفتح: والكسر فوق يرفرف
اللسان والحفاظ جمع حظوة: الغثر: الضمعة).

وجعلت للاملازمة التي تكون بمعاهدة، وفلان خلف كرم، وحلف كرم والأحلاف جميع حليف، قال الشاعر:

«تندكرنا الأحلاف قد نل عرشها»

والحلف أصله اليمين الذي يأخذ بعضهم من بعض بها العهد ثم عبر به عن كل يمين، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَطْعَمْ كُلَّ حِلَافٍ مِنْهُمْ﴾ [القصص: ١٠] أي مكثركم للحلف وقال تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾ [التوبة: ٧٤] ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمُتَكُمْ وَمَا هُمْ بِمُتَكُمْ﴾ [التوبة: ٥٦] ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ﴾ [التوبة: ٦٢] «ويشء محلف بحمل الإنسان على الحلف، وكملت محلف إذا كان يشك في كميته وشقوته فيحلف واحد أنه كميته وأخر أنه أشقر والمخالفة أن يحلف كل لآخر ثم جعلت عبارة عن الاملازمة مجرداً فقيل حلف فلان وحليفه، وقال الله: ﴿لَا حِلْفَ فِي الْإِسْلَامِ﴾ وفلان حليف للسان أي حديده كأنه يحالف الكلام فلا يتجافأ عنه وحليف الفساحة (الفرفرة) (١٢٩).

وقال صاحب اللسان:

حلف: الحلفُ والحَيْفُ: القسم، لفتان، حلف أي أقسم يحلف خلفاً وخلفاً وخلفاً ومحلواً، وهو أحد ما جاء من المصادر على مفصول، مثل المجلود والمقصول والمعمور والميسور، والواحدة حلفة...

وربما حلف وحلاف وحلافة: كثير الحلف وأحلفت الرجل وحلفت واستحلفت بمعنى واحد، ومثله أربعته واستربعت؛ وقد استحلته بالله ما فعل ذلك وحلفه وأحلفه: قال النمر بن تولب:

فصارت لي فاحلته

بهي صبي فاحلته تخشع

وفي الحديث: من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها؛ الحلف: اليمين، وأصلها المقعد بالعزم والنية، فخالفت بين اللفظين تأكيداً للعقد وإعلاماً أن لنمو اليمين لا ينفذ تحته.

وفي حديث حليفة: قال له جندب: تمنعني أحلافك منذ اليوم، وقد سمعت من رسول الله ﷺ، فلا تهتني؛ أحلافك أفاعلك من الحلف اليمين.

والحلف، بالكسر، العهد يكون بين القوم. وقد حالفه أي عادله، وتحالفوا أي تعاقدوا. وفي حديث أنس: حالف رسول الله ﷺ، بين المهاجرين والأنصار في دارنا مرتين، أي آخى بينهم؛ وفي رواية: حالف بين قريش والأنصار، أي آخى بينهم؛ لأنه لا حلف في الإسلام. وفي حديث آخر: لا حلف في الإسلام. قال ابن الأثير: أصل الحلف المعاهدة والمعاهدة على التصانيد والتساعد والأخلاق، فما كان منه في الجاهلية على الفتن والتقاتل

وقرب من النار وجمعت رطوته وعجن بها الصبر والمكر والكندر كان برهماً يمدل الجراح التي لا يبر لها ويقطع الدم حيث كان وإذا روى بلحمه وشره وطلّى سائل الأروام حيث كانت والطحال ووجع العظم وجذب النطول والسلى من البدن وهو يلين كل صلب من المعطرات حتى يلحق بأعلاها أذنائها ويقال إنه إذا سحق بوزنه من النوشادر ونصفه من الكبريت وسدسه من الملح النقي وقطر فمل في المشتري أفدالاً جليئة (التلذذة) (١٢٧).

وقال المظفر الرسولي نقلًا عن عبد الله بن الطيطار صاحب «الجامع لقري الأدوية والأغذية» (وقد روى إليه بالحرف (ع):

«ع» منه جنس يسمى فوحلياس، إذا أحرق مع جسمه، وخلط مع رمد أو عصي أخضر وقلقل أبهى، نفع من القروح الحادثة في الأعضاء ما لم تغض، يخلط من القائل جزء، ومن القفص جزء، ومن رمد الحلزون أربعة أجزاء، ويسحق الجميع سحقاً ناعماً، ويلد منه على الطعام، ويسقى منه أبشاً بالشراب والماء الأبيض. والحلزون البري جيد للمعدة، وأما النهري فإنه زوم، وأما البري اللاصق بالشوك والأشجار الصغار، فإنه يسهل البطن، وقوة أغطيها كلها إذا أحرقت مسخنة محرقة، تجلو الجرب المتقشر والبهن والأسنان، وإذا أحرقت كما هي بالحمها وسحقت واكتحل بها كما هي مع عسل، جلت آثار اندمال القروح العارضة في العين، وأبرأت قرحة العين، وتزيل الغشاوة والكلف، ويضمد بها غير محرقة للاتفاخ تفسمه، ولا تفرق الاتفاخ حتى تنفي رطوته، وتسكن أورام القرص، وإذا ضمد بها جلبت السلاء من داخل اللحم، وإذا سحققت واحملت أدت الطمث، وإذا أخذت للزوجة التي على اللحم منها بطرف الإبرة، وضعت على الشعر النابت في العين أزالته.

ثم يقول نقلًا عن ابن جرلة صاحب «مناهج البيان فيما يستعمله الإنسان» (وقد روى إليه بالحرف (ج): الحلزون من جملة الأحصاف، وهو يابس يطفئ الدم، وإذا أحرق نفع من قروح العين (المعتمد) (١٠١/١، ١٠٢).

(تذكره أولى الألباب لابن أبي عمير الأتلاكي ١٢٧/١، والمعتمد في الأدوية المفردة للمظفر الرسولي - صاحب وقرهه مصفى الشفا، (١٠١/١، ١٠٢).

«الحلزون (بئر):»

انظر: بشر يوسف (صلاح الدين) - الحلزون في م ١٣٦، ١٣٥/٨.

«الحلف:

قال الرافعي الأصفهاني:

حلف: الحلف العهد بين القوم والمخالفة المعاهدة،

سيد الأحلاف؟ فقال ابن عباس : نعم والمختلف عليهم ، يعنى المطيعين .

قال الأثرى : وإذا ذكرت ما قصه ابن الأعرابي لأن القتيبي ذكر المطيعين والأحلاف ، فخلط فيما فسر ، ولم يؤد القصة على وجهها ، قال : وأرجو أن يكون ما رواه شمر عن ابن الأثرى صحيحا .

وفى حديث ابن عباس : وجدنا ولاية المطيعي خيرا من ولاية الأحلاف ، يريد بها بكر وعمر ؛ يريد أن أبا بكر كان من المطيعين وعمر من الأحلاف ؛ قال ابن الأثير : وهذا أحد ما جاء من النسب لا يجمع ، لأن الأحلاف صار اسما لهم ، كما صار الأنصار اسما للأوس والخزرج .

والأحلاف الذين في شعر زهير هم : أسد وضفان ، لأنهم تحالفوا على التناصر ؛ قال ابن بريق : والذي أشار إليه من شعر زهير هو قوله :

تلتزمنا الأحلاف تدنل عر شهرنا

وتبينان قد زلت بأقلهما التعل

قال : وفى قوله أيضا :

ألا أبلغ الأحلاف عنى رسالة

ونصيبان : هل أستمع كل مقسم ؟

قال ابن سيده : والحليفان أسد وضفان صفة لازمة لهما لزوم الاسم . ابن سيده : الحلف العهد ، لأنه لا يعقد إلا بالحلف ، والجمع أحلاف .

وقد حالفه محالفة وحلafa ، وهو حلقه وحليفه ؛ وقول أبي ذؤيب :

نصف تقول إن هي لم تحلفنى

أخسبان للمهدد أم أتم الحليف ؟

الحليف : الحالف فيما كان بينه وبينها ليفين ، والجمع أحلاف وحلفاء ، وهو من ذلك ، لأنهما تحالفا أن يكون أسرهما واحدا بالوفاة .

الجوهري : والأحلاف أيضا قوم من ثقيف ، لأن ثقيفا فرتان : بنو مالك والأحلاف ؛ ويقال لبني أسد وطير الحليفان ؛ ويقال أيضا لقزارة ولأسد حليفان ، لأن خزاعة لما أجلت بني أسد عن الحرم خرجت فصالحته طيحا ، ثم حلفت بنى فزارة .

ابن سيده : كل شيء مختلف فيه فهو مختلف ، لأنه دأب إلى الحلف ، ولذلك قيل : حصار والوزن مختلفان ، وذلك أنهما تجمعان بطمان قبل سهيل من مطلقه ، فيتل الناس بكل واحد منهما أنه سهيل ، فيحلف الواحد أنه سهيل ويحلف الآخر أنه ليس به .

بين القبائل والغارات فلذلك الذى ورد النهى عنه فى الإسلام بقوله ، ﷺ : لا حلف فى الإسلام ، وما كان منه فى الجاهلية على نصر المظلوم وصلة الأرحام ، كحلف المطيعين وما جرى مجره ، فلذلك الذى قال فيه رسول الله ، ﷺ : وأيما حلف كان فى الجاهلية لم يزد الإسلام إلا شدة ؛ يريد من المعاقدة على الخير ونصرة الحق ، وبذلك يجتمع الحليفان ، وهذا هو الحلف الذى يقتضيه الإسلام ، والمنع منه ما يخالف حكم الإسلام ، وقيل : المحالفة كانت قبل الفتح ، وقوله : لا حلف فى الإسلام قاله زمن الفتح ، فكان ناسخا ، وكان عليه السلام ، وأبو بكر من المطيعين ، وكان عمر من الأحلاف ، والأحلاف ست قبائل : عبد النضر ، وجميع ، ومخزوم ، وبنو عدى ، وكعب ، وسهم .

والحليف : المحالف . الليث : يقال حالف فلان فلانا ، فهو حليف ، وبينهما حلف لأهمما تحالفا بالأيمان أن يكون أسرهما واحدا بالوفاة ، فلما لم ذلك عندهم فى الأحلاف التى فى العشائر والقبائل صار كل شيء شيئا فلم يفرقه فهو حليفه ، حتى يقال : فلان حليف اليهود ، وفلان حليف الإنكار ، وفلان حليف الإقلال ؛ وأشد قول الأصبغ :

وشمر يكين لى كبر من الما

ل وكعبنا محالفى إقلال

وحالف فلان بته وحرته أى لأيمه .

ابن الأعرابي : الأحلاف فى قريش خمس قبائل : عبد الدار وجميع وسهم ومخزوم وعدى بن كعب ، سموا بذلك لما أريدت بنو عبد مناف أخذ ما فى يدى عبد الدار من الحجابة والرفادة واللواء والسفاية ، وأبى بنو عبد الدار عقد كل قوم على أمرهم حلفا مؤكدا على ألا يتخاذلوا ، فأخرجت عبد مناف جفنة مملوءة طيبا فوضعوها لأحلافهم فى المسجد عند الكعبة ، وهم أسد وزمرة وقيم ، ثم غمس القوم أيديهم فيها وتماعفوا ، ثم سمعوا الكعبة بأيديهم تركبها ، فسموا المطيعين ، وتماعفت بنو عبد الدار وحلفاؤها حلفا آخر مؤكدا على ألا يتخاذلوا فسموا الأحلاف ؛ وقال الكعبى يذكرهم :

نسبنا فى المطيعين وفى الأحـ

لاف حل السلفاية الجمهورا

قال وروى ابن عيينة عن ابن جريج عن أبي مليكة قال : كنت عند ابن عباس ، فأثله ابن صفوان فقال : نعم الإمامة إمارة الأحلاف كانت لكم ؛ قال : الذى كان قبلها خير منها ، كان رسول الله ، ﷺ ، من المطيعين وكان أبو بكر من المطيعين ، وكان عمر من الأحلاف ، يعنى إمارة عمر .

وسمع ابن عباس نادية عمر ، رضى الله عنه ، وهى تقول : يا

وتفاته محلفة إذا شك في سريتها حتى يدعو ذلك إلى الحلف .
الأزهرى : ناقة محلفة السام لا يدري أفى ستمها شحم أم لا ؟ قال
الكيمت :

أَلَمْ يَلَلْ مُحَلِّفَةُ السَّرْمَسِ

م بالسوسى بسر وسجاسر
أى يحلف اثنان : أحدهما على الدروس والأخر على أنه ليس
بدارس ، فير أحدهما في يمينه ويحث الآخر ، وهو الفاجر .

(لسان العرب ٩١٣ - ٩٦٥) .

ويسوق الإمام النووي درساً فى النهى عن الحلف بغير الله
وتحريم اليمين الكاذب ، ونلب من حلف على يمين فرأى خيراً
منها أن يفعل المعروف عليه ثم يكفر عن يمينه وجاء فيه ما يلى :

روى الشيخان عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبی ﷺ قال :
« إن الله تعالى ينهاكم أن تحلفوا بآياتكم فمن كان حاكفاً فليحلف
بالله أو ليصمت » . وروى مسلم عن عبد الرحمن بن سمرة رضى
الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : لا تحلفوا بالطواغيت ولا بآياتكم
(الطواغيت : جمع طاغية وهى الأصنام) وروى فى غير مسلم
بالتواثيت : جمع طاغوت وهو الشيطان والصنم . وروى الشيخان
عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبی ﷺ قال : « من حلف على
مال امرئ مسلم بغيره حتى لقى الله وهو عليه غضبان » قال ثم قرأ
علينا رسول الله ﷺ مصداقه من كتاب الله عز وجل [إن الذين
يشترون بعدهم بآياتهم ولآيمانهم لئنا قليلا] [آل عمران : ٧٧] إلى آخر
الآية وروى مسلم عن أبى إيسر بن ثعلبة الحارثى رضى الله عنه أن
رسول الله ﷺ قال : « من اقتطع حتى امرئ مسلم يمينه فقد أوجب
الله له النار وحرم عليه الجنة فقال له رجل وإن كان شيئاً يسيراً يا
رسول الله قال وإن كان قصيباً من أراك » وروى البخارى عن عبد الله
ابن عمر رضى الله عنهما عن النبی ﷺ قال : « إكثار الإشراك بالله
وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس » وفى رواية له فإن
أمرأياً جاء إلى النبی ﷺ فقال يا رسول الله ما الكيان قال الإشراك
باله ، قال ثم ماذا ؟ قال اليمين الغموس قلت وما اليمين الغموس ؟
قال الذى يقطع مال امرئ مسلم يعنى يمينه هو فيها كاذب »
وسميت غموساً لأنها تغمس صاحبها فى النار . وروى الشيخان
عن عبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه قال : « قال لى رسول الله
ﷺ : إذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيراً منها فأت فأت الذى هو
خير وكفر عن يمينك » وروى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن
رسول الله ﷺ قال : « من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها
فليكفر عن يمينه وليعلم الذى هو خير » وروى الشيخان عن أبى
موسى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إني والله إن شاء الله لا
أحلف على يمين ثم أرى غيرها خيراً منها إلا كفرت عن يميني
وأيتت الذى هو خير » .

وروى الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « قال
رسول الله ﷺ : لأن يبيع أحدكم فى يمينه فى أملة آثم له عند الله
تعالى من أن يهلى بكماله التى فرض الله عليه » (قوله يبيع أى
يتماذى فيها ولا يكفر وقوله آثم له أى أكثر إلماً) وروى البخارى عن
عائشة رضى الله عنها قالت أنزلت هذه الآية لا يؤخذكم الله باللغو
فى أيمانكم فى قول الرجل لا والله وبلى والله . وروى الشيخان عن
أبى هريرة رضى الله عنه قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول :
« الحلف منفعة للسعة ممحقة للكسب » .

وروى مسلم عن أبى قتادة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ
يقول : « إياكم وكثرة الحلف فى البيع فإنه ينفق ثم يحمق » وقد
عنون الإمام النووى لذلك بقوله باب كراهة الحلف فى البيع وإن
كان صادقا » (مختصر كتاب رفاى الصالحين / ٢٦٣ - ٢٦٧) .

وعن الحلف بالقرآن هل هو كالحلف بالله تعالى بحيث يتعدى
به اليمين ويأتى الحاث به وتزايمة الكفارة أم لا ؟ جاءت هذه الفتوى
فى مجلة الأزهر رداً على سؤال سيدة متأسلة :

نفيد أن الأئمة الثلاثة مالكا والشافعى وأحمد وعامة أهل
العلم قد ذهبوا إلى أن الحلف بالقرآن أو بآية منه أو بكلام الله يمين .
وذهب أبو حنيفة وأصحابه إلى أن الحلف بالقرآن ليس يمين .
قال ابن قدامة : من المتأخلة فى المعنى ما نصه : « وجعلت أن
الحلف بالقرآن أو بآية منه أو بكلام الله يمين متقدمة تجب الكفارة
به بالبحث فيها . وبهذا قال ابن مسعود والحسن وقادة ومالك
والشافعى وأبو حنيفة وعامة أهل العلم .

وقال أبو حنيفة وأصحابه ليس يمين ولا تجب به كفارة فمنهم
من زعم أنه مخلوق ومنهم من قال : لا يبعد اليمين به ، ولما أن
القرآن كلام الله وصفه من صفات ذاته فتقدمت اليمين كما لو قال :
وجلال الله وعظمته . وقولهم : هو مخلوق قلنا :

هذا كلام المعتزلة وإنما الخلاف مع الفقهاء .

وقد روى عن ابن عمر أن النبی ﷺ قال : « القرآن كلام الله

غير مخلوق » .
وقال ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿ قرئنا عربيا غير ذى عوج ﴾
[الزمر : ٢٨] أى غير مخلوق ... إلخ ما قال ...

وقد حالى شمس الأئمة السرخسى كون الحلف بالقرآن ليس
يميناً بأن الناس لم يتعارفوا بالحق بالقرآن فقد جاء فى المبسوط من
الجزء السابع صفحة ٢٤ ما خلاصته « أنه إذا قال والقرآن لا أفرك
لا يكون مؤلفاً ، لأن الناس لم يتعارفوا بالحلف بالقرآن والمعتبر فى
الإيمان العرف فكل لفظ لم يكن الحلف به متعارفاً لا يكون يميناً » .

وقد طعن عليه بعض الناس وقالوا القرآن كلام الله تعالى
والكلام صفة المتكلم فلماذا لم يجعل الحلف بهذه الصفة يميناً
ولكننا نقول : كلام الله تعالى صفة ولكن الحلف به غير

الزبيدي الشر صعد على جبل أبي قيس عند طلوع الشمس -
وقريش في أنديتهم حول الكعبة - فتأذى بأعلى صوته :

يَا آلَ فَهْرٍ لِمَطْلُومٍ بِشَاعَتِهِ

يُطِنُ مَكَّةَ نَسَائِي السُّدَارِ وَالْفَهْرِ
وَمَحْصَرِمْ أَشْعَتِ لَمْ يَقْضِ حَمْرَتَهُ

يَا لِلْمَرْجَالِ وَبَيْنَ الْحَجَرِ وَالْحَجَرِ
إِنْ لِمَحْصَرَامٍ لَمَنْ نَمَتْ كَسْرَامَتُهُ

وَلَا حِمْرَامٍ لِنُوبِ الْفَاجِرِ الْغَسَامِ
قَامَ فِي ذَلِكَ الزَّيْبِرِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَقَالَ : مَا لِهَذَا مَرْكَ .

فاجتمعت هاشم وزهرة ويتم بن مرة في دار عبد الله بن جدعان ،
فصنع لهم طعاما ، وتحالفوا في ذي القعدة في شهر حرام ،

فتعاقبوا وتعاهدوا بالله ، ليكون بينا واحدة مع المظلوم على
الظالم ، حتى يؤدي إليه حقه ، ما لم يجر صوفة ، وما بقي جبل ثير

وحراء مكانهما ، وعلى الناس في المعاش . فسمت قريش ذلك
الحلف الفضول ، وقالوا : لقد دخل هؤلاء في فضل من الأمر . ثم

مشوا إلى العاص بن وائل ، فانتزعوا منه سلعة الزبيدي ، فذهبوا
إليه . وقال ابن قتيبة : إنما سمى حلف الفضول لأنه أشبه حلفا

تحالفته جهرهم على مثل هذا من نصر المظلوم على ظالمه . وكان
الداعي إليه ثلاثة من أشرفهم ، اسم كل واحد منهم فضل . وهم

الفضل بن فضالة ، والفضل بن ربيعة ، والفضل بن الحارث .
(المنتخب من السنة . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

الخاتمة . الطبعة الثانية ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٦ م / ٨٣ ، ٨٤) .
* الخلفاء :

مما يرد في مصنفات التراث الإسلامي في علم النبات وعلم
طب الأعشاب .

جاء في معجم أسماء النباتات : حلف محركة : عن
الأخفش : نبت من الأغصان . قال أبو حنيفة [الدنيسوري] قال

أبو زياد : وقلما ثبتت الحلفاء إلا قريبا عن ماء أو بطن واد ، وهي
سلبية المس لا يكاد أحد يقضي عليها بخافاة أن تقطع بيده ، وقد

يأكل منها الإبل والنعيم أكلا قليلا ، وهي أحب شجرة إلى البقر .
الواحدة منها حلقة مثل خشية . قاله أبو زياد ونقله أبو حنيفة .

وقال سيويه : الحلفاء واحد وجمع وكللك طراف . ونقله أبو عمرو
أيضا هكذا (معجم أسماء النباتات / ٤٤) .

وجاء في اللسان :

والحلف والحلفاء : من نبات الأغصان ، وأحدها حلقة
وحلقة وحلفاء وحلقة : قال سيويه : حلفاء واحدة ، وحلفاء

للجميع ، لما كان يقع للجميع ، ولم يكن اسما كسر عليه الواحد ،
أرادوا أن يكون الواحد من بناء فيه علامة التأنيث كما كان ذلك في

متعارف . فكان هذا بمنزلة قوله « وعلم الله » . وكذلك اختار صاحب
الهداية في تعليق كون الحلف بالقرآن غير يمين على مله
متقدم الحنفية أنه غير متعارف ومن أجل ذلك ذهب صاحب
« فتح القدير » إلى أنه يمين لأن المعروف الآن الحلف بالقرآن وبهذه
يتبين أن الحلف بالقرآن الآن يمين عند الحنفية أيضا للعرف كما قال
صاحب الفتوح فلا فرق الآن بين الحلف بالقرآن والحلف باسم من
أسمائه تعالى وبهذه علم الجواب عن السؤال والله أعلم (الفتاوى /
٥١٨) .

(المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني - تحقيق وضبط
محمد سيد كيلاني / ١٢٩ ، ولسان العرب لابن منظور / ٩٦٣ / ١١ -

٩٦٥ ، ومختصر كتاب رياض الصالحين للإمام يحيى بن شرف الدين
النوري - اختصاره وزيه الشيخ البهائي / ٢٦٣ - ٢٦٦ ، و « الفتاوى » -

إصدار الأستاذ عبد المصم فودة . مجلة الأوسر . الجزء الرابع ، السنة
الخامسة والستون ، ربيع الآخر ١٤١٣ هـ - أكتوبر ١٩٩٢ م / ٥١٨) .

* الحلف بغير الله :

انظر : الحلف .

* الحلف بالقرآن :

انظر : الحلف .

* حلف الفضول :

شهود النبي ﷺ حلف الفضول

عن زيد بن المهاجر بن قنفذ التيمي أنه سمع طلحة بن عبد الله
ابن عوف الزهري يقول : « قال رسول الله ﷺ : لقد شهدت في دار

عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لي به حمر النعم . ولو دعي به
في الإسلام لأجبت » .

رواه ابن كثير في البداية والنهاية ٢ / ٢٩٣ .

عن محمد وعبد الرحمن ابني أبي بكر قالا .

« قال رسول الله ﷺ : لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان
حلفا لو دعيت به في الإسلام لأجبت . تحالفوا أن يبرؤوا للفضول

على أهلها . وألا يعد ظالم مظلوما (وفي رواية أخرى « وأن لا يمز
ظالم مظلوما » أي لا يمز ظالم بقرته أو جملته . رواه ابن كثير في

البداية والنهاية ٢ / ٢٩١ .

كان حلف الفضول قبل المبعث بعشرين سنة في شهر ذي
القعدة ، وكان بعد حرب الفجار بأربعة أشهر ، وكان أكرم حلف

سمعه به وأشرفه في العرب ، وكان أول من تكلم به ودعا إليه الزبير بن
عبد المطلب . وكان سيبه أن رجلا من قبيلة زيد قدم مكة يبضع

فاشترأها منه المعاص بن وائل ، فحس عنه حقه ، فاستعدي عليه
الزبيدي الأحلاف ، عبد الدار ومنزوما وجمعا وسهما وعدى بن

كعب ، فأبوا أن يعينوا على المعاص بن وائل ، وانتهزوه . فلما رأى

١- عن أنس رضي الله عنه « أن النبي ﷺ أتى الجمرة فرماها ثم أتى منزله بمنى ونحره، ثم قال للحلاق: خذ، وأشار إلى جانبيه الأيمن ثم الأيسر ثم جعل يعليه الناس ».

وفي رواية: أعطى الجانب الأيمن لمن يليه والأيسر لأم سليم. وفي رواية « أنه دفع الأيسر إلى أبي طلحة، وقال له: اتسمه بين الناس ». أخرجه الخمسة إلا النسائي.

٣- وعن علي رضي الله عنه قال: « نهى رسول الله ﷺ أن تحلق المرأة رأسها ». أخرجه الترمذي.

وزاد زوين: في الحج والحبرة وقال: إنما عليها التقصير.
٤- وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: « قال رسول الله ﷺ: اللهم ارحم المحلقين. قالوا: والمقصرين يا رسول الله؟ قال: اللهم ارحم المحلقين. قالوا: والمقصرين يا رسول الله؟ قال: والمقصرين » أخرجه السنة إلا النسائي.

٥- وللشخيرين عن أبي هريرة: « أن رسول الله ﷺ قال: اللهم اغفر للمحلقين. قالوا: يا رسول الله والمقصرين. قال: اللهم اغفر للمحلقين. قالوا يا رسول الله: والمقصرين. قال: اللهم اغفر للمحلقين. قالوا يا رسول الله: والمقصرين. قال: اللهم اغفر للمقصرين ».

٦- ولمسلم عن أم الحصين (تظهر ترجمتها في موضعها) رضي الله عنها قالت: « سمعت رسول الله ﷺ في حجة الوداع (تظهر هذه المادة في موضعها) دعا للمحلقين ثلاثاً، وللمقصرين مرة واحدة ».

(تيسر الوصول إلى جامع الأصول للإمام ابن النجيب الشيباني ١/ ٢٩٦، ٢٩٧).

انظر: الحج في ١٣/ ١١٣- ١٢٨.

• التحليقة:

التحليقة: هي الأحراف الستة المعروفة التي هي الهزمة والهاء، والعين والحاء، والغين والخاء. ولقبت بذلك ونسبت إلى الحلق لخروجها منه.

(ملخص أحكام التوجيه، د. شحان محمد إسماعيل/ ٧٩).

انظر: الحروف (مخارجها) في ١٣/ ٤٧٩- ٤٨٣.

• التحلل البهيجة في فتح البريجة وسيرة الملك الهاشمي سيدي محمد بن عبد الله القاطمي:

من مصنفات التراث الإسلامي في التاريخ.
من المخطوطات المصورة بمعهد المخطوطات العربية وجاء بيانه كما يلي:

لمحمد بن أبي القاسم بن محمد بن محمد بن سليمان المراكشي، المتوفى بعد التسعين ومائة وألف.

الأكثر الذي ليست فيه علامة التأنيت ويقع ملكوا، نحو التمر والبر والشعير وأشباه ذلك، ولم يجاوزوا البناء الذي يقع للجميع حيث أرادوا واحداً فيه علامة التأنيت، لأنه فيه علامة التأنيت اكتفوا بذلك وبينوا الواحدة بأن وضعوها بإحدى، ولم يجزوا علامة سوى العلامة التي في الجمع لتفرق بين هذا وبين الاسم الذي يقع للجميع وليس فيه علامة التأنيت، نحو التمر والبر.

وأرض حلفة ومحفلة: كثيرة الحلفاء وقال أبو حنيفة: أرض حلفة تنبت الحلفاء.

الذئب: الحلفاء: نبت حمله قصب الشباب. قال الأزهري: الحلفاء نبت أطرافه محدلة كأنها أطراف سفن النخل والخصوه، ينبت في مناضب الماء والترزوز، الواحدة حلفة مثل قصبه وقصبه وطرفة وطرفاء، وقال سيوري. الحلفاء واحد وجمع، وكذلك طرفاء وبهمى وشكوى واحدة وجمع.

الجوهرى: الحلفاء نبت في الماء، وقال الأصمعي: حلفة، بكسر اللام وحذف ياء، عن عتبة بن ربيعة يزر لمدينة فقال: من أنت؟ قال: أنا الذي في الحلفاء؛ أراد أنا الأسد، لأن مأوى الأسد الأجسام ومنابت الحلفاء، وهو نبت معروف؛ وقيل: هو قصب لم يدرك. والحلفاء: واحد يرد به الجمع كالقصباء والطرفاء؛ وقيل: واحدته حلفة.

(لسان العرب ١١/ ٩٦٥).

وعن الخصائص العلمية للحلفاء يقول العظفر الرسولي نقلاً عن عبد الله بن البطيار صاحب «الجامع لقوى الأدوية والأغذية» الذي يرمز إليه بالحرف (ع):

حلفاء- ع « نبت معروف، إذا أخذ منها ثلاثة وأوقدت وكوى بها الدسمانيل في أول ظهورها ثلاث مرات، منها من التزديد، ورمادها إذا أحرق حار يابس، إذا غسل به الرأس نفاه من الإبرة تنقية بالغة وأزالها، ولا يعدلها في ذلك دواء آخر، وإذا شرب مع عسل وخل تدل اللدندان في البطن. يؤخذ كذلك ثلاثة أيام متوالية، وإذا أوقدت أطرافه وكويت بها التملة الساعية، نفع منها تماماً باليضا (المتعمد ١/ ١٠٢).

(مجموع أسماء النباتات الواردة في نافع المرضي للزبيدي- جمع وتحقيق محمود مصطفی الخياط/ ٤٤، ولسان العرب لابن منظور ١١/ ٩٦٥، والمحمد في الأدوية المفردة للمظفر الرسولي- صححه وفهرسه مصطفى السقا، ١/ ١٠٢).

• الحلق والتقصير:

من واجبات الحج بعد رمي جمرة العقبة. قال الإجماع ابن الدبيح:

(دليل مورخ المغرب ٥٤) .
 تكلم فيه على فتح مدينة البريجة المعروفة الآن بالجليدة
 بالمغرب الأقصى زمن السلطان المظفر محمد بن عبد الله العلوي
 الحسني ، المتوفى سنة ١٢٠٤ هـ .
 أوله : « الحمد لله العظيم الجواد الذي من علينا بالجهاد » .
 وآخره : « والله ذو الفضل العظيم ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ...
 آمين والحمد لله رب العالمين » .
 نسخة كتبت بخط مغربي ، بقلم محمد بن العباس بن محمد
 العربي ثم الجديدي .
 فرغ من نسخها عشية الجمعة ٥ صفر سنة ١٣٣٣ هـ . تقع في
 ٢٠ ورقة ، ومسطرتها ٢٥ سطرا .
 [الرباط ١٣٢٨]
 UNESCO
 (فهرست المخطوطات المصورة ، معهد المخطوطات العربية ،
 التاريخ ج ٢ ق ٤ ، القاهرة ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م / ١٥٣ ، ١٥٤) .
« الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية »
 من مصنفات التراث الإسلامي في التاريخ
 من المخطوطات المصورة بمعهد المخطوطات العربية
 وهو المعروف بتاريخ الوزير
 لأبي عبد الله محمد بن محمد السراج الأندلسي ، الشهير
 بالوزير المتوفى سنة ١١٣٨ هـ .
 (بروكلمان ٢ / ٤٥٨ وملحق ٢ / ٦٨٥)
 الجزء الثالث
 وأوله : « الحمد لله الذي أيد بلاحت رعايته من سلك على جادة
 الرحمة سيلا ... وبعد ، فإنه لما تقدم الوعد في صدر الجزء الأول
 من هذا الكتاب ... بأن نجعل الثالث منه في ذكر السدولة
 التونسية ... انقرد هذا الجزء لطرف طرف من استيراد دولة هذا الأمير
 الذي صير الأمل مناخا لجميل سيرته ... » .
 وهو ناقص من آخره ، وآخر ما جاء فيه :
 وعظم وقصار تصبغ الشم حـولـه
 فسـريـقـن راج عـسـسـوه ودخـيل
 في أثناء ذكر حوادث سنة ١١٣٧ هـ .
 نسخة كتبت بخط مغربي ، في ٨٦ ورقة ، ومسطرتها ٣٣
 سطرا ، وبآخرها آثار رطوبة .
 [الرباط ٢٢٧٧ ك]
 UNESCO
 (فهرست المخطوطات المصورة ، معهد المخطوطات العربية ،
 التاريخ ج ٢ ق ٤ ، القاهرة ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م / ١٥٤ ، ١٥٥) .
« الحلل المجوهرة في شرح الجوهرة »
 من مصنفات التراث الإسلامي في علم الكلام مؤلف مجهول .
 مخطوط بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
 بالرياض وجاء بيانه كما يلي :
 رقم الحفظ : ١٢٥ - ف
 عنوان المخطوطة : الحلل المجوهرة في شرح الجوهرة
 عنوان المخطوط الفرعي : شرح جوهرة التوحيد للقاتي
 بداية المخطوط : الحمد لله الواحد الأحد . . وبعد فهذا تفسير
 مختصر على جوهرة التوحيد للشيخ العلامة . . اللقاني . . وسميته
 الحلل المجوهرة في شرح الجوهرة .
 نهاية المخطوطة : بما أتوا في ذلك بمقال . . والقتل . .
 وتجزعوا كاسات . . والذل .
 نوع الخط : مغربي رديء .

(دليل مورخ المغرب ٥٤) .
 تكلم فيه على فتح مدينة البريجة المعروفة الآن بالجليدة
 بالمغرب الأقصى زمن السلطان المظفر محمد بن عبد الله العلوي
 الحسني ، المتوفى سنة ١٢٠٤ هـ .
 أوله : « الحمد لله العظيم الجواد الذي من علينا بالجهاد » .
 وآخره : « والله ذو الفضل العظيم ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ...
 آمين والحمد لله رب العالمين » .
 نسخة كتبت بخط مغربي ، بقلم محمد بن العباس بن محمد
 العربي ثم الجديدي .
 فرغ من نسخها عشية الجمعة ٥ صفر سنة ١٣٣٣ هـ . تقع في
 ٢٠ ورقة ، ومسطرتها ٢٥ سطرا .
 [الرباط ١٣٢٨]
 UNESCO
 (فهرست المخطوطات المصورة ، معهد المخطوطات العربية ،
 التاريخ ج ٢ ق ٤ ، القاهرة ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م / ١٥٣ ، ١٥٤) .
« الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية »
 من مصنفات التراث الإسلامي في التاريخ
 من المخطوطات المصورة بمعهد المخطوطات العربية
 (وهو شرح على نظم أبي المحالي بن المكي بن أحمد بن
 سليمان الأندلسي الفاسي ، المتوفى ١٣٦٠ هـ .
 لأبي عبد الله محمد بن المصطفى المشري الحسني ، المتوفى
 سنة ١٣٣٤ هـ . (فهرست الرباط ١٢٤ / ٢) .
 أوله : « الحمد لله الذي جعل رتبة الملوك أعلى الرتب ...
 وبعد ، فلما وقتت على قصيدة الكاتب الأديب الأتي ذكره في
 المقدمة ... في عهد ملوك من الدولة العلوية المختصة بمناشر
 جمة ... أمخفتها بشرح يرفع على منصة البيان فرأيتها ... » .
 وهو ناقص من آخره ، وآخر الموجود منه : « وقد صار ملكه له
 بالهدية من الملوك كما هي عادة الملوك العظام ، وهو أيضا من
 معاني الاختراز من الأجانب في ... قبله وكان » .
 نسخة كتبت بخط مغربي ، ضمن مجموعة من ١٧٨ - ٤٩٧ ،
 في ١٦٠ ورقة ، ومسطرتها ٢٣ سطرا .
 [الرباط ٣٢٠ ك]
 UNESCO
 نسخة أخرى :
 ناقصة من آخرها ، وآخر الموجود منها : « ولا زال أمره في
 الأزدياد ، وكان قبل وجه له » .
 نسخة كتبت بخط مغربي ، في ١٩٠ ورقة ، ومسطرتها ٢٣
 سطرا .
 [الرباط ١٤٦٣ د]
 UNESCO

تاريخ النسخ : القرن ١٢ هـ / ١٨ م

ملاحظات عامة : نسخة ناقصة من آخرها ويبدو أن قصها كبير .

(فهرس المصونات الميكرويلمية بضم المخطوطات . مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية . الرياض . العدد الثاني ، السنة الثانية ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م / ١٩٠) .

• الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية :

من مصنفات التراث الإسلامي في التاريخ . مجهول المؤلف . توجد نسختان من مخطوطه بالخزانة العامة بالرياض ، ونقل بينهما فيما يلي ، مع رقم التسلسل :

١٤٢٨ د . الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية - مؤلفه غير مذكور أوله - الحمد لله الذي أخرج الأمور على مشيئة وتقديره إلخ ...

ألفه بالأندلس في عهد السلطان الثاني بالله محمد الخامس الناصري ، ورفغ من تأليفه يوم الخميس ١٢ ربيع الأول عام ٨٧٣ هـ . في مجموع ، من ورقة ١٩١ / ب إلى ٢٥٩ / أ ، مسطرته ٢٢ ، مقياسه ١٧٠ / ٢٢٠ .

رفغ من نسخه بعد عصر يوم الإثنين ٧ ربيع الأول سنة ١٢٩٥ ، خط مغربي وسط .

تكلم عنه بروكلمان في ملحقه ٢ / ٣٤٢ ، وسركيس في مصححه ١٥٩٠ /

طبع بطنوس سنة ١٣٢٩ ، ونسبه الناشر للسان الدين بن الخطيب . واعتنى ي . س . علوش بنشره ضمن مجموعة الترايف العربية المطبوعة من لدن معهد الدراسات العليا المغربية في الجزء السادس الصادر بالرياض سنة ١٩٣٦ . واعتماذا على هذه الطبعة نقله أمبروزيو هويس ميراند إلى اللغة الإسبانية ، ونشره في معهد الجزائر فرانكو بطولان سنة ١٩٥٢ ، مستهلا به مجموعة الترايف العربية في التاريخ .

جاء في معلة الإسلام أن هذا الكتاب منسوب وقشاً لأين الخطيب « لسان الدين » .

١٥٣٦ د - نسخة أخرى من :

عدد أوراقه ٢٣ ، مسطرته ٢٤ ، مقياسها ٢٣٠ / ١٨٠ ، مبنوة الأول والأخر .

عدد أوراقه ٦٤ ، مسطرته ١٨ ، مقياسه ٢٤٥ / ١٩٠ .

رفغ منه في ٧ قلمة عام ١٣٣٦ ، خط مغربي جيد .

راجع ترجمة أبي الحسن مشون في الإتحاف ٥ / ٤٥١ - ٤٥٢ (مجموعة مختارة / ٨٣ ، ٨٤) .

توجد منه نسخة مصورة بمعهد المخطوطات العربية ووردت

بالرقم التسلسلي ١٥٨٤ ، وجاء بها ما يلي :

بروكلمان ملحق ٢ / ٣٤٢ .

أوله : الحمد لله الذي أخرج الأمور على مشيئة وتقديره . وآخره : وهذا ما حضر والسلام ... وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين .

نسخة كتبت بخط مغربي ضمن مجموعة من ورقة ١١٩٢ - ٢٥٩ ب ، ومسطرته ٢٢ مسطراً . رفغ من نسخها عصر يوم الإثنين ٧ ربيع الأول ١٢٩٥ هـ .

[الرباط ١٤٢٨ د]

(فهرست المخطوطات المصورة ج ٢ ق ٤ / ١٥٥ ، ١٥٦) . (مجموعة مختارة لمخطوطات عربية نادرة من مكتبات عامة في المغرب . مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ١ / ٨٣ ، ٨٤ ، وفهرست المخطوطات المصورة ، معهد المخطوطات العربية ، التاريخ ج ٢ ق ٤ . القاهرة ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م / ١٥٥ ، ١٥٦) .

• العلم :

مما يرد في مصنفات التراث الإسلامي في علم الأخلاق . قال الرافئ الأصفهاني : العلم : ضبط النفس والطبع ومن هيجان الغضب وجمعه أحبال . قال الله تعالى : ﴿ ثم أمرهم أحلامهم بهذا ﴾ [الطور : ٢٢] قيل معناه عقولهم وليس العلم في الحقيقة هو العقل ولكن فطره بذلك كونه من سميات العقل وقد علم وحلمه العقل وتعلم . قال الله تعالى : ﴿ إن إبراهيم لحليم أوله منيب ﴾ [هود : ٧٥] ، وقوله تعالى : ﴿ فبشرناه بغلام حليم ﴾ [الصافات : ١٠١] أي وجدت فيه قوة العلم ، وقوله عز وجل : ﴿ ولما بلغ الأطفال منكم الحلم ﴾ [النور : ٥٩] أي زمان البلوغ وسمى الحلم لكونه صاحب جديراً بالحلم (المنسودات في فرب القرآن / ١٢٩) .

يقول الإمام ابن قدامة في فصل أفرده للكلام على العلم : روى أبو هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « إنما العلم بالتعلم ، والحلم بالتعلم » (أخرجه أحمد ١ / ٦١ ، والترمذي ٢١٩٢) ضمن حديث مطول ، وفي سننه علي بن زيد بن جدهان وهو ضعيف ، لكن له طريق آخر يقرى به أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخه » ٩ / ١٢٧ بسند قابل للتحصين وشاهد بنحو من حديث معلولة أخرجه الطبراني في « الكبير » كما في « المجموع » ١٦ / ١٢٨ وفي سننه رجل لم يسم .

« اطلوا العلم ، واطلبوا مع العلم السكينة والحلم ، لينزل لمن تعلمون ولمن تعلمون منه ، ولا تكونوا من جارية العلماء ، فيخلف جهلكم عليكم » قال الحافظ العراقي : روى ابن السني في « رياضة المتعلمين » بسند ضعيف .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم لأشجع من قيس : « إن قيت خلتين يجهما الله ورسوله : الحلم والأناة » .

وشتم رجل ابن عباس رضي الله عنه ، فلما قضى مقاله ، قال : يا عكرمة ، انظر هل للرجل حاجة فتغضبها ؟ فنكس الرجل رأسه واستسجى .

وأسمع رجل معاوية كلاما شديدا ، فقتل له : لو عاقبه ؟ فقال : إني لأستحي أن يضيق حلمي عن ذنب أحد من رعيتي .

وقسم معاوية نطعا ، فلبث منها إلى شيخ من أهل دمشق فلم يمجبه ، فجعل عليه يميناً أن يضرب رأس معاوية ، فأتى معاوية فأخبره ، فقال له معاوية : أوف ببنارك وارفق بالشيخ (النطع بالكسر وبالفتح والتحرير : بساط من الأدم) .

وجاء فلام لأبي ذر وقد كسر رجل شاة له ، فقال له : من كسر رجل هذه ؟ قال : أنا فعلته عمدا لأخيتك ، فتضرعتي ، فأنتم . فقال : لأخيتن من حرضك على غيظي ، فأعته .

وشتم رجل عدى بن حاتم وهو ساكت ، فلما فرغ من مقاله قال : إن كان بيني عندك شيء فقل قبل أن يأتي شباب الحي ، فقام إن سمعوا يقول هذا لسببهم لم يرضوا .

ودخل عمر بن عبد العزيز المسجد ليلة في الظلمة ، فمر برجل نائم فغمر به ، فرفع رأسه وقال : أمجنون أنت ؟ فقال عمر : لا ، فهم به الحرس ، فقال عمر : مه ، إني سألتني أمجنون ؟ فقلت : لا .

ولقي رجل على بن الحسين رضي الله عنهما ، فسبه ، فشارت إليه المعيد ، فقال : مهلا ، ثم أقبل على الرجل فقال : ما سترتك من أمرنا أكثر ، ألك حاجة نعتك عليها ؟ فاستحي الرجل ، فألقى عليه خميصة كانت عليه ، وأمر له بألف درهم ، فكان الرجل بعد ذلك يقول : أشهد أنك من أولاد الرسول (الخميصة كساء أسود مريح له حلمان ، فإن لم يكن معلما فليس بخميصة) .

وقال رجل لوهب بن منبه : إن فلانا شتمك ، فقال : ما وجد الشيطان يريد أخيرا (مختصر منهاج القاصدين / ١٨٢ - ١٨٤) .

ويقرب الإمام الماوردي في كتابه المسمى « أدب الدنيا والدين » للكلام على الحلم والغضب ونقله لك فيما يلي . قال المؤلف رحمه الله حين تناول موضوع أدب النفس ، بماعتبار أن الحلم والغضب من أحوال الرياضة والانتصاح :

روى محمد بن حارث الهلالي أن جبريل نزل على النبي ﷺ فقال : يا محمد إني أتيتك بمحكم الأخلاق في الدنيا والآخرة : « غدا الغضب وأمر بالرفق وأمرض عن الجاهليين » (الأعراف : ١٩٩) . وروى سفيان بن عيينة أن النبي ﷺ حين نزلت هذه الآية قال : « يا جبريل ما هذا ؟ قال : لا أدري حتى أسأل العالم ثم عاد جبريل وقال : يا محمد إن ربك يأمرك أن تتصل من قطعك وتمنع من

حرمك وتمنع عن ظلمك » وروى هشام عن الحسن أن النبي ﷺ قال : « أيمحز أحدكم أن يكون كلبى ضمضم كان إذا خرج من منزله قال : اللهم إني تصدقت بعرضي على عبادك » وروى عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الله يحب الحلم الحي ويغضب الفاحش البذي » وقال عليه الصلاة والسلام : « من حلم ساد ومن تغهم ازفاده » . وقال بعض الأدباء : من غرس شجرة الحلم اجتنى ثمرة السلم . وقال بعض البلغاء : ما ذب عن الأعراس كالصنم والأعراس . وقال بعض الشعراء :

أحب مكسارم الأخلاق جهدي
وأكره أن أصيب وإن أفسد
وأصغح عن سبب الناس حلما
وشمر الناس من بهوى السباسب
ومن هباب السرجبال نهيرة
ومن حقير السرجبال فلن يفسد

فالحلم من أشرف الأخلاق وأحقها بئوى الأبواب لما فيه من سلامة العرض وراحة الجسد واجتلاب الحمد ... وقد قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : أبل عرضي الحلم عن حلمه أن الناس أنصروه . وحده الحلم ضبط النفس عند هيجان الغضب وهذا يكون من باعث وسبب . وأسباب الحلم الباعثة على ضبط النفس عشرة :

أحدها الرحمة للجهال وذلك من خير بوائق رقة . وقد قيل في مثور الحكم : من أوكد أسباب الحلم رحمة الجهال . وقال أبو الدرداء رضي الله عنه لرجل أسمعه كلاما : يا هذا لا تفرق في سبنا ودع للصالح موضعا فإننا لا نكافئ من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله عز وجل فيه . وشتم رجل الشعبي فقال : إن كنت كما قلت فغفر الله لي وإن لم أكن كما قلت فغفر الله لك . واغتاضت عائشة رضي الله عنها على خادم لها ثم رجعت إلى نفسها فقالت : لله در التقوى ما تركت لدى غيظ شفاء . وقسم معاوية رضي الله عنه قُطُفاً فأعطى شيخا من أهل دمشق قטיפعة فلم تعجبه فحلف أن يضرب بها رأس معاوية فأنه فاعبره فقال له معاوية : أوف ببنارك وليرفق الشيخ بالشيخ .

والثاني من أسبابه : القدرة على الانتصار وذلك من سعة الصدر وحسن الثقة . وقد روى عن النبي ﷺ أنه قال : « إذا قدرت على عدوك فاجعل الغضو شكرا للقدرة عليه » وقال بعض الحكماء : ليس من الكرم عقوبة من لا يجد امتناعا من السطوة . وقال بعض البلغاء : أحسن المكارم غفر المعتذر وجرد المعتذر .

والثالث من أسبابه الترفع عن السباب وذلك من شرف النفس

وعلو الهمة كما قالت الحكماء : شرف النفس أن تحمل المكاره
كما تحمل الكمائم . وقد قيل : إن الله تعالى متى يحيى عليه
السلام ميلا لحلمه . وقد قال الشاعر :

لا يبلغ المعجزة أقوام وإن كرموا
حتى يسلموا وإن عجزوا لأقوام
ويشتموا فصرى الأكسوان مفسرة

لا يصلح ذلك ولكن صفح أحلام
والرايع من أسبابه الاستهانة بالمساء وذلك من ضرب من الكبر
والإعجاب كما حكى عن مصعب بن الزبير أنه لما ولي العراق
جلس يوما لعطاء الجند وأمر مناديه فنادى أين عمرو بن جرموز وهو
الذى قتل أباه الزبير فقبل له : أيها الأخير إنه قد تعاقد في الأرض
فقال أو يظن الجاهل أنني أقدمه بأبي عبد الله فليظهر أمنا ليأخذ
عطاه موقرا فمد الناس ذلك من مستحسن الكبر . ومثل ذلك قول
بعض الزعماء في شعره :

أو كلما طن السباب طمرته
إن السباب إن على كبريم
وأكثر رجل من سب الأحف وهو لا يبيح فقال : والله ما منه
من جزاى إلا هوانى عليه وفى مثله يقول الشاعر :
تجبا بك لكمك منجى السباب
حمته مقبانيه أن ينال
وأسمع رجل ابن هيرة فأعرض عنه فقال له الرجل : إياك أغنى
فقال له : وعك أعرض وفى مثله يقول الشاعر :
لسافه فأت طليق عسرك إنسه
عسرك عوزت بسبه وأنت قليل

وقال عمرو بن على
إذا نطق السفيه فلا تجبه
فخبر من اجابته السكوت
سكت عن السفيه فظن أنى
حيث من الجواب وهذا هيته
والخاص من أسبابه الاستحياء من جزاء الجواب وهذا يكون
من صيانة النفس وكتمان العرومة . وقد قال بعض الحكماء :
احتمال السفيه خير من التحلى بصورته والإفشاء من الجامل خير
من مشاكلته . وقال بعض الأدباء ما أحسن حليم ولا أروى
كريم . وقال لقيط بن ذرارة :

وقل لبي سمعك لمالى ومالك
تسركسون منى سمعك استعمت واعتق
أشرككمو أنى بأحسن شيمته
بهمسر واتى بالسفواحش أخسرك

وإن تك قد سببتى فقهسرتى
هنيئا مريشا أنت بالسفوح أحسرتى
والسادس من أسبابه التقصّل على السباب فهذا يكون من الكرم
وحب التألف كما قيل للإسكندر : إن خلانا وخلانا يتصانك
ويتلباك فلو عاقبتنا فقال : هما بعد المغيرة أعذر في تنصّي
وتلبي فكان هذا تفضلا منه وتألفا . وقد حكى عن الأحف بن قيس
أنه قال : ما عاداتي أحد قط إلا أخذت في أمره بإحدى ثلاث
خصال : إن كان أعلى منى عرفت له قدره ، وإن كان دونى رفعت
قدرى عنه ، وإن كان نظيرى تقصّلت عليه . فأخذه الخليل فظلمه
شرا فقال :

سأكرّم نفسى الصغى عن كل منقلب
وإن كثرت منه إلى الجسر الم
لما الناس إلا واحد من ثلاثه :
شريف ومفسر ومثل مقاسوم
لما السلى نوتى فأعرف قدره
وأبغى فيه الحق والحق لازم
وأما السلى دونى فأعلم فالحبا
أصغر بسبه فصرى وإن لا لام
وأما السلى مثلى فإن زل أو هبما

تفصّلت إن الفضل يالخصر حاكم
والسابع من أسبابه استتكاك السباب وقطع السباب وهذا يكون
من الحزم كما حكى أن رجلا قال لغيره بن المقفّع : والله لو قلت
واحدة لسمعت عسرا فقال له ضرار : والله لو قلت عسرا لم تسمع
واحدة وحكى أن على بن أبي طالب كرم الله وجهه قال لعاص بن مرة
الزهرى من أحق الناس ؟ قال : من ظن أنه أعقل الناس قال
صليت ، فمن أعقل الناس ؟ قال : من لم يتجاوز الصمت في
عقوبة الجهال . وقال للشعبي : ما أدركت أمي فأبرها ، ولكن لا
أب أحدا غيرها . وقال بعض الحكماء : في إعرافك صون
أعرافك . وقال بعض الشعراء :

وقى الطلم روع السفيه عن الأذى
وفى الخسوق إعراف فلا تك أخسركما
فتعلم إذ لا يتعلمك تسلسة
كما تدم المنبون لما تفسركما

وقال آخر :
قل ما يسلك من زور ومن كسل
حلمى أصم وأنتى شيمر صم
والثامن من أسبابه الخوف من العقوبة على الجواب وهذا يكون

ولا يخير في جهل إذا لم يكن له
 حليم إذا أورد الأملح صـ
 فلم ينكر قوله عليه . ومن قد الغضب في الأشياء
 المغضبة حتى استوى حالته قبل الإغضب وبعد قد عدم من
 فضائل النفس الشجاعة والألفة والحمية والخبرة والدفاع والأخذ
 بالثأر لأنها خصال مركبة من الغضب فإذا عدما الإنسان هان بها
 ولم يكن لباقي فضائله في النفوس موضع ولا لرفور حلمه في
 القلوب موقع وقد قال المتصور : إذا كان الحلم مفسدة كان العفو
 مجزئة . وقال بعض الحكماء : العفو يفسد من اللثيم بقدر
 إصلاحه من الكريم . وقال عمرو بن العاص : أكرموا سفهاءكم
 فإنهم يقونكم العار والشعار . وقال مصعب بن الزبير : ما قل
 سفهاء قوم إلا ضلوا . وقال أبو تمام الطائي :

والحسب تركب رأسها في مشهد

هذا السقيفة به بألف حليم
 وليس هذا القول إفراغ بتحكم الغضب والانقياد إليه عند
 حدوث ما يغضب فيكسب بالانقياد للغضب من الرذائل أكثر مما
 يكسبه عدم الغضب من الفضائل ولكن إذا ثار به الغضب عند
 هجوم ما يغضب كف سوزته وجزمه وأطفاً ثأرته بحلمه ووكل من
 استحق العقاب إلى غيره ولا يعدم مسمى مكافئ كما أن بعدم
 محسن مجازياً . والعرب تقول : دخل بيتا ما خرج منه أي إن خرج
 منه خير دخله خير وإن خرج منه شر دخله شر . وأشد ابن حريد من
 أبي حاتم :

إذا أمن للجهمال جهلك مـ

فمصرضك للجهمال غنم من الغنم

فعم عينيه الحلم والجهمال والقـ

بمنزل لينة بين العسلادة والسلم

إذا أنت جماريت السقيفة كما جـرى

فأنت سفينة مظلـمة هيبر في حلم

ولا تعطين صمصرض السفينة وداره

بهلم فإن أمصا عليك فبالمصرم

فيرجوك تمارات وينشاك تـارة

ويأخذ فيما بين ذلك بالمعزم

فإن لم تجد بسلا من الجهمال فاستمن

عليه جهال فلك من المعزم

وهذه من أحكم أبيات وجدتها في تدبير الحلم والغضب وهنا
 التدبير إنما يستعمل فيما لا يجد الإنسان بدا من مقارنته ولا سبيل
 إلى اطراحه وتنازله إما لخوف شره أو للزوم أمره فلما من أمكن
 اطراحه ولم يضرب إبعاده فالهوان به أولى والإعراض عنه أصوب فإذا

من ضعف النفس وربما أوجبه الرأي واقتضاه الحزم . وقد قيل في
 مشور الحكم : الحلم حجاب الأفات . وقال الشاعر :

أرفق إذا خفت من ذي هفوة خسرفا

ليس الحليم كمن في أمره خسرق
 والتاسع من أسبابه الرعابة ليد ساقفة وحرمة لازمة وهذا يكون
 من الوفاء وحسن العهد . وقد قيل في مشور الحكم : أكرم للشيم
 أرحاما للذم . وقال الشاعر :

إن السوفاء على الكريم قسريضة

واللؤم مقرون بسلي الأغلال

وترى الكريم لمن يماثر مصفا

وترى اللثيم مجانب الإنصاف

والعاش : من أسبابه المكر وتوقع الفرص الخفية وهذا يكون
 من الدهاء . وقد قيل في مشور الحكم : من ظهر غضبه قل كيده .
 وقال بعض الأدباء : غضب الجاهل في قوله وغضب العاقل في
 فعله . وقال بعض الحكماء : إذا سكث عن الجاهل فقد أربعته
 جوايا وأرجعت عقابا . وقال إياس بن قتادة :

لصائب أهدينا ويعلم رأينا

وتشم بسبب الألف لا بالتكلم

وقال بعض الشعراء :

ولكف عن شتم اللثيم تكسـ

أفسر له من شتمه حين يشتم

فهذه عشرة أسباب تدعو إلى الحلم وبعض الأسباب أفضل من
 بعض وليس إذا كان بعض أسبابه مفضلا ما يقتضي أن تكون
 نتيجة من الحلم مذمومة وإنما الأولى بالإنسان أن يدعوه للحلم
 أفضل أسبابه وإن كان الحلم كله فضلا . وإن عرا عن أحد هذه
 الأسباب كان ذلا ولم يكن حلما لأننا قد ذكرنا في حد الحلم أنه
 ضبط النفس عند هيجان الغضب فإذا فقد الغضب لسماع ما
 يغضب كان ذلك من ذل النفس وقلة الحمية . وقد قالت الحكماء
 ثلاثة لا يعرفون إلا في ثلاثة مواطن : لا يعرف الجواد إلا في العسرة
 والشجاع إلا في الحرب والحليم إلا في الغضب . وقال الشاعر :

ليست الأخلاق في حال العرضا

إنما الأخلاق في حال الغضبا

وقال آخر :

من يدعى الحلم أغضبه لثمرته

لا يعرف الحلم إلا ساعة الغضب

وأشد النافذة الجعدي بحضرة رسول الله ﷺ :

ولا يخير في حلم إذا لم يكن له

بواذر تحمى صفوه أن يكسـ

محارب لهارون الرشيد : يا أمير المؤمنين أسألك بالذي أنت بين يديه أقل مني بين يديك وبالنسبة هو أقدر على عقابك منك على عقابي لما عرفت عنى صفاً عنه لما ذكره قدرة الله تعالى . وروى أن رجلاً شكاً إلى رسول الله ﷺ القصة فقال : اطلع في القبور واعتبر بالنشور . وكان بعض ملوك الطوائف إذا غضب ألقى هذه مفاتيح ترب الملوك فيزول غضبه . ولذلك قال عمر رضي الله عنه : من أكثر من ذكر الموت رضى من الدنيا باليسير .

ومنها أن يتقل عن الحالة التي هو فيها إلى حالة غيرها فيزول عنه الغضب بتغير الأحوال والتقل من حال إلى حال . وكان هذا مذهب المأمون إذا غضب أو شتم وكانت القرس تقول : إذا غضب القائم فليجلس ، وإذا غضب الجالس فليقم .

ومنها أن يتذكر ما يؤول إليه الغضب من الندم وعلمة الانتقام . وكتب أبو بزي إلى ابنه شيويه : إن كلمة منك تنسف دماً ، وأخرى منك تحزن دماً ، وإن ناداك أرك مع كلامك ، فاحترس في غضبك من قولك أن تخطئ ، ومن لؤلك أن يتغير ، ومن جسدك أن يهبط ، فإن الملوك تماكب بقدره وتفتر حسماً . وقال بعض الحكماء : الغضب على من لا تملك عزه ، وعلى من تملك لوم . وقال بعض الأدباء : إياك وعزة الغضب فاتها تفضي إلى ذل العذر . وقال بعض الشعراء :

وإذا ما اعتزتك في الغضب العـ

سرة فاذكر نائل الاحتسار

ومنها أن يذكر ثواب العفو ، وجنن الصفح ، فيقهر نفسه على الغضب وغيبة في الجزاء والنواب ، وجدا من استحقاق الذم والمقاب . روى عن النبي ﷺ أنه قال : يتأذى مناد يوم القيامة : من له أجر على الله عز وجل فليقم فيقوم العافون عن الناس ثم تلا ﴿ فمن عفا وأصلح فأجره على الله ﴾ [الشورى : ٤٠] وقال رجاء ابن حيرة لعبد الملك بن مروان في أسارى بن الأشعث : إن الله قد أعطاك ما تحب من الظفر فأعط الله ما يحب من العفو . وقد روى عن النبي ﷺ أنه قال : « الخير ثلاث غصائل فمن كن فيه فقد استكمل الإيمان : من إذا رضى لم يدخله رضاء به باطل ، وإذا غضب لم يخرج من حق وإذا قدر ضاع . وأجمع رجع عمر بن عبد العزيز كلاماً فقال : عسر أريد أن يستغنى الشيطان لعزة السلطان فأتاك منك اليوم ما تاله منى غدا انتصر رضىك الله . ومنها أن يذكر انتطاف القلوب عليه وتبيل القروس إليه فلا يرى إضاعة ذلك بتغير الناس عنه ، ويعلم منه ، فكيف من متابعة الغضب فيرغب في التآلف وجميل لثناء وروى ابن أبي ليلى عن عطية عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : ما ازداد أحد بمغفر إلا عزاً فاعفوا بعزكم الله . وقال بعض البلغاء : ليس من عادة الكرام سرعة الانتقام ، ولا من شروط الكرم إزالة النعم . وقال المأمون لإبراهيم بن

كان على ما وصفت استفاد بتحرك الغضب فضالته ، وأمن بكف نفسه عن الانتقاد له رذائله ، وصار الحلم مدبراً للأمر المغضبة ، بقدر لا يعثره نقص بعدم الغضب ولا يلهيه زيادة بقدر الحلم ولو عذب عنه الحلم حتى انتقاد لغضب قبل عنه وجه الصواب فيه ، وضعف رأييه عن خيرة أسبابه ودواعيه ، حتى يصير بليد الرأي ، مغرور الروية ، مقطوع الحجة ، مسلوب المزاء ، قليل الحيلة ، مع ما يناله من أثر ذلك في نفسه وجسده حتى يصير أضر عليه مما غضب له . وقد قال بعض الحكماء : من كثر سطه كثر غلظه . وروى أن سلمان قال لعلي رضي الله عنه : ما الذي يباعني من غضب الله عز وجل قال : أن لا تغضب . وقال بعض السلف : أقرب ما يكون العبد من غضب الله عز وجل إذا غضب . وقال بعض البلغاء : من رد غضبه هد من أغضبه . وقال بعض الأدباء : ما هیچ جاشك كنيف أجاشك . وقال رجل لبعض الحكماء عظمى قال : لا تغضب . فينتهي لدى اللب السوى والحزم القوي أن يتلقى قوة الغضب بعلمه فيصدها ، ويقابل عواذى شرته بحزمه فيردّها ، ليعطى بانجلاء الحيرة ويسمد بعهد العاقبة . وقال بعض الأدباء : في أعضائك راحة أعصابك . وسبب الغضب هجوم ما تكرهه النفس ممن دونها وسبب الحزن هجوم ما تكرهه النفس ممن فوقها والغضب يتحرك من داخل الجسد إلى خارجه والحزن يتحرك من خارج الجسد إلى داخله فيللك قل الحزن ولم يقتل الغضب لبروز الغضب وكمون الحزن وصار الحوادث من الغضب السيطرة والانتقام لبروزه ، والحادات من الحزن المرض والأقسام لكونه ولذلك أفضى الحزن إلى الموت ولم يفض إليه الغضب فهذا فرق ما بين الحزن والغضب .

واعلم أن تسكين الغضب إذا هجم أسبابها يستعان بها على الحلم :

منها أن يذكر الله عز وجل غيـدعه ذلك إلى الخوف منه ويته والخوف منه على الطاعة له فيرجع إلى أدبه وأخذ بنديه فند ذلك يزل الغضب . قال الله تعالى : ﴿ واذكر ربك إذا نسيت ﴾ [التكهف : ٢٤] قال عكرمة : يعني إذا غضبت . وقال الله تعالى : ﴿ وإما ينزغك الشيطان نزغ فاستعذ بالله ﴾ [الأعراف : ٢٠٠] ومعنى قوله ينزغك أى يغضبك فاستعذ بالله أنه هو السميع العليم . يعني أنه سميع بجهل من جهل ، عليم بما يلهب عك الغضب . وذكر أن في السورة مكتوباً : يا بن آدم اذكرنى حين تغضب اذكرك حين أغضب قلأ أمهلك فيمن أمحق . وحكى أن بعض ملوك القرس كتب كتاباً ودفعه إلى وزير له وقال : إذا غضبت فاولئيه وكان فيه : ما لك والغضب إنما أنت بشر ، ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء . وقال بعض الحكماء : من ذكر قدرة الله لم يستعمل قدرته في ظلم عباده . وقال عبد الله بن مسلم بن

ولا تخيسر في جهل إذا لم يكن لسه
أديب إذا ما أورد الأضر أصمرا
وقال محمد بن وهب
لئن كنت محتاجا إلى الحلم إنني
إلى الجهل في بعض الأحيان
ولي فسرر للحلم بسالحلم ملجم
ولي فسرر للأهل بالجهل مسرج
فمن شئاء تقصوي لي في مقصوم
ومن رام تعموي لي في معسوج
وأحسن ما سمعت في هذا الباب ما قيل:
أنت لتي منك مكاليس
على مكسروهم عبيد
فأغضبت على عبيد
وتعد بغض الفتى الحمر
وأديبك بسالحلم
فمما أديك الهجر
ولا ردك عما كبر
ن منك الصفع والسرج
فلمما أخطرتني المكسرو
ه واشتد بس الأمسر
تسبوا لك من سري
بمما ليس لسه قسر
فحسرت جنباح السلك
لممما مك الظسر
إذا لم يصلح الخيسر
امسرا أصلحه الشسر

قد شد في الأصل فيه بيت، قال الشيخ الإمام: البيت الأخير من قول الحسن، وهو أنه قيل له: إن عندنا رجلا إذا قيل له جزاك الله خيرا ينضب، فقال: من لا يصلحه الخير أصلحه الشر (اللطائف والظرائف / ١١٥ - ١١٧).

(المقدرات في شرح القرآن للراغب الأصفهاني - تحقيق وهيب محمد سيد كيلاني / ١٢٩، ومختصر منهاج القاصدين لابن قدامة قدم له الأستاذ محمد أحمد دهمان، حلق عليه سعيد الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط / ١٨٢، وأدب الدنيا والدين للمواردي - حققه وعلق عليه وروى فيه فارسي محمد فتحي أبو بكر / ٣٠٣ - ٣١٣، واللطائف والظرائف للشاعبي / ١١٥ - ١١٧).

المهدي: إني شاورت في أمرك فأشاروا على بقتلك إلا أنني وجدت قدرك فوق ذنبك فكهرت القتل للزاحم فقلت: يا أمير المؤمنين إن المشير أشار بما جرت به العادة في السياسة إلا أنك أبيت أن تطلب النصر إلا من حيث ما عودته من المعو فإن عاقبت فلك نظير وإن عفوت فلا نظير لك، وأنشأ يقول:

البسر بي منك وطأ العنابر عندك لي
فيمما فعلت فلم تعسلك ولم تلم
وقام علمك بي لساحج عندك لي
مقام شاهد عندك فسرر منهم
لئن جسدك مسرور فسا منت به
إني لفي اللوم أحظى منك بالكرم
تعفو بعندك وتظن إن سطوت به
فبلا عبيدك من عاتق ومتقم
(أدب الدنيا والدين / ٣٠٣ - ٣١٣).

وليك ما أوردته تعالى في كل من مدح الحلم وذمه. قال في سباب مدح الحلم: كان يقال الحلم حجاب الآفات وقال حكيم: حلم ساعة يرد سبعين آفة. وقال بعض السلف العلم أجل من العقل لأن الله تعالى وصف نفسه به وقيل حب الحلم أن الناس أنصاره على الجاهل ومن ملك فضيلة احتزم من عدوه وقال الحسن رحمه الله عليه ما يمت الله نبياً إلى قوم إلا بعثه وأمره بالحلم وكان الأخف يقول ما أخيف شيء إلى شيء أحسن من علم إلى حلم. وكان يقول من لم يصبر على كلمة واحدة سمع كلمات ومن أحسن ما قيل في الحلم قول الشاعر:

لن يبلغ المعجد أقوام وإن كرموا
حتى يسلموا وإن همزوا لأقوام
ويشتموا لتسرى الأنولان مشرقة
لا عفو ذل ولكن عفووا أعلام
باب ذم الحلم

كان يقال من عرف بالحلم كثرت الجرامة عليه، وقال بعض السلف الحلم ذل كله وقال الفصاح إذا كان الحلم مفسدة كان العفو معجزة وقال الشاعر:

أرى الحلم في بعض المصاوطن قلعة
وئي يهبطها هزرا يسود فاعله
وقاتل الأحنف قتالا شديداً في بعض المصاوطن فليل له أين الحلم يا أبا بحر فقال عند الحياه وكان يقال آفة الحلم الضعف ومن أحسن ما قيل في هذا الباب قول النابغة الجعدي
ولا تخيسر في حلم إذا لم تكن لسه
بسواد تسمى مفسوه أن يكسرا

● حلمى حجاب:

حلمى حجاب: خطاط دمشق، تلميذ الخطاطين رسا وممدوخ.

قليل الإنتاج، أجاد في خط الرقعة أكثر من غيره، وقد عمل مدرّساً لمادة الخط العربى في دار المعلمين، وكلية الفنون الجميلة بدمشق. ألف أمثقا متنوعة للخط العربى.

(كيف تعلم الخط العربى - معروف زريق / ٤٣).

● الجليلة:

من مدن العراق، وتقع على جبانتي نهر الحلة (من فروع الفرات) تبعد نحو ١٠ كم جنوب بغداد بيت في القرن الحادى عشر، ولها أهمية تاريخية لوقوعها بجوار مدينة بابل القديمة (انظر مادة «بابل» في ٦ / ٣٥٧ - ٣٦٢) حتى إن بعض مبانها بُنيت بهجرة أخذت من أطلال بابل. تحيط بها المزارع وبساتين النخيل والفاكهة وتسمى بالقيصاء. مركز للسواء المسمى باسمها (الموسوعة القاهية / ٤٠٨).

ذكرها ابن جبير في رحلته فقال عنها:

هى مدينة كبيرة عتيقة الوضع مستطيلة لم يبق من سورها إلا حلق من جدار ترمى مستدير بها وهى على شط الفرات يتصل بها من جانبها الشرقى ويمتد بطولها ولهذه المدينة أسواق خفية جامعة للمراقق المدنية والصناعات الضرورية وهى قوية العمارة كثيرة الخلق متصلة حدائق النخيل داخلا وخارجا فديارها بين حدائق النخيل والقيصاء بها جسر عظيم معقودا على مراكب كبار متصلة من الشط إلى الشط تحف من جانبها سلاسل من حديد كالأقنوع المفتولة عظما وضخامة ترتبط إلى غشب مثبتة في كلا الشطين تدل على عظمة الاستطاعة والقدرة أمر الخليفة يعقده على الفرات اهتماما بالبحاج وإعنتاه بسبله وكانوا قبل ذلك يهربون في المراكب فرجلوا هذا الجسر قد عقده الخليفة في مخيمهم ولم يكن عند شخصهم إلى مكة شرفها الله وعبرنا الجسر ظهر يوم الأحد المذكور ونزلنا بشط الفرات على مقدار فرسخ من البلد وهذا النهر كلسه فرات هو من أعذب المياه وأغنىها وهو نهر كبير زخام تصعد فيه السفن وتنحدر والطريق من الحلة إلى بغداد أحسن طريق وأجملها فى بساطت من الأرض ومعاشر متصل بها القرى يمينا وشمالا ويشق هذه البساط أخصان من ماء الفرات ترطب بها وتقيها فمعرها لا حد لاتساعه واتساعه فالعين في هذه الطريق مسح انشراح وللغنى مزاد انبساط واتساح والأمن فيها متصل بحمد الله سبحانه وتعالى

شهر سنة ثمانين عرفنا الله بمنه وبركته
هلاله على الكمال من ليلة الإثنين بموافقة الرابع عشر من ماه
استهل هلاله ونحن على شط الفرات بظاهر مدينة الحلة وفى

ضحة يوم الإثنين المذكور رحلنا وأجزنا جسرا على نهر يسمى النيل وهو فرع مشعب من الفرات وكان عليه ازدحام غرق كثير من الناس والدواب فى الماء فتحبنا مريحين إلى أن انصرف ذلك المزدحم وعبرنا على سلامة وعافية والحمد لله ومن مدينة الحلة يتسلسل الحاج إرسالاً وأفواجا فمنهم المتقدم والمتوسط والمتأخر لا يصرح المستعجل على المعتذر ولا المتقدم على المتأخر فحيثما شالوا من طريقهم نزلوا وأراحوا واستراحوا ... الخ
(رحلة ابن جبير / ١٦٥، ١٦٦).

وقال عنها بأقوت:

الحلة: بالكسر ثم التشديد؛ وهو في اللغة القوم النزول وفيهم كثرة؛ قال الأضخى:

لقد كذل في شيسان لو كنت عالما

تسباب وحى حلىة وزعم

والحلة أيضا: شجرة شاكاة أخضر من العروج؛ قال:

يسأل من غصب سلالا وسلم

وحلة لما يوطئها النعم

والحلة: علم لعدة مواضع، وأشهرها حلة بنى مزيد: مدينة كبيرة بين الكوفة وبغداد كانت تسمى الجامعين، طولها سبع وستون درجة وسدس، وعرضها اثنان والثلاثون درجة، تعليل نهارها خمس عشرة درجة، وأطول نهارها أربع عشرة ساعة وربع وكان أول من عمرها ونزلها سيف الدولة صدقة بن منصور بن دؤيب بن على بن مزيد الأسدي، وكانت منازل أبانه الدور من النيل، فلما تولى أمره وإشدد أثره وكثرت أسواره لاشتغال الملوك السلجوقية بريكاردوف ومحمد وسنجر أولاد ملك شله بن ألب أرسلان بما تواتر بينهم من الحروب انتقل إلى الجامعين موضع في غربى الفرات ليعمد من الطالب، وذلك في محرم سنة ٤٩٥، وكانت أجمة تأوى إليها الساع فتزل بها بأهله وعساكره ورثى بها المساكن الجالية والدور الفاخرة وتأنى أصعابه في مثل ذلك فصارت ملجأ، وقد قصدتها التجار فصارت أفخر بلاد العراق وأحسنها مدة حيلة سيف الدولة، فلما قتل بقيت على عمارتها فى اليوم نصبة تلك الكثرة؛ وللشعراء فيها أشعار كثيرة، منها قول إبراهيم بن عثمان الزكى وكان قدمها فلم يحمدها:

إنما فى الحلة، الفسقة، كائن

على نوى قبضة الحجاج

بين مُسرب لا يمسرفون كلاما

طيمهم عسارج من المنهج

وصدور لا يفسرحون صدورا

شغلهم عنها صدور السدج

يقول أبو بكر الرازي عن الحلوة : إن الحلوة بالجملة مسخرة للبدن ، زائدة في اللحم والوردة ، صالحة للصدر والرئة ، مطلقاً للطبيعة . وهي للشايع والمبرودين ، قلما يحتاج إلى إصلاحها اللهم إلا أن يكثرها منها . فإن بلغت في حالة إلى أن تثقل وتعمد البطن والمعدة وتوجهما ، فليأخذوا عليها الجوارشات المسهلة (أي الهاضمات . انظر مادة « الجوارشات » في م ١٢ / ٤٤٢) ، ويطلبوا التمتع من بعدها والنوم ، ثم يستحموا ويجعلوا غذاءهم غذاء سيرا لطيفاً يوماً أو يومين من بعدها .

ثم يذكر الرازي من أنواع الحلوة الفالوج ، الخبيص ، العصيدة ، اللوزنج ، القطائف ، الإلينة ، وروغن جردنك ، والبهط ، والجو ذاب ، وشير وفرن ، والخشكفانك والشهدانك ، وشكرتك ، والخبيصة الفارسية ، والناطف (منافع الألفية ودفع مضارها / ٢٢٧ - ٢٤٢) .

(الطب العربي في القرن الثامن عشر من خلال الأروسة الشرقية - تحقيق وتعليق د. بدر الشاذلي ، تعريب وتقديم د. عبد الهادي التازي / ٨٧ ، ومنافع الألفية ودفع مضارها لأبي بكر محمد بن زكريا لأروسة - راجع ولقد له د. عاصم عتيبي / ٢٢٧ - ٢٤٢) .

• الحوالى / (٧٣٠ هـ - ٨٠٤ هـ / ١٣٢٩ - ١٤٠١ م)

يوسف بن الحسن بن محمود السرائي الأصل البتريزي المولد الشافعي المذهب الشهير بالحوالي الملقب بـ « زين الدين » ولد سنة ٧٣٠ هـ - بتريز وتلقب بها وأقرأ على القاضي عبد الدين وفيه ثم رحل إلى بغداد وأخذ عن شمس الدين الكرماني الحديث وسمع عليه شرحه للبخاري كما قرأ على الجلال القزويني والبهاء الخوانساري وقد أقام بتريز يدرس وينشر العلم ويصنف ثم رحل منها في حادثة تشريفاً إلى ماردين فأكرمه أميرها وعقد له مجلساً حضره فيه علماء فآثروا بفضله ومنهم الهمام والصدر ثم عاد إلى بتريز في عهد أمير زاده بناء على طلبه وقد أكرمه هذا الأمير ثم تحول منها إلى الجزيرة وكان في كل هذه الرحلات ينشر العلم تدريجاً وتصنيفاً .

مصنفاته ووفاته :

من مصنفاته شرح محتاج البشائر في الأصول وشرح الأربعين النبوية وشرح أسماء الله الحسنى وحاشية على الكشف وحاشية على شرح الشافية في الصرف .

توفي رحمه الله سنة ٨٠٤ هـ بالجزيرة ودفن بها .

(الفتح المبين في طبقات الأصوليين - الشيخ عبد الله مصطفى المرافي ٩ / ٣ انظر أيضاً الأعلام للزركلي ٨ / ٢٢٤ ، وفيه المقابل في التاريخ الميلادي للمولد والوفاة هو ١٣٣٠ - ١٤٠٧) .

والملك الذي يخضاطبه الناس

من سيف مساض وفخسر وتماج
مسالسه ناصح ، ولا يعلم الفخسر
سب ، وقد طال في مقامى لجاجى
قصة ما وجدت غير ابن فخر الله
سدين طباً لهذا لطيف المسلاج
ولذا سلطت مسرورف الليالى

كسرت صخر تلصر كمالزجاج
والحلة أيضاً : حلة بنى قيلة بشايع ميسان بين واسط والبصرة .
والحلة أيضاً : حلة بنى ديبس بن عفيف الأسدى قرب الحوزية من ميسان بين واسط والبصرة ، والأغواز في موضع آخر (معجم البلدان ٢ / ٢٩٤ ، ٢٩٥) .

(الموسوعة الثقافية - بإشراف د. حسين سعيد / ٤٠٨ ، ورحلة ابن جبير / ١٦٥ ، ١٦٦ ، ومعجم البلدان لياقوت الحموى ٢ / ٢٩٤ ، ٢٩٥) .

• حالة السري في مدح خير الوري :

حالة السري في مدح خير الوري : لمحمد بن أحمد المعروف بابن جابر النحوي الأحمي المتوفى سنة ٧٨٠ ثمانين وسبعمائة وهي منظومة بدئية ثم شرحها وفيه أحمد بن يوسف المعروف بالبصير النحوي المتوفى سنة ٧٧٩ تسع وسبعين وسبعمائة « سماء طراز الحلة وشفاء الغلة » .
(كشف الظنون ١ / ٦٨٨) .

• العلة السبراء في مدح خير الوري :

بدئية من نظم محمد بن أحمد بن علي بن جابر الأندلسي الهواري المالكي أبو عبد الله الأحمي النحوي ، نظمها حال ، ولكنه أدخل فيها بذكر أنواع من البديع كثيرة جداً .
(مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ١ / ١٨١) .
انظر : البديع (علم -) في ٦ / ٥٤٢ - ٥٤٥ ، والبديعيات في ٦ / ٥٤٨ ، ٥٤٩ .

• الحلوة :

يرد ذكر الحلوة في الألفية المركبة التي عددها صاحب الشفوية في أروسته وذلك في هذين البيتين ، وقد احتفظنا بالأرقام كما وردت في النص :

١٠١ - وعصى يسالحواله أصل البلمم
ولا يسالحواله سرك طيب المطعم
١٠٢ - إلا إذا صنعت من سكر
فسالحواله ولا تكن يسالحواله
(الطب العربي / ٨٧) .

• حولان :

قال باقرت :

حولان : بالضم ثم السكون ؛ والحولان في اللغة الالهية ، يقال حولت فلانا كذا مالا أحلوه حولوا وحولانا إذا وهبت له شيئا على شيء يفعله غير الأجر ، وفي الحديث : نهى عن حولان الكاهن ؛ والحولان : أن يأخذ الرجل من مهر لفته لنفسه . وحولان في عدة مواضع : حولان للعراق ، وهي في آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد ، وقيل : إنها سميت بحولان بن عمران بن الحاف ابن قضاعة كان بعض الملوك أقطعه إياها فسميت به .

وفي كتاب الملحمة المنسوب إلى بطليموس : حولان .

طولها إحدى وسبعون درجة وخمسة وأربعون دقيقة ، عرضها أربع وثلاثون درجة ، بيت حياتها أول درجة من الأسد ، طالعها الذراع اليساني تحت عشر درج من السرطان ، يغلبها مثلها من الجدي ، بيت ملكها من الحمل ، عاقبتها مثلها من الميزان ، وهي في الإقليم الرابع ، وكانت مدينة كبيرة عامرة ؛ قال أبو زيد : أما حولان فأنها مدينة عامرة ليس بأرض العراق بعد الكوفة والبصرة وواسط وبغداد وسمرن رأى أكبر منها ، وأكثر ثمارها التين ، وهي بقرب الجبل وليس للعراق مدينة بقرب الجبل غيرها ، وربما يسقط بها الثلج ، وأما أعلى جبلها فإن الثلج يسقط به دائما ، وهي وربة ردية الماء وكبريتية ، بيت الدفلى على مياهها ، وبها رمان ليس في الدنيا مثله وتين في غاية من الجودة ويسمونه لجودته شاه أنجير أي ملك التين ، وحولها عدة عيون كبريتية يتفتح بها من عدة أدواء .

وأما فتحها فإن المسلمين لما غزوها من جلولة ضم هاشم بن هبة بن أبي وقاص وكان عمه سعد قد سيره على مقدمته إلى جرير ابن عبد الله في خيل وروبه بجلولة ، فتنهض إلى حولان فهرب يزيدجرد إلى أصبهان وفتح جرير حولان صلحا على أن كف عنهم وأنهم على ديارهم وأسوأهم ثم مضى نحو الدينور فلم يفتحها وفتح قروميين على مثل ما فتح عليه حولان وصاد إلى حولان فأقام بها وإلى إيا أن قدم همار بن ياسر ، فكتب إليه من الكوفة أن عمر قد أمره أن يمد به إيا موسى الأشعري بالأهواز ، فسار حتى لحق بأبي موسى في سنة ١٩ ، قال الواقدى : بحولان عقب لجرير بن عبد الله الجبلى ، وكان قد فتح حولان في سنة ١٩ ، وفي كتاب سيف : في سنة ١٦ ، وقال القعقاع بن عمرو التميمي :

وهل تذكرون ، إذ نزلنا وأقم

منازل كسرى ، والأمسور حواصل

فصبرنا لكم ردا بملوكان بفسما

نزلنا جميعا ، والجميع نساؤل

فتمن الأولى نزلنا بملوكان بفسما

أرت ، على كسرى ، الإما والصلال .

وينسب إلى حولان هذه خلق كثير من أهل العلم ، منهم : أبو محمد الحسن بن علي الخلال الحلواتي ، يروى عن يزيد بن هارون وعبد الرزاق وغيرهما ، روى عنه البخاري ومسلم في صحيحيهما ، توفي سنة ٢٤٢ ، وقال أعرابي :

تلقت من حولان ، والدمع فساب ،

إلى روض نجبد ، ابن حولان من نجبد ؟

لحصباء نجبد ، حين يضرهيا للندي ،

السد وأنسى للعليل من السور

ألا ليت شعري ! هل أناس يكتهم

لففسدم هل يكتهم لففسدى ؟

أعدوى يبرد الماء حمر صبايسة ،

وما للحشا واللقب غيرك من ببرد...

وحولان أيضا : قرية من أعمال مصر ، بينها وبين القنطرة نحو فرسخين من جهة الصعيد مشرفة على النيل ، وكان أول من اختطها عبد العزيز بن مروان لما ولي مصر ، وضرب بها الدنانير ، وكان له كل يوم ألف جفنة للتنا حول داره ، ولملك قال الشاعر :

كل يوم كانه عيد أغصى

عيد عيد العزيمز ، أو يوم فطر

ولله ألف جفنة مشرعات ،

كل يوم ، يمدنا ألف قدر

وكان قد وقع بمصر طاعون في سنة ٧٠ ووالها عبد العزيز

فخرج هاربا من مصر ، فلما وصل حولان هذه استحسن مرضعها

فبنى بها دورا وقصورا واستوطنها وزرع بها بساتين وخرس كروبا

ونحلا ؛ فلذلك يقول عبد الله بن قيس الرقيات :

سقايا حولان ذي الكبروم ، وما

شرف من تيسسه ومن تيسسه

نخل موراقير بالقتاء من لب

بمرنى ، يترنم في مرى

أسود ، سكاته الحمام ، لما

تشف غريباته على رطب

(معجم البلدان ٢٩٠/٢ - ٢٩٤) .

قالت المؤلفة : أورد على مبارك في خطه في البيت الثاني

لفظ « بالقي » بدلا من « بالقتاء » ، وفي البيت الثالث لفظ « ينفك »

بدلا من « تنفك » ثم يضيف بعد هذه الأبيات قوله :

ولما أطعم نخلها دخله عبد العزيز ومعه الجند فجعل يطوف

في غروب وساقبه فقال له يزيد بن عروة الجملي ألا قلت إياها

الأمير كما قال البدي الصالح « ما شاء الله لا قوة إلا بالله » فقال له

٢٤، ٣ كلوريد الصوديوم .

٥٦٠ هـ ، كرويات الجبر .

ويوجد في هذا الماء زيادة على ما ذكر قليل جدا من أملاح الحديد ومن حمض الكرونيك .

وقال علماء الطب إن هذا الماء سهل واستعماله جيد لأصحاب أمراض الجهاز الهضمي كالنزلات المعوية والمغوية والإسالك المستمرة وتكوين الأرياح في البطن وفي ضعف الهضم وأمراض المسالك البولية كالنزلات المزمنة ، وفي أمراض الكبد كاحتفائه والتهابة المزمنة وحالاته الشمية وضخامته وأمراض الطحال واحتفانته المخ ، وفي الأمراض الناتجة عن تغير في التغذية كالسمن المفرط ، وده النقرس والبول السكري وده السدد وبعض أمراض عصبية وأمراض القلب ، وقد كان ظهور هذه البنية في الكبدية والمعدنية الملحبة من أجل نعم الله سبحانه وتعالى على قطننا ، كما أنعم على غريتنا من سكان قارة (أوروبا) وكان سببا في اتساع ثروتها وفنائها لحسن تدبيرهم في اجتناء فوائدها خصوصا لما ثبت أنها جيدة للشفع في الأمراض المتسلط أغلبها على سكان القطر ، وأنها قديمة الاستعمال لما ظهر عند حفر أساسات الحمامات التي أنشئت عليها من آثار الحمامات والأبنية القديمة المبنية بالخرف والأحجار التي كانت غالبا من زمن عبد العزيز بن سمران وقطع من أعمدة ومنارات متقوس عليها بالكتابة العربية وذهابهم إسلامية وأحجار على هيئة المذبي والرماح والقصي ، مما كان يستعمل في الحروب إذ ذاك وآثار أخر مثل قطع خشب متحجرة تدل على وجود غابة تحجرت فساعدت الحكومة السنية إذ ذاك على تسهيل الوصول إليها والانتفاع بها ، فقرر أن يتنا وضع محال من الخشب مؤقته إلى بناء حمامات مستعدة ومعدة للمرضى ، ففعل على تلك الجهة بعض المصابين من أهالي مصر والإسكندرية وحصل لهم المنافع .

وفي شوال سنة ألف ومائتين وثمانين توجه لمشاهدة هذه البنية صاحب القنصلية الخديوي السابق إسماعيل باشا وسر بما رأى من نعمها وصدر أمر بعمل رسم للمدينة ، وأن يتجلد بها من العمارات الأولى ما لا يستغنى عنه ، مثل وضع مجار لتوصيل ماء النيل للحمامات ، وإنشاء طريق طوله ٤١٠٠ متر ، يمشى من شاطئ النيل إلى حلوان ، وطريق أخر طوله ١٣٠٠ متر يمتد من الجنوب للشمال ، وتقع قناة تحت الأرض طولها ٢٤٠٠ متر لتصرف الماء الزائد من الحاجة ورفع الأوساخ والأقذار ، وإنشاء خان كبير للمصافين (وهو الأول) ودور صغير للمرضى ، وأجزأة فيها ما يلزم من الأدوية ، وحوض كبير يسع خمسة آلاف متر مكعب من الماء لاستحمام الفقراء وقد جعل حمامها مشتملا على مشتمحات متنوعة ، منها ما لا يستحم به إلا شخص واحد ، ومنها ما يستحم به أكثر على حسب درجيات الناس وكيفية

الاستحمام بها مختلفة بحسب ما يراه الحكيم لأنواع الأمراض ، فمنها ما هو كالمعادن ومنها ما يكون بسبب الماء على المرضى بقوة مخصوصة من ارتفاع مخصوص على قدر مخصوص ، وقد أنشئت هناك لوكائنة بجدة فيها المرضى ما يلزم له بحسب حاله ، فإذا أقام في أروة وحده يلزمه كل يوم جبة إنكليزية في نظير أكله وسكنه واستحمامه وتدفئه ، فإن أقام مع غيره في أروة لزمه كل يوم خمسة عشر فرنكا فإن كانت مؤتة على نفسه لزمه كل يوم عشرة فرنكات ، والطفل الذي بلغ من خمس عشرة سنة يلزمه نصف ما على الكبير وأما الصغير الذي لم يبلغ من خمس عشرة سنة فإنه يعالج بلا مقابل ، وكذلك الفقراء لكن بشرط أن يأتوا بشهادة من سكان جهاتهم أنهم فقراء ، والحادة أن المقر يدفع كل أسبوع ، وأما ملاقات القرش وانقطاع ثباتي بها المرضى من عند نفسه على حسب حاله (الخطط التوفيقية الجديدة ١٠ / ١٧٥ ، ١٨٢ ، ١٨٥) .

ونكتفي بهذا القدر ، ويمكن متابعة وصف على مبارك لمدينة حلوان وتطورها بالرجوع إلى الخطط ١٠ / ١٨٥ ، ١٨٨ .

(معجم البلدان لياقوت الحموي ٢ / ٢٩٠ - ٢٩٤ ، والخطط التوفيقية الجديدة لملى باشا مبارك - إعداد عزت عبد المجيد شلحامي ١٠ / ١٧٢ ، ١٧٥ ، ١٨٢ ، ١٨٥ ، انظر أيضا الفتوحات الإسلامية بعد رسول الله ﷺ لابن حزم الأندلسي ١١) .

• العلوانى (٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م) :

من فقهاء الحنفية ، وهو عبد العزيز بن أحمد بن نصر بن صالح البخارى ، شمس الأئمة الحلوانى ، أبو محمد ، الفقيه الحنفى .

وهو من أهل بخارى (انظر هذه العادة في ٦ م / ٤٥٢ - ٤٦١) ونسبته إلى الحلواء ، وكان والده فقيرا ، بيع الحلواء . تلقى شمس الأئمة بخارى وصار عالما بأتوار العلوم ، معظما للحديث وأعله ، وكان إمام أهل الرى في وقته بخارى ، وتلقه عليه كثيرون ، ونخرج به الأحلام كشمس الأئمة السرخسى ، وفخر الإسلام البرزوى وغيرهما .

توفى في كش ، ودفن بخارى ، وحلده اللهي وفاته سنة ٤٥٦ هـ ، وقيل غير ذلك . من كجه « الجسوط » في الفقه ، والفتاوى « في الفروع » و « الفتاوى » ، و شرح أدب القاضى لأبى يوسف .

(مرجع العلوم الإسلامية - د . محمد الزحيلي / ٢٨٨) .

• العلوانية (المقامة) :

المقامة الثانية من مقامات الحريري . سبق أن أوردنا نماذج من مقامات الحريري . انظر هذه إن شئت في موضوعها من كتاب المقامات الأدبية لأبى محمد القاسم الحريري / ١٣ - ٢٠ .

• الحلول والاتحاد:

هو الاعتقاد الفاسد بأن روح الإله تحل في أناس يعينهم وتتحد معها ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ، ويحدد الإمام عبد القاهر البغدادي فرق الحلولية بمشرفى ، وفي ذلك يقول : في الفصل العاشر تحت عنوان « في ذكر أصناف الحلولية ، وبيان خروجها عن فرق الإسلام » :

الحلولية : في الجملة عشر فرق كلها كانت في دولة الإسلام ، وغرض جميعها القصد إلى إنسان القول بتوحيد الصانع . وتفصيل فرقتها في الأكثر يرجع إلى ثلاثة الروافض ، وذلك أن السنية واليانية والحنافية والخطابية والشميرية . منهم بأجمعها حلولية ، وتظهر بعضهم المتقدمة بما وراء نهر جيحون ، وتظهر قوم يسمونهم بفرقة زلزلية ، وتقوم يقال لهم بركوكية . وتظهر بعضهم قوم من الحلولية يقال لهم حلماية ، وقوم يقال لهم حلجية ينسبون إلى الحسين بن منصور المعروف بالحلاج ، وقوم يقال لهم المذاقية ينسبون إلى ابن أبي الصنفاء ، وتبع هؤلاء الحلولية قوم من المرفوعة شاركهم في استباحة المحرمات وإسقاط المفروضات ، (الفرق بين الفرق / ١٩٣) .

ثم يفصل القول في عقائد هذه الفرق الفسالة فارجع إليها إن شئت في كتابه « الفرق بين الفرق » / ١٩٤ - ١٩٧ .

وأول من أظهر هذه العقائد في الإسلام الروافض ، فإنهم ادعوا الحلول في حق أئمتهم (اعتقادات فرق المسلمين والمشرى / ١١٦) ويسوق الإمام السيوطي في رسالته الموسومة بتزوية الاعتقاد عن الحلول والاتحاد ، ما أورده صاحب كتاب معيار المرشدين إذ يقول :

وقال صاحب كتاب معيار المرشدين : اعلم أن منشأ أغلاط الفرق التي غلطت في الاتحاد والحلول جعلهم بأصول الدين وفرعه وعدم معرفتهم بالعلم وقد روت الأحاديث والآثار بالتحرير من عابد جامل فمن لا يكون له سابقة علم لم يتج ولم يصح له سلوك . وقد قال سهل بن عبد الله التستري : اجتنب صحبة ثلاثة أصناف من الناس : المجابرة الغافلين ، والقراء المداهين ، والمتصوفة الجاهلين فانهم لا تغلط فإن الدين واضح قال : واعلم أنه وقع في عبارة بعض المحققين لفظ الاتحاد إشارة منهم إلى معرفة الواحد والأحد فاشتبه ذلك على من لا يفهم إشارتهم فحملوه على غير محمله فغلطوا وهلكوا بذلك قال : والدليل على بطلان اتحاد العبد مع الله تعالى أن الاتحاد بين مريوين محال فإن رجلين مثلا لا يصير أحدهما عين الآخر لتباينهما في ذاتهما كما هو معلوم فالتباين بين العبد والرب سبحانه وتعالى أعظم فأنز أصل الاتحاد باطل محال مردود شرعا وعقلا وعرفا بإجماع الأنبياء والأولياء

ومشايخ الصوفية وسائر العلماء والمسلمين وليس هذا مذهب الصوفية وإنما قاله طائفة غلاة علمهم وسوء عظمهم من الله تعالى تشابهوا بهذا القول النصارى الذين قالوا في عيسى عليه السلام اتحد ناسوته ببلأهوته . وأما من حفظه الله تعالى بالعناية فإنهم لم يحتدوا اتحادا ولا حلولا وإن وقع منهم لفظ الاتحاد فإنما يريدون به محو أنفسهم وإثبات الحق سبحانه .

قال : وقد يذكر الاتحاد بمعنى فناء المخالفات وبقاء المواقفات . وفناء حفظ النفس من الدنيا وبقاء الرغبة في الآخرة . وفناء الأوصاف الدنية وبقاء الأوصاف الحميدة . وفناء الشك وبقاء اليقين . وفناء الغفلة وبقاء الذكر ، قال : وأما قول أبي يزيد البسطامي : سبحانه ما أعظم شأني فهو في معرض الحكاية عن الله وكذلك قول من قال أنا الحق محمول على الحكاية ولا يظن بهؤلاء المارفين الحلول والاتحاد لأن ذلك غير مظنون باقتل فضلا عن المتميزين بخصوص المكاشفات واليقين والمجاهدات ولا يظن بالعقلاء المتميزين على أهل زمانهم بالعلم الرجاء والعمل الصالح والمجاهدة وحفظ حدود الشرع الغلط بالحلول والاتحاد كما غلط النصارى في ظنهم ذلك في حق عيسى عليه السلام وإنما حدث ذلك في الإسلام من واقعات جهلة المتصوفة ، وأما العلماء العارفين المحققون فحاشاهم من ذلك - هنا كله كلام معيار المرشدين بلفظه .

ثم يقول الإمام السيوطي : والحاصل أن لفظ الاتحاد مشترك فيطلق على المعنى المذموم الذي هو أخو الحلول وهو كفر ويطلق على مقام الفناء اصطلاحا - اصطلاح عليه الصوفية - ولا مشاحة في الاصطلاح إذ لا يمنع أحد من استعمال لفظ في معنى صحيح لا محمول فيه شرعا ولو كان ذلك ممنوعا لم يجز لأحد أن يتفوه بلفظ الاتحاد وأنت تقول بيني وبين صاحبى زيد اتحاد وكما استعمل المحدثون ، والفقهاء ، والنحاة ، وغيرهم لفظ الاتحاد في معان حديثة ، وفقهاء ، ونحوية كقول المحدثين : اتحاد مخرج الحديث ، وقول الفقهاء : اتحاد نزع الماشية ، وقول النحاة : اتحاد الصامل لفظا أو معنى . وحيث وقع لفظ الاتحاد من محققى الصوفية فإنما يريدون به معنى الفناء الذى هو محو النفس وإثبات الآخر كله سبحانه لا ذلك المعنى المذموم الذى يقشعر له الجبل وقد أشار إلى ذلك سيدى على بن وفا فقال من قصيدة له :

يَقْطَعُ بَوْبَ حُلُولٍ وَأَتَّحِدُ

وَقَلْبِي مِنْ سَوْبِ التَّوْحِيدِ مَحَالِي

فتبرأ من الاتحاد بمعنى الحلول وقال من أبيات آخر :

وَعَلِمْتُ أَنَّ كُلَّ أَمْسَرٍ أَسْرَى

هو المعنى المسمى بالاتحاد

فذكر أن المعنى الذى يريدونه بالاتحاد إذا أطلقوه هو تسليم

الأمر كله هو ترك الإزادة معه والاختيار والجري على موقعه اقتداره من غير اعتراض وترك نسبة شيء ما إلى غيره .

وقال صاحب كتاب نهج الرشاد في الرد على أهل الوحدة :
والحلول والاعتقاد : حدثني الشيخ كمال الدين المرافي عن الشيخ
تقي الدين بن دقيق العيد أنه قال له مرة : الكفار إنما انتشروا في
بلادكم لا انتشار الفلسفة هناك وقلة اعتنائهم بالشريعة والكتاب
والسنة قال فقلت له : في بلادكم ما هو شر من هذا وهو قبول
الاتحادية فقال : هذا لا يقوله عاقل فإن قول هؤلاء كل أحد يعرف
فساده ، قال وحدثني الشيخ كمال الدين المذكور قال : اجتمع
بالشيخ أبي العباس المرسى تلميذ الشيخ الكبير أبي الحسن
الشافلي وقاضته في هؤلاء الاتحادية فوجده شديدا الإنكار عليهم
واللهي عن طريقتهم وقال : أتكون الفصحة هي الصانع ؟ انتهى
قلت : ولها كانت طريقة الشافلي هي أحسن طرق التصوف وهي
في المتأخرين نظير طريقة الجبدي في المتقدمين ، وقد قال الشيخ
تاج الدين بن السبكي في كتاب جمع المجموع : وإن طريق الشيخ
الجبدي وصعبه طريق قوم ، وكان والده شيخ الإسلام تقي الدين
السبكي يلزم مجلس الشيخ تاج الدين بن عطاء الله بسمع كلامه
ووعظه ونقل عنه في كتابه المسمى غير الإيمان للجلي فائدة حسنة
في حديث « لا تسبوا أصحابي » فقال : إنه ذكر أن النبي ﷺ كانت
له تجليات فرأى في بعضها سائر أمته الأئمين من بعده فقال مخاطبا
لهم : « لا تسبوا أصحابي فلو أنفأ أحدكم مثل أحد خعبا ما أدرك
مد أحدهم ولا نصيفه » وارتضى السبكي منه هذا التأويل وقال : إن
الشيخ تاج الدين كان متكلما المصوفية في عصره على طريق الشافلية
انتهى قلت : وهو تلميذ الشيخ أبي العباس المرسى . والشيخ أبو
العباس تلميذ الشافلي ، وقد طالعت كلام هؤلاء السادة الثلاثة فلم
أر فيه حرقا يحتاج إلى تأويل فضلا عن أن يكون منكرا صريحا وما
أحسن قول سيدني على بن وفا :

تمسك بحبب الشافلية ثقل مسك

تروم وحقق ذا المرجب جاء وحصل

ولا تمسك حينئذ منكم فإنيهم

شمسوس هلسلي في آحين المشافلي

ثم قال صاحب نهج الرشاد : وما زال عباد الله الصالحون من
أهل العلم والإيمان يتكبرون حال هؤلاء الاتحادية وإن كان بعض
الناس قد يكون أعلم وأقدر وأحكم من بعض في ذلك .

وقال الشيخ سعد الدين الفتازاني في شرح المقاصد : وأما
المتصور إلى الإسلام فمنهم بعض غلاة الشيعة القائلون بأنه لا
يمنتج ظهور البوحاسني في الجسماني كجبريل في صورة دحية
الكلي وكبعض الجن أو الشياطين في صورة الأناسي قالوا : فلا
يمعد أن يظهر الله تعالى في صورة بعض الكامنين وأولى الناس

بذلك على ولولادة تعالى له من ذلك علوا كبيرا قال : ومنهم بعض
المتصوفة القائلون بأن السالك إذا أمن في السلوك وعاض معظم
لجة الرسول فرسا يملأ الله فيه ، تعالى الله عما يقول الظالمون
علوا كبيرا ، كالنبي في الجمر بحيث لا تمايز أو يتجدد به بحيث لا
أنتية ولا تغاير وصح أن يقول هو أنا وأنا هو قال وضاد الرايين غنى
عن البيان قال : وههنا مذهب آخر ابن يوهان الحلول أو الاتحاد
وليسا منه في شيء .

الأول : أن السالك إذا انتهى سلوكه إلى الله وإلى الله يستغرق في
بحر التوحيد والرفان بحيث تضمحل ذاته في ذاته تعالى وصفاته
في صفاته وتغيب عن كل ما سواه ولا يرى في الوجود إلا الله تعالى
وهذا هو الذي يسمونه الفناء في التوحيد وحيداً ربما تصدر عنه
عبارات تشبه : بالحلول أو الاتحاد لفصير الميابة عن بيان تلك
الحال ويعد الكاف عنها بالمغال وتجن على ساحل التمسك تغرف
من بحر الله . جيد بلدر الإمكان وتزفر بأن طريق الفناء في العيان
دون البرزخ ، والله الموفق ، ثم ذكر في الملعب الثاني وهو القول
بالوحدة المطلقة : قال : إنه غير الحلول والاتحاد وأنه أيضا خارج
عن طريق العقل والشرع وأنه باطل وضلال . وقد سقت قبلا كلامه
في الكتاب الذي ألفت في ذم القول بالوحدة المطلقة فإنه :
أجلد ، ويذكر السيد الجرجاني في شرح المؤلفات نحو ذلك ، وقد
سقت أيضا عبارته في الكتاب المشار إليه .

وقال العلامة شمس الدين بن القيم في كتابه شرح منازل
السالكين الدرية الثالثة من درجات الفناء فناء خواص الأولياء وأمة
المقرين وهو الفناء عن إرادة السوي شاملا يرق الفناء عن إرادة ما
سواه سالكا سبيل الجمع على ما يحبه ويرضاه فانيا محبوبه منه عن
مراده هو من محبوبه فضلا عن إرادة غيره قد أخذ مراده بمراد
محبوبه أهني المراد بمراد السبكي الأمر لا المراد الكوني القدرى
فصار المرادان واحدا قال : وليس في العقل اتحاد صحيح إلا هذا
والاعتقاد في العلم والخبر فيكون المرادان واحد معلومان والمذكورين
واحدا مع تباين الإرادتين والعلمين والخبرين فضابة الصعبة مراد
المحب بمراد المحبوب وفناء إرادة المحب في مراد المحبوب فهذا
الاتحاد والفناء هو اتحاد خواص المعينين وخالصهم قد نشأ بعبادته
عن عبادة ما سواه ويحبهم وخوفهم ورجائهم والتوكل عليه والاستعانة به
والطلب منه عن حب ما سواه ومن تحقق بهذا الفناء لا يجب إلا في
الله ، ولا ينفي إلا فيه ، ولا يوالي إلا فيه ، ولا يعادى إلا فيه ، ولا
يعصى إلا الله ، ولا يمنع إلا الله ، ولا يرجو إلا الله ، ولا يستعين إلا
به ، فيكون دينه كله ظاهرا له وبكروا الله ورسوله أحب إليه مما
سواه فلا يولد من حاد الله ورسوله ولا كان أقرب للخلق بل .

يصادى السبكي عبادى من الناس لهم

جيمسا وأر وكان الحبيب المصطفى

الحال بوحدة الشهود. وهي مقابل ما قاله ابن عربي عن وحدة الوجود وقد جاء ذلك المذهب في شعر عمر بن الفارض؛ وحكم ابن عطية الله السكندري الذي عاصر ابن تيمية وشكاه إلى أولى الأمر سنة ٧٠٧.

ناقض ابن تيمية هذه المذاهب التي تربط الخالق بالمخلوق؛ لأنه أولاً رآها منافية لمعنى توحيد الله سبحانه وتعالى الذي شرعه وبشئته، وثانياً لأنه رأى بعض قائلها يدعون لأنفسهم حالاً يملكون فيها على التكليف، وابن تيمية يرى أن من يتبع ذلك المنزع معطل لأحكام الشرع خالغ الرقية، وثالثاً لأنه رأى الناس يزعمون في أصحابتنا قدرة خارقة للعادة فيغترون إلى الله بهم؛ وهم من يسمون عندهم أولياء.

رأى ابن تيمية فيهم ذلك فشن عليهم حرباً شعواء أقض بها مضاجعهم، ونالوا منه عند السلطان والناس؛ ونال منهم عند الناس؛ ولقد ناقش أقوالهم مناقشة الماروف لها الفاحص لدقائقها العاريف لأسرارها، ولكنه سبحانه كلها مذهب الاتحاد، أو الاتحاديين، وكأنه نظر إلى المعنى المشترك في هذه الأمور الثلاثة، وهي وحدة الوجود والمعلوم، والبقاء في الله بالحمية؛ وذلك لأن هذه المناهج الثلاثة لتلقى في معنى الاتحاد، اتحاد المخلوق بالخالق؛ بيد أن وحدة الوجود فيها اتحاد لا تعدد فيه؛ فليس هناك اثنان، بل وحدة لاثنائية؛ والأخرون فيهما اتحاد بين اثنين، على تفرقة بين الاصطلاحين.

ولقد قال في مقدار فهمه لمذهب هؤلاء الاتحاديين في نظره؛ قد اختلفوا بينهم على فرق، ولا يهتدون إلى التمييز بين فرقهم مع استعمالهم أنهم مفترقون، ولهذا لما بينت لطوائف من أتباعهم ورواياتهم حقيقة قولهم وسر مذهبهم صاروا يعظمون ذلك، ولولا ما أقرنه بذلك من الذم والرد لجعلوني من أمتهم، وبذلوا لي من طاعة نفوسهم وأمورهم ما يجعل من الوصف، كما تبدل التصاري لرواياتهم، والإسماعيلية لكبرائهم، وما بذل آل فرعون. وكل من يقبل قول هؤلاء فهو إما جاهل بحقيقة أمرهم، وإما ظالم يريد علواً في الأرض وفساداً، أو جامع بين الوصفين. وهذه حال أتباع فرعون، والذين قال الله فيهم: ﴿فاستخف قومهم فأطاعوه﴾ [الزخرف: ٥٤].

ويرى رضي الله عنه أنه يكتفي لرد هذه المذاهب بتصورها، فإن تصورها كاف في بيان فسادها، ولا يحتاج مع حسن التصور إلى دليل آخر؛ وإنما تتبع الشبهة لأن أكثر الناس لا يفهمون حقيقة قولهم وقصدهم.

ويقول مشعاً على مذهب وحدة الوجود: «أصلهم الذي بنوا عليه أن وجود المخلوقات والمصنوعات حتى وجود الجن والشياطين والكافرين والفاسقين والكلاب والخنزير والنجاسات

وحقيقة ذلك فناءها عن هوى نفسه وحظوظها بمرافى ربه تعالى وحقوقه والجامع لهذا كله تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله علماً ومعرفة بصلوات وحالاً وصقلاً، وحقيقة هذا النبي والإتيان الذي تضمنته هذه الشهادة هو الفناء والبقاء ففتن من تأله ما سواه علماً وإفراها وتعبداً وبقي تأله وحده فهذا الفناء وهذا البقاء هو حقيقة التوحيد الذي اتفقت عليه المرسلون صلوات الله عليهم. وأزيلت به الكتب، وخلقت لأجله الخليفة، وشرعت له الشرائع، وقامت عليه سوق الجنة، وأسس عليه الخلق والأمر—إلى أن قال: وهذا الموضع مما غلط فيه كثير من أصحاب الإرادة والمعصوم من عصمه الله والله المستعان:

وقال في موضع آخر: وإن كان مشيراً للفناء العالي وهو الفناء عن إرادة السوى لم يبق في قلبه مراد يترجم مراده الجني الشرعي النبوي القرآني بل يتحد المرادان فيصير عين مراد الرب تعالى هو عين مراد العبد وهذا حقيقة المحبة الخالصة ولها يكون الاتحاد الصحيح وهو الاتحاد في المراد لا في المريد ولا في الإرادة قال: فتدبر هذا الفرقان في هذا الموضع الذي طالما زلت فيه أقلام السالكين وفشت فيه أفهام الراحدين انتهى؛ وقد تكرر كلام ابن القيم في هذا الكتاب في تفصيل الاتحادية والمقاتلين بالوحدة المطلقة وقد سقت منه أشياء في كتابي الذي أشرت إليه فلينظر منه والله أعلم (الحارثي للفتاوى ١٣٣/ ١٣٧).

وقد شئ الإمام ابن تيمية على أصحاب مذهب الحلول والاتحاد حرباً شعواء يوشعها الإمام محمد أبو زصرة في كتابه عن ابن تيمية في فصل بعنوان «الوحدانية والتصوف». الحلول—وحدة الوجود—الاتحاد. قال رحمه الله:

شغل الفكر الإسلامي بأفكار آثاره المتصوفة، تتلمذ بصلاته الله سبحانه وتعالى وبخلقه، وإن المعروف بين علماء المسلمين المقرر في مصادر الدين أنها صلة الخالق بالمخلوق؛ والمبدع بما أبدعه، والله واجب الوجود الذي ليس كمثلته شيء؛ والمخلوق ممكن الوجود عرضي له الوجود بعد أن لم يكن.

لكن بعض المتصوفة آثاروا أسوأ؛ تجعل الصلة ليست كذلك فقط، فقد قالوا: «إيمانهم لرأي قديم يجاوز حلول الله في بعض الأحيان إذا كان مستعداً لذلك بصفاء نفسه وقتل روحه، وأظهر من قال ذلك العلاج (تنظر ترجمته) ثم جاء ابن عربي فحكم بوحدة الوجود، وأن الموجود واحد، تعددت صورته وأشكاله ومظاهره ثم جاءت بعد ذلك فكرة الاتحاد بين المخلوق والخالق من حيث المحبة والشرق، فإنه بهذه المحبة يتصل بالله تعالى ويملو إليه، وأنه عندما يصل إلى درجة الاتحاد بالذات العلية يكون في غيوبة يسمونها المحو، أي فناء ذاته الفانية في ذات الله الباقية، أو يسمونها السكر لأنه يغيب فيها عن الحس، ويسمى أولئك هذه

أئمة السلف أنهم ميزوا بين الخلق سبحانه وبين المخلوق ، كما كان يذكر دائماً الإمام الجليل بأن التوحيد لا يكون عند البدل إلا إذا ميز بين القديم وهو الله وبين المحدث وهو المخلوق .

وبين لنا ابن تيمية في سائر كتبه أن الصوفي بحق هو الذي يكون على مذهب أهل الحديث والكتاب والسنة ، وليس على مذهب أهل الحلول والاتحاد ووحدة الوجود .

ويؤكد لنا ابن تيمية (درة تناقض العقل والنقل ٥ / ٥ ، ٥) كثيراً في ثانياً كتبه أن شيخو التصوف المشهورين من أرباب الناس من مذهب وحدة الوجود ، ولهم عنه وأعظمهم تكبراً عليه وعلى أهله ، ولا يدل ابن تيمية من تكرار أسماء هؤلاء الذين ذكرناهم ويضيف إليهم أيضاً أبا عثمان التيسليوي ويحيى بن معاذ الرززي والشيخ عبد القادر الجيلاني وغيرهم من ينكرون هذه المذاهب المذخلة .

ويذكر لنا ابن تيمية أنه قد قيل للشيخ عبد القادر الجيلاني - قدس الله روحه - هل كان له ولي على غير اعتقاد أحمد بن حنبل ؟ فقال : لا كان ولا يكون .

فإننا لأساس العقيدة واحد عند أئمة السلف ومشايخ الصوفية وهي عقيدة أهل السنة والجماعة المبينة على كتاب الله ورسول الله ﷺ وما قاله السلف الصالح رضوان الله عليهم .

أبو نعيم الأصبهاني في مقدمة كتابه « حلية الأولياء وطبقات الأصفياء في ذم الحلولية » (مطبعة السعادة ٤ / ١) :

« وذلك لما ينافي من بسط لساننا ولسان أهل الفقه والآثار في كل القطر والأمصار في المتتبعين إليهم من الفسقة الفجار ، والمباحية والحلولية الكفار ، وليس ما حل بالكلبة من الوقعة والإنكار بقادح في منقبة الأخيار » .

فأبو نعيم الأصبهاني نجده في هذا النص قد ميز وفروق بين الصوفية المشايخ البررة الأخيار الذين سلخوا منهج الكتاب والسنة وبين أهل الحلول والإباحية الذين خرجوا عن منهج السلف .

وبين أبو نعيم أيضاً أن ذم الحلولية ليس واقعاً من الصوفية المشايخ فقط ، وإنما اتفق أهل الفقه وأهل الحديث وأئمة السنة في ذمهم ، وبين لنا أيضاً أن ظهور مذهب الحلولية وسط جماعة متتبعين إلى التصوف هذا لا يقتضي ولا ينقص من مناقب الأخيار من المشايخ ﴿ ولا نؤذوا ولا نؤذون ﴾ (فاطر : ١٨) .

أبو القاسم القشيري في رسالته قد بين أن طريقة مشايخ الصوفية أهل السنة تخالف ما عليه أهل الاتحاد والحلول من فساد . يقول القشيري في ذم أهل الاتحاد والحلول (الرسالة القشيرية ١ / ٢٢ - ٢٤) .

والكفر والفسوق والعصيان عين وجود الرب ، لا أنه متميز عنه منفصل في ذاته وإن كان مخلوقاً مروبواً مصنوعاً له قائماً به ، وهم يشهدون أن في الكائنات تفريقاً وكثرة ظاهرة بالحس والعقل ، فاحتاجوا إلى جمع يزيل الكثرة ، ووحدة ترفع التفرق مع ثبوتها » .

وهو مع شدته على المذهب وقاله يقول في ابن عربي قولاً رقيقاً نسبياً ، فيقول : « مقالة ابن عربي مع كونها كفرة هو أقربهم إلى الإسلام لما يوجد في كلامه من الكلام الجيد ، ولأنه لا يشت على الاتحاد ثبات غيره ، بل هو هائم مع خياله الواسع الذي يتخيل فيه الحق تارة وباطل أخرى ، والله أعلم بما مات عليه » (رساله حقيقة مذهب الوحدة : ٦) (ابن تيمية / ٢٧٧ - ٢٧٩) .

وبين الدكتور البلبلازي كيف أن السلفية ومشايخ الصوفية ذموا الاتحاد والحلول ووحدة الوجود ، فيقول في فصل أفرده لذلك :

أئمة السلف الصالح رضوان الله عليهم بما فهم مشايخ الصوفية والأئمة الكبار ذموا مذهب أهل الحلول والاتحاد ووحدة الوجود ، وكذلك أيضاً أصحاب كتب الطبقات والتاريخ تناولوا أصحاب هذه المذاهب وحسبوا لنا ما قاله أئمة السلف في رفض هذه المذاهب المذخلة على الفكر الإسلامي .

وإذا كان بعض الباحثين يروج الإشاعات والأخبار على أن ابن تيمية هو الذي بدأ في رفض هذه المذاهب وذم أصحابها فهذا غير صحيح ، والمتبع لكلام ابن تيمية في كتبه عن ذم هذه المذاهب يجد أنه قد اعتمد على ذم هذه المذاهب على أقوال من سبقه من أئمة السلف ومشايخ الصوفية العارفين .

يقول ابن تيمية (كتاب الصفدية ١ / ٢٦٦) إن الجليل رحمه الله تكلم بكلام الأئمة العارفين ، فإن كثيراً من الصوفية وقعوا في نزع من الحلول والاتحاد كما ذكر ذلك أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، كما ذكر ذلك أبو القاسم القشيري في رسالته المشهورة وغيرهم .

ويذكر لنا ابن تيمية أن الشيوخ الأكابر الذين ذكروهم أبو عبد الرحمن السلمي في طبقات الصوفية كانوا على مذهب أهل السنة والجماعة ومذهب أهل الحديث كالفضل بن عياض والجليل بن محمد وسهل بن عبد الله التستري ، وصهر بن عثمان المكي وأبو عبد الله محمد بن غنيم الشيرازي وغيرهم وكلهم موجود في السنة وصنفوا فيها الكتب ، وذموا مذهب الحلول والحلولة .

وقد قيل لعبد الله بن المبارك : بماذا تعرف ربنا ؟ قال : هو فوق سؤلاته على عرشه ، بائن من خلقه ، وهكذا سائر الأئمة كأحمد ابن حنبل وإسحاق بن راهويه ، وعثمان بن سعيد والبخاري وابن عزيمة وكما ذكر ذلك الحاكم أبو عبد الله التيسليوي وصاحبه المقلب شيخ الإسلام أبو عثمان الصابوني كل هؤلاء وغيرهم من أئمة السلف وشيوخ التصوف ضد هذه المذاهب فالأساس عند

يقول ابن تيمية لما اطلع النهرجوري على زندقة الحلاج نزاعها ، وكان عمرو بن عثمان يذكر أنه كافر .

ويقول ابن تيمية عن الحلاج أيضا : إن كان قد تاب في الباطن وقت قتله فإن الله يغفره تلك التوبة ، وأن كان كاذبا فإنه قتل كافرا ، ويذكر ابن تيمية أيضا بأنه قد أفتى الأكثرون بأنه قتل ولو أظهر التوبة فإنه إن كان صادقا في توبته نفعه ذلك عند الله وكان الحد تطهيرا له ، كما لو تاب الزاني والسارق ونحوهما . وقد قال الشمراني في طبقاته : قد أشار القشيري إلى تركية الحلاج حيث ذكر عقيدته مع عقائد أهل السنة أول الرسالة فتحا لباب حسن الظن به ، ثم ذكره في أواخر الرجال لأجل ما قيل فيه « وفي ذلك يقول ابن تيمية : وأما أولياء الله المالمون بهال الحلاج فليس منهم واحد يعظمه .

دفاع عن الحلاج :

بعض الباحثين المعاصرين يدافع عن الحلاج ويبني دفاعه على أقوال ابن تيمية ويقول : لم أجد في الدفاع عن الحلاج وترتبه من تهمة الحلول والاحكام أي شيء من كلام ابن تيمية خصم الصوفية الكبير الذي يقول : وقد يعرض لبعض العارفين في مقام الغناء والجمع والاصطلام والسكر بقوة استيلاء الوجد . والذكر عليه من الحال ما يغيث فيه عن نفسه وغيره بمعويده عن عبادته ويعمره عن معرفته ويعذكوره عن كرهه ويمرجه عن وجوده ومثل هذا قد يعرض لبعض المحييين للمخولفين ... (إيخ / التصوف في تراث ابن تيمية / ٨٧-٩١) .

قالت المؤلفة : يقدم الكتاب الإسلامي الأستاذ أنور الجندي عرضا لكتاب « الحلاج والفراطة » جاء في بدايته ما يلي : أولى المستشرقون ومن تابهم من دجلة التعريب شخصية « الحلاج » اعتساما كبيرا وحاولوا تصويره من خلال فكرة خاطئة أريد لصفاها بالإسلام ، وهي مصادرة الفكر والقتل باسم حرية الفكر ، وهذا ما لم يحدث في تاريخ الإسلام كله وإن حدث في تاريخ أوروبا الغربية النصرانية ، فلفقد كان الإسلام حقا بصحة الكلمة إلى أهد حد ، ما لم تصبح تخريبا للعقيدة أو ما يشبه ذلك كالتآمر السياسي أو مغالبة دولة أجنبية .

والحلاج لم تقتله الكلمة ، والتي قد يؤولها بعضهم تأويلا ما ، وإنما قتل حين ثبتت عليه أمور منها مراسلة القرامطة ، فقد تبين أنه كان وكلا لهم وكان القرامطة قد أراحوا النظام الإسلامي إلى حين وسفحوا الدماء وغربوا البلاد وأنشؤوا لهم عاصمة في « هجر » حلوا إليها الحجر الأسود من الكعبة فظل بها اثنين وعشرين عاما . والذي عليه القول الراجح أن الحلاج كان يعمل لحساب القرامطة ، وأن دوره في الحلول والإشراق ووحدة الوجود إنما كانت تعمل على إفساد الأسس الفكرية للدولة الإسلامية ، وعدم تعاليم الإسلام كمقدمة لتعطيل سلطته السياسية ، وهو نفس المنهج الذي سلكته الباطنية ، فقد رأى خصوم الإسلام إزاء عجزهم عن هدم

« زال الورع وطوى بساطه ، وإشند الطمع وقوى رباطه » وإرتحل عن القلوب حرمة الشريعة ... حتى أشلوا إلى أعلى الحقائق والأحوال وأدموا أنهم تحققوا بسفائق الواصل ... وكوشفوا بأسرار الأبدية وزالت عنهم البشرية ، ويقوا بعد فناءهم بأنوار الصمدية والفنائ عنهم غيرهم إذا نظفوا ... (إيخ ما قال فيهم من صفات تبين مذهبهم في الحلول والاتحاد بالله .

وأخذ القشيري يبين الدافع والسبب لتأليف هذه الرسالة فيقول : ولما طال الابتلاء فيما نحن فيه واشفتت على القلوب فملقت هذه الرسالة إليكم وذكرتها فيها بعض سير شيخ هذه الطريقة في آدابهم وأخلاقهم ومقالاتهم .

وقد ذكر ابن تيمية هذا النص للقشيري وعلق عليه مبينا أن القشيري ألف رسالة تبين أن طريقة مشايخ الصوفية تخالف ما عليه أهل الاتحاد والحلول من فساد ، فإنهم يجعلون الرب حلالا في المخلوقات محدوتا بمحدودا متكلما بحرفها حتى لا يجعلونه هو المتكلم على ألسنتهم كما قد ذلك أبو القاسم القشيري ، وهؤلاء كثيرون في المتسبين إلى الصوفية وعلى مثل ذلك قتل الحلاج (الاستقامة لابن تيمية / ٢٦) .

ابن خفيف ذم الحلولية :

ويلكز ابن تيمية رأى أبي عبد الله بن خفيف الشيرازي في الحلولية فيقول على لسانه : ومن زعم الإشراف على الخلق يعلم مقاماتهم ومقدارهم عند الله بغير الوسي المتزل فهو خارج عن الملة ، ومن ادعى أنه يعرف مآل الخلق ومنقلبهم وعلى ماذا يمترون عليه ويختل لهم بغير الوسي من قول الله ورسوله فقد باء بغضب من الله ، والفراسة حتى على أصول ما ذكرنا . ومن زعم أن صفات الله تعالى تحل بصفات العبد فهو حلولي قاتل باللاموتية والاتحاد وذلك كفر لا محالة ... ومن قال إن شيئا من صفات الله حال في العبد أو قال بالتبهيض على الله فقد كفر (الفتاوى الحموية / ١٤١) . ويقول ابن خفيف أيضا في معتقده (معتقد ابن خفيف / ٩٣) : إن الباري تعالى واحد لا حال في الأشياء ولا الأشياء حالة فيه ، ولا يتجلى في شيء ولا يستر بالحدث .

وهكذا نرى مشايخ الصوفية خسرنا مذهب الحلول وأصحابه وقد اشتهر الحلاج بهذا المذهب (انظر ترجمته تحت عنوانه) .

أخبار الحلاج :

وأخبار الحلاج في كتب كثيرة أشار إليها ابن تيمية كتاريخ بغداد لابن الخفيف . وأبو الفرج بن الجوزي له في الحلاج مصنف سماه « رفع اللجاج في أخبار الحلاج » وذكر أبو عبد الرحمن السلمي في طبقات الصوفية أن كثيرا من المشايخ ذموا وأنكروا عليه ولم يعدوا من مشايخ الطرق ، ومن ذم وحط عليه أبو القاسم الجنيد ، وكان الشيخ أبو مقرب النهرجوري قد زجج الحلاج بابتته

الحاج آل ملك الجركنتا الناصري الرامى عفو الله تعالى بتاريخ سنة سبعمئة وتسع عشرة هـ وفى ذكرها المقرئ فى المدارس ، فقال : المدرسة الملكية هذه المدرسة بخط الشهيد الحسينى . يتلها الأمير الحاج سيف الدين آل ملك الجركنتا تجاه داره ، وعمل فيها درساً للفقهاء الشافعية وزخانة كتب معتبرة ، وجعل لها عدة أوقاف ، وفى من المدارس المشهورة ، وموضعها من جملة رجة قصر الشوك ، ثم صار موضع هذه المدرسة داراً تعرب بلبل ابن كرمون صهر الملك الصالح انتهى .

وقد ذكرنا ترجمة آل ملك عند الكلام على جامعها بالحسينية ، وقوله : صار . موضعها دار ابن كرمون بضمه الكتابة التى على وجهها إلى الآن ، فاحل الذى أخذ فى الدار المذكورة هو جزء منها فقط ، أو أن الذى أخذ فى الدار هو دار آل ملك ، التى كانت تجاه هذه المدرسة . وأما احتمال أن واجهة المدرسة نقلت إلى هذه الزاوية بعد زوال المدحسة بالمرة بعيد والله أعلم .

(الخطب التوقفية الجديدة لعل بالشا مبارك ٦٩/٦ ، ٧٠) .
اتصل ما متى ؟ آل ملك الجركنتا (جامع -) ، و ؟ آل ملك الجركنتا (مدرسة -) ، فى ١ / ٥٢٩ ، ٥٣٠ .

• الحلوة (أو الحلوية) (المدرس -)

من المدارس من المحتفى على حلب .

من المدارس من فأت الإنسان الواحد المدرسة الحلوية التى تقع قرب الجامع الكبير فى حلب مقابل مدخله الغربى وفى مخصصة للملعب الحصى . ويقال إن أصل هذه المدرسة كانت كنيسة ثم حولت إلى مسجد وذلك كرد فعل لما قام به الصليبيين من انتهاك لحرمه قبور المدحسين . فقد حدث عندما حاصر الفرنج حلب سنة ٥١٨ هـ أن بشرى قبور المسلمين التى يظهرها وأحرقوا من فيها . فبعد القضاء أسو الحسن بن القاضى أبى الفضل بن الخشاب الحلوى إلى أربع زئائى صليبية زحلوها إلى مساجد وكانت هذه المدرسة تعرف قديماً بمسجد السراجين ، فلما استولى نور الدين محمود على حلب ، أضاف إلى المسجد إيواناً ، وحدد فيه مساكن يأوى إليها الطلبة والفقهاء وكان ذلك فى سنة ٥٤٤ هـ وقد أوقف الملك العادل نور الدين الأوقاف على المدرسة وكان يملأ طلابها فى ليلة السابع والعشرين من رمضان قطائف مشحونة ويجمع عليه الفقهاء المرتبين بالمدحسة وفى الشتاء كان يدفع لكل قبة شيئاً معلوماً ، وفى أيام شرب الدوا من فصل الربيع بالخرىف يطلع ثمن ما يحتاج إليه من دوا وفقائه وفى الموالد الحلوى وفى الأضاد ما يرتقون به دراهم من الدومة . وفى أيام الفلكية ما يشترى به بطيخا وشمشا وتوتاً (الأضاد) الخظيرة (حلب) ص ١١٠ .

ويصف ابن شداد المدرسة الحلوية فى أيامه يقول : وفى من أعلم المدارس حبناً وأكرها طلبة وأغزرها جامكية (طعاماً) وكان

دولته أن يلجؤوا إلى تقوى عقيدة التوحيد التى جمعت شمل المسلمين وتذرعوها إلى ذلك بنظريات التصوف الهندى والمجوسية الفارسية والفلسفية اليونانية ، وكانت مقدمات ذلك ، السخرية بالشرعية الإسلامية والترغص فى الحدود وإباحة المحرمات ، وقد جرى «الحلاج» فى ذلك شوطاً طويلاً فادعى الألوهية ، واتهم بمعارضة القرآن وأنه يحى الموتى ، وأن الجن يخدمونه ، وأنه يعمل من الخوارق ما يشبه المعجزات ، وأنه كان يدهو إلى نوع آخر من الحج غير الطواف . بالبيت الحرام فى مكة ، وله مع أصحابه كتابات بالشفرة لا يفهمها إلا هو ومن أرسلها إليه . وقد وصفته كتب التاريخ بأنه رجل مجوسى الأصل اشتغل بالمخاريق والميل ، وادعى العلم بالأسرار ثم تنهى إلى ادعاء النبوة ثم الربوبية ، واستغوى غلمان قصر الخليفة المقتدر بالله العباسى ، لينفذ بهم إلى تحقيق غايته فأدى ذلك إلى قتله . وفكر إمام الحرمين فى كتابه «الشامل» أنه كان بين الحلاج وبين الجنابى رئيس القرامطة اتفاق سرى على قلب السلوة وأن هذا هو السبب الحقيقى لقتل الحلاج «الحلاج والقرامطة / ٧٤ ، ٧٥ .

(الفرق بين الفرق لميد القصار الهندى / ١٩٣ ، واعتقادات فرق المسلمين والمشرىك لنصر الدين الرازى ، ومعه كتاب المرشد الأمين إلى اعتقادات فرق المسلمين والمشرىك - مله عبد الحروف سعد ، ومصطفى الهورى / ١١٦ ، و تزيه الاعتقاد من الحول والاعتقاد للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ، الحامى لفتاوى ١٣٣ - ١٣٧ ، وابن تيمية - الإمام محمد أبو زمره / ٢٧٧ - ٢٧٩ ، والصفوى فى تزيه تيمية - د. الطيللاوى محمود سعد / ٨٧ - ٩١ ، و الحلاج والقرامطة - عرض تقديم الأستاذ أنور الهندى . منار الإسلام . الملد السابع . السنة العاشرة رجب ١٤٠٥ هـ - إبريل ١٩٨٥ م / ٧٤ ، ٧٥ . انظر أيضاً كشاف اصطلاحات الفنون للفتاوى ١ / ٣٤٩ - ٣٥٢ ، وأهل الصفة وأحوالهم لشيخ الإسلام ابن تيمية / ٥٤ - ٥٩ ، والموسوعة القرصية - د. عبد النعم الحصفى / ٩١ - ٩٥ .

• حلولمة (زاوية -)

قال عنها على مبارك كما كانت فى زمانه :

هذه الزاوية بخط الشهيد الحسينى على يد السالك من جهة الباب الأخضر من أبواب المشهد إلى أم الغلام ، شعاعها مقامة بالصلاة والأذان ، وفيها خربيع يقال له خربيع الشيخ موسى البمنى . وهو ظاهر يزار ، ولشئ فيه اعتقاد أكيد ويعمل له حفرة كل ليلة ثلاثا ، ويعقد فيها بعض الصوفية مجلساً للذكر ، والقيمة هناك امرأة تمنع الرجال من زيارة وقت زيارة النساء .

وهذه الزاوية هى المدرسة الملكية بدليل ما هو مكتوب على وجه بابها إلى الآن ، وصورتها : أسرى إنشاء هذا المسجد المبارك

حلب، وذكروا أن جماعة من الحواريين دخلوا هذا الهيكل وكان في ابتداء الزمان معبداً لعبد النار ثم صار إلى اليهود كنيسة ثم صار إلى النصارى كاتدرائية . ويرى سرفاجيه احتمال أن تكون مبنية فوق الموضع الرئيسي للمعبد الوثني الذي كان يقوم في طرف الأغوار وفي سنة ٥١٨ هـ ١١٢٤ م حاصر الفرنج حلب وملكها يومئذ يولغايزي بن أرتق صاحب ماردون فهرب منها وتولى شؤون البلد القاضي أبو الحسن محمد بن يحيى بن الخشباب ، فعمد الفرنج إلى نبش قبور المساحين ومثلوا بالأموال والأحياء وأحرقوهم ، ونبشوا مشهد الذكة وأحرقوه ، وظفروا بمصحف فقتلوه وشده وعملوه للبرزخون يروث عليه وهم يضحكون ، فأمر القاضي ابن الخشباب أن تحول الكاتدرائية العظمى إلى مسجد عرف باسم مسجد السراجين ثم عرفت باسم المدرسة الحلوية ونور الدين زنكي هو الذي جعلها مدرسة ، كما حول ابن الخشباب ثلاث كنائس أخرى إلى مساجد . ويرى سرفاجيه أن ابن الخشباب اعتبر نصارى حلب متضامنين مع الأوربيين إخوانهم في الدين وسيلين معهم بالنتيجة وفي الحلوية محارب رافع من الخشب من عهد صلاح الدين الأيوبي (أحياء حلب وأسوقها / ١٧٩ - ١٨١) .

(المجتمع الإسلامي في بلاد الشام - د. أحمد رمضان أحمد محمد / ١٤٢، ١٤٣، وأحياء حلب وأسواقها لخير الدين الأسد - تحقيق عبد الفتاح رواس قلعة جي / ١٧٩ - ١٨١ . انظر أيضا الأخلاق الخطيرة لأين شلدن - حققه يحيى زكريا عبارة ج ١ / ٢٦٤ ، ولدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب لأين الشحنة - تقديم عبد الله محمد المدرويس / ١٢٥) .

قالت المؤلفة قمنا بزيارة هذه المدرسة يوم الإثنين ٩ صفر ١٤١٢ هـ / ١٩ أغسطس ١٩٩١ م بعد غروبنا مباشرة من الباب الغربي للجامع الكبير بحلب، إذ أنها تقع قبالة . وما علمناه أن يوسف بن محمد ناصر حفيد صلاح الدين جدد المحراب، وأن تاريخ إنشائه هو سنة ٦٤٣ هـ وقد نقش عليه عبارة « صنعته أبي الحسن محمد الحراني رحمه الله » والله تعالى أعلم .

• الحلبي والشياب (كتاب) :

لأبي الحسين أحمد بن سعد الكاتب الأصبهاني المتوفى في حدود سنة ٣٥٠ هـ (كشف القرنين ٢ / ١٤١٣) .

• الحلبي والشياب [كتاب] :

مختصر لأبي نصر محمد بن إسماعيل بن عبد الوارث المذحجي وهو مشتمل على ستة أبواب في ألوان بني آدم والخيل والبهائم والحمير والإبل والبقر وأوصافها . (كشف القرنين ٢ / ١٤١٣) .

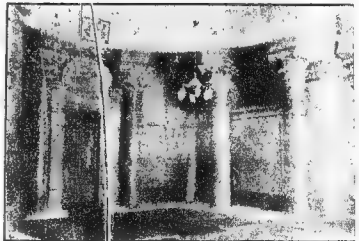
• الحليفة:

الحليفة : بالتصغير أيضا ، وإلفاء ، ذو الحليفة : قرينة بينها

من شروط المواقف أن يحمل في شهر رمضان من وقفها ثلاثة آلاف درهم للمدرس يصنع بها طعاما للفقهاء . وفي ليلة النصف من شعبان في كل سنة حلوى معلومة ، ولعل المدرسة عرفت باسم الحلوية نسبة إلى هذا الشرط . ولما انتهى بناء المدرسة استنسخ لها من دمشق الفقيه الإمام يرهان الدين أبا الحسن علي بن الحسن بن محمد بن أبي جعفر فتولى التدريس بها . ومن درسوا بهذه المدرسة سنة ٦٣٤ هـ (سنة ٢٢٥ م) للصحاب الإمام كمال الدين أبو القاسم عمر ابن قاضي القضاء نجم الدين أحمد بن هبة الله بن أبي حرافة المعروف بابن العديم . ولم يزل مستمرا في التدريس بها إلى أن قصد دمشق في خدمة السلطان خلك التناصر فولى التدريس بها ولده مجد الدين أبو المجد عبد الرحمن (المتنوع الإسلامي في بلاد الشام / ١٤٢، ١٤٣) .

قال خير الدين الأسد عن المدرسة الحلوية :

تقع المدرسة الحلوية تجاه باب الجامع الكبير العربي وهي الكنيسة الكبرى التي بنى هيلانة أم قسطنطين باني القسطنطينية ، كانت كاتدرائية حلب العظمى ، شيدت في القرن الخامس للميلاد وهدمت أيام الإمبراطور كوسرويس حيث أحرقها كسرى الأول ملك الفرس عام ٥٤٠ م ثم جددت أيام الإمبراطور جوستيان ، وربما كان اسمه الحلوية أو الحلوية محرف عن هيلانة ، وكان حمام موفان حماما للهيكل ، أما مذبح الكنيسة فيقوم لمسق الحمام وبينه وبين الهيكل سباط معقود البناء تحت الأرض ، وكان في موضع الحمام كروسي من الرخام الأبيض الملكي ارتفاعه أحد عشر ذراعا . قال ابن الشحنة (الدر المنتخب / ٨٣) وذكر ابن خراطة النصرائي في تاريخه أن عيسى عليه السلام جلس عليه أو في موضع عندما دخل



المدرسة الحلوية

وإنا من أصلحت الصالحين، إن عصمتي تجلني معصوماً وإنا أهدى الناس تجلني مخذولاً، ناصيتي يهلك، وديروني بين يديك، يا مقب القلوب ثبت قلبي على دينك، فقال الله سبحانه وتعالى لل ملائكة يا ملائكتي أما سمعتم قوله، أشهدوا أنني قد غفرت له ما مضى من فحوه؛ وعصمتي فيما بقي من عمره.

وذكر مالك بن دينار قال: كان لي جار، وكان يتعاطى من القواش، وجيرته يتأذون لسيبه، فشكوا منه إلّي فأحضرته وقتلنا: إما أن تكوب، وإما أن تخرج من المحلة، فقال: لا أفعل واحدا منهما قتلتنا: نشكوك إلى السلطان، فقال: السلطان يعرضني! فقلن: ندعو الله عليك، فقال: الله أرحم بي منكم، فضاظني ذلك، فلما أسبست قمت وصليت وذهوت عليه فنهض هاتف وقال: لا تند علي، فإن الله من أولياء الله قال: فندمت على ما فعلت، وترجعت من الدار، وذهبت إلى باب داره، ودققت عليه الباب، فلما خرج ورأى ظن أني جئت لإخراجه من المحلة، فاعتد بهتله، فقلت: ما جئت لذلك لكنني رأيت كذا وكذا! قال: فوقع علي البكاء، وأبى إلى الله وتخرج من الدار، وأبى الله عليه بعد ذلك، فهاظقني، خرجت إلى الحج فبرئت في المسجد حلقة، فظلمت إليهم فرأيت ذلك الشاب علياً مطروحاً، فما لبثت حتى قالوا: قضى الشاب، يرحمه الله.

أما حظ العبد من هذا الاسم: فعلم أن العلم في الإنسان من محاسن الأخلاق، والدليل عليه: أن الخليل عليه السلام دعا ربه فقال: ﴿رب هب لي ذكراً﴾ وكما والعطى بالصالحين ﴿الشعراء: ٨٣﴾ فأجاب الله دعاءه بقوله ﴿فبشره بغلام حليم﴾ ﴿الصافات: ١٠٦﴾ وهذا يدل على أن الحليم من الأخلاق المحمودة.

قول المشايخ في هذا الاسم: أما المشايخ فقالوا: الحليم من كان صفاً عن الذنوب، مستكراً لميوس.

وقيل: الحليم هو الذي يفرد به ما ستر.
وقيل: الحليم الذي يحفظ السر، ويحسن العهد، ويتجوز الوعد.

وقيل: الحليم الذي يسبل ستر دمه على المنعمين، ويسحب ذيل عذوه على المهتكين.

وقيل: الحليم الذي لا يشتغف عيوباً خاص، ولا يستغفر طغيان طاع (شرح أسماء الحسنى / ٢٤٩ - ٢٥١).

وأورد الشيخ أحمد عبد الجواد في ما يلي:
«الحليم: جل جلاله ومعناه: أنه ذو الصنع بالإنابة الذي لا يعجل بالعقوبة مع المقدرة، فلا يستغفر غضب ولا يستغفر جهل جاهل، ولا عصيان عاص.
والحليم صفة انتصفت بها «الحليم جل جلاله» وخص بها المصطفين من عباد.

وبين المدينة مئة أميال أو سبعة، ومنها موقاف أهل المدينة، وهو من مياه جشم بينهم وبين بني خفاجة من عقيل. وهو الحليفة أيضاً الذي في حديث ولحق بن خديج قال: كنا مع رسول الله ﷺ، بلدي الحليفة من تهامة فأصبنا نهب غنم، فهو موضع بين حاذة وذات عرق من أرض تهامة وليس بالشهد الذي قرب المدينة.
(معجم البلدان لابن بطوطه ٢/ ٢٩٥، ٢٩٦).

• التعليم جل جلاله:

الاسم الثالث والثلاثون من أسماء الله الحسنى. شرحه الإمام أبو حامد الغزالي بقوله:

هو الذي يشاهد معصية المعصاة، ويرى مخالفة الأمر... ثم لا يستغفر غضب ولا يتعصب، فيطو ولا يحمل على المسارعة إلى الانتقام من غاية الاكتئال - عجلة وطيش، كما قال تعالى: ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهورها من هبة﴾ ﴿فاطر: ٤٥﴾.

تنبيه: حظ العبد من وصف الحليم ظاهر؛ فالعلم من محاسن خصائص العباد. وذلك مستفاد من الشرح والإعجاب (المقصود السني / ٩٤).

أما الإمام الفخر الرازي فيشرحه بقوله:

حاصل كلامهم أن الحليم هو الذي لا يعجل بالانتقام، وأما أقول: من لا يعجل الانتقام إن كان على عزم أن ينتقم بعد ذلك فهذا يسمى حقوا، وإن كان على عزم أن لا ينتقم ألبتة فهذا هو العفو والغفران، فأين الحليم؟ وما معناه؟ ويمكن أن يقال إنه إما يكون حليماً إذا كان على عزم أن لا ينتقم ألبتة، ولكن بشرط أن لا يظهر ذلك، فإن أظهره كان ذلك عفواً، وبهذا الوجه ظهر الفرق بين العفو وبين الحليم.

وأعلم أن حليم الله من الملمذين عظيم، قال تعالى: ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك على ظهورها من هبة﴾ ﴿فاطر: ٤٥﴾.

وروي أن إبراهيم عليه السلام رأى رجلاً مشتغلاً بمعصية؛ فقال: اللهم أمكك، فهلك، ثم رأى ثانياً، وثالثاً، فدعا فهلكوا، فرأى رابعاً فهم بالدعاء عليه؛ فأوحى إليه: قف يا إبراهيم، فلو أمككتك كل عبد عصي لما بقي إلا القليل؛ ولكن إذا عصي أمككتك، فإن تاب قبلته، وإن أصر أخرت العقاب عنه، ولعلنا بأنه لا يخرج عن ملكنا.

وروي أن شاباً كان كثير الذنوب، ولكنه ما كان من المصرين؛ بل كان يتوب ثم يرجع إلى الذنوب، فلما كثر ذلك منه قال الشيطان: إلى متى تتوب وتعود، وأراد أن يقطعه من رحمة الله؛ فلما جاء الليل قام وتوضأ وصلى ركعتين، ثم رفع بصره إلى السماء وقال: يا من عصمت المعصومين، وبما من حفظ المحفوظين،

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَعَظِيمُ الْإِيمَانِ﴾ [هود: ٧٥].

وقد قال قومٌ: شبيب لثييم عليه الصلاة والسلام.

قال الله تعالى: ﴿قَالُوا يَا شَيْبِ أَصْلَابُكَ تَأْمُرُ أَنْ تَدْعِيَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْعَظِيمُ الرَّدُّ جِدٌّ﴾ [هود: ٨٧].

ومن يتدبر قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَاهُ اللَّهُ النَّاسُ بِمَا كَانُوا لَا تَرْكُ عَلَى ظُهُورِهِمْ مِنْ ذَنْبٍ وَلَكِنْ يُوَفِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [فاطر: ٤٥].

يعلم أن الله لا يحبس إنساناً وأفضاله عن عباده من أجل ذنوبهم وهو غني عنهم، فخيرته إلى عباده تاركاً وشرهم إليه، صاعد فهو مهمل ولا يعمل لحولهم يستغفرون ويتوبون إليه.

ولقد وصف الله نفسه بالحلم مع العلم وأنه غفور رحيم، وغنى حليم:

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [الحج: ٥٩].
وقال الله جل جلاله: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

وقال الله جل جلاله: ﴿إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَاعَفْهُ لَكُمْ وَيُغْفَرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التباين: ١٧].

وقال الله جل جلاله: ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٣].
وقد علمنا رسول الله ﷺ دعاء يدعو به عند الكرب وفيه التهليل بأنه العظيم الحليم:

«لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب العرش الكريم»
رواه أحمد والبخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما.
وحفظ العيد من أسمائه «له مليم جل جلاله»: أن يزيه الله بالحلم وهو من محاسن الأخلاق.

وقالوا: إذا اتخذناه الرباً نحن كذا اتصف بالحلم في رئاسته، وكان مقبول القول، وإفرا الحمزة، ثابت الجنان، وقالوا من كبه على ورقة وفسلها ورثي زرعها بذلك الماء يقيه الله من كل آفة. والله اعلم (المقصود الأسمى: في شرح أسماء الله الحسنى لأبي حامد الغزالي - دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشت / ٩٤، وشرح أسماء الله الحسنى: وهو الكتاب المسمى «لرباع البينات شرح أسماء الله الحسنى والصفات للإمام فخر الدين الرازي - راجعه وقدم له وعلق عليه الأستاذ طه عبد الرؤوف سعد / ٢٤٩ - ٢٥١، والله الأسماء الحسنى فادعوه بها - جمع وترتيب أحمد عبد الجواد - قرأه فضيلة شيخ الأزهر، وشيخان علي خليل عبد الرحمن، ومحمد المؤدب محمود علي / ٩٢، ٩٣).

حليمة مئة:

قال يا قوت:

حليمة: بالفتح ثم الكسرة، قال العرواني: وهو موضع كانت فيه وقعة، ومته: ما يوم حليمة بسراً، وهذا غلط إنما حليمة اسم امرأة بنت الحارث الغساني نائب قصر يمشق، وهو يوم سار فيه المنذر بن المنذر برب العراق إلى الحارث الأخرج الغساني وهو الأكبر، وسار الحارث في عرب الشام فالتقوا بعين أبان، وهو من أشهر أيام العرب، فيقال: إن الفجار يوم حليمة سد عين الشمس فظهرت الكواكب المتباعدة من مطلع الشمس، وقيل: بل كان الضجاعة وهم عرب من قضاة عمالاً للروم بالشام، فلما خرجت غسان من مأرب، كما ذكرته في مأرب، نزلت الشام، وكانت الضجاعة يأخذون من كل رجل ديناراً، فأتى العامل جلعداً، وهو رجل من غسان، وطلبه بدينار فاستمهل فلم يفعل فقتله، فثارت الحرب بين غسان والضجاعة، فضررت العرب جلعداً مثلاً وقالوا: عذ من جلع ما أعطاك، وكان لريش غسان ابنة جميلة يقال لها حليمة فأعطاهم ثوباً فيه خنوق، وقال لها: خنقي به قومك، فلما خلعتهم تنرحوا وأجلوا الضجاعة وملكوها الشام، فقالوا: ما يوم حليمة بسراً، وقيل: إن يوم حليمة هو اليوم الذي قتل فيه الحارث ابن أبي شمر الغساني المنذر بن ماء السماء...

وقال النابتة:

تصغير من أرزسان يوم حليمة

إلى اليوم تصد جُسر من كل التجارب
(معجم البلدان ٢ / ٢٩٦، ٢٩٧).

● حليمة السعدية (- بعد ٨ هـ / - بعد ٦٣٠ م):

مريضة رسول الله ﷺ، جاءت مكة تسترضع أبناء سرائها، فأرضعها محمداً الصغير، فجلب لها السعد والفرج (الموسوعة الفارقة / ٤٠٩).

وخديث إرضاع السيدة حليمة رضي الله عنها للنبي ﷺ رواه عنها عبد الله بن جعفر، وأخبره ابن حبان في صحيحه، وصرح فيه بالتحديث بين عبد الله بن جعفر وحليمة. وحديث الرضاة حديث مشهور، ورواه أغلب كتب السنة منها أبو يعلى، وابن حبان في صحيحه.

قال السيد رفاة الطهطاوي يحكي قصة حليمة السعدية من نهايتها ثم يعود إلى بدايتها:

ثم أرضعت النبي ﷺ حليمة السعدية بنت أبي ذؤيب (تصغير فكب واسمه عبد الله بن الحارث) ومن سعادتها توفيقها للإسلام هي وزوجها الحارث بن عبد العزى بن رفاة السعدي وبناها: عبد الله، والشيماء، وأتيسه، وقد ألق الحافظ أبو سعيد علاء الدين بن مقلطاي في إسلامها جزءاً وسماه التحفة الجميمة في

تأكل يثديها « أي ولا تهتك نفسها ويثدي منها ما لا ينبغي أن يثدي وتغيب في الزهر أن المثل غير مسروق لذلك وكان عند بعضهم لا يأس به . فقد كانت وسيطة في بني سعد ، كريمة من كرائم قومها ، بدليل إيجاب الله تعالى إياها برضاع نبيه ﷺ ، كما اختار له أشرف البطون والأصلاّب ، والرضاع كالنسب ، ويحتمل أن تكون حليمة ونساء قومها طلين الرضاع اضطراباً للأزمة التي أصابهم ، والنسبة الشبهة التي أقحمتهم ، فلما تم له ﷺ عند حليمة ستان عادت به إلى أمه ، ثم فطمت .

قال بعضهم : وتجاوز الزيادة على الحولين والنسب عنهما . لكن قال الحنابلة في فتاويه : يستحب قطع الرضاعة عند الحولين إلا لحاجة ، وقال ابن كثير في تفسيره : ذكر أن الرضاعة بعد الحولين ربما ضرت الولد في بدنه وعقله . وما ينسب إلى حليمة مما كانت ترقص به النبي ﷺ :

يارب إذ أعطيت لبنه
ولاحض أباطيل العدا بطقه .

ويظهر أنه مفتعل وإن كان مما جهل به .

وروي أنه أرضع النبي ﷺ ثمان نسوة غير أمته : ثوية ، وحليمة ، وخولة بنت المشقر ، وأم أيمن ، (والمعروف أنها من الحواشي) وامرأة سعدية غير حليمة ، وثلاث نسوة اسم كل واحدة منهن عاتكة ، في قوله ﷺ يوم حنين « أنا ابن المروك من سليم » والمروك ثلاث نسوة كن أمهات النبي ﷺ (راء الطبراني وسيد بن منصور عن شيبة بن عاصم) .

إحسان : عاتكة بنت هلال ، وهي أم عبد مناف بن قصي .

والثانية : عاتكة بنت مرة بن هلال ، وهي أم هاشم بن عبد مناف .

والثالثة : عاتكة بنت الأفضى بن مرة بن هلال ، وهي أم وهب أبي أمية أم النبي ﷺ .

فالأولى من المروك حمة الثانية ، والثالثة حمة الثالثة ، وبنو سليم فتتخر بهذه الولادة ، ولم يرد ﷺ بقوله « أنا ابن المروك » كرجل الفخر ، وإنما أراد به تعريف منازل المذكورات وسراطين ، كرجل يقول : كان أبي فقها ، ولا يريد الفخر ، وإنما يريد به تعريف حالة دون ما عده ، وقد يكون أراد به التحدث بتمعة الله تعالى في نفسه وآبائه وأهل بيته على وجه الشكر ، وليس ذلك من الاستطالة والفخر في شيء . وسليمان فافترى أخرى منها : أنها ألفت معه يوم فتح مكة ، أي شهده منهم ألفت ، وأن رسول الله ﷺ قدم لرواهم يومئذ على الأكرمة ، وكان أحمر ، ومنها أن عمر كتب إلى أهل الكوفة واليمرة ومصر والشام أن يبعثوا إلى من كل بلد ألف رجل ، فيمت أهل الكوفة بخير من فرقة السلمي ، وبعث أهل البصرة مجلسين من مسعود السلمي ، وبعث أهل مصر ممن بن يزيد السلمي ، وبعث أهل الشام الأقرع السلمي .

إسلام السيدة حليمة « وقال في سيرته : وبقيت حليمة حتى قدمت على رسول الله ﷺ بمكة ، وقد تزوج خديجة فشكت إليه جذب البلاد وهلاك الماشية ، فكلّم لها خديجة فأعطتها أربعين شاة وبهيرا ، وانصرفت إلى أهلها وقدمت عليه أيضا في يوم حنين ، فقام لها وبسط لها رداءه ، فجلست عليه وقضى حاجتها ، فلما تروى ﷺ قدمت على أبي بكر الصديق فضع لها مثل ذلك ، ثم عمر ففعل ذلك . وأشد في آخر الجزء المذكور :

أضحت حليمة تزدحم بمفاسخ

ما نالها في صهرها نو شان

منها الكفالة والرضاع وصحبة

والغفابة القصوى : رضى المنان

ومضمون قصتها من اختصار : أنها قدمت مكة من البادية في سنة قحط شديدة لم تبق لهم شيئا صعبة عشر نسوة من قومها يلتصقن الرضاعة ، ومنها ابن لها رضيع مجهود ، وزوجها أبو أولادها الحارث ، وكلاهما من بني سعد بن بكر بن هوازن ، فلم يبق منهن امرأة إلا وقد عرض المبارك عليها فأتياه إذا قيل لها إنه يتيم ، ثم أخذته هي إذ لم تجد غيره ، فأرته مدرجا في ثوب صوف أبيض يفرح منه المسك ، وكان راقدا على قلبه فهابت أن توقظه ، فوضعت يدها على صدره فقبض ضاحكا ، وقبض عينه فقبلته وأعطته ثديها الأيمن فقبله ، وحولته إلى الأيسر فأبى ، لأن الله ألهمه العدل وأعلمه أن له شريكا من ابنها فترك له ثديها الأيسر ، وكانت هي وناتها في أشد الجوع والهزال وعدم اللبن ، فبمجرد أن وضعت في حجرها أقبل (أي ذو عليه) ثديها فزوى وروى أخوه ، ودرت ناتفتهم فاشتبهت بهم تلك الليلة لبنا ، فلما أصبحت وجدت أمه أمة وركبت أُناتها ، فلما خرجت مع قومها سبقت أُناتها الكل بعد أن كانت لا تنهض بها ، فأفكر صويحاتها أنها هي ، فلما علمتها قلن : إن لها شائنا عظيما ، ولما وصلوا منازلهم كانت أجلب أرض الله ، فكان غنم حليمة ترجع ملاكي ، يخلط غنمهم ، مع أنها كلها بمحل واحد ، فلله درهما من بركة كثرت بها مواشي حليمة ونمت وارتفع قدرها به وصمت ، ولم تزل حليمة تتصرف الخير والسعادة ، وتقوى بالحسن وزيادة ، وقيل :

لقد بلغت بساهاشعني حليمة

مقاسا حلا في ذروة العز والمجد

وزادت مساوشعها وأخصب ريعها

وقد سمع هذا السمع كل بني سعد

ولا يخفى أن قدم بناء بني سعد للرضاع إنما كان لطلب الأجر على الرضاع .

قال السهيلي رحمه الله تعالى : والتماس الأجر على الرضاع لم يكن محمودا عند أكثر العرب ، حتى جرى المثل « تجوع الحر ولا

وأنه لا يحصل إلا بأربعة أشياء : الصمت ، والاعتزال ، والجوع والسهر .

المؤلف : أبو عبد الله محمد بن علي الطائفي الأندلسي المشهور بالشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي المتوفى سنة ٦٣٨ هـ / ١٢٤٠ م .

أولها : الحمد لله على ما ألهم وأن علمنا ما لم نكن نعلم وكان فضل الله عليك عظيماً ، والصلوة والسلام على سيدنا محمد النبي الأكرم ...
آخرها أبيات أخرى :

ما بين صمت واعتزال زل دائم

والجوع والسهر للكتب العال
والله يوفقنا وإياكم لاستعمال هذه الأركان وينزلنا وإياكم منازل الإحسان .

الخط نسخ واضح ، الحبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر .

نسخة ثانية :

الرقم : ٥٥٢٤ .

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخي واضح ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

نسخة ثالثة :

الرقم ٧٦٢١ .

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط فارسي جميل دقيق ، الحبر أسود ، وبعض كلماته بالأحمر .

نسخة رابعة :

الرقم ٩٢٠٥ .

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخ متعاد ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

اسم التأنيخ : محب الله محمد .

تاريخ النسخ : سنة ٩٥٣ هـ .

نسخة خامسة :

الرقم ٥٨٨٠ .

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخ متعاد ، الحبر أسود .

ملاحظات : نسخة مراجعة ملحق عليها كالشرح عليها تملك باسم عبد السلام الشطري تاريخه سنة ١٢٨٠ هـ وجاء في آخرها : تمت الكراسة بمجموعة مطبوعة من بلاد الروم في التاسع من ربيع الآخر سنة اثنين وستمئة .

نسخة سادسة :

الرقم ١٢٣٠ .

وسبب دفع أم إياه لمن ترضعه أن هذا كان عادة قريش وأشرف العرب في أولادهم ، ولو كانت الأم حية ولها لبن ، لأن نساءهم كن يربن إرضاع أولادهن عارا عليهن ، وأيضا إذا نشأ الرضيع غريبا كان أنجب له ، مع ما يضاف إلى ذلك من تفرغ النساء للأزواج ، وإن كان هذا متفيا هنا ، لأن أباه ﷺ توفي وهو حمل على الصحيح .
والأولى في التعليل أن نشأ غريبا ، على أن هذه العادة عادة أشرف الدنيا قديما وحديثا ، لا سيما بالأقطار الحجازية بالنسبة للمواضر ، فإنهم يبعثون بأبنائهم إلى البلاد للترية بها مع ما ينقسم إلى ذلك من خاصية فصاحة العربية المعروفة بالبادية القليلة المخالطة بما يقصد اللغات ، فهذه هي حالته .

(تهية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز ﷺ للسيد رفاعه رافع الطوطي) - حققه وعلق عليه الأستاذان عبد الرحمن حسن محمود وفاروق حاصر بدر ١/ ٣٣-٣٧ ، انظر أيضا والأحلام للزركلي ٢/ ٢٧١) .

• التعليق (٤٠٣-٤٠٤ هـ / ١٠١٢-٩٥٠ م) :

الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الجرجاني ، أبو عبد الله ، فقيه شافعي ، قاضي . كان رئيس أهل الحديث في ما وراء النهر . مولده بجرجان ووفاته في بخارى . له « الصهاج » في شعب الإيمان ، ثلاثة أجزاء قال الأسنوي : جمع فيه أحكاما كثيرة ومعاني غريبة لم أعرف بكثير منها في غيره .
(الأحلام للزركلي ٢/ ٢٣٥) .

• حلية الأدب وحلية ذوي الألباب :

من مخطوطات الأدب في دار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم ٥٠٧٨ .

وفي مجموعة موشحات وقصائد ومقطوعات لشعره من المعصور العباسية ومن المعصور التالية المتأخرة والمعاصرين للمؤلف .

اختارها : إبراهيم بن أحمد بن محمد الشافعي العباسي المعروف بابن الملا المتوفى سنة ١٠٣٢ هـ / ١٦٢٣ م .

(٨٥-٧٨) ق ٢١ ص ١٣ × ٢٠ سم

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية - الأدب - وصفه رعايا عبد الحميد مراد ويسين محمد السولي ١/ ١٨٧) .

• حلية الأبدال وما يظهر عنها من المعارف والأحوال ،

من مصنفات التراث الإسلامي في التصوف .

مخطوط في دار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم : ٦٨٢٤ .

- رسالة ألفت سنة ٥٩٩ هـ بالطائف حال زيارة مؤلفها مقام عبد الله بن عباس ابن عم النبي ﷺ وتكلم فيها عن مقام الأبدال

• حلية الأبرار وشعار الأخيار في تلخيص الدعوات والأذكار :

حلية الأبرار وشعار الأخيار في تلخيص الدعوات والأذكار في الحديث للإمام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف بن مري السبكي الشافعي المتوفى سنة ٦٧٦ ست وتسعين (وسبعين) وستمئة وهو كتاب مفيد مشهور بأفكار النووي في مجلد مشتمل على ثلثمائه وست وخمسين بابا ابتداء فيه بالذكر ثم ذكر الأمور الإنسانية من أول الاستيقاظ من النوم إلى نومه في الليل ويعبر عن ذلك بينهم بعمل اليوم واليلة ثم ختم بباب الاستغفار. وشرحه الشيخ محمد بن علي بن محمد بن علان المكي الشافعي المتوفى سنة ١٠٥٠ خمسين وألف (١٠٥٧) وسماه الفوتوحات الربانية على الأذكار النبوية . وكان الشيخ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي لخصه في كرامتين وسماه أذكار الأذكار ثم شرح هذا الملخص . وللجلال المذكور تأليف آخر فيه سمه تحفة الأبرار بنكت الأذكار . وللشيخ شهاب الدين أحمد بن الحسين الرملي الشافعي المتوفى سنة ٨٤٤ أربع وأربعين وثمانمائة (٨٢٤) مختصر الأذكار . وبعض الأحكام ترجمته بالفارسية فرغ عنها سنة ٧٧٦ ست وسبعين وسبعمئة . وعليه نكت للشيخ شمس الدين محمد ابن طولون الدمشقي سماها إتحاف الأخيار في نكت الأذكار تعليقاً بالقرول أولها الحمد لله الذي ملأ قلوب أحيائه بالألأوار ... إلخ .

(كشف الظنون لحاجي خليفة ١ / ٦٨٨ ، ٦٨٩) .

• حلية الأبرار وما يظهر منها من المعارف والأحوال :

انظر : حلية الأبدان وما يظهر عنها من المعارف والأحوال .

• حلية الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي :

من مصنفات التراث الإسلامي في الأدب .

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم ٣٧٩٥ مجاميع ٥٩ .

جمع الحافظ تقي الدين أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري المعروف بابن الصلاح المتوفى سنة ٦٤٣ هـ / ١٢٤٥ م أوله : « الحمد لله رب العالمين حق حمده ، والصلاة على خير خلقه محمد وآله والتسليم وآل كل والسلام على غاية النزل ونهاية المأمول ...

سأل بعض ملوك الشام عن حلية الإمام الشافعي رضي الله عنه فلم يكون (٤) يبلده من يرقوم بها ، فورد حلب ، وأباهوا بعض أصحابه فسألني بيتها وما هو ذا بالغا إن شاء الله تعالى مبلغاً لم يطريه مؤلف ولا انتظمه مصنف ... » .

آخره : « ... وهذا الذي نقله هذا الرجل وإن لم يقع المشور على ما يدعيه فلا أقبل عهده من أجل أنني رأيت له في تصانيفه من كثرة الخلط وعظم الخطأ ما يكل البقية بما ينزده . والله الكريم أسأل توفيقاً زائلاً عن بيتات الطريق وحسبنا الله ربنا ونعم الوكيل » .

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخ مقروء ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

نسخة سابقة : الرقم ٤١٣٤ .

أولها وآخرها : كالسابقة .

اسم الناسخ : مصطفى بن إبراهيم الدمشقي .

نسخة ثامنة :

الرقم : ١٣٢٤ . تصوف ١٦ .

أولها وآخرها : كالسابقة .

نسخة مراجعة من وقف سليمان باشا المظلم محافظ سورية تاريخها سنة ١١٥٠ هـ .

نسخة تاسعة :

الرقم : ١١٣٩٢ .

أولها وآخرها : كالسابقة .

نسخة عاشرة :

الرقم : ٣٦٢٤ .

وهي في ورقة واحدة ، وهي الورقة الأولى من الكتاب .

مصدرها : وقف عبد الله الكزبري .

مصادر من الكتاب : عقود الجواهر ٣٢ ، فهرس الخبيرة

١٦/٧

مصادر عن المؤلف : الأعلام ٧ / ١٧٠ ، معجم المؤلفين

٤٠ / ١١

طبعات الرسالة : ١ - طبع بمطبعة الاعتدال بدمشق

٢ - ضمن مجموعة الرسائل بختيار آباد سنة ١٣٦٧ هـ .

٣ - صورت حديثاً في بيروت .

يقول واضع الفهرس الأستاذ محمد رياض المالح : بعض نسخ الرسالة : الأستاذ محمد مطيع الحافظ بدمشق ، الأوقاف ينفاد ٢٩٦ ونسخة نسخة يدي عن نسخة كانت لدى أستاذنا المرحوم محمد سعيد البرهاني .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف - وضع محمد وياض المالح ١ / ٤٧٥ - ٤٧٩) .

قالت المؤلفة : أوردها صاحب كشف الظنون تحت عنوان

حلية الأبرار وما يظهر منها من المعارف والأحوال ، فقال :

حلية الأبرار وما يظهر منها من المعارف والأحوال :

للشيخ محيي الدين محمد بن علي بن عري وهو رسالة أولها الحمد لله على ما ألهم ... إلخ ذكر أنه كتبه سنة ٥٩٩ تسعين وخمسمائة بالطائف لصاحبه أبي محمد عبد الله الحبشي ومحمد ابن خالد الصديقي ليعتقها به .

(كشف الظنون لحاجي خليفة ١ / ٦٨٨) .

وربما بن أبي عبد الرحمن أبو عثمان حدثنا محمد بن أحمد ...
آخره : حدثنا سليمان بن أحمد ... عن خالد بن دربل عن ابن
محيرز قال قلت لأبي جعفر ...

الخط نسخ معتاد ، الحبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر .
ملاحظات : نسخة قيمة عليها سماعات معارضة ومصححة
فيها سماع على الحافظ شمس الدين أبي الهججاج يوسف بن خليل
ابن عبد الله الدمشقي تاريخه سنة ٦١٩ هـ وعليها خط يوسف بن
عبد الهادي .

الجزء الثالث :

الرقم : ١٤٣٣ . تصوف ١١٥ .

أيضا يبدأ بترجمة عمرو بن قيس الملائي وينتهي بترجمة زياد
ابن عبد الله النميري .

فاتحة المخطوط : حدثنا محمد بن حبان ... عن عمرو بن
قيس الملائي قال : من احتكر عامسا عشرين ليلة ثم تصدق به لم
يكن كفارة له ...

خاتمة المخطوط : حدثنا أبو عمرو بن حمدان ... زياد بن
عبد الله النميري عن أبي بن مالك قال كان رسول الله ﷺ إذا دخل
رجب ...

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .
ملاحظات : نسخة قيمة عليها سماعات وتملكات أقدمها سنة
٧٦٩ هـ وعليها خط يوسف بن عبد الهادي .

الجزء الخامس :

الرقم : ١٤٤٣ . تصوف ١١٦ .

يشدء بترجمة هشام بن حسان وينتهي بترجمة الفضيل بن
عياض .

فاتحة المخطوط : ومنهم المترقب ذو الأحران المتقيظ ذو
الأشجان هشام بن حسان .

خاتمة المخطوط : حدثنا أبو محمد قال حدثنا أحمد ... قال
سمعت الفضيل بن عياض يقول : إذا أراد الله أن يخلق العبد سلط
عليه من يظلمه ...

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .
ملاحظات : نسخة قيمة عليها سماعات وتملكات أقدمها سنة
٨١٦ هـ . وفيها بتر ٢١٩ أكمل بخط حديث وعليها خط يوسف
ابن عبد الهادي .

الجزء الحادي عشر :

الرقم : ١٤٣٥ . تصوف ١١٧ .

يشدء بترجمة أبي عثمان سعد بن العباس الرازي وينتهي
بنهاية الكتاب .

خط النسخة واضح جميل مشكول .

(١١٤ - ١١٩) ق ١٥ ص ١٣ × ١٨ سم
(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . الأدب - وضعه رياض
عبد الحميد مراد وياسين محمد السواس ١/ ١٨٨) .

• حلية الأولياء وطبقات الأصفياء :

قال صاحب كشف الظنون وقد أدرج الكتاب تحت عنوان :
« حلية الأولياء في الحديث » : للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله
الأصبهاني المتوفى سنة ٤٣٠ ثلاثين وأربعمائة مجلد ضخيم .

أوله : الحمد لله محدث الأكوان ... إلخ وهو كتاب حسن
معتبر يتضمن أسامي جماعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من
الأئمة الأعلام المحققين والمتصوفين والنسك وبعض أعاينهم
وكلامهم وصدر ذكر الخلفاء إلى تمام العشرة في الترتيب ثم جعل
من سواهم إرسالا ثلاثا يستفاد منه تقديم فرد على فرد لكنه أطلق فيه
بالأسانيد وتكرير كثير من الحكايات وأمر آخر منافية لموضوعه .
ولذلك اختصره الشيخ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي
اختصارا حسنا وسماه صفوة الصفوة وانتقد عليه بمشرة أشياء فأرجز
في الاختصار بحيث لم يبق منه إلا رسومه . ثم إن صاحب مجمع
الأنباء محمد بن الحسن الحسيني سلك في اختصاره مسلكا
وسطا مع زيادة تراجم أئمة (كشف ١/ ٦٨٩) .

قالت المؤلفة : كتاب صفوة الصفوة الذي ذكره حاجي خليفة
أعلام طبعته دار الكتب العلمية ببغروت الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ -
١٩٨٩ م ، تحت عنوان « صفوة الصفوة » ، وهي النسخة التي
هتدي ، ضبطها وكتبها هاشم إبراهيم ورضان وسعيد اللحام ،
وهي من أربعة أجزاء في مجلدتين .

ويوجد مخطوط بدار الكتب الظاهرية (أو بمكتبة الأسد) وجاء
بيانه كما يلي :

الرقم : ١٤٣٢ . تصوف ١١٤ .

كتاب كبير وهو أكبر موسوعة في تاريخ نساك هذه الأمة يحوى
زهده / ٨٠٠ / ترجمة في أربعة آلاف صفحة قال الحافظ السلفي :
لم يصف مثل كتاب حلية الأولياء .

المؤلف : أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني المتوفى سنة
٤٣٠ هـ / ١٠٣٨ م .

أوله : الحمد لله محدث الأكوان والأعيان ومبدع الأركان
والأزمان ...

... توجد أجزاء متفرقة منه .

الجزء الثالث من الكتاب يبتدئ بترجمة ربيعة بن عبد الرحمن
وينتهي بترجمة عبد الله بن محيرز .

أوله : ومنهم صاحب المعارف والبيان ، والمخاوف والقربان

- فاتحة المخطوط : ومنهم الواصل بالوصول ، الناطق بالاصول ،
الناظر للفصول ... ذو اللسان الشافي ، والكلام الكافي .
- خاتمة المخطوط : ختم التحقيق بطريفة المتصوفة بأبي
الحسن علي بن ماشاذ لما أولاه الله تعالى من فنون العلم والسجدة
والفترة وسلوكه مسلك الأوائل ...
- الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود .
- ملاحظات : نسخة قيمة عليها جرس من قبل عبد الحمى
الحسامي على المسلمين بمدروسة التي في جبل قاسيون تاريخ
التحجيس فرة جمادى الآخرة سنة ٦٢١ هـ .
- السفر الثاني :
- الرقم ١٤٦٣ . تصوف ١١٨ .
- ويتضمن الجزء الثامن يتبدي بكلام ، ثم ترجمة أبي سلمة
مسمر بن كدام ويتبدي بترجمة وهيب بن الورد .
- فاتحة المخطوط : حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن ... عن
حنظلة بن سويد العتيبي ... قال فجاء برأس عمار قال : فجعل
رجلان يختصمان في رأس عمار ...
- خاتمة المخطوط : أدرك وهيب بن الورد من التابعين جماعة
لمن روى عنهم ...
- الخط نسخ معتاد . الحبر أسود .
- ملاحظات : نسخة قيمة أكلت الرطوبة بعض أطراف الورقة
الأخيرة وهي تالفة وهي من وقف محفوظ بن محتوف بن أبي بكر بن
عمر المروزي البغدادي على مدفنه الكائن قرب مسجد ابن مبرلة
وتاريخ التحجيس سنة ٦٩٤ هـ وعليها تملكات وهي من وقف
العمرية .
- الجزء السابع :
- الرقم ٤٥٧٧
- ويتبدي بذكر الصوفية منهم أسماء بن حارثة والأخر المزني ،
ويتبدي بترجمة أبي إياس معاوية بن قرة .
- فاتحة المخطوط : حدثنا محمد بن جعفر ... عن أوس بن
حذيفة .
- قال قدمنا وقد تقف على رسول الله ﷺ فنزل الأخلاقيون على
المغيرة بن شعبة ...
- خاتمة المخطوط : حدثنا أحمد بن إسحاق يستنه عن معاوية
ابن قرة قال : مكتوب في الحكمة لا تجالس بملكك السفهاء ولا
تجالس بسفوك العلماء ...
- الخط نسخ على القاعدة المغربية ، الحبر أسود .
- ملاحظات : نسخة قيمة تليمة الورقة الأخيرة بها خرم طمس
بعض كلامها وهي من وقف العمرية .
- الجزء الثالث :
- الرقم ٤٥٨٠
- يتبدي بترجمة عبادة بن قرص وقيل ابن قرط ويتبدي بترجمة
أبي يحيى مالك بن دينار .
- فاتحة المخطوط : حدثنا محمد بن إسحاق ... قال : قال
عبادة بن قرص : إنكم لتعملون أعمالا هي أدق من الشعر في
أعينكم ...
- خاتمة المخطوط : أبو يحيى مالك بن دينار ، كان لشهوات
الدنيا تاركا ، ولغنى عند غلبتها مالكا وقيل : إن التصوف تدلل
واقفا وتذلل واقتارا ...
- الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود .
- ملاحظات : الورقة الأخيرة بها آثار رطوبة طمست بعض
كلماتها .
- الجزء الثاني :
- الرقم ٧٦٣٧ .
- يتبدي بترجمة عبد الله بن عباس ويتبدي بترجمته .
- فاتحة المخطوط : ومنهم اللحن المعلم ، واللفظ المفهم ،
فخر الفخار ، ويدر الأخبار ... مكرم الجلال ، ومعلم الأناس
عبد الله بن عباس ... وقد قيل إن التصوف المناهضة في نفاس
الأخلاق .
- خاتمة المخطوط : قد روى المجلى ... أنهم على قراءته .
- الخط نسخ مغربي معجم الخط ، الحبر أسود .
- ملاحظات : نسخة مراجعة ومفروضة .
- قطعة من مجلد :
- الرقم : ٣٤٣٦ . تاريخ ٧١ .
- يتبدي بترجمة السيدة فاطمة بنت النبي ﷺ وتتبدي بترجمة
ريمية بن أبي عبد الرحمن وهي تلي ترجمة أبي حازم سلمة بن
دينار .
- فاتحة المخطوط : ومن ناسكات الأصفياء وطائفات الأتقياء
فاطمة السيدة البتول ...
- خاتمة المخطوط : حدثنا أس بن عباس أن ربيعة بن أبي
عبد الرحمن وقف على قوم وهم يتكلمون شأن القدر فقال لئن كنتم
صادقين ...
- الخط نسخ معتاد ، الحبر : أسود ويضفي كلماته بالأحمر .
- ملاحظات : نسخة قيمة تحسب سعاد الدين أحمد بن
اليماسي وعليه خط يوسف بن عبد الهادي وهي من وقف العمرية .
- مصادر عن المؤلف : الأعلام ١ / ١٥٠ .
- طبعة الكتاب : طبع بمصر بمشرعة مجلدات بمطبعة السعادة
سنة ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م .

(كشف القرون لحاجي خليفة ١ / ٦٨٩ ، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية - التصوف - وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٨١ - ٤٨٧) .

• حلية الأولياء في طبقاتهم :

الإبراهيم بن بشار ، والمشيخ جلال الدين السيوطي (كشف ١ / ٦٩٠)

• حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر :

من مصادر التعرف على المخطوطات للطيار ، عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني دمشقي (١٢٥٠ - ١٣٣٥ هـ) ولد بمحلة الميدان بن دمشق الشام سنة ألف ومائتين وثلاث وخمسين وتعلم القراءة والكتابة ثم حفظ القرآن وجوده على الشيخ أحمد الحلواني شيخ قراء الشام وحفظ المتن في مبادئ العلوم على والده الشيخ حسن وكان يحضر دروسه الخاصة والعامه وعندما توفي والده في أول رمضان سنة ١٢٧٢ هـ فقرأ المذهب الحنفي على شقيقه الأكبر الشيخ محمد ثم أخذ يتوسع في المعقول والمنقول وأخذ عن الشيخ محمد الطنطاوي الميقات والفلك والحساب وقرأ الفتوحات المكية على الأمير عبد القادر الجزائري . وكان الشيخ عبد الرزاق عالماً بالدين ، ضليماً في الأدب والتاريخ وعارفاً بالموسيقى وكان حسن الصوت وكان من دعاة الإصلاح في الإسلام ، سلفاً المقيدة طيب النفس وقورا حسن المعافاة ، من تصانيفه التي تبلغ بضعة عشر كتابا بعضها ديني وأكثرها أدبي وأكبرها هو تاريخ رجال القرن الثالث عشر .

وذكر فيه المشاهير وطبرهم ويقع في ثلاثة مجلدات ويبلغ نحو ١٨٠٠ صفحة .

ألفه في عهد شبابه وكونه وشيخوخته ترجم فيه أيضا لطائفة من رجال القرن الرابع عشر الهجري وهم أحياء - كما أنه أوح الكثير ممن ليس لهم آثار مثل بعض أهل الطرق المعروفة فجاري ما يحكيه العصر الأول الذي نشأ فيه فقد سبقه إلى مثله المؤرخون كالأمين المحيي في خلاصة الآثار والمرادي في سلك الدور في الأول ترجمه في الخلاصة لأدم الرومي وفي السلك للإبراهيم الخلوئي . ونجد في حلية البشر فوائد قد لا نجدها في غيره ، فتمكن المؤلف من جمع ما وصل إليه من التراجم وطوى ذكر من لم يكن يعلم عنه شيئا وأورد كثيرا من القضايا والمسائل مما هو فيها ناقل غير قائل فمتها ليس الخوقة وهو شعار صوفي .

وتحوى حلية البشر على حوالي ألف ترجمة مختلفة الطول .

وهذه التراجم مرتبة حسب الأسماء وفي آخر كل جزء من الأجزاء الثلاثة قائمة بأسماء المترجمين لهم مع تاريخ وفاة كل منهم كما أشار عبد الجبار عبد الرحمن .

وطبع سنة ١٣٨٠ هـ - ١٣٨٢ هـ ، ١٩٦١ - ١٩٦٣ م تحقيق وتعليق وتنسيق حفيد المؤلف محمد بهجت البيطار - دمشق . وقد أشار الدكتور صلاح الدين المنجد على أنه طبع الطبعة الأولى وصدر منها ثلاثة أجزاء تقع في ١٦٨٣ صفحة ، المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٦٢ - ١٩٦٣ م .

(المخطوطات العربية - عزت ياسين أبو هبة / ١١٦ - ١١٨) .

• حلية الذهب للإبريز في رحلة بعلي بك والباق العزير :

من مصنفات التراث الإسلامي في التصوف . مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) . الرقم ٧٩١٠ .

- رحلة للمؤلف زار فيها سنة ١١٠٠ هـ الباق بعلي بك ويصف فيها أضرحة الصالحين والصوفية وبعض العلماء وغير ذلك .

المؤلف : أبو الفيض عبد الغني بن إسماعيل الدمشقي الصالح القادري الحنفي الششبندي المتوفى سنة ١١٤٣ هـ / ١٧٣١ م .

أوله : الحمد لله الذي أقر قدر الباق ، بما أودع فيها من أهل الإنقاء والأزفان ، ورفع بجناحه العزيز كل من انخفض لجباله ، ودخل منه في حيز حريز ...
آخره قصيدة مطلعها :

بالباق الهنا

ولله أنجز

وصفنا وقتنا

رق ختمنا ومبنا

آخرها :

تغنى المشوق من

ألم المشوق من

وتلا من نظما

بالباق الهنا

المخط نسخي واضح ، الحبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر مجدولة بالأحمر .

اسم الناشر : أحمد بن عبد اللطيف الشرباتي .

تاريخ النسخ : الأحد ١٨ صفر سنة ١١٠١ هـ .

ملاحظات : نسخة قيمة مراجعة ومعلق على بعضها كتبت في حياة المؤلف وعليها خط تلميذه إبراهيم الدكلكجي ذكر أنه قابلهما وراجعهما على الأصل .

نسخة ثانية :

الرقم : ٨٣٦٦ .

أولها وآخرها : كالسابقة .

المخط نسخ معتاد ، الحبر : أسود .

أربعة آلاف متر، وبها جامع ، وأكثر زرعها الرز (الخطوط ١٠ / ١٧٠).

أما عن موقعة حماد بين المصريين والإنكليز فإنه :

بعد الهزيمة التي منى بها الإنكليز في معركة الرشيد ، أرسل (فريرز) حملة جديدة لاحتلال الرشيد . فربطت بعض وحدات الحملة على موقع الحماد ، لمنع التجذات عن المدينة ، بينما حاصر قسم آخر المدينة نفسها ، ولما وصلت التجذات التي أرسلها وإلى مصر محمد على بقيادة (طبرز أرغلي) لدعم إنشاء المنطقة في التصدي للحملة الإنكليزية ، اصطدمت القوات المصرية بالقوة الإنكليزية السراطة في الحماد . وجرت معركة شديدة أدت لمقتل معظم الإنكليز ، وحاول الباقي التراجع ، ولكن القوات المصرية كانت لهم بالمرصاد واستغادت من خيبتها بالمنطقة ، فلم ينج أحد من أفراد الحملة المرابطين هناك ، بل قُتِلَ عليهم بين قتيل وأسير ، ونقل هؤلاء إلى القاهرة . بينما أدت أخبار الهزيمة التي وصلت إلى الرشيد ، لرفع القنات (سترات) الحصار عن المدينة والانسحاب بقواته إلى الإسكندرية ، ليعلم (فريرز) بشله ثانية أمام المقاومة الوطنية . وكانت معركة الحماد هزيمة ساحقة للإنكليز . (معجم المعارك الحرة ١٢٩ ، ١٣٠) .

(الخطط الترفيقية الجديدة لملى باشا مبارك - إصدار عزت عبد المجيد الشلقامي ١٠ / ١٧٠ ، ومعجم المعارك الحرة - ماجد الحام / ١٢٩ ، ١٣٠) .

• حماد بن زيد (٩٨-١٧٩ هـ ٧١٧-٧٩٥ م) :

حماد بن زيد بن درهم الأزدي الجهمي ، مسؤولهم ، البصري ، أبو إسماعيل ، شيخ العراق في عصره ، من حفاظ الحديث للمجودين . ، يعرف بالأزرق . أصله من سى سيجستان ، مولده ووفاته في البصرة . يحفظ أربعة آلاف حديث . خرج حديثه الأئمة السنة (الأعلام ٢ / ٢٧١) .

قال عنه الإمام النووي : حماد : مذكور في المذهب في باب الأئمة أئمة حماد بن زيد ، وهو الإمام البارح المجمع على جلالته أبو إسماعيل حماد بن زيد بن درهم الأزدي الجهمي البصري مولى آل جرير بن حازم سمع ثانياً الباني ومحمد بن سيرين وصعق ابن دينار وخلقاً من التابعين وغيرهم . روى عنه جماعات من أعلام الأئمة منهم الشوري وابن عيينة وابن المبارك وابن مهدي ويحيى القطان ووكيع يزيد بن هارون وخلائق .

روينا عن عبد الرحمن بن مهدي قال : أئمة الناس في زمانهم أربعة : الشوري بالكوفة ، ومالك بالجاز ، والأوزاعي بالشام ، وحماد بن زيد بالبصرة . وقال عبد الله بن الحسن : إنما هما الحمادان فإذا ظلمت العلم فاطلبوه من الحمادين يعني ابن زيد وابن سلمة . وقال يحيى بن معين : ليس أحد أفن من حماد بن زيد .

اسم الناسخ : محمد أبيب بن حسي بن محمد أبيب .

تاريخ النسخ : السبت ٣ شوال سنة ١٢٧٧ هـ .

مصادر عن الكتاب : إيفاض المكتون ١ / ٤٢٠ ، عقود الجواهر ٦٠ .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٥ / ٢٧١ ، ابن شاشو ص ٦٧ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، التصوف - وضع محمد رياض المانع ١ / ٤٧٩-٤٨١) .

• حلية الصفات في الأسماء والصناعات :

حلية الصفات في الأسماء والصناعات : لجمال الدين يوسف ابن تغري بردي المؤرخ المتوفى سنة خمس عشرة وثمانمائة جمع فيه أشعاراً على ترتيب الحروف فكتب ما يتعلق بطول الليل في حرف الطاء مثلاً .

(كشف الظنون ١ / ٦٩٠) .

• حلية العقود في الفرق بين المقصور والممدود :

حلية العقود في الفرق بين المقصور والممدود : للشيخ كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأتباري النحوي المتوفى سنة ٥٧٧ سيع وسبعين وخمسمائة وهو مختصر أوله الحمد لله ذي العز الأظهر (كشف ١ / ٦٩٠) .

• حلية العلماء في مذاهب الفقهاء :

حلية العلماء في مذاهب الفقهاء : للشيخ الإمام أبي بكر محمد بن أحمد بن الفضال الشاشي الشافعي (المعروف بالمستظفري) المتوفى سنة ٥١٧ سيع وخمسمائة وهو كتاب كبير صنف للخليفة المستظهر بالله العباسي ووافق ما فعله وعدل عن المجمع عليه ولذلك بلقب هذا الكتاب بالمستظفري وذكر في كل مسألة الاختلاف الواقع بين الأئمة صنف المعتمد وهو كالشرح للمستظفري (كشف ١ / ٦٩٠) .

• حلية الفضل وزينة الكرم في المفارقة بين السيف والقلم :

حلية الفضل وزينة الكرم في المفارقة بين السيف والقلم : رسالة أنشأها الفقيه شمس الدين المقر الزيني ابن يزيد الدوادار الظاهري في الإنشاء والأدب منها نسخة خطية في دار الكتب المصرية .

(دراسات في التراث الجغرافي العربي - د. صباح محمود محمد / ١٥) .

• البحاد (ليريل ١٨٠٧ م) :

قال عنها علي مبارك : الحماد بتشديد الميم قرية صغيرة من ملحورية البحيرة يقسم دفيئة غربي فرع رشيد بنحو تسعمائة متر وفي جنوب الدمال المتصلة برشيد من جهة قبلي ، وفي شمال ناحية الشمامسة بنحو ألف وتسعمائة متر وفي جنوب ناحية الجبلية بنحو

ثورين وثمن فول وثبن . ورتب هناك جربة ثلاثين رغيفا كل يوم ، زنة الرغيف أربعة أواق ، وجعل على سبيل باب الخرق مكتبا يصرف لمن به من الأيام والمؤبد عشرون رغيفا ، وللمزملائي ثمانية أرغفة كل يوم ، ويصرف لهم كسوة كل سنة قميص خام ولقافة ، ولكل واحد أربعون نصفاً ، وللغني كسوة وثمانون نصفاً غير أجرة الخياطة ، وثمن حصر وسلب وسفنج وغيره ، ورتب لسبيل حارة اليهود ثلاثمائة نصف ، وثمن بقرة تذبح وتفرق على الأيتام والخدمة بالسليان ، ولعشرة يقرؤون ختمه كاملة كل يوم خمسة عشر نصفاً ، وللداوي زيادة خمسة أنصاف ، ولخادم الربة منهم خمسة أنصاف ، ولأثنين يقرأن على قبره عشرون نصفاً في الشهر ، ولثلاثة يقرؤون بمنزله ثلاثون في الشهر .

(الخطب التوفيقية الجديدة على باشا مبارك ٤ / ٢٠٤ ، ٢٠٥ .)

• ابن حمادة (٥٢٠-٨٧١ هـ) :

ذكره الشيخ نجم الدين الغزي في الطبقة الثانية من العادة العاشرة وقال عنه :

أحمد بن محمد بن حمادة : أحمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن أحمد الشيخ الإمام العلامة الورع الشيخ شهاب الدين بن الشيخ شمس الدين بن القاضي .

جمال الدين الأنطاكي الحلبي المعنوي المعروف بابن حمادة ، ولد بأنطاكية سنة إحدى وسبعين بتقديم السين وثمانمئة ونشأ بها وحفظ القرآن العظيم وتخرج في صنعة التوقيع بجلده وأخذ النحو والصرف عن الشيخ هلاء الدين العدمي الأنطاكي والمنطق والكلام والأصول على الشيخ المعمر الصالح الفاضل محيي الدين بن محمد بن صالح بن لحام عرف بابن عرب الأنطاكي الحنفي تلميذ قاضي زاده الرومي ثم قدم حلب ولزم فيها البدر السيوفي واشتغل بالقرآن على الشيخ محمد الدايخي وتعاطى صنعة الشهادة ثم صار مدرسا في توسعة جامع الصوري بحلب وحج وأجاز له بمكة المحدث عبد العزيز بن المحافظ نجم الدين بن فهد وبالقاهرة قاضي القضاة زكريا والشيخ العلامة شهاب الدين القسطلاني ولم يزل مكيّا على التدريس والتحديث والتكلم على الأحاديث النبوية بالعربي والتركي بالجامع المذكور وعرض عليه تدريس السلطانية بحلب فأعرض عنه لخلّاعه على ما كتب على بابها من لشراط كون مدرسا شافعيّا وولى خطابة الجامع المذكور ثم أعرض عنها لخطابة الجامع الكبير بإمام قاضي حلب المولى محيي الدين بن قطب الدين ثم لما ولي المذكور قضاء السبك الأنطاكية ضم له مع الخطابة تدريس الحلاوية والإفتاء بحلب ثم حج ثانيا سنة تسع وأربعين وتسمّته فصحرك عليه وجع النقرس وهو بدمشق وكان يحترمه أحيانا واستمر حتى دخل المدينة فخفف عنه ثم توفي آخر ما

منه .

وقال يحيى بن يحيى : ما رأيت أحدا من الشيخ أحفظ من حماد ابن زيد وقال ابن مهدي : ما رأيت أحلم من حماد بن زيد . وقال حماد : جالست أئوب عشرين سنة .

ولد حماد سنة ثمان وتسعين ، وتوفي في شهر رمضان سنة تسع وسبعين ومائة بالبصرة . وقد ذكر ابن أبي حاتم جملة صلحة من مناقبه رضي الله عنه (تهذيب الأسماء واللغات ١ / ١٦٧ ، ١٦٨) .

وقد ذكره صاحب الرسالة المستطرفة عند الكلام على أحاديث شيخه مخصوصين من المكثرين فقال : وقد قال عثمان بن سعيد الدارمي : يقال من لم يجمع حديث هؤلاء الخمسة فهو مفلس في الحديث : الثوري ، وشعبة ، ومالك ، وحماد بن زيد ، وابن عيينة ومنهم أصول الدين (الرسالة المستطرفة / ٨٢) .

(الأحلام للزكائي ٢ / ٢٧١ ، وتهذيب الأسماء واللغات للإمام محيي الدين بن شرف النووي ١ / ١٦٨ ، والرسالة المستطرفة للإمام السيد محمد بن جعفر الكتاني / ٨٢) .

• حماد (جامع .) :

هو بشايع جباب اللوق تجاه ميدان سراي عابدين . يصعد إليه بدير ، ومظهره بالأرض من الجهة الأخرى ، وله منر وخطبة ومنارة وشعائر مقامه ، وقد وجد في حجة باسم الأمير رجب أبا ابن الأمير إبراهيم أغا أخا طائفة التشكية وتكخدا الجارضية : أن جامع حماد بخط درب الفواخير كان قد تخرّب ، فجدده ذلك الأمير وعمر بجانبه أسكن ، ووقف أوقافا عليه وعلى غيره ، فمن وقفه عليه الرقة التي بناحية حفنة بولاية الشرقية ، غراجه في السنة أربعمئة وسبعة وستون نصفاً ، ووقف له من يقيم شعائره ومن لهم العمريّات ، فجعل للإمام أربعين نصفاً ، وللخطيب خمسة وعشرين ، وللمرقي عشرة ، ولأثنين مؤذنين ستين نصفاً ، وللمفراش خمسة عشر ، وللمواد كذلك وللبواب كذلك وللملا كذلك ، ولثمن الزيت أربعين نصفاً كل شهر ، وتوسعة كل سنة للإمام ثلاثين ، وللمؤذنين أربعين ، وللمواد ثلاثين ، ويصرف من ذلك في زيت رمضان ثلاثمائة نصف ، وفي القناديل مائتان ، وفي الحصر أربعمئة وثية وستون ، وثمن شمعتين أربعين نصفاً وتاريخ هذه الحجة ثامن شهر رجب الحرام سنة أربع وسبعين بعد الألف .

وفي حجة أخرى في سنة اثنين وسبعين ، أنه استحوذ على أماكن يخطب المذاهب القديم داخل درب الفواخير قريبا من مدرسة الخواجا كرم الدين . وفي أخرى أنه وقف الشقية والحوهرى المسجد بركة الحاج ، والشافعية ذات الثلاثة أوجه المعروفة بالقاضي عبد الباسط ، والمصلى والمقعد الذى عليها والمفطس ومحللات أخر ، وأنه يصرف كل سنة سبعة آلاف وخمسمائة وأربعين نصفاً في ثمن ماء عذب لصهرج باب الخرق ، وسبعة آلاف نصف لإدارة ساقية البركة وملء الحوض لشرب الحجاج وولدهم ، وثمن

وللشيخ أبي الحسن علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري «المتوفى سنة ٦٥٦» وحماسته تعرف بالحماسة البصرية أنفها سنة ٦٤٧ سيع وأربعين وستمئة. وهذه الحماسات تضاهي بحماسة أبي تمام. ومنها الحماسة العسكرية (كشف ١/ ٦٩٣). لأبي هلال العسكري، وحماسة أحمد بن فارس، والأعلم الشتمري الأندلسي، وحماسة الشاطبي لأبي عامر محمد بن يحيى بن خليفة الشاطبي الأندلسي النحوي، ولا نعرف عن هذه الحماسة شيئا (مصادر التراث العربي / ٦٨، ٦٧)، وحماسة الخالدين (الخالدان هما أبو عثمان سعيد، وأبو بكر محمد، ابنا هاشم الخالدي، وكنا شاعرين من شعراء سيف الدولة، وتعرف حماستهما أيضا باسم «الأشباه والنظائر في المعتقلين والجاهلية والمخضرمين») (دراسات في المكتبة العربية / ١٢٠).

(كشف الظنون لحاجي خليفة ١/ ٦٩٢، ٦٩٣، ومصادر التراث العربي - د. عمر الخفاق/ ١٧، ٦٨، ودراسات في المكتبة العربية - د. محمود أحمد حسن المرافي / ١٢٠).

● حماسة البحترى:

من كتب المختارات.

يقول الدكتور عمر الدقاق: حماسة البحترى رواها أبو العباس أحمد بن محمد المعروف بابن أبي خالد الأصول عن أبيه البحترى. ثم يبسط الكلام عليها، مقارنا بينهما وبين حماسة أبي تمام الطائي فيقول:

وقد اختار البحترى أشعار حماسته للفتح بن خاقان وزير المتوكل والبحترى أيضا شاعر رفيق الطبع حسن الذوق كثير المحفوظ، وهذا أيضا ما رفع من شأن حماسته. كذلك كاد البحترى يقصر اهتمامه على الشعر القديم شأنه في ذلك شأن سلفه أبي تمام وسائر من صنفوا في هذا اللون من التأليف، وثمة قلة ممن الشعراء الخلدنيين اختار لهم البحترى في مجموعته، من مثل بشار بن برد وصالح بن عبيد القدوس...

وتختلف حماسة البحترى فيما عدا ذلك عن حماسة أبي تمام من وجوه، أهمها توريثها الخاص الذي يقوم على مبدأ الموضوعات التفصيلية لا على مبدأ الأغراض الشعرية العامة الذي كان عليه كتاب أبي تمام. فقد فضل البحترى في أبوابه تفصيلاً زائدا وجعل لكل معنى أو موضوع عنوانا جزئيا خاصا، فكان مجموع هذه الأبواب ١٧٤ بابا. وطبعي أن تكون هذه

وذكر ابن طولون في تاريخه أن صاحب الترجمة قدم مع الحاج إلى دمشق سنة خمس وتسعمائة وأنه زار الشيخ محيي الدين بن العربي يوم الخميس ثالث عشر منها قال وسلم على رافداني أن في الجزلية ذكر أن القاضي إذا لم يعرف الحكم في المسألة واستفتى المفتي فأجاب بالخطأ ثم القاضي حكم به أن الإثم يكون على القاضي فقط لحكمه به قال وكان مفتي دمشق القطب ابن سلطان يشكره فلذكت ذلك له فذهب وسلم عليه قال ابن الحنبلي: وكان له الخط الحسن والتحشية اللطيفة المحررة على هوامش الكتب والنسخ الكثير في أنواع العلوم ما سيعا الفقه. وكان منقطعا غالبا في داره إلا في وقت مباشرة ما يبلده من الوظائف ولم يكن له خيرة بأساليب أهل الدنيا مع الصلاح الزائد وله من التأليف من كتب حمله على تأليفه الشيخ الفاضل الملك العارف بالله تعالى علاء الدين الإطاسي الحمصي حين مر عليه بجمع شرحها ببيت المقدس سنة أربع وأربعين وتوفي طليح الفجر يوم عرفة سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة. قال ابن الحنبلي: وقد أخبرني الثقة بعد عودى عن الحج سنة أربع وخمسين أنه علم قبل موته أنه سيموت فأخذ في تلاوة القرآن على أحسن ما يتلى من رعاية التجويد.

(الكرابك السائرة بأعيان المائة العاشرة للشيخ نجم الدين الغزى - حققه و ضبط تصه. د. جبرائيل سليمان جبر / ٢، ٩٨، ٩٩).

● الحماسة:

توجد مجموعات شعرية متبقة، حملت اسم ديوان الحماسة، أو الحماسة. يقول عنها صاحب كشف الظنون.

الحماسة: لأبي عباد وليد بن عبد الله [عبد] البحترى المتوفى سنة ٢٨٤ أربع وثمانين ومائتين. ولأبي الحسن علي ابن الحسن المعروف بشمسم الحلبي المتوفى سنة (٦١١) إحدى وستمئة (رتب على أربعة عشر بابا. ولأبي الحجاج يوسف بن محمد البياسي الأندلسي المتوفى سنة ٦٥٣ ثلاث وخمسين وستمئة وهي في مجلدتين صنفها يتونس في شوال سنة ٦٤٦ ست وأربعين وستمئة جمع فيها ما اختاره واستحسنه من أشعار العرب جاهليها ومخضرميها وإسلاميها ومولديها ومن أشعار المحدثين من أهل الشرق والأندلس فرتب كترتيب أبي تمام. ولأبي السماعات هبة الله بن علي بن الشجري النحوي اللغوي المتوفى سنة ٥٤٢ اثنتين وأربعين وخمسمائة وهو كتاب غريب أحسن فيه ذكره ابن خلكان.

حماسة « (العبارة لعبد القادر البغدادي في كتابه « خزنة الأدب » ٥٩١ / ٣ ، وكان يعقب على عبارة العيني « ذكره في حماسته ») .

وكان طبيعياً - تبعاً لهذا التقسيم التفصيلي للأشعار المجموعة - أن تتكاثر مقطوعات الحماسة فتبلغ ١٤٥٤ مقطوعة ، أى ما يقارب ضعف المقطوعات عند أبي تمام ، وأن يكثر أيضاً الشعراء في حماسة البحتري فيبلغوا ٦٠٠ شاعر .

وقد تنفق حماسات أبي تمام والبحتري في بعض العروى من الشعر من نحو ما ورد لقطري بن الفجاءة والحارث بن هشام والفرد الزماني ... وهذا لا يضير البحتري في شيء لأنه وأبا تمام وأمثالهما إنما يروون ما أخذوه عن شيوخهم من الشعر الموروث وقد وقع الحافز على الحافز .

على أن ما يدعو إلى التساؤل إغفال البحتري في حماسته أشعار الغزل والنسيب . والنسيب فرض رئيسي في شعر العرب وقد جعل له أبو تمام باباً خاصاً ضمن أبوابه العشرة . ولعل ما يزيدنا استغراباً أن البحتري نفسه شاعر رقيق أجاد طرق موضوع الغزل وتصوير الطيف وحلاوة الحب ومرارته . وأغلب الظن أن البحتري عندما ألف حماسته كان قد تقدم في السن فعزف عن مثل هذا اللون من الشعر ، ولعله أخرج حماسته بعد مقتل الخليفة المتوكل ووزير الفتح بن خاقان الذي صنف من أجله هذه المختارات في الأصل . وقد نجد في إشباع بعض أبواب حماسة البحتري باللون القاتم ما يؤكد هذا الرأي من مثل ما يبدو حول : « صحة المودة وحفظ الإخاء وغلبة الزمان والتبرم بالحياة ، وحنان الدهر ، وذل من اغترب ، وما يلحق الرجل من الضيم إذا ضيم مولاه أو قريبه ، وترك ما نأى بك من المنازل والبلدان ، وفي تنقل الدول وتغير الأحوال ، وتعاقب اليسر والعسر ، والصبر على المصائب ، والتذلل والخيانة ، وتقلب الدهر بأهله ورفقه قوماً ونخسه آخرين ، وتوقع الموت والحزن منه ، والإحسان للمعاد ، وعزلان بنى العم عند الشدائد ، ونسيان ما مضى ، والجفاء بعد الصلة ، والمخافة والالتباس ... إلخ » كل ذلك لا يعكس المرحلة التي كان البحتري يجيها في رغد آمن من قلب الدهر وهو في بلاط الخليفة ومجالس الأمراء .

ولا نعرف أحداً من القدماء تصدى لشرح حماسة البحتري كما فعلوا في حماسة أبي تمام . وهذا يؤكد أن منزلتها على رفعتها لا تبلغ شأواً حماسة أبي تمام .

المعاني الجزئية متفرعة من الأغراض الكبيرة أو الموضوعات العامة ، فموضوع الحماسة لم يفرده له البحتري باباً خاصاً به على الرغم من أنه أسمى مجموعته الشعرية بالحماسة ولكننا إذا استعرضنا الأبواب الأولى في المجموعة وجدناها تنطوي في الواقع على المعاني التفصيلية التي تنفرع من موضوع الحماسة الشامل من مثل : باب فيما قيل في حمل النفس على المكروه ، وباب فيما قيل في الفتك ، وفي ركوب الموت خشية العار ، وفي ذم الغرار والتعبير به ، وفي نير السيف ، وفي إغاثة الملهوف ... إلخ وتمضي أبواب الحماسة على هذا النحو حتى تبلغ الثلاثين من الأبواب ، وكان البحتري يورد من الشعر في نسق مفصل ما أورده سلفه أبو تمام في شكل مجمل .

وهذا التوزيع في الأبواب في حماسة البحتري استيعب اجتزاء الآيات من قصائدها في كثير من الأحيان في نحو (ما قيل في إخلال الوعد) أو (في كتمان السر) أو (في فراق الإخوان) أو (في الشباب والشيب) . لأن مثل هذه الموضوعات تنصوي في الغالب تحت مقطعات الشعر ولا تستغرقها القصائد الطويلة . ومن هنا اضطر المؤلف إلى تفتيت القصيدة الواحدة إلى مقطوعات متعددة تاثيرت أجزاؤها وتباعدت . فقصيدة أبي ذؤيب الهذلي في رثاء أولاده نجد بعضاً منها في مواضع متعددة ، فثمة بيتان في الباب التاسع والأربعين : (فيما قيل في غلبة الزمان وإفناؤه الأمم) ثم بيتان آخران من المنيئة نفسها في الباب الثاني والخمسين : (فيما قيل في اليأس من البقاء وحذر الموت وترقبه وقلة الحيل فيه) ، ثم بيتان آخران في موضع ثالث هو الباب الخامس والسبعون : (فيما قيل في الصبر على المصائب والتجملد للشامتين وترك الاستكانة) ...

وقد تنافس المقطعات حتى لا تعدو بيتاً واحداً يدل على معنى جزئي مكثف بنفسه من حكمة أو نوحاً . كل هذا يتيح للقارئ الفائدة ويسفر عليه كثيراً من الجهد ، إلا أنه في نظر الكثيرين قد بسىء إلى وحدة القصيدة ويذهب برونقها . ومما لا شك فيه أن هذا التوزيع المفصل استغرق كثيراً من جهد البحتري وهو ينم على منتهى تنظيمي لدى مؤلف الحماسة . وهذا أيضاً ما جعل بعض الباحثين إلى أن يشكوا في نسبة هذه الحماسة إلى البحتري مستثنين إلى أن القرن الثالث ذلك القرن المبكر نسبياً لم يكن قد عرف مثل هذه النزعة التنظيمية والدقة في مناهج التأليف . كما علق بعض القدماء على هذا الموضوع بقوله : « ولم نسمع أن للبحتري

وقد طبعت حماسة البحتري في بيروت أول الأمر سنة ١٩١٠ ثم في مصر سنة ١٩٢٩ .

(مصادر التراث العربي - د. عمر الدقاق / ٦٨ - ٧٢) .

• الحماسة البصرية :

من كتب المختارات .

ظهرت هذه الحماسة حوالي منتصف القرن السابع أي بعد حماسة ابن الشجري بأكثر من قرن . وقد صنفها صدر الدين ابن الحسن البصري وأطلق عليها اسمه لتعرف به وتتميز عن الحماسات الأخرى .

استمد البصري نصوص حماساته من مصادر عديدة تقدمته وفي جملتها حماسات أبي تمام والبحتري والخالد بن وابن الشجري ودواوين العديد من الشعراء وجانب من كتب الأدب المتقدمة كذلك جمع البصري في مختاراته بين القدماء والمحدثين .

ويمكن القول إن البصري لم يأت بجديد في تبويب حماساته حين جعلها تنكيه في ذلك على تبويب أبي تمام . فقد صنفها على حسب أغراض الشعر وبلغت لديه ١٢ بابا . أولها الحماسة وهو أطول الأبواب ثم المديح والتعريض ، فالنابئ والرثاء ، فالأدب ، فالنسب والفزل ، فالأضياف ، فالإنابة والزهد ... إلخ ، ولعل هذا هو الباب الجديد الذي أضافه البصري في حماساته بعد أن أصبح شعر الزهد غرضاً ذا شأن في ذلك العصر .

وتضم الحماسة البصرية نحو ٦ آلاف بيت لـ ٥٠٠ شاعر تقريباً ، صنع لها المصنف خطبة موجزة في مستهل كتابه أشاد فيها بفضل الاختيار في الشعر .

على أن هذه الحماسة البصرية تفتقر في نظرنا إلى الأصالة ، لأنها تستمد جانباً وثيراً من الشعر من بطون دواوين الشعراء المتدولة ، وليس في هذا كبير جدوى ، ولأنها أيضاً تستقي من معين كتب الاختيار السالفة كالأصمعيات وحماسة أبي تمام وحماسة البحتري ، وليس في هذا أيضاً كبير غناء . ونحن قد نقع على قصائد أو مقطعات سبق أن اطلعنا عليها في كتب المتقدمين ، حتى أن الأسر بلغ بالبصري حداً جعله يبدأ حماسته بأبيات عمرو بن الأظينة نفسها التي استهل بها البحتري حماسته .

وقد نشرت الحماسة البصرية في الهند عام ١٩٦٤ في مجلدين وذيلت بفهارس عديدة (صدر الكتاب في حيدرآباد بعناية محقق هندي اسمه مختار الدين أحمد) .

(مصادر التراث العربي - د. عمر الدقاق / ٧٥ - ٧٧) .

• حماسة ابن الشجري :

يقول عنها الدكتور عمر الدقاق :

ابن الشجري هبة الله بن علي من رجال القرن السادس الهجري كان شيخ وقته في معرفة النحو واللغة والأدب . والأدب أكبر تأليفه .

وكتابه « الحماسة » الذي نحا فيه منحى أبي تمام والبحتري ينطوي على خصائص ذينك الكتلين معا ، فقد جعل جانباً من أبوابه على حسب الأغراض الشعرية أي : باب الحماسة والمرثى والمديح والمديح والأدب والنسب ... على حين كان سائر أبوابه على حسب معاني الشعر وموضوعاته الجزئية كأبواب الطيف والخيال ، وصف النار ، الليل والنجوم ، الشيب ... إلخ . وبلغ مجموع هذه الأبواب المتفاوتة في حماسة ابن الشجري ٣٦ باباً .

والأشعار المختارة في هذه الحماسة مقطعات قلما بلغت حدود القصيد ، ومن هنا كثر عدد شعرائها على الرغم من أنها في حجمها لا تبلغ غزارة الشعر في حماسات أبي تمام والبحتري . وقد بلغ هؤلاء الشعراء نحو ٣٦٥ شاعراً عدا الأشعار التي أوردها ابن الشجري في مجموعته ، ولم ينسبها إلى قائل معين . كما بلغت حماسيات المجموعة ٩٤٤ حماسية .

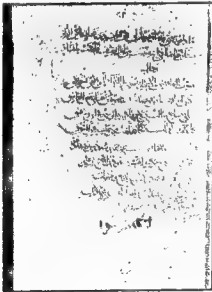
ولعل أهم ما تمتاز به هذه الحماسة فضلاً عن تبويبها أنها تشارك ما سبقها من المجموعات الشعرية في احتوائها الشعر القديم وتحتفل أكثر منها بالشعر المحدث أو شعر المولدين ، فهي تنطوي على شطر ذي بال من شعر العصر العباسي لبشار وأبي نواس وأبي العتاهية وأبي تمام والبحتري وابن الرومي وابن المعتز ودعبل وأبي دلالة وديك الجين وعلى بن الجهم والسرير الرقاء والصنوبري وأبي فراس والشريف الرضائي ... وقد راق المصنف فيما يبدو ما بلغه الشعر المولد في ذلك العصر العباسي من رقة وغلوقة فأفرد بالإضافة إلى ذلك باباً أسماه : « مقطعات من غزل شعر جماعة من المعاصرين » .

وقد نشرت حماسة ابن الشجري في الهند أول الأمر في طبعة تفتقر إلى مزيد من النماية والضببط والتحقيق (عنى بإصدار هذه الطبعة التي صدرت في حيدر آباد سنة ١٣٤٥ هـ ١٩٢٦م المستشرق الألماني فريتس كزينكو معتمداً على أصول مخطوطة في لندن وباريس والمتحف البريطاني . وقد

فأنزلهم وأكرمهم فأصبح ذات يوم وقد وقع ثلج عظيم قطع الطريق فغم أبا تمام ذلك وسر أبا الوفا فأحضر له خزانة كتبه فطالعها واشتغل بها ووصف خمسة كتب فى الشعر منها كتاب الحماسة والوحشيات فى الحماسة فى خزائن آل سلطنة يصفون به حتى تغيرت أحوالهم وورد أبو العوادل همدان من دمنور فظفر به وحمله إلى أصفهان فأقبل أدباؤها عليه ورفضوا ما عدها من الكتب فى معناه ثم شاع واشتهر .

وقد فسره جماعة فمنهم من عُنِيَ بذكر إعرابه ومنهم من عُنِيَ بالمعاني . فمن شرحه أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري المتوفى سنة ٣٩٥ خمس وتسعين وثلاثمائة ، وأبو المظفر محمد بن آدم الهروي المتوفى سنة ٤١٤ أربع عشرة وأربعمائة ، وأبو الفتح عثمان بن جنى المتوفى سنة ٣٩٢ اثنين وتسعين وثلاثمائة اكفى به شرح مغلفاته ، وأبو القاسم زبيد بن علي الفسوي المتوفى سنة ٤٦٧ سبع وستين وأربعمائة ، وأبو عبد الله محمد الخطيب الإسكافي المتوفى سنة ٤٢١ إحدى وعشرين وأربعمائة ، وأبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيد الغفرى المتوفى سنة ٤٥٨ ثمان وخمسين وأربعمائة وهو شرح كبير فى ست مجلدات وسماه الأنيق ، وحسن بن بشر الأندلسي المتوفى سنة ٣٣٥ خمس وثلاثين وثلاثمائة [٣٣٧] .

وأبو بكر محمد بن يحيى الصولي المتوفى سنة ٤٧٦ ست



صورة رقم ٨

الصفحة الأخيرة من « ديوان الحماسة الكبرى » لأبي تمام التي كتبها محمود بن المرح سنة ١١١٠ / ٨٥٠٤

خلت الطبيعة من الشرح وقُلَّ فيها الشكل . غير أنها احتوت ترجمة لحياة ابن الشجرى (ثم صدرت مؤخرًا فى دمشق فى طبعة جيدة مفهرسة .

(ثم صدرت « الحماسة الشجرية » فى دمشق عن وزارة الثقافة عام ١٩٧٠ بتحقيق عبد المعين الملوحي وأسماء الحمصي ، وهى طبعة علمية فى مجلدين استغرقت نحو ألف من الصفحات ، وامتازت بفيضها ووفرة فهرسها التى بلغت مائتى صفحة) .

(مصادر التراث العربى - د. عمر الدقاق / ٧٢ ، ٧٣) .

« الحماض »

قال داود الأنطاكي : الحماض نبت كثير الأصناف ما منه يشبه السلق عريض الأوراق والأضلاع نفه يعرف بالسلق البري ونوع دقيق الورق محمر الأصول له سناهل بيض شعرية يخلف بزورًا أسود برافًا ونوع يتولد بزره من غير زهر وكلاهما حامض جيد ونوع يرتفع فوق ذراع تعمل منه أهل مصر بعد بلوغه أمثال الحصر وكله بارد يابس فى الثانية يقطع الصفراء والعطش والغثيان والقيء واللبهيب ، والنوعان الجيدان يعمل منهما شراب الحماضى المذكور فى الطب ينفع من الحكة والجرب والحصبية والجدري وفيلان الدم والسعال الحار وهذا هو المشار إليه لا ما يعمل فى مصر من الليمون المركب والمتولد بزره بلا زهر إذا سحق أو يزره وشربه فَرَحَ النفس وقوى الحواس ...

ولن طيخ بالكُمون ورثش فى البيت طرد النمل وهو يضر الرئة ويصلحه السكر وشربه بزره إلى ثلاثة وجرمه إلى ثمانية عشر .

(فتكرة أولى الألباب لنادي بن عمر الأنطاكي / ١٢٨ / ١٢٩ ، انظر أيضا الفتاوى فى الطب لأبن سينا - فسر وترتيب الأستاذ جبران جبور - قدم له د. خليل أبو خليل ، تعليقاً د. د. أحمد شوكت الشطي / ١٢١ ، ١٢٢)

« حماسة أبي تمام »

قال حاجي خليفة :

الحماسة : لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي المتوفى سنة ٢٣١ إحدى وثلاثين ومائتين جمع فيه ما اختاره من أشعار العرب الغرياء ورتب على أبواب عشرة الحماسة والمراثي والأدب والتنسيب والهجاء والإضافات والصفات والسير والملح وبذمة النساء واشتهر بيبابه الأول . والحماسة شجاعة العرب قالوا إن أبا تمام فى اختياره أشعر منه فى شعره وسبب جمعه أنه قصد عبد الله بن ظاهر وهو يخرسان فمدحه فأجازه وعاد يريد العراق فلما دخل همدان اغتمه أبو الوفا بن سلعة

وقد استهل أبو تمام مختاراته الحماسية بمقطوعة أو أبيات لشاعر من بني العنبر تعتبر من أكثر الشعر العربي إثارة للحماس، لأنها تحت قوما متكاسلين عن مفاصل واحد منهم وتحاول الأبيات إثارة النخوة فيهم وتحريك الغيرة حين يذكر الشاعر أنه لو كان من قبيلة مازن ما حدث له ما حدث من امتهان ومثلة، ولكن قومه رغم كثرة عددهم لا تحركهم غيرة، ولا يثيرهم امتهان وظلم يقع على واحد منهم .

وتتميز حماسة أبي تمام بلون مصنفها، أبي تمام، وهو ذوق شاعر دقيق ذوق، بذل - جهدا في اختيار ما اختار ليحيى اختياره معبرا عن المقصود، - مصورا للغرض الذي اختيرت الأبيات من أجله، لذلك لم يهتم أبو تمام بأن يختار لشعراء مشهورين، بل اعتمد في جودة الاختيار على جودة النص وقوة تعبيره عن الغرض مهما كان صاحب النص معنورا.

(دراسات في المكتبة العربية / ١٢١) .

وكان أبو تمام يبيع لنفسه في بعض الأحيان أن يصرف تصرفا جزئيا فيما اختاره من شعر الآخرين كأن يستبدل لفظا بآخر لم يعجبه، أو يحل عبارة محل أخرى يراها أجمل في النفس وأوقع في الأذن. وقد أشار إلى ذلك المرزوقي في مقدمته لشرح حماسة أبي تمام فقال : « ... حتى إنك تراه ينتهي إلى الجيد فيه لفظة تشبه، فيجبر نفسه من عنده، ويبدل الكلمة باختيارها في نقده . وهذه التهمة، تهمة أبي تمام بتغيير النصوص التي اختارها يدعمها المرزوقي في أثناء شرحه بما يظهرها ويقولها . وقد لا يتوافر بين أيدينا من النصوص المقارنة ما يسمح لنا باستنتاج دليل قوي على ذلك وبمعرفه طبيعة هذا التغيير ومداه، كما أن ذلك قد يكون أحيانا في رأينا بعضا من أوجه روايات الشعر المتعددة . ونحن نرجع صحة ما ذهب إليه المرزوقي، فهو ، من جهة ، أقرب الشراح عهدا إلى أبي تمام، ثم إن ذلك التدخل من قبل أبي تمام من جهة أخرى في تلك الأشعار أمر لا نتجبع لغيره لأنه يتفق مع مذهب أبي تمام الفني بصورة عامة في إثارة المعادة والتفتيح . ومثل هذا التصرف في بعض الأشعار وإن بدا محلوها فقد كان جديرا بأن ينزل بقيمة « الحماسة » عند العلماء باعتبارها نصوصا يستشهد بها في علوم اللغة العربية . وكان حريا بالنقاد الأوائل في ذلك العصر ولهم من اللغويين المتزمتين الذين يجلون الشعر الموروث أن يتكروا على أبي تمام تصرفه الشخصي في نصوص الآخرين على هذا النحو .

وسبعين وأربعمائة [١٣٥] وأبو الفضل عبد الله بن أحمد الميكالي المتوفى سنة ٤٧٥ خمس وسبعين وأربعمائة، وعبد الله بن إبراهيم بن عبد الله الشيرازي المتوفى سنة ٤٧٦ وعبد الله بن أحمد الشامي المتوفى سنة ٤٧٥ خمس وسبعين وأربعمائة، وإبراهيم بن محمد بن ملكون الأصبلي المتوفى سنة ٥٨٤ أربع وثمانين وخمسمائة، وأبو علي حسن بن علي الاستراباذي النحوي المتوفى سنة ٧١٧ وأبو نصر قاسم بن محمد الواسطي النحوي المتوفى بمصر وأبو المحاسن مسعود ابن علي البيهقي المتوفى سنة ٥٤٤ أربع وأربعين وخمسمائة والأخلم (أبو الحجاج يوسف بن سليمان) الشتمري المتوفى سنة ٤٧٦ ست وسبعين وأربعمائة في خمس مجلدات، وأبو البقاء عبد الله بن حسين العكبري المتوفى سنة ٦١٦ ست عشرة وخمسمائة وهو شرح مختصر اقتصر فيه على إعرابه، وأبو زكريا يحيى بن علي الشهر بالخطيب التبريزي المتوفى سنة ٥٠٢ اثنين وخمسمائة شرح أولا شرحا صغيرا فأورد كل قطعة من الشعر جميعا ثم شرحها وشرح ثانيا بيتا ثم شرح شرحا طويلا متوفيا . وأول المتوسط : أما بعد حمدنا الله الذي لا يبلغ صفاته الواسفون ... إلخ، وأبو علي أحمد بن محمد المرزوقي . المتوفى سنة ٤٢١ إحدى وعشرين وأربعمائة وشرحه معتبر مشهور أوله : الحمد لله خالق الإنسان مميذا بما عليه البيان ... إلخ، وأبو نصر منصور بن مسلم الحلبي المعروف بابن أبي الدميك جعله تمة ما فُسر فيه ابن جني . ونثره أبو سعد [أبو سعيد] علي بن محمد الكاتب المتوفى سنة ٧١٤ أربع عشرة وسبعمائة وسماه المثنوي البهائي لأنه نثر لبها الدولة ابن بويه (كنف / ١ / ٦٩١، ٦٩٢) .

وقد ذكر صاحب « مصارف المصروف » شروع ديوان الحماسة في الهند وهي : الرسالة القادرية شرح الحماسة للمولوي عبد القادر الكوكبي، وشرحه للقاضي نجف علي بن عظيم الدين الجهمجري، وشرحه للمولوي ذو الفقار علي الديوبندي، وشرحه للمشيخ فيض الحسن السهاريوري، وهو أحسن الشروح انتقد فيه على التبريزي (الطاقة الإسلامية في الهند / ٥٥) .

ونظم حماسة أبي تمام ثمانمائة وإحدى وثمانين قصيدة أو مقطوعة، وتسمى بالحماسة الكبرى، تميزا لها عن حماسة أخرى لأبي تمام، أقل حجما من تلك المجموعة، وتسمى هذه المجموعة بالحماسة الكبرى، أو بالوحشيات، وهما منشاهتان تقريبا من حيث الأبواب والموضوعات .

شرح المرزوقي في أربعة أجزاء أخرى ، وهما طبعتان جديتان (طبع أشعار الحماسة دون أي شرح في بيروت سنة ١٨٨٩ بمطبعة جمعية الفنون ، في نحو ٢٥٧ صفحة من القطع الصغير .

وقد طبع كتاب الحماسة بشرح التبريزي أول مرة في بون بألمانيا سنة ١٨٧٨م بتحقيق المستشرق فرانك ، ثم في مصر سنة ١٢٩٦هـ - ١٨٧٨م بمطبعة بولاق بعناية الشيخ محمد قاسم ، وبعد ذلك طبع في القاهرة أيضا بمطبعة السعادة سنة ١٩١٣ في جزئين يبلغان نحو ٩٠٠ صفحة ، وأخيرا صدر في مصر بتحقيق محيي الدين عبد الحميد سنة ١٩٣٨ في أربعة أجزاء تنطوي على فهراس وتعليقات حسنة .

أما شرح المرزوقي فلم ينشر إلا متأخرا خلال ١٩٥١ - ١٩٥٣ وكان ذلك في أربعة أجزاء تستغرق نحو ٢٠٠٠ صفحة . وهذه الطبعة جيدة تمتاز بتعليقات وفهراس وافية ، وقد صدرت بعناية أحمد أمين وعبد السلام هارون .

وحظيت « الحماسة » بعناية بعض علماء عصرنا ، فنجح أحدهم إلى ترتيبها على أساس جليليد يعتمد على الموضوعات وعلى الترتيب الزمني للشعراء (عماد الشيخ المصطفى في القاهرة إلى ترتيب حماسة أبي تمام ترتيبا جديدا وجميها في قسمين : الأول ، الموضوعات الأدبية ، والثاني شعراء الوقائع الجاهلية والإسلامية . وقدم الشاعر الجاهلي على الإسلامي ، والإسلامي أحمد أمين وعبد السلام هارون ... غير أن هذا المصنف بقي مخطوطاً) .

(كشف الظنون لحاجي خليفة ١/٦٩ ، ٦٩٢ ، والثغرة الإسلامية في الهند : معارف العارف في أنواع العلوم والمعارف : لعبد الحمى الحسن - راجعه وقدم له أبو الحسن علي الحسن النادوي / ٥٥ ، ودراست في المكتبة العربية - د . محمود أحمد حسن السرافي / ١٢١ ، ومصادر التراث العربي - د . عبد الحفيظ / ٥٨ ، ٥٩ ، ٦١ - ٦٣) .

• حماسة الراج :

حماسة الراج : لأبي العلاء أحمد بن عبد الله المعري المتوفى سنة ٤٤٩ تسع وأربعين وأربعمائة وهو عشر كراريس في ذم الخمر خاصة وله شرح بعض الحماسة الراجية في أربعين كراسة سماه الراج المصطفى .

(كشف الظنون ١/٦٩٣) .

غير أنهم قبلوا ذلك منه واستملحوه ثقة منهم بذوقه وتقديره لشاعريته . ونحن « نجد العلماء مجمعين على تركية أبي تمام في « الحماسة » وعلى تركية الحماسة ونصوصها . بل يعلون صنيعة في الحماسة داعية إلى الوثوق بشعر أبي تمام نفسه والاستشهاد بشعره » (انظر مقدمة عبد السلام هارون لشرح المرزوقي على الحماسة) وفي ذلك يقول الزمخشري في صاحب الحماسة : « وهو وإن كان محدثا لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء العربية ، فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه » (خزائن الأدب للبغدادي ٤/١ طبع بولاق) .

وقد ألحظ القدماء من قبل في منزلة كتاب الحماسة وأشادوا بفضل أبي تمام فيه . وفيه قال المرزوقي « وقع الإجماع من النقاد على أنه لم يتفق في اختيار المقطعات أنقى مما جمعه أبو تمام ، ولا في المقصودات أولى مما دونه المفضل » وبلغ الأمر ببعضهم كما يروى التبريزي أنهم كانوا يقولون : « إن أبا تمام في اختياره الحماسة أشعر منه في شعره » .

ونتيجة لامتداحه شهرة هذا الكتاب وذيوع فضله فقد غدا نموذجا يحتذى في موضوعه ، حتى إن اسم الحماسة أصبح رمزاً للشعر المختار عامة بعد أبي تمام . وقد جنح الكثيرون على أثر ذلك إلى تأليف كتب مماثلة في هذا المجال وهم يبلغون بضعة عشر رجلا كلهم حلوا أبي تمام في حماسه وأثر لكتابه اسم الحماسة ...

ويعد شرح المرزوقي أفضل الشروح التي بين أيدينا ، وذلك من وجوه عديدة ؛ فهو من أقدم الشروح وأقربها إلى عصر أبي تمام ، كما أنه من أوفى هذه الشروح وأكثرها نقصا . وهو يرسم سبقه لشرح التبريزي يفضل بهمازة الرصينة المتخيرة وباهتمامه بالجانب النحوي في النصوص لغرض تفسيرها ، وأخيرا يمتاز بمقلدته النقدية القيمة . على حين أفاد التبريزي من شرح مقدميه وفهم المرزوقي نفسه وعنى بالاشتقاق واللغة وبمسائل التصريف ، وإيراد جانب من أخبار الشعر ومناصباته التاريخية ، والكلام على أسماء الشعراء واشتقاق أعلامهم . ويمكن القول إن المرزوقي كان أدبيا محللا على حين كان التبريزي مفسرا مدققا .

وقد طبع شرح التبريزي مرات عديدة في أوروبا والهند والشرق العربي ، وصدر أخيرا في أربعة أجزاء ، كما صدر

* الحمام :

الحمام (يفتح الحاء والهميم المخففة) عند العرب كما قال صاحب المصباح وغيره : كل ذى طوف من الفواخت والقمارى والقطا والدواجن وأشبه ذلك الواحدة حمامة ، ويقع على الذكر والأنثى فيقال حمامة ذكر ، وحمامة أنثى (الرسالة الرشادية / ٢٠) والجمع حمامم ، ولا يقال للذكر حمام (اللسان ١٢ / ١٠١١) .

وهو مما يرد فى مصنفات التراث الإسلامى فى علم التنذية وعلم الحيوان . قال عنه داود الأنطاكى :

الحمام فى اللغة كل ما عب وهدر وكان مطوقا ، والمراد به هنا الأزرق البرى والملون الأهلى ، ولباقى الأنواع أسماء تأتى كالفواخت والشفنين والقمرى ، والحمام طير ألوف إذا عمل له مسكن مخصوص ألقه وهو أزكى الطيور وأعرفها بالضرقات الخفية البعيدة وأحبتها وأميلها إلى إتيانها بحيث لو وضعت الأنثى فى مكان وأخذ عنها الذكر بعد ما زوج بها إلى مسافة نحو سنة وتخلى ونفسه جاءها أولا سطوة الجوارح ومن ثم تتخذ منه البطاقات للأخبار ، وهو حار فى الثانية يابس فيها أو فى الأولى ، والبرى اللطيف وأيس وأطيب ورائحة وكله مسمم قاطع للأخلاق الباردة نافع للفالج واللقوة والرعدة والاستسقاء الزنى والربوى ويفتت الحصى ويحسن اللون خصوصا رمد رأسه فإن له فى ذلك شربا وفى العشاة كحلا عظيما ودمه حار يقطع البياض وسائر الآثار والأورام كحلا وطلاء وإذا شق ووضع جذب السم إلى نفسه وحرارة النار المغارسي والأكلّة وإذا نضج فى الشيرج بلا ماء ولا ملح وأكل قتت الحصى وحيا وزيله يقلع الآثار كالكلف والبرص ويحل الاستسقاء طلاء بالدخل ويهيج الأرض الباردة للزراعة ويقطع النبات الضار ويصلح الأشجار بالزيت مرخا ووضعا فى أصلها كذا فى الفلاحة وروشه إذا أحرق بمثله ملحا ومثله دقيقا وعجن وأكل أسهل كيوميا غليظا وأصلح الاستسقاء .

ويضيه إذا أكلته الأطفال بالعمل تكلوا سريعا وكذا إذا دلك به اللسان فإنه يورث الفصاحة وإن شرب نينا أزال خشونة الصدر وحسن وخضب البدن ومراثره تمنع نزول الماء والعشاة والبياض كحلا وأكل قانصته يولد الحصى وهو يصدر المحرور ويحرق الدم وربما أدى إلى الجذام ويصلحه السكتجين واللبوب . ومن خواصه : أن تربته فى البيوت تمنع الطاعون والخدر والكزاز والرعدة والفالج وفساد الهواء وفيه

أنس للمتوحش لحديث عن صاحب الشرع صلوات الله وسلامه عليه وإن لم يبلغ مرتبة الصحة (تفكره أبى الألباب / ١٢٢٩) .

ومما يتصل بعلم الحيوان ما أورده كل من القزوينى والدميرى يقول القزوينى فى عجائبه : الحمام هو الطير المشهور الهادى إلى أوطانه من المسافة البعيدة ، وهو أشد الطيور ذكالة ، فإذا أرسل من موضع بعيد يصعد نحو الهواء ، ويكون صعوده مدورا ، فلا يزال يصعد وينظر حتى يرى شيئا من علامات بلده ، فعند ذلك يهبط إليها فى أدنى زمان ، وربما تغيمت السماء فيصير الغيم حائلا بينه وبين الأرض فيقع فى بلاد شاسعة ، أو يصيده شئ من الجوارح (عجائب المخلوقات / ٢٧٢ ، ٢٧٣) .

ويسلط الشيخ كمال الدين الدميرى القول فى الحمام من حيث أنواعه وخصائصه وتأويل رويته فى المنام ، والأحكام الشرعية المتعلقة به والأمثال ... إلخ وهو فى خلال هذا كله يسوق الحكمة والموعظة ، ويترجم لمن يرد ذكره من الأعلام ، وهو ما ننقل معظمه فيما يلى :

الحمام : قال الجوهري هو عند العرب ذوات الأطواق نحو الفواخت والقمارى وساق حرا ، والقطا والوراشين وأشباه ذلك يقع على الذكر والأنثى لأن الهاء إنما دخلته على أنه واحد من جنس لا لتأنيث وعند العامة أنها الدواجن فقط الواحدة حمامة وقال حميد بن ثور الهلالي من أبيات :

ومما هاج هذا الشوق إلا حمامة

دعت ساق حمر بهرمة ففرمنا

قالت المؤلفة : ورد عجز البيت كما يلى :

❖ دعت ساق حُرّ ترحة وترنما ❖

والحمامة هنا القمرية وقال الأصمعى فى قول النابغة :

واحكم حكمكم قنيسة الحى إذ نظفرت

إلى حمام شمس وأرد الشمد

قالت الأليتماء هذا الحمام لنا

إلى حمامتنا أو نصفه نفسه لقد

فحبسوه قائلوه كما زعمت

تسما وتسمين لم ينقص ولم يزد

هذه زرقاء اليمامة نظرت إلى قفاً وأرد فى مضيق الجبل

فقالت باليت هذا القطا لنا ومثل نصفه معه إلى قطاة أملنا

فيكمل لنا مائة قطاة فأتيت وعدت فإذا هى ست وستون قال

النشور ومسمى برىا للملك والثاني الأهلى وهو أنواع مختلفة وأشكال متباينة منها الروابع والمراميش والعداد والعداد والمضرب والقلاب والمنسوب وهو بالنسبة إلى ما تقدم كالمتاع من الخيل ونلك كالبراذين قال الجاحظ الفقيع من الحمام كالصقلاب من الناس وهو الأبيض .

روى أبو داود والطبراني وابن ماجه وابن حبان بإسناد جيد عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبی ﷺ رأى رجلا يتبع حمامة فقال شيطان يتبع شيطانة وفي رواية شيطان يتبعه شيطانا قال البيهقي وحمله بعض أهل العلم على إدمان صاحب الحمام على إطرانه والاشتغال به وارتقاء الأسطحة التي يشرف منها على بيوت الجيران وحرهم لاجله .

وروى البيهقي عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال شهدت عمر بن عبد العزيز رحمه الله بأمر بالحمام الطيار فتلبخ وترك المقصصات وروى ابن قانع والطبراني عن حبيب ابن عبد الله بن أبي كبشة عن أبيه عن جده أن النبی ﷺ كان يعجبه النظر إلى الأترج والحمام الأجرم وروى الحاكم في تاريخ نيسابور عن عائشة رضى الله عنها قالت كان النبی ﷺ يعجبه النظر إلى الخضرة وإلى الأترج وإلى الحمام الأحمر قال ابن قانع والحافظ أبو موسى قال هلال بن العلاء الحمام الأحمر التفاح قال أبو موسى وهذا التفسير لم أره لغيره وكان في منزله ﷺ حمام يقال له وردان .

وفي عمل اليوم والليلة لابن السنن عن خالد بن معدان عن معاذ بن جبل أن عليا رضى الله تعالى عنه شكأ إلى النبی ﷺ الوحشة فأمره أن يتخذ زوج حمام وأن يذكر الله عند هديره ورواه الحافظ ابن عساکر وقال إنه غريب جدا وسنده ضعيف وروى ابن عدى في كامله في ترجمة ميمون بن موسى عن علي ابن أبي طالب رضى الله تعالى عنه أنه شكأ إلى رسول الله ﷺ الوحشة فقال له إتخذ زوجا من حمام تؤنسك وتطيب من فراخها وتؤنسك للصلاة بتفريدها أو إتخذ ديكا يؤنسك ويؤنسك للصلاة وروى أيضا في ترجمة محمد بن زياد الطحان عن ميمون بن مهران عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال قال رسول الله ﷺ : إتخذوا الحمام المقاصيص في بيوتكم فأنها تلهى الجن عن صبيانكم وقال عبادة بن الصامت رضى الله تعالى عنه شكأ رجل إلى رسول الله ﷺ الوحشة فقال له إن النبی ﷺ إتخذ زوجا من حمام رواه

أبو عبيد وأنه من مسيرة ثلاثة أيام وأردأت بالحمام القطا فقالت ذلك انتهى وقال الأموي الدواجن التي تستغرخ في البيوت تسمى حماما أيضا وأنشد للمجاج :

إني ورب البلد المحرم * وللقاططات البيت عند زمزم
قواطط مكة من ورق الحم

يريد الحمام وجمع الحمامة حمام وحمام وحمامات وربما قالوا حمام للمفرد قال جرأ القزذ :

وذكرني الصبا بمد التنائي

حمامة أيكمة تدعو حماما

وحكى أبو حاتم عن الأصمعي في كتاب الطير الكبير أن اليمام هو الحمام البرى الواحدة يمامة وهو ضروب والفرق بين الحمام الذى عندنا واليمام أن أسفل ذنب الحمامة مما يلي ظهرها فيه بياض وأسفل ذنب اليمامة لا بياض فيه انتهى ونقل النورى في التحرير عن الأصمعي أن كل ذات طوق فهي حمام والمراد بالطوق الجمرة أو الخضرة أو السواد المحيط بفتح الحمامة في طوقها وكان الكسائي يقول : الحمام هو البرى واليمام الذى يألف البيوت والصواب ما قاله الأصمعي ونقل الأزهري عن الشافعي أن الحمام كل ما عب وهدر وإن تفرقت أسماؤه ولعب بالعين المهملة شدة جوع الماء من غير نفس قال ابن سيده يقال فى الطائر عب ولا يقال شرب والهدير ترجيع الصوت ومواصلته من غير تقطيع له قال الرافعي والأشبه أن ما عب هدير قال فلو اقتصرنا في تفسير الحمام على لعب لكفاهم ويدل عليه أن الإمام الشافعي قال في عيوب المسائل وما عب من الماء عب فهو حمام وما شرب قطرة قطرة كالدجاج فليس بحمام أهد وفيما قاله الرافعي نظر لأنه لا يلزم من العب الهدير قال الشاعر :

على حويضي نغرسك * إذا تفرقت فترة يسب

وحمرات شريهن غيب

وصف التنر بالمعرب عنه لا يهدر ولا كان حماما ، والنسر نوع من المصفرور إذا حملت ذلك انتظم لك كلام الشافعي وأهل اللغة أن الحمام يقع على الذى يألف البيوت ويستغرخ فيها وعلى اليمام والقمرى وساق حر وهو ذكر القمرى والنسراخت والبسبى والقطا والوراثين واليعاقب والشفتين والزاع والورداني والطوراني .

والكلام الآن في الحمام الذى يألف البيوت وهو قسمان أحدهما البرى وهو الذى يلازم البروج وما أشبه ذلك وهو كثير

عن الحمام فبان كسمرت عيافته

من غلظته فأنه من حمام

وخلاصه في حمامي فقتل بعد أيام بسيرة سنة تسع وعشرين وخمسمائة وكانت خلافة سبع عشرة سنة وثمانية أشهر وأياما وروى البيهقي في الشعب عن معمر قال جاء رجل إلى ابن سيرين رحمه الله تعالى فقال رأيت في النوم كأن حمامة التقت للزوجة فخرجت منها أعظم مما دخلت ورأيت حمامة أخرى التقت للزوجة فخرجت منها أصغر مما دخلت ورأيت حمامة أخرى التقت للزوجة فخرجت منها كما دخلت سواء فقال له ابن سيرين أما التي خرجت أعظم مما دخلت فلذلك الحسن بن أبي الحسن البصري يسمع الحديث فيجوده بمنطقه ثم يصل فيه من مواعله وأما التي خرجت أصغر مما دخلت فلذلك محمد بن سيرين يسمع الحديث فيقص منه وأما التي خرجت كما دخلت سواء فهو قادة وهو أحفظ الناس ...

وفي الشعب للبيهقي عن صفيان الشوري أنه قال : كان اللهب بالحمام من عمل قوم لوط وقال إبراهيم النخعي من لعب بالحمام الطيارة لم يمت حتى يلدق ألم الفقر وروى البرزلي في مسنده أن الله تعالى أمر العنكبوت فتسجعت على وجه الغار وأرسل حمامتين وحشيتين فوقفتا على فم الغار وإن ذلك مما صيد المشركين عنه ﷺ وأن حمام الحرم من نسل تيتك الحمامتين . وروى ابن وهب أن حمام مكة أظلت النبي ﷺ يوم فتحها فدعا لها بالبركة وروى الطبراني بإسناد صحيح عن أبي ذر رضي الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ يلدو هذه الآية » ومن يتق الله يجعل له مخرجا * ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه * فجعل يعليها على حتى نعمت عنه ثم قال : يا أبا ذر كيف تصنع إذا أخرجت من المدينة ؟ قلت إلى السعة والدة أطلق إلى مكة فأكون حمامة من حمام الحرم فقال ﷺ فكيف تصنع إذا أخرجت من مكة قلت إلى السعة والدة أطلق إلى الشام والأرض المقدسة قال فكيف تصنع إذا أخرجت من الشام فقلت والذئب يبتك بالحق أصعب سبي على عاتق قال ﷺ أو خير من ذلك تسمع وتطيع وإن كان عبدا حبشيا وفي الصحيح طرفه من وفي ابن ماجه طرف من أوله وذكر أن هرون الرشيد كان يعجبه الحمام واللعب به فأهدى له حمام وعنده أبو البختري وهب القاضي قروى له بسند عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال :

الطبراني وفيه الصلت الجراح لا يعرف وبقية رجاله رجال الصحيح وفي كامل ابن عدي في ترجمة سهل بن فرير عن محمد بن المنكدر عن جابر رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال شكت الكعبة إلى الله تعالى فلة زوارها فأوحى الله إليها لأبعثن إليك أقواما يحبونك إليك كما تحب الحمامة إلى فراخها وفي سنن أبي داود والنسائي من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بإسناد جيد أن النبي ﷺ قال يكون في آخر الزمان قوم يعضوبون بالسواد كحواصل الحمام لا يرجعون رائحة الجنة .

ومن طبعه أنه يطلب وكره ولو أرسل من ألف فرسخ ويحمل الأخبار ويأتي بها من البلاد البعيدة في المدة القريبة وفيه ما يقطع ثلاثة آلاف فرسخ في يوم واحد وربما اصطيد وغاب عن وطنه عشر حجيج فأكثر ثم هو على ثبات عقله وقوة حفظه يزوجه إلى وطنه حتى يجد فرصة فيطير إليه ويساع الطير طلبه أشد الطلب وخوفه من الشاهين أشد من خوفه من غيره وهو أظير منه ومن سائر الطير كله لكنه يذعر منه ويعتبره ما يعثرى الحمام إذا رأى الأسد والشاة إذا رأت الذئب والغار إذا رأى الهر ومن عجيب الطبيعة فيه ما حكاه ابن قتيبة في عيون الأخبار عن المثنى بن زهير أنه قال لم أر شيئا قط من رجل وامرأة إلا وقد رأيت في الحمام ...

والأشئ تحمل أربعة عشر يوما وتبيض يفتين إحداهما ذكر والثانية أنثى وبين الأولى والثانية يوم وليلة والذكر يجلس على البيض ويسخنه جزءا من النهار والأشئ بقية النهار وكذلك في الليل وإذا باضت الأنثى وأبنت المدخول على بيضها لأمر ما ضربها الذكر واضطرها للمدخول ...

وقد أنهم هذا النوع إذا خرجت فراخه من البيض بأن يمشق الذكور تريبا مالهنا ويعطعها إياه ليسهل به سبيل الطعام فسبحان اللطيف الخبير الذي أتى كل نفس هلهلا . وزعم أرسطو أن الحمام يعيش ثمان سنين وذكروا التعليل وغيره عن وهب بن منبه في قوله تعالى ﴿ ويرك يخلق ما يشاء ويختار ﴾ [القصص : ٦٨] قال اختار من اللحم الضأن ومن الطير الحمام وذكر أهل التاريخ أن أمير المؤمنين المسترشد بالله بن المستظهر فأنه أت فقال له خلاصك في هذا فلما أصبح حكى ذلك لابن سكيبة الإمام فقال له ما أولته يا أمير المؤمنين قال أولته بيت أبي تمام .

إنسان يأمن إلى شكله كما أن كل طير يأمن إلى جنسه فإذا اصطبح اثنان برهة من الزمان وليس بينهما مناسبة ما فلا بد أن يفرقا كما قال بعض الشعراء :

وقائل كيف تفارقتما

قللت قولا فيه أنصاف

لم يك من شكلى ففارقته

والنفس أسكنك والاف

روى أحمد في الزهد عن يزيد بن ميسرة أن المسيح عليه الصلاة والسلام كان يقول لأصحابه إن استطعتم أن تكونوا بلها في الله تعالى مثل الحمام فافعلوا قال وكان يقال إنه ليس شيء أبله من الحمام وذلك إنك تأخذ فراخه من تحت فتلبسها ثم يعود إلى مكانه ذلك فيفرخ فيه .

الحكم يحل أكله بالإجماع بجميع أنواعه لأنه من الطيبات ولأن الشارع أوجب فيه على المحرم إذا قتله شاة وفي مستند ذلك وجهان : أحدهما أن ذلك لما بينهما من الشبه فإن كلا منهما يالف البيوت ويأمن بالناس ، والثاني وهو الأصح أن مستند توقيف بلغهم فيه ونقل الرافعي عن الشيخ أبي محمد الخلاف فيما لو قتل طائرا أكبر من الحمام أو مثله هل ينشئ على هذا إن قلنا المستند التوقيف أوجبنا الشاة وإن قلنا المستند المشابهة أوجبنا القيمة وقد أسقط الإمام النووي رحمه الله هذه المسألة من الروضة وكأنه ظن أن الخلاف فيها لفظي لا فائدة فيه .

ويضى الحمام وكل طائر يحرم على المحرم صيده حرام عليه فإن أتلفه ضمنه بقيمته هذا ملهنا وبه قال الإمام أحمد وآخرون وقال المزني وبعض أصحاب داود لا جزاء في البيض وقال مالك يضمنه بعشر ثمن أصله قال ابن المنذر واختلفوا في يضي الحمام فقال على وعطاء في كل يرضتين درهم وقال الزهري والشافعي وأصحاب الرأي وأبو ثور فيه قيمة .

ومن أحكامه في الصيد أنه إذا اختلطت حمامة مملوكة أو حمامات بحمامات مباحة محصورة لم يجز الاصطياد منها ولو اختلطت بحمام ناحية جاز الاصطياد في الناحية ولو اختلط حمام أبراج مملوكة لا تكاد تحصر بحمام بلدة أخرى مباحة ففي جواز الاصطياد منها وجهان أصحهما الجواز وبعبء الحمام في البرج على تفصيل بيع السمك في البركة ولو باعها وهي طائفة اعتمادا على عادة عودها فوجهان أصحهما عند الإمام الجوزي كالعبد المجهوث في شغل وعند الجمهور المنع إذ لا وثوق . بمودها لعدم عقلها .

ومن أحكامه في الربا أنه جنس واحد بجميع أنواعه كما قاله الحارثية وقال المرافيون إن كل نوع منه جنس فالحمام

ولا سبق إلا في خف أو حافر أو جناح فزاد أو جناح وهي لفظة وضعها للرشيذ فأعطاه جائزة سنة فلما خرج قال الرشيد تالله لقد علمت أنه كذب على رسول الله ﷺ وأمر بالحمام فذبح فقيل له وما ذنب الحمام ؟ قال من أجله كذب على رسول الله ﷺ فنرك العلماء حديث أبي البخري لذلك وغيره من موضوعاته فلم يكتبوا حديثه وكان أبو البخري المذكور قاضى مدينة النبي ﷺ بعد بكار بن عبد الله الزبيدي ثم ولي قضاء بغداد بعد أبي يوسف صاحب أبي حنيفة رحمه الله وتولى أبو البخري سنة مائتين في خلافة المأمون والبخري مأخوذ من البخرة التي هي الخيلاء وهو يتصفح على كثير من الناس بالبخري الشاعر المشهور والأول بالخاء المعجمة والثنائي بالحاء المهملة : قال ابن أبي خيثمة والشيخ تقي الدين القشيري في الاقتراح واضع حديث الحمام غياث بن إبراهيم وضعه للمهدي لا للرشيد وقال ابن تقيية وأبو البخري هو وهب بن وهب بن وهب ثلاثة أسماء على نسق واحد ومثله في مملوك الفرس بهرام بن بهرام بن حسن ومثله في الطالبين حسن بن حسن بن حسن ومثله في غسان الحرب الأصغر ابن الحرب الأبرج ابن الحرب الأكبر انتهى قلت ومثله في المتأخرين الغزالي محمد بن محمد بن محمد أحد أصحاب الرجوة في الملذهب (انظر ترجمته) ...

وذكر ابن خلكان أن شرف الدين بن عتير حضر درس فخر الدين الرازي ببغداد فسقطت بالقرب منه حمامة وقد طردها بعض الجوارح فلما وقعت رجع عنها ولم تقدر الحمامة على الطيران من خوفها وشدة البرد فلما قام الإمام فخر الدين من الدرس وقف عليها ورق لها وأخذها بيده فأنشده ابن عتير بعدها أبياتا منها :

من نبا السورق جاء أن محلكم

حرم وأنت ملجأ للثغاف

وقدلت عليك وقد تلاني حشفا

فحبوتها ببقائهم المستأنف

لأنهم تعجب بمال لا تنت

من راحيك بنسائل منظر صاعف

فائدة : قال بعض الحكماء كل إنسان مع شكله كما أن كل طير مع جنسه وكان مالك بن دينار يقول لا يتفق اثنان في عشرة إلا وفي أحدهما وصف من الآخر فإن أشكال الناس كأجناس الطير ولا يتفق نوعان منه في طيران إلا لمناسبة بينهما فرأى يوما حمامة مع غراب فعجب من اتفاقهما وليسا من شكل واحد فلما مشيا إذا هما أخرجان ففان من ههنا اتفاقا وكل

عشر درهما ومات هشام بن عبد الملك وخلف أحد عشر ابنا فووت كل واحد منهم ألف ألف درهم ثم إنى وليت رجلا من أولاد عمر بن عبد العزيز حمل في يوم واحد على مائة فرس في سبيل الله تعالى ووليت رجلا من أولاد هشام يسأل أن يتصدق عليه انتهى قلت وهذا أمر غير عجيب فإن عمر وكلهم إلى ربه فكفاهم وأغناهم وهشام وكلهم إلى دنياهم فأفقرهم مولاهم .

وأما بيع زرق الحمام ومسرجين البهائم المأكولة وغيرها فباطل وثمة حرام هذا مذنبنا وقال أبو حنيفة يجوز بيع السرجين لاختلاف أهل الأصمار في جميع الأصمار على بيعه من غير إنكار ولأنه يجوز الانتفاع به فجاز بيعه كسائر الأشياء . واحتج أصحابنا بحديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال « إن الله تعالى إذا حرم على قوم شيئا حرم عليهم ثمنه » وهو حديث صحيح رواه أبو داود بإسناد صحيح وهو عام إلا ما خرج بدليل كالحمار وبأنه نجس العين فلم يجر بيعه كالمنزلة فإنهم وافقونا على بطلان بيعه مع أنه يتنفع بها وأما الجواب عما احتجوا به فهو ما أجاب به الماوردي وغيره أن بيعه إنما يفعله الجهلة والأراذل فلا يكون ذلك حجة في دين الإسلام وأما قولهم إنه يتنفع به فأشبهه غيره فالفرق أن هذا نجس بخلاف غيره .

الأشكال : قالوا آمن من حمام الحرم ، وألف من حمام مكة وقالوا تقلدها طوق الحمامة كتابا عن الخصلة القبيصة أى تقلدها كطوق الحمامة لأنه لا يزالها ولا يفارقه كما لا يفارق الطوق الحمامة ومثله قوله تعالى ﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ﴾ [الإسراء : ١٣] أى أن عمله لازم له لزوم القلادة أو الفل لا يتفك عنه . وقال الزمخشري فإن قلت لم ذكر ﴿ حسيبا ﴾ قلت لأنه بمنزلة الشاهد والقاضي والأمين لأن هذه الأمور الغالب أن يتولاها الرجال فكانه قيل له كفى بنفسك رجلا حسيبا . وكان الحسن البصري إذا قرأ ما قال يا ابن آدم أنصفك الله من جعلك حسب نفسك وقيل في قوله تعالى ﴿ سيطونون ما يخفون ما يخفون ﴾ [آل عمران : ١٨٠] أى يلزمون أعمالهم كما يلزم الطوق العنق يقال طوق فلان عمله طوق الحمامة أى ألزم جزاء عمله . روى الإمام أحمد في الزهد من مطرف أنه قال : إذا أنا مت فلا تجسسون لى يجتمع الناس فأطوقهم طوق الحمامة ومن هذا المعنى قول عبد الله بن جهمش لأبي سفيان :

أبلغ أبا سفيان عن

أمر عواقبه ندامه

جنس والقمارى جنس والفواخت جنس وأما اتخاذ للبيض والفراخ وللأس وحمل الكتب فحائز بلا كراهة وأما اللعب به والتطير والمسابقة فقبيل يجوز لأنه يحتاج إليها فى الحرب لنقل الأخبار والأصعب كراهته لما تقدم فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه الذى قال فيه « شيطان يتبع شيطانة » قال ابن حبان بعد رواية هذا الحديث إنما قال له شيطان لأن اللعاب بالحمام لا يكاد يخلو من لغو وعصيان والعاصى يقال له شيطان قال الله تعالى شياطين الإنس والجن وأطلق على الحمامة شيطانة للمجاورة ولا ترد الشهادة بمجرد اللعب بالحمام خلافا لمالك وأبى حنيفة فإن انضم إليه قمار أو نحوه ردت به الشهادة .

وروى أبو محمد الرامهرمزي فى كتابه المحدث الفاضل بين الراوى والروى عن مصعب الزيرى قال سمعت مالك بن أنس رضى الله عنه وقد قال لأبى أخته أبى بكر محمد وإسماعيل ابنى أبى أويس أراكما تحبان هذا الشأن وتطلبانه يعنى الحديث قال نعم قال فإن أحببنا أن نتنصبا ويتنفع الله بكما فأفلا متنه ونفها . قال : ونزل ابن مالك من فوق السطح ومعه حمام قد غطاه فعمل مالك أنه قد فهمه الناس فقال مالك الأدب أدب الله لا أدب الآباء والأهماء والخير خير الله لا خير الآباء والأهماء وروى عنه أيضا أنه قال : كان يحيى بن مالك بن أنس يدخل ويخرج ولا يجلس معنا عند أبيه فكان إذا نظر إليه أبوه قال هاه إن مما تطيب نفسى أن هذا الشأن لا يورث وإن أحدا لم يخلف أباه فى مجلسه إلا عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وكان أفضل أهل زمانه وكان أبوه أفضل أهل زمانه وقال البيهارى فى المناسك من صحيحه : حدثنا على بن عبد الله قال حدثنا سفيان قال حدثنا عبد الرحمن بن القاسم وكان أفضل أهل زمانه أنه سمع أباه وكان أفضل أهل زمانه يقول سمعت عائشة رضى الله عنها تقول « طيب رسول الله ﷺ يبدى هاتين ... » الحديث وأم عبد الرحمن قرية بنت عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه واتفق الناس على جلالة وإمامته وثقته وورعه وكثرة علمه ولد فى حياة عائشة رضى الله تعالى عنها وتوفى سنة ست وعشرين ومائة روى له الجماعة وروى أن المنصور أمير المؤمنين قال له يوما عفتى بما وليت قال مات عمر بن عبد العزيز وخلف أحد عشر ابنا فبلغت تركته سبعة عشر دينارا كفى منها بخمسة دنائير واشترى له موضع القبر بدينارين وأصاب كل واحد من أولاده تسعة

حبيب أنيس وربما دلت رؤية الحمام على النوح والتعبد قال الشاعر:

* حبيب حب إذا الحمام ينج *

وربما دلت الحمامة في الرؤيا على امرأة مباركة حسناء عربية لا تبغى بيطها بدلا والحمام على رأس المريض هو حمام الموت ، قال الشاعر :

من الحمام فإن كسرت عياله

من حائلهم فبأنهم حمام
ويروجها مجمع النساء وفرانها بنون فمن رأى أنه يعلف الحمام ويدعوهم إليه فإنه يقود وإن حشر الحمام والغربان في مكان واحد فإنه يقود أيضا لأن الغربان فساق وكل شيء يحشر مع غير جنسه كالنجاج والكلاب وأشباه ذلك فإنه قيادة وهدير الحمام كلام باطل ومن سمع حمامة تهدر فإنه يدل على امرأة تعاتب زوجها ومن رأى حمامة قذمت عليه وثقلها فإنه يرد عليه كتاب ومن نكرت منه حمامة ولم تعد إليه فإنه يطلق زوجته أو تموت ومن رأى كأن له حماما فإنه ممن يشتري الجوارى ومن قص جناح حمامة في المنام فقد حلف على زوجته أن لا تخبر من بيته ، أو تلد أو تحمل لأن النفاس والحمل يمتنان من الخروج .

والحمام الذي يهوى إلى الطريق فإنه خير يأتي الراي من مكان بعيد والحمام في المنام دليل خير لمن يصادق أو يشارك لا اجتماع بعضه مع بعض في الطيران والمزاوجة وقال جاماسب من اصطاد الحمام في منامه أكل مال أعدائه ومن رأى بعين حمامته نقصا فهو نقص في دين زوجته وحلقها وقال ابن المقري رؤية المنسوب من الحمام إلى من دونه شريف القدر أو النسب ورؤيته دالة على الإفراج والنصر على الأعداء واللهو واللعب وربما دل الحمام على الأزواج الصينيات وذوات الحفظ للأسرار والكذب على العيال وربما دل على الحمام الذي هو الموت وربما دل على المرأة ذات الأولاد والرجل الكثير النسل المتكفكف على أهل بيته والله أعلم (حياة الحيوان الكبير ١ / ٢٣٣ - ٢٤٠) .

ومما جاء في الشعر في الحمام ما أورده الثعالبي لابن عبد ربه وهو قوله في نوح الحمام :

ويشاج قلبي كلما كان سكاكنا

دعاه حمام لم يبت يسوكون

ولن ارتياحي من بكاء حمامة

كلني شجن دلويتيه بشجون

دار ابن عسك بمنه

نقضى بها عنك القسامة

وحلبكم بسالة رب التمام

ساس مجتهد القمام

انهب به انهب به

طوقها طوق الحمام

أى لزمه عارها قال الإمام عبد الرحمن السهيلي هذا المثل متزع من قول رسول الله ﷺ من غصب شيئا من أرض طوقه يوم القيامة من سبع أرضين وقوله طوق الحمامة لأن طوقها لا يفارقها ولا تلقى عن نفسها أبدا كما يفعل من ليس طوقا من الأكدمين وفي هذا البيت من حلاوة الإشارة وملاحة الاستعارة ما لا مزيد عليه وفي قوله طوق الحمامة رد على من تأول قوله ﷺ طوقه من سبع أرضين أنه من الطاقة لا من الطوق في العنق وقاله الخطابي في أحد قوليه مع أن البخاري قد قال في بعض رواياته غصب به إلى سبع أرضين وفي مصنف ابن أبي شيبة من غصب شيئا من أرض جاء به إسقاطا في عتقه والإسقاط كالحلق من الحديد وقالوا أخرق من حمامة لأنها لا تحكم عشا وذلك لأنها ربما جاءت إلى الفطن من الشجرة فتنبى عليه عشاها في الموضع الذي تلعب به الريح فيتكسر من بيضا أكثر مما يسلم قال عبيد بن الأبرص :

صبروا بأمرهم كما

عيت ببيضا الحمام

جعلت لها عودين من

بشم وأخضر من ثمام

الخواص : إذا سكن المخدور بقرها أو في بيت يجاورها أو في بيت هي في برى جاء به إسقاطا في عتقها أمان من الخدر والفالج والسكته والسبات وهذه خاصية عظيمة بديعة ودمها إذا اكتمل به حار أنفع من الجراحات المارضة للعين والغشاوة ودمها خاصة يقطع الرفاف الذي من حجب النماغ وإذا خلط بالزيت أبرأ من حرق النار وزيل الحمام حار وأشد حرارة زيل البرى الذي لا يأوى البيوت وأعجب ما في زيله إنه إذا سخن في الماء وجلس فيه من به عسر البول أبرأه وإذا طلى بالخل وضمد به من به وجع الاستشفاء نفعه نفعا يينا وزيل الحمام الأحمر إذا شرب منه قدر درهمين مع ثلاثة دراهم دارصيني نفع من الحصاة ولحم الحمام جيد الكلى ويزيد في الدم .

التعبير الحمام في المنام رسول أمين أو صديق صدوق أو

كان حمام الأيك لمسا تجسساوت
حززين بكى من رحمة لحززين
الوكون : جمع الركن : عش الطائر
وقوله فيه :

لقد سجت في جنح ليل حمامة
فأى أسى هناجت على الهائم الصب
لك السويل ، بل هيجت فجعوى بلا جوى
وشكوى بلا شكوى ، وكربى بلا كرب
(بئمة الدهر ج ٢ ق ٩ / ٨٣٧) .

(الرسالة الرشادية فيما يبرز تذكره وتأنيبه معا في المريعة - محمد
رشاد عبد الظاهر خليفة / ٢٠ ، لبان العرب لابن منظور / ١٢ / ١٠١١ ،
وتذكرة أوى الألباب للبلد بن عمر الأضاحي / ١ / ١٢٩ ، وصحائب
المخلوقات ودراب الموجدات للإمام زكريا بن محمد بن محمود
القرظوني / ٢٧٢ ، وصية الجيران الكبرى للشيخ كمال الدين
الدميري / ١ / ٢٣٣ - ٢٤٠ ، وبئمة الدهر لأبي منصور التتالي - أمد
تحفيظها وشرحها وعرف بشرائها ووضع فهرسها إيليا الحاروي ج ٢ ق ٩ /
٨٣٧) .

• الحمام :

(يفتح الحاء وتشديد الميم) .

انظر : الحمامات .

• حمام الرسائل :

سمى البريد بحمام الرسائل وكان وسيلة لنقل البريد هرفت
عند شعوب الأرض ، وكان الحمام يحمل البطائق في أجنحته
من مكان إلى مكان ، وكان له محطات تشبه مراكز بريد
الخيل ، سميت بروج الحمام وإن كانت على مسافات أبعد
من مراكز بريد الخيل وكانت قلعة القاهرة هي المركز الرئيس
لشبكة حمام الرسائل وتصل خطوطها إلى قرص في الصعيد
ودمياط والإسكندرية كما قد تشعب إلى ثيابات الشام حتى
الفرات . ومع ذلك فإن الحمام لم يكن يتمتع مراكزه فإذا
أرسل الخبر إلى المركز نقل ما يحتاجه إلى جناح طائر آخر .
وكان لحمام الرسائل ديوان فيه جرادت ثبت فيها أسنابه وقد
بلغ عدد الحمام في وقت من الأوقات تسعمائة وألف طائر .
وكان يشرف عليه في كل هذه البلاد رجال متخصصون
يسمون : براجين ، ولكل برج رئيس : مقدم ومنهم الخدام
تحت تصرفهم البشال لحمل ما يخص الحمام والبراجين
القائمين عليه وعلى طعامه .

وكانت الرسائل التي يحملها هذا الحمام من ورق خفيف
يحمل تحت جناح الحمام لضغطها من المطر ، ثم حملت
بعد ذلك في اللنب . وكان يكتب في هذه الأوراق عبارات
مختصرة وتؤرخ بساعة كتابتها من النهار . وكانت الرسالة
تكتب من صورتين ترسلان مع حمامتين وتطلق إحداها بعد
الأخرى وذلك للحرص على وصول الرسالة . وكان الحمام
يصبح يلون أزرق كلون السماء حتى لا يراه أحد أو يطلى
بالسواد لكي لا يراه العدو إذا أطلق بالليل . وكان الحمام يعلم
بعلامات في أرجلها أو مناقيرها . وكان الحمام الرسائل إذا
مر بمركز كتب وإلى هذا المكان بمروها إلى أن تصل
مختومة .

(التصريف بمصطلحات صبح الأثرى / ١٠٩ ، ١١٠) .

وقد ذكره الحافظ السيوطي فيسط القول فيه على النحو
التالي :

قال ابن كثير في تاريخه : في سنة سبع وستين وخمسمائة
اتخذ السلطان نور الدين الشهيد الحمام الهواوي ، وذلك
لاتحاد مملكته ، فأنها من حد أنوية إلى همدان ،
فلذلك اتخذ قلعة ، وحسب الحمام التي تسرى الأفاق في
أسرع مدة ، وأيسر عدة ، وما أحسن ما قال فيهن القاضي
الفاضل : الحمام ملائكة الملوك . وقد أطنب في ذلك
العماد الكاتب وأظرف وأطرب ، وأعجب وأغرب (تاريخ ابن
كثير / ١٢ / ٢٦٩) .

وفي سنة إحدى وتسعين وخمسمائة ، اعتنى الخليفة
الناصر لدين الله بحمام البطاقة اعتناء زائدا ، حتى صار يكتب
بأنساب الطير المحاضر إنه من ولد الطير الغلاني . وقيل إنه
بيع بألف دينار .

وقد ألف القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر في أمور
هذه الحمام كتابا سماه « ثمانم الحمامات » (قال في كشف
الظنون : « صنفه حين حافظ عليها الفاطميون بمصر ،
وبالغوا فيها حتى أفرادوا لها ديوانا وبأنساب الحمامات »)
وذكر فيه فصلا فيما ينبغي أن يفعله المنطق وما جرت العادة به
في ذلك فقال :

كان الجاري به العادة أنها لا تحمل البطاقة إلا في
جناحها ، لأمر منها ، حفظها من المطر ولقوة الجناح ؛
والواجب أنه إذا أطلق من مصر لا يطلق إلا من أمكنة
معلومة ، فإذا سرحت إلى الإسكندرية ، فلا تسرح إلا من منية
عقبة بالجيزة ، وإلى الشرقية فمن مسجد التين ظاهر القاهرة ،

فما تمكن عين الشمس تظلمه
ولا تجوز أن تأقيقه من فيها
منسوبة لرسالات الملوك فيها
ممنسوب تسمو ويسمونها تسميها
أكرم بجيش سعيد ما سعادت
مما يشكك فيها فكر حاكمها
حما حمى الفار يوم الفار حرمته
فيها لها وقمة عزت مسامحتها
وكسوفه عند ذلك الباب شرفه
وللمعادة أوقات ثوابتها
ويوم فتح رسول الله مكتسه
عند السخول إليها من براديتها
صفت تظلل من شمس كتيسته الله
سخر أمطره فيها ثوابها
فظلمته بما كانت سود حموى
لوقابلها بأشواق فنتيها
فمنعها حظيت بالقرب أمنها
فشرفت بطايبا جل مهديها
فما يحل لدى صيد تناولها
ولا ينال المني بالنار مصلها
ولا تطير بأوراق الفرنج ولا
يسير عنها بما فيه أمانيها
سمت بملك المماني غير ذي نفس
لا ترقيهم ، ولو جيزت نواصيها
وانظر لها كيف تأتى للخلات من
أل السر رسول بعث كسامن فيها
من المقام إلى دار السلام فلم
بعض النصار يمزق من دواهيها
وربما قبل عند الهند ملقطها
حيات لقلقه وارشد مطيها
فجاء في يومه في إثر سابله
حفظا لحق يد طابت أباديها
منأقب لرسول الله أيسرها
لدى نبوته الفراء تكفيها

وإلى دماط فمن يسوس بشط بحر منجى . والذي استقرت
قواعد الملك عليه ، أن طائر البطاقة لا يلهو الملك عنه ولا
ينغل ، ولا يمهل لحظة واحدة ، فتوت مهمات لا تستدرك ،
إما من واصل وإما من هارب ، وإما من متجدد في الثغور .
ولا يضع البطاقة من الحمام إلا السلطان بيده من غير واسطة
أحد ؛ فإن كان يأكل لا يمهل حتى يفرغ ، وإن كان نائما لا
يمهل حتى يستيقظ بل يتبه . ويتبني أن تكتب البطائق في
ورق الطير المعروف بذلك .

قال : ورأيت الأوائل لا يكتبون في أوائلها بسملة .

قال : وأنا ما كتبتها قط إلا بسملة للبركة ، وتؤخذ بالساعة
واليوم ، لا بالسنين ؛ ويتبني ألا يكثر إلا لب الكلام وزيلته .
ولا بد أن يكتب شرح الطائر ورفيقه إن كانا طائرين قد سرحا .
حتى إن تأخر الطائر الواحد رقب حضوره ، أو يطلق لثلا يكون
قد وقع في برج من أبراج المدينة ولا يعمل للبطائق هامش ولا
يعمدى ، وجزت العادة بأن يكتب في آخرها : « وحسبنا الله
ونعم الوكيل » ، وذلك حفظ لها .

ومن فصل في وصفها لجاج الدين أحمد بن سعيد بن الأثير
كاتب الإنشاء : طالما جادت بها فأصبحت مغلفة وزادها
تبكى عليها السحب ، وصدق من سماها أنباء للطير لأنها
مرسلة بالكتب .

وفيها يقول أبو محمد أحمد بن علوى بن أبى عقبال
الغبراني :

خضر تقوت السريح فى طيراتها
يسا بعد بين غلغولها ورواحها
تأتى بأغبصار النملو عشية
لمسير شهر تحت ريش جناحها
وكأنها الروح الأمين بوجيه
نفت لهايامة منه فى أرواحها
وقال غيره :

يا حبسا الطائر الميمون يطرقنا
فى الأمر بالطائر الميمون تنيها
فاقت على الهند الماكور إذ حملت
كتب الملوك وصباتها أصاليها
تلقى بكل كتاب نحو صاحبه
تصون نظرتة صونا وتخفيها

ومن إنشاء القاضي الفاضل في وصف حمامات الرسائل :
 مسرحت لا تزال أجنحتها محملة من البطائق أجنحة ،
 وتجهز جيوش المقاصد والأقلام أسلحة ، وتحمل من الأخبار
 ما تحملها الضمائر ، وتطوى الأرض إذا نشرت الجناح للطائر ،
 وتزوى لها الأرض حتى ترى ملك هذه الأمة ، وتقرب من
 السماء حتى ترى ما لا يبلغه وهم ولا همة ، وتكون مراكب
 للأغراض وكانت والأجنحة قلوها ، وتركب الجو بحرًا تصفق
 فيه هبوب الرياح موجًا مرفوحًا ، وتعلق الحاجيات على
 أعجازها ، ولا تفرق الإرادات عن إنجازها ، ومن بلاغات
 البطائق استغادات ما هي مشهورة به من السجع ، ومن رياض
 كتبها ألفت الرياض فهي إليها دائمة الرجوع . وقد سكنت
 البروج فهي أنجم ، وأصدت في كتابتها فهي للحاجات
 أسهم ، وكادت تكون ملائكة لأنها رسل ، فإذا نطقت بالرقاع ،
 صارت أولى أجنحة منى وثلاث ورياح . وقد باعد الله بين
 أسفارها وقربها ، وجعلها طيف خيال البقطة الذي صدق
 العين وما كلفها ، وقد أخذت جهود الأمانة في رقابها أطواقا ،
 فأذنها من أذنانها أرواقا ، وصارت غوايى من وراء الخوايى ،
 وغطت سرها المودع بكتمان سحبت عليه ذيول ريشها
 الضوايى ، ترشم أنف النوى بتقريب المهود ، وتكاد العين
 تلاحظها تلاحظ أنجم السمود ؛ وهي أنبياء الطير لكثرة ما تأتي
 به من الأنباء ، وتخطبها لأنها تقوم على الأخصان مقام
 الخطباء .

وقال في وصفها شيخ الكتاب ذو البلاغين السيد أبو
 القاسم شيخ القاضي الفاضل :

وأما حمام الرسائل ؛ فهي من آيات الله المستنطقه
 اللسان بانسيب ، العاجز عن وصفها إحصاء تحمل من
 البطائق ، وترد به مسرعة من الأخبار الواضحة الحقائق ،
 وتعالى في الجهر محلقا عند مفارها ، وتهدي على الطريق التي
 عليها ليأمن من قوت الإدراك وأخطاره ، ونظرة إلى المقصد
 الذي يسر إليه من على ، ووصله إلى أقرب الساعات بما
 يصل به البريد في أبعاد الأيام من الخبر الجلى ، ومجيئه مبدلا
 لرؤوس السنان مسامتا ، وإثارة بالمتجددات فكانه ناطق وإن
 كان صامتا ، وكره يهيم محمولا على ظهر المركوب ،
 ويرجع عاملا على ظهره للمكروب ، ولا يحرج على تذكر
 الهجير ، ولا يسأم من الدلب في الخدمة زائلا على التقدير ،
 وفي تقدمه الإشارة ، يكون المعنى بقولهم : ليمن طائر ؛ ولا
 غر أن فارق رسل أهل الأرض وفاتهم وهو مرسل والعنان عنه

، والجو ميدانه ، والجناح مركبه ، والرياح مركبه ، وإبتداء
 الغاية شوطه ، والشوق إلى أهله سوطه ؛ مع أنه ما يحدث
 لمتاب السفار ، ومخبات القفار ، من مخاوف الطوارق وطوارق
 المخاوف ، ومتلف النوافل وغرائل المتائف ، إلا ما يشد من
 اعتراض خارج جارح ، وانقضاض كاسب كاسر ، فتكف
 سعادة الدولة تأميه ، وتصعد عنه تصميمه ، لأنه أخذ جيشها
 من الطيرين اللذين يحدثان في أحداثها ؛ هذا بالإنتذار
 الجاعل كيدهم في تضليل ، وذلك بما ترى وابتهام المنصورة
 عليهم من تظليل .

وقال القاضي محيى الدين بن عبد الظاهر رحمه الله
 تعالى :

ولما وقفت على ما أنشأه القاضي الفاضل ، وعلى ما أنشأه
 الشيخ السيد أردت أن أجرب المخاطر ، فأثارت وأنا غير
 مغالط أحدا بل مغالط ، وأبن الثرى من الثريا ، وما الحسن
 لكل أحد يتبها ، وعلى أن أجيب وما على أن أجيد ، وما كل
 والد يدرك شأه الوليد ، ولا كل كاتب عبد الرحيم ولا عبد
 الحميد ، فقلت :

وأما حمامات الرسائل فكم أغنت البرد عن جوب القفار ،
 وكم قلدت جيورها على أسرى أسرار ؛ وكم أعارت السهام
 أجنحة فأحسنت تلك العارية المطار ، وكم قال جناحها
 لطالب النجاح : لا جناح ، وكم سرت فحصدت السماء إذا
 حمد غيرها من السارين الصباح ، وكم ساوقت الصبا
 والجنايب ففائقها ولم تخرج سلام المشتاق إلى امتطاء
 كاهل الرياح .

كم حسن ملك كل منهما ملك ، وكم قال مسرحها
 لمجيئه بها : قرء عين لى ولك ، كم أجملت في الهوى تقليا ،
 وإذا غنت الحمامات على الغصون سمعت عن الهليل والهدير
 تأديا ، كم دفعت شكبا يقينها ، ورفعت شكوى بيتينها ، وكم
 أدت أمانة ولم تعلم أجنحتها بما فى شمالها بما فى بيتها .
 كم للفت منها الساق بالساق ، فأحسنت لربها المساق ، وكم
 أخذت جهود الأمانة فيدت أطواقا فى الأفتاق ، ويقال ما
 تضمنته من البطائق بعض ما تعلق منها فى الرياض من
 الأرواق ، تسبق اللوح ، وكم استفتح بها بشير إذا جاء
 بالفتح ، تقوت الطرف السابق ، والطرف الرامى الرامق ، وما
 تلت سورة البروج إلا وتلت سورة الطارق كم أنسى مطارها عدو
 السلكة والسليك ، وكم غنيت فى خدمة سلطانها عن الغناء
 وقال كل منهما لرفيقه : إليك عن الأيك .

من حملة الكتاب الذي إذا وصل القارئ منه إلى الفتح يتهلل لحبه الخير ؛ إن يصدر البازي بغير علم فكم جمعت بين طرفي كتاب ، وإن سألت العقبان على بديع السجع أحجمت عن رد الجواب .

رعت التيسور بقسوة جيف الفلا

ورعى الليناب الشهد وهو ضميف

ما قدمت إلا وأرنتنا من شمالكها اللطيفة نعم القادمة ، وأظهرت لنا من خوافيها ما كانت له غير كاتمة . كم أهدت من مخيلها وهي غادية رافحة ، وكم حنت إليها الجوارح وهي أدام الله إطلاقها عر جارجة ، وكم أدارت من كؤوس السجع ما هو أرق من قهوة الإنشاء ، وأبهج على زهر المشور من صبح الأعشى . وكم هامت بحور الفضاء ولم تحفل بموج الجبال ، وكم جاءت ببشارة ونضبت الكف من تلك الأتملة قلامة الهلال ، وكم زاحمت النجوم بالمتاكب حتى غظرت بكل كف خضيب ، وإنحدرت كأنها دمة سقطت على خد الشقيق لأمر مريب ، وكم لمع في أصل الشمس خضاب كفها اليراسع فصارت بسموها ولفط الهبة كمشكاة فيها مصباح والله تعالى يديم بأفنان أبوابه العالية المعان السواجع ، ولا برح تغريدها مطرا بين البادئ والراجع (حسن المحاضرة ٢/ ٣١٣-٣١٩) .

وقد ذكر المقرئ عند الكلام على العلامة السلطانية حمام الرسائل فقال :

وكانت العادة أن يطالع نواب المملكة السلطان بما يتجدد عندهم تارة على أيدي البريدية وتارة على أجنحة الحمام فتعود إليهم الأجوبة السلطانية وعليها العلامة فإذا ورد البريدية أحضره أمير جانداد وهو من أمراء الألواف والبلدادار وكاتب السريين يدي السلطان فيقبل البريدي الأرض ويأخذ الدوادار الكتاب فينسخه بوجه البريدي ثم يتاوله للسلطان فيفتحه ويجلس حيثنأ كاتب السر ويقره على السلطان سرا فإن كان أحد من الأمراء حاضرا تنحى حتى يفرغ من القراءة ويأمر السلطان فيه بأمره وإن كان الخبير على أجنحة الحمام فإنه يكتب في ورق صغير خفيف ويحمل على الحمام الأزرق وكان لحمام الرسائل مراكز كما كان للبريد مراكز وكان بين كل مركزين من البريد أميال وفي كل مركز عدة خيول كما بيناه في ذكر الطريق فيما بين مصر والشام وكانت مراكز الحمام كل مركز منها ثلاثة مراكز من مراكز البريد فلا يتعدى الحمام ذلك المركز وينقل عند نزوله المركز ما على جناحه إلى طائر

ما أحوج تصديقهما في رسالتهما إلى الإعرزاز بثالث ، وكم قيل في كل منهما لمن سام هذا حام في خدمة أبناء يافث ، كما سرحا بإحسان ، وكم طارا بأقن فاستحق أن يقال لهما : فرسا مسحاب إذا قيل لأحدهما فرسا رهان ، حاملة علم لمن هو أعلم به منها ، يقن السفار والسفارة فلا تحوجهم إلى الاستثناء عنها .

تغدو وتروح ، وبالسرا لا تبرح ، فكم غنيت باجتماعها بالفتا عن أنها تروح . كم سارت تحت أمر سلطانها أحسن السير ، وكم أفهمت أن ملك سليمان إذ سخر له منها في مهماته الطير ، أسرع من السهام المفوكة ، وكم من البطائق مخلقة وغير مخلقة ، كم ضللت من كيد ، وكم بدلت في مقصورة دونها مقصورة ابن دريد .

ومن إنشأه الأدب تقى الدين أبو بكر بن حجة في ذلك :

سرح فما سرح العيون إلا دون رسالته المقبولة ، والله طلب السبق فلم يرض بعرف السرق سرحا ولا استظل صفحته المصقولة ؛ وكم جرى دونه النسيم فقصر وأمست أذياله يعرف السحب بملولة . وأرسل فأتم الناس برسالته وكتابه المصلق ، وانقطع كوكب الصبح خلفه فقال عند التقصير : كتب يجهاب وعلى يدي يخلق ، يؤدي مساجه على يده من الترسل فيهبب الأشواق ، وما بزحت الحمام تحسن الأداء في الأرواق ، وصحبه على الهدي فقال : ﴿ ما ضل صاحبكم وما غوى ﴾ [النجم : ٢] ومن روى عنه أخلصه المسند فعن حكمة قد روى ، يطير مع الهوى لفرط صلاحه ولم يبق على السر المصون جناح إذا دخل تحت جناحه ؛ إن برز من مقفصه لم يبق للصرخ الممرد قيمة ، بل ينزل بتدبير أطرافه ويعلق عليه من العين تلك التهمة ، ما سجن إلا صبر على السجن وضيقة الأطواق ، ولهذا حسدت عاقبته على الإطلاق ، ولا غنى على عبد إلا أسأل دمع الندى من حدائق الرياض ، ولا أطلق من كيد الجو إلا كان سهما مريشا تبلغ به الأغراض . كم علا فصاد برش القوادم كالأنداب لعين الشمس ، وأمسى عند الهبوط لعين الهلال كالطمس ؛ فهو الطائر الميمون والغاية السبابة ، والأمين الذي إذا أودع أسرار الملوك حملها بطلاقة ؛ فهو من الطيور التي خلا لها الجو فغرت ما شادت من حبات النجوم ، والمعجم التي من أخذ عنها شرح العلاقات فقد أصرب عن دقائق المفهوم ، والمقدمة والنتيجة للكتاب الحملي في منطق الطير ، وهي

آخر حتى يسقط بقلمة الجبل فيحضره البراج ويقراً كاتب السر البطاقة وكل هذا مما يعلم عليه القصر .

ويصف المغربي أبراج حمام الرسائل التي كانت بقلمة الجبل أو قلعة صلاح الدين فيقول :

أبراج الحمام : كان بالقلمة أبراج يرسم الحمام التي تحمل البطائق وبلغت علتها على ما ذكره ابن عبد الظاهر في كتاب ثمائم الحمامات إلى آخر جمادى الآخر سنة سبع وثمانين وستمائة ألف طائر وتسعمائة طائر وكان بها عدة من المقدمين لكل مقدم منهم جزء معلوم وكانت الطيور الملكورة لا تيرج في الأبراج بالقلمة ما عدا طائفة منها فإنها في يرح بالبرقية خارج القاهرة يعرف بريح الجبل وبنه الأمير فخر الدين عثمان ابن قزل أستاذ الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب وقيل له بريح القيوم فإن جميع القيوم كانت في إقطاع ابن قزل وكانت البطائق ترد إليه من القيوم ويمنها من القاهرة إلى القيوم من هذا البرج فاستمر هذا البرج يعرف بذلك وكان بكل مركز حمام في سائر نواحي المملكة مصرًا وشامًا ما بين أسوان إلى الفرات فلا تحصى عدة ما كان منها في الثغور والطرفات الشامية والمصرية وجميعها تدرج وتنقل من القلمة إلى سائر الجهات .

وكان لها بنال الحمل من الاصطبلات السلطانية وجامعات البراجين والعلوفات تصرف من الإهراء السلطانية فتبلغ الثقة عليها ما لا يحصى كثرة وكانت شريفة العلف لكل مائة طائر ربع وية فول في كل يوم وكانت العادة أن لا تحمل البطاقة إلا في جناح الطائر لأشور منها حفظ البطاقة من المطر وقوة الجناح ثم إتهم عملوا البطاقة في الغنم وكانت العادة إذا بطق من قلمة الجبل إلى الإسكندرية فلا يسرح الطائر إلا من منية عقبه بالجيزة وهي أول المراكز وإذا سرح إلى الشرقية لا يطلق إلا من مسجد تبر خارج القاهرة وإذا سرح إلى دمياط لا يسرح إلا من ناحية يسوس وكان يسير مع البراجين من يوصلهم إلى هذه الأماكن من الجاندارية .

وكذلك كانت العادة في كل مملكة يتوشى الأبداء في الترسيع عن مستقر الحمام والقصد بذلك إنها لا ترجع إلى أبراجهم من قريب وكان يعمل في الطيور السلطانية علامات وهي داخات في أرجلها أو على مناقيرها ويسمونها أرباب السلحوب الاصطلاح وكان الحمام إذا سقط بالبطاقة لا يقطع البطاقة من الحمام إلا السلطان بيده من غير واسطة وكانت لهم عناية شديدة بالبطائرة حتى إن السلطان إذا كان يأكل ويسقط الطائر لا يهمل حتى يفرغ من الأكل بل يحل البطاقة ويترك الأكل وهكذا إذا كان نائمًا لا يهمل بل يته .

قال ابن عبد الظاهر : وهذا الذي رأينا عليه ملوكنا وكذلك في الموكب وفي لعب الأكره لأنه بلصمة يفوت ولا يستدرك المهم العظيم إما من واصل أو هارب وإما من متجدد في الثغور قال وينبغي أن تكتب البطائق في ورق الطير المعروف بذلك ورأيت الأوائل لا يكتبون في أولها بسمة وتوزج بالساعة واليوم لا بالسنين وأنا أورها بالسنة ولا يكثر في نعوت المخاطب فيها ولا يذكر حشو في الألفاظ ولا يكتب إلا لب الكلام وزيدته ولا بد وأن يكتب سرح الطائر وريقه حتى إن تأخر الواحد تقرب حضوره أو تطلب ولا يعمل للبطائق هامش ولا تجميل ويكتب آخرها حبسلة ولا تمنون إلا إذا كانت منفردة مثل أن تسرح إلى السلطان من مكان بعيد فيكتب لها عنوان لطيف حتى لا يفتحها أحد وكل وال تصل إليه يكتب في ظهرها أنها وصلت إليه ونقلها حتى تصل مختومة قال وما شاهده وتوليت أمره أنه في شهر سنة ثمان وثمانين وستمائة حصر من جهة نائب العصبية نيف وأربعون طائرا صحبة البراجين ووصل كتابه أنه درجها إلى مصر فأقامت مدة لم يكن شغل تبطق فيه قتال براجوها قد أرفق الوقت عليها في القرنصة وجرى الحديث مع الأمير يسار نائب السلطنة فتقرر كتب بطائق على عشرة منها بوصولها لا غير وسرحت يوم أربعاء جميعها فاتفق وقيع طائرين منها فأحضرتهما وحصلا الاستهزاء بها فلما كان بعد مدة وصل كتاب السلطان أنها وصلت إلى العصبية في ذلك اليوم بعينه ويطق بذلك في ذلك اليوم بعينه إلى دمشق ووصل الخبر إلى دمشق في يوم واحد وهذا مما أثار مصره وحاضره والمشير به قال مؤلفه رحمه الله : قد بطل الحمام من سائر المملكة إلا ما ينقل من قطيا إلى بليس ومن بليس إلى قلمة الجبل ولا تسر بعد ذلك عن شيء وكأني بهذا القدر وقد ذهب ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم (المواظف والاعتبار ٢ / ٢١١ ، ٢٣١ ، ٢٣٢) .

(التصریف بمصطلحات صبح الأعشى - محمد فتاح البقلى / ١٠٩ ، ١١٠ ، من صبح الأرشى للقلشندى ١١٨ / ١١٩ ، ١٢٠ / ٣٧٦ رعن د . عبد المنعم ماجد : نظم دولة سلاطين المماليك ١ / ١٤٩) وحسن المحاضرة للملاحظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي - بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ٢ / ٣١٣ - ٢١٩ ، والمواظف والاعتبار بذكر الخطوط والآثار لقضى الدين المغربي ٢ / ٢١١ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ . انظر أيضا تاريخ ووصف قلعة القاهرة - بول كاتزفول - ترجمة وتقديم د . أحمد دراج ، مراجعة د . جمال منير / ٩٢ ، ٩٣ .

انظر : بطائق الحمام في م / ١٩١ ، ١٩٢ .

• حمام الزاجل :

انظر : حمام الرسائل .

* الحماما :

من مصنفات التراث الإسلامي في طب الأعشاب . قال داود الأنطاكي : الحماما : باليونانية أوميا وزهرها هو اللوقاين وليست البنزواتيا بل ذاك اسم للفاشرا وهذا النبات خشب مشتبك كالمناقيذ ياقوتى ذهبى حريف حاد طيب الرائحة يتفرع من أصل واحد صلب المكسر جيد العطرية ينبت بأرمينية وطرسوس والكائن منه بالشام أخضر دقيق ومنه أبيض مشرب بصفرة سريع التفتت وكلاهما رديء وينبت بنيسان له زهر إلى الحمرة كزهر الخيري أو الساج وورق كالفاشرا وكلمتا اشتد خلصت حمرة ويؤخذ بأب بعد كمال بزوه فإن أخذ قبل ذلك فسد ويعرف صحيحه يشبه الياقوت لونا وقوة العطرية والصلابة وقوة هذا النبات تبقى إلى سبع سنين وهو حار يابس في الثالثة أو يسه في الثانية من أخلاط الترياق الكبير والأطياب الجيدة .

وهو يحلل الرياح والمقص ويفتح السدد وغلظ الكبد والطحال وسائر الأورام وأمراض المععدة والرحم حمويا وشربا والنفرس طلاء ونظولا ودرهم منه مع نصف درهم زجاج مكلس يطلق البول ويفتت الحصى من يومه ويسكن الصلابة ورحله لسع العقرب بالبادروج يقع في الأكحال وأخلط الجاوي المصنوع وهو يضر المعلة ويصلحه الكرفس ويكسل ويهبط النوم ويصلحه الدارصيني وشرته إلى مثقال وبله مثله أسارون ونصفه كمنون أبيض (تذكرة أولى الألباب ١ / ١٢٦ - ١٢٨) .

وقد ذكره المظفر الرسولي نقلا عن مصادر ثلاثة رمز إليها بالحروف التالية :

ع : عبد الله بن اليطار صاحب « الجامع لقوى الأدوية والأغذية » .

ج : ابن جوزة صاحب « منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان » .

ف : أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسي قال المظفر الرسولي :

حماما : « ع » هي شجرة كأنها عقود خشب ، . مشتبك بعضها ببعض ، وله زهر صغير مثل الدواء الذي يقال له الخيري ، وله ورق شبيه بورق الفاشر ، أو الفاشرين ؟ وأجوده ما كان لونه شبيها بالذهب ، ولون خشبه إلى لون الياقوت ، وهو طيب الرائحة ، جدا ، وقوته شبيهة بقوة الوجد ، إلا أن الوجد أكثر تجفيفا ، والحماما أكثر إضجاعا ، وقوته مسخرة

قابضة ميسة ، ويهبط النوم ، ويسكن الصداع إذا ضمدت به الجبهة ، وينضج الأورام الحارة ، وينفع من لسعة العقرب إذا ضمد بها مع الباذروج المكان الملسوع ، وخاصيتها النفع لطرد الرياح ، وتقوية المعلة ، وتقوية الكبد . وقوة الحماما في الحرارة واليبوسة من الدرجة الثالثة ، وهي جيدة للسدد في الكبد مع برد وبذل الحماما عند دمها ، وزنها من الأسارون ، وإن شئت وزنها من الوجد وزنها من الكمنون الأبيض . « ج » هو شجرة كعقود من خشب مشتبك ، وله زهر أبيض يشبه الساج في اللون . وهو حار يابس في الدرجة الثانية ، وقيل في الثالثة ، وهو مرقق منضج ، فيه قبض ، وقدر ما يؤخذ منه إلى درهمين . « ف » هو شجرة صغيرة كعقود من خشب ، فيها زهرة ، حار يابس في الثانية ، ينفع من القرمس وأوجاع الأرحام والمععدة . الشربة منه : ثلاثة دراهم .

(تذكرة أولى الألباب للدواوين عمر الأنطاكي ١ / ١٢٦ - ١٢٨ ، والمتمد في الأدوية المفردة للمظفر الرسولي - صححه وفهرسه مصطفى السقا ، ١ / ١٠٣) .

* الحمامات :

الحمام : (بتشديد الهمج الأولى) : وهو مكان خاص يغتسل فيه يذكر ويؤنث ولكن التأنيث أكثر . في المصباح : الحمام مقل (أي مشدد) معروف والتأنيث أغلب فيقال هي الحمام وجمعها حمامات على القياس ويذكر فيقال : هو الحمام (الرسالة الرشادية / ٢١) .

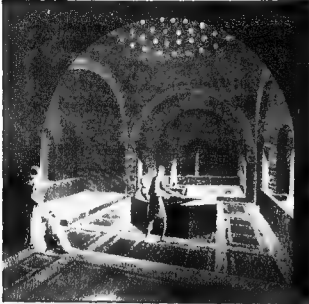
وجاء في اللسان : الجوهري : الحمام مشدد واحد الحمامات المنبئة ... قال ابن بري : وقد جاء الحمام مؤنثا في بيت زعم الجوهري أنه يصف حماما ، وهو قوله :

فلما دخلت سمعت فيها رجلا

لفظ المصاويل في بيروت هداد

قال ابن سيده : والحمام الدوماس ، مشتق من الحميم ، مذكر تذكرو العرب ، وهو أحد ما جاء من الأسماء على فعال ، نحو القذاف والجبان ، والجمع حمامات . قال مسيوه : جمعه بالآلف والتاء وإن كان مذكرا حين لم يكسر ، جعلوا ذلك عوضا من التكمير (اللسان ١٢ / ١٠٨) .

كانت الحمامات العامة من الأبنية المهمة في العالم الإسلامي وكانت تنتشر في جميع المدن ، وذلك نظرا لأهميتها في التطهر والنظافة ، وكان يلاحظ في بنائها أن تصمم بحيث تتيح للمستعم أن ينتقل تدريجيا من الجو الحار إلى الجو



حمام عمري (بغداد)

القصور الأموية مثل قصر عمره ٩٤ - ٩٧ هـ / ٧١٢ - ٧١٥ م) وحمام الصرخ (١٠٧ - ١١١ هـ / ٧٢٥ - ٧٣٠ م)، وقصر الخير الغربي (١١٠ - ١١١ هـ / ٧٢٨ - ٧٢٩ م)، وغربة المفجر (١٢٦ - ١٢٧ هـ / ٧٤٣ - ٧٤٤ م) (الثراء المعماري الإسلامي في مصر / ٦٢).

فالحمامات من الأبنية العامة التي أقيمت في المدن الإسلامية منذ الأيام الأولى للفتح، لا لأنه دليل حضارة وثرف وغنى فحسب، بل لحاجة ضرورية أوجبتها فريضة الانخسار في الإسلام على الرجال والنساء من دون تفریق. ولم يقتصر دور الحمام على الخدمة الوظيفية وحدها، بل تمددا إلى أبعد من ذلك بكثير، ليحتل مركزاً رئيسياً على الأصعدة الدينية والاجتماعية والفنية والأدبية... ولم تكن الحمامات أقل أهمية من المساجد والمكتبات والخانات والأسواق.

ومن أخصار الحمامات الأولى في الإسلام: ثلاثة قامت في البصرة، وحمام الفار أقامه عمرو بن العاص في القسطنطينية، والحاضرة التي صار فيها عام ٥٣٩ هـ / ١١٤٤ م ألف وست مئة وسبعون حماماً. وراح عددها يزداد في كل المدن إلى أن بلغ في بغداد في القرن الرابع للهجرة المائتين للميلاد، ستمائة ألفاً بينما كان العدد في نهاية القرن نفسه ستمائة في قرطبة أرقام يصعب تصديقها ولكن يستخلص منها دلالة أكيدة على

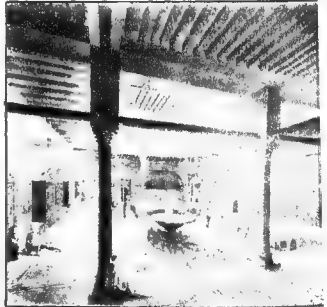
البارد حتى لا يصاب بأذى... وكان يقسم الحمام إلى ثلاثة أقسام حسب درجة المياه وكان الحمام يستن من طريق إيقاد النار تحت أرضيته، وكان يشتمل على أنابيب الماء الساخن والبارد داخل الجدران. ومما يستحق الانتباه أن الحمامات كانت من أقدم الآثار الإسلامية التي وصلتنا.

وشاع استخدام التصوير في زخرفة الحمامات حتى اضطر الفقهاء إلى أن يفتوا النظر إلى ما في ذلك من حرمة، وأن يحشوا على إزالة صور الحمامات. من ذلك ما حدث عليه الإمام أحمد بن حنبل بقوله «إن الإنسان إذا دخل الحمام ورأى صورة فينفي أن يحكمها فإن لم يقدر خرج».

ومن الحمامات التي اشتملت على صورة ووصلتنا آثارها قصير عمره والحمام القاطمي (مدخل إلى الآثار الإسلامية / ٢١٠، ٢١١، والفن الإسلامي / ١٢٤).

إن تعاليم الإسلام وكذلك مناخ منطقة الشرق الأوسط الحار قد استوجب وجود العديد من الحمامات العامة التي لا تزال بقاياها حتى الآن بالقاهرة. وخصصت حمامات للرجال وأخرى للسيدات أو حددت أيام خاصة للسيدات. وقد احتوت القصور والمسكن الخاصة على حمامات.

ولقد أنشئت الحمامات في بداية العصر الإسلامي فأنشئ حمام عمرو بمدينة القسطنطينية. كذلك وجدت الحمامات في



حمام عمري (بغداد)

٧٦٥هـ)، ألفه في سنة ٧٥٣هـ، على طريقة الفقهاء المحدثين وتوجد منه نسخة محفوظة في مكتبة كوبريلي باستامبول، رقمها ١٢١٤، وقد كتبت في سنة ٨١٠هـ.

٢- القول الثام في آداب دخول الحمام، تأليف الشيخ شهاب الدين بن العماد الشافعي الأقيسي (المتوفى سنة ٨٠٨هـ). وتوجد منه نسخة في مكتبة البلدية بالإسكندرية، ورقمها ٣٨٢٢ ج، وأخرى في مكتبة الفاتيكان ورقمها ١٤٢١، وثالثة في مكتبة برلين ورقمها ٣٦٣٥.

٣- مقالة في الحمام، وضعها الطبيب بدر الدين محمد ابن محمد القروصوني (المتوفى سنة ٩٣١هـ).

٤- التحفة البكرية في أحكام الاستحمام الكلية والجزيئية، للشيخ داود بن عمر الأنطاكي (المتوفى ١٠٠٨هـ)، وتوجد منه نسخة محفوظة في المكتبة الأهلية بباريس برقم ٣٠٣٤. وقد ذكرها إسماعيل باشا البندادي في هدية العارفين (الجزء ١، ص ٣٦٢) وسماها «رسالة في الحمام».

وهذا الاهتمام بموضوع الحمامات إنما يرجع إلى الدور الكبير الذي قامت به الحمامات في حياة الناس، وبمروضا كمادة لها قواعدها وأحكامها وأنظمتها وتقاليدها المرعية، بوصفها المكمل والمتمم للطبيعي للجسم، وارتباطها بالصلاة وبمفهوم التطهر لها (حدث في حالات كثيرة أن اجتمع الجامع والحمام في مبيين متلاصقين، مثلما كان عليه الحال في جامع سنان باشا ببولاق القاهرة) الذي شيد عام ١٥٧١هـ) (النزعة الزهية / ٩٠٧).

وقد أدرجها القنوجي في العلوم لقال عن علم الحمامات: ويقال له علم الديماس. والحمام وضع صناعي مركب الكيفية للتدبير والاستفراغ في الداخل والخارج. مقاد غايته جلب المنافع للبطن ودفع المضار عنه باعتبار حالة عناصر ذلك البدن فيتمتعها صحة أو فساد. والحاجة باعثة إلى اتخاذه. وهذا العلم من فروع علم الطب، وفيه رسالة للمسيوطة ورسالة للحكيم محمد أحسن الحاجي فوري نزيل بهويال لطف الله في الحال والمآل (في هامش الأصل حاشية نصها:

« هذه الرسالة ضمنتها مطلب نافعة قلما توجد في غيرها، وهي من أول من اتخذ الحمام ثم من اخترعه بعد الاندراش، ومن دخله من الصحابة، وما ورد فيه من الأحاديث، وما دلت عليه. وتكلمت فيها على هيئته وناقضه ومضاره وما يجب

الكثرة. وتجدر الإشارة إلى أن المبالغات لم تكن تتراق كل الروايات، فحين تصديق عندما يقال لنا: أن دمشق كان فيها في القرن السادس للهجرة، الثاني عشر للميلاد، اثنتان وخمسون حماما، وفي عام ١٣٦٢هـ/ ١٩٤٣م ستون، يعمل منها أربعون. وأن فاس كان فيها في القرن العاشر للهجرة، السادس عشر للميلاد، أكثر من مئة مام، بقي منها ثلاثون العام ١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م.

لقد انتشرت الحمامات حيث انتشر الإسلام في المشرق إلى المغرب وعلى مدى كل العصور وكان عددها ينحسر أمام ازدياد قيام الحمامات الخاصة في القصور والأبنية الفخمة ثم في المتواضعة. ولعل المسلمين هم أول من أضحى الحمام ببناء السكن كما هي الحال في حمامات قصير عمره وقصر الصرخ والاثناون في بادية الأردن وقصر الحير الغربي كما سبق القول في بادية الشام وقصر الزهراء.

(القرن الرابع للهجرة، العاشر للميلاد) في أسبانيا .

لقد عرفت الحمامات العامة مخططين اثنين من حيث الشكل: الأول يبنزطى طغت فيه القاعة الدافئة على ما سواها وكانت بشمانية أضلاع أو بياتي عشر. أما المخطط الثاني فهو طولي تصطف فيه قاعات مستطيلة تحتل فيه « الأولى » بدل « الدافئة »، مركز الصدارة وتميزت به العصور المبكرة. ولكن ابتداء من القرن التاسع للهجرة الخامس عشر للميلاد أصبح الحمام العثماني النموذج المحتلى، حاملا معه بعضا للإثر البيزنطي الأصيل ولكن بمسقط طولي وقد اكتفى في أكثر الأحيان بقاعات ثلاث: « البراني » و « الوسطاني » و « الجواني » (مرسومة المائة الإسلامية / ١٣٨، ١٣٩، ١٤١).

لقد أولى العلماء والأطباء المسلمون الحمام عناية كبيرة فأوردوه بعضهم ضمن مواد مؤلفاتهم كما فعل داود الأنطاكي في كتابه « تذكرة أولى الألباب » (١٣٠ / ١)، والإمام الغزالي في « إحياء علوم الدين »، وابن سينا في « دفع المضار الكلية للأبدان الإنسانية » (المقالة الثالثة: في الحمام / ٣٢- ٣٩) ويأتي بيانها فيما بعد إن شاء الله تعالى، وأفرد له آخرون مؤلفات قيمة، ومن هذه المؤلفات كتاب « النزعة الزهية » للشيخ الإسماعيل عبد الرؤوف المناوي، وقد ذكر منها محقق الكتاب الدكتور عبد الحميد صالح حمدان الأعمال التالية:

١- الإلمام بأداب دخول الحمام، للشيخ محمد بن السيد علي حمزة أبي المحاسن الحسيني (المتوفى

على ما ينبغي بحسب التعبير فيها . فالحمام يبرد البارد بالذات ويسخن بالماء الحار بالعرض ، ويرطب بهما وبالماء يجفف بالهواء الحار اليابس ، ولذلك صار يحفظ الصحة ، وتوضيحه أن الحمام يشتمل على هواء وساء حارين ، والهواء الحار مسخن معتدل والماء الحار بما هو حار مسخن محتل ، وبما هو ماء مبرد مرطب ، لأن الماء وإن كان حاراً حرارته عرضية فإذا زالت برد بذاته ، فلذلك كان الحمام مسخناً بهوائه وبحرارة مائه مبرداً بمائه ، وهو أيضاً مجفف بفطر تحليل الحرارة ، ومرطب يشرب البدن للماء . فلذلك يحدث من الحمام حرارة ورطوبة وبرودة ويوسية ، فتارة تغلب الحرارة وذلك إذا اشتد حر الهواء أو قل استعمال الماء جداً ، فلا يبرد تبريداً يتدارك تسخين الهواء وتارة تغلب البرودة وذلك إذا ضعفت حرارة الماء والهواء أو أكثر استعمال الماء دون الهواء ، وتارة تغلب اليبس وذلك إذا كان التحليل أكثر من الترطيب كما لو اشتدت حرارة الهواء وأطيل المكث فيه مع قلة استعمال الماء . فالحمام يستعمل للترطيب والتجفيف والتبريد والتسخين . وقد أشار إلى ذلك جالينوس بقوله : الحمام نافع شتاء وصيفاً وللمن مزاجه حار وبارد ورطب ويابس . فالحمام علاج للبدن من الضدين إن وجد البدن حاراً وعمله برطيه وإن وجدته بارداً بحرارته . قال ، أعني جالينوس ، وهو يوسع المسام ويستغرق الفضول ويحلل الرياح ويلين البدن ويحسن اللون وينفع من الاستسقاء والدق ، ويسط الأعضاء المشتعبة وينضج النزلة والبشرة وينفع حمى يوم وحى اللق والرعب والحمى البلغمية بعد نضجها . ووجع الجنب والصدر وينضج الربو ويسمن المهزول ويهزل السمين ويرقق الدم والفضول الغليظة اللزجة بحرارته ويرطب البدن اليابس المخبث برطوبته ، كل ذلك إذا استعمل على قانونه بقدر المعبر . وإنما يسمن ويهزل لأنه إذا كان الولد من الغذاء أزيد من المتحلل سمن ، وإن كان أقل من المتحلل هزل . فلأن استوى الأثران بقى البدن على حاله ، فلا يسمن ولا يهزل . فإذا استعمل الحمام على الغلو ، ولم يأكل بعده سريعاً وأطيل المكث فيه ، جفف كثيراً فلم يكن لما تحلل بدل يعتد به فيهرز . لكن لا يظهر ذلك الهزال في الحمام ، لأن الجلد يبرو فيه بيلك قليلاً ، فيفتن الهزال إلى أن يتحلل ما يشربه الجلد من الماء . ويعود إلى طبعه فيظهر الهزال حيثئذ ، وذلك بعد الخروج من الحمام بساعة أو ساعتين ، إلا في العين فإن الهزال يظهر فيها حالاً لكونها ليس

مراعاته في البدخول فيه والخروج عنه ، وما قيل في الحمام الجليد والعتيق ومدده وما يتصل بذلك . وسميتها (تطهير الإنسان بالفصل في ديماس) . حكيم محمد أحسن حاجي بوزي متوسل الرئاسة سلمه الله .

قال الإمام العلامة محمد بن علي الشركاني في كتابه « فويل الغمام » : إنها قد وردت في الحمامات روايات غالبها الضعاف ، فيها ما هو في رتبة الحسن ، وحاصل ما دلت عليه تحريم دخوله على النساء مطلقاً ، وعلى الرجال إلا في المأزور ، وقد استوفيت ذلك في الرسالة المسماة (تفريق النبال إلى إرسال المقال) جعلتها جواباً لرسالة سماها مؤلفها « إرسال المقال إلى حل الإشكال » انتهى كلامه رحمه الله تعالى (الجيد العلم ج ١ ق ٣٠٨ ، ٣٠٩) .

وكنا قد أوردنا مادة بعنوان « آداب الحمام » في ١٠ / ٢٥٢ _ ٢٥٧ تناولت آداب الحمام وأحكامه الشرعية ، ومن ثم فزنا نترك هنا على الجوانب الآتية :

- ١ - الجانب الطبي من حيث منافع الحمام ومضاره .
- ٢ - البلاد التي توجد بها الحمامات على سبيل المثال لا الحصر ، وتخطيطها وتصميمها المعماري .
- منافع الحمام ومضاره :
- منافعه : يقول الإمام المناوي في النزهة الزهية :

اعلم أن الحمام متخذ بأصل وضعه للتنظيف وإزالة الوسخ والشعث والدرن والفونتان والقمل ، ولتفخ أمراض كثيرة كالحميميات والتخم والإغماء وأنواع الهضبة (وهي انطلاق البطن من جراء الحركة من المواد الفاسدة غير المنهضة إلى الانفصال بالقيء أو الإسهال) ونضاج التزلات . وكما أن من العروق ما هو بعيد القصور أقرب من الشعر ، وكان الدواء إنما يجلب الأقرب من المعدة لأقرب ، والذهن إنما يحل ما في الجلد فقط ، وكانت الضرورة قاضية باجتماع عفونات في الكمية لا يلبغها الدواء والذهن ، كان اجتماعها على طول المدى يحدث أمراضاً فاضرة ، جعل الحمام أيضاً لتحليل كل ما استقصى . ولهذا أمروا به غيب الدواء لما فيه من التنشيط والتجفيف ، وكان البدن بعده كالذي بدأ في الوجود ، وإذا خفف أو ثقل لم يضر بخلافه من غيره . قال المسيحي : منافع الحمام كثيرة ينفعه لكل شخص بحسب مزاجه لموافقته لجميع الأمراض الحارة والرطبة والباردة واليابسة ، وجميع الأستسقاء والأزمان والبلدان المسكونة . كل ذلك إذا ما استعمل

داخل ، ينبغي أن لا يدخل الحمام حارا لأن داخله يستشقى منه ما دام فيه ، فيرد على القلب هواء حار لا يصلح للترويح عن القلب فيفسره ، وكذلك يدخل على البدن من طول المكث فيه الضعف والكرب وعظم النفس ، سيما إن كان غير معتدل الحرارة ، فينبغي أن يكون الحمام بحيث يستعبد حرارته ويكون ماؤه أسخن من هوائه قليلا ، ثم يكون الملبث فيه بقدر ما يستطاب إن كان البدن صحيحا ، فإنه قد تستطاب حرارة الحمام في كثير من الأحوال المرضية وهو قد أخذ في الإضرار انتهى .

غريبة : نقل محمد بن غالب في تاريخه نزعة الأنس في أهل الأندلس ، في ترجمة مروان بن عبد الملك الأشبيلي ، أحد الأطباء الرحالين ، أنه كان له اليد الطولى في الطب لكنه شدد فيه بأمور منها أنه منع من دخول الحمام بالكلية ، واعتقاده فيه أنه يقن الأجساد ويفسد تركيب الأمزجة (اسم الكتاب الصحيح هو « فرحة الأنفس في أهل الأندلس » لمحمد بن أيوب بن غالب ، نشر جزءا منه لطفي عبد البديع في مجلة معهد المخطوطات ١/ ٢٧٢ - ٣١٠) وتنبه على ذلك ابن زهر فقال إنه ممنوع مطلقا لأنه موجب لتعفين الأخلاط وغير ذلك . وهذا رأى مهجور وقول من الزور قد خالفوا فيه الأرائل والأواخر ، وشهد بخفته البادى والحاضر . وفصائل الحمام لا تنكر ومنافعه لا تحصي ولا تحصر ، بل إذا استعمل على الترتيب الذي يجب والبدن الذي ينبغي ، كان دواء فاضلا ورياضة نافعة لتفتيح المسام وتنقية للفضول وتلطيفه لتليظ الكيموسيات (الحالة التي يكون عليها الطعام بعد فعل المعدة فيه) وغير ذلك مما هو مشاهد مجرب .

مضاره :

ثم يقول الإمام المتناوى عن مضار الحمام :
قالوا إنه يرخى البدن لشدة ترطيبه ، ويضعف الحرارة الغريزية والأعضاء العصبية ، وينقص الرطوبة الجوهرية ، ويقش الرطوبة الفضلية المحتاج إليها في التذلية ، ويسقط القوة والشهوة إلى الطعام لصعب العرة إلى المدة ...
ويحذر السدد على الانتلاء عند إفراط البلغم ، ويملا التجاوي من البخار ، ويسهل انصباب الفضلات إلى الأعضاء العصبية ، ويثير الحميات ويسخن القلب ويضعفه ويحدث الكرب حتى إنه ربما جلب الغشى ، ويهيج القيء والقيان والرعاف (الدم يخرج من الأنف) ويزيد في ذلك ، ويرخي العضو العصبي ويفسر من به حمى أو قروح أو شجج

لها جلد . وكلما طال المكث في الحمام زاد الهزال . سيما إذا كان القعود في البيت الثالث . ومتى استعمل الحمام على الانتلاء من الغذاء ، وكان عقب تناوله ، أحدث سمنا لعدم استعداد الغذاء بسبب قصور هضمه لأن يتكون منه شحم فضلا عن اللحم لكنه يحدث السدد والعفونة وكثرة الفضول في البدن . وإن كان بعد تناول الغذاء ساعات أحدث السمن الشحمي لا اللحمي لأن اللحم إنما يتكون من متين الدم ، وذلك لا يكون إلا من غذاء قد تم هضمه . ويحدث السدد أيضا لكن أقل من الأول وإذا استعمل الغذاء عقب الحمام كان سمنا لسرعة تجنبه إلى الأعضاء بمصادفته تحلل الفضول ونقاء المجارى إن كان الغذاء بقدر صالح ، فإن كان قليلا أو كثيرا لم يسمن . قال بعضهم : والحمام يفيد إنضاج الأخلاط ورجلها إلى خارج (الأخلاط في حرف الأقدمين هي الدم والبليغم والسوداء والصفراء . وقد أوردنا مادة بعنوان « الأخلاط الأربعة » في ٣م / ١٩٦ - ٢٠٢ فارجع إليها في موضعها) . وهو يسكن الأوجاع ويعمل للذخ الأخلاط ويقش البخارات والرياح ، ويجلب النوم ويذهب الإعياء والتعب ، ويعمل البطن ويذهب الحكمة والجرب ، وينضج الزكام والنزلة ويرقق الأخلاط ويلين العصب والربوطيات والأوتار ، ويحلل القولنج ويسهل عسر البول . وقال بعض آخر : الحمام ملطف محلل ، يستخرج العفونة ويرقق الجامد بجم ، وينضج وينقى من نحو القروح والبثرات والدماغيل ، وينشط بما يزيله من العفونة ، ويذهب القمل ويريح البدن ويقطع الأخرق الفاسدة ، ويجيد الهضم ويخفف الانتلاء لإعانة للحار الغريزي ، ويجعل البدن كالمعتدل في الأشياء ويسكن الحدة وينفع من السهر والسيات ونحو ذلك . قال المسيحي : وإذا استعمل الدواء بقي بالبدن فضول لم يتقها ، وجب استعمال الحمام بعده بثلاثة أيام أو أربعة لأن بقية الفضول في نواحي الجسد التي عجز الدواء عن تنقيتها فيجلبه الحمام وينقيه ويفسله . قال في الإرشاد : ومن التدبير العجيب للشفقة (هي الصلابة الشديدة يصيب الرأس) أن يدخل صاحبها الحمام ويكب رأسه على البخار ويستعبد بلغم فسق ، فإنه يسكن الوجع حالا ، قال المسيحي : والتهرقق في الحمام يذهب مذهب الرياضة في ترقيق الفضول وتحليلها لكنه يضعف الحرارة الغريزية فلا يقويها بالرياضة ، وكما لا تستعمل الرياضة على الانتلاء الغذائى والتخلطى لتلا تنفع هذه الأشياء إلى أقاصى البدن بتحريك الرياضة إياها من

وب السفرجل - وب الحماض - شراب التمر الهندي - شراب
النشوق - شراب الكندر - السكتجين وغير ذلك ، غير مبرد
بالنخيل .

- وأما من الأظلية : فصفندل ، وماء الكزبرة ، والنخل ، على
الكبد والقلب - وتوضع لخلخلة ، من دهن الورد والنخل ، على
الرأس ، معتدلة الحر والبرد .

- وتترك الرجلان ساعة في ماء بارد ، ثم بعد قليل يصب
منه شيء يسير على الكتفين . ثم بعد ساعة يمسح الرأس به ،
ثم يصب قليلا قليلا على البدن .

وينبغي أن يكون الماء البارد معتدلا ، ليس بشديد البرد .
وينبغي أن لا يكون خروج المستحم ينث ، بعد الحمام
الحار ، ثم يؤمر بالتم على مرافد ناعمة معتدلة .

تشارك ضرر الحمام البارد :

أما تشارك الحمام البارد فإن بهيا ماء سخين معتدل ، مقلد
ما يتحملة الطبع ، ويصب على الرأس ، قبل الخروج من
الحمام بساعة ، ويدام التليك والتريح والغمس ، والحيلة
للتعرق ، ثم كما يخرج يديم صب الماء الحار على الرأس
وجده ، ثم يتعمم بعمامة معتدلة في الحر ، وكبيرة في شدة
البرد ، ويخرج ويتام .

فيم أخطأ فدخل الحمام دفعة ، وخرج دفعة ، هؤلاء
يخاف عليهم :

(أ) فأما إن كان مزاجهم حارا :
- أما في الدخول فإن يصيبهم انتشار الحرارة الغريزية ،
وبعقة ضعف القلب والخفقان .

- وأما في الخروج فإن يصيبهم نوازل حادة ، وصحج
الأمعاء ، وأوجاع المفاصل .

(ب) وأما من كان بارد المزاج فيخشى عليه :
- أما في الدخول فالسكنة والفالج والخفقان .
- وأما في الخروج : فالجمود والشحوص وسلس البرل
والرعدة .

علاج من دخل الحمام دفعة :

(أ) فمن هو حار المزاج :

- أن يتدرج في خروجه إلى البيت الأول - ويرش تحت إبطه
الأيسر ماء ورد بارد دفعة .

(أي جروح) أو ورم حار أو نزف دم أو قيء ويرعش ويسيل
الخلط إلى المفاصل ، ويوهن جميع القوى إن لم يصادف ما
يسيله فيضعف القوىتين ويملا الفضول بالاخلط . وهذه
المضار كلها سهلة التدارك . وبالجملة فضعه أكثر من ضرره
بأضعاف . ولهذا قال بعض الأحيان أنه موافق للأصحاء في
جميع الأسنان وفي كل الأثران والبلدان كما تقدم . وأما
مضرته لأصحاب النخس والخفقان ونحو ذلك ، فتتدفع بأمور
منها : التعرض لريح الشمال وغير ذلك والحاصل أنه لا يضر
إلا مع الجهل بالتدبير ، فإذا استعمل على القوتين بحسب
المزاج والسن والفصل والبلد وغير ذلك ، كان نافعا جدا
وإنكار ذلك مكابرة (البرقة الزميمة / ٦٤ - ٦٨) .

ويفرد ابن سينا المقالة الثالثة من كتابه « دفع المضار
الكلية للأبدان الإنسانية وتدارك أنواع الخطأ الواقع في التنبيه »
لموضوع الحمام ومضاره وتدارك تلك المضار ، وجاء فيها ما يلي :

في مضار أن لا يكون هواء الحمام معتدلا :

تعديل هواء الحمام هو :

أما بالجملة ، فإن يكون ليس بشديد الحرارة ولا ببارد ،
يتحدر فيه التعرق .

وأما بالتفصيل ، فإن يكون فيه أقله ثلاثة بيوت ، وأن يكون
البيت الأول فيه معتدلا ، أعنى لا يحس فيه بحر ولا يرد ، وإن
يكون البيت الثاني غير مكرب وإن يكون البيت الثالث غير
شاوخ شاو ولا مانع للنفس المستقيم .

فالحمام الحار جدا يسيل الإخلط الحامسة إلى أعماق
الأعضاء ، فيحدث :

- إما سودا وإما أوراما ، ويصعدها إلى الدماغ فيحدث إما
صداعا شديدا وإما سرساما .

- وأما سيلان الرطوبات إلى التجاويف الفارغة فيحدث
عنه صرع أو سكتة .

- إما صرع ، بأن كانت السدة ناقصة ، وإما سكتة بأن
كانت (السدة) تامة .

- وأما الحمام البارد فإنه يحرك المادة إلى التعرق حركة
ناقصة ، فيحدث من ذلك آفات ، وربما حدث منه الجرب
والحككة ، وربما أحدث الزكام ، وربما أحدث المنص .

تدارك ضرر الحمام الحار :

- أما من المشروبات ، فبالملطعات ، مثل : رب التضاع -

أولاً على الكتفين وصاير الأضواء . ثم على الرأس ، ثم يخلق الرأس ، ثم يتخمر ويتنكس بالرق . ويعتني بالمفاصل . ولا يفعل في ذلك شيئاً مكرهاً ، إلا صاحب الريو ، لتتحلل أخلاط رتته ، أو شيئاً مؤلماً ، إلا صاحب الخام ليتحلل خامه في مفاصله .

في خطأ من أقرط في التنكس :

من أقرط في التنكس ، إن كان حار المزاج أو يابس ، عرض له سقوط قوة وهيجان مرار وربما كان سبباً للحمى .

وإن كان ممثلي البدن ، عرض منه حركة الأخلاط .

في تدارك ذلك : أما القسم الأول فعلاجه التمرخ بدهن السور ، ودهن البغسج وتناول الغذاء اللين المطفئ مثل الكشك والسج ، وتناول الأشرطة المطفئة ، مثل السكتجين والجلاب . ولعن أحدث ذلك فيه اعتقال الطبيعة شراب نيشوق .

في تدارك ضرر الماء الشبي : هو الاغتسال بالماء الحار العلب بعده مرارة ، اغتسالًا شديدًا ، ثم التنكس الشديد حتى يمرق ، ثم الاغتسال بعده ، ثم التمرخ بدهن بابونج أو دهن المخيري ، ثم النوم بعده .

في تدارك ضرر الماء الكبريتي والنفطي : الاغتسال بالماء المعتدل البارد ثم الحار ، ثم التمرق ، ثم الاغتسال بالماء الفاتر ، ثم التمسح بدهن ورد خام ، ثم النوم بعده .

فعل الماء البارد في الحمام :

أما إن كان الحمام حار ففعل الماء البارد فيه مثل فعل الخروج عنه ، مضاعفة وأشد . وعلاجه وأقوى (غفصه : أخذه على غرة) .

وأما إذا كان الحمام باردًا أيضًا ففعله فعل الهواء البارد ، فإذا أدى كان علاجه ما قيل وفصل .

فعل الماء الحار في الحمام :

هو فعل الهواء الحار الشديد فيه وأقوى ، إلا أنه لقصر مدته يكون أقل تأثيرًا ، ولأنه لا يرد على القلب فيكون أخف نكاية .

وعلاجه : شبيه بذلك العلاج ، مع تناول شراب التمرهني ، ولعن أحدث ذلك به إسهالا فشراب التفاح والسفرجل والمصرم .

— وأن يؤخذ في ثوب مبرد ، ولا يمس الماء البارد دفعة ، ثم يعالج بما عولج به المستسفي بشدة الحر .

(ب) أما من كان بارد المزاج :

— فإن يعمل ذلك ، ثم يسقى شيئاً من وب التفاح ، مع قليل من دواء المسك ، وينوم .

علاج من خرج عنه دفعة :

— أما حار المزاج فإن يصب على رأسه ماء حار كثير ويكمد رأسه بخرق مسخنة وينوم .

— وأما بارد المزاج فإن يجلس في بيت حار جدا ، ويشق دهن الياسمين ، أو دهن السوسن ، أو دهن النسرين ، ويطلق الرأس بلخاخة السنبل والسعد . وتلك الأضواء — ويسقى مترويطوس أو ترهاق الأربعة — ويضع طعاما فيه ثوم — ويسقى من الشراب الصنف شيئا يسيرا وينوم .

في الماء المالح في الحمام :

ينفع من الجرب والحكة ، إلا أنه يخلخل الجلد ثم يكتفه ، وإذا لم يكن حكة أحدثها ، ويهزل البدن ، ويضر بالعين ، ويحدث النوازل والرمد ، ويكثر الحواس .

في الماء الشبي :

يكتف الجلد ويقبضه ، وربما أحدث حمى يوم . والأبدان النحيفة ربما وقعت منه في التشنج .

في الماء الكبريتي والنفطي :

هنا كله يفسد مزاج جلد البدن ، ويهتبه للعفونة ، ويحدث النزلات ، وإذا طال في هوائه المقام خيف منه الاستسقاء ، وما يحدث عنه اليرقان .

في الماء الحديدي :

في الاغتسال فيه منافع كثيرة ، ولا يحدث منه كثير ضرر ، فإن كان شيء فتكثيف الجلد .

في تدارك ضرر الماء المالح :

الاغتسال بالماء البارد ، والطين الطيب ، ينفع منه ، ثم بعده الاغتسال بالماء الحار العلب ، ثم التنكس بدهن الورد الطيب الرائحة ، بالرق ، وتواتر الاغتسال بالماء العلب بعده .

في استعمال النلك والتمرغ والفسل فيه :

المعتدل البدن ، إذا دخل الحمام . فليقع في كل بيت ساعة ، ثم يصير حتى يتننى بطنه ويكاد يمرق . فيصب الماء

فمن شرب في الحمام شيئا باردا . مثل الماء البارد
والفقاع :

هذا خطر عظيم جدا . لأن الشيء البارد السيال ، إذا
حصل في المعدة في الحمام ، وقد تفتحت المسام ،
وتخلخلت المنافذ ، هجم دفعة على الكبد والقلب فيردهما
تبريدا شديدا ، وأنها حرارتهما الغريزية ، وأضعف جميع
الأعضاء وهيأها للاستسقاء .

تدارك ذلك : تناول شيء يسير من الشراب الصررف بعد
الحمام . أو شربة من دواء المسك أو دواء اللك أو دواء
الكركم أو مترويطوس . أو تكسيد الكبد والقلب بخرق حارة .
أو تناول غشا مبرز . وللكربب خاصية في دفع هذا الضرر .
ويفيد من البقول الراسن . ومن الأشربة شراب الجزر ، وشراب
الاقستين ، وشراب خنديقون .

ضرر دخول الحمام والبدن ممتلئ :
هذا أيضا خطر ، لأنه يحدث منه عسرة في الأخطاط
المحتبسة في البدن وحركتها وتحدث منه أورام في الأعضاء ،
مثل ذات الجنب ، وذات الكبد ، وذات الرئة . ويخاف منه
آفات الدماغ وأورامه ، وأما الحميات فأقرب الأشياء إليه .

تدارك ذلك : إذا أعقب ذلك نقلا وإعياء ، أو من قروح
وتمعدا ، فينبغي أن يبادر إلى القصد . ويستخرج من الدم
مقدرا فإن زال بذلك وسكن وإلا استغرق بشراب الفواكه .
وتناول الأشربة المانعة عن المغوة . مثل رب السفرجل ، ورب
الضاح ، ورب الأجااص ، وغير ذلك . ويطلق الكبد والقلب
بالأطيلة الموافقة ، مثل ماء الكزبرة ، والنخل ونب الثعلب ،
مع قليل كافور وصندل .

(من مؤلفات ابن سينا الطبية / ٣٢ - ٣٩) .

ويجمل الإمام ابن الجوزي ذلك فيقول :
قد ذكرنا أنه يصلح بعد الرياضة ، ومن دخله قبلها حرك
فضول البدن ، وأحدث مريضا ، ومن استحم بعد الأكل ، ملا
الرأس فضولا ، وأحدث سدا ، ويتولد من إدامة ذلك
الاستسقاء ، ولا يصلح الحمام لضعيف القوة ، وينبغي دخوله
والخروج منه بتدريج ، ولا يطيل المقام فيه ، وشرب الماء
البارد فيه . والفقاع مخاطرة بالروح ، ولا يدخله من أكل
هريسة أو شرب لبنا ... ومن غسل وجهه بالماء البارد بعد
خروجه من الحمام ؛ بقيت طروقة وجهه (مختصر لقط المنافع /
٢٦) .

في خطأ من يصبر فيه :

يتبعه في المعتاد وجع المفاصل ، والتمدد في العضلات ،
وربما يتبعه حمى يوم .

علاجه : الانفسال بالماء الحار ، والتلك الرقيق يدهن
بابونج ، والزيت الطرى ، وإن لم يسكن بذلك وجب أن
يفسد على كل حال في اليوم الثاني من الحمام .

فيمن استعمل ، قبل أو بعد الحمام ، وحركات شاقة :

أما الحمام المعتدل فلا يضر كثير مضرة ، بمن أفرط في
الحركة ، أو ازداد حركة بعد الحمام ، بل يضر الحمام إذا كان
معتدلا ، ولم يمكث فيه المستحم مقدرا التعرق كثيرا ، إنما إذا
كان المكث فيه مقدرا ما يستفاد من رطوبته ، كان نافعا لمن
عرض له حركة شاقة .

— وإنما ينضر بها من يطيل المكث في الحمام ، حتى
يأخذ الحمام رطوبته فوق ما يطيعه . ومن وقع له هذا أدى إلى
اللق ، إذا اشتدت سخونة القلب ، أو الاستسقاء إن تحلل
الحار الغريزي ويرد مزاج الأشخاص .

تدارك ذلك : الانفسال بالماء البارد . وصب الماء العطر
ششاء ، والمبرد صيفا . — وصب اللبن الحليب على الرأس .
وذلك المفاصل بلعاب الخطى ، مضوبا مع دهن البنفسج
— وشرب الشراب الأبيض ، مع مزاج وافر — وتحصى المرفة
المتخذة من مدقة الطيور أو الحملان .

وإن ظهر برد في الأعضاء ، وعلامته رداء الهضم والتفخ
والجشأ الحامض ، فتداركه شربة من دواء الكركم . — وتطير
دهن البنفسج في الأذن ، لمن غلب عليه المسرور ، ودهن
الخيري ، لمن بردت أحشاه ، نافع في هذه العلة .

ضرر المقام الكثير في الحمام :

يفعل فعل الحركة الشديدة ، والعلاج مثل ذلك .

ضرر الحمام على الطعام :

يوجب سدا في الكبد والمروق ، لانجذاب المواد
الغذائية ، الغير المنهزمة ، إلى ظاهر البدن ، ليسلان
الرطوبات إليه بالمرق . والسدد يتبعها الأمراض السلية ، مثل
الأورام ، وامتناع الغذاء عن ظاهر البدن ، والإسهال الكائن
بالأدوار ، والحميات المغنية ، إذ السلة أحد أسباب المغوة .

تدارك : استعمال سكتجين يزيرو . والاستغراق الضعيف
بإيارج فيقرا . واستعمال الأغذية الخفيفة عدة أيام .

٢ - البلاد التي توجد بها الحمامات على سبيل المثال لا الحصر، وطرزها المعمارية :

انتشرت هذه الحمامات وتعددت في جميع الأمصار. وذكر هلال الصايي (المتوفى ٤٤٨ هـ) أن عدد الحمامات في بغداد وصل في زمانه إلى أكثر من مائة وعشرين ألف حمام . وأورد على باشا مبارك في خطه نقلًا عن المسيحي، أن العزيز بالله نزار هو أول من بنى الحمامات بالقاهرة ، وأنه كان في مصر ألف ومائة وسبعون حماما . كما تناول ابن دقماق والمقريزي عدد الحمامات التي كانت موجودة في مصر على أيامهما . وتناول غيرهما موشوع الحمامات التي كانت موجودة في مصر ، ومن بينهم أفليا جلبي التركي زار القاهرة وذكر في كتابه « سياحة نامه » أن عدد حماماتها وصل إلى ٥٥ حماما . هذا وقد انتشرت الحمامات كذلك في الأندلس ، كما كثرت وتعددت بشكل كبير في المغرب العربي ، وما زالت (الترتبة الزمية / ٧ - ٩) .

١ - مصر - القاهرة .

وقد أحصى المقريزي في خطه الحمامات التي كانت في القاهرة في زمانه ، وهي كما يلي :

حماما السيدة الحمة .

حمام الساباط .

حمام لؤلؤ .

حمام الصنمية .

حمام تتر .

حمام كرجي .

حمام كتيلة .

حمام ابن أبي الدم .

حمام الحمصينة .

حمام الذهب .

حمام ابن قرقة .

حمام السلطان .

حمام خوند .

حمام ابن صبود .

حمام الصاحب .

حمام السلطان .

حماما طبرك .

حمام السواشي .

حمام عجيبة .

حمام دري .

حمام الرصاصي .

حمام الجيوشي .

حمام الرومي . سقر الرومي .

حماما سويد .

حمام طلق .

حمام ابن علكان .

حمام الصاحب .

حمام كتبتا الصدي .

حمام ألتطش خان .

حمام القاضي .

حمام الخراطين .

حمام الخشبية .

حمام الكويك .

حمام الجويني .

حمام القفاصين .

حمام الصغيرة .

حمام الأحمر . سقر الأحمر .

حمام الحسام .

حمام الصوفية .

حمام بهادر .

حمام الدود .

حمام ابن أبي الحوافر .

حمام قتال السبع .

حمام لؤلؤ .

لؤلؤ الحاجب (المراعظ والاختيار / ٢ / ٥٢٧) .

أما على باشا مبارك ، فيقول في خطه (ج ١ / ٢٣٨ ، ٢٣٩) في مطلب عدد الحمامات :

ويظهر مما كتبه الفرنسيات في خطهم أن عدد الحمامات التي تكلموا عليها وكانت موجودة لوقتهم تزيد على المائة ، والآن لم يكن بالقاهرة سوى خمسة وخمسين حماما ، فيكون ما نقص منها نحو ستة وأربعين حماما وبالنسبة

- ٨- حمام الجبيلي بعمقة الجبيلي من شارع الكمكين .
- ٩ - حمام الحلوحي بشارع الحلوحي
- ١٠ - حمام الخليفة بشارع الخليفة
- ١١ - حمام الدرب الأحمر بشارع المراداني .
- ١٢ - حمام درب الحصر بشارع درب الحصر .
- ١٣ - حمام الدود بشارع السروجية .
- ١٤ - حمام السروجية بشارع السروجية .
- ١٥ - حمام سعيد السعداء المعروف الآن بحمام الجمالية بشارع وكالة الصابون والجمالية .
- ١٦ - حمام السكرية بشارع السكرية
- ١٧ - حمام السلطان بشارع النحاسين ...
- ١٨ - حمام سوق السلاح بشارع سوق السلاح .
- ١٩ - حمام السيوفي بشارع مرسيها
- ٢٠ - حمام الشعراوي بحارة الشعراوي من شارع الشعراوي .
- ٢١ - حمام الصلية بشارع الصلية .
- ٢٢ - حمام الصناديق بعمقة الحمام من شارع الصناديق .
- ٢٣ - حمام العطارين بشارع العطارين .
- ٢٤ - حمام العدوي بشارع الباب الأخضر .
- ٢٥ - حمام الغروي بعمقة الحمام من شارع الكمكين .
- ٢٦ - حمام المصيبة بشارع درب لولية .
- ٢٧ - حمام المقاصيص بشارع الجهرجية .
- ٢٨ - حمام النحاسين بشارع النحاسين .
- ٢٩ - حمام الهند .
- (الخطط الترفيحية ٢ / ٤١ ، ٤٢) .
- ثم أورد في الجزء الثالث ما يلي :
- حمام أبي حولة بشارع القنطرة الجديدة
- حمام أمين أغا بشارع باب البحر
- حمام البارودية بشارع باب الخلق
- حمام اليسرى بشارع سوق السمك الجديد
- حمام الثلاث المعروف أولاً بحمام صاحب بحارة مكسر الحطب من شارع الليدية
- الحمام الجديد بشارع باب البحر
- حمام حارة اليهود الذي سماه المقرزي

لما بلغت المدينة من الاتساع وزيادة السكان، فهو قليل جداً، والصحة العمومية تتطلب زيادتها، فإنا لو نسبنا عدد الحمامات إلى جملة السكان، لكان كل حمام يخص ألفين وستمائة نفس في مبدأ القرن الثاني عشر، وفي وقتنا هذا ما يخص كل حمام سبعة آلاف نفس من تعداد البلد، وهذا كثير جداً عما كان في مبدأ هذا القرن، وإذا اعتبرت النسبة التي كانت حين ذاك بين عدد الحمامات والأهالي يكون اللازم نحو مائة وخمسين حماماً .

وقد ذكر « المسيحي » في تاريخه أن العزيم بالله نزار المعز لدين الله هو أول من بنى الحمامات بالقاهرة، وقال الشريف أسعد نقلاً عن القاضي القاضي إنه كان في مصر يعني القسطنطينية ألف ومائة وسبعون حماماً . (أقول) : ولا يخلو ذلك من المبالغة .

وذكر ابن عبد الظاهر أن عدد الحمامات إلى آخر سنة خمس وسبعين وستمائة يقرب من ثمانين حماماً .

وفي كتاب « قطب الأضرار » أن عدد الحمامات كان في سنة أربع وثلاثين ومائة وألف من الهجرة دون ذلك . والحمامات التي تكلم عليها المقرئ خمسة وأربعون حماماً، منها اثنا عشر، حدثت في زمن الفاطميين، وستة أنشئت في زمن الأيوبيين، وفي زمن السلاطين المماليكة أنشئ اثنان وعشرون حماماً، فيكون مجموع ذلك أربعين حماماً (أوردنا بيانها آنفاً) ويتبع أنه من ابتداء القرن التاسع، إلى مبدأ القرن الثاني عشر استجد بمصر نحو ستين حماماً .

وأغلب هذه الحمامات موقوف، ويأهلها تخربت، وتصرف فيها الملاك، واستعوضت بمبانٍ أخرى، حتى آلت إلى العدد الذي قدمنا ذكره (الخطط الترفيحية الجديدة ١ / ٢٣٩ ، ٢٣٨) وقد أحصى علي باشا مبارك الحمامات التي كانت بمقبرة القاهرة في زمانه فأورد منها في الجزء الثاني (طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٣) ما يلي :

- ١ - حمام الأندلس بعمقة الأندلس من شارع المحكمة .
- ٢ - حمام الألفي بحارة الألفي من شارع السيوفية ...
- ٣ - حمام بابا بحارة حمام بابا من شارع حدة الحناء .
- ٤ - حمام باب الوزير بشارع باب الوزير
- ٥ - حمام يشك المعروف الآن بحمام مصطفى
- ٦ - حمام كتبخدا بشارع سوق العزى
- ٧ - حمام البشري بشارع النيومي

- ٣ - حمام إينال
العصر المملوكي الجركسى - ٨٦١هـ / ١٤٥٦م
(أثر رقم ٥٩٢)
- ٤ - حمام الملاطيلى
١١٩٤هـ / ١٧٨٠م
(أثر رقم ٥٩٢)
- ٥ - حمام السكرية
القرن الثانى عشر / القرن الثامن عشر
(أثر رقم ٥٩٦)
- ٦ - حمام الطمبلى
القرن الثانى عشر / القرن الثامن عشر
(أثر رقم ٥٦٤)
- ٧ - حمام العدوى
القرن الثالث عشر / القرن التاسع عشر
(أثر رقم ٥٦٧)
- (التراث المعماري الإسلامي في مصر / ٦٤، ٦٣) .
ويذكر الشريف أسعد الجوانى أنه كان في مصر الفسطاط
ألف ومئة وسبعون حماما . ويذكر ابن عبد الظاهر أن عدد
حمامات القاهرة حتى عام ١٣٠٠ كان يقارب الثمانين حماما
ويذكر الرحالة paulx جملة حمامات يبلغ مجموعها حوالي
٤٧ حماما ، وهذا في عام ١٩٣٧م . أما الآن في ١٩٨٤م فلا
يوجد أكثر من ٢٠ حماما في حالة سيئة تكاد تقترب من
الانهيار بالرغم من احتوائها على كميات واثقة من الزخارف
الرخامية والفسيفساء البديعة ... ومنها حمام بشناك وحمام
قلاوون ، وحمام السلطان وحمام السكرية وحمام الملاطيلى
وحمام الطمبلى وحمام العربى ... إلخ .
والمساقط الألفية لهذه المباني تتمتع بتصميم ممتاز
وبمساحات واسعة بالرغم من واجهتها الصغيرة التي تكاد لا
تلاحظ مع أنها تخفى وادعائها مبنى في غاية الروعة والفخامة .
وهذه الحمامات ما زالت مستعملة إلى الآن ولكنها في
حالة يرثى لها ، وتحتاج إلى من يمد لها يد العون (* بشناك
والسور المنقود / ٣٢) .
- ويصف إدوارد ويليام لين حمامات القاهرة وقت زيارته
لها ، التي بدأها سنة ١٨٢٥م فيقول :
- حمام الكويك بشارع حارة اليهود القرايين
حمام الخراطين بشارع باب الشعيرة الكبير
حمام الدرب الجديد بمطقة الحمام من شارع الدرب
الجديد
حمام الذهبى بشارع البنهاى .
حمام الرومى ويعرف بحمام الجامع الأحمر بشارع درب
رياش
حمام السبع قاعات بحارة السبع قاعات من شارع سوق
السبك القديم .
حمام سنقر بشارع قطرة سنقر
حمام الشرايى بشارع الحمزاوى
حمام الطنبلى بشارع الطنبلى
حمام القرية بشارع القرية
حمام القزازية بدرب الأنصارى من شارع غيط العلة
حمام الكريغلى إمام بحارة عبد الباقي بيك من شارع
قطرة سنقر
حمام الكينخيا بشارع الكفارة
حمام مزوق بمطقة مزوق من شارع سويفه اللالا
حمام مصطفى بيك بمطقة الحمام من شارع خليل طينة
حمام الملاطيلى ويعرف أيضا بحمام القمصرى بشارع
مرجوش
حمام المؤيد بحارة الحمام من شارع درب سعادة
حمام الناصرية بشارع الناصرية
(المخطط الترفيعة الجديدة ٣ / ٤٦ ، ٤٧) .
وقد كان بالقاهرة في القرن الثالث عشر ثمانون حماما وفي
نهاية القرن الثامن عشر مائة حمام وفي عام ١٩٣٣ كان
بالقاهرة سبعة وأربعين حماما فقط .
وطبقا لفهرس الآثار الإسلامية بالقاهرة الصادر عام ١٩٥١
يوجد سبعة حمامات فقط - لأغلبها بقايا :
١ - حمام بشناك
العصر المملوكى البحرى - ٧٤٢هـ / ١٣٤١م
(أثر رقم ٢٤٤)
٢ - الحمام المؤيدى
العصر المملوكى الجركسى - ٨٢٣هـ / ١٤٢٠م
(أثر رقم ٤١٠)

التصميم المعماري للحمامات :

كانت واجهات الحمامات بدون فتحات وله باب يشابه أبواب المساجد.. باب حمام بشتاك (قبل ٧٤٢هـ / ١٣٤١م) ويغطي الحمام بقباب كروية بها فتحات صغيرة مغطاة بالزجاج الملون غير الشفاف . وكانت الحوائط من الحجر الجيري ولها بالداخل سفلى من الرخام . كذلك غطيت الأرضية بالرخام الملون . كما كانت حوائط الحمامات غنية بالزخارف التي نراها في بقايا حمام السلطان المزيود (٨٢٢ هـ / ١٤٢٠م) .

وتتشابه طريقة التسخين في هذه الحمامات بالطريقة التي استعملها الرومان فقد استخدم البخار الناتج من عملة الغليان في التدفئة . إلا أن حمامات القاهرة لم توجد بها تدفئة بالأرضيات نظراً لاعتدال درجة الحرارة في الشتاء .

ويتكون المسقف من ثلاثة عناصر رئيسية . فبعد اجتياز الباب الذي أمامه عدة درجات ، يصل الشخص من طريق دهليز إلى العنصر الأول وهو المشلح [المسلخ] المغطى ببقية بها فتحات بالزجاج الملون . وهي غرفة غير مدفأة وبها فسقية بالمصنّف وساطح من الحجر أو الرخام .

وهيّا ينتظر الشخص قبل وبعد الحمام . وعادة ما يتجاذب المستحمون أطراف الحديث فيها وتقدم المشروبات والأرجيلة . كما زود الحمام بمروريات للمياه . ويلحق بالمشلح غرفة لمصاحب الحمام يقوم بمراقبة المبنى ويتولى توزيع الصابون والمناديف . وبلى هذه الغرفة غرفة أخرى مدفأة يفصلها عن الأولى دهليز ، وبها مساطب يجلس عليها المستحم لكي يعود على حرارة الحمام وخاصة بعد الخروج .

ويأتي بعد ذلك العنصر الثالث الرئيسي وهو بيت الحرارة ويمثله في الحمام الروماني الـ *Caldarium* والجزء الأوسط من هذه الصالة مغطى بفانوس (شخشيخة) . وبوسط الغرفة حوض مكسى بالرخام به ماء ساخن يحيط به أماكن للتدليك . وتغطي أرضية الصالة بالرخام والموزايك الرخام . ويلحق ببيت الحرارة خلوات بها مغاطس مملوءة بالماء الساخن ولا يوجد بالحمام العربي ما عرف عند الرومان بالحجرات ذات المياه الباردة والتي كانت تستعمل بعد الحمام الساخن .

أما بيت النار فهو عبارة عن فرن عليه قدور من النحاس مملوءة بالماء ويندفع الماء الساخن والهواء الساخن إلى

» تضم القاهرة أكثر من مائة حمام تزيد أهميتها في الشتاء ، وهي مصغر متعة يسهل على الفقراء التفرغ بها ، بل إن الأثرياء الذين يحوزون في دورهم حمامات خاصة يطيب لهم هم أيضاً التردد على هذه الحمامات العامة ، ففيها إلى جانب الحصول على نصيب من النظافة يتجاوز ما يتحقق في الحمام الخاص متعة اللقاء مع كثير من المعارف والصحاب والترويح عن النفس . وما أن يندلف المرء إلى الحمام العام حتى يستقبله الخدم في قاعة الاستقبال حيث يودع ملابسه ويعقد حول جسده بشكيراً ، ثم يقاد إلى دهليز يحتضنه ويغمره بهوج تزايد حرارته كلما أمعن فيه حتى يصل إلى قاعة تتكشف فيها الأبخرة الساخنة المعطرة التي تنفذ إلى مسام جلده ، فيضطلع على بساط صوفى ويدنو منه صبي بلس كفه في كس من الصوف السميك الناعم الملمس ، ينتظر قليلاً حتى تكون الأبخرة قد ألانت البشرة كلها فيبدأ في قرقعة مفصلات النزول ثم يملك جسده بالكيس الصوفى حتى لا يبقى بالبشرة أي أثر كان عالقاً بها . ثم ينهض الرجل وقد لف جسده كله العرق الساخن ، ويمضي إلى قاعة مجاورة تضم مصدرين للمياه الساخنة والباردة يغتسل فيهما بمفرده ، ويتحول بعدها إلى فناء به حوض مليء بمياه شديدة السخونة يغتسل فيها بضمح لمحات ، ينهض بعدها وقد لف جسده في قميص يعود به إلى قاعة الاستقبال حيث يتناول فنجاناً من القهوة يشد معه أنفاساً من الأرجيلة مسترخياً على الأريكة يقوم منها ليستقبل جسده نفاثات من عطر فاخم ويأخذ في ارتداء ثيابه المفعمة بأريج بخور أعواد شجر الصبر .

» والسائد تخصيص حمام للنساء وآخر للرجال يفصل بينهما باب خاص ، فإذا لم يكن هناك في الحي غير حمام واحد خصصت بعض أوقاته للرجال والبعض الآخر للنساء ، وفي هذه الحالة يندسل على الحمام سائر معلمي أنه وقت النساء . والحمام العام للمرأة بعد مجتمعا مختلفا . ففيه تنزع الحجب التي ترتديها في الطرقات لتحميها من عيون الرجال وفيه تستعرض أمام الأخريات ثيابها الثمينة وحليها النفيسة التي لا تملك أن تبرزها للرجال فتزجج بها هنا أمام رفيقاتها في دل يرضى غرورها ، ويصبح اللقاء حفلاً يهيجها يشبع فيه النساء ميلهن إلى الشررة والتهامس وتناقل الأخبار والتباي بمقتنياتهن الجديدة . وتقدم عاملات الحمام للنساء خدمات فوق ما يلقاه الرجال كصفيش الشعر ... والتزين وسأ إلى ذلك» (مصر في عيون الغريب ٢ / ٣٣٧ ، ٣٣٨) .

إبراهيم : الوثائق في خدمة الآثار (الوثائق والمعاصر في العالم العربي / ٣٦ في الحاشية ٤) (المجتمع الإسلامي في بلاد الشام / ١٥٧ ، ١٥٨) .

٢- دمشق :

كانت حمامات دمشق من المنشآت ذات النفع العام يرتادها أبناء دمشق والغرباء عنها على حد سواء . وكان بعضها أتت، محبوسا لجهة وقف (فُرى أو خيري) . وحسبنا هنا أن نستعرض مثلا على ذلك حمام فتحي أفندي القلاسي في محلة الميدان بالشارع السلطاني الذي كان يستحم المرأة فيه دون مقابل ويأكل قرصين من الصفيحة (الصفيحة هي أكلة دمشقية مكونة من ورقين المجين فوقه اللحم المقروم وقليل من اللبن وحب الرمان والبصل المقروم والصنوبر والكزبرة الناعمة والعصفر والملح والفلفل يخبز ويؤكل . ثم انظر : سجل المحكمة الكبرى بدمشق رقم ٢٥٠ / ص ٣٢) ثم حمام ساقية الذي كان متوليا عليه سنة ١٢١٠ هـ / ١٧٩٥ م الشيخ عبد الرحمن المرادي . وكانت دخولها تصرف في وجوه مختلفة بحسب حاجة واقفها ، فبعضها كان يذهب للسرور على المصارف أو المنشآت الدينية والبعض الآخر لتمتلي أوقافها أو للقيمين على إدارتها وتشغيلها ، وكذلك لتزويجها بين الحين والآخر . ولم تكن على درجة واحدة من حيث فخامتها وقيمتها وتجهيزها ، لهذا كانت تزداد من فئات الشعب المختلفة ، كما أنشئ العديد منها في قصور أغنياء دمشق وأفراد الهيئة الحاكمة ، ولم تكن حمامات دمشق داخل سورها فحسب بل أنشئ بعضها في الأرياض المحيطة وفي قرى النوبة .

ولقد ارتبط عدد الحمامات في دمشق بعدد سكانها وتوسعها العمراني لهذا ترى أن عدد تلك الحمامات قد تناقص مع الزمان بدءا من القرن الثامن وحتى الحادي عشر للهجرة ثم بدأ بعد ذلك يتزايد عما كان عليه في القرن الحادي عشر . فالحسن بن أحمد الأربلي المتوفي ٧٤٦ هـ يذكر أن مجموع حمامات دمشق داخل سورها كان / ٧٧ حماما أما الحمامات التي تقع خارجها فمجموعها / ٣٤ حماما أما ابن كنان المتوفي ١٠٩٣ هـ فيذكر أن عدد حمامات دمشق في عهده فكان / ٢١ حماما بما فيها الحمامات التي تقع خارج الأسوار .

أما ما كان منها ضمن الأسوار فهي :

حمام النايب في محلة باب توما باطن دمشق ثم حمام

أماكن الاستحمام خلال مواسير من الرصاص . أما الدخان الناتج عن عملية الحريق فيسحب إلى الخارج . ويجب الماء اللازم للحمام من شر بجواره يرفع عن طريق ساقية (الترت) الإسلامي المعماري في مصر / ٦٢ ، ٦٣) .

أما عن التصميم المعماري للحمام الإسلامي في بلاد الشام فقد ظل طراز واحد لم يتغير إلا في التفاصيل والزخارف ، فقد كان الحمام يتكون من ثلاثة أجزاء رئيسية غرفة لخلع الملابس تكبر وتصغر حسب الحاجة ، إذا كان الحمام خاصا أو عاما . وفي مكان خلع الملابس غرفتان متصلتان ببعضهما ، الأولى دائمة والثانية حارة يتوسطها فسقية تخرج منها صابنير المياه الحارة . وكان سقف الحمام عادة مغطى بأبواب متقاطعة أو قباب ضحلة أما غرفة المياه الساخنة فتغطى عادة بقبعة مرتفعة .

ومن أقدم الأمثلة للحمامات الإسلامية التي ما تزال باقية - كما سبق القول - قصير عمرا ، الذي يرجع إلى العصر الأموي ، وكذا حمام الصرح وهما حمامان للاستراحتات الصحرائية التي كان يستخدمها الخلفاء والأرباء في رياضة الصيد في بادية الشام (نورد كلاهما في موضحة إن شاء الله تعالى) وقد ورد وصف الكثير من الحمامات التي ترجع إلى العصر المملوكي في الوثائق والوقفيات ، مثل حمام الكرك المحروس الذي جاء وصف عمارته ومساحته وأقسامه المختلفة في وثيقة السلطان شعبان : يشتمل الحمام على مسالخ بأربع قناطر حجارة ، وعليه قبة معقودة بالطوب الأحمر ، وبه إيوان شرقي وغربي ، وبهما مقصورتان معقودتان بالحجر والطين ، وفي وسطه فسقية برسم الماء البارد ، وباب يتطرق منه إلى بيت السفن في دهليز ، ومن يمين الدهليز بيت البارد ويشتمل على قبة وحوض كبير ويتطرق من الدهليز المنكود إلى بيت وسطاني يشتمل على قبة وحوض فيه من جهة القبلة ويشتمل على قبة وحوضين ويتطرق منه إلى صدر مثن يشتمل على قبة كبيرة مضلعة وبه مقصورتان قلبية وشمالية تشتمل كل واحدة منها على قبة وحوضين ، وفي حائطه من جهة الشرق خزانة برسم الماء الساخن موضوع بها قدرتان نحاسيتان برسم تمخين الماء لإحداها كبيرة والأخرى صغيرة . والحمام مبلط بحجر ، والحمام مستوّد ، وهو قبة معقودة بالطين والحجر (وثيقة السلطان شعبان رقم ٤٩ محكمة) عن عبد اللطيف

تفضيل حمامات دمشق عن غيرها لما فيها من الإتقان ونظام الهندسة وزراعة المياه وإتقان الخلعة والإكرام والاعتناء ويخص الأجرة للمغتسل وكان يدخل إلى الحانة الخارجية منه (البراني) من باب الشارع أو الحارة . وعلى جانبي المدخل توجد غرفتان صغيرتان تليهما مصطبانان أو أكثر مرتفعتان عن أرضية البراني بمقدار يصعد إليهما بدرج خاص فيدخل عليهما المغتسلون ثيابهم ويقدم لهم ما يلزم من الباكير والمناشف وما شاكل ذلك .

حيث يوجد خزانات في جدار المصاطب ، فيها عدد من البقع وكل بقعة فيها كسوتان مكوّنتان من مشفتين ، الأولى يلف الجسم فيها بين الصرة والأسفل ، والثانية للف الجزء العلوي ، من الجسم وهناك بشكير للرأس وكان الأغنياء من المغتسلين ، يضعون كسوة فوق البشكير من الحرير .

أما النساء فكان يجلبن بقعائهن من بيرتون . وكانت مصاطب الحمام مكسوة بالسجاد والبسط . ولي داخلها نافذة ماء تطوقها من جهاتها الثلاث مصاطب صغيرة أو مقاعد لجلوس المستحمين عليها . وفي وسط المصاطب الكبيرة توجد بركة ماء كبيرة بها فسقية نافذة وغالبا ما تكون مزينة بشماثيل من الأسود الحجرية التي تخرج من أفواهها المياه لتصب في البركة . كما في حمام نوح الدين الزنكي في البزورية .

ويزداد الحمام بالقباقيب المدينة التي تستخدم من قبل المغتسلين وعمال الحمام وبه المرايا التي تعلق على الجدران . ولتأمين الإضاءة للحمام نهارا توجد به شبايك علوية محكمة القفل من الزجاج .

وبرى من البراني أوجان القهوة لإعلاها وتقديمها للزبائن . ولا يسمع بالثخين إلا لمعلم الحمام .

أما الدائرة الشامية فتتكون من الوسطاني والجواني . وهي خاصة بالاستحمام ، بها منافع (دورات مياه) يوجد في كل منها أجران ، وهذه الأجران من الرخام أو الحجارة تنصب فيها المياه من فتحتي أنبوبين ، الأول حار والثاني بارد تتحكم فيها قطعتان من الخشب أما جدار البناء وأرضيته فغالبا من الرخام والسقف من حجارة العقد أو على شكل قباب بها فتحات توضع عليها قطع زجاجية للإضاءة ويطلق على هذه القطع اسم القمارى .

هذان القسمان لا يوجد فيهما شبايك ألينة وذلك للمخاطب على حرارة الحمام الداخلية . وتستخدم هذه الحمامات المياه

منجك بمحلة القباقيب ثم حمام عيسى القارى ثم حمام بنى أسامة بدخلة بنى الصايغ ثم حمام لصيق البيمارستان النورى بالقرب من المدرسة الشامية من ناحية القبلية ثم حمام الأبر على في محلة سوق القطر يزقاق المدرسة الخضرية ثم حمام المسك في محلة طالع القبة أو حمام السلسلة .

ولقد أنشئت بعض الحمامات في هذه الفترة خارج الأسوار واستخدام ما كان منها قائما وسعى لترميم ما كان معطلا .

ثم حمام الناصري بالشاغور الجواني ثم حمام الخراب شرقى خان إسماعيل باشا العظم ثم حمام القيشاني بالقرب من سوق البريد ثم حمام الركاب بمحلة الشاغور الجواني ثم حمام سامى وحمام القاعة بمحلة القباقيب ثم حمام العتيق بمحلة الملك الظاهر ثم حمام البابين ويستقى مياهه من نهر بانياس ويقع في حي القيسرية ثم حمام الملكة وحمام السراجي وحمام الحاجب .

أما الحمامات التي كانت موجودة خارج أسوار دمشق في الأرياض المحيطة بها فهي : حمام القواسير في صالحية دمشق ثم حمام القاشاني في سوق الجركسية من الصالحية ثم حمام القناطر في محلة القنات ثم الحمام الجديد في محلة القنات يزقاق التعليل ثم حمام الورد بسوقه ساروجة ثم حمام السنانة ثم حمام المحصب بالدخلة النافذة بالقرب من خان لالا مصطفى باشا ثم حمام الزين بالسوق المحروقة بدخلة المقدم ثم حمام القرماني بمحلة القلعة ظاهر دمشق ثم حمام التبريزي في محلة قبر السيدة عائكة ثم حمام الحدادين في محلة الدرويشية ثم حمام الجديد بمحطة القماحين من الميبلان وحمام فتحى القلاسى ثم حمام الحاجب بباب السريعة ثم حمام الخاتنجي ثم حمام السلسلة ثم حمام الجوزة في سوقه ساروجة وحمام أمونة بمحطة العمارة بالقرب من جبانة أبي الدرداس ثم حمام السكاكرى .

ولا شك أنه قد غاب عنا بعض أسماء الحمامات التي كانت في دمشق كما أننا نلاحظ تزايد ما كان منها خارج الأسوار في هذه الفترة نظرا لتزايد الأحياء السكنية .

ومن جهة أخرى فقد اختلف نمط بناء كل حمام من حيث الزخرفة والمواد المستخدمة وطريقة بنائه والمساحة التي بنى عليها إلا أن غالبيتها ، تألف من ثلاث دوائر أساسية هي : البراني --- والوسطاني --- والجواني ، والبعض القليل منها كان مكونا من دائرتين : البراني والجواني . وأجمع السواح على

الشليف على ظهر حمام من أماكن عدة كالخانات وغيرها ويعطيهما للأقمعي ، ثم :

– التبع : وهو عامل أيضا يقدم للزبائن المناشف إذا كانوا من متوسطي الحال أو من الفقراء كما يجعل النورة المعروفة بالدواء .

وتطالعنا سجلات محاكم دمشق بالعديد من أدوات ومحتويات الحمامات مثل : محارم بغدادية – ومحارم مكاوية – وماديات – وبقيجات يمنية – وبسط وسجاجات مختلفة الأحجام وحرامات محشوة خرق ومخدات محشوة خرق أيضا وسجاجات كبيرة وثريات وهناديق كبيرة وقباقيب وأراكيل ودولات نحاس ومناصب وملاقط وقشط وكاسات ومجالف وأبناطين وغيرها .

أما الصابون المستخدم في الحمامات فكان من أنواع مختلفة منها البلدي والمغشوش والصابوني والجعفرى والنوعان الأخيران جيدان واستخدام الفلاحون الفقراء نبات الشنشان في الحمام من أجل تنعيم الشعر والبسند وجلى الأوساخ عن أجسادهم .

وكان من الطبيعي ألا يسمح باستخدام الحمام بشكل مختلط بين الجنسين (الذكور والإناث) وحتى طاقم تشغيله كان يتبدل بحسب جنس الزبائن . فكان الحمام يفتح لاستقبال الذكور من الفجر إلى الظهر على حين يخصص من الظهر إلى المساء لاستقبال الإناث فيبدل طاقم تشغيله بالمعصر النسائي وكانت بعض الحمامات لا تستقبل سوى الرجال خاصة ما كان منها في الأسواق والشوارع .

أما طاقم تشغيل الحمام النسائي فهو متألف من :

- المعلمة : وهي التي تقوم باستقبال الزبونات وتقبض منهن الأجرة وتكون في حلة جميلة وزينتها كاملة ثم :
- الأسطة : وهي التي تقوم بتغسيل البدن والرأس للزبونة ومهمتها كما نرى مهمة المعصوين لدى الرجال ، ثم .
- البلائنة : وهي التي تقوم بتجليك البدن بالكيس وتقوم بصبغ الأبيض الشايب من الشعر وتقوم أحيانا بحمل البقيج للنساء الموسرات من يوزعن إلى الحمام وبالعكس ثم :
- زقاقة البارد : وهي التي تأتي بالماء البارد وتضيفه إلى الماء الساخن حتى يصبح محملا . ثم :
- الناطورة : ومهمتها حراسة ثياب النساء وثأى بمنشاهن وتلف أبدانهن (مجمع مدحة دمشق ١ / ١٢٢ - ١٢٩) .

من الطوائف القريبة التي تزود بملووها من الطالع الرئيسي وينتقل الماء بأنابيب فخارية إلى مرجل نارى وإلى صنابير الميلاء الباردة ودورات المياه والنورفات فى داخل برك الماء وتنسوق مثالا على ذلك (حمام نور الدين الشهيد) الذى كان يزود بالمياه من طالع البزورية ثم حمام الحفيف وحمام المقدم وحمام الحاجب لكل واحد منها طالع ماء يزوده طالع رئيسى يأتيه الماء بدوره من نهر يزيد . أما حمام الموردة والجورة فمن نهر تورا وحمام الملك الظاهر من نهر بانباس وحمام الملكة والقاضى والسروجى من نهر بانباس والقنوات وحمام فتحي وغيره من نهر الديراني .

ويجمع معظم المؤرخين الذين أرحوا للحمامات في دمشق على أن معظم حماماتها وأكثرها اتساعا ونظافة في تلك الفترة من الزمن كان حمام الخياطين وحمام القيشاني وحمام الملكة وحمام النوفرة الذى يقع بالقرب من باب الجامع الأموى الشرقى ، وحمام المسك الذى يقع في حارة النصارى من دمشق . وحمام الخراب وحمام الناصرى فى الشاغور وحمام البكرى وحمام القيسرية وحمام الشيخ فى باب توما . ثم حمام نور الدين الشهيد فى البزورية .

ولقد توارث العمل في هذه الحمامات أفراد أسر معينة من دمشق حيث كان الوالد يعلم ابنه الحرفة ، وهكذا ... وكان لهذه الحرفة شيخها شأنها شأن بقية الحرف فى دمشق .

أما الطاقم الذى كان يعمل فى داخل الحمام فكان على الشكل التالى :

- المعلم وهو صاحب الحمام أو مستأجره الذى يقوم بتشغيل الحمام وتوزيع العمل على بقية عماله .
- والناطور : ويتعاطى كسوة الزبائن فى القسم الخارجى .
- والمعصوين : ومهمته تغسيل الزبائن بالصابون والليفة وكذلك بالكيس الخاص بالجأجأ لإخراج الوسخ لمن أراد ثم القهوجى ويسقى القهوة للزبائن فى الحمام ، ثم :
- الأجير : ويكون واحدا أو أكثر ومهمته أخذ النعال وتقديدها لأصحابها .

– القميمى : ومهمته إيقاد النار فى الإقميم والإشراف عليه والحصول على الوقود والزبل ونشره ليحفظ كما يخرج الرماد من تحت الإقميم .

– الزبالي : ومهمته جلب روث الجمال والحميز والبقير فى

٣- حلب :

أحصى ابن شداد عدد الحمامات الموجودة في الدور بحلب قرابة مائتي حمام منها خمسون ملحقة في القرن السابع الهجري ، فقال إنه يوجد بالدور والبساتين . كما عدد حمامات دمشق في القرن السابع فوجد أنها تبلغ مائة واثنين وعشرين حماما . وهذا العدد الضخم من الحمامات إنما يدل على تقدم حضارى يتجلى في النظافة واتباع التعاليم الصحية (للمجتمع الإسلامى في بلاد الشام / ١٥٧) .

أما عن الحمامات في حلب كما أحصاها ابن شداد فنكتفى هنا بذكر مواقعها وعدد الحمامات في كل موقع ونحيلك إلى المصدر لتستكمل معلوماتك :

ما بباطن حلب من الحمامات : عددها ٦٩ .

حمامات الدور : عددها ٣١ .

الحمامات التي بظاهر حلب :

الحمامات التي بالحاظر : عددها ٢٨ .

الحمامات التي بالمقام : عددها ١١ .

الحمامات التي بالباروتية : عددها ٣ .

الحمامات التي في خارج باب أنطاكية : عددها ٦ .

الحمامات التي بالحلبة : عددها ٤ .

الحمامات التي بالبساتين : ٢٤ .

الحمامات التي بخارج باب الجنان : عددها ٧ .

الحمامات التي بالرمادة : عددها ١٠ .

وبدار فخر الدين الزوالى حمام .

ثم يقول ابن شداد : وهذه الحمامات التي ذكرتها ، بحسب ما وصل إليه علمي ، وفارقت عليه بلدى ، فسي سيع ونخمين وستامة ، وهى على هذه الكثرة كانت لا تكفى لمن بحلب . ولقد بلغنى أنها في العصر الذى وضعت فيه هذا الكتاب دون العشرة : « إن في ذلك لعبرة لمن يتذكر أو يتشى » ونص الآية : « إن في ذلك لعبرة لمن يتشى » [النازعات : ٢٦] وتذكروا يتحقق بها القدرة على الفناء بعد الإنشاء (الأخلاق النبطية ج ١ ق ١ / ٣١٤-٣٢٤) .

٤ - الأندلس :

أما عن الحمامات في الأندلس فيصفها الأستاذ الدكتور عبد العزيز سالم على النحو التالى فيقول :

كثر بناء الحمامات في المدن والقرى الأندلسية ، بحيث يمكننا القول بأن دور الحمام في الأهمية المعمارية بأش مباشرة بعد المسجد الجامع . وكانت للحمام أهمية عظمى في الحياة الاجتماعية الأندلسية ، إذ كانت عادة الاستحمام من العادات المتأصلة بعمق في الإسلام . والواقع أن الحمام هو المكان الذى يستشعر فيه المرء بهجة الحياة ، لأن الاستحمام يولد في النفس إحساسا بالراحة ، ويحدث فيها شعورا بانتعاش بدنى وروحى .

وكان من أسباب تعلق أهل الأندلس بالاستحمام- بالإضافة إلى الشعور النفسى الذى يحدثه بخار الماء الساخن، وما يتبعه من تدليك - أن الحمام كان مركزا للاجتماعات المرحية ...

ثم إن النساء يجدن في الذهاب إليه فرصة للتسرية عنهن وتغيير الجو ، والتمتع بحرية نسبية ... وكان الأمر كذلك بالنسبة للرجال حين يتجرد من ثيابه ، ولا يضع على بدنه غير منتر رقيق . وكثيرا ما كان شوارع الأندلس يذكرون الحمام في أشعارهم ... من ذلك قول أحد الشعراء في وصف حمام :

ومنزلة أقوام إذا ما تقابلوا

تشابه فيه غسله ورليه

ينس كسرى إذ ينس كسرى

ويعظم أنسى إذ يغسل أنسى

وكثيرا ما قصد الشعراء الأندلسيون ، وتطارحوا فيه الشعر .

وكان للحمام-بالإضافة إلى ما سبق- غرض دينى ، إذ أنه يظهر جسد المرء تطهيرا تاما . ولعل ذلك هو السبب الذى من أجله يغسل المسلمون جثث أمواتهم قبل موارنتها التراب ، لأن جسم الإنسان ممرض دائما لكل ما يفسد الطهارة . والماء يظهر الجسم ، ويزيل ما علق به . وفى ذلك يقول الشاعر الشهاب بن فضل الله :

وحمامكم كعبة للوفود

نحج إليه خلسة عسرة

يكسرر صموت أنشاييه

كتاب الطهارة ... باب المياه

وكانت الحمامات لهذا السبب تكثر بالقرب من المساجد

خاليا من الحمامات . وعندما جردت مخلفاته فى هذا الدبر عشر على أربع قطع من النسيج الهولندى ، كان يستخدمها الإمبراطور العظيم لتجفيف قدميه عند غسلهما .

وكان الحمام الأندلسى يتألف عادة من مدخل يودى إلى ثلاث قاعات أو أربع رئيسية مقبلة ، تضاف إليها ملحقات الحمام من الموقد والمرحاض إلى آخره . وكانت هذه القاعات تتصل فيما بينها عن طريق فتحات أو أبواب ، وكانت تتخذ جميعها شكلا مستطيلًا ، أو مربعا بخلاف الحمامات المصرية فى العصر الإسلامى ، إذ كانت تدور حول غرفة مركزية .

ويؤدى مدخل الحمام إلى أسطوان أو دحلة صغيرة فى شكل مرفق ، يليه حجرة ضيقة مستطيلة تعلوها قبة نصف أسطوانية بنهايتها قبران يعرفان بالخلوتين . ويفصل هاتين الخلوتين عن بقية القاعة عقدان يستندان فيما بينهما على عمود مركزى . وتعرف هذه القاعة باسم « البيت البارد » وكان المستحمون يخلعون فيها ثيابهم عند دخول الحمام ، ويلبسونها عند خروجهم منه . وفى أركان الخلوتين مقاعد يستريح عليها المستحمون .

وفى بعض الحمامات المتفرقة كانت تسبق البيت البارد غرفة تعرف « ببيت المستراح » ، يستريح فيها المستحمون قبل خروجهم من الحمام ومقابلتهم الهواء الخارجى . ولى البيت البارد قاعة تعرف بالبيت الوسطانى ، وهى أكثر اتساعا من القاعة السابقة ، وتعد أهم أجزاء الحمام . ويتوسط هذه القاعة فراغ مركزى مربع تعلوه قبة ، ويحيط به أربعة ممرات مقبلة ، تحملها عقود قائمة على أعمدة . وجميع هذه القنوتات الجانبية ، والقبعة الوسطى ، تتخللها فتحات نجمية الشكل تغلق بقطع زجاجية تسمى « مضارب » لإدخال الضوء .

ويتبع هذه القاعة قاعة أخيرة تعرف « بالبيت الساخن » وهى غرفة ضيقة مستطيلة تشبه الغرفة الأولى ، ولها نفس نظامها . وفى منتهى الغرفة موقد كبير يسمى بالقدار أو البرمة أو القرنش وتخرج من القدر أنابيب الماء الساخن والبارد ، وتدخل فى الجدران لتصب فى أحواض المخلوقات .

ويلاحظ أن درجة الحرارة ترتفع فى الحمام بالتدريج من البيت البارد إلى البيت الساخن ، فإذا انتهى المستحم من

حيث يتيسر للمسلمين الاستحمام والتطهر قبل الدخول إلى المسجد للصلاة . وتدل الوثائق الخاصة بتوزيع دور أشبيلية على الفاتحين الأسبان ، بعد استردادهم للمدينة ، على أن حماما إسلاميا كان يقع بالقرب من سقايات المسجد الجامع . وما زلنا نرى اليوم آثار حمام بجوار المسجد الجامع بإشبيلية ، قبالة مثلثته ولصق القصر الأسقى .

وفى قرطبة تبقى حمامات بجوار المسجد الجامع : أحدهما فى شارع يعرف ببلاس كويدياس ، والآخر فى شارع الحمام . ويتألف الحمام الأول من قاعة وسطى ، بها مقود مفرطحة ومتجاورة تحملها عشرة أعمدة ، وكانت تعلو هذه العقود قبة لم يبق لها اليوم وجود بعد أن تحولت هذه القاعة إلى بهو .

ويذكر هرناندو اليباسى ، فى القرن السادس عشر ، أن بغرناطة حماما كان يقع بجوار المسجد الجامع الذى تحول إلى كاتدرائية غرناطة .

وكثر الحمامات فى المدن الأندلسية لدرجة أن عددها أصبح متقاربا مع عدد مساجدها . ويذكر ابن حيان أن عدد حمامات قرطبة بلغ أيام المنصور ابن أبى عامر تسعمائة حمام ، وقيل سبعمائة . ويذكر بن عذارى المراكشى أن حمامات النساء وصلت إلى ثلثمائة حمام .

ولم تكن عادة الاستحمام فى الأندلس استمرارا لما كان متبعًا فى أسبانيا قبل الفتح الإسلامى ، فقد حمل الفاتحون معهم تقاليدهم ، وفروصوها فى أسبانيا . وانتشرت عادة الاستحمام فى أسبانيا المسيحية بتأثير من أسبانيا الإسلامية . إلا أن عادة الاستحمام ثلاثت من أسبانيا المسيحية منذ النصف الثانى من القرن السادس عشر فى عصر الإمبراطور شارلوكان والملك فيليب الثانى . وساعد على ذلك تعصب الكنيسة ضد هذه العبادة الإسلامية وعداؤها الشديد لها . وانقرضت فى طليطلة منذ عهد ألفونسو الحكيم ، واقتصرت عند أهل طليطلة على المناسبات الهامة عندهم ، فكانت الفتاة لا تستحم إلا يوم زفافها . وذكر فرى أرناندو دى طليطلة ، أسقف غرناطة ، أن الملكة إيزابيلا الكاثوليكية اعترفت أمامه بأنها كانت لا تغسل قدميها إلا مرة واحدة فى الشهر .

وكان دير يوسوى ، الذى اعتزل فيه الإمبراطور شارلوكان ،

حمامه تعرض بالتدريج لهواء أقل حرارة من الهواء الداخلي الساخن حتى يصل إلى البيت البارد فيستريح فيه قليلا قبل أن يغادر الحمام .

وكانت أرضية الحمام تكسى عادة بالفسيفساء أو بلوحات الرخام ، وجدرانه تزين بلوحات الزليج ، أو تحلى بالرسوم الجميلة ...

وكان يعمل بالحمامات قومة ، منهم الحكاك والحجام ، وكان لا يسمع لهم بالتجول داخل الحمام إلا بسرور نظيفة بيشاء . وكان السقاؤون يحملون الماء على ظهورهم من السقايات إلى الحمامات . وقد تصل المياه وأما إلى الحمامات من قنوات في جوف الأرض ، تنفرع منها أنابيب إلى المباني المختلفة كما حدث في أشبيلية في عهد أبي يعقوب يوسف (١١٧٢) .

ولقد تبقى في أسبانيا عدد كبير من الحمامات الإسلامية - في أشبيلية وبلنسية وميورقة وغرناطة وقرطبة وسرقطة ومرسية وطليطلة وسطة - ويرجع سبب بقاء كثير منها في حالة جيدة إلى ضخامة جدرانها وصلابتها وإلى قدرة قبوتها على تحمل بخار الماء ، ثم إلى وظيفتها الدفاعية ، وعدم وجود أية علاقة بينها وبين عمارة المساجد التي عمد الأسبان إلى محوها من أسبانيا . ولذلك فإن الحمامات هي أقل المنشآت الإسلامية تعرضا للتخريب والتدمير الذي لم تسلم منه بقية الآثار الأخرى .

حمامات طليطلة :

تبقى منها حمامان ، وقد أصبح هذان الحمامان اليوم مصارف للقاذورات ومخازن ، الأمر الذي أدى إلى سد فتحاتهما وتشويههما . وأحدهما يقع قريبا من البوئر أمارجو (البئر المرة) بطليطلة ، وكان يعرف في القرن الثالث عشر باسم حمام يعيش ، ويتألف من ثلاثة أروقة متوازية ، طول الواحد منها عشرة أمتار ، تعلوها قبوات نصف أسطوانية . ويقع الحمام الثاني - وكان يعرف بحمام زيد - في الحي القديم لليهود ، ويتصل أسطوان المدخل فيه برفاقين متوازيين من حجوم مماثل لأروقة الحمام السابق ، تعلوهم قبواتان أسطوانيتان مزودتان بالمضوى التقليدي .

حمام غرناطة :

أقامه بادريس الصنهاجي ، وكان يعرف في العصر

الإسلامي بحمام الجوز . وقد وصل إلينا هذا الحمام في حالة جيدة للغاية . وباب الحمام يؤدي إلى بيت المستريح الذي تخلع فيه الثياب ، وهو قاعة تعلوها قبوة نصف أسطوانية تتخللها مضوا شمنة نجمية الشكل . ويتلو هذه القاعة البيت البارد ، وهو قاعة طويلة في نهايتها مخدعان يتقدمهما عقدان على شكل حلوة القوس تحملها أعمدة ، وبلى هذه القاعة البيت الوسطاني ، وتحيط به ثلاثة ممرات ، في كل ممر ثلاثة عقود على شكل حلوة القوس قائمة على عمد ، وتلتقي بهذه العقود عقود أخرى عمودية على جدران القاعة أقل من نصف دائرية . ويعلو الجزء الأوسط من القاعة قبوة مفرطحة . ويتم هذه القاعة قاعة البيت الساخن التي تشبه القاعة الأولى . وينتهي الحمام بمقود وبعض الملحقات .

وجدران الحمام مبنية من ملاط شديد الصلابة ، أما العقود فمن الحجر .

حمام بلنسية :

هو أكمل هذه الحمامات جميعا ، ويسمى اليوم حمام الميراثي ولقد تهدمت منه دوحه المدخل ، وبقيت عدة قاعات منها البيت الوسطاني ، وتعلو القصر المركزي بهذا البيت قبة شمنة تقوم على جوفات مقوسة ، وحول هذا الفراغ أربعة ممرات تطل على وسط القاعة بمقود على شكل حلوة القوس ، قائمة على عمد من الرخام الوردى يتيجانها الملباء ، وتعلو هذه الممرات قبوات نصف أسطوانية تتخللها ، وتتخلل القبة الوسطى مضوا نجمية الشكل (١) العمارة المنفية بالاندلس (١٣٩ - ١٤٤٣) .

ويقر الإمام المناوي بابا في كتابه « التزعة الزهية » لمطالبات الحمام من حيث الهيئة والشكل والكيفية فارجع إليه إن شئت (ص ٥٧ - ٦٣) .

كما يروق الإمام المناوي في كتابه هذا نماذج مما قيل في الحمام من شعر نتقى منها ما يلي :

قال ابن رشي : (من الطويل)

ولم أدخل الحمام مسامحة بينهم

طلاب نعيم ، قد رضى يسوسى

ولكن تجرى عبرتى مغمضة

فأبكي ولا يسرني بذلك جليسى

يريد بشر الحافي ، وكان من كبار الزهاد ولزم العشى حافيا فلقب به (التمرة الزية / ٥٧-٦٣ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ١٠١ ، ١٠٢) .

قالت المؤلفة : أوردنا له ترجمة تحت عنوان « بشر الحافي » في ٧ / ١٣٠ ، ١٣١ فانظرها في موضعها إن شئت .

وكما درج عليه الثعالبي في « اللطائف والظرائف » يسوق ما قيل في مدح الشيء ثم ما قيل في ذمه ، ومن ذلك ما جاء في مدح الحمام :

قال بعض السلف : نعم البيت بيت الحمام ، يتقى الأفتار ، ويذكر النار . وذكر الحمام عند الفضل الرقاشي فقال : نعم البيت بيت الحمام ، يذهب القشافة ، ويقب النظافة ، ويجشى التخمّة ، ويطيب البشرة . وقلت في المبيح : الحمام صيقل الأجسام ، ونظام النظافة ودافع آفة القشافة . ولم يمدح الحمام كما مدحه السري الرفاء (ت ٣٦٦هـ) حيث قال :

بيت يتيسر حكماء السورى
فهو إلى الحكمة منسوب
مجسور النار ولكنه
يجسور النار به الطيب
حر هو الروح لأجسامنا
والحصر للأجسام تعليل
ولبعضهم : وقد دعا صديقا إلى الحمام وأظنه للسرى الرفاء أيضا :

أسعبد هل لك فى زيارة منزل
تنتى عليه جسورح الزوار
بيت ترى الجبلان فيه منابعا
وترى السماء كثيرة الأقمار
ولأبى طالب المأمونى رحمه الله :
أحق بيت من بيوت السورى
بصونته قلما وإشماره
بيت إذا مسسا زاره زائر
وقصد قضى أعظم أوطاره

ولما رأى بعضهم نفسه ممثلا بين يدى الدلاك ، أنشد :
(من المقارب)

أغتسر إن مد فى العسر لى
وأرجو المناب إلى قائل
وأفضل والموت لى طسالب
حيث كسلب الغضا القاتل
كأنى به فى ضد هكلا

تحكم فيسه يمد الغاسل
ودخل أهراب البصرة ، فزل على ابن عم له . فلما رأى البصرى شعث الأهرابى أراد أن ينظفه ، فقال له فى يوم الجمعة : الناس يتطهرون فى هذا اليوم ويتنظفون ويلبسون أفخر الملابس يوم عيد . فتعال أدخلك الحمام لتنظف من شعث البادية وتظهر للصلاة . فدخل معه الحمام ، فعندما وطئ الأهرابى أول بيت منه زلق ، ووقع على وجهه وشج ، فرجع مرعوبا وأنشد : (من الطويل) .

وقالوا تطهر إنّه يوم جمعة
فأبت من الحمام غير مطهر
نزودت منه شجة فوق حاجبى
بغير جهاز بس ما كان متجسرى
تقول لى الأعراب لما رأيتنى
به لا تطأ تمرح كبرمة أفسر
وما تعرف الأعراب مشيا بأرضها
فكيف بيت ذى رخسام ومرمر
وقال محمد بن مبرة :

دخلت حماما فخرجت وقد سرق مداسى فعدت إلى دارى حافيا وأنشدت : (من الوافر) .
إليك أدم حمام ابن موسى
وإن فساق المنى طيبا وعظما
تكاثرت اللصوص عليه حتى
ليخفى من يطيف به ويعمرى
فلم أفتقد به ثوبا ولكن
دخلت محمدا وخرجت بشرا

وهو إذا ما جاء مستظلاً

مسروعة الإنسان في داره

يدخله المولى يخسر كما

يدخله العبد بأطماره

قالت المؤلفة : يعبر هذا البيت الأخير عن ديمقراطية نظام الحمامات العامة في الإسلام ، إذ يدخل الحمام السيد يرتدى لباساً من حرير ، كما يدخله العبد يرتدى الثوب الخلق البالي .

أما ما جاء في ذم الحمام فأبلغ ما قيل في ذمه قول ابن المعتز :

ما نلت بالحمام حراً ولا

يصلح فيه غير تبريد ماء

وجعلت بالصيف به راحة

ككيف أرجو صرناً في الشتاء

ولبعضهم :

وحمام دخانك لأمر

حكى سكر وفيه المجرمون

فهمطرحوا يقولوا أخرجونا

فإن صدنا فزنا ظالمونا

قالت المؤلفة : لاحظ الاقتباس في هذا البيت الأخير ، فلفظ « فيصطرحوا » مقتبس من قوله تعالى : ﴿ وهم يصطرحون فيها ... ﴾ [فاطر : ٣٧] ، وبقية البيت مقتبس من قوله تعالى : ﴿ ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فئننا ظالمون ﴾ [المؤمنون : ١٠٧] وقد بسطنا القول فيه في مادة « الاقتباس » في م ٥ / ٤٧٥ - ٤٨٠ فانظروا في موضعها إن شئت .

وللمنوبى :

حماماتك ليس فيه ماء

ويسرده ما لسه انتفضاه

ما ينفع القطن فيه شياً

ولا اللباس بيد والفراة

تسرده في الصيف فيه بردا

تصيف حماماتك شتاه

فلم تسرده لـمـنـفـع داء

هل ينفع النساء وهو داء

(اللطائف والظرائف / ٨٣ - ٨٦) .

وعن أحكام الحمام جاء ما يلي في تيسير الوصول .

١ - عن عائشة رضى الله عنها : « أن رسول الله ﷺ نهى الرجال والنساء عن دخول الحمام قالت : ثم رخص للرجال أن يدخلوه في المآزر » .

٢ - وفي رواية : « أن عائشة دخل عليها نسوة من نساء أهل الشام فقالت : لعلكن من الكورة التي يدخلن نساها الحمامات ؟ قلن : نعم . قالت : أما أنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما من امرأة تخلع ثيابها في غير بيتها إلا هتكت ما بينها وبين الله من حجاب » أخرجه أبو داود والترمذى .

الكورة : اسم يقع على جهة من الأرض مخصوصة كالشام والعراق وفلسطين ونحو ذلك :

٣ - وعن ابن عمر بن العاص رضى الله عنهما « أن رسول الله ﷺ قال : مفتاح لكم أرض المجمع ، وستجلبون فيها بيوتاً يقال لها الحمامات فلا يدخلها الرجال إلا بالمآزر ، وامنعوا منها للنساء إلا مريضة أو نكساء » أخرجه أبو داود .

٤ - وعن جابر رضى الله عنه « أن رسول الله ﷺ قال : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام بغير إزار ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل حليلته الحمام من غير عذر ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يلعب عليها الخمر » أخرجه الترمذى والنسائي (تيسير الوصول / ١٠١ ، ١٠٢) .

وقد ورد هذا الحديث الأخير في الترغيب والترهيب بلفظ :

٥٨ - عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام إلا بمشتر ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام النساء . رواه النسائي والترمذى وحسنه والحاكم وصححه . [١٠٤٢ / ١] .

(الترغيب والترهيب / ١٩) .

٢ - ذلك كان عن الحمامات العامة . أما حمامات البيوت : فيقول عنها الدكتور ثروت عكاشة :

باردة مثلما كانت عليه الحال فى الحمامات العامة ... كما كان بعضها أنابيب للتدفئة، ومن أمثلة ذلك ما وجد فى سراى المسافرين عند إصلاحها بمناسبة احتفالات ألفية القاهرة، وما لا يزال موجودا بقصر الحمراء فى غرناطة بالأندلس.

وقد ثبت وجود حمامات بمنزل رشيد ومنزل زينب خاتون والسحيمى والمسافر خاتنة وقاعة عثمان كتخدا ومنزل السنارى، ونظرا لأن قصر بشتاك لم يبق منه سوى القاعة الكبيرة فلم يعثر به على حمام، وليس من المستبعد أنه كان يضم حماما يتناسب مع عظمة القصر. (القيم الجمالية / ٩٥، ٩٨).

(انظر مادة «بشتاك (قصر)» فى م ٧ / ١٢١-١٢٨).

(الرسالة الرشادية فيما بهجز لتكميره وتأنيته معا فى العربية - محمد رشاد عبد القادر خليفة / ٢١، ولسان العرب لابن منظور / ١٠٠٨، ودخل إلى الآثار الإسلامية - د. حسن الباشا / ٢١٠، ٢١١، والفن الإسلامى - أبو صالح الألفى / ١٢٤، والثرات الإسلامى المعماري فى مصر - د. صالح لعمى مصطفى دار النهضة العربية - بيروت. الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م / ٦٧، ٦٨، وموسوعة العمارة الإسلامية - د. عبد الرحيم غالب / ١٣٨، ١٣٩، ١٤١، والميزة الزينية فى أحكام الحمام الطبية والشرعية للشبح عبد الرؤوف المناوى - حققه وقدم له د. عبد الحميد صالح حمدان / ٧-٩، ٦٤-٦٨، ٩٢، ٩٦، ١٠١، ١٠٢، وأبجد العلوم لصديق بن حسن القنوجى - أعدته للطبع وروضع فهراسه عبد الجبار زكار - ج ١ / ١ ق ٣٠٨، ٣٠٩، ومن مؤلفات ابن سينا الطبية - دراسة وتحقيق د. محمد زهير البابا / ٣٢-٣٩، ومختصر لفظ المنافع للإمام ابن الجوزى / ٢٦ والمواظف والاختيار بذكر الخطوط والآثار لنعى الدين المقرئى / ٢ / ٢١١، ٢٣١، ٢٣٢، ٥٢٧، والخطط التصريفية الجديدة لملى باشا مبارك / ١ / ٤١، ٤٢، ٤٦، ٤٧، و«بشتاك والصور المفقودة» - المهنسة سهرى صالح. مجلة عالم البناء العدد التاسع والأربعون ١٤٠٤ هـ - سبتمبر ١٩٨٤ م / ٣٢، ومصر فى عيون الغريب من الرحالة والفنانيين والأدباء - د. ثروت مكاشة. الهيئة المصرية للكتاب ١٩٨٤، ٢ / ٣٢٧، ٣٣٨، والمجمع الإسلامى فى بلاد الشام - د. أحمد رمضان أحمد محمد / ١٥٧، ١٥٨، ومجتمع مدينة دمشق - د. يوسف جميل نمية / ١ / ١٢٢-١٢٩، والأخلاق الخطيرة لابن شداد - حققه يحيى زكريا عبارة - ج ١ / ٣١٣-٣٢٤، و«العمارة المدنية بالأندلس» - د. عبد العزيز سالم. كتاب الشعب ٦٤، دائرة

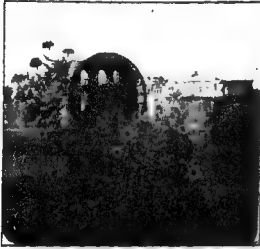
على الرغم من أن بعض الأكرين يذهب إلى أن نظام المياه الجارية داخل البيوت لم يكن متوفرا حتى فى منازل الأثرياء، وأن السكان كانوا يتوجهون للاستحمام فى الحمامات العامة، إلا أنه قد ثبت من الحفائر الحديثة بطلان هذا الرأى. يقينا كانت هناك الحمامات العامة وكانت تلعب دورا هاما فى الحياة الاجتماعية، غير أن ذلك لم يحل دون وجود حمامات خاصة فى المنازل تستخدم فيها الغلايات لتسخين المياه والبخار لتدفئة جو الحمام. وكانت البيوت فى العادة تنقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسية: أولها جناح المعيشة العائلية. وثانها جناح استقبال الرجال. وثالثها قسم الخدمة ويشمل المطبخ والمخازن ويتر المياه إلى غير ذلك (انظر «البيوت الإسلامية» فى م ٨ / ٢٧١-٢٨٦).

ويستفاد من النص الذى أورده ابن دقماق أنه كانت بالدور حمامات خاصة ذكر أحد عشر حماما منها، وقد أيدت حفائر الفسطاط على يد على بهجت وجود حمام بإحدى الدور، كما أسفرت حفائر هيئة الآثار فى المنطقة نفسها سنة ١٩٧٢ عن وجود حمام ملحق بأحد المنازل.

وكانت قنوات المياه الفخارية تتكون من أنابيب أسطوانية مختلفة المقاييس لتتنصق إحداها بالأخرى بواسطة ملاط من الجير القصرى (وهو السرماد المتخلف فى موائد الحمامات)، وكان يتخلل الأنابيب المستقيمة التى تشكل القنوات الفخارية وصلات على شكل زاوية أو حرف T للتحويل أو التفرع.

وقد تمخضت حفائر هيئة الآثار عن وجود شبكة كبيرة لمياه الشرب تم حتى الآن كشف خمسمائة متر منها متجهة نحو جامع عمرو بن العاص، ومعنى ذلك أنها كانت تأتى من النيل الذى لم يكن بعيدا عن الجامع عند إنشائه. كذلك كشف فى الأروام الأشيرة عن شبكة أخرى لمياه الشرب كانت تأتى من عين الصيرة، كما اشتملت المنازل على قنوات لمياه الشرب وأخرى للصرف. وقد عثر بالفسطاط على شبكة ضخمة لصرف المياه تمثل نوعين مختلفين أحدهما مجرى منحوتة فى الصخر ومغطاة بقوالب صغيرة والثانية قنوات من الفخار.

وكان بحمامات القصور وبعض الدور مياه ساخنة وأخرى



نور عبّاس حمّة

ذكره من البقاع التي شاهدها في مسيره من بغداد مع المعتضد إلى الطواحين فقال بعد ذكره حمص :

وحمة قرية عليها سور حجارة ، وفيها بناء بالحجارة واسع ، والعاصي يجري أمامها ويسقي بساتينها ويدبر نواحيها . وكان قوله هذا في سنة ٢٧١ فسمّاها قرية ، وقال المنجمون : طول حمة الثتان وستون درجة ولثان ، وعرضها خمس وثلاثون درجة ولثان وربع ، وقال أحمد بن يحيى بن جابر : ولما افتتح أبو عبيدة حمص وفرغ في سنة ١٧ خلف بها عبادة بن الصامت ومضى نحو حمة فلقاه أهلها مذعنين فصالحهم على الجزية في رؤوسهم والخراج على أرضهم ومضى إلى شيزر . فكان حالها حال حمة ، وقال عبد الرحمن ابن المستنخف بهجو الملك المنصور محمد بن تقي الدين صاحب حمة :

ما كان يصلح أن يكون محمد

بسوى حمة . لقلّة في دينه

قد أشبهت منه الصفات : فنهزها

من جنسه ، وقرونها كقرونها

قرون حمة : ثلثان متقابلتان ، جبل يشرف عليها ونهرها العاصي ، وبين كل واحد من حمة وحمص والمعرة وسلمية وبين صاحبه يوم ، وبينها وبين شيزر نصف يوم وبينها وبين

معارف الشعب ، مطابع الشعب / ١٩٥٩ - ١٣٩ - ١٤٣ ، واللطائف والظرائف لأبي منصور الغالي / ٨٦ - ٨٣ ، وتيسير الوصول إلى جامع الأصول للإمام ابن القيم الشيباني / ٣ / ١٠١ ، ١٠٢ ، والترغيب والترهيب ، انتقاء شباب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - تصحيح وضبط محمد المجذوب / ١٩ ، والقيم الجمالية في العمارة الإسلامية - د. ثروت عكاشة / ٩٥ ، ٩٨ .

• الحصانات (علم) :

انظر : الحمامات .

• حمّة :

حمّة : من أشهر مدن سورية وأقدم مدن العالم ، لا تزال محتفظة باسمها القديم . كانت تدعى « ايفسانا » في أيام انطونيوس ايفاس ، أسسها أحد أولاد كتعان ، موقعها في وادي العاصي ، كانت تدعى مفتاح شمالي فلسطين لأنها كانت متوسطة بين القزات وبنيقية . بلغ عدد سكانها عام ١٩٨١ ، ٦٤٠ ، ١٧٩ نسمة .

قال عنها ياقوت :

حمّة : بالفتح ، بلفظ حمّة المرأة ، وهي أم زوجها لا لغة فيه غير هذه . وكل شيء من قبل الزوج نحو الأب والأخ فهم الأحماء ، واحدهم حما . وفيه أربع لغات :

حما مثل قفا ، وحمو مثل أبو ، وحم ، ساكنة الميم بعدها همزة ، وحم ، بغير همزة .

وحمة أيضا : عصابة الساق .

وحمة مدينة كبيرة عظيمة كثيرة الخيرات ، رخيصة الأسعار ، واسعة الرقعة ، حفلة الأسواق ، يحيط بها سور محكم ، وبظاهر السور حافس كبير جدا ، فيه أسواق كثيرة وجامع مفرد مشرف على نهرها المعروف بالعاصي ، عليه عدة نواوير تستقي الماء من العاصي فتسقي بساتينها وتصب إلى بركة جامعها ، ويقال لهذا الحافس السوق الأسفل لأنه منقطع عن المدينة ، ويسمون المسور السوق الأعلى ، وفي طرف المدينة قلعة عظيمة عجبية في حصنها وإتقان عمارتها ، وحفر خندقها نحو مائة ذراع وأكثر للملك المنصور محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ، وهي مدينة قديمة جاهلية ؛ ذكرها امرؤ القيس في شعره .

إلا أنها لم تكن قديما مثل ما هي اليوم من العظم بسلطان مفرد ، بل كانت من عمل حمص ، قال أحمد بن الطيب فيما

نواحيها فلا يجد المعتقل أثر أدى فيها وعلى شطه الشاطئ المتصل بالمدينة أسفل جامع صغير قد فتح جداره الشرقي عليه طيقانا تجتلي منها منظرا تتراح النفس إليه ، وتقيد الأبصار لديه ويأزاه ممر النهر بجوفى المدينة قلعة حلية الوضع وإن كانت دونها في الحصانة والمنع ، سرب لها من هذا النهر ماء ينبع فيها فهي لا تخاف الصلدى ، ولا تهيب مرام العدى .

وموضع هذه المدينة فى وهدة من الأرض عريضة مستطيلة كأنها خندق عميق ، يرتفع لها جانبان أحدهما كالجبل المطل ، والمدينة العليا متصلة بصفيح ذلك الجانب الجبلى والقلعة فى الجانب الآخر فى روية منقطعة كبيرة مستديرة قد تولى تحتها الزمان ، وحصل لها حصانتان من كل عدو الأمان والمدينة السفلى تحت القلعة متصلة بالجانب الذى يصب النهر عليه وكلتا المدينتين صغيرتان ، وسور المدينة العليا يمتد على رأس جانبها العلى الجبلى ويغطي بها والمدينة السفلى سور يحاذي بها من ثلاثة جوانب لأن جانبها المتصل بالنهر لا يحتاج إلى سور وعلى النهر جسر كبير مقود بضم الحجارة يتصل من المدينة السفلى إلى ربضها وربضها كبير فيه المخائن والديار وله حواشيت يستعمل فيها المسافرين حاجته إلى أن يفرغ الدخول المدينة .

وأسواق المدينة العليا أحفل وأجمل من أسواق المدينة السفلى هي الجامعة لجميع الصناعات والتجارات وموضوعها حسن التنظيم بليغ الترتيب والتقسيم ولها جامع أكبر من الجامع الأسفل ولها ثلاث مدارس ومارستان على شط النهر يرازه الجامع الصغير ويخارج هذه البلدة بسيف فسيح عريض قد انتظم أكثره شجرات الأختاب وفيه المزارع والمحارث وفي منظره انشراح للنفس وانفساح . والبساتين متصلة على شطى النهر وهو يسمى العاصى لأن ظاهره انحدر من سفلى إلى علو ومجره من الجنوب إلى الشمال وهو يجتاز على قبلى حصص ويمقرية منها فكان مقامنا بحماة إلى عشي يوم السبت المذكور ثم رحلنا منها وأسرينا الليل كله وأجزنا فى نصفه هذا النهر العاصى المذكور على جسر كبير مقود من الحجارة وعليه مدينة (رستن) التى خرجها عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأثارها عظيمة ويذكر الروم القسطنطينيون أن بها أموالا جمعة مكنوزة والله أعلم بذلك فوصلنا إلى مدينة حصص مع

دمشق خمسة أيام للقوافل ، وبينها وبين حلب أربعة أيام ، وقد نسب إليها جماعة من العلماء منهم :

قاضى القضاة ببغداد أبو بكر محمد بن المظفر بن بكران ابن عبد الصمد بن سلمان الحموى المعروف بالشامى ، وكان من صالحى القضاة ، تفقه على القاضى أبى الطيب الطبرى ، وكان لا يخاف فى الله لومة لائم ، روى عن أبى القاسم بن بشران وأبى طالب بن غيلان وغيرهما ، وروى عنه عبد الواحد ابن المبارك وغيره ، ومولده بحماة سنة ٤٠٠ هـ ، ومات ببغداد فى شعبان سنة ٤٨٨ هـ (من كتاب معجم البلدان ص ٣٠٣ / ١ - ٣٧٢ - ٣٧٥ ومعجم البلدان ٢ / ٣٠٠ ، ٣٠١) .

وتعتبر حماة من المدن الداخلية بسوريا التى لا تزال تحتفظ بمسجد هام يرجع تاريخه إلى القرن السابع الهجرى ، وهو جامع أبى الفداء المعروف باسم جامع « الدهشة » أو جامع « الحيات » (هو الملك المؤيد إسماعيل أبو الفدا صاحب حماه ، وصاحب كتاب « تقويم البلدان » توفى سنة ٧٣٢ هـ) . ولا يزال الجامع يحتفظ بالكثير من فسيفسائه الذهبية والمتعددة الألوان . كما لا يزال يحتفظ ببلوخته التأسيسية التى جاء فيها : أمر بعمل هذا الجامع المبارك السلطان المؤيد عماد الدنيا والدين إسماعيل بن الملك الأفضل نور الدين بن الملك المظفر تقي الدين محمود بن الملك المنصور ناصر الدين محمد بن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب فى شهر سنة سبع وعشرين وسبعمائة (المجمع الإسلامى فى بلاد الشام / ١٤٠) .

وقد ذكرها ابن جبير فى رحلته فقال : مدينة حماة حماها الله تعالى :

مدينة شهيرة فى البلدان قديمة الصلبة للزمان غير فسيحة الفناء ولا رافقة البناء أقطارها مضمومة وديارها مكرومة لا يهش البصر إليها عند الإطلال عليها كأنها تكن بهجتها وتخفيها فتجد حسنها كامنا فيها حتى إذا جست خلالها ونقرت ظلالها أبصرت بشرقها نهرا كبيرا تتسع فى تدفقه أساليه ، وتتناظر بشطيه دواليه ، قد انتظمت طرقيه بساتين تهدل أغصانها عليه وتلوح خضرتها عذارا ، فصفحته ينسرب فى ظلالها وينساب على سمت اعتدالها ويأخذ شطيه المتصل بربضها مطاهر منتظمة يوتوا عدة يخرق الماء أحد دواليه جميع

والطريق بعدكم إذا ذكر اللقا

يجرى الملتام طامعا كالعاصي

(مذهب رحلة ابن بطوطة / ١ / ٥٤).

(من كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي الرومي - اختار النصوص
وقدم لها وعلق عليها عبد الله نهان ، السفر الثالث ، القسم الأول /
٣٧٢ ، ومعجم البلدان ٢ / ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ورحلة ابن جبير / ١٩٧ ،
١٩٨ ، ومذهب رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار
وعجائب الأسفار - وقب على تهذيب وضبط غريبه وأعلامه أحمد العمري
بك ومحمد أحمد جاد المولى بك / ١ / ٥٤) .

• الحمد ،

يبدأ المصنفون مؤلفاتهم عادة بالبسملة ﴿ بسم الله
الرحمن الرحيم ﴾ ، ثم يتوون بالحمدلة ﴿ الحمد لله ... ﴾
وذلك اقتداء بالكتاب العزيز ، وعملًا بقوله ﷺ : « إن الله عز
وجل يحب أن يحمده » وأخرج الشيخان في مسندهما : « إن الله
يحمد الحمد يحمد به ليحب حامله ، وجعل الحمد لنفسه
ذكرا ولعباده ذخرا » (نهاية الأنياب / ٦) وعن الترمذي في حمد
الله تعالى بعد الأكل جاء من سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه
أن رسول الله ﷺ قال : « من أكل طعاما ثم قال : الحمد لله
الذي أطعمني هذا الطعام وزقني من غير حول مني ولا قوة .
غفر له ما تقدم من ذنبه » (الترمذي والترمذي / ٢٤٨) .

وأفضل المحامد أن يقول : الحمد لله حمدا يوافي نعمه ،
ويكافئ مزيده ، لما ورد أن الله لما أحبب آدم إلى الأرض قال :
يا رب علمني المكاسب ، وعلمني كلمة تجمع لي فيها
المحامد ، فأوحى الله تعالى إليه أن قل ثلاثا عند كل صباح
وساء : « الحمد لله حمدا يوافي نعمه ، ويكافئ مزيده »
ولهذا لو حلف إنسان ليحمدن الله بمجامع المحامد ليقبل
هذا . قال بعض المتأخرين : الحمد لله ثمانية أحرف كأبواب
الجنة فمن قالها عن صفاء القلب استحق أن يدخل الجنة من
أيها شاء فيخسر بينها إكراما ولا يختار إلا ما سبق في علمه
تعالى أن يدخل منه (نهاية الأنياب / ٦) .

قال الراغب الأصفهاني في مادة « حمد » :

حمد : الحمد لله تعالى الثناء عليه بالفضيلة وهو أحسن
من المدح وأعم من الشكر ، فإن المدح يقال فيما يكون من
الإنسان باختياره ، وما يقال منه وفيه بالتسمير فقد يمدح

شروق الشمس من يوم الأحد الموافق عشرين لربيع (الأول)
وهو أول يوليئه فنزلنا بظاهرها بخان المليل اهـ . (رحلة ابن جبير /
١٩٧ ، ١٩٨) .

أما الرحالة ابن بطوطة الذي زار حماة بعد زيارته لحمص
فقد قال عنها : ثم سافرت منها (أي من مدينة حمص) إلى
مدينة حماة - إحدى أمهات الشام الرفيعة ، ومملكتها البلدية
ذات الحسن الرائق ، والجمال الفائق ، تحف بها البساتين
والجنان ، عليها النزاعير كالأفلاك الدائرات ، يشقها النهر
العظيم المسمى بالعاصي . ولها ريف سمي بالمتنصورية
أعظم من المدينة ، فيه الأسواق الحافلة ، والمحامد
الحسان وبجماة الفواكه الكثيرة ، ومنها الشمس اللوزي ، إذا
كسرت نواته وجدت في داخلها لوزة حلوة . قال ابن جزي :
وفي هذه المدينة ونهرها ونواحيها وبساتينها يقول الأديب
الرحال ، نور الدين أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد
العنسي الحمازي الغرناطي ، نسبة لحمار بن ياسر رضي الله
عنه :

حمى الله من شطى حماة منّا ظفرا
وقفت عليها السمع والفكر والطرفا
فتنى حماما أو تميل خدائل
وتزهي مبان تمنع الواصف الوصفا
يلتومسونني أن أعصى الصبون والنهي
وانى أطيع الكأس وللهمو والصففا
وأشدد لسدي تلك النواصر شددتها
وأغلبها ردها وأغلبها غرقا
تتن وتلوى دمعها فكأنها
تهيم بمرآها وتسألها العطففا
وليعضهم في نواحيها ذاهبا مذهب التورية :
ونصا صورة زقت لعظم غطيتي
وقد صابت قصدي من المنزل القاصي
بكت رحمة لي ثم باحت بشجوها
وحبك أن الخشب تنكب على العاصي
وليعض المتأخرين فيها أيضا ، من التورية :
يا سادة سكنوا حماة وحكم
ما حلت عن تقوى وعن إخلاص

حيث إنها كان الوصف بها كانت محمودا بها ، ومن حيث قيامها بمحلها كانت محمودا عليها فهما متغايران هنا بالاعتبار ولذا يقال وصفته بالشجاعة لكونه شجاعا .

ثم الوصف يتبادر منه ذكر ما يدل على صفة الكمال فيكون قولاً مخصوصاً فصار مورد الحمد اللسان وحده ولما لم يقيد الوصف بكونه في مقابلة النعمة ظهر أن الحمد قد يكون واقعا بإزاء النعمة وقد لا يكون ويقيد الجميل المحمود به يخرج الوصف على الجميل بما ليس بجميل ويقيد الجميل المحمود عليه يخرج الوصف على غير الجميل .

وفي قيد الاختياري إشارة إلى أن الحمد أخص من المدح والبعض اعتبر قيد الاختياري في جميع المحمود به وهو غير مشهور فإنه يعم الاختياري وغيره على الظاهر وعلى هذا قيل الحمد هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري من إنعام أو غيره والمدح هو الثناء باللسان على الجميل مطلقا يقال منحت اللؤلؤ على صفاتها ولا يقال حمدتها على ذلك فالحمد يختص بالفاعل المختار دون المدح فإنه يقع على الحى وغيره وبالجمله فالممدوح عليه كالممدوح به لا يجب أن يكون اختياري بخلاف المحمود عليه فإنه يجب كونه اختياري .

ومنهم من منع صفة المدح على ما ليس اختياري وجعل مثال اللؤلؤ مهنوما وتوضيحه ما ذكره السيد السند في حاشية إيساغوجي من أن من يقول بكون الجميل الاختياري مأخوذا في الحمد إنما يقول بكونه مأخوذا فيه بحسب العقل ولا فرق فيه بين الحمد والمدح صرح به صاحب الكشف حيث قال وكل ذى لب إذا رجع إلى بصيرته لا يخفى عليه أن الإنسان لا يمدح بغير فعله وقد تلى الله تعالى على الذين أنزل فيهم ﴿وَيُحْيُونَ أَنْ يَحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ [آل عمران : ١٨٨] ثم سأل كيف ذلك وأن العرب تمدح بالجمال وحسن الوجه وأجاب بأن الذى يسوغ ذلك أن حسن المنظر يشع عن مخبر مرضى وأخلاق محمودة ثم نقل عن علماء البيان تخطئة المادح على غير الاختياري وجعله غلطا وهو مخالف للمعقول ، وقصر المدح على الجميل الاختياري وهذا صريح في أن أخذ الاختياري في الحمد إنما هو بحسب العقل وإنه لا فرق فيه بين الحمد والمدح انتهى .

الإنسان بطول قامته وصباحة وجهه كما يمدح ببذل ماله وسخائه وعلمه ، والحمد يكون في الثاني دون الأول والشكر لا يقال إلا في مقابلة نعمة فكل شكر حمد وليس كل حمد شكرا ، وكل حمد مدح وليس كل مدح حمدا .

ويقال فلان محمود إذا حمد ، ومحمد إذا كثرت خصاله المحموده ، ومحمد إذا وجد محمودا ، وقوله عز وجل : ﴿إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ [هود : ٧٣] يصح أن يكون فى معنى المحمود وأن يكون فى معنى الحامد . وحامداً أن تفعل كذا أى غابتك المحموده ، وقوله عز وجل : ﴿وَمِشْرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف : ٦] فأحمد إشارة إلى النبي ﷺ باسمه وفعله تنبها أنه كما وجد اسمه أحمد يوجد وهو محمود في أخلاقه وأحواله ، ونخص لفظة أحمد فيما بشر به عيسى ﷺ تنبها أنه أحمد منه ومن الذين قبله ، وقوله تعالى : ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [الفتح : ٢٩] فمحمد ههنا وإن كان من وجه اسماء له علما ، ففيه إشارة إلى وصفه بذلك وتخصيصه بمعناه كما مضى ذلك في قوله تعالى : ﴿إِنَّا نَشْرِكُ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى﴾ [مريم : ٧] أنه على معنى الحياة كما بين في باب (المفردات ١٣١) .

ويسط صاحب كشف اصطلاحات الفنون الكلام على الحمد : تعريفه وأحكامه فيقول :

الحمد بالفتح وسكون الهم في اللغة هو الوصف بالجميل على الجميل الاختياري على قصد التعظيم وتقديره الذم وهذا أولى مما قيل هو الوصف بالجميل على جهة التعظيم والتبجيل لأن الحمد لا يتحقق إلا بعد أمور ثلاثة الوصف بالجميل وهو المحمود به ، وكونه على الجميل الاختياري أعنى المحمود عليه ، وكونه على قصد التعظيم . والتعريف الأول مشتمل على جميع هذه الأمور بخلاف التعريف الثاني فإنه لا يشتمل المحمود عليه إن جعل الباء صلة للوصف كما هو الظاهر أو المحمود به إن جعل الباء للسمية .

فإن قيل إذا وصف المنعم بالشجاعة ونحوها لأجل إنعامه كانت الشجاعة محمودا بها والإنعام محمودا عليه ، وأما إذا وصف الشجاع بالشجاعة لشجاعته لم يكن هناك محمود عليه مع أن هذا الوصف حمد قطعاً ، قلت تلك الشجاعة من

والأشهر صريح في أن الحمد والمدح مترادفان وهذا هو الأشهر كما قيل وقيل ترادفهما باعتبار عدم اختصاصهما بالاختياري فالحمد أيضاً غير مختص بالاختياري كالممدح واختاره السيد السند في حاشية إيساغوجي واستدل عليه بقوله تعالى ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ [الإسراء : ٧٩] بالحديث المأثور : وبعثه المقام المحمود الذي وعدته قال والحمل على الوصف المجازي وصفاً له بوصف صاحبه كالكتاب الكريم والأسلوب الحكيم صرف عن الظاهر ثم معنى الجميل الاختياري هو المصادر بالاختيار كما هو المشهور أو الصادر عن المختار وإن لم يكن مختاراً فيه كما قال به بعض المتأخرين فعلى القول الثاني لا نقض بصفات الله تعالى لأن صفاته تعالى صادرة عن المختار وهو ذاته تعالى أي مستندة إليه وإن لم تكن صادرة عنه بالاختيار وكذا على القول الأول بأن يراد بالاختياري أعم من أن يكون اختياري حقيقة أو بمنزلة الاختياري والصفات المنكورة بمنزلة الأعمال الاختيارية لاستقلال الذات فيها وعدم احتياجها فيها إلى أمر خارج كما هو شأن الأعمال الاختيارية .

وفيه أن ذات الواجب تعالى يحتاج في بعض الأعمال الاختيارية إلى خارج كالأزاق زيد مثلاً فإنه يحتاج فيه إلى وجود زيد فالأولى أن يقال المراد بالاختيار المعنى الأعم المشترك بين القادر والموجب وهو كون الفاعل بحيث إن شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل ، فإنه متفق عليه بين المتكلمين والحكام في الواجب وغيره لا كونه بحيث يصعب منه الفعل والترك لأنه مقابل للإيجاب هكذا يستفاد مما ذكر صاحب الأطول وأبو الفتح في حاشية الحاشية الجلالية .

وبالقيّد الأخير خرج الاستهزاء والسخرية إذ لا بد في الحمد أن يكون ذلك الوصف على قصد التنظيم بأن لا يكون هناك قرينة صارفة عن ذلك القصد لأنه إذا عرى عن مطابقة الاعتقاد أو خالفه أفعال الجوارح ونحوها لم يكن حمداً حقيقة بل كان من السخرية والاستهزاء لا يقال فقد اعتبر في الحمد فعل الجنان والأركان أيضاً لأننا نقول أن كل واحد منهما شرط لكون فعل اللسان حمداً لا ركن منه .

وفي أسرار الفاتحة المدح يكون قبل الإحسان وبعده والحمد لا يكون إلا بعده وأيضاً قد يكون منها كما قال عليه

السلام « أحرأ التراب على وجوه المذاحين » والحمد مأمور به مطلقاً قال بخيطة من لم يحمد الناس لم يحمد الله انتهى . ولا يخفى ما فيه من المخالفة لما سبق عن عموم الحمد التعم الواسعة إلى الحامد وغيرها . ثم أعلم أن القول المخصوص الذي يحمدون به إنما يريدون به إنشاء الحمد وإيجاد الوصف لا الإخبار به فهو إنشاء لا خبر وليس ذلك القول حمداً بخصوصه بل لأنه دال على صفة الكمال ومظهر لها أي لها مدخل تام في ذلك ومن ثم أي من أجل أن لدلالته على صفة الكمال وإظهاره لها مدخلا تاماً في كونه حمداً عبر بعض المحققين من الصوفية عن إظهار الصفات الكمالية بالحمد تعبيراً عن اللازم بالمزوم مجازاً حيث قال حقيقة الحمد إظهار الصفات الكمالية وذلك قد يكون بالقول وقد يكون بالفعل وهذا أقوى لأن الأعمال التي هي آثار السخاوة تدل عليها دلالة قطعية بخلاف دلالة الأقوال فإنها وضعية قد يتخلف عنها مدلولها ومن هذا القبيل حمد الله وتناؤه على ذاته وذلك أنه تعالى حين بسط بساط الوجود على ممكنات لا تحصي ووضع عليه موائد كرمه التي لا تنتهي فقد كشف عن صفات كماله وأظهرها بدلالات قطعية تفصيلية غير متناهية فإن كل ذرة من ذرات الوجود تدل عليها ولا يتصور في العبارات مثل ذلك ومن ثمة قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم « لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » والإحصاء يمكن أن يكون بمعنى العلم أو العد على سبيل الاستقصاء وعلى كلا التقديرين الضمير المرفوع أعنى أنت مبتدأ والكاف زائدة وكلمة ما موصولة أو موصوفة واختيارها على كلمة من بابها وأثبتت على نفسك صلتها أو صفتها كما في قول علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه « أنا الذي سميتني أمي حيدرة » وهذه الجملة خبر للمبتدأ والمجموع تدل لعدم علمه صلى الله عليه وآله وسلم ثناء عليه تعالى لأنه إذا أنشئ على نفسه كان ثناء غير متناه فلا يعلم ولا يعد بل لا مناسبة لشئ من العلم والعد الملوكورين إلا الله تعالى أو بمعنى القدرة والجملة استئنافية كأنه قيل من ثنى حق الثناء وتماه ويكون كلمة أنت تأكيداً للضمير المجزوء في عليك وما موصولة أو موصوفة أو مصدرية والمعنى أنه لا أقدر على ثناء عليك مثل الثناء الذي أثبتت به بحذف العائد إلى الموصول أو الموصوف أو مثل ثنائك يجعل ما مصدريه . ومقصوده عليه السلام من هذا

علم علما ، أو أجرى نهرا ، أو حفر بئرا ، أو غرس نخلا ، أو بنى مسجدا ، أو ورت مصحفا ، أو ترك ولدا يستغفر له .

ولد فضيلة الأستاذ الدكتور الشيخ أبو الحمد أحمد موسى - رحمه الله - في قرية الخلافة (نجع الجبالي) مركز جرجا - محافظة سوهاج في ١٦ / ١١ / ١٩١١ وحفظ القرآن الكريم وأتم حفظه وهو طفل صغير ، ثم التحق بمعهد « جرجا » الديني فمهد ، أسيوط بجامعة الأزهر ، وواصل تعليمه حتى نال شهادة العالمية (الدكتوراه) مع تخصص المادة سنة ١٩٤٧ عن رسالة : « عوارض الأهلوية المكتسبة وأثرها في الأحكام » ثم عين مدرسا بمعهد « سوهاج » ثم معهد « جرجا » ثم « كلية » الشريعة والقانون « بجامعة الأزهر » ثم أستاذا مساعدا فأستاذًا لصادة « الفقه المقارن » ثم رئيسا لقسم الدراسات الإسلامية بكلية البنات الإسلامية - جامعة الأزهر .

كان - رحمه الله - خير سفير لبلاده لأكثر من عشرين عاما في الجامعات العربية ، أستاذا « بجامعة » الإمام محمد بن سعود بالرياض سنتي ١٩٥٨ ، ١٩٥٩ . ثم أستاذا « بجامعة دمشق » سنة ١٩٦٠ ثم أستاذا « بكلية الشريعة بعمان » - الأردن من عام ١٩٦٤ حتى عام ١٩٦٨ ، وتخرج على يديه أول دفعة من هذه الكلية ، وأخيرا أستاذا « بجامعة الملك عبد العزيز » بمكة المكرمة من عام ١٩٧٢ إلى عام ١٩٨٠ ، وحتى بعد بلوغه سن التقاعد سنة ١٩٧٦ ظل يعطي بلا كلل ،

الكلام لإظهار المعجز عن مثل ثناء الله تعالى على ذاته وسلب المماثلة بين ثناء قولاً أو فعلاً وبين ثناء تعالى على ذاته .

اعلم أن الحمد في العرف هو الشكر في اللغة وهو فعل يشعر بتعظيم المنعم بسبب كونه متعما قال بعض الصوفية لسان الحمد ثلاث : اللسان الإنساني واللسان الروحاني واللسان الرباني .

أما اللسان الإنساني فهو للمعوام وشكوه به التحدث لإنعام الله وإكرامه مع تصديق القلب بأداء الشكر .

وأما اللسان الروحاني فهو للمخاوص وهو ذكر القلب لطائف اصطناع الحق في تربية الأحوال وتزكية الأفعال .

وأما اللسان الرباني فهو للعارفين وهو حركة السر لقصد شكر الحق جل جلاله بعد إدراكه لطائف المعارف وغرائب الكواشف بنعت المشاهدة والغبية في القرية واجتناء ثمرة الإنس وتخوض الروح في نحو القدس وذوق الأسرار بمباشرة الأنوار .

(كشف اصطلاحات الفنون / ١ - ٢٨٨ - ٢٩٠) .

(كفاية الأتقياء ومنهاج الأصفياء شرح السيد بكري المكي ابن السيد محمد شطا الدماطي على منظومة هداية الأتقياء إلى طريق الأتقياء للشيخ زين الدين بن علي العمري ثم الملياري / ٦ ، والترغيب والترهيب ، انتقاء شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر المصلاحي - صححه وفضله محمد المجدوب / ٢٤٨ ، والمفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني - تحقيق وفضله محمد سيد كيلاني / ١٣١ ، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهنزي / ١ - ٢٨٨ - ٢٩٠) .

• أبو الحمد أحمد موسى (١٩١١ - ١٩٨٦ م) :

من أعلام الأزهر الشريف . ترجم له الأستاذ علي أحمد عبد المجيد فقال :

كان رجلا من رجال العلم والدين ، من رجال الأزهر العاملين عاش طول عصره بعيدا عن دائرة الأضواء ، بعيدا عن وسائل الإعلام ؛ لم تكن له في الصحف والمجلات مقالات كان يعمل في صمت ، ولم يسع إلى منصب يجعله سلطانه ، وينته منه ضيقه ، كان قائما ، بما فيه رغبيا بما أوتي فضل الدرس والمحاضرة ، وأثر أن يبقى بين مريدته من طلاب العلم والمعرفة ينهلون من علمه ويتجهجون منهجه عملا بقول رسول الله ﷺ : « سيع يجري للمعد أجرهن وهو في قبره : من



— رحم الله — شيخنا الدكتور أبو الحمد أحمد موسى وأجلل ثوابه .

دفن — رحمه الله — في بلدته « الخلائية » من أعمال (جرجا) (سوهاج) يوم الخميس الموافق ٢٤ / ٧ / ١٩٨٦ عن عمر يناهز الخمسة والسبعين عاماً .

(٢) من أعمال الأهر: فضيلة الأستاذ أبو الحمد أحمد موسى — الأستاذ على أحمد عبد المجيد . مجلة الأهر الجزء الرابع ، السنة الخامسة والستون ، ربيع الآخر ١٤١٣ هـ - أكتوبر ١٩٩٢ م / ٥٥١ .

• حمد الله الأمامي (١٩٦٠ هـ) :

خطاط تركي

حمد الله مصطفى دده الأمامي المعروف بـ (ابن الشيخ) ظهر في القرن العاشر ، هاجر والده من بخاري إلى أماسيه وتوطن بها . ذكر أن عمده الله ولد سنة ٨٣٣ هـ .

سار على نهج الخطاط العراقي وأثرت المستصمى ، ثم أخذه عن خير الدين المرعشي أحد تلاميذ عبد الله الصيرفي البغدادى فبرع فيه حتى فاق كتاب زمانه ، ولما تولى السلطان بايزيد السلطة ، استقدمه إلى استانبول في فترة سنة ٨٨٦ هـ واشتغل بالخط حتى تولى السلطة السلطان باورز سليم خان ثم جاء بعده السلطان سليمان القانوني وهو العصر العثماني الذهبي .

إن الشيخ حمد الله من عظماء الخطاطين وضمن السلسلة الخطية المأخوذ عنهم ، خدمه الملوك ومسكوا الدواة بين يديه وأعطى من الشهرة والقبول ما لم يعط من قبله ولا من بعده لأحد بلغ من العمر (١١٠ سنوات) وأرخ رحيله بالهروب سنة ٩٢٦ هـ .

كتب ابن الشيخ (٤٧) مصحفاً بين كبير وصغير وكتب نحو ألف نسخة من سورة الأنعام والكهف وجزء عم كما كتب في محراب جامع السلطان بايزيد ، وعلى قبته وعلى الباب الأوسط .

بخطه مصحف شريف في مديرية الآثار العامة في بغداد ، طبع له مصحف كتب بخطه سنة ٨٩٧ هـ .

من تلاميذه: ابنه مصطفى دده والسلطان بايزيد الثاني ،

ويحاضر بلا ملل ، كان صدى عمله يشيع النناء عليه ، وزين النناء عليه نغم يشدنا إليه ، فهو موضع تقدير دائم ، أينما حل يذكر به عزيز علمه ودمائة خلقه ، وإشراق وجهه ، وطرافة حديثه ، وبرغم حله وتزجاله ، وكثافة عمله نجد له أكثر من مؤلف يدل جميعه على اهتمامه بطلابه وحرص علوم الدين الحنيف فيهم ومن هذه المؤلفات :

- ١ - « النظم الإسلامية » كتابان سنة ١٩٦٢ .
- ٢ - « كتاب » الفقه الإسلامي « بالاشتراك مع الدكتور عبد الله محمد عبد النبي سنة ١٩٦٤ .
- ٣ - « محاضرات في الأحوال الشخصية : (الطلاق الوصية ، الوقف ، الميراث ، الفقه المقارن) سنة ١٩٦٦ .
- ٤ - « أحكام الأحوال الشخصية » ١٩٧٠ .
- ٥ - « شارك في كتاب » الفقه الإسلامي « (تنظيم الأسرة) سنة ١٩٧١ .

٦ - شارك أيضاً في تأليف كتاب « الفقه الإسلامي » نظام الإسلام في العلاقات الدولية » سنة ١٩٧٢ .

٧ - « كتاب » الجرائم والعقوبات في الشريعة الإسلامية « بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور محمود المعكزي والدكتور منصور أبو المعاطي سنة ١٩٧٥ .

٨ - « محاضرات (في مصطلح الحديث) ، تاريخ تطور تدوين الحديث ، التعريف بأهم الرواه من الصحابة ، شرح العديد من أحاديث صحيح البخاري .

٩ - تفسير سور « ق » و « البقرة » و « التوبة » .

١٠ - « مقدمة في الفقه الإسلامي » سنة ١٩٦٦ .

وكان رحمه الله — يبرُّ بالأهر ، فقد أوصى بمكتبة الخاصة وهي تحوى أمهات الكتب لفرع جامعة الأهر المزمع إنشاؤه بمدينة « جرجا » وهي أمانة في عنق أبنائه بمنزله « بحلوان » .

قال عنه الكاتب الإسلامي الأستاذ السيد حسن قرون — رحمه الله — يتحدث عن شيء من ملامح شخصيته بجزئية الاختيار في عدها الصادر في ٣ / ٥ / ١٩٨٧ .

« ما زلت أراه ساعياً نحو مكانه في الأهر خطوه لمس ، وكلامه همس ، وإشراق الإيمان ، تحببه هالة على وجهه فهو من عباد الرحمن » .

ملاحظة : الصورة المصاحبة هي نموذج من خط حمد الله الأمامي أخذت من كتاب نفاثات الخط العربي ، ص ١٩٣ شكل ٣٠٦

* الحمدانيون :

تطلب معرفة أحوال الدولة الحمدانية الرجوع إلى أيام الأتراك أصحاب وظيفة « أمير الأمراء » في بغداد ، واستبداد أولئك الأمراء بالسلطة من دون الخليفة العباسي . ذلك أن بعض القبائل العربية التي سكنت بادية الشام ووادي الفرات استغلت ضعف الخلافة العباسية واستقلت بالمدن والقلاع الواقعة في أرضها ، ومن أمثلة ذلك ما قامت به قبيلة تغلب ، إذ استطاعت بفضل أبناء زعيمها حمدان بن حمدون أن تؤسس دولة لها في شمال العراق ، وأن تتخذ من مدينة الموصل عاصمة لها (٣١٧-٣٥٨ هـ / ٩٢٩-٩٩١ م) .

وتعصبت هذه الدولة للعروبة ، وساء لها استبداد الأتراك بالخلافة العباسية ، فجاء زعيمها الحسن بن عبد الله الحمداني إلى بغداد ، ومعه أخوه ، لمناصرة الخليفة المتقي بالله (سنة ٢٣٠ هـ / ٩٣١ م) وكلفا الخليفة هذا الزعيم الحمداني بأن عينه في وظيفة « أمير الأمراء » ومنحه لقب ناصر الدولة . ثم منح المتقي أيضا ناصر الدولة الحمداني لقب سيف الدولة . على أن الأتراك استطاعوا بزعماء قائلهم توزون أن يطردوا الحمدانيين من بغداد ، وأن يحملوهم على العودة إلى الموصل سنة ٣٣١ هـ / ٩٤٢ م .

وتطلع سيف الدولة بعد خروج الحمدانيين من بغداد إلى القيام بمغامرة حربية تعلق بشأن دولته بالموصل فسار سنة ٣٢٣ هـ / ٩٤٤ م إلى شمال الشام واستولى على حلب ، وأخرج منها حاكمها التابع للدولة الأشعرية ، صاحب السيادة إذ ذاك على مصر والشام . وأصبح سيف الدولة بذلك صاحب حلب ، على حين أصبح البويهيون وقتئذ أصحاب الأمر في بغداد وظلت الدولة الحمدانية وهامتها حلب قائمة في شمال الشام حتى سنة ١٠٠٣ م (تاريخ العالم الإسلامي / ٢٨٨ ، ٢٨٩) .

لقد كان الحمدانيون عربيا من قبيلة تغلب كما سبق القول ، فيهم كثير من صفات العرب السامية ، فكانوا يفهمون الشعر ، ويدركون ما فيه من روعة وجمال ، وكان من قبيلتهم في الجاهلية عمرو بن كلثوم أحد أصحاب المعلقة .

ويعتبر عبد الله الصيرفي البغدادي من أساتذته أيضا (نفاثات الخط العربي / ٢٧٤ ، ٢٧٥) .

ويعتبر حمد الله الأمامي أول من وضع القاعدة التركية في الخط التي بدأ بتحسينها والتي وصل قمتهما إجماعة من بعده مصطفى الراقم . توفي رحمه الله سنة ٩٢٦ وقيل ٩٣٦ والله تعالى أعلم ويبلغ من العمر ١١٠ سنوات ودفن بآسكدار (الخط العربي / ٩٦) .

كان سابقا لعصره . فلم يكتب الخطاطون بعده أجمل من خطه ، ولروحاته محفوظة في متحف الأوقاف الإسلامية باستانبول .

باع الحكومة العثمانية قسما من مقتنياته لكبار الخطاطين وهي محفوظة الآن في متحف « طوب قايي » في استانبول (كيف نعلم الخط العربي / ٤٠) .

(نفاثات الخط العربي - حسن قاسم حش / ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، والخط العربي : تاريخه وأنواعه - يحيى سلوم العباسي الخطاط / ٩٦ ، ولله أنه ولد ما بين سنة ٨٣٠ - ٨٤٠ ، وكيف نعلم الخط العربي - معروف زريق / ٤٠) .



٣٠٦ - لوحة كاملة بخط الثلث والتسخ (علم حمد الله الأمامي)

أبو صالح حمدون بن أحمد بن عمارة القصار النيسابوري، شيخ أهل العلامة بنيسابور، ومنه انتشر مذهب العلامة .

صحب مسلم بن الحسن الباروسي، وأبا تراب النخشي، وعليها التصريباتي. وكان عالماً فقيهاً، ويذهب مذهب الثوري، وطريقته طريقة أخص هو بها، ولم يأخذ عنه طريقته أحد من أصحابه، كأخذ عبد الله بن محمد بن منازل صاحبه عنه .

توفي حمدون سنة إحدى وسبعين ومائتين بنيسابور، ودفن في مقبرة الحيرة .

وأُسند الحديث عن أبي برزة الأسلمي قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تزال قُلُوبُ عِيدِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ : عَنْ عَمَلِهِ فِيمَا أَفْتَاهُ ، وَعَنْ جَسَدِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَأَيْنَ رَضَعَهُ ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَا عَمِلَ فِيهِ » .

قالت المؤلفة : أوردته الإمام المناوي بخمسة ألفاظ مختلفة فارجع إليه إن شئت في « الجامع الأزهر في حديث النبي الأئمة ٣ / ٩٧ ورقة أ ، ورقة ب .

ومن كلامه :

ـ مثل : متى يجوز للرجل أن يتكلم على الناس ؟ فقال : إذا تعين عليه أداه ففرض من فرائض الله تعالى في علمه ، أو خاف هلاك إنسان في بدعة ، يرجو أن ينجيح الله تعالى منها بعلمه .

ـ وقيل له : ما بال كلام السلف أنفع من كلامنا ؟ فقال : لأنهم تكلموا لمنزلة الإسلام ، ونجاة النفوس ، ورضا الرحمن ، ونحن نتكلم لمنزلة النفس ، وطلب الدنيا ، وقبول الخلق .

ـ أصل رفع الألفة من بين الإخوان حب الدنيا .

ـ وتكلموا بين يديه يوماً في حفظ الأمانات فقال : قد تحملت من الأمانة ما لو اشتغلت به لشغلك عن كل أمانة بعدها .

ـ وقال رجل من أصحابه : كيف أعمل ؟ لا بد لي من معاملة هؤلاء الجند ، فماذا ترى لي ؟ فقال : إن كنت تعلم يقيناً أنك خير منهم ، فلا تعاملهم .

ـ وسأله يوماً أبو القاسم المنادي عن مسألة ، فقال له

والحمدانيون جليرون بعطف التاريخ ، وأن تشيعهم الأقلام بكلمات الإعجاب والثناء ، لأنهم في مدة قصيرة من الزمان أحيوا آداب العرب ، وأغلقوا العرب ، التي محيت أو كادت تمحى في عصر غلبت فيه العجم ، وسيطر فيه الأعاجم على دول الإسلام ، ذلك العصر الذي يقول فيه المتنبي :

بكل أرض وعلتهم **عُصْبًا** أَسْم
تُعرِصي **بِجَبَدٍ** كَأَنَّهُمْ **أَغْشَمُ**
(المفصل ٢ / ٤٦) .

وخلفت الدولة الحمدانية في حلب آثاراً جلييلة في تاريخ الحضارة الإسلامية ، وفي مجد المسلمين ، رغم قصر مدتها ويعزى الفضل في ذلك إلى مؤسسها سيف الدولة الحمداني، فقد كان من أنصار العلم ، شغوفا بعقد المجالس الأدبية الزاخرة بالأدباء والشعراء ، ولذلك اجتلبت مجالسه المشهورين في تاريخ الحضارة الإسلامية أمثال المتنبي الشاعر، والمخطيب الفصيح ابن نباتة الذي ألهمه عظمته حماسة مستمعيها وبعثتهم إلى الاشتراك في الجهاد ضد الدولة البيزنطية (تاريخ العالم الإسلامي / ٢٨٩) .

(تاريخ العالم الإسلامي - د. إبراهيم أحمد المنوي / ٢٨٨ ، ٢٨٩ والمفصل في تاريخ الأدب العربي - أحمد الإسكندري وزملاؤه ٢ / ٤٦) .
انظر : سيف الدولة .

• **الحمدة :**

انظر : الحمد .

• **حمدون (بعد سنة ٢٠٠ هـ) :**

هو النحوي المغربي محمد بن إسماعيل ، نشأ بالقيروان ، وتلقى عن المهري ، ثم بلغ النهاية في النحو والفقه ، وهو أول من عرف بحفظ كتاب سيويه ، وطبع في الكتاب كان في المغرب ، ولا يعرف على التبيين أول من جليه ، ولحمدون كتب في النحو ، وتوفي بعد سنة ٢٠٠ هـ .

(نشأة النحو - الشيخ محمد الطنطاوي / ٢٢٦) .

• **حمدون القصار (٢٧١ هـ) :**

أدرجه الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي في الطبعة الأولى للصوفية وقال عنه :

— تهاون بالدنيا ، حتى لا يعظم في عينك أهلها ومن يملكها .

— جمال الفقير في تواضعه ، فإذا تكبر بفقره فقد أربى على الأغنياء في التكبر .

— لا تقش على أحد ما تحب أن يكون مستورا منك .

— من رأيت فيه خصلة من الخير فلا تفارقه ، فإنه يصيبك من بركاته .

— واصل عن طريق العلامة ، فقال : خوف القدرة ورجاء المرجة .

— من استطاع منكم ألا يعي عن نقصان نفسه فليفعل .

(طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلي — يسره ورتبه أحمد الشراصي / ٢٩-٣١) .

• الحمدوني :

الحمدوني : يفتح الحاء المهملة وسكون الميم وضم الدال المهملة وفي آخرها الياء المنقوطة باثنتين من تحتها ، هذه النسبة إلى حمدويه وهو اسم لبعض أجداد المتسبب إليه ، وهم جماعة ، منهم أبو القاسم يحيى بن علي بن محمد ابن حمدويه الحمدوني الكشمي ، من أهل قرية كشمين ، كان إماما فاضلا مفتيا مناظرا صالحا ورعا متقيا ، تفقه على جماعة ، منهم أبو محمد عبد الله بن يوسف الجويني ، وسمع الحديث الكثير ، وأملى ، وكتبوا عنه ؛ سمع أباه أبا الحسن وأباه الهيثم محمد بن المكي الكشمي وأباه العباس أحمد بن محمد بن سراج الطحان السنجي وأباه سعد أحمد بن محمد بن أحمد الماليني وأباه محمد عبد العزيز بن أحمد بن محمد الرواق بعرو وأباه علي الحسن بن أبي بكر بن شاذان البزاز ببغداد وأباه بكر محمد بن عبد الله بن ربيعة القسي بأصبهان وأباه الحسين عبد الله بن الحسين الكوفي بالكوفة وغيرهم ، روى لنا عنه أبو الفضل محمد بن أبي نصر المسمودي وأبو عبد الله محمد بن أبي ذر الجويني وأبو الحسن علي بن أبي القاسم الصباغ وغيرهم ، وكانت ولادته في سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة ، وتوفي في صفر سنة تسع وستين وأربعمائة ، ودفن بقرى كران .

وأبو الفتح محمد بن أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الحمدوني من أهل بيج ديه ، كان فقيها ورعا حسن السيرة ،

حمدون : أرى في سؤالك قوة وعزة نفس ، أنتظن أنك بلغت بهذا السؤال الحال الذي تخبر عنه ؟ أين طريقة الضعف والفقر ، والتضرع والالتجاء ؟ عندى أن من ظن نفسه خيرا من نفس فرعون فقد أظهر الكبر .

— منذ علمت أن للسلطان فريسة في الأشرار ما خرج السلطان من قلبي .

— إذا رأيت سكران فتأمل لثلا تنمى عليه ، فتبتلى بمثل ذلك .

— وقال له ابن منازل : أوصنى . فقال حمدون : إن استطعت ألا تغضب لشيء من الدنيا فافعل .

— من ضيع عهد الله عنده فهو لأدب شريعت أضيع ، لأن الله تعالى يقول : ﴿ وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا ﴾ [الإسراء : ٣٤] .

— استعانة المخلوق بالمخلوق كاستعانة المسجون بالمسجون .

— وقال له رجل : أوصنى بوصية . فقال : إن استطعت أن تصبح موفيا — لا مدبرا — فافعل .

— تعود المؤمن عن الكسب إلحاف في المسألة .

— من أصبح وليس له هم إلا طلب قوت من حلال ، وهم ما جرى في سابق العلم له أو عليه ، فإنه يتفرغ إلى كل شيء .

— من تحقق في حال لا يخبر عنه .

— أوصيكم بشيئين : صحبتة العلماء ، والاحتشال عن الجهال .

— من شغله طلب الدنيا عن الآخرة ذل : إما في الدنيا ، وإما في الآخرة .

— من نظر في سير السلف عرف تقصيره وتخلفيه عن درجات الرجال .

— كفائتك تساق إليك باليسر من غير تعب ، وإنما التعب في طلب الفضول .

— من غفلة العبد أن يتفرغ من أمره إلى سياسة نفسه .

— لا ينجح من المصيبة إلا من يتهم وبه .

— الكياسة تورث المحب .

— لا أحد أدون ممن يتزين للدار فانية ، ويتجمل لمن لا يملك ضره ونفعه .

الله عنه ، فاضل ، مصلح ، من أهل دمشق مولدا ونشأة ووفاته
قرأ على مشايخ دمشق ، وتميز بالكتابة على الدراسة والعلم
والدين .

افتتح مع أخيه توفيق محلا للعبادة في سوق النياطين ثم
بسوق الحمالية ، قبل أن ينضمما معا (عقب الحرب العالمية
الأولى) إلى أخيهما الأصغر أحمد عبيد ، مؤسس المكتبة
العربية بدمشق (انظر ترجمته في م ٢ / ٦٧٨ - ٦٨٣ من هذه
الموسوعة) .

زار مصر وفلسطين والحجاز ونجد ، ودرس ، وخطب ،
وأم في بعض مساجد دمشق ، وله محاولات شعرية .

صنف : « المختار من الأدعية والأذكار » و « الأحاديث
النبوية » في الأخلاق والأجتماع والمدينة ، و « من تراث النبوة »
في العلم والحكمة والأخوة و « من عيون الأنصار » و « من
صميم الحياة » و « إلى الحياة » و « خطب حمدي عبيد » و
« كلمات حمدي عبيد » و « مقالات صغرية » و « تفسير غريب
القرآن » ، وجميعها مطبوعة متشرة .

قال المرحوم أحمد عبيد قبر شقيقه حمدي عبيد :

هَذَا (هَيْئَتُكَ حَمْدِي)

أَتَى بِسُوءِ رَحْمَتِكَ

فَلَقَدْ مَنَّكَ رَوْحًا

وَأَجْنَبَهُ رَبُّ هَيْئَتِكَ

فَدَكَّ كَسَانًا بِسَرًّا تَقِيًا

يَخْشَى وَيُجَرِّمُ رُثْوَايَكَ

(أمين التراث العربي - زاهر أحمد عبيد / ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، انظر أيضا
الأعلام للزركلي ٢ / ٢٧٥ ، ٢٧٦) .

• حمراء الأسد (غزوة):

وكانت واقعة أحد يوم السبت للتصيف من شوال من السنة
الثالثة من الهجرة فلما كان من الغد يوم الأحد أمر رسول الله
ﷺ بالخروج في إثر العدو ، وعهد أن لا يخرج معه إلا من
حضر المعركة ، فاستأذنه جابر بن عبد الله في أن يفسح له في
الخروج معه ، ففعل وكان أبوه عبد الله بن عمرو بن حرام ممن
استشهد يوم أحد في المعركة .

فخرج المسلمون على ما بهم من الجهد والقروح وخرج

تفقه على والدي رحمه الله ، وسمع جامع أبي عيسى ببغشور
من أبي سعيد محمد بن علي بن أبي صالح القاضي عن
الجراسي عن المصموي عنه ، وسمعت منه ذلك ، وسمع أبا
القاسم هبة الله بن عبد الوارث الشيرازي وأبا أحمد الحسن بن
أحمد بن يحيى الكاتب وأبا بكر عبد الغافر بن محمد
الشيرازي وغيرهم ، وكانت ولادته بعد سنة سبعين وأربعمائة
بمرست إحدى القرى الخمس . والخطيب أبو الحسن علي
ابن أحمد بن نصر بن محمد بن إبراهيم بن حمويه بن قطن
ابن فرزدق بن طرخان السلمي الحمدوي الأشتيخي ، نسب
إلى جده الأعلى حمويه ، وهو من أهل أشتيخ ، وكان
لقطن إخوة أحدهم عبد الرحمن السلمي معلم الحسن
والحسين ؟ وهو بسند ، ومحمود السلمي ، وهو يليخ ،
ومحمد ، وهو بخاتنين في العراق - ذكره أبو عبد الله بن منده
الحافظ الأصبهاني في تاريخه - وتوفي أبو الحسن الخطيب
بأشتيخ غرة ذي القعدة سنة أربع وعشرين وخمسمائة ؛
عاش مائة وثلاث عشرة سنة ؛ يروى عن أبي محمد عبيد
الملك بن عبد الرحمن الأسيري سمع منه عمر بن محمد بن
أحمد النسفي الحافظ .

(الأنساب للسماعي - تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي / ٢

٢٥٩ ، ٢٦٠ ، انظر أيضا الباب لابن الأثير - تحقيق د. مصطفى عبد

الواحد / ١ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ .

• أبو الحمراء :

قال ابن عبد البر: أبو الحمراء . مولى النبي ﷺ . قيل
اسمه هلال بن الحارث . ويقال هلال بن ظفر حليفه عن
النبي ﷺ أنه كان يمر ببيت فاطمة وعلي رضي الله عنهما
فيقول : « السلام عليكم أهل البيت » إنما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس أهل البيت ويظهركم تطهيرا ﴿ [الأحزاب :
٣٣] .

(الاختصاص في معرفة الأصحاب لابن عبد البر - تحقيق على محمد

الجبالي / ٤ / ١٦٣) .

• حمدي غنيه (١٢٠٧ - ١٢١٩ هـ / ١٨٨٩ - ١٨٧١ م) :

حمدي عبيد (أبو أسامة) بن محمد حسن بن يوسف بن
عبيد بن محمد سليمان (أخا) بن عبد الرحمن ، الأنصاري ،
الخزرجي : من ذرية الصمحاين المعروف أنس بن مالك رضي

ويلخص الدكتور حسن الباشا خصائص قصر الحمراء فيقول :

يقوم قصر الحمراء على روية عالية تطل على مدينة غرناطة ويتألف تصميمها بصفة عامة من وحدات من الممار مستقلة بعضها عن بعض ويتألف كل منها من فناء أوسط تحف به المبانى ، وكان المدخل الرئيسى فى الجانب الغربى .

وبدا تشييده أبو الحجاج يوسف الأول من بنى الأحمر (٧٣٣ هـ - ٧٥٥ هـ / ١٣٣٣ - ١٣٤٥ م) ، وأتمه ابنه محمد الخامس الثانى بالله (٧٥٥ - ٧٩٣ هـ / ١٣٥٤ - ١٣٩١ م) وينسب إلى يوسف الأول السور الذى يحيط بمرتفع الحمراء بما فيه من أبراج وبوابة المعروفة باسم باب الشريعة (لأنه يؤدى إلى مصلى الجيدين) وباب العدل (وجد عليه صورة كف مفتوح يرمز إلى العدل وصورة مفتاح يرمز إلى مدخل الحمراء) وينسب إليه أيضا قصر البرطل (الظلة التى ترتكز على بالكة القصر الواقعة بين برج السيدات والمصلى الصغير) وبرج الأسيرة ، وبرج الشرفاء ، وبرج مخدع الملكة ، وذلك فضلا من قصر السلطان نفسه الذى يعتبر أجمل عمائره قاطبة ، ويتوسطه برج قمارش وبه قاعة السفراء ، وبالقصر أيضا بهو البركة وبهو الريحان والحمامات السلطانية .

أما محمد الخامس فينسب إليه مبانى قصر السباع ومنها بهو السباع وفى جوانبه الأربعة بوابك أربع وتتوسط نافورة أو فواره تقوم على حوض تحته اثنا عشر تمثالا لأسود على هيئة دائرة .

ويتألف بهو السباع من مستطيل أبعاده ٢٨,٥ × ١٥,٧٠ مترا ، وعلى جانبيه القصرين جوسقان مقيبان يرتكزان على أحصنة ، ويتقاطع محورا الجهو ، وهما على شكل قناتين وحول البهو قاعات منها قاعة الملوك أو قصر العدل ، وقاعة بنى سراج وقاعة الأختين .

وتتميز عمارة الحمراء بالأبعاد الرشيقة والعقد المفصصة والقباب المقرنصة والأسطح الجمالونية والزخارف الجميلة المزدهجة من نباتية وهندسية متميزة بالكتابات العربية الجميلة التى تشتمل فيما تشتمل على شعار بنى الأغلبي ونصه « ولا غالب إلا الله » .

وتتدخل عمائر الحمراء مع الأشجار والأزهار والأفنية

رسول الله ﷺ مُرهبا للعدو، حتى بلغ موضعا يدعى حمراء الأسد على رأس ثمانية أميال من المدينة ، فأقام به يوم الإثنين والثلاثاء ، والأربعاء ، ثم رجع إلى المدينة . قال ابن إسحاق : وإذا خرج بهم رسول الله ﷺ مرهبا للعدو وليظنوا أن بهم قوة وأن الذى أصابهم لم يوهنهم من عدوهم .

(وفى هذه الغزوة نزلت الأيتان الكريمشان : ﴿ الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرع للذين أحسنا منهم واتقوا أجر عظيم ﴾ فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ﴾ [آل عمران : ١٧٢ ، ١٧٤] .

وكان معبد بن أبى معبد الخزاعى قد رأى خروج رسول الله ﷺ والمسلمين إلى حمراء الأسد ، ولقى أبأ سفيان وكفار قريش بالروحاء ، فأخبرهم بخروج رسول الله ﷺ فى طلبهم ، فقت ذلك فى أحضاد قريش ، وقد كانوا أرادوا الرجوع إلى المدينة ، فكسروهم خروجه ﷺ ، فتمادوا إلى مكة .

وتظهر رسول الله ﷺ فى خروجه بمعاوية بن المغيرة بن العاص بن أمية ، فأمر بضرب عنقه صبورا ، وهو والد عائشة أم عبد الملك بن مروان .

(انظر فى غزوة حمراء الأسد ابن هشام ٣ / ١٠٧ والواقدي ٣٢٥ وابن سعد ج ٢ ق ١ ص ٣٤ والطبري ٢ / ٥٣٤ وابن حزم ص ١٧٥ وابن سيد الناس ٢ / ٣٧ وابن كثير ٤ / ٤٨ والنزيرى ١٧ / ١٢٦ والسيرة الحلبية ٢ / ٣٣٦) .

(الدرد فى المغاوى والسير لابن عبد الله - تحقيق د . شوقي ضيف / ١٥٨ ، وقد وضعنا تعليقات المحقق بين أقواس فى نهاية النص) .

• الحمراء (زاوية -) :

انظر : الحمراء (مدرسة -) .

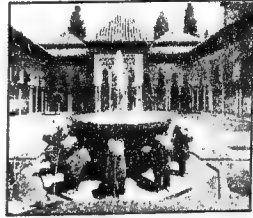
• الحمراء (قصر -) :

كان يوجد مقابل غرناطة على أحد تلالها قلعة بنى الأحمر وقصورهم الحصينة التى شكلت فى مجموعهما مدينة « الحمراء » بدأ بنائها مؤسس الأندلس : محمد بن يوسف بن الأحمر الذى لقب نفسه « الغالب بالله » ثم عمل من خلقوه على توسيعها وتجميلها . وأشهر آثارها قصر الحمراء ، وهى الآثار الباقية حتى اليوم من أطلال غرناطة (تاريخ الفن / ٤٩) .

ولم يتم تشييد هذا القصر وفقا لتخطيط وضع مسبقا بل جاء نتيجة إضافات متتالية استمرت ما يقرب من مائتين وخمسين سنة ، كان القصر خلالها مستخدما غير مهجور . ويتكون القصر في تصميمه من أفنية يفضى أحدها إلى الآخر، يزداد كل منها عما يسبقه انزواء .

ويتصدر الفناء الخارجى الأول مسجد ، تعقبه قاعة الجلسات الرسمية فى الفناء التالى ، ولعلمنا كائنا بمتحلات الجزء العام من القصر ، يلى ذلك قاعة الإستقبال الخاصة ويهوى الشرف وقاعة العرش ويمتد أمامها فناء الريحان الذى كان يملأ الجو بشذاه العطرى ، وصوت خرير المياه الجارية ، وينسب هذا الفناء إلى يوسف الأول . يعقب ذلك جناح السكنى الملكى بحداثته ومقاعد المظلة على الحدائق والحماسات ، ولكل منها صحنه الخاص . وتنتهى هذه المجموعة بصحن الأسود الذى شيده محمد الخامس (١٣٥٠ - ١٤٠٠) . وكان محرما حتى على أقرب المقرين إلى الملك .

وتبقى مبادئ تصميم قصر الحمرء المعمارية من منابع إسلامية أصيلة ، فمبانيه مفتوحة على الداخل ، تنزلها عن الخارج أسواره الصماء التى يخفف من صرامتها إضفاء الزمن



منظر عام لبر الأسد

والسافورات ومجارى المياه فتعطى منظرا من أبهى المناظر بحيث وصلت بحق بجنة الله على الأرض ، وهى تسوحى بأنها من عمل قوم مترفين أغرقوا أنفسهم فى الاستمتاع بلذة الحياة الدنيا (مدخل إلى الآثار الإسلامية / ٢٢٩ ، ٢٣١) . ويتكلم الدكتور ثروت عكاشة على قصر الحمرء ، ذلك الذى شيده الأمير محمد فيقول :

كانت غرناطة عاصمة الأمير محمد بن الأحمر عام ١٢٣٨م وقد ظلت محفظة باستقلالها برغم تبعيتها لقشتالة فى الوقت الذى منيت فيه الممالك الإسلامية المجاورة بالهزائم طوال مائتين وخمسين عاما . وقد شيده الأمير محمد قصره المنيف المعروف بالحمرء فوق القصبية التى تحتل تلا شديدا الانحدار يطل على المدينة ، ظل العمل يجرى فيه حتى سقوط غرناطة عام ١٤٩٢ .

وعلى الرغم من هدم بعض أجزائه من أجل تشييد قصر كارلوس الخامس على طراز عصر النهضة [الذى تهدم هو الآخر] فإن أطلال جناح المعيشة والمقر الملكى والتكنات والمطابخ والمساجد والمدارس والحماسات والمقابر بجداول نهر دارو التى تتخلل هذه الأطلال ومنظر الجبال المكسوة بالجليد المشرفة عليها والتى يتوسطها حوض النهر الخصب ، كل ذلك قد جعل من قصر الحمرء واحدا من أشهر النصور الملكية الإسلامية .

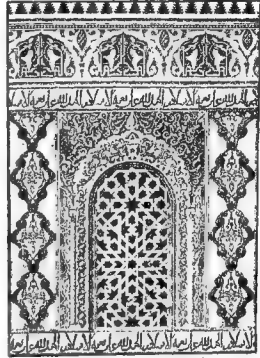


منظر عام لبر الأسد

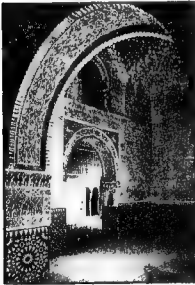
ويتناول الأستاذ وجدان علي بن نايف قصر الحمراء باعتباره مجموعة من القصور وليس قصرا واحدا فيقول :

تشكل قصور الحمراء مدينة ملكية متكاملة ، بناها بنو نصر على مشارف تلة سيكة المطلة على مدينة غرناطة ، وهي في الأصل قلعة من القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي أقيمت لأغراض دفاعية عسكرية .

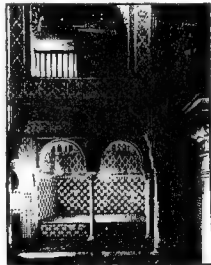
وتألف قصور الحمراء من مجموعة من القصور والأبراج والممرات والحدائق والقصبة وحمام ، ومقبرة ملكية تحيطها الأسوار المخارجية التي تخترقها الأبواب الكبيرة مثل باب المخمر ، وباب القصبة ، وباب الشريعة الذي أقيم عام ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م ويبلغ ارتفاعه أكثر من عشرين مترا وعرضه خمسة عشر مترا ، كما يتخلل السور العديد من الأبراج ، شيد بعضها لأغراض دفاعية : وهي برج السلاح ، وبرج فيلا ، وبرج الجرس الذي كان ينفق جرسه ليعلن عن الوقت في الليل وينظم مواقيت الري في النهار ، ويوم سقطت غرناطة رفع الإسبان أعلام ملوك الكاثوليك من فوقه ، وحتى اليوم جرت العادة أن تضرب النواقيس في يوم ٢ كانون الثاني من كل سنة احتفاء بهذه الذكرى .



باب المخمر من قصر الحمراء



إحدى نوافذ شرفة قاعة الإسبين في الحمراء



قاعة الاستراحة بالحمام في قصر الحمراء

لونه على صقل أسطحها . وهكذا لم يكن للقصر واجهة خارجية إذ تفتتح كافة عناصره المعمارية على صحنون داخلية ذات نافورات وحدائق خضراء (القيم الجمالية / ٢١٨ ، ٢١٩) .

ويعرض المؤلف فيصف الأروقة والباحات والقاعات قائلا:

وللأروقة وظيفة مهمة في تحوطها للباحة أو الصحن المكشوف للمبنى . فالصحن عبارة عن فجوة كبيرة مفتوحة على السماء ، توضع حولها الغرف فتزودها بالضوء والهواء ، ولكنها تعرضها أيضا للمطر والشمس والرياح وتقلبات الطقس ، لذا لزم حمايتها من العوامل الطبيعية بواسطة الأروقة التي هي بمثابة الميزان الذي يقض ضوء الشمس وحرارته قبل دخولها إلى الغرف ، كما أنها تكسر من حدة الريح والمطر .

والباحة الثانية الجميلة في الحمراء هي « باحة الأسود » أو « صحن السباع » فأطلق عليها هذا الاسم نسبة إلى البركة التي تتوسطها ويحيطها اثنا عشر أسدا من المرمر ، يخرج الماء من أفواهها ليصب في أربعة جداول متقاطعة تتناسب في مجاري لنتهى اثنتان منها بفوارتين صغيرتين داخل القاعتين الواقعتين في شمال وجنوب الصحن ، ترتبان وتماثلان أرجاءها بنغم خريير المياه ، أما الجداولان الأخريان فهما أقصر بكثير، ويتنبتان بفوارتين في صحن الأسود، وهذا ويحيط بحافة الحوض شريط خطي نقش على الحجر لاثني عشر بيتا من شعر ابن زمرك في قصيدة له يمدح بها السلطان ويصف قصوره الملكية .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن تماثيل السباع قد نحت بطريقة مؤسفة بيسدة عن محاكاة الطبيعة ، ومن المعروف أن المجسمات التي تمثل الأشكال الأدبية والحيوانية كانت منتشرة في الأندلس وبلاد المغرب قاطبة ، ولا سيما في الحمامات وحول البرك والنوافير وأحواض المياه .

وتحيط بإحدا الأسود أربعة أروقة ذات أعمدة من الرخام ، مفردة ومزدوجة ، تحمل أقواسا حديدية ومفصصة ، كسيت بالزخرفة الجصية المعقدة التي امتازت بها قصور الحمراء ، وقد جمعت هذه الأروقة ، في توافق واتزان ، ما بين متانة البناء وجمال الشكل ، وهو أسمى مبدأ يمكن أن يتوصل إليه فن العمارة ، وذلك بالتصوير عن الوظيفة الأساسية للأعمدة والأقواس ، وتحويلها من عناصر معمارية بحتة إلى عناصر زخرفية عن طريق اتباع خطوات بسيطة : منها مثلا : التلاعب بفتحة القوس بالنسبة لتناج العمود ، ووقعها إلى ارتفاع أعلى

أما الأبراج التي لا تخدم أغراضا عسكرية فهي برج السيدات ، وبرج قمارش ، وغيرها ، أقيمت من ناحية وادي الحديدة : وهو واد عميق الهوة ، ويصعب اجتيازه ، وكانت تستخدم هذه الأبراج لسكن الأمراء والأميرات والقادة وأفراد الحاشية ، ويبلغ عدد الأبراج والأبواب المحصنة ثلاثة وعشرين ، وبالرغم من أن مواد البناء في قصور الحمراء هي مواد سريعة التلف ، كالطوب والخشب والصلصال ، فإن معظم أجزائه ما زالت قائمة وبحالة معمارية ممتازة .

وقد اتبع في تقسيمها نظام المدينة العسكرية داخل المدينة المدنية ، وتم بناؤها على عدة مراحل ، وتنقسم إلى ثلاثة أقسام هي : القصبة في الغرب ، والمقصور الملكية في الوسط ، والأحياء العامة في الشرق ، كما أنها تتصل من الشرق بحدائق جنة العريف ، وهي منتزه فوق هضبة خارج أسوار الحمراء ، ويعود تاريخها إلى الثلث الأول من القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي .

وقد قام المعماريون باستغلال موقع الحمراء بين الغابات الكثيفة الممتدة على سفح سلسلة جبال سييرا نيفادا المغلفة قممها بالثلوج ، والمتناظر الطبيعية الخلابة التي تحيطها من كل الجهات ، فأدخلوا الطبيعة إلى المباني عن طريق النوافذ الكبيرة ، والشرفات ، وبرك الماء الموصولة بالنواقي داخل الغرف وخارجها ، والباحات ، والجنان ، والحدائق الفناء مع الاحتفاظ بحجم طبيعي للغرف والقاعات بحيث تتناسب مع حجم الإنسان ومتطلباته دون مبالغة في المساحات والارتفاعات .

واشتهرت الحمراء بساحاتها الخارجية الجميلة كساحة الأكس أو باحة قمارش ، وهي عبارة عن باحة فسحة الأرجاء تتوسطها بركة كبيرة مستطيلة الشكل تمتد على جانبيها شجيرات الأكس ، وهو الریحان الشامي ، وتعيش فيها ، بين زهور النيلوفر ، الأسماك الذهبية الصغيرة ، وفي طرفيها فوارتان تصبان الماء ، ويطل على الباحة من الشمال والجنوب رواقان ممحولان على أقواس نصف دائرية ترتكز على سولوى ربيعة أنيقة ويميز هذه المساحة نقاء خطوطها وبساطة تقسيماتها وانعكاس صورة العمارة حولها فوق سطح ماء البركة كأنها مرآة من الفضة وهي ميزة مهمة في الحديقة الإسلامية .

ويعد الحمام الملكي في الحمراء بالغ الأهمية ، إذ يعطينا فكرة عن حمامات المدن الأندلسية التي يبدو ، من كتب الأدب ، أنها لم تكن أقل جمالا من حمام الحمراء ، هذا ويقسم حمام القصر إلى أربعة أقسام هي : قاعة الاستراحة ، ثم القاعة الباردة ، فالقاعة الدافئة ، وأخيرا القاعة الساخنة ، وتشكل كلها مستطيلا تتبع شكله منذ القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي في بناء معظم حمامات الأندلس ، وأجعل ما في حمام الحمراء هو الزخرفة الجصية الملونة ، والزخرفة الخزفية المتمثلة في قطع الجليز أو الفسيفساء القاشاني الموجودة في قاعة الاستراحة ، حيث يقوم المستحمون ببلع ثيابهم والاسترخاء قبل الدخول إلى القاعة الباردة (الأموين . العباسيون . الأندلسيون / ١٩٤ - ٢٠١) .

وعن فن الزخرفة في قصر الحمراء يقول الدكتور شروت عكاشة :

ومن سمات العمارة الإسلامية الواضحة في أبنية القصر استخدام العناصر الزخرفية الرقيقة في تنظيمات هندسية كزخارف السجاد ، وكتابة الآيات القرآنية والأدعية ، بل حتى بعض الأمثال من نظم الشعراء كآية زريق تحيط بها الزخارف السخية من الجص الملون الذي يكسو الجدران والعقصات المذهبة التي تحلى الأسقف الخشبية والقباب ، وبلاطات القاشاني الملون ذات النقوش الهندسية التي تغطي الأجزاء السفلى من الجدران . على أنها نجد من ناحية أخرى أن اختلاف البيئة اللطيفة في الأندلس عن البيئة الصحراوية القاسية قد أثر في بعض مبادئ عمارة القصر الملكي العربي إذ تحولت الإيوانات التي كانت مفتوحة على الصحن إلى شرفات معقودة مسقوفة من طابقيين أو ثلاثة . كذلك تحول الصحن إلى ما يشبه الباسيو الإسباني المشتق من الفناء الروماني [أنريوم] أكثر من اشتقاقه من الصحن الإسلامي . ولم يعد الصحن في فناء الأسود بؤرة التكوين المعماري للمباني المحيطة به ، بل بات مجرد فراغ تقع على جوانبه «المقاهد» والأروقة المفتوحة والشرفات في تسقيط مستطيل الشكل .

ويكاد القصر يعبر بحجراته المعلقة على الأقبية الداخلية وبأبراجه المنعزلة وبحلقائه المتشعبة على الصحن إلى القردوس النابع من وجدان الإنسان العربي وكأنما هو تجسيد للموشح الأندلسي (القيم الجمالية ٢١٩ ، ٢٢٠) .

من المعتاد ، فيلو القوس وكأنه علق في الهواء ، ويضفى عليه صبغة من الأناقة والرشاقة ، و كساؤه بالجص المخمر مما يزيد من شفافيته ونعومته مظهره .
وللحماية الأقواس من العوامل الجوية قام المعمار بإضافة مظلة بارزة مغطاة بنفس القرميد الذي كسى به سقف الأروقة والحجرات .

وتوجد في الحمراء عدة قاعات أهمها قاعة القارب ، وقد صنع سقفها الأثني من خشب الأرز المنقوش بالآلوان ، وقاعة السفراء التي تمتاز بقبة من خشب الأرز المحفور ، وقاعة بنى سراج التي اشتهرت بقبتها الرائعة على شكل نجمة مغطاة بالمقرنصات ، وقاعة الأخنين ، وقاعة الملوك أو قاعة المحكمة ، وهي عبارة عن ممر طويل فسيح يفتح على صحن بواسطة ثلاثة أبواب ، وتنقسم العقود المقرنصة إلى سبع حجرات ، وتمتاز هذه القاعة بالصاوير الأدمية التي تغطي سقفها حجراتها ، وقد اختطف المؤرخون في أصلها ونسبتها إلى الفن الأندلسي ، كما اختلفوا في نسبة الصور الموجودة في سقف قاعة البرطال ، وبغض النظر عن قام بتصويرها فإن مشاهد الحياة اليومية في هذه الرسوم تعتبر آثمين وأدق الوثائق البصرية لمعادات أهل الأندلس في القرن الرابع عشر وتقاليدهم ، مثل وضع العمامة والطيلسان ولبس العباءة وتسدل الملحى وحمل السيف ونوعه .

والجدير بالذكر أن التوافد في غرف القصر تقع على مقربة من الأرض لأن الأندلسيين ، مثل باقي العرب ، كانوا يجلسون على اللواوين المنخفضة والمكسوة بالخضف من الحرير المطرز ، وعلى السجاد المسمى بالطظيفة ، ويتكثرون على المخدات الحريرية ، بينما توضع أمامهم موائد مستديرة يأكلون عليها ، وتكون الشبايك منخفضة العلو يمكنهم من مشاهدة المناظر الخارجية وهم جلوس في أماكنهم .
ثم يتكلم المؤلف الأستاذ وجدان على بن نايف على الحطام ، وهو ما فأتنا إدراجة في مادة «الحمامات» فيقول :
بالرغم من أن الحمامات العامة كانت معروفة زمن الرومان ، فإن العرب اهتموا بها اهتماما خاصا ، وجعلوها من سمات المدينة الإسلامية التي لا يكا يخلو منها حي ، وقد كتب عنها الرحالة والجغرافيون في كتبهم ، وكانت تتخذ مرقا مهما للحياة الاجتماعية ...

المقرنص أحد العوامل المهمة في الزخرفة والهندسة الإسلامية، وبسبب تأثيره على انعكاس موجات الصوت في الغرف كثر استعماله في قاعات الطرب والغناء (المرين، المباسين، الأتلسين / ٢٠٣، ٢٠٥، ٢٠٦) .
ويسوق الدكتور عكاشة هذه الملاحظة :

والملاحظة في العمارة الإسلامية بصفة عامة أن كل خليفة أو ملك كان يؤثر تشييد قصره الشخصي ومسجده دون أن يهمل أن يكون مسكناً لمن يخلفه، حتى إن بعض الخلفاء كان يهدم قصر سلفه .. كما حدث في القصرين الغربي والشرقي للمعز لدين الله الفاطمي حين هدمهما الأيوبيون .. على حين لم يجرؤ سلطان مسلم قط على هدم بيت من بيوت الله ، ولذلك انصرفت معظم الجهود إلى زخرفة البناء أكثر من اتجاهها نحو تدعيمه . غير أننا على خلاف العادة نريد الإنسان في قصر الحمراء قد نال عناية تامة كتبت له الاستمرار دون أن يقلل ذلك من الاهتمام المفرط بالناحية الزخرفية .
وتعتبر صفة الاستمرار هذه في قصر الحمراء استثناء من القاعدة ، كما نذكرنا إنشائه القوة وبنايه الراضخة بالقصور القوطية المحصنة ، حتى أن هذا الطابع ليتجلى واضحا بمجرد إلقاء النظرة الأولى على الصورة العامة لقصر الحمراء (للهم الجمالية / ٢٢٠) .

ويصف سيد أمير على المؤرخ الهندي الحمراء بقوله:
ومن الصعوبة بمكان أن نوفي الآن هذا العمل الذي سعى بعمل الجين حقه من الوصف والإيضاح إذ أن القلاع والحصون والقصور بفنها المعماري الدقيق ، وأروقها وأعمدتها الفخمة وقبابها وسقوفها ذات الزخرفة والنقوش البديعة لم تفقد شيئا من رونقها الأصلي إلى الآن ، وأبهاؤها الهوائية المشيدة ليعر منها النسيم المطهر بشذى السود ، والبسك التي أحكم المهندسون تشييدها فأصبح انبثاق الماء فيها تابها لإزادة الإنسان ، إن أراد رفعة ، وإن أراد أنزله من علو شاطئ في أشكال هندسية بديعة . كذلك كانت الأبنية المنقوشة بالأصباغ والورقانة والفسيفساء على أجمل صنع وأتم إتمام . فتمكس عليها الأضواء والألوان ، منها الذهبي والقرمزي ، والأزرق ، والأرجواني ، ومختلف التماثيل ، وبهو السباع المشتمل على ١٢٨ عمودا فخما ، وأرضتها البيضاء والزرقاء ، وتناسق الألوان القرمزية اللحية ، وتماثيل السباع التي يجري الماء من

وعن فن الزخرفة في هذا الأثر المبهج يقول أيضا الأستاذ وجدان على بن تليف :

وصل فن الرقش العربي في قصور الحمراء ذروة الإقنات والكمال والجودة ، وأدخل الخط العربي على الأشكال الهندسية ذات الأطباق النجمية المتعددة الألوان ، والأشكال النباتية المتشعبة والتي ظهرت لأول مرة ، كما طورت تيجان الأعمدة وأخذت طابعا مميزا لها ، وذلك بتبني أشكال جديدة مثل المرواح النخلية وكوز الصنوبر ، نقلت بطريقة مؤسلة بسيطة وشبه هندسية تختلف على تلك التي نراها في صديحة الزهراء ، كما دخلت على العمود زخارف محفورة على شكل أسطوانات متراكبة وضعت تحت التاج ، وتعد من خاصيات الحمراء الزخرفية .

والخط هو المنصهر الثالث في زخرف الحمراء بعد الأشكال الهندسية والنباتية أو الروقية ، وقد استعمل على المحيطان في كتابات شعرية معظمها من نظم الشاعر ابن زمرق ، جاءت على شكل أشروطة تحيط بالجنار ، وأطر حول الطيقات والأقواس ، وداخل أشكال دائرية ومربعة وقعت ضمن الرقش الهندسي والنباتي ، وقد كتبت بالخطين الكوفي والنسخي المغربي ، وتم تكرار شعار بني نصر « لا غالب إلا الله » في كل غرف القصور .

وفي الحمراء أفضل مثال على تطور فن الرقش من الإطارات التي انتشرت في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ، والتي تحتوي على القليل من التفاصيل إلى تغطية كل المساحات حسب مبدأ الثغور من الفراغ ، وقد اعتم بنو نصر بالزخرف لدرجة أنهم لم يتركوا سطحا إلا وغطوه بطريقة أو بأخرى مستعملين كل المواد المتوفرة لديهم : مثل الخشب والجص والرخام والجلاد .

أما المقرنص ، وهو تجويف على شكل خلية النحل يوضع عادة إما على الجدار أو في السقف ، فأسله من إيران ، انتقل إلى العراق ثم مصر ، وانتشر في المغرب والأندلس حيث تفنن المعمارون في توزيعه الزخرفي واستعمالاته الجمالية ، ووصلوا قمة استغلال شكله ، وكان يستعمل في ياديه الأمر لكساء الأقواس وأطراف القباب ، ثم امتد استعماله فيما بعد ليغطي الأسقف المسطحة وداخل القباب بحيث تبدو كخلية نحل متماسكة ، كما هو الحال في برج الأبريات . وأصبح

إلى الآثار الإسلامية - د. حسن الباشا / ٢٢٩ ، ٢٣١ ، والقيم الجمالية في العمارة الإسلامية - د. ثروت عكاشة / ٢١٨ - ٢٢٠ ، والأمويين .
العايسون - الأنطليسيون - وجدان علي بن نايف / ١٩٤ - ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ومدينة المسلمين في إسبانيا للأستاذ جوزيف ماك كيب - ترجمه من الإنجليزية - د. محمد تقي الدين الهلالي . مكتبة المعارف .
الرباط . الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م / ١٠٤ ، ١٠٥ ، انظر أيضا المساجد والقصور في الأندلس - د. السيد عبد العزيز سالم . مؤسسة شباب الجامعة . إستانبرة ١٩٨٦ / ١٤٠ - ١٥٠ ، وأوراق أنطلسية - د. عبد المعاطي محمد البريلي ، وهو يحفل بالصور الرائعة ، التي تمتد لرحلات فنية ليس لها نظير .

• الحمراء (مقدمة):

من مدارس القلوس الشريف ، أعاده الله ديار إسلام .
ذكروها مجير الدين وقال إنها بالقرب من الخاقانة الصلاحية ورد ذكرها عدة مرات في سجلات محكمة القدس الشرعية .
ومن تولى مشيختها : سليمان جليي المخلوئي المتوفى سنة ١٠٥٦ ، وخلفه في المشيخة ولده محمد جليي وعلي جليي .

— مصطفى بن أبي الورثا العلمي شرره القاضي في وظيفة المشيخة بالمدرسة « الحمراء » الكائنة بحارة النصرى بالقرب من حمام البترك (البطررك) وقر له السكن بها ، في سنة ١٠٩٤ .

— وتلاه ابنه الشيخ عبد الغنى . تولى المشيخة سنة ١١٢٤ ، عوضا عن والده ، وسكن بالمدرسة .

ويقول العارف نقلا عن الشيخ سعد الدين العلمي مفتي القدس (سنة ١٩٥٦ م) أن هذه المدرسة كانت في نفس الموقع الذي كانت تقوم عليه مدرسة في العهد التركي في حارة النصرى وهي واقعة فوق المسجد العمري المطل على ساحة كنيسة القيامة من القبلة . وقد اتخذت مع الزمن مسكنا يسكنه جماعة من آل العلمى . وفي إحدى غرفها آثار محراب قديم .

(معاهد العلم في بيت القدس - د. كامل جميل السلي / ٢٩٠)
وقد أوردها المؤلف أيضا في الزوايا تحت عنوان « الزاوية الحمراء » (ص ٣٦٦) وأضاف أنها منسوبة للفقراء الوفاية .

• الحمرة:

الحمرة : علامة بالملد الأحمر تملح الزيدات على

أنوارها ، والبركة المرمية ، وكل ذلك يحتاج إلى قلم فنان ليؤديه حقه من التصوير والإبداع (تاريخ الفن / ٤٩) .

قالت المؤلفة : لدى زيارتنا لهذا الأثر الإسلامي المجهر الضريد وجدناه كما وصف وأكثر ، وإن أصالة الحضارة الإسلامية التي يمسكها لتفسر لنا ما عرف بأدب بكاء الأندلس (انظر هله المادة في م ٣ / ٢٩٢ - ٢٩٨) .

وقد جاء في كتاب المؤلف الإنجليزي الأستاذ جوزيف ماك كيت نقلا عن مكابيل سكوت ما يلي : « ومن حسن الحظ بقي قصر الحمراء الملكي ليرسنا الجلالة والتألق والإبداع في فنون المخرئين ، وحتى هذه الدرة أصابها ما أصابها على يد الإسبانين وكانت سائرة في طريق الخراب لولا أن بقية أوروبا وأمريكا أجبروهم على أن يبقوا [؟] شيئا من الحياة . وحتى في هذا اليوم يجد فيها الإنسان معنى هذا اللفظ « أرض عبقرا » حين يخرج من دهليزها المظلم إلى عرصة الأسود ، فيرى سوارى العمر الدقيقة كأخصان البان ، ويمتلئ بالانظر إلى سطور الأساطين المستقيمة ، وسقفوها المصبوغة بالألوان الزاهية إذا نظرت إليها غلختها زداى فارسية مرقشة ، أو رياض أزهار بهيجة قد اشتبكت فيها أشجار الصناعة الحجيبة . ولها طنوف مشرقة قد أفرشت في قوالب بديعة يحار الواصف في وصفها . وأما جدرانها ففيها من الترقيش العربى والتشجير والخنزرف والأشمال والحكم المسطوية بأجمل شكل ، شيء يذلل العقول ، ويروع الناظرين ولكن ينبغي لنا أن نتصورها في القرنين الرابع عشر والخامس عشر حين كانت الثياب التي ترى فيها كلها من الحرير الفاخر ، وحين كانت جدرانها تتلألأ بالكرن اللزورد والأرجوان واللحم ، وحين كان الأس والأرج والمود ، ومباخر القضة يحترق فيها عود الطيب تفعم جوها بالروائح الطيبة . وكانت على الجبل المجاور لها وسوله الواسعة الأرجاء عشرات الأكواف من القصور الشامى التي لا تقل جمالا وإبداعا في اللوق من الحمراء ، إلا أنها أقل تلالوا بالذهب والفضة والجواهر . قال سكوت متلهفا : ماذا عرضنا الفازى الصليبي القشتالي التمهجي عن تلك القصور؟ وأي فائدة يجنيها النوع البشرى من وراء تخريبها ؟ » (مدينة المسلمين / ١٠٤ ، ١٠٥) .

(تاريخ الفن عند العرب والمسلمين - أنور الرفاعي / ٤٩ ، ومدخل

أما عن شيوخه فقد أخذ حمزة عن كثير من الأئمة المشاهير في علوم اللغة والأدب والتاريخ والسنة، وكان بعض هؤلاء العلماء مواطنين له بأصبهان، وكثير منهم من سكنى بغداد.

وقد ذكر كل من السمعاني وأبى نعيم في ترجمته أسماء الرجال الذين كان حمزة يروي عنهم، وكانوا من الحفاظ ورجال السنة، وهم:

- ١- عبدان بن أحمد الأهوازي الجواليقي .
 - ٢- أبى جعفر محمد بن جرير الطبري .
 - ٣- أبى عبد الله محمود بن محمد الواسطي .
 - ٤- أبى جعفر محمد بن صالح بن ذريح المكي .
 - ٥- أبى عبد الله محمد بن نصير المدني .
- أما العلماء الذين تلقى عليهم في علوم اللغة والأدب والنحو والتاريخ والأنساب، والذين ذكرهم بعبارة تدل على أنه كان على صلات شخصية بهم فكان يسألهم، أو يتحدثون إليه، أو يشهد مجالسهم، فمنهم:
- ١- أبى بكر محمد بن الحسن بن دريد .
 - ٢- أبى بكر بن القاسم الأنباري .
 - ٣- أبى عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد المعروف بفلام ثعلب .
 - ٤- أبى بكر أحمد بن الحسين بن شقير النحوي .
 - ٥- أبى بكر الحسن بن على بن أحمد المعروف بابن العلاف .
 - ٦- أبى الحسن على بن سليمان، الأضفى الأصغر .
 - ٧- أبى فضلة مهمل بن يموت بن المززع .
 - ٨- أبى الحسن محمد بن القاسم التميمي النسابة الأصبهاني .
 - ٩- أبى مسلم محمد بن بحر الأصبهاني .
 - ١٠- أبى الحسين أحمد بن سعد الكاتب .
 - ١١- أبى خليفة الفضل بن الحباب الجمحي .

مصنفاته:

فقد ألف حمزة في ثلاثة من فنون العلم، هي اللغة

الرواية في كتب الحديث: أما النقص فيها فيحوق عليه بالحمرة .

(معجم مصطلحات توثيق الحديث - د. على زوين / ٣٢) .

• حمزة الأصبهاني (٢٨٠-٣٦٠هـ / ٨٩٢-٩٧٠ م):

مولده ووفاته:

ولد أبى عبد الله حمزة بن الحسن بأصبهان . من بلاد فارس، وعاش بها حياته، فهو أصبهاني مولدا وموطنا .

وقد سكنت المصادر العربية القديمة عن تاريخ مولده وتاريخ وفاته، ولم تذكر عنهما شيئا، بل أكثر من هذا أنها لم تذكر معلومات ذات قيمة عن حياته، وكذلك فعلت المصادر الحديثية . ومن ثم فإن الذين درسوا حياته ومكانته العلمية، من المستشرقين والعرب، قد اعتمدوا كل الاعتماد على كتبه، وما ورد بها من نصوص وإشارات، وهذا ما فعلته وأنا أحاول أن أجلو حياة هذا العالم الأديب الجليل .

والحق أن كتب حمزة غنية بالنصوص التي ترسم كثيرا من ملامح حياته، ولأهمية حياته العلمية . وفي كتاب « تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء » نصوص يمكن أن نتعرف منها على تاريخ مولده وتاريخ وفاته، على وجه التقريب لا على وجه التحديد، وهو أنه ولد حوالي سنة ٢٨٠ وأنه توفي عام ٣٥١ هـ .

وقد عاش حمزة أهم سنى حياته في النصف الأول من القرن الرابع الهجرى (نحو ٢٨٠-٣٥١ هـ) أى بعد أن نضج الفكر العربى والإسلامى، وبعد أن وضعت أسس العلوم والفنون، وودت الملونات الأصيلة على أيدي الأئمة من العلماء، وأصبح في متناول الباحثين المصادر الرئيسة في كل علم وفن .

رحلاته إلى بغداد:

وقد رحل حمزة إلى بغداد عدة مرات، وأقام بها طويلا، إذ كانت أهم المراكز العلمية في العالم العربى، بعد أن انتقل إليها النشاط الفكرى من البصرة والكوفة، وحفلت بالكثير من العلماء والأدباء، وأصبحت منارة يشع منها نور العلم والفكر، وكعبة يقصدها العلماء والطلاب من كل صوب وأفق. فكان طبيعيا أن يتردد عليها حمزة لينهل من ينابيع علمها وأدبها، شأن علماء عصره من أصبهان وغيرها الذين حفل بهم تاريخها .

بناية إسكندر أصف عام ١٨٩٨ م ، وأعيد طبعه بالمطبعة الحيدية عام ١٣٢٢هـ ، وما طبعان ناقصتان مختلفتان ، وقد نشر الجزء الأول منه محققاً على خمس نسخ خطية المشرق الألماني إيفالد فاغتر ، وطبع بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة عام ١٩٥٨ ، ومنه مصورات بجامعة الدولة العربية عن مخطوطي مكتبي الفاتح وكوبريلي أرقامها ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، وقد ذكر كل من بروكلمان ومتنوخ وفاغتر عدة نسخ لرؤية حمزة متفرقة في أنحاء العالم .

٦ - الأشكال الصادرة عن بيوت الشعر : وقد ذكره ابن النديم وحاجي خليفة ، ووصفه الأخير بقوله : « الأشكال الصادرة عن بيوت الشعر لأبي عبد الله حمزة بن الحسن الأصبهاني ، وهو مرتب على الحروف ، أوله : الحمد لله حق حمده » ومنه نسخة خطية في برلين (برقم ١١٢٥) (قال الزركلي ٢ / ٢٧٧) : مخطوط ذكره صيد عن مكتبة برلين ، نقل عنه الميداني في مجمع الأمثال ، وأبو الهلال العسكري في جمهرة الأمثال .

٧ - التشبيهات : لم يذكره إلا ابن النديم ، وهو من الكتب المفقودة .

٨ - التماثيل في تباشير السرور ، وقد انفرد بذكره ابن النديم ، وهو مفقود أيضاً ، وهناك كتاب آخر يحمل هذا الاسم ، من تأليف الخليفة الشاعر عبد الله بن المعتز ، وهو نصوص شعرية في الخمر وشربها ، وقد طبع بالمطبعة العربية بالقاهرة سنة ١٩٢٥ م (قال الزركلي أن الكتاب المطبوع سمي « فصول التماثيل » ونسب إلى ابن المعتز) .

٩ - أنواع الدعاء : وذكره ابن النديم وحده .

١٠ - رسائل : ذكرها ابن النديم ضمن مصنفات حمزة ، ويبدو أنها مجموعة رسائل ومقالات في بعض الموضوعات الأدبية واللغوية . وقد نقل البيهقي في كتابه « الآثار الباقية » نصاً طويلاً يتضمن بعض الشعر الذي قيل في النبروز والمهرجان ، ونسبه إلى حمزة في « رسالته في الأشعار السائرة في النبروز والمهرجان » كما ذكر القسطلاني أن لحمزة رسالة بعنوان : « الرسالة المعربة عن شرف الإعراب » وعلى ذلك تكون هاتان الرسالتان من هذه « الرسائل » .

١١ - مضاحك الأشعار : ولم يذكره أحد ممن ترجم له ، وإنما ذكره النجاشي في « ثمار القلوب » ووصفه بأنه مرتب

والأدب والتاريخ ، وأجاد في كل ما ألف وأرفى على الغاية ، فقد خلف لنا أربعة عشر كتاباً بعد بعضها من الأملات والأصول ، ومن أوثق المصادر التي اعتمد عليها من جاء بعده من العلماء وقد بحث حمزة في هذه الكتب موضوعات جديدة لم يسبق إليها ، مثل : حدوث التصحيف ، والموازنة بين العربية والفارسية ، وتاريخ أصبهان ، وفيما يلي أسماء هذه الكتب :

١ - التنبية على حدوث التصحيف : وتوجد منه نسخة خطية بالخزانة التيمورية (رقم ٨٩٦ أدب تيمور) كما توجد ثلاث نسخ أخرى منه بطهران ونسخة خامسة بدار الكتب الظاهرية بدمشق ، وقد تعرض للدرد على حمزة في هذا الكتاب أبو نصر إسحاق بن أحمد بن شيب بن نصر بن شيب البخاري (٤٠٥ هـ) ووصف في ذلك كتابه « الدرد على حمزة في حدوث التصحيف » .

٢ - الخصائص أو الموازنة بين العربية والفارسية : والموجود منه قطعة محفوظة بدار الكتب المصرية . ويظهر أن هذا الكتاب كان غريباً في بابه ، فريداً في موضوعه ، ويدل على ذلك ما وصفه به القفطي حيث قال : « وهو كتاب جليل ، دل على اطلاعه على اللغة وأصولها ، لم يأت أحد بعلمه ، صنفه للملك عضد الدولة فنا خسرو بن بويه » .

٣ - تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ، وقد نشر في برلين سنة ١٨٤٠ ، وفي لبيج سنة ١٨٤٤ مع ترجمة لاتينية له ، بتحقيق المشرق الألماني جوتوالد ، وأعيد طبع القسم العربي منه بمطبعة كاوياني ببرلين سنة ١٣٤٠هـ ، ونشره مولوي كبير الدين أحمد في كلكتة سنة ١٨٦٦ ، ونشر مترجماً إلى الإنجليزية في بومباي سنة ١٩٣٢ ، ثم أخيراً بيروت سنة ١٩٦١ م .

٤ - تاريخ أصبهان : وهو كتاب مفقود ، وقد ذكره في ترجمة حمزة كل من ابن النديم والسمعاني وأبي نعيم والقفطي وحاجي خليفة ، كما أشار إليه حمزة في كتابه « تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء » ووصفه القفطي بقوله : « وله كتاب تاريخ أصبهان ، وهو من الكتب المفيدة العجيبة الوضع ، الكثيرة الغرائب » (إله الرواة ١ / ٣٣٥ ، ٣٣٦) .

٥ - ديوان أبي نواس : وقد طبع برواية حمزة في القاهرة

على حروف الهجاء ، ونقل عنه مقطوعات من الشعر في وصف «حمار طياب» .

١٢- ردود على علماء اللغة وعلى رواة الشعر والشعراء وهو كتاب مفقود ، وهذه الردود ليست لحزمة ، وإنما هي لأبي على لخدمة الأصفهاني ، وقد قام حمزة بجمعها ، يدل على ذلك ما صرح به حمزة من قوله فيما نقله عنه ياقوت في ترجمة أبي على لخدمة : « وله ردود على علماء اللغة ، وعلى رواة الشعر والشعراء ، قد جمعناها نحن في كتاب ، وأنفذناه إلى أبي إسحاق الزجاج ، رحمه الله » .

١٣- كتاب الفصول المختارة من كتب الجاحظ ، ذكره العلامة المحقق عبد العزيز الميمني ، وذكر ما يدل على أنه يمتلك نسخة خطية منه .

١٤- الدررة الفاخرة في أمثال أفعل (ذكر الزركلي أنه يملك نسخة خطية منه) .

قالت المؤلفة : الكتاب مطبوع تحت عنوان « الدررة الفاخرة في الأمثال السائرة » ط دار المعارف سنة ١٩٧١ بتحقيق الأستاذ عبد الحميد قطاش ، والنسخة التي عندي هي الجزء الأول ، الذي نقلنا بعضا من مقدمته هنا (الدررة الفاخرة ١/ ٧ ، ١١ ، ١٤ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢١ ، والأعلام ٢ / ١٧٧) .

وقال الزركلي : للمستشرق أوجين متشوخ كتاب « مؤلفات حمزة الأصفهاني » مطبوع باللغة الألمانية ونشر المستشرق جوتولد كتاب « تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء » من تأليف حمزة ، وأعيد طبعه باسم « تاريخ ملوك الأرض » ولم يذكره مترجمو حمزة المتقدمون . وفي مخطوطات « المتحف الأمسيوي » بالمدينة الروسية « لينينجراد » مخطوطة من تأليف حمزة تشتمل على مختارات من شعر أبي نواس أولها : « كتب حمزة بن الحسن الأصفهاني إلى بعض رؤساء بلده : سألت ، أطال الله عمره ، أن أصرف لك عنايتي إلى عمل مجموع من شعر أبي نواس ... إلخ (الأعلام ٢ / ٢٧٧) .

ويعد حمزة من أعلام المصنفين ، ومن أبرز مؤلفي القرن الرابع الهجري ، وتمتاز مصنفاته ومؤلفاته بدقة المنهج وروعة التنظيم والتقسيم ، كما تمتاز بالمقدمات الوافية التي يلقي كل منها أقوى الأمثلة على موضوع الكتاب ، وفي كتبه : الدررة الفاخرة ، وتاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ، والكتب على

حدوث التصحيف ، وديوان أبي نواس ، مقدمات وافية بارعة يمكن أن يعد كل منها بحثا قائما بذاته ، ولعل أبرز خط في تأليفه هو الاعتماد على الرواية والنقل عن أئمة العلم وأساطين اللغة ، يدعم بآرائهم آراءه ، ويقوى بمذاهبهم المختلفة المسائل التي يتعرض لها في كتبه .

وقد شهد يسرته في التصنيف من القدماء ابن النديم والقفطي ، أما ابن النديم فقال في ترجمته : « وكان أدبيا مصنفا » وأما القفطي فقال عنه : « الفاضل الكامل ، المصنف المطلع ، الكثير الروايات ، كان عالما في كل فن ، وصنف في ذلك وتصانيفه في الأدب جميلة ، وفوائده الغامضة جمة » .

وقد استفاد من كتب حمزة ونقل عنها جماعة من مشاهير العلماء والمؤلفين ، مثل أبي هلال العسكري ، وأبي الفضل الميمني ، وأبي القاسم الزمخشري ، فقد نقل هؤلاء العلماء الثلاثة أمثال حمزة برمتها إلى كتبهم في الأشغال ، مصرحين بذلك في مقدمات الكتب .

ومثل ياقوت الحموي الذي نقل كثيرا عن كتاب الموازنة في معجمي الأدباء والبلدان ، وأبي منصور الثعالبي ، وقد نقل عن حمزة في ثمار القلوب ، وأبي الريحان البيروني الذي نقل عنه في الآثار الباقية ، والصفدي الذي نقل عنه في الغيث المسج ، وعبد القادر البغدادي ، وقد نقل عنه كثيرا في خزنة الأدب ، وغيرهم من العلماء .

وقد مالت كتب التراجم القديمة إلى اعتبار حمزة أدبيا ، إذ وصفه ابن النديم بأنه « كان أدبيا مصنفا » ووصفه السمعاني بأنه « كان من فضلاء الأدباء » ووصفه أبو نعيم بقوله : « أبو عبد الله الأديب » وقال عنه القفطي : « وتصانيفه في الأدب جميلة » .

أما المستشرقون الذين درسوا حياته وآثاره فقد مالوا إلى اعتباره مؤرخا ، وذلك لانشغاره بينهم بكتابة « تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء » الذي قام بعضهم بنشره لأول مرة عام ١٨٤٠ م وقد كان ذلك سببا في أن يعده بـ « ملوكمان » من المؤرخين ، وأن يترجم له في القسم الخاص بالتاريخ من كتابه وقد عدله ياقوت لغويا ، حيث قال عنه : « وهو صاحب لغة ومعنى بها » .

والحق أن حمزة يجمع هذه الأوصاف الثلاثة ، فهو

يسا مستعيرا كتابي بسا لله رد الأمانه

ورده عن قريب فالعطل عين الخيسانه
كتاب الأشغال برسم خزانه من لا مثل له غيات من أم له
بما أمله . صاحب الكرسي والحضرة شيخ الشيخ سيف
القدرة ناصر دين الله وعامر ملكه البسيط قطب الوجود
والحافظ البحر المحيط جمال الدنيا والدين الشيخ محمد نور
الدين علي بن شهاب الدين أحمد بن جمال الدين محمد ابن
الفرد النجام والنور الساطع سني المناقب صاحب الراتب
مولانا الشيخ الخشيري . نفع لله بهم ، ولأزال الحفاظ في
سعادة ... »

وفي هامش الورقة بحرف دقيق : « من الله سبحانه وتعالى
على عبده الفقير [الاسم ممسوح] الأستانة العلية حفظها
وحجهاها رب البرية أمين ١٥ رجب سنة ١٣١٥ .

وفي هامش الورقة الأخيرة وبالقلم نفسه : « وكان الفرغ
من تحريره وبالعناية الأتلية كمل وتم في عاشر شهر الله
المحرم المنتظم في سلك شهور سنة سبع وتسعين وتسعمائة
يلي ذلك عبارة أخرى : « قد نسخ هذا الكتاب برسم
مولانا سيدى الشيخ البحر المحيط ... الشيخ محمد
الخشيري . بدار السلطنة أحمد آباد .

نسخة مصورة بالفستقات عن نسخة خطية في خزنة كتب
الحاج حمدي الأعظمي ببغداد برقم ٧٨-١٠٤٨ .

بخط النسخ

٦٦ ق ، ٢٩ ص (٣ / أدب - قصة)

(مخطوطات المجمع العلمي العراقي ٢ / ١٧٤-١٧٦) .

(الدورة الفاغرة في الأشغال السائرة للإمام حمزة بن الحسن الأصبهاني -
حققه وقدم له ووضع حواشيه وفهارسه عبد المجيد قطاش ١ / ٧ ، ١١ ،
١٢ - ١٤ ، ١٨ - ٢٣ مقدمة التحقيق ، والأعلام للزركلي ٣٢ / ٧٧ وقد
أدرجه تحت اسم « حمزة الأصبهاني » ، وإياه الرواة للفتل - بتحقيق
محمد أبي الفضل إبراهيم / ١ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ومخطوطات المجمع
العلمي العراقي - ببغداد ٢ / ١٧٤-١٧٦) .

له ترجمة في تلخيص ابن مكيوم / ٦٤ ، والفهرست لابن
النديم / ١٣٩ ، وهدية العارفين للبغدادي ١ / ٣٣٦ وقد
أدرجه تحت اسم « الأصبهاني » .

أديب ، لغوي ، مؤرخ كما تشهد بذلك كتبه والموضوعات
التي تناولتها .

وقد نوه بمكانة حمزة العلمية والأدبية بعض معاصريه ...

كما عده الثعالبي من ظرافه الأدباء الذين جمعوا فصاحة
العرب البلغاء إلى إتقان العلماء ، ووعورة اللغة إلى سهولة
البلاغة ، وقرنه بالصاحب بن عباد ، والخوارزمي ، وأبى الفتح
المراعي ، والقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني ، وأحمد بن
فارس القزويني (الدورة الفاغرة / ٢٢ ، ٢٣) .

ويوجد مخطوط كتاب الأشغال لحمزة الأصبهاني في
المجمع العلمي العراقي وجاء بيانه كما يلي : مع ملاحظة أن
أوله يطابق أول كتاب الدورة الفاغرة في الأشغال السائرة » الذي
سبق ذكره والذي يشمل ما جاء من الأشغال على قولهم : « هو
أقل من كذا » (نسختي ص ٥٥) وإليك بيان المخطوط :

أوله : « بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله وحده ...
هذا كتاب أودعته فنا من الأشغال السائرة عن العرب ، وهو أكثر
ما يجري منها على لسان الفصحاه ... وقد سبق إلى تأليف
ذلك جماعة من علماء اللغة ، وللأصمعي في ذلك كتاب
خفيف الحجم مقدار عشر ووقات ، وللحياتي أيضا كتاب
يقرب من كتاب الأصمعي . وفي آخر كتاب أبي عبيد الله
ضمينه بعض ما في كتاب الأصمعي وكتاب اللحياتي .
وتعقب هؤلاء محمد بن حبيب البصري فأنف في ذلك كتابا
نقل إليه ما في تلك الأصول وزاد عليهم زيادة كبيرة . إلا أن
جل ما أودع كتابه من هذه الأشغال يبلغ عدده ثلثمائة وتسعين
مثلا وقد أودعت ذلك كله هذا الكتاب وزدت عليه زيادة
بلغت بمقدار الأشغال ألفا ومائتي مثل ، سوى أمثال مولدة
مزوجة ، جمعتها في الباب التاسع والعشرين ، يبلغ عددها
خمسماية مثل ونيفا . فيبلغ عدد أمثال هذا الكتاب بها ألفا
وثمانمائة مثل وكسرا ، وألفته على نظام حروف المجمع
ليسهل تناول ما يراد منه على متتمه . وختمت الكتاب بتواذر
من الكلام لم يصنف في مثلها كتاب » .

آخره : « تم الكتاب بعون الملك الوهاب . وصلى الله
على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

جاء في الورقة الأولى ، ويخط يختلف عن خط الكتاب :

• أبو حمزة البغدادي البزار (٢٨٩ هـ) :

أدرجه الشيخ السلمي في الطبقة الثالثة للصوفية وقال عنه :

هو أبو حمزة البغدادي البزار، صاحب السري في المغلس السقطي، ويشرا الحافى .

كان يتكلم ببغداد في مسجد الرصافة قبل كلامه في مسجد المدينة، وكان يتمنى إلى حسن المسوحى وكان عالما بالقرآءات .

وتكلم يوما في جامع المدينة، فتغير عليه حاله، وسقط عن كرسيه، ومات الجمعة الثانية، ومات قبل الجعيد .

وكان من رفقاء أبي تراب النخشي في أسفاره، وهو من أولاد عيسى بن أبيان . وكان أحمد بن حنبل إذا جرى في مجلسه شيء من كلام القوم يقول لأبي حمزة : « ما تقول فيها يا صوفى ؟ »

ودخل البصرة مرارا، توفي سنة تسع وثمانين ومائتين .

ومن كلامه :

من المحال أن تحبه ثم لا تذكره، ومن المحال أن تذكره ثم لا يرجدك طعم ذكره، ومن المحال أن يرجدك طعم ذكره ثم يشغلك بغيره .

خرجت من بلاد الروم فوفقت على راهب، فقلت له : عندك من خير من قد مضى ؟ قال : نعم ! فريق في الجنة و فريق في السعير ﴿ [الشورى : ٧] .

استراح من أسقط من قلبه محبة الدنيا، وإذا خلا للقلب من محبة الدنيا دخله الزهد، وإذا دخله الزهد أورثه ذلك التوكل .

من رزق ثلاثة أشياء من ثلاثة أشياء فقد نجا من الآفات : بطن خال مع قلب قانع، وقر دائم مع زهد حاضر، وصبر كامل مع ذكر دائم .

وقال الجعيد : « وافى أبو حمزة من مكة وعليه وعشاء السفر، فسلمت عليه وشهيت، فقال : سكباج وعصيدة تخليق بهما، فأخذت مكوك دقيق وعشرة أرطال لحم وبانذجان وخلل عشرة أرطال دبس، وصنعنا له عصيدة وسكباجة، ووضعناها في حير لنا، وأسيبت السثرة، فدخل

وأكله كله، فلما فرغ دخلت عليه، وقد أتى على كله، فقال لى : يا أبا القاسم ! لا تمجب فهذا من مكة الأكلة الثالثة .

(السكباج : مرق يعمل من اللحم والخل، وربما جعل فيه زعفران، والمكوك : مكياك نصف رطل إلى ثمانى أواقى . والدبس : عسل التمر . والحير : الجستان) .

ليس السخاء أن يعطى الواجد المعدم، إنما السخاء أن يعطى المعدم الواجد .

حب الفقر شديد، ولا يصبر عليه إلا صديق .

إذا فتح الله عليك طريقا من طرق الخير فالزمه، وإياك أن تنظر إليه وتفتخر به، ولكن اشتغل بشكر من وفقت لذلك، فإن نظرك إليه يسقطك عن مقامك، واشتغالك بالشكر يوجب لك منه المزيد، لأن الله تعالى يقول ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾ [إبراهيم : ٧] .

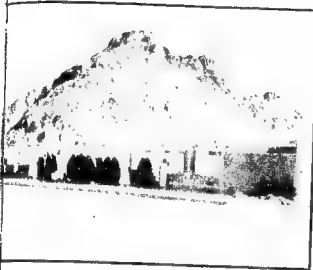
من علم طريق الحق سهل عليه سلوكها، وهو الذى علمها بتعليم الله إياه، ومن علمها بالاستئلال فسرته يغلط ومرة يصيب، ومن تبع في أثر الدليل الصادق الناصح بلغ عن قريب إلى مقصده . ولا دليل على الطريق إلى الله تعالى إلا متابعة الرسول ﷺ في أحواله وأفعاله وأقواله .

إذا سلمت منك نفسك فقد أدبت حقها، وإذا سلم منك الخلق فقد أدبت حقوقهم .

(طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمى - يرويه أحمد الشرباصى / ٧٠-٧١) .

• حمزة بن عبد المطلب (٥٤ هـ - ٢٥٦ م) :

من أوائل المهاجرين سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه، هم رسول الله ﷺ، يقال له أسد الرحمن . وأسد رسول الله ﷺ وعمه وأخوه من الرضاة كنيته أبو عمارة كنى بإبن له عمارة من امرأة من بنى النجار . وقيل كنيته أبو يعلى كنى بإبنه يعلى ولم يعقب و أمه هالة بنت أميئب بن عبد مناف بن زهرة وهى بنت عم أمية بنت وهب أم رسول الله ﷺ وهو شقيق صفية بنت عبد المطلب أم الزبير ابن الموام رضى الله عنهم . وكان حمزة أسن من رسول الله ﷺ بستين . وقيل بأربع وأثنى رسول الله ﷺ بينه وبين زيد بن حارثة، أسلم حمزة في السنة الثمانية من بعث رسول الله ﷺ ومهاجر إلى المدينة وشهد بدرًا وبأبلى فيها بلاء عظيما وقاتل بسيفين قال أبو الحسن الملائى أول لواء عقد رسول الله ﷺ



بقرة سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب
ومن خلفها جالب من جبل أحد

قد تكرر نزول هذه الآيات في هذه الواقعة وفي قصة العندين ،
وعن أبي مسعود رضي الله عنه : ما رأينا رسول الله ﷺ - باكيا
أشد من بكائه على حمزة رضي الله عنه ، ووضعه في القبة ،
ثم وقف على جنازته ، وانتحب حتى نشق ... أي شق حتى
بلغ به الغشى يقول : يا عم رسول الله ، وأسد الله وأسد رسول
الله ... يا حمزة يا فاعل الخيرات ، يا حمزة يا كاشف
الكريات ، يا حمزة يا مانع عن وجه رسول الله ... وقال ما قال
بعد أن كف عن البكاء ... فهو ليس من الندب . المحرم ...
وإنما هو من ذكر محامدين الميت ... وأمر رسول الله ﷺ الزبير
رضي الله عنه أن يرجع أمه صفية أخت حمزة حتى لا تقع عينها
عليه ... فلغته في صدره وهي تقول : ولم ؟ ... وقد بلغني
أنه مثل ياشي ... وذلك في الله ... فما أرضاني بما كان في
الله من ذلك ... فقال الرسول ﷺ : خل سبيلها ... فجاءت
واسترجعت ، واستغفرت له وهي تبكي ... والرسول يضع يده
على صدرها خوفا على عقلها ... وقال : لولا أن تجزع صفية
ونسألتنا لتركنا حمزة ولم نندعه حتى يحشر من بطون الطير
والسباع ... ثم صلى عليه فكبر أربع تكبيرات ، ثم أتى
بالقتلى يوضعون إلى جنب حمزة : واحدا بعد واحد ...
فصلى على كل واحد منهم مع حمزة ثم يرفع ويؤتي بأخر
فصلى عليهم وعليه معهم حتى صلى عليه ننتين وسبعين

لحمزة بن عبد المطلب حين يعنه في سريه إلى سيف
البحر بكسر السين من أرض جهينة وخالفه ابن إسحاق فقال
أول لواء عقده لميمنة بن الخرت بن عبد المطلب . استشهد
يوم أحد في نصف شوال من السنة الثالثة من الهجرة بعد أن
قتل أحدا وثلاثين من الكفار ودفن عند أحد في موضعه وقبره
مشهور بزار ويتبرك به . وحزن عليه رسول الله ﷺ والصحابه
رضي الله عنهم (تهذيب الاسماء واللغات / ١ ، ١٦٨ ، ١٦٩) .

وقد قتله وحشى ، مولى جبير بن مطعم ، وكان طعنه بن
عدى قد أصيب يوم بدر ، فلما سارت قريش إلى أحد قال
جبير لروحشى : إن قتلت حمزة عم محمد فانت عتيق فخرج
وحشى من الناس فرأى حمزة في عرض الناس مثل الجمل
الأورق ، يهد الناس بسيفه هذا ، ما يقوم له شيء فدفع وحشى
حرته فأصاب حمزة رضي الله عنه فقتله .

وقد أسلم وحشى بعد هذا وفجع إلى رسول الله ﷺ
بالمدينة ، فلما رآه طلب منه أن يحدثه كيف قتل حمزة ، فلما
حدثه بذلك قال رسول الله ﷺ : « ويحك ! غيب عني
وجهلك ، فلا أرينك » فكان وحشى يتكذب رسول الله ﷺ
حيث كان لتلا براه ، حتى قبض رسول الله .

ولما خرج المسلمون إلى مسيعة الكذاب صاحب اليمامة
خرج وحشى معهم ، وأخذ حرته التي قتل بها حمزة فلما
التقى الناس رأى مسيعة الكذاب قائما في يده السيف ، فنهبا
له ، ونهبا له رجل من الأنصار من الناحية الأخرى ، كلاهما
يريده ، فلدغ وحشى حرته عليه ، فوقع فيه ، وشد عليه
الأنصارى ففسره بالسيف ، وفي ذلك يقول وحشى : فريك
أعلم أنا قتله فإن كنت قتله فقد قتلت خير الناس بعد رسول
الله ﷺ . وقد قتلت شر الناس (السيرة النبوية / ٣ ، ٢١ - ٢٣) .

لما وقف رسول الله ﷺ على جثمان عمه حمزة بن عبد
المطلب الذي استشهد في معركة أحد ورأى ما به من تمثيل
وشربه قال : « لن أصاب بمثلك أبدا » ما وقفت موقفا أغبط
لى من هذا ... رحمة الله عليه ... فإنك كنت ما علمتك فعولا
للخيرات ... وصولا للرحم ... أما والله لأمنن بسبعين منهم
مكانك ... وشاركه المسلمون في هذا الوعيد ... فأقول الله
تعالى : « وإن عاقبتهم فعاقبوا بعقل ما عوقبتهم به وإن صيرتم
لهو خير للصابرين » واصبر وما صبرك إلا بالله » ... فمما
رسول الله ﷺ - وصبر ، ونهى عن المثلة ، وكفر عن بعينه ...

المدينة المنورة / ١٧٥ ، ١٧٦) من بينهم قبر مصعب بن عمير وعبد الله بن جحش (المدينة المنورة / ١٧٥) .

وقد اعتاد الحجاج زوار المدينة زيارة قبر سيد الشهداء وشهداء أحد ليتذكروا الأثرة وليتذكروا معركة أحد الحاسمة وما بها من عظة وعبرة .

الطريق إلى قبور الشهداء :

يتجه الزائر شمالاً من المشاة حتى يصل ثنية الرذاع ثم يترك الطريق اليسرى ويمسك طريق الإسفلت المسمى طريق سيدنا حمزة حتى يصل إلى وادي قناة فقير سيد الشهداء فقير شهاده أحد . والمسافة من المدينة إلى قبور الشهداء نحو ثلاثة كيلو مترات (فصول من تاريخ المدينة المنورة / ١٧٨) .

ومن شعره رضى الله عنه قوله رحمه الله يذكر لقاءه أبا جهل وأصحابه من قصيدة :

عشية صاروا حاشدين وكلنا

مراجله من فيض أصحابه تغلى

فلما تراءونا أنا نخسوا ففعلوا

مطابها وعقلنا ممدى غرض النبل

وقلنا لهم : جيل الإله نصيرنسا

وما لكم إلا الضلالة من حبل

فشار أبو جهل هنالك بأخينا

فغضب ، ورد الله كعبه أبى جهل

وما نحن وإلا فى ثلاثين راكبا

وهم مائتان بعد واحدة فضل

(المنة / ١ / ٣٦) .

ومما جاء فى رثاء حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه ما أورده صاحب اللسان فى مادة « بكأ » حيث يقول :

قال حسان بن ثابت ، وزعم ابن إسحاق إنه لعبد الله بن رواحة ، وأنشده أبو زيد لكعب بن مالك فى أبيات :

بكت عينى وحس لها بكاسها

وما يغنى البكاء ولا الممويل

على أسد الإله فدلالة قالوا :

أحمزة ذكأم السرجل القليل؟

صلاة ... وصلى على حمزة والشهداء من غير غسل لهم ، ولم يصح عند الشافعى حديث الصلاة على قتلى أحد ... ولكنه صح عند غيره ومنهم الحنفية الذين احتجوا على الصلاة على الشهيد بحديث جابر وأورده فى مراسيله عن عطاء بن رباح أن النبي ﷺ صلى على قتلى أحد ، وقد اعتقد هذا المرسى بمرغوبه غيره فقد رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد وقد ثبت أن عمرو بن العاص صلى على مائة وثلاثين استشهدوا فى فتح فلسطين وكان معه تسعة آلاف من المسلمين (شهد حمزة رضى الله عنه / ٢٠٣) .

قال ابن إسحاق :

« مر رسول الله ﷺ بدار بنى عبد الأشهل فسمع البكاء والنواح على قتلاهم فى معركة أحد فلزفت عينا رسول الله ﷺ ثم قال : لكن حمزة لا يواكى له » .

فلما رجع سعد بن معاذ وأسيد بن حضير إلى دار بنى عبد الأشهل أمر نساءهم أن يبكين على عم رسول الله ، ولكنه ﷺ لما سمع بكاءهن خرج عليهن فقال : « أروجن يرحمكم الله فقد آسيتن بأنفسكن » ثم نهى رسول الله ﷺ عن النوح .

وعن عباد بن الصامت « أن رسول الله ﷺ كان يأبى قبور الشهداء بأحد على رأس كل حول فيقول : سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » .

قبر سيد الشهداء :

دفن ﷺ معه حمزة على ربوة بحافة وادى قناة الشمالية فى الشمال الغربى لجبل الزمعة وفى جنوب جبل أحد . ودفن معه ابن أخته عبد الله بن جحش .

وقد بنت الحكومة السعودية سوراً على منطقة القبر وجعلت له درجاً أسميته لسهل الصعود للربوة والقبر عند التزيرة كما جعلت له شباكاً من حديد وياها من جهة الجنوب على طرف وادى قناة « ويسمى أيضاً وادى سيد الشهداء » ووادى سيدنا حمزة » .

قبور الشهداء

قال المؤرخون : إن شهداء أحد مبعون شهيداً منهم ٦٤ أنصاريًا و (٦) من المهاجرين . وقد دفن أكثرهم فى الجهة الشمالية لقبر سيد الشهداء وأحيطت قبورهم بسور من جميع الجهات رحمهم الله ورضى عنهم وأرضاهم (فصول من تاريخ

أصيب المسلمون بسبه جميعاً
هناك وقد أصيب بك الرسول
أبى يعلى لك الأركان هددت
وأنت المجاهد البير الوصول
عليك سبيلهم ريك في جنسهم

منها طهراً نعيم لا يزول
قال ابن بَرِّي: وهذه من قصيدة ذكرها النحاس في طبقات
الشعراء، قال: والصحيح أنها لكعب بن مالك (لشأن العرب ٤
/ ٣٣٧).

لاحظ في أول البيت الرابع قوله «أبى يعلى» لأنها - كما
سبق القول - كنية حمزة رضي الله عنه.

(تهذيب الأسماء واللغات للإمام محيي الدين بن شرف النووي /
١٦٨، ١٦٩، والسيرة النبوية لابن هشام - قدم لها وعلق عليها وضياعها
الأستاذ طه عبد الروبول سعد ٣ / ٢١-٢٢، و «مشهد حمزة رضي الله
عنه ٥-د». محمد محمد الشربلوي، شجرة الأثر. الجزء الثاني، السنة
السادسة والخمسون، صفر ١٤٠٤ هـ - نوفمبر ١٩٨٣ م / ٢٠٣،
والمدينة المنورة وأهل بلدي في الإسلام - صدقة حسن خاشغجي ومحمد
عبد الجليل التمر، ١ / ١٢٥، وفصول من تاريخ المدينة المنورة - علي
حافظ، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٨، والمدينة لأبن رشتين - حققه وفضله وعلق
حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد ١ / ٣٦، ولسان العرب لابن
منظور ٤ / ٣٣٧. انظر أيضاً الأعلام للزركلي ٢ / ٧٧٨ وقد أدرجه تحت
اسم «الحمزة»، وأنشئ السليبي والساربي لأبي عبد الله محمد بن أحمد
القيسي الشهير بالسراج الملقب بابن مليح - حققه وقدم له وعلق عليه
محمد القاضي / ١٠٦، ١٠٧).

ملاحظة: الصورة المصاحبة لهذه المادة تبين مقبرة سيد الشهداء
حمزة بن عبد المطلب وقد ظهر خلفها جبل أحد، وقد أختلت من كتاب
فالمدينة المنورة ١ / ١٢٧).

• حمزة بن عمرو الأسلمي (٦١٠هـ):

قال عنه الإمام النووي: حمزة بن عمرو الأسلمي
الصحابي رضي الله عنه مذكور في المختصر والمهذب في
النباه. هو أبو صالح وقيل أبو محمد حمزة بن عمرو بن
عويمر بن الحرث بن الأجرع بن سعد بن رزاح براء مفتوحة ثم
زاي وبالحاء المهملة بن عدلى بن سهل وقيل سهم بن مازن

ابن الحرث بن سلمان بن أسلم بن أقصى بن حارثة الأسلمي
روى له عن رسول الله ﷺ تسعة أحاديث روى مسلم في
صحيحه حديثاً. روت عنه عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها
وابنه محمد وعروة بن الزبير وسليمان بن يسار وغيرهم. توفي
سنة [حدى وستين وهو ابن إحدى وسبعين سنة وقيل ابن
ثمانين وكان يصوم الدهر ثبت هذا في صحيح مسلم. أخبرنا
أبو إسحاق الواسطي أنبا الفراوي أنبا الفارسي أنبا الجلودى
أنبا ابن سفيان أنبا أبو ثناء مسلم ثنا أبو الربيع ثنا حماد ثنا هشام
عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها «أن حمزة بن عمرو سأل
النبي ﷺ فقال يا رسول الله إني رجل أسرد الصوم أفأصوم في
السفر؟ قال صم إن شئت وأفطر إن شئت» وروى البخاري
في تاريخه بإسناده عن محمد بن حمزة هذا عن أبيه قال «كنا
مع رسول الله ﷺ في سفر ففترقنا في ليلة ظلماء فأفسدت
أصابعي حتى جمعوا عليها ظهري وما هلك منهم وإن
أصابعي لتتير» وروى بإسناده «أن النبي ﷺ كناه أبا صالح»
(تهذيب الأسماء واللغات ١ / ١٦٩).

وقال عنه صاحب الرياض المستطابة: وهو الذي بشر
الصديق رضي الله عنه بفتح وقعة أجنادين (أوردناها في ٢ م /
٤٥٤-٤٥٨ تحت عنوان «أجنادين» موقعة -) فانظرها في
موضعها إن شئت).

أخرج له مسلم حديثاً واحداً، هو حديث الصوم في
السفر وخبر عنه أبو داود والنسائي، عنه ابنه محمد وسليمان
ابن يسار. وقد توفي سنة [حدى وستين وهو ابن إحدى
وسبعين سنة] وقيل ابن ثمانين، والله أعلم (الرياض المستطابة /
٥٩).

(تهذيب الأسماء واللغات للإمام محيي الدين بن شرف النووي /
١٦٩، والرياض المستطابة للإمام يحيى بن أبي بكر البامري البستي /
٥٩).

• حمزة بن محمد (٢٧٥-٢٧٧هـ / ٨٨٨-٩٦٨ م):

حمزة بن محمد بن علي بن العباس الكنتاني المصري،
أبو القاسم، من حفاظ الحديث رحل إلى العراق في طلبه.
وكان وزعاً كثير العبادة. له «البطاقة» مخطوطة، وهي أمال
في الحديث (الأعلام ٢ / ٢٨٠).

وجاء عنه في «المحدثون في مصر والأثر» ما يلي:
ومن محدثي الديار المصرية الحافظ أبو القاسم الكنتاني
المصري حمزة بن محمد بن علي بن العباس.

وهكذا عاش حياته الحافلة بخدمة السنة وعبادة الله تعالى والقرب منه إلى أن توفي في شهر ذي الحجة في عام سبع وخمسين وثلاثمائة ٣٥٧ هـ (المحدثون في مصر والأضر / ١٦٨ ، ١٦٩) .

وقد ذكره صاحب الرسالة المستطرفة في أصحاب الأجزاء الحديثية فقال : وجزء البطاقة من إملاء أبي القاسم حمزة بن محمد بن علي بن العباس الكنانى المصرى الحافظ المتوفى سنة سبع وخمسين وثلاثمائة ، روى عنه أبو الحسن على بن عمر بن محمد الحراني المصرى الصراف المتوفى سنة إحدى وأربعين وأربعمائة ، ذكره فى حسن المحاضرة (الرسالة المستطرفة / ٦٧ ، ٦٨) .

(الأخلاق للزركلى ٢/ ٢٨٠ ، والمختصر فى مصر والأضر- أ.د. الحسينى هاشم وأ.د. أحمد عمر هاشم / ١٦٨ ، ١٦٩ ، والرسالة المستطرفة للإمام السيد محمد بن جعفر الكتاني / ٦٧ ، ٦٨) .

• أبو حمزة الخراساني:

أورده الشيخ السلسى فى الطبقة الثالثة للصوفية وقال عنه: هو أبو حمزة الخراساني ، وكان أصله من نيسابور من محلة مقابلاباذ ، صاحب مشايخ بغداد ، وهو من أقران الجنيد ، سافر مع أبى تراب النخشى ، وأبى سعيد الخراز ، وهو من أئمة المشايخ وأورعهم . ومن كلامه :

.. من نصيح نفسه كرمت عليه ، ومن تشاغل عن نصيحتنا هانت عليه .

.. وسئل عن الأسس فقال : ضيق الصدر عن معاشره الخلق .

.. من استشعر ذكر الموت حبيب إليه كل باقى ، ويُفْضِ إلى كل فان .

.. العارف يخاف زوال ما أعطى ، والخائف يخاف نزول ما وعد ، والعارف يدافع عيشه يوما ليوم ، ويأخذ عيشه يوما ليوم .

.. وسئل عن الصوفى فقال : من صفى من كل دن ، فلم يبق فيه وسخ المخالفات بحال .

.. من استوحش من نفسه أنس قلبه بموافقة مولا .

أخذ العلم على كبار علماء عصره وأتمه زمانه فقد تلمذ على عبد الرحمن الشافى وأبى يعلى الموصلى وعمران بن موسى بن حميد الطيب ، وطوف فى كثير من الأقطار طلبا للعلم .

قال عنه الذهبي أكثر التطواف وجمع وصفه وكما أخذ العلم فى رحلاته عن الشيخ فقد كان يأخذ عنه العلم كثير من التلاميذ أمثال ابن منده ، وأبى الحسن الدارقطنى .

قال عنه الحاكم : حمزة المصرى على تقدمه فى معرفة الحديث كان أحد من يذكر بالزهد والورع والعبادة .

وقال عنه الحافظ عبد الغنى : كل شيء لحمزة فى سنة خمس . ولد سنة خمس وسبعين ومائتين ، وأول ما سمع منه سنة خمس وتسعين ، ورحل سنة خمس وثلاث مائة .

وقال عنه الصوري : كان حمزة ثيبا حافضا .

وقال عنه ابن زولاق : حدثني حمزة الحافظ قال رحلت سنة خمس ودخلت حلب وقاضياها أبو عبد الله محمد فكتبت عنه فكان يقول : لو عرفتك بمصر لمالات ركايك ذعبا فيقال إنه أعطاه مائتي دينار فرحل بها إلى العراق .

قال أبو عمر بن عبد البر : سمعت عبد الله بن محمد بن أسد سمعت حمزة الكنانى يقول خرجت حديثا واحدا عن النبي ﷺ من نحو مائتي طريق فدخلتني للملك من الفرح غير قليل وأعجبت بذلك فرأيت يحيى بن معين فى المنام فقال : يا أبا بكر خرجت حديثا من مائتي طريق فسكت عنى ساعة ثم قال :

أعشى أن يدخل حله تحت ﴿ ألهاكم التكاثر ﴾

وقال ابن منده : سمعت حمزة بن محمد الحافظ يقول : كنت أكتب الحديث ولا أكتب « وتسلم » فرأيت النبي ﷺ فى المنام فقال لى : أما تختم الصلاة على فى كتابك ؟

وقال الذهبي : أنبأنى الخضر بن حمويه وطائفة عن القاسم بن عساکر أنا أبى أنا ابن الأكاشى أنا سهل بن بشر سمعت على بن عمر الحراني سمعت حمزة بن محمد وجاءه غريب فقال : عساكر المعز قد وصلوا إلى الإسكندرية فقال : اللهم لا تعينى حتى ترضى الرايات الصفراء فمات حمزة ودخل عسكرهم بعد موته بثلاثة أيام .

ومحمد بن داود وإسراهم الكاتب . والشيخ علي بن القطان الزاهد الحيري . وحمود الصالح محمد الحظاري . وكان هو بنفسه يصحب محمد بن القيمة بياب الأرج . وانتفع به .
(تاريخ علماء المستنصرية - د. ناجي معروف / ١ / ١٥٢).

• حمزة فتح الله (١٣٦٦ - ١٣٦٦ هـ / ١٨٤٩ - ١٩١٨ م) :

هو الشيخ الوقور، اللغوي المحجة التقى حمزة فتح الله المفتش الأول للغة العربية بوزارة المعارف المصرية .

ولد رحمه الله بشر الإسكندرية سنة ١٢٦٦ هـ . (١٨٤٩ م) ونشأ بها ، وبعد أن حفظ القرآن الكريم انتظم في سلك طلبة العلم بجامع الشيخ إبراهيم ثم أكمل دراسته بالأزهر الشريف ، وأمعن في قراءة الأدب واللغة ، وقرض الشعر وحرر الرسائل وحفظ الغريب . ثم عاد إلى الإسكندرية واختير (في منتصف العقد الثالث من عمره) محرراً في إحدى الصحف التونسية (الوسط / ٣٢٩) هي جريدة الراصد التونسي الرسمية ، الأعلام / ٢ / ٢٨٠) فمكث هناك حوالي ثمانين سنوات اكتسب فيها الدربة على كتابة الصحف السياسية ، ثم عاد إلى مصر في زمن قيام الثورة العربية (الوسط / ٣٢٩) فحضر جريدة «البرهان» ثم جريدة «الاعتدال» (الأعلام / ٢ / ٢٨٠) وبعد أن انتهت الثورة العربية استخدم في وزارة المعارف ومكث بها زهاء ثلاثين سنة متقللاً بين التفقيش والتلويس ، حتى كان في سنة ١٩١٠ م مفتشاً الأول للغة العربية ، وفي غضون تلك المدة نذبه الحكومة مرتين لحضور مؤتمر المتعربين (مؤتمر المستشرقين في فيينا عاصمة النمسا ، ثم في استوكهولم عاصمة السويد الأعلام / ٢ / ٢٨٠) ممثلاً لها لما فيها من الفقه ، ولما له من غزارة المادة ، وسعة الاطلاع .

قالت المؤلفة : ذكر الشيخ محمود عمر الباجوري رحمه الله ، في ترجمته الذاتية التي أدرجها الشيخ عبد الله مصطفى المراغي في كتابه « الفتح المين » (ص ١٧١) أن أعضاء الوفد المصري الذين عينتهم الحكومة لحضور مؤتمر المستشرقين هذا هم : الشيخ محمود عمر الباجوري صاحب الترجمة ، وعبد الله باشا فكري ، وأمين بك فكري ، والشيخ حمزة فتح الله .

وقد أحيى الشيخ حمزة فتح الله إلى المعاش سنة ١٣٣٠ هـ .

— وقال له رجل : أوصني . فقال : هيء زادك للسفر الذي بين يديك ، فكأنك بك وأنت في جملة الراحلين عن منزلك ، وهيء لنفسك منزلاً تنزل فيه إذا نزل أهل الصوفة منازلهم ، لتلا تبقى متحصراً .

— وقال لبعض أصحابه : خف سطوة العدل ، وارج رافة الفضل ، ولا تأمن من مكروه ، وإن أنزلك الجنان .

— من خصه الله تعالى بنظرة شفقة فإن تلك النظرة تنزله منازل أهل السعادة ، وتزينه بالصديق ظاهراً وباطناً .

— وسئل : هل يتفرغ المحب إلى شيء سوى محبوبه ؟ فقال : لا ، لأنه بلاه داكم ، وسرور متقطع ، ولوجاع متصلة لا يبرها إلا من ياشرها . وأئند .

يقاسي المقاسي شجوه دون غيره

وكلي بلاء عند لاقيه لوجع

— وسمع بعض أصحابه وهو يلوم بعض إخوانه على إظهار وجهه وغبلة الحال عليه ، وإظهار سره في مجلس فيه بعض الأصدقاء ، فقال : أقصر يا أخي ، فالواجب الغالب يسقط التمييز ، ويجعل الأماكن كلها مكاناً واحداً ، والأحيان عينا واحدة ، ولا لوم لمن غلب عليه وجهه ، فاضطره إلى أن يبدله .

(طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي - سره وزيه أحمد الشراصي / ٧٩) .

• حمزة الضير (١٧٤ هـ) :

من المعينين الحائبة بالمعروفة المستنصرية .

كان معيداً للمحابلة عند الشيخ تقى الدين الزيزيراني بالمستنصرية . وكان يحفظ القرآن . وقد لازمه جماعة من المكثرين ، والزهاد . قال ابن رجب : « ومن خواصه الشيخ أحمد بن عبد الرحمن السقا ، مربي الطائفة والشيخ أحمد بن التماشكي المعيد وصنف كتاباً في الفقه وعرضه عليه . وولده محمد القرضي . وشيخنا شهاب الدين أحمد بن محمد الشيرجي الزاهد ، أحاد يمل به بالمستنصرية عند شمس الدين محمد بن سليمان التهرماني الملقب بالمستنصرية إلى الآن - توفي سنة أربع وستين وسبع مائة . ودفن بمقبرة أحمد بن حنبل وذكر ابن رجب في ترجمته أنه كان إمام التعبير . وقرأ السورة من آخرها إلى أولها ... وقد لازمه محمد بن عبد الله المقرئ ،

قد خصصهما بكل مزية ، وأن جميع ما يتجدد من أنواع الملتنية الحديثة قد سبق إلى تنوعه العرب ، وأن لاسمه مرادفا في لغتهم ، يعرف ذلك من خالطه أو قرأ مواهبه .

مؤلفاته : مما عرف من مؤلفاته كتاب « المواهب الفتحة في علوم اللغة العربية » مطبوع مجلدان و « باكرة الكلام على حقوق النساء في الإسلام » ، ورسالة في التوحيد هي « العقود الدرية في العقائد التوحيدية » مطبوع ، وأخرى في الخيل هي « هداية الفهم إلى بعض أنواع الوسم » مطبوع ، وهو رسالة في وسم الإبل والخيل وغيرها عند العرب ، و « انتفضة السنية في التاريخ العربية » مطبوع ، وكتيب في المفردات الأصحجية التي في القرآن . وله شعر (الربيع ٣٣٩-٣٤١ ، والأضاح ٢ / ٢٨٠) (الوسط في الأدب العربي وتاريخه - الشيخ أحمد الإسكندري وفتيح مصطفى حناني / ٣٣٩-٣٤١ ، والأضاح للمزكي ٢ / ٢٨٠ ، والفتح المبين في طبقات الأصفين - الشيخ عبد الله مصطفى المراغي ٣ / ١٧١) .

• حمزة القراري (١٥٦٨-٨٠ هـ / ١٧٧٢-٧٠٠ م) :

هو حمزة بن حبيب بن عمار بن إسحاق الإمام الجدد أبو عمار الكوفي النجفي مولاهم وقيل من صميم العرب . الزيات أحد القراء السبعة .

ولد سنة ثمانين وأدرك الصحابة بالنسب فيحتمل أن يكون رأى بعضهم أحد القراء عرضا عن سليمان الأعمش وحمزان ابن أحن وأبي إسحاق السبيعي ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وطلحة بن مصرف ومغيرة بن مقسم ويثرب بن أبي سليم وجعفر بن محمد الصادق وقيل بل قرأ الحروف على الأعمش ولم يقرأ عليه جميع القرآن قالوا استفتح حمزة القرآن من حمزان وعرض على الأعمش وأبي إسحاق وابن أبي ليلى وكان الأعمش يجود حرف ابن مسعود وكان ابن أبي ليلى يجود حرف علي وكان أبو إسحاق يقرأ من هذا الحرف ومن هذا الحرف وكان حمزان يقرأ قراءة ابن مسعود ولا يخالف مصحف عثمان بفتح حروف معاني عبد الله ولا يخرج من موافقة مصحف عثمان وهذا كان اختيار حمزة .

كان لا يأخذ أجرا على القرآن لأنه تملذهب بحدِيث التعليل في أخذ الأجرة عليه ، حمل إليه رجل من مشاهير الكوفة كان قد ختم عليه القرآن جملة درهم فردها عليه وقال أنا لا أأخذ أجرا على القرآن أرجو بذلك الفردوس .

واستمر مشغلا بمدرسة العلم حتى بعد أن كُف بصره ، ولم يثنه عن ذلك إلا مفاجأة الموت في فبراير سنة ١٩١٨ م .

علمه وأعماله - كان الشيخ أكرم الله مشواه كثير القراءة في كتب اللغة والأدب والحديث شليد الحفظ والذكر قلما تحدث أمامه حادثة أو تذكر إلا روى فيها شعرا أو مثلا أو قصة وكان فكه المحاضرة ، صحيح العبارة يحركها على سنن العربية الفصيحة ، وهو أملا من شاهدته ، باللغة والأدب والصرف .

عهد إليه بالتدريس في دار العلوم فأحيا بتدريسه وتأليفه ما دثر من آثار السالفين . كالجاحظ والمبرد والقاللي والمعرضي ، وأظهر ما كان ذلك في مواهب الفتحة .

أسند إليه تفتيش اللغة العربية في مدارس الحكومة على اختلاف أنواعها ، فرأى المجال فسيحا لتخليصها من أدران العامية ، وأوضاع الدخيل ، ولسان التراكيب ، وجمعة الأساليب ، فأخذ يرشد المعلمين إلى ما يشر عليه من ذلك في كتابة التلاميذ ، ويتعظم بمردفه تارة ويرشدهم إلى المظان أخرى ، فكتب بذلك الغافل ، ودقق المتساهل ، واتهموا أنفسهم في كل كلمة ، وحاسبوها على كل جملة ، وعكفوا على مراجعة معجمات اللغة بمد أن طال هجرها ، ووقفوا عند نصوصها ناسجين على منوال الشيخ (من الوقوف عند السماع دون العمل بالقياس) بل تغالي بعض المفتوتين منهم ، وتعدوا طروهم ، فجعلوا يقولون : لا توجد هذه الكلمة في اللغة ، ولو وجدت في شعر فحول الأدباء من أهل القرون الأولى ، ولعلمهم لم يعرفوا من اللغة أكثر من طريقة الكشف في معجماتها على نادرة المطبوع منها ، فلقى المؤلفون والأدباء ولبلاء الناس منهم بلاء عظيما وهتا مقبها .

أخلاقه : كان الشيخ حلما رحيما ، تقيا ورعا ، لا تأخذه في الله لومة لأثم صالحا مهذبا ، يميل إلى الصالحين من المعلمين ، ويحارب من يشاع عنهم التهاون بشعائر الدين وديها سعى في فصلهم من عملهم ، يعمل ذلك ولا غاية له إلا إحاطة النشر بسياس من الفضيلة حتى لا يتسرب إليهم الزيف في زمن قد كثر فيه أنصار الرذيلة ، وقل طلاب الفضيلة .

وكان جزاءه الله خيرا يحب العرب والعربية ، ويرى أن الله

(مناهل العرفان ١/ ٤٦٠، ٤٦١).

ويقول صاحب طيبة النشر :

وحمزة عنده سلمة فخلط

منه وخلط كلامهما اختل

(الكوكب الدرر / ٢٧).

قرأ عليه أيضا أي روى القراءة عنه إبراهيم بن أدهم وإبراهيم بن إسحاق بن راشد وإبراهيم بن طعمة وإبراهيم بن علي الأزرق وإسحاق بن يوسف الأزرق وإسرائيل بن يونس السيمى وأشعث بن عطاء وكر بن عبد الرحمن وجعفر بن محمد التخشكي وحجاج بن محمد والحسن ابن بنت الشمالي والحسن بن عيسى وحمزة بن القاسم الأحول وخالد ابن يزيد الطيب ، وديع بن زياد ومعيد بن أبي الجهم ومسلم الأيوش والمجد وأبو الأحوص سلام بن سليم وسليمان ابن أيوب وسليمان بن يحيى الغبى وسليم بن منصور وسفيان الثوري وشريك بن عبد الله وشعيب بن حرب وزكريا بن يحيى ابن اليماني وصباح بن دينار وهالك بن أبي عائد أبو بشر الكوفي وعبد الرحمن بن أبي حماد وعبد الرحمن بن قلسقا وعبد الله بن صالح بن مسلم المجلى وعبد الله بن موسى وعلى بن حمزة الكسافي أجل أصحابه وعلى بن صالح بن حمى وأبو عثمان عمرو بن ميمون القناد وغالب بن فائد ومحمد بن حفص الحنفي ومحمد بن زكريا ومحمد بن عبد الرحمن النحوي ومحمد بن أبي عبد الله الهللي ومحمد بن عيسى الراشدي بن فضيل بن غزوان ومحمد بن الهيثم النخعي ومحمد ابن واصل الجودب ومثلد بن علي ومثلد بن الصباح ونعيم بن يحيى السعيدى ويحيى بن زياد الفراء ويحيى بن علي الخزاز ويحيى بن المبارك اليزيدي ويوسف بن إسباط ومحمد بن مسلم المجلى كما ذكر أبو الحسن النخاط (البحث والاستقراء / ٤٦-٤٨، وقاية الهالك / ١/ ٢٢٢).

وإلى حمزة صارت الإمامة في القراءة بعد عاصم والأعمش وكان إماما حجة ثقة مثبثا رضيما قيما بكتاب الله بصيرا بالفرائض عارفا بالعربية حافظا للحديث عابدا خاشعا زاهدا ورعا قائما له عليم النظير ، وكان يجلب الزيت من العراق إلى حلوان ويجلب الجوز والجبن إلى الكوفة قال عبد الله المجلى قال أبو حنيفة لحمزة شيطان غلبت عليها لسان تنازعك فيها :

وعرض عليه تلميذه له ماء في يوم حر فأبى وإليهما أشار الشاطبي بقوله من متورع بمتورع وقال عنه الأعمش هذا حبر القرآن وقال سفيان الثوري غلب حمزة الناس على القرآن والفرائض وإليه أشار بالإمام وكان يتكلف الوحل بالشتاء والشمس بالصيف وإليه أشار بصير وهو فيه أصحاب التزئيل وقيل ما روى قط إلا وهو يقرأ وقيل كان يختم كل شهر خمسا أو تسعا وعشرين ختمة وإليه أشار بمثل وكان يصلى بعد الإقراء أربع ركعات ويصلى الظهر والعصر بين المغرب والعشاء ويقوم أكثر الليل .

قرأ على أبي عبد الله جعفر الصادق على أبيه أبي جعفر محمد الباقر على أبيه أبي الحسين على زين العابدين على أبيه أبي عبد الله الحسين على أبيه أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه وعلى أبي محمد سليمان بن مهران الأعمش . وعلى يحيى بن وثاب الأسدي على أبي شبل حلقمه الحنفي على عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ .

وعلى محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى القاضي على المنهال بن عمر على سعيد بن جبير على عبد الله بن عباس على أبي بن كعب وعلى حمزان بن أعين على أبي الأسود على عثمان وعلى رضي الله عنهما .

(البحث والاستقراء / ٤٦-٤٨).

ومن اشتهر بالرواية عنه خلف وخلاد لكن بواسطة أبي عيسى سليم بن عيسى الحنفي الكوفي المتوفى سنة ١٨٨ ، ثمان وثمانين ومائة .

أما « خلف » فهو أبو محمد خلف بن هشام بن طالب بن البزار . كان زاهدا عابدا . روى عن سليم بن عيسى الحنفي عن حمزة وتوفى سنة ٢٢٩ تسع وعشرين ومائتين .

وأما « خلاد » فهو أبو عيسى خلاد بن خالد الأحول الصيرفي . روى عن سليم بن عيسى عن حمزة وكان أضيف أصحاب سليم وأجلهم عرفانا وتحقيقا . توفى بالكوفة سنة ٢٢٠ عشرين ومائتين وفي ذلك يقول صاحب الشاطبية :

وحمزة مما أركساه من متسور

إماما صبوراً للمفسران سرتلا

روى خلف عنه وخلاد السلي

رواه سليم مثقفا ومجتملا

القرآن والفرائض وقال سفيان الثوري: غلب حمزة الناس على القرآن والفرائض وقال أيضا عنه: ما قرأ حمزة حرفا من كتاب الله إلا يأتري، وقال عبيد الله بن موسى: كان حمزة يقرئ القرآن حتى يشرق الناس ثم ينهض فيصلي أربع ركعات ثم يصلي ما بين الظهر إلى العصر وما بين المغرب والعشاء وكان شبيهه الأعمش إذا رآه قد أقبل يقول هذا جد القرآن.

وروى عنه أنه كان يقول لمن يقرأ في المد والهمز: لا تفعل أما علمت أن ما كان فوق البياض فهو يرس وما كان فوق المجموعة فهو قسط وما كان فوق القراءة فليس بقراءة، قال يحيى بن معين سمعت محمد بن فضيل يقول ما أحسب أن الله يدفع البلاء عن أهل الكوفة إلا بحمزة.

توفي سنة ست وخمسين ومائة على الصواب. والله أعلم. قال الذهبي: وقبره بطولان مشهور. قال عبد الرحمن بن أبي حماد زبته مرتين (البحث والاستقصاء / ٩٩ رغبة النهاية / ١ / ٢٦٣).

رمز حمزة: ف

منهج حمزة في القراءة:

١ - يصل آخر كل سورة بأول تاليها من غير بسملة بينهما.

٢ - يضم الهاء وصلها ووقفا في الألفاظ الثلاثة: عليهم، إليهم، لديهم.

٣ - يسكن الهاء في: ﴿يؤده إليك﴾ [آل عمران: ٧٥] ﴿نوله ما تولى ونفصله جهنم﴾ [النساء: ١١٥] نوله منها، فأنقه إليهم.

٤ - يقرأ بالإشباع في المدين المتصل والمفصل بمقدار ست حركات.

٥ - يقرأ بالسكت على آل وشئ ويقرأ من رواية خلف بالسكت على الساكن المفصول نحو «عذاب آليم».

٦ - يخير الهمز عند الوقوف سواء كان في وسط الكلمة نحو يؤمنون، أم في آخرها نحو ينشئ على تفصيل في ذلك في كتب القراءات.

٧ - يذغم من رواية خلف ذال إذ في الذال والتاء، ومن رواية خلاد في جميع حروفها ما عدا الجيم، ويذغم من

الروايين ذال قد في جميع حروفها، وتاء التانيث في جميع حروفها، ويذغم لام هل في التاء نحو ﴿هل ثوب الكفار﴾ في المطففين، ولا م يل في السنين في ﴿بل سألتم لكم﴾ بيوسف، وفي التاء نحو ﴿بل تأتيتهم﴾ ويذغم الباء المجزومة في الفاء نحو ﴿ولئن تعجب فمعجب﴾ [الرعد: ٥] هذا من روايه خلاد، ويذغم الذال في علت، اتخذتم، فبذلها، والتاء في التاء في أوزمها، وفي لبث كيف وقع.

٨ - يميل الألفات من ذوات الباء والألفات المرسومة بـاء في المصاحف نحو الهدى اشترى، النصارى، ويميل الألفات في غاب، خافوا، طاب، ضاقت، وفاق، زأغ، جاء، شاء، ويقبل الألفات الواقعة بين رامين ثانیها متطرفة مكسورة نحو إن كتاب الأبرار، من الأشرار.

٩ - يسكن ياءات الإضافة في ﴿قل لعبادي الذين آمنوا﴾ إبراهيم ﴿يا عبادي الذين أسرفوا﴾ بالزمر ونحو ذلك وقد حصرها العلماء في كتب القراءات.

١٠ - يثبت الياء الزائدة في ﴿أنمذون بمال﴾ في النمل ﴿رينا نقبل دعاء﴾ إبراهيم (البحث والاستقصاء / ٨٧، ٨٨).

وفيما يلي ما جاء من نظم في منهج حمزة في القراءة الذي أوردناه آنفا. قال الناطم:

وإن تسكن في مد مفصل فلا

سكوت على المفصول في هذا أبدا

ولي آل أو المفصول فاسكت موصلا

لشيء سواء معه تودة قلا

ومن حمزة ساكن وسطا بزلد

لدى سكت كسالا أو كيان سها

وكن أخلا أيضا به عنه إن كن

على هساء تأتيت وقت مبال

ومفصل عن مد أو من محسرك

لدى سكت مد الوصل ليس سهلا

كذلك مع سكت على آل وشيء

كذلك مع توسط شيء تقبل

وسكتا بمفصول فموصول أرويا

كذلك فاسكت في الجميع وحسبلا

النشر - محمد بن محمد جابر المصري / ٣٦-٣٩ انظر أيضا الأعلام للزركلي / ٢ / ٢٧٧ ، ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده / ٢ / ٣٤ ، ٣٥ ، وغرائب القرآن وغرائب القرآن للنظام النيسابوري - تحقيق إبراهيم علي سالم / ١٨ ، والمدرسة القرآنية في المغرب من الفتح الإسلامي إلى ابن عطية - عبد السلام أحمد الكتني (بالجيم المغربية) / ١ / ١٠٣ ، والتلوة في القراءات السبع لابن خلدون - تحقيق د. عبد الفتاح بهيري إبراهيم / ١ (٤١) .

« ابن حمزة المغربي »

ابن حمزة المغربي ، من علماء القرن العاشر للهجرة (أي السادس عشر للميلاد) ، ومن الذين اشتغلوا بالرياضيات ، ويرعوا وألفوا فيها المؤلفات القيمة ، التي أفضت إلى تقدم بعض النظريات في الأعداد .

و « ابن حمزة » من الذين مهدوا لاختراع اللوغارتمات ، كما أن بحوثه في المتواليات كانت الأساس الذي بنى عليه هذا الفرع من الرياضيات .

وهو جزائري الأصل ، أقام مدة في « استانبول » ، حيث درس العلم ، ثم عاد في أواخر القرن العاشر للهجرة إلى بلاد « الجزائر » ومنها توجه إلى « الحجاز » لأداء فريضة الحج .

ويظهر من مؤلفاته : أنه استفاد من « ابن الهيثم » و « ابن غزالي » ومن مؤلفاته : « تحفة الأعداد في الحساب » ألفه بمكة المكرمة ورتبه على مقدمة وأربع مقالات وخاتمة في عصر السلطان « مراد خان بن سليم خان » (تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك / ٤٧٠) .

انظر نموذجاً لحل ابن حمزة لمسألة بعينها أوردناها في مادة « تحفة الأعداد لخواجزة الرشيد والسداد » في م ٨ / ٦٥٥ - ٦٠٧ .

(تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك - قدير حافظ طوقان / ٤٧٠ . انظر أيضا العلوم الرياضية في الحضارة الإسلامية - د. جلال شوقي ، د. علي الربيع / ١ / ٢٩١-٢٩٤) .

« الحمزي »

قال السمعاني :

الحمزي : بفتح الحاء المهملة وسكون الميم وفي آخرها الزاي ، هذه النسبة إلى شيئين : أحدهما إلى حمزة - وقيل هي

بفتح كـان تتلوه الإمامة مطلقاً
سوى ألف أو أين تخصص مطلقاً
لخمس وعشر مثل كره بشرطها
ومع سكت مد الفصل لا ميل أهملاً
ومن خلف لا فتح بالسكت مطلقاً
ولكن لسأي التخصص حصاً فملاً
ومع ترك سكت عند خلاد جواز
لميل وأما للسرفيت فأملاً
وسهل كمن أجبر وحقق لحمزة
لمنفصل رسمياً إذا الكل ميسلاً
يسلب من أدهم متى تسكباً بأن
مع السكت والتوسيط في شيء أحماً
بإضجاع ما التانيث ثورلة ميسلاً
ومع سكت مد أو كجزءاً فملاً
ومع سكت آل فامنع لوجه إمالة
بتقليها مفصول تحريك أهملاً
تسهيله وامنع لإضغام بل طبع
سكتك ميسلاً لم آلان ميسلاً
بسه خصصاً مفصول مد ميسلاً
ومع سكت مد الفصل أيضاً فابداً
وترقيق لسرق حصن بفتح ها
وتحقيق همز للمحرك تسداً تسلاً
وقصر للاً وامنع مع السكت مطلقاً
كموصوله يس عنه مقللاً
ومع نقص نخلتكم للاً ماء سكات
سكتك بفصل إن تقرر يقللاً
(مختصر قواعد التحرير / ٣٦-٣٩) .

(البحث والاستغناء في تراجم القراء - محمد الصادق قماحوي / ٤٦ - ٤٩ ، ٨٧ ، ٨٨ ، وغاية النهاية في طبقات القراء للإمام ابن الجزري / ١ / ٢٦١-٢٦٣ ، وناهل العرفان في علوم القرآن - فضيلة الشيخ محمد هيد العظيم الزرقاني / ١ / ٤٦٠ ، ٤٦١ ، والكوكب الذي في شرح طيبة ابن الجزري - محمد الصادق قماحوي / ٣٧ ، ومختصر قواعد التحرير لطيبة

والحمص : قریش ، لأنهم كانوا يشتدبون في دينهم وشجاعتهم فلا يطاقون ، وقيل : كانوا لا يستقلون أباهم منى ، ولا يدخلون البيوت من أبوابها وهم محرمون ، ولا يسلطون السمن ، ولا يلقطون الحلة .

وفي حديث خيفان : أما بنو فلان فمُسك أحماس أى شجعان وفي حديث عرفة : هذا من الحمص ، هم جمع الأحمص . وفي حديث عمر ، رضى الله عنه ، ذكر الأحماس ؛ هو جمع الأحمص الشجاع . أبو الهيثم : الحمص قریش ومن ولدت قریش وكثانة وجليلة قيس ، وهم فهم وعدوان أبنا عمرو ابن قيس عيلان ، وبنو عامر بن صعصعة ، هؤلاء الحمص ، سموا حمصا لأنهم تحمصوا في دينهم ، أى تشددوا . قال : وكانت الحمص سكان الحرم ، وكانوا لا يخرجون أيام الموسم إلى عرفات ، إنما يقفون بالزدلفة ويقولون : نحن أهل الله ولا نخرج من الحرم ، وصارت بنو عامر من الحمص ، ويسوا من ساكني الحرم ، لأن أهمهم قرشية ، وفي مجد بنت تيم بن مرة ، وخزاعة سميت خزاعة لأنهم كانوا من سكان الحرم فخرجوا عنه ، أى أخرجوا ؛ ويقال : إنهم من قریش انتقلوا بنسبهم إلى اليمن ، وهم من الحمص ، وقال ابن الأعرابي في قول عمرو :

• بثلاث ما ناصبت بعدى الأحامسا •

أراد قریشا ؛ وقال غيره : أراد بالأحامس بنى عامر ، لأن قریشا ولدتهم ؛ وقيل : أراد الشجعان من جميع الناس .

وأحماس العرب أمهاتهم من قریش ، وكانوا يشتدبون في دينهم ، وكانوا شجعان العرب لا يطاقون .

والأحمص : النوع من الرجال الذى يتشدد في دينه . والأحمص : الشديء الصلب في الدين والقتال ، وقد حمص ، بالكسر ، فهو حمص وأحمص بين الحمص ابن سيده : والحمص في قيس أيضا ، وكله من الشدة (لسان العرب ١٦ / ٩٩٥) .

وقد جاء في السيرة النبوية عن حديث الحمص ما يلى :

قریش تبدع الحمص : قال ابن إسحاق : وقد كانت قریش - لا أدري أقبل القيل أم بعده - ابتدعت رأى الحمص رأيا رأوه وأدأروه ، قسألوا : نحن بنو إبراهيم ، وأهل الحرية ، وولاء البيت ، وقطان مكة وساكنتها . فليس لأحد من العرب مثل حقنا ، ولا مثل منزلتنا ، ولا تعرف له العرب مثل ما تعرف

حمزى - وهى مدينة من بلاد المغرب ، والمتسبب إليها أبو القاسم عبد الملك بن عبد الله بن داود الحمزى المغربى من هذه البلدة ، كان فيها صالحا ورد يغلد وسع بها أبا نصر محمد بن محمد بن على الزينى وبالبصرة أبا على بن أحمد بن على بن الحسن بن هبة الله الحافظ ، وذكر لى بصنماء أنه توفي ببغداد يوم الجمعة سابع شهر ربيع الآخر سنة سبع وعشرين وخمسائة .

وأما أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إبراهيم بن موسى الأتبارى المقرئ الفريزى ، يعرف بابن أبزون الحمزى ينسب إلى حمزة الزيات لأنه كان يقرأ بقرائه (انظر : حمزة الفاريز) من أهل الأتبار ، كان ضرير البصر مقرا ، روى عن بهلول بن إسحاق التنوشى وصعيد بن عبد الله الحذثاني ويموت بن المزروع البصرى وأبى عمر محمد بن أحمد الحلبي ، روى عنه محمد بن عمر بن بكير النجار وأبى عمر محمد بن العباس بن حيويه الخزاز وأبى الفرج بن سميكة البغدادي ؛ وقال محمد بن العباس بن الفسرات : ابن أبزون لم يكن فى الرواية بذلك ، كتبت عنه ، وكانت معه كتب طرية خير أصول ، وكان مكفوبا ، وأرجو أن لا يكون ممن يتهم بالكذب وقال أبو الفتح محمد بن أبى الفوارس الحافظ : سنة أربع وستين وثلاثمائة توفي أبو عبد الله بن أبزون الأتبارى الفريزى ، ولم يكن ممن يصلح للصحيح وأرجو أن لا يكون ممن يتعمد الكذب .

وأما الحمزية فقرة من الخوارج ، وهم أصحاب رجل يقال له حمزة ، وكانوا مع الميمونية فى القول بالقدر وفى وجوب قتال السلطان ، وخالفوا الميمونية فى الأطفال فقالوا إن أطفال المشركين فى النار ؛ وهم عند الميمونية فى الجنة ، وكل واحد من الفريقين يكفر الآخر .

(الأنساب للسماعى ، تقدم وتاميل عبد الله عمر البارودى ٢ / ٢٦٢ انظر أيضا الباب لابن الأثير - تحقيق د . مصطفى عبد الواحد ، ١ / ٤٥٢) .

• الحمزية :

انظر : الحمزى .

• الحمص :

جاء فى اللسان فى مادة « حمص » : الأحمص : المتشدد على نفسه فى الدين ...

اللقى عند الحِمس: فإن تكرم منهم متكرم من رجل أو امرأة، ولم يجد ثياب الحِمس، فطاف في ثيابه التي جاء بها من الحل، ألقاها إذا فرغ من طوافه، ثم لم يتنفع بها، ولم يمسها هو، ولا أحد غيره أبداً.

وكانت العرب تسمى تلك الثياب: اللقى، فحملوا على ذلك العرب. فدانت به، ووقفوا على عرفات، وأفاضوا منها، وطافوا بالبيت عراً، أما الرجال فيطوفون عراً. وأما النساء فتضع إحداهن ثيابها كلها إلا درعاً مفرجاً عليها، ثم تطوف فيه.

ومن طاف منهم في ثيابه التي جاء فيها من الحل ألقاها، فلم يتنفع بها هو ولا غيره. فقال قائل من العرب يذكر شيئاً تركه من ثيابه، فلا يقربه - وهو يحبه:

كفى حزننا عليها كأنها

لقى بين أيدي الطائفين حريم

يقول: لا تمس.

الإسلام يطل عادات الحِمس: فكانوا كذلك حتى بعث الله تعالى محمداً - ﷺ - فأنزل عليه حين أحكم له دينه، وشرع له سنن حجه. ﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم﴾ [البقرة: ١٩٩] يعني قریشاً، والناس: العرب، فرفعهم في سنة الحج إلى عرفات، والوقوف عليها والإفاضة منها.

وأنزل الله عليه فيما كانوا حرموا على الناس من طعامهم وليوسهم عند البيت، حين طافوا عراً، وحرموا ما جاءوا به من الحل من الطعام: ﴿يا أي بني آدم خذوا زيتكم عند كل مسجد وكلموا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المرفرفين﴾ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون ﴿الأشراف: ٣١، ٣٢﴾ فوضع الله تعالى أمر الحِمس - وما كانت قریش ابتدعت منه - عن الناس بالإسلام، حين بعث الله به رسوله ﷺ.

(قوله: ﴿ وكلموا واشربوا ﴾ إشارة إلى ما كانت الحِمس حرمته من طعام الحج إلا طعام أحمس، ﴿وخذوا زيتكم﴾: يعني اللباس، ولا تتعروا، ولذلك افتتح بقوله: ﴿يا أي بني آدم﴾ بعد أن قص خبر آدم وزوجه. إذ يخصفان عليهما من ورق

لنا، فلا تعظما شيئاً من الحل كما تعظمون الحرم، فإنكم إن فعلتم ذلك استخففت العرب بعزمتكم، وقالوا: قد عظموا من الحل مثل ما عظموا من الحرم. فتركوا الوقوف على عرفة، والإفاضة منها، وهم يرففون ويقولون أنها من المشاعر والحج ودين إبراهيم - ﷺ - ويرون لسائر العرب أن يفيضوا منها، إلا أنهم قالوا: نحن أهل الحرم، فليس ينبغي لنا أن نخرج من الحرم، ولا ننظم غيرها كما ننظمها نحن الحِمس، والحِمس: أهل الحرم، ثم جعلوا لمن ولدوا من العرب من ساكن الحل والحرم مثل الذي لهم، يولدونهم لأهم، يحل لهم ما يحل لهم، ويحرم عليهم ما يحرم عليهم.

القبائل التي آمنت مع قریش بالحِمس: وكانت كنانة وخزاعة قد دخلوا معهم في ذلك.

قال ابن هشام: وحدثنني أبو عبيدة النخعي: أن بني عامر ابن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن دخلوا معهم في ذلك، وأنشدني لعمرو بن معد يكرب:

أعباس لسو كانت شبارا جيسادنا

بتليث ما ناصبت يمدى الأحامسا
قال ابن هشام: بتليث: موضع من بلادهم. والشار: الحسان. يعني بالأحاس: بني عامر بن صعصعة. ويعباس: عباس بن مرداس السلمي، وكان أخا هلى بنى زيد بتليث، وهذا البيت في قصيدة لعمرو.

وأنشدني للقيط بن زبارة النخعي في يوم جبة:

أجلم إلبك إلهما بنو عيس

المشعر الحِلْمَة في القسم الحِمس
لأن بني عيس كانوا يوم جبة حلفاء في بني عامر بن صعصعة.

مازادته قریش في الحِمس: قال ابن إسحاق: ثم ابتدخوا في ذلك أمورا لم تكن لهم، حتى قالوا: لا ينبغي للحِمس أن يأتعظوا الأقط، ولا يسلبوا السمن، وهم حرم، ولا يدخلوا بيتا من شعر، ولا يستظلوا - إن استظلوا - إلا في بيوت الأدم ما كانوا حرمًا، ثم رفعوا في ذلك، فقالوا: لا ينبغي لأهل الحل أن يأكلوا من طعام جاءوا به معهم من الحل إلى الحرم إذا جاءوا حجاجا أو عمارا، ولا يطوفوا بالبيت إذا قدموا أول طوافهم إلا في ثياب الحِمس. فإن لم يجدوا منها شيئاً طافوا بالبيت عراً

١- ابن جبير (٥٤٠-٦١٤ هـ / ١١٤٥-١٢١٧ م) :
وصفها كما كانت في زمانه فقال عنها :

هي فسيحة الساحة مستطيلة المساحة نزعة لعين مبصرها من النظافة والملاحة موضوعة في بساط من الأرض عريض مدله لا يخرقه النسيم بمساره يكاد البصر يقف دون متناه أقيع أغبر لا ماء ولا شجر ولا ظل ولا ثمر فهي تشككي ظمائها وتستقي على البعد مائه فيجلب لها من نهريها الماصي وهو منها ينحو مسافة الميل وعليه طرقة بساكن تجلبي العين خضرها وتستغرب نضرها ومنبعه في مغارة بسفح جبل فوقها بمسرحه بموضع يقابل (بعلبك) أعادها الله وهي عن يمين الطريق إلى دمشق وأهل هذه البلدة موصوفون بالندجة والتمرس بالعدو لمجاورتهم إياه وبعدمهم في ذلك أهل حلب فأحمد خلال هذه البلدة هوائها [هولاء] الرطب ونسيمها الميمون تخفيفه وتوسيمه فإن الهواء النجدي في الصحة شقيقه وقسيمه وبقيلى هذه المدينة قلعة حصينة منيعة عاصية غير مطيعة قد تميرت وانمازت بموضوعة عنها وبشرقتها جبانة فيها قبر خال الله بن الوليد رضي الله عنه هو سيف الله المسلول ومعه قبر أبيه عبد الرحمن وقبر عبيد الله بن عمر رضي الله عنهم وأسوار هذه المدينة في غاية العتاقة والوثاقة مرصوص بناؤها بالحجارة الصم السود وأبراسها أبواب حديد سامية الإشراف هائلة المنظر رائحة الإطلال والأمانة تكتنفها الأبراج المشيدة الحصينة وأما داخلها فما شئت من بادية شتاء خلقة الأرجاء ملفقة البناء لا إشراق لأناقها ولا رونق لأسواقها كاسدة لا عهد لها بنفاقها وما ظنك ببلد حصن الأكراد (انظره في موضحه) منه على أميال يسيرة وهو معقل العدو فهو منه تترأى ناره ويحرق إذا بغير شراره ويتمعد إذا شاء كل يوم مغاره ... وبها مدرسة واحدة وتوجد في هذه البلدة عند إطلالها عليها من بعد في بسيطها ومنظرها دهيئة موضوعها بعض شبه بعلبنة إشبيلية من بلاد الأندلس يقع للحين في نفس خياله وبهنا الاسم سميت في التقديم وهي العلة التي أوجبت نزول الأعراب أهل حصص فيها حسبما يذكر وهذا الشيء وإن لم يكن بلبنة فله لمحة من إحدى جهاته فأقمنا بها يوم الأحد المذكور ويوم الإثنين بعده وهو الثاني ليربوه إلى أول الظهر ورحلنا منها (رحلة ابن جبير / ١٩٨ ، ١٩٩) .

الجنة ، أي : إن كنتم تحتجون بأنه دين آبائكم ، فأدب إليكم ، ودينه : ستر العورة) .

الرسول ﷺ يخالف الحصص قبل الرسالة : قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن حزم ، عن عثمان بن أبي سليمان بن جبير بن مطعم ، عن عمه نافع بن جبير عن أبيه جبير بن مطعم . قال : لقد رأيت رسول الله ﷺ قبل أن ينزل عليه الوحي ، وإنه لواقف على بغير له يعرفات مع الناس من بين قومه حتى يدفع معهم منها توفيقاً من الله له ، ﷺ تسليماً كثيراً .

(حتى لا يفوته ثواب الحج ، والوقوف بعرفة . قال جبير ابن مطعم حين رآه واقفاً بعرفة مع الناس : هذا رجل أحسن ، فما باله لا يقف مع الحصص حيث يقفون ؟) .

(لسان العرب لابن منظور / ١٢ / ٩٩٥ ، والسيرة النبوية لابن هشام - قدم لها دعلق عليها وضبطها الأستاذ طه عبد الرزاق سعد ١ / ١٨٤ - ١٨٨ وقد وضعتا تعليقات المحقق بين آقواس في ثانيا النص . انظر أيضا شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام للفضي القاسي - حقق أصوله وعلق حواشيه لجنة من كبار العلماء والأدباء ٢ / ٤١ - ٤٣) .

• حصص :

بالكسر ثم السكون والصاد المهملة . بلد مشهور في سورية اسمها القديم أميسا . تقع على نهر الماصي في منطقة خصبة ، تنتشر بها الحدائق والبساتين . وهي مدينة قديمة ولها تاريخ عريق . بلغ عدد سكانها عام ١٩٨١ : ٣٥٤٥٠٨ (من كتاب مجمع البلدان من ٣ / ٢٧٥) .

قال الجوهري وغيره : بلد يذكر ويؤتى ، هذا حصص ، وهذه حصص . قال السكندري : حصص من أوسع مدن الشام بها نهر عظيم لها قري : سمي ببحصم بن صهر بن خميص ابن صاب بن مكثف من بني علقم ، افتتحها أبو عبيدة عامر ابن الجراح صلحا سنة ١٦ مت عشرة هجرية ، ثم ناقت ثم صولحت ، وقد نسب إليها خلق كثير من المحللين (الرسالة الرشادية / ٢٠ ، ٢١) . وقال صاحب اللسان : وحصص كورة من كور الشام أهلها يماثيون . قال سيويو : هي أصجمية ، ولذلك لم تتصرف (اللسان / ١٢ / ٩٩٧) .

وفيما يلي ما ورد في بعض مصنفات التراث الإسلامي عن حصص :

٢ - ياقوت الحموي (٥٧٤ - ٦٢٦ هـ / ١١٧٨ - ١٢٢٩ م)

بسط الكلام عليها فقال :

بلد مشهور قديم كبير مسور، وفي طرفيه القبلى قلعة حصينة على نل حال كبيرة، وهي بين دمشق وحلب في نصف الطريق، يذكر ويؤث، بناء وجبل يقال له حمص بن المهسر بن جسان بن مكنف، وقيل: حمص بن مكنف العمليقي، وقال أهل الاثناقي: حمص الجرج يحمص حموصا، وانحمص ينحمص انحصا إذا ذهب وريه، وقال أبو عون في زيجته: طول حمص إحدى وستون درجة، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة وثلاثان، وهي في الإقليم الرابع، وفي كتاب الملحمة: مدينة حمص طولها تسع وستون درجة، وعرضها أربع وثلاثون درجة وخمسة وأربعون دقيقة، من الإقليم الرابع، ارتفاعها ثمان وسبعون درجة، تحت ثمانى درج من السرطان، يقابلها مثلها من الجدى، بيت ملكها مثلها من الحمل، بيت عاقبتها مثلها من الميزان، قال أهل السير: حمص بناها اليونانيون، وزيوت فلسطين من غرسهم، وأما فتحها فلذكر أبو المنذر بن أبي مخنف أن أبا عبيدة ابن الجراح لما فرغ من دمشق قدم أسامه خالد بن الوليد

وملحان بن زيار الطائي ثم اتبعهما فلما توافوا بحمص قاتلهم أهلها ثم لجؤوا إلى المدينة وطلبوا الأمان والصلح، فصالحوه على مائة ألف وسبعين ألف دينار، وقال الواقدي وغيره: بينما المسلمون على أبواب دمشق إذ أقبلت خيل للعدو كثيفة فخرج إليهم جماعة من المسلمين فلقوهم بين بيت لهما والثنية فولوا منهزمين نحو حمص على طريق قارار حتى وافوا حمص وكانوا متخوفين لهرب فاهزل عنهم فأعطوا ما بأيديهم وطلبوا الأمان، فأنهم المسلمون فأعرجوا لهم التزل فأقاموا على الأريط، وهو النهر المسمى بالعاصى وكان على المسلمين السط بن الأسود الكندي، فلما فرغ أبو عبيدة من أمر دمشق استخلف عليها يزيد بن أبي سفيان ثم قدم حمص على طريق بعلبك فنزل بباب الرستن فصالحوه أهل حمص على أن لا يفتحوا على أنفسهم وأموالهم وسور مدنتهم وكانهم وأرحاقتهم واشتروا عليهم ربيع كتبتة يروحوا للمسجد واشتروا الخراج على من قام منهم، وقيل: بل السط صالحهم فلما قدم أبو عبيدة أمضى الصلح. وإن السط قسم حمص خططا بين المسلمين وسكنوها في كل موضع جلا أهل أو مساحة متروكة، وقال أبو مخنف: أول راية وافت للمرب حمص ونزلت حول مدنتها راية ميسرة بن سرور العبسى، وأول مولود ولد في الإسلام بحمص آدم بن محرز ...

وبحمص من المزارات والمشاهد مشهد على بن أبي طالب رضى الله عنه، فيه عمود فيه موضع إصبعه، رآه بعضهم في المنام، وبها دار خالد بن الوليد رضى الله عنه، وقبره فيما يقال، ويضهم يقول: إنه مات بالمدينة ودفن بها وهو الأصح، وعند قبر خالد قبر عياض بن غنم القرشى رضى الله عنه، الذى فتح بلاد الجزيرة، وفيه قبر زوجة خالد بن الوليد وقبر ابنه عبد الرحمن، وقيل: بها قبر عبيد الله بن عمر ابن الخطاب، والصحيح أن عبيد الله قتل بصفين فإن كانت نقلت جثته إلى حمص فالله أعلم.

ويقال: إن خالد بن الوليد مات بقرية على نحو ميل من حمص، وإن هذا الذى يزار بحمص إنما هو قبر خالد بن يزيد بن معاوية وهو الذى بنى القصر بحمص، وآثار هذا القصر في غربي الطريق باقية، وبحمص قبر سفينة مولى رسول الله ﷺ واسم سفينة مهرا، وبها قبر قبر مولى على بن



مسجد خالد بن الوليد في حمص

ومحمد بن عبيد الله بن الفضل يحرف بآبى الفضل أبو الحسن الكلاعي الحمصي . حدث عن مصيفي وجماعة كثيرة من طبقة ، وروى عنه القاضي أبو بكر العياني وأبو حاتم محمد بن حبان البستي وجماعة كثيرة من طبقتهم ، وكان من الزهاد ومات في أول يوم رمضان سنة ٣٠٩ ، ومات ابنه أبو علي الحسن لعشر خلون من شهر ربيع الأول سنة ٣٥١ (من كتاب مجمع البلدان ص ١٢٤ / ٣٧٥ - ٣٨٢ ، ومجمع البلدان ٢/ ٣٠٢ - ٣٠٤) .

وفى هذا المجال يقول شمس الدين الذهبي ، وشمس الدين السخاوي : وحمص نزلها خلق من الصحابة ، وانتشر بها الحديث زمن التابعين ، وإلى أيام حريز بن عثمان ، وشعب بن أبي حمزة ، ثم إسماعيل بن عياش ، وبقية ، وأبى المنيرة وأبى اليمان ، ثم أصحابهم . ثم تناقص ذلك في المائة الرابعة وتلاشى ، ثم عدم بالكلية (الأضر ذوات الآثار / ١٧٣ والإعلان بالتاريخ / ٢٩٥) .

٣- ابن بطوطة (٧٠٣ - ٧٧٩ هـ / ١٣٠٤ - ١٣٧٧ م) . قال عن مدينة حمص :

وهي مدينة مليحة ، لرباطها مؤنقة ، وأشجارها مسورة ، وأنها رها متدلقة ، وأصولها قسيحة الشوارع ، وجامعها متميز بالحسن الجامع ، وفي وسطه بركة ماء ، وأهل حمص عرب لهم فضل وكرم ، ويخرج هذه المدينة قبر خالده بن الوليد سيف الله ورسوله ، وعليه زاوية ومسجد ، وعلى القبر كسوة سوداء (مهذب رحلة ابن بطوطة / ١ ، ٥٣ ، ٥٤) .

ومن الكتب المؤلفة في حمص ذكر الشمس السخاوي كتاب « حمص » لأحمد بن عيسى ، و « من نزلها من الصحابة » لعبد الصمد بن سعيد ، وأبى بكر بن صدقة . (الإعلان بالتاريخ / ٢٦١) .

ومن المدارس القليلة ذات الإيوائين في حمص المدرسة المصروفية ، التي تقع عند باب حمص على ضفة نهر العاصي قرب بستان الجبلي . أنشأ هذه المدرسة الأمير نجم التوتان بن باروق سنة ٥٨٤ هـ (١١٨٨ م) ، وكانت مخصصة للحديث والقرآن . وفي عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون جدها وعمر مسجدًا وحبس عليها الكثير من الأوثاف محمد بن محمد بن أبي بكر الشافعي . وقد حرص الواقف على تسجيل

أبى طالب رضي الله عنه ويقال : إن قبر قتله الحجاج وقتل ابنه ومقتل ميشا التمار بالكوفة ، وبها قبور الأولاد جعفر بن أبى طالب ، وهو جعفر الطيار ، وبها مقام كعب الأحيار ومشهد لأبى السرداء وأبى ذر ، وبها قبر يونس والحرث بن عطف الكندي وخالد الأزرق الفاضلي والحجاج بن عامر وكعب وغيرهم .

وينسب إليها جماعة من العلماء ، ومن أعيانهم : محمد ابن عوف بن سفيان أبو جعفر الطائي الحمصي الحافظ ، قال الإمام أبو القاسم الدمشقي : قدم دمشق في سنة ٢١٧ وروى عن أبيه وعن محمد بن يوسف القزويني وأحمد بن يونس وأدم ابن أبى إيسا وأبى المنيرة الحمصي وعبد السلام بن حيد الحميدي السكيني وعلي بن قادم وخلق كثير من هذه الطبقة ، وروى عنه أبو زرعة وأبو حاتم الرزائني وأبو داود السجستاني وأبى بكر وعبد الرحمن بن أبى حاتم ويحيى بن محمد بن صاعد وأبو زرعة الدمشقي وخلق كثير من هذه الطبقة ، قال عبد الصمد بن سعيد القاضي : سمعت محمد بن عوف بن سفيان يقول : كنت ألعب في المكتبة بالكرّة وأنا حدث فدخلت الكورة المسجد حتى وقعت بالقرب من المعاني بن عمران فدخلت لأخذها فقال لي : يا فتى ابن من أنت ؟ قلت : أنا ابن عوف ، قال : ابن سفيان : قلت : نعم ، فقال : أما إن أبائك كان من إخواننا وكان ممن يكتب معنا الحديث والعلم والذي يشبهك أن تتبع ما كان عليه والدك ، فصررت إلى أمي فأخبرتني فقالت : صدق يا بني هو صدق لأبيك ، فألبستني ثوبًا من ثيابه وإزًا من أزره ثم جئت إلى المعاني بن عمران ومعى صبيحة وورق فقال لي : اكتب حدثنا إسماعيل بن عبد ربه بن سليمان ، قال : كتبت إلى أم للدرداء في لوسى فيما تعلمني : اطلبوا العلم صغارًا تعلموه كبارًا ، قال : فإن لكل حاصد ما زرع خيرًا كان أو شرًا ، فكان أول حديث سمعته ، وذكر عند يحيى بن معين حديث من حديث الشام فرده وقال : ليس هو كذا ، قال : فقال له رجل في الحلقة : يا أبا زكريا إن ابن عوف يذكره كما ذكرته . قال : فإن كان ابن عوف ذكره فإن ابن عوف أعرف بحديث بلد ، وذكر ابن عوف عند عبد الله بن أحمد بن حنبل في سنة ٢٧٣ فقال : ما كان بالشام منذ أربعين سنة مثل محمد بن عوف ، ذكر ابن قانع أنه توفي سنة ٢٦٩ وقال ابن المنادي : مات في وسط سنة ٢٧٢ .

تاريخ ملكة حلب لابن الشحنة - تقديم عبد الله محمد الدرويش / ٢٧٠
 - ٢٧٤، ومن كتاب قروح الشام لمحمد بن عمر الوائلي - اختار النص
 وقدم لها وعلق عليها ما جد الدمام / ٨٨ - ٩٠ والإشارات إلى أماكن
 الزيارات لابن الحوزاني - تحقيق بسام عبد الوهاب النجاشي / ١٤٨ -
 ١٥٤، والروشتين في أخبار المولتين لأبي شامة / ٢٣٧ - ٢٣١ .

• المصحف :

ذكره صاحب اللسان بكسر الحاء وتشديد الميم وفتحها أو
 كسرهما وقال : والمصحف والمصحف : حب القدر ، قال أبو
 حنيفة [الدينوري] : وهو من القطاني ، وأحدته حصص
 وحمصة ، ولم يعرف ابن الأعرابي كسر الميم في المصحف ،
 ولا حكى سيبويه فيه إلا الكسر فهما مختلفان . وقال أبو
 حنيفة : المصحف عربي وما أقل ما في الكلام على بنائه من
 الأسماء ... وأهل البصرة اختاروا حمصا [بكسر الميم] ،
 وأهل الكوفة اختاروا حمصا [بفتحها] وقال الجوهري :
 الاختيار فتح الميم ، وقال المبرد بكسرها (لسان العرب / ١٧
 . ٩٩٦) .

وقد أوردته المظفر الرسولي ورمز إلى مصادره بالحروف
 التالية :

ع : عبد الله بن البيطار صاحب « الجامع لقوى الأدوية
 والأغذية » .

ج : ابن جزلة صاحب « منهاج البيان فيما يستعمله
 الإنسان » .

ف : أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليس .

حمص « ع » هو جنس من الحبوب ، ينبت ويلين البطن ،
 ويدبر البول ، ويذهب في اللبن ... ، ويدبر أيضا الطمث ، فأما
 المصحف الأسود فهو أكثر إدراجاً من سائر الحمص ، وسأله
 الذي يطبخ فيه يفتت الحصة من الكلى . وقال : المصحف
 يدبر البول ، ويولد النفخ ، ويحسن اللون ، ويدبر الطمث ،
 ويمين في إخراج الجنين ، ويولد اللبن ، وهو يغلو الرثة أكثر
 من سائر الأشياء ، وكذلك إذا كان فيها قروح يعمل مع دقيقه
 حسو باللين الحليب ، ويسحق صاحب قروح الرثة ... وغذائه
 كاف ، ويحفظ في اللحم اتفاحا ، ويقبل في اللبن ما يفعله
 الخمر في العجين ، والمخل في الأرض . وهو نافع لما يعرض
 في الرأس والبلدن كله من الحكمة ، ... وطوبه أكثر توليدها

شرط الإقامة في المدرسة منقوشة على بابها ، وهو أثبه ما
 يكون باللائحة الداخلية للمعاهد بمفهومنا الحالي ، ومن ثم
 فمن الفائدة نقله هنا ، فهو من أصلق الأكلة التي توضع حالة
 المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في القرن السابع الهجري
 من الناحية الثقافية والاجتماعية . فقد جاء في النص ما يلي :
 أمر بعمل هذه المدرسة المباركة السيد الفقير إلى الله تعالى
 محمد بن محمد بن أبي بكر الشافعي خلا قبلها وما استثنى
 جعلها دار قرآن . ووقف عليها أوقافا كثيرة ليسكن في هذه
 الديار من فقراء المسلمين الغرياء مقيمين بها ليلاً ونهاراً يتلون
 كتاب الله ، ويتذكرونه بينهم ، ويدعون للواقف ولوالديه
 وللمسلمين بالنصر . وقرر بها شيخين يعلمون [يعلمان]
 الفتية القرآن الكريم ، وشرط أن يكون [تكون] مدة إقامة
 الفقير خمس سنين ، فإن ختم القرآن أو مضت المدة المعينة
 فيكسب ثوباً أو جبة . جعلها الله خالصه لوجهه الكريم في
 شوال سنة خمس عشرة وسبعماية (المجتمع الإسلامي في بلاد
 الشام / ١٤٥) .

ملاحظة : الصورة المصاحبة لهذه المادة تبين مسجد
 خالد بن الوليد شيد في مدينة حمص السلطان الظاهر بيبرس
 سنة ٦٥٣ هـ ، ثم أعيد بناؤه في عهد السلطان عبد الحميد
 سنة ١٣١٨ هـ ، ثم توالى عمليات الإصلاح (الرعي الإسلامي -
 السنة التاسعة العدد ٩٩ - غرة ربيع الأول ١٣٩٣ هـ - ٣ إبريل ١٩٧٣ م / ٣)

(من كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي الرعي - اختار النص
 وقدم لها وعلق عليها عبد الله نيهان ، السفر الثالث ، القسم الأول /
 ٣٧٥ هامش (١) للمحقق ، والرسالة الرشدية - محمد رشاد عبد الظاهر
 خليفة / ٢٠ ، ٢١ ، ولسان العرب / ١٢ / ٩٩٧ ، ورحلة ابن جبير ط عبد
 الحميد أحمد حفي / ١٩٨ ، ١٩٩ ، ومعجم البلدان لياقوت الحموي ٢
 / ٣٠٢ - ٣٠٤ والأصناف ذوات الآثار لشمس الدين الوهي - حققه وقدم
 له قاسم علي سعد / ١٧٣ ، والإعلان بالتاريخ لمن ذم التاريخ للمحافظ
 المؤرخ شمس الدين السخاوي - حققه وعلق عليه بالإنجليزية فرائز
 روزنثال / ٢٦١ ، ٢٩٥ ، ومهذب رحلة ابن بطوطة السمة تحة النظار في
 غرائب الأهرار وصنائب الأنهار - وقف على تهذيبه وضبط غريبه وأحلامه
 أحمد المومني بك ومحمد أحمد جاد المولى بك / ١ / ٥٣ ، ٥٤ والمجمع
 الإسلامي في بلاد الشام - د . أحمد رمضان أحمد محمد / ١٤٥ نظر أيضا
 أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي المعروف بالباري - وضع
 مقدمته وفرواشه ولطارسه د . محمد منيزم / ١٣٧ ، والدر المنتخب في

وقال الشيخ عبد الغنى النابلسي عن كيفية زراعته وعن بعض خواصه : وأما الحمص فأنواع : أبيض وأحمر وأسود . وإن أردت أن يكثر الحمص ويوجد فائقه قبل أن تزرعه بيوم في ماء ساخن قليل الحرارة حتى يثبت ، ثم تزرعه في أرض ندية ، وتوافقه الأرض السبخة ، فيخرج نباته قويا جلياً . والحمص الأبيض يورث أكله السرور وسكون النفس ، وإذا جعل معه عند طبخه خردل فإنه ينهري أنصاباً وزرع الحمص مع قشوره أجود . ومن خواصه أنه إذا سحق وخلط بالصابون أو بالملح وغسل به ثوب فيه أثر دم أزاله . والحمص يطعم الهضم جلياً ، وإصلاحه تكثير ملحه (علم الفلاحة / ١١٥) .

وعن إفلاح الحمص جاء ما يلي لمؤلف مجهول من القرن الثامن الهجري : الحمص من النباتات المألحة التي تجتذب ملوحة الأرض إليها . ويوقت زرع من أول كانون الآخر إلى آخر شباط (أي من أول يناير إلى آخر فبراير) . ويبدأ زرع في أول تموز (يولية) فيكون ضعيفاً ، ويوافقه من الأرضين الأرض المالحة والثرثرة . وإذا أريد أن يكون حمله كثيراً فليتبع قبل الزرع ييسون في ماء فاتر حتى يبتل قليلاً ثم يزرع في الأرض بتلاته . وقيل متى زرع في أرض سبخة مألحة خرج نباته قويا متوافراً ، ومتى أريد ميكراً فليزرع في أول تشرين الأول (أكتوبر) ، وإن زرع مع قشوره كان أجود وأقبل (مفتاح الزراعة / ١٢٨ ، ١٢٩) .

(لسان العرب لابن منظور ٩٩٦ / ١٢ ، والمعتمد في الأدوية المفردة للمفكر الرسولي... صححه وظهره مصطفى السقا ، ١٠٣ / ١ ، ١٠٥) .

ومنحصر لفظ المنافع للإمام ابن الجوزي / ٤٢ ، وعلم الملاحة في علم الفلاحة للشيخ عبد الغنى النابلسي / ١١٥ ، ومفتاح الزراعة لأهل الفلاحة لمؤلف مجهول من القرن الثامن الهجري . تحقيق ودراسة د. محمد عيسى صالحة ود . إحصان صلي المعد / ١٢٨ ، ١٢٩) .

● حمص (موقلة-):

تتناول المصادر التاريخية التي بين أيدينا عدداً من المعارك التي دارت في مدينة حمص نورد منها ما يلي ونقتا للترتيب الزمني :

- ١ - حمص ١٥ هـ : وهي من الفتوحات الإسلامية بعد رسول الله ﷺ ، وقد ذكر ابن حزم أن فتح حمص كان بعد دمشق بأربعة أشهر ، من ستة أربع عشرة من الهجرة (الفتوحات الإسلامية / ٧) .

للفضل من بابسه ، ويابسه يجلو الشمس ، وينفع من وجع الظهر ، وتيقه ينفع من وجع الفرس ، وينفع من أورام اللثة الحارة ، ودعته ينفع من القيواء ، وإذا طبخ مع اللحم أعان على نضجه ، وإذا غسل به أنسر الدم قلعه من الثوب . والحمص الأسود أكثر حرارة ، وأقل رطوبة من الأبيض ، ولذلك صارت مرارته أظهر على حلاته وصار فعله في تفتيح سدد الكبد والطحال ، وتفتيت الحصاة ، وإخراج الدود وحب القرع من البطن ، وإسقاط الأجنة ، والنفع من الاستسقاء والبرقان المعارض من سدد الكبد والمرارة ، فيه أقوى وأظهر وأما في زيادة اللبن وتحسين اللون وإدراغ البول ، فالأبيض أحسن لذلك وأفضل ، لعلوته ولذاته وكثرة غذائه . « ج »

منه أبيض ومنه أحمر ومنه كرمي ، ويكون برياً ويستأنا ، والجرى أحد وأمر ، وأشد نسيئاً ، والأسود أقوى وأبلغ في أفعاله ، وهو يسقط الأجنة ، والأبيض حار رطب في الدرجة الأولى وقيل إنه يابس ، وهو ملين ، يجلو الشمس ، ويحسن اللون . « ف » حب معروف أبيض اللون ، وأحمر ، وأسود ، وأجوده الأبيض الكبار . حار في الثانية ، رطب في الأولى ، ينفع وجع الظهر ، ويصفى الصوت ...

والأسود منه خير من الأبيض . الشربة : بقدر الحاجة له . وجاء في هامش (١) ما يلي :

مضرته : يقرح الكلى ، ويولد نفخاً ورياحاً ، ويسقط الأجنة . دفع ضرره : أن يجرش ويطح بالشب والكمون والزيت والدارصيني ، ويشرب مرقه ، ولا ياكل جرمة ، فإنه إذا فعل به كذلك نفع الشيوخ من الأمراض الباردة ، ومن أحب أكل جرمة ، فليأكله بالملح الكثير والحرى ، وإن دفع إلى أكل نيته أكل بالأوراق النسمة ، وإن دفع إلى أكل العقلى منه ، فليأكله سخناً كما قل ، ليسرع اتحلله ، وإن دفع إلى أكل المشوي منه فليرش عليه الماء والملح ، حسو الحمص المعمول من دقيقه نافع من عسل الصدر والسرقة ، ومن السعال . ضرره : يولد نفخاً . دفع ضرره أن يطبخ في اللبن الحليب ودهن اللوز . اهـ (المعتمد في الأدوية المفردة / ١٠٣ - ١٠٥) .

قال الإمام ابن الجوزي : إذا نفع في الخل ، وأكل منه على الريق ، وصبر عليه نصف يوم ، قتل الدود (مختصر لفتا المنافع / ٤٢) .

أما ابن كثير فقد أدرج هذه الموقعة في أحداث سنة ١٥ هـ وقال عنها ما يلي :

لما وصل أبو عبيدة في أتباعه الروم المنهزمين إلى حمص ، نزل حولها يحاصرها ، ولحقه خالد بن الوليد فحاصروها حصاراً شديداً ، وذلك في زمن الجرد الشديد ، وصابر أهل البلد رجاء أن يصرفهم عنهم شدة البرد ، وصبر الصحابة صبراً عظيماً ، بحيث إنه ذكر غير واحد أن من الروم من كان يرجع ، وقد سقطت رجله وهي في الخف ، والصحابة ليس في أرجلهم شيء سوى النعال ، ومع هذا لم يصب منهم قدم ولا أصبع أيضاً . ولم يزالوا كذلك حتى استلخ فصل الشتاء فاشتد الحصار ، وأشار بعض كبار أهل حمص عليهم بالمصالحة فأبوا عليه ذلك وقالوا : أتصالح والملك منا قريب ؟ .

فيقال : إن الصحابة كيروا في بعض الأيام ارتجت منها المدينة حتى تسقط منها بعض الجدران ، ثم تكبيرة أخرى فسقطت بعض الدروع فجاءت حامتهم إلى خاصتهم فقالوا : ألا تنظرون إلى ما نزل بنا ، وما نحن فيه ؟ ألا تصالحون القوم عنا ؟ قال : فصالحوهم على ما صالحوا عليه أهل دمشق ، على نصف المنازل ، وضرب الخراج على الأراضي ، وأخذ الجزية على الرقاب بحسب الغنى والفقر . وبعث أبو عبيدة بالأمان والبالغة إلى عمر مع عبد الله بن مسعود . وأرسل أبو عبيدة بـحمص جيشاً كثيفاً يكون بها مع جماعة من الأمراء ، منهم : بلال ، والمقداد . وكتب أبو عبيدة إلى عمر يخبره بأن هرقل قد قطع الماء إلى الجزيرة وأنه يظهر تارة ويخفي أخرى . فبعث إليه عمر يأمره بالمقام ببـلدة (البلدة والنهاية ٤ / ٧٠ ، ٧١) .

ويتناول الراكب نهاد عباس شهاب الجبوري وقعة حمص الأولى هذه بمنظور عسكري حديث وبين الاستراتيجية العسكرية للمسلمين ، تلك الاستراتيجية التي قادت في النهاية إلى النصر المبين قال سيادته تحت عنوان فتح حمص سنة ١٥ هـ :

استخلف أبو عبيدة على بعلبك رافع بن عبد الله . ونظم جيشه للمسير وتوجه إلى حمص وعندما وصل قريبا من حمص توقف فيها ووضع ميسرة بن مسروق العبيسي ومعه

خمسـة آلاف فارس وعندما شعر أن ميسرة قد وصل أيضا ، وجه بعد ذلك عمرو بن معد يكرب الزبيدي ولحق به بقية الجيش . وصل أبو عبيدة إلى حمص فأرسل رسالة إلى حاكمها يدعوه بالعودة إلى السلم والالتزام بنصوص الاتفاقية وعندما عرف أن حاكم حمص مصمم على القتال قسم قواته إلى المجمامع التالية .

١ - المجموعة الأولى بقيادة المسيب بن نجيـه الغزاري للتمركز عند باب الجبل .

٢ - المجموعة الثانية بقيادة المرقال بن هشام بن عقبة بن أبي وقاص للتمركز عند باب الرستن .

٣ - المجموعة الثالثة بقيادة فنزل على باب الشام .

٤ - المجموعة الرابعة بقيادة خالد بن الوليد عند باب العصر .

كان حاكم حمص قد حصن مدينته واستعد للقتال وحفظ كميـات من الأغذية للحصار وأخذ ينتظر قوات الدعم متقنا بأن المسلمين لا يقاومون في الأجواء الباردة .

عندما علم الخليفة عمر رضـى الله عنه بحصار حمص واحتمال قيام العرب المنتصرة من غسان ولخم بدعمهم للروم أصدر أوامره إلى سعد بن أبي وقاص بتوجيه قوة إلى هـيث ورفقاءه لفتحها .

اشتد أمد الحصار ولما وضع أبو عبيدة مخططة للهجوم الكبير وتظاهر بالانسحاب تاركاً المواشى والغنائم في المؤخرة وعندما ابتعد عن المدينة انطلق جيش حمص لمطاردة جيش أبي عبيدة وأسرع الفرسان المسلمون لتطويق جيش حمص ومنعه من العودة إلى المدينة وتمزقت المقاومة بعد معركة حاسمة تحققت خلال المباحثة بالأسلوب .

المبادئ والدروس :

١ - الحشد :

وهو يعني جمع أكبر قوة ممكنة في مواجهة العدو ولقد كان التفوق العددي في جانب الروم وكان التفوق المعنوي يـموض المسلمين هذا التفوق وهذا لا يعني أنهم أهملوا هذا الجانب بل أعطوه أهمية بالغة فعندما شعر خليفة المسلمين الصديق رضـى الله عنه أن الفرق الإسلامية التي وجهها إلى

مجاهد وجيشه تسعون ألفاً وماذا عسى أن يفعل عمرو بن العاص مع هذا الجيش ؟ ودارت رعي المعركة بكل شراستها وفجأة تظهر في الميدان قوات خالد بن الوليد وتدخل المعركة وبذلك حقق المسلمون المباشرة وهزم الروم شر هزيمة .

كما أن تحرك خالد بن الوليد من العراق إلى الشام سلكا طريق الصحراء القاحلة متجنباً المقاومات التي الروم من مأمنهم باعتبار أن الصحراء لا يمكن اجتيازها إلا أن المسلمين سلكوها وباغتوا الروم بما لم يحسبوا وهذا دليل ساطع على اهتمام المسلمين في تطبيق مبدأ المباغثة وهناك أدلة كثيرة لتحقيق مبدأ المباغثة منها الحركة الإفرجية التي قام بها خالد ابن الوليد لفصل فرسان الروم عن المشاة التي تعتبر من روائع التاريخ العسكري الإسلامي والحديث في تنفيذ المخادعة والمباغثة وإيقاع العدو في موقف ليس بهالعه وبأثرها تمت هزيمة الروم وإبادتهم على بكرة أبيهم . وتظاهر المسلمون بالانسحاب من حمص وتركوا الشئون الإدارية خلفهم بهدف إغراء العدو لمطاردتهم وعندما نزع مختطفهم قاموا بهجوم مباغت وفق أسلوب منظم تمكنوا به من تطويق خصمهم وإرضاءه على الاستسلام وكذلك حفروا الحفر في حصار اللاذقية وانطلقوا منها بإغارة مباغثة .

٤ - المرونة :

المرونة تعني القدرة على الحركة والمناورة والانتقال والمسلمون يمتازون بهذه الصفة لأسباب عديدة منها أنهم عاشوا في الصحراء التي تتطلب تحركاً دائماً وطبيعة حياتهم تؤهلهم لخفة الحركة وسرعة الانتقال وقلة الدليل الإداري لدى المسلمين . وبعد تحرك خالد بن الوليد من العراق إلى الشام نموذجاً رائعاً لتطبيق مبدأ المرونة للحركة في عمليات فتح الشام فقد سار في الصحراء التي لا ماء فيها ولا كلاً قطع المسافة الطويلة في خمسة أيام . كما أن تحرك الفرق الإسلامية وتجمعها في أجنادين قبل وصول جيش الروم إلى جيش عمرو بن العاص وإيقادته ودخولها المعركة بأجمعها دليل على سرعة الحركة والمرونة المالية . وهناك دليل آخر على المرونة وتنقل جيوش المسلمين فقد استطاع المسلمون فتح المدن والانتقال السريع لفتح المناطق الأخرى فلو درسنا التوقيت الزمني لعمليات الفتح الإسلامي لوجدنا أن حركتهم

الشام لا تتناسب مع عدد أعدائهم جمع الرجال واستنصر الناس وأرسل الإمدادات وسير جيش خالد بن الوليد من العراق إلى الشام لإتخاذ الموقف .

٢ - الاقتصاد بالجهد :

صدرت الأوامر إلى القائد عمرو بن العاص بالتوجه إلى أجنادين وقد لاحظ في الوقت نفسه وهو رجل حرب وله خبرته بأن أرسطون قد وضع قوات في إيلياء والرملة وكانت هذه مقاومات إعاقة وشوكة لجيش الإسلام فكان لا بد أن يتصرف بحكمة ليبقى الهدف الرئيسي فلذلك وجه قوتين صغيرتين أفرزهما من جيشه وجعل قيادة الأولى لعلقة من حكيمة وقيادة الثانية لأبي أيوب المالكى لمواجهة ومشغلة هاتين القوتين المعاديتين وبذلك تفرقت القوة الرئيسية للهدف الأساسي وبذلك تحقق مبدأ الاقتصاد بالجهد .

خلال الهجوم على دمشق وضع القائد أبو عبيدة بن الجراح خطته طبقاً للأوامر الصادرة من الخليفة الفاروقى عمر بن الخطاب رضى الله عنه التي جاءت بكتساب الخليفة لأبي عبيدة أما بعد فابعداً بدمشق فانهلوا لها فأنها حصن الشام وبيت مملكتهم واشغلوا عنكم أهل فعل بخيل تكون بإزائهم في نخورهم

فكانت قوة الهجوم الرئيسية موجهة لفتح دمشق ولكن في الوقت ذاته أدرك المسلمون بأن للعدو قوات تهددكم في فعل وخشى أن تبادر هذه القوات إلى مشاركة قوة دمشق في القتال ومعاونتها ولكي يتم فتح دمشق ويحقق مبدأ الاقتصاد بالجهد فقد صدرت الأوامر لتخصيص قوة لمواجهة قوات الروم في فعل وتوجهت القوة الرئيسية دمشق وبذلك نجحت الخطة .

٣ - المباغثة :

لقد نظم القائد خالد بن الوليد جيشه للدخول في معركة أجنادين (انظرها في ٢ / ٤٥٤ - ٤٥٨) وأمر عمرو بن العاص بتنفيذ خطة بالغة الروعة محققاً بها مباغثة الروم حيث دخل جيش عمرو بن العاص المعركة حسب تنفيذ الخطة بدون جيش خالد بن الوليد واشتبك عمرو بن العاص مع جيش سرجيوس (تلرقي) وتظاهر بأنه وحيد في الميدان وبذلك ظن قائد الجيش الرومى بأنه حصل على مراده وهو الانفراد بجيش عمرو بن العاص البالغ تعدده سبعة آلاف

العالية النابعة من عقيدة الإسلام والتزامهم بمنهج القرآن ودوامهم على تلاوة القرآن التي ملئت قلب المسلم بأنه في قتاله يريد أن ينال إحدى الحسينين الاستشهاد الذي يقتضيه الخلود في الجنة وإما النصر الذي نتاجه عز الدنيا ورضوان الله في الآخرة .

وقد استطاع المسلمون التأثير على معنويات الروم باستهدافهم العناصر القيادية للروم لجعل الرعب في قلوبهم فاستطاع ضرار بن الأزور يوم أجنادين من قتل حاكم طبريا وقتل اصطفاً حاكم عمان وأخذ ينادي بأعلى صوته أنا الموت الأصفر أنا ضرار بن الأزور أنا الموت المسلط عليكم كما وإن الخطة التي وضعها قادة المسلمين بوضع النساء خلف الجيش وجندوهن لسرد المتخلفين من المعركة خطة لها مردودها وتأثيرها على الروح المعنوية للمقاتل المسلم وهذا ما حدث في أكثر معارك فتح الشام وفي الأخص المعركة الحاسمة « اليرموك » .

٧- القاعدة الأنية :

انتهت المرحلة الأولى من عمليات فتح الشام بسقوط دمشق وبهذه العملية تمكن المسلمون من إنشاء القاعدة الأنية للانطلاق منها لمناخبة فتح الأقاليم والاستناد إلى القاعدة الأنية دمشق التي لا خطر منها ولا خوف من عزلها وأصبحت بذلك الحامية مقر القيادة المتقدم الذي كان الخليفة الفاروق رضي الله عنه يتوجه إليه كلما تطلب الأمر لمعالجة المواقف العصيبة ويكون في الوقت نفسه على مقربة من مسرح العمليات .

٨- الاستطلاع واستخبارات المعركة :

اهتم المسلمون بالاستطلاع الدقيق حتى إن القادة كانوا يقرسون بالاستطلاع بأنفسهم واهتموا بجلب أدق المعلومات عن العدو ونواياه وطبيعة الأرض وقوة العدو عن طريق الأرصاد وبذلك كان المسلمون يعرفون كل تحركات العدو فقد عرف القادة المسلمون نوايا العدو قبل تنفيذه بضرب الفرق الإسلامية كل على انفراد وعلى ضوء المعلومات تمكن المسلمون تجميع الفرق الإسلامية وغرض المعركة مجتمعين وعدم إعطاء فرصة للعدو لتنفيذ مخططاته .

وقد استطاع خالد بن الوليد الحصول على المعلومات

وسرعة نقلهم وفتحهم البلدان لتنهل الدارس فكانت محاور تقدمهم من دمشق إلى بعلبك فحمص ، شبر ، حماة ، ثم حمص وبعده ذلك بعلبك ، حمص ، حماة ، حلب ، أنطاكية ، جبلة ، يانياس ، طرطوس ، ثم العودة إلى حمص ، حلب الجزيرة ، ما وراء الدروب محور العمليات الأولى ، دمشق بيسان ، أجنادين إيلياء محور العمليات الثاني وهذه التحركات تمت خلال عام واحد هو (١٥ هـ) وتمت تصفية المقاومات .

٥- العمل التعرضي والاحتفاظ بالمبادأة :

العمل التعرضي كما هو معروف يعني الهجوم وهو خير وسيلة للدفاع ويؤدي إلى كسب السيطرة ويمتص حرية العمل ويلزم العدو باتخاذ خطة للدفاع ويرفع الروح المعنوية في الوقت الذي يضعف روح الخصم ولم تنبأ أهمية العمل التعرضي عند المسلمين في عمليات فتح الشام كما كان اهتمامهم به من قبل حيث إن أغلب الفتوحات الإسلامية امتازت بالعمل التعرضي وهم المهاجمون ولي أرض الخصم وتقدم المسلمون من موقع لأخر من اليرموك ، إلى فعل ، إلى حمص ، وجعلوا عدوهم يتخذ مواضع دفاعية خوفاً من هجوم المسلمين المدبر لقوات الكفر وحاصروهم داخل حصونهم أشهراً عديدة ولم تكن لدى أعداء الإسلام الجرأة على مهاجمة المسلمين ، وفي الوقت ذاته كان المسلمون هم الذين يفرضون على العدو إرادتهم ويرفضون إرادة العدو في فرض مكان المعركة ، ويمتنعون عن زج قواتهم قبل إعداد الظروف المناسبة واستكمال كافة الاستحضارات وذلك لتحقيق النصر ، ففي معركة أجنادين وغيرها كان المسلمون هم الذين فرضوا على العدو اختيار المكان وبذلك كانت المبادأة في قبضة المسلمين دائماً .

٦- المعنويات :

امتاز المسلمون بالمعنويات العالية بلليل أن التصوق العددي بجانب الروم الألواف المولفة التي لا تقتل من نصف مليون جندي مزودين بأحسن الأسلحة وبينما المسلمون ألواف قليلة لا يزيد على أكثر تقدير على أربعين ألفاً ولكن ﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ﴾ [البقرة : ٢٤٩] .

واستعاض المسلمون عن هذا التصوق العددي بالمعنويات

جعل كثيرا من الأمراء يرتدون إليه ويحملون معه حملات صادقة على جيوش التتار وانضمت إليهم قوات من عرب البادية . وتقاتل كل من الطرفين في المعركة وقتل خلق كثير وجرح (منكوتر) نفسه وسقط عن جواده . فلب الذعر والخوف في صفوف التتار . ولم يقبل مساء اليوم نفسه حتى انهزموا . ولحق بهم المسلمون يقتلون من يركونه منهم وتم النصر للمسلمين . وقد استشهد عدد كبير من سادات الأمراء ، بينما مات خلق كثير من التتار غرقا في القرات أثناء الهزيمة . وكان وقع هذه المعركة أليسا على ملك التتار الذي أرسل إلى السلطان قلاوون يطلب المصالحة فاجابه إلى ذلك (معجم المعارك الحربية / ١٣١ ، ١٣٢) .

ومما جاء عن هذه المعركة أيضا أنه :

وفي عشية اللقاء في يوم الأربعاء ١٣ رجب خرج الناس في دمشق إلى الجامع الأورى ، وتضرعوا إلى الله تعالى ، طلبا للنصر ، وقد حملوا مصحف عثمان بن عفان على رؤوسهم ، وتبعهم الخطباء والوعاظ والقراء والمؤذنون إلى المصلى في قصر حجاج ، وكذلك فعل أهل الشام ومصر في جميع ملتهم .

الواقعة ٢٤ رجب سنة ٦٨٠ - تشرين أول - أكتوبر ١٢٨١ م
وفي صباح يوم الخميس ٢٤ رجب سنة ٦٨٠ هـ - ٣٠ تشرين الأول ، أكتوبر ١٢٨١ م ، كان اللقاء في الأرض الممتدة بين شريعة خالد بن الوليد في حمص ، وبين الرستن ...

حين ألحق التتار الهزيمة بيمرة المسلمين لآ جنودها بالفرار بينما ثبت الملك المنصور في القلب ثباتا رائعا . وقد وصل بعض الهاربين إلى دمشق وفرقة وأشاعوا الهزيمة في القاهرة وذلك قبل أن يأتي برید النصر .

أما القاهرة ، فقد استمر أهلها يبدعون في الصلوات ، ويقروون صحيح البخاري ، والقرآن الكريم ، وفي عادة انتشرت عندهم يلجؤون إليها في الشدائد ، وقد تجمعوا في المشهد الحسيني ، وكثر بكاءهم ونحيبهم ، واشتد هلمهم عندما أرسل المهزومون اللذين وصلوا إلى « قاقون » (إحدى المنازل بين دمشق والقاهرة في عصر المماليك) رسالة على جناح الطائر ، يخبرون فيها بالهزيمة ، فما وضع نائب السلطان

الكاملة عن الكمين وموقعه وعدد قوته الذي وضعه قائد الجيش الرومي لقتل خالد بن الوليد عند بدء المفاوضات في معركة أجنادين فأرسل خالد بن الوليد في الليل عشرة من أشجع فرسانه وتمكنوا من قتل أفراد الكمين (المعارك الحربية / ١٩٥ - ٢٠١) .

٢ - حمص ٦٤٣ هـ / ١٢٤٥ م :

جرت على شواطئ بحيرة حمص وقعة عظيمة اشعلتها جيوش الخوارزمية بقيادة ملكهم « بركات خان » اللذين عاثوا في المنطقة فسادا لا يتقنون إلا فن القتال وسفك الدماء ، وجاؤوا لتأييد الصالح أيوب على الصالح إسماعيل لطرده من دمشق . فلما تم لهم ذلك انضموا ثانية للصالح إسماعيل في بعليك ضد الصالح أيوب وعادوا إلى دمشق لحصارها وفتحها ثانية . فتحالف الصالح أيوب مع صاحب مصر الملك المنصور إبراھيم بن أسد الدين شيركوه ، فجمع هذا الجيوش من حلفائه وأمر استخلاص دمشق من الخوارزميين . ولكن هؤلاء خرجوا إليه ، ولتقي الطرفان عند بحيرة حمص . وكان يوما مشهودا قتل في عدد كبير من الخوارزمية وفيهم الملك بركات خان . وجيء برأسه على رمح . وتفرق شملهم وبذلك توفرت الفرص للصالح أيوب أن يستحوذ على دمشق . ودخلها في أبهة عظيمة وانتهى بهد هذه المعركة خطر الخوارزمية (معجم المعارك الحربية / ١٣٠) .

٣ - حمص ٦٨٠ هـ / ١٢٨١ م :

إحدى المعارك التي خاضها المسلمون مع التتار الذين كانوا يستغلون الفرصة كلما شعروا بتفرق كلمة حكام وأمرام بلاد الشام ، فيداهمون المدن والبلاد ، ويكثرون فيها القتل والنهب . وهذا ما حدث في رجب من عام ٦٨٠ هـ حيث أقيمت التتار من العراق بقيادة زعيمهم « منكوتر بن هولأكو » ووصلوا حماة فأحرقوا بستان الملك وقصره ، وتقدموا باتجاه الرستن حيث كان جند المسلمين بقيادة السلطان المنصور قلاوون تخيم ما بين حمص والرستن . فاقتل الطرفان قتالا عظيما . وانتصر التتار أول النهار بدعمهم قوات من الكرج ، وألحقوا الهزيمة بيمرة المماليك . فاضطربت جيوش المسلمين وانهزم كثير منهم والتتار في آثارهم حتى بحيرة حمص وقتلوا الكثير منهم . ولكن ثبات السلطان في المعركة

من ذا الذي يلقى ذا العبد وكسلا
أو يندح لامة ما لامها الصبر
يا أيها الملك المنصور قد كسرت
جنودك المغل كسرا ما له جبر
وامتاعوا شائفة الأعداء واتـ
تصروا لما ثبت وزال الخوف والهر
يا عزيمة ما رأى الرايون مشيها
ووقفة سار في الدنيا لها ذكر
لما بنى جيش أبيها في تجاسره
ولن يبدله إلا اللنا جسر
واستجمع المغل والتكفور وانفقوا
مع الفسرنج ومن أردى به الكفر
جاءت ثمانون ألفا من بمونهم
لأرض حمص فكان البعث والنشر
والى الخمينان فى يوم الخميس ضحى
وامتدت الحرب حتى أذن العصر
والسيف يركع والأعلام رالمة
والروس تسجد لا عجب ولا كبر
والخيل لا تفتسد إلا على جث
والسهل من رؤوس القتلى بسه وعسر
والبيض تمسك فى الأضغان من مهج
والسمر ناهيك يلمسا تفعل السمر
فجساء فى رجب هيبلان من عجب
لل سيف والرمح وهذا الفطر والنحر
فكان أسلمهم من أسلموه لأن
يقبوه الأيدى أو يسرى به الأسر
وراج فارسيهم تسروا راجلهم
تتأبه الوحش أو يتبى به القفس
فمسا وعى منهم راع رعيته
ولا أروى لهم من روعة كسر
وكبان فى يوم الخميس النصف من رجب
عام الثمانين هـ هذا الفتح والنصر

الملك الصالح على بن قلاوون إلا تجريد حملة عسكرية ،
لرد المنهزمين إلى الملك المنصور ، ومنعهم من دخول
القاهرة .

ولم تمض غير ساعات من يوم الخميس ٢١ رجب حتى
وصلت الطيور المعطرة ، تحمل الرسائل المعطرة بالنصر
المبين ، ثم تبعها البريد ، فدخلت البشائر ، وزينت القاهرة
والقلعة وسائر أنحاء مصر ، وكتب الملك الصالح إلى والده
يشفع فى المنهزمين وسأل المغو عنهم ، فأجيب إلى سوله .
وقد أظهر السلطان المنصور أخلاقا عالية ، وحكمة
بالغة ، بعيدة النظر، عقب المعركة ، كما كان شأنه قبلها
أيضا ، فقد اتفق أن وقع فى الأسر ، أحد المغول ، الذى كان
يحمل المحفظة الخاصة لمنكوتر ، (حامل الحرمان) كما
كان يسمى ، فوجدوا معه ، كتبا من الأمراء من أمثال سنقر
الأشقر وأيتمش السعدى ، وغيرهما ، تحض المغول على
التوجه إلى بلاد الشام ، فأمر السلطان بحرق الكتب قبل
الاطلاع عليها ، واستمر فى إكرامه لسنقر الأشقر وذهبه إلى
قلاعه معززا مكربا .

ودخل السلطان دمشق يوم الجمعة ٢٢ رجب ، فخرج
الناس لاستقباله ، ودخل معه جماعة من أسرى المغول
بأيديهم رماح ، عليها رؤوس القتلى ، ودخل معه عدد كبير
من الأمراء ...

ولى يوم الأحد الثانى من شعبان ١٦ تشرين الثانى ،
غادر دمشق إلى القاهرة ، السلطان قلاوون ، وأمر النواب
بتجهيز الزينة ، ودخل القاهرة يوم ٢٢ شعبان وأمامه المغول
أسرى وقتلى ، وكان يوما مشهودا فى تاريخ مصر والقاهرة
(معارك المغول الكبرى فى بلاد الشام / ٩٠ ، ٩١ ، ٩٤ ، ٩٥) .

أما ما قيل فى هذه الوقعة من الأشعار فسوق لك منها ما
يلى مما أوردته صاحب عقد الجمان :

قال القاضى فتح الدين محمد بن عبد الظاهر ، كاتب
السر المنصور ، وناظر ديوان الإنشاء المعمور يذكر الواقعة
بقصيدة جامعة لأحوالها ، وهى :

الله أعطى لك لا زيدا ولا عمرو
هذا المعطاء وهذا الفتح والنصر
هذا المقسم الذى لم يلم تحل به
لم يبق والله لا شمام ولا مصمر

هو القائد الجيش المرمم خلفه
إلى القنان في موشان يطالبه جهرا
صاكر مله الأرض من كل وجهة
تجمعن حتى فسات المد والعصرا
تخيل رائتها القيامة مثلت
لمينيه في دنياه والعرض والحسرا
قلم يتج منها الوحش عند إشارة
ولا الطير في جور السماء إذا مررا
قتل للشارع الماعين عقولهم
نسيم سيوف الترك تفسر بكم جهرا
وكم كسروكم مسرة بعد مسرة
فما حصروا الفتى ولا استوعبوا الأمرا
وقد زاركم أبناء من بعد قتلكم
فاجري عليكم من مدامه جهرا
وأكبر مرأى حاله بسماعه
تفسر إلى ترويز يجملها ظهرها
ولو حل في خمدان يفي تحصنا
لما استطاع أن يقيم فيه ولا نرا
وأنتم سيف الدين أخبر في الوفا
فمالك همام قد أحطم به خبرا
ولم يخفكم حملاته ولطالما
أنا لكم الممران من طمعه الممر
أنتيم في حين جساوت ما جرى
وفي المين قد أجسرى مداهم نهرا
أما كسان في يسوم للفترات إليكم
مقلعة الجيش الذي هجر البحرا
(عقد الجمان ٢ / ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧) .
(الفتوحات الإسلامية بعد رسول الله ﷺ ابن حزم الأندلسي / ٧ ،
والبلدية والنهاية لابن كثير ط دار الفند العربي م ٤ / ٧٠ ، ٧١ ، والعمليات
التعريبية والدفاعية عند المسلمين - الوالد نهاد عباس شهاب الجبوري /
١٩٥ - ٢٠١ ، ومعجم للمعارك الحربية - ماجد القحام / ١٣٠ - ١٣٢ ،
ومعارك المغول الكبرى في بلاد الشام - أكرم حسن العلي دار الساكن

وعاد سابطاتنا المنصور متحصرا
فما الحمد لله تم الحمد والشكر
وقال ناصر الدين حسن بن التقي أحمد الكتانية ، وكان
مفلحا في الفنون الأدبية والشعرية يذكر هذه النصرة المنصورية :
هي النعمة الكبرى هي النصرة العظمى
هي اللفظ والمعنى هي البشير والبشرى
هي المطلب الأمنى هي المنحصة التي
لقد شرفت قدرا وقد عظمت ذكرا
هي الوقفة المماء والحطمة التي
بها انكسر الفكر الذي لم يجد جبرا
هي الفتك بسلاسله والظفر الذي
شلى القلب من أبقا وقد أثلج الصدرا
وأمكن من صفار حسد سيوفنا
فخر إلى الأقدان لا ساجدا شكرا
ونكس أصلاما وفل كتابنا
لنكتومر كالأسد في الحرب بل أضرا
فلما رآه قد تقطر كاتلسوا
عليه قتالا قطع البيض والممر
فلما نجا منها وركب طرفه
تولى وعلى الابن والأب والصهر
وراح نخينا بسابح مبرر
بن ويشكو من مضاضتها ضرا
فلكه منا الحمد والشكر دائما
فقد أصل الإسلام واستأصل الكفرا
فقل للروس المغل إن قلاتنا
هو السيف ضاربا لأعدائكم قهرا
هو الملك المنصور والله خاند
لأعدائه خلاتنا وناصره نصرا
هو المقدم الكرار في حومة الوغى
إذا حجم الأبطال وامتلأ فذعرا
هو الأسد المهادي على أنفاس العدى
هو القهر الهادي إذا أنظم الممر

للتراث . بيروت . الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م / ٩٠ ، ٩١ ، ٩٤ ، ٩٥ ، وعقد الجمان لبدر الدين العيني - حققه ووضع حواشيه د . محمد أمين ٢ / ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، انظر أيضا من كتاب نوح الشام لمحمد بن عمر الواقدي - اختار النصوص وقدم لها وعلق عليها مابد للحام / ٨٨ - ٩٨) .

* الحمصى :

الحمصى : حمص يكسر الحاء وسكون الجيم والصاد فير المنقوطة بلدة من بلاد الشام ، أقمت بها أربعة أيام ، وكتب بها عن جماعة ، وبها قبر خالد بن الوليد سيف الله رضى الله عنه وسميت حمص وحبب بجمص وحبب ابنى مهر بن حمص بن حجاب بن مكثف بن علقم لأنهما بنيا البلدين فنسبا إليهما ، والمحدثون من هذه البلدة سالم لا يخلصون ، فمنهم أبو عبد الله محمد بن المصنف بن يهلول الحمصى ، يروى عن سفیان بن عيينة وجماعة ، ذكر ابن فضيل يقول عاشرت محمد بن مصفى بن حمص إلى مكة سنة ست وأربعين - يعنى وماتين - فاعتل بالحمصة ودخل مكة وهو لما به ، ومات بمضى فدخل أصحاب الحديث عليه وهو فى النزح فقرأوا عليه حديث ابن جريج عن مالك وحديث ابن حرب عن عبد الله بن عمر فما عقل ما قرئ عليه . وقال محمد بن عوف الحمصى رأيت محمد بن المصنف فى النوم وكان مات بمكة فقلت : أبا عبد الله أليس قد مت ؟ إلى ما صرت ؟ قال : إلى خير ، ومع ذلك فنحن نرى رينا كل يوم مرتين . فقلت يا أبا عبد الله صاحب سنة فى الدنيا وصاحب سنة فى الآخرة ؟ قال فتبسم .

وأبو بشر شعيب بن أبي حمزة الحمصى مولى بنى أمية ، من أهل حمص ، واسم أبى حمزة دينار ، يروى عن الزهرى ونافع روى عنه الوليد بن مسلم وثمان بن سعيد القرشى ، مات سنة اثنتين وستين ومائة .
وأبو اليمان الحكم بن نافع الحمصى ، يروى عن شعيب ابن أبى حمزة ، روى عنه محمد بن إسماعيل البخارى .
وأما معاوية بن صالح الحمصى المحدث المعروف كنت أظن أنه من حمص نزل بلاد الأندلس ، حتى قال لى صاحبنا أبو محمد عبد الله بن عيسى بن أبى حبيب الإشبلى (الحافظ) إن عبد الله بن معاوية الحمصى من حمص الشام

البلد المعروف ، ونزل حمص الأندلس وبها مات ، ثم قال يقال لمدينة إشبيلية بالأندلس مدينة حمص ، وسكن عبد الله ابن معاوية حمص الأندلس من حمص الشام ، وتوفى بإشبيلية التى يقال لها حمص وقبره معروف بالخولانية ، وهى محلة بإشبيلية معروفة ... (فى الباب « معاوية بن صالح الحمصى كان من حمص الشام وانتقل إلى الأندلس فنزل حمص الأندلس وهى مدينة إشبيلية ... وتوفى بإشبيلية » كذا قال وليس هذا فى أصله كما ترى ثم قال « إلا أن هذه النسبة لا تطلق إلا على حمص الشام » وراجع التعليق على الإكمال ٣ / ٢٢ و ٢٣) .

وأبو هاشم عبد الغفار بن سلامة بن أحمد بن عبد الغفار ابن سلامة بن أزهر الحضرمى الحمصى من أهل حمص ، كان جوالا ، حدث فى عدة مواضع عن يحيى بن عثمان الحمصى وكثير بن عبيد الحلاء ، ومحمد بن عوف الطائى ومزداد بن جميل البهرانى وغيرهم ، روى عنه أبو الحسن على ابن عمر الدارقطنى وأبو حفص بن شاهين وأبو الحسين بن حمة الخلال ومحمد بن عبد الله بن جامع الدهان ويوسف بن عمر القواسم والقاضى أبو عمر الهاشمى البصرى وهو آخر من روى عنه فى الدنيا كلها ، وكان ثقة ، ومات بالبصرة سنة ثلاثين وثلاثمائة .

(الأنساب للسمعاني - تلخيص وتعليق عبد الله عمر البروردي ٢ / ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، انظر أيضا الباب لابن الأثير - تحقيق د . مصطفى عبد الواحد ، ١ / ٤٥٣) .

* الحمصى :

قال السمعانى :

الحمصى : بكسر الحاء المهملة وتشديد الجيم المكسورة وفى آخرها الصاد المهملة ، هذه النسبة إلى الحمص وهو من الحبوب ، والمشهور بها إبراهيم بن الحجاج بن منير الحمصى ، هذا الرجل كان يقضى الحمص ويبيعه - هكذا ذكره أبو سعيد بن يونس الصدفى صاحب كتاب تاريخ مصرتين ، قال وكان يعرف بالقلاء ، سمع من أبيه وغيره ، وكان ثقة مرضيا .

وعبد الله بن منير الحمصى ، مصرى ذكره ابن يونس أيضا قال وكان يسكن دار الحمص التى فى الصرعية فنسب إليها

وهو مولی بعض موالی أبی عثیم مولی مسلمة بن مخلد الأنصاری ، كان هو وأخوه حجاج موقنین عند القضاة ، وقد حدثا جميعا ، ويقال إلهما مولیا الأصحیحین ، توفي حجاج بعد سنة سبعین ومائتین .

وأبو الحسن علی بن عمر بن محمد الحرانی الصوفی الحمصی وإنما قيل له الحمصی لأنه يعرف بابن حمصة ، وكان من ثقات المصریین ، يروی عن أبی القاسم حمزة بن محمد بن علی بن محمد بن العباس الکنانی الحافظ ، روى عنه أبو منصور عبد المحسن بن محمد بن علی التاجر الشیعی وأبو محمد عبد العزیز بن محمد بن محمد النخعی وأبو عبد الله أحمد بن محمد بن إبراهیم السرازی نزہل الإسکندریة ؛ قال عبد العزیز النخعی : ابن حمصة سمع حمزة بن محمد بن علی الکنانی سنة سبع وخمسين سمعته یقول سمعت منه المجالس السبعة التي أملاها إلا أنها ضاعت وبقي معي مجلس واحد ، سمعته منه ، وكانت وفاته فی حدود سنة أربعین وأربعمائة .

(الأنساب للسعمانی ٧ / ٦٤٤ . انظر أيضا للیاب لابن الأثیر ١ / ٤٥٣) .

• ابن الحمصی (٧٧٧-٨٦١ هـ / ١٣٧٦-١٤٥٧ م) :

من شیوخ المدرسة الصلاحیة بالقدس الشریف أعاده الله دیار إسلام ، وهو قاضی القضاة شیخ الإسلام سراج الدین أبو حفص عمر بن موسی بن محمد القرشی المنحزوی ، الحمصی ، القاهری ، الشافعی ، المعروف بابن الحمصی ؛ وقد تولى ابن الحمصی مشیخة الصلاحیة بین سنی ٨٥٤ هـ و ٨٥٦ هـ ، بدلا من جمال الدین بن جماعة .

من الواضح أن ابن الحمصی ولی مشیخة الصلاحیة فی آخریات حیاته بعد أن بلغ من العلم مبلغا کبیرا . وكان ابن الحمصی قد تلقى العلم ببلده ، فقرأ القرآن بقرأة عاصم ، وحفظ عددا من الکتب فی الفقه ، والحديث ، والعریة ، مثل : المنهاج ، والإلصاق فی أحادیث الأحکام ، وألفية ابن مالک ، ثم درس الفقه ، وقرأ المنهاج (الفهره للامع ٦ / ١٤٠) .

توجه ابن الحمصی إلى دمشق ، طالبا العلم ، ودرس فیها الفقه ، والأصول ، والعریة ، علی عدد من أشهر العلماء ، ثم توجه إلى بعلبك ، وسمع فیها صحیح مسلم ، ثم توجه إلى

حملة ، ودرس فیها النحو علی عدد من علماء العریة . وفى سنة ٨٠٤ هـ ، توجه إلى القاهرة ، ودرس فیها الفقه والحديث ولازم عددا من أشهر العلماء فیها من أمثال سراج الدین البلقینی ، ثم لازم ولده جلال الدین البلقینی المتوفى سنة ٨٢٤ هـ ، وأخذ الحديث ، وحصل علی الإجازة منه . واستمر ابن الحمصی یتلقى العلم بالقاهرة حتى سنة ٨٠٧ هـ . ولیها عاد إلى الشام ، وقطنها مدة ، واشتغل بالقضاء نیابة ، ثم ولی قضاء طرابلس استقلا . وعاد ابن الحمصی إلى القاهرة ثانية ، ونزل بمدرسة البلقینی ، ودرس فیها بعد حصوله علی الإذن بالإفتاء والتدريس من البلقینی ، والإجازة من ابن حجر العسقلانی أيضا . وفى سنة ٨٢٣ هـ ، توجه إلى مكة ، وجاور فیها ، والتقى فیها بابن الجزری ، وسمع علیه . ثم توجه إلى الیمن ، ولیها تلقى علیه طالبو العلم . وكتب هناك ردا علی کتاب « الفصوص » لابن عربی ، وجاء رده فی قصيدة تقع فی مائة وأربعین بیتا ، ثم عاد إلى القاهرة ، وتردد بینها و بین الشام ، وفى سنة ٨٢٥ هـ اشتغل بالقضاء نیابة فی أسیروط ، وعمر فیها عاما ، وأخذ عنه طالبو العلم فیها . ثم ولی القضاء ثانیة مرة فی طرابلس ، وأخرى فی دمشق ، وكان قد تولاه فی دمشق سنة ٨٣٨ هـ (الفهره للامع ٦ / ١٤١ ، ١٤٠) .

وبعد هذا كله ، تولى التدريس بالصلاحیة ، وكان عالما ذا خبرة بالتدريس ، كما كان صاحب نظم ونثر ، فقد تقدم ذكر قصیدته فی الرد علی ابن عربی ، وله قصيدة أخرى ینکر فیها تكفیر ابن تیمیة ، علی بعض من كفره (انظر آباء المدر ٣ / ٤٩١ ، والفهره للامع ٦ / ١٤١) وله قصيدة ثالثة نظمها فی مناسبة زواج . وذكر السخاوی أنه كان « یملى لنفسه تصانیف کثیرة » ولكنه لم یقف علی شيء منها (الفهره للامع ٦ / ١٤١) .

ولا شك أنه درس بالصلاحیة الفقه ، والحديث ، والأصول ، والعریة ، فقد درسها ، وحصل علی إجازات فیها كما تقدم ، وأعلمه عنی بموضوعات أخرى حول ابن تیمیة وغیره .

وتكرر السخاوی أن ابن الحمصی درس بمصر ، بعد تدريسه بالصلاحیة فی بیت المقدس ، فقد تولى الصلاحیة القاهرية تدريسا ونظرا (الفهره للامع ٦ / ١٤١) .

وحملت المرأة حبلت وكذا حملت الشجرة ، يقال حمل وأحمل ، قال عز وجل ﴿ وأولئك الأحمال أبجلن أن يضمن حملهن ﴾ [الطلاق : ٤] ﴿ وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ﴾ [فصلت : ٤٧] ﴿ حملت حملا خفيفا فمرت به ﴾ [الأعراف : ١٨٩] ﴿ حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا ﴾ [الأحزاب : ١٥] والأصل في ذلك الحمل على الظهر فاستعير للمحمل بدلالة قولهم وسقت الناقة إذا حملت وأصل الوسق الحمل المحمول على ظهر البعير ، وقيل المحمولة لما يحمل عليه كالقتوية والركوبة ، والمحمولة لما يحمل والحمل للمحمول وخص الضأن الصغير بذلك لكونه محمولاً لمجزه أو لقربه من حمل أمه إياه ، وجمعه أحمال وحملان وبها شبه السحاب فقال عز وجل ﴿ فالحاملات وقرأ ﴾ [الناريات : ٢] والحمل السحاب الكثير الماء لكونه حاملاً للماء ، والحميل ما يحمله السيل والغريب تشبيهاً بالسيل والولد في البطن ، والحميل الكثير لكونه حاملاً للحق مع من عليه الحق ، وميزات الحمل لمن لا يتحقق نسبه وحالة الحطب كناية عن النمام ، وقيل فلان يحمل الحطب السرب أي يتم (المفردات في غريب القرآن / ١٣١، ١٣٢) .

ونتناول « الحمل » فيما يلي من حيث أنه :

- ١- حمل الشيء كأن يحمل الشيء على ظهره ... إلخ
- ٢- الحمل بمعنى ما يحمل في البطن من الولد، وما يتصل به من أحكام الطلاق والعدة والميراث .
- ١- الحمل بمعنى حمل الشيء : أفرد التعالي فصلًا في أشكال الحمل جاء فيه ما يلي : عن أبي عمرو عن ثعلب عن ابن الأعرابي وعن ابن نصر عن الأصمعي : الحفنة بالكف . الحشة بالكفين . الغبشة ما يحمل بين الكفين . الحال ما حملته على ظهره . الثياب ما لفقت عليه حجارة سراويلك من خلف . الضفنة ما حملته تحت إبطك . الكارة ما حملته على رأسك وجعلت يديك عليه لئلا يقع (فقه اللغة / ١٢٣) .
- ٢- الحمل بمعنى ما يحمل في البطن من الولد وأحكامه من حيث الميراث ومن حيث مدة الحمل ، وهو ما يوضحه فضيلة الشيخ السيد سابق كما يلي :
- حكمه في الميراث :
- الحمل إما أن ينفصل عن أمه وإما أن يبقى في بطنها ، وهو في كل من الأمرين له أحكام نذكرها فيما يلي :

ويبدو أنه عاد إلى بيت المقدس ، فقد ذكر السخاوي أنه توفي فيه سنة ٨٦٦ هـ (الفتاوى للجامع ٦ / ١٤١ ، الأس الجليل ٢ / ١١٤) (المدراس في بيت المقدس ١ / ٢٥٥-٢٥٧) .

وقد ذكر الزركلي أن قصيدة ابن الحصص في إنكار تكفير ابن تيمية هي قصيدة ثانية تزيد على مائة بيت ، وهي في إنكار تكفير العلاد البخاري لابن تيمية (الأعلام ٥ / ٦٨) .

(المدراس في بيت المقدس - د. عبد الجليل حسن عبد المهدي ٢٥٥-٢٥٥ / ١ ، والأعلام للزركلي ٥ / ٦٨) .

• الفصل :

قال الراغب الأصفهاني في مادة « حَمَلَ » :

حمل : الحمل معنى واحد اعتبر في أشياء كثيرة فسوى بين لفظه في فعل وفرق بين كثير منها في مصادرها ف قيل في الأفعال المحمولة في الظاهر كالشيء المحمول على الظهر حَمَلَ ، وفي الأفعال المحمولة في الباطن حَمَلَ كالولد في البطن والماء في السحاب والثمرة في الشجرة تشبيهاً بحمل المرأة قال تعالى : ﴿ وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ﴾ [فاطر : ١٨] يقال حملت الثقل والرسالة والوزر حملاً قال الله تعالى : ﴿ وليعلمن أنفأ لهم وألغالا مع أنفالهم ﴾ [التكوير : ١٣] وقال تعالى : ﴿ وما هم بحاملين من غيظناهم من شيء ﴾ [التكوير : ١٢] وقال تعالى : ﴿ ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه ﴾ [التوبة : ٩٢] وقال عز وجل : ﴿ ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ﴾ [النحل : ٢٥] وقوله عز وجل : ﴿ مثل الذين حُمِّلُوا الثبالة ثم لم يحملوها كمثل الحمار ﴾ [الجمعة : ٥] أي كلفوا أن يتحملوها أي يقوموا بحملها فلم يحملوها ويقال حُمِّلَتْ كذا فتحمله وحملت عليه كذا فتحمله واحتمله وحمله ، وقال تعالى : ﴿ فاحمِل السيل زيدا رايبا ﴾ [الرعد : ١٧] ﴿ حملناكم في الجارية ﴾ [الحاقة : ١١] وقوله تعالى : ﴿ فلن تولدوا إنا ما عليه ما حُمِّل وعليكم ما حملتم ﴾ [التور : ٥٤] وقال تعالى : ﴿ ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا رينا ولا تحمِلنا ما لا طاقة لنا به ﴾ [البقرة : ٢٨٦] وقال عز وجل : ﴿ وحملناه على ذات ألواح وصير ﴾ [القمر : ١٣] ﴿ فريه من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكورا ﴾ [الإنشراء : ٣] ﴿ وحملت الأرض والجبال ﴾ [الحاقة : ١٤] .

الحمل إذا انفصل عن أمه :

إذا انفصل الحمل عن أمه ، فلما أن يتفصل حيا أو يتفصل ميتا ، وإن انفصل ميتا ، فلما أن يكون انفصاله بتغير جنابة ولا اعتداء على أمه أو بسبب الجنابة عليها ، فإن انفصل كله حيا وورث من غيره وورثه غيره لما روى عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال :

« إذا استهل المولود ورث » .

الاستهلال رفع الصوت ؛ والمراد إذا ظهرت حياة المولود وورث .

وعلمة الحياة صوت أو تنفس أو عطاس ونحو ذلك .

وهذا رأى الشورى والأوزاعي والشافعي وأصحاب أبي حنيفة .

وإن انفصل ميتا بتغير جنابة على أمه فإنه لا يرث ولا يورث اتفاقا .

وإن انفصل ميتا بسبب الجنابة على أمه فإنه في هذه الحال يرث ويورث عند الأحناف .

وقالت الشافعية والحنابلة ومالك . لا يرث شيئا ويملك الغرة فقط ضرورة ولا يورث عنه سواها ويرثها كل من يتصور إرثه منه .

وهب الليث بن سعد وربيعة بن عبد الرحمن إلى أن الجنين إذا انفصل ميتا بجنابة على أمه لا يرث ولا يورث . وإنما تملك أمه الغرة وتختص بها لأن الجنابة على جزء منها وهو الجنين ، ومتى كانت الجنابة عليها وحدها كان الجزء لها وحدها . وقد أخذ القانون بهذا .

الحمل في بطن أمه :

١ - الحمل الذي يبقى في بطن أمه لا يوقف له شيء من التركة متى كان غير وارث أو كان محجوبا بغيره على جميع الاعتبارات .

فلذا مات شخص ترك زوجة وأبا وأما حاملا من غير أبيه . فإن الحمل في هذه الصورة لا ميراث له لأنه لا يخرج عن كونه أcha أو أختا لأب . والإمرة لأب لا يرثون مع الأصل الوارث وهو هنا الأب .

٢ - وتوقف التركة كلها إلى أن يولد الحمل إذا كان وارثا ولم

يكن معه وارث أصلا أو كان معه وارث محجوب به باتفاق الفقهاء .

وتوقف كذلك إذا وجد معه ورثة غير محجوبين به وورثا جميعا صراحة أو ضمنا لم يمتد قسمتها بأن سكتوا أو لم يطلقوا بها ٣ - كل وارث لا يتغير فرضه بتغير الحمل يعطى له نصيبه كاملا ويوقف الباقي .

كما إذا ترك الميت جدة وامرأة حاملا فإنه يعطى للجدة السهم لأن فرضها لا يتغير سواء ولد الحمل ذكرا أم أنثى .

٤ - المولود الذي يسقط في إحدى حالات الحمل ولا يسقط في الأخرى لا يعطى شيئا للشك في استحقيقه ؛ فمن مات وترك زوجة حاملا وأخا فلا شيء للآخر لجواز كون الحمل ذكرا . وهذا مذهب الجمهور .

٥ - من يختلف نصيبه من أصحاب الفروض باختلاف ذكورة الحمل وأنوثة يعطى أقل التصيين ويوقف للحمل أوثر التصيين . فإن ولد الحمل حيا وكان يستحق النصيب الأوفر أخذه وإن لم يكن يستحق بل يستحق النصيب الأقل أخذه ورد الباقي إلى الورثة ؛ وإن نزل ميتا لم يستحق شيئا وورثت التركة كلها على الورثة دون اعتبار للحمل .

أقل مدة الحمل وأكثرها :

وأقل مدة يتكون فيها الجنين ويولد حيا ستة أشهر لقول الله سبحانه :

﴿ وحمله وفصاله ثلاثون شهرا ﴾ [الأحقاف : ١٥] .

مع قوله تعالى : ﴿ وفصاله في عامين ﴾ [لقمان : ١٤]

فلذا كان الفصل عامين لم يبق إلا ستة أشهر للحمل .

وإلى هذا ذهب الجمهور من الفقهاء .

وقال الكمال بن الهمام من أئمة الأحناف . إن المادة المستمرة كون الحمل أكثر من ستة أشهر وربما يمضي دهور ولم يسمع فيها بولادة لسنة أشهر .

وفى قول لبعض الحنابلة : أقل مدة الحمل تسعة أشهر . وقد خالف القاتون قول جماهير العلماء وأخذ بقول بعض الحنابلة وبما قال به الأطباء الشرعيون ؛ وهو أن أقل مدة الحمل تسعة أشهر خلاصة (أي ٢٧٠ يوما) لأن هذا يتفق والكثير الغالب .

إن لم تقصر بانقضاء العدة
وولدت قبل تمام العدة
منه فبوره وإن من غيره
بعد الأقل لم يمل من غيره
إلا التي تعد للطلاق إن
بالانقضاء ما أقرب فاستين
وعند قسم تركسة فليعتبر
أفضل مولوديه أنشئ أو ذكر
فلن يكن يحرم لو يولد
أو عكسه فوارثا مقدر
وكفل القضاة ذوي الإرث إذا
يخالف نقصانها وبالأكثر فا
إن يخرج الأكثر حيا وعلم
بأنه ذاك فبالإرث حكم
فصل ذي استقامة برأسه
بدا اعتبر وسرة في حكمه
إن بجنسية خروج الميت
ورثه لا بنفسه من حلة
واصل تصحيحين إذ تقدر
ذكورة أنثوية وتنظر
بينهما في الولوق والتباين
فاضرب وتصحيحهما من كائن
فمن يكن نصيبه في الأول
فاضربه في الثاني أو الولوق الجلي
واكس لمن له بشان الأصيلين
واصل ورثتها أقل السطحين
وإن به قد يحرم الوراث
في حالة فليوقف الميراث
وامنحه الموضع ما استحقا
واقسم عليهم إن يزد ما أبلى
(خلاصة الفرائض / ٧٢ ، ٧٣) .

وكما اختلفوا في أقل مدة الحمل فقد اختلفوا في أكثرها ؛
فمنهم من قال : إنها ستان (وهذا رأى الأحناف) ومنهم من
قال تسعة أشهر ومنهم من قال : ستة هلالية (٣٥٤ يوما) .
وأخذ القانون بما ارتأه الطب الشرعي .
فلذكر أن أكثر مدة الحمل ستة شمسية ٣٦٥ يوما ، واعتبر
ذلك في ثبوت النسب والإرث والوقف والوصية (وهذا رأى
محمد بن الحكم أحد فقهاء المذهب المالكي) .
أما القانون فقد أخذ برأى أبى يوسف الذي عليه الفتوى في
مذهب الحنفى أن الحمل يرقى له أوفر النصيبين وأخذ
برأى الأئمة الثلاثة في اشتراط ولادته كله حيا في استحقاقه
الميراث .
وأخذ برأى محمد بن الحكم في أنه لا يرث إلا إذ ولد لسنة
من تاريخ الوفاة أو الفقرة بين أبيه وأمه .
فجاء في المواد ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ما يلى :
المادة ٤٢ - يوقف للحمل من تركه المتوفى أوفر النصيبين
على تقدير أنه ذكر أو أنثى .
المادة ٤٣ - إذا توفي الرجل عن زوجته أو عن معتلة فلا
يرثه حملها إلا إذا ولد حيا لخمس وستين وثلاثمائة يوم على
الأكثر من تاريخ الوفاة أو الفقرة ، ولا يرث الحمل غير أبيه إلا
في الحالتين الآتيتين :
١ - أن يولد حيا لخمس وستين وثلاثمائة يوم على الأكثر
من تاريخ الموت أو الفقرة إن كانت أمه معتلة موت أو فرقة ،
ومات المورث أثناء العدة .
٢ - أن يولد حيا لستين ومائتي يوم على الأكثر من تاريخ
وفاة المورث إن كان من زوجية قائمة وقت الوفاة .
المادة ٤٤ - إذا نقص الموقوف للحمل عما يستحقه يرجع
بالباقى على من دخلت الزيادة في نصيبه من الورثة ، وإذا زاد
الموقوف للحمل عما يستحقه رد الزائد على من يستحقه من
الورثة (نقطة السنة ٣٠٣ - ١٢ / ٥٢٥ - ٥٢٨) .
ومما جاء من نظم عن الحمل والحامل في تقسيم التركة
ما ورد في منظومة « خلاصة الفرائض » لعبد الملك الفتني ،
وهي في مذهب أبى حنيفة : قال الناظم :
أقل مدة لحمل نصف عام
ومنتهاها ستان بالانتمام

ويتناول ابن سينا في رسالته الألواحية (انظر ثبت المراجع) كل ما يتعلق بالحمل بمعنى « الحمل » وهو اللفظ الذي يستخذه ، من حيث الأدوية التي تمين عليه ، والأدوية التي تفسد الخلق وتتم من الحمل ، والأدوية التي تسهل بها الولادة ، والأدوية التي تدر اللبن وتقرضه ، وتلك التي تنقله وتقطعه ... إلخ وذلك في الألواح ٨٠-٨٨ فانظروا في موضعه إن شئت .

(المفردات في غريب القرآن للرباب الأصفهاني - تطبيق ومحمد سيد كيلاي ، وفيه اللغة وأسرار المعربة لأبي منصور الثعالبي / ١٢٣ ، وفيه السنة - الشيخ السيد سابق ٣ ج ١٢ / ٥٢٥-٥٢٨ ، وخلاصة القرائن لعبد الملك الفتني ، المطبوع في مجموع مهمات الحزن / ٧٢ ، ٧٣ ، ومع الطب في القرآن الكريم - د. عبد الحميد دياب ، و د. أحمد قرقوز ، تقديم د. محمود ناظم نسيي - مؤسسة علوم القرآن - دمشق بيروت . الطبعة السابعة ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م / ٢٥ ، ٢٦ - انظر أيضا كشف اصطلاحات الفنون للفهرتي ١ / ٣٥٣-٣٥٦ ، ونبهان المسلم - أبو بكر جابر الجزائري ٩١ / ، والرسالة الألواحية للشيخ الرئيس ابن سينا - تحقيق وتعليق د. محمد سويس / ٨٧-٩١ ، ولسان العرب لابن منظور ١٢ / ١٠٠٢ .

• الحملاوي / ١٢٧٢-١٢٥١ هـ / ١٨٥٦ و ١٩٣٢ م)

كتب تلميذه الوفى الأستاذ مصطفى السقا الأستاذ بكلية الآداب جامعة القاهرة يتحدث عنه ، قال : هو الأستاذ المغربي الثقة المحافظ الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد الحملاوي نسبة إلى « أمية حمل » من قرى بليس « شرقية » ، وهو عربي الأرومة ينتمي إلى الدوحة العلوية الكريمة ، كما صرح بذلك في كثير من قصائده في ديوانه ...

وقد ذكر على مبارك في كتابه (الخطط التوفيقية) ٩ / ٧٧ ... أنه ولد سنة ١٢٧٣ هـ سنة ١٨٥٦ م ، وقرى في حجر والده وقرأ وتلقى كثيرا من العلوم الشرعية والأدبية عن أفاضل عصره ، ثم دخل (مدرسة دار العلوم) وتلقى الفنون المعرف فقرأتها ، ونال الشيخ إجازة التدريس من دار العلوم عام ١٣٠٦ هـ - ١٨٨٨ م .

ويعد سَيِّدَةُ أعلت دار العلوم بحاجتها إلى مدرسين للعلوم العربية ، وعقدت لذلك امتحان مسابقة كان الشيخ من أوائل المبرزين فيه ففعل إلى دار العلوم ، وعمل بمدرسين

ومما يدخل في مجال الإعجاز الطبي في القرآن الكريم ما قرره بالنسبة لمدة الحمل باعتبار أن أقل مدة للحمل ستة أشهر ، وهو ما أورده الدكتور عبد الحميد دياب والدكتور أحمد قرقوز في كتابهما « مع الطب في القرآن الكريم » نقلا عن مصنفين هما : أبحاث الدكتور محمود ناظم النسيي ، ومدة الحمل من الناحية الطبية والفقهية والقانونية » رسالة جامعية بإشراف الدكتور عبد الرزاق حماني . يقول المؤلفان : سبق القرآن الطب بتقريره أن أقل مدة للحمل ستة أشهر ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ حملته أمه كرها وضته كرها ، وحمله وفصاله ثلاثون شهرا ﴾ [الأحاف : ١٥] .

وقوله تعالى : ﴿ وللدلات يرضعن أولهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة ﴾ [البقرة : ٢٣٣] .

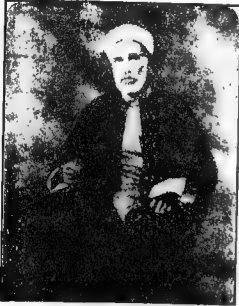
وقوله تعالى : ﴿ وفصله في عامين ﴾ [لقمان : ١٤] .

فإذا حلقت مدة الإرضاع الكاملة وهي حولين أي (٢٤) أربع وعشرون شهرا من (٣٠) ثلاثين شهرا ، التي هي مدة الحمل والإرضاع ، فإنه يبقى ستة أشهر للحمل . وهي أقل مدة للحمل يمكن للجنين أن يبقى فيها إذا ولد بتمامها .

وقد اعتمد الصحابة على هذا الفهم ، إذ روى أن رجلا تزوج امرأة فولدت لسنة أشهر ، فهم عثمان بن عفان رضي الله عنه بتطبيق حد الزنى عليها ظنا منه أن بداية حملها قبل الزواج : فقال ابن عباس رضي الله عنه : أما أنها لو خاصمتكم بكتاب الله لخصمتكم ، قال الله ﴿ وحمله وفصله ثلاثون شهرا ﴾ وقال ﴿ وفصله في عامين ﴾ فلم يبق للحمل إلا ستة أشهر فبرئت المرأة .

وقد قرر الطب أن أقل مدة للحمل يمكن أن يبقى بعدها الجنين حيا إذا ولد بتمامها هي ستة أشهر ، فالولادة قبلها تسمى إسقاطا والجنين فيها غير قابل للبقاء حيا ، والولادة بعدها وقبل تمام الحمل لتسعة أشهر أو (٢٧٠) متين وسبعين يوما تسمى خداجا ، أو ولادة مبكرة ، والخداج قابل للبقاء حيا لكن الطب يوصي بعناية خاصة به .

وهذه المدة هي المعتمدة قانونيا في محاكم معظم الدول العالمية . ويقول الدكتور زياد درويش بتحديد قانون الأحوال الشخصية في المادة (١٧٨) « وإن أقل مدة للحمل (١٨٠) مئة وثمانون يوما وأكثرها ستة شمانية وأحدة » (مع الطب في القرآن الكريم / ٢٥ ، ٢٦) .



المرحوم الشيخ أحمد المصلاوى

أساستها نخبة من علماء الأزهر أمثال الشيخ حسين المصطفى، والشيخ حسن الطويل والشيخ محمد عبده، والشيخ سليمان العبد وأضرابهم من الفضول، وكان الجمع فى دار العلوم بين العلوم الإسلامية والعربية القديمة وبين العلوم المدرسية الحديثة (كما يسمونها) ثم بين المنهجين النظري والتطبيقي ... ما أفاد مدارس وزارة المعارف بالثمرات التى وصلت ماضى الأمة العربية بحاضرها، فكانت العوامل فى النهضة الأدبية والعلمية التى ظهرت بواكيرها فى وادى النيل منذ بدء القرن التاسع عشر.

كان - رحمه الله - ضليعا فى علوم العربية نحوها وصرفها ولغنها، وعروضها وبلاغتها وأدبها، وكان يروى من ذلك كله ويحفظ الشيء الكثير مع حسن اعتناء بفهم ما يحفظ، وجوده نقد لما يروى، وبراعة استخراج للبررة والفائدة، وكان النحو والصرف واللغة والشعر الميدان المحبب إليه يصول فيها فيمتع، ويتتبع أقوال الأئمة والأواخر، فلا يكتفى ولا يشبع وكان معجبا بابن هشام الأنصارى من النحلة المصريين (٧٠٨ هـ - ٧٦١ هـ) وبما جمع شرحه لآلفية ابن مالك الموسوم (بأروض المسالك إلى آلفية ابن مالك) من مادة غزيرة فحفظ مسائله وجعل أساس دراساته النحوية والصرفية وتحقيقاته اللغوية التى كان ينشرها بين يدى تلاميذه فى دروسه

الحكومة، وقد ترك الأستاذ التدريس بمدارس الحكومة مؤثرا الاشتغال بالمحاماة فى المحاكم الشرعية، وفى أثناء ذلك أقبل على التحضير لنيل شهادة العالمية من الأزهر فنال بعينه وكان أول من جمع بين الصالمة وإجازة التدريس من الأزهر إلى جانب إجازة التدريس من دار العلوم.

وعلى أثر ذلك عهدت إليه الجامعة الأزهرية تدريس التاريخ والخطابة والرياضيات لتلاميها.

وفى سنة ١٩٠٢ أضيفت إليه مع ذلك نظارة مدرسة المرحوم عثمان باشا ماهر، وهى مدرسة حديثة كان يعلم بها القرآن والتجويد ثم العلوم الدينية والعربية والعلوم الحديثة على نحو ما يجرى فى بعض أقسام الأزهر التى نظمت حينئذ تنظيما حديثا، وكان المهتمون منها يلحقون لإتمام دراساتهم بمدرسة القضاء الشرعى أو الأزهر أو دار العلوم.

وقد قضى المترجم عنه فى نظارة هذه المدرسة خمسا وعشرين سنة انتفع به فيها طلاب كثير كان يمدحهم بمعارفه المفضنة الواسعة وتعمدهم بالتربية الإسلامية والقومية القوية ويؤيدهم بتصلحه وتجاربه الكثيرة إلى أن علت سنة فآثر الراحة وترك العمل عام ١٩٢٨، ثم أدركته الوفاة فى الثانى من ربيع الأول سنة ١٣٥١ - الموافق للسادس والعشرين من يولية سنة ١٩٣٢ م ...

وقد كسب الشيخ معارفه العلمية فى بيتين :

الأولى : الأزهر، حيث درس علوم الدين من تفسير وحديث وعقائد وفقه على مذهب الإمام الشافعى الذى تعالط حبه شغاف قلبه وتمكن من نفسه ودرس العلوم اللسانية من نحو وصرف وعروض وبلاغة ووضع إلخ ... على شيخ عصره وأحرز من كل ذلك قسطا موفورا دل عليه تمكنه منها فى كتبه ودروسه وإحرازه درجة العالمية بعد تركه خدمة الحكومة.

والثانية : دار العلوم التى أنشأها على مبارك باشا وزير المعارف المصرية لتخريج معلمين يحسنون تعليم اللغة العربية والدين لتلاميذ المدارس الابتدائية والثانوية، وكان طلابها حينئذ ينتخبون بامتحان مسابقة من صفوف الطلاب الأزهريين الذين أنهوا دراساتهم أو كادوا ينتهون منها، وكانوا يدرسون فيها العلوم الدينية والعربية، وكانت عناية المدرسين بها تجمع بين المحاضرة والتطبيق العملي، وكان بين

ومحاضراته ، ومنه النقط أغلى درره التي ألف منها أهم كتبه :

« شذا العرف في فن الصرف » مع ما أضاف إليه من شذرات أخرى من « مفصل » الزمخشري ومن « شافية » ابن الحاجب وشرحها (لرضي الدين الاشتراقي) وغيره من محققى الأعاجم المتأخرين الذين عناوا بالدراسات الصرفية وأشبعوها تأليفا وتوضيحا وتنهيفا .

أسبق الشيخ على هذه المادة التي أحسن اختيارها من كتب العلماء كثيرا من ذوقه وخبرته بأساليب التعليم والتصنيف فتصرف فيها توضيحا وتهذيبا وتنسيقا وتبويبا حتى جاء هذا الكتاب محكم الطريقة ، واضح الأسلوب ، جامعا للعناصر الضرورية التي لا بد منها للدارسى اللغة وفنونها مثلا وصلت إليه الثقافة اللغوية في مدارس البصرة والكوفة وبغداد والفسطاط والأندلس ، ثم ما انتهت إليه أخيرا على يد (ابن مالك) و (أبي حيان) وتلاهما من رجال المدرسة النحوية الأخيرة التي لا تزال آثارها قوية باقية .

وإجمال القول : أن كتاب « شذا العرف في فن الصرف » من أنفع الكتب لطلاب الدراسات الصرفية ...

أما سائر معارف الشيخ من اللغة والعروض والأدب العربي شعره ونثره والتاريخ والجغرافيا والرياضيات ، فقد كان محيطا بها إحاطة قلما اتفقت لرجال المدرسة القديمة التي عاصره ، وكان - رحمه الله - معنيا بتتبع ما يطعم من الكتب الحديثة التي يؤلفها رجال عصره من أمثال : (حنفي بك ناصيف) و (محمد بك دياب) ، ونظر إليهما من رجال المعارف ، وكان ينقدحها ويساجل أصحابها في ما أخلها ، كما كان مشغولا بقراءة ما ينشر أو يحقق من الكتب القديمة ويستفيد منها فوائد لا تلبث أن تصبح موضوع حديثه مع تلاميذه .

حدث مرة أنه علم ينشر كتاب (الهمع) للسيوطي لأول مرة سنة ١٣٧٢ - ١٩٠٩ . فبحث في شراء نسخة منه ثم جاء في ثاني يوم يقول لطلابه قرأت أمس في كتاب (الهمع) للسيوطي أن من اللغات في لفظة اللان من الأسماء الموصولة (اللا) بالقصر التي شاعت بين العامة فينطقها بعضهم باللام المشددة مفتوحة ، وببعضهم بكسرها (قلب الألف ياء اللان) وكنا نطقها عامية فإذا هي من صميم اللغة في بعض أحوالها

كان أساتذنا الشيخ الحملاني شاعرا مكثرنا من الشعر يقوله في المناسبات العامة والخاصة ، ويقوله فيما يعرض لحياته الخاصة من شجون ، وما يتطلع إليه من آمال ، وما يضطرم في نفسه من آلام ، وأشاعر تنبئ عن صفاء روحه وقوة نفسه واستمساكه بأداب الدين وفضائله حتى لقيه بعضهم : « الشاعر الصوفي » .

له أشعار في الالتجاء إلى الله وطلب المغفرة وقد ملك عليه نفسه وحسه حب النبي - ﷺ - فقال في مدحه قصائد كثيرة مطولة بلغ بعضها المئتين عارض في أكثرها التقدم من أمثال : كعب بن زهير والبوصيري ، وله في آل بيت النبي - ﷺ - وخاصة أبناء فاطمة - رضي الله عنها - الذين يتصل بنسبه بنسبهم شعر كثير .

أما علماء الإسلام فقد خص الإمام الشافعي بنصيب موفور من ملائحه ، وكان يطره مولده في كل عام بيندئ الاحتفال بقصيدة ويختتمه بأخرى ، ومدح (أبنا البركات الدريديز) من علماء المالكية المتأخرين بقصائد كثيرة في مولده ومدح وثنى كثيرا من رجال عصره كالزجيم مصطفى كامل باشا - رحمه الله - وكصديقه فقيد المعارف الأستاذ حسن توفيق العدل ومريته فیهما من محاسن شعره ...

قال يمدح ، ويوازن بين الشافعي وبين الجاه والمال في مطلع قصيدة يمدح فيها الإمام عند بدء الاحتفال بمولده سنة ١٣٧١ هـ / ١٩١٢ م :

الفخر بالعلم لا بالجاه والمال
والمجد بالجد لا بالجهد والنخال
كم من ملء وشمس السوجه تحب
للعلم غلا ولكن ذكره غالي
في المال والجاه أسباب الضرر ومن
يحتز بالأمل كالمتعثر بساأل
تلك الأمور سحابات تغيرها
حوادث الدهر من حال إلى حال
ولكن العلم لا ينفك صاحب
مظم الفكر في حل وتوحر حال
أفق السماكين بل أصلا مقعد
في كل حال نوره تساهم بال

ومن تلقوا العلم عليه في مدرسة المرحوم عثمان ماهر باشا الأساتذة حسن مأمون رئيس المحكمة الشرعية العليا ، ثم الإمام الأكبر الأسبق ، وعبد الله عفيفي ، وأمين الخولي وأحمد زكي صفوت ، وحسن محمد زهران المحامي ، وطله أبو بكر ، ومهدي علام ، ومصطفى السقا .

وصفوة القول أن أساتذنا العلامة الشيخ أحمد الحملوى هو أحد أركان النهضة اللغوية في العصر الحديث بما ألف من كتب وبما تخرج على يديه من رجال القضاء الشرعى والمحاماة وأساتذة اللغة العربية ، وكلهم ممن شغلوا مكانا فسيحا في حيلة مصر العلمية والأدبية في معاهدها الكبرى وجامعاتها القديمة والحديثة .

وقد أضفنا في الحديث عن كتابه « شذا العرف في فن الصرف » الذى كان يدرس في السنتين الرابعة والخامسة الثانويتين بالمعاهد الأزهرية فلا بد أن نتكلم عن كتابه : « زهر الربيع في المعاني والبيان والبديع » الذى كانت ألفاظه سهلة صلبة ، اشتمل على غرر البيان ودرره وملح الأدب ونوادره والتصرف في فنون القول : من تقرير إلى تعجب إلى تهكم إلى نفي لكى يكسب ألفاظه جنة ولثلا يذهب نشاط السامع سدى .

ومن مؤلفاته « مورد الصفا في سيرة المصطفى - ﷺ - » مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، و « فرائد التأيد في عقائد التوحيد » . وهو رسالة صغيرة طبعت بمطبعة مصطفى البابي الحلبي أيضا .
وله ديوان شعر من جزئين . مطبوع .

(« العلامة الكبير الشيخ أحمد الحملوى » - الأستاذ محمود عبد الرزاق عتارى . مجلة الأزهر للجزء التاسع ، السنة الثالثة والسون ، رمضان ١٤١١ هـ - مارس - أبريل ١٩٩١ م / ١٠٥٤ - ١٠٥٩ . انظر أيضا الأعلام للزركلى ١/ ٢٥١ وما جاء بهاشم ٢ من مراجع) .

❖ حملة العلم

عن حملة العلم ما رواه أبو نعيم وغيره عن كميل بن زياد عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه أنه قال : الناس ثلاثة ، عالم ريانى ، ومتعلم على سبيل نجاة ، وهمج رعا عاتب كل ناعق ، يميلون مع كل صايح ، لم يستفتوا بنور العلم ، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق ... ثم ذكر كلاما في فضل العلم إلى أن

إن صا ش صا ش أجل للناس منزلة
أو مات مات باعظام وإجلال
وقال في رثاء الزعيم مصطفى كامل باشا وقد نشرت بصحيفة اللواء في ٢٢ من صفر ١٣٢٦ / ٢٥ من مارس ١٩٠٨ م :

يا أيها المنطق مالك ساكنا
حتى متى هذا السكوت أما كفى
ثم وارث منبرك الذى هو دونه
حسن الخطابة فالنفوس على شفا
واصدح بأمرك يا همام تكلنا
مرضى وأنت لنا من الممرض الشفا
ومنها على لسان الزعيم ناصحا بنى وطنه :

لقد كنت فردا فحببت من
في الحكم جبار على البلاد وأجفنا
واليوم كلكم رجال فاستقصوا
أثرى وجدوا فاللهام من ألقى
إن مسبات منكم مصطفى لجميعكم
من بعد منوى يا أفاضل مصطفى

لتقصوا بمسولاكم ولا تضررنا
إن التضرع كم أنك وأضفنا
ومن رثائه لصديقه المرحوم الأستاذ حسن توفيق العدل :

مافا جبرى حتى تركت أحبة
حفظوك في سر القبول والى العلم
كانت لمنعك الليبوت مآتما
والناس قد ضجروا وسلمهم هتن
نبكى شمائلك التى فاقت على
من فى الحواضر والبوادي قد لظن
تلاميذ الشيخ :

أما تلاميذ الشيخ الذين أخذوا عنه في دار العلوم فكثروا ، من أشهرهم الأساتذة : الشيخ عبد العزيز جاويش وهو أزهري درعى ، ومحمد عاطف بركات . والشيخ : محمد الحضري بك ، ومهدي زكي ، وأحمد الإسكندري ، وحسن منصور ، ومحمد مهدي خليل .

رضى الله عنه لحملة العلم ... قال الحسن : قراء القرآن ثلاثة أصناف . صنف اتخذوه بضاعة فيشاكلون به ، وصنف أقاموا حروفه وضيوعوا حدوده واستطالوا به على أهل بلادهم واستندوا به لطلب الولاية . كثر هذا الضرب من حملة القرآن لا كثرة هم الله ، وضرب عمدا إلى دواء القرآن فيوضعوه على داء قلوبهم فركدوا به في محاريبهم وحسروا به في برانسهم واستشعروا الخوف ، وارتدوا الحزن . فأولئك الذين يستقى الله بهم الغيث وينصر بهم على الأعداء ، والله هؤلاء الضرب في حملة القرآن أعز من الكبريت الأحمر بين قراء القرآن ! فأخبر أن هذا القسم — وهم قراء القرآن — جعلوه دواء لقلوبهم فأثار لهم الخوف والحنن ! وهم ! أعز من الكبريت الأحمر بين قراء القرآن !

ووصف أمير المؤمنين رضي الله عنه هذا القسم من حملة العلم بصفات ، منها أنه هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة ... ومعنى ذلك أن العلم دلهم على المقصود الأعظم وهو معرفة الله فخالقوه وأسيروا حتى سهل ذلك عليهم كل ما تمسر على غيرهم ، فلم يصل إلى ما وصلوا إليه ممن وقف مع الدنيا وزينتها وزمريتها واغتر بها ولم يباشر قلبه معرفة الله وعظمته وإجلاله ، فاستلنا ما استوعر منه المشركون . فإن المشرك الواقع مع شهوات الدنيا ولذاتها يصعب عليه ترك لذاتها وشهواتها لأنه لا عرض عنه من لذات الدنيا إذا تركها فهو لا يصبر على تركها . فهؤلاء في قلوبهم العوض الأكبر بما وصلوا إليه من لذة معرفة الله ومحبة وإجلاله كما كان الحسن يقول : إذا أحياء الله هم الذين ورثوا طيب الحياة وذائقوا نعيمها بما وصلوا إليه من متاجرة حبيبهم وبما وجدوا من لذة حبه في قلوبهم ، من كلام يطول ذكره هنا في هذا المعنى . وإنما أنس هؤلاء بما استوحش منه الجاهلون لأن الجاهلين بالله يستوحشون من ترك الدنيا وشهواتها لأنهم لا يعرفون سواها فهي أنسهم . وهؤلاء يستوحشون من ذلك ويستأنسون بالله ويذكره ، ومعرفته ، ومحبته ، وتلاوة كتابه ... والجاهلون بالله يستوحشون من ذلك ولا يجدون الأنس به !

(كشف الكفرة للإمام الحافظ ابن رجب العثلي - تحقيق محمد أحمد عبد العزيز . المكتبة التيمية . القاهرة ١٩٨٧ / ٢٣ - ٢٥) .

• حملة القرآن :

قال الإمام عياض رضي الله عنه : « حامل القرآن حامل

قال : ها إن هنا لعلمنا جما — وأشار بيده إلى صدره — لو أصبت له حملة ، بلأى أصيب لفتا [وهو العاقل الذكي] غير مأمون عليه مستعملة آلة الدين للدنيا ، ومستظهرها بنعم الله على عباده وبحجبهم على أولياته ، أو مقادا لحملة الحق لا بصيرة في أحواله ، يتقدح الشك في قلبه لأول عارض من شبهة أو منهوما بالسلسلة سلس القياد للشهوة ، أو مغرما بالجمع والادخار ، ليسا من رعاة الدين في شيء أقرب شيء شيئا بهما الأنعام السائمة كذلك يموت العلم بموت حامليه . اللهم بلأى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة ، إما ظاهرا مشهورا أو خائفا مغمورا لتلا بطل حجج الله وبيناته . وكما ذا وأين أولئك ؟ والله الأقلون عددا والأغظمون عند الله قدرا ، يحفظ الله بهم حججه وبيناته حتى يودعها نظراءهم ويزرعها في قلوب أشباههم . هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة ، وباشروا روح اليقين ، واستلنا ما استوعره المشركون ، وأنسا بما استوحش منه الجاهلون ، وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها متعلقة بالمحل الألهي . أولئك خلفاء الله في أرضه ، والدمعة إلى دينه ، أه ... أه شرقا إلى رؤيتهم انصرف إذا شئت !

فقسم أمير المؤمنين رضي الله عنه حملة العلم إلى ثلاثة أقسام ، قسم هم أهل الشهوات وهم من لا بصيرة له من حملة العلم يتقدح الشك في قلبه بأول عارض من شبهة فتأخذه الشبهة فيقع في الحيرة والشكوك ، ويخرج من ذلك إلى البدع والضلالات . وقسم هم أهل الشهوات ، وعظمهم نوعان : أحدهما من يطلب الدنيا بنفس العلم فيجعل العلم آلة لكسب الدنيا ، والثاني من همه جمع الدنيا واكتنازها وادخارها ... وكل هؤلاء ليسوا من رعاة الدين وإنما هم كالأنعام . ولهذا شبه الله تعالى من حمل الثورلة ثم لم يحملها بالحمار الذي يحمل أسفارا ، وشبه عالم السوء الذي اتسلخ من آيات الله وأخلد إلى الأرض واتبع هواه بالكلب ، والكلب والحمار أخس الأنعام وأفسل سبيلا ! والقسم الثالث من حملة العلم هم أهله وحملة ورسائهم والقائمون بحجج الله وبيناته . وذكر أنهم الأقلون عددا الأغظمون عند الله قدرا ، إشارة إلى قلة هذا القسم وغرته من حملة العلم !

وقد قسم الحسن البصري (انظر ترجمته) رضي الله عنه حملة القرآن إلى قريب من هذا التقسيم الذي قسمه على

جمادى الثانية ١٤٠٧ هـ / نوفمبر - إبريل ١٩٨٧ م / ٦٧ ، ٦٨ .

ملاحظة الصورة المصاحبة لهذه المادة أخذت من كتاب نفاكس الخط العربى - حسن قاسم حبش ، شكل ١٠١ ص ٩١ ، وهى بخط كوفى حديث مزهر بقلم المؤلف سنة ١٣٩٣ هجرية .

• التفتى :

قال السمعاني :

الحملى : بفتح الحاء المهملة والميم ويعدهما اللام ، هذه النسبة إلى حمل وهم بطون من العرب ، منهم حمل بن عقيدة بن وهب بن الحارث بن لوى ، قال ابن حبيب : فى بنى الحارث بن لوى حمل بن عقيدة . وقال الذارقطنى : حمل ابن عقيدة قبيلة .

وحمل بن خالد بن عمرو بن معاوية فى بنى عامر بن صعصعة ، ومنهم مولة بن كثيف بن حمل بن خالد بن عمرو ابن معاوية وهو الضباب بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة الحملى ، أدرك رسول الله ﷺ ، روى عنه ابنه عبد العزيز بن مولة أنه أتى رسول الله ﷺ فأسلم وهو ابن عشرين سنة ومسح بيمين رسول الله ﷺ وجلس إليه على رسول الله فصدق إليه قلوبا بنت ليون ، ثم صحب أباه هريرة بعد رسول الله ﷺ ، وعاش فى الإسلام مائة سنة وكان يسمى ذا اللسانين من فصاحته . وابنته ظمياء بنت عبد العزيز بن مولة ابن كثيف الحملى ، حدثت عن أبيها روى عنها الزبير بن بكار قاضى مكة وغيره .

وأبو عبد الله ضمرة بن ربيعة الفلسطينى الرملى الحملى مولى على بن أبى حملة فقيل له الحملى نسبة إليه وعلى بن أبى حملة مولى آل عتبة بن ربيعة ، يروى عن يحيى بن أبى عمرو الشيبانى والأوزاعى وجاء بن أبى سلمة وإبراهيم بن أبى حبة وابن شوف ، روى عنه الحكم بن موسى وهارث بن معروف ونعيم بن حماد ويكير بن محمد بن أسماء ومهedy بن جعفر وسعيد بن أسد ، قال ابن أبى حاتم سألت أبى عن ضمرة بن ربيعة فقال : من الثقات المأمونين ، رجل صالح ، صالح الحديث ، لم يكن بالشالم رجل يشبهه ؟ فقلت أيا أحب إليك ضمرة أو ربيعة ؟ قال : ضمرة أحب إلينا .

رأية الإسلام لا ينبغي له أن يهوى ، ولا يستهزى مع من يستهزى ولا يلقو مع من يلقو تعظيما لحق القرآن .
وقال ابن مسعود رضى الله عنه : « ينبغي لحامل القرآن أن يُعرف بلبه إذا الناس ناقدون ، وببيكاته إذا الناس يضحكون ، وبصمته إذا الناس يتحدثون » .

وقد أشعار ابن بى فى أرجوزته إلى هذه الفضائل والأحاديث بقوله وهى نموذج من تفاساته الإسلامية الواسعة فى الحديث النبوى :

ويصدق ما علم أن علم القرآن
أجمل ما به تحلى الإنسان
وغير ما علمه وعلمه
واستعمل الفكر له وفهمه
وجاء فى الحديث أن المهررة
فى علمه مع الكرام البررة
وجاء عن تينكا الأوه
حملة القرآن أهل الله
لأنه كلامه المرفع
وجاء فيه شافع مشفع
وقد أتى فى فضله آثار
ليست تفى بحملته أسفار
(نظرت على القراء الذين اعتمدتهم على بن بى التازى فى أرجوزته « الأستاذ محمد بن أحمد الأمانى مجلة الإحياء » التى تصدرها وإبطة علماء المغرب ج ٦ م ٢ - محرم -

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذى هدانا لهذا الذى كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

١٠١ - كثر له أمي حملة القرآن كوفى حديث مزهر بقلم المؤلف سنة ١٣٩٣ هجرية .

• التحمل (محمد) (- ٨٨٧ هـ) :

(المخطط التوفيقية الجديدة لعلی باشا مبارک - إعتاد أحمد صلاح
 زکریا ۹ / ۲۰۱، ۲۰۲).

من جوامع الخطبة في تونس كتب عنه الشيخ محمد بن
الخوجة كما كان في زمانه فقال :

هذا الجامع بناه الباي محمد ويدهى حـمودة باشا بن مراد باي الأول (١٦٣١ - ١٦٦٦) وهو نفسه مؤسس ضريح الصحابي سيدنا أبي زعنة الباي بالقريوان ، وكم له غير ذلك من المآثر الحسان ، بتونس وبغيرها من البلدان ، وجامعه هذا ملاصق لزاوية ولي الله الشيخ أحمد بن عروس (الزاوية العروسية من حسنات السلطان محمد المتصور الحفصي

جامع حمودة باشا

مصطفى الأخرى - أصله من طرابلس وهاجر إلى مصر لطلب العلم بجامعة الأزهر الشريف فنسب إليه ثم قدم إلى تونس في عهد الأمير محمود باشا المرادي الذي بالغ في إكرامه . وتوفي سنة ١٠٦٧ هـ / ١٦٥٧ م .

وهذا الجامع من الأبنية الزاهية الناطقة بحسن النية ، ولا خوف في كون مؤسسه هو مقبرة الدولة المرادية بشهادة التاريخ ، وهو محط أفراح أهل تونس ، لأنهم يتركون بعقد أنكحتهم فيه ، ولأنه يكثر به عدد المصلين لكونه مركزا وسطا بين أسواق المدينة ، ولو أتبع لمرصاته النطق لأقادتنا بأنها شاهدت أغلب عقود أهل تونس ، وأبقت النزل اليسير منها لعدم الزوايا والجموع الأخرى بالحاضرة . وقد اشتمل صحن هذا الجامع على تربة صاحبه وبها جوار قبره قبر حفيده الباشا محمد بن مراد باي الثاني مؤسس جامع سيدي محرز ، وهذه المقبرة ذات القبة المخضرة الجميلة ، والواجهة المرمرية البديعة ، محتوية في جملة الأبنية التاريخية في برنامج الآثار العربية بإدارة الأطلنكخانه . انظر صورة الضريح في مادة «تونس» في م ١١ / ١٤٧ .

وقد امتد هذا الجامع من بقية الجموع الحنفية يمامين ، أول وثان ، ولإيهما بالأمر العلي ، وفقا لنص الواقف ، وإمامه الثاني لهذا الزمان هو العلامة الفهامة المدرس الشيخ الشاذلي ابن القاضي ، وورث الخطبة عن أسلافه الأعلام أئمة الجامع من قبله . وهذا الجامع يعتقد به ختم الحديث في ١٧ رمضان ، وهو من الاحتام الثمانية التي يحضرها المولى الأمير أطال الله عمره .

(تاريخ معالم التوحيد لمحمد بن الخوجة - تحقيق الجيلاني بن الحاج يحيى رحمدلي الساحلي / ١٨١ ، ١٨٢) :

• الحموي :

قال السمعاني :

الحموي : هذه النسبة إلى حملة ، بلدة مليحة من بلاد الشام بين حلب وحمص ، أقيمت بها يومين ، وقاضى القضاة أبو بكر محمد بن المظفر بن بكران بن عبد الصمد بن سلمان الحموي المعروف بالشامي قاضى القضاة ببغداد ، كان منها ، ولد بحملة سنة أربعمائة ، ومات ببغداد في شعبان سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ، تفقه على القاضي أبي الطيب الطبري ،

وكان لا يخاف في الله لومة لائم ، جرت أسوره في قضاياه ، وأحكامه على أحسن ... سمع الحديث من أبي القاسم بن بشران وأبي طالب بن غيلان وأبي عمرو بن دوست العلاف وغيرهم ، روى لنا عنه كثير بن سعيد بمكة وعبد الوهاب بن المبارك ببغداد وغيرهما .

وخالد بن عمرو السلفي الحموي ، كان يسكن حماة ، يروى عن بقية بن الوليد ومحمد بن حرب ومروان بن معاوية الفزاري ويحيى بن سليم الطائفي وغيرهم ، ذكره أبو محمد ابن أبي حاتم الرازي - قال : خالد بن عمرو السلفي ، كان ينزل حملة على مسيرة يومين من حمص ، سمع منه أبي في الرحلة الأولى .

ومحمد بن نعيم الجرهمي الحموي نزول حماة يروى عن أبي اليمان الحكم بن نافع وأحمد بن شبيب السروزي ، قال ابن أبي حاتم : محمد بن نعيم سكن حملة على مرحلة من سلمية ، شاميه ، كتب عنه أبي .

(الأسباب للسمعي - تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي / ٢ / ٢٦٧ . انظر أيضا الباب لابن الأثير - تحقيق د . مصطفى عبد الواحد ، ١ / ٤٥٥ ، ٤٥٦ .

انظر : ياقوت الحموي .

• الحموي :

قال السمعاني :

الحموي : هذه النسبة إلى الجد ، والمشهور بهذه النسبة أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسي الحموي نزول فوشنج وهراة ، كان رحل إلى بلاد ما وراء النهر وسمع بقرور أبي عبد الله محمد بن يوسف بن مطر القريري رواية الصحيح ، ويسمرقند أبي عبد الله الجباس بن عمر السمرقندي راوى الدارمي ويغرشكت أبي إسحاق إبراهيم بن خزيمة الشاشي راوى عبد بن حميد وغيرهم ، سمع منه أبو بكر محمد بن أبي الهيثم الترابي المرزوي وأبو الحسن عبد الرحمن ابن محمد الدارودي الفوشنجي وغيرهما ، وتوفي في سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة .

والإمام أبو عبد الله محمد بن حمويه الجويني ، أولاده يكتبون لأنفسهم : الحموي - أيضا ، يتسبون إلى جدهم ، وأبو عبد الله أدركه حيا وكان بجوين ، وكنت على عزم أن أخرج إليه فتوفي وأنا بنيسابور (في سنة ثلاثين وخمسمائة) .

الدين بن حمويه هو الذي فتح دمشق السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب . وأخذها من الملك الصالح إسماعيل ابن عم أيوب . وقاسى الناس تلك المدة من أنواع البلاء والغلاء والحصر أحوالاً عظيمة ، وشكلاً زائلة ... ولما فتحها معين الدين ابن الشيخ أقام بها نائباً للصالح أيوب . وكان الفتح في جمادى الأولى سنة ثلاث وأربعين وستمائة ، فلما كان في ليلة الأحد ثاني عشرين شهر رمضان المعظم من السنة المذكورة ، توفي معين الدين المذكور ، ودفن بجبل الصالحية عند أخيه عماد الدين عمر . وكان مولد معين الدين سنة ثمان وثمانين وخمسمائة (جبل الصالحية هو جبل قاسيون المطل على دمشق ، وترجع تسميته بجبل الصالحية إلى عام ٥٥٤ هـ لتزول بنى قدامة المقداسية في سفحه ، واشتهروهم بالصالحين ، (نصف ذرى الألب ٢ / ١٤٩ ، ١٥٠) .

وقد ذكره المقرئ في خطه من بين أولاد شيخ الشيخ فقال عنه : وأما معين الدين حسن فإنه ولي مشيخة الشيوخ بديار مصر ، وبث الملك الكامل في الرسالة عنه إلى بغداد ، ثم أقامه نائب الوزارة إلى أن مات فاستوزره الملك الصالح نجم الدين أيوب في ذي القعدة سنة سبع وثلاثين وستمائة ، وجهره على العساكر في هبة الملوك إلى دمشق ، فقال الصالح إسماعيل ابن المادل حتى ملكها ومات بها في ثاني عشرين وثمانين سنة ثلاث وأربعين وستمائة . ثم يغيب المقرئ قوله : وقد ذكرت أولاد شيخ الشيوخ في كتاب تاريخ مصر الكبير واستقصيت فيه أخبارهم والله تعالى أعلم اهـ (المواظ والاختيار ٢ / ٢٤) .

(نصف ذرى الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنباب صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي - حقيقته إسماعيل بنت سعيد خلوصي وزير حسان الصمصام . وزارة الفتاة . إحياء التراث العربى ٨٦) منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية . دمشق ١٩٩٢ ، ٢ / ١٤٩ ، ١٥٠ ، والمواظ والاختيار بذكر الخط الأكثر لنى الدين المقرئ ٢ / ٢٤) .

• الجنى والأفلاق :

- ١ - تعريفه : الجنى هو الأرض الموات تحمي من الرعى فيها ليكثر عشها فترعاها بهائم خاصة .
- ٢ - حكمه : لا يجوز لأحد أن يعمى من الأراضي العامة للمسلمين ذراعاً فأكثر إلا الإجماع إذا كان ذلك لمصلحة

وابنه أبو الحسن على بن محمد الحموي ، وروى لنا عن عمر ابن أبي الحسن الرواسي الحافظ ، ومات في سنة سبع وثلاثين وخمسمائة بفسطاط وحمل إلى جوين فدفن بها .

(الأنساب للسمعاني ٢ / ٢١٨ ، واللباب لابن الأثير ١ / ٤٥٦) .

• ابن حمويه (عبد الله) (٥٧٢ هـ / ١١٧٧ م - ١٢٤٤ م) :

عبد الله بن عمر بن علي بن محمد ، ابن حمويه الجويني السرخسي ويسمى بعبد السلام ، أبو محمد ، تاج الدين ، مؤرخ باحث ، خراساني الأصل . كان شيخ الشيوخ بدمشق . ومولده ووفاته فيها . زار المغرب سنة ٥٩٣ هـ ، واتصل بملك مراکش (المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن) فأقام إلى سنة ٦٠٠ هـ ، وعاد إلى دمشق ماراً بمصر . من كتبه «الملوك والممالك» و «المؤنس في أصول الأشياء» ثمانى مجلدات ، و «عطف الليل» في التاريخ ، و «الأصالي» و «رحلة إلى المغرب» نقل المقرئ عنها . وله مقاطيع شعر جيدة .

(الأمم للزركلى ٤ / ١١٠) .

• ابن حمويه (محمد) (٤٩٩ هـ / ١٠٥٧ م - ١١٣٥ م) :

محمد بن حمويه بن محمد بن حمويه الجويني ، أبو عبد الله ، شيخ الصوفية في خراسان ، قرأ الفقه والأصولين على إمام الحرمين ، ثم انقطع إلى العبادة . وكان الملوك يزرونه ، ولا يغشى أبوابهم ولا يقبل صلاتهم ولا يأكل من الأوقاف ، له قطعة أرض يزرعها خادماً له ، وصنف «لطائف الأخوان في تفسير القرآن» و «مسودة الطالبين في سير سيد المرسلين» و «أربعين حديثاً» و كتاباً في «علم الصوفية» وغير ذلك .

(الأمم ٦ / ١١٠) .

• ابن حمويه (معين الدين) (٥٨٨ هـ / ٦٤٢ م) :

قال عنه صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي في منظومته «نصف ذرى الألباب» :

كسلا معين الدين ابن الشيخ قد
قام بأمر الفتح فيها وقدم
وناب فيها للمالك الصالح
أيوب من بعد البلاء الطالح
الصاحب معين الدين حسن ابن شيخ الشيوخ صدر

«الأحكام السلطانية» للكلام على الحمي والأرفاق، مما نقله لك فيما يلي . قال رحمه الله :

وحمي الموات هو المنع من إحيائه أملاكاً ليكون مستبقى الإباحة لنبت الكلأ ورعى المواشي .

« قد حمى رسول الله ﷺ بالمدينة وصعد جبلاً بالبقيع » قال أبو عبيد : هو النقيع بالنون . وقال : « هـلما حمى وأشار بيده إلى القاع » .

وهو قدر ميل في ستة أميال حماه لخليل المسلمين من الأنصار والمهاجرين فأما حمى الأئمة من بعده فإن حموا به جميع الموات أو أكثره لم يجوز ، وأن حموا أقله لخاص من الناس أو لأغنيائهم لم يجوز » .

وأن حموه لكافة المسلمين أو للفقراء والمساكين ففي جوازهم قولان :

أحدهما لا يجوز ويكون الحمي خاصاً لرسول الله ﷺ لرواية الصمصم بن جشامة أن رسول الله ﷺ حين حمى البقيع قال : « لا حمى إلا لله ولرسوله » .

والقول الثاني : أن حمى الأئمة بعده جائز كجواز له ، لأنه كان يفعل ذلك لصالح المسلمين لا لنفسه فكذلك من قام مقامه في مصالحهم . قد حمى أبو بكر رضي الله عنه بالريذة لأهل الصدقة واستعمل عليه مولاه أبا سلامة . وحمى عمر رضي الله عنه من الشرف مثل ما حماه أبو بكر من الريذة وولى عليه مولاه له يقال له حتى وقال : يا هني ضم جناحك عن الناس ، وأتق دعوة المظلوم فإن دعوة المظلوم مجابة ، وأدخل رب الضميمة ورب الضميمة ، وإياك ونعم ابن عفان وابن عوف فإنهما أن تهلك ما شيتهما يرجعان إلى نخل وزرع ، وإن رب الضميمة ورب الضميمة يأتيان بيمينه فيقول يا أمير المؤمنين أثاركم أنا ؟ لا أبأ لك فالكلأ أهون علي من الدينار والدرهم ، والذي نقي بيده لولا المال الذي أحمل عليه في سبيل الله ما حميت عليهم من بلادهم شيرا .

فأما قول رسول ﷺ : « لا حمى إلا لله ولرسوله » :

فمحمته لا حمى إلا على مثل ما حماه الله ورسوله للفقراء والمساكين ولمصالح كافة المسلمين ، لا على مثل ما كانوا عليه في الجاهلية من تفرق المميز منهم بالحمي لنفسه ، كالأذى كان يفعله كليب بن وائل ، فإنه كان يوافي بكلب على نشار من الأرض ثم يستعديه ويحمي ما انتهى إليه عزاه من كل الجهات ، ويشارك الناس فيما عداه حتى كان

المسلمين ، وذلك لقوله ﷺ : « لا حمى إلا لله ولرسوله » (البخارى) فقد أفاد الحديث أنه ليس لأحد أن يحمى إلا الله ورسوله أو خليفتهما ، وهو الإمام كما يفيد أن الإمام لا يحمى لغير المصلحة العامة ، لأن ما كان لله ورسوله يتفق دائماً في المصالح العامة ، كالأخمس من الغنائم والفقير وخمس الركايز ونحوها . فقد حمى رسول الله ﷺ النقيع لإبل ونخيل الجهاد (البخارى) كما حمى عمر رضي الله عنه أرضاً ، وقيل له في ذلك ، فقال : « المال مال الله ، والعياد عباد الله ، والله ، والله ... لولا ما أحمل عليه في سبيل الله ما حميت من الأرض شيراً في شير » (البخارى بلفظ آخر) .

٣ - أحكامه ، للحمي أحكام هي :

١ - لا يحمى إلا خليفة المسلمين وإمامهم لقوله ﷺ : « لا حمى إلا لله ولرسوله » .

٢ - لا يحمى من الأرض إلا الموات التي ليست ملكاً لأحد .

٣ - لا يحمى الخليفة لخاصة نفسه ، بل لمصالح المسلمين العامة .

٤ - يلحق بالقياس ما تحمي الدولة من بعض الجبال لتنمية الأشجار في الخابات ، فينظر في ذلك ، فإذا كان يحقق مصلحة واجبة للمسلمين أثرت الحكومة على ذلك ، وإذا بان أنه أضر بالمسلمين ولم يحقق لهم فائدة واجبة ، فلا تقر عليه إذ لا حمى إلا لله ولرسوله ﷺ (منهاج السلام / ٤٠٨ ، ٤٠٩) .

وجه في اللسان : الحديث : الحمي موضع فيه كلاً يحمي من الناس أن يرضى . وقال الشافعي رضي الله تعالى عنه ، في تفسير قوله ﷺ : « لا حمى إلا لله ورسوله » قال : كان الشريف من العرب في الجاهلية إذا نزل ينشأ في مشيرته استموى كلباً فحمى لخاصته مدى عواء الكلب لا يشركه فيه غيره ، فلم يرضه معه أحد ، وكان شريك القوم في سائر المراتع حوله ، قال : فنهى النبي ﷺ أن يحمى على الناس حمى كما كانوا في الجاهلية يفعلون ، قال : وقوله « إلا لله ولرسوله » يقول : إلا ما يحمى لخليل المسلمين ووكلائهم التي ترصد للمجاهد ويحمل عليها في سبيل الله ، وإبل الزكاة ، كما حمى عمر النقيع لنعم الصدقة والخليل المصدة في سبيل الله (لسان العرب ١٢ / ١٠١٤) .

وقد أفرد الإمام الماوردي الباب السادس عشر من كتابه

وقسم يخص الزنثاق فيه بأفنية الأسلاك ، وقسم يخص بالشوارع والطرق .

فأما القسم الأول وهو ما اختص بالصهارى والفلوات فكمنازل الأسفار وحلول المياه وذلك ضربان : أحدهما أن يكون لاجتياز السابلة واستراحة المسافرين فيه فلا نظر للسلطان فيه لبعده عنده وضرورة السابلة إليه ، والذي يخص السلطان له من ذلك إصلاح عورته وحفظ مياهه والتخلى بين الناس وبين نزوله ويكون السابق إلى المنزل أحق بحلولة فيه من المسبوق حتى يرتحل عنه لقول النبي ﷺ : « بيني مناخ من سبق إليها » .

فإن وردوه على سواء وتنازعو فيه نظر في التعديل بينهم مما ينزل تنازهم وكذلك البادية إذا انتجعوا أرضا طلبا للكلأ وارتفاقا بالمرعى وانتقالا من أرض إلى أخرى كانوا فيما نزله وارتحلوا عنه كالسابلة لا اعتراض عليهم في تغلهم وروغهم .

والضرب الثاني أن يخصصوا بذيول الأرض الإقامة فيها والاستيطان لها ، فللسلطان في نزولها بها نظر يراعى فيه الأصلح ، فإن كان مضرا بالسابلة منعوا منها قبل النزول وبعدة ، وإن لم يضر بالسابلة راعى الأصلح في نزولهم فيها أو منعهم منها ونقل غيرهم إليها ، كما فعل عمر حين مصر البصرة والكوفة نقل إلى كل واحد من الجيشين من رأى المصلحة فيه لتلا يجتمع فيه المسافرين فيكون سببا لانتشار الفتنة وسفك الدماء ، وكما يفعل في إقطاع المواث ما يرى ، فإن لم يستأذنيه حتى نزله لم يمنعه منه كما لا يمنع من أحيا موثا بغير إذنه وجبرهم بما يراه صلاحا لهم ونهاهم عن إحداث زهادة من بعد إلا عن إذنه . روى كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده قال : قدمنا مع عمر بن الخطاب في عمرته سنة سبع هجرة فكلمه أهل المياه في الطريق أن يبنوا فيها بين مكة والمدينة لم تكن قبل ذلك ، فأذن لهم واشترط عليهم أن ابن السبيل أحق بالماء والظل .

وأما القسم الثاني وهو ما يخص بأفنية الدور والأسلاك ، فإن كان مضرا بأربابها منع المرتفقون منها إلا أن يأذنوا بدخول الضرر عليهم فيمكنوا . وإن كان غير مضر بهم ففي إباحة ارتفاقهم به من غير إذنتهم قولان : أحدهما أن لهم الارتفاق بها وإن لم يأذن أربابها ، لأن الحریم مرفق إذا وصل أهله إلى

ذلك سبب قلبه ، وفيه يقول العباس بن مرداس (من الطويل) :

كما كان يقيها كليب بقلعه
من العز حتى طاح وهو قتيها
على والئ إذ يترك للكلب نسابها

وإذا منع الإقناء منها حلولاها
وإذا جرى على الأرض حكم الحمى استبقا لمواثها ما يلا
ومنما من إحياها ملكا روى حكم الحمى ، فإن كان للكلفة تساوى فيه جميعهم من غنى وفقير ومسلم وذمى في روى كلهم بخيلهم وماشيهم ، فإن خص به المسلمون اشترك فيه أغنياءهم وقرالاهم ومنع منهم أهل اللمة ، وإن خص به الفقراء والمساكين منع منه الأغنياء وأهل اللمة ولا يجوز أن يخص به الأغنياء دون الفقراء ولا أهل اللمة دون المسلمين ، وإن خص به نعم الصدقة أو خيل المجاهدين لم يشركهم فيه غيرهم ثم يكون الحمى جاريا على ما استقر عليه من عموم وخصوص ، فلو اتسع الحمى المخصوص لمعوم الناس جاز أن يشتركوا فيه لإتضاع الضرر عن خص به ، ولو ضاق الحمى العام عن جميع الناس لم يجوز أن يخص به أغنياءهم وفي جواز اختصاص فقرائهم به وجهان . وإذا استقر حكم الحمى على أرض فأقدم عليها من أحياها ونقض حماها روى الحمى ، فإن كان مما حماه رسول الله ﷺ كان الحمى ثابتا والإحياء باطلا والمتعرض لإحياها مردودا مزجورا لا سيما إذا كان سبب الحمى بالياء ، لأنه لا يجوز أن يمارس حكم رسول الله ﷺ نقض ولا إبطال .

وإن كان من حمى الأمة بعده ففي إقرار إحياها قولان : أحدهما لا يقر ويجزى عليه حكم الحمى كالذى حماه رسول الله ﷺ لأنه حكم نفذ بحق ، والقول الثاني يقر الإحياء ويكون حكمه أثبت من الحمى لتصريح رسول الله ﷺ بقوله « من أحيا موثا فهو له » . ولا يجوز لأحد من المولا أن يأخذ من أرباب الموثى عوضا عن مرضى موث أو حتى لقول رسول الله ﷺ : « المسلمون شركاء في ثلاث : لدماء والنار والكلأ » فصل : وأما الأرفاق فهو أرفاق الناس بمقاصد الأسواق وأفنية الشوارع وحريم الأمصار ومنازل الأسفار فيقسم ثلاثة أقسام : قسم يخص الارتفاق فيه بالصحرى والفلوات .

فإن كان للسلطان في جلوس مثله نظر لم يكن له أن يترتب للجلوس فيه إلا عن إذنه كما لا يترتب للإمامة فيه إلا عن إذنه لتلافتات عليه في ولايته ، وإن لم يكن للسلطان في مثله نظر معهود لم يلزم استبدلته للترتيب فيه وصار كغيره من المساجد ، وإذا ارتسم بموضع من جامع أو مسجد فقد جعله مالك أحق بالموضع إذا عرف به . والذي عليه جمهور الفقهاء أن هذا يستعمل في عرف الاستحسان وليس بحق مشروع . وإذا قام عنه زال حقه منه وكان السابق إليه أحق لقول الله تعالى : ﴿ سواء العاكف فيه والباد ﴾ [الحج : ٢٥] .

ويمنع الناس في الجوامع والمساجد من استطراد خلق الفقهاء والقراء صيانة لحرمتهما . وقد روى عن النبي ﷺ أنه قال : « لا حمى إلا في ثلاث : ثلثة البشر ، وطول الفرس ، وحلقة القوم . فأما ثلثة البشر فهو منتهى حريمها . وأما طول الفرس فهو ما دار فيه بمقوقه إذا كان مربوطا ، وأما حلقة القوم فهو استدراجهم في الجلوس للتشاور والمحدث » .

وإذا تنازع أهل المذاهب المختلفة فيما يسوغ فيه الاجتهاد لم يمتنع عليهم فيه إلا أن يحدث بينهم تنازعا فيكفوا عنه ، وإن حدثت منازع ارتكب مالا يسوغ فيه الاجتهاد كف عنه ومنع منه ، فإن أقام عليه وتظاهر باستفوا من يدعو إليه لزم السلطان أن يحسم بزواجر السلطنة ظهور بدعته ويوضح بدلائل الشريعة فساد مقالته ، فإن لكل بدعة مستحمة ، ولكل مستغنى متبها ، وإذا تظاهر بالصلاح من استبطن ما سواه ترك ، وإذا تظاهر بالعلم من عرى منه هتك لأن الداعي إلى صلاح ليس فيه مصلح والداعي إلى علم ليس فيه مصلح (الأحكام السلطانية / ١٦٠ - ١٦٣) .

(منهاج المسلم - أبو بكر جابر الجزائري / ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ولسان العرب لابن منظور / ١٢ / ١٠١٤ ، والأحكام السلطانية والولايات الدينية لعلی بن محمد حبيب البصري الماوردي / ١٦٠ - ١٦٣) .
انظر مادة إحياء الموات في م ٣ / ١٨ - ٢٢ .

* الخصائص :

الحمى : ارتفاع درجة حرارة الجسم عن معدلها الطبيعي ، وبتراوح هذا المعدل في غالبية الناس بين ٣٦ و ٣٧ م صباحا ، و ٣٧ م مساء . والحمى لازمة طبيعية ، وعرض مرضى يصاحب الأمراض المعدية . وهي إجراء دفاعي

حقيهم منه ما واهم الناس فيما عداه . والقول الثاني أنه لا يجوز الاتفاق بحريمهم إلا عن إذنهم لأنه تبع لأحكامهم فكانوا به أحق وبالتصرف فيه أحص ، فأما حريم الجوامع والمساجد ، فإن كان الاتفاق في مفسر بأهل المساجد والجوامع منعوا منه ولم يجوز للسلطان أن يأذن لهم فيه لأن المصلين به أحق ، وإن لم يكن مفسرا أجاز ارتفاقهم بحريمها . ويعتبر فيه إذن السلطان لهم على وجهين من القولين في حريم الأماك .

وأما القسم الثالث : وهو ما اختص بأفنية الشوارع والطرق فهو موقوف على نظر السلطان . وفي نظره وجهان : أحدهما أن نظره فيه مقصور على كفهم عن التمدد ومنعهم من الإصرار والإصلاح بينهم عند التشاجر ، وليس له أن يقيم جالسا ولا أن يقدم مؤخرًا ويكون السابق إلى المكان أحق به من الميسوق . والوجه الثاني أن نظره فيه نظر مجتهد فيما يراه صلاحا في إجلال من يجلسه ومنع من يمنعه وتقديم من يقدمه كما يجتهد في أسرار بيت المال وإقطاء الموات ولا يجعل السابق أحق وليس له على الوجهين أن يأخذ منهم على الجلوس أجرا . وإذا تركهم على التراضي كان السابق منهما إلى المكان أحق به من الميسوق ، فإذا انصرف عنه كان هو وغيره من الغد فيه سواء يراعى فيه السابق إليه . وقال مالك إذا عرف أحدهم بمكان وصار به مشهورا كان أحق به من غيره قطعا للتنازع وحسما للتشاجر ، واعتبار هذا وإن كان له في المصلحة وجه يفرغه من حكم الإباحة إلى حكم الملك .

فصل : وأما جلوس العلماء والفقهاء في الجوامع والمساجد والتعبدى للتدريس والفتيا فعلى كل واحد منهم زاجر من نفسه أن لا يتصدى لما ليس له بأهل فيفضل به المستهدى ويؤزل به المسترشد ، وقد جاء الأثر بأن « أجروكم على الفتيا أجروكم على جرائم جهنم » .

والسلطان فيهم من النظر ما يوجب الاختيار من إقراره أو إنكاره ، فإذا أراد من هو لذلك أهل أن يترتب في أحد المساجد لتدريس أو فتيا نظر حال المسجد ، فإن كان من مساجد المحال التي لا يترتب الأئمة فيها من جهة السلطان لم يلزم من ترتب فيه للتدريس والفتيا استئذان السلطان في جلوسه كما لا يلزم أن يستأذن فيه من ترتبه للإمامة ، وإن كان من الجوامع وكبار المساجد التي ترتب الأئمة فيها بتقليد السلطان روى في ذلك عرف البلد وعادته في جلوس أمثاله ،

بضرورة التغذية على الأقل باليقول اللينة . ونصحوا بشرب الماء بارداً ، وتناول ماء الشعير وماء السحل ، وماء الزمان المز ولا تتبع هذه الطريقة من العلاج في حالات الحميات المسببة عن الأورام البلغمية والدُموية وفي حالة البليلات كما استعمل الفصد والمسهلات في بعض الحميات الأخرى . وكانت العرب منذ قديم الزمان يبلون أجسامهم إذا سغنت بالماء البارد . وأكد النبي ﷺ على فائدة هذه العملية حين قال : «الحمي من نار جهنم فأطفئوها بالماء» (مختصر تاريخ الطب العربي / ٢٧٣ ، ٢٧٤) .

قالت المؤلفة : أخرج الحافظ السيوطي في الجامع الصغير (١ / ١٥٧) حديثاً بلفظ « الحمي كير من جهنم ، فتحورها عنكم بآل ماء البارد » من رواية ابن ماجه عن أبي هريرة .

كما أخرج حديثاً بلفظ « الحمي من فيح جهنم ، فأبروها بالماء » من رواية أحمد في مسنده والبخاري عن ابن عباس ، وعن أحمد في مسنده والبخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه عن ابن عمر والبخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه عن عائشة ، وأحمد في مسنده والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه عن رافع بن خديج والبخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه عن أسماء بنت أبي بكر وقال عنه حديث صحيح .

وقد تكلم ابن رشد على أنواع الحميات المختلفة وأعراضها وهي حمى يوم ، الحميات الفضولية ، حمى الصفراء ، الحمى البلغمية ، حمى الربيع ، الحمى الدُموية ، وحمى الدق ، وذلك في كتابه الموسوم بالكلديات في الطب / ١٨٧ - ١٨٨ فارجع إليه إن شئت .

لكل ذلك أورد صاحب تسهيل المتافع باباً في الحميات نقله لك فيما يلي ، وهو ينقل عن كتاب الرحمة للحكيم المقرئ : قال صاحب كتاب الرحمة : اعلم أن الحميات كثيرة لكن تسلك منها أعظمها خطراً وهي التي تختلف باختلاف زيادة الأخلاط الأربعة تنقسم إلى أربعة أقسام الأول : حمى الغب وهي التي تغيب يوماً وتنبو يوماً ، سببها زيادة خلط صفراوي . العلاج شرب ماء الليم والسكر على الريق ثلاثة أيام ويتبعاً والغذاء مسويق ذرة وخمير حنطة ومسوق فروج فإن

وقالني ، يتخذ الجسم لمواجهة ما يقتره من الجراثيم ، التي لا تلائمها درجة الحرارة العالية . وأحياناً ترتفع درجة الحرارة في أمراض غير معدية ، كالتهاب حوض الكلى ، والتهنن في الأطفال ، والتهنن المعوية ، و « الفراريج » (الموسوعة الخانية / ١٧٣) .

ونذكر فيما يلي الحميات كما كان يفهمها الأطباء العرب في الماضي ، تاركين للقارئ أمر مقارنتها بمعلوماتنا عنها في الوقت الحاضر وهي التي سقناها آنفاً . (اقرأ عن الحميات في الفصول للرازي / ٨٤ - ٩٠ ، والهاوي للرازي / ١٤ / ١٦٩ ، الملكي لملي بن عباس المجوسي / ١ / ٢٩٣ - ٣٠١ ، والمختارات لابن هبل / ٣ / ٢٥٣ - ٢٩٠) .

يقول الدكتور كمال السامرائي عن الطب الإسلامي في علاج للحمي :

حالات الحمى شائعة قديماً وحديثاً . وكانت تعتبر من الحالات المرضية العابرة غير الخطيرة ، إلا في وقعات معينة ، وقد اعتبر العرب الحمى عرضاً في أكثر الحالات وأن لها أسباباً كثيرة يرجعون أكثرها إلى فساد الأخلاط أو قلة نضجها أو زيادة انطباعها ، أو إلى تغييرات في أورام البدن .

ويكون تشخيص الحمى يلمس جلد العليل ، أو بالاعتماد على شكواه منها . وقد لا يكون في هذه الحالة الأخيرة وجود لها في المريض . ولما لوحظ تناوب الحمى سميت بحسب ذلك حمى يوم ، أو حمى ريع . كما وصفت أنواع أخرى منها كالحمى المعطية ، والمحرقة ، والناقض ، وحمى الدق ، وعرفت الفروق السريرية فيما بينها ، وصفات النبض والبول في تلك الأنواع ، والأعراض التي يشكو منها المريض كالثقل العام في البدن ، وثقل الرأس ، والنفس في سطح الجسم ، والنتاوب المنكر ، واضطراب النوم وفقدان الشهية . واعتبر الأطباء الحميات التي تظهر في الليل أقل خطورة من التي تظهر في النهار . وفسروا النافض من الحمى من كثرة الأخلاط الرديئة في المزجين (السوداء والصفراء) وحللتها ومسرعة حركتها ، ودقة الحس عند المريض من ملامة الماء البارد .

ولأن طبيعة الحميات لم تكن معروفة فقد عولجت حالاتها على مبدأ « الراحة تريق اللبل » إلا أن الأطباء اختلفوا في أمر تغذية المريض ، فأوصى بعضهم بالرجئية ، وقال آخرون

الواو وهو يوم الحمى كما قاله في الديوان والحمى المطبقة وهي يفتح الباهر وكسرها وهي الملازمة الشديدة التي لا تبرح، وحمى الريع هي المسملة عند العوام بالثلاث والريع بكسر الراء وإسكان الباء وهي غير مخوفة عند العلماء لأن المحموم يأخذ قوة في يومي الاقلاق، والله سبحانه أعلم .
ثم يتكلم على أنواع الحميات فيقول :

قال شيخنا : وجملتها ثمانية عشر نوعا منها أربعة ناشئة من الأخلاط وهي الدم والصفراء والبلغم والسوداء أما الدموية فهي التي لا تزيد ولا تنقص حتى تنقضي ؛ وعلاجها فتح الحروق فهو علاج عظيم لحميات الدم إن ساعدتلك القوة ثم تنقص الطبيعية بالإسهال وقد يعالجون بالقيء ليستفرغ المرار وأما الصفراوي فهي حمى القى المعروفة بالسوداء إذا لم يخالطها شيء غير الصفراء وأطول نوبتها اثنتا عشرة ساعة وفترتها ست وثلاثون ساعة وتبدو سبعة أدوار . ومن أدويتها وقد جربتها لها أعنى حمى الورد شرب ماء سبع حبات ليم كيار صفر يسكر للرجل الكبير وأما الصغير فقدر له ولكل شخص ما تحتمل قوته ويكون شربه لذلك قبل النوبة لما وجسته يحتاج إلى الإعادة أصد له . وأخيرى من أتى به أنه شرب يوم النوبة على الريق ماء سبع حبات ليم بغير سكر فبرا ولم يعاوده . قلت وهو من أدويته ، وأبلغ من جميع الأدوية لحمى الورد وقد جرته فوجدت نفعه قويا فينبغي الاعتماد عليه وهو صحيح مجرب ، والله أعلم . وجرنا شرب الرائب على الريق يوم النوبة والتقيؤ بعد ساعة واستنبار الشمس فوجدناه نافعا في مرة واحدة ؛ ومن أدويتها شرب تقيع تمرهندي أعنى المعمر من غير مرس ويضاف إليه القند وإن كان في الأهل بارد الطبع ونمى من بريدة الحمر فليشرب من الهليلج الأصفر ثلاث فقال مع مثلها سكر أو يشرب بعد ذلك ماء حارا فإنه نافع في الحمى الصفراوية . قلت : ولا يخلو هذا من نظر فإن شرب القند والحمر مما يسهل الطبيعة وكذا الهليلج مع السكر ولا شك أن الإسهال مضر لمن كان قد ضعفت قوته بالعرض فليأكل هذا الكلام .

وأما حمى البلغم فهي الشابة في كل يوم وإنما تكون من البلغم إذا غلبت بحرارة خارجة عن الطبيعة ؛ وعلاجها بما يطفئ ويقطع وكل ما يدر البول ويجب أن يعتنى في هذه

انقطعت إلى ثلاثة أيام وإلا فليسهل بسهولة الصفراء فإنه يقطعها مع استعمال ما ذكرنا والله الشافي .

الثاني : حمى الناجية وهي التي تنوب كل يوم ، سببها خلط دموى . العلاج : الخل كل يوم وأكل المزريات واجتناب ما عدا ذلك يستعمل ذلك ثلاثة أيام فإن برأ وإلا فليحتجم فإنه يبرأ إن شاء الله تعالى .

الثالث : الحمى المطبقة وهي التي تكون في داخل الجوف ويكون ظاهر البدن مادئا مريضها بسخونة قليلة وربما كان باردا البتة مع الطغيان الكامل والنقل إلى سبعة أيام في الغالب ثم يثور بحرارة كالنار طغيان البدن جميعه وهو البحران الذي يسمى المسح فإذا ثارت تلك الحرارة طيخت جميع البدن حتى يسخن الدماغ بسخونة مفرطة فيفتير العقل ويصيب المريض غشوة وهذيان يكلام لا يشعر به ثم ينقع الحرق العظيم ويسكن بعد ذلك فاما إلى السلامة وإما إلى الهلاك وهي أعظم الحميات خطرا ، وسببها خلط بلغمي العلاج : إذا حدث ابتداءه أن يتقيا كل يوم بالخل والعسل ويستعمل سوق اللدة مع السكر غلداً فإن احتاج إلى زيادة كان غصير لباب الحنطة ومرق الفراريج فإن هذا نافع جيد مجرب .

الرابع : حمى الريع وهي التي تغيب يومين وتنوب يوما وتبتلى بسخونة لينة ثم تزداد قليلا قليلا حتى تشد الحرارة وتعتظم وتكون لها وقع في البدن كوقع الزبر ثم يحدث الحرق بعد ذلك وهي مزمنة لا تكاد تنقطع إلا أنها أسلم خطرا من الحمى المطبقة ، وسبب حمى الريع خلط سوداوى بارد يابس كامن في الجوف .

العلاج : أن يخلب لبن بقر على سمن متقصف وحسل منزوع المرصوة ويشرب من تحت الفرج ويجنب كل شيء سوى ذلك وإذا ابتدأت الحمى فليشرب ماء حارا ساخنا قد أعد لذلك فإن هذا للتدبير يقطع هذه الحمى سريعا ولا شيء غيره أحسن منه وهذا نافع صحيح مجرب . وقيل إن صاحب الثلاث (هي حمى الريع) إذا شرب السليط عصيرا من المعصرة على الريق ثلاثة أيام كل يوم ثلاث أواق قطع عنه حمى الريع اهـ . قلت وقوله في أول الحميات حمى الغب بكسر الغين المعجمة وهي المعروفة عند العوام بالورد بكسر

الربط كلعلم الكيش والتمر وفطير البر، والله سبحانه وتعالى أعلم . وشرب مرق الدجر نافع من حمى التلب وهو في يوم الوجد أنفع والله أعلم

ولحمى الربع يؤخذ مر وسلاب وفلفل وحلتيت أجزاء سواء يلق الجميع ويجمعن بسل ويستعمل منه مقدار حبة التيق كل يوم للرجل الكامل البارد المزاج ، فإن لم يكن كذلك فليستعمل دون ذلك القدر ويأكل كل حصار رطب كلعلم الكيش والدجاج وفطير البر وفطير الدرة إن كانت غذاءه والتمر ولحمى الربع السوداء وهي التي تشوب يوما وتترك يومين وهي من الأمراض المزمنة تتبدى بنافض لين ثم يقوى فينبغي لصاحبها ترك الضياء يوم النوبة بالمشى ويتغذى بكثرة بما يصلح لهذا الرجوع ويعتذر الاختصال بالماء البارد ويترك التعب الشديد ونوم النهار .

ولحمى الورد مجرب شرب ثلاث جرع من خل حاذق مدة أربعة أيام أو ستة أيام على الريق ، وأفضل الدواء لصاحب الورد كل بارد دسم ، وشرب الأشياء له الحار اليابس لأنها حارة يابسة ، وسمن البقر صالح له وأحسن شيء يعالج به الماء البارد ، والله أعلم .

فصل في الحمى : وهي على أشرب : منها غيبة ومنها همة ومنها فكية ومنها قضبية ومنها فرجة ومنها تعية ومنها استنزافية وهو الخلو من الطعام ومنها عطشية وهي التي تحدث مع العطش وذكر جالينوس أن الحمى أعظم الأمراض خطرا وهي برية السموت أي أكثر أسباب ذلك لأنها تشمل ظاهر البدن وباطنه ، والبريد هو الرسول . قلت وفي اللقط وحمى الدق : تحدث من كل ما يجفف البدن تقيفا مغرطا مع إسخانه إياه كالغم والهيم والسكر وحمى الحب : هي التي تأتي يوما وتنقطع يوما تكون من المرة الصفراء والتي تأتي يوما وتنقطع يومين من عفونة السوداء والتي تأتي كل يوم من البلغم وعفونته . قلت ودواها العام إذا كانت طيبة للمحموم يابسة فلا تنفذه أصلا ما لم يخرج الضل فإنه إذا تغذى اشتغلت الطبيعة عن الدفغ أي دفع ما في البطن واستحكم المرض وطال ولا يصلح للمحموم شرب الماء البارد ، وقد روى عن رسول الله ﷺ إن الحمى من فتح جهنم فأبردها بالماء .

قالت المؤلف : خرجنا هذا الحديث آتيا واختلف الناس

الحمى بأمر البطن خصوصا فم المعدة فلا يتهاون بها فإنها تطول ويثول أمر صاحبها إلى التلف . وعلاجها بعد ثلاثة أيام بعد انتهائها وينبغي أن يمنع شرب الماء البارد ويسقى الماء الحار فيه نفع له وبه تنقطع هذه الحمى إن شاء الله تعالى فإن عرض من كثرتة إجحاف بالقوة فيعتى بالأدوية التي تمنع القيء وليحسن من الغليظ وليجعل غلظته في الابتداء من اللطيف والغليظ وأعطه منه قدرا صالحا وفي الانتهاء شيئا يسيرا إلا أن تضعف القوة فيجب حينئذ أن يضيف إلى استعمال تقليل الغذاء بكثرة المزروعات من غير إضرار بالعليل والواجب أن لا يعطى العليل شيئا من الغذاء إلا بعد إقلاع الحمى أو قبل نوبتها بثلاث ساعات وذلك لأن الحمى إذا حدثت وفي المعدة طعام قويت وزادت جدا وذلك من ضعف القوة من فساد مزاج الحمى وبذلك تضعف عن تغيير الغذاء وهضمه وإذا لم يتغير ويهضم صار مادة وقوة للحمى ، انظر إلى هذه الفسادات وتأملها وتحفظها فهي أصل في تهوين الحمى . ومما يذهب البرد العارض في هذه الحمى أن يمرخ البدن بدهن القسط .

وأما حمى الربع السوداء وقد يتقدمها حميات مختلفة على الأمر الأكبر وذلك لأن المرة السوداء تولد من أخلاط أخر أعنى خلط الدم والمرة الصفراء والبلغم إذا احتسرت وإنما سميت حمى الربع لأنها تأتي في كل أربعة أيام مرة ومقدار نوبتها أربع وعشرين ساعة ونهايتها ثمانية وأربعين ساعة وقد تبدى هذه الحمى في الفرد من غير أن يتقدمها حميات مختلطة على الأمر ونوبتها أربع وعشرين وبمخالطة الصفراء تقصر وبالبلغم تطول وهي إن حدثت في الشتاء طال مكنتها وفي الصيف قل مكنتها وعلاجها أكل التمر المكي ثلاثة أيام على الريق حتى يشبع ويستجزي به عن الغذاء ويأكل عوضه زيبيا رازقيا وإن شاء استعمال على الريق أكثر من ملاء الكوز ويكون رازقيا ويقف إلى وقت الغذاء ويأكل فطير بر ولبنا وقتنا ويأكل من الزبيب شيئا عند النوم وإن استجزي بالزبيب الرازقي عن غيره من المأكول مدة مفيدة كلما جاع أكل منه أو يأكل اليسير من الطعام إن لم يقدر على تركه بالكلية فلا بأس به فهو أبلغ وأنفع إن شاء الله تعالى وصرق الكيش أولى في الإلام من اللبن وشرب السليط الحار والاستمشاء به جيد ويستعمله مرارا على الاعتماد على الغذاء الموافق وهو الحار

العرق ثم يبرد ويسكن وهي تنوب كل يوم سببها زيادة خلط دموى يجتمع بخلط بلغمى على الرئة . العلاج : أن يتقيا بالخل والعسل كل يوم على الريق ثلاثة أيام ثم يستعمل الشراب المسلى بعد القيء ، والغذاء خمير نقى البر ومرق الكباش واللحم المعمول بالكواخ الحارة الحريفة فإنه نافع جيد والله أعلم .

(تسهيل المنافع / ١٧٨ - ١٨١) .

ونسوق لك فيما يلى ما ورد من الأحاديث النبوية الشريفة عن الحمى فى كتاب الأريمين الطبية المستخرجة من سنن ابن ماجه وشرحها ، وعن الأمراض التى تشفيها :

الحديث السادس

من باب الحمى

« حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا وكيع عن موسى بن عبيدة عن علقمة بن مرثد عن حصن بن عبيد الله عن أبي هريرة قال ذكرت الحمى عند النبي ﷺ فسبها رجل . فقال النبي ﷺ ، لا تسبها ، فإنها تنقى الذنوب كما تنقى النار خبث المحلئ » .

الحديث السابع

من باب الحمى أيضا ، وفيه زيادة فابردوها بالماء وشرحها مما .

« حدثنا أبو بكر بن ابن أبي شيبة حدثنا عبد الله بن نمير حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن النبي ﷺ قال : الحمى من فبح جهنم فابردوها بالماء قال الشيخ : الحمى حرارة غريبة تضرب بالقلع لا تكون إلا فى مادة أولا ، ثم منها تسخن سائر الأعضاء فإن كان مبدأ تعلقها بالروح سميت حمى يوم ، لأنها تزول فى الغالب فى يوم ، ونهايتها ثلاثة أيام . وإن كان مبدأ تعلقها أخلطا سميت عفة ، وإن كان مبدأ تعلقها بالأعضاء الصلبة الأصلية سميت حمى دق وقد بسطنا القول فى ذلك فى كتابنا الكبير فى الحميات ، واختصرناه فى كتاب ثان وثالث ، وكثيرا ما تكون حمى يوم وحمى العفن سببا لإلتصاج مواد غليظة لم تكن تنضج بلونها ، وسببا لفتح سد لم تكن تصل إليها الأدوية .

وأما الرمدم الحول والمقادم فإنها تركه برءا عجيبا وقد قلنا إنها تنضج الفضول الغليظة المحتبسة ، وتفتح السدد

فى ذلك فقال قوم : هذه كانت عادة العرب وقد ثبت أن العادة كالتطيمة وقد كانت بلادهم شديدة الحرارة ، وجاء فى الحديث أن المراد به ماء زمزم فيكون إذن للتبرك فروى الشيخ رضى الله عنه بإسناده قال : إن أبا حمزة كان يجلس إلى ابن عباس رضى الله عنهما قال وكنت أدفع عند ازدحام الناس فاحتسبت عنه فقال ما حبسك ؟ قلت الحمى فقال إن رسول الله ﷺ قال « إن الحمى من فبح جهنم فابردوها بالماء من زمزم » وقد ذكر فى هذا التبريد بالماء للمحموم أربعة أوجه : الأول الاختسار وهو ظاهر الحديث ، وروى الشيخ بإسناده عن سمرة بن جندب أن النبي ﷺ قال : الحمى قطعة من النار وكان النبي ﷺ إذا حم دعا بقرية من الماء فأفرغها على رأسه فاغتسل .

والثانى استقبال جرية الماء فى النهر ، وروى الشيخ بإسناده عن ثوبان أن النبي ﷺ قال : إذا أصابت أحدكم الحمى فأنما الحمى قطعة من النار فليطغتها بالماء البارد ويستقبل نهرا جاريا فيستقبل جرية الماء فيقول بسم الله الرحمن الرحيم اللهم اشف عيلى وصدق رسولك وذلك بعد صلاة الفجر قبل طلوع الشمس فينغمس فيه ثلاث غمسات ثلاثة أيام فإن لم يبرأ فثلاث غمسات وإن لم يبرأ فى خمس فسبع فإن لم يبرأ فى سبع فإنها لا تكاد تتجاوز السبع بإذن الله تعالى .

وفيه سعيد وهو مجهول .

والثالث : أن يعلق السقاء ويضطلع تحته فيقطر عليه ، وروى الشيخ بإسناده عن عبيدة بن حنيفة عن عمته قالت رأيت رسول الله ﷺ قد وعك وعكا شديدا فأمر بسقاء فعلق فجعل يقطر عليه .

والرابع أن يصب الماء بين ظهر المحموم وجبه ، وروى الشيخ بإسناده عن أسماء كانت إذا أتت المرأة قد حمت أخذت قرية فصبتها بينها وبين جنبها وقالت : إن رسول الله ﷺ كان يأمرنا أن نبردها بالماء متى أبرد عرق المحموم فليترك ما لم يتجاوز الحد فإن مسحه يضره .

قال المقرئ : النافى هو أن يشفى الإنسان رعدة ورعدة ويرد شديد فى قلبه فينفض سائر بلته انتفاضا عظيما ثم يحدث بعد ذلك سخونة فى بلته ويشد عليه حتى يخرج

وبأمرة بالخروج إلى صناعته وياثي الأطباء إليه فلا يجدونه في منزله فيستحيون من تقصيرهم ومن خطئهم على المريض .
(كتاب الأبرمين الطبية / ٩٥-٩٨ .)

(الموسوعة الفخفية - بإشراف د. حسين السعيد / ٤١٣ ، ومختصر تلويخ الطب المصري - د. كمال السامرائي / ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ونسبيل المنافع في الطب والحكمة للشيخ إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي بكر الأوزي / ١٧٨ - ١٨١ ، انظر أيضا التكميلات في الطب لابن رشد - تحقيق وتعليق د. سعيد شيبان ود. عمار الطالبي . مراجعة د. أبي شادي الشوي ، تقديم د. إبراهيم يونس مذكور / ١٨٢ - ١٨٧ ، وكشاف اصطلاحات الفنون للهانوي / ١ - ٣٨١ ، ٣٨٢ ، وكتاب الأبرمين الطبية المستخرجة من سنن ابن ماجه وشرحها . عمل تلميذ الشيخ محمد بن يوسف البرزالي - تحقيق عبد الله كنون . مجلة معهد المخطوطات العربية ، جامعة الدول العربية م ١٨ ج ١ ربيع الثاني ١٣٩٢ هـ - مايو ١٩٧٢ م / ٩٥ - ٩٨ ، انظر أيضا كتاب ما الفارق أو الفرق أو كلام في الفرق بين الأمراض لأبي بكر محمد بن زكريا البرزالي - تقديم وتحقيق وشرح د. سلمان قطاية / ٣٣٥ - ٢٤٠ ، والنزعة المبهمة للعلو بن عمر الأنطاكي ، المطبوع بكتاب نكتة أولى الأب المولف / سنة ١٦٦ - (١٧١) .

• ابن حميد (٥٨٦ هـ / ١١٩٠ م) ،

محمد بن جعفر بن أحمد بن خلف بن حميد الأنصاري . من أهل مرسية إمام جامعها ، الإمام النحوي ، أقرأ سيويه وأخذه الناس عنه ، روى عن الجلة ، شرح إيفساح الفارسي ، وجمال الزجاني ، روى عنه الجهم المغير ، توفي سنة ست وثمانين وخمسمائة .

ترجمته في أخبار غرناطة ، والأعلام ٦ / ٣٠٠ ونية الوعاة ١ / ٦٨ - ٦٩ وكشف الظنون / ١١٢ ، ١٠٣ وهدي المارفين ٢ / ١٠٢ وهو بلنسي الأصل .

ذكر السيوطي أنه توفي سنة ٥٨٩ وتقل عن ابن الخطيب أنه توفي في سنة ٥٨٧ .

(إشارة النيين في تراجم النحلة واللغوين ليد الباقي بن عبد المجيد البحتي - تحقيق د. عبد المجيد دياب / ٣٣ وهامش الحقن) .

• الحمد جل جلاله :

الاسم السابع والخمسون من أسماء الله الحسنى . قال الإمام أبو حامد الغزالي في تفسيره : الحمد هو المحمود المثنى عليه ...

الغامضة فيلزم من ذلك أنها تبرئ من جميع الأمراض التابعة لذبذبت مع كثرتها ، وإن هذين السببين يكونان معهما جل الأمراض ، وهي تبره من الفالج واللقوة إذا عرضت بهلما . وقد علمنا ذلك « بقرائط » في فصله وشرحه جالينوس ، وأوضحناه في شرحنا لكتاب الفصول ، وكذلك تفعل الحمى بالانشج الامتلائي .

وأما الربع فما أكثر الأمراض الصعبة التي تبرئ منها ، ولا سيما الصرع والقرص والدوالي وأوجاع المفاصل ، والجرب والحكة والبشر من النشج ثم إن الحمى تتبعها حمية عن الأغذية الردية ، وتناول الأدوية النافعة والأغذية اللطيفة . وفي ذلك كله إعانة على تنقية البدن ونفي أعبائه وفضوله وتصفيته من أدوائه ووسويعه ، فضعف فيه كما تفعل النار في الحديد ، ففضول البدن كخيث الحديد ، واللسى صرح به في الحديث أنها تنفي الذنوب لأنها كضارة السيئات والمخطايا ، والكفارة تمحو المكفر عنه فحيث قد يشبه المعقول بالمحسوس ، والمريض يتذكر العقبي ويتدبر على ما مضى ، ويستغفر من المخطايا فيكون كمن له بمنزلة الملائكة .

وقد روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ إذا دخلت على المريض فمره يدعو لك ، فإن دعاه كدعاء الملائكة ، وأما قوله ﷺ إن شدة الحمى من فيح جهنم فابردوها بالماء ، فإن هذا الحديث قد تخلص بلفظ شدة من طعن الطاعنين ، لأن في الحديث الآخر أن الحمى من فيح جهنم ، ولعمري ليس كل حمى يجوز أن تبرد بالماء بل الحميات المعقوفة التي ليس لها ورم في بعض الأضواء ، وقوة المريض مستغفرة ، والصفراء والدم في غليتهما وقد أخذ في النضج . فجالينوس يسقى الماء البارد في هذه الحميات عند تظافر الشروط والأسباب حتى يحضر المريض فيحيث تنطفي حماه في الوقت وتبرأ على المكان وكثيرا ما تعرض هذه الحميات التي يوافقها الماء البارد في أرض العرب وفي كل بلد حار يابس ، وكثيرا ما يستعمل الاقتسال في حميات يوم ، فيكون ذلك سبب الشفاء ولا سيما الاستحمامية ، ولجالينوس في ذلك حكايات كثيرة وشروح واسعة ومنافرات مع أطباء زمانه ، فإذ بلغ عليهم بحجته وهزجه من الأطباء فين كان يحتم على المريض ويغلبه

والله تعالى هو الحميد ، يحمده لنفسه أولاً ، ويحمد عباده له أبداً .

ويرجع هذا إلى صفات الجلال والعلو والكمال منسوبة إلى ذكر التاكرير له ؛ فإن الحمد هو ذكر أوصاف الكمال من حيث هو كمال .

تنبيه : الحميد من العباد من حمدت عقائده وأخلاقه وأعماله وأقواله كلها من غير مشوبة ... وذلك هو محمد ﷺ ، ومن يقرب منه من الأنبياء ، ومن علمهم من الأولياء والعلماء . وكل واحد منهم حميد بقدر ما يحمد من عقائده وأخلاقه وأعماله وأقواله .

وإذا كان لا يخلو أحد عن مدح ونقص وإن كثرت محامده .. فالحميد المطلق هو الله تعالى .

(المقصد الأسنى / ١١٥) .

وقال في تفسير ذلك الاسم الإمام فخر الدين الرازي :

قال تعالى : ﴿ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُبِينٍ الْحَمِيدُ ﴾ [سبا : ٦] وقال تعالى : ﴿ إِنَّهُ حَمِيدٌ مُبِيدٌ ﴾ [هود : ٧٣] .

واعلم أنه فعل إما بمعنى فاعل ، فإنه تعالى حامد لم يزل يثنائه على نفسه ؛ وهو قوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الفاتحة : ٢] ويثناه على المؤمنين الذين سيجدون .

وإما بمعنى مفعول كقتيل بمعنى مقتول ، أي محمود يحمده لنفسه ؛ ويحمد عباده له ؛ ومنه قوله تعالى : ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ﴾ [البقرة : ٣٠] ومنهم من قال : الحميد ، معناه المستحق للحمد والثناء .

حظ العبد من هذا الاسم : وأما العبد إنما يكون حميداً إذا سلمت عقائده عن الشبهات ، وأعماله عن الشهوات ؛ وكل من كان في هذا المقام أكمل كان في كونه حميداً أكمل .

وأما المشايخ فقالوا : الحميد الذي يوفق للخيرات ، ويحمدك عليها ، ويمحو عنك السيئات ، ولا يخلجك بذكرها .

واعلم أن العامة يحمدونه على إيفصال اللذات الجسمانية ، والخواص يحمدونه على إيفصال اللذات الروحية ، والمقربون يحمدونه لأنه هو لا شيء غيره (شرح أسماء الله الحسنى / ٢٩٩ ، ٣٠٠) .

والحميد : معناه الإله المستحق والحمد هو ذكر أوصاف

الجلال والكمال ، والله سبحانه وتعالى قد حمد نفسه من قبل أن يحمد خلقه تنبيهاً لهم لأن يسبحوا بحمده على ما أسبغ عليهم من نعمه الظاهرة والباطنة فإنه خلقهم وتابع آلاؤه عليهم حتى قالت البعد والحصر .

فقال الله جل جلاله : ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ الْغَنَى الْحَمِيدُ ﴾ [الحج : ٦٤] .

وقال الله جل جلاله : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قُتِلُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [الشورى : ٢٨] .

وقال الله جل جلاله : ﴿ أَتَرَى كِتَابَ الْتَّوْرَانِ إِنْكَ تَنْخَرُجُ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ إِذْ ذَكَرُوا إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [إبراهيم : ١] .

وقد اقتصر اسم « الحميد جل جلاله » باسمه الغنى وباسمه الولي وباسمه العزيز ، تنبيهاً لعباده بأنه المنعم المتفضل على عباده ، وأنه هو وليهم ومبسر أمرهم ، وهو العزيز القادر عليهم بأن يهزمهم أو يذلهم .

وقد استفتح الله سبحانه خمس سور من كتابه الكريم بالحمد لله . بفاتحة الكتاب ، والأنعام ، والكهف ، وسباء وفاطر . وذلك تنبيهاً لعباده على عظم آلاؤه ومنه عليهم .

وقد وصف الله نفسه بأنه غنى حميد ، وأنه حميد مجيد ، وأنه حكيم حميد : فقال الله جل جلاله : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [البقرة : ٢٦٧] .

وقال الله جل جلاله : ﴿ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مُبِيدٌ ﴾ [هود : ٧٣] .

وقال الله جل جلاله : ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت : ٤١ ، ٤٢] .

وفي هذه الآيات الكريمة يأمر الله عباده بأن يشقوا من طيبات ما كسبوا لأنه هو المنعم عليهم وهو الذي يهب لهم النورية وهو الذي يخرجهم من الظلمات إلى النور .

فنعلم الله متوالي على خلقه : ﴿ وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعْلَمُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصِيهَا ﴾ [إبراهيم : ٣٤] .

ولذا استحق الله سبحانه الحمد والثناء فسيحت بحمده الملائكة وسبح الرعد بحمده . وإن من شيء إلا يسبح بحمده .

فقال الله جل جلاله : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ [غافر : ٧] .

وقال الله جل جلاله : ﴿ ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيافته ﴾ [الرعد : ١٣] .

وقال الله جل جلاله : ﴿ تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً ﴾ [الإسراء : ٤٤] .

وقد أمر الله رسوله ﷺ بأن يسبح بحمده ربه :

فقال الله جل جلاله : ﴿ فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين » واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ [الحجر : ٩٨ ، ٩٩] .

وقال الله جل جلاله : ﴿ فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى ﴾ [طه : ١٣] .

وقال تعالى : ﴿ وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ﴾ [الأعراف : ٤٣] .

فاستكثروا يا عباد الله من قراءة فاتحة الكتاب لأنها سورة الحمد والشكر والمجد والثناء ، وفيها للمجد ما سأل :

وقال الرسول ﷺ : « ما أتمم الله على عبده نعمة فحمد الله عليها إلا كان ذلك الحمد أفضل من تلك النعمة وإن عظمت » رواه الطبراني عن أبي أمامة رضى الله عنه .

وقال الرسول ﷺ : « ألا أعلمكم كلمات تلعب عنك الضر والسقم قل : توكلت على المحي السلى لا يموت » والحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ، ولم يكن له ولى من النزل وكبره تكبيرا » رواه ابن السنى عن أبى هريرة رضى الله عنه .

فقلوا يا عباد الله : ﴿ الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ﴾ [النمل : ٥٨] فهى آية جامعة .

وقلوا : ﴿ لله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين » وله الكبرياء فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴾ [الجاثية : ٣٦ ، ٣٧] .

وخذ العبد من اسم ربه : (الحمد جل جلاله) أن يتخلل ذاكه بحميد الصفات فى الأقوال والأفعال .

وقالوا : من دأب على ذكره أغناه الله غنى لا حصر له .

وقالوا من ذكره تسعاً وتسعين مرة بعد صلاة الصبح ونفث

فى يديه ومسح بهما وجهه أمزه الله ونصره وجعل وجهه نيراً ، ومن تلاه ستاً وستين بعد المغرب والصبح صار محمود القفال واكتسب المحامد فى أفعاله وأقواله ، ومن تلاه مائة مرة إثر كل فريضة صار من الصالحين ، ومن كتب بعد فاتحة الكتاب وسقاه لأبى مريض شفاه الله . والله أعلم (ربه الأسماء الحسنى / ١٥٢ - ١٥٥) .

وإليك الآيات التى ورد بها لفظ « الحميد » جل جلاله : البقرة : ٢٦٧ ، وهود : ٧٣ ، وإبراهيم : ٤١ ، أ ، والحج : ٢٤ ، وثه : ٦٤ ، ولقمان : ١٢ ، ٢٦ ، وسبأ : ٦ ، وفاطر : ١٥ ، وفصلت : ٤٢ ، والشورى : ٢٨ ، والحديد : ٢٤ ، والممتحنة : ٦ ، والتغابن : ٦ ، والبروج : ٨ ، والنساء : ١٣١ (المعجم المفهرس / ٢٧٧) .

(المقصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى لأبى حامد الغزالي - دراسة وتحقيق محمد عثمان البشت / ١١٥ ، وشرح أسماء الله الحسنى للإمام فخر الدين الرازى - راجعه وقدم له وعلق عليه الأستاذ طه عبد الرزول سمى / ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، وله الأسماء الحسنى فادعوه بها - جمع وترتيب الشيخ أحمد عبد الجواد . قرأه فضيلة الشيخ الأخر عبد الحليم محمود ، وشبان على خليل عبد الرحمن ، ومحمد المهدي محمود على / ١٥٢ - ١٥٥ ، والمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - محمد نواز عبد الباقى . دار الحديث . القاهرة . الطبعة الثالثة ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م / ٢٧٧) .

انظر « أسماء الله الحسنى » فى ٤ / ٤٧١ - ٤٨٠ .

• حميدة (نحو ١٠٨٧ هـ / نحو ١٢٦٦ م) :

قال عنها الزركلى :

حميدة بنت محمد شريف بن شمس الدين محمد الرويشدى الأصفهاني : فاضلة ، لها حواش وتنبیقات على بعض كتب الحديث . من أهل « رويسشت » من نسواحي أصفهان . قال صاحب رياض العلماء : رأيت نسخة من كتاب « الاستبصار » للشيخ الطوسي ، عليها « حواشى حميدة » وأظنها بخطها ، حسنة الفوائد . وكانت لها معرفة بتراجم رجال الحديث .

(الأعلام / ٢ / ٢٨٤ عن أعيان الشيعة ٢٨ / ٢٠٤ ، والذريعة ٢ /

١٥١ / ١٨) .

• الحميدى :

قال السمعاتى :

عباس أنه قال : لما بايع الناس عبد الله بن الزبير قلت أين المذهب عن ابن الزبير؟ أبوه حواري رسول الله ﷺ، وجدته عمة رسول الله ﷺ صغية بنت عبد المطلب، وعمته خديجة بنت خويلد زوج رسول الله ﷺ، وخالته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وجده صديق رسول الله ﷺ أبو بكر، وأمه ذات النبطين، فشجعت على عبده، ثم أثار على الحميدات والتوثيات والأسامات فأبوت بغس ولم أرض بالهوان، إن ابن أبي العاص مشى القدمية - ويقال القدمية - وإن ابن الزبير مشى القهقري. قال القتيبي قوله مشى القدمية - أي يقدم بهمة وأفعاله، يقال مشى فلان القدمية والقدمية. وإن ابن الزبير مشى القهقري أي نكس على عقبيه وتأخر عما تقدم له الآخر. وقوله فأبوت بغس أي رفعتها وعظمتها وأصل البأوت التنظم والكبر. وأما قوله أثار على الحميدات والتوثيات والأسامات فإنه أراد أثار قوما من بني أسد (بن عبد العزى من قريته، وكأنه حقرهم وصغرهم، قال الأصمعي الحميدون من بني أسد) من قريش؟ قال عبد الله بن الزبير الحميدي في هذا المعنى :

مشى ابن الزبير القهقري وتسلمت

أمية حتى أحرزوا القصبات

ويريد السبق. فالمتنب إليه أبو بكر عبد الله بن الزبير ابن عيسى الحميدي القرشي، من أهل مكة، يروى عن فضيل بن عياض، وجالس سفيان بن عيينة عشرين سنة، روى عنه محمد بن إسماعيل البخاري وبشر بن موسى الأسدي؛ قال أبو حاتم بن حبان البستي: مات أبو بكر الحميدي، بمكة سنة ثمان عشرة ومائتين، وكان صاحب سنة وفضل ودين.

وأما أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن حميد بن يهل الحميدي المغربي الأندلسي فهو أحد مفاظ عصره صنف التصانيف وجمع الجميع، نسب إلى جده الأعلى، سمع بالأندلس أبا محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي الحافظ، وبمعصر أبا محمد عبد العزيز بن الحسن الضراب، ويدمشق أبا بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب وأبا محمد عبد العزيز بن أحمد الكتاني وأبا الحسن عبد الدائم بن الحسن الهلائي، ويواسط أبا تمام علي بن

الحَمِيدِي : يفتح الحاء المهملة وكسر الميم وسكون الياء المقروطة يفتنن من تحتها في آخرها ذال مهملة، وبهذه النسبة إسحاق بن تكتيك الحميدي مولى الأمير الحميد الساماني، سمع الحديث من أبي إسحاق إبراهيم بن محمد ابن سلم الشكاني وأبي نصر أحمد بن المواجهي البخاريين وغيرهما، حدث باليسير، ذكره - البصري في كتاب المضاهات.

(الأنساب للسماعى - تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي ٢ / ٢٦٨ انظر أيضا الباب لابن الأثير - تحقيق د. مصطفى عبد الواحد، ١ / ٤٥٦).

• الحَمِيدِي :

قال السمعاني :

الحَمِيدِي : يضم الحاء المهملة وفتح الميم، وسكون الياء المقروطة وفي آخره ذال مهملة، هذه النسبة إلى حميد، وسمعت أبا القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الحافظ بأصبهان مذاكرة رجلي مناظرة جرت بينه وبين أبي نصر أحمد بن عمر الغازي الحافظ في مجلس غاص بأهله، قال فقلت له عن روى البخاري الحديث الأول في الصحيح؟ فقال : عن الحميدي، قلت لم قيل له الحميدي؟ فسكت ولم يجب. فسألت الحافظة على هذا، فسألت شيعي وأستاذي إسماعيل الحافظ عن هذه النسبة، فقال : الحميدي الذي يجه ذكره وهو أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي منسوب إلى الحميدات (هو عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبد الله بن الزبير بن عبد الله بن حميد بن زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصي. وحميد بن زهير بن الحارث يقال لولده «الحميدات» وإليه ينسب الحميدي، وتأتي ترجمته بعد هذه المادة إن شاء الله تعالى) والحميدات هي القبيلة التي قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما إن ابن الزبير أثار الحميدات والأسامات والتوثيات - يعني فضلهم على غيرهم من سائر القبائل مع قتلهم وكثرة غيرهم. قال الشيخ وهذا الجمع - يعني بالآلف والهاء - يقتضي القلة، قيل لما قال الشاعر : (لنا البغضات الغر) فقيل هلا قال : لنا الجفان - يعني الجفانات جمع القلة، وحبيب عليه ذلك. قال أبو محمد القتيبي في كتاب غريب الحديث في حديث ابن

الشافعي إلى مصر، وإزمه إلى أن مات ، فعاد إلى مكة ينتهي بها . وهو شيخ البخاري ورئيس أصحاب ابن عيينة . روى عنه البخاري ٧٥ حديثاً، وذكره مسلم في مقدمة كتابه . توفي بمكة . وله « مسند » طبع الجزء الأول منه في الهند (الأعلام / ٨٧) .

أورد ابن عبد البر في « الانتقاء » في باب « من أخذ عن الشافعي علمه وكتب كتبه وثقه له وخالفه في بعض قوله » ، وذكر أن الحميدي ممن أخذ عن الشافعي من أهل مكة ، ثم قال أبو بكر الحميدي : وكان صاحبه عند عقبان بن عيينة وهو عبد الله بن الزبير بن عبد الله بن حميد بن زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب القرشي الأسدي ، وكان من الفقهاء المحدثين التلاء الثقات والحفاظ المأمورين . أخذ عن ابن عيينة وهو صاحبه والمتحقق به وعنده عن وكيع وأبي معاوية والناس . كان أحمد بن حنبل يعظمه ويفضله على أصحاب ابن عيينة . وسئل أحمد بن حنبل : من أثبت في ابن عيينة : على بن المسديني أو الحميدي ؟ فقال : الحميدي صاحب الرجل وأعلم الناس به حديث ابن عيينة وأثبتهم فيه . توفي الحميدي في ربيع الأول سنة تسع عشرة ومائتين (الانتقاء / ١٠٤) .

وقد ذكره الإمام الكشاني في أصحاب المسانيد فقال : وسند أبي بكر عبد الله بن الزبير بن عيسى الحميدي القرشي الأسدي المكي من كبار أصحاب ابن عيينة الحافظ الثقة المتوفى بمكة سنة تسع عشرة ومائتين وقيل بعدها ، وهو من مشايخ البخاري ، قال الحاكم : كان البخاري إذا وجد الحديث عن الحميدي لا يسلوه إلى غيره ، وهو غير الحميدي الجامع بين الصحيحين وسنده أحد عشر جزءاً (الرسالة المستطرفة / ٥١، ٥٠) .

(الأعلام للزركلي / ٨٧ ، والانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء لابن عبد البر / ١٠٤ ، والرسالة المستطرفة للإمام السيد محمد بن جعفر الكتاني / ٥١ ، ٥٠) .

• الحَمِيدِي (أَبُو عَبْدِ اللَّهِ) (٤٢٠-٤٨٨ هـ / ١٠٢٩-١٠٩٥ م) :

هو محمد بن قتيب بن عبد الله بن قتيب بن حميد الأديني الميوزي الحميدي المتوفى سنة ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م ببغداد مؤرخ محدث فقيه روى بالأنلس عن جماعة منهم

محمد بن الحسن الواسطي القاضي ، وبغداد أبا الفناشم محمد بن علي بن علي بن الدجاني وجماعة كثيرة ، روى لنا عنه جماعة من الشيوخ بالعراق ، وكانت وفاته ببغداد في سنة ثمان ومائتين وأربعمائة ، وأوقف كتبه بها ، وسمع مشايخنا بقراءته الكثير . قال ابن ماكولا : وصديقنا أبو عبد الله محمد بن أبي نصر عبد الله بن قتيب بن حميد بن يعلى الحميدي ، أنلس من أهل الخير والفضل ، سمع يسله الكثير وسمع بمصر أصحاب ابن المهندس والأدعي وابن أبي غالب وابن الرحيل ، ومكة أصحاب ابن فراس وشيخه وسمع بالشام أصحاب ابن جميع وابن أبي الحديد وابن أخى توبك ، وورد ببغداد فسمع أصحاب الدارقطني وابن شاهين وابن حبان وابن عبدان وعلي بن عمر الحرابي وطبقتهم ، وصنف تاريخاً لأهل الأنلس ، ولم أر مثله في نزاهته وعفته وورعه وتشاغله بالعلم ، والله يزيدنا وإليه من كل خير بمنه ورحمته (الأنساب / ٢٦٨-٢٧٠) .

وكان مشهوراً ، بالنباهة والمعرفة والإتقان والورع ، وله مؤلفات كثيرة منها « الجمع بين الصحيحين » و « حذرة المقتبس في تاريخ علماء الأنلس » (٩٤ / ١) . ولاين الأثير في الباب ثلاثة استدراكات على السمعاني إذ يقول :

فإنه نسب جعفر بن عبيد الله بن عثمان بن حميد القرشي المخزومي الحميدي ، وروى عن عمر بن عبد الله بن عمرو ، روى عنه أبو داود الطيالسي وغيره . ولجانه أيضاً عبد الله بن محمد بن أحمد الحميدي يعرف بالقلانس الصوفي شيرازي الأصل ، وروى عن الطبراني . وفاته أبو سعد أحمد بن محمد ابن العباسي الحميدي ، روى عن الحاكم ، روى عنه الحسين ابن مسعود الفراه (الآباء / ١ / ٤٥٧) .

(الأنساب للسمعاني - تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي / ٢ / ٢٦٨ - ٢٧٠ ، وآباء الرواة للنفطي - تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم / ١ / ٩٤ هامش ٢ للمحقق ، والباب لابن الأثير - تحقيق د. مصطفى عبد الواحد / ١ / ٤٥٦ ، ٤٥٧) .

• الحَمِيدِي أَبُو بَكْر (٢٦٩ هـ / ٨٨٤ م) :

عبد الله بن الزبير الحميدي الأسدي ، أبو بكر ، أحد الأئمة في الحديث . من أهل مكة رحل منها عن الإمام

ابن عبد البر وعلى بن أحمد وأبو العباس العلوى . وروى عن آخرين بمصر وينسب إليه كتاب الجمع بين الصحيحين ، وجزءه المقتبس في تاريخ الأندلس (ملء القبة ٢ / ١٢٩) .

وهو إمام كبير عالم مشهور ، سمع ببليده ، وسمع بمصر أصحاب المهندس ، وسمع بمكة أصحاب ابن خرواص وغيرهم ، وسمع بالشام أصحاب ابن جميع وغيرهم ، ورد بغداد فسمع أصحاب الدارقطني وغيرهم .

قال الأثير ابن ساكولا ، لم أر مثله في نزاهته وعفته وورعه (مفتاح السعادة ٢ / ١٢٤) .

(ملء القبة لابن رشيد... تقديم ونطوق مساحة د . محمد الحبيب الخرجية مفتي الديار التونسية ٢ / ١٢٩ هامش ٩٢ للمحقق ، ومفتاح السعادة لطائى كبرى زاده ٢ / ١٢٤) .

• الحميدى (تاج الدين) (٩٧٢ هـ):

هو إبراهيم بن عبد الله بن موسى تاج الدين الحميدى ، من علماء الحنفية .

كان من فضلاء الديار الرومية ، وصار ملازما من المولى صارى كرزى ، وأخذ من المولى العلامة شيخ محمد بن إلياس ، مفتي الديار الرومية ، والسيد الشريف محمد المشهور بمعلوم أمير ، وصار مدرسا بمدارس متعددة ، منها إحدى الثمان ، وأيا صوفية ، وسلمية اصطبل ، ثم صار مدرسا بمدارس السلطان بايزيد خان ، عليه الرحمة والرضوان ، بمدينة أماسيه ، ومفتيا بولايها ، ثم فرغ من ذلك كله ، وجعل له ثمانون درهما عثمانيا بطريق التقاعد . ومات بفسطنطينية فى شهر ربيع الأول ، سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة ، رحمه الله تعالى . ومن مؤلفاته « حاشية على صدر الشريعة » لم تكمل ، وهى من كتاب الحج إلى آخره .

(الطبقات السنية في تراجم الحنفية لطفى الدين المرعى - تحقيق عبد الفتاح محمد المحلو ، ١ / ٢٣٤) .

• حميدية الزمان هي أفضلية الرسول الأعظم بنص القرآن :

من مصنفات التراث الإسلامى فى علوم القرآن الكريم . مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأمد) .

الرقم : ٩١٦٧ .

المؤلف : محمد عارف بن أحمد بن سعيد الحسينى الدمشقى المشير بآبى المنير المتوفى سنة ١٣٤٢ هـ .

أولها : الحمد لله الذى فضل الرسل والأنبياء بعضهم على بعض بصريح محكم لا ينقض وجعل أفضلهم سيدنا محمد ، أما بعد : فيقول محمد عارف ابن الشيخ أحمد المنير الحسينى الدمشقى : قد مثلت مرارا ، تارة استفادة ، وتارة استفسارا ، تعنتا واستكبارا عن دليل أفضلية سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم بنص القرآن ...

آخرها : وفى نسخة أنس سمعت رسول الله ﷺ يقول : لأشفعن يوم القيامة لأكثر مما فى الأرض من حجر وشجر ، وروى البخارى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : أنا قائد المرسلين ولا فخر وخاتم النبيين ولا فخر ، وأنا أول شافع ومشفع ولا فخر . هذا آخر ما أراد الله جمعه فى هذه الرسالة فى بيان أفضلية سيدنا محمد صاحب الرسالة على جميع المرسلين والنبيين بنص من القرآن المبين عليهم وعلى آلهم الكرام أفضل صلاة وأتم سلام وقد كان ذلك فى يوم الجمعة العاشر صفر الخير المبارك سنة عشر بعد الثلاث مائة وألف سنة ١٣١٠ هـ .

أوصاف المخطوط : النسخة هى مسودة المؤلف عليها شطب وزادات بين السطور وعلى الهوامش ، كتبت بخط معتاد وبالمداد الأسود على ورق رقيق ، وقد قسم الموضوع إلى مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة ، وقد قدم الرسالة هدية إلى السلطان عبد الحميد الثانى .

توجد هذه الرسالة فى مجموع يضم عددا من الرسائل للمؤلف نفسه ، منها الحصون المنيعية فى براة السيدة عائشة الصديقة باتفاق أهل السنة والشيعه ، وأقرب القرب فى تفرج الكرب .

١٧ (٥٣ - ٦٩) ٢٠ × ١٥ ١٧

وتوجد نسخة ثانية :

الرقم : ٨٦١٤ .

أوصاف المخطوط : نسخة مشابهة للنسخة السابقة تختلف عنها فى بعض المواضع وقد قسمت إلى قسمين وضع فى وسطها كتاب آخر ، مع هذه النسخة نبذة فيما ورد من الآيات والأحاديث فى فضل الشام وجامعها .

اليمن وهدموا حصونها . وكان ذلك حول سنة ٥٢٥هـ ، وقد تسمى العرب كل دول اليمن — من سبئيين وغيرهم — الحميريين ، كما تسمى لغات اليمنيين على اختلافها الحميرية . وسبب ذلك أن فرع حمير كان هو الفرع القوي الذائع الصيت قبيل الإسلام .

(الفصل في تاريخ الأدب العربي — أحمد الإسكندري وزملاءه / ١٨ ، ١٩ . انظر أيضا القبائل العربية وصلاتها في بلادنا فلسطين — مصطفى مراد الدباغ فلسطينيات (١) . المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت . الطبعة الثانية ١٩٨٦ / ٧١-٤٠ ، وحضارة الدولة العربية في عهد الرسول والخلفاء الراشدين والدولة الأموية . د. أحمد رضاان أحمد حمد / ١٠) .

انظر : حمير سبأ .

• حمير بن سبأ (٥٠٠هـ - ٥٠٠م) :

قال عنه الزركلي :

حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان : جد جاهلي قديم ، كان ملك اليمن ، وإليه نسبة الحميريين (ملوك اليمن وأقياله) وكان شجاعا مقظرا ، يقول مؤرخو العرب إنه حكم بعد أبيه سبأ ، وعاصمة ملكه صنعاء ، وإثنه غزا وافتتح حتى بلغ بعض غزاته الصين . واتخذ تاجا من الذهب فكان أول من تنوج به ، ويذكرون من وثاقه قتاله لقبائل لمود ، وكان مقامه في اليمن ، ففرقها فازتحت إلى إلحجاز ، وأنه عاش عشرين سنة بعد أبيه ، وولد له خمسة أولاد : مالك وعامر وعمرو ، وسعد ووائل . ومن بطون حمير : السكاسك (وقيل : هم من كندة) والشعبيون وبنو الريان وقضاة وعبد شمس . ومن ملوك الحميريين : التباينة والأدواء والأقيال . ويرى بعضهم أنه اسمه « العرنج » (في اللغة : عرنج في الأمر : إذا جد فيه) وأنه لقب بعمير لكثرة لبسه الثياب الحمراء . وكان يكتب بالسنند على جميع سلاحه ، وفي الجبال التي يمر بها ، قال صاحب التيجان : ثم حوّل إلى الخط الحميري المنسوب إليه . ولما حان موته قال لنيه : إني لأجد ثقل الثرى وغم الضريح فأجعلوا لي نقفا في هذا الجبل — جبل عيفر — وأجلسوني فيه ، ففعلوا به ذلك ، فهو — على رواية وهب بن منبه — أول من جعل في منارة . وقد وضعت معه في تلك المنارة أدواته ، أنف من أن

كتب بخط معتاد على الهوامش وبين المطور الكثير من الشروح والزوائد كالنسخة السابقة في آخرها تزيينات من عدد من علماء دمشق لهذه الرسالة منهم : محمد العتني العثماني مفتي دمشق ، والسيد محمد مكي ومحمد فيض الله رئيس محكمة الحقوق بمركز ولاية سورية ونقيب أشرف سورية السيد أحمد العجلاني والشيخ بكري بن حامد المطار وأحمد بن محي الدين الجزائري وعبد الرحمن بن حسن المطار وتوفيق أفندي زاده وسيد إبراهيم جلال الدين ثم مجموعة من القضاة في قسطنطينة ، أولها قصيدة لمحمد سليم بن رافع بن حسن تقي الدين الحصني الحسيني سنة ١٣١٤ هـ وقصائد أخرى لعبد القادر الحمصي وحبيب زكريا وحسن حلمي وغيرهم المطبوع مطبوع الأوقاف وبعضها منقوش في فهرس مطبوعات دار الكتب الظاهرية . طبعم بقرآن الكريم - وضعه صلاح محمد الخيمي ١٠٨ / ٢ (١١٠) .

• حمير :

إحدى دول اليمن القديمة . والحميريون فرع من السبئية ، وقد أنشأوا مملكة كانت عاصمتها « ظفار » واستمرت دولتهم — على ما يرجع — من أواخر القرن الثاني قبل الميلاد إلى أوائل القرن السادس الميلادي . وقد امتازت هذه الدولة بالفتوح ومحاربتها للفرس والحبيشة ، وقد تضاربت أقوال المؤرخين في أسماء ملوكهم وعددهم ومدة حكمهم ، وبالف مؤرخو العرب في فتحهم وحرورهم مبالغة لا يؤيدها ما ورد في تواريخ الأمم المعاصرة لهم .

ويقسم المؤرخون عادة هذه الدولة إلى طيقتين ، الطبقة الأولى وينتهي حكمها في أواخر القرن الثالث الميلادي ، والطبقة الثانية مدت سلطانها على الشحر وحضرموت ، وهذه الطبقة الأخيرة تسمى في كتب العرب بالتباينة — جمع تبّع وكان آخر ملوكهم « ذو نواس » .

ويذكر مؤرخو العرب أن ذا نواس كان يهوديا متعصبا لليهودية ، وكانت النصرانية قد فشت في جزيرة العرب ، وكان لها مراكز في اليمن منها نجران ، فاضطهدهم ذو نواس وعرض عليهم اليهودية فأبوا فأحرقهم ، فنزأ الحبيشة اليمن انتصارا للنصرانية ، وكسر ذا نواس وقومه ، وملك الحبيشة

(الإسلام للزركلي ٢ / ٢٨٤ ، ٢٨٥ وما جاء بهاش ١ من مصادر) .

• الحميري :

الحميري : بكسر الحاء المهملة وسكون الميم وفتح الياء المتقوطة بنقطتين من تحتها وكسر الراء المهملة ، هذه النسبة إلى حمير وهي من أصول القبائل ، نزلت أقصى اليمن ، قال الدارقطني حمير القبيل الذي ينسب إليه الحميريون من اليمن ، وروى عن النبي ﷺ أنه قال : « أن هذا لأمر كان في حمير فنزعه الله منهم وصيره في قرش » والمثل المعروف من دخل ظفار حَمَرٌ - يعني من دخل بلدة ظفار تكلم بالحميرية ، و أصل هذا المثل ما سمعت أبا الفضل جعفر بن الحسن الكثيري ببخارا مذاكرة يقول دخل بعض الأعراب على ملك من ملوك ظفار وهي بلدة من بلاد حمير باليمن فقال الملك للدخائل ثب ! فقفر قشرة ، فقال له مرة أخرى ثب ! فقفر ، فعجب الملك وقال ما هذا ؟ فقال ثب بلغة العرب هذا ، وبلغة حمير ثب - يعني اقم ، فقال الملك أما علمت أن من دخل ظفار حمر . والمشهور بالنسبة إلى هذه القبيلة أبو إسحاق بن كعب بن سابع الحميري وهو الذي يقال له كعب الأحبار ، يروى عن عمر وابن عباس رضي الله عنهم وكان قد قرأ الكتب ، روى عنه الناس ، سكن الشام ، مات سنة أربع وثلاثين قبل قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه . وقد قيل ، ومات سنة التثنتين وثلاثين ، وقد بلغ مائة سنة وأربع سنين ، أسلم في خلافة عمر رضي الله عنه .

وعبيد الله بن حميد بن عبد الرحمن الحميري ، من أهل البصرة ، يروى عن الشعبي ، روى عنه هشام الدستوائي وأبان ابن يزيد المطار . وأبو الحسن علي بن محمد بن هارون بن زياد الحميري الكوفي من أهل الكوفة فقيه سديد نبيل حدث عن أبي كريب محمد بن عبد الله الهمداني ، وهو آخر من روى عنه في الدنيا ، روى عنه أبو بكر محمد بن إسماعيل الزواقي وأبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الحسين الجعفي الهرواني وغيرهما ، وكان ولي قضاء الكوفة وذهب عامة كتبه وكان يحفظ حديثه ، وكان ثقة حسن المذهب ، ولد سنة إحدى وثلاثين ومائتين ، وتوفي سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة بالكوفة .

ويعقوب بن إسماعيل بن عبد الله بن سعيد بن منصور

يلبسها بعده غيره . وكان لبني حمير في الجاهلية صنم اسمه « تَشَر » منصوب بنجران ، و آخر اسمه « رثام » يصنعاه . وفي طرفه الأصحاب (الملقول إنه من تأليف الأشرف الرسولي) سلسلة ملوك حمير ، كما كانت معروفة في عصر الأشرف ، نوحها بما يأتي ، قال : ملك بعد حمير ابنه الهميسع ، فابن هذا أيمن ، فابنه زهير ، فابنه عريب ، فابنه جيدان ، فأخوه قطن بن عريب ، فالخوث بن جيدان ، فابنه وائل ، فابنه عبد شمس فابنه الصوار ، فابنه ذو يقدم ، فلو أيمن ، فالملطاط (وهو في لغتهم العالي) فابنه شدر ، فابنه وثار (ومن اسمه سميث وتارة) وانتقل الملك إلى تبع بن يزيد (أو زيد ، أو ذي يزن) من همدان ، ثم عاد الملك إلى حمير ، فملك الحارث الراش (وهو من أسفاد الصوار) وكان يدعى ملك الأملاك ، فابنه أبرهة ذو المنار ، فابنه العيد ذو الأدهار ، فابنه إفرقيس (ويصرهون أنه الذي ابني إفرقية في الغرب !) ثم ملك الهدهاد بن شرحبيل (أبو بلقيس) وملكته بعده بلقيس ، فليمان بن داود (الذي) فاشترى النعم (أو ياسر بنعم) فابنه شمر يرشم ، فتبع الأقرب (وقيل : هو ذو القرنين الملقب في القرآن) فابنه الرائد (ويسمى تما الأكبر) فابنه ملكيكرب فابنه أسعد الكامل (ويقال له : تبع الأوسط ، وكان يسمى ذا تان) فابنه حسان (الذي غزا طمسا وجديسا باليمامة فالتفاهم) ومات قتيلا ، ثم تولى الملك غياله ذو رعين (ويقال : كان نبيا أو صالحا ، وكان في أيام عيسى ، عليه السلام) وملك بعده عمرو بن حسان (الذي عقد الحلف بين ربيعة وقحطان) وانتقل الملك إلى المقاول ، فملك منهم ذو شناتر ، وقته ذو نواس (صاحب الأحود الملقب في القرآن) وتولى بعده ، فقاتله الحبشة انتقاما منه لقتله نصارى نجران ، فانتصر عليهم ذو ثعلبان . وفسار الملك إلى الحبشة ، فقاتلهم النعمان بن عفير ذو يزن (أبو سيف بن ذي يزن) فقتلوه وعاد الملك إلى سيف بن ذي يزن (وهو الذي وفد عليه عبد المطلب) .

قال الهمداني : وكانت مدة ملك حمير ٢٠٨١ سنة . قلت : لم يصل التتقيب عن الآثار حتى الآن إلى التاريخ الصحيح لقيام الدولة الحميرية ، والمشتغلون بهذا العلم واقفون عند رأى إدورد جلانز بأن قيامها كان سنة ١١٥ قبل الميلاد .

ابن عبد الله بن شهر بن شريحيل الحميري من أهل بغداد، وحدث عن شبابة بن مسور ويونس بن محمد المؤدب، وروى عنه أبو عبد الله محمد بن مخلد الطنطاوي، ومات سنة ثلاث وستين ومائتين .

(الأنساب للسمعاني - تقديم وتعليق عبد الله عمر البازوي ٢ / ٢٧٠ ، ٢٧١ . انظر أيضا الباب لابن الأثير - تحقيق د. مصطفى عبد الواحد ، ١ / ٤٥٧ ، ٤٥٨) .

• الحميم :

الحميم : الماء البالغ نهاية الحرارة (كلمات القرآن / ٢٩٦) .

الحميم : الماء الحار، والحميم القريب في النسب . وهو في القرآن على هذين الوجهين :

فمن الأول : ففي الحج ﴿ يصب من فسوق وهو حميم الحميم ﴾ [الحج : ١٩] وفي الصافات ﴿ لشوبا من حميم ﴾ [الصافات : ٦٧] وفي سورة محمد ﷺ ﴿ وسقوا ماء حميما ﴾ [محمد : ١٥] وفي سورة الرحمن ﴿ وبين حميم آن ﴾ [الرحمن : ٤٤] .

ومن الثاني : في الشعراء ﴿ ولا صلبين حميم ﴾ [الشعراء : ١٠٩] ، وفي السجدة ﴿ كأنه ولي حميم ﴾ [السجدة : ٢٤] وفي سائر مسائل ﴿ حميم حميما ﴾ [المعارج : ١٠] .

(كلمات القرآن تفسير ويان - فضيلة الأستاذ الشيخ حسين محمد مخلوف / ٢٩٦ ، ومتنخب فرة العيون النواظر في الوجوه والظواهر في القرآن الكريم لإسلام ابن الجوزي ، تحقيق ودراسة الشيخ محمد السيد الصفاطوي والدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد / ٩١ ، انظر أيضا المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - محمد فؤاد عبد الباقي / ٢٧٩ ، ولسان العرب لابن منظور ١٢ / ١٠٠٨) .

• الحمية :

الحمية : الإقلال من الطعام ونحوه مما يشتر (المعجم الوسيط / ١ / ٢٠١) .

ويستأيد عبد ربه الكلام في الحمية وما قيل فيها فقال : والأكلة كلهم يعيرون الحمية ، ويقولون : الحمية إحلى العلتين .

وقالوا : من أحمسى فهو على يقين من المكروه وهو في شك من العاقبة !

وقالوا : الحمية للصحيح خسارة وللعليل نافعة ...

قيل لبقراط : مالك تقل الأكل جدا ؟ قال : إني إنما أكل لأحيا ، وغيري يحيا ليأكل !

وأجمعت الأطباء على أن رأس الداء كله إدخال الطعام على الطعام .

وقالوا : أحطروا إدخال اللحم على اللحم ؟ فإنه ربما قتل السباع في القفر .

وأكثر الملل كلها إنما يتولد من فضول الطعام .

والحمية مأخوذة عن النبي ﷺ : رأى صهييا يأكل تمرا وبه رمد ، فقال : « تأكل تمرا وأنت أرمد ؟ » .

ودخل عليّ عرّ رضى الله عنه وهو عليل ، وبينه عنقود عنب ، فترعه من يده .

وقال عليه الصلاة والسلام : « لا تكمروا مرضاكم على الطعام والشراب ، فإن الله يطعمهم ويسقيهم » .

وقيل للمحدث بن كلثة طبيب العرب : ما أفضل الدواء ؟ قال : الأرم . يريد قلة الأكل ، ومنه قيل للحمية : الأرمية ، وللكثير لزومات .

وقيل : لأخرى : ما أفضل الدواء ؟ قال : أن ترفع بك عن الطعام وأنت تشتهي .

أبو الأشهب عن أبي الحسن قال : قيل لسمرة بن جندب : إن ابنك إذا أكل طعاما كظه حتى كاد أن يقتله . قال : لو مات ما صليت عليه !

ودعا عبد الملك بن مروان رجلا إلى الغذاء ، فقال : ما في فضل يا أمير المؤمنين . قال : لا خير في الرجل يأكل حتى لا يكون فيه فضل ! فقال : يا أمير المؤمنين ، عندي مستزاد ، ولكن أكره أن أصير إلى الحال التي استصحبها أمير المؤمنين ...

وقال الجاحظ : كان أبو عثمان الثوري يجلس ابنه معه ويقول له : إياك يا بني ونهم الصبيان ، وأخلاق التواضع ، ونهش الأحراب ؛ وكل مما يليك ، وأعلم أنه إذا كان في الطعام لقمة كريمة ، أو مضغة شهية ، أو شيء مستطرف ، فإنما ذلك للشيخ المظم ، أو للصبي المثلل ، ولست بواحد منهما ، وقد قالوا مدمن اللحم كمدمن الخمر .

فحيوت على يدى ورجلى ثم أثبتت إلى إداة معلقة فشربت وأنا نائمة ثم رجعت فما زلت أعرف الصحة منها فلا تحروما مرضاكم شيئا (تسهيل المتالع ٧) .

ونقل لك فيما يلى ما جاء عن الحمية فى كتاب الأربعين الطبية المستخرجة من متن ابن ماجه وشرحها :

الحديث الثامن

من باب الحمية

حدثنا أبو بكر بن أبى شيبه ، حدثنا يونس بن محمد ، حدثنا فليح بن سليمان عن أيوب بن عبد الرحمن عن عبد الله ابن أبى صمصة ح (هذه الحاء إشارة إلى تحويل السند ، وهى تكتب عادة إذا كان للحديث إسنادان فأكثر ، قال العراقي فى ألفية الاصطلاح :

وكثيروا عند انتقال من سند

لفيصره ح وانطقن بها وقصد

رأى الرهواوى بيان لا تقرأ

وأنهها من حكايل وقصد رأى

بعض أولى القسرب بأن يفسولا

مكاتها الحديث قط وقبلا

بل حواء تحصيل وقال تعد كتب

مكاتها صح فحما منها انتخب

(وقد لروناها مادة مسئلة فى ١٢ / ٥٩٤) .

وحدثنا محمد بن بشار ، حدثنا أبو عامر وأبو داود قالا : حدثنا فليح بن سليمان عن أيوب بن عبد الرحمن عن يعقوب ابن أبى يعقوب عن أم المنذر بنت قيس الأنصارية قالت (دخل علينا رسول الله ﷺ ومعه على بن أبى طالب رضى الله عنه وعلى ناقه من مرض ، ولنا دوال معلقة وكان النبى ﷺ يأكل منها ، فتناول على لياكل منها فقال النبى ﷺ يا على إنك ناقه مرض ، قالت فصنعت للنبي ﷺ سلقا وشعيرا فقال لعلى : من هذا فأصب فإنه أتبع لك) قال الشيخ فى هذا الحديث الأمر بالحمية ، وإن الناقه يئبى له أن يحتفظ على نفسه ولا يمرجها مرج الأصحاء .

(الناقة : القريب العهد بالمرض . والدوالى : جمع دالية : وهى العلق من البسر يعلق فإذا أربط أكل ، وكلام

أبى بنى ، حوّد نفسك الأثرة ، ومجاهدة الهوى والشهوة ، ولا تنهش نهش السباع ، ولا تخضم خضم البرلافين ، ولا تلمن الأكل إيمان التعاج ، ولا تلقم لقم الجمال ؛ فإن الله جعلك إنسانا فلا تجعل نفسك بهيمة ، واحذر سرعة الكلفة ؛ وسرف البطنة ؛ فقد قال بعض الحكماء : إذا كنت نهما فقد نفسك من الزمنى ؛ وأعلم أن الشيع داعية إلى البشم ، والبشم داعية إلى السقم ، والسقم داعية الموت ؛ ومن مات هذه الميتة فقد مات ميتة ليثيمة ، لأنه قاتل نفسه ، وقاتل نفسه الأم من قاتل غيره .

أبى بنى ، والله ما أدى حق الركوع والسجود ذو كلفة ، ولا غشخ له ذو بطنة ، والصوم مصححة ، والوجبات عيش الصالحين .

أبى بنى لأمر ما طالت أعمار الهند ، وصحت أبدان العرب ، وله در الحورث بن كلفة إذ زعم أن الدلوام هو الأزم ، فالبداء كله من فضول الطعام ؛ فكيف لا ترغب فى شيء يجمع لك صحة البدن ، وبكاه الأذهن ، وصلاح الدين والدنيا ، والقرب من عيش الملائكة !

أبى بنى ، لم حصار الفب أطول عمرا إلا لأنه يتبلغ بالنسيم ؛ ولم قال الرسول عليه الصلاة والسلام : إن الصوم وجاء ، إلا لأنه جعله حجابا دون الشهوات ؟ فافهم تأديب الله عز وجل ، وتأديب رسوله عليه الصلاة والسلام ؛ فإنه لم يقصد به إلا إلى مثلك .

أبى بنى ، قد بلغت تسعين عاما ما نغض لى سن ، ولا انتشر لى عصب ، ولا عرفت ذنين أنف ، ولا سبيلان عين ، ولا سلس بول ، ما لذلك علة إلا التخفيف من الزاد ؛ فإن كنت تحب الحياة فهذه سبيل الحياة ، وإن كنت تحب الموت فلا أبعد الله غيرك (الحد القويده ١٦ - ١٩) .

قال صاحب تسهيل المتالع :

اعلم أن الإفراط فى الحمية يؤذى خصوصا من ليس فى بدنه أخطاوط رديئة لأنه إذا زالت الحمية أخذت النفس من الرطوبة التى فى البدن وهى الرطوبة الأصلية فيعود المرض سلا وفقا لإفراط الحمية كتناول الأغذية بالإقواط ، وروى الشيخ بإسناده عن عائشة رضى الله عنها قالت مرضت مرضا شديدا فحماني كل شيء حتى الماء فعمطت عطشا شديدا ليلا

أعضائه سالمة ومضمه قوى، والهضم يجرود تصرفه فى الغذاء وإن كان رديئا ، فلا يضر الأردم التخليط مقدار ما يضر النافه ولا سيما إن كان الرمد فى انحطاطه ، أو كان من مادة باردة ، فالتمر حينئذ لا ينظم مضرة ولا يضر .

الحديث العاشر

من باب لا تكرهوا المريض على الطعام

« حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير، حدثنا بكر بن يونس ابن بكير عن موسى بن علي بن رباح عن أبيه عن عقبة بن عامر الجهني قال : قال رسول الله ﷺ « لا تكرهوا مرضاكم على الطعام والشراب ، فإن الله يطعمهم ويسقيهم » .

قال الشيخ : ما أغزر فوائد هذه الكلمة النبوية ، وما أجدها للأطباء ، وذلك أن المريض إذا عاف الطعام والشراب ، فذلك لاشتغال طبيعته بمجاهدة مادة المرض ، أو سقوط شهوته لموت الحرارة الغريزية أو نقصانها ، وكيف ما كان الأمر فلا يجوز حينئذ إعطائه الغذاء فى هذا المحال .

واعلم أن الجوع إنما هو طلب الأعضاء القصوى من الأعضاء الدنيا حتى ينتهى الجذب إلى المعدة . فإذا وقع بالجاذبة آفة من هائق أو موت حسى ، لم يكن جوع [جوعا] أو لم يكن إحساس لفقد طلب الأعضاء إلى الغذاء فى هذا الحال . فإعطائه الطعام فى هذه الحالة زيادة للبلية ، وتحويل للنزلة المتوقعة ، لكن قد تقع فى النادر مواضع ينبغي أن يجبر المريض فيها على الطعام والشراب ، فإن بعض من تحدث فيه حمى محرقة ومعها اختلاط العقل ، يجوز أن يجبر على الماء خاصة ، وذلك أنه تكون به حاجة شديدة إلى الماء وليس له عقل حاضر حتى يطلبه ، وأيضا قد يكون بالمريض شهوة نائمة فتنب وتوقظ شهوته باليسير من الطعام ، وحينئذ يختار له من الطعام ما له لذة ونية .

الحديث الحادى عشر

من باب المريض يشتهى الشيء وفيه معنى العبادة للمريض

« حدثنا الحسن بن علي الخلال ، حدثنا صفوان بن سمره ، حدثنا أبو مكي عن حكومة عن ابن عباس أن النبي ﷺ عاد رجلا فقال : ما تشتهى ؟ قال أشهى خبز بر ، فقال عليه السلام ، من كان عنده خبز ير فليصت إلى أخيه ،

الشارح يفهم منه أن المراد بها دوالى العنب ، ولكن ما ذكرنا هو الذى فسر به الحديث . والحمية هى من حميت المريض الطعام إذا ذمته منه) .

والنافه هو الذى خلص من المرض وهو متحرك إلى الصحة الوثيقة ولم تحصل له بعد صحة تامة وأعضاؤه ضعيفة وكذلك هضمومه وأفعال أعضائه فهى سهلة القبول للأكلات ، وبهذا ونحوه ثبت الحالة الوسطى الثالثة التى هى لا صحة ولا مرض التى أثبتها جالينوس وأكثروا جماعة من المتأخرين وقد بينا ذلك فى كتاب لنا مفرد لهذا خصصناه بالكلام على حد الطب .

والعنب وأكثر الفواكه مما ينبغي أن يحتذى عنه النافه لقله غذائها وكثرة فضائلها وشدة مجاهدة القوى لها ، وأيضا فإن النافه مفتقر إلى ما يزيد فى جواهر أعضائه . ويكون مع ذلك سريع النفوذ ، سريع الإحالة لفعل الطبيعة بطى الاستحالة إلى الفساد كالسلق والشعير مطبوخين .

الحديث التاسع

من باب الحمية

« حدثنا عبد الرحمن بن عبد الوهاب ، حدثنا هيب الوهاب ، حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا المبارك ، حدثنا هيب الحميد بن صيفى من ولد صهيب عن أبيه عن جده صهيب قال : قدمت على النبي ﷺ وهو يأكل التمر فجعلت معه وبين يديه خبز وتمر فقال النبي ﷺ : ادن ، فكل فأخذت أكل من التمر فقال النبي ﷺ أنا أكل تمرا ويك رمد ؟ قال : قلت يا رسول الله إني أمضغ من ناحية أخرى ، فبسم رسول الله ﷺ قال الشيخ : هذا الحديث فيه ثلاث فوائد . الأولى : الأمر بالحمية والنهى عن التخليط ، الثانية : إن الرمد يضر به التمر ، فالأولى حكم شرعى ، والثانية حكم طبي ، لأن التمر يسخن الدم ويعكره ويعين على عفته واشتغاله والرمد ورم حار فالتمر يضره . وأما الفائدة الثالثة فاستجازة سماع المزاج وقوله ، وفيه فائدة أخرى لطيفة ، وأنه عليه السلام لم ينه عن التمر حتما وإنما استنهمه استهتام منكرا ، ولما أكل لم يكنه .

وفى الحديث السابق صرح لمعى رضى الله عنه بالنهى عن أكل العنب لما كان نافعا ، لأن النافه ضعيف الهضم فى جميع جسده . وأما الأرمد فهو مشرف عضو واحد ، وسائر

ثم قال عليه السلام إذا اشتفى مريض أحدكم شيئا فليطعمه .

قال الشيخ : هذا الحديث فيه حكمة طبية فاضلة تشهد لقانون شريف ذكره « بقرط » في عدة مواضع وعدة عبارات . وعظمه من بعده وشرحه وذيّلوه وقد ذكرنا طرقا من ذلك في رسالة لنا شريفة المأخذ . لقيناها « بالمقالات » وعرضنا بضمرب منها في المقالة الملقبة « بشفاء الفسد بالفسد » ولخصناه في شرحنا لكتاب « فصول بقرط » وذكرنا جملة في كتاب الفصل لنا بيلة الحكيم ، وهو سبع مقالات أيضا . والذي يلائم هذا الموضوع في معنى هذا الحديث أن المريض إذا تناول ما يشبهه وإن كان أضر قليلا ، كان أنفع وأقل ضررا مما لا يشبهه وإن كان نافعا . ولا سيما إذا كان ما يشبهه غذاء . وقال بقرط : ما كان في الطعام والشراب أحسن قليلا إلا أنه ألد ، فينبغي أن يختار على ما هو الأفضل ، وذلك أن الملذذ المشتبه يقبل القوة المغيرة عليه بعناية وتشمل عليه بحفاوة . وأيضا فإن المشتبه كثيرا ما يكون به الشفاء أو يكون عنده ولا سيما إن انتهت النفس إليه بصدق شهوة وصحة قوة ، ولا سيما إن كان ملائما كالخبز والكملك ، فكلاهما جاء في الحديث ، ولا سيما إن كانت صناعة الطب لا تنكره . وطالما رأيت وسمعت مرضى يشتهون أشياء ينكرها الطبيب فيتناولونها على رغمه فيعيقها الشفاء ، فإذا فحص الطبيب عن حلة ذلك ألفاهما صحيحة مطابقة ، وما ذلك إلا لمعجز البشر عن اقتناء كل ما في طبيعة الأشياء ، فينبغي للطبيب الكيس أن يجعل شهوة المريض من جملة أدلته على طبيعته ، ومما يهتلى به إلى طريق حله ، فسيحان المستأثر بالغب (كتاب الأربعين الغيبة / ٩٨ - ١٠٣) .

(المجمع الوسيط / ١ / ٢٠١ ، والعقد الفردي لابن عبد ربه - تحقيق محمد سعيد المرعيان / ١٦ - ١٩ - وتسهيل المنافع لابن الأثير / ٧ ، وكتاب الأربعين الطبية المستخرجة من سنن ابن ماجه وشرحها عمل تلميذه الشيخ محمد بن يوسف البرالي - تحقيق عبد الله كثرن ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، جامعة الدول العربية ١٨ ج ١ ربيع الثاني ١٣٩٢ - مايو ١٩٧٢ م / ٩٨ - ١٠٣ . ننظر أيضا لسان العرب لابن منظور ١٢ / ١٠١٤) .

• ابن حينا :

انظر : تاج الدين ابن حينا في م / ٣١٥ .

• الجنّة :

الجنّة : بالكسر والمد والتشديد معروف وهو الذي أعده الناس للخصاب وقال السمعاتي ثبت يغبضون به الأطراف . قال ابن دريد وابن ولاد : هو جمع لحانة بالهاء ... إلخ (مجمع أسماء النباتات / ٤٧) .

وقد أورده المعظفر الرسولي في « المعتمد » نقلا عن مصادر ثلاثة رمز لها بالحروف التالية :

ع : عبد الله بن البيطار صاحب « الجامع لقوى الأدوية والأغذية » .

ج : ابن جرلة صاحب « منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان » .

ف : أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليس .

حناء : « ع » الحناء شجرة كبيرة مثل شجر السدر وزهره الناعية وكل نور طيب الرائحة يقال له الناعية ، لكن خص بهذا الاسم نور الحناء ، وهي ذكية الرائحة ، تجتنى وترتب بماء الدهن الذي يقال له دهن الحناء ، فيقال له دهن المغفوف وورق شجرة الحناء شبيه بورق الزيتون ، وفيها وفي قصبانها قوة مركبة من جوهر مائي باعتدال ، وجوهر بارد أرضي ، فقد يطبخ الورق ويصب ماء طيبه على الموضع الذي يحترق بالنار ، ويستعمل أيضا في مداواة الأورام الملتهبة ، وفي مداواة الحمرة ، وفي القلاع والحمق الذي يمرض في أفواه الصبيان . وقال : ورقة قابض ، إذا مضغ أبرأ القلاع والقروح التي تكون في الفم ، التي تسمى الحمى ، وإذا تضمد به نفع من الأورام الحارة ، وزهره إذا سحق وضممت به الجبهة مع خل ، سكن الصداخ ، والمسوح الذي يعمل منه مسخن ملين للأعصاب ، ويصلح للأشياء المسخنة التي تقع في الأخلاط الطبية الرائحة . وقال : قوة الحناء من البرودة في الدرجة الأولى ، ومن السيولة في الدرجة الثانية ، وبعضهم لما رآه يخضب ويحمر ذكر أنه حار ، وهو يفعل في الجراحات (في الطب النبوي ص ٧٠ : « الخراجات ») مثل ما يفعل دم الأخوين . (هو صمغة مجلوبة من الهند تسمى الشبان وبالعمرية الأجدع ... عن ابن الحشا) وإذا دق ، ووضع على الورم الحار الرخو نفع منه ، ويضع من تعقن الأظفار إذا شرب من ورقه متقوا عشرة دراهم ، وإن أئزمت الأظفار الطلاء بها

في سنته ، حديثا في صحته نظر، هو : « أن النبي ﷺ كان إذا صعد : غلف رأسه بالحناء، ويقول : إنه نافع بإذن الله من الصداغ » .

وقد روى البخاري في تاريخه ، وأبو داود في السنن : « أن رسول الله ﷺ ، ما شكا إليه أحد وجعا في رأسه ، إلا قال : احتجم ، ولا شكا إليه وجعا في رجله ، إلا قال له : اختضب بالحناء » (الطب النبوي لابن قيم الجوزية / ٦٦ ، ٦٩) .

وفي الترمذي عن سلمى أم رافع خادمة النبي ﷺ قالت : « كان لا يصيب النبي ﷺ قرحة ولا شوكة إلا وضع عليها الحناء . فإن القرحة علاجهما بما يجفف عنها الرطوبة كي تمكن القوة من إنبات اللحم فيها ، والحناء تفعل ذلك ، لتجفيف تلك الرطوبة الفضلية التي تمتع نبات اللحم في القرحه . وأما الشوكة فإن في الحناء قوة محللة ترخي العضو فتعين على خروج الشوكة » (الطب النبوي للذهبي / ٨٣) .

وفي كتاب الأريسين الطبية جاء ما يلي : الحديث السابع والعشرون . من باب الحناء :

« حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، نا زيد بن الحباب ، نا فائد مولى عبيد الله بن علي بن أبي رافع ، مولى عبيد الله ، حدثني سلمى أم رافع مولاة رسول الله ﷺ قالت : كان لا يصيب النبي ﷺ قرحة ولا شوكة إلا وضع عليها الحناء قال الشيخ : الحناء مركب من جوهر ناري ناخذ صايف حار باعتدال ومن جوهر أرضي بارد قابض يجفف بلا أذى ويرد ويحلل ويضع من حرق النار إذا صب طبيخه على الموضوع ، من خاصيته التبريد والترطيب ، والتلين ، وفيه قوة موافقة للعصب ، إذا ضمد به سكن أوجاعه ، وفيه قبض يشد الأضغاص ، وإذا عجن بالسمن وضمد به الجرب المتقرح المزمن أبراه ويضع الأورام الحارة ضامدا ، ومن قروح القدم ومن القلاع في أفواه الصبيان ، وإذا خلط بشمع ودهن ورد وضمد به نفع من أوراج العجب والوهن . ويضع الحناء من الجراحات الطرية نفع دم الأخوين . وإذا خلط بقرطبي (وهو ما يطلى به من غير نار) وضمدت به العظام المكسورة جبرها ونفع من أوراج العصب ، وهو ينبت الشعر ويقويه ويحسبه ويتقوى الرأس . ولونه قاني محبوب يهيج قوة المحبة ، وفيه راحة عطرية مع قبض » (كتاب الأريسين الطبية / ١١٩ ، ١٢٠) .

معجوننا حسننا ونفعها ، وإن نفع ورق الحناء يماء عذب ، وشرب من صفوه في كل يوم عشرون درهما ، مدة سبعة وثلاثين يوما في أول الجلام ، ويتفتش عليه بلحم الخرفان ، وقف جذامه وإذا بدأ الجلد يخرج بعض خضب أسافل رجله بحناء معجون بماء ، فإنه يؤمن على عينيه أن يخرج فيها شيء من الجلد ، وهذا صحيح مجرب . وإن طلى الحناء على موضع من البدن فيه قشفت ويسر أزالهما ، وإن تضمد به مسحوقا معجونا جباه الصبيان وأصلغهم ، منع من انصباب الموالد إلى أعينهم . ونور الحناء إذا جعل في طي الثياب الصوف ، منع منها السوس وطيبها .

« ج الحناء : يسمى إزقان . وأجوده الأخضر المطحون من ساعته ، وهو حار باعتدال ، وقيل : معتدل الحار والبارد ، وقيل : بارد في الدرجة الأولى ، يابس في الدرجة الثانية ، وطبيخه نافع من الأورام الحارة ، وحرق النار ، وهو نافع لكسر العظام ، وقروح القدم ، ويدخل في مراهم الخناق ، وشرب نصف مثقال منه ينفع من القولنج ، ومن خواصه أنه إذا خضبت به الرجل أصبح البول أحمر كبول المحموم .

« ف يارد في الأولى يابس في الثانية ، نافع من الأورام البلغمية والسوداوية والقولنج ، وينفع من الشقاق العارض في البدن والبثور ، ودهنه نافع من الصرع والصدور ، لاسيما مع التبيد الصرغ ، ويقوى الأعصاب ، وينشف رطوبتها ، ويكثر فيها اللحم إذا خضبت به من خواص ، وإذا دق وضمد به اليوم الحار نفعه ، وسكن وجعه في الوقت : الشربة منه : درهم (المتعدد في الأدوية المفردة / ١١٢ ، ١١٣) .

والطب النبوي لابن قيم الجوزية / ٦٦ - ٧٠ ، وكتاب الأريسين الطبية / ١٢٠) .

وقال عنه ابن النفيس :

حناء : بارد يابس في الثانية ، وقيل حار ، فيه تحليل وقبض وتجفيف ، ينتع أهواء العروق ، نافع من الأورام الحارة والبلغم . وبنافغته نافعة لأوجاع العصب والفالج والتمدد (الفاغية : نور الحناء) ودهنه يحلل الإجهاد ويلين العصب (الموجز في الطب / ٩٦) .

وقد ذكر « الحناء » الإمام ابن قيم الجوزية في فصل في هديه ﷺ في علاج الصداغ والشقيقة فقال : روى ابن ماجه

السلمي، قال ابن ماكولا: كتبت عنه وكان ثقة. قلت روى لي عنه الفضل بن عمر بن ليلى النسوي بمرو. وولده محمد بن البختری الحناني حدثني عنه أصحابنا بدمشق والعراق.

ومن القدماء أيضا يحيى بن محمد بن البختری الحناني، يروي عن هبة بن خالد وعبيد الله بن معاذ. وإبراهيم بن علي الحناني، حدث عن أبي مسلم الكجي وغيره، سمع منه عبد الغني بن سعيد.

وأبو الحسن محمد بن عبيد الله بن محمد بن يوسف بن الحجاج البغدادي الحناني، سمع أبا علي الصفاق وأبا عمرو ابن السماك وأبا بكر النجاد وجعفر بن محمد الخلسي وأبا جعفر بن البختری الرزاز وغيرهم، روى عنه أبو بكر الخطيب وأبو عبد الله بن طلحة النعماني، وأثنى عليه الخطيب فقال: كان ثقة مأمونا زاهدا ملازما لبيته. وحكى عنه أنه قال ما لمس كفى كذب امرأة قط إلا ولدتني. وكانت وفاته في شهر رمضان سنة اثنتي عشرة وأربعمائة وقد بلغ خمسا وثمانين سنة.

وأبو العباس محمد بن أحمد الحسن بن بابويه الحناني، حدث بكتاب الرهبان عن أبي بكر عبد الله بن أبي الدنيا القزويني، روى عنه علي بن محمد بن إبراهيم بن علويه الجوهري.

وأبو العباس محمد بن سفيان بن عتوب الحناني، ويعرف ببخيشون من أهل بغداد، حدث عن أبي يحيى محمد بن عبد الرحيم البرزاز وعلي بن شعيب السمسار والحسن بن عرفة وأبي يحيى محمد بن سعيد العطار ومحمد بن عمرو بن حنان الحمصي وأبي عتبة أحمد بن الفرج الحجازي، روى عنه عبد الله بن إبراهيم الزبيدي وعبيد الله بن العباس الشطوي وعلي بن محمد بن لؤلؤ الرواق.

وأبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الله بن هلال الضبي الحناني، نزل دمشق، وكان ثقة صدوقا، حدث عن الحسين ابن يحيى بن عياش القطان ومقبور بن عبد الرحمن الدعاء وإسماعيل بن محمد بن إسماعيل الصفاق ومحمد بن عمرو الرزاز وأبي الحسين بن الأشثاني وأبي عمرو بن السماك وعبد الصمد بن علي الطوسي روى عنه أبو علي الحسن بن علي بن إبراهيم المقرئ وأبو القاسم الحناني وغيرهم، وكانت وفاته سنة إحدى وأربعمائة.

(معجم أسماء النبات الواردة في تاج العروس للزبيدي - جمع وتحقيق محمود مصطفي الديماطي / ٤٧، والمتمم في الأدوية المفردة للمظفر الرسولي - صححه وفهرسه - مصطفي السقا / ١، ١١٢، ١١٣، والطب النبوي لابن قيم الجوزية - كتب المقدمة وراجع الأصل وأشرف على التعليقات الطيبة الأستاذ عبد الغني عبد الخالق. وضع التصانيف الطيبة د. عادل الأزمري وخرج الأحاديث محمود فرج المقدلة / ٦٦، ٦٩، والمرجس في الطب لابن الغني - تحقيق الأستاذ عبد الكريم الزهاوي. مراجعة د. أحمد عامر / ٩٦، والطب النبوي للحافظ أبي عبد الله محمد بن أحمد النخعي - قدم له وخرج آياته الشيخ قاسم الشامي الرفاعي / ٨٣، وكتاب الأربعين الطيبة المستخرجة من سنن ابن ماجه وشرحها. عمل تلميذه الشيخ محمد بن يوسف البرزالي - تحقيق عبد الله كنز. مجلة معهد المنطلقات العربية جامعة الدليل العربية ١٨ - ١٠ ربيع الثاني ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م / ١١٩، ١٢٠).

● الحناني:

قال السمعاني:

الحناني: بكسر الحاء المهملة وفتح التون المشددة وفي آخرها الياء آخر الحروف، هذه النسبة إلى بيع الحناء وهو نبت يخضبون به الأطراف، والمشهور بهذه النسبة أبو الحسن هارون بن مسلم بن هرمز البصري، قال أبو حاتم بن حبان: هو صاحب الحناء يروي عن أبيان بن يزيد العطار والبصريين، روى عنه قتيبة بن سعيد ومحمد بن عبد الأعلى الصنعاني وغيرهما.

وأبو موسى هارون بن زياد بن بشير الحناني من أهل المصيصية، يروي عن الحارث بن عمير عن حميد، روى عنه محمد بن القاسم الدقاق بالمصيصية وغيره.

وأبو الحسن جابر بن ياسين محمويه الحناني من أهل المحنة ببغداد، شيخ ثقة كان يبيع الحناء، وكان عطافا، سمع أبا طاهر المخلص سمع منه أبو بكر الخطيب وجدي وجماعة سواهما، حدثني عنه أبو الفضل بن الأزهر وأبو بكر الأنصاري وأبو منصور بن زريق وأبو سعد بن الزوزن بن السلال ببغداد، توفي سنة أربع وستين وأربعمائة، وأبو عبد الله الحسين بن محمد بن إبراهيم بن الحسين الحناني من أهل دمشق، توفي في حدود سنة خمسين وأربعمائة، يروي عن عبد الوهاب بن الحسن الكلبي وأبي بكر بن أبي الحليد

(الأنساب للسمعاني - تقديم وتمايل عبد الله عمر البليوي ٢ / ٢٧٦ ، ٢٧٧) .

• الحنابلة (جامع -) :

ما زال جامع الحنابلة في بعلبك يحتفظ بنص أثرى نقش على بابيه يثبت أنه جدد في عصر المنصور قلاوون جاء فيه «بسم الله الرحمن الرحيم جدد هذا المكان المبارك في أيام مولانا السلطان الأعظم شاهنشاه المعظم مالك رقاب الأمم سيد ملوك العرب والمعجم والديلم، الملك المنصور سلطان الإسلام والمسلمين قانع الكفرة والمشركين محيي العدل في العالمين ، ملك البسرين ، خادم الحرمين الشريفين ، أبي المعالي قلاوون قسيم أمير المؤمنين ، أيد الله سلطانه ورشد أمره ببقاء ولده وولي عهده ، مولانا السلطان الملك الصالح علاء الدين ، وأدام نصرهما ، وجعل البسيطة ملكهما بتولي الأمير نجم الدين حسب نائب قلعة جمادى الأولى سنة اثنتين وستمائة والحمد لله وحده .

(المجمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر المماليك - د. أحمد رضان أحمد محمد / ١٣٩) .

• الحنابلة :

قال السمعي :

الحنابلة : ينتح الحناء المهمله (والنون) وفي آخرها طاء مهمله ، هذه النسبة إلى بيع الحنطة ، والمشهور بها أبو شهاب موسى بن نافع الهلالي الحنابلة وقد قيل اسمه عبد ربه ابن نافع ، وقيل هما اثنان ، من أهل الكوفة ، يروي عن سعيد ابن جبير وعطاء روى عنه أبو الربيع الزهراني وأهل العراق .

وأبو شهاب الحنابلة المدائني . أصله كوفي ، سمع محمد ابن مسروق وأبا إسحاق الشيباني والحسن بن عمرو الفقيمي وإسماعيل بن خالد وسليمان الأعمش ويونس بن عبيد وداود ابن أبي هند وعاصم الأحول ومحمد بن أبي ليلى وسفيان الثوري وشعبة بن الحجاج ، روى عنه زافر بن سليمان وأبو داود الطيالسي والحسن بن موسى الأشيب وأبو نعيم الفضل ابن دكين وأحمد بن يونس وداود بن عمرو الضبي ، قال يحيى ابن سعيد : لم يكن أبو شهاب الحنابلة بالحافظ . ولم يرض يحيى أمره . وقال في موضع آخر هو ثقة (القاتل هو يحيى بن معين) ومات بالموصل سنة إحدى وسبعين - أو اثنتين

وسبعين - ومات ، وقيل إنه مات ببلده . وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم : موسى بن نافع أبو شهاب الحنابلة الأسدي الكوفي في الأكبر ، وليس بأبي شهاب الأصغر عبد ربه بن نافع . روى عن عطاء بن أبي رباح وسعيد بن جبير ومجاهد ، روى عنه يحيى بن سعيد القطان وعيسى بن يونس ومحمد بن عبيد وأبو نعيم ، قال علي بن المصنف سألت يحيى بن سعيد عن موسى بن نافع فقال : أفسدوه علينا . وأثنى أبو نعيم على موسى بن نافع خيرا ، وقال أحمد بن حنبل : موسى بن نافع الحنابلة منكر الحديث .

وأبو بكر بن عياش الكوفي الحنابلة من علماء الكوفة وقرائها . وكان مولى لابي أسد مولى كاهلة بيع الحنطة بالكوفة ، وأبو داود الطيالسي كذا كان ينسبه ويقول : أبو بكر ابن عياش الحنابلة ، وكان مولده سنة خمس أو ست وتسعين ، ووفاته في جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين ومائة ، وكان شريك يقول : رأيت أبا بكر بن عياش عند أبي إسحاق السبيعي يأمر ويهني كأنه وب بيت .

ومن المتأخرين أبو علي الحسن بن عبد الرحمن بن الحسن الشافعي المكي الحنابلة ، كان يبيع الحنطة بمكة ، وكان ثقة عالي السند ، يروي عن أبي الحسن أحمد بن إبراهيم ابن فراس وأبي القاسم حبيد الله بن أحمد الصيدلاني وغيرهما ، سمع منه جلد الإمام أبو المظفر السمعي ، وروى لي عنه أبو العباس المكي الهاشمي بأصبهان ، وأبو المظفر بن القشيري بنيسابور وتوفي بعد سنة سبعين وأربعمائة بمكة ، سمعت محمد بن أحمد المهندي يصره يقول سمعت جلدك الإمام أبا المظفر السمعي يقول : كان شيعي أبو علي الشافعي بمكة يبيع الحنطة .

والحسن بن سهل الحنابلة ، روى عنه مطين .

وأبو ثمامة الحنابلة ، يروي عن كعب بن عجرة .

وأبو بكر فطرين بن خليفة الحنابلة .

وسعيد بن محمد الحنابلة .

ومن المتقدمين أبو إسحاق إسماعيل بن أبيان الغنوي الحنابلة من أهل الكوفة ، يروي عن هشام بن عروة وإسماعيل ابن أبي خالد والثوري ، وكان يضع الحديث على الثقاة ،

٢٧٥ - انتظر أيضا الباب لابن الأثير - تحقيق د. مصطفى عبد الواحد ، ٢٠٠٩ / ١ .

• الحناطى :

قال السمعاتى :

الحناطى : يفتح الحاء المهملة والنون المشددة وفي آخرها الطاء المهملة ، هذه النسبة لجماعة من أهل طبرستان : لعلمه كان بعض أجداده يبيع الحنطة ، منهم أبو عبد الله الحسين ابن محمد بن الحسن الطبرى ، يعرف بالحناطى ، قدم بغداد وحلّت بها عن عبد الله بن عدى وأبى بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي الجرجاني ونحوهما ، روى عنه أبو منصور محمد بن أحمد بن شعيب الرويانى والقاضى أبو الطيب الطاهر بن عبد الله الطبرى وغيرهما .

وأبو الحسن محمد بن الحسين الجرجاني الحناطى الوراقى ، من أهل جرجان ، ورد خراسان وأقام بها ، كان صاحب عجائب ، وكان يحفظه ، حدث عن أبى نعيم عبد الملك بن محمد بن عدى الجرجاني وأبى محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى وأقرانهم من مشايخ الدنيا - هكذا ذكره الحاكم أبو عبد الله الحافظ فى التاريخ وقال توفى آخر ذلك بمرور سنة سبع وأربعين وثلاثمائة .

(الأنساب للمسماتى ٢ / ٢٧٥ واللباب لابن الأثير ١ / ٢٤٩) .

• الحنبلى :

قال السمعاتى :

الحنبلى : يفتح الحاء المهملة وسكون النون وفتح الباء الموحدة وفي آخرها اللام ، هذه النسبة لجماعة كثيرة من العلماء فى كل فن ممن يتتبع مذهب الإمام أبى عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيبانى المروزي إمام المحدثين والناصر للدين والمناضل عن السنة والصابر فى المحنة ، مروزي الأصل ، قدمت أمه ببغداد وهى حامل به فولدته ونشأ بها وطلب العلم وسمع الحديث من شيوخها ، ثم رحل إلى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن والشام والجزيرة لكتب عن علماء عصره ، وكان من يتعلم منه يفتخر به ويحترمه لورعه وصيافته ، وشيوخه أكثر من أن تذكر ، وأصحابه فيهم كثرة وشهرة ، ولعل ببغداد ونواحيها والجزيرة من أصحابه من لا يدخل تحت الحصر والعدد ، كان بعض

وهو صاحب حديث : السابع من ولد العباس يلبس الخضرة ، وكان أحمد بن حنبل شديد المحمل عليه .
ومحمد بن مغفور الحناط كوفى .

وأبو عبد الله محمد بن سليمان سليمان الرعيتى البصير ، يعرف بابن الحناط ، حسن المكان من الأدب والشعر والبلاغة وكان يناوئ ابن شهيد وله معه أخبار مشهورة ومناقضات معروفة كان حيا قبل سنة ثلاثين وأربعمائة .

ومحمد بن عبد الله بن المبارك الحناط النيسابورى والدأبى الطيب ، سمع إسحاق بن إبراهيم ومحمد بن رافع وعبد الله ابن مسلم الدمشقى وأيوب بن الحسن ، حدث عنه ابنه أبو الطيب محمد قال ابن ماكولا قرأت على ابن المذهب فى إسناد حدثكم محمد بن أحمد بن محمد الحناط فقال : الحناط وهو ابن رزق ولم أسمع من حناط شيئا .

وأبو محمد بن محمد بن محمد الحناط شيخ صالح مستور من أهل مرو ، وكان يأتى إلى مملوكتنا ويقعد أكثر النهار فيها ، وجعلت سماحه من الأديب كأمكار بن عبد الرزاق المحضابى ، وقرأت عليه أرقا يسيرة ، وما قرأ عليه أحد الحديث قبل ولا بعدى ، وتوفى سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة .

وأبو أحمد حامد بن محمد بن عبد الله الحناط ، من أهل نيسابور ، سمع أبى العباس الحسن بن مغيان النسوى والحسين ابن محمد بن زياد القبانى وغيرهما ، سمع منه الحاكم أبو عبد الله الحافظ ، وقال حدث حامد بن محمد الحناط عن القبانى بالمصنفات وتوفى سنة إحدى وستين وثلاثمائة .

وأبو الحسين عبد الملك بن أحمد بن نصر بن سعيد بن عيسى بن عبد الرحمن الحناط ، ويقال الدقاق ، من أهل بغداد ، سمع يعقوب بن إبراهيم السخوفى ومحمد بن الوليد اليسرى وعبد بن الربيع ومحمد بن عبد الملك بن زنجريه وزهير بن محمد بن قمبر وسلم بن جنادة ومحمود بن خدش ويونس بن عبد الأعلى والربيع بن سليمان وغيرهم ، روى عنه إسماعيل بن على الخطيبى وأبو القاسم بن النحاس وأبو حفص بن شاهين ويوسف بن عمر القواس وكان ثقة ، ومات فى رجب سنة ثمانى عشرة وثلاثمائة .

(الأنساب للمسماتى - تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٢ / ٢٧٣)

الأئمة يقول : لولا أحمد بن حنبل قام بهذا الشأن لكان علينا عارا إلى يوم القيامة إن قوما سبكوا فلم يخرج منهم أحد .
وقيل : رجلان من أهلنا ثالث أبو بكر الصديق رضى الله عنه وقت الزدة وأحمد بن حنبل يوم المنحة : وقال قائلهم فيه :

أضحى ابن حنبل محنة مأسونة

ويحب أحمد يرف المتسك

وإذا رأيت لأحمد متفك

فأعلم بأن شمسوره مستك

ولد سنة أربع وستين ومائة وضرب بالسياط في الله فقام مقام الصديقين في العشر الأواخر من شهر رمضان سنة عشرين ومائتين ، ومات في شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ومائتين ، وكان ابن سبع وسبعين سنة ، وحضر من حضر جنازته من الرجال ثمانمائة ألف ، ومن النساء ستين ألفا ، وكان دفنه يوم الجمعة ولم ير للمسلمين جمع أكثر ممن حضر جنازته ، قيل اجتمع في جنازة في بنى إسرائيل مثل ذلك ... ومناقبه أكثر من أن تحصى . وصنف فيها الكتب . واشتهر بهذه النسبة جماعة ، منهم أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان بن بطلة المكي الحنبلي ، من أهل عكبرا ، صنف التصانيف ، وكان فاضلا زاهدا ، حدث عن أبي القاسم البغوي وأبي بكر بن أبي داود ، روى عنه أبو محمد الحسن بن علي الجوهري وأبو إسحاق إبراهيم بن أحمد البرمكي وغيرهما ، زوت قبره ببكرا .

وأحمد بن هارون الحنبلي الخلال ، حدث عنه أبو سعيد ابن عبيدويه .

(الأنساب للحماني - تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي ٢ / ٢٧٧ ، ٢٧٨ . انظر أيضا الباب لابن الأثير - تحقيق د. مصطفى عبد الواحد ، ١ / ٤٦٠) .

● ابن الحنبل (إبراهيم بن يوسف) (٨٧٧-٩٠٩ هـ) :

ذكره الشيخ نجم الدين الفزري في الطبقة الثانية من المائة العاشرة وقال عنه :

إبراهيم بن يوسف بن الحنبلي : إبراهيم بن يوسف بن عبد الرحمن الشيخ برهان الدين بن قاضي القضاة ابن المحاسن ابن قاضي القضاة زين الدين الحلبي الحنفي الشهير بابن الحنبلي المورخ المشهور وبسط قاضي القضاة أثير الدين بن

الشنعة . قال ولده در العجب : ولد بحلب سنة سبع وسبعين ومائنة فاشتغل بها في الصرف والنحو والعروض والمنطق على الملاة بن الدمشقي المجاور لجامع المهملد روى الفخر عثمان الكردى والبرهان القرصلى وإيزين بن فخر النساء وجود الخط على الشيخ أحمد أخى الفخر المذكور وألم بوضع الأوقاف الحندية ، وتعلق بأخبار القواعد العملية ، والفوائد الحضرية وأجاز له البرهان الرهاوى رواية الحديث المسلسل بالأولية ، بعد أن أسعته منه بشروطه وجميع ما يجوز له وعنه روايته ثم ذكر أنه استجيز له باستدعاء والده جماعة كثيرون من المصريين كالشيخ بن الشنعة والسرى عبد البر ابن الشنعة والقاضى زكريا والجمال إبراهيم الفلشندي والقطب الخيفرى والحافظ عثمان الدبمى والجمال يوسف ابن شاهين وأنه سمع على البرهان بن أبى شريف ما اختصره من رسالة القشيري وأنه لبس الخرقه القادرية من الشيخ عبد الرزاق الكيلاني الحنفي قال ثم ليستها أنا من يده ...

وذكر من تأليفه كتابه المسمى ثمرات البستان ، وثمرات الأغصان ، والسلسل الرائق ، المنتخب من الفائق ، وكتبا انتخبه في آداب الرئاسة مساهم صبايح أرباب الرئاسة ، ومفاتيح أبواب الكياسة ، وغير ذلك وأنه توفي في ليلة الأحد حادى عشر ذى القعدة سنة تسع بتقدم أثناء وضعين وتسمانة وصلى هو عليه . قال ابن شمر والذي ما كتب به إلى وهو غائب عن حلب في طاعون سنة ثمان وثلاثين وتسعمائة :

سلم بنى النفس والولدا

له لا تشرك به أحمد

ولجأ إليه في الأمسور عسى

تمنى بملك الأمن والرفدا

من كان بالرحمن محتبا

ولم يكن رسول الله مستبا

لم يخص من سم ولا تكمد

كلا ولا من حاسد حسدا

فكن للرضى بما يريد وكن

تمسكا بجنابيه أبدا

حلب، وله في الأصول أنوار الحلك على شرح المنار لابن ملك، ونظم الشعر إلا أن شعره ليس بجيد لا يخفى ما فيه من التكلف على من له أدنى ذوق.

توفي يوم الأربعاء خامس جمادى الأولى سنة إحدى وسبعين وتسعمائة ودفن بمقابر الصالحين بالقرب من قبر الشيخ الزاهد محمد الخاتوني بين قبريهما نحو عشرة أذرع وورد الخبر بموته إلى دمشق في آخر جمادى المذكور.

(الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة للشيخ نجم الدين الغزي ٤٢، ٤٣، انظر أيضا الفتح العيني - الشيخ عبد الله مصطفى المراغي ٣ / ٧٩).

• الحنبلي (المذهب):

مؤسسه الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله الشيباني (٢٤١ هـ) ولد ببغداد ونشأ بها ورحل إلى المدن الأخرى لطلب العلم، وتوقف على الشافعي حين قدم بغداد، وصار مجتهدا مستقلا، وأهتم بجمع السنة، وحفظها حتى صار إمام المحدثين في عصره (مراجع العلوم الإسلامية / ٣٧٠) ألفنا للإمام مادة مستغنية في م ١٢ / ٦٤١ - ٦٥٠ فانظرها في مضمونها.

وكان الإمام من خواص أصحاب الشافعي بالعراق، أخذ عنه الفقه ولم يزل مصاحبه إلى أن لرحل الشافعي إلى مصر، ثم استقل بمذهب خاص، وكان رحمه الله يتكر وقوع الإجماع بعد عصر الصحابة رضي الله عنهم.

نشأ هذا المذهب ببغداد وانتشر بالعراق، ولم يخرج منه إلى غيره إلا في القرن الرابع، وكانت له في ذلك القرن الغلبة ببغداد وبلاذنج.

وقد تأخر ظهوره بمصر ظهورا بينا إلى القرن السابع (الدين الإسلامي ٧ / ٨٨).

يقول الدكتور محمد الزجلي:

وأصول مذهبه قريبة من مبدأ الشافعي، فيعتمد على الاجتهاد والاستنباط عن القرآن والسنة والإجماع وفقوى الصعابي والقياس والاستصحاب والمصالح المرسلة وسد الذرائع، ولم يؤلف الإمام أحمد كتابا في الفقه، وإنما أخذ أصحابه مذهبه من أقواله وأفعاله وأجوبته لكنه صنف في الحديث كتابه الكبير (المسند).

(الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة للشيخ نجم الدين الغزي - حققه وضبطه د. جبرائيل سليمان جبر ٨١ / ٨٢).

• الحنبلي (ميجير الدين) (٨٦٠-٩٢٨ هـ / ١٤٥٦-١٥٢٢ م):

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العلمي الحنبلي، أبو اليمن، ميجير الدين، مؤرخ باحث. من أهل القدس. نسبته إلى علي بن عليم المقدسي. كان قاضى قضاة القدس، ومولده ووفاته فيها. له «الألس الجليل في تاريخ القدس والخليل» مطبوع مجلدان، و«المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد»، و«فتح الرحمن في تفسير القرآن» مخطوط في شستر بتي (٣١٦٠) مجلدان. (الإسلام ٣ / ٣٣١ وما جاء في هامش ١ من مراجع).

• الحنبلي (محمد بن إبراهيم) (٩٧١-١٥٢٥ م):

ذكره الشيخ نجم الدين الغزي في الطبقة الثالثة من المائة العاشرة وقال عنه:

محمد بن إبراهيم المعروف بابن الحنبلي: محمد بن إبراهيم بن يوسف بن عبد الرحمن الشيخ الإمام العلامة، المحقق المدقق الفهامة، أبو عبد الله رضي الله عن الميرور بابن الحنبلي المتقى أخذ عن الحنجرى والبرهان وعن أبيه وآخرين وقد استوفى مشايخه في تاريخه ورجح سنة أربع وخمسين وتسعمائة ودخل دمشق وكان بارعا مفتنا انتزع عليه جماعة من الأفاضل كشيخنا شيخ الإسلام محمود البيلوني وشيخ الإسلام بدمشق شمس الدين بن المنقار والعلامة البارع المصطفى سبلى أحمد بن المنلا واجتمع به شيخنا شيخ الإسلام القاضي محب الدين وأخذ عنه وأجبرته عنه أنه كان إذا عرض له آية يستشهد بها في تصانيفه جاء إلى تلميذه الشيخ محمود البيلوني وقد فضل في حياته وكان يحفظ القرآن العظيم فيجىء ابن الحنبلي إلى محل درسه بمدرسته بحلب ويسأله عن الآية فيكتبها من حفظه وله مؤلفات في عدة فنون منها حاشية على شرح تصريف الغزى للفتناتى وشرح على النزهرية في الحساب والكنز المظهر، في حل المفسر، ومخايل الملاحة في مسائل الفلاحة (في الفتح المبين: في مسائل المساحة) وشرح المقلتين في مسح القلتين (في الفتح المبين: وشرح المقلتين في مساحة القلتين) وكثر من حاجي وعي، في الأحاجي والمعنى، ودر الحبيب في تاريخ

لقد قرر أحمد بن حنبل في كلام كثير مأثور عنه أن طلب علم الكتاب يكون من طريق السنة وأن طلب الدين يكون عن طريق السنة وأن السبيل المعبود لطلب فقه الإسلام وشرائعه يكون عن طريق السنة وأن الذين يقتصر على الكتاب وحده من غير الاستعانة بالسنة في بيانه وتعرف شرايعه يضلون سواء السبيل ولا يهتدون إلى الحق وذلك لأمر كثيرة منها :

١ - أن نصوص القرآن الكريم واردة في وجوب طاعة الرسول صلوات الله وسلامه عليه وليست طاعته إلا باتباع سنة .

٢ - أن الاحتكام إلى الرسول ﷺ في حياته وإلى المروى عنه بعد وفاته أمر ثابت في الدين ، فقال تعالى : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ﴾ [النساء : ٦٥]

٣ - أن الأحكام الإسلامية الكثيرة التي أجمع المسلمون عليها مأخوذة من السنة فأحكام الصلاة وشروطها وأركانها وأحكام الزكاة ونصايبها في الأموال والزروع والتجارة ، والتحرير بالرضاع وتحريم الجمع بين المرأة وعمتها وخالتها وتفصيل مقادير النكاح وبيان أحكام السلم والحرب والمعاهدات والمهادنات وغير ذلك جاءت به السنة موضحة ومفصلة لما أجمل في الكتاب الكريم .

ومناك من الثلاثة أحاديث صحيحة ثبت وجوب الأخذ بالسنة وعدم الاكتفاء على الكتاب فقد روى أنه ﷺ قال : « يوشك أحدكم أن يقول : هذا كتاب الله ما كان فيه من حلال أحلناه وما كان فيه من حرام حرّمناه ، ألا ما بلغه عنى حديث فكلب به فقد كذب ثلاثة : الله ورسوله والذى حدث به » .

لهذا كله اتجه الإمام ابن حنبل في طلب الدين إلى السنة ومنها طلب علم الكتاب وسائر علوم الدين وفقه الإسلام وشرائعه وما كان يرضى عنها بديلا والتزم بها طول حياته يدرسها ويخطها ويحفظها ويعطها على نفسه قولاً وعملاً واقتداء برسول الله ﷺ في كل ما جل ريق من الأمور ويكاد يكون مذهبه قائما على السنة وما يتصل بها من استنباط وتخريج .

والحق أن الإمام أحمد بعد محنته التي أضربا إليها وماتحملة في سبيلها قد ذاع اسمه في كل مكان وفي كل البقاع الإسلامية معروفاً بعلوم الدين كلها سواء ما كان يتصل

ومن أشهر تلامذته صالح بن أحمد بن حنبل (٢٦٦ هـ) وهو أكبر أولاد الإمام أحمد وعبد الله بن أحمد بن حنبل (٢٩٠ هـ) الذي نقل الحديث عن أبيه . وعنى صالح بنقل فقه أبيه ومسائله ، وأبو بكر الأثرم ، أحمد بن محمد بن هاتن (٢٧٣ هـ) وأبو بكر المروزي ، أحمد بن محمد بن الحجاج (٢٧٤ هـ) وإبراهيم بن إسحاق الحريري (٢٨٥ هـ) .

ومن أشهر وأهم كتب الفقه الحنبلي مختصر الخفري الذي شرحه العلامة موفق الدين بن قدامة في « المغنى » . ومنها كشف القناع للبهوتي ، وشرح منتهى الإرادات للبهوتي ، والمحصر في الفقه لعبد السلام بن تيمية ، والإنصاف للمبرورى ، والفرع لابن مفلح ، والمغنى لابن قدامة ، والروض المربع للحجاوي .

ويتشتر المذهب الحنبلي في بعض القرى بسورية ، وكان له نشاط ومجد قديما في صالحيه دمشق ، وفي القدس الشريف ، وكثير من ريف فلسطين ، وله مدارس كثيرة في دمشق ، لكن مخطوطاته قليلة لا تتناسب مع نشاط علمائه ومدارسه ولعل كثيرا منها قد احترق .

وتبلغ مخطوطات الفقه الحنبلي في الظاهرة التي انتقلت إلى مكتبة الأسد حوالي مائة مخطوطة ، ذكر منها ٩٣ مخطوطة بشكل متتابع في فهرس الخطى العام للظاهرة ، منها مسائل أحمد بن حنبل والمسائل الفقهية لتقى الدين بن تيمية ، وشرح المقنع للتونسي والفردات للبهوتي ، ودليل الطالب لمصرى بن يوسف ، والمستوب للسامري ، والدرة التيمية للمصرى ، والكافي لابن قدامة ، كما ذكرت بعض كتب الفقه الحنبلي في غير موضعها مثل كتاب « الإنصاف » لابن حبييرة الذي سجل في الفقه الحنفى برقم عام ١٥٩٣ - ٢٥٩٤ . ويضاف إليها عدة رسائل جاءت في مجاميع ، وصنفت في فهرس مخطوطات الظاهرة - مجاميع (١ / ٤٥٦ ، ٢ / ٤٠٧) كما يضاف إلى ذلك مخطوطات الفقه الحنبلي في المكتبة الأحمدية بحلب والتي نقلت إلى مكتبة الأسد بدمشق .

(مرجع العلوم الإسلامية / ٢٧٠) .

ومن منزلة السنة ومكانتها من قلب ابن حنبل يقول الأستاذ محمد إسماعيل إبراهيم :

بالعبادة أم بالحديث والفقه، وقد صرح بعد المحنة أكثر من عشرين سنة فاعتبره الناس إمامهم يرجعون إليه في الأمور التي يتلون بها ويريدون أن يعرفوا حكمها، ولقد أتى كثيرا وصار بعد المحنة المرجع المحتمل لكل من يريد الإفتاء.

قالت المؤلفة: المحنة التي يشير إليها المؤلف هنا هي تلك التي تعرض لها الإمام أحمد بسبب رفضه القول بخلق القرآن، وقد فصلنا القول في هذه المحنة في مادة «أحمد بن حنبل» تحت عنوان فرعي هو «قضية المحنة» في ٢ / ٦٤٦-٦٤٨ فارجع إليها إن شئت.

انتشار مذهب ابن حنبل:

ضعف انتشار المذهب بسبب عنف معتقديه من الدهماء واستنكار الناس لتصبيهم، كذلك كان من الأسباب في عدم انتشار المذهب الحنبلي أن البلاد الإسلامية عندما أخذ مذهب ابن حنبل يعرف وينمو كان المذهب الحنفي سائدا في العراق والمذهب الشافعي سائدا في الحجاز والشام ومصر وكان المذهب المالكي سائدا في بلاد المغرب، وقد جاء الإمام أحمد بن حنبل بعد هؤلاء الأئمة فجاء مذهبه بعد مذاهبهم. ولم يكن في معتقديه من القوة ما يؤيد مذهبه لأن أحوال معتقديه كانت تغر الناس والدولة من تشددهم، وصارت جمهرة الناس لا يقبلون عليه، ولكن الله سبحانه وتعالى قد عوضه من قلة الأتباع وكثرةهم وتمسكهم به لشدته أحكامه في إقامة الحدود والقصاص والمعاملات المالية فالربا حرام في شتى أنواعه بالقليل والكثير من غير محاولة لتحليله وتوقيفه، وقد انتشر في بلاد العرب بعد أن أعيد آل سعود نجد ثم انتقل إلى سائر أنحاء الجزيرة على يد السلطان عبد العزيز آل سعود وصار لهم شرف سلكه البيت الحرام، وقد كان للشيخ محمد بن عبد الوهاب (١١١٥-١٢٠٦ هـ/ ١٧٠٣-١٧٩٢ م) أثره الواضح في نشر هذا للمذهب لأنه كان يتبع مذهب ابن تيمية الذي كان يمنع التوسل والوسيلة ويمنع التقرب بالموتى ولو كانوا صالحين (انظر ترجمة ابن تيمية تحت عنوان «ابن تيمية (تقي الدين)» في ١١ / ٢٠٥-٢٣٠).

وقد أصبحت المملكة العربية السعودية بفضل تمسكها بالمذهب الحنبلي على يد شيخها الحنبلي المصلح محمد ابن عبد الوهاب من أفضل بلاد المسلمين تمسكا بالشرع

الشريف وعمل بأحكامه وأكثرها تمتعاً بالأمن والسلام في ريعها.

ومما يرى من تشدد الحنابلة عندما عظم شأنهم وقويت شوكتهم أنهم كانوا يهاجمون بيوت الدعارة فإن وجدوا نبيلاً أراقوه وإن وجدوا مغنية ضربوها وكسروا آلة الغناء وإذا شبهوا في سلوك إنسان راقبه لكشف عوراته ومعاقبه وغير ذلك من الأعمال المستوجبة للعقاب والتحريم وهم حتى يومنا هذا ما زالوا يحاربون اللذنين ويعتبرونه من المخيئات التي يجب الامتناع عنها وأن ما يقع فيها من الجرائم التي تستوجب الحدود فإنها غالباً من عمل الأعراب النازحين إليها وأكثرها فيها الفساد وتعمل الحكومة على طردهم بعد توقيع الجزاء عليهم. والحنابلة في مصر قليلون ولم يسمح بغيرهم إلا في القرن السابع وما بعده والإمام أحمد بن حنبل كان في القرن الثالث (أئمة الملأب الأربعة / ١٣٠، ١٣٦، ١٤٣، ١٤٤).

وربع أهل السنة بالشام حنابلة.

ويجىء في فلسطين ثانياً بعد الشافعي.

ويقل في العراق ويكثر في الحجاز كالشافعي.

وأهل نجد جميعهم حنابلة (الدين الإسلامي ٢ / ٨٨).

(مرجع العلوم الإسلامية - د. محمد الزحيلي / ٣٧٠، والدين الإسلامي - الشيخ حسن منصور والشيخ عبد الوهاب غير الدين، والشيخ مصطفى عتاني ٢ / ٨٨، وأئمة الملأب الأربعة - محمد إسماعيل إبراهيم - دار الفكر العربي - القاهرة ١٩٧٨ / ١٣٥، ١٣٦، ١٤٣، ١٤٤).

• الحنبلي الشريعة (المدرسة) (٥٢٠ هـ):

من مدارس الحنابلة بدمشق. بناها شرف الإسلام، الإمام عبد الوهاب بن عبد الواحد الحنبلي، شيخ الحنابلة بالشام، كان والده عالماً فاضلاً، هاجر من القدس، ونشر المذهب الحنبلي في الشام، قبل هجرة بني قدامة بزمن.

وكان شرف الإسلام، على الطريقة المرضية، وافر العلم، حسن الوعظ، قوى الدين، مترفعاً عن الدنيا، وله تصانيف كثيرة، توفي سنة ٥٣٦ هـ، وكانت جنازته حافلة، ودفن بمقابر الشهداء في الباب الصغير.

يقول الأستاذ أكرم الخاوي: وقد زعم ابن شداد أن هذه

دمشق . وفي السنة التالية قاد جماعة من الأمراء في حركة تمرد ضد السلطان الملك المنصور صلاح الدين محمد بن الملك المنقفر حاجي ، الذي عيى بيلغا الناصري سلطانا بعد أن قتل السلطان السابق الملك الناصر ، فسارت العساكر السلطانية إلى دمشق وقمعت التمرد وعزلت بيلمر . وفي سنة ٧٦٣ هـ أفرج السلطان المنصور صلاح الدين عنه وولاه صفد ونجد بيلمر نائباً لدمشق مرة أخرى في سنة ٧٧٧ هـ فسلطة الأشرف شعبان بن حسين . وفي أثناء ولايته الثانية هذه على دمشق قام ببناء مدرسته « الحنبلية » في باب الحديد بيت المقدس . والمدرسة الحنبلية هي ثمانية مدارس الحنبلية في القدس . أما الأولى فهي المدرسة الوجيحية .

ومن تولى التدريس في المدرسة الحنبلية الشيخ بهران الدين أبو الصفا إبراهيم بن علي بن أبي الوفا الأسعدي الشافعي الصوفي الزاهد ولد بأسمدر سنة ٨٥٥ أو ٨٠٦ هـ ونشأ بها واشتغل على علمائها ورحل إلى تبريز ثم قدم إلى القدس فاستوطنها وقرره الملك الظاهر جقمق (٨٤٢ - ٨٥٧) في المدرسة الحنبلية أقام بالقدس دهرًا طويلًا وتزوج ورزق الأولاد ثم استوطن دمشق وتوفي بها سنة ٨٨٧ .

ومن تولى التدريس بها في سنة ١٢٤٢ / ١٢٤٣ هـ ، إسماعيل أنسدي السروزي . تولى لث وظيفة التدريس والمشيخة والتولية على المدرسة الحنبلية .

والغالب أن المدرسة في هذا الوقت كانت في حالة اضمحلال وأن هذه الوظيفة كانت شكلية فحسب .

والمدرسة الحنبلية ما زالت معمورة وهي معروفة بدار فطينة إذ يسكنها جماعة من آل فطينة وقد اشترها الشيخ علي الطنيز سنة ١٩٥٤ .

(معاهد العلم في بيت المقدس - د . كامل جميل العلي / ٢٠٠ ، ٢٠١ ، والملاوس في بيت القدس - د : عبد الجليل حسن عبد المهدي ٢ / ٨٩ ، ٩٠) .

• الحنث في يمين الطلاق :

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ، في من حلف بالطلاق على أمر من الأمور ثم حنث في يمينه ، هل يقع به الطلاق أم لا ؟ فأجاب :

في هذه المسألة نزاع بين السلف والخلف على ثلاثة أقوال : أحدها أنه يقع به الطلاق إذ حنث في يمينه ، وهذا هو المشهور عند أكثر الفقهاء المتأخرين ، حتى اعتقد طائفة منهم أن ذلك إجماع . ولهذا لم يكرهوا عليه حجة ،

المدرسة تسبب إلى سيف الإسلام أخى صلاح الدين ، ولا صحة لزمعه هذا ، فقد ذكر ابن رجب الحنبلي قصة بنائها بوضوح ، فقال إنه لما شرع شرف الدين في بناء المدرسة ، طلع بعض متعصبى الشافعية إلى زمره خاتون ، أم شمس الملوك ، وكان حكمها نافذا في البلد ، فقالوا لها : هذا ابن الحنبلي يبنى مدرسة للحنابلة ، وهذا البلد عامته شافعية وتصير الفتن ، وبنائها مفسدة وضرب كبير ، فأمرت الشيخ بالتوقف فتوقف .

وفي الليل بنى مسجدا على ضوء المشاعل ، وتابع العمل فيه نهارا ، فأسقط في يد الخاتون ومن حرضها ، وخافت من مخبة هدم المسجد ، وبعد ذلك تم البناء (الليل على طبقت الحنبلة لابن رجب الحنبلي ط المعهد الفرنسي بدمشق / ٣٣٧ - ٣٣٩) .

وتقع المدرسة شمالي الرواحية ، وجنوب المقدمية ، بينهما ، وهي البرج في تقاطع المعصرة الجوفية ، شرقي حمام السلسلة ، ولا تزال آثارها هناك في حارة ضيقة ومغلقة مقابل «فرن الغزي» تماما .

وقد قبلنا تاريخ بنائها سنة ٥٣٠ هـ ، لأن الخاتون زمره ، لم تكن تتمتع بالسلطة في عهد ابنها شمس الملوك الذي قتلته سنة ٥٢٩ هـ ، والله أعلم .

وكانت المدرسة في حدود سنة ١٣٢٨ هـ تحتوى على ست غرف أرضية بدون طلاب ، وذكرت اللجنة التي زارتها أنها « مهمة جدا » لكنها تحتاج إلى ترميم ...

والجدير بالذكر أن هذه المدرسة تُعد أول مدرسة للحنابلة في دمشق ، ومن المدارس الأولى التي شهدت المعينة ، بعد الصادرة ، والأمينية ، والبلخية ، والمعينية .

(خطط دمشق - أكرم حسن العلي / ٢٣٥ ، ٢٣٦) .

• الحنبلية (المدرسة) (٧٨١ هـ) :

من مدارس الحنبلية بالقدس الشريف أعاده الله ديار إسلام .

تقع المدرسة الحنبلية بباب الحديد على بعد أمتار قليلة غربى المدرستين الجوسرية والمزهرية . وإقفاها هو الأمير بيلمر نائب الشام . وتم بناؤها في شهر شوال سنة ٧٨١ . وقد تولى الأمير بيلمر - وأسمه الكامل هو سيف الدين بيلمر الخوارزمي - هذه مناصب هامة في دولة المماليك . ففى سنة ٦٧٠ تولى منصب حجوبة الحجاب بدمشق . وفى السنة نفسها نقل إلى حلب نائباً لها . وفى سنة ٧٦١ ولى نيابة

يقول ذلك من يقوله ، من أصحاب الشافعي لتسريقه بين أن يقول عائلاً نذر فلا يلزمه شيء ، وبين أن يقول إن فعلت فعلى نذر ، فعليه كفارة يمين . ففرق هؤلاء بين نذر الطلاق وبين الحلف بنذر الطلاق . وأحمد عنده على ظاهر مذهبه المتصوص عنه ، أن نذر الطلاق فيه كفارة يمين ، والحلف بنذره عليه فيه كفارة يمين . وقد وافقه على ذلك من وافقه من الخراسانيين ، من أصحاب الشافعي وجعله الرافعي والنواري وغيرهما هو المرجع في مذهب الشافعي ، وذكروا ذلك في نذر جميع المباحات لكن قوله الطلاق لى لازم فيه صيغة إشخاص في مذهب أحمد . فإن نوى بذلك النذر ففيه كفارة يمين عنده .

والقول الثالث : وهو أصح الأقوال ، وهو الذي يدل عليه الكتاب والسنة والأخبار أن هذه يمين من أيمان المسلمين ، فيجوز فيها ما يجزى في أيمان المسلمين . وهو الكفارة عند الحنث ، إلا أن يختار الحالف إيقاع الطلاق ، فله أن يرقعه ولا كفارة ، وهذا قول طائفة من السلف والخلف ، كطائفة وغيره ، وبه يقتي كثير من المالكية وغيرهم ، حتى يقال إن في كثير من بلاد المغرب من يقتي بذلك من أئمة المالكية ، وهو مقتضى نصوص أحمد بن حنبل وأصول في غير موضع وعلى هذا القول فإذا كسر اليمين المكفرة مرتين أو ثلاثا على فعل واحد فهل عليه كفارة واحدة أو كفارات ، فيه قولان للعلماء : وهما روايتان عن أحمد ، أشهرهما عنه تجزيه كفارة واحدة وهذه الأقوال الثلاثة حكاهما ابن حزم وغيره في الحلف بالطلاق كما حكوها في الحلف بالعتق والنذر وغيرهما .

فإذا قال إن فعلت كذا فعيىدى أحراره ففيها الأقوال الثلاثة ، لكن هنا لم يقل أحد من أصحاب أبي حنيفة والشافعي ، أنه لا يلزمه العتق ، كما قالوا ذلك في الطلاق فيصحب نذره بخلاف الطلاق ، والمنقول عن أصحاب رسول الله ﷺ ، إنه يجزئه كفارة يمين ، كما ثبت ذلك عن ابن عمر وحصة وزيد ، ورووه أيضا عن عائشة وأم سلمة وابن عباس وأبي هريرة ، وهو قول أكابر التابعين ، كطائفة وعطاء وغيرهما ، ولم يثبت عن صحابي ما يخالف ذلك ، لا في الحلف بالطلاق ولا في الحلف بالعتق ، بل إذا قال لصحابه أن العائف بالعتق لا يلزمه العتق ، فالحالف بالطلاق أولى عندهم ، وهذا كالحلف بالنذر ، مثل أن يقول إن فعلت كذا فعلى الحج ، أو صوم سنة ، أو ثلث مالى صدقة فإن هذا يمين تجزئ في الكفارة عند أصحاب رسول الله ﷺ . مثل عمر

وحجته عليه ضعيفة جدا وهي أنه التزم أمرا عند وجوب شرط ، فلزمه ما التزمه وهذا مقوض بصور كثيرة ، وبعضها مجمع عليه ، كنذر الطلاق والمصيبة والمباح والالتزام الكفر على وجه اليمين ، مع أنه ليس له أصلا يقام به ، إلا وبينهما فرق مؤثر في الشرع ، ولا دل عليه عموم نص ولا إجماع ، لكن لما كان موجب العقد لزوم ما التزمه ، صار يظن في بادئ الرأي أن هذا عقد لازم ، وهذا يوافق ما كانوا عليه في أول الإسلام ، قبل أن ينزل الله كفارة اليمين موجبة ومحيرة ، كما يقال إنه كان شرع من قبلنا .

لكن نسخ هذا شرع محمد ﷺ ، وفرض للمسلمين تحلة أيمانهم وجعل لهم أن يحلوا عقد اليمين بما فرضه من الكفارة ، وأما إذا لم يحنث في يمينه فلا يقع به الطلاق بلا ريب إلا على قول ضعيف ، روى عن شريح ، ويذكر رواية عن أحمد فيما إذا قدم الطلاق وإذا قيل يقع به الطلاق ، فإن نوى باليمين الثانية تركيد الأولى لا إنشاء يمين أخرى ، لم يقع به إلا طلقة واحدة ، وإن أطلق وقع به ثلاث ، وقيل لا يقع به ثلاث ، وقيل لا يقع به إلا واحدة ، والقول الثاني ، أنه لا يقع به طلاق ، ولا يلزمه كفارة وهذا مذهب داود وأصحابه وطوائف من الشيعة ، ويذكر ما يدل عليه عن طائفة من السلف . بل هو مأثور عن طائفة صريحة كأبي جعفر الباقر رواية جعفر بن محمد . وأصل هؤلاء أن الحلف بالطلاق والعتاق والظهار والحرام والنذر ، لغو كالحلف بالمخلوقات . ويقضى به في اليمين ، التي يحلف بها التزام الطلاق ، طائفة من أصحاب أبي حنيفة والشافعي ، كالقفال وصاحب التتمة . وينقل عن أبي حنيفة نصا [نص] ببناء على أن قول القائل الطلاق يلزمى ، أو لازم لى . ونحو ذلك صيغة نذر لا صيغة إيقاع كقوله لله على أن أطلق ، ومن نذر أن يطلق لم يلزمه طلاق بلا نزاع ولكن في لزومه الكفارة له قولان .

أحدهما : يلزمه وهو المتصوص عن أحمد بن حنبل ، وهو المحكى عن أبي حنيفة إما مطلقا وإما إذا قصد به اليمين والثاني : لا وهو قول طائفة من الخراسانيين من أصحاب الشافعي ، كالقفال والبقوى وغيرهما . فمن جعل هنا نذرا ولم يوجب الكفارة في نذر الطلاق ، يقتي بأنه لا شيء عليه ، كما أفتى بذلك طائفة من أصحاب الشافعي وغيرهم ومن قال عليه كفارة لزمه على قوله كفارة يمين . كما يقتي بذلك طائفة من الحنفية والشافعية وأما الحنفية فبنوا على أصله ، أن في من حلف بنذر المعاصي والمباحات فعليه كفارة يمين ، وكذلك

بالله ، ونوع غير محترم ، ولا منقذ ولا مكفر وهو الحلف بالمخلفات ، فإن كانت هذه اليمين من إيمان المسلمين ، ففيها الكفارة ، وهي من النوع الأول ، وإن لم تكن من إيمان المسلمين ، فهو من الثاني .

وأما إثبات يمين منعقدة غير مكفرة ، فهذا لا أصل له في الكتاب والسنة . وتقسيم إيمان المسلمين إلى يمين مكفرة وغير مكفرة كتقسيم الشراب المسكر إلى خمر وغير خمر ، وتقسيم السفر إلى طويل وقصير وتقسيم المسير إلى محرم وغير محرم ، بل الأصول تقتضي خلاف ذلك ، وبسط الكلام له موضع آخر ، لكن هذا القول الثالث ، وهو القول بثبوت الكفارة في جميع إيمان المسلمين ، هو القول الذي تقوم عليه الأدلة الشرعية التي لا تنتاقض ، وهو المأثور عن أصحاب رسول الله ﷺ ، وأكابر التابعين ، إما في جميع الإيمان وإما في بعضها ، وتعليل ذلك بأنه يمين ، والتعليل بذلك يقتضي ثبوت الحكم في جميع إيمان المسلمين .

والصيغ ثلاثة : صيغة تنجيز ، كقوله أنت طالق فهذه ليست يميناً ولا كفارة في هذا باتفاق المسلمين (والثاني) صيغة قسم ، كما إذا قال الطلاق يلزمي لأفعلن كذا فهذه يمين . باتفاق أهل اللغة والفقهاء . والثالث صيغة تعليق ، فهذه إن قصد بها اليمين ، فحكمها حكم الثاني ، باتفاق العلماء ، وأما إن قصد وقوع الطلاق عند الشرط ، مثل أن يختار طلاقها إذا أعطته الموصى ، فيقول إن أعطيتي كذا فأنت طالق ، ويختار طلاقها ، إذا أنت كبيرة فيقول ، أنت طالق ، إن وثيت أو سرت . وقصد الإيقاع عند الصفة ، لا الحلف ، فهذا يقع به الطلاق باتفاق السلف ، فإن الطلاق المعلق بالصفة روى وقوع الطلاق فيه عن غير واحد من الصحابة ، كعلي وابن مسعود وأبي ذر وابن عمر ومعاوية وكثير من التابعين ومن بعدهم ، وسكن الإجماع على ذلك غير واحد وما علمت أحداً نقل عن أحد من السلف أن الطلاق بالصفة لا يقع ، وإنما علم النزاع فيه عن بعض الشيعة ، وعن ابن حزم من الظاهرية .

وهؤلاء الشيعة بلغتهم فتاوى عن بعض فقهاء أهل البيت . فيمن قصده الحلف ، فظنوا أن كل تعليق كذلك ، كما أن طائفة من الجمهور بلغتهم فتاوى عن بعض الصحابة والتابعين ، فيمن علق الطلاق ، بصفة أنه يقع عندها . فظنوا أن ذلك يمين ، وجعلوا كل تعليق يميناً كمن قصده اليمين ، ولم يفرقوا بين التعليق الذي يقصد به اليمين ، والذي يقصد به

وابن عباس وعائشة وابن عمر . وهو قول جماهير التابعين كمالك وسعد بن أبي الشثاء وفكرمة والحسن وغيرهم ، وهو مذهب الشافعي المنصوص عنه ومذهب أحمد بلا نزاع عنه ، وهو إحدى الروايتين عن أبي حنيفة اختارها محمد بن الحسن وهو قول طائفة من أصحاب مالك ، كابن وهب وابن أبي الغمر ، وأفتى ابن القاسم ابنه بذلك .

والمعروف عن جمهور السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، أنه لا فرق بين أن يحلف بالطلاق أو العتاق ، أو النذر ، إما أن تجزئه الكفارة في كل يمين ، وإما أن لا شيء عليه ، وإما أن يلزمه كما حلف به ، بل إذا كان قوله ، إن فعلت كذا فليكن أن أفنت رقية ، وقصد به اليمين ، لا يلزمه الحلف بل يجزئه كفارة يمين ، ولو قاله على وجه النذر لزمه الحلف ، كقوله فبئس حراً أولى أن لا يلزمه ، لأن قصد اليمين إذا منع أن يلزمه الرجوب في الإعتاق والعتق فلان يمنع اسم العتق وحده أولى .

سأ فإن ثبوت الحقوق في الدسم أوسع نفوذاً ، فإن الصبي والمجنون والعبد قد ثبتت الحقوق في ذمهم . مع أنه لا يصح تصرفهم ، فإذا كان قصد اليمين مع ثبوت العتق المعلق في الذمة فلان يمنع وقوعه أولى وأحرى ، وإذا كان العتق الذي يلزمه بالنذر ، لا يلزمه إذا قصد به اليمين ، فالطلاق الذي لا يلزم بالنذر أولى ، إذ لا يلزم إذا قصد به اليمين ، فإن التعليق إنما يلزم فيه الجزاء ، إذا قصد وجوب الجزاء عند وجوب الشرط ، كقوله إن أبرأتني من صدقتك فأنت طالق . وإن شفا الله مريض فثلث مالى صدقة ، وأما إذا كان يكره وقوع الجزاء وإن وجد الشرط ، وإنما التزمه ليخص نفسه ، أو يمنعه أو يخص غيره أو يمنعه ، فهذا مخالف لقوله ، إن فعلت كذا فأنا يهودي أو نصراني ، ومال صدقة وعبيدي أحرار . ونسأل طسائق ، وعلى عشر حجاج وصوم ، فهذا حالف بانساق الصحابة والفقهاء وسائر الطوائف وقد قال تعالى ﴿ قد فرض الله لكم تحلة إيمانكم ﴾ وقال ﷺ ﴿ ذلك كفارة إيمانكم إذا حلفتم واحفظوا إيمانكم ﴾ على معنى من غير وجه في الصحيح قال « من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها ، فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه » وهذا يتناول جميع المسلمين لفظاً ومعنى . ولم يخصص ولا إجماع ولا قياس .

بل الأدلة الشرعية تحقق عمومها ، واليمين في كتاب الله وسنة ورسوله ﷺ نوعان ، نوع محترم منعقد مكفر ، كالحنث

إذا قال إن فعلت كذا فعلى الحج وعبيدي أحرز. ونسأل طوائق ومالي صدقة، فهو يكره هذه اللواتج، وإن وجد الشرط وإنما عليها ليمتع نفسه من الشرط، لا القصد وقعها وإذا وجد الشرط فالتعليق الذي يقصد به الإيقاع من باب الإيقاع، والذي يقصد به اليمين من باب اليمين .
وقد بين الله في كتابه أحكام الأيمان . وإذا قال إن سرق أو إن زنيبت فأنت طالق فهذا قد يقصد به اليمين وهو أن يكون مقامها مع هذا الفعل، أحب إليه من طلاقها، وإنما قصده زجرها وتخويفها، لئلا تفعل . فهذا حالف لا يقع به الطلاق وقد يكون قصده إيقاع الطلاق، وهو أن يكون لرائتها أحب إليه من المقام معها مع ذلك الفعل، فيختار إذا لمسه أن تطلق منه، فهذا يقع به الطلاق والله أعلم .
(الفتاوى لابن تيمية ط دار الفهد العربي ٣ / ٩ - ٣٠٠٠ .

الإيقاع، كما لم يفرق أولئك بينهما في نفس الطلاق . وما علمت أحدا من الصحابة أفتى في اليمين يلزوم الطلاق، كما لم أعلم أحدا منهم أفتى في التعليق الذي يقصد به اليمين، وهو المعروف عن جمهور السلف، حتى قال به داود وأصحابه، ففرقوا بين تعليق الطلاق الذي يقصد به اليمين، والذي يقصد به الإيقاع، كما فرقوا بينهما في تعليق النذر وغيره، والفرق بينهما ظاهر، فإن الحالف يكره وقوع الجزاء، وإن وجدت الصفة، كقول المسلم إن فعلت كذا فأنا يهودي أو نصراني، فهو يكره الكفر، وإن وجدت الصفة وإنما التزمه لئلا يلزم، وليمتنع به من الشرط لا القصد وجوده عند الصفة، وهكذا الحالف بالإسلام: لو قال اللهم إن فعلت كذا فأنا مسلم، والحالف بالنذر والحرام والطهار والطلاق والعتاق .

بسم الله الرحمن الرحيم

استجدوا له

وقعت بعض الأخطاء في المجلد ١٤ رجاء التفضل بتصحيحها

الصفحة	المعومد	السطر	الخطأ	الصواب
٤٢٥	٢		رأس الصفحة : مصنفاتهم	مصنفاتهم
٤٢٩	٢	٦	عناون فرعي بنط أبيض	
٤٣٠	١		وضع عناون كل من الصورتين	
٤٣٤	١		خطا موضع الآخر	
٤٤٠	٢	٣	د . ن	د . ن (أي بدون تاريخ)
٤٤٠	١		رأس الصفحة حمل ألفاظ ...	حل ألفاظ ...
٤٤٢	١	٧	حمل ألفاظ ...	حل ألفاظ ...
٤٤٢	١		رأس الصفحة : حل زديج ...	حل زديج ... (بدون راء)
٤٧٤	١	١	حل زديج ...	حل زديج ...
٤٧٤	٢	٢٩	يقسم الأستاذ	تقسم

تم بحمد الله وحسن توفيقه

المجلد الرابع عشر

من الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية

ويليه إن شاء الله تعالى

المجلد الخامس عشر

وأوله مادة:

ابن حنابلة (٣٠٨ - ٣٩١ هـ) :

أعان الله على إتمامه

المجلد
العدد

الكتاب
المؤلف
المطبعة
السنة

Universita Alexandrina



0228186